# تفسير البصائر

تأليف

العلامة الفقيه والمفسر الكبير آية الله العظمى
أبي محمد يعسوب الدين رستگار الجويباري

المجلد السابع والثلاثون

## * هوية الكتاب:

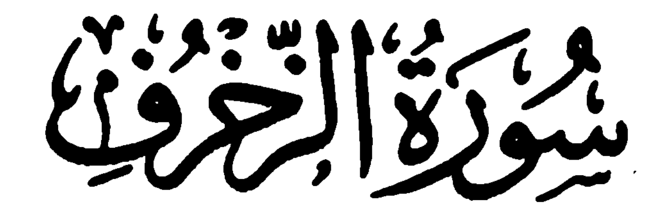
| | |
|---|---|
| الكتاب: | تفسير البصآئر |
| المجلد: | السابع و الثلاثون |
| المؤلّف: | المفسّر الكبير آية اللّٰه العظمى يعسوب الدّين رستگار الجويبارى |
| الناشر: | المؤلّف |
| زينغراف: | نوشتار معارف |
| المطبعة: | أمين |
| الكمّيّة: | ۲۲۰۰ نسخة |
| سنة الطبع: | ۱۴۱۹ هجرى قمرى |
| عدد الصّفحات: | ۱۲۰۰ صفحة |
| السّعر: | ۲۰۰۰ توماناً |
| الطبعة: | الاولى |
| تنذيف الحروف: | مؤسسة العلوم الكامبيوترية |
| التوزيع: | ايران، قم، رقم الهاتف: ۷۴۲۹۷۲ |



قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها

الأنعام: ١٠٤

كتاب علمي، فني، أدبي، فقهي، ديني، تاريخي، أخلاقي، اجتماعي، سياسي، روائي، حديث، يفسر القرآن بالقرآن، مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه، وأسراره الكونية والتشريعية، وفريد في بابه، يبحث فيه عن العقل والنقل.


سورة الزخرف

ترتيبها ٤٣ — سُورَةُ الزُّخۡرُفِ — آياتها ٨٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا
لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا
لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا
أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ
مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾
وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ
كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ

ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ
لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم
بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا
ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي
ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ
شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ
كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ
إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾
وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ
إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ

أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾
وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ
ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ
مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ٥٣ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ
فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ
سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا
خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨
إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
٥٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ٦٠
وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ
مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ
٦٢ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ

﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾
إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا

فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

## ﴿فضلها و خواصّها﴾

روى الصّدوق رحمة الله تعالى عليه في «ثواب الأعمال» بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السّلام «من أدمن قراءة حمّ الزّخرف آمنه الله في قبره من هوامّ الأرض، وضغطة (ضمّة خ) القبر حتّى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ، ثمّ جاءت حتّى تكون هي الّتي تدخله الجنّة بأمر الله تبارك وتعالى».

أقول: رواه الطّبرسي في المجمع، وجوامع الجامع، والبحراني في البرهان، والحويزى في نور الثّقلين، والشّيخ الحرّ العاملي في وسائل الشّيعة، والمجلسي في بحار الأنوار، والدّيلمي في أعلام الدّين، والرّاوندي في الدّعوات، والسّيّد البروجردي في جامع أحاديث الشّيعة.

وذلك أنّ من قرأها متدبّراً، وآمن بالله تعالى وباليوم الآخر، ورفض التّقاليد العميآء في العقآئد والاصول الإعتقادية... آمنه الله عزّ وجلّ في قبره إلى أن يدخل الجنّة إذ يقول فيها: «وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنّني برآء ممّا تعبدون إلّا الّذي فطرني فانّه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون ـ فاستمسك بالذى اوحى إليك إنّك على صراط مستقيم وإنّه لذكرك ولقومك وسوف تسئلون ـ وإنّه لعلم للسّاعة فلا تمترنّ بها واتّبعون هذا صراط مستقيم ـ يا عباد لا خوف عليكم

اليوم ولا أنتم تحزنون ـ وتلك الجنّة الّتي اورثتموها بما كنتم تعملون» الزخرف : ٢٦ ـ ٢٨ و ٤٣ ـ ٤٤ و ٦١ و ٦٨ ـ ٧٣).

**وفي المجمع :** أُبي بن كعب عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «ومن قرأ سورة الزّخرف كان ممّن يقال له يوم القيامة: «يا عباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون» ادخلوا الجنّة بغير حساب».

**أقول :** رواه في جوامع الجامع أيضاً، وأبوالفتوح في تفسيره، والبحراني في البرهان، والحويزي في نورالثقلين، والمحدّث النّوري المازندراني في المستدرك، والكفعمي في المصباح، والسّيّد البروجردي في الجامع وغيرهم...

**وفي خواصّ القرآن :** روى عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «من كتبها وشربها لم يحتج معها إلى دوآءٍ يصيبه لمرض، وإذا رشّ بمآئها على مصروع أفاق من صرعه، واحترق شيطانه باذن الله تعالى». أقول: الزّبون: المشترى.

**وفيه :** عن الصّادق عليه السّلام : «من كتبها وجعلها تحت رأسه لم ير في منامه إلّا ما يحبّ وأمن اللّيل ممّا يقلقه، وإذا شرب مآئها صاحب السّلعة أفاق منها، وخفّت، وإذا كتبت على حآئط دكان أو بيع وشرآء ربحت تجارة صاحبها وكثر زبونه وبركته باذن الله تعالى.

**وفي المصباح :** «من سقاها للزّوجة المخالفة أطاعت، ومآؤها ينفع المعصوم من البطن، ويسهّل المخرج، من حملها أمن من كلّ شرّ، وإن وضعت تحت رأس نآئم لم ير في نومه إلّا خيراً»

**وفي أمان الاخطار :** عن الإمام الصّادق عليه السّلام : «من كتبها وحملها أمن من كلّ شرّ ملك، وكان محبوباً عندالنّاس أجمعين، ومآؤها ينفع شاربه عن انفصام البطن ويسهّل المخرج».

**وفي فروع الكافي** ـ كتاب الدّواجن ـ باب نوادر في الدّوابّ ـ باسناده عن

ابراهيم ابن عبدالحميد عن أبي الحسن عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا ركب الرّجل الدّابّة فسمّى ردفه ملك يحفظه حتّى ينزل، وإذا ركب ولم يسمّ ردفه شيطان، فيقول له: تغنّ فإن قال له: لا أحسن قال له: تمنّ، فلا يزال يتمنّى حتّى ينزل، وقال: من قال إذا ركب الدّابّة: «بسم الله لا حول ولا قوّة إلّا بالله الحمد لله الّذي هدانا لهذا...» و «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» حفظت له نفسه ودابّته حتّى ينزل».

**أقول:** رواه الصّدوق في ثواب الأعمال، والشّيخ في التّهذيب، والبرقي في المحاسن، والعاملى في الوسآئل والمجلسى في البحار والحويزى في نور الثقلين، والكـفعمى في المصباح والدّيلمى فى الأعلام.

**وفي المحاسن :** بالاسناد عن حاتم بن اسمعيل المديني عن أبي عبدالله عليه السّلام عن آبآئه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «على ذروة سنام كلّ بعير شيطان، فاذا ركبتموها فقولوا كما أمركم الله: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» وامتهنوها لأنفسكم فانّها تحمد (تحمل خ) الله».

**وفي المجمع :** عن صحيح مسلم: أنّ ابن عمر علّمهم: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفره كبّر ثلاثاً، ثمّ قال: «سبحان الّذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون» اللهمّ إنّا نسـئلك في سفرنا هذا البرّ والتّقوى، ومن العمل ماترضى، اللّـهمّ هـوّن عـلينا سـفرنا هـذا، واطوعنّا بُعَده، اللهمّ أنت الصّاحب في السّفر والخليفة في الأهل، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاءِ السّفر، وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قـالهنّ، وزاد فيهن: «آئبون، تائبون، عابدون لربّنا حامدون».

**وفي شرح ابن أبي الحديد :** ـ في أدعيّة عليّ عليه السّلام عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية ـ قال نصر: لمّا وضع عليّ عليه السّلام رِجله في ركاب دابّته يوم خرج

من الكوفة إلى صفّين قال: بسم الله، فلمّا جلس على ظهرها قال: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون» اللهمّ إنّي أعوذ بك من وعثآءِ السّفر، وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد، اللهمّ أنت الصّاحب في السّفر وأنت الخليفة في الأهل ولايجمعهما غيرك لأنّ المستخلَف لايكون مُستَصحَباً، والمُستَصْحَبُ لايكون مُستخْلَفاً».

**وفي أمالي الطوسى** : بإسناه عن عليّ بن ربيعة الأسدي قال: ركب عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فلمّا وضع رجله في الرّكاب قال: «بسم الله» فلمّا استوى على الدّابّة قال: «الحمد لله الّذي أكرمنا وحملنا في البرّ والبحر ورزقنا من الطّيّبات، وفضّلنا على كثير ممّن خلق تفضيلاً «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» ثمّ سبّح الله ثلاثاً، وحمد الله ثلاثاً، ثمّ قال: «ربّ اغفر لي فانّه لايغفر الذّنوب إلّا أنت» ثمّ قال: فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هذا وأنا رديفه».

**وفي الخصال** : باسناده عن أميرالمؤمنين عليه السّلام ـ في حديث الأربعمأة ـ قال: «إذا ركبتم الدّوابّ فاذكروا الله تعالى، وقولوا: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون».

**وفي روضة الكافي** : باسناده عن عبدالله بن عطآء ـ في حديث ـ قال: قدّمت لأبي جعفر عليه السّلام حماراً، وأمسكت له بالرّكاب فركب، فقال: «الحمد لله الّذي هدانا بالاسلام وعلّمنا القرآن، ومنّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم «الحمد لله الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون» والحمد لله ربّ العالمين.

**وفي الفقيه** : بالإسناد عن الفضيل النّوفلي عن بعض مشيخته قال: كان أبو عبدالله عليه السّلام إذا وضع رجله في الرّكاب يقول: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» ويسبّح الله سبعاً، ويحمد الله سبعاً ويهلّل الله سبعاً.

**وفي التّهذيب** : بالإسناد عن معاوية بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السّلام ـ في

حديث ـ قال: فاذا جعلت رجلك في الرّكاب، فقل: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، بسم الله والله أكبر» فاذا استويت على راحلتك واستوى بك محملك فقل: «الحمد لله الّذي هدانا للإسلام وعلّمنا القرآن، ومنّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم سبحان الله «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون والحمد لله ربّ العالمين» اللّهمّ أنت الحامل على الظّهر والمستعان على الأمر اللّهمّ بلّغنا بلاغاً يبلغ إلى خير بلاغ يبلغ إلى رضوانك ومغفرتك، اللّهمّ لاطير إلّا طيرك ولا خير إلّا خيرك ولا حافظ غيرك».

وفي تفسير القمي: حدّثني أبي عن عليّ بن أسباط قال: حملت متاعاً إلى مكّة، فكسد عليّ فجئت إلى المدينة فدخلت إلى أبي الحسن الرّضا عليه السّلام فقلت: جعلت فداك إنّي قد حملت متاعاً إلى مكّة فكسد عليّ وقد أردت مصر فأركب بحراً أو برّاً؟ فقال: بمصر الحتوف وتفيض إليها أقصر النّاس أعماراً قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: لاتغسلوا رؤوسكم بطينها ولاتشربوا في فخارها، فإنّه يورث الذّلّة ويذهب بالغيرة ثمّ قال: لا، عليك أن تأتي مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فتصلّي فيه ركعتين وتستخير الله مأة مرّة، ومرّة، فاذا عزمت على شئ وركبت البحر أو إذا استويت على راحلتك فقل: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون» فانّه ما ركب أحد ظهراً فقال: هذا وسقط إلّا لم يصبه كسر ولا وثى ولا وهن».

قوله عليه السّلام: «وثى» كعلى: الأوجاع. وفي نسخة «وبال» بدل «وثى» أى ثقل ومكروه.

وفي قرب الأسناد: باسناده عن عليّ بن أسباط قال: قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السّلام ـ إلى أن قال ـ: وإن خرجت برّاً، فقل: الّذي قال الله عزّ وجلّ: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون» فانّه ليس من

عبد يقولها عند ركوبه فيقع من بعير أو دابّة فيصيبه شئ باذن الله، ثمّ قـال: فـاذا خرجت من منزلك فقل: بسم الله، آمنت بالله، توكّلت على الله لاحول ولا قوّة إلّا بالله، فانّ الملائكة تضرب وجوه الشّياطين، ويقولون قد سمّى الله وآمن بالله وتوكّل على الله، وقال: لاحول ولا قوّة إلّا بالله».

**أقول:** ومن غير مرآءٍ أنّ لكل آية من الآيات القرآنية آثاراً وخواصّ في جميع أحوال الإنسان... كلّ ذلك مشروط بشرآئط أهمّها الايمان والعمل والإخلاص.

## ﴿الغرض﴾

غرض السّورة هو استمرار الوحي والإنذار وإن لم يؤمن به أحد إتماماً للحجّة على المخاطبين، وعلى النّاس في كلّ ظرف: «أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ـ وقيله يا ربّ إنّ هؤلآء قوم لايؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون»: ٥ و٨٨ـ٨٩) ولذلك تدور السّورة حول الكلام على القرآن الكريم، وحملة على المشركين المغترّين بزخارف الدّنيا وشهواتها، فأشركوا بالله سبحانه بسبب تقاليد الآبآءِ الضّالّين واستكبارهم عن الإستجابة للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه لم يكن صاحب الزّخارف: «وقالوا لو لانزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» : ٣١)

وفي السّورة نقاش المشركين وعداد مفترياتهم وأباطيلهم الخمسة:

١ ـ إنّهم «جعلوا له من عباده جزءاً» : ١٥)

٢ ـ إنّهم «جعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمن إناثاً» : ١٩)

٣ ـ إنّهم «قالوا لوشآء الرّحمن ما عبدناهم» : ٢٠)

٤ ـ إنّهم «قالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» : ٣١)

٥ ـ إنّهم «لمّا ضرب ابن مريم مثلاً ـ قالوا ءآلهتنا خير أم هو...» ٥٧ـ٥٨)

ومنشأ تلك المفتريات، الزّخارف الدّنيويّة الفانية، واستشهد على ذلك بذكر ثلاث قصص على سبيل الإجمال:

**الاولى :** قصّة إبراهيم عليه السّلام وموقفه من قومه المستكبرين.

**الثانية :** قصّة موسى عليه السّلام وفرعون الّذي يفتخر بالملك والعِدّة والعُدّة: «يا قوم أليس لي ملك مصر...» : ٥١-٥٦)

**الثالثة :** قصّة عيسى بن مريم عليهما السّلام واستكبار قومه بني إسرآئيل.

وفي كل قصّة، إستشهاد وبحث عن زخارف الدّنيا، ولذلك سمّيت السّورة بالزّخرف، ثمّ الرّدّ على المشركين ردوداً أفحمتهم، ثمّ الإستدلال على وحدانيّة الله تعالى وصفاته العليا ونعمه على النّاس.

فتستهدف السّورة غرضاً يكون درساً لدعاة النّاس ومنذريهم ومصلحيهم، فلاينبغي أن يتوقّفوا عن الدّعوة والإنذار بسبب إعراض المعرضين وتكذيب المكذّبين واستهزآءِ المستهزئين بهم، فعليهم الدّعوة والإنذار إتماماً للحجّة على النّاس سوآء أاستجابوا أم لا.

## ﴿ النّزول ﴾

سورة «الزّخرف» مكيّة نزلت بعد سورة «الشّورى» وقبل سورة «الدّخان» وقيل: آية «٥٤» منها مدنيّة، وعن مقاتل أنّ آية (٤٥): «وسئل من أرسلنا...» نزلت ببيت المقدّس وهي السّورة الثّالثة والسّتّون نزولاً، والثّالثة والأربعون مصحفاً، وتشتمل على (٨٩) آية، سبقت عليها (٣٢٥٩) آية نزولاً، و «٤٣٢٥» آية مصحفاً على التحقيق، ومشتملة على «٨٣٣» كلمة، وعلى «٣٤٠٠» حرفاً على مافي بعض التّفاسير.

وهذه السّورة من السّور النّازلة في أوآئل البعثة على مايستفاد من السّياق والرّوايات الواردة فيها فانتظر، وفصولها مترابطة ومتساوقة، وبدايتها مرتبطة بنهايتها أيضاً إرتباطاً وثيقاً ممّا فيه الدّلالة على نزولها دفعة واحدة أو متتابعة، وهى منسجمة في السّياق والموضوع إنسجاماً تامّاً، وهذا لاينافي مدنيّة بعض آياتها...

وهذه السّورة هي رابعة سلسلة السّور السّبع المكّيّة المعروفة بالحواميم...

**في أسباب النزول للسيوطي** : أخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال ناس من المنافقين: إنّ الله صاهر الجنّ فخرجت من بينهم الملائكة، فنزل فيهم: «وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمن إناثاً» الزخرف: ١٩)

**وفي كنز الفوآئد :** بالاسناد عن عمرو بن شمر قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام:أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أبابكر وعمر و عليّاً عليه السّلام أن يمضوا إلى الكهف والرّقيم، فيسبغ أبوبكر الوضوء ويصفّ قدميه ويصلّي ركعتين، وينادي ثلاثاً، فإن أجابوه وإلّا فليقل مثل ذلك عمر، فإن أجابوه وإلّا فليقل مثل ذلك عليّ عليه السّلام فمضوا وفعلوا ما أمرهم به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فلم يجيبوا أبابكر ولا عمر، فقام عليّ عليه السّلام وفعل ذلك فأجابوه وقالوا: لبيّك لبيّك ثلاثاً، فقال لهم: ما لكم لم تجيبوا الصّوت الأوّل والثّاني وأجبتم الثّالث؟ فقالوا: إنّا أُمرنا أن لانجيب إلّا نبيّاً أو وصيّاً ثمّ انصرفوا إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فسئلهم مافعلوا فأخبروه، فأخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صحيفة حمراء فقال لهم: اكتبوا شهادتكم بخطوطكم فيها بما رأيتم وسمعتم، فانزل الله: «ستكتب شهادهم ويسئلون يوم القيامة» الزّخرف: ١٩)

**أقول :** رواه المجلسي في البحار، والبحراني في البرهان.

**وفي الكنز :** باسناده عن أبي بصير قال: ذكر أبوجعفر عليه السّلام الكتاب الّذي تعاقدوا عليه في الكعبة وأشهدوا فيه، وختموا عليه بخواتيمهم، فقال: يا بامحمّد إنّ الله أخبر نبيّه بما يصنعون قبل أن يكتبوه؟ وأنزل الله فيه كتاباً، قلت: أنزل الله فيه كتاباً؟ قال: نعم، ألم تسمع قوله تعالى: «ستكتب شهادتهم ويسئلون».

**أقول :** رواه المجلسي في البحار والبحراني في البرهان.

إنّ الآية الكريمة وإن كانت في شهادة المشركين، ولكنّ المورد لايكون مخصّصاً، فيمكن نزول آية واحدة لأسباب عديدة ذكرت واحدة منها، وتركت ماسواها، فتأمّل جيّداً.

وفي ينابيع المودة للقندوزي الحنفي وهو من أعلام العامة مانصّه في كتابه ـالباب التّاسع والثلاثون ص١١٧ ط إسلامبول ـ: «في المناقب عن ثابت الثّمالي عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه أميرالمؤمنين عليّ عليهم السّلام قال: فينا نزل قوله الله عزّ وجلّ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون» الزّخرف: ٢٨) أى

جعل الإمامة في عقب الحسين إلى يوم القيامة».

أقول: رواه الصّدوق في إكمال الدّين، والمجلسي في البحار، والبحراني في البرهان، وفي الُحجَّة. والحويزي في نورالثقلين وغيرهم....

وفي السّيرة النّبوية لابن هشام ـ ذكر ما لقي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من قومه من الأذىٰ ـ «والوليد بن المغيرة قال: أينزّل على محمّد وأُتـرَك، وأنـا كـبير قريش وسيّدها! ويترك أبو مسعود عمرو بن عُمَير الثّقفي سيّد ثقيف، ونحن عظيما القريتين! فأنزل الله تعالى فيه فيما بلغني: «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ إلى قوله ـ ممّا يجمعون» الزخرف: ٣١ـ٣٢)

وفي المناقب لابن شهرآشوب المازنداراني: «وقال الوليد بـن المـغيرة: والله لو كانت النبّوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنّني أكبر منك سنّاً، وأكثر منك مالاً، وقال جماعة: لِمَ لم يرسل رسولاً من مكّة أو من الطّائف عظيماً؟ يـعني أبـاجهل وابـن عبدياليل، فنزل: «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل...»

وفي الدّر المنثور: عن جابر بن عبدالله عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله: «فامّا نذهبنّ بك فانّا منهم منتقمون» نزلت في عليّ بن أبيطالب انّه ينتقم من النّاكثين والقاسطين بعدي».

أقول: رواه جماعة من أعلام العامّة:

منهم: النظام النيشابورى في تـفسيره (غـرآئب القـرآن) والخـازن البـغدادي في تفسيره (لباب التأويل) والكشفي الترمذى الحنفي في (مناقب مرتضوى) عن ابن عباس، والقندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة) عـن حـذيفة بـن اليمـان، والحـاكـم الحسكاني الحنفي في شواهد التنزيل عن جابر والسدّي وابن عبّاس، وابن المغازلى الشّافعي في كتابه: (مناقب أميرالمؤمنين عليه السّلام) والطبرانى في (المعجم الكبير) عن ابن عباس ومجاهد، والسّيوطي في جمع الجوامع، والنسآئي في (الخصآئص) وابـن كثير في (تاريخ دمشق) وأبو نعيم الإصبهاني في كتابه: (النّور المشتعل) عن حذيفة بن اليمان. وغيرهم تركناهم للإختصار.

وفي **شواهد التنزيل**: بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: إنّي لأدناهم من رسول الله في حجّة الوداع بمنىٰ، حين ـ خطب ـ قال: لا الفينّكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة الّتي تضاربكم، ثمّ إلتفت إلى خلفه، فقال أو عليّ أو عليّ ـ ثلاثاً ـ فرأينا أن جبرئيل غمزه وأنزل الله على أثر ذلك: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون ـ بعليّ بن أبيطالب ـ فاستمسك بالّذي اولى إليه ـ من أمر عليّ ـ إنّك على صراط مستقيم، وإنّ عليّاً لعلم (لعلماً خ) للسّاعة ولقومك وسوف تسئلون عن محبّة عليّ بن أبيطالب عليه السّلام»

وفي (مناقب أميرالمؤمنين عليه السّلام) لابن المغازلي، وفي (خصآئص الوحي المبين) لابن البطريق (عن ولاية عليّ بن أبيطالب عليه السّلام) بدل «عن محبّة عليّ بن أبيطالب عليه السّلام».

وفي **الدّرّ المنثور**: (ج٦، ص١٨) عن جابر بن عبدالله عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» نزلت في عليّ بن أبيطالب عليه السّلام أنّه ينتقم من النّاكثين والقاسطين بعدي».

وفي **ملحقات إحقاق الحقّ** (ج١٤، ص٣٥٤) أخرج الحافظ ابن المغازلي في (المناقب: ص١٠٢) نسخة مكتبة صنعآءِ اليمن قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن موسى الفندجاني، قال: حدّثنا هلال بن محمد الحفّار، قال: حدّثنا اسمعيل بن عليّ قال: حدّثنا أبي عليّ، قال: حدّثنا عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام قال: حدّثنا أبي موسى بن جعفر، قال: حدّثنا أبي جعفر، قال: حدّثنا أبي محمد بن عليّ الباقر عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: إنّي لأدناهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حجّة الوداع بمنى حتّى قال صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«لالفينكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة الّتي تضاربكم ثمّ التفت إلى خلفه، فقال: أو عليّ أو عليّ ثلاث مرّات، فرأينا أن جبرئيل غمزه فأنزل الله على اثر ذلك: «فإمّا نذهبنّ بك

فإنّا منتقمون» بعليّ بن أبيطالب عليه السّلام أو نرينّك الّذي وعدناهم فـإنّا عـليهم مقتدرون» ثمّ نزلت: «قل ربّ إمّا تريني ما يـوعدون ربّ فـلا تجـعلني في القـوم الظّالمين» ثمّ نزلت: «فاستمسك بالّذي آوحي إليك» من أمر عليّ «إنك على صراط مستقيم» وإنّ علياً لعلم للسّاعة و«لك ولقومك وسوف تسئلون» عـن عـليّ بـن أبيطالب عليه السّلام.

وأمّا النّاكثون فهم أصحاب الجمل قائدتهم عائشة ابنة أبي بكر بن أبي قحافة، وأمّا القاسطون فهم أهل الشّام بصفّين بقيادة معاوية بن أبي سفيان عليهما الهاوية والنيران.

وفي **شواهد التنزيل** : باسناه عن عبدالله بن مسعود قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا عبدالله أتاني الملك فقال: يا محمّد واسئل من أرسلنا من قـبلك مـن رسلنا على ما بعثوا؟ قلت: على ما بعثوا؟ قال: عـلى ولايـتك وولايـة عـليّ بـن أبيطالب عليه السّلام.

وفيه : باسناده عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لمّا أُسري بي إلى السّمآءِ إذاً ملك قد أتاني، فقال لي: يا محمّد سَلْ من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا قلت: معاشر الرّسل والنّبيّين على مابعثكم الله؟ قالوا: على ولايتك يا محمّد وولاية عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

وفي **الإستيعاب** لابن عبدالبرّ قال: إنّ النّبيّ صلّى الله عـليه وآله وسلّم ليـلة أسري به جمع الله تعالى بينه وبين الأنبياء ثمّ قـال: سـلهم يـا محـمّد عـلى مـاذا بـعثتم؟ فقالوا: بعثنا على شهادة أن لاإله إلّا الله وعلى الإقرار بنبوّتك، والولاية لعـليّ بـن أبيطالب عليه السّلام.

رواه جماعة من أعلام العامّة:

فمنهم : ابن عساكر في ترجمة أميرالمؤمنين عليه السّلام من (تاريخ دمشـق: ج٢، ص٩٧، ط ٢) والحاكم النيسابورى في آخر النّوع (٢٤) من كتاب (معرفة عـلوم الحديث: ص١١٩ ط ١) وابن شيرويه الدّيلمي كما في الحديث: (٣٥) من الفصل:

(١٩) من مناقب عليّ عليه السّلام للخوارزمي ص (٢٢١).

وفي النّور المشتعل لأبي نعيم الإصبهاني باسناده عن ربيعة بن ناجد قال: سمعت عليّاً عليه السّلام يقول: فيّ انزلت هذه الآية: «ولمّا ضُرِب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» الزخرف: ٥٧)

رواه جماعة من أعلام العامة وحملة أسفارهم:

١ ـ أحمد بن حنبل في كتابه: (فضآئل الصّحابة: ص١٧٢)

٢ ـ النّسآئي في (الخصآئص: ص٣٩ ط النّجف)

٣ ـ محبّ الدّين الطّبري في (ذخآئر العقبى : ص٩٢ ط مصر سنة ١٣٥٦)

٤ ـ ابن عبد ربّه الاندلسي في (عقد الفريد: ج٢ ص١٩٤ ط العامرية بمصر)

٥ ـ ابن مردويه الإصبهاني في (المناقب) عن عليّ عليه السّلام قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ فيك مثلاً من عيسى أحبّه قوم فهلكوا فيه، وأبغضه قوم فهلكوا فيه، فقال المنافقون: أما رضى له مثلاً إلّا عيسى فنزلت قوله تعالى: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً...» الآية.

٦ ـ ابن حجر الهيتمي في (الصّواعق المحرقة: ص١٢١ ط المحمّدية بمصر)

٧ ـ السّيوطي في (تاريخ الخلفآءِ: ص١١٧ ط لاهور)

٨ ـ الهندي في (منتخب كنز العمّال بهامش المسند: ج٥ ص٣٤ ط القديم بمصر)

٩ ـ القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة: ص١٠٩ ط إسلامبول) عن عمر بن اذينة عن جعفر الصّادق عليه السّلام عن آبآئه عن عليّ عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ مثلك في أُمّتي مثل عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون وهم الحواريّون، وفرقة عادوه وهم اليهود وفرقة غلوا فيه، فخرجوا عن دين الله وهم النّصارى، وانّ امّتي ستفترق فيك ثلاث فرق: فرقة اتّبعوك وأحبّوك وهم المؤمنون، وفرقة عادوك وهم النّاكثون والمارقون والقاسطون، وفرقة غلوا فيك وهم الضّالّون، يا عليّ انّك وأتباعك في الجنّة، وعدوّك والغالي فيك في النّار».

في نهج البلاغة : قال مولى المـوحّدين إمـام المـتّقين أمـيرالمـؤمنين عـليّ بـن أبيطالب عليه السّلام: «هلك فيّ رجلان: محبّ غال، ومبغض قال»

١٠ ـ أحمد بن حنبل في (المسند: ج١ ص١٦٠ ط مصر)

١١ ـ الحاكم النيسابوري في (المستدرک: ج٣ ص١٢٣ ط حيدرآباد)

١٢ ـ مارواه ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري: ج٧ ص٥٧ ط مصر) مانصّه: «ثمّ اشتدّ الخطب فتنقصوه واتخذوا لعـنه عـلى المـنابر سـنّة، ووافـقهم الخـوارج عـلى بـغضه فـصار النّـاس ثـلاثة» إلى أن قـال: «والمحـاربين له مـن بـني اميّة وأتباعهم...»

١٣ ـ مارواه الحسكاني في (الشّواهد: ج٢ ص١٦٠ ط بيروت) باسناده عـن عليّ عليه السّلام قال: جئت إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يوماً فوجدته في ملإٍ مـن قريش، فنظر إليّ ثمّ قال: يا عليّ إنّما مثلك في هذه الامّة كمثل عيسى بن مريم أحبّه قوم، فأفرطوا، وأبغضه قوم فأفرطوا فيه، قال: فضحك المـلأ الّذين عنده ثمّ قالوا: انظروا كيف شبّه ابن عمّه بعيسى بن مريم!!! قال: فنزل الوحى: «ولمّـا ضرب بن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» قال أبوبكر عيسى ابن عبدالله: يعني يضجّون.

١٤ ـ مارواه الحسكاني في (الشّواهد) باسناده عن عباية بـن ربـعي ورفـاعة كلاهما عن عليّ بن أبيطالب عليه السّلام قال: دعاني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال لي: يا عليّ إنّ فيك من عيسى مثلاً أحبّته النّصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة الّتي ليس بها، وأبغضته اليهود حتّى بهتوه، فقال المنافقون عند ذلك: أما يرضى أن يرفع ابن عمّه حتّى جعله مثل عيسى بن مريم!! فأنزل الله تعالى: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون ـ فقلت: هكذا قوله؟ قال: نعم يريد به عيسى ـإن هو إلّا عبد أنعمنا عليه» إلى آخر الآية وهكذا قرأها عليّ عـليه السّـلام وقـال: الصّـدّ هو الضّجيج.

ثمّ قال عليّ عند ذلك: أما إنّه سيهلك فيّ رجلان: محبّ مطري يطريني بما ليس فيّ ومبغض مفتري يحمله شنآني على أن يبهتني»

والرّوايات الواردة عن طريق العامّة في المقام لكثيرة تركناها للإختصار.

**وفي تفسير القمى :** باسناده عن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال: بينما رسول‌الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس في أصحابه إذ قال: إنّه يدخل عليكم السّاعة شبيه عيسى بن مريم، فخرج بعض من كان جالساً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليكون هو الدّاخل، فدخل عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فقال الرّجل لبعض أصحابه: أما يرضى محمّد أن فضّل عليّاً علينا حتّى يشبهه بعيسى بن مريم، والله لآلهتنا الّتي كنّا نعبدها في الجاهليّة أفضل منه، فأنزل الله في ذلك المجلس: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً -إلى قوله- إن عليّ إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرآئيل» فمحى إسمه عن هذا الموضع.

**وفي روضة الكافي :** بإسناده عن أبي بصير قال: بينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم جالساً إذ أقبل أميرالمؤمنين عليه السّلام فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ فيك شبهاً من عيسى ابن مريم، ولو لا أن تقول فيك طوآئف من امّتي ما قالت النّصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملإ من النّاس إلّا أخذوا التّراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة،قال: فغضب الأعرابيان والمغيرة بن شعبة وعدّة من قريش معهم، فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمّه مثلاً إلّا عيسى ابن مريم، فأنزل الله على نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرآئيل ولو نشآء لجعلنا منكم (يعني من بني هاشم) ملائكة في الأرض يخلفون»

**قوله** صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ فيك شبهاً من عيسى ابن مريم» أى لزهده وعبادته، وافتراق النّاس فيه ثلاث فرق، و«الأعرابيان» هما أبوبكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطّاب.

**وفي البرهان:** بالاسناد عن ابن عبّاس قال: بينما النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في نفر من أصحابه إذ قال: الآن يدخل عليكم نظير عيسى بن مريم في امّتي فدخل

أبوبكر، فقالوا: هو هذا؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا فدخل عمر، فقالوا: هو هذا؟ فقال: لافدخل عليّ عليه السّلام فقالوا: هو هذا؟ فقال: نعم، فقال قوم لعـبدة اللات والعزّىٰ أهون من هذا فأنزل الله عزّ وجلّ: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون وقالوا ءآلهتنا خير... الآيات»

**وفيه :** بالإسناد عن ابن عبّاس قال: جآء قوم إلى النّبيّ صلّى الله عـليه وآله وسـلّم فقالوا: يا محمّد إنّ عيسى بن مريم كان يحيى الموتى فأحى لنا الموتى؟ فـقال لهـم: ما تريدون؟ قالوا: نريد فلاناً، وإنّه قريب عهد بموت، فدعا عليّ بن أبيطالب عـليه السّلام فأصغى إليه بشئ لانعرفه، ثمّ قال له: إنطلق معهم إلى الميّت فناده باسمه واسم أبيه، فمضى معهم حتّى وقف على قبر الرّجل ثمّ ناداه يا فلان بن فلان، فقام الميّت، فسئلوه ثمّ اضطجع في لحده ثمّ انصرفوا وهم يقولون: إنّ هذا من أعـاجيب بـني عبدالمطلب أو نحوها فأنزل الله عزّ وجلّ: «ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» أى يضحكون.

**أقول :** إنّ من القصص الممتع ما يرويه المؤرخون بصدد هذه الآية الكريمة: «ولمّا ضرب بن مريم...» فقد ذكروا أنّه لما قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على قريش: «إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم» الأنبيا : ٩٨) امتعضوا من ذلك امتعاضاً شديداً فقال عبدالله بن الزّبعرى: يا محمد أخاصّة لنا ولآلهـتنا أم لجـميع الأمـم؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسـلّم: هو لكم ولجميع الأمم... فقال: خصمتك وربّ الكـعبة أليست النّصارى يعبدون المسيح، واليهود يعبدون عـزيراً، وبـنو مـليح يـعبدون الملائكة؟ فإن كان هؤلآءِ في النّار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرحوا وضحكوا وارتفعت أصواتهم، وذلك قوله تعالى: «إذا قومك منه يصدّون»

ففند الله مكابرتهم بأنّه إنّما قصد به الأصنام، ولم يقصد به الأنـبيآء والمـلائكة. إلّا أنّ ابن الزّبعرى لمّا رأى كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم محتملاً لفظه وجـه العموم، مع علمه بأنّ المراد به أصنامهم... ليس غير مـا وجـد للـحيلة مسـاغاً، فصرف معناه إلى الشّمول والإحـاطة عـلى طـريق المـماحكة واللـجاج، فـتوقر

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن إجابته حتّى أجاب عنه ربّه بقوله: «إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى اولئك عنها مبعدون» الأنبيا: ۱۰۱)

فدلّ به على أنّ الآية خاصّة بالأصنام... فتأمّل جيّداً وسيأتيك منّا بحث في المقام فانتظر.

**وفي الصّواعق المحرقة** (ص ۱٦۰ ط المحمّديّة بمصر) مانصّه: «قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسّرين: إنّ هذه الآية: «وإنّه لعلم للسّاعة فلاتمترنّ بها واتّبعون هذا صراط مستقيم» الزّخرف: ٦۱) نزلت في المهديّ وستأتي الأحاديث المصرّحة بأنّه من أهل‌البيت النّبويّ، وحينئذ في الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة وعليّ رضى الله عنهما، وإنّ الله سيخرج منهما كثيراً طيّباً، وأن يجعل نسلهمامفاتيح الحكمة ومعادن الرّحمة، وسرّ ذلك أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أعاذها وذرّيّتها من الشّيطان الرّجيم ودعا لعليّ بمثل ذلك».

**وفي تفسير الطبرى** : باسناده عن محمد بن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفيّ أو ثقفيان وقرشيّ فقال واحد من الثّلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأوّل: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثّاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم فإنّه يسمع إذا أسررتم قال: فنزلت: «أم يحسبون أنّا لانسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون».

**وفي اصول الكافى** : بإسناده عن عبدالرّحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله تعالى: «إنّ الّذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى فلان وفلان وفلان إرتدّوا عن الايمان في ترک ولاية أميرالمؤمنين عليه السّلام قلت: قوله تعالى: «ذلك بأنّهم قالوا للذين كرهوا مانزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر»؟ قال: نزلت فيهما والله وفي أتباعهما، وهو قول الله عزّ وجلّ الّذي نزل به جبرئيل عليه السّلام على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ذلك بأنّهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله -في عليّ- سنطيعكم في بعض الأمر» قال: دعوا بني اميّة إلى ميثاقهم ألّا يصيروا الأمر فينا بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا يعطونا من الخمس شيئاً، وقالوا: إن أعطيناهم

إيّاه لم يحتاجوا إلى شئ، ولم يبالوا أن لايكون الأمر فيهم، فقالوا: سنطيعكم في بعض الّذي دعوتمونا إليه وهو الخمس أن لانعطيهم منه شيئاً وقوله: «كرهوا ما نزّل الله» والّذي نزل الله ماافترض على خلقه من ولاية أميرالمؤمنين عليه السّلام وكان معهم أبوعبيدة وكان كاتبهم فأنزل الله: «أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون أم يحسبون أنّا لانعلم سرّهم ونجواهم...» الآية.

وفي روضة الكافي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّ وجلّ: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا وهو معهم أينما كانوا ثمّ ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة إنّ الله بكلّ شئ عليم» قال: نزلت هذه الآية في فلان وفلان وفلان وأبي عبيدة الجرّاح وعبدالرّحمن بن عوف وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة، حيث كتبوا الكتاب بينهم وتعاهدوا وتواثقوا لئن مضى محمّد لايكون الخلافة في بني‌هاشم ولاالنّبوّة أبداً فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم هذه الآية، قال: قلت: قوله عزّ وجلّ: «أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون أم يحسبون أنّا لانسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون» قال: وهاتان الآيتان نزلتا فيهم ذلك اليوم قال أبوعبدالله عليه السّلام: لعلّك ترى أنّه كان يوم يشبه يوم كتب الكتاب إلّا يوم قتل الحسين عليه السّلام وهكذا كان في سابق علم الله عزّ وجلّ الّذي أعلمه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن إذا كتب الكتاب قتل الحسين عليه السّلام وخرج الملك من بني‌هاشم، فقد كان ذلك كلّه...» الحديث.

وفي البحار : عن سليم أنّ معاذ بن جبل عند وفاته دعا على نفسه بالويل والثّبور فقيل له: لِمَ ذاك؟ قال: لموالاتي عتيقاً وعمر على أن أزوي خلافة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن عليّ عليه السّلام وروى مثل ذلك عن ابن عمر أن أباه قاله عند وفاته، وكذا أبوبكر، وقال: هذا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومعه عليّ بيده الصّحيفة الّتي تعاهدنا عليها في الكعبة، وهو يقول: وقد وفيّت بها وتظاهرت على وليّ الله أنت وأصحابك، فأبشر في أسفل السّافلين ثمّ لعن ابن صهّاك، وقال: «هو

الّذي صدّني عن الذكر بعد إذ جآئني».

قال العبّاس بن الحارث: لمّا تعاقدوا عليها نزلت: «إنّ الّذين ارتدّوا على أدبارهم» وقد ذكرها أبو إسحق في كتابه، وابن حنبل في مسنده والحافظ في حليته، والزّمخشري في فائقه، ونزل: «ومكروا مكراً ومكرنا مكراً»

**وفيه :** وعن الصّادق عليه السّلام: نزلت: «أم أبرمو أمراً فإنّا مبرمون»

ولقد وبخّهما النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا نزلت فأنكرا، فنزلت: «يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر».

**وفيه :** وقال عمر عند موته: ليتني خرجت من الدّنيا كفافاً لاعَلَيَّ ولالي، فقال ابنه: تقول هذا؟ فقال: دعني نحن أعلم بما صنعنا أنا وصاحبي وأبوعبيدة ومعاذ» رواه البخاري في (الصحيح: ج٩ ص١٠٠)

**وفي كنز الفوائد :** عن بريدة الأسلمى أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لبعض أصحابه: سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين، فقال رجل من القوم: لاوالله لاتجتمع النّبوّة والخلافة في أهل بيت أبداً فأنزل الله تعالى: «أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون»

ويؤيّده ما روى عن عبدالله بن عباس أنّه قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذ عليهم الميثاق لأمير المؤمنين عليه السّلام مرّتين: الاولى حين قال: أتدرون من وليّكم من بعدي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: صالح المؤمنين وأشار بيده إلى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وقال: هذا وليّكم من بعدي. والثّانية يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه، وكانوا قد أسرّوا في أنفسهم وتعاقدوا أن لايرجع إلى آل محمد هذا الأمر ولايعطوهم الخمس، فأطلع الله نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم على أمرهم وأنزل عليه هذه الآية: «أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون».

## ﴿القراءة﴾

وقد سبقت قراءة «حمٓ» في سورة «المؤمن» فراجع. قـرأ حمـزة والكسآئي «في امّ‌الكتاب» بكسر الهمزة وصلاً، والباقون بضمّها وصلاً ووقفاً. وقرأ حمزة وأبوجعفر ونافع والكسآئي «إن كنتم» : ٥) بكسر الهمزة، إذ جعلوه شرطاً مستأنفاً، واستغنى عمّا تقدّم كقولك: «أنت عالم إن فعلت» فكأنّه قال: «إن كنتم قوماً مسرفين نضرب» وقرأ الباقون بفتحها فجعلوه فعلاً ماضياً، وهى القراءة المشهورة أى إذا كنتم كما قال تعالى: «أن جآءه الأعمى» عبس : ٢) والمعنى: إذ جآءه الأعمى. فموضع «ان» نـصب عند البصريّن، وجرّ عند الكسآئي لأنّ التّقدير: أفنضرب الذكر صفحاً لأن أو بأن كنتم قوماً مسرفين.

قرأ حفص وعاصم «نبيّ» باليآءِ المشدّدة، وقرأ الباقون «نبيىءٍ» باليآءِ والهمزة بعدها. وقرأ عاصم وحمزة وعاصم «مهداً» : ١٠) بفتح الميم وإسكان الهآءِ، والباقون «مهاداً» بكسر الميم وفتح الهآءِ وألف بعدها، وقرأ حمزة «تخرجون» : ١١) بفتح التآءِ وضمّ الرّآءِ من الخروج ثلاثياً، والباقون بضمّ التّاءِ وفتح الرّآءِ من الإخراج مبنيّاً للمفعول.

قرأ حمزة وحفص وعاصم والكسآئى وابن عـبّاس «يـنشّؤا» :١٨) بـضمّ اليآءِ وفتح النّون وتشديد الشّين من باب التّفعيل مبنيّاً للمفعول أى يربى ويكر في الحلية، وقرأ الباقون بالياءِ المفتوحة والنّون السّاكنة وتخفيف الشّين مبنيّاً للفاعل أى يرسخ

وينبت من نشأ أى ارتفع. ومن قرأ بالتّشديد فـ«من» في موضع نصب، مفعول به لأنّه تعالى قال: «إنّا أنشأنا هنّ إنشآءً» ومن خفّف، جعل الفعل لله لأنّـه تـعالى أنشأهم فنشؤوا. وقرأ حمزة وأبو عمرو و عاصم «عبادالرّحمن» : ١٩) جمع عـبد أو عابد لأنّ الإسناد فيها أعلى، ولأنّ الله تعالى إنّما كذبهم في قولهم: إنّهم بـنات الله. فأخبرهم أنّهم عبيده وليسوا ببناته ويؤيّده قوله تـعالى: «بـل عـباد مكـرمون» الأنبيآء : ٢٦) وقرأ الباقون «عند الرّحمن» بنون ساكنة كقوله تعالى: «إنّ الّذين عـند ربّك» الأعراف : ٢٠٦) والمقصود ايضاح كذبهم وبيان جهلهم في نسبة الأولاد إلى الله تعالى، وهو مجاز عن الشّرف ورفع المـنزلة وقرب المكانة لاقرب المسـافة. وقـرأ حفص «عبيدالرّحمن» وقرأ ابن عبّاس «عبّاد الرّحمن» بتشديد البآءِ.

قرأ نافع «او شهدوا» بهمزة استفهام داخلة على همـزة مـضمومة مـسهّلة أى بقلب همزة الإشهاد واواً مضمومة. فأصله: أأشهدوا أى حضروا. كأنّهم وبّخوا على ما قالوا ما لم يحضروه. وقرأ الباقون «أشهدوا» بهمزة واحدة للإستفهام وهي قراءة مشهورة.

قرأ حفص وابن عامر وعاصم «قال أو لو جئتكم» : ٢٤) بفعل ماضٍ، وهمـزة إستفهاميّة إنكارية. تقديره: قال النّذير. وقرأ أبوجعفر «قال أو لو جئناكم» بالنّون على وجه الجمع، وقرأ الباقون «قل أو لو جئتكم» بفعل الأمر على وجه الحكاية لما أوحى الله إلى النّذير. بغير الهمزة الإستفهاميّة بل بالواو الوصليّة. والمعنى: فقلنا له: قل: أو لو جئتكم بأيّ من ذلك. وقرأ حمزة «لبيوتهم» بكسر البآءِ، والباقون بفتحها وهى القراءة المشهورة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «سقفاً» : ٣٣) بالفتح فالسّكون على الإفراد، ومعناهالجمع اعتباراً بقوله تعالى: «فخرّ عليهم السّقف من فوقهم»النّحل : ٢٦) وقرأ الباقون بضمّتين على الجمع كرهن ورهن وهى القراءة المشهورة.

قرأ حمزة وعاصم وحفص والكسآئي «لمّا» : ٣٥) بالتّشديد بمعنى «إلّا» فكـلمة «إن» نافية كقوله تعالى: «إن كلّ نفس لمّا عليها حافظ» الطّارق : ٤) وقـرأ البـاقون بالتّخفيف فـ«ما» صلة فلفظ «إن» مخفّفة من الثّـقيلة، واللام للـفصل بـين النّـفي

والايجاب كقوله تعالى: «وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين» الأعراف: ١٠٢) وقرأ ابن عبّاس وعكرمة «يَعْشَ» : ٣٦) بفتح الشّين. ومعناه يعمى، وقرأ القرّآء السّبعة كلّهم بالضّمّ، وهو الّذي لايبصر بالليل ويبصر بالنهار لضعف بصره وظلمة عـينه كأنّ عـليها غشاوة. وقرأ عاصم «يقيّض» : ٣٦) بالياَءِ على لفظ الخبر عن الغآئب، فالضمير فيه راجع إلى «الرّحمـن» وقرأ الباقون «نقيّض» بالنّون، بأنّ الله تعالى أخبر عن نفسه بنون العظمة.

وقرأ حفص وحمزة وعاصم «يحسبون» : ٣٧) بفتح السّين، والباقون بكسرها، وقرأ حمزة وعاصم وحفص والكسآئي وأبوعمرو «جاءنا» : ٣٨) بالإفراد فالفاعل هوالعاشي المدلول عليه بـ«من» وهو الكافر لأنّه افرد بالخطاب في الدّنيا، واقيمت عليه الحجّة بانفاذ الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إليه، فاجتزئ بالواحد عن الإثنين كما قال: «لينبذنّ في الحطمة» الهمزة: ٤) أى هو وماله. وقيل: هذا ممّا وقع الحمل فيه أوّلاً على اللفظ، ثمّ على المعنى ثمّ على اللفظ كقوله تعالى: «ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً» الطّلاق: ١١) وقرأ الباقون «جاءانا» على التّثنية، فالفاعل هو العاشي وقـرينه الشّيطان معاً، وقد جعلا في سلسلة واحدة. قرأ ابن‌عامر «ولن يـنفعكم اليـوم إذ ظلمتم إنّكم» : ٣٩) بكسر الهمزة، فجعل تمام الآية والوقـف عـلى «إذ ظـلمتم» ثمّ استأنف، وقرأ الباقون «أنّكم» بفتحها، فجعلوا «أنّ» إسماً في موضع رفع، وقرأ ابن عامر «يا أيّها السّاحر» : ٤٩) بالألف على الأصل، والباقون «يا أيّه السّاحر» بغير الألف، والهاء المفتوحة وهي القراءة المشهورة، وقرأ بضمّ الهآء إتّباعاً لحركة اليآء. وقرأ حفص وعاصم «من تحتي أفلا» : ٥١) بسكون اليآء، والباقون «من تَحتِيَ أفلا» بفتحها، وقرأ حفص وعاصم «أسورة» : ٥٣) جمع سوار،والباقون «أسـاورة» جمـع اسوار، أصله أساوير، فعوّضت من الياء هاءً في آخره كزناديق وزنادقة.

قرأ حمزة والكسآئي «سُلُفاً» بضمّ السّين واللام جمع سليف مثل سرير وسُرُر، أو جمع فَعَل مثل أسَد وأُسُد، والباقون «سَلَفاً» بفتحتين جمع سالف كخادم وخدم،

وهو إسم جمع لاجمع تكسير لأنّ فعلا ـبفتح الفآءِ والعين ـ ليس من أبنية الجموع المكسّرة. وقرأ نافع وابـن عـامر والكسآئي «يـصدّون» : ٥٧) بـضمّ الصّـادّ بمـعنى يعرضون، والباقون بفتح اليآءِ وكسر الصّادّ بمعنى يضجّون، وهى القراءة المشهورة المؤيّدة بالرّوايات في باب النّزول سبق ذكرها. وقال الكسآئي: همـا لغـتان مـثل يَعْرِشون ويَعْرُشون. وقرأ نافع «آلهتنا» : ٥٨) بهمزة واحدة بعدها مـدّة، والبـاقون «أآلهتنا» بهمزتين على اصولهم، غير أنّه لم يفصل أحد بين الهـمزتين بألف، وإنّمـا حقّقها الكوفيّون، وليّن الباقون الثّانية، وقال ابن خالويه: هى ثلاث ألفات: الاولى للتّوبيخ والتّقرير بلفظ الإستفهام، والثّانية ألف الجمع، والثّالثة أصـليّة، والأصـل «ءآلهتنا» فصارت الهمزة الثّـانية مـدّة ثمّ دخـلت ألف الإسـتفهام فـابدلت ألف لسكونها وانفتاح ماقبلها كما ابدلت في آدم وآمنوا.

قرأ ابن عبّاس وقتادة والضّحّاك ومالك بن دينار «لَعَلَمٌ للسّـاعة» : ٦١) بـفتح العين واللام أى لأمارة ولعلامة. وقرأ نـافع وأبـو عـمرو «واتّـبعوني» : ٦١) بـياءِ التكلم بعد النّون وصلاً، والباقون بدونها وصلاً ووقـفاً، وقـرأ نـافع وأبـو جـعفر وابن عامر وأبو عمرو «يا عبادي» : ٦٨) باليآءِ المفتوحة ووصلاً ووقفاً، والبـاقون بغيرها مطلقاً. وقرأ حفص وابن عامر ونافع وعاصم «مـاتشتهيه» بهآءِ الوصـل، والباقون «ما تشـتهي» بـدون الهآءِ. وقـرأ عـبدالله بـن مسـعود «يـا مـال» : ٧٧) بالتّرخيم، والباقون «يا مالك» بدون التّرخيم. وقرأ حمزة وعـاصم «يحـسبون» : ٨٠) بفتح السّين والباقون بكسرها. وقرأ حمزة «لَدَيهُمْ» بضمّ الهآءِ، والباقون «لديهِـمْ» بكسرها وقرأ الكوفيّون غير عاصم «وُلْد» بضمّ الواو وإسكـان اللام، والبـاقون «وَلَد» بفتح الواو واللام.

قرأ نافع «فأَنَا أَوَّل» : ٨١) بإثبات ألف «فأَنَا» وصلاً ووقفاً، فهو عنده من باب المنفصل، والباقون بحذفها لفظاً في الوصل، فلامدّ، وإثباتها «فأَنآ أوّل» في الوقـف للجميع. وقرأ ابن كثير وحمزة «يرجعون» : ٨٥) بيآءِ الغيبة، والباقون بتآءِ الخطاب. وقرأ نافع وأبوجعفر وابن عامر: «تعلمون» بتآءِ الخطاب، أمر صلّى الله عليه وآله وسلّم

أن يخاطب المشركين به على وجه التهديد، وقرأ الباقون بيآءِ الغيبة مناسبة للغيبة في «عنهم» : ٨٩). وقرأ حمـزة وعاصم «وقيله» : ٨٨) بكسر اللام عطفاً على «السّاعة» والباقون بنصبها، عطفاً على «سرّهم» أو عـلى مـفعول «يكـتبون» المحـذوف أى يكتبون أقوالهم وأفعالهم أو بفعل مضمر أى يعلم قيله، أو على موضع «السّاعة» لأنّها مفعول بها، وليست بظرف، فالمصدر: «علم» مضاف إلى المفعول به.

# ﴿الوقف والوصل﴾

«المبين لا» للجواب التّالي، ومن لم يقف على «حمٓ» وقف على «المبين» لأنّ القسم متعلّق بما قبله وهو هذه «حمٓ» و«تعقلون ج» لأنّ التّالى يحتمل العطف والإستئناف، و«حكيم ط» لإستفهام التّالي، و«العليم لا» بناًءَ على أنّ مابعده نعت، ولو كان في موضع نصب أو رفع على المدح، للزم الوقف على «العليم» و«تهتدون ج ى» لطول الكلام، وعطف التّالي، و«ى» علامة العشر توضع عند انتهآءِ عشر آيات ١٠)

«بقدر ج» للإلتفات مع الفآءِ التّالي، و«ميتاً ج» لانقطاع النّظم مع تعلّق التّشبيه، و«تركبون لا» لتعلّق مابعده عليه، و«مقرنين لا» لأنّ التّالي من تمام المقول، و«جزءاً ط» لاستيناف التّالي، و«مبين ط» لاستفهام التّالي، و«بالبنين ع» علامة انتهاء الرّكوع وهو الحصّة اليوميّة لمن يريد حفظ القرآن الكريم في عامين، و«إناثاً ط» لاستفهام التّالي، و«خلقهم ط» لاستئناف التّالي، و«ما عبدناهم ط» لتمام الكلام، و«من علم ق» علامة الوقف الّذي قال به بعض العلمآءِ، و«يخرصون ط ى» : ٢٠) لاستفهام التّالى، و«ى» : ٢٠) علامة العشر.

«مترفوها لا» لأنّ التّالي مقول القول، و«آبآءكم ط» لتمام الكلام، واستئناف التّالي، و«المكذّبين ع» لما تقدّم، و«تعبدون لا» لاستثنآءِ التّالي، و«كافرون ى»: ٣٠) كالسّابق.

«رحمت ربّك ط» لتمام الكلام واستئيناف التّالي، و«سخرّيا ط» كالسّابق، و«يظهرون لا» لعطف التّالي، و«يتكؤن لا» كالمتقدّم، و«زخرفاً ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«الدّنيا ط» كالسّابق، و«للمتّقين ع» كالمتقدّم، و«مبين ى» : ٤٠) لماتقدّم آنفاً.

«منتقمون لا» لعطف التّالي، و«اوحى إليك ج» لاحتمال التّالى، تعليلاً لما قبله، واستئنافاً، و«لقومك ج» للتّعليق مع سين التّهديد، و«من رسلنا ق» سبق وجهها آنفاً فراجع، و«يعبدون ع» كالمتقدّم، و«من اختهاز» لنوع عدول، و«ينكثون ى» : ٥٠) لما ذكر سابقاً.

«تحتي ج» لمكان الإستفهام مع اتّحاد الكلام، و«تبصرون ط» لأنّ «أم» التّالي منقطعة، «فأطاعوه ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«أجمعين لا» لفآءِ التّالي للتّفريع، و«للآخرين ع» كالسّابق، و«أم هو ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«جدلاً ط» كالسّابق، و«لبني إسرآئيل ط» كالمتقدّم، و«يخلفون ى» : ٦٠) لما سبق آنفاً.

«واتّبعون ط» لاستئناف التّالي، و«الشّيطان ج» للإبتدآءِ بـ«إنّ» مع اتّصال المعنى، و«تختلفون فيه ج» لعطف الجملتين مع الفآءِ، و«فاعبدوه ط» لاستئناف التّالي، و«من بينهم ج» للإبتداءِ مع الفآءِ، و«المتّقين ط ع» للنّدآءِ التّالي، و«تحزنون ج» لاحتمال كون مابعده وصفاً، و«مسلمين ج» لاحتمال أن يكون «الّذين...» إلى آخر الآية مبتداء، وقوله: «ادخلوا...» خبراً والقول محذوف لامحالة و«تحبرون ى» : ٧٠) كالسّابق.

«أكواب ج» للعدول مع العطف، و«الأعين ج» كالسّابق، و«خالدون ج» كما سبق، و«خالدون ج» لاحتمال ما بعده نعتاً أو حالاً له لامستأنفاً، و«مبلسون ج» لاحتمال أن يكون ما بعده مستأنفاً أو حالاً، و«ربّك ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«مبرمون ج» لأنّ «أم» يصلح جواب الاولى، ويصلح استفهاماً آخر، و«نجواهم ط» لتمام الكلام وإضراب التّالي، و«يكتبون ى» : ٨٠) لما ذكر سابقاً.

«ولد ق» سبق وجهها، فراجع، و«في الأرض إله ط» لتمام الكلام، و«ما بـينهما ج» و«السّاعة ج» فالوقف بنآء على قراءة النصب، والوصل بنآءً على قراءة الجرّ، و«يؤفكون لا» لعطف التّالي، و«لا يؤمنون م» لئلاّ يـوهم أن مـابعده مـن كـلام الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم و«سلام ط» للابتداءِ بالتّهديد.



## ٤١ ـ المُضِيّ والماضي ـ ١٤٣٩

مَضىٰ الشّيْ يمضي مُضيّاً ومَضاءً ـ يائيّ من باب ضرب ـ ومَضا يمضو مضوّاً ـ واويّ من باب نصر ـ: ذهب وخلا وسار، ومضىٰ في الأمر مُضيّاً: ذهب، ومضيت على الأمر مضيّاً: داومته وأتممته. ويقال: فلان مضىٰ وتمضّىٰ: سبق وتقدّم، يقال: مضيت بالمكان ومضيت عليه. ومضى: سبق وسلف كأنّما سار إلى الخلف.

قال الله عزّ وجلّ: «ومضىٰ مثل الأوّلين» الزّخرف: ٨) أى سلف وسبق.

ومَضىٰ فلان على الأمر مضاءً ومضوّاً: داومه وأتمّه ونفذ فيه، فهو أمر ممضوّ عليه، ومَضىٰ على البيع: أجازه، ومَضىٰ فلان سبيله ولسبيله مضوّاً: مات، ومَضىٰ السّيف مضاءً: قطع. يقال: مضى السّيف في الضريبة وهو أمضى من السّيف.

الماضي: الأسد لجرأته وتقدّمه، والماضي: السّيف لنفاذه في الضّريبة. يقال: أقوال الملوك كالسّيوف المواضي. أبوالمضاء: كنية الفرس. يقال: جرى أبوالمضاء.

الماضي ـ خلاف المستقبل ـ: إسم فاعل، ومنه الفعل الماضي عند النّحاة، فعل دلّ على ماقبل الزّمان الّذي أنت فيه وضعاً، وقد سمّي ماضياً لذهاب وقته. وهم

يقولون: الماضى ما مضى وقته ولزم أجله. جمع الماضي: الماضون. الزّمان المنصرم. وجمع الجمع: المواضي.

الماضي في حديث الشّيعة الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة، يطلق تارة ويراد بـه عليّ الهادى عليه السّلام واخرى على الحسن بن عليّ عليه السّلام كلّ واحد منهما يعلم بالقرائن ومنها: الماضى الأخير.

**المَضّآء :** الشّديد العزم. يقال: أنت مَضّآءٌ على ما عزمت عليه.

**المُضَوآء ـ كعلمآء ـ :** التّقدّم. يقال: مضى على مُضَوآئه أى تقدّمه.

**المضآء :** إسم رجل وهو المضآء بن أبي نخيلة يقول فيه أبوه:

**يـا ربّ مـن عـاب المـضآء أبـداً فـاحْرِمْه أمـثال المـضاء ولداً**

أمضى الأمر يمضيه إمضآءً ـ من باب الإفعال ـ : أنفذه. يقال: أمـضى الحـاكـم حكمه والبائع بيعه: أجازه وأنفذه. أمضيت الأمر: أنفذته. وفلان لم يمض أمرى: لم ينفذه. ومنه إمضآء الصّكوك والرّسآئل لتـوقيعها. الإمـضآء مـصدر أمـضى، وفي اصطلاح الكتّاب والتّجّار إسم الرّجل أو علامته يكتبه بيده في ذيل صكّ أو كتاب تثبيتاً له.

يقال: أمضيت له: تركته في قليل الخطاء حتّى يبلغ به أقصاه، فيعاقب في موضع لا يكون لصاحب الخطاء فيه عذر.

مضّى الأمر يمضّيه تمضية ـ من باب التفعيل: أنفذه.

تمضّى الأمر يتمضّى تمضّياً ـ من باب التفعّل ـ : نفذ وجاز. وقال لضيفه: تمضّ فانّ الحيّ قريب أى إذهب عنّى إلى الحيّ.

**في المفردات :** المُضيّ والمضآء : النّفاذ. ويقال ذلك في الأعيان والأحداث. قال تعالى: «ومضى مثل الأوّلين ـ وقد مضيت سنّة الأوّلين»

**وفي النّهايه :** في الحـديث: «ليس لك من مالك إلّا ماتصدّقت فأمـضيت» أى أنفذت فيه عطاءك ولم تتوقّف فيه.

**وفي الصّحاح :** مضى في الأمر مضآءً : أنفذه.

وفي القاموس: مضيت على بيعي وأمضيته: أجزته.

أقول: لايخفى على الأديب الأريب من الفرق بين المضيّ والذّهاب، حيث إنّ المضيّ خلاف الإستقبال، ولذا يقال: ماض ومستقبل، وليس كذلك الذّهاب، ثمّ كثر حتّى استعمل أحدهما في موضع الآخر. وتستعمل كلمة «قبل» في الماضى، وكلمة «بعد» في المستقبل.

## ٣٠ ـ الجزء ـ ٢٤٦

جَزَأ الشّيْ يَجْـزَئُه جَزْءاً ـ مهموز اللام من باب منع ـ: قسّمه وجعله أجـزآءً وأخذ منه جُزْءاً. جزء الشئ: بعضه.

الجُزء ـ بالضّمّ ـ: البعض، جمعهُ: أجزآء. والجزء ـ بالفتح والضّمّ ـ يطلق على القسم لغة واصطلاحاً.

قال الله تعالى: «وجعلوا له من عباده جزءاً» الزخرف: ١٥) أى جعلوا نصيب الله سبحانه من الولد الإناث. وخصّوه ببعض عباده وهو البنات وأجزأت المرأة: ولدت الإناث فهي مجزئة. الجَزء ـ بالفتح ـ مصدر بمعنى البعض والكفاية. يقال: «لك في هذا غنآء وجَزْءٌ». جَزَءَ بالشّيّ: اكتفى به وقنع. وجزأت الإبل بالرّطب عـن المآءِ جزءاً ـ بالضّمّ ـ: إكتفت.

الجَزاء ـ بالفتح ـ الجُزء. الجزئي: المنسوب إلى الجُزءِ، خلاف الكلّي، والجـزئية خلاف الكلّيّة، جمعها جزئيات. والجُزْء : رمل لبني خويلد. وإسم رجالٌ من العرب. الجوازي: الوحش بأسرها لإستغنآئها بالكلا عن كثرة المآءِ.

الجُزْأة ـ بالضّمّ ـ: نِصاب الإشفى والمخصَف، والجـزأة: المـرزح وهـى خشـبة يرفعها بها الكرم عن الأرض. والجُزْأة ـ بلغة بني شيبان ـ: الشّـقّة المـؤخّرة مـن البيت. الجَزيّ والمُجزي من الطّعام: المشـبع. يـقال: طـعام جـزئ ومجـزئ : كـاف للإشباع. وأصل المعنى في هذه المادّة: القطع والفصل.

جَزَءَ الشّئ: قسمه. ومنه: «الملائكة أجزآء» أى أقسام، جزء له جناحان، وجزء

له ثلاثه، وجزء له أربعة. قال الله تعالى: «جاعل الملائكة رسلاً اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع» فاطر: ١)

وفي الحديث: «الهدى الصّالح جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النّبوّة» ومثله: «الرّؤيا الصّالحة جزء من النّبوّة» والمعنى: إنّ هذه الخصال ونحوها من شمآئل الأنبيآء فاقتدوا بهم فيها، ولا يكون المراد أنّ النّبوّة تتجزّأ، ولا أنّ مَن جمع هذه الخصال كان فيه جزء من النّبوّة.

وفي حديث الإمام الصّادق عليه السّلام: «وعندي مصحف مجزّأ بأربعة أجزآءٍ» ومنه أجزآء القرآن الكريم.

أجْزَأَ الشّيَ فلاناً يُجزئه إجزآءً ـ من باب الإفعال ـ: كفاه وأجزأ من المال جزءً: أخذه، وأجزأ المرعىٰ: إلتفّ وحسن نبته لأنّه حينئذ يجزئ الرّاعية. يقال: أجزأني الشّئ: كفاني. مَجْزَأ فلان ومُجزَأَهُ ومَجْزَأته ومُجزَأته: أغنى مغناه وناب منابه، ومنه قولهم: «هذا يجزئ عن هذا» أى يغني عنه أو ينوب. وأجزأ المِخصَف: جعل له نصاباً. ويقال: أجزأت عنك مجزى فلان أى أغنيت عنك مغناه. وأجزأت الخاتم في إصبعي: أدخلته فيها. جزّأ الشّيَ وجزّأ المال بينهم يجزّئه تجزئة وتجزيئاً فتجزّأ ـ من باب التفعيل ـ: قسّمه فانقسم. وجزّأ الماشية بالرّطب عن المآءِ: أقنعها بالعشب الأخضر فاكتفت به عن المآءِ. وجزّأت الشّئ: قسمته وجعلته أجزآءً. وفي صفات الله تعالى: «لايتبعّض بتجزئة العدد في كماله» بمعنى أنّ أوصافه الكاملة كثيرة وهو عليم، قدير، خبير، حكيم، سميع وبصير... ومصداق الكلّ واحد هو ذاته تعالى وهو منزّه عن التجزئة الّتي تستلزم الكثرة والعدد.

إجتزأ بالشّئ ـ من باب الإفتعال ـ: اكتفى به. وتجزّأ الشّيَ يتجزّئ ـ من باب التفعّل ـ: تقسّم وتجزّى بالشّئ: اكتفى به.

**في قاموس القرآن: الجزء على قسمين: الأوّل** بمعنى الولد كقوله تعالى: «وجعلوا له من عباده جزءاً» الزخرف: ١٥) **والثّاني**: بمعنى القسمة والمقدار كقوله تعالى: «ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً» البقرة: ٢٦) وقال: «لكل باب منهم جزء

مقسوم» الحجر: ٤٤)

**وفي مجمع البحرين :** الجزء النّصيب قال تعالى: «وجعلوا له من عباده جزءاً» أى نصيباً. وقيل: بنات.

**وفي المفردات :** جزء الشّيْ مايتقوّم به جملته كأجزاءِ السّفينة وأجزاء البـيت وأجزاء الجملة من الحساب. قال الله تعالى: «ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزء» وقال عزّ وجلّ: «لكل باب منهم جزء مقسوم» أى نصيب، وذلك جزء من الشّيْ وقال تعالى: «وجعلوا له من عباده جزءاً» وقيل: ذلك عبارة عن الإناث من قولهم: أجزأت المرأة أى أتت بانثى. وجزّأ الإبل مَجْزَءاً وجزءاً: اكتفى بالبقل عـن شرب المآءِ. وقيل: اللحم السّمين أجزأ من المهزول. وجزأة السّكّـين: العـود الّـذي فـيه السّيلان تصوّراً أنّه جزء منه.

**وفي النّهاية :** في الحديث: «من قرأ جزءه من الليل» الجزء النصيب والقطعة من الشّيْ والجمع أجزآء. وجزأت الشّيْ: قسمته وجزّأته للتكثير.

**وفي اللسان :** المجزوء من الشّعر: ماحُذِفَ منه جزآن أو كان على جزئين فقط فالاولى على السّلب، والثّاني على الوجوب، وجزء الشّعر جَـزْءاً وجـزّأه فـيهما: حذف منه جزأين وبقّاه على جزأين. والجَزْء: الإستغناء بالشّيْ، وكأنّه الإسـتغنآء بالأقل عن الأكثر فهو راجع إلى معنى الجزء. ابن الأعرابي: يجزئ قليل من كثير، ويجزى هذا من هذا أى كلّ واحد منهما يقوم مقام صاحبه. والجَزَأة: أصل مَـغرِز الذَّنَب، وخصّ به بعضهم أصل ذَنَب البعير من مَغرِزه.

والجُزْأة ـ بالضّمّ ـ: نصاب السّكّين والإشفى والمِخصف والميسرة وهى الحديدة الّتي يؤثر بها أسفل خُفّ البعير.

## ٨ ـ الترف ـ ١٧٩

تَرِفَ الرّجل يترف تَرَفاً، فترّف ـ من باب فرح ـ: تنعّم فهو تَـرِفٌ وتَـريفٌ. التَّرَف: التنعّم ورغد العيش.

قال الله تعالى: «وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنّا وجدنا آبآئنا على امّة» الزخرف: ٢٣) وهم الموصُوفون بقوله تعالى: «فأمّا الإنسان إذا ما ابتلاه ربّه فأكرمه ونعّمه» الفجر: ١٥) فهم الّذين نعّموا بألوان النعيم من الأموال والأولاد والمساكن الطيّبة... في الدّنيا بغير طاعة الله تعالى.

المترف ـإسم مفعول ـ: المتقلّب في لين العيش، وقيل للمتنعّم: مترف لأنّه لايمنع من تنعّمه فهو طليق العنان فيه. والمترفون: هم رؤسآء القوم وقادة الشّرّ منهم، وحكّام الجور والملوك الجبابرة والامرآء الفجرة...

التُرفة : النّعمة ورغد العيش. تقول: «لم أزل معهم في ترفة» أى في نعمة. التُرفة: هَنَةٌ نائئة وسط الشّفه العليا خلقةً. الترفة: الطّعام الطّيّب. والشّيْ الظريف تخصّ به صاحبك. وتَرَف ـ محرَّكة ـ: جبل لبني أسد.

الأترف: من كان في وسط شفته العليا تُرفة.

أترفه المال ـ من باب الإفعال ـ: أفسده وأطغاه، وأترف الرّجل: أصرّ على البغي وأترف النّعمة زيداً: نعّمه. يقال: أُترِفَ فلان فهو المُترَف: الجبّار المتنعّم المتوسّع في ملاذ الدّنيا وشهواتها... وأترف الرّجل: أعطاه شهوته. وأترفه: دلّله وملّكه. المُترَف: المتروك في النّعم يصنع مايشآء ولا يمنع.

قال الله تعالى : «واتبع الّذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين» هود: ١١٦)

وقال : «وقال الملأ من قومه الّذين كفروا وكذّبوا بلقآءِ الآخرة وأترفناهم في الحياة الدّنيا ماهذا إلّا بشر مثلكم ـ حتّى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب» المؤمنون: ٣٣ و ٦٤)

صبيّ مُترَف: إذا كان منعم البدن مدللاً. تَرَّفَته النّعمة وأترفته: أطغته وأبطرته والتّتريف: حسن الغذاء. وتترّف: تنعّم. واستترف: تغطرف وبغى.

في النّهاية : في الحديث: «أَوْهِ لفراخ محمد من خليفة يستخلف عِتريف مُترَف» المُتَرف: المتنعّم المتوسّع في ملاذ الدّنيا وشهواتها. ومنه الحديث: «إنّ إبراهيم عليه السّلام فُرَّ به من جبّار مُترَف».

## ٩ ـ الزّخرف ـ ٦٢٦

زخرف الرّجل متاعه، يزخرفه زخرفة ـ رباعيّ كـدحرج ـ: زيّـنه وحسّـنه وكمّله. وزخرف كلامه: حسّنه ونظّمه بترقيش الكذب.

الزّخرف : الذّهب، وكمال حسن الشّيْ، ثمّ سُمِّىَ كلّ مزيّن زخرفاً، ثمّ شبّه كـلّ مموّه مزوّر به. الزّخرف : الزّينة المزوّقة، ومنه قـيل لمـتاع البـيت، ولمـتاع الدّنـيا: زخرف، جمعه زخارف.

قال الله تعالى: «ولو لا أن يكون النّاس امّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بـالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكون وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدّنيا» الزخرف: ٣٣ـ٣٥) أى نقوشاً وتزاويق وزيـنات وقال: «أو يكون لك بيت من زخرف» الإسرآء: ٩٣) أى من ذهب مزوّق.

الزّخرف من الأرض: ألوان نباتها من بين أحمر وأصفر وأبيض.

قال تعالى: «اخذت الأرض زخرفها» يونس: ٢٤) أى زينتها من الأنوار والأزهار والأشجار... أو تمامها وكمالها. والزّخرف من المآءِ: دُويبات من نصفيات الأجنحة تطير على المآءِ، ذوات أربع كالذّباب. والزّخرف من المآءِ: طرآئقه... الزّخرف: طائر الزّخارف ـ أيضاً ـ: السّجن، ومازُيّن به السّفن.

زخرف الكلام: حسنه بترقيش الكذب، وزخرف الكلام: أباطيله المموّهة.

في وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعيّاش بن أبي ربيعة لمّا بعثه إلى اليمن: «فلن تأتيك حجّة إلّا دحضت ولا كتاب زخرف إلّا ذهب نوره» أى كتاب تمويه وترقيش يزعمون أنّه من كتب الله، وقد حُرِّفَ أو غُيِّرَ ما فيه، وزُيِّنَ ذلك التغيير ومُوِّه.

قال الله تعالى : «يوحي بـعضهم إلى بـعض زخـرف القـول» الأنـعام: ١١٢) أى الأباطيل المموّهة والمزوّقات من الكلام. وفي الحديث: «كلّ كلام لايوافق كتاب الله فهو زخرف» أى باطل مزيّن.

المُزَخْرَف: المزيّن والمموّه والمزوّر. وفي حديث يوم الفتح: «أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يدخل الكعبة حتّى أمر بالزّخرف فنُحّيَ» أمر صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السّلام بكسر الأصنام فكسرها. والزّخرف هنا هو نقوش وتصاوير بالذّهب كانت زُيّنت بها الكعبة، أمر بها فحُكّت. ومنه الحديث: «نهى صلّى الله عليه وآله وسلّم أن تزخرف المساجد» أى تنقش وتموّه بالذّهب والتماثيل والتّصاوير... لئلاّ تشغل المصلّي. وفي الحديث الآخر: «لتزخرفنّها كما زخرفت اليهود والنّصارى» يعني المساجد.

تزخرف الرّجل: تزيّن. وفي الحديث: «انّ الجنان لتزخرف» أى تزيّن. وفي حديث صفة الجنّة: «لتزخرفت له ما بين خوافق السّموات والأرض». وتزخرف الكلام: نظّمه وزيّنه.

**في وجوه القرآن** للفاضل التّفليسي، وفي قاموس القرآن للفقيه الدّامغاني: إنّ الزّخرف في القرآن على ثلاثة وجوه:

**الأوّل:** بمعنى الذّهب كقوله تعالى: «أو يكون لك بيت من زخرف» الإسراء: ٩٣) أى من ذهب. وقوله: «لبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكؤن وزخرفاً» الزخرف: ٣٤-٣٥) يعنى الذّهب.

**الثّاني:** بمعنى الحُسْن كقوله تعالى: «حتّى إذا أخذت الأرض زخرفها» يونس: ٢٤) أى حسنها.

**الثّالث:** بمعنى التّزيين كقوله تعالى: «يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً» الأنعام: ١١٢) يعني تزيّن من القول، يغرّون به الكفّار.

## ٤٧ ـ الصّمّ ـ ٨٧٧

صَمَّ الرّجل رأس القارورة يصمّه صَمّاً ـ مصاعف من بابي علم ونصر نحو بَرَّ ومدّ ـ سدّفاها وشدّها تشبيهاً بالأصمّ الّذي شُدَّ أُذُنه. الصّمم: إنسداد الأذن وثقل السّمع. وصمّ الجرح: شدّه وضمّده بالدّوآءِ والأكول.

الصّمم: فقدان حاسّة الصّمّ، وبه يـوصف مـن لايـصغى إلى الحـق، ولا يـقبله ولا يهتدي من صم العقل والقلب لا أُذُن الرّأس، وشُبِّهَ مالاصوت له بـه، ولذلك قيل: صُمَّتْ حصاة بدم أى كثر الدّم حتّى لو القى فيه حصاة لم تسمع لها حـركة ولا صوت لأنّها لاتقع على الأرض. وقد وردت المادّة بالقرآن الكريم غالباً في معنى الصّمم للسّمع مجازاً، مراداً به عدم الإصغاءِ والإهتداء إلى الحق لإنحراف النّفس لا لتعطّل الحاسّة.

قال الله عزّ وجلّ : «أفأنت تسمع الصّمّ أو تهـدى العمى ومن كان في ضـلال مبين» الزخرف : ٤٠)

وقال: «صمّ بكم عمى فهم لايرجعون ـ صمّ بكم عمى فهم لايعقلون» البقرة: ١٨ و ١٧١)

**إن تسئل:** كيف جعلهم الله صمّاً وهم يسمعون؟ وبكماً وهم ينطقون؟ وعمياً وهم يبصرون؟؟؟

**تجيب عنه :** إنّ سمعهم لمّا لم ينفعهم فيما ينبغي لأنّهم لم يعوا به ما سمعوا، وبصرهم لمّا لم يجد عليهم لأنّهم لم يعتبروا بما عاينوا من قدرة الله تعالى، وخلقه الدّالّ على أنّه واحد لاشريک له، ونطقهم لمّا لم يغن عنهم شيئاً إذ لم يؤمنوا به ايماناً ينفعهم كانوا بمنزلة من لايسمع ولا يبصر ولا يعى ولا يعقل كما قال تعالى فيهم: «لهـم قـلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها» الأعراف: ١٧٩)

وفي الدّعآءِ : «وعصيتك بسمعي ولو شئت لأصممتني» أى جعلتني أصمّ الأُذن لا أسمع شيئاً. وفي حديث جابر بن سمرة: «ثمّ تكلّم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بكلمة أصمّنيها النّاس» أى شغلوني عن سماعها فكأنّهم جعلوني أصمّ:

وصمّت الأُذُن: إذا انسدت. وصُمَّ دعآؤه: صادف قوماً صُمّاً لايسمعون عذله أو لا يستجيبون له. ويقال للنّذير إذا أنذر قوماً من بعيد وألمع لهم بثوبه: لمع بهم لمع الأصمّ. وذلك أنّه لما كثر إلماعه بثوبه كان كأنّه لا يسمع الجواب فهو يديم اللـمع. وصَمِمَ يَصْمَمُ ـ بإظهار التضعيف نادراً ـ صَمَماً وصَمّاً: إنسدت اذنه وثقل سمعه أو

ذهب سمعه فهو أصمّ، والمؤنّث صمّآء، جمعه: صُمّ وصُمّان.

يقال: دعاه دعوة الأصمّ إذا بالغ فيه في النّدآءِ. وصمّ الرّجل فلاناً بحجر: ضربه به. صُمَّ، إذا ضُرِبَ ضرباً شديداً. وضربة صِمّآء: لاصوت لها، ومنه الصَّمَّة للشّجاع الّذي يضمّ بالضّربة. صمّ الله صدى فلان: أهلكه. وصُمَّ صداه ـ أى صوته ـ: هلك ومات. والصّدى: الصّوت الّذي يردّه الجبل إذا رفع فيه الإنسان صوته. ويقال: ضربه ضرب الأصمّ: إذا تابع الضّرب وبالغ فيه، وذلك أنّ الأصمّ إذا بالغ يظنّ أنّه مقصّر فلا يقلع. الصَّمَم ـ محرّكة ـ: فقدان حاسّة السّمع رجل وفرس صَمَمٌ: مُصَمَّمٌ. وصَمَّ الرّجل عزيمته: أمضاها.

الصّميم: العظيم الّذي به قوام العضو، وبُنك الشّيْ وخالصه. وبه يقال للرّجل: هو صميم قومه إذا كان من خالصهم. وصميم القلب: وسطه. ورجل صميم: محض. الصّميمة: الخالصة الأصيلة. الصّميم من البرد والحرّ: أشدّه. يقال: جآء في صميم البرد وذهب في صميم الحرّ أى في شدّته. الصّميم: القشرة اليابسة الخارجة من البيض. الصميم: المحض والخالص. للواحد والجمع يقال: رجل صميم ورجال صميم وهو من صميم القوم أى من أصلهم وخالصهم.

الصُّمَيمآء ـ مصغّرة ـ: نبات يشبه الغرز. الصِّمّ ـ بالكسر ـ: الأسد والدّاهية الشّديدة. صَمام ـ كقَطام ـ: علم للدّاهية الشّديدة الّتي عارها باقٍ لاتبرئها الحوادث... يقال: صَمّي صَمام أى زيدي يا داهية. صَمام صَمام بمعنى الأمر أى تصامّوا في السّكوت. صِمام القارورة وصِمامتها ـ بالكسر ـ: سدادها. جمع الأوّل: أصمّة وصِمَم. وفي حديث الوطء: «في صمام واحد» أى مسلك واحد. الصِّمام: ما تُسَدّ به الفرجة، فسُمِّىَ الفَرجُ به. ومن المحتمل أن يكون في موضع صِمام على حذف المضاف.

**الصّمّان والصّمّانة :** كلّ أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل وموضع يعالج.

وفي الحديث: «الفتنة الصّمّآء العميآء» هي الّتي لاسبيل إلى تسكينها لتناهيها فى دهآئها لأنّ الأصمّ لايسمع الإستغاثة، فلا يقلع عمّا يفعله. وقيل: هى كالحيّة الصّمّاء

الّتي لاتقبل الرُّقىٰ ولاتجيب الرّاقي. الصّمّانة: الأرض الغليظة.

الصِّمَّة ـ بالكسر ـ: النّوع والشّجاع، والذَّكَر من الحيّات، وانثى القنافذ.

الأصمّ: الرّجل لايطمع فيه، ولايُرَدّ عن هواه كأنّه ينادىٰ فلايسمع. والأصمّ: الحيّة لاتقبل الرُّقىٰ ولا تجيب الرّاقي. حَجَرٌ أصمّ: صلب مُصْمَت. وكذلك صخرة صمّآء. الرّمح الأصمّ: الصّلب المتين. ودهر أصمّ: كأنّه يشكى إليه فلايسمع.

شهر الله الأصمّ: شهر رجب لأنّه كان لايسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قعقعة سلاح لكونه شهراً حراماً. وقد وُصِفَ بالأصمّ مجازاً والمراد به الإنسان الّذي يدخل فيه كما قيل: ليل نآئم. وإنّما النّآئم مَن في الليل، فكأنّ الإنسان في شهر رجب أصمّ من سمع صوت السّلاح، فلايسمع فيه: يا لفلان ولا يا صباحاه... والمولّدون يسمّون شهر كانون «الأصمّ» لسكون النّاس فيه من كثرة الأمطار والبرد. والخلخال الأصمّ: الّذي لاصوت له. وفي حديث الجمار: «لا تأخذ الجمار الصّمّ وخذ البرش» يعني خذ الجمرة الرّخوة البرشآء.

الصّمّآء : مؤنّث الأصمّ، والنّاقة السّمينة واللاقح، وطرف العفجة الرّقيقة، والأرض الغليظة، والدّاهية الشّديدة. جمعها: صُمّ. الصّمّاء: القطاة لسكك اذنيها أو لصممها إذا عطشت. واشتمال الصّمّآء: أن يردّ الرّجل الكسآء من قِبَل يمينه على يده اليسرى، وعلى عاتقه الأيسر، ثمّ يردّه ثانية من خلفه على يده اليمنىٰ وعلى عاتقه الأيمن، فيغطّيهما جميعاً. قيل لها: صمّاء لأنّه لامنفذ فيها. يقال: اشتمل الصّمّاء مالا يبدو منه شئ. وفي الحديث: «نهى عن اشتمال الصّمّاء» وعن الصّادق عليه السّلام في معناه: «هو أن يدخل الرّجل ردآئه تحت إبطيه ثمّ يجعل طرفيه على منكب واحد». وأمّا الفقهآء فيقولون في معناه: هو أن يتغطّى بثوب واحد ليس عليه غيره ثمّ يرفعه من أحد جانبيه، فيضعه على منكبه، فتنكشف عورته.

وفي الحديث: «والفاجر كالأرزة صمّآء» أى مكتنزة لاتخلخل فيها.

أصمّ الرّجل ـ من باب الإفعال ـ: بمعنى صمّ. وأصمّه الله: جعله أصمّ لازم متعدّ: انسدّت اذنه. أصمّه: صيّره أو وجده أصمّ. أصمّ القارورة: جعل لها صماماً. وأصمّ

فلاناً: صادفه أصمّ، وأصمّ دعاؤه: وافق قوماً صُمّاً لايسمعون عذله. وحاتم الأصمّ من المشاهير. وصوت مُصِمّ: يُصِمّ الصّماخَ.

صمّم الرّجل ـ من باب التفعيل ـ: جعله أصمّ. وصمّم في السّير وغيره وعليه: مضى على رأيه فيه بعد إرادته، غير مصغ إلى من يردعه كأنّه أصمّ. وصمّم الشّئ: عضّه ونيّبه فلم يرسل ما عضّ. وصمّم السّيف: مضىٰ في العظم وقطعه، فاذا أصاب المفصل وقطعه قيل: طبّق. وصمّم الفرس العلف: أمكنه منه، فاحتقن فيه الشّحم والبطنة. المصمّم من الإبل: الّذي لايرغو. والمصمّم: الجبل الشّديد والصّابر على السّير الماضي فيه. والمصمّم: الثّابت الماضي في الامور. السّيف المصمّم: الماضي. ويقال: فلان صمّم صاحبه الحديث: أو عاه إيّاه.

التّصميم: ـ جمعه تصاميم ـ: رسم أو مخطّط لبنآءٍ أو طريق أو غيرهما، تقسيم لموضوع من المواضيع أو مشروع من المشاريع العلميّة أو الأدبيّة أو غيرها.

تصامّ فلان عن الحديث: تظاهر من نفسه أنّه أصمّ وليس به.

يتصامم فلان عمّا يسوءه وإن سمعه، فكان كأنّه لم يسمع، فهو سميع ذو سمع أصمّ في تغابيه عمّا اريد به.

## ٨٤ ـ الكنث ـ ١٥٥٩

نكث الرّجل العهد واليمين، والبيع والبيعة ونحوها ينكثه نَكثاً ـ من بابي نصر وعلم ـ: نقضه ونبذه وأخلّ به ولم يعمل بموجبه فهو ناكث.

وأصل ذلك أن يقال: نكث النسيج إذا فكّه وحلّ غَزْله. وقد جآء النكث في القرآن الكريم متعلّقاً بالعهد وماجرى مجراه وقد يُحذَف المنكوث إعتماداً على علمه من المقام.

قال الله تعالى: «فلمّا كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون» الزخرف: ٥٠) أي ينكثون ما عاهدوا أنفسهم عليه في قولهم في الآية السّابقة: «إنّنا لمهتدون» الزخرف: ٤٩)

نكث فلان الحَبْلَ والكسآءَ: نقضه، ونكث السّواك: شعّث رأسه.

**المنكوث :** المنقوض.

**النِّكث** ـ بالكسر ـ: الغزل يحلّ فتله، فيعود كما كان قبل الفتل، مفرق الأجزآء وكذلك كلّ نسيج فكّ نسجه ونقض ما ابرم منه فهو نِكْثٌ.

النِكث: ما نُقِضَ من الأكسية البالية والأخبية القديمة يفكّ نسجها، ويخلط ذلك بصوف جديد ليغزل ثانية. وصوفها إذ يفك نسجه قبل إعادة غزله يسمّى نكـثاً. جمعه: أنكاثاً. يقال: هى تغزل النِكث والأنكاث. حَبْلٌ أنكاثٌ: منكوث. وهو من قبيل ثوبٌ أخلاقٌ وحبل أرمامٌ. النِكث: الخيط الخَلَق من صوف أو شعر أو وَبَر، سمّى به لأنّه ينقض ثمّ يعار فَتْلُه.

**النُّكاث** ـ بالضّمّ ـ: بثر يخرج في أفواه الإبل. النكاثة ـ بالضّمّ ـ: ماحصل في الفم من تشعيث السّواك. وما انتكث من طرف الحبل. النَكاث ـ بالفتح ـ: الّذي ينكث النّسيجة إذا خلقت. النكاث: أن يشتكى البعير نكفتيه وهما عظمان نـاتئتان عند شحمتى اذنيه، وهو النكاف. النكاث: دآء يأخذ الإبل وهو شبه البثر يأخذها في أفواهها.

**النكيثة :** النّفس، سميّت بها لأنّ تكاليف ماهى مضطرة إليه تنكث قواها والكبر يفنيها فهى منكوثة القوى بالنّصب والفنآء، وادخلت الهاء في النكيثة لأنّهـا إسم. النكيثة: الخُلف والأمر الجليل، وأقصى المجهود، وخطّة صعبة ينكث فـيها القـوم، والطّبيعة، والقوم. يقال: هو شديد النكيثة أى النفس. قال قولاً لا نكيثة فـيه: لا خُلف فيه، صرف فيه نكيثته: أقصى جهده. وقعوا في النكيثة: في الخطة الصعبة الّتي تناكثوا فيها العهود. هو ذو نكيثة حسنة: طبيعة. بذل فيه نكيثته: قوّته كلّ خصلة ينكث فيها القوم يقال لها: نكيثة جمعها: نكآئث.

إنتكث الحبل وغيره: انتقض، وانتكث فلان من حاجة إلى اخرى: انصرف.

المنتكث: المهزول. يقال: بعير منتكث: إذا كان سمينا فهُزِل.

تناكثوا عهودهم: تناقضوها.

**في نهج البلاغة :** قال مولى المـوحّدين إمـام المـتقين أمـيرالمـؤمنين عـليّ بـن

أبيطالب عليه السّلام في عثمان بن عفّان وفي الناكثين والمارقين والقاسطين: «إلى أن انتكث فَتْلُه، وأجهز عليه عمله، وكَبَت به بطنَتُه، فما راعني إلّا والنّاس كعرف الضّبع إليّ، ينثالون عليّ من كل جانب، حتّى لقد وُطِئ الحسنان، وشُقّ عِطفايَ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلمّا نهضتُ بالأمر نكَثت طائفة، ومَرَقَتْ اخرى، وقسط آخرون»

**في النّهاية :** في حديث عليّ عليه السّلام : «أُمِرتُ بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين» قال ابن الأثير: «أراد بهم أهل وقعة الجمل لأنّهم كانوا بايعوه ثمّ نقضوا بيعته، وقاتلوه، وأراد بالقاسطين أهل الشّام، وبالمارقين الخوارج».

**وفي مجمع البحرين :** قال: فالناكثون أهل الجمل لأنّهم نكثوا البيعة أى نقضوها واستنزلوا عائشة وساروا بها إلى البصرة وهم عسكر الجمل ورؤساؤه من قولهم: نكث الرّجل العهد ـ من باب قتل ـ : نقضه ونبذه. والقاسطون أهل صفّين لأنّهم جاروا في حكمهم وبغوا عليهم، والمارقون الخوارج لأنّهم مرقوا من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية، وهذا التفسير مرويّ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

**وفي اللسان :** النّكث: نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها. والإسم النكيثة ونكث العهد والحبل فانتكث أى نقضه فانتقض. وفي التنزيل: «ولا تكونوا كالّتي نقضت غزلها من قوّة أنكاثاً» النحل: ٩٢) واحد الأنكاث: نِكثٌ وهو الغزل من الصّوف أو الشّعر تُبْرَمُ وتُنسَج، فاذ خَلَقَت النّسيجة قُطِّعَتْ قِطَعاً صغاراً، ونُكِثَتْ خيوطها المبرومة، وخُلِطت بالصّوف الجديد، ونَشِبَتْ به ثمّ ضربت بالمطارق وغزلت ثانية واستعملت، والّذي ينكثها يقال له: نكّاث ومن هذا نكث العهد وهو نقضه بعد إحكامه كما تنكث خيوط الصّوف المغزول بعد إبرامه.

## ٥١ ـ الخليل والخلال ـ ٤٣٩

خلّ الشّيءَ يخلّه خلاً وخُلُولاً ـ مضاعف من بابي ضرب ونصر نحو فرّ ومدّ ـ : ثقبه ونفذه، وخلّ الإبل: حوّلها إلى الخُـلّة، وخلّ الفصيل: شقّ لسانه فادخل فيه

الخلال لئلاّ يرتضع ولايقدر على المصّ، ويقال: خللته بالرّمح إذا طعنته به، وخـلّ الكسآء وغيره: جمع أطرافه بخلال، وخلّ في دعآئه: خصّ وهو ضدّ عمّ.

خلّ لحمه: قلّ ونقص وهزل ونحف وذلك في الهزال خـاصّة، وخـلّ: احـتاج وافتقر وخلّ إليه: احتاج إليه، وخلّ ماله: ذهب.

الخُلّة ـ بالضّمّ ـ: المودّة إمّا لأنّها تتخلّل النّفس أى تتوسّطها، وإمّا لأنّها تخلّ النّفس فتؤثّر فيه تأثير السّهم في الرَّمِيّة، وإمّا لفرط الحاجة إليها. الخُلّة من تخلّل الودّ نفسه ومخالطته كقوله:

قـد تـخلّلت مسـلك الرّوح مـنّي وبـــه سُـــمِّيَ الخـليل خـليلاً

ولهذا يقال: تمازجا روحاناً. والخُلّة: هى الصّداقة والمحبّة الصّادقة الّتي تخـلّلت القلب لا خلل فيها. والمحبّة: البلوغ بالودّ إلى حَبَّة القلب من قولهم: حببتُه إذا أصبت حبّة قلبه، لكن إذا استُعمِلَت المحبّة في الله تعالى فالمراد بها مجرّد الإحسان، وكـذا الخُلّة، فإن جاز في أحد اللفظين جاز في الآخر، فأمّا أن يراد بالحُبّ حَبّة القلب، وبالخُلّة، التخلّل فحاشا له سبحانه أن يراد فيه ذلك. وفي الحديث: «إنّي أبرأ إلى كلّ ذي خُلّة من خلّته» أراد بذلك أنّ خُلّته مقصورة على حبّ الله جلّ وعلا، فليس فيها لغيره متّع ولا شركة من محابّ الدّنيا والآخرة، وأمّا حبّ أوليآءِ الله فهو حبّ الله تعالى نفسه، أو أراد إنّي أبرأ من الإعتماد والإفتقار إلى أحد غير الله. وفي حديث حسن العهد: «فيُهديها في خُلّتها» أى أهل ودّها وصداقتها. الخُلّة: مودّة متناهيّة في الإخلاص، وصداقة قد تخلّلت القلب وصـارت خـلاله أى بـاطنه. وفي حـديث وصف المؤمن: «مأمور بفكرته، ضنين بخُلَّته» أى بخيل بمودته لغير أهلها.

ويطلق لفظ الخُلّة على الواحد والجمع والمؤنّث والمذكّر تقول: «هو وهى وهنّ وهم خُلّتي» جمعها خلال.

قال الله تعالى: «من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خُلّة ولا شفاعة» البقرة: ٢٥٤)

وقال: «من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال» إبراهيم: ٣١)

الخُلّة: ما فيه حلاوة من النّبات، ومنه قولهم: «الخُـلّة خـبز الإبـل والحـمض

فاكهتها» ويقال: الحمض لحمها أى هو للإبل بمنزلة اللحم للنّاس. والخلّة: شجرة شاكة، ومنبت العرفج ومجتمعه، وكلّ أرض لم يكن بها حمض، جمعها خُلَل.

والإسم: الخُلُولة. الخُلّة: الخليلة وهي الزّوجة الصّالحة، جمعها: خليلات وخلآئل.

**الخليل :** الصّديق المخلص المختصّ الّذي تخلّلت صداقته القلب، وهو الّذي أصفى المودّة وأصحّها، أو هو الحبيب الّذي جرّبته في محبته فوجدته صادقاً. الخليل: النّحيف المختلّ الجسم، والفقير المختلّ المال. رجل خليل: معدم فقير، وشئ خليل: مثقوب منفوذ. قال الله عزّ وجلّ: «واتّخذ الله إبراهيم خليلاً» النسآء : ١٢٥) والمعنى: اصطفاه وخصّه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله. وقيل: سمّاه خليلاً لافتقاره إليه تعالى في كلّ حال الإفتقار المعنيّ بقوله: «إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير» القصص : ٢٤)

ولذا قيل: اللهمّ أغنني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغنآءِ عنك. جمع الخليل: أخلاّء وخلاّن.

قال الله عزّ وجلّ: «الأخلآء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين» الزخرف : ٦٧)

وفي الحديث: «المرء بخليله أو قال على دين خليله، فلينظر امرؤ مَن يخالل».

**قال بعض الأُدبآء :** «إنّ الفرق بين الخُلّة والصّداقة أنّ الصّداقة اتّفاق الضّمآئر على المودّة، فاذا أضمر كلّ واحد من الرّجلين مودّة صاحبه، فصار باطنه فيها كظاهره سمّيا صدّيقين، ولهذا لا يقال: الله صدّيق المؤمن كما أنّه وليّه. والخلّة الاختصاص بالتكريم، ولهذا قيل: إبراهيم خليل الله لاختصاص الله إيّاه بالرّسالة، وفيها تكريم له، ولا يجوز أن يقال: الله خليل إبراهيم لأنّ إبراهيم لا يجوز أن يخصّ الله بتكريم».

قال أبو على النّحوى: يقال للمؤمن: إنّه خليل الله.

وقال عليّ بن عيسى الأديب: لا يقال ذلك إلّا لنبيّ لأنّ الله عزّ وجلّ يختصّه بوحيه ولا يختصّ به غيره. قال: والأنبيآء كلهم أخلاّء الله.

أقول : إنّ الخليل لقب خاص لإبراهيم صلوات الله عليه.

الخَلّ ـ بالفتح ـ : النّحيف الجسد، والمهزول والسّمين فضدّ.

الخُلّ ـ بالضّمّ ـ : الصّدّيق الودود، جمعه: أخلال.

الخِلّ ـ بالكسر ـ : المصادقة والموادّة والإخآء يقال: إنّه كريم الخِلّ أى المودّة...

والخِلّ : ما حمض من عصير العِنَب وغيره. ومنه الحديث: «نعم الأدام الخِلّ».

الخَلَل ـ بالتّحريك ـ : الوهن والفساد في الأمر تشبيهاً بالفرجة الواقعة بين الشّيئين لأنّه ترك منه موضع لم يبرم ولا أُحكِمَ. والخَلَل: منفرج مابين كلّ شيئين كخلل الدّار والسّحاب والرّماد وغيرها، جمعه خلال. الخلال من السّحاب: مخارج المآء.

قال الله تعالى في صفة السّحاب: «فترى الودق يخرج من خلاله» النور: ٤٣)

الخَلَل : الرّقة في النّاس والانتشار والتّفرق في الرّأى. وعن أبي البقآءِ: الخَلَل أعمّ من الخطأ لأنّ الخطاء خلاف الصّواب وواقع في الحكم، والخَلَ يقع فيه وفي غيره. عسكر خالّ: غير متضامّ كأنّ فيه منافذ.

الخِلال ـ بالكسر ـ : مايُثقَبُ ويُنفَذُ به. وخِلال الدّيار: ما حوالي حدودها وما بين بيوتها. قال الله عزّ وجلّ: «فجاسوا خلال الدّيار» الإسراء: ٥) أى ما بين بيوتها أى جالوا بينها. وقال: «ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة» التوبة: ٤٧) أى سعوا وسطكم بالنّميمة والفساد.

جمع الخِلال: أخِلّة. والخِلال: ما تخلّل به الأسنان، وعود يُجعل في لسان الفصيل لئلاّ يرضع، وبقيّة الطّعام بين الأسنان.

الخَلال ـ بالفتح ـ : البُسر إذا اخضرّ واستدار. ويقال: هو خَلالهم: بينهم.

الخَلّ ـ بالفتح أيضاً ـ : ماحمض من عصير العنب وغيره أو من الخمر. والطّائفة منه: خَلّة. والخَلّ: الطّريق ينفذ في الرّمل يذكر ويؤنّث. ويقال: حيّة خَلّ: إذا كانت

خبيثة كما يقال: «أفعى صريمة» جمعه: أخُلّ وخِلال. والخَلّ: النّحيف المختلّ الجسم، والثّوب البالي فيه طرآئق، وعرق في العنق أو في الظّهر، والقليل الرّيش من الطّير، والمهزول والسّمين ضدّ. والخَلّ: الحمض وابن المخاض والفصيل، والشّرّ، والشّقّ في الثّوب، وربّما كنّي بالخَلّ عن الخير لأنّه سليم العاقبة، وبالخمر عن الشّرّ لأنّها كثير الفتن. يقال: ما عنده خَلّ ولا خمر أى لا خير ولا شرّ. وقد يكنّى بهما عن الجيّد والرّديّ من المقتنيات. يقال: ما له خَلّ ولا خمر أى جيّد ولا رديّ، وعن النّفع والضّرر يقال: ما عنده خلّ ولا خمر أى نفع ولا ضرر أى لا يغني شيئاً. ويقال: ما هو بخلّ ولا خمر أى ليس بشيءٍ يخلص ويتبيّن. وجمع الخَلّ: أخُلّ وخلال. أمّ الخَلّ : الخمر.

**الخُلال** ـ بالضّمّ ـ: عرض يعرض في كلّ حلو، فيخرجه إلى الحموضة، وما يطلب من الرّطب خلال السّعف، واحده خُلالة.

**الخِلالة** ـ مثلّثة الخاء ـ: الصّداقة المختصّة لا خَلَلَ فيها.

**الخُلالة** ـ بالضّمّ ـ: بقيّة الطّعام بين الأسنان، وما يلقى منها عند التخلّل. يقال: فلان يأكل خُلالَتَه وخِلَلَه وخِلَلَتَه أى مايخرجه من بين أسنانه إذا تخلّل. وهذا مثل في شدّة الحرص والبخل. الخِلَلَة: بقيّة الطّعام بين الأسنان كالخِلّة.

**الخِلالة** ـ بالكسر ـ: عود دقيق يتخلّل به، وهى أخصّ من الخَلال لدلالتها نصّاً على الواحدة. قال الحريريّ: «ولي منه سلالة كأنّه خِلالة» أى ولد ضعيف نحيف كالخِلالة. وفي الحديث: «إذا الخلال نبايع» والأخلّة أيضاً: الخشبات الصّغار اللواتي يُخَلُ بها ما بين شقاق البيت.

**الخِلَل** ـ بالكسر ـ: بقيّة الطّعام بين الأسنان، الواحدة: خِلّة وهو خِلَل القوم: بينهم.

**الخَلّال** ـ بالفتح ـ: بائع الخَلّ وصانع الخلّ، ومن يعمل جفون السّيوف.

الخِلّة ـ بالكسر ـ: ما يغطّى به جفن السّيف لكونه في خلاله. وقيل: بطانة يغشّى بها جفن السّيف، والسّير يكون في ظهر سِيَة القوس. الخِلّة: كلّ جـلدة مـنقوشة، جمعها: خِلَل وخِلال. وجمع الثّاني: أخلّة والخِلّة: المصادقة والإخاء. يـقال: فـلان كريم الخِلّ والخِلّة المصادقة والإخآء. والخِلّة: الثّلمة في الحوض ونحوه.

الخَلّة ـ بالفتح ـ: الخِصلة جمعها: خِلال، والخَلّة: الإختلال العارض للنّفس إمّا لشهوتها لشئ وحاجتها إليه، ولهذا فُسّرَ الخَلّة بـالحاجة والخـصلة. في الحـديث: «اللهمّ سادّ الخَلّة» أى جابر الحاجة والفقر. والخَلّة: الطّائفة من الخَلّ. وفي المـثل: «الخَلّة تدعو إلى السّلّة» أى الحاجة تدعو إلى السّرقة. والخَـلّة: الثـقبة والحـاجة والفقر والخصاصة والرّملة المنفردة والخـمر الحـامضة، والمـرأة الخـفيفة، والجـسم النحيفة، والخَلّة: مكانة الإنسان الخالية بعد موته. يقال للميّت: «اللهمّ اسدد خَلَّتَه أى أخلف على المكانة الّتي تركها. الخَلّة: الثّلمة الّتى انثلمت بموته بأن كان مرجعاً دينياً أو كان رئيس قومه فلمّا مات بقيت خَلّته. وفى حديث عامر بن ربيعة: «فو الله ماعدا أن فقدناها اختللناها» أى احتجنا إليها وطلبناها. الخَلّة: الثلمة الّتي تركها الميّت بعده من الخلل الّذي أبقاه في اموره.

الخَلّة : الطّريق والسبيل لأنّه خلّ ما بين البلدين أى أخذ مخـيط بـينهما. وفي حديث الدّجّال: «يخرج من خَلّة بين الشّام والعراق» أى في طريق بينهما.

الخُلّيّ : البعير الّذي يرعى الخُلّة. يقال: بعير خُلّي وإبل خُلّيّة.

الأخَلّ : ـ إسم تفضيل ـ : أفقر من غيره، ومنه: «اقسم هذا المـال في الأخـلّ فالأخلّ» أى في الأفقر فالأفقر. الأخلّ: المعدم الفقير.

أخلّ القوم إخلالاً: رعت إبلهم الخلّة وأخلّ فلان إبله: حوّلها إلى الخلة، وأخلّ بالشّئ: قصّر فيه، وأخلّ بكذا: تركه ولم يأت به، وأخلّ بقومه: غاب عنهم، وأخلّ بمركزه: غاب عنه وتركه. وأخلّ بالمكان: تركه ذاخلل منه، وأخلّ الوالي بالثّغور:

قلّل الجند فيها. وأخلّ بالرّجل: لم يف له حقّه، وأخلّ بالأمر: أسآء فيه وأفسده. وفي الدّعآء: لا أخلّك الله أى لا أحوجك. أخلّت النّخلة: اطلعت الخلال وأسآءت الحمل. المُخِلّ: الّذي يرعى الخُلّة وهى مُخِلّة. وأمر مُخِلٌّ: موقع في الخلل. ورجل مُخَلّ: معدم فقير، وهى مخلّة. وأرض مخلّة: كثيرة الخلة ليس فيها حمض. شئ مخلول: مثقوب ومنفوذ وفصيل مخلول: مهزول. هو ذو عباءة مخلولة: مشدودة بالخلال.

خلّلت الخمر وغيرها من الأشربة تخليلاً: حمضت وفسدت، وخلّلت العصير: صار خلاً. وخلّل فلان الخمر: جعلها خمراً، وخلّل البُسر: وضعه في الشّمس ثمّ نضجه بالخلّ، فجعله في جرّة. وخلّل لحيته وأصابعه فى الوضوء: أسآء المآء بينها، وخلّل أسنانه: نزع ما بينها من طعام وأزال خلالتها. وخلّل فى دعآئه: خصّه، وخلّل بينهما: فرّج. وفى الحديث: «خلّلوا أصابعكم».

خالّه مخالّة وخالّة وخِلالاً وخَلالاً ـ من باب المفاعلة ـ: صادقه وآخاه على المحبّة الخالصة الّتي تخلّلت القلب لا خلل فيها.

إختلّ الأمر يختلّ إختلالاً ـ من باب الإفتعال ـ: وهن وفسد، واختلّ عقله: زاغ وفسد، واختلّ إليه: احتاج إليه. ومنه: «لايدرى متى يختلّ إليه» واختلّ العصير: صار خلاً، واختلّ الخَمْرَ: جعلها خلّاً لازم متعدّ. اختلّ الرّجل: اتخذ الخلّ. اختلّ لحمه: نقص وهزل، واختلّت الإبل: احتبست في الخلّة، واختلّ العدوّ بالرّمح: نفذه وانتظمه. المختلّ: الشّديد العطش، المختلّ: المعدم الفقير. أمر مختل: غير مستقيم. إبل مختلّة: ترعى الخلّة. وفي حديث ابن مسعود: «عليكم بالعلم فانّ أحدكم لايدرى متى يُختَلّ إليه» أى يحتاج إليه الإختلال: اتخاذ الخلّ من عصير العنب والتّمر.

تخالّا تخالاً: تصادقا.

تخلّل القوم تخلّلاً ـ من باب التّفعّل ـ: دخل بينهم أو دخل خلال ديارهم، وتخلّل الشّئ فيه: نفذ، وتخلّل المطر: خصّ ولم يكن عاماً، وتخلّل الرّطب: طلبه

خلال السّعف بعد انقضآءِ الصرام، وتخلّل فلاناً بالرّمح: طعنه طـعنة إثـر اخـرى. وتخلّل: أزال الخلالة من بين أسنانه، ومنه حديث بـدر وقـتل اميّة بـن خـلف: «فتخلّلوه بالسّيوف من تحتي» أى قتلوه بها طعناً حـيث لم يـقدروا أن يـضربوه بها ضرباً. وفي الحديث: «التخلّل من السّنّة» هو استعمال الخلال لإخـراج الطـعام من بين الأسنان. والتّخلّل أيضاً والتخليل: تفريق شعر اللحية في الغسل وتـفريق أصابع اليدين في الوضوءِ ومنه الحديث: «رحم الله المتخلّلين من أُمّتى في الوضوءِ والطّعام» ومنه الحديث: «خلّلوا بين الأصابع لايخلّل الله بينها بالنّار» وفى الحديث: «إنّ الله يبغض البليغ من الرّجال الّذي يتخلّل الكلام بلسانه كما تـتخلّل البـاقرة الكلأ بلسانها» بأن يتشدّق فى الكلام، ويُفَخّم به لسـانه ويَـلُفّه كـما تـلف البـقرة الكلأ بلسانها لفّاً.

في التهذيب : ا لخَلّة: الخصاصة في الوشيع وهي الفرجة في الخُـصّ، وفي رأى فلان خَلَلٌ أى فرجة. والخلّة: الثّقبة الصّغيرة. وقيل: هي الثّقبة ما كانت. يقال: فيه خَلّة صالحة وخَلّة سيّئة. والجمع: خلال. يقال: فلان كريم الخِلال، ولئيم الخِـلال وهى الخصال.

وفي المحكم : الخَلّ: المهزول والسّمين ضدّ يكون فى النّاس والإبل.

وفي الصّحاح : بعد خالي لَخَلُّ. والأُنثى خَلّة. خَلّ لحمه يَخِلّ ويَخُلّ خلاً وخُلُولاً واختلّ أى قلّ ونحف وذلك في الهزال خاصّة.

وفي القاموس وتاج العروس: الخِلّ: ما حمض من عصير العِنَب وغيره وهـو عربيّ صحيح. والخليل: من أصفى المودّة وأصحّها. والخـليل: إسم مـدينة سـيّدنا إبراهيم الخليل عليه السّلام وهى مدينة عظيمة بين جبال عليها سور عظيم.

يقال: إنّه من بنآءِ الجنّ يسكنها طوآئف من العرب.

خليلك: قلبك أو أنفك.

وفي قاموس القرآن : إنّ الخلّة في القرآن الكريم على ثلاثة وجوه:
الأوّل : المحبّة المصطفاة كقوله تعالى: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» النسآء : ١٢٥)
الثّاني : الصّداقة الخالصة كقوله تعالى: «من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولاخلّة» البقرة: ٢٥٤)

الثّالث : بين الشّيئ ووسطه وعمقه كقوله تعالى: «وفجّرنا خلالهما نهراً» الكهف : ٣٣) وقوله: «فترى الودق يخرج من خلاله» الرّوم: ٤٨)

## ٥ ـ الفتر والفتور ـ ١١٢٤

فتر الرّجل يفتر فَتْراً وفُتُوراً وفُتاراً ـ من بابي ضرب ونصر ـ: سكن بعد حدّته، ولان بعد شدّته، وضعف بعد قوّته، وفتر فلان عن عمله: قصّر فيه، وفتر المآء: سكن حرّه وانقطع عمّا كان عليه من البرد إلى السّخونة وفتر البرد والحرّ: سكن فهو فاتر. وفاتور بين الحارّ والبارد. وفتر الحرّ فترة وفتوراً: إنكسر ويقال: أجد في نفسي فترة أى ضعفة. وفتر جسمه فتوراً لانت مفاصله وضعفت. وتقول: «فلان عَلَتْه كبرة وعَرَتْه فترة» قال الله تعالى في عذاب المجرمين: «لايفتَّرُ عنهم» الزّخرف : ٧٥) أى لا يسكن ولا ينقطع عنهم العذاب «وهم فيه مبلسون».

وقال في وصف الملائكة: «لا يفترون» الأنبيآء : ٢٠) أى لايسكنون عن نشاطهم في التسبيح والعبادة لله جلّ وعلا.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لكل عالم شرّة ولكلّ شرّة فترة فمن فتر إلى سنّتي فقد نجا وإلّا فقد هلك»

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «لكلّ شرّة فترة» إشارة إلى ما ورد: «للباطل جولة ثمّ يضمحلّ، وللحق دولة لاتذلّ ولا تقلّ» وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «من فتر إلى سنّتي» أى سكن إليها.

طرف فاتر: ليس بحادّ النّظر، والطّرف الفاتر الّذي فيه ضعف مستحسن. وامرأة فاتر الطّرف أى منقطعة عن حدّة النظر.

فَتَرَ الشّئ فتراً: قاسه بفِتْره وقدّره كشَبَرَه: قاسه بشِبْره يـقال: فـترته بـفتري وشبرته بشِبْري. والفِتْر: ما بين طرف الإبهام وطرف السّبّابة إذا فتحتها.

ففَتَرَ لازم متعدٍ. الفُتار ـ مصدر ـ: أوّل نشوة الشارب وابتداء غشوته.

الفَتْر: الضّعف، جمعه: الأفتار.

الفُتْر ـ بالضّمّ ـ: النبيّة وهو الّذي يعمل من خوص ينخل عليه الدّقيق كالسّفرة.

والفَتْرة ـ بالفتح ـ: الضَّعف والإنكسار والهدنة، وما بين كلّ نبيّين من الزّمان الّذي انقطعت فيه الرّسالة.

قال الله تعالى : «على فترة من الرّسل» المائدة: ١٩) أى سكون حال عن مجـيئ رسول.

الفترة : سمكـة إذا وطـئتها أخـذتك فـترة في الرّجـلين حـتّى تـعرق، وهـى الرّعادة موجودة بنيل مصر. جمعها: فـترات. الفُـتَّر ـ كـقُنَّب ـ: الفـترة للسّـمكة المذكورة.

الفاتورة : لائحة ترسل مع البضاعة تُدرَج فيها أصناف البضاعة مع بيان كميّتها وثمنها ومصاريفها، جمعها: فواتير.

أفتر الغلام ـ من باب الإفعال ـ: ضعفت جفونه، فانكسر طرفه، وأفتر الشّراب: فتر شاربه، وأفتر الدّواء المريض: أضعفه. وفي الحديث: «أنّه نهى عن كلّ مسكر ومفتر» المُفتِر: المُضعِف سوآء أكان بشرب الخمر أو بالتّدخين الّذي يوجب ضعف الجسد وانكسار الجسم، فيستدلّ به على تحريم البنج والتدخين ونحوهما ممّا يـفتر ولا يزيل العقل.

فتّر المآء ـ من باب التفعيل ـ: جعله فاتراً، وفتّر العامل: حمله على الفتور في

عمله، وفتّر السّحاب: تحيّر لايسير وسكن وتهيّأ للمطر. وفتّر الشّيْ: أقام وسكن. والتفتير: الدّفتر لغة بني أسد.

**إستفتر الفرس**: استجمّ أي ترك فلم يُركَب، فذهب إعياؤه.

**في مجمع البحرين**: قال في قوله تعالى: «على فترة من الرّسل» أى على سكون وانقطاع من الرّسل لأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث بعد انقطاع الرّسل لأنّ الرّسل كانت إلى وقت رفع عيسى صلّى الله عليه وآله وسلّم متواترة وفترة ما بين عيسى ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما نقل ستّة مأة سنة.

## ٤٩ ـ المكث ـ ١٤٤٧

مكث يمكث مَكْثاً ومُكْثاً ومَكَثاً ومكاثة ومُكُوثاً ومُكثاناً ومِكـيّثىٰ ومِكّـيثآء ـمن بابي كرم ونصرـ: لبث ورزن وأقام في مكانه فهو ماكث ومكيث.

الإسم: المِكْث ـ مثلّثاً ـ: الأناة والتلبّث في المكان والإقامة مع الإنتظار.

قال الله تعالى في الظالمين: «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال انّهم ماكثون» الزّخرف: ٧٧) أى مقيمون مع الإنتظار. الماكث: المقيم المنتظر وإن لم يكن مكيثاً في الرّزانة.

يقال: الباطل يضمحل والحق يمكث أى يبق. ويقال: المُكْث للأناة والتلبّث وترك العجلة. المكيث: الماكث. ورجل مكيث: رزين لايعجل في أمره. الماكث: الرّزين المتأنّي. يقال ـ مجازاً ـ: فلان مكيث الكلام أى بطيئ الكلام. المكيث: المقيم الثّابت. جمع المكيث: مُكَثآء ومكيثون. وفي الحديث: «توضّأ وضوءاً مكيثاً» أى متأنّياً غير مستعجل.

قال الله تعالى: «وقرآناً فرقناه لتقرأهُ على النّاس على مكث» الإسراء: ١٠٦) أى تؤدة وترتيل ليكون أمكن في قلوبهم.

وقال : «فمكث غير بعيد» النّمل: ٢٢) أى غير طويل من الإقامة.

**في نهج البلاغة :** من كلام مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عـليّ بـن أبيطالب عليه السّلام: «وخلف ـ يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فينا راية الحق ودليلها، مكيث الكلام، سريع القيام» فاستعار الإمام عليه السّلام لفظ الرّاية لكتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكنّى بدليلها عن نفسه عليه السّلام إذ كان هو الهادى بالكتاب والسّنّة إلى الحق والهدى كما يهدى حامل الرّاية بها، وكنّى بكونه مكيث الكلام أى بطيئه عن تأنّيه في حـركاته في الامـور إلى حـال يـبين الرّأى الأصلح، وبسرعة قيامه عن مبادرته إلى الأمر حين ظهور وجه المصلحة.

**أمكثه :** حمله على المكث. ويقال: أُمْكُثْ هنا حـتّى أحـضر أى أقـم مـنتظراً فهو يفيد الإنتظار زيادة على الإقامة بقرينة المـقام. ويـقال: امكث في عـملك أى استمر فيه.

**تمكّث بالمكان :** تلبّث وانتظر أمراً وأقام عليه، وتمكّث في الأمر: تنوّم وتلوّم ولم يعجل فيه فهو متمكّث. وسار الرّجل متمكّثاً أى متلوّماً.

**في المفردات :** المُكث: ثبات مع انتظار.

**وفي قاموس القرآن :** إنّ المُكث في القرآن الكريم على أربعة وجوه:

**الأوّل :** الإقامة كقوله تعالى : «ماكثين فيه أبداً» الكهف: ٣) أى مقيمين.

**الثّاني :** التأنّي والتّأمّل كقوله تعالى: «وقرآناً فرقناه لتقرأه عـلى النّـاس عـلى مكث» الإسراء: ١٠٦)

**الثّالث :** النّزول كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السّلام : «امكثوا إنّي آنست ناراً» طه: ١٠) أى انزلوا من مراكبكم وتلبّثوا هنا.

**الرّابع :** الإنتفاع كقوله تعالى: «وأمـا مـا يـنفع النّـاس فـيمكث في الأرض» الرّعد: ١٧) أى فينتفع به النّاس في الأرض إلى حين.

## ٣١ ـ البرم والإبرام ـ ١١٥

بَرَم الحبل يبرمه بَرْماً ـ من باب ضرب متعدٍ ـ : جعله طاقين، ثمّ فتله، وبرم الأمر: أحكمه فانبرم، فالحبل مبروم وبريم.

أبرم الحبل : جعله طاقين ثمّ فتله، وأبرم الأمر ـ إستعمال مجازيّ ـ: أحكمه فهو مبرم، وهم مبرمون. الإبرام: إحكام الأمر وأصله من ابرام الحبل وهو ترديد فَتْله. فالفرق بين إحكام الشّيْ وإبرامه أنّ إمرامه تقويته، وأصله في تقوية الحبل، وهو في غيره مستعار.

قال الله تعالى: «أم أبرموا أمراً فانّا مبرمون» الزخرف: ٧٩) أى أحكموا كيدهم ومكرهم برسولنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فانّا محكمون أمرنا وكيدنا لهم فسيعلم الّذين مكروا أيّ منقلب ينقلبون.

وفي الدّعآء : «يا مدبّر الإبرام والنّقض» فيه إستعارة، والمراد تدبير امور العالم على ما تقتضيه حكمته البالغة من الإبقآءِ والإفنآءِ، من الإعزاز والإذلال، ومن التقوية والإضعاف وغير ذلك... الإبرام في الأصل: فتل الحبل، والنقض: نقيضه. وأبرم الحبل: أجاد فَتْلَه.

وفي حديث وداع شهر رمضان: «غير مودع بَرَماً» ـ بالتّحريك ـ مصدر بَرِمَ ـ كعلم لازم ـ ضَجِرَ وسئم. ومنه حديث وصف المؤمن: «لايتبرم ولا يتسخط» أى لايسئم ولا يتضجّر من أعمال الخير. وبَرِمَ فلان بحجّته: نواها فلم تحضره. ومنه قوله: «إذا بَرِمْتَ بالمنطق الشفتان» وأبرم عليه في الجدال: ألحّ قاصداً إفحامه أى إسكاته بالحجّة. وأبرمه: أمله وأضجره.

البَرَمُ ـ بالتحريک ـ : الّذي لايدخل مع القوم في الميسر. ولا يخرج فيه معهم شيئاً. وفي حديث وفد مَذْرحج: «كرام غير أبرام» جمع بَرَم. أى غير لئام. والبَرَم:

ثَمَرُ العِضاه. الواحدة بَرَمة. ومنه: «فلان بَرَمٌ ما فيه كَرَمٌ» تشبيهاً له ببرم العِضاه من حيث لاينتفع به. والبَرَمُ: الضّجر وحبّ العِنَب إذا كان مثل رؤس الذّرّ. البَرَم: البخيل اللئيم. ويقال لمَن يأكل ثَمْرَتين ثَمْرَتين: بَرَمٌ لشدّة مايتناوله بعضه على بعض. وفي المَثَل: «أبرما قروناً» أى ثقيل لاخير عنده. وفي الحديث: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبّ في اذنيه البَرَم». البَرَم: الكحل المذاب.

البَرَمة ـ بالتحريك ـ : الأراك، جمعها: بَرَمٌ وبِرامٌ. والبرمة: زهر الطلع. وثمرة العضاه وهى أوّل وهلة فتلة، ثمّ بلة، ثمّ بَرَمة. والبَرَم: ثمر الأراك.

البُرمة : ـ بالضّمّ ـ : القِدر المبرمة من الحجر، جمعها: بُرام وبِرام، نحو حُضْرَة وحِضار وحُضار وفي حديث بريرة : «رآى بُرْمة تفور» البُرمة: القِدْر مطلقاً وهى في الأصل: المتّخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن. البُرمة: شئ تلبسه النسآء في أيديهنّ كالسّوار.

البُرما : نوع من الحلواء معرّب بورمة بالتّركية، ومعناه مبروم. وبُرْم: إسم جبل.

البُرام ـ بالضّمّ ـ : القُراد.

البُرُم : القوم السّيّئو الأخلاق.

البَرام ـ بالفتح ـ الخيط وكلّ ما يُبرَم من الموادّ. والحبل المبروم.

البَريم ـ خيطان مختلفان : أحمر وأصفر، وكذلك كلّ شئ فيه لونان مختلطان. البريم: خيط يفتَل من قوىً بيضٌ وسودٌ. وحَبْلٌ للمرأة فيه لونان مزيّن بجواهر. والبريم: ضوء الشّمس مع بقيّة سواد الليل. والبريم: الصّبح لما فيه من سواد الليل وبياض النّهار. البريم: المآء الّذي خالط غيره. والقطيع من الغنم يكون فيه ضربان من الضّأن والمعز. وبريم القوم: لفيفهم. البريم: الجيش فيه أخلاط النّاس. قيل له ذلك لألوان شعار القبائل وراياتهم. والبريمان: الجيش من العرب والعجم.

البريم: الدّمع المختلط بالأثمد لما فيه لونان. ولمّا كان البريم من الحبل قد يكون

ذالونين سمّى كلّ ذي لونين به من جيش مختلطٍ أسود وأبيض، ولغنم مختلط وغير ذلك. البريم: العوذة تعلق على الصّبيان لما فيها من الألوان... البريم: المتّهم.

البريم: الحبل المفتول فَتْلا محكماً. يقال: أبرمته فبَرِمَ. ولهـذا قيل للبخيل الّـذي لا يدخل في الميسر: بَرَمٌ كما يقال للبخيل: مغلول اليد.

البريمة: القطعة من كبد البعير، ومِثقب النّجار وآلة الثقب إطلاقاً.

البَرّام ـ مبالغة ـ: الفتّال.

المِبْرَم ـ بالكسر ـ: المِغزَل الّذي يُبَرم به، جمعه: مبارم.

المُبْرِم ـ إسم فاعل ـ: صانع البُرمة، والجليس الثّقيل، ومجتنى البَرَم. والمُـبرِم: الّذي يلحّ ويُشَدِّدُ في الأمر تشبيهاً. بمُبرِم الحبل، والبَرَمُ كذلك.

ورجل مُبرِم : ثقيل.

المُبْرَم ـ إسم مفعول ـ: البريم من الحبال، والثّوب المفتول الغزل طاقين. قضآء مُبَرمٌ: قاطع لا مناص منه.

المبرومة : سِوار من الذّهب المبروم.

بَرَّمَ الحبل يبرّمه تبريماً مثل بَرَمه. والتّشديد للمبالغة.

تبرّم به : تضجّر.

البَرَ مآئيّ : من الدّوابّ والزّحافات كالسلحفاة والاسقنقور ما يعيش في البرّ وفي المآءِ. البرمائيّة: سيّارة تسير في البرّ والمآء.

البِرمة ـ بالكسر ـ: موضع من أعراض المدينة قرب بلاكث بين خيبر ووادى القرى، وقرية بمصر من أعمال المنوفية.

## ﴿النّحو﴾

**١ ـ (حـم)**

تقدّم القول في إعراب «حم» في أوّل سورة «المؤمن» فراجع.

**٢ ـ (والكتاب المبين)**

في الواو وجـهـان: **أحدهما**ـ عـاطـفة إن جـعـلتَ «حَمٓ» قـسـماً. **ثانيها**ـ للـقسم إن لم تجـعل «حَمٓ» قسماً. فجـوابها: «إنّا جعلناه...» و«الـكتاب» مجرور بواو القسم أو بمضافٍ أي بربِّ الكتاب، متـعلّق بمحذوف، تقديـره: أُقسم... و«المبين» إسم فاعل من باب الإفعال، نـعت للكتـاب، وجملة أُقسم بالـكتاب... إبتدائيّة لا محلّ لها. وفي القسـم أيضاً وجـهان: **أحدهما**ـ على تقـدير: «هذه السّورة سورة حَمٓ» فـيكون القسم واقعـاً على هذه السّورة. وقوله: «إنّـا جعلناه...» إبتداء لـكلام آخر. **ثانيها**ـ أن يكون التّقدير: «هـذه حَمٓ» فيكون المـقسم عليه قـوله: «إنّا جعلناه...» والضّمير راجع إلى القرآن وإن لم يتقدّم له صريح الذّكر لدلالة المعنى عليه.

**٣ ـ (إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون)**

«إنّ» حرف تأكيد، و«نـا» ضمير التّكلّم للجمع تعظيماً، في موضع نصب، إسم «إنّ» و«جـعـلنا» فعل مـاضٍ لـلـتكلّم مع الـغير، في مـوضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة جواب القسم لا محلّ لهـا، والضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعـول به الأوّل،

و«قرآناً» مفعول ثانٍ، و «عربياً» نعت لـ «قرآناً»و«لعلّ» حرف ترجٍّ، و«كم» في موضع نصب، إسم «لعلّ» و«تعقلون» في موضع رفع، خبر «لعلّ» والجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها.

**٤ ـ (وإنّه في أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم)**

الواو عاطفة، والجملة المؤكّدة معطوفة على جواب القسم، فهي بمثابة جواب ثانٍ لا محلّ لها، وفي «في امّ الكتاب» وجهان: **أحدهما**ـ أن يكون متعلّقاً بمحذوف، هو الخبر لـ «إنّ» **ثانيها**ـ أن يكون متعلّقاً بـ «عليّ» واللام المزحلقة لا تمنع ذلك، و«عليّ» خبر «إنّ» وعلى الأوّل فـ «عليّ» خبر ثانٍ، و«حكيم» خبر ثالث. وفي «لدينا» وجوه: **أحدها**ـ ظرف مبنيّ على السّكون في موضع نصب، متعلّق بـ «عليّ» **ثانيها**ـ أن يكون بدلاً من «لعليّ» **ثالثها**ـ أن يكون حالاً من «الكتاب» **رابعها**ـ أن يكون حالاً من «أمّ» قيل: لا يجوز أن يكون أحد من الظّرفين: «في أمّ الكتاب لدينا» خبر «إنّ» لأنّ الخبر قد لزم أن يكون «عليّ» لأجل لام التّأكيد، وإن جاز أن يكون كلّ واحد منها نعتاً للخبر، فصار حالاً بتقدّمه.

**٥ ـ (أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين)**

الهمزة للإستفهام الإنكاري، وفي الفاء جهان: **أحدهما**ـ للعطف على محذوف مقدّر بينها وبين الهمزة وتقديره: أنهملكم فنضرب عنكم الذّكر كقوله تعالى: «أفلم يروا ما بين أيديهم» سبأ: ٩) أي أعموا فلم يروا. **ثانيها**ـ للتفريع على ما تقدّم.

و«نضرب» فعل مضارع للتكلّم مع الغير، والجملة على كلا الوجهين لا محلّ لها، و«عنكم» متعلّق بـ «نضرب» و«الذّكر» مفعول به، وفي «صفحاً» وجوه: **أحدها**ـ مفعول له. فالصّفح مصدر من صفح عنه. والمعنى: أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجّة به إعراضاً عنكم.

**ثانيها** ـ بمعنى الجانب أي نظر إليه بصفح وجهه. فالمعنى: أفننحيه عنكم جانباً.

فنصبه على الظرفيّة كقولك: «ضعه جانباً» و«امش جانباً» **ثالثها**- أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح، نُصِبَ حالاً من فاعل «نضرب» أي صافحين معرضين. فـ «صفحاً» مصدر اقيم مقام الفاعل، نُصِبَ على الحال. والمعنى:أفنضرب عنكم تذكيرنا إيّاكم الواجب صافحين أو معرضين.

**رابعها**- مصدر، مفعول مطلق من غير لفظه، مرادف لمعنى نضرب لأنّه يقال: ضرب عن كذا وصرف وجهه عنه. والمعنى: أفنضرب ونصفح عنكم الذّكر ضرباً. أي أفنهملكم فنضرب ونمسك أو نعرض عنكم الذّكر ضرباً أو ندعكم مهملين لا نحتجّ عليكم برسول أو إمام أو بحجج. **خامسها**- منصوب على المصدر بفعل مقدّر من لفظه، فكأنّه قال: أفنصفح عنكم صفحاً.

وفي «أن» وجوه: **أحدها**- مصدريّة، فدخولها مفعول من أجله، على تقدير لأن. و«كنتم» فعل ماضٍ ناقص لجمع المذكر المخاطب، والفعل بعد انسباكه إلى المصدر، مجرور متعلّق بـ «نضرب» و«قوماً» خبر «كنتم» و«مسرفين» نعت لـ «قوماً». **ثانيها**- قُرِئ «إن» بالكسر فشرطيّة، و«كنتم» فعل الشّرط، محذوف الجواب، يدلّ عليه ما تقدّم. كأنّه قال: إن كنتم مسرفين نضرب عنكم. أو بمعنى: متى فعلتم هذا طلبتم أن نضرب الذّكر عنكم صفحاً. **ثالثها**- قُرِئ بالكسر إخراجاً للمحقق مخرج المشكوك استجهالاً لهم.

**٦ ـ (وكم أرسلناك من نبيّ في الأوّلين)**

الواو إستئنافية، و«كم» هنا خبرية، إسم كناية، يراد بها التّكثير ضدّ «ربّ» لأنّها موضوعة للتّقليل، في موضع نصب، مفعول مقدّم لـ «أرسلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب الإفعال، و«من نبيّ» تمييز لـ «كم» و«في الأوّلين» متعلّق بـ «أرسلنا» والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

**٧ ـ (وما يأتيهم من نبيّ إلّا كانوا به يستهزؤن)**

في الواو وجهان: **أحدهما**ـ للعطف، فالجملة التّالية معطوفة على «أرسلنا» **ثانيهما**ـ للحال، والجملة الّتي بعدها في موضع نصب، حال، والعامل فيها: «أرسلنا» أي والحال أنّه ما يأتيهم من نبيّ إلّا استهزؤا به. و«ما» نافية، و«يأتي» فعل مضارع، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«من» زائدة للتأكيد، و«نبيّ» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً على أنّه فاعل «يأتي» و«إلّا» أداة حصر، و«به» متعلّق بـ «يستهزؤن» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الإستفعال، في موضع نصب، خبر لـ «كانوا» والجملة: «كانوا...» في موضع نصب، حال من ضمير «هم» في «يأتيهم».

**٨ ـ (فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ومضى مثل الأوّلين)**

في الفآء وجهان: **أحدهما**ـ فصيحة. **ثانيها**ـ عاطفة، و«أهلكنا» فعل ماض للتكلم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال، والجملة معطوفة على جملة «ما يأتيهم» وفي «أشدّ» وجهان: **أحدهما**ـ إسم تفضيل، مفعول به، وهو في الأصل نعت لمنعوت مقدّر أي قوماً أشدّ. **ثانيها**ـ منصوب على الحال. و«منهم» متعلّق بـ «أشدّ» وفي «بطشاً» وجهان: **أحدهما**ـ تميز. **ثانيها**ـ مصدر سماعيّ ثلاثيّ، حال من فاعل «أهلكنا» أي باطشين. والجملة: «أهلكنا...» على الوجوه كلّها لا محلّ لها.

وفي الواو وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة. **ثانيها**ـ عاطفة، و«مضى» فعل ماض معطوف على «أهلكنا» و«مثل» فاعل «مضى» أضيف إلى «الأوّلين» جمع الأوّل، والجملة: «مضى ...» على كلا الوجهين لا محلّ لها.

**٩ ـ (ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم)**

في الواو وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة. **ثانيها**ـ إستئنافية، واللام موطّئة للقسم، و«إن» شرطيّة، و«سئلت» فعل ماض، مبنيّ على السّكون لا تّصاله بضمير رفع متحرّك ،

والـفعـل في موضـع جزم لحرف الشّرط، و«هم» في مـوضـع نصـب، مفـعول به أوّل، والجملة الشّرطيّة لا محلّ لها، و«مَن» إسم إستفهام في موضع رفع، مبتداء، و«خلق» فعل ماضٍ، في موضـع رفع، خبر «من» والجملـة الإستفهاميّة في موضع نصب، مفعول ثانٍ لـ «سئلتهم» المعلّقة عن العمل بالإسـتفهام. و«السّموات» مفـعول به لـ «خلق» و«الأرض» عطـف على «السّموات» والـلام واقعـة في جـواب القسـم لأنّه المـقدّم، و«يقولنّ» فعـل مضارع لجمـع المذكّـر الغائب، مـؤكّد بـنون التّاكيـد، على حذف نون الـرّفع لتوالى النونـات الثّلاث و«خلق» فعل مـاضٍ، و«هنّ» ضمير جمع المؤنّث راجع إلى «السّموات والأرض» في موضع نصب، مفعول به، والجملة: «خلقهنّ» في موضع نصب، مـقول القـول، وكررّ الـفعل: «خـلق» لـلتّوكـيد، و«الـعزيز» فـاعل «خـلق» و«العليم» نعـت لـ «العـزيـز» وجملـة «ليـقولنّ» جـواب القسـم لا محلّ لهـا، وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه جواب القسم.

**١٠ ـ (الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سُبُلاً لعلّكم تهتدون)**

في «الّذي» وجوه: **أحدها**ـ موصولـة في موضع رفع، صفة ثانـية لـ «العزيز» **ثانيها**ـ بـدل. **ثالثها**ـ خبر لمحذوف أي هـو الّـذي... والجملة مستأنـفة. و«جعل» فعل ماضٍ، صـلة الموصول لا محلّ لها، وفي «لـكـم» وجهان: **أحدهما**ـ متـعلّق بـ «جعل» على أنّها بمعنى خـلق. **ثانيها**ـ متعـلّق بمحذوف، حال من المفـعول بـه الثّاني: «مهداً» على أن «جعل» بمعنى صيّـر. و«الأرض» مفـعول به أوّل. وفي «مهداً» وجهان: **أحدهما**ـ أنّه مفعول به ثانٍ. **ثانيها**ـ حال.

«وجعـلَ» الواو عاطفة، وفي «لـكم» وجهان: **أحدهما**ـ متـعلّق بـ «جعل» **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، حال من المفعول به الثّاني: «سبلاً» وفـي «فـيها» وجـوه: **أحـدها** ـ مـتعلّق بـ «جـعل» **ثـانيها** ـ حـال. **ثـالثها** ـ مـتعلّق بـ «سـبلاً» مـفعول بـه ثـانٍ. و«تهتدون» فـي مـوضع رفـع، خـبر لـ «لعـلّ» والجـملة: «لعـلّكم...» مسـتأنفة بـيانيّة لا محلّ لها.

**١١ ـ (والّذي نزّل من السّمآء ماءً بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون)**

الواو عاطفة، و«الّذي» موصولة في موضع رفع، معطوف على الموصول الأوّل، و«نزّل» فعل ماضٍ من باب التّفعيل، صلة الموصول لا محلّ لها، و«من السّمآء» متعلّق بـ «نزّل» و«مآء» مفعول به، وفي «بقدر» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «مآء» **ثانيها**ـ في موضع نصب على الحال. والفآء عاطفة و«أنشرنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال، و«به» متعلّق بـ «أنشرنا» معطوف علىٰ «نزّل» لا محلّ لها، و«بلدة» مفعول به، و«ميتاً» نعت لـ «بلدة» وفي «كذلك» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق. **ثانيها**ـ نعت لمصدر محذوف، عامله «تخرجون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول، وجملة «تخرجون» اعتراضيّة لا محلّ لها.

**١٢ ـ (والّذي خلق الأزواج كلّها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون)**

الواو عاطفة، و«الّذي» معطوف على الموصول الأوّل، و«خلق» صلة الموصول لا محلّ لها، و«الأزواج» جمع قلّة من الزّوج، مفعول به، و«كلّها» توكيد معنويّ و«جعل» عطف على «خلق» داخل في حيّز الصّلة، و«لكم» متعلّق بمحذوف هو مفعول به ثانٍ، و«من الفلك» متعلّق بمحذوف، هو حال من «ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به أوّل. و«الأنعام» معطوف على «الفلك» وفي «ما» وجهان **أحدهما**ـ موصولة، والعائد محذوف أي تركبونه. **ثانيها**ـ نكرة موصوفة، في موضع «تركبون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب وجهان: **أحدهما**ـ صلة الموصول لا محلّ لها. **ثانيها**ـ في موضع نصب، نعت لـ «ما» على أنّها نكرة موصوفة.

**١٣ ـ (لتستووا على ظهوره ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذي سخّرلنا هذا وما كنّا له مقرنين)**

في اللاّم وجوه: **أحدها**ـ لام العاقبة. **ثانيها**ـ لام الصّيرورة. **ثالثها**ـ لام العلّة والفعل

منصوب بـ «أن» مضمرة بعد اللام. رابعها- لام الأمر والفعل مجزوم بها.

«تستووا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، وجملة «تستووا» صلة الموصول الحرفي: «أن» المضمرة لا محلّ لها، و«على ظهوره» متعلّق بـ «تستووا» وذكّر الضّمير في «ظهوره» نظراً للفظ «ما» كما جمع الظّهور لمعناها والمصدر المؤوّل: «أن تستووا» في موضع جرّ باللاّم متعلّق بـ «جعل» و«ثمّ» عاطفة، و«تذكروا» معطوف على «تستووا» و«نعمة ربّكم» مفعول به، و«إذا» ظرف للمستقبل، مجرّد من الشّرط، متعلّق بـ «تذكروا» أو متعلّق بجوابه المحذوف يدلّ عليه «تذكروا» و«استويتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، و«عليه» متعلّق بـ «استويتم» والجملة في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها.

الواو للعطف، و«تقولوا» منصوب، معطوف على «تذكروا» لا محلّ لها، و«سبحان» منصوب، مفعول مطلق لفعل محذوف، اضيف إلى «الّذي» وجملة: «نسبّح سبحان...» في موضع نصب، مقول القول، و«سخّر» فعل ماضٍ من باب التّفعيل، صلة الموصول لا محلّ لها، و«لنا» متعلّق بـ «سخّر» و«هذا» في موضع نصب، مفعول به، والواو حاليّة، و«ما» نافية، و«كنّا» فعل ماضٍ ناقص للتكلّم مع الغير مع إسمها، و«له» متعلّق بـ «مقرنين» جمع مقرن، إسم فاعل من باب الإفعال، خبر «كنّا» وجملة «ماكنّا...» في موضع نصب، حال من ضمير «لنا».

**١٤ - (وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون)**

في الواو وجهان: **أحدهما**- عاطفة، والجملة المؤكّدة التّالية في موضع نصب معطوفة على جملة مقول القول: «نسبّح سبحان...» **ثانيها** - حاليّة، والجملة في موضع نصب أيضاً، حال من ضميرتكلّم الجمع في «لنا» أو «كنّا» وعلى أيّ الوجهين «إنّا» حرف توكيد، مع إسمها، و«إلى ربّنا» متعلّق بـ «منقلبون» جمع منقلب، إسم فاعل من باب الإنفعال، واللام المزحلقة للتّوكيد.

**١٥ ـ (وجعلوا له من عباده جزءاً إنّ الإنسان لكفورٌ مبين)**

في الواو وجوه: **أحدها**ـ إستئنافيّة فـ«جعلوا» مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها**ـ حالية فالفعل في موضع نصب بتقدير «قد» مرتبطة مع قوله تعالى: «ولئن سئلتهم...» فهم ينقضون الإعتراف بوحدانيّة الله تعالى في الخلق بجعلهم بعض عباده جزءاً له. **ثالثها**ـ عاطفة، على أنّ الكلام متّصل بقوله تعالى: «ولئن سئلتهم...» أي وقد جعلوا له مع ذلك الإعتراف من عباده جزءاً فوصفوه بصفات المخلوقين.

**رابعها**ـ عاطفة و«جعلوا» معطوف على محذوف وهو جواب لسئوال مقدّر وهو: ماذا كان من أمر المشركين إزآء هذه النّعم الّتي بين أيديهم؟ هل سبحوا له وحمدوه حين انتفاعهم بتلك النّعم؟ وكأنّ الجواب: لا بل استقبلوا تلك النّعم بالشّرك وجعلوا له من عباده جزءاً فأشركوا به.

و«له» متعلّق بمحذوف، مفعول به ثان، وفي «عباده» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بـ«جعلوا» **ثانيها**ـ حال. و «جزءاً» مفعول به أوّل. و«إنّ» حرف توكيد، و«الإنسان» إسمها، واللام مزحلقة، و«كفور» خبرها، و«مبين» نعت لـ«كفور» أي مظهر لكفره والجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها.

**١٦ ـ (أم اتّخذ ممّا يخلق بنات وأصفاكم بالبنين)**

في «أم» وجوه: **أحدها**ـ منقطعة بمعنى «بل» **ثانيها**ـ بمعنى الهمزة للإنكار والتّوبيخ. **ثالثها**ـ بمعنى بل والهمزة وهي للإنكار. **رابعها**ـ متّصلة، معطوف على استفهام محذوف، المقصود منه الإنكار والتّوبيخ، تقديره: أتقولون... أم اتّخذ، و«اتّخذ» فعل ماضٍ من باب الإفتعال، بقلب الهمزة ـ فاعل الفعل ـ تآءً، وجملة «اتّخذ» في موضع نصب، مقول لقول مقدّر أي أم تقولون: اتّخذ الله؟ وفي «ممّا» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بـ«اتّخذ» في موضع نصب، مفعول ثان. **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، هو مفعول ثان لـ«اتّخذ» و«بنات» جمع بنت، مفعول به أوّل، وعلامة النصب هي الكسرة، و«يخلق» صلة الموصول لا محلّ لها، وفي الواو وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة، و«أصفى» فعل

ماضٍ من باب الإفعال، في موضع نصب، معطوف على «اتّخذ» داخل في حيّز مقول القول. **ثانيها**- حاليّة بتقدير «قد» و«كم» ضمير الجمع المذكّر المخاطب في موضع نصب، مفعول به، و«بالبنين» جمع الإبن متعلّق بـ «أصفاكم».

**١٧ - (وإذا بُشِّر أحدهم بما ضرب للرّحمٰن مثلاً ظلّ وجهُه مُسودّاً وهو كظيم)**

في الواو وجهان: **أحدهما**- إستئنافيّة. **ثانيها**- حاليّة والمعنى: وحال كونهم أنّه إذا بشّر أحدهم... و«إذا» ظرف للمستقبل، مجرّد من الشّرط، و«بشّر» فعل ماضٍ من باب التّفعيل، مبنيّ للمفعول في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها، و«أحدهم» نائب الفاعل، والجملة على وجه الأوّل مستأنفة لا محلّ لها، وعلى الثّاني في موضع نصب، على الحال، و«بما» متعلّق بـ «بشّر» و«ضرب» فعل ماضٍ صلة الموصول لا محلّ لها، و«للرّحمن» متعلّق بـ «ضرب» و«مثلاً» مفعول به ثان، عامله: «ضرب» لتضمينه معنى «جعل» والمفعول به الأوّل محذوف أي ضربه. ويجوز أن يكون «للرّحمٰن» متعلّقاً بمحذوف، وهو مفعول ثان، و«مثلاً» مفعول أوّل لـ «ضرب». وفي «ظلّ وجهه مسودّاً» وجوه: **أحدها**- «ظلّ» فعل ماضٍ ناقص، و«وجهه» إسمه، و«مسودّاً» إسم مفعول، خبره. **ثانيها**- أن يكون في «ظلّ» ضمير عائد على «أحدهم» وهو إسمه، و«وجهه» بدل من الضمير، و«مسودّاً» خبره. **ثالثها**- أن يكون رفع «وجهه» بالإبتداء، ويرفع «مسودّاً» على أنّه خبره، وفي «ظلّ» ضمير هو إسمه، والجملة: «وجهه مسودّاً» خبره.

وجملة «ظلّ وجهه مسودّاً» على أيّ وجه، جواب شرط غير جازم لا محلّ لها، والواو حاليّة، و«هو» مبتداء و«كظيم» خبره والجملة في موضع نصب، حال من إسم «ظلّ» أو من ضمير في «مسودّاً» أو من «أحدهم».

**١٨ - (أومن ينشّؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين)**

الهمزة للإستفهام الإنكاري، وفي الواو وجهان: **أحدهما**- إستئنافيّة. **ثانيها**-

عاطفة، عطفت الجملة على جملة مقدّرة أي يجترؤن ويبلّغون أبعد الآماد في سوء الأدب ويجعلون لله من ينشأ في الحلية أو معطوفة على قوله: «ام اتّخذ ممّا يخلق...» أي أم اتّخذ ممّن ينشّأ في الحلية. وفي «من» الموصولة وجوه: **أحدها**ـ في موضع نصب، مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أيجعلون من ينشّأ... ولداً. ونآئب الفاعل لفعل «ينشّأ» ضمير عائد على «من» وفي جملة «يجعلون من...» وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها**ـ معطوفة على جملة مقدّرة مستأنفة أي أيجترؤن ويجعلون من ينشّأ... وجملة «ينشّأ...» صلة الموصول لا محلّ لها.

**ثانيها**ـ في موضع نصب، على تقدير: اتّخذوا لله من ينشّأ في الحليّة. **ثالثها**ـ في موضع رفع، مبتداء، والخبر محذوف أي أو من ينشّأ... ولد وجزء أو على تقدير: أو من كان على هذه الحالة يستحقّ العبادة. **رابعها**ـ في موضع جرّ ردّاً إلى أوّل الكلام: «بما ضرب» أو على «ما» في «ممّا يخلق...»

و«ينشّأ» فعل مضارع من باب التّفعيل، مبنيّ للمفعول، و«في الحلية» متعلّق بـ«ينشّأ» والواو حاليّة، و«هو» مبتداء، و«في الخصام» متعلّق بـ«مبين» ويجوز أن يعمل المضاف إليه فيما قبله إذا كان المضاف كلمة «غير» لأنّ فيها معنى النّفي، فكأنّه قال: وهو لا يبين في الخصام، و«غير مبين» خبر «هو» وجملة «هو...» في موضع نصب، حال من ضمير في «ينشّأ» راجع إلى «مَن».

**١٩ـ (وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمٰن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون)**

في الواو وجهان: **أحدهما**ـ استئنافيّة فـ«جعلوا» مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها**ـ عاطفة، فالجملة معطوفة على الجملة المستأنفة المقدّرة في الآية السّابقة، و«الملائكة» مفعول به الأوّل، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، نعت لـ«الملائكة» و«هم» مبتداء و«عباد الرّحمٰن» خبره والجملة صلة الموصول لا محلّ لها، و«إناثاً» مفعول به ثان، وهذا من باب أنّ الموصوف خلاف ما وُصِفَ به، إذ صيّروهم إناثاً بالقول والتّسمية،

وليست لهذه الصّيرورة حقيقة. المعنى: تقوّلوا وسمّوا المْلائكة...

والهمزة للإستفهام الإبطالي، وهذه تقتضي أنّ ما بعدها غير واقع، وأنّ مدّعيه كاذب و«شهدوا» فعل ماض لجمع المذكّر الغآئب، و«خلقهم» مفعول به، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، والسّين حرف استقبال، و«تكتب» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، و«شهادتهم» نآئب الفاعل، والجملة مستأنفة بيانية لا محلّ لها، والواو عاطفة، و«يسئلون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب مبنيّ للمفعول، والجملة معطوفة على جملة «ستكتب» لا محلّ لها.

**٢٠ ـ (وقالوا لوشآء الرّحمٰن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون)**

الواو عاطفة، و«قالوا» معطوفة على «جعلوا» لا محلّ لها، و«لو» حرف شرط غير جازم و«شآء» فعل ماضٍ، و«الرّحمٰن» فاعل الفعل، والمفعول به محذوف لأنّ حذف المفعول بعد فعل المشيئة كثير. تقديره: لوشآء الرّحمٰن عدم عبادة الملائكة منّا ما عبدناهم. وجملة «شآء...» في موضع نصب، مقول القول، و«ما» في الموضعين نافية، و«عبدنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، والجملة جواب «لو» لا محلّ لها.

«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«بذلك» متعلّق بحال من «علم» مجرور لفظاً بـ«من» زائدة للتّاكيد، مرفوع محلاً، مبتداء مؤخّر، وجملة «مالهم...» مستأنفة لا محلّ لها، و«إن» حرف نفي، و«هم» مبتداء و«إلّا» أداة حصر، و«يخرصون» في موضع رفع، خبر «هم» وجملة «إن هم إلّا يخرصون» مستأنفة بيانيّة أو تعليلية لا محلّ لها.

**٢١ ـ (أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون)**

في «أم» وجهان: أحدهما ـ حرف عطف، معادل للإستفهام في قوله تعالى: «أشَهِدُوا خلقهم» فهي متّصلة. فالمعنى: أحضروا خلقهم أم آتيناهم كتاباً. ثانيها ـ

منـقطعة بمعنى بل وهمزة الإستفـهام الإنـكارى. فالمعنى: بل أعطيناهـم كتاباً...؟!
كأنّه بعد أن نفى حجّتهم العقليّة أضرب عن الكلام إلى نفي حجّتهم النقليّة. و«آتينا»
فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال، و«هم» في موضع نصب،
مفعول به الأوّل، و«كتاباً» مفعول ثانٍ، و«من قبله» متعلّق بمحذوف هو نعت
لـ «كتاباً» والضّمير في «قبله» عآئد إلى القرآن الكريم، أو متعلّق بـ «آتيناهم»
والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

الفآء عاطفة، و«هم» مبتداء و«به» متعلّق بـ «مستمسكون» جمع مستمسك
إسم فاعل من باب الإستفعال، خبر «هم» والجملة معطوفة على «آتيناهم» من
عطف الإسميّة على الفعليّة لا محلّ لها.

**٢٢ ـ (بل قالوا إنّا وجدنا آبآئنا على أُمّةٍ وإنّا على آثارهم مهتدون)**

«بل» هنا حرف عطف للإضراب الإنتقالي، و«قالوا» معطوف على «قالوا
لوشآء الرّحمٰن...» وقيل: «بل» حرف ابتداء و«قالوا» مستأنفة، وعلى أيّ تقدير
لامحلّ لها هنا، و«وجدنا» في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب،
مقول القول، و«آبآئنا» مفعول به، و«على امّة» متعلّق بحال من «آبآئنا» أو مفعول
ثانٍ لـ «وجدنا» وفي «على آثارهم» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بالخبر: «مهتدون» إسم
مفعول من باب الإفتعال، خبر «إنّ» **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، هو خبر أي ماشون،
و«مهتدون» خبر ثان والجملة المؤكّدة في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول.

**٢٣ ـ (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنّا وجدنا آبآئنا على امّة وإنّا على آثارهم مقتدون)**

الواو عاطفة، وفي «كذلك» وجهان: **أحدهما**: متعلّق بمحذوف، خبر لمبتداء مقدّر
أي الأمر كذلك بعجزهم عن الحجّة وتمسّكهم بالتقليد. والجملة معطوفة على «قالوا»
لا محلّ لها. **ثانيها**ـ نعت لمصدر محذوف. و«ما» نافية، و«أرسلنا» فعل ماضٍ للتكلّم

مع الغير تـعظيمـاً مـن باب الإفـتـعال، والجمـلـة مستـانـفة بيانـيّة لا محلّ لهـا، وفي «من قبلك» وجهـان: أحدهما- متعـلّق بحال من «نذيـر». ثانيها- متعلّـق بـ «أرسلنا» و«في قرية» متعلّق بـ أرسلنا، و«من نذير» متعلّق بـ «أرسلنا» مجرور لفظاً بـ «من» زائدة، منصوب محـلاً على أنّه مـفـعـول «أرسلـنـا» و«إلاّ» أداة حصر والإسـتـثـنـآء مـن أعمّ الأحوال، و«قال مترفوها» في موضع نصب، حال، والباقي ظاهر من الآية السّابقة.

**٢٤ ـ (قال أولو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آبآء كم قالوا إنّا بما ارسلتم به كافرون)**

«قال» فعل ماضٍ، فـاعله ضـمير مستتر فـيه عائـد على «نذيـر» والجملة مستـأنفة بيانيّـة لا محـلّ لها، والهمزة لـلإستفهام، والـواو حـاليّة. والتّـقـدير: أتقتدون بآبآئكم ولـوجئـتـكم ... «لو» حـرف شـرط غير جازم، و«جئـتكم» في مـوضع نصب، حال ومـقول القـول محذوف ... وجواب الشّـرط مـقدّر دلّ عليـه مقـول القول المحذوف وفي «بـأهدى» وجـهان: أحـدهمـا- متـعلّـق بـ «جـئـتـكم» ثـانيها- متعلّق بحـال من ضمير الخطاب في «جئتكم» و«ممّـا» متعلّق بـ «أهدى» و«ما» موصولة، و«وجدتم» صلة الموصول لا محلّ لها، وفي «عليـه» وجهان: أحدهما- متعـلّق بحال من «آبآئكم» ثانيها- متعلّق بـ «وجدتم» و«آبآء كم» مفعول به.

جلة «قالوا» مستأنـفة لا محلّ لها، و«إنّا» حرف توكيد مع إسمها، و«بما» متعلّق بـ «كافرون» و«ما» مـوصولة، و«ارسـلتم» فعـل ماضٍ لجـمع المذكّـر المخاطـب مبنيّ للمفـعـول من باب الإفعـال، صـلة الموصول لا محـلّ لهـا، و«به» متعـلّـق بـ «ارسلتم» و«كافرون» خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول.

**٢٥ ـ (فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين)**

الفاء عاطـفـة لربط المسبّب بـالسّبب، و«انتقـمـنا» فعل ماضٍ لـلتكلّم مع الغير تعظيماً من باب الإفـتعال، والجملة معطـوفة على «قالوا» لا محلّ لها، و«منهم» متعلّق بـ «انتـقـمنا» والفـاء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«انظر» فـعل أمر خطاب لرسول الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم وجملة «انظر» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن كذّبك قومك فانظر. و«كيف» إسم إستفهام في موضع نصب، خبر مقدّم لـ «كان» و«عاقبة» إسمه أُضيف إلى «المكذّبين» جمع المكذّب، إسم فاعل من باب التّفعيل، وجملة «كان عاقبة...» في موضع نصب، مفعول به لفعل النظر المعلّق عن العمل المباشر بالإستفهام، وذلك بتقدير الجارّ.

**٢٦ ـ (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنّني برآء ممّا تعبدون)**

الواو إستئنافية، و«إذ» إسم ظرفيّ في موضع نصب، مفعول فيه لفعل محذوف، متعلّق به، تقدير: اذكر أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وجملة «قال إبراهيم» في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليها، و«لأبيه» متعلق بـ «قال» و«قومه» معطوف على «أبيه» و«إنّني» حرف توكيد مع إسمها، و«برآء» مصدر في الأصل، وقع موقع الصّفة: «إسم فاعل» بمعنى «بريء» ولذلك يستوى فيه المذكّر والمؤنّث والواحد والإثنان والجمع، فيقال: نحن البراء منهم، وأنت براء منهم وأنتما براء منهم... و«براء» خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول، و«ممّا» متعلّق بـ «برآء» و«ما» موصولة، و«تعبدون» صلتها لا محلّ لها، والعائد محذوف.

**٢٧ ـ (إلّا الّذي فطرني فإنّه سيهدين)**

في الإستثناءِ: «إلّا» وجوه: **أحدها** ـ متّصل لأنّهم كانوا يشركون مع الله أصناماً. والمعنى: إنّي برى من كلّ معبود تعبدونه سوى الله تعالى **ثانيها** ـ منقطع لأنّهم كانوا يعبدون الأصنام وحدها. فالمعنى: لكن الّذي فطرني... **ثالثها** ـ أن تكون «إلّا» هنا صفة بمعنى «غير» على أن «ما» في «ممّا تعبدون» نكرة موصوفة، تقديره: إنّني برآء من آلهة تعبدونها غيرالّذي فطرني كقوله تعالى: «لوكان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» الأنبيآء: ٢٢)

وفي «الّذي» موصولة وجوه: **أحدها** ـ في موضع نصب على الإستثنآء. **ثانيها** ـ في

موضع جرّ، بدلاً من «ما» في «ممّا» أي إلّا من الّذي... **ثالثها**- في موضع جرّ، على أنّ «إلّا» بمعنى غير، أضيف إلى «الّذي» و«فطرني» الفعل ماضٍ، صلة الموصول لا محلّ لها، والنّون للوقاية، والياء للتكلّم في موضع نصب، مفعول به، والفآء تعليلية، و«إنّه» حرف توكيد وإسمها، والسّين هنا للتأكيد لا للإستقبال، أي يديم هدايتي، و«يهدى» فعل مضارع في موضع رفع، خبر «إنّ» والنّون للوقاية، وكسرها يدل على حذف ياء التكلّم لرعاية الفاصلة، في موضع نصب، مفعول به، والجملة المؤكّدة تعليليّة لا محلّ لها.

**٢٨ - (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون)**

في الواو وجهان: **أحدهما**- إستئنافيّة. **ثانيها**- عاطفة، و«جعل» فعل ماضٍ والفاعل، ضمير مستتر فيه، عآئد على الله تعالى، وضمير التأنيث في موضع نصب، مفعول به أوّل، راجع إلى كلمة التّوحيد المفهومة من كلام إبراهيم عليه السّلام المركب من الولاية والبرآءة، ومن التّولّي والتبرّى، و«كلمة» مفعول ثان و«باقية» صفة لـ «كلمة» و«في عقبه» متعلّق بـ «باقية» وجملة «جعلها...» على الوجه الأوّل مستأنفة لا محلّ لها، وعلى الثّاني معطوفة على «فطرني» و«يرجعون» في موضع رفع، خبر لـ «لعلّ» وجملة «لعلّهم...» مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها.

**٢٩ - (بل متّعت هؤلآء وآبآءهم حتّى جآءهم الحقّ ورسولٌ مبين)**

«بل» حرف عطف وإضراب انتقاليّ عن محذوف لا بدّ من تقديره ليتسلسل الكلام تقديره: وجعلها كلمة باقية في عقبه بأن وصّاهم بها رجآءً أن يثوب إليها المشركون فلم يحصل ماترجاه بل متّعت هؤلآء الّذين يمتّون بالنّسبة إلى إبراهيم عليه السّلام ولم اعاملهم بالعقوبة وأنسأت في آجالهم... و«متّعت» فعل ماضٍ للمفرد المذكّر المتكلّم من باب التّفعيل، والفاعل هو الله تعالى، والجملة معطوفة على المحذوفة وقيل: «بل» هنا حرف إبتداء والجملة مستأنفة لا محلّ لها. و«هؤلاء» مبنيّ على

الكسر في موضع نصب، مفعول به، وفي «آبآئهم» وجهان: **أحدهما**- عطف على «هؤلآءِ» **ثانيها**- مفعول معه.

«حتّى» حرف جرّ للغاية، و«جآء» فعل ماض، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«الحقّ» فاعل «جآء» والجملة صلة الموصول الحرفيّ: «أن» المضمر لا محلّ لها، والمصدر المؤوّل: «أن جاءهم...» في موضع جرّ بـ«حتّى» متعلّق بـ«متّعت» و«رسول» معطوف على «الحقّ» و«مبين» نعت لـ«رسول».

**٣٠ـ (ولمّا جآءهم الحقّ قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون)**

الواو عاطفة، و«لمّا» حرف وجود لوجود أي رابطة بين الجملتين أو ظرف بمعنى حين متضمّن معنى الشّرط، وجملة «جآءهم الحقّ» شرطيّة في موضع جرّ لإضافة «لمّا» إليها، و«قالوا» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها، وجملة الشّرط وفعله وجوابه معطوفة على ما قبلها، وقيل: مستأنفة لا محلّ لها، و«هذا» مبتداء و«سحر» خبره والجملة في موضع نصب، مقول القول، والواو عاطفة، وجملة «إنّا به كافرون» في موضع نصب، معطوفة على جملة «هذا سحر»

**٣١ـ (وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)**

الواو عاطفة، و«قالوا» معطوفة على «قالوا» السّابقة، و«لولا» حرف تحضيض وأداة طلب مثل «هلاّ» و«نزّل» فعل ماضٍ مبنيّ للمفعول من باب التّفعيل، و«هذا» في موضع رفع، ناب مناب الفاعل، وفي «القرآن» وجهان: **أحدهما**- بدل من «هذا» **ثانيها**- عطف بيان على «هذا» و«على رجل» متعلّق بـ«نزّل» و«من القريتين» متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ«رجل» على حذف مضاف إيجازاً أي رجل عظيم من إحدى القريتين، أو على رجل عظيم من رجلين عظيمين من القريتين، «عظيم» نعت ثانٍ لـ«رجل» وجملة «نزّل...» في موضع نصب، مقول القول.

**٣٢ ـ ﴿أهُم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون﴾**

الهمزة للإستفهام الإنكاري التعجّبي تجهيلاً لهم وإستركاكاً لعقولهم وأفكارهم، و«هم» مبتداء و«يقسمون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب في موضع رفع، خبر «هم» والجملة: «هم يقسمون» مستأنفة لا محلّ لها، و«رحمة ربّك» مفعول به، و«نحن» مبتداء و«قسمنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً، خبر «هم» والجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«بينهم» ظرف منصوب، متعلق بـ «قسمنا» و«معيشتهم» مفعول به، وفي «في الحياة الدّنيا» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بـ «قسمنا» **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، حال.

الواو عاطفة، و«رفعنا» في موضع رفع، عطف تفسير على «قسمنا» و«بعضهم» مفعول به لـ «رفعنا» و«فوق» ظرف منصوب متعلّق بـ «رفعنا» أضيف إلى «بعض» وتنوين «بعض» عوض عن مضاف إليه المعلوم المقدر أي فوق بعضهم وفي «درجات» وجوه: **أحدها**ـ مفعول مطلق نائب عن المصدر ـ وصف للمصدر ـ أي رفعاً متفاوتاً. **ثانيها** ـ حال بحذف المضاف أي ذوي درجات. **ثالثها** ـ تمييز. وفي اللام وجوه: **أحدها**ـ للتّعليل. **ثانيها**ـ للعاقبة. **ثالثها**ـ للصّيرورة. و«يتّخذ» فعل مضارع من باب الإفتعال، منصوب بـ «أن» مضمرة بعد اللام، و«بعضهم» فاعل «يتّخذ» و«بعضاً» مفعول به الأوّل و«سخرياً» مفعول ثان، والياء للنّسبة، وجملة «يتّخذ بعضهم...» صلة الموصول الحرفي: «أن» المضمرة، والمصدر المؤوّل: «أن يتّخذ» في موضع جرّ باللام متعلّق بـ «رفعنا».

وفي الواو وجوه: **أحدها**ـ عاطفة. **ثانيها**ـ حالية. **ثالثها**ـ استئنافيّة، و«رحمة ربّك» مبتداء و«خير» خبره، والجملة على الوجه الثّالث مستأنفة لا محلّ لها، و«ممّا» متعلّق بـ «خير»، وفي «ما» وجهان: **أحدهما** ـ موصولة، و«يجمعون» صلتها لا محلّ لها والعائد محذوف أي يجمعونه. **ثانيها** ـ حرف مصدريّ فلاحذف.

**٣٣ ـ (ولولا أن يكون النّاس أُمّةً واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرّحمٰن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون)**

الواو إستئنافيّة، و«لولا» حرف إمتناع الثّاني لوجود الأوّل، شرط غير جازم، وما بعدها في تأويل مصدر محذوف الخبر، و«أن» حرف ناصبة مصدريّة، والمصدر المؤوّل: «أن يكون» في موضع رفع، مبتداء بحذف مضاف وحذف الخبر، أي لولا كراهيّة كون النّاس امّة واحدة على الكفر حاصلة أي أن يجتمعوا على الكفر... أو لولا رغبة النّاس كلّهم عن الكفر حاصلة... فـ «النّاس» إسم «يكون» و«امّة» خبرها، و«واحدة» نعت لـ «امّة» وجملة «يكون النّاس...» صلة الموصول الحرفي: «أن» المضمرة وجملة «لولا أن يكون...» الإسميّة مستأنفة لا محلّ لها.

اللام رابطة لجواب الشّرط: «لولا» و«جعلنا» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها، و«لمن» متعلّق بمحذوف، مفعول به ثان لـ «جعلنا» و«من» موصولة، و«يكفر» صلتها لا محلّ لها، و«بالرّحمٰن» متعلّق بـ «يكفر» و«لبيوتهم» جمع البيت، بدل من الموصول:«مَن» باعادة الجار، وهو بدل إشتمال اى ولبيوت من كفر، وأظهر العامل في البدل كما أظهره في المبدل منه تنبيهاً على أنّه في تقدير التّكرير، وأنّ العامل في البدل غير العامل في المبدل منه. ويحتمل أن يكون اللام تأكيداً للام في «لمن» وأن تكون بمعنى «على» أي لجعلنا لمن يكفر بالرّحمٰن على بيوتهم سقفاً كما تقول: جعلنا لك لقومك العطاء أي جعلته لأجلك. وأن تكون للغرض.

«سُقُفاً» جمع سَقْف، مفعول أوّل لـ «جعلنا» و«من فضّة» نعت لـ «سقفاً» و«معارج» منصوب ومنع من التّنوين لأنّه جمع معرج على صيغة منتهى الجموع معطوف على «سقفاً». وقيل على تقدير: ومعارج من فضّة. و«عليها» متعلّق بـ «يظهرون» والجملة في موضع نصب، نعت لـ «معارج».

**٣٤ ـ (ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكؤن)**

الواو عاطفة، و«لبيوتهم» معطوفة على «لبيوتهم» السّابقة، تكرر لفظ البيوت

لزيادة التّقرير. ويجوز لك أن تقدّر مقدّراً لتنصب «أبواباً وسرراً» فيكون من عطف الجمل. و«أبواباً» جمع باب، على تقدير: أبواباً من فضّة، و«سرراً» جمع سرير على تقدير: سرراً من فضّة. حذفت لدلالة الكلام عليها، وفي «سرراً» وجهان: **أحدهما**- معطوف على «أبواباً» **ثانيها**- مفعول به لفعل محذوف تقديره: جعلنا... و«يتّكؤن» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الإفتعال، وفي موضع «يتّكؤن» وجهان: **أحدهما**- معطوفة على «يظهرون» في موضع نصب، نعت لـ «سرراً» **ثانيها**- عطف على «لجعلنا» فلا محلّ لها.

**٣٥- (وزخرفاً وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدّنيا والآخرة عند ربّك للمتقين)**

الواو عاطفة، وفي «زخرفاً» وجوه: **أحدها**- مفعول به لفعل محذوف، تقديره: جعلنا لهم زخرفاً... والجملة معطوفة على جملة جواب الشّرط لا محلّ لها. **ثانيها**- منصوب على نزع الخافض معطوفاً على «من فضّة» أي من فضّة، ومن زخرف أي من ذهب.

**ثالثها**- معطوف على «سرراً» **رابعها**- معطوف على موضع «من فضّة» فـ «زخرفاً» محمول على موضع «من فضّة» والواو إستئنافيّة، و«إن» حرف نفي، و«كلّ ذلك» مبتداء و«لمّا» للحصر بمعنى «إلّا» وقرئ «لما» بالتّخفيف بأن «إنّ» مخفّفة من الثّقيلة مهملة، واللام للفارقة بين «إن» المخفّفة والنّافية ومازائدة، وقُرئ بكسر اللام على أنّ «ما» بمعنى الّذي، والعائد من الصّلة محذوف تقديره: للّذي هو متاع الحياة الدّنيا. و«متاع الحياة» خبر «كلّ» و«الدّنيا» نعت لـ «الحياة» وجملة «إن كلّ...» مستأنفة لا محلّ لها.

في الواو وجهان: **أحدهما**- عاطفة. **ثانيها**- حاليّة، و«الآخرة» مبتداء، و«عند» ظرف منصوب، أضيف إلى «ربّك» متعلّق بـ «المتّقين» وقيل: متعلّق بمحذوف، حال، و«للمتّقين» متعلّق بمحذوف، هو خبر «الآخرة» وجملة «الآخرة...» معطوفة على جملة «إن كلّ ذلك...» لا محلّ لها على الوجه الأوّل، وفي موضع نصب، على الوجه الثّاني.

**٣٦ - (ومن يعش عن ذكر الرّحمٰن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين)**

الواو إستئنافيّة، و«من» إسم شرط جازم في موضع رفع، مبتداء و«يعش» فعل مضارع فيه إعلال بحذف لام الفعل لمناسبة الجزم، في موضع رفع، خبر «من» ويجوز أن يكون الخبر جملتي الشّرط والجواب معاً، و«عن ذكر» متعلّق بـ «يعش» أُضيف إلى «الرّحمٰن» وفي الإضافة وجهان: **أحدهما**ـ إن الذّكر مصدر أُضيف إلى المفعول، والمعنى: من يعش عن أن يذكر الرّحمٰن. **ثانيها**ـ مصدر أُضيف إلى الفاعل، والمعنى: عن تذكير الرّحمٰن عباده.

«نقيّض» فعل مضارع للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب التّفعيل، مجزوم، غير مقترنة بالفآء، جواب الشّرط لا محلّ لها، و«له» متعلّق بـ «نقيّض» و«شيطاناً» مفعول به، وجملة «من يعش...» مستأنفة لا محلّ لها، والفآء عاطفة، و«هو» مبتداء، وفي «له» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بمحذوف، هو حال لأنّه كان في الأصل صفة لـ «قرين» وتقدّمت عليه. **ثانيها**ـ متعلّق بـ «قرين» وهو خبر المبتداء، وجملة «هو له قرين» في موضع نصب، معطوفة على مقدّر هو نعت لـ «شيطاناً» أي شيطاناً يفتنه فهو له قرين.

**٣٧ - (وإنّهم ليصدّونهم عن السّبيل ويحسبون أنّهم مهتدون)**

الواو عاطفة، و«إنّهم» حرف توكيد وإسمها، واللام المزحلقة للتّوكيد، و«يصدّون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب في موضع رفع، خبر «إنّ» و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«عن السّبيل» متعلق بـ «يصدّونهم» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، معطوفة على جملة «هو له قرين» وفي الواو وجهان: **أحدهما**ـ حاليّة، و«يحسبون» في موضع نصب، حال من ضمير الجمع المفعول في «يصدّونهم» **ثانيها**ـ عاطفة والجملة معطوفة على «يصدّونهم» في موضع رفع. والمصدر المؤوّل: «أنّهم مهتدون» في موضع نصب، سدّ مسدّ مفعولى «يحسبون» وضمير الجمع فيه عائد على العاشين في قوله: «من يعش» على الوجه الأوّل، وذكر بلفظ الجمع لأنّ «من» في

معنى الجمع، وراجع إلى الصّادّين على الوجه الثّاني.

**٣٨ ـ (حتّى إذا جآئنا قال ياليت بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين)**

«حتّى» حرف إبتداء للغاية، و«إذا» ظرف للمستقبل، مجرّد من الشّرط، و«جآء» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى العاشي، و«نا» ضمير التّكلم مع الغير في موضع نصب، مفعول به، وجملة «جآئنا» في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها و«قال» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها، وفي «يا» وجهان: **أحدهما**ـ حرف ندآءٍ **ثانيها**ـ حرف تنبيه، والمنادىٰ محذوف ظاهر التّقدير: أي يا مُغوي أو يا صادّ، و«ليت» حرف تمنّ ونصب، «بيني» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، خبر «ليت» و«بينك» ظرف منصوب، معطوف على «بيني» بعد إسم «ليت» منصوب، و«بُعدَ» إسم «ليت» اُضيف إلى «المشرقين» وجملة «ليت...» في موضع نصب، مقول القول.

في الفآءِ وجهان: **أحدهما**ـ فصيحة. **ثانيها**ـ رابطة لجواب شرط مقدّر، و«بئس» من أفعال الذّمّ، و«القرين» فاعل «بئس» والمخصوص بالذّمّ محذوف تقديره: أنت، وجملة «بئس القرين...» في موضع جزم جواب شرط مقدّر أي إن كنت إتّخذتك قريناً فبئس القرين أنت لي.

**٣٩ ـ (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون)**

في الواو وجهان: **أحدهما**ـ الواو إستئنافيّة، والجملة التّالية مستأنفة لا محلّ لها **ثانيها**ـ عاطفة، فالجملة معطوفة على ما قبلها من وصف حالهم. و«لن» حرف ناصب لنفي الأبد، و«ينفع» منصوب بـ «لن»، وضمير الخطاب للجمع: «كم» في موضع نصب، مفعول به، و«اليوم» ظرف زمان، منصوب متعلّق بـ «ينفعكم» و«اليوم» إمّا ظرف للنفع المنفيّ، وإمّا لما في «لن» من معنى النّفي أي انتفى في هذا اليوم النّفع، فالمنفيّ نفع مطلق، وعلى الأوّل نفع مقيّد باليوم. وفي فاعل «ينفعكم» وجوه: **أحدها**ـ

إنّ المصدر المؤوّل: «أنكم في العذاب مشتركون» في موضع رفع، فاعل «ينفعكم» أي لن ينفعكم اشتراككم في العذاب بالتّأسّي. أو لن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب اذ تبيّن ظلمكم ووضح لكلّ أحد.

**ثانيها**- أن يكون الفاعل ظلمكم أو جحدكم، وقد دلّ عليه «ظلمتم» ويكون الفاعل المحذوف من اللفظ هو العامل في «إذ» لا ضمير الفاعل. **ثالثها**- أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً يعود على التّمنّي المفهوم من السّياق في قوله: «ليت بيني...» فالمصدر المؤوّل حينئذ في موضع جرّ بلام مقدّرة، متعلّق بـ«ينفعكم» أي لن ينفعكم التّمنّي لأنكم في العذاب مشتركون. **رابعها**- أن يكون «اليوم» هو الفاعل. وفي «إذ» وجوه: **أحدها**- ظرف للزّمن الماضي، متعلّق بـ«ينفعكم» على تقدير: إذ تبيّن ظلمكم. **ثانيها**- بدل من «اليوم» نظراً إلى أنّ الدّنيا والآخرة متّصلتان، وهما في حكم الله تعالى وعلمه سوآء فكأنّ «إذ» مستقبلة وكأنّ اليوم ماضٍ. **ثالثها**- إنّ «إذ» حرف بمنزلة لام العلّة. **رابعها**- ظرف، ولكن التّعليل مستفاد من قوّة الكلام لا من اللفظ.

**خامسها**- على تقدير بعد إذ ظلمتم، و«أنكم في العذاب...» تعليل، وهذا بنآء على أنّ فاعل «ينفعكم» ضمير مستتر راجع إلى قولهم: «ياليت بيني...» أو إلى «القرين» **سادسها**- إنّ «إذ» بمعنى «أن» أي لأن ظلمتم. وعلى أيّ تقدير، أنّ «ظلمتم» في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليها. و«في العذاب» متعلّق بـ«مشتركون» جمع مشترك إسم فاعل من باب الإفتعال، خبر «أنّ».

**٤٠ - (أفأنت تسمع الصّمّ أو تهدى العمى ومن كان في ضلال مبين)**

الهمزة للإستفهام الإنكارى التّعجّبي، وفي الفآء وجهان: **أحدهما**- عاطفة على محذوف مقدّر. **ثانيها**- إستئنافية، و«أنت» ضمير منفصل في موضع رفع، مبتداء، و«تسمع» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب من باب الإفعال في موضع رفع، خبر «أنت» والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«الصّمّ» مفعول به، و«أو» عاطفة، و«تهدى» في موضع رفع، معطوف على «تسمع» و«العمى» مفعول به، و«من»

موصولة، في موضـع نصب، معطوف على «العـمى» بإعتبار تغاير الوصفين، و«كان» فعل نـاقص، إسمه مستتر فـيه، راجع إلى «مـن» و«في ضلال» متعلق بمحذوف، هو خبر «كان» و«مبين» نعت لـ «ضلال» وجملة «كان...» صلة الموصول لا محلّ لها.

**٤١ ـ (فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون)**

في الفاءِ وجهان: **أحدهما** ـ عـاطفة. **ثانيها** ـ إستئنـافيّة، و«إنّ» حرف شرط جازم، و«ما» زائدة للتـأكيد فـ «ما» بمنزلة لام القسم، لأنّها لمّا دخلت على حرف الشّرط: «إن» أشبه القسم في التّأكيد والإيذان بطلب التّصديق، فدخلت نون التأكيد لذلك لأنّ النّون تلزم في جواب القسم ولا تلزم في الجزاءِ لأنّه مشبّه به، وادغمت نون «إن» في «ما» و«نذهبنّ» فعل مضـارع للتكلّم مع الـغير تعظيماً، مؤكّد بـنون الثّقيلة، مبنيّ على الفتح لاتّصالـه بنون الثّقيلة، و«نذهبنّ» في موضع جزم، فعل الشّرط، وجملة «إمّا نذهبنّ...» مستـأنفة لا محلّ لها على الـوجه الثّاني و«بك» متعلّق بـ «نذهبنّ» والفاء رابطة لجواب الشّرط، و«منهم» مـتعلّق بـ «منـتقمون» جمع منتقم إسم فاعل من باب الإفتعال، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع جزم، جواب الشّرط.

**٤٢ ـ (أو نرينّك الّذي وعدناهم فانّا عليهم مقتدرون)**

«أو» حـرف عطـف، و«نريّنـك» مـثـل «نذهبـنّ» وضـمير الخطـاب المتّصل في مـوضع نصـب، مـفـعـول بـه أوّل، وفي «نـريّنـك» وجـهـان: **أحـدهما** ـ مـعطوف على «نذهبنّ» لا محلّ لها. **ثانيها** ـ فعل شرط لحرف شرط مقدّر أي أو إن نريّنك ... وقيل: أي أو إن أردنـا أن نـريـك ... و«الّـذي» مـوصـولـة في مـوضـع نصـب، مـفـعول بـه ثـان، و«وعدنـاهـم» صلـة المـوصـول لامحلّ لهـا. وجمـلـة «إنّا عليهم مـقـتـدرون» مـثـل «إنّا منهم مـنـتـقـمـون» في موضع جـزم، جواب الشّرط، مقـتـرنـة بـالـفـآءِ، معطوفة على الجواب السّـابـق بـ«أو» أو جـواب الشّرط المقدّر.

**٤٣ ـ (فاستمسك بالّذي أوحي اليك إنّك على صراط مستقيم)**

في الفآءِ وجوه: **أحدها**ـ رابطة لجواب شرط مقدر، و«استمسك» فعل أمر من باب الإستفعال في موضع جزم، جواب الشّرط المقدّر أي إن جآءك الوحي فاستمسك به. **ثانيها**ـ فصيحة أي إن علمت هذا وتأكّدت منه فإستمسك. **ثالثها**ـ تفريع لجميع ما تقدّم من أنّ إنزال الذّكر من طريق الوحي والنّبوّة من سننه تعالى، وأنّ كتابه النّازل عليه حقّ، وهو رسول مبين لا يستجيب دعوته إلّا المتّقون، ولا يعرض عنه إلّا قرنآء الشّياطين، ولا مطمع في إيمانهم، وسينتقم الله منهم، فأكّد عليه الأمر بعد ذلك كلّه أن يجدّ في التّمسّك بالكتاب الّذي اوحي إليه لأنّه على صراط مستقيم.

«بالّذي» متعلّق بـ «استمسك» و«اوحى» فعل ماضٍ من باب الإفعال، مبنيّ للمفعول، صلة الموصول لا محلّ لها، ونآئب الفاعل ضمير مستتر فيه راجع إلى الموصول، و«إليك» متعلّق بـ «اوحى» و«إنّك» حرف توكيد وإسمها، و«على صراط» متعلّق بمحذوف، خبر «إنّ» و«مستقيم» نعت لـ «صراط» والجملة المؤكّدة تعليليّة لا محلّ لها.

**٤٤ ـ (وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون)**

الواو عاطفة، واللام المزحلقة للتّوكيد، و«ذكر» خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة معطوفة على التّعليليّة السّابقة لا محلّ لها، و«لك» متعلّق بـ «ذكر» وكذلك «لقومك» واللام للإختصاص بمعنى توجّه ما فيه من التّكاليف إليهم، ويجوز أن يكون متعلّقاً بمحذوف، هو نعت لـ «ذكر» وفي الواو وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة. **ثانيها**ـ إعتراضيّة، و«سوف» للإستقبال، و«تسئلون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول، والجملة إعتراضيّة لا محلّ لها.

**٤٥ ـ (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمٰن آلهة يعبدون)**

الواو عاطفة، و«اسئل» فعل أمر، خطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في

موضع جزم، معطوف على «استمسك» و«من» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«أرسلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً، صلة الموصول لا محلّ لها، و«من قبلك» متعلّق بـ«أرسلنا» وفي «من رسلنا» وجهان: **أحدهما**ـ تميز للموصول. **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، هو حال من العآئد المقدّر. وفي «واسئل... من رسلنا» وجوه: **أحدها**ـ على حذف المضاف، تقديره: واسئل يا محمّد امم من أرسلنا... **ثانيها**ـ إنّ المحذوف صلة تقديره: واسئل من أرسلنا إليهم من قبلك رسولاً من رسلنا. **ثالثها**ـ على تقدير: واسئل جبرائيل عمّن أرسلنا. **رابعها**ـ إنّ «من» مبتداء والإستفهاميّة خبره والعآئد محذوف أي على ألسنتهم.

والهمزة للإستفهام الإنكاري، و«جعلنا» مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«من دون» متعلّق بمحذوف، مفعول به ثان لـ«جعلنا» أُضيف إلى «الرّحمن» و«آلهة» مفعول أوّل و«يعبدون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ للمفعول، في موضع نصب، نعت لـ«آلهة». وقيل: إنّ جملة «أجعلنا...» سدّت مسدّ مفعولي «اسئل» المعلّقة عن العمل بالإستفهام.

**٤٦ ـ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائهِ فقال إنّي رسول ربّ العالمين)**

الواو إستئنافية، واللام للقسم المقدّر، و«قد» حرف تحقيق، و«أرسلنا» فعل ماضٍ، و«موسى» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «أرسلنا...» جواب القسم المقدّر لا محلّ لها، وجملة القسم المقدّر: «اقسم بعزّتي وعظمتي وجلالي...» مستأنفة لا محلّ لها، و«بآياتنا» جمع الآية متعلّق بمحذوف، حال من «موسى» وفي البآء وجهان: **أحدهما**ـ للمصاحبة. **ثانيها**ـ للملابسة. و«إلى فرعون» متعلّق بـ«أرسلنا» و«ملائه» عطف على «فرعون» والفآء عاطفة، و«قال» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «موسى» والجملة معطوفة على جواب القسم لا محلّ لها، و«إنّي» حرف توكيد وإسمها، و«رسول» أُضيف إلى «ربّ» أُضيف إلى «العالمين» جمع العالَم، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول.

**٤٧ ـ (فلمّا جآءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون)**

الفآء عـاطفة على مقدّر أي فطلبـوا منه الآيات الدّالّـة على صدقه، و«لمّا» ظرف بمعنى «حين» متضمّن مـعنى الشّرط، مـتعلّق بمضمون الجواب وقـيل: رابطة، و«جآء» فـعل ماضٍ، فـاعله ضـمير مستتر فيه، راجـع إلى «موسى» و«هـم» في موضع نصب، مفعـول به، وجمـلة «جآءهم» في مـوضع جـرّ لإضافة «لمّا» إليهـا، و«بآياتنا» متـعلّق بحال من فاعل «جآء» و«إذا» فجائية وقيل: ظرف معمول لفعل المفاجأة وهو جواب «لمّا» كـأنّه قيـل: فـلمّا جآءهـم بآياتنا فـاجئوا وقـت ضحكهـم إستهزاءً وسخـرية، و«هم» مبـتدأ، و«منها» مـتـعلّق بـ «يضـحكون» في مـوضـع رفع، خبر «هم» وجملة «هم ...» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها.

**٤٨ ـ (ومانريهم من آية إلّا هي أكبر من اختها وأخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجعون)**

في الواو وجهان: أحدهما ـ حالية والجملة التّالية في موضع نصب، حال من ضمير «منها» والمعنى:فلمّا أتاهم بالمعجزات إذا هم منها يضحكون، والحال أنّ كلاً منها تامّة كاملة في إعجازها ودلالتهـا من دون نقص ولا قصـور. ثانيها ـ عاطفـة، و«ما» نافـية، و«نرى» فعل مضارع لـلتكلّم مع الغير تعظيمـاً من باب الإفعال، و«هـم» في موضع نصب، مـفعول به أوّل، و«من آيـة» مجرور لـفظاً، منصوب محلاً، مـفعول ثانٍ والرّؤية بصـريّة، و«إلّا» أداة حصـر، وجملـة «مانـريهم...» معطوفة على جملة جـواب القسم المقدّر لا محلّ لها، ويجـوز أن تكون الجملـة إعتراضيّة بين متعاطفين... جملة أخذناهم على الجملة الإستئنافية.

«هي» مبتداء و«أكبر» إسم تفضيل، خبرها، والجملة في موضع نصب، حال من «آية» ويجوز أن تكون صفة لـ «آية» و«من أختها» متعلّق بـ «أكبر» على حذف الصّفة أي اختها السّابقة، وجملة «أخذناهم» مـعطوفة عـلى إستئناف مـقدّر أي فـانتقمنا مـنهم، وأخذناهم، و«بالعذاب» متعلق بحال من ضمير الغائب فى «أخذناهم» و«يرجعون» في موضع رفع، خبر «لعلّ» وجملة «لعلّهم...» مستأنفة بيانيّة لامحلّ لها.

**٤٩ ـ (وقالوا يا أيّها السّاحر ادع لنا ربّك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون)**

في الواو وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة. **ثانيها**ـ إستئنافية، و«قالوا» مستأنفة لا محلّ لها، و«يـا» حرف نـدآءٍ، و«أيّ» إسـم وُصلة إلى نـدآءِ مـا فيـه أل، والهآء للـتّـنبيه، و«السّاحر» بدل من «أيّ» أو نعت لهـا، و«ادع» فعل أمر مبنيّ على حذف حرف العلّة و«لنا» متعلّق بـ «ادع» و«ربّك» مفعول به، وجملة «ادع ...» جواب النداء لا محلّ لها، وجملة النّدآء وجوابه في موضع نصب، مقول القول، و«بما» الباء سببيّة متعلّق بـ «ادع» وفي «ما» وجهـان: **أحدهما**ـ موصولة، و«عهد» صلتها لا محلّ لها،والعآئد محذوف دالّ على الدّعآءِ. **ثانيها**ـ حرف مصدريّ، و«عـهـد» صلتها، والمصدر المؤوّل مجرور بالبآءِ أي بعهدك عندك من أنّ دعوتك مستجابة.

و«عندك» ظرف منصوب، متعلّق بـ «عهد» و«إنّنا» حرف توكيد وإسمها، واللام المزحلقة للتّوكيد، و«مهتدون» خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها. وفي الكلام حذف. أي ادع لنا ربّك بكشف العذاب عنّا... وكأنّ موسى عليه السّلام يسئلهم: ما موقفكم حينئذ؟ فالجواب: إنّنا عندئذ لمهتدون.

**٥٠ ـ (فلمّا كشفنا عنهم العذاب إذاهم ينكثون)**

الفاء عاطفة على محذوف أي فدعا موسى عليه السّلام ربّه فلمّا كشفنا... والباقي ظاهر من إعراب الآية: (٤٧) من هذا السّورة فراجع.

**٥١ ـ (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون)**

في الواو وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة. **ثانيها**ـ استئنافيّة، و«نادى» فعل ماضٍ من باب المفاعلة، و«فرعون» فاعله، و«في قومه» متعلّق بـ «نادى» وجملة «نادى فرعون...» معطوفة على ما قبلها على الوجه الأوّل، ومستأنفة لا محلّ لها على الوجه الثّاني، وجملة «قال» مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«يا» حرف ندآءٍ، و«قومِ» منادي

مضاف، منصوب، للإضافة، وعلامة النّصب هي الفتحة المقدّرة على ماقبل يآء التكلّم المحذوفة للتّخفيف، وجملة النّدآء وجوابه... في موضع نصب، مقول القول.

الهمزة الاولى للإستفهام التّقريريّ، و«ليس» فعل ماضٍ ناقص جامد، من أفعال النّاقصة، و«لي» متعلّق بمحذوف، هوخبر «ليس» و«ملك» أُضيف إلى «مصر» إسم «ليس» وجملة «أليس لي...» جواب النّدآءِ لا محلّ لها. وفي الواو وجهان: **أحدهما**- حاليّة، و«هذه» إسم إشارة مبتداء، وفي «الأنهار» جمع النّهر وجهان: **الأوّل**: بدل من «هذه» **الثّاني**: عطف بيان على «هذه» ويجوز أن تكون صفة لـ «هذه» و«تجري» في موضع رفع، خبر «هذه» والجملة: «هذه...» في موضع نصب، حال. **ثانيها**- عاطفة، تعطف إسم الإشارة: «هذه» على «ملك...» وجملة «تجري» حال من «الأنهار» و«من تحتي» متعلّق بمحذوف، هوحال من فاعل «تجري» بحذف مضاف أي من تحت قصري.

الهمزة الثّانية للإستفهام التّوبيخي، والفآء عاطفة، و«لا» نافية، و«تبصرون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفعال، وجملة «لا تبصرون» معطوفة على إستئناف مقدّر لا محلّ لها، تقديره: أغفلتم عن هذا فلاتبصرون!

**٥٢ - (أم أنا خيرمن هذا الّذي هومهين ولا يكاد يبين)**

في «أم» وجوه: **أحدها**- حرف عطف منقطعة مقدّرة لتقرير كلامه السّابق، بمعنى «بل» الّتي للإضراب الانتقالي. فالمعنى: بل أنا خيرمن موسى لأنّه كذا وكذا، فهي منقطعة لفظاً، متّصلة معنًى. **ثانيها**- منقطعة على معنى: بل أناخير. والهمزة للتّقرير، والمعنى: أثبت عندكم واستقرّ لامرآء أنّي أنا خيرمع أنّي على هذه الحالة من هذه الّذي هو مهين. **ثالثها**- متّصلة وأحد طرفي الترديد محذوف مع همزة الإستفهام، والتّقدير: أهذا خير أم أنا خير.. فتعطف جملة «أنا خير» على جملة «لاتبصرون» على أنّ جملة «أنا خير» بمعنى «تبصرون» ومعنى «أفلا تبصرون»: أم تبصرون إلّا أنّه وضع قوله: أنا خير منه موضع تبصرون لأنّهم إذا قالوا له: أنت خير كانوا عنده بصرآء وهذا من

إنزال السّبب منـزلة المسبّب أو بالعكس لأنّ الإبصار سبب لهذا القول بزعمه. **رابعها**- «أم» زائـدة. فالتّقدير: أفـلا تـبصرون أنا خير.. **خامسها**- إنّ التّـقدير: أفلا تبصرون أنّي خير أم أبصرتم؟ أو التّقديـر: أفـلا تبصرون أم تـبصرون؟ ثمّ استـأنف فقـال: أنا خير. **سادسها**- حرف عطف تعطف تاليها على قوله: «أليس لي ملك مصر...»

«أنـا» مبتـداء، و«خير» خبره والجـمل مستأنـفة لا محلّ لهـا على بعض الوجوه، و «مـن هذا» مـتعـلّـق بـ «خير» و«الّـذي» مـوصولـة في موضـع جرّ، بـدل مـن «هذا» و«هو» مبـتداء و«مهين» خبـره، والجملـة صلة الموصـول لا محلّ لها. وفي الـواو وجوه: **أحدها**- عاطفة. **ثـانيهـا**- إستئنافيّـة فـالجملة لا محلّ لها. **ثـالـثها**- حاليّة. و«لا» نافـية، و«يكاد» فعل مضـارع من أفعال المقاربة، فاعله ضمير مستتر فيه، هو إسمه، و«يبين» فعل مضارع من باب الإفعـال، في موضع نصب، خبر لـ «يكاد» وجملة «لا يكاد...» معطوفة على جملة الصّلة لا محلّ لها على الوجه الأوّل.

**٥٣ - (فلولا أُلقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين)**

في الـفاءِ وجـهان: **أحـدهما**- عـاطـفة. **ثـانيهما**- رابطة لجـواب شرط مـقدّر: إن كان صـادقـاً... فلولا... و«لولا» حرف تحضـيض بمعنى «هلاّ» و«ألقى» فعل ماضٍ من باب الإفعال، مبـنيّ للمفعول، و«عليه» متعلّق بـ «ألقى» و«أسورة» جمع سوار، ناب مناب الفاعل، وجملة «ألقى...» في موضع جزم، جواب الشّرط المقدّر، و«من ذهب» متعلّق بمحذوف، هـو نعت لـ «أسورة» و«أو» عاطفة، و«جآء» مـعطوفة على «ألقى» وفي «معه» وجهان: **أحدهما**- ظرف منصوب، متعلّق بـ «جآء» **ثانيها**- متعلّق بمحذوف هـو حال من «الملائكة» فـاعـل «جآء» و«مقترنين» جمع مقـترن إسم فاعل من باب الإفتعال، منصوب، حال من «الملائكة» أي متقارنين متتابعين يشهدون بصدقه.

**٥٤ - (فاستخفّ قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين)**

الفآء عاطفة، و«استخفّ» فعل مـاضٍ من باب الإستفـعال، فاعله ضـمير مستتر

فيه، راجع إلى «فرعون» وجملة «استخفّ» معطوفة على جملة «نادى فرعون...» أو على جملة «قال...» وما بين الجملتين مقول القول، و«قومه» مفعول به، والفآء عاطفة، و«أطاعوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال، و«ه» في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على «استخفّ» و«إنّهم» حرف توكيد وإسمها، و«قوماً» خبر «كانوا» والجملة في موضع رفع، خبر «إنّ» و«فاسقين» جمع فاسق إسم فاعل، نعت لـ«قوماً» والجملة المؤكّدة تعليليّة لا محلّ لها.

**٥٥ ـ (فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين)**

الفآء عاطفة، و«لمّا» ظرف بمعنى حين، متضمّن معنى الشّرط في موضع نصب، متعلّق بالجواب: «انتقمنا» و«آسفوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال في موضع جرّ، لإضافة «لمّا» إليها، و«نا» ضمير المتّصل للتكلّم مع الغير في موضع نصب، مفعول به، و«انتقمنا» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها، و«منهم» متعلّق بـ«انتقمنا» والفآء عاطفة، و«أغرقنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على «انتقمنا» وفي «أجمعين» وجهان: **أحدهما**ـ توكيد معنوى لضمير الغآئب: «هم» **ثانيها**ـ حال من «هم».

**٥٦ ـ (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين)**

الفآء عاطفة، و«جعلنا» معطوف على «أغرقنا» و«هم» في موضع نصب، مفعول به الأوّل و«سلفاً» إسم جمع لا مفرد له من لفظه كالنّاس والرّهوا. وقيل: جمع سالف كخدم وخادم، مفعول ثان، و«مثلاً» معطوف على «سلفاً» وفي «للآخرين» جمع الآخر وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ«مثلاً» **ثانيهما** ـ متعلّق بمحذوف هو نعت لـ«مثلاً».

**٥٧ ـ (ولمّا ضرب إبن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون)**

الواو إستئنافيّة، و«لمّا» كالسّابق، و«ضرب» فعل ماض، مبنيّ للمفعول، و«إبن» أُضيف إلى «مريم» ناب مناب الفاعل و«مريم» غير منصرف للتعريف والعجمة. وقيل: للتّعريف والتأنيث، وجملة «ضرب...» في موضع جرّ لإضافة «لمّا» إليها، وفي «مثلاً» وجهان: **أحدهما**ـ مفعول ثان بتضمين «ضرب» معنى «جعل» **ثانيها**ـ حال أي ذكر ممثلاً به. و«إذا» فجائيّة، و«قومك» مبتداء و«منه» متعلّق بـ «يصدّون» في موضع رفع، خبر «قومك» والجملة جواب شرط غير جازم لا محلّ لها.

**٥٨ ـ (وقالواء آلهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون)**

الواو عاطفة، و«قالوا» معطوفة على جواب الشّرط لا محلّ لها، والهمزة للإستفهام و«آلهتنا» مبتداء و«خير» خبره، والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«أم» حرف عطف متّصلة معادلة للهمزة بمعنى «أي» والمعنى: أيّهما خير؟ و«هو» ضمير منفصل في موضع رفع، معطوف على «آلهتنا» و«ما» نافية، و«ضربوا» فعل ماض لجمع المذكّر الغائب، و«ه» في موضع نصب، مفعول به، و«لك» متعلّق بـ «ضربوا» و«إلّا» أداة حصر، وفي «جدلاً» وجهان: **أحدهما**ـ مفعول لأجله أي لأجل الجدال والمراء واللجاج لا لإظهار الحقّ. **ثانيها**ـ مصدر منصوب في موضع الحال أي مجادلين، وجملة «ماضربوه...» مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«بل» للإضراب الإنتقالي، و«هم» مبتداء و«قوم» خبره و«خصمون» جمع خصم صفة مشبّهة صفة لـ «قوم» والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

**٥٩ ـ (إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل)**

«إن» حرف نفي، و«هو» مبتداء، و«إلّا» أداة حصر، و«عبد» خبر المبتداء والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«أنعمنا» فعل ماض للتكلّم مع الغير تعظيماً، و«عليه»

متعلّق بـ «أنعمنا» والجملة في موضع رفع، نعت لـ «عبد» والواو عاطفة، تعطف «جعلنا» في موضع رفع، على «أنعمنا عليه» و«مثلاً» مفعول ثان لـ «جعلنا» وفي «لبني إسرائيل» وجهان: **أحدهما**- متعلّق بمحذوف، نعت لـ «مثلاً» **ثانيها**- متعلق بـ «جعلناه».

**٦٠ - (ولو نشآء لجعلنا منكم ملآئكة في الأرض يخلفون)**

في الواو وجهان: **أحدهما**- إعتراضية. **ثانيها**- عاطفة. و«لو» حرف شرط غير جازم، تفيد هنا انحصار مسبّبيّة الثّاني في سببيّة الأوّل، و«نشآء» فعل مضارع للتكلّم مع الغير تعظيماً والجملة اعتراضيّة لا محلّ لها على الوجه الأوّل، وفي موضع رفع، معطوفة على «أنعمنا عليه» واللام رابطة لجواب الشّرط، و«جعلنا» جواب الشّرط لا محلّ لها، وفي «منكم» وجوه: **أحدها**- متعلّق بمحذوف، مفعول به ثان، إن كان «جعلنا» بمعنى «صيّرنا» **ثانيها** - إنّ «من» بمعنى بعض أي بعضكم. **ثالثها**- أي بدلاً منكم أو بدلكم كقوله تعالى: «أرضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة» التوبة:٣٨) أي بدل الآخرة لأن الملائكة لا تكون من الإنس. **رابعها**- متعلّق بـ «جعلنا» إن كان بمعنى «خلقنا» **خامسها**- إنّ «من» زائدة. تقديره: لجعلناكم. وقيل: لولّدنا منكم يا رجال ملائكة. وقيل: أي ولو نشآء لجعلنا منكم مثل ملائكة أي فلا تعصون كما لا يعصون فأجبرناكم على الطّاعة. وقيل: إنّ «جعلنا» بمعنى «حوّلنا» أي حوّلنا بعضكم ملائكة.

و«ملائكة» مفعول به أوّل، وفي «في الأرض» وجهان: **أحدهما**- متعلّق بـ «جعلنا» **ثانيها**- متعلّق بـ «يخلفون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب في موضع نصب، نعت لـ «ملائكة».

**٦١ - (وإنّه لعلم للسّاعة فلا تمترنّ بها واتّبعون هذا صراط مستقيم)**

في الواو وجهان: **أحدهما**- عاطفة. **ثانيها**- إستئنافيّة. و«إنّ» حرف توكيد، وفي

الضّمير المتّصل المنصوب إسم «إنّ» وجـهان: **أحدهما**ـ عآئد على «عيسى» عليه السّلام على حذف مضاف أي نزوله. **ثانيهما**ـ راجع إلى القرآن الكريم. وفيه وجوه أُخر تأتي في التّحقيق في الأقوال فانتظر. واللام المزحلقة للتّوكيد، و«علم» خبر «إنّ» وفي الجملة المؤكّدة وجهان: **أحدهما**ـ في موضع رفع، معطوفة على جملة «أنعمنا» **ثانيهما**ـ إستئنافيّة لا محلّ لها. وفي «للسّاعة» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بمحذوف هو نعت لـ «علم» **ثانيهما**ـ صفة لـ «علم» أي شرط من أشراط السّاعة تعلم به، فسمّى الشّرط علماً لحصول العلم به. واللام بمعنى «على» أي على السّاعة أي على قرب السّاعة.

وفي الفآءِ وجهان: **أحدهما**ـ رابطة لجواب شرط مقدّر. **ثانيهما**ـ فصيحة. ويجوز أن تكون تفريعاً على قوله تعالى في شأن عيسى عليه السّلام: «ولمّا ضرب بن مريم مثلاً...»: ٥٧)

و«لا» ناهية جازمة، و«تمترنّ» فعل مضارع لجمع المذكّر مخاطب، مؤكّد بنون الثّقيلة، مجزوم بحذف واو الجمع لإلتقآءِ السّاكنين تدلّ عليها الضّمّة، وبحذف نون الرّفع لتوالى النّونات الثّلاث، وجملة «لا تمترنّ بها» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن جآءكم خبرها فلا تشكّوا فيها أبداً. و«بها» متعلّق بـ «تمترنّ».

وفي الواو وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة فـ «اتّبعون» من كلام الله تعالى أي اتّبعوا هدي أو شرعي أو رسولي. فالجملة معطوفة على جواب الشّرط لا محلّ لها. **ثانيهما**ـ إستئنافيّة، و«اتّبعون» في موضع نصب، مقول لقول مقدّر، وجملة القول المقدّرة مستأنفة لا محلّ لها. أي قل لهم: اتّبعون.... والفعل فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، مبنيّ على حذف النّون، والنّون المكسورة نون وقاية، وياء التكلّم محذوفة للتّخفيف. و«هذا» مبتداء و«صراط» خبره و«مستقيم» نعت لـ «صراط» والجملة تعليل للأمر بالإتّباع لا محلّ لها.

**٦٢ ـ (ولا يصدّنكم الشّيطان إنّه لكم عدوّمبين)**

الواو عاطفة، و«لا» ناهية، و«يصدّنّ» فعل مضارع، مؤكّد بنون الثّقيلة مبنيّ على

الفتح لاتّصاله بنون الثّقيلة، في موضع جزم بحرف «لا» و«كم» في موضع نصب، مفعول به، و«الشّيطان» فاعل «يصدّنّ» والجملة معطوفة على جملة «اتّبعون» والكلام في محلّها هو الكلام في محلّها، و«لكم» متعلق بمحذوف، هو حال من «عدوّ» وهو خبر «إنّ» و«مبين» نعت لـ «عدوّ» والجملة المؤكّدة تعليليّة لا محلّ لها.

**٦٣ - (ولمّا جآء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون)**

الواو إستئنافيّة، و«لمّا» ظرف بمعنى حين متضمّن معنى الشّرط، متعلّق بمضمون الجواب، و«جآء» فعل ماض، و«عيسى» فاعله، والجملة في موضع جرّ لإضافة «لمّا» إليها، وفي «البيّنات» وجهان: **أحدهما**- متعلّق بمحذوف، هو حال من «عيسى» **ثانيها**- متعلّق بـ «جآء» و«قال» جواب الشّرط لا محلّ لها، وجملة الشّرط وفعله وجوابه مستأنفة لا محلّ لها، و«قد» حرف تحقيق، و«جئت» فعل ماض للتكلّم وحده و«كم» في موضع نصب، مفعول به، وفي «بالحكمة» وجهان: **أحدهما**- متعلّق بمحذوف، حال من فاعل «جئت» **ثانيها**- متعلّق بـ «جئت» وجملة «قد جئتكم» في موضع نصب، مقول القول.

الواو عاطفة، واللام للتّعليل، و«أبيّن» فعل مضارع للتكلّم وحده من باب التّفعيل، منصوب بـ «أن» مضمرة بعد اللام، وجملة «أبيّن» صلة الموصول الحرفيّ: «أن» المضمرة لا محلّ لها، والمصدر المؤوّل: «أن أبيّن» في موضع جرّ باللام، متعلّق بفعل محذوف، تقديره: جئتكم... معطوف على «بالحكمة» و«لكم» متعلّق بـ «أبيّن» و«بعض» مفعول به لـ «أبيّن» أضيف إلى «الّذي» موصولة في موضع جرّ، و«تختلفون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، من باب الإفتعال، صلة الموصول لا محلّ لها، و«فيه» متعلّق بـ «تختلفون».

وفي الفآء وجوه: **أحدها**- رابطة لجواب شرط مقدّر، و«اتقوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، في موضع جزم، جواب الشّرط أي إن بلغكم ما أقول

فاتقوا... و«الله» مفعول بـه.ثانيها۔ عاطفة فيكون الكلام معطوفاً على ما سبقه على أنّه تتمّة كلام عيسى عليه السّلام.

**ثالثها۔** إستئـنافيّة فيكون الـكلام مستأنفاً من الله تـعالى للدّلالة على طريق الطّـاعة ومحجتها الواضحـة. والواو عاطفة، و«أطـيعوا» في موضع جزم، معطوفة على جملة «اتقوا الله» و«ن» للولاية، جآئت قبل يآء التكلّم المحذوفة لمناسبة فاصلة الآية.

**٦٤ ـ (إنّ الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)**

«إنّ» حرف توكيد، و«الله» إسمها، وفي «هو» وجهان: **أحدهما۔** ضمير منفصل، مبتداء و«ربّـي» خـبـره والجـملة في موضـع رفـع، خبر «إنّ» و«ربّـكـم» عطف على «ربّي» **ثانيها۔** ضمير فصل للتـأكيـد، و«ربّي» خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة بيانيّة وتفسيـرية لمّاتقدّم من قـوله: «وأطيعون» لا محلّ لها. والـفآء فصيحة أو رابطة، و«اعبدوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، و«ه» في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطـوفة على إستـئـنـاف مقدّر أي تـنبّـهوا فاعـبدوه و«هـذا» مبتـداء و«صراط» خبره و«مستقيم» نعت لـ «صـراط» وفي الجملة وجهـان: **أحدهما۔** تعليليّة لا محلّ لها. **ثانيها۔** إستئناف من كلام الله تعالى لا من كلام عيسى عليه السّلام.

**٦٥ ـ (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للّذين ظلموا من عذاب يوم أليم)**

الفآء عاطفة، و«اختلف» فعل ماضٍ من باب الإفتعال، و«الأحزاب» جمع القلّة للحزب و«من بينهم» متعلّق بحال من «الأحزاب» أي حال كون الأحزاب بعض النّصارى والجـملـة معطوفة على جملة الإستئـناف في قوله تعالى: «ولمّا جآء عيسى بالبيّـنـات» والفآء عاطـفـة، و«ويـل» مبتـداء جآء بـالـنّكرة لأنّـه في معـرض الذّمّ والدّعآء، و«للّذين» موصولة متعلّق بمحذوف، خبر المبتداء، وجملة «ويل...» معطوفة على جملة «اختلف الأحزاب» و«ظلموا» صلة الموصول لا محلّ لها، وفي «من عذاب» وجوه: **أحدها۔** متعلّق بالخبر المحذوف. **ثانيها۔** حـال من الضّـمير المستكن في الخبر،

والعامل فيه الإستقرار أي حال كونه من عذاب الآخرة لامن عذاب الدّنيا. **ثالثها**- خبرثان لـ «ويل» و«عذاب» أُضيف إلى «يوم» و«أليم» صفة لـ «عذاب».

**٦٦ - (هل ينظرون إلّا السّاعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون)**

«هل» حرف إستفهام، فيه معنى النّفي أي لا ينظرون، و«ينظرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«إلّا» أداة حصر، و«السّاعة» مفعول به، و«أن» حرف ناصب، و«تأتي» منصوب بـ «أن» و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «تأتي» صلة الموصول الحرفيّ: «أن» لا محلّ لها، والمصدر المؤوّل: «أن تأتيهم» في موضع نصب، بدل اشتمال من «السّاعة» والمعنى: لا ينظرون إلّا إتيان السّاعة. وفي «بغتة» وجهان: **أحدهما**- مصدر في موضع الحال. **ثانيها**- مفعول مطلق، نآئب عن المصدر فهو ملاقية فيه المعنى. والواو حاليّة، و«هم» مبتداء و«لا» نافية، و«يشعرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال، في موضع رفع، خبر «هم» وجملة «لا يشعرون» في موضع نصب، حال ثانية من ضمير «هم» في «تأتيهم».

**٦٧ - (الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين)**

«الأخلاّء» جمع خليل، مبتداء و«يومئذ» ظرف منصوب، مضاف إلى ظرف مبنيّ: «إذ» متعلّق بـ «عدوّ» والتّنوين عوض من جملة محذوفة أي يوم إذ تأتيهم السّاعة، و«بعضهم» مبتداء ثان، وفي «لبعض» وجهان: **أحدهما**- متعلّق بـ «عدوّ» **ثانيها**- متعلّق بمحذوف، حال لأنّه كان في الأصل صفة لـ «عدوّ» و«عدوّ» خبر المبتداء الثّاني، والجملة في موضع رفع، خبر لـ «الأخلاّء» وجملة «الأخلاّء...» مستأنفة لا محلّ لها، و«إلّا» للإستثنآء و«المتّقين» جمع المتّقي من باب الإفتعال، منصوب مستثنى بـ «إلّا» والإستثنآء متّصل.

**٦٨ ـ (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)**

«يا» حرف نداءٍ، و«عباد» جمع عبد، منادىٰ مضافٍ، منصوب وعلامة النّصب هي الفتحة المقدّرة على ماقبل ياء المتكلّم المحذوف تخفيفاً، وفي جملة «ياعباد...» وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها**ـ في موضع نصب، مقول لقول مقدّر أي يقال لهم: وفي «لا» وجهان: **أحدهما**ـ نافية مهملة، و«خوف» مبتداء، إبتدأت بالنكرة لا عتمادها على النّفي، و«عليكم» متعلّق بمحذوف، خبر المبتداء. **ثانيها**ـ عاملة عمل ليس، و«خوف» إسمها، و«عليكم» متعلّق بمحذوف، خبرها. وفي «اليوم» وجهان: **أحدهما**ـ ظرف منصوب، متعلّق بالخبر المحذوف. **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، هو حال. وجملة «لا خوف...» جواب النّداءِ لا محلّ لها. والواو عاطفة، و«لا» زائدة لتوكيد النّفي، واجبة التّكرار، و«أنتم» مبتداء و«تحزنون» خبره والجملة معطوفة على جملة «لا خوف عليكم» لا محلّ لها.

**٦٩ ـ (الّذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين)**

في «الّذين» موصولة وجوه: **أحدها**ـ في موضع نصب، صفة للمنادىٰ: «يا عبادي» **ثانيها**ـ بيان للمنادىٰ. **ثالثها**ـ بدل منه. **رابعها**ـ في موضع رفع، خبر لمحذوف، تقديره: هم الّذين آمنوا. **خامسها**ـ مبتداء، خبره محذوف أي الّذين آمنوا يقال لهم: ادخلوا الجنّة. و«آمنوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال، صلة الموصول لا محلّ لها، و«بآياتنا» متعلّق بـ «آمنوا» وفي الواو وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة، فالجملة التّالية معطوفة على جملة «آمنوا...» لا محلّ لها. **ثانيها**ـ حاليّة، و«مسلمين» جمع مسلم إسم فاعل من باب الإفعال، خبر «كانوا» والجملة: «كانوا...» في موضع نصب، حال من فاعل «آمنوا».

**٧٠ ـ (ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تُحبرون)**

«ادخلوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ على حذف النّون، و«الجنّة»

مفعول به على السّعة، والجملة في حيّز النّدآء لا محلّ لها، و«أنتم» ضمير منفصل، في موضع رفع، مبتداء، و«أزواجكم» معطوف على «أنتم» و«تحبرون» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، في موضع رفع، خبر «أنتم» وجملة «أنتم ...» في موضع نصب، حال من فاعل «ادخلوا».

٧١ ـ (**يطاف** عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلّذ الأعين وأنتم فيها خالدون)

في «يطاف» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول وجوه: **أحدها**ـ على تقدير: يدخلون الجنّة فيطاف. فحذف لفهم الكلام. **ثانيها**ـ «يطاف» جواب شرط مقدّر أي إذا دخلوها يطاف... **ثالثها**ـ في موضع نصب، حال من «الجنّة» والرّابط فيها مقدّر، تقديره فيها. **رابعها**ـ مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها. و«عليهم» في موضع رفع، ناب مناب الفاعل لـ «يطاف» و«بصحاف» جمع صحفة إسم جامد للوعآءِ الكبير، متعلّق بـ «يطاف» و«من ذهب» متعلّق بمحذوف هو نعت لـ «صحاف» و«أكواب» جمع قلّة للكوب إسم جامد للكأس الّذي لا عروة له.

الواو عاطفة، و«فيها» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«ما» موصولة في موضع رفع، مبتداء مؤخّر، و«تشتهي» فعل مضارع من باب الإفتعال، صلة الموصول لامحلّ لها، و«ه» في موضع نصب، مفعول به، عائد الصّلة، و«الأنفس» جمع النّفْس، فاعل «تشتهي» والجملة: «فيها...» معطوفة على «يطاف» لا محلّ لها، والواو عاطفة، و«تلذّ» معطوف على «تشتهي» و«الأعين» جمع العين، فاعل «تلذّ» والجملة معطوفة على «تشتهيه الأنفس» داخلة في حيّز الصّلة لا محلّ لها. وفي الواو وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة والجملة التّالية في موضع نصب، معطوفة على جملة «أنتم...» وما بينهما إعتراض فيه إلتفات. **ثانيها**ـ حاليّة، والجملة في موضع نصب، حال من الضّمير في «عليهم» على تقدير الالتفات. و«فيها» متعلّق بـ «خالدون».

**٧٢ ـ (وتلك الجنّة الّتي اورثتموها بما كنتم تعملون)**

الواو عاطفة، وفي إعراب «تلك الجنّة ...» وجوه: **أحدها ـ** «تلك» إسم إشارة إلى «الجنّة» المذكورة، مبتداء و«الجنّة» خبره و«الّتي اورثتموها» صفة لـ «الجنّة» و«بما» متعلّق بـ «اورثتموها» **ثانيها ـ** «الجنّة» صفة لـ «تلك» و«اورثتموها» خبر لـ «تلك» **ثالثها ـ** «الّتي اورثتموها» صفة لـ «الجنّة» و«بما كنتم تعملون» خبر «تلك» و«بما» متعلّق بمحذوف. **رابعها ـ** قوله تعالى: «لكم فيها فاكهة ...» في الآية التّالية خبر «تلك».

«اورثتموها» فعل ماض لجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول، والواو زائدة، إشباع حركة الميم، وضمير التأنيث: «ها» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «الجنّة» عائد الصّلة، وجملة «اورثتموها ...» صلة الموصول لا محلّ لها، وجملة «تلك الجنّة ...» معطوفة على جواب النّداء لا محلّ لها. و«بما» الباء سببيّة، متعلّق بـ «اورثتموها» وفي «ما» وجهان: **أحدهما ـ** إسم موصول في موضع جرّ، والعائد محذوف، و«كنتم تعملون» صلة الموصول. **ثانيها ـ** مصدريّة، والجملة التّالية صلة الموصول الحرفي: «أن» والمصدر المؤوّل: «ما كنتم تعملون» في موضع جرّ، متعلّق بـ «اورثتموها» و«تعملون» في موضع نصب، خبر «كنتم».

**٧٣ ـ (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون)**

«لكم» متعلّق بخبر مقدّم، وفي «فيها» وجهان: **أحدهما ـ** متعلّق بالخبر المحذوف **ثانيها ـ** متعلّق بمحذوف، حال. و«فاكهة» مبتدأ مؤخّر. وفي جملة «لكم ... فاكهة» وجهان: **أحدهما ـ** في موضع رفع، خبر لـ «تلك» في الآية السّابقة. **ثانيها ـ** في موضع نصب، حال لضمير الجمع في «تعلمون» و«كثيرة» نعت لـ «فاكهة» و«من» في «منها» وجهان: **أحدهما ـ** تبعيضيّة، متعلّق بـ «تأكلون» أي لا تأكلون إلّا بعضها **ثانيها ـ** بيانيّة أي من كلّ نوع من أنواعها تأكلون من دون نفاد وفي «تأكلون» وجهان:

أحدهما ـ في موضع رفع، نعت ثانٍ لـ «فاكهة» ثانيهما ـ في موضع نصب، حال لـ «فاكهة».

**٧٤ ـ (إنّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون)**

«إنّ» حرف توكيد، و«المجرمين» جمع المجرم إسم فاعل من باب الإفعال، إسم «إنّ» وفي «في عذاب» أُضيف إلى «جهنّم» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ «خالدون» وهو خبر «إنّ» **ثانيها** ـ متعلّق بمحذوف، هو خبر أوّل لـ «إنّ» و«جهنّم» غير منصرف للتأنيث المجازي والتعريف. والجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها.

**٧٥ ـ (لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون)**

«لا» نافية، و«يفتّر» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول من باب التّفعيل، نائب الفاعل ضمير مستتر فيه، راجع إلى «العذاب» و«عنهم» متعلّق بـ «يفتّر» وفي الجملة وجوه: **أحدها** ـ مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها. **ثانيها** ـ في موضع رفع، خبر ثان لـ «إنّ» في الآية السّابقة. **ثالثها** ـ في موضع نصب، حال من الضمير في «خالدون» **رابعها** ـ حال من «عذاب» وفي الواو وجهان: **أحدهما** ـ حاليّة، فالجملة التّالية في موضع نصب، حال من الضّمير في «عنهم» ثانيهما ـ معطوفة على جملة «لايفتّر» لامحلّ لها. و«هم» مبتداء، و«فيه» متعلّق بـ «مبلسون» جمع مبلس، إسم فاعل من باب الإفعال، خبر «هم».

**٧٦ ـ (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظّالمين)**

الواو عاطفة، و«ما» نافية، و«ظلمنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على جملة «لا يفتّر» لا محلّ لها. وفي الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة، فالجملة التّالية معطوفة على جملة «ما ظلمناهم» لا محلّ لها. **ثانيها** ـ حالية، فالجملة في موضع نصب، حال من الضّمير: «هم» و«لكن» حرف إبتداء لمجرّد إفادة الإستدراك وليست عاطفة لا عمل له، و«كانوا» فعل ناقص وإسمه، وفي «هم» وجهان: **أحدهما** ـ ضمير فصل لا محلّ له. **ثانيها** ـ في موضع رفع، توكيد لضمير الغآئب في «كانوا» و«الظّالمين» خبر «كانوا».

**٧٧ ـ (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ماكثون)**

في الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة فالجملة التّالية معطوفة على «كانوا...» **ثانيها** ـ إستئنافيّة، فالجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«نادوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب من باب المفاعلة على حذف اليآء وهي لام الفعل فأصله: نادَيوا فثقلت الضّمّة على الياءِ فحذفت، فالتقى السّاكنان، فحذفت اليآء لأنّ الواو علامة الجمع والعلامة لا تغيّر ولا تحذف و«يا» حرف ندآءٍ و«مالك» مرفوع لأنّه منادي معرفة لأنّه إسم علم لخازن النّار. واللام للدّعآءِ لا الأمر، و«يقض» مجزوم بلام الطّلب للدّعآءِ، في «يقض» إعلال بالحذف لمناسبة الجزم، و«علينا» متعلّق بـ «يقض» و«ربّك» فاعل «يقض» وجملة «ليقض...» جواب النّدآءِ لا محلّ لها.

وجملة «قال» مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«إنّ» حرف توكيد، و «كم» في موضع نصب، إسم «إنّ» و«ماكثون» خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول.

**٧٨ ـ (لقد جئناكم بالحقّ ولكنّ أكثركم للحقّ كارهون)**

اللام للقسم المقدّر، و«قد» حرف تحقيق، و«جئنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير، و«كم» في موضع نصب، مفعول به، و«بالحقّ» متعلّق بحال من فاعل «جئناكم» وجملة «جئناكم» جواب القسم المقدّر لا محلّ لها، وفي جملة القسم المقدّرة وجهان: **أحدهما** ـ مستأنفة في حيّز القول لا محلّ لها. **ثانيها** ـ في موضع نصب، مقول لقول مقدّر من الله تعالى. والواو عاطفة و«لكنّ» للإستدراك، و«أكثرهم» منصوب، إسم «لكنّ» و«للحقّ» متعلّق بـ «كارهون» وهو خبر «لكنّ» والجملة معطوفة على جملة جواب القسم لا محلّ لها.

**٧٩ ـ (أم أبرموا أمراً فانّا مبرمون)**

في «أم» وجهان: **أحدهما** ـ منقطعة بمعنى «بل» للإضراب الإنتقالي، وبمعنى الهمزة

للإنكار، والجملة التّالية مستانفة لا محلّ لها. ثانيها- متّصلة، والجملة التّالية معطوفة على قوله تعالى: «أجعلنا من دون الرّحمٰن آلهة يعبدون»: ٤٥) من هذه السّورة.

«أبرموا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب، و«أمراً» مفعول به، والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«إنّ» حرف توكيد، و«نا» ضمير تكلّم مع الغير تعظيماً في موضع نصب، إسم «إنّ» و«مبرمون» جمع مبرم، إسم فاعل من باب الإفعال، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع جزم، جواب شرط مقدّر، أي إن فعلوا ذلك فانّا مبرمون.

**٨٠ ـ (أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)**

«أم» كالسّابق، وجملة «يحسبون» مستأنفة على وجه، ومعطوفة على وجه آخر لا محلّ لها، و«أنّ» حرف توكيد، فتحت لوقوعها بعد الحسبان، و«نا» في موضع نصب، إسم «أنّ» و«لا» نافية، و«نسمع» فعل مضارع للتكلّم مع الغير تعظيماً، و«سرّهم» مفعول به، و«نجواهم» عطف على «سرّهم» وجملة «لا نسمع...» في موضع رفع، خبر «أنّ» والمصدر المؤوّل: «أنّا لا نسمع» في موضع نصب، سدّ مسدّ مفعولى «يحسبون».

«بلى» حرف جواب تختصّ بالنّفي، وتفيد إبطاله، والمعنى: نعلم ونسمع ذلك. والواو حاليّة، و«رسلنا» جمع رسول، مبتداء و«لديهم» ظرف مبنيّ على السّكون، في موضع نصب، متعلّق بـ «يكتبون» و«يكتبون» في موضع رفع، خبر «رسلنا» وجملة «رسلنا...» في موضع نصب، حال من ضمير «نسمع».

**٨١ ـ (قل إن كان للرّحمٰن ولد فأنا أوّل العابدين)**

جملة «قل» فعل أمر، مستأنفة لا محلّ لها، وفي «إن» وجهان: أحدهما- شرطيّة أي إن قلتم ذلك فأنا أوّل الآنفين، ولن يصحّ ذلك أو فأنا أوّل من عبده على أنّه لا ولدله. وقيل: الشّرط في الآية على حدّ قول الرّجل لصاحبه: إن كنت كاتباً فأنا حاسب.

والمعنى: لست بكاتب ولا أنا حاسب.

«كان» فعل ماضٍ ناقصٍ في موضع جزم، فعل الشّرط، و«للرّحمٰن» متعلّق بمحذوفٍ، هو خبر «كان» و«ولده» إسم «كان» وجملة «كان...» في موضع نصب، مقول القول، والفآء رابطة، و«أنا» مبتداء و«أوّل» أُضيف إلى «العابدين» جمع عابد، إسم فاعل ثلاثيّ، خبر المبتداء، وجملة «أنا أوّل العابدين» في موضع جزم، جواب الشّرط، مقترنة بالفآءِ.

ثانيها- نافية أي ما كان للرّحمٰن ولد. فالوقف على «ولد» ثمّ ابتدأ فقال: «فأنا أوّل العابدين له على أنّه لا ولد له».

**٨٢ - (سبحان ربّ السّموات والأرض ربّ العرش عمّا يصفون)**

«سبحان» مفعول مطلق لفعل محذوف أي نسبّح سبحان... وفي الجملة وجهان: **أحدهما**- مستأنفة. **ثانيها**- إعتراضيّة لا محلّ لها. وأُضيف «سبحان» إلى «ربّ» أُضيف إلى «السّموات» و«الأرض» عطف على «السّموات» وفي «ربّ» أُضيف إلى «العرش» وجهان: **أحدهما**- بدل من «ربّ السّموات» **ثانيها**- عطف بيان لـ«ربّ السّموات» و«عمّا» متعلّق بالفعل المحذوف العامل في «سبحان» و«ما» موصولة، و«يصفون» صلتها لا محلّ لها، وحذف العآئد أي به.

**٨٣ - (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الّذي يوعدون)**

في الفآءِ وجهان: **أحدهما**- فصيحة. **ثانيها**- رابطة لجواب شرط مقدّر، و«ذر» فعل أمر، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «ذرهم» في موضع جزم، جواب الشّرط المقدّر أي إن أعرضوا الإيمان فذرهم. و«يخوضوا» فعل مضارع، مجزوم، جواب الطلب، وجملة «يخوضوا» جواب شرط مقدّر لا محلّ لها أي إن تذرهم يخوضوا. وجملة «يلعبوا» معطوفة على جملة «يخوضوا» لا محلّ لها، و«حتّى» حرف غاية وجرّ، و«يلاقوا» فعل مضارع من باب المفاعلة، وفيه إعلال بالتّسكين وبالحذف، أصله:

يلاقيوا فاستثقلت الضّمّة على اليآء فسكّنت، ونقلت حركتها إلى القاف قبلها، ثمّ حذفت اليآء لإلتقائها ساكنة مع الواو فصار يلاقوا منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «حتّى».

فجملة «يلاقوا» صلة الموصول الحرفي: «أن» المضمرة، والمصدر المؤوّل: «أن يلاقوا» في موضع جرّ بـ «حتّى» متعلّق بـ «يخوضوا ويلعبوا» و«يومهم» مفعول به، و«الّذي» موصولة في موضع نصب، نعت لـ «يومهم» و«يوعدون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ للمفعول، صلة الموصول لا محلّ لها.

**٨٤ـ (وهو الّذي في السّمآء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم)**

الواو إستئنافيّة، و«هو» مبتداء، و«الّذي» موصولة في موضع رفع، خبره والجملة مستأنفة لا محلّ لها، وفي «في السّمآء إله» وجهان: **أحدهما**ـ إنّ «في السّمآء» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«إله» مبتداء مؤخّر، والجملة صلة الموصول لا محلّ لها، والعآئد هو الضمير المستكن في الخبر المحذوف وهو كآئن أو ثابت ونحوهما. **ثانيها**ـ متعلّق بـ «إله» بمعنى معبود، و«إله» خبر لمبتداء محذوف، تقديره: هو إله في السّمآء و«في الأرض إله» مثل «في السّمآء إله» وقيل: «في» بمعنى «على» كقوله تعالى: «ولا صلّبنّكم في جذوع النّخل» أي على جذوع النّخل أي هو القادر على السّمآء والأرض.

**٨٥ـ (وتبارك الّذي له ملك السّموات والأرض وما بينها وعنده علم السّاعة وإليه ترجعون)**

الواو عاطفة، و«تبارك» فعل ماض من باب التّفاعل، و«الّذي» موصولة في موضع رفع، فاعل «تبارك» والجملة معطوفة على جملة «هو الّذي...» من عطف الفعليّة على الإسميّة، و«له» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«ملك» أُضيف إلى «السّموات» مبتداء مؤخّر، والجملة صلة الموصول لا محلّ لها، و«ما» موصولة في موضع رفع، معطوف على «ملك السّموات» أو على «السّموات والأرض» و«بينها»

ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، صلة «ما» لا محلّ لها.

«عنده» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«علم» أُضيف إلى «السّاعة» مبتداء مؤخّر، وجملة «عنده علم السّاعة» معطوفة على جملة الصّلة لا محلّ لها، و«إليه» متعلّق بـ «ترجعون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول، والجملة معطوفة على جملة الصّلة لا محلّ لها.

**٨٦ ـ (ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة إلّا من شهد بالحقّ وهم يعلمون)**

في الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة. **ثانيها** ـ إستئنافيّة، و«لا» نافية، و«يملك» فعل مضارع، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل «يملك» والجملة على الوجه الثّاني مستأنفة لا محلّ لها، و«يدعون» صلة الموصول لا محلّ لها، وفي «من دونه» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ «يدعون» **ثانيها** ـ متعلّق بحال من العائد المحذوف، والضّمير في «من دونه» راجع إلى الله تعالى. و«الشّفاعة» مفعول به لـ «يملك» و«إلّا» أداة حصر، وفي «من» موصولة وجوه: **أحدها** ـ في موضع رفع، بدل من «الّذين» المقصود به المعبودات من دون الله أصناماً كانت أو طواغيت وما إليها. **ثانيها** ـ في موضع نصب على الإستثنآء المتّصل. على أنّ المستثنى منه محذوف أي لا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة في أحد إلّا فيمن شهد بالحقّ فهو استثنآء من المفعول المحذوف، فهو استثناء من المشفوع فيهم.

**ثالثها** ـ في موضع نصب، على الإستثنآء المنقطع والمعنى: لا يملك آلهتهم من الأصنام والأوثان وأضرابها الشّفاعة، وليكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما شهد به هو الّذى يملك الشفاعة. **رابعها** ـ في موضع جرّ. والمعنى: لا يملك عيسى وعزير والملائكة... الشّفاعة إلّا لمن شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة وشهد فعل ماضٍ صلة الموصول لامحلّ لها، و«بالحقّ» متعلّق بـ «شهد» وفي الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة **ثانيهما** ـ حاليّة، و«هم» مبتدا، و«يعلمون» في موضع رفع، خبر «هم» والجملة في موضع نصب، حال من «الّذين» أو من «مَن».

**٨٧ ـ (ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون)**

في الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة **ثانيها** ـ إستئنافية، واللام موطّئة لقسم مقدّر و«إن» حرف شرط، و«سئلت» فعل ماض للمفرد المذكّر المخاطب في موضع جزم، فعل الشّرط، و«هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، وجملة «إن سئلتهم» مستأنفةٌ لا محلّ لها، و«مَن» إسم إستفهام في موضع رفع، مبتداء، و«خلق» فعل ماضٍ، في موضع رفع، خبر «مَن» و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «من خلقهم» في موضع نصب، مفعول به ثانٍ لفعل السّؤال المعلّق بالإستفهام: «مَن» بتقدير الجارّ.

واللام لام القسم، و«يقولنّ» فعل مضارع لجمع المذكر الغآئب، مؤكّد بنون الثقيلة على حذف واو الجمع لدلالة الضّمّة عليها، وعلى حذف نون الرّفع لتوالي الأمثال، وجملة «يقولنّ» جواب القسم لا محلّ لها، وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه جواب القسم، وفي «الله» وجهان: **أحدهما** ـ فاعل لفعل محذوف، تقديره: خَلَقَنا الله. قياساً على قوله تعالى: «ليقولنّ خلقهنّ العزيزالعليم»: ٩) من هذه السّورة والجملة في موضع نصب، مقول القول. **ثانيها** ـ مبتداء، خبره محذوف، تقديره: الله خالقهم. والفاء رابطة لجواب شرط مقدّر. وفي «أنّىٰ» إسم إستفهام، مبنيّ في موضع نصب، ظرف مكان، وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ«يؤفكون» **ثانيها** ـ أن يحمّل معنى كيف، فيكون حالاً من نآئب الفاعل في «يؤفكون» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، وجملة «أنّى يؤفكون» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن كانوا يعترفون ذلك فأنّىٰ يؤفكون؟.

**٨٨ ـ (وقيله يا ربّ إنّ هؤلآء قوم لا يؤمنون)**

في الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة. **ثانيها** ـ بمعنى «مع» فتكون الآية مرتبطة بقوله: «فأنّى يؤفكون» و«قيله» مصدر سماعيّ لفعل قال، وفيه إعلال بالقلب، أصله: قول بكسر فسكون ـ كعلم ـ فقلبت الواو يآء لأنّ ما قبلها مكسور.

وفي «قيله» وجوه: **أحدها** ـ مجرور بالعطف على لفظ «السّاعة» والمعنى: عنده علم السّاعة وعلم قيله أي علم قوله. **ثانيها** ـ مجرور بواو القسم كأنّه قال: وأُقسم بقيله يا ربّ

أو قـيله يا ربّ قسمي. وجـواب الـقسم: «إنّ هؤلآء قوم لا يؤمنـون». **ثالثها**ـ منصوب على المصدر بفعله المقدّر أي قال أو يقول قيله. **رابعها**ـ منصوب بالعطف على «سرّهم ونجواهم» **خامسها**ـ منصوب على العطف على محلّ «السّاعة» لأنّ السّاعـة مفعول بها، وليسـت بظرف، فالمصدر مضاف إلى المفعول بـه كأنّه قيل: إنّـه يعلم السّاعـة ويعلم قـيلـه. **سادسـها**ـ منصـوب بالـعطـف على مفـعول محـذوف، معمـول لـ «يكـتبون» أو لـ «يعلمون» أي يكتـبون ذلك ويكتبـون قيله أو يعلمون الحقّ ويعلمون قـيله. **سابعها**ـ منصوب على إسقاط حرف القسم.

**ثامنها**ـ منصوب بقولـه تعـالى: «إلّا من شهد بالحـقّ» وقال «قـيله...» على وجه الإنكار عليهم. **تاسعها**ـ مرفـوع بالإبتداء، والخبر ما بعده. **عاشرها**ـ مرفوع على الإبتداء، وخبره محذوف أي: وقيـله يا ربّ مسموع أو متـقبّل أو مجاب أو وقـيله: هو قيـل يا ربّ **الحـاديعشر**ـ مرفوع بالـعطـف على «عـلم السّاعة» أي وعلـم قـيله، فحذف المضاف. فالمصدر الّذي هو «قيل» مضاف إلى الهاء الّذي هو مفعول في المعنى. والتقدير: وعنده علم أن يقال: يا ربّ إنّ هؤلآء قوم لا يؤمنون. **الثاني عشر**ـ مرفوع على تقدير: وقيله قيله يا ربّ. فحذف قيله الثّاني الّذي هو الخبر.

وفي ضمير «قيله» وجوه: **أحدها**ـ راجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كقوله تعالى: «وقال الرّسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٣٠) **ثانيها**ـ راجع إلى عيسى بن مريم عليه السّلام **ثالثها**ـ زآئدة.

«يـا» حـرف نـدآء، و«ربّ» منادىٰ مضاف، مـنصـوب، وعـلامـة النّصب هي الفتحة المقدّرة على مـا قبل يآء المتكلّم المحـذوفة تخفيفاً، وجملـة «يا ربّ...» في موضع نصب، مـقول القول لـلـمصـدر: «قيله» و«إنّ» حرف تـوكـيـد، و«هؤلآء» إسمها، و«قوم» خـبرها، والجملـة المؤكّـدة جواب النّدآء لا محلّ لهـا، و«لا يؤمـنون» في موضع رفع، نعت لـ «قوم».

٨٩ ـ (فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون)

في الفآء وجهان: **أحدهما**- فصيحة. **ثانيها**- رابطة لجواب شرط مقدّر، و«اصفح» فعل أمر في موضع جزم، جواب الشّرط أي إن عارضوك فاصفح. و«عنهم» متعلّق بـ «اصفح» والواو عاطفة، و«قل» فعل أمر معطوف على «اصفح» و«سلام» خبر لمبتداء محذوف، تقديره: أمري أو شأني سلام. أي مسالمة منكم أو عليكم سلام أي ماسلم به من شرّهم وأذاهم، وليس من السّلام بمعنى التّحيّة. والجملة في موضع نصب، مقول القول.

والفاء للرّبط، و«سوف» حرف إستقبال، و«يعلمون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، وجملة «سوف يعلمون» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر آخر أي إن قاوموك وحاربوك فسوف يعلمون. والمفعول محذوف للتفخيم أي مغبّة أمرهم.

## ﴿البيان﴾

١ - (حمٓ)

وقد تقدّم بيانه في اوّل بيان سورة «المؤمن» فراجع.

٢ - (والكتاب المبين)

قسم ربّانيّ بالكتاب البيّن الظّاهر في نفسه، الواضح في أهدافه ودعوته، في مقاصده ومعارفه، في إندازه وإرشاده، وفي وعده و وعيده، والمظهر للإنسان في كلّ ظرف، طريق الحقّ والهدى، وسبيل الخير والرّشاد... والمراد بالكتاب هو القرآن، وإطلاقه عليه دليل على كونه مكتوباً عند نزوله، وإنّ الكتاب مجرور على أنّه مقسم به إمّا إبتداءً أو عطفاً على «حمٓ» على تقدير كونه مجروراً باضمار القسم على أنّ مدار العطف المغايرة في العنوان، ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسميّة، وبين المتعاطفين إختلاف واتفاق، فهما مختلفان: لأنّ أحدهما رمز وإشارة وهو «حمٓ» رمز بين الله جلّ وعلا وبين أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وإشارة إلى معان وامور لا يعرفها إلّا الله تعالى والرّاسخون في العلم، والآخر كلام بيّن القصد، واضح الدّلالة، وهو «الكتاب مبين» وهما متّفقان لأنّهما - الخفيّ والجليّ - كلاهما من عند الله ومن كلام الله تعالى.

**٣ ـ (إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)**

جواب للقسم على سبيل التّوكيد والتّعظيم، والتّجليل والتّكريم، وهو من الأيمان الحسنة البديعة حيث إنّ الله عزّوجلّ أقسم بالقرآن الكريم، ثمّ جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بأنّه قرآن عربيّ مرجوّ به أن يعقل به العالمون في كلّ ظرف من الظروف، أي ليتعقّلوا آيات الله تعالى، فكان جواب القسم مصحّحاً للقسم لتناسب القسم والمقسم عليه لكونهما من واد واحد.

وقد أخبر تعالى على طريق القسم بنفس القرآن المجيد بأنّه جعل القرآن الّذي ذكره عربيّاً بأن يفعله على طريقة العرب في مذاهبهم في المواد والحروف والألفاظ والمفاهيم... ومع ذلك فإنّه لا يتمكّن أحد منهم من إنشآء مثله، والإبتداء والإتيان بما يقاربه من علوّ طبقته في الفصاحة والبلاغة إمّا لعدم علمهم بذلك وإمّا لأنّهم صرفوا عنه على الخلاف بين العلمآء فيه، وهذا يدلّ على جلالة موقع التّسمية في التمكّن به والتّعذّر مع فقده. وفي نسبة الجعل إلى نفسه على سبيل التوكيد والتّعظيم إشارة إلى أنّه ليس بمفترى كما زعمه مشركو العرب.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر الأديب الأريب من ضميرى التكلّم مع الغير في الآية الكريمة: «إنّا جعلناه» تعظيماً لذاته المقدّسة، وإجلالاً لكتابه المجيد، وتجليلاً لرسوله الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وتكريماً لمن يتعقّل في هذا القرآن العربيّ من هذه الأُمّة واهتدى ببركة هذا الوحي السّماوي، وببركة هذا النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الّذي هو صفوة خلق الله تعالى، فجعل امّته خير امّة اخرجت للنّاس، وجعل لغتها هي اللغة الّتي تحمل دين الله كاملاً وهو الإسلام، فجآء كتابه بلغة العرب ليكون لهم حظّهم الكامل منه إن تعقّلوا فيه، وليكونوا هم أوّل من يقطف من كَرْمه، ويُطْعَم من ثمره إن عملوا به.

وقد جآء هذا التّعظيم في هذه السّورة (٤٨) مرّة، نصفها في النّصف الأوّل من هذه السّورة ونصفها الآخر في النّصف الثّاني منها على الترتيب التّالي: «إنّا ـ جعلنا ـ لدينا ـ نضرب ـ أرسلنا ـ أهلكنا ـ أنشرنا ـ آتينا ـ أرسلنا ـ انتقمنا ـ نحن ـ قسمنا ـ

رفعنـا ـ جعلنـا ـ نقيّض ـ جآءنـا ـ نذهبـنّ ـ إنّـا ـ منتـقمون ـ نـريـنّك ـ وعدنـا ـ إنّا مقتدرون ـ أرسلنا ـ رسلنا ـ جعلنا ـ أرسلنا ـ آياتنا ـ آياتنا ـ نرى ـ أخذنـا ـ كشفنا ـ آسفونا ـ انتقمنا ـ أغرقنا ـ جعلنا ـ أنعمنا ـ جعلنا ـ نشآء ـ جعلنا ـ آياتنا ـ ظلمنا ـ جئنا ـ إنّـا ـ مـبرمون ـ أنّا ـ نسمـع ـ رسـلـنا» فتدبّر واغـتنم جـدّاً ولا تغفل لأنّ فيها لطآئف وأسراراً، ونكات ومعارف وحِكَماً... لا يسعها المقام ونحن على جناح الإختصار.

**إن تسئل:** كيف كان القرآن الكريم عربيّاً، وفيه (١٠٥) كلمة غيرعربيّة؟

**تجيب عنه:** انّ ورود الكلمات اليسيرة بغير اللغة العربيّة لا يخرجه عن كونه عربيّاً كما أنّ القصيدة العربيّة لا تخرج عن كونها عربيّة إذا كانت فيه كلمة غيرعربيّة، وإنّ كلمـات القـرآن المجيد أكثرمـن خمسين ألف كـلمة على ماحقّقناه في كتاب (مـفتاح البصآئر) فنسبة مأة كلمة من غير اللغة العربيّة إلى أكثر من خمسين ألف، نسبة الواحد إلى خمسمأة تقريباً، وهذا لا يضرّ في كونه عربيّاً، مع مابين العربيّة والعجميّة مشابهات كثيرة في الألفاظ...

**وقوله تعالى:** «لعلكـم تعقلون» تـعليـل لقوله عزّوجـلّ: «إنّا جعلنـاه قرآناً عربيّاً» وإشارة إلى الحكمة من جـعـل القرآن الكـريم قـرآناً عربيّاً، وهـي لكي تتمّ الحـجّة على العرب أوّلاً، ويتمكّنـوا من الإتّصال به قبل غيـرهم ثانياً ومن إدراك معـانيه وعقلها حتّى يفيـدوا منه وينـتفعوا بما فيه مـن خير ورشاد... وهذا يعني أنّ العقل هـو الوسيلة الّتي يتوسّل بها إلى الإفـادة من هذا الوحي السّـماوي، وأن يجيئ إليه متخلّياً عن عقله، غير متدبّر لآياته لا ينال من خيره شيئاً.

**إن تسئل:** إنّ كلمة «لعلّ» للترّجي والتّمنّى، وهولا يليق من كان عالماً بعواقب الأُمور؟

**تجيب عنـه:** انّ «لـعلّ» مستعار بمعنى الإرادة لتلاحظ معنـاها، والمعنى: خلقـناه عربيّاً غير عجـميّ إرادة ان تعقله العرب قبل غيرهم، وتفكّروا في ذلك ويعلموا صدق مـن جآء به ويفـهموا مـعانيه، ويـدركوا اصولـه وفروعه وحكمه ومـعارفه...، ويـعملوا بموجبه ويبـلّغوه لسائر الأُمـم، ولئلاّ يقولـوا: لولا فصّلت آياته، ولا يقولوا: نحن العرب،

وهذا كلام أعجميّ لا نفقه شيئاً ممّا فيه. والمعنى: لكي تعقلوا معناه وتحيطوا بفحواه.

ولا يبعد أن يكون رجاء تعقّله غاية للجعل المذكور شاهداً على أنّ له مرحلة من الكينونة والوجود لا ينالها عقول النّاس، ومن شأن العقل أن ينال كلّ أمر فكريّ، وإن بلغ من اللطافة والدّقّة ما بلغ، ففاد الآية الكريمة أنّ الكتاب بحسب موطنه الّذي له في نفسه أمر وراء الفكر أجنبيّ عن العقول البشريّة، وإنّما جعله الله قرآناً عربيّاً وألبسه هذا اللباس رجآءَ أن يستأنس به عقول النّاس، فيعقلوه، والرّجآء في كلامه تعالى قآئم بالمقام أو المخاطب دون المتكلّم.

٤ - (وإنّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم)

يجوز أن تكون الجملة المؤكّدة معطوفة على الجملة المقسم عليها، داخلة في حكمها، ففي الإقسام بالقرآن الكريم على علوّه قدره عندالله جلّ وعلا براعة بديعة، وإيذان بأنّه من علوّ الشأن وحكمة الاسلوب والمقاصد بحيث لا يحتاج في بيانه إلى الإستشهاد عليه بالإقسام بغيره، بل هوبذاته كافٍ في الشّهادة على ذلك من حيث الإقسام به كما أنّه كاف فيها من حيث إعجازه، ورمز إلى أنّه لا يخطر بالبال عند ذكره شي ء آخر أولى منه بالإقسام به، ويجوز أن تكون مستأنفة مقرّرة لعلوّشأنه الّذي انباء عنه الإقسام به على منهاج الإعتراض في قوله عزّوجلّ: «وإنّه لقسم لوتعلمون عظيم» الواقعة: ٧٦)

مع مافيه من البيان لشرف القرآن العربي في الملإ الأعلى تعظيماً له، وليعمل به النّاس في كلّ ظرف، ومن الوصف له وأنّه مودع في امّ الكتاب عند الله تعالى، وحسبه بهذا علوّاً وشرفاً، وأنّه عليّ في ذاته، حكيم في بيانه وأحكامه، وفي اسلوبه ومقاصده، ومن شأن مَن يتّصل به أن يستعلي بإنسانيّته عن مستوى أهل الجهالة والضّلالة، وأن يتزيّا بزيّ العلوّ والحكمة الّتي هي العقل المتحرّر من الأوهام والخرافات، المستنير بنور العلم والمعرفة، وقدوُصِفَ القرآن الكريم هنا بصفتي العلو والحكمة اللتين هما من صفات الله جلّ وعلا، وإنّ القرآن هو كلام الله، وكلام الله من صفات الله عزّوجلّ. هذا هوالقرآن الّذي يدعوالعرب أوّلاً ويدعوالنّاس كلّهم ثانياً

في كلّ ظرف إلى تعقّله وتدبّره وإلى الحياة معه بعقولهم وقلوبهم...

فماذا كان منهم إزاء هذه الدّعوة؟ لقد تلبّثوا كثيراً، و وقفوا طويلاً على حال من التّردّد بين الإقدام والإحجام، حتّى إذا تبخرت سحب الضّلال المتكاثفة حولهم تحت أشعّة الشّمس الطّالعة في سماعهم ـ صُحوا صحوة مشرقة اهتزّت لها أنفسهم من أقطارها، فاندفعوا وراء راية القرآن اندفاع السّبيل الهادر، وقد اكتسح بقوّته ما بين يديه من حواجز ومعوقات...

**وقوله تعالى:** «إنّه في الكتاب» استعارة تصريحيّة، وقد استعير لفظ «اُمّ» للأصل، وهو المشبّه المحذوف لأنّ الأولاد تنشأ من الاُمّ كما تنشأ الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ماليس بمرئيّ حتّى يصير مرئيّاً، ولم تفد هذه الإستعارة سوى الظّهور لأنّ الامّ أظهر للحسّ من الأصل.

ولا يخفى على القارئ الخبير البياني أنّ فوائد الإستعارة ثلاث: **الاولى:** مبالغة في التّشبيه **الثّانية:** مبالغة في الظهور. **الثّالثة:** مبالغة في الإيجاز...

وقال بعض المعاصرين: قوله تعالى: «وإنّه في امّ الكتاب...» تأكيد وتبيين لما تدلّ عليه الآية السّابقة أنّ الكتاب في موطنه الأصليّ وراء تعقّل العقول... وتسميته بامّ الكتاب لكونه أصل الكتب السّماويّة يستنسخ منه غيره، والتّقييد باُمّ الكتاب و«لدينا» للتّوضيح لا للإحتراز. والمعنى أنّه حالكونه في امّ الكتاب لدينا ـ حالاً لازمة ـ لعليّ حكيم.

والمراد بكونه علياً على مايعطيه مفاد الآية السّابقة أنّه رفيع القدر والمنزله من أن تناله العقول، وبكونه حكيماً أنّه هناك محكم غير مفصّل ولا مجزّي إلى سور وآيات وجمل وكلمات كما هو كذلك بعد جعله قرآناً عربيّاً كما استفدناه من قوله تعالى: «كتاب احكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير» هود: ١)

وهذان النّعتان أعني كونه عليّاً حكيماً هو الموجبان لكونه وراء العقول البشريّة، فإنّ العقل في فكرته لا ينال إلّا ما كان من قبل المفاهيم والألفاظ أوّلاً، وكان مؤلّفاً من مقدّمات تصديقيّة يترتّب بعضها على بعض كما في الآيات والجمل القرآنيّة، وأمّا

إذا كان الأمر ورآء المفاهيم والألفاظ، وكان غيرمتجزّ إلى أجزآء وفصول فلا طريق للعقل إلى نيله.

فحصّل معنى الآيتين أن الكتاب عندنا في اللوح المحفوظ ذومقام رفيع وإحكام لاتناله العقول لذينك الوصفين، وإنّما أنزلناه بجعله مقروّاً عربيّاً رجآء أن يعقله النّاس. فإن قلت: ظاهر قوله: «لعلّكم تعقلون» إمكان تعقّل النّاس هذا القرآن العربيّ النّازل تعقّلاً تامّاً فهذا الّذي نقرؤه ونعقله إمّا أن يكون مطابقاً لما في امّ الكتاب كلّ المطابقة أو لا يكون، والثّاني باطل قطعاً كيف؟ وهو تعالى يقول: «وإنّه في امّ الكتاب» و«بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» البروج:٢٢) و«إنّه لقرآن كريم في كتاب مكنون» الواقعة:٧٨) فتعيّن الأوّل، ومع مطابقته لاُمّ الكتاب كلّ المطابقة ما معنى كون القرآن العربيّ الّذي عندنا معقولاً لنا وما في امّ الكتاب عند الله غير معقول لنا؟

قلت: يمكن أن تكون النسبة بين ماعندنا وما في امّ الكتاب نسبة المثل والممثّل، فالمثل هو الممثّل بعينه لكنّ الممثّل له لا يفقه إلّا المثل فافهم ذلك» انتهى كلامه.

**أقول:** فيه تأمّل، فتدبّر جيّداً.

**٥ - (أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين)**

سئوال استنكاريّ موجّه على منكرى الوحي السّماوي والمعرضين عن القرآن الكريم، وسئوال تهديد وتوبيخ لمشركي العرب ومسرفيهم الّذين لم يلتفتوا إلى هذا القرآن الّذي بين أيديهم، ولم يمدّوا أيديهم إلى تناول قطوفه الدّانية، توبيخ لهم عمّا إذا كانوا يظنّون أن الله عزّوجلّ يترك تذكيرهم بسبب إنكارهم الوحي وإعراضهم عنه، وبسبب إسرافهم في المكابرة والعناد، وإصرارهم على العداوة واللجاج... وعمّا كانوا يحسبون أنّ هذا الخير سيظلّ محبوساً على قوم لم يريدوه، وهناك نفوس كثيرة تشتهيه، وتنتظر حظّها منه.

إنّ مشركي العرب ومسرفيهم إن لم يبادروا إلى هذا الخير ولم يمسكوا به، فإنّه يوشك أن يتحوّل عنهم، وإذا هم إن طلبوه وجدوا غيرهم قد سبقهم إليه، وأخذ مقلع الصّدارة

الّتي كان مـن شـأنها أن تكـون لهـم وهذا مـا يشير إلـيه قوله جـلّ وعلا: «وإن تـتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لايكونوا أمثالكم» محمّد صلّى‌الله عليه وآله وسلّم:٣٨) ومـع ذلك أنّهم لا يتركون سدىً بسبب إنكارهم ولا يترك تذكيرهم بسبب تكذيبهم.

وفي الإستفهام إنذار وتنبيه أيضاً يشعر بالحرص على هداية هؤلآء المشركين، مع أنّ إسرافهم في الضّلال والعناد كان يقضي بأن يُصرَف القرآن عنهم من غير إنذار أو إعذار! وضرب الذّكر عنهم صفحاً: صرفه عنهم. أي تحوّل القرآن الكريم عنهم، وتنحيته جانباً... وصفحة الوجه، وصفحة السّيف: جانبه، وكذلك الصفحة من كلّ شيء... وفي التّعبير عن صرف القرآن عن المشركين، وتحوّله عنهم ـ في التّعبير عن هذا بضربه عنهم ـ إشارة إلى أنّ القرآن المجيد متّجه إليهم في كلّ ظرف، راغب في الإتّصال بهم، والحياة معهم، وأنّه لا يتحوّل عنهم إلّا مكرهاً...

وهذا يعني أن هذا الخير لا ينقطع تماماً عن الامّة العربيّة وإن قلّ لإعراضهم عنه، لأنّ القرآن الكريم لايُضرب عنهم أبداً لمقامه العظيم عند الله عزّوجلّ، وإن استقبل هؤلآء المشركون القرآن هذا الإستقبال العدآئي، فإنّه سيجد منهم آخر الأمر امّة تحتفي به، وهذا هو بعض السّرّ في التّعبير بضرب الذّكر عنهم صفحاً أي جانباً... بمعنى أنّه لا ينصرف عنهم إنصرافاً كاملاً بل ينصرف عنهم بجانب منه أشبه بالمغاضب الّذي يريد العُتبىٰ ممّن أُغضبه، وينتظر مصالحته...

إنّ الآية الكريمة تحتوي ردّاً على قول يمكن أن يكونوا قالوه لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد أن طال إنذار القرآن الكريم، وتقريعه، وأعرضوا عنه وأنكروه وأصرّوا على موقفهم وعنادهم، وهو لماذا تتعب نفسك يا محمّد بعد كلّ هذا ولا تيأس منّا ولا تتركنا وشأننا؟

فأوحى الله تعالى بالآيات الكريمة للرّدّ عليهم، وبيان حكمة الله جلّ وعلا في متابعة إرسال رسله رغم إستهزاء أقوامهم وتكذيبهم، وكفرهم وإعراضهم عنهم، حيث اقتضت حكمته تعالى تذكير النّاس دوراً بعد دور، وجيلاً بعد جيل «لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل» النّسآء: ١٦٥)

ولم تكن مكابرة النّاس وإسرافهم في الكفر والضّلالة، وإعراضهم عن الحقّ والهداية، واستهزاءهم وإنكارهم الرّسل... لتجعله يحيد عن هذه الحكمة حتّى يضلّ طريق الحقّ والهدى وسبيل الخير والصّلاح والنّجاة والفلاح... واضحاً بيّناً في كلّ ظرف... وفي هذا ما فيه من روعة وجلال، ومن تلقين مستمرّ المدى في وجوب متابعة الدّعاة إلى الحقّ لدعوتهم والصّبر والصّلابة عليها، والثبات والإستقامة فيها برغم ما يمكن أن يلقوه من إنكار وصدّ، من إعراض واستهزاء، ومن تكذيب واستخفاف... لأنّ ذلك من مقتضى حكمة الله تعالى لما فيه من قوام المجتمع البشرى وحياته.

إنّ الخطاب وإن كان موجّهاً لمشركي العرب، ولكن إطلاقه تشمل لكلّ من لم يعتبر بالقرآن الكريم، وجحد ما فيه من الحكمة والبيان.

وفي الآية الكريمة درس قيم للعلمآء ودعآة الدّين، والوعّاظ والخطبآء والمصلحين في إنذار النّاس وإرشادهم، ودعوتهم إلى الحقّ والهدى، وأمرهم بالمعروف والنّهي عن المنكر، والصّبر والصّلابة والإستمرار على ذلك، وإن لم ينته النّاس... حيث إنّ الإهتدء والقبول والعمل والتّنبّه... ليست من شرآئط الإنذار والتّبليغ كما زعمه الكسالى منهم.

**في تلخيص البيان** للسّيّد الشّريف الرّضي رضوان الله تعالى عليه قال في قوله تعالى: «أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين» : «وهذه إستعارة، ويقال: ضربت عنه وأضربت عنه بمعنى واحد وسوآء قولك : ذهبت عنه صفحاً وأعرضت عنه صفحاً، وضربت وأضربت عنه صفحاً، ومعنى صفحاً ههنا أي أعرضت عنه بصفحة وجهي والمراد والله أعلم: أفنضرب عنكم بالذّكر فيكون الذّكر مروراً لصفحه عنكم من أجل إسرافكم وبغيكم أي لسنا نفعل ذلك، بل نوالي تذكيركم لتتذكّروا ونتابع زجركم لتنزجروا ولمّا كان سبحانه يستحيل أن يصف نفسه بأعراض الصّفحة كان الكلام محمولاً على وصف الذّكر بذلك على طريق الإستعارة» انتهى كلامه ورفع مقامه.

٦ ـ (وكم أرسلنا من نبيّ في الأوّلين)

إخبار وتذكير بأنّ الله تعالى أرسـل قبل أن يرسل إلى مشركي الـعرب رسولاً، أنبيآء عديدين، وتقرير لما قبله صلّى الله عليه وآله وسلّم ببيـان أنّ إسراف الأُمم السّالفة لم يمنعه تعالى من إرسال الأنبيآء إليهم، وفيه عزاء وتسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ممّا يلقى مـن تأبّي قـومه عـليه وسـخريتهم منه، وإستهزآئهم به، فهـوصلّى الله عليـه وآله وسلّم ليس بدعاً من الـرّسل في هذا الّذي يناله من قومه من أذي، فهذا شأن جميع أنبيآء الله ورسله مع أقوامهم: «وما يأتيهم من نبيّ إلّا كانوا به يستهزؤن».

و«كـم» هـنـا خبريّة يـراد بهـا الـتّـكثير أي ما أكثر ما أرسـلـنـا من نبيّ في الأُمم الماضين.... فكانت حالهم أنّهم لا يلقون النّبيّ المرسل إليهم إلّا بالإستهزآءِ والتّحدّى والأذىٰ... وأنّ الآية الكريمة والآيـتان التّاليـتان لها بصدد التّـعليل لعدم صرف الذّكر عن مشـركي العـرب ببـيان أنّ كونـكم قـوماً مسرفين لا يـمنعنا من إجـراء سنّة الإنذار والهداية من طريق الوحي، فإنّا كثيراً ما أرسلنا من نبيّ في السّابقين، فإنّا ماخلقناهم عبثـاً ولا تركنا هم سدىً بلا زاجر ولا آمر، فكذلك أنتم.

٧ ـ (وما يأتيهم من نبيّ إلّا كانوا به يستهزؤن)

حكاية حـال مـاضية مستـمـرّة، تسلية لـرسـوله الخاتم صلّى الله عـليه وآله وسـلّـم عن إستهزاء قـومه أي كانوا هم على ذلـك إذ مـا كـان يجيئهم نـبـيّ من قبل الله تعالى إلّا كانوا يسخرون منه، فـإنّ الإستهزآء هو إظهار خلاف الإبطان إستصغاراً أو استحقاراً، فالامم المـاضيـة كفرت بـالأنبـيآء واحتقروا ما أتـوا به، وظنّوا أنّه مـن الخاريق الّتي لا يعمل عليها لجهلهم وفرط عنادهم، فلذلك حملوا أنفسهم على الإستهزآءِ بهم، وهوعائد بالوبال عليهم.

فقومك ليسوا ببدع في الأمم، ولا أنت ببدع في الرّسل، فلا تأس على ما تجد منهم، ولا يشقّنّ ذلك عـليك، فهم قدسـلكوا سبيـل من قبلهـم، واحتذوا حذوهم، ونهجوا نهجهم حذو القُذّة بـالقُذّة، وكن كما كان أُولواالعزم من الرّسل، واصبر كما صبروا على

ما اوذوا في سبيل الله تعالى، فكما لم نضرب عنهم صفحاً لإستهزآئهم برسلهم بل كرّرنا الحجج وأعدنا الرّسل، فكذلك لن نضرب عن قومك الذّكر صفحاً لاستهزآئهم بهم بل هذا القرآن بين أيديهم حجّة خالدة عليهم إلى يوم القيامة.

**إن تسئل:** لماذا بعث الله تعالى الأنبيآء مع علمه بأنّ أقوامهم لا يؤمنون بهم، بل يستهزؤن ويكفرون بهم؟

**نجيب عنه بأجوبة:**

**منها:** إتماماً للحجّة عليهم: «لئلا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل» وحسماً لا عتذارهم في كفرهم وطغيانهم بعد الحجّة.

**ومنها:** لإيمان بعضهم وإن قلّوا، وقد أخبر الله تعالى بالإستهزآء عن الأكثر كما قال: «وقليل من عبادي الشّكور» سبأ:١٣) وقال: «وما آمن معه إلّا قليل» هود:٤٠) و«فلا يؤمنون إلّا قليلاً» النّسآء:٤٦)

**ومنها:** إذ لولا أرسل الله تعالى إليهم الرّسل لوقع منهم من المعاصي أضعاف ما وقع عند إرسالهم، فصار إرسالهم لطفاً في كثير من القبآئح والجرآئم... فلذلك وجب وحسن على أن في إرسالهم تمكينهم ممّا كلّفوه لأنّه إذا كان هناك مصالح لا يمكنهم معرفتها إلّا من جهة الرّسل، وجب على الله تعالى أن يبعث إليهم الرّسل ليعرّفوهم تلك المصالح، فإذا لم يؤمنوا بهم، وبما معهم من المصالح أتوا بالآثام من قبل أنفسهم، فالحجّة قآئمة عليهم.

**٨ ـ (فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ومضى مثل الأوّلين)**

إخبار من الله تعالى بوخامة عواقب تكذيب الرّسل والإستهزآء بهم بأنّه جلّ وعلا أهلك من الأمم السّابقة المكذّبة الّذين كانوا هم أشدّ قوّة وبطشاً من مشركي العرب الّذين كانوا في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فلذلك قال: «ومضى مثل الأوّلين» أي وهو مثل لهؤلآء الباقين وعلى هذا جرت سنّة الله في الأمم الماضية لهم، فهل ينتظر هؤلآء المشركون إلّا أن يحلّ بهم ما حلّ بهؤلآء المكذّبين السّابقين أم أنّهم

أخذوا على الله عهداً أن يكونوا بمنجاة من عذاب الله؟.

وفي الآية الكريمة تسلية و وعد لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنّصر والغلبة، وتهديد و وعيد على المشركين وتحذير لهم بمثل ماجرى على الأوّلين، و وصفهم بأشدّية البطش لإثبات حكمهم لهؤلآء بطريق الأولويّة.

وفي الآيات الثّلاث إلتفات من الخطاب إلى الغيبة للعدول عن خطابهم إلى خطاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعدم إعتبارهم بهذا القصص والعبر لقوله تعالى بعدها: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات...» وليكون توطئة لقوله تعالى في آخرها: «ومضى مثل الأوّلين».

٩ - (ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم)

احتجاج على توحّد الله جلّ وعلا في الخلق والتدبير في نظام الكون ونواميس الوجود، وتسفيه لعقول مشركي العرب وتنبيه على خيانتهم أنفسهم، وخدعهم أفكارهم، وتبكيت لهم على إسرافهم، مأخوذ من اعترافهم بأن الله عزّوجلّ هو وحده خالق الكلّ، وماسواه مخلوق. فاقوالهم تخالف ضمآئرهم، وأفعالهم، تضادّ عقآئدهم... فإنّهم مع اعترافهم بذلك يشركون بالله سبحانه أنحآء الشّرك ، ويعبدون الأوثان والأصنام... فكفرهم كفر جهالة وعناد، كفر غواية ولجاج، وكفر عداوة وضلال... لأنّهم يعرفون الله تعالى ويعبدون سواه، ثمّ ينكرون رسوله وكتابه وقدرته على البعث والحساب والجزآء...

إنّ الخطاب موجّه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على طريق القسم بأنّه لوسئل مشركي العرب عمّن خلق السّموات والأرض لما وسعهم إلّا أن يجيبوا بأنّه هو الله وحده العزيز القويّ الغنيّ عن الغير، العليم بكلّ شيء.

إنّ الجواب: «ليقولنّ» حكاية مفروضة على لسان المشركين، واسلوبها يلهم أن جوابهم لن يكون إلّا إيجاباً، فهم لا ينكرون الله تعالى، وإنّما يشركون معه غيره للإستشفاع والزلفى ويعترفون أنّه الخالق الرّازق المدبّر المتصرّف في نظام الكون

ونواميس الوجود النّافع الضّارّ وحده ويدعونه وحده في الشّدآئد والأخطار على ماحكته آيات كثيرة من القرآن الكريم، ومن هنا جآئت الآية الكريمة في صدد محاججة مشركي العرب وإفحامهم وإلزامهم كما أنّها تمهيد وتوطئة لماتتضمّنه الآيات الخمس التّالية من الحجّة، وهذا ممّا جرى عليه أُسلوب النّظم القرآنيّ.

فمشركو العرب مع علمهم بأنّ الله تعالى وحده هو خالق هذا الوجود، والقآئم عليه لايقيمون أنفسهم على هذا العلم، ولا يأخذون به، بل يتّبعون أهوآءهم، ويتّجهون مع الرّيح الّتي تهبّ عليهم من أهوآئهم... فلوسئلهم سآئل: «من خلق السّموات والأرض؟» لقالوا من دون تردّد: «خلقهنّ» الله. ثمّ إنّهم من جهة اخرى لا يعطون الخالق ماينبغي له من صفات الكمال والجلال، والتّفرّد بالخلق والأمر، بل يجعلون له أنداداً وأعواناً، وينسبون إليه بنين وبنات... بغيرعلم...

**وفي قوله عزّوجلّ:** «العزيز العليم» إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه الإقرار الصّحيح منهم بعد أن أقرّوا بأنّ الله هو الّذي خلق السّموات والأرض... فإنّ الّذي خلق السّموات والأرض ينبغي أن يكون عزيزاً متفرّداً بالعزّة، فلايحتاج إلى معين من صاحبة أو ولد أو شريك، ولا يدخل فيه عزّته ضيم بمشاركة شريك كما ينبغي أن يكون عليماً محيطاً علمه بكلّ شيء... «ألا يعلم من خلق» الملك: ١٤)

**فقوله تعالى:** «العزيز العليم» هو وإن لم يكن ممّا نطق به القوم مقالاً، فقد نطقوا به حالاً وإلتزاماً... فإنّ إقرارهم بأنّ الله تعالى وحده هو الّذي خلق السّموات والأرض، يقضي بأن يكون الله العزّة المطلقة والعلم الشّامل.

**ولا يخفى على البياني الأريب:** أنّ من فنّ البلاغة والبيان هو حذف الموصوف من الكلام وإقامة بعض صفاته مقامه، وقد حذف في قوله تعالى: «ليقولنّ خلقهنّ» المسند إليه الموصول وهو لفظ الجلالة: «الله» وذلك لأنّ الكلام هنا مجزّأ، فبعضه من كلام المخلوق وهو: «خلقهنّ» وبعضه من كلام الخالق وهو: «العزيز العليم» وأصل الكلام أنّهم قالوا: «خلقهنّ الله» بدلالة قوله تعالى في آية أُخرى: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ـ ليقولنّ الله» العنكبوت: ٦١) ثمّ لـمّا قالوا: «خلقهنّ الله»

وصف الله تعالى ذاته بهاتين الصّفتين: «العزيز العليم» فأُقيمتا مقام الموصوف كأنّه كلام واحد كقولك للرّجل: مَن أكرمك من القوم؟ فيقول: أكرمني زيد. فتقول واصفاً له: الكريم الجواد المفضال الّذي من صفته كذا وكذا.

**١٠ ـ (الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلّكم تهتدون)**

مستأنف بيانيّ من ناحية الله جلّ وعلا لتقرير مظاهر توحّده في الخلق والإيجاد، والتّدبير في نظام الكون ونواميس الوجود، ولتقرير مشاهد عزّته وقدرته، وعلمه وحكمته... على طريق الإلفات لهؤلآء المشركين، وهم في موقف الإعتراف الملجئ لهم، إلى القول بأنّ الله تعالى وحده هو خالق السّموات والأرض... إلفات لهم إلى أنّ الله الّذي خلق السّموات والأرض، هو الله الّذي جعل لهم هذا الأرض موطناً ممهداً كأنّه المهد الّذي يهيّأ للوليد ساعةً يولد، حيث يقوم على هذا المهد من يرعى هذا الوليد، ويسهر على راحته، فهذه الأرض هي المهد الّذي يحتوى النّاس، والّذي تحفه عناية الله تعالى ورعايته، بما يمدّهم به جلّ وعلا من نعمه، وما يفيض عليهم من فضله، وأنّه لولا هذه الأمداد لم يكن للنّاس حياة...

وفي قوله عزّوجلّ: «وجعل لكم فيها سبلاً لعلّكم تهتدون» إشارة إلى بعض هذه النّعم الّتي أنعم الله تعالى بها على النّاس، وهم في هذا المهاد الممهّد... فمن هذه النّعم وتلك السّبل وهذه المسالك الّتي في البرّ والبحر، والّتي بها يعرفون وجوه الأرض، وينتقلون من مكان إلى مكان دون أن يضلّوا... فهم يضربون في كلّ وجه من وجوه الأرض، ثمّ يعودون إلى مواطنهم كما تعود الطّير آخر النّهار إلى أعشاشها...

ولعلّ وجه الإلتفات في الكلام إلى خطاب مشركي العرب بعد صرفه عنهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو إظهار العناية بهذا المعنى في الخلقة، وهو أنّ التدبّر بعينه من الخلق، فاعترافهم بكون الخلق مختصاً بالله جلّ وعلا، وقولهم برجوع التّدبر إلى غيره من خلقه من التّهافت في القول جهلاً، فقرعهم بهذا الخطاب من غير واسطة، فتأمّل جيّداً.

**١١ - (والّذي نزّل من السّمآء مآءً بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون)**

تقرير آخر لمظهر من مظاهر العزّة والقدرة المطلقة، والعلم المطلق الإلهي، وفي تقييد تنزيل المطر بقدر، فينزل المآء على قدر الحاجة لا زيادة عليها، ولا ناقصاً عنها فيضرّ ولا ينفع، بل هو مطابق للحاجة وبحسبها دلالة على أنّه واقع من مختار مدبّر يجعله على تلك الصّفة قد قدره على ما تقتضيه الحكمة لعلمه بجميع ذلك، لا كيف ما اتّفق.

**وقوله تعالى:** «فأنشرنا» في الإلتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال العناية بأمر الإحياء والإشعار بعظم خطره، وفي التّعبير عن إخراج النّبات بالإنشار الّذي هو إحياء الموتى، وعن إحيآئهم بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات، وتهوين لأمر البعث لتقويم سنن الإستدلال، وتوضيح منهاج القياس، وإنّما جمع بين إخراج الإنبات، وإخراج الأموات لأنّ كلّ ذلك متعذّر على كلّ قادر إلّا القادر لنفسه الّذي لا يعجزه شيء، ومن قدر على أحدهما قدر على الآخر بحكم العقل.

ومن فنون البلاغة هو الإلتفات في قوله عزّوجلّ: «والّذي نزّل من السّمآء مآءً بقدر فأنشرنا به» وذلك أنّه لمّا وقع الإنتقال من كلامهم إلى كلام الله تعالى جآء أوّله على لفظة الغيبة، وآخره على الانتقال منها إلى التّكلّم مع الغير تعظيماً في قوله: «فأنشرنا» فنّاً من فنون البلاغة ولتسجيل المنّة على عباده وقرع أسماعهم بها، وهذا من اسلوب النّظم القرآنيّ لا بدّ وأن يكون درساً لأهل العلم والبيان.

**إن تسئل:** إنّ الله تعالى ذكر هنا: «فأنشرنا به بلدة ميتاً» وقد ذكر في سورة الفرقان: «لنحى به بلدة ميتاً»: ٤٩) وفي سورة ق: «وأحيينا به بلدة ميتاً»: ١١) فما الفرق بين الإحياء والإنشار؟

**تجيب عنه:** إنّ هذه إستعارة، وقد مضي مثلها في سورة الفرقان إلّا أنّ ههنا إبدال لفظة مكان لفظة لأنّ ما مضى من نظائر هذه الإستعارة إنّما كان يرد بلفظ إحيآء الأرض من بعد موتها، و ورد ذلك ههنا بلفظ الإنشار بعد الموت، والتّعبير بالإنشار أبلغ، لأنّ الإنشار صفة تختصّ بها الإعادة بعد الموت، وأمّا للإحيآء فقد يشترك فيه ما يعاد من الحيوان بعد موته، وما يعاد من النّبات والأشجار بعد تلبّده وجفوفه، فإنّه

**يقال: أحيى الله الشّجر، كما يقال: أحيى الله البشر، ولا يقال: أنشر الله النّبات كما يقال: أنشرالله الأموات.**

**وقوله عزّوجلّ: «بلدة ميتاً» البلدة الميت ـ مخفّف الميّت بالتشديد ـ هي الخالية عن النّبات والثّمار بالكلّيّة، العادمة للقوّة النّامية، وإحيآؤها تهيّج القوى النّامية فيها، وإحداث نضارتها بأنواع النّباتات، وهو مستعارة من الاحياء الحقيقيّ الّذي هو إعطآء القوّة الحسّاسة كما أنّ موته مستعار من الموت الحقيقيّ الّذي هو عدم الحياة في البدن.**

**وفي قوله جلّ وعلا: «فأنشرنا به بلدة ميتاً» إشارة إلى أنّ هذه البلاد العامرة بما تزخر به من عوالم الحياة من نبات وحيوان وإنسان... هذه البلاد قد كانت مواتاً لا أثر للحياة فيها، شأنها في هذا شأن المقابر... فلمّا نزل هذا المآء بقدرة القادر العليم وتقديره وحكمته، دبّت الحياة في الأرض الموات، وقامت المدن والقرى، وهذا هو بعض السّرّ في قوله تعالى: «فأنشرنا» الّذي يشير إلى أنّ هذه البلاد العامرة نُشِرت من عوالم الموات، وأنّها كانت مطويّة في التّراب، فنشرها الله تعالى، وأخرج منها هذه** الحياة الدّافقة... وفي وصف البلدة بأنّها ميتة، إشارة إلى أنّ هذا الموت يحوى في كيانه حياة، ولكنّها حياة ميتة، وستظلّ هكذا ميتة إلى أن يأذن الله تعالى لها بالحياة والنّشور بما ينزل من السّمآءِ من مآءٍ فتحيا به الأرض بعد موتها... وفي إفراد البلدة وتنكيرها ـ إشارة إلى الوقوف بالنّظر عند بلدة واحدة من تلك البلاد القآئمة، حتّى تُستخلص منها العبرة والعظة، من غير أن يتشتّت النّظر ويتوزّع في كلّ بلد... فإذا وقعت للإنسان عبرة وعظة في بلد واحد، كانت كلّ بلدة بعد هذا، هى هذا البلد... فهي أوّلاً بلدة، ثمّ هي بعد ذلك بلاد كثيرة، تشمل ما وقع عليه النّظر وما لم يقع!.

**وقوله عزّوجلّ: «بلدة ميتاً» توصيف البلدة بالميت، وتذكيره باعتبار أنّ البلدة بمعنى البلد والمكان لأنّ البلدة أيضاً تتصف بالموت والحياة بإعتبار أنّها مكان.**

**وفي قوله تعالى: «كذلك تخرجون» إشارة إلى أنّ بعث الموتىٰ من القبور هو من صورة من هذا النّشور الّذي نُشِرت به الحياة في الأرض الموات... وقال بعض المعاصرين:**

لمّا استدلّ بتنزيل المآءِ بقدر وإحيآءِ البلدة الميتة على خلقه وتدبيره استنتج منه أمراً آخر لايتمّ التّوحيد إلّا به، وهو المعاد الّذي هو رجوع الكلّ إليه تعالى، فقال: «كذلك تخرجون» أي كما أحيا البلدة الميتة كذلك تبعثون من قبوركم أحيآءً

**۱۲ ـ (والّذي خلق الأزواج كلّها وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون)**

تقرير ثالث لمشهد آخر من مشاهد القدرة المطلقة والعزّة والعلم والحكمة الإلهيّة في الخلق والتّدبير في نظام الكون ونواميس الوجود، والله تعالى وحده هو الّذي خلق الأزواج كلّها ـ وهي كناية عن أنواع المخلوقات وأصنافها ـ من عوالم الإنسان والحيوان والنّبات والجماد... فإنّ المخلوقات كلّها متزاوجة من ذكر وانثى، ومن شحنتى السّلب والإيجاب... وهي بهذا التزاوج تتوالد فتتكاثر كما يتوالد ويتكاثر الإنسان، وبهذا يعتدل ميزان الحياة بين الأحياء، ويكون تكاثر النّبات والحيوان في البرّ والبحر مكافئاً لتوالد الإنسان وتناسله، وبهذا يجد الإنسان كفايته ممّا على الأرض، ومن البداهة أنّ خلق الأزواج بنفسه دليل على عدم زوجيّة خالقها، كما أنّ زوجية المخلوقات بنفسها دليل على حدوثها بعزيز عليم.

**وفي قوله تعالى:** «وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون» إشارة إلى ماسخّر الله تعالى للإنسان من أدوات الرّكوب في البرّ والبحر، والّتي بها ينتقل الإنسان من مكان إلى مكان لم يكن ليبلغه مشياً على رجليه إلّا بشقّ النّفس، وإشارة إلى أنّ هذا الجعل يحمل معه تذليل هذه المخلوقات وتسخيرها للإنسان، وأنّه لولا هذا لما كان للإنسان أن ينتفع بها.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «ماتركبون» تغليب لجانب الأنعام.

**۱۳ ـ (لتستووا على ظهوره ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذي سخّرلنا هذا وما كنّا له مقرنين)**

تقرير علّة من أجلها سخّر الله تعالى هذه المخلوقات... فقد سخّرها جلّ وعلا

ليستوى الإنسان على ظهورها ويملك تصريفها حيث يشآء، فإنّ الله عزّوجلّ أودع في بعض الحيوان غريزة الإنقياد للإنسان ولولاها لتعذّرعليه أو تعسّر أن يسخره في الرّكوب، والحمل والحرث...

**وقوله تعالى:** «ثمّ تذكروا نعمة ربّكم...» في العطف بـ«ثمّ» إشارة إلى أنّ ذكر هذه النّعمة إنّما يكون على أتمّه وأكمله حين يكون الإنسان متلبّساً بها، معايشاً لها، مستظلاً بظلّها طاعماً من ثمرها... عندئذ يكون إحساسه بهذه النّعمة كاملاً، ويكون ذكر المنعم بها قائماً على شعور مدرك، يقدّر هذه النّعمة، وما لها من أثر بالغ في الحال الّتي هو فيها مع هذه النّعمة، فيجد لذلك قلباً منشرحاً ولساناً رطباً طلقاً، يسبّح بحمد الله عزّوجلّ ويشكر له... ولهذا جآء العطف بالحرف: «ثمّ» الّذي يفيد التّراخي، والّذي يشير إلى أنّ الإنسان إذا غفل عن ذكر الله تعالى والنّعمة غآئبة عنه، فإنّه لا ينبغي أن يغفل والنّعمة حاضرة بين يديه، يعيش فيها وينعم بها...

وقوله تعالى: «مقرنين» فيه إيماء على أنّ قوّة ذي القرن بقرنه كما أنّ قوة ذي اليد في يديه.

**١٤ - (وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون)**

فيه إيذان بأنّ حقّ الرّاكب أن يتأمّل فيما يلابسه من المسير، ويتذكّر منه المسافرة العظمى الّتي هي الإنقلاب إلى الله جلّ وعلا فيبنى اموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة، ولا يخطر بباله في شيء ممّا يأتي ويذر أمراً ينافيها، ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع. فذكر الرّجوع إلى الله تعالى في هذا المقام هو أنسب الأوقات الدّاعية إليه، حيث المشافهة قويّة حين الرّكوب: «وتقولوا سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» وتقولوا حينئذٍ - على ماورد عن الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام قال: «إذا استويت على راحلتك واستوى بك محملك فقل: الحمدلله الّذي هدانا للإسلام ومَنّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم «سبحان الّذي سخّرلنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون والحمدلله ربّ العالمين اللّهمّ أنت الحامل على الظّهر والمستعان على الأمر اللّهمّ بلّغنا بلاغاً يبلغ إلى خير، بلاغاً إلى

مغفرتك ورضوانك، اللّهمّ لا طير إلّا طيرك ولا خير إلّا خيرك ولا حافظ غيرك »

وقويّة بين هذه الرّحلة الّتي يقطعها الإنسان على ظهر الدّابّة أو السّفينة أو الطّيّارة أو السّيّارة... ثمّ يعود بعدها إلى مستقرّه الّذي خرج منه... فكذلك الحياة الدّنيا هي رحلة بدأها الإنسان من يوم أن كان له وجود فيها، هذا الوجود الّذي خرج من عالم قآئم وراء هذه الدّنيا، ثمّ لا يلبث أن يعود من حيث بدأها إلى هذا العالم الّذي خرج منه: «إنّ إلى ربّك الرّجعى» العلق: ٨).

**في دعاءِ الصّباح** - يقول مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام -: «فإنّك سيّدي ومولائي ومعتمدي ورجآئي وأنت مطلوبي وغاية مُناي في منقلبي ومثواي».

**قوله** عليه السّلام: «وأنت مطلوبي وغاية مناي...» في كونه عزّوجلّ مطلوب الإنسان وغاية مناه إشارة إلى أنّ العاقل فضلاً عن المحبّ لا يؤثر غيره تعالى عليه ولو كان جَنّةً، فضلاً عن الدّنيا.

**وفي الحديث القدسي:** قال الله تعالى: «يابن آدم خلقت الأشياءِ لأجلك وخلقتك لأجلي» ولم يقل خلقتك لأجل الجنّة مثلاً. ومن أسرار إخراج آدم من الجنّة أنّه غار جلّ وعلا أن يميل إلى الجنّة. وأيضاً هو تعالى مطلوبه، لأنّه لا أكمل وأجمل من الإنسان سوى الحقّ عزّوجلّ حتّى يكون مطلوبه دون الحقّ، فإنّ المطلوب من حيث هو مطلوب أرفع من الطّالب من حيث هو طالب، إذ العالي لا يلتفت بالذّات إلى السّافل.

ومن البداهة أنّ الإنسان خُلِقَ للبقآءِ لا للفنآءِ، وأنّ البدن للنّفس، والنّفس لله جلّ وعلا وليست النّفس للبدن، وأنّ المنقلب هو المرجع والمآل والمثوى هو المنزل الأصلي وهذه المعابر والمقابر منازل الغربة والأمكنة العارضة... ولا يكون النّاس سكّان الجهة السّفليّة، وقُطّان المكان، ورِهان الزّمان، وممسوحون بمساحة كذا، كهذه الأحجام الّتي هي كالأغلال والسّلاسل، وتكون كلّ هذه صفات هذه الهيا كل... وهذه المعابر والمقابر منازل الغربة والأمكنة العارضة، فالنّاس غربآء أو واكالبومات

والغِربان والحشرات والدّيدان إلى هذه الكهوف والبيادر من التّربان...

فتباً لعقولكم المنحطّة أيّها النّاس، وتعساً لهمّتكم المنبتّة: «إثّا قلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة» التوبة: ٣٨)

فانهضوا وانتهزوا، ومن مجالسة هذه الدّيدان تأنّفوا واشمأزّوا واشمروا أذيالكم وفتّشوا في هذه التّربان تفلحوا وتجدوا ملوكاً متوّجين من قدس الله تعالى بمكلّلة التيجان.

فانتهت الآيات السّتّ: (٩ - ١٤) بتقرير كون ذلك ممّا يوجب ذكر نعمة الله تعالى وحمده على ما يسره للسّامعين من وسآئل الإعتراف بوحدانية الله عزّوجلّ في الخلق والتّدبير وبقدرته المطلقة، والعلم والحكمة، ومن إنابتهم إليه جلّ وعلا وانقلابهم من الشّرك والطّغيان إلى التّوحيد والإيمان، من الضّلال والعصيان إلى الهدى والغفران، ومن اللجاج والعدوان إلى الفلاح والرّضوان، ومن الخلق العاجز إلى الخالق القادر المتعال. فآية الإنقلاب تجعل الإنسان الرّاكب في نطاق الرّكوب، وطبعاً في السّفر طال أم قصر، والعبد دآئم الإنقلاب إلى ربّه، ولكن السّفر لابتعاده عن الموطن المألوف أم أي مسكن، يتطلب إنقلاباً إلى الرّبّ أكثر قضيّة اضطراب هنا لك أكثر... فالأدب الإسلامي هنا وثيق الصّلة بتربية الرّوح الإنساني، أنّه ليس قولة فاضية، وإنّما فائضة على القلب، نابضة منه، لا مجرّد طقوس لفظيّة عابرة، وإنّما إستحيآء للمشاعر وإستجاشة للضّمآئر، ولكي يرى الإنسان حياته كلّها مربوطة بفضل الله ورحمته، فيصبح دآئب الإنقلاب إلى الله فراراً دون قرار ولا ارتجاع إلى دارالفرار بخلاف من يركب الدّابّة أو السّيّارة أو السّفينة أو الطّيّارة... لأجل التنزّه والإشتغال بالملاهي والمناهي فيكون غافلاً عن المبدإ والمعاد.

وفي الآية الكريمة إيمآء إلى أنّ الرّكوب مظنّة الخطر، وربّما أدّى إلى الموت والهلاك ، فكيف بركوب السّيّارة والطّيّارة...؟! إذكم من راكب دابّة عثرت به أو شمست أو طاح عن ظهرها فهلك ، وكم من راكبي سفينة انكسرت بهم، ففرقوا، فلمّا كان الرّكوب بحدّ ذاته أمراً شديداً لخطورة مجهول المغبة، والرّاكب مستهدف لأنواع

المتالف وصنوف المخاطر كان من حقّه أن لا ينسى أنّه هالك لا محالة، وأنّه منقلب إلى الله تعالى، ولن يتاح له الإفلات من قضآئه إذا حُمّ، ومن قدره إذا حلّ، والغاية من كلّ ذلك أن يكون منتبهاً إلى نفسه، غير مؤثر لدنياه على آخرته.

**١٥ ـ (وجعلوا له من عباده جزءاً إنّ الإنسان لكفور مبين)**

جواب لسئوال مقدّر وهو: ما كان من أمر مشركي العرب إزآء تلك المظاهر الواضحة والمشاهد القاطعة بين أيديهم الدّالّة على وحدانيّة الخالق، وعلى قدرته المطلقة، وعلى غاية علمه وحكمته وتدبيره، وعلى رحمته الشّاملة لهم؟ هل قالوا ما هو مطلوب منهم في هذا المقام من ذكر الله تعالى والتّسبيح بحمده حين يتنعّمون من نعمه، ويستوون على ظهور هذه المراكب المسخّرة لهم؟ وكأنّ الجواب: إنّهم لم يقولوا هذا، بل استقبلوا تلك النّعم بالجحود والكفران، ومنعمها بالشّرك والعدوان... وجعلوا له من عباده جزءاً فأشركوا به، وأضافوا إليه معبودات أُخرى يعبدونها معه.

**وفي الآية الكريمة:** إشارة تنديديّة إلى عقيدة مشركي العرب في الملائكة إذ سوّغوا أن يكون بعض عباد الله جزءاً منه أو أولاداً، وفي هذا ما يدلّ على شدّة جحود هؤلآءِ المشركين وانحرافهم عن الحقّ والهدى، وابتعادهم عن العقل والمنطق، وعلى نهاية حماقتهم وجهالتهم...

**وقوله تعالى:** «من عباده» إشارة إلى أنّ ما عداه ممكن الوجود، فإنّ الولد متأخّر في الوجود عن الأب، والمتأخّر عن الواجب ممكن، والممكن مفتقر إلى الواجب في الوجود والبقاء والذّات والصّفات... و«من عباده» بيان لقوله: «جزءاً» وتقدّم البيان على المبيّن ههنا لا يقدح، ولا في جمعيّة البيان، وإفراد المبيّن. وفي التّعبير عن الولد بالجزء لمزيد استحالته في حقّ الواحد الحقّ من جميع الجهات، وإشارة إلى استحالة دعواهم فإنّ جزئيّة شيء من شيء كيفما تصوّرت لا تتمّ إلّا بتركّب في ذلك الشّيء، والله جلّ وعلا واحد من جميع الجهات... فالمراد بالجزءِ الولد، فإنّ الولادة إنّما هي بالإشتقاق، فالولد جزء من والده، منفصل منه، متصوّر بصورته، فالجزء كناية عن

نسبتهم الأولاد إلى الله سبحانه على اعتبار أنّ الأولاد جزء من آبآئهم...

ولا يخفى على البياني: أنّ الفرق بين البعض والجزء أنّ البعض ينقسم، والجزء لا ينقسم، وأنّ البعض يقتضي كلاًّ، والجزء يقتضي جمعاً. وقال بعض أهل البيان: إنّ الكلّ يدخل على أعمّ العامّ، ولا يدخل البعض على أخصّ الخاصّ، وإنّ العموم مايعبّر به الكلّ، والخصوص مايعبّر عنه البعض أو الجزء، وقديجيئ الكلّ للخصوص بقرينه تقوم مقام الإستثنآء كقولك لزيد في كلّ شي ء يد. ويجيئ البعض بمعنى الكلّ كقوله عزّوجلّ: «إنّ الإنسان لفي خسر» وحدّ البعض مايشمله وغيره إسم واحد، ويكون في المتّفق والمختلف كقولك: الرّجلّ بعض النّاس. وقولك: السّواد بعض الألوان. ولايقال: الله تعالى بعض الأشيآء وإن كان شيئاً واحداً يجب إفراد بالذّكر لمايلزم من تعظيمه. وفي القرآن: «والله ورسوله أحقّ أن يرضوه» التّوبة:٦٢) ولم يقل: يرضوهما.

وقال بعضهم: حدّ البعض التّناقص عن الجملة. وقال بعضهم: البعض أقلّ من النّصف وحدّ الجزء الواحد من ذاالجنس، ولهذا لا يسمّى القديم جزءاً كما يسمّى واحداً.

وقوله تعالى: «إنّ الإنسان لكفور مبين» تأكيد لكفرهم لأنّهم يكفرون بربّهم ويجحدون نعمه، فإنّ الكفور المبين: ظاهر الكفران مبالغ فيه، وإنّ مقالتهم هذه تقتضي الكفرمن وجهين: ١ـ أن يكون الخالق جسماً محدثاً لمشابهة الولد لوالده، فلايكون إلهاً ولا خالقاً. ٢ـ أن يستخفّ به سبحانه إذ جعلوا له أضعف نوعى الإنسان وأخسّهما.

١٦ـ (أم اتّخذ ممّا يخلق بنات وأصفاكم بالبنين)

«أم» منقطعة، ومافيها من معنى «بل» للإنتقال من بيان بطلان جعلهم لله سبحانه ولداً على الإطلاق إلى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أخسّ صنفيه.

ومعنى الهمزة في «أم» للإنكار التعجّبي والتّوبيخ، تعجّب من شأنهم حيث إنّهم

لم يقنعوا بأن جعلوا لله سبحانه جزءاً من عباده حتّى جعلوا له جلّ وعلا من مخلوقاته أجزآء أخسّ ممّا أُختير لهم وأبغض الأشيآء عندهم، بحيث إذا بُشّر أحدهم بها اشتدّ غمّه به كما قال تعالى: «وإذا بُشّر أحدهم...» فو بخّوا على ما سوّغوا أن يكون أولاد الله من البنات فقط، في حين أنّهم يتمنّون أن يكون أولادهم ذكوراً.

مع أنّ الإستفهام إنكاريّ يكشف عن ضلال مشركي العرب وفساد منطقهم وغباوتهم وحماقتهم ـ وقد أراهم ضلالهم المبين أن ينسبوا الولد إلى الله سبحانه ـ استغواهم الغيّ، فنزلوا بقَدْر الله تعالى أن يكون مساوياً لهم، فجعلوا لله البنات، وجعلوا لأنفسهم البنين، وقالوا: إنّ الملائكة بنات الله، ولم يروا أن يكون هؤلآء الملائكة ذكوراً... وهذا منطق سقيم، إذ كيف يكون الذّكور والإناث من خلق الله تعالى، ثمّ يكون لهم هم أن يختاروا ما يشتهون منها، ويدّعون لله سبحانه ما لا يشتهون، فغلطوا هم في الأصل الّذي هو جواز اتّخاذ الولد عليه، وفي البنآء على الأصل بإتّخاذ البنات وهذا من غاية جهالتهم وحماقتهم.

وتقييد اتّخاذ البنات بكونه ممّا يخلق لكونهم قآئلين بكون الملائكة ـ على ربوبيّتهم والوهيّتهم ـ مخلوقين، والإلتفات إلى خطابهم لتأكيد الإلزام وتشديد التّوبيخ.

وقوله عزّوجلّ: «وأصفاكم بالبنين» إمّا عطف على «اتّخذ» فداخل في حكم الإنكار والتّعجيب والتّوبيخ، وإمّا حال من فاعل «اتّخذ» باضمار «قد» والمعنى: بل اتّخذ من خلقه أخسّ الصّنفين، وقد اختار لكم أفضلهما. وفي تنكير «بنات» وتعريف «البنين» تربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة.

وفي الآية الكريمة وما يليها من الآيات الثّلاث مناقشة وردّ وتسفيه وإنذار لهم بسبب هذا الغلط الفاحش، وأنّها بسبيل الإنتقاص من قدر البنات والإناث، ومركزهنّ وتهوين شأنهن بالنّسبة للبنين والذّكور... وهذا لا ينافي ما ورد في القرآن المكّيّ والمدنيّ معاً يسوّغ القول إنّه قد رفع من شأنهنّ ومركزهنّ اللّذين كانا منخفضين غاية الإنخفاض في عصر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبيئته، بل رفع شأنهن حتّى اعتبر هنّ والرّجال متساوين في أصل الخلقة ونشؤ الجنس والرّابطة الزّوجيّة، واعتبرهنّ لكلّ

تكـليـف كلّف بـه الرّجـال، وكلّ واجب أوجب عليهـم، وكلّ خطـاب خوطب بهم، وأباح لهنّ كلّ ما أباح لهم،وحرّم عليهنّ كلّ ما حرّم عليهـم، ومنحهنّ كلّ ما منحهم، ورتّب عليهـنّ كلّ نـتيجـة رتّبها عـليهم من كلّ ذلك في الحياة الدّنيا والآخـرة معاً إلاّ ما استثنى منه.

**١٧ ـ (وإذا بشّر أحدهم بما ضرب للرّحمٰن مثلاً ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم)**

مستأنف بيانيّ لـتقرير ما قبلـه، وفيه زيادة توبيخ وإنـكار وتسفيه لمشركي الـعرب ولقسـمتهم تلك الجائـرة... على معنى أنّ أحـدهم إذا بشّر بالبـنات الّتي ينسبو نهنّ إلى الله سبحانه اسـودّ وجهه، وامتلأ صـدره غيظاً ولم يكد يـقدر على كتمه وكظـمه، وأنّهم لا يرضون أن يكـون الـبنات ممّن يولد لهم... فإذا ولد لأحدهم انثى امتلأت نفسه غـمّاً وكمداً، فكـيـف ينسب إلى الله سبحـانه من هو ـ حسب تـقديرهم هذا ـ مصـدر غمّ وهـمّ؟ أهذا أدب مع الله تعالى عنـد من يعترف بوجود الله تـعالى؟ إنّهم لو أنكروا الله أصلاً ولم يعـترفوا بوجـوده لكان لـذلك منطق عـندهم... أمـا أنّهم يعـترفون بالله، ثمّ ينـزلونه مـن أنفسـهم هذه المـنزلـة الّتي لا يرضونها لأنفسهم، فذلـك هو الضّلال المبين الّذي لا يمكن أن يقام له منطق حتّى من ضلال نفسه!

ويجـوز أن يكون حـالاً على معنى أنّهـم نسبوا إلى الله سبـحانه مـا ذكر، وحالهم أنّ أحدهم إذا بُشّر بالانثى الّـذي جعلها شبهاً مجانساً للرّحـمٰن صار وجهه مسودّاً من الغمّ وهـو مملوّ كرباً وغيظـاً لـعدم رضاهم بذلك وعـدّه عاراً لهم لكنّهم يـرضونه لله سبحانه وتعالى.

وهـذا يدلّ على شـدّة سخـفهـم لأنّ الـنّسآء في العـادة والإجمال ضـعيفات في قوّة الخصومـة والنّضال، يـقضين حياتهنّ في التّـزيّن واللهو، وهـذا ممّا لا ينبـغي أن يكون عليه أولاد الله إذا كان يصحّ أن يكون له أولاد سبحانه وتعالى.

**وقوله تعالى:** «بشّـر أحدهـم» إشارة إلى أنّ الانثى نعمة من نعـم الله عزّوجلّ، وأنّ ورودهــا على الإنسان من البشـريـات المسعدة الّتي من شـأنها أن تشرح الصّدر وتسرّ

القلب... ولكن مشركو العرب لجهلهم وضلالهم يضيقون بهذه النّعمة ويشقون بلقآئها...

**وفي قوله تعالى:** «بما ضرب للرّحمٰن مثلاً» إشارة إلى ما نسبه المشركون إلى الله تعالى من ولدحين جعلوا الملائكة بنات الله، وأنّ هذه النّسبة من شأنها أن تجعل تماثلاً بين الله وبين خلقه إذ كان الولد والأولاد على صورة متشابهة أو متقاربة أو متماثلة... جنساً وهيئة ولوناً وشكلاً...

**وقوله عزّوجلّ:** «ظلّ وجهه مسوداً» كناية عن نهاية الهمّ وغاية الغمّ، وفيه أيضاً حجّة عليهم لأنّ من اسودّ وجهه بما يضاف إليه ممّا لايرضىٰ فهو أحقّ أن يسود وجهه بإضافة مثل ذلك إلى من هو أجلّ منه، فكيف إلى ربّه!

وفي الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة في الآية الكريمة ايذان باقتضآءِ ذكر قبآئحهم أن يعرض عنهم، ويحكى شنيع سيرتهم وقبيح طريقتهم لغيرهم حتّى يتعجّبوا منه.

**١٨ ـ (أومن ينشّؤا في الحلية وهوفي الخصام غيرمبين)**

تكرير للإنكار وتأكيده وتثنية للتّوبيخ والتّنديد بمشركي العرب الّذين جعلوا النسآء ـ اللاتي يقتضين حياتهنّ في التّزيّن واللهو ـ أنداداً لله سبحانه.

إنّ الآية الكريمة تنكر عليهم في اسلوب استفهاميّ أن يجعلوا لله تعالى الجانب الضعيف من المخلوقات وهو جانب الانوثة على حين يجعلون لأنفسهم الجانب القويّ وهو جانب الذّكورة... فإنّ المعروف في عالم الأحياءِ كلّها أن الذّكر هو أقوى من الانثى وأشدّ بأساً في مجال الصّراع والخصام... والمراد بالإبانة: «غيرمبين» الكشف والتّحلية والإفصاح عن القوّة حين تدعو دواعيها، وتعرض في مجال الإمتحان... فالنّسآء غيربليغ في الجدل وغيرقويّ في الخصومة.

وقد ذكر هاتين الصّفتين هنا للمرأة لأنّها بالطبع أقوى عاطفة وشفقة، وأضعف تعقّلاً بالقياس إلى الرّجل وهو بالعكس، ومن أوضح مظاهر قوّة عواطفها تعلّقها الشّديد بالحلية والزّينة، وضعفها في تقرير الحجّة المبنيّ على قوّة التّعقّل، فالرّجل

بالطبع على التّعقّل الشديد بالحجّة، حين أنّ المرأة بالطبع على التعلّق الشّديد بالحلية.

**قوله تعالى:** «من ينشّؤا» في موضع «من» وجهان: **أحدهما**- النّصب بمضمر معطوف على «جعلوا» أي أو جعلوا مَن شأنه أن يربّى في الزّينة وهوعاجز عن أن يتولى لأمره بنفسه، فالهمزة حينئذ لإنكار الواقع واستقباحه. **ثانيها**- النّصب بمضمر معطوف على «اتّخذ» فالهمزة حينئذ لإنكار الوقوع واستبعاده وإقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في «أم» المنقطعة من الإنكار وتأكيده، والعطف للتّغاير العنواني أي أو اتّخذ مَن هذه الصّفة الذّميمة صفته؟! و«من» كناية عن الموصوف وهو المرأة. والمعنى: أم اتّخذ ممّن ينشأ ويربّي ويشبّ ويكبر في الزّينة وما يتحلّى به من حليّ وثياب... وهذا من شأن النّسآءِ غالباً وهو في الخصام غير مبين، وترك لكم أن تتّخذوا مَن تجعلون منهم فرسان قتال وأبطال حروب ...؟! وفي الكلام كناية قصد بها المبالغة والبلاغة، كنّى من النّسآءِ بانهنّ ينشأن في الترفّه والتّزيّن والشّواغل عن النّظر في الامور ودقيق المعاني، ولو أتى بلفظ النّسآء لما شعر بذلك، والمراد نفي ذلك عن الملائكة.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «ينشّؤا في الحلية» إيمآء إلى مافيهنّ من الدّعة ورخاوة الخلق بضعف المقاومة الجسميّة والعقليّة، حتّى يقال: قلّما تتكلّم إمرأة بحجّتها إلّا تكلمت بالحجّة عليها، كما أنّ فيه دلالة على أنّ النّشؤ في الزّينة ونعومة العيش من المعآئب والمذام للرّجال، وهو من محاسن ربات الحجال... فعليهم أن يجتنبوا ذلك ويأنفوا منه، ويربئوا بأنفسهم. في الآية الكريمة بيان الفارقين بين المذكّر والمؤنّث اطلاقاً:

**أوّلها**- إيجابيّ: «من ينشّأ في الحلية» حيث تربّى المؤنّث وتشبّ وتكبر في الزّينة والرّعونة واللينة وهي خلاف البطولة للمذكّر.

**ثانيها**- سلبيّة: «وهو في الخصام غير مبين» لا في خصام الصّراع بدنياً فإنّها أضعف من المذكّر، ولا في الصّراع عقلياً وفي المناظرة وبيان الحجّة لأنّها ناقصة العقول والرأى، فكما أنّ المرأة إطلاقاً أضعف من المذكّر في القوّة البدنيّة من دون مرآءٍ، كذلك هى أضعف منه في القوّة العقليّة من غير مرآءٍ، فمن توهّم بتساوي الذّكر والأنثى فهو بنفسه

ليس بأقوى من الأُنثى عقلاً وهو وهى على حدّ سوآء بأن لم‌ترتفع الأُنثى بل تنزّل هو عن حدّه وصار كالانثى عقلاً.

**١٩ - (وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمٰن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويُسئلون)**

بيان لتضمّن كفرهم المذكور لكفر آخر، وتقريع لهم بذلك، وايضاح لكذبهم وتقرير لجهلهم، وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله تعالى أنقصهم رأياً وأخسّهم صنفاً، وبيان شارح للعباد الّذين جعلهم مشركو العرب جزءاً من الله سبحانه، فهذا الجزء هو الملائكة، وقد جعلوا هؤلآء الملائكة إناثاً... فالمشركون بعملهم هذا قد اقترفوا جرماً غليظاً وإثماً عظيماً، يضمّ في كيانه ثلاثة وجوه من الكفر والجرآئم:

**الأوّل:** نسبة الولد إلى الله سبحانه وهو لم‌يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد.

**الثّاني:** جعل أولاد الله سبحانه إناثاً، فاعطوه أخسّ النّصيبين.

**الثّالث:** الإستخفاف بالملائكة إذ وصفوهم بأنّهم إناث.

كلّ ذلك زور وكذب وبهتان لامنطق له من العقل، ولا مستند له من الكتاب، ولا دليل لهم على ذلك إلّا التّقاليد العميآء من الآبآء الجهلاء...

**قوله تعالى:** «الّذين هم عباد الرّحمٰن إناثاً» في وصف الملائكة بالعبوديّة ردّ على مقالة مشركي العرب بأنّ الملائكة جزء من الله سبحانه، إذ في إثبات العبوديّة لهم نفى الجزئيّة عنهم، وردّ عليهم بانوثيتهم لأنّ الإناث لا يطلق عليهنّ العباد، بأنّ البنات اللاتي نسبوهنّ إلى الله هم الملائكة وهم عباده، ولا يلزم منه اتّصافهم بالذّكورة بالمعنى الّذي يتّصف به الحيوان، فإنّ الذّكورة والأُنوثة اللتين في الحيوان من لوازم وجوده المادّي المجهّز للتّناسل وتوليد المثل، والملائكة في معزل من ذلك.

ثمّ هل كانوا هم حاضرين حينما خُلِقوا ليقولوا هذا القول الّذي لا يجوز أن يقوله إلّا شاهد عيان، ولسوف يحصى الله تعالى على المشركين هذه الأقوال السّخيفة الشّنيعة

فيسئلهم عنها، ويحاسبهم عليها حساباً عسيراً.

**وقوله عزّوجلّ:** «أشهدوا خلقهم» إستفهام إنكاريّ، هذا تجهيل شديد لهم، وتهكّم بهم، ورمى لهم بالسّفه والحمق إذ لا يدلّ على ذلك عقل ولا نقل صحيح، فلم يبق إلّا الإخبار عن مشاهدتهم خلق الله إيّاهم أو مشاهدة صور الملائكة ذكوراً وإناثاً، وردّ عليهم بانوثيّة الملائكة، وفيه وعيد على قولهم بغير علم، إذ قالوا ماليس لهم به علم، ولم يشهدوا خلقهم حتّى يعلموا من أمرهم شيئاً يقولونه فيهم.

**وقوله جلّ وعلا:** «ستكتب شهادتهم ويسئلون» تهديد و وعيد شديد لمشركي العرب، وأنّهم سيحاسبون على هذا القول الّذي يقولونه في الملائكة، والّذي سيكتب على أنّه شهادة منهم في هذا الأمر، وإذا كانت تلك الشّهادة زوراً فإنّهم سيعاقبون عليها عقاب شاهد الزّور.

إنّما ضجّ إلى الإستقبال فأتى بالسّين الدّالّة عليه ليتضمّن الكلام معنى انفساح الوقت للتّوبة، وبناءِ الرّجآءِ على الإستعطاف لقبولها قبل كتابة ما قالوا جرياً على ما كانوا يعتقدون من تفضيل الذّكور على الإناث، ونسبة شرّ الجزئين وهو الإناث إلى الله تعالى، وفي هذا منتهى التّسفيه لآرآئهم لأنّهم تجنّوا على نصفنا الثّاني، فنسبوا إليه الشّرّ، ونقصان العقل، ثمّ تجنّوا على خالقهم بنسبتهم هذا الجزء الّذي هو شرّ إليه.

وعن بعض العرب أنّ إمرأته وضعت انثى فهجر البيت الّذي فيه المرأة فقالت:

مالأبي حمزة لا يأتينا ... يظلّ في البيت الّذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... ليس لنا من أمرنا ماشينا
وإنّما نأخذ ما أعطينا ... حكمة ربّي ذي الجلال فينا

إنّ فائدة الآية الكريمة: أنّ من شهد بما لا يعلم فهو حقيق بأن يوبخ ويذمّ على ذلك وشهادته بما هو متكذّب به على الملائكة أعظم من الفاحشة للإقدام على تنقّصهم في الصّفة، وإن كان في ذلك على جهالة. وهذا تماماً كقول من تفلسف وتعسّف من أنّ أصل الإنسان قرد! ومَن الّذي رآى هذا الولادة وشاهدها: «هو الّذي يصوّركم كيف يشآء» آل عمرآن: ٦)

**٢٠ ـ (وقالوا لوشاء الرّحمٰن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون)**

معطوف على جرآئم مشركي العرب الّتي عرضتها الآيات السّابقة لتقرير نوع آخر من كفرهم ولفن آخر من جريمتهم، ولحكاية ما كانوا يعتذرون به عن عبادة الملائكة، حيث كانوا يقولون: إنّ الله لولم يشأ أن نعبد غيره لمنعنا من عبادتهم، فذهبوا إلى مذهب الجبر والسّفسطة والمماحكة، فاعترفوا بأنّ لله عزّوجلّ مشيئة عامّة غالبة، ولكنّهم خلطوا فيها بين الإرادة التكوينيّة والإرادة التّشريعيّة، فأخذوا الاولى مكان الثّانية، فيستحيل تخلّف المراد عنها ولا إرادة لهم فيها، ولم يعلموا أنّ هنا إرادة تشريعيّة لا يستحيل التخلّف المراد عنها لكونها إعتباريّة، وهي الّتي تستعمل في الشّرائع والقوانين والتّكاليف المولوية، وقد جعل الله تعالى لعباده فيها مشيئة وإرادة وإختياراً.

أو ليست لهم مشيئة عاملة وإختيار وإرادة يأخذون بها الأُمور أو يدعونها؟ لو عطلوا مشيئتهم في كلّ أمر لكان لهم أن يقولوا هذه المقالة... ولكنّهم إذا حضرهم الطعام مدّوا أيديهم إليه، وأخذوا منه ما يسدّ جوعهم بإرادتهم، فإذا شبعوا رفعوا أيديهم عنه بإختيارهم... فلِمَ يمدّون أيديهم إلى الطّعام، ولا يقولون: لوشآء الله أن نأكل لأكلنا؟ هذه أقرب صورة من صور مشيئتهم، إلى مالا يحصى من الصّور الّتي تتحرّك فيها تلك المشيئة في أقوالهم وأفعالهم... فكيف يجعلون أفعالهم الضّالّة، وأقوالهم المنكرة من مشيئة الله تعالى، ولا يجعلون لمشيئتهم وجوداً هنا، مع أنّها موجودة في كلّ حال معهم؟

ومن جهة أُخرى: انّ هؤلآء الغواة الضّالّين، وهؤلآء البغاة المضلّين لوجَرَوْا على منطقهم الّذي يجعلون به لله سبحانه مشيئة عامّة شاملة لكان مؤدّى هذا أن يعبدوا الله وحده، وأن يتبرّؤا من كلّ شريك له، إذ كان جلّ وعلا صاحب السّلطان المطلق والحكمة المطلقة والمشيئة النّافذة... وإنّه لضلال سفيه أن يعبد المرء مَن لاسلطان له ولا مشيئة من الأوثان والأصنام... ويدع صاحب السّلطان وربّ المشيئة!

وقوله تعالى: «مالهم بذلك من علم» ردّ عليهم مقالتهم، وإشارة إلى جهالتهم، والإشارة بـ «ذلك» إلى هذا القول الّذي يقولونه باطلاً وزوراً، ويضيفون فيه عبادتهم

الملائكة إلى مشيئة الله سبحانه، فهذا الّذي يقولونه عن جهل وسفاهة إذ لا يعلمون ماهي مشيئة الله تعالى ولا يقدرونها قدرها، فهم إذا أساؤا، و وضعوا موضع المساءلة والحساب والجزآء... قالوا: هذا من مشيئة الله فينا، وإذا كانوا في عافية من أمرهم، لم يلتفتوا إلى هذه المشيئة، ولم يضيفوا إليها شيئاً ممّا هم فيه، بل يجعلونه من كسب أيديهم...

**وقوله جلّ وعلا:** «إن هم إلّا يخرصون» توكيد لردّهم وجهلهم وضلالهم وسفاهة منطقهم فيما يقولون عن مشيئة الله عزّوجلّ، فهو قول لا مستند له من علم أو عقل، وإنّما هو قآئم على الوهم والتّخمين، فاهم إلّا يرجمون بالغيب... وإنّ من يبني معتقده ويقيم دينه على مثل تلك الأوهام والظّنون، وعلى تلك الخرافات والأباطيل... لايصل إلى حقّ أبداً قال الله تعالى: «قتل الخرّاصون الّذين هم في غمرة ساهون» الذّاريات: ١٠-١١)

**ولا يخفى على القارئ الأديب:** من الفرق بين الخرص والكذب، حيث إنّ الخرص هو الحزر وليس من الكذب في شيء، والخرص مايحزر من الشّيء، يقال: كم خرص نخلك؟ أي كم يجيئ من ثمرته؟ وإنّما إستعمل الخرص في موضع الكذب لأنّ الخرص يجرى على غير تحقيق، فشبّه بالكذب، واستعمل في موضعه.

**وفي الآية الكريمة:** ردّ تسفيهيّ على هذه الحجّة الواهية بتقرير كونهم لا يستندون فيها إلى علم وبيّنة، وإنّما هم متوهّمون توهّماً، وردّ مستمرّ التّلقين والمدى أيضاً على كلّ حجّة مماثلة لتبرير الآثام وتصحيح الإعوجاجات الّتي يرتكبها النّاس غالباً ويقولون: إنّ الله لوشآء لما ارتكبناها. وتسفيه مستمر التلقين والمدى لكلّ من يلقى الكلام على عواهنه من غير سند إلى علم ولا بيّنة أو يتمسّك برأيه تمسّكاً أعمى بدون منطق ولا دليل، فهم يحاولون التهرّب حين يحاصرهم الحجج، وتتهافت بين أيديهم الأُسطورة فيحيلون عبادتهم لهم على مشيئة الله لوشاء الرحمن الآ نعبدهم ماعبدناهم أن يمنعنا من عبادتهم تسييراً، وهذه قولة المجبّرين، ولكنّهم يتقوّلونها جاهلين: «ما لهم بذلك من علم» لاعلم لهم بمرضاة الله ومشيئته في عبادتهم، ولا علم لهم بمشيئة الله تعالى أنّها لاتختصّ بالتّكوينيّة.

**٢١ - (أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون)**

هذا إضراب عنه إلى إبطال أن يكون لهم سند من جهة النقل بعد إبطاله من ناحية العقل، أي إنّ الإضراب هنا عن نفي أن يكون لهم مستمسك عقليّ إلى إنكار أن يكون لهم سند نقليّ فليس عندهم بما يقولون علم ذاتيّ اهتدوا إليه بعقولهم، ولا علم من كتاب آتاهم الله تعالى إيّاه قبل هذا الكتاب الّذي يتلوه عليهم رسول ربّ العالمين، فلاحجّة لهم على عبادة الملائكة لا من طريق العقل، ولا من طريق النّقل، فلم يأذن الله فيها.

فالإستفهام تقريع لهم على خطئهم، وتساؤل على سبيل الإستنكار والتحدّي عمّا إذا كان الله تعالى قد أنزل عليهم قبل القرآن كتاباً يستندون إليه فيماهم عليه من عقآئد ويدلّون به من حجج، ويستمسكون به دون القرآن.

**٢٢ - (بل قالوا إنّا وجدنا آبآئنا على امّة وإنّا على آثارهم مهتدون)**

إضراب عمّا قبله، واخبار بأنّه لا مستند لهم في عقآئدهم الباطلة، وأقوالهم الفاسدة إلّا التقليد، وردّ عليهم على سبيل الحكاية لما كانوا يقولون فيما تلزمهم الحجّة، بأنّ الأمر ليس على مايقولون: «إنّا وجدنا آبآئنا على امّة...» ونحن سآئرون على هداهم وسيرتهم في عقآئدنا إذ كانوا يعتقدون أنّ ماهم عليه متّصل بشريعة ربّانيّة يتوارثونها جيلاً عن جيل، وقدتكرّرت حكاية هذه الحجّة عنهم مراراً مرّت منها أمثلة في السّور السّابقة حيث يبدو أنّهم كانوا يكرّرونها في كلّ مناسبة ومناظرة، وأنّهم كانوا يظنّون أنّ ماهم عليه من عقآئد وتقاليد هومن ملّة إبراهيم عليه السّلام وليس الأمر كذلك، وإنّما كلّ ماعندهم هو ضلال ورثوه عن آبآئهم، وقالوا لمن يسئلهم عن دينهم الّذي يدينون به، ويعبدون عليه الملائكة من دون الله على اعتبار أنّهم بنات الله قالوا: «إنّا وجدنا...» فليس لهم علم من ذات أنفسهم ولا كتاب جآءهم قبل هذا الكتاب.

في قوله تعالى حكاية عنهم: «وإنّا على آثارهم مهتدون» إشارة إلى ما بلغ بهم

استسلامهم لموروثات آبآئهم من ثقة فيما ورثوه عنهم، فتلقّوه في اطمئنان، دون أن ينظروا فيه بعقولهم، وأن يكشفوا عمّا فيه من حقّ أو باطل، ومن هدى أو ضلال... وإنّ هذا لا يكون إلّا من سفيه أحمق، يعطل عقله، ويزهد فيه، ويسترخصه، فلا يعيش إلّا من هذا الغذآء الّذي هو فضلة ممّا ترك الآكلون، وقد تعفّن وفسد!! فهل هذا شأنهم مع ما ورثوا عن آبآئهم من أموالهم ومتاع؟ ألم يقلّبوا هذه الأموال والأمتعة بين أيديهم؟ ألم يطرحوا منها ماهو غير صالح؟ ألم يأخذوا الصّالح منها، ويعملوا على الإفادة منه؟ فما بالهم مع ماتلقّوا عن آبآئهم من عادات ومعتقدات هي ممّا يتّصل بعقولهم؟ مابالهم قد قبلوه على علاته، وأخذوه دون نظر فيه: «أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون»؟ البقرة: ١٧٠)

ولا يخفى على القارئ الخبير البيانيّ المتدبّر: أن الآيات الثمان: (١٥-٢٢) متصلة بسابقاتها واستمرار لها، واسلوبها جدلّي، والحجّة في الجدل تكون أقوى بطبيعة الحال إذا كانت مستمدّة ممّا يسلم به الفريق الثّاني، ولهذا جآئت الحجّة هنا قويّة ملزمة، والسّخرية لا ذعة محكمة، وأنّ الآيات الكريمة تنطوي على معنى التنديد بالحجّة الّتي كان المشركون يحتجّون بها، وعلى تقرير كون صحّة العقيدة والفكرة وبطلانها لا يجوز أن يكون مستنداً إلى قدمها وتوارثها على الآبآء... وإنّما يجب أن تكون قآئمة على بيّنة وعلم، وفي هذا تلقين جليل قرآنيّ مستمرّ المدى.

وإنّ ماورد في الآيات هنا وفي آيات أُخرى جآئت في مثل المناسبة الّتي جآئت فيها هذه الآيات هو تعبير عمّا كان سآئداً في أذهان مشركي العرب الّذين تندّد الآيات بهم، واعتباراتهم لتكون الحجّة فيها أشدّ إلزاماً وإفحاماً.

**٢٣ ـ (وكذلك ماأرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنّا وجدنا آبآئنا على امّة وإنّا على آثارهم مقتدون)**

مستأنف مبيّن لذلك دالّ على أنّ التّقليد فيما بينهم ضلال قديم، إذ ما كان لأسلافهم أيضاً سند غير التّقليد، فليس هذا شأن مشركي العرب وحدهم، بل هو

شأن أهل الضّلال جميعاً في الامم الماضية، إذ ما جآءهم من نذير إلّا تلقّوه بهذا القول الضّالّ المضلّ: «إنّا وجدنا آبآئنا...» وهكذا يقيم الضّلال له مَجْرئً آسناً، يتوارد عليه من منبعه إلى مصبّه أصحاب العقول السّقيمة، والنّفوس الشّريرة والسّرآئر الخبيثة كما يسقط خسيس الطّير على الجيفة...

وقوله تعالى: «إلّا قال مترفوها» الوصف هنا في مقام الذّمّ والتنديد بهم في كلّ ظرف وتخصيص المترفين - وهم المتنعّون الرّؤسآء - بتلك المقالة ايذان بأنّ التنعّم هو الّذي صرفهم عن النّظر في الحقّ إلى التّقليد، وتنبيه على أنّ حبّ البطالة هو سبب إهمال النّظر، وإختصاصهم بالّذكر هنا لأنّهم هم الّذين يقومون في كلّ ظرف، في وجه كلّ دعوة تخرج بالنّاس عمّا هم فيه من حال إلى حال، فإنّ هذا التّحوّل يؤذن أهل التّرف والغنى بأن يخرجوا عمّاهم فيه... ومن هنا كان أكثر النّاس حَرْباً وأشدّهم عداوة لدعوات الإصلاح، هم أصحاب المال والجاه والسّلطان... حيث لا يريدون تحوّلاً عن حالهم الّتي هم فيها... لأنّهم يؤثرون الترفه على طلب الحجّة في كلّ ظرف من الظّروف... فيحيلون على التّقليد للآبآء فحسب دون حجّة ولا برهان. وإستعمال كلمة «مترفوها» قد يدلّ على أنّ المتصدّين للصّدّ والحجاج مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هم زعمآء مشركي مكة وأصحاب الوجاهة منهم، وهو ما تؤكّده آيات كثيرة أُخرى فتدبّر جيّداً.

في الآية الكريمة ومايليها من الآيتين تطمين وتسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن ما يلقاه من قومه هو ما كان يلقاه الأنبيآء عليهم السّلام من قبله من أقوامهم... وتوكيد بعدم جواز التمسّك الأعمى بتقاليد الآبآء دون سند وبيّنة ولا علم وحجّة، ودلالة على أنّ التّقليد في نحو ذلك ضلال قديم، فليس ببدع، فهذا دأب أسلافهم ودآء قديم في جهّال بني آدم.

إن تسئل: لماذا قال الله تعالى في تقاليد مشركي العرب عن آبآئهم: «إنّا على آثارهم مهتدون» وفي تقاليد مترفي الأُمم السّالفة عن آبآئهم: «إنّا على آثارهم مقتدون»؟

نجيب عنه بأجوبة:

منها: إنّ الأوّل وقع في محاجّة مشركي مكّة ومخاصمتهم رسول الله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم وادّعآئهم أنّ آبآئهم كانوا مهتدين، فهم مهتدون كآبآئهم، فناسبه «مهتدون» والثّاني وقع حكاية عن قوم ادّعوا الاقتدآء بالآبآء دون الاهتداء فناسبه «مقتدون».

ومنها: إنّ قولهم «مهتدون» وقولهم «مقتدون» بمعنى فجآء بلفظي الإهتدآء والاقتداء تفنّناً.

٢٤ ـ (قال أولو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آبآئكم قالوا إنّا بما ارسلتم به كافرون)

حكاية لماجرى من المحاجّة بين المنذرين من الرّسل وبين المترفين من اممهم عند تعلّلهم بتقليد آبآئهم... فيحاجّونهم ويسئلونهم منذّدين عمّا إذا كانوا يصرّون على طريقة آبآئهم حتّى ولو أتوهم بما هو أهدى وأصلح منها، ويردّون عليهم قولهم هذا الّذي يقولونه عن موروثاتهم من آبآئهم، ويجيبونهم بأنّهم كافرون بما أتوا به على كلّ حال، وإنّ الخطاب للمترفين، ويشمل غيرهم بالتّبعية أي قال كلّ نذير من اولئك المنذرين للمترفين الرّؤسآء وأتباعهم: أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بدين أهدى وجدتم عليه آبآئكم من الضّلالة الّتي ليست من الهداية في شيء؟ وإنّما عبّر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الإنصاف.

وفي مخاطبة الرّسول لهم فرداً، وردّهم على الرّسل جمعاً إشارة إلى أنّ هذا هو الجواب الّذي تلقّاه الرّسل جميعاً من المترفين من أقوامهم...

وفي قوله تعالى: «أولو جئتكم بأهدى...» أحسن التّلطّف في الإستدعآء إلى الحقّ، وهو أنّه لو كان مايدّعونه حقّاً وهدى، وكان ماجئتكم به من الحقّ أهدى منه كان أوجب أن يتّبع ويرجع إليه.

وفيه من فنّ الإلجآء مالا يخفى على القارئ البيانيّ وهو أن يبادره المتكلّم الخصم بما يلجئه إلى الإعتراف بحقيقة نفسه ودخيلة قلبه، فالتّعبير في الآية الكريمة بالتّفضيل: «أهدى» المقتضي أنّ ماعليه آبآؤهم فيه هداية لم يكن إلّا لإلجآئهم إلى الإعتراف

بحقيقة نيّاتهم الّتي يضمرونها، كأنّه يتنزّل معهم إلى أبعد الحدود، ويرخى لهم العنان إلى أقصى الآماد ليعترفوا بالتّالي بمكابرتهم الّتي لاتجدي معها المناصحة في القول، ولا ينفع في تذليلها الإتيان بالحجّة. فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

وقوله عزّ وجلّ: «قالوا إنّا بما ارسلتم به كافرون» إخبار بأنّهم أبوا أن يقبلوا ذلك، على سبيل الحكاية عنهم إذ قالوا في الجواب عن ذلك إجابة تيئيس من اتباعهم له على كلّ حال أي قال كلّ امّة لنذيرها: إنّا بما أُرسلت به كافرون.

في الآية الكريمة دعم قويّ له بما احتوته من التّنديد المفحم بالتّعصّب لتقاليد الآبآء حتّى في حال الدّعوة إلى ماهو الأهدى والأصلح والأحقّ. وفي هذا تلقين مستمرّ المدى بوجوب الأخذ دآئماً بما هو الأهدى والأصلح والأحقّ بقطع النّظر عن مصدره، وبقطع النّظر عن جدته وقدمه.

**٢٥ ـ (فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين)**

إنذار لمشركي العرب، و وعيد وتهديد شديد لهم بعاقبة مثل عاقبة أمثالهم الأوّلين ـ على طريق الإخبار بالإنتقام منهم واهلاكهم ـ بأن يلقوا مالقى المكذّبون قبلهم من نقمة الله وعذابه في الدّنيا والآخرة. والامر بالنّظر: «فانظر» إلى عاقبة السّابقين يتضمّن كون آثار انتقام الله ممّا يشاهد ويرى من قبل السّامعين كما هو المتبادر ممّا فيه تدعيم للإنذار وإلزام للكفّار.

وفي هذا سلوة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإرشاد له إلى عدم الاكتراث بتكذيب قومه له، و وعد كريم له صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنّصر والتأييد، وبشارة لأهل الحقّ والهدى بالعاقبة المحمودة.

**٢٦ ـ (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنّني برآء ممّا تعبدون)**

تعقيب ثان على مقالات مشركي العرب في صورة تذكير بابراهيم عليه السّلام وموقفه من قومه بعد أن كذّبوه وأنكروا عليه مايدعوهم إليه من عبادة ربّ العالمين، فتبرّأ من

دينهم كما تبرّؤا من الدّين الّذي يدعوهم إليه إذ قال لأبيه وقومه: إنّني أرفض ماتعبدون من أصنام وكواكب... وبريء منها، تذكيرلهم بطريقة و وصيّة من يعرفون ويعترفون بأنّه أبوهم الأكبرعلى سبيل التنديد والإفخام، فإذا كانوا يريدون التمسّك بتقاليد الآبآء ولم يكن لهم بدّ من التّقليد، فهذا هوتقليد أبيهم الأكبر، وعليهم أن يعودوا عن ضلالهم إليه، فإنّه أشرف آبآئهم، فعليهم أن يرفضوا تقليد الآبآء والأسلاف من دون علم ولا برهان كما رفض أشرف أبيهم إبراهيم تقليد أبيه وقومه بغير علم ولا دليل.

فالقول بالتّقليد يوجب المنع من التّقليد، وذلك أنّ إبراهيم عليه السّلام كان أشرف آبآء العرب وأنّه رفض دين الآباء لأجل العلم والبرهان، فلوكانوا هم مقلّدين لآبآئهم وجب أن يتبعوه في الاعتماد على العلم والبيّنة لا مجرّد التّقليد.

وفي الآية دلالة على أنّ البراءة مقدّمة على الولاية، فالتبرّيّ قبل التّولّي كما أنّ التّطهيريكون قبل الطّهارة، وهذا هومعنى كلمة التّوحيد.

**٢٧ ـ (إلّا الّذي فطرني فانّه سيهدين)**

إستثناء منقطع بمعنى «لكن» أي لكن الّذي فطرني أي خلقني إبتدآءً هو الّذي سيهديني إلى الحقّ ويقيمني على طريق الهدىٰ لأنّ الوثنيّين لا يعبدون الله أو متّصل على أنّ ماتعمّ اولى العلم وغيرهم، وأنّهم كانوا يعبدون الله والأصنام معاً، فاستثنى من جملة ما كانوا يعبدونه الله تعالى ويطلب منه وحده الهداية. وفي توصيفه جلّ وعلا بالفطر إشارة إلى الحجّة على ربوبيّته والوهيّته، فانّ الفطر والإيجاد لا ينفكّ عن تدبير أمرالموجود المفطور فالّذي فطر الكلّ هوالّذي يدبّر أمرهم فهو الحقيق أن يعبد وحده.

**وقوله عزّوجلّ:** «سيهدين» السّين للتأكيد لا التسويف، وصيغة المضارع للإستمرار فهو الّذى يهديني إلى طريق الحقّ القويم، وفيه بيان ثقته بالله تعالى، ودعآء لقومه إلى أن يطلبوا الهداية من عنده، وتنبيه لهم علىأنّ الهداية من ربّه، ففى الجملة إشارة إلى خاصّة اخرى ربوبيّة وهي الهداية إلى السّبيل الحقّ يجب أن يسلكه الإنسان فإنّ

السّوق إلى الكمال من تمام التّدبير فعلى الرّبّ المدبّر لأمر مربوبه أن يهديه إلى كماله وسعادته قال الله جلّ وعلا حكاية عن موسى عليه السّلام: «ربّنا الّذي اعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى» طه: ٥٠)

وقال: «وعلى الله قصد السّبيل» النحل: ٩) فالرّجوع إلى الله تعالى بتوحيد العبادة يستتبع الهداية كما قال عزّوجلّ: «والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا» العنكبوت: ٦٩).

ولا يخفى أن الآية الكريمة والّتي قبلها في معنى كلمة التّوحيد المركّبة من البراءة والولاية على تقديم البراءة على الولاية إذ لاريب أنّ قوله: «إنّني براء ممّا تعبدون» بمنزلة «لا إله» وقوله: «إلّا الّذي فطرني» بمنزلة «إلّا الله» وهي كلمة التّوحيد، فلذلك انّث الضمير في قوله:

## ۲۸ ـ (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون)

الكلمة هنا كناية عن كلمة التّوحيد الّتي جعلها إبراهيم عليه السّلام ميراثاً منه لذرّيّته من بعده و«عقبه» كناية عن ذرّيّته. وقد جعل إبراهيم عليه السّلام أمر التّوحيد وصيّة دائمة لأنساله من بعده حتّى يسيروا عليه، ويتذكّر من يضلّ منهم، فيعود عن ضلاله إليه، وإذ كان مشركو العرب من ذرّية إبراهيم عليه السّلام فإنّ لهم ميراثهم من كلمته تلك، وإنّهم إذا كانوا قد وجدوا آبآءهم على دين غير دين أبيهم الأكبر إبراهيم عليه السّلام فإنّ أباهم هذا قد ترك فيهم ميراثاً خيراً من هذا الميراث، وديناً أقوم من هذا الدّين الّذي تلقّوه عن آبائهم... إنّ آبآئهم قد ضيّعوا هذا الميراث فليمدّوا هم أيديهم لتلقيه والانتفاع به.

وقوله تعالى: «لعلّهم يرجعون» تعليل للجعل أي جعلها باقية في ذرّيته رجآء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعآء الموحّد. وضمير الجمع راجع إلى العقب، وإسناد الرّجوع إليهم من وصف الكلّ بحال الأكثر والتّرجّي راجع إلى إبراهيم عليه السّلام.

في تلخيص البيان: في قوله تعالى: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» قال: «وهذه

استعارة لأنّ الكلام الّذي هو الأصوات المتقطّعة والحروف المنظومة لا يجوز عليه البقاء، وإنّما المراد والله أعلم أنّ إبراهيم عليه السّلام جعل الكلمة الّتي قالها لأبيه وقومه وهي قوله: «إنّني براء ممّا تعبدون إلّا الّذي فطرني فإنّه سيهدين» باقية في عقبه بأن وصىّ بها ولده وأمرهم أن يتواصوا بها ما تناقلتهم الأصلاب وتناسختهم الأدوار، وهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص والتّوحيد والله أعلم» انتهى كلامه.

٢٩ ـ (بل متّعت هؤلآء وآبآءهم حتّى جآءهم الحقّ ورسول مبين)

إضراب عن محذوف ينساق إليه الكلام كأنّه قيل: جعل كلمة التّوحيد باقية في عقبه بأن وصىّ بها بنيه رجآء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعآءِ الموحّد، فلم يحصل ما رجاه بل متّعت منهم هؤلآء المعاصرين لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من أهل مكّة وآبآئهم الّذين ماتوا بالمدّ في العمر والنّعمة، فاغترّوا بالمهلة وانهمكوا في الشّهوات، وشغلوا بها عن كلمة التّوحيد، وظلّوا في ضلالهم وكفرهم، وفي اعوجاجهم وانحرافهم.

في الآية الكريمة إلتفات من الغيبة إلى التّكلّم مبالغة في تعييرهم، فإنّ التّمتيع بزيادة النّعم يوجب عليهم أن يجعلوه سبباً لزيادة الشّكر والثّبات على التّوحيد والإيمان وصالح الأعمال... وهم فعلوا العكس... وإشارة إلى تفخيم جرمهم، وأنّهم لا يقصدون في كفرانهم للنّعمة، وكفرهم بالحقّ، ورميه بالسّحر إلّا الله سبحانه وحده.

وفي مجئ الإضراب، وجعل الغاية للتّمتّع مجئ الحقّ نكتة بديعة، وذلك أنّه ليس المقصود من الإضراب، ردّ الكلام السّابق، بل المقصود هو التأكيد والإستمرار ليبيّن أنّهم شغلوا عمّا جآءهم من الحقّ إذ لا مناسبة بين مجئ الحقّ والتّمتيع، والمعنى أنّهم شغلوا عن شكر المنعم فإنّهم بدلاً من أن ينصاعوا إلى الحقّ ويأخذوا بأسبابه، ويعكفوا عليه واستجلآء آلآئه جآؤا بما هو شرّ من غفلتهم الّتي كانوا عليها.

وإنّ الآية الكريمة والآيات الثّلاث التّالية لها متّصلة بالسّياق السّابق من حيث احتوآئها ثلاث صور لمواقف زعمآء مشركي مكّة وعقآئدهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة الّتي ما فتئت فصول السّورة تذكرها. فتحتوى الآيات الأربع: (٢٩-٣٢) صوراً ثلاثاً من

صور الجدل واللجاج بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وزعمآء المشركين:

١ - إنّ الله تعالى قدأنعم على السّامعين وآبآئهم من قبل ويسّرلهم وسآئل الحياة ورغدها، فاغترّوا وانحرفوا عن جادّة الحقّ، فأرسل إليهم رسوله بالحقّ فظلّوا في ضلالهم وكفرهم وعنادهم.

٢ - إنّ مشركي مكّة قابلوا هذه الدّعوة بالجحود و وصفوها بالسّحر وكفروا بها.

٣ - إنّهم قالوا: إنّ القرآن لوكان حقّاً من عند الله لأُنزل على رجل عظيم من عظمآء مكّة أو الطّائف.

٤ - إنّ الآية الأخيرة: (٣٢) تردّ على هذا القول السّخيف الفاسد مندّدة منكرة في صيغة التّساؤل عمّا إذا كانوا يتحكّمون في قسمة رحمة الله تعالى وتوزيعها، وتعيين من هو الأحقّ بعطف الله عزّوجلّ واصطفآئه لقرآنه، ثمّ دعمت الرّدّ بتقرير كون الله هو الّذي قسم بينهم معيشتهم، وكون ماهو قآئم بينهم من الفروق، وارتفاع بعضهم فوق بعض إنّما هومظهر من مظاهر الحياة الدّنيا وطبيعتها ليتمكّن النّاس من استخدام بعضهم لبعض، وانتفاع بعضهم من بعض في المصالح والحاجات... وكون رحمة الله وعطفه هما خير ممّا يجمعه النّاس ويتمتّعون به من مال وجاه وبسطة عيش، فلايحظى بها إلّا الّذين يصطفيهم الله ويراهم أهلاً لهما.

٣٠ - (ولمّا جآءهم الحقّ قالوا هذا سحرو إنّا به كافرون)

تقرير لإعراض مشركي مكة عن الحقّ وعدم النظرفيه، وعدم الوقوف عنده لمّا جآءهم، وبيان لما قابلوا الدّعوة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم بالجحود و وصفوها بالسّحر وكفروا بها، فمن نسب الحقّ إلى السّحر فهو كافر به لأنّه بمنزلة من عرف النّعمة وجحدها في عظيم الجرم، فسمّى باسمه ليدلّ على ذلك، فضمّوا إلى شركهم معاندة الحقّ والاستخفاف به والطعن فيه وفيمن جآءهم به حيث إنّ الطّعن في الحقّ يوجب الطّعن في رسول الحقّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وفيه توبيخ لهم على ذلك.

**٣١ - (وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)**

إشارة إلى نوع آخر من كفرهم وحكاية شبهتهم، والمتبادر من الآية الكريمة وتاليها أنّ زعمآء مشركي مكّة كانوا يظنّون أنّ الفضيلة في المال والجاه الدّنيوي، فيرون أنفسهم أحقّ بالنّبوّة ومهمّة الدّعوة لأنّهم أصحاب الحول والمكانة في بيئتهم أو بعضهم كله يرى نفسه أحقّ بذلك لأنّهم كانوا على شيء من العلم بالأديان والمعارف السّابقة بالإضافة إلى حوله ومكانته في بيئته.

وقد ورد أنّ النّضربن الحرث بن كلدة أحد زعمآء مشركي مكّة يعرف كثيراً من تاريخ الفرس وغيرهم، وكان واقفاً على شئون الأديان السّابقة، فكان يقول على سبيل الصّدّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ حديثه ليس أطلى من حديثي، وإنّه إنّما يحدثكم بأساطير الأوّلين، فتعالوا إليّ، وأنا أحدثكم عن رستم وإسفنديار. بحديث أطلى ممّا يحدثكم.

وقد احتوت الآيتان ردّاً عليهم، ثمّ تنويهاً برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتقريراً لأهليته لإصطفآء الله تعالى له لمهمّة الرّسالة العظمى.

ومع ما في الآيتين من خصوصيّة زمنية وجدلية وموضوعيّة، فإنّها تحتوى تلقيناً جليلاً عامّاً بأفضليّة الصّلاح الرّوحي والخلقي على البهرج المادّي، وكثرة الثّروة واتّساع في الدّنيا، وإلى هذا فانّ الآيتين تدلاّن على أنّ الوجاهة والزّعامة كانتا تلعبان دوراً كبيراً في بيئة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وعصره، وعلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن زعيماً ذا شأن نافذ، وتنطويان على سبب من أسباب امتناع زعمآء مشركي مكّة من الإستجابة إلى دعوته ومنا وأتها وهو الاعتداد والاستكبار والأنفة والغيظ من اختصاصه بالنّبوّة والقرآن دونهم.

**وقول مشركي العرب:** «هذا القرآن» في الإشارة نوع إستخفاف منهم لكتاب الله عزّوجلّ كقول عمر بن الخطاب إسآئة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ هذا الرّجل ليهجر».

وفي الآية الكريمة تنزّل من هؤلآء المشركين المترفين من إنكار الحقّ وكونه سحراً

وكفرهم به حتّى كأنّه لم يبق لهم ريبة في هذا الحقّ إلّا نزوله على يتيم ليس له مال كثير ولاجاه رفيع، بحيث لونزل هذا الحقّ الّذي جآء به هذا اليتيم على رجل عظيم من إحدى القريتين: مكّة أو الطّآئف لكانوا هم مصدّقيه أترى إن كان القرآن سحراً ـ فهو سحر أيّاً كان وبيد أيّ من الرّسل كان ـ أيتحوّل السّحر إلى المعجزة إن تحوّل من يد لا يَرضونها إلى يدمن يرضونها؟ أو تتحوّل المعجزة إلى السّحر لو عكس الأمر؟ تلك إذاً قسمة ضيزى.

نعم! لمّا اختلّت الموازين عند هؤلآء السّفهآء الحمقآء من عبيد الدّنيا، ورأوا ملاك الفضيلةوالكرامة فقط في المال الكثير والجاه الرّفيع وزهرة الحياة الدّنيا وشهواتها ونزواتها... استعظموا الوحي السّماوي أن ينزل إلّا على رجل عظيم في ميزان الأرض عظمة واهية خارجة عن طبيعة الرّسالة، بل منافية لها، غير مؤاتية معها، وقد اعتبروها أصلاً ومقياساً للتفاضلات، فلتتّبعه فضيلة السّمآء ولكن «الله أعلم حيث يجعل رسالته» فيما لها سند من داخله مسانداً لها غير معاند، الخليق المتجرّد عن كافّة العلاقات والصّلات إلّا بالله جلّ وعلا فلم يختره زعيماً ولا صاحب مال كثير ولا مقام رفيع لكيلا تلتبس واحدة من قيم الأرض بقيم السّمآء، ولا تزدان هذه الدّعوة بحلية من حليّ الأرض المتزخرفة، أو حيلة من حِيَلها، دونما صلة بينها إلّا إغراء لها بمصاحب خارج عن ذاتها المجرّدة، فلا يدخلها طامع ولا يتنزّه عنها متعفّف.

فالدّعوة السّماوية مجرّدة عن كلّ دعاية إلّا الحقيقة البارزة من ذاتها، والحقّ البارز في دعاتها، حقّ يحمل حقّاً ناصعاً صارماً إلى من يتحرّى عن الحقّ المطلق، دونما تدجيل ودعاية زائدة تظهر الرّسالة بمظهر أعلى ممّا هي كما لا تقصر فيها لتخفيها عما هي، فلونزّل هذا القرآن على أحد الزّعمآء الأثريآء ذوى الأنفة والكبرياء من أهل مكّة أو الطائف لأصبحت الرّسالة السّماوية الّتي هي للمستضعفين في أصلها، أصبحت للمستكبرين، أن يجتلبوا أضرابهم إليها، أو يخونوا في الدّعوة لها، فإنّها تناحر الأثرة والكبريآء، وتنافر المستأثرين الكبرآء ولم تكن حينئذٍ حقّاً.

**٣٢ - (أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون)**

إنّ الآية الكريمة والآيتين بعدها بصدد الجواب والرّدّ على قول مشركي العرب: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل...» ردّ على هذا المنطق السّخيف الّذي تجرى عليه مقاييس الأمور عند هؤلآء المشركين، وإنكار عليهم ما انكروه على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يكون موضع هذا الإنسان العظيم، وحامل هذا النّور القدسيّ السّماويّ!

الهمزة للإنكار المستقبل بالتجهيل والتّعجيب من اعتراضهم وتحكّمهم، والتّهجين لقولهم، بأن يكونوا هم المدبّرين لأمر الرّسالة والتّسخير لها من يصلح لها ويقوم بها عندهم، والمتولّين لقسمة رحمة الله الّتي لا يتولاّها إلاّ هو بباهر قدرته وبالغ حكمته وكمال علمه... فقولهم هذا تحكّم ظاهر ينبغي أن يتعجّب منه مَن له أدنى مسكة ودراية في الخلق والتّدبير في أمره، فإنّهم يحكون فيا لا يملكون هذه معيشتهم في الحياة الدّنيا يعيشون بها، ويرتزقون وهي رحمة منّا لا قدر لها ولا منزلة عندنا وليست هي إلاّ متاعاً زائلاً نحن نقسمها بينهم، وهي خارجة عن مقدرتهم ومشيئتهم، فكيف يقسمون النّبوّة الّتي هي الرّحمة الكبرى والنّعمة العظمى والمنزلة العليا، وهي مفتاح سعادة البشر الدّآئمة والفلاح الخالد، فيعطونها لمن شآؤا ويمنعونها ممّن شآؤا... ولا يخفى على القارئ البياني أنّ الإنكار هنا للفاعل لا الفعل، فإنّ المنكر أن يكونوا هم القاسمين لا نفس القسمة.

**وقوله تعالى:** «رحمة ربّك» إلتفات من الغيبة إلى الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ من الخطاب إلى التكلّم: «نحن قسمنا» مع الغير تعظيماً دلالة على اختصاص رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعناية الرّبوبيّة في الرّسالة بأنّها نعمة ورحمة خاصّة لا يملكونها إلاّ هو تعالى، فإنّها لن يملكها غيره حتّى يمنعوها من أحد ويعطوها من هَوَوْا، فيا عجبا ومالهم ورحمة ربّك وهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً، ولا يحقّقون لأنفسهم رزقاً حتّى رزق هذه الأرض الزّهيد، ونحن أعطيناهم إيّاه وقسمناه بينهم

وفق حكمتنا وتقديرنا لعمران هذه الأرض ونموّ هذه الحياة...

وقوله عزّوجلّ: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم...» بيان لوجه الإنكار السّابق وخطئهم في طلب الإصطفآء بحسب ما يهوون وإعلام - على سبيل ضرب مثل لهم - بأنّهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في تدبير أمر دنياهم، وعن قسمة ماهو دون النّبوّة بمراحل وهو معيشتهم في الحياة الدّنيا، وأنّ الله تعالى هو الّذي قسم بينهم معيشتهم، وقدّرها، ودبّر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يستو بينهم، ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش وغاير بين منازلهم... فجعل منهم أقويآء وضعفآء ومحاويج وموالي وخدماً ليصرف بعضهم بعضاً في حوآئجهم، ويستخدمون في مهنهم ويستخرونهم في أشغالهم حتّى يتعاشوا ويترافدوا ويصلوا إلى منافعهم، ويحصلوا على مرافقهم، ولو كانوا جميعهم أغنيآء لما وجد حمّال ولا بقّال ولا طبّاخ ولا خبّاز ولا شرطة ولا راع ولا طحّان ولا زارع ولا مكار...

ولو وكلّهم إلى أنفسهم و ولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا... وإذا كانوا هم في تدبير المعيشة الدّنيّة في الحياة الدّنيا على تلك الحال والصّفة فما ظنّك بهم في تدبير امور الدّين الّذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى، وهو الطّريق إلى حيازة حظوظ الآخرة والسلم إلى حلول دارالسّلام؟ فكيف هم قادرون على أن يقسموا ماهو أرفع منزلة منها بما لا يقدّر قدره وهو الرّسالة الّتي هي رحمة الله تعالى الخاصّة.

وقوله جلّ وعلا: «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات...» تنبيه على أنّ ذلك مظهر من مظاهر الحياة وطبيعتها، ولا يفيد أن في ذلك اختصاصاً ربّانيّاً وعناية ربّانيّة للطبقة المرتفعة، أو حظّاً ربّانيّاً من شأن الطبقة المنخفضة، ولا ثباتاً مستمرّاً لارتفاع أفراد الطّبقة المرتفعة، وانخفاض أفراد الطّبقة المنخفضة، وأنّ الّذي يفيده كماهو المتبادر من روحه وفحواه ومقام وروده أنّ حكمة الله اقتضت أن يتفاوت النّاس من حين إلى حين، ومن جيل إلى جيل، ومن بيئة إلى بيئة في الفهم والقدرة والقابليّة والنّشاط، فيضمن هذا التّفاوت تبادل قضآء المصالح والحاجات بين النّاس على إختلاف درجات فهمهم وقدرتهم وقابليّتهم ونشاطهم، وفي بقيّة الآية الّتي جآئت فيها الجملة

دليل على أنّ الارتفاع ليس اختصاصاً ولا عناية ربّانيّة، وأنّ الانخفاض ليس انتقاصاً ولا خفضاً ربّانياً.

**وقوله سبحانه:** «ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً» بيان لحكمة التّفاوت الملحوظ في جميع العصور وجميع المجتمعات وفي جميع البيئات...

**وقوله تعالى:** «ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون» تعليل لما سلف.

**٣٣ - (ولولا أن يكون النّاس امّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرّحمٰن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون)**

مستأنف بيانيّ لتقرير حقارة الدّنيا ودنائة قدرها وخسّة منزلتها، وقلّة مقدار متاعها عند الله جلّ وعلا بأنّ حقارة شأنها بحيث لولا أن يرغب النّاس لحبّهم الدّنيا في الكفر إذا رأوا أهله في سعة وتنعّم ورفاه فيجتمعوا عليه لأعطيناها بحذافيرها من هو شرّ الخلائق وأدناهم منزلة وذلك قوله: «لجعلنا لمن يكفر...» تنبيهاً على أنّ الله قادر على منح الكافرين به جميعاً بيوتاً مسقوفة بالفضّة، مجهّزة بسلالم من الفضّة والمعارج... فلاقدر لها عندالله مالم يكن لأهلها الإيمان، ولم يصرفها لإعلاء كلمة الله تعالى ولم يجعلها وسيلة للسّعادة البشرية ومزرعة للآخرة، ولم تكن في خدمة الإنسان.

**وقوله تعالى:** «لجعلنا لمن يكفر بالرّحمٰن» في تخصيص الكفر «بالرّحمٰن» دون «الله» أو «الرّحيم» دلالة على أنّ «الرّحمٰن» من أعمّ الصّفات الإلهيّة الّتي تشمل عامّة رحماته وخاصّتها، والكفر «بالله» خاص بالملحدين فيه أو المشركين به، والكفر بالرّحيم خاصّ برحماته الخاصّة، ولكلّ من هذه الثّلاث أهل، وأمّا الكفر بالرّحمٰن فهو يعمّها كلّها كفراً بالله في شقيه، وكفراً بالرّحيم في شقّه، وكفراً بالرّبوبيّة دون الخالقيّة أو الخالقيّة دون الرّبوبيّة أو كفراً بالعبوديّة دونها.

**وقوله عزّوجلّ:** «سقفاً من فضّة» في تخصيص الفضّة بالذّكر لإفادتها النّور.

**وقوله تعالى:** «ومعارج» سميّت المصاعد والسُّلّم بالمعارج لأنّ المشي عليها كالمشي الأعرج على تقدير: جعلنا لهم مصاعد مراقى سُلّماً من فضّة، فحذفت الفضّة

المجرورة لدلالة الاولى عليها.

ولا يخفى على القارئ البياني: أنّ الآية الكريمة وما يليها تكشف عن الطّبيعة البشريّة الّتي يستهويها حبّ المال وتفتنها شهوته... فالنّاس جميعاً - إلّا من رحم الله - أضعف من أن يقاوموا شهوة المال، وأن يقهروا سلطانه المتمكّن من نفوسهم...

وفي الآية الكريمة بيان لتجربة عمليّة يمكن أن يمتحن بها النّاس، ويرى فيها هذا الطّبع الغالب عليهم من حبّ المال وفتنته... وتلك التجربة هي أن يساق المال بغير حساب، لكلّ من يكفر بالرّحمٰن، حتّى يتّخذ هؤلآء الكافرون لبيوتهم سقفاً من فضّة وسلالم من فضّة يصعدون بها على ظهور هذه البيوت... هذه هي التجربة المفترضة...

فماذا يكون الشّأن لو أنّها وقعت فعلاً، فكان لكلّ من يكفر بالرّحمٰن، هذا العطآء يساق إليه بغير حساب؟

والجواب الّذي تعطيه التّجربة، هو أن يتحوّل النّاس كلّهم إلى الكفر، ويتزاحموا على طريقه حتّى يكون لهم هذا المال الّذي يُعطاه كلّ كافر... وهذا ما يشير إليه قوله عزّوجلّ: «ولولا أن يكون النّاس امّة واحدة» فالامّة الّتي سيكون النّاس عليها هي أمّة الكفر جميعاً، والدّين الّذي سيدينون به هو الكفر، لوفُرِض و وقع جواب هذا الشّرط، وهو أن يكون لبيوتهم سقف من فضّة ومعارج عليها يظهرون... ولكنّ الله تعالى أراد لعباده الخير، فعافاهم من هذا الإبتلاء ودفع عنهم تلك الفتنة، فجعل متاع الدّنيا قسمة بينهم، ينال منه الكافرون والمؤمنون على السّوآء... كلّ حسب ما قُدّر له... دون أن يكون متاع الدّنيا من حظّ المؤمنين وحدهم، أو الكافرين فحسب، فإنّه لا حساب للإيمان أو الكفر فيما يساق إلى النّاس من متاع الدّنيا، لأنّ هذا المتاع - مهما كثر - لا يصحّ أن يكون معياراً يقوم عليه ميزان الإيمان أو الكفر... وأنّ الله تعالى لم يوسّع على المؤمنين كلّهم لتكون رغبة النّاس في الإسلام لمحض الإخلاص لا لأجل الدّنيا.

٣٤ - (ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون)

تكرير البيوت لزيادة التقرير، وتنكير «أبواباً وسرراً» للتفخيم.

٣٥ - (وزخرفاً وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدّنيا والآخرة عند ربّك للمتقين)

تنكير «زخرفاً» أيضاً للتفخيم، و«إن كلّ...» تقرير بأنّ كلّ ما يمكن أن يتمتع به الكفّار من بهارج الدّنيا وزخارفها ومن ذهبها وفضتها ليس إلّا متاعاً قصر الأمد، سريع الزّوال، قاصراً على الدّنيا، وأنّ المتعة الحقيقيّة إنّما هي متعة الآخرة السّعيدة المختصّة للمتّقين عندالله تعالى لأنّها المتعة السّعيدة الخالدة.

وقوله تعالى: «والآخرة عند ربّك للمتّقين» يحتوى تطميناً للمؤمنين، وبشارة للمتّقين وتنويهاً بمقامهم عند الله تعالى بالمقابلة.

٣٦ - (ومن يعش عن ذكر الرّحمٰن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين)

العشو عن ذكر الرّحمٰن كناية عن الإعراض عنه مع قيام الحجج والبراهين بين يديه كما يعشو بعض النّاس في ضوء النّهار لآفة تعرض لأبصارهم... فالّذي يُعرض عن ذكر الرّحمٰن هنا هو من قامت بين يديه الدّلائل القاطعة والحجج الواضحة على صدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وصدق ماجآء به من عندالله جلّ وعلا، فهذا المعرض عن ذكر الله تعالى يقيّض الله له شيطاناً أي يسوق ويهيّئ له شيطاناً «فهو له قرين» أي ملازم له، مسلّط عليه، يقوده إلى حيث يشآء... فهو شيطان مع الشّيطان حيث يكون...

ولا يخفي أنّ الكناية هي أن يقصد المتكلّم إلى شي ء بالذّكردون غيره ممّا يسدّ مسدّه لأجل نكتة في المذكور ترجّح مجيئه على سواه.

إن تسئل: لأيّ نكتة عدل عن لفظ الحقيقة فلم يقل: «ومن يعرض» فاستعار لفظ العشا للإعراض؟

تجيب عنه: انّ لفظ الإستعارة موفٍ بالمعنى المراد بخلاف لفظ الحقيقة، وذلك أنّ

الإعراض على قسمين: أحدهما- إعراض الغفلة، يرجى بعده الإقبال، كإعراض المؤمن بسبب من أسباب الإعراض، فصار الشّيطان قرينه، ولكن يرجى أن يتوب ويعرض عن قرينه ويقبل إلى الله جلّ وعلا. ثانيها- إعراض الضّلالة لا يرجى بعده الإقبال كإعراض الكافر المعاند، والمنافق الخبيث فصار الشّيطان قرينه، فلا يرجى أن يتوب ويعرض عن قرينه، ولا يقبل إلى الله عزّوجلّ. ولمّا كان المراد بالإعراض هنا إعراض الضّلالة لا إعراض الغفلة، فلاجرم حسنت إستعارة العشا للضّلالة فيها، وهذا المعرض هو الّذي يقيّض له مقارنة الشّيطان أين كان وحيث كان، وبذلك يتبيّن موضع النّكتة الّتي رجّحت العدول عن لفظ الحقيقة إلى لفظ الإستعارة.

قوله تعالى: «عن ذكر الرّحمٰن» في إضافة الذّكر إلى «الرّحمٰن» ايذان بأنّه رحمة على الإطلاق، سوآء أقلنا بأنّ المراد به القرآن أم التّسبيح أو التّهليل والتّحميد أو الإلتفات إلى الله عزّوجلّ جميع حالا ته ضدّ النّسيان.

ولا يبعد أن يكون في اختصاص صفة «الرّحمن» بالذّكر هنا من بين صفات الله جلّ وعلا تذكير بهذه الرّحمة المنزلة من عند الرّحمٰن وهي القرآن الكريم، وهي الّتي يُعرض عنها أصحاب القلوب المريضة، والنّفوس الشريرة والسّرآئر الخبيثة... فيتسلّط عليهم الشّيطان ويملك أمرهم، ويشاركهم في الأموال والأولاد... وإنّ تلك القلوب... لمفارقة بعيدة أن يرى الإنسان يد الرّحمٰن تمتدّ إليه بالرّحمة، ثمّ ينظر فيرى يد الشّيطان الرّجيم تمتدّ إليه بالبلاء والشّقوة... ثمّ يكون له ـ مع هذا ـ موقف للنّظر والإختيار... ثمّ يكون في النّاس من يمدّيده إلى الشّيطان مبايعاً على أن يصحبه إلى حيث مايرى رأى العين من شقآء وبلآء!

وفي الآية الكريمة تنبيه على أنّ الّذيّ يتعامىٰ عن ذكر الله تعالى، ويعرض عن آياته وبيّناته يسمح الله جلّ وعلا بأن يلازمه الشّيطان ويتسلّط عليه، وأنّ الضّلال والتعامي والإعراض كان من المتعامي عن ذكر الله أصلاً كنتيجة لسوء نيّته وخبث طويّته، فكان للشّيطان سبيل عليه. وفي ذلك غاية التّحذير عن التّعامي والإعراض عن حجج الله تعالى وآياته... وإنّ الآية الكريمة ومايليها من الآيات الثّلاث معقّبة

على سابقاتها، ومتصلة بالسّياق والموضوع، واسلوبها قويّ لاذع، وتستهدف التّنديد بمشركي العرب وإثارة خوفهم وندمهم، وحملهم على الإرعوآء، وتنطوى على إنذارهم وتقرير استحقاقهم للعذاب بسبب تعاميهم واستماعهم للشّيطان الّذي صدّهم عن سبيل الله، وتستهدف مع ماقبلها أنّ مادّة كلّ الآفات وأصل جميع البليّات، وأساس كلّ الإنحطاط هو السّكون إلى الدّنيا وزخارفها، والرّكون إلى أهلها، فانّ ذلك بمنزلة الرّمد للبصر، ويصير بالتّدريج كالعشى ثمّ كالأعمى! ومن البداهة أنّ الشّهوة والغضب والوهم والخيال... كلّها تدعو الإنسان إلى الإشتغال بزخارف الدّنيا وشهواتها... وبالمادّيات والجسمانيات... وذلك ضدّ الإشتغال بكتاب الله جلّ وعلا وذكر الله وبالدّار الآخرة ونعيمها، وبعبادة الله عزّوجلّ وخدمته، والشّيْ كلّما كان إلى أحد الضّدّين أقرب كان عن الضّدّ الآخر أبعد، فهذه القوى لما كانت داعية إلى المادّيّات، والقرب منها، بَعُدَ عن المعنويات... فهذا البعد هو المعنىّ من قوله تعالى: «ومن يعش عن ذكر الرّحمٰن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين» في كلّ حال.

**٣٧ - (وإنّهم ليصدّونهم عن السّبيل ويحسبون أنّهم مهتدون)**

إخبار من الله تعالى بتسلّط القرنآء الشّياطين على المعرضين عن القرآن الكريم، في كلّ ظرف، وتزيينهم لهم إعراضهم عنه، فيحسبون أنّهم مهتدون وهم معرضون عن الهدىٰ.

وفي ايثار المضارع: «يعش - نقيّض - يصدّون - يحسبون» دلالة على الاستمرار التجدّدي، وعلى أنّ الشّياطين هم قرنآء للمعرضين عن القرآن الكريم في الآخرة كما كانوا قرنآئهم في الدّنيا لقوله تعالى: «حتّى إذا جآئنا...» فإنّ «حتّى» وإن كانت ابتدائيّة داخلة على الجملة الشّرطيّة لكنّها تقتضي حتماً أن تكون غاية لأمر ممتدّ. ولقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون». وقد جآء الضّمآئر بلفظ الجمع لأنّ «من» في قوله تعالى: «ومن يعش» في معنى الجمع

لأنّ «من» مبهم في جنس العاشي، وقد قيّض له شيطان مُبْهَمٌ في جنسه، فلمّا جاز أن يتاولا لإبهما مهما غير واحدين جاز أن يرجع الضّمير إليهما مجموعاً.

**وقوله تعالى:** «ويحسبون أنّهم مهتدون» جملة حاليّة تكشف عن الحال الشّعوريّة الّتي يكون عليها المعرضون عن القرآن المجيد، وهم حينئذ يركبون طرق الضلال... فهم يساقون إلى الضّلال، وقد خيل إليهم أنّهم قآئمون على الهدى، مستمسكون بالعروة الوثقى.

**٣٨ ـ (حتّى إذا جآءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)**

تقرير بأنّ حقيقة حال كلّ معرض عن القرآن الكريم ستنكشف لهذا وأمثاله حينما يقف كلّ واحد منهم موقف الحساب والجزآء يوم القيامة، فيعرف أنّه إنّما كان يتبع وسوسة الشّيطان وإغرآئه في إعراضه عن القرآن الكريم، فيشعر بالنّدم، ويصرخ في وجه شيطانه، قائلاً له: ياليت بيني وبينك بُعد ما بين المشرق والمغرب فلم أرك أصلاً وأعرفك لأنك بئس القرين السّوء الّذي أضلّني وأعماني وكنتَ سبباً لإعراضي عن كلام الله المجيد، باشتغالي بكلام المخلوق الخاطئ.

إفراد الضّمير في «جآء» ومابعده لأنّ المراد حكاية مقالة كلّ واحد واحد من المتعامين عن القرآن المجيد لقرينه لتهويل الأمر وتفظيع الحال أو راجع إلى «من» فـ «حتّى» غاية لماتضمّنه قوله جلّ وعلا: «ومن يعش عن ذكر الرّحمٰن...» فالشّيطان يظلّ في هذه الحياة الدّنيا قريناً لصاحبه هذا الّذي لزمه وأمسك بزمامه ـ إلى أن يجئ يوم الحساب والجزآء... وهنا يتخلّى الشّيطان عن صاحبه، ويتخلّى صاحبه عنه، ويتولّى كلّ منهما رجم صاحبه بكلّ منكر، وقذفه بكلّ تهمة...

**وقوله عزّوجلّ** حكاية عنهم: «ياليت بيني وبينك بعد المشرقين» بيان لما في نفس هذا الضّالّ المتعامي عن القرآن الكريم، وقد أصبح في الدّارين من قرنآء الشّياطين من ضيق بصاحبه، ومن حسرة وندم على تلك الصّلة الّتي كانت بينهما، والّتي أوقعته فيما هو فيه اليوم من بلاء عظيم وأشدّ عذاب... ولهذا فهو يتمنّى أن لو لم يجمعهما فلك،

وأن لو كان كلّ منها في عالم غير العالم الّذي يعيش فيه صاحبه، وكان بينها تباين كلّي زماناً ومكاناً.

وقوله جلّ وعلا: «بعد المشرقين» إشارة إلى استحالة الإلتقآء بينها، كما يستحيل التقآء مشرق الشّمس شتآء بمشرقها صيفاً مثلاً أو التقآء مشرق الشّمس بمغربها في زمن واحد، حيث إنّ «بعد المشرقين» كناية عن أبعد الأمكنة وأقصاها، وأمّا المشرقان فمن التّغليب كما يقال: القمران للشمس والقمر والعصران للظّهر والعصر... ولا يخفى أن التّغليب أن يغلب الشّي ء على ما لغيره بأن يطلق إسمه على الآخر ويثنى بهذا الإعتبار إمّا لتناسب بينهما وإمّا للإختلاط... فمثال التغليب للتّناسب قولهم: الأبوان للأب والأمّ ومنه قوله تعالى: «ولأبويه لكلّ واحد منهما السّدس» النّسآء: ١١) والمشرقين والمغربين... ومثال التّغليب للإختلاط قوله عزّوجلّ: «فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشي على أربع» النّور: ٤٥)

وذلك أنّ الإختلاط حاصل في العموم السّابق في قوله: «كلّ دابّة» ثمّ فصّله فيما بعد، وفي «من يمشي على رجلين» في عبارة التّفصيل، فإنّه يضمّ الإنسان والطّائر. فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل فالمستفاد من السّياق أنّ المتعامين عن القرآن الكريم علماً وعملاً في كلّ ظرف من السّامعين والغائبين، معذّبون يوم القيامة بصحابة قرنآئهم الشّياطين ورآء عذابهم بالنّار، ولذا يتمنّون التباعد عنهم، ويخصّونه بالذّكر وينسون سائر العذاب.

وعلى هذا فقوله تعالى: «وإنّهم ليصدّونهم عن السّبيل...» إعتراض بين الآيتين يراد به الإلفات إلى أنّ الحكم الّذي يقع على الواحد من أتباع الشّيطان هو حكم عام يشمل أتباع الشّياطين جميعاً، وأنّهم كلّها قرنآء سوء، كلّما كثرت أعدادهم زاد إغواؤهم وإضلال بعضهم بعضاً، حيث تشتدّ داعية الإغرآء والإغوآء، كلّما كثرت الأعداد المتزاحمة على موارد الضّلال والغواية...

**٣٩ - (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون)**

حكاية لما سيقال يوم القيامة من جهة الله تعالى توبيخاً وتقريعاً وتأنيباً للمتعامين عن القرآن الكريم، فيقال لهم: إنكم ظلمتم أنفسكم بالإعراض والتعامي عن كلام الله جلّ وعلا، والإستماع إلى وسوسة الشّيطان، فيومئذ لن ينفعكم ندمكم وعتابكم لشياطينكم الّذين هم شركآئكم في العذاب، ولن يخفّف عن أحد منكم عذابه كون قرينه مشتركاً معه فيه، ولن يشفي ما بصدوركم من لقمة وحَنَقٍ على من كانوا سبباً في إغوآئكم وإضلالكم...

**وقوله تعالى:** «أنّكم في العذاب مشتركون» تعليل لنفي النّفع أي لأنّ حقّكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدّنيا. وليس نفي مجرّد النّفع، وإنّما المراد به النّفع الّذي يخلصهم من هذا العذاب، ويخرجهم من هذا البلآء... إذ لا شكّ أنّ في رؤية المردة مشاركة قادتهم لهم في العذاب بعض العزآء لهم، وإن كان لن يخفف من العذاب هم فيه، وما في صدورهم شيئاً. وفي الآيه الكريمة تنديد بالمتعامين عن القرآن الكريم، وإثارة خوفهم وحملهم على الإرعوآء... وفيها من فنّ حسن البيان حدّ الإعجاز مالا يخفى على البيانيّ الخبير. فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تكن من الغافلين.

**٤٠ ـ (أفأنت تسمع الصّمّ أو تهدى العمى ومن كان في ضلال مبين)**

إستفهام إنكاريّ تعجبيّ على طريق الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من أن يكون هو الّذي يقدر على هدايتهم، وهم تمرنوا في التّعامي عن الذّكر واستغرقوا في الضّلال، بحيث صار بهم من العشى عمى مقروناً بالصّمم، وفيه رمز إلى أنّ أحداً من الرّسل والدّعاة والمصلحين لا يقدر على ذلك إلّا الله تعالى بالقسر والإلجآء، وهو سبحانه لن يفعل ذلك، وإلّا لما احتاج إلى إرسال رسول أو نبيّ.

وفي الآية الكريمة تشبيه المتعامي عن القرآن الكريم في عدم انتفاعه به بالصّمّ الّذي لا يسمع، وفي عدم انتفاعه بما يراه بالعمى الّذي لا يبصر شيئاً. وفي عطف «من كان...» على «العمى» بإعتبار الوصفين، مشعر بأنّ الموجب لذلك تمكّنه وإصرار

على ضلال لا يخفى.

وفيها تهديد و وعيد للمتعامين عن القرآن الكريم في كلّ ظرف الّذين يتّخذون الشّياطين أوليآء من دون الله، وينبذون كلام الله ورآء ظهورهم ويقدّمون عليه كلام المخلوق الخاطيء ويحسبون أنّهم مهتدون في ذلك فليتركهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مع قرنآئهم هؤلآء، فإنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يبعث ليسمع الصّمّ أو يهدى العمى أو من كان مصرّاً في ضلاله وثابتاً فيه بالإلجاء، وفيها تنديد بهم، وإشارة إلى شدّة عنادهم. ومكابرتهم، وتثبيث لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في موقفه ودعوته وتسرية عنه، لما يلقاه من عنادهم ولجاجهم ومكابرتهم...

وفيها تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن مصابه في هؤلآء المتعامين عن القرآن المجيد الّذين ركبوا رؤوسهم ومضوا يتخبّطون في طرق الغواية والضّلال، غير ملتفتين إلى الدّاعى الّذي يدعوهم إلى الحقّ والهدى وإلى الخير والنّجاة... ويرفع لهم بين يديه نوراً كاشفاً من نور الله تعالى، فليس من شأنه ولا من واجبه أن يسمع الأصم أو يجعل الأعمى يرى أو يقنع من كان مرتكساً في الضّلال عن عمد ومكابرة وعناد ولجاج...

وفيها درس للعلمآءِ والمصلحين، والدّعاة والمبلّغين، فلا يحزنوا لإعراضهم عن دعوتهم، إذ ما عليهم إلّا البلاغ، وليس الإقبال شرطاً للبلاغ.

**٤١ ـ (فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون)**

وعيد شديد للمتعامين عن ذكر الله تعالى والمعرضين عن كتابه وعن دعوة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعذاب الدّارين، على سبيل التّاكيد، وفيه تقرير لقدرة الله عزّوجلّ على الإنتقام منهم ومن انسلك مسلكهم، فهم لن يعجزوا الله سبحانه في أيّ حال، فانّه تعالى قادر عليهم، منتقم منهم سوآء أعاش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى يرى تحقيق وعيد الله فيهم بعينه أم جآءه قضاء الله قبل ذلك وذهب به. وفي نون التّاكيد الثّقيلة الخاتمة لمدخولها، و«إنّ» الشّرطيّة المشككة دلالة على حتميّة

الموت أيّاً كان، وأمّا الإنتقام فقد يكون حتميته إمّا قبل الموت وإمّا بعده.

٤٢ ـ (أو نرينك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون)

إشارة أُخرى إلى ما قد يحلّ بالمتعامين عن ذكر الله تعالى من انتقام الله في الدّنيا ممّا توعّدهم به، وممّا يراه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيهم، وذلك بما كان من قتل رؤس المشركين يوم بدر ومن خزيهم يوم الخندق، ثمّ ذلّتهم وانكسارهم يوم الفتح، فالله تعالى قادر على كلّ شيء، غالب على أمره ولكنّ أكثر النّاس لا يشعرون.

وفي التّعبير بالوعد ـ وهو جلّ وعلا لا يخلف الميعاد ـ إشارة إلى أنّ ذلك سيقع حتماً وهكذا كان فإنّه لم يقبض رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى أقرّ عينيه من أعدآئه وحكّمه في نواصيهم وملّكه ما تضمنته صياصيهم، والحكم مستمرّ المدى.

٤٣ ـ (فاستمسك بالّذي اوحى إليك إنّك على صراط مستقيم)

تعقيب على ما توعّد الله جلّ وعلا به المتعامين عن ذكر الرّحمٰن من انتقام على تكذيبهم بالذّكر واستهزآئهم به، واستكثارهم عليه أن يكون مبعوث الله إليهم دون سادتهم وأشرافهم... أو تفريع لجميع ما تقدّم عن أنّ إنزال الذّكر من طريق الوحي والنّبوّة من سننه عزّوجلّ، وأنّ كتابه النّازل عليه حقّ وهو رسول مبين لا يستجيب دعوته إلّا المتّقون ولا يعرض عنها إلّا قرنآء الشّياطين، ولا مطمع في إيمانهم فذرهم في طغيانهم يعمهون، وسينتقم الله منهم، فأكّد عليه الأمر بعد ذلك كلّه أن يجدّ في التّمسّك بالذّكر الّذي أوحى إليه لأنّه على صراط مستقيم.

وفي هذا التعقيب دعوة مؤكّدة من الله تعالى لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ألّا يحفل بهؤلآءِ المتعامين عن الذّكر، وألّا يفتّ ذلك من عزمه، وألّا يقف به ذلك عن المضيّ في سبيله، مستمسكاً بنفس الذّكر الّذي هو على صراط مستقيم، فالمطلوب المؤكّد منه صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الإستمساك بالذّكر الّذي يؤدّي إلى الحقّ المطلوب حيث يستقيم بصاحبه حتّى يوصله إليه.

**وفي قوله تعالى: «إنّك على صراط مستقيم»** تحريض لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتثبيت لقلبه ليمضى في طريقه مع كتاب الله الّذي بين يديه... فإنّه بهذا الذّكر على صراط مستقيم، صراط الله الّذي له ما في السّموات وما في الأرض... ومن كان على هذا الصّراط فهو على طريق الحقّ والهدى، على طريق الخير والنّجاة، وعلى طريق السّعادة والكمال، والصّلاح والفلاح... وأنّه على نور من ربّه.

**٤٤ ـ (وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون)**

تحريض وشدّ عزم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحثّ لأُمّته على الإستمساك بالذّكر على طريق التّعليل لما في الاستمساك بالذّكر شرف وكرامة للمتمسّكين به، فإنّ فيه ذكراً للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولقومه وتمجيداً له صلّى الله عليه وآله وسلّم ولهم على مرّ الأزمان... سوآء أكان تعبير «قومك» كناية عن العرب أم عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أو امّته المؤمنين الّذين حملوا من قبل الله تعالى واجباً عظيماً مقابل ما نالوه من شرف وكرامة إزاء الدّعوة ومبادئها وتعاليمها، سوآء في الإستجابة إليها أم في القيام بعبء نشرها وبثّها والدّفاع عنها.

وفي هذا ما فيه كذلك من معنى جليل و واجب خطير وتلقين مستمرّ المدى وتقرير لشأن قومه ومسئوليتهم بين سآئر الأُمم وحفز لهممهم وجهدهم وجهادهم... إذ كان القرآن الكريم بلسان قومه، وكان الرسول المبلّغ لرسالة القرآن عربيّاً من هؤلآءِ العرب وإنّه مادام للقرآن ذكر، ولرسالة القرآن ذاكرون ـ وهذا ما قدر الله تعالى له أن يكون إلى آخر الزّمان ـ فإنّ ذكر الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم باقٍ، وذكر قومه باقٍ كذلك، فما آمن مؤمن بالله تعالى، ولا دان ذودين بالإسلام إلّا كان إيمانه برسول الله وبكتابه من تمام إيمانه بالله جلّ وعلا وهذا فضل عظيم من الله تعالى على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ رفع في العالمين ذكره، وأعلى في المصطفين من عباده منزلته إذ قال: «ورفعنا لك ذكرك» الإنشراح: ٤)

كما أنّه إحسان عظيم، ونعمة سابغة على الأُمّة العربيّة الّتي اختارها الله جلّ وعلا

لتكون الأُفق الّذي تطلع منه شمس الهداية المرسلة إلى العالمين، وليكون لسانها اللسان الّذي ينقل إلى النّاس كلّهم هذا الهدى المرسل إليهم من ربّهم كما أشار إليه بقوله: «إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» الزّخرف:٣) على أنّ العرب وقريشاً بخاصّة كانوا هم موضوع الكلام والخطاب والدّعوة حين نزول الآية، وإن كان القرآن الكريم والرّسالة المحمّديّة والولاية لأهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات الله من شأنها أن تكون سبب تفاخر جميع المؤمنين ورفعة شأنهم على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم وألوانهم وألسنتهم... لما في القرآن الكريم والرّسالة المحمّديّة والولاية العلوية من معجزات باهرة وتشريعات ومبادئ خالدة تستجيب لكلّ حاجة من حاجات البشر في كلّ ظرف من ظروفهم، سوآء في المسآئل الدّينيّة والرّوحيّة أم في المشاكل الدّنيويّة الإقتصاديّة والإجتماعيّة والأخلاقيّة والإنسانيّة والسّياسيّة... وأن هذا يوجب على المؤمنين كافّة والعلمآء والمصلحين خاصّة بذل الجهد والقيام بواجب إصلاح أنفسهم، والسّير بمقتضى تلك المبادي والتّشريعات أوّلاً، والدّعوة إليها ثانياً.

قوله تعالى: «لذكر لك ولقومك» في تكرير اللام كتكريرها في قوله تعالى: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٩) بإختلاف الإعتبار بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وامّته لوكان المراد بقومه قريش خاصّة، أو العرب كافّة أو المومنون كلّهم، وأمّا إن كان المراد بقومه أهل بيته المعصومين عليهم السّلام على ماورد سيأتي إن شآء الله تعالى فالتكرير للتأكيد كقوله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول» النّسآء: ٥٩) فتكرّر الفعل للتأكيد، فذكره هو ذكر أهل بيته عليهم السّلام.

وقوله عزّوجلّ: «وسوف تسئلون» إلتفات من الغيبة إلى الخطاب للامّة العربيّة على قول، إلفاتاً إلى هذه النّعمة العظمىٰ الّتي امتنّ الله تعالى بها عليهم، إذ اختارهم لحمل هذه الأمانة، إنّهم لمسئولون عن حفظها وحراستها من كلّ عاد يعدو عليها كما أنّهم مسئولون عن أدآئها إلى أهلها، وإزاحة المعوقات والعلل من طريقها، وإلّا كان الحساب العسير على أيّ تقصير أو تفريط يقع منهم فيها فرادىٰ أو جماعات... وإنّ الدّعوة إلى الحقّ والهدى هي مسئوليّة هذه الأمّة الّتي جآءت شريعة الإسلام

بلسانها... وإنّـه لشرف عظيم لهذه الامّة يكسو أفرادها وجماعاتها على مدى الأجيال، أبواب العزّة والفَخار...

ولهذا الشّرف العظيم ثمن عظيم، يؤدّيه كلّ من يريد أن يتحلّى بهذا الشّرف، بما يبذل من جهد ومال وجهاد في سبيل الله جلّ وعلا، وتضحية بالنّفس من أجل الدّفاع عن دين الله تعالى وكتابه، وعن رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين إكمال الدّين وإتمام النّعمة وتبليغ الرّسالة مرتبطة بولايتهم.

وفي الآيـة الكريمة إيمآء إلى أنّ الذّكر الجميل والثّنآء الحسن أمر مرغوب فيه لعموم أثره وشموله كلّ مكان وكلّ زمان، خلاف الحياة المستعارة، فإنّ أثرها لا يجاوز مسكن الحيّ، ولولا الذّكر الجميل... أمر مرغوب فيه لما امتنّ جلّ وعلا على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ورفعنا لك ذكرك » الإنشراح: ٤) )ولما طلبه إبراهيم خليل الرّحمٰن عليه صلوات الله من الله تعالى بقوله: «واجعل لي لسان صدق في الآخرين» الشّعرآء: ٨٤)

نعم: إنّ الذّكر الجميل جميل، ولكن الذّكر الحاصل من القرآن الكريم أجمل.

**٤٥ ـ (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمٰن آلهة يعبدون)**

مستأنف بيانيّ لتقرير امور ثلاثة: **الأوّل:** المأمور بالسّؤال وهو محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم **الثّاني:** المسئول عنهم وهم كافّة الرّسل. **الثّالث:** مورد السّؤال.

وقوله تعالى: «أجعلنا من دون الرّحمٰن...» ردّ على مشركي العرب الّذين كانوا يزعمون أنّ ماهم عليه هدى من الله سبحانه، وأن لو شآء لما عبدوا الملائكة، ولما أشركوهم معه، واسلوب الآية الكريمة اسلوب تحدٍّ ونفي معاً، وتوبيخ بهم بأنّ ماهم عليه من الشّرك لم يأت في شريعة من الشّرائع... وتقرير لهم أنّه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله، فكيف تعبدون من دون الله أصناماً... فبيّن جلّ وعلا أنّه غير مخصوص بهذه الدّعوة وهذا الإنكار ولكنّه دين أطبق كلّ الأنبيآء والمرسلين على

الدّعآء إليه، وأنّ السّبب الأقوى في بغض الكفّار وعداوتهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنكاره لآلهتهم المتنوّعة...

**٤٦ ـ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملإه فقال إنّي رسول ربّ العالمين)**

تذكير برسالة موسى عليه السّلام إلى فرعون وقومه وموقفهم منها على طريق القسم من الله جلّ وعلا للتّوكيد والتّنبيه بأنّه أرسل موسى عليه السّلام بالآيات الباهرات والحجج الواضحات إلى فرعون وأشراف قومه... وقد خصّ الملأ بالذّكر وإن كان مرسلاً إلى غيرهم لأنّ مَن عداهم تبع لهؤلآء... والنّاس على دين ملوكهم...

وإنّ قصّة موسى عليه السّلام مع فرعون هنا هي مرآة يرى مشركو العرب على صفحتها وجوههم المنكرة في شخص فرعون الطّاغي، ومارکبه من غرور واستکبار حتّى أورده ذلك وقومه موارد الهلاك والدّمار والعذاب والنّار...

وإنّ الآية الكريمة ومايليها من الآيات العشر جآئت عقب الآيات الّتي ذكر فيها عناد مشركي العرب وتعاميهم عن ذكر الرّحمٰن ولجاجهم جرياً على الاسلوب القرآني، ويلفت النّظر إلى مابين هذه الآيات والآيات السّابقة من تماثل في صدد مواقف الكفّار المتعامين وتحدّيهم وإستخفافهم واعتدادهم... وأُريد بهذا تسلية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من جهة وإنذار مشركي العرب من جهة أُخرى، وقد انتهت الآيات بالتّنبيه على أنّ الله عزّوجلّ قد جعل فرعون وقومه مثلاً لمن يأتي بعدهم ليتّعظوا ويعتبروا به، وهذا من أهداف القصّة بل هو هدفها. فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

**٤٧ ـ (فلمّا جآءهم بآياتنا إذاهم منها يضحكون)**

إخبار من الله تعالى بسيرة فرعون وعملائه المترفين، وهمج الرّعآء من عامّة قومه جهلاً منهم بما عليهم من ترك النّظر والتّأمّل في الآيات الباهرة، ومالهم من النّفع بحصول علمهم بها. وفي الخبر عن ضحك أولئك الجهّال الحمقآء عند ظهور الحجج الواضحة لإثبات الرّسالة زجر عن مثل حالهم، ودعآء إلى العلم الّذي ينافي الجهل،

وفيه أيضاً أنّه لاينبغي أن يلتفت إلى تضاحك أمثالهم من الأدلة والبراهين إذا كان الإنسان على يقين من أمره. وفيه درس عظيم للصلحآء والمؤمنين كافّة، وللعلمآء والمصلحين، والدّعاة والمبلّغين خاصّة.

وهذا رجع لصدى هذه الضّحكات الهازئة السّاخرة الّتي كان مشركو العرب يلقون بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّما طلع عليهم بآية من آيات الله جلّ وعلا، وهذه من سيرة الفراعنة الطّاغية في كلّ ظرف توهيناً لرسالات الله تعالى وآياتها... وفي هذا تسلية للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما كان يلقاه من قومه المشركين، وإعلام له بأنّ قومه لن يعدوا أن يكونوا كسآئر الأُمم الّذين كانوا على منهاجهم في الكفر بالله تعالى وتكذيب رسله، نَدْبٌ له صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يستنّ بسنّة أُولى العزم من الرّسل في الصّبر على أذي أقوامهم وتكذيبهم لهم وإستهزائهم واستخفافهم بهم، وإخبار بأنّ عقبي أمرهم الهلاك كسنّته في الكافرين وظفره صلّى الله عليه وآله وسلّم بهم وعلوّ أمره كما فعل بموسى عليه السّلام والّذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملإه.

٤٨ - (ومانريهم من آية إلاّ هي أكبر من اختها وأخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجعون)

إشارة إلى ما كان بين يدي موسى عليه السّلام من آيات عجباً، عرضها على فرعون الطّاغي وملائه الباغين آية آية... ليكون لهم في هذا مزدجر، فلم يزدهم ذلك إلاّ كفراً وضلالاً.

في قوله تعالى: «إلاّ هي أكبر من اختها» إشارة إلى الآثار الّتي كانت تُحدِثها هذه الآيات في حياة القوم، فكانت تنتقل بهم من سيّئ إلى أسوإ. وقوله: «هي أكبر من اختها» كناية عن كون كلّ واحدة منها بالغة في الدّلالة على حقّيّة الرّسالة.

إن تسئل: كيف قال الله تعالى: «ومانريهم من آية إلاّ هي أكبر من اختها» يعني الآيات التسع الّتي جآء بها موسى عليه السّلام فإن كان المراد به أنّ كلّ واحدة منهنّ أكبر مما سواها لزم أن يكون كلّ واحدة منهنّ فاضلة ومفضولة، وإن كان المراد به أنّ

كلّ واحدة منهنّ أكبر من أُخت معينة لها فأيّتها هي الكبرى وأيّتها هي الصغرى؟

**تجيب عنه:** أنّ هذا كلام جامع مانع يعني أنّهنّ كلّها موصوفا بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه، وكذلك العادة في الأشيآء الّتي تتلاقي في الفضل، وتتفاوت منازلها فيه التّفاوت اليسير أن تختلف آراء النّاس في تفضيلها، فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك ، فعلى ذلك بني النّاس كلامهم، فقالوا: أرأيت رجالاً بعضهم أفضل من بعض، وربما اختلفت آرآء الرّجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا واخرى يفضل ذاك وهكذا...

**وقوله عزّوجلّ:** «وأخذناهم بالعذاب» بيان لما جوّزوا به على استهزائهم واستخفافهم بآيات الله تعالى وبراهينه...

**٤٩ ـ (وقالوا يا أيّها السّاحر ادع لنا ربّك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون)**

حكاية عن مقالة فرعون المستكبر وقومه الطّاغين لموسى عليه‌السّلام حين رأوا العذاب أحاط بهم، وفيها دلالة على شدّة شكيمتهم ونهاية حماقتهم، إذ طلبوا منه الدّعآء لكشف العذاب عنهم، و وعدوه الإهتداء بعد الكشف وعداً منويّاً خلافه، فشرطوا عليه أنّهم يؤمنون لو كشف عنهم العذاب، وقد كان لهم أن يؤمنوا قبل الكشف، فكانواهم كاذبين في وعدهم هذا.

**قولهم:** «أيّها السّاحر...» خطاب استهزاء واستكبار كما قالوا: «ادع لنا ربّك» ولم يقولوا: «ادع لنا ربّنا» أو «ادع لنا الله» استكباراً، وفي الخطاب إشارة كاشفة عمّا في نفوسهم من إصرار على الكفر والطغيان، والكبر والعصيان والبغي والعدوان... وعلى أنّهم لا يرون موسى عليه‌السّلام إلّا ساحراً كبيراً وأنّه قادر بسحره على أن يسوق إليهم البلاء و أن يمسكه إذا شآء، فهم بهذه الصّفة يتعاملون معه... أمّا دعواه بأنّه رسول من ربّ العالمين، فهذا ادّعاء لم يصحّ عندهم وإن قبلوه منه فهو إلى أن ينكشف البلاء عنهم.

**وفي قولهم:** «ربّك» اعتراض ضمنى منهم بأنّهم على ما هم عليه من كفر بالله... فهو ربّ موسى عليه‌السّلام وليس بربّهم وهو الّذي عهد إلى موسى بهذا السّحر الّذي

بين يديه وعلّمه إيّاه وفي خبر موسى عليه السّلام تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ حال موسى عليه السّلام مع قومه، وحالك مع قومك سوآء فاصبر إن أمرك يؤل إلى الظّفر والإستعلاء كما آل إليهما أمر موسى عليه السّلام.

**٥٠ - (فلمّا كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون)**

بيان لما حدث منهم بعد دعوة موسى عليهم السّلام وكشف العذاب عنهم، من خلف وعدهم، ونقض عهدهم، وإصرارهم على الكفر والعصيان... أي فلمّا استجاب الله تعالى لموسى عليه السّلام فيما طلبه من رفع البلآء عنهم لم يستقيموا على العهد الّذي عاهدوا موسى عليه السّلام عليه من الإيمان بالله بعد رفع البلآءِ عنهم، بل نكثوا العهد وأمسكوا بما هم عليه من كفر وطغيان...

**٥١ - (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون)**

إخبار من الله تعالى عن تمرّد فرعون مصر وعتوّه وعناده، وعرضه التافه الرّخيص الّذي يواجه به آيات الله البيّنات... وماذا يثبت له ملك مصر الّذي حصل عليه بالزّور والتّزوير، بالسّوط والسّيف، وبالنّار والغرور...؟ وحتّى إذا كان له حقّ وخيرة من شعبه، أكلّ ذلك يثبت أنّه إله؟ أم عبد يستغنى عن الله تعالى؟ إذاً فكلّ ملك إله! أو هو مستغن عن الله؟ وترى من هذا الّذي هباه وأعطاه؟ هل هو هو أم الله؟ فليس هو إذاً إله ولا يستغني عن الله!

ومن كان ينكر على فرعون الطّاغي هذا الملك الّذي له؟ إنّه هو الّذي ينكر على نفسه هذا الملك، بعد أن رأى كيف تهزّه الأحداث وتزلزله النكبات... وتكاد تبتلعه الأمواج المضطربة... وهو لا يملك لذلك دفعاً!! فأين سلطانه؟ وأين جبروته؟ لقد تعرّى من كلّ شيء، وأصبح في هذه المحنة نبتة هزيلة، تعصف بها الرّياح فيما تعصف به من نبات وأعشاب...! إنّه يلوذ بموسى عدوّه، طالباً أن يمدّ إليه يده ليدفع عنه هذا

البلاء الّذي نزل به...

إنّ فرعون طاغي مصر هنا يفكر بصوت عال ـ كما يقولون ـ فهو بهذا الحديث إلى قومه، يكشف عمّا يشعر به من ضياع لسلطانه، وذهاب لهيبته... وهو بهذا الحديث يتحسّس وجوده الّذي ذهب، وسلطانه الّذي ضاع... تماماً كما يفعل من صحامن حلم مزعج، رأى فيه أنّه سقط من قمّة جبل فتحطم، وتبدّد أشلاّء، إنّه يتحسّس جسده ليرى إن كان حيّاً أو هو في عالم الأموات، وإن كان هو في يقظة أو في حلم أو هوميّت متحرّك ! في إسناد النّدآء إلى فرعون من باب «بنى الأمير» و«قطع الأمير يداللصّ» إذا أمر ببنآءٍ وبقطعها، ويمكن أن يكون عند عظمآء القبط، فيرفع عندهم صوته بذلك، فنودى هو به بينهم، ثمّ ينشر عنه في جموع القبط، فعلى الأوّل أمر فرعون بالنّدآء في مجامع قومه ومحافلهم وأماكنهم بذلك فهذا مجاز مرسل، علاقته المحلّيّة، فقد جعل قومه محلاً لندآئه وموقعاً له وعلى الثّاني نادى هو بنفسه بين العظمآء والخواص والحواشى... ثمّ أمرهم أن ينشروه هم بين همج الرّعاء من عامّة النّاس يميلون إلى كلّ ريح في كلّ ظرف من دون شعور!

**وقول فرعون:** «أليس لي ملك مصر» إستفهام تقريريّ لعمّاله المترفين لهمج الرّعآء من عامّة قومه يضحك على ذقونهم،ويلعب بعقولهم وأفكارهم بواسع الملك وسلطة الحكم وهذا دأب الحكّام الجبابرة والطّواغيت في كلّ ظرف، وأكثر النّاس لا يشعرون ذلك !

**وقوله:** «أفلا تبصرون» تأكيد لما قبله، أراد بذلك استعظام ملكه وبقائه، وعظم قدره وضعف موسى عليه السّلام عن مقامته لما فيه من فقر وعِيّ وحصر.. فبيّن فضله واستجاش قلوباً مستغفلة مستخفّة «أفلا تبصرون» بأبصاركم إذ لا حاجة إلى بصيرة لهذا العرض المحسوس! ففيه طَلَبٌ من فرعون لمزيدٍ من الصّفعات على وجهه، ليتأكّد له أنّه موجود على قيد الحياة، وأنّه لا يزال قآئماً على كرسى الملك ... وإنّ من شكّ في ذلك فلينظر.. فها هوذا فرعون... وها هوذا عرش فرعون... وها هوذا قآئم على كرسيّ مملكته!! إنّه الغريق الّذي احتواه اليمّ، وقديئس الّذي ينظرون إليه من نجاته،

وهو يهتف بهم: أناهنا ... مازلت حياً... فلا تهيلوا التّراب عليّ!!

٥٢ ـ (أم أنا خير من هذا الّذي هو مهين ولا يكاد يبين)

تصريح من فرعون طاغي مصر، بحاله، و«أم» إمّا للإنقطاع، فالهمزة للتّقرير كأنّه قال إثر ماعدد أسباب فضله ومبادى خيريّته على موسى عليه السّلام: أثبت عندكم واستقرّ لديكم أنّي أنا خير وهذه حالى من موسى لأنّه كذا وكذا... أو تقدر «أم» بـ«بل» الّتي لإضراب الإنتقال، والهمزة للإنكار أو بمعنى «بل» فقط أي بل أنا فتكون للإنتقال من كلام إلى آخر من غير اعتبار استفهام وإمّا للإتّصال. فالمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون خلا إنّه وضع قوله: «أناخير» موضع «تبصرون» لأنّهم إذا قالوا له: أنت خير، فهم عنده بطراء. وهذا من باب تنزيل السّبب منزلة المسبّب أو العكس فان أبصارهم لماذكر من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريّته. ويجوز أن تكون «أم» للإنقطاع لفظاً وللإتّصال معنى، فهي متّصلة معادلة فالمعنى: أنا خير منه أم لا فأيّنا خير. وإنّ المعادلة تفصيل لما اجمل.

وقوله: «من هذا» أشار فرعون الطّاغي المستكبر إلى موسى بن عمران عليه السّلام بـ«هذا» من دون أن يذكره باسمه توهيناً وتحقيراً كقول عمربن الخطّاب في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ هذا الرّجل ليهجر» للإهانة والتحقير..

وقوله: «الّذي هو مهين» في توصيف فرعون الباغي، موسى عليه السّلام بقوله: «الّذي هو مهين» للتحقير، ولدلالته على عدم خيريّته.

وقوله: «ولا يكاد يبين» تنقيص آخر من فرعون المستكبر لموسى عليه السّلام في أعين أُجرائه وهمج الرّعآء من عامّة قومه بإعتبار ما كان في لسانه عليه السّلام من نوع رتة. وهذا من ديدن أصحاب السّياسة الشّيطانيّة في كلّ ظرف من الظّروف...

٥٣ ـ (فلولا القى عليه أسورة من ذهب أوجآء معه الملآئكة مقترنين)

كناية عن تمليكه وحواشيه... وهذا من فرعون طاغي مصر لزعمه أنّ الرّئاسة

والحواشي من لوازم الرّسالة، مقدّمة عليها، ففي صدر الآية إشارة إلى شبهة ثالثة مانعة له من الرّياسة، وهي أنّه لايلبس لبس الملوك ، فلايكون رئيساً ولا رسولاً لتلازمهما في زعمه إذ لابدّ وأن يكون الرّسول على هيئة الجبابرة، وفي ذيل الآية إشارة إلى شبهة رابعة مانعة له من الرّياسة، وهي أنّه ليس له خدم من الملائكة تعينه عند الخصام والنّزاع مع قومه، فلا بدّ وأن يكون الرّسول محفوفاً بملائكة.

إنّ فرعون إذ يجلس على كرسيّ عرشه، فزعاً مضطرباً ليرى ـ بلمح الخاطر ـ يد موسى عليه السّلام تكاد تمتدّ إليه وتنتزعه من هذا العرش، ثمّ يرى هذه اليد عُطلاً من كلّ حليّ على حين يرى يديه هو وقد حليتا بأساور من ذهب، ممّا يدلّ على أنّه الملك الجدير بالجلوس على هذا العرش، وهنا يجدها فرعون فرصة ليضع في كفّة ميزانه ثقلاً جديداً تثقل به كفته على حين تخف كفّة موسى عليه السّلام فيقول: «أنا خير من هذا الّذي هو مهين ولا يكاد يبين».

ثمّ أنا خير من هذا الّذي لم تحلّ يده بحلية من ذهب شأن الملوك وأصحاب السّلطان والطّواغيتِ الجبابرة... فلو أنّ موسى كان رسولاً من عندالله حقّاً لمّاضنّ عليه ربّه بأن يُلقىَ عليه أسورة من ذهب كأمارة على أنّه موفد من جهة عالية، ذات بأس، وذات سلطان! فإن لم يكن أهلاً لأن ينال من ربّه هذه المكرمة، أفلا جآء معه ملك أو ملائكة من السّمآء، يشهدون له أنّه رسول من عندالله أو يعينونه في الجدال والنّزاع؟ فإذا لم يكن هذا ولا ذاك فبأيّ وجه يكون لموسى مقام بيننا ومكانة فينا؟

ففي الآيات الثّلاث: (۵۳-۵۱) إشارة إلى أنّ فرعون طاغى مصر هنا في تدجيله بين نفي وإثبات، يثبت لنفسه كلّ أهليّة ينفيها عن موسى عليه السّلام وينفي عن موسى عليه السّلام مايثبته لنفسه:

۱ ـ «لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي» وموسى مهين ليس له ملك ولا هو من الطائفة الملوكيّة، بل هو من بني إسرآئيل المستضعفين المستخدمين!

۲ ـ أنا أبين، وموسى لايكاد يبين، حيث إنّ العقدة في لسانه، ولا عقدة في لساني.

٣ ـ أنا عَلَيَّ أسورة من ذهب «ولولا القي عليه أسورة من ذهب»؟

٤ ـ أنا معي جندي محفوفين حولي، ولم يجئ مع موسى حتّى ملائكة مقترنين!

**٥٤ ـ (فاستخف قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين)**

إشارة إلى أنَ خِدَع فرعون المستكبر قد انطلت على قومه الحمقآء وسحرت ألبابهم لغفلتهم وضعف عقولهم، فصدّقوه بلا تصوّر، واعترفوا بربوبيته من دون شعور، وكذّبوا بنبوّة موسى عليه السّلام بغير تدبّر، فأطاعوه فيما خدعهم به من دون تعقّل، فإنّه احتجّ عليهم بما ليس بدليل وهو قوله: «أليس لي ملك مصر...» ولو عقلوا وفكروا لقالوا: ليس في ملك الإنسان مايدلّ على أنّه محقّ لكون ملوك كثيرة يخالفونك مبطلين عندك، وليس يجب أن يأتي مع الرّسل ملائكة لأنّ الّذي يدلّ على صدق الرّسول هو المعجزة دون غيرها.

فاستخفّ فرعون طاغي مصر عقول قومه بأسورة من ذهب وما إليها من مظاهر وزخارف... وهذا دأب القادة الطّاغية في كلّ ظرف من الظّروف... وهم حملة ألقاب ومظهر خلاب، مذهبهم شعار، ودينهم اعلان، وإصلاحهم كلام بكلام، يلعبون بعقول النّاس، ويستصغرون أحلامهم، فيطيعونهم طاعة العبيد لمواليهم...!

وهذا هو فرعون الطّاغي تحدّث إلى قومه المنحطّين بهذا الحديث الّذي لايقبله عقل، ولا يستسيغه عاقل... ومع هذا فقد تلقّاه هؤلآء القوم الحمقاء وهمج الرّعاء بالتّسليم والطّاعة ولم يقم من بينهم قآئم ينكر هذا القول المنكر، ويسفه هذا المنطق السّفيه... «إنّهم كانوا قوماً فاسقين» أي كانوا على ما كان عليه فرعون من سفاهة وجهل وحماقة... فراجت عندهم هذه البضاعة الفاسدة! وهكذا يستغلظ الضّلال، تنتشر سحبه القائمة في المواطن الّتي تقبل الباطل، وتستجيب له... تماماً كالبرك والمستنقعات، تتداعى عليها الهوامّ والحشرات، وتتوالد وتتكاثر في أعداد لا تعدّ ولا تُحصى...

وأنّها ليست مسئوليّة داعية الضّلال وحده، بل هي كذلك مسئوليّة الّذين يستجيبون له، ولا ينكرون عليه المنكر الّذي يدعوهم إليه... ومن هنا كان الأمر

بالمعروف والنّهي عن المنكر مسئوليّةٌ منوطة بكلّ مجتمع إنسانيّ، في أفراده وجماعاته... إذ كانت الجماعة أشبه بالجسد فيما يعرض له من عوارض العلل والآفات... فأيّ عضو في الجماعة يعرض له عارض من عوارض الفساد يهدّد الجماعة كلّها بتلك الآفة الّتي إن لم تجد من يطبّ له منها سرت عدواها في المجتمع كلّه، وتهدّدت وجوده...

**قوله تعالى:** «إنّهم كانوا قوماً فاسقين» تعليل لإطاعتهم من فرعون المستكبر، على سبيل الإخبار من الله جلّ وعلا بأنّهم لمّا خرجوا عن طاعة الخالق المتعال وعصوه، دخلوا في طاعة المخلوق الطّاغي وأطاعوه، ولذلك استحقّوا الخزى والهوان والخفّة... حيث إنّ الطّاعة للخالق عزّوجلّ تتبعها العزّة، والطّاعة للمخلوق العاصي تتبعها الذّلّة.

**٥٥ ـ (فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين)**

بيان لجزاء عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الكاسدة، وعلى ما اجترحوا من تكذيب موسى نبيّ الله عليه السّلام على وضوح الدّليل وظهور الحقّ، وتقرير لوخامة عاقبة داعية الفسق والضّلال، ومن ضلّ بضلاله... فأخذ الله عزّوجلّ فرعون المضلّ ومن تبعه بعذابه، فأغرق التّابع والمتبوع، والرّئيس والمرؤس والقائد والمردة أجمعين، وهذه سنّة من سنن الله تعالى لا تحويل ولا تبديل، فكلّ من خرج عن طاعة الخالق، ودخل في طاعة المخلوق الطّاغي فقد أغضب الله سبحانه بفسقه، فيستدرج الضّالّ والمضلّ مليّاً ثمّ يأخذهم بغتة من حيث لا يشعرون.

**في قوله تعالى:** «فلمّا آسفونا انتقمنا منهم» إشارة إلى أنّ الله عزّوجلّ قد أمهل هؤلآء الفاسقين، ومدّلهم في فسقهم حتّى يكون لهم فُسحة من الوقت، يراجعون فيها أنفسهم، ويعدّلون موقفهم المنحرف... فلمّا لم يكن لهم في هذا الإمهال وفي تلك المطاولة إلّا الإمعان في الضّلال والإسراف في العناد... أخذهم الله بفسقهم، ولم يكن لهم من دون الله من وليّ ولا نصير.

وفيه من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعليّة الوصف في الحكم مالا يخفى على القارئ الخبير المتأمّل، فتدبّر جيّداً.

وقوله عزّوجلّ: «فأغرقناهم أجمعين» بيان لما انتقم به منهم.

٥٦ ـ (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين)

تنبيه على هدف قصّة موسى عليه السّلام وفرعون وقومه بأنّ الله تعالى قدجعلها ماضياً فيه عبرة لمن اعتبر، وعظة لمن اتّعظ، ونموذجاً من عواقب الكفر والفسوق لمن يأتي بعدهم فيتمثّلوا بحالهم فلايقدموا على مثل أفكارهم وأقوالهم وأفعالهم... والمثل بيان عن أنّ حال الثّاني كحال الأوّل بما قدصار في الشّهرة كالعلم، فحال هؤلآء المشركين كحال من تقدّم في الإشراك بما يقتضي أن يجروا مجراهم في الإهلاك إن أقاموا على الطّغيان.وفي الآية الكريمة وعيد لمشركي العرب، وتهديد لكلّ من انسلك مسلك فرعون طاغي مصر وقومه من الحكّام والملوك والامرآء ومن النّاس كلّهم في كلّ ظرف من الظّروف، وتذكير للمؤمنين، ودرس قيم للدّعاة والمصلحين... فتدبّر واغتنم جدّاً ولا تكن من الغافلين.

٥٧ ـ (ولمّا ضرب إبن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون)

إشارة إجماليّة إلى قصّة عيسى بن مريم عليها السّلام بعد الفراغ عن قصّة موسى بن عمران عليه السّلام وفيها إشارة إلى نوع آخر من قبآئح أقوال كفرة قريش وموقف المشركين العرب حينما كان يذكر عيسى عليه السّلام حيث كانوا كلّما ذكر في معرض الرّدّ والتّمثيل والعظة يزدادون إعراضاً وجدلاً أو يشتدّون في الصخب والضجّة... فتحتوى الآية الكريمة صورة من صور اللجاج والخصومة القويّة الّتي كان عليها نبهاء العرب، وفصلاً من فصول الجدل الّتي كانت تقع بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

في قوله تعالى: «إبن مريم» دون ذكر «عيسى» بإسمه أو لقبه: «المسيح» إشارة

إلى أنّه إبن امرأة هي مولود من مواليد الإنسانيّة... فإبنها ـ أيّاً كان ميلاده ـ ثمرة من شجرة الإنسانيّة، موصول نسبه بنسبها... أيّاً كان لون هذه الثمرة أو طعمها...

وقوله عزّوجلّ: «مثلاً» في عيسى بن مريم مثل بارز لمن يتعقّل الأمثال وينتفع بها، حيث إنّ في ميلاده هذا الميلاد العجيب من دون أب ـ مثلاً شاهداً على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته، وعلى أنّه عزّوجلّ يخلق مايشآء على غير مثال سبق من تلك المخلوقات الّتي تجري على طريق الأسباب الظّاهرة لنا... فالله جلّ وعلا خالق الأسباب والمسبّبات كلّها... وفي هذا الميلاد العجيب الّذي يبدو لنا من خلق عيسى عليه السّلام من غير أب إشارة إلى أمور كثيرة ينبغي لكلّ إنسان أن يتدبّر فيها:

منها ـ انّ صفة هذا الميلاد الّذي يكاد ينفرد به عيسى من بين بني آدم لا يصحّ أن يكون داعية لبعض النّاس إلى عبادته، وإلى رفعه عن مقام الخلق إلى مقام الخالق! فما هو إلّا عبد من عباد الله وخلق من خلقه، وإن كان مقامه رفيعاً عندالله تعالى، وأنّه إذا كان قد وُلِد من دون أب، فالإنسان ـ أصلاً ـ خلق من غير أب وأمّ: «إنّ مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون» آل عمرآن: ٥۹) فعيسى وآدم عليهما السّلام عندالله على حدّ سوآء حيث كلاهما مخلوق لله تعالى سواء منهما من خلق إبتداء من غير أب ولا امّ كآدم، أو من خلق من أُمّ دون أب كعيسى...

ومن هنا فلا يكون لأحد أن يعبد عيسى عليه السّلام ويجعل له نسبة خاصّة بالله سبحانه لا يكون له حجّة يتّخذها من ميلاده الّذى جآء على هذه الصّفة، وإنّه إذا كانت له حجّة، فهي من واردات الأوهام والضّلالات كتلك الحجج الّتي يقيمها عبّاد الأحجار والأصنام والكواكب والملائكة على معبوداتهم... فالّذي يعبد الحجر لا يَعْدَم أن يجدله منطقاً يعبده عليه تماماً كالّذي يعبد الشّمس أو القمر أو الملائكة أو الجن أو الطّواغيت... فكلّ معبود من تلك المعبودات له عند من يعبده وجه يعبده عليه، ومنطق يتعامل به معه...

ومنها ـ إنّ ميلاد عيسى على غير الأسلوب الّذي ولد عليه سآئر النّاس دليل على قدرة الله الّتي لا تحكمها الأسباب... وأنّ الله جلّ وعلا قادر على كلّ شيء، وأنّه بهذه

القدرة قادر على أن يبعث الموتى من قبورهم، وأن يحي هذه الأجساد بعد أن أبلاها البلى، وذهب التّراب بمعالمها...

وقوله تعالى: «إذا قومك» فيه إشارة إلى قوم آخرين، لهم خصومة في إبن مريم، وهم أتباع المسيح الّذين يعبدونه...

وقوله جلّ وعلا: «إذا قومك منه يصدّون» ذمّ لقريش في مقابلتهم المثل الحقّ بالتّهكّم والسّخريّة بأنّهم إذا سمعوا المثل يضجّون ويضحكون ويتصايحون، شأن الجماعة يطلع عليها أمر على غير ما تتوقّع، وهي في مأزق حرج، فتتعلّق بهذا الأمر الّذي ترى فيه فرجاً ومخرجاً، فتصيح بصيحات الفرح المجنون الّذي تختلط فيه الأصوات، فلا يعرف للكلمات مدلول، وإن عرف للإشارة والحركات مفهوم، يدلّ على الفرحة والإبتهاج.

وفي الجملة: «إذا قومك...» إشارة إلى هذا اللغط والصّخب الّذي أثاره المشركون عند ضرب هذا المثل في تشبيه خلق عيسى بخلق آدم: «إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم...» آل‌عمرآن: ٥٩) فقد انتهزها المشركون فرصة يشغبون بها على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويأخذون منها الحجّة عليه من لسانه بهذا المثل الّذي ضربه.

إنّ الله عزّوجلّ قال: إنّ عيسى بشر كسآئر البشر، وإنّه مولود من الإنآء الّذي يولد منه كلّ إنسان، وهو رَحِمُ الأُمّ، والمشركون يقول لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: هذا عيسى وهو بشر كما تقول وقد عبده الّذين هم أهل كتاب سماويّ، ولابدّ أن تكون هذه‌العبادة عن دعوة من الله لهم، فإذن فعبادة غير الله جآئزة عندالله، ونحن إنّما نعبد الملائكة الّذين هم بنات الله... والّذين نتمثلهم في هذه الأصنام الّتي نسمّيها بأسمآئهم... كهبل واللاّت والعزّى ومناة... فأيّ خير؟ آلهتنا تلك الّتي هي بنات الله؟ أم المسيح الّذي هو إبن مريم؟ وإذا كان قدرضي لأهل الكتاب أن يعبدوا إبن امرأة أفلا يرضى الله لنا أن نعبد الملائكة وهنّ بنات الله؟

هذا منطق طائفة من مشركي العرب الّذي استخرجوه من هذا المثل الّذي ضُرِب لهم في خلق عيسى... وهو منطق قآئم على المماحكة والسّفسطة... إنّهم أمسكوا

بمقدّمات باطلة، ثمّ خلصوا منها إلى نتآئج فاسدة... فمن قال لهم: إنّ عبادة الّذين يعبدون المسيح قآئمة على الحقّ؟ إنّها كفرو شرك بالله، مثل كفرهم وشركهم بما يعبدون من هذه الآلهة الّتي أقاموها بأيديهم، وسمّوها بأسمآء الملائكة كما قال عزّوجلّ: «افرأيتم اللات والعزّى ومناة الثّالثة الاخرى ألكم الذّكرو له الأُنثى تلك إذاً قسمة ضيزى» النّجم: ١٩-٢٢).

إنّ عبادة الّذين يعبدون المسيح قضيّة أُخرى... لم يكن من شأن الدّعوة الإسلاميّة أن تعرض لها في هذا الدّور الّذي تواجه فيه هؤلآء المشركين من قريش... وتعلّق المشركين بهذه القضيّة في هذا الوقت ودعوة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الدّخول معهم في منا قشتها والفصل فيها ـ هو ممّا يجعل المعركة بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبين المشركين إلى ميدان آخر، يقفون هم فيه موقف المتفرّجين... وهذا من شأنه أن يُغمد سيوف الحقّ الّتي تضرب في وجوههم، من قبل أن توقع الهزيمة بهم... ولهذا جآء القرآن الكريم مبطلاً مكرهم هذا بقوله جلّ وعلا: «ماضربوه لك إلّا جدلاً...» أي ماضربوا هذا المثل الّذي يوقع الشّبه بينهم وبين أتباع المسيح الّذين يعبدونه من جهة، وبين آلهتهم الّتي يعبدونها، وبين المسيح ـ من جهة أُخرى ـ ماضربوا هذا المثل إلّا جدلاً أي لأجل الجدل الّذي يصرف عن الحقّ، ويُعمّى السّبل عنه...

هذا شأن القوم في أكثر أمورهم... فهم قوم خصمون... أي شديد والجدل في الخصومة... كما قال تعالى فيهم: «وتنذر به قوماً لدّاً» مريم: ٩٧) أي شديد واللدد والعناد في الخصومة... هذا هو ظاهر السّياق، وأمّا اللبّ وحقيقته فهو ما ورد عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين سيأتي بيانه فانتظر.

**٥٨ ـ (وقالوا ءألهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون)**

حكاية عن تساؤل المشركين العرب عمّا إذا كان عيسى خيراً أم آلهتهم، وردّ مفحماً وملزماً عليهم بأنّ تساؤلهم وموقفهم وصخبهم ليس إلّا من قبيل الجدل والمكابرة الّتي برعوا فيها، فهم مبالغون في الخصومة، وعنيدون في الجدل... ويبدو من

تساؤلهم عن الأفضل والصّواب: الملائكة الّذين يعبدونهم أم عيسى؟ أنّ تساؤلهم هذا كان قائماً على ما كانوا هم يرونه من اتّساق المنطق في صلة الله الأبويّة بالملائكة الّتي كانوا يقولون بها ـ وهي كون الملائكة بنات الله ـ أكثر من صلة الله الأبويّة بعيسى الّتي كان يقول النّصاري بها ـ وهي كون عيسى إبن الله ـ من حيث كون أوصاف الملائكة وحقيقتهم أكثر انسجاماً أو تماثلاً مع أوصاف الله من وصف عيسى وحقيقته.

وذلك أنّ هذا ولد وعاش ومات كما يولد ويعيش ويموت سآئر البشر كما يقرّره النّصاري أنفسهم في حين أنّ الملائكة نورانيّون غير مادّييّن وغير مرئييّن لا يموتون ولا يتزاوجون ولا يتوالدون... وكلّ هذا من صفات الله، فكانت آلهتهم ـ في زعمهم ـ خير من إبن مريم في زعم النّصاري. فالإستفهام للإنكار. والمعنى:آلهتنا خير من إبن مريم كأنّهم لمّا سمعوا إسمه بما يصفه القرآن الكريم به من النّعمة والكرامة أعرضوا عنه بما يصفه به القرآن وأخذوه بما له من الصّفة عند النّصارى أنّه إله، إبن إله، فردّوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ آلهتنا خير منه. وهذا من أسخف الجدال وأشدّ الخصومة كأنّهم يشيرون بذلك إلى أنّ الّذي في القرآن من وصفه لا يعتنى به، وما عند النّصارى لا ينفع فإنّ آلهتهم خير منه.

وقوله تعالى: «بل هم قوم خصمون» هذا ـ في فنّ البديع ـ من باب الهجو.

وفي الآية الكريمة دلالة على ما كان من شدّة لجاج نبهاء المشركين، وغاية عنادهم وقوّة تعنّتهم في أثنآء جدالهم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

**٥٩ ـ (إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرآئيل)**

تقرير لحقيقة عيسى عليه السّلام بوصفه بصفات المخلوق ردّاً على هذا الأساس الّذي أقام المشركون عليه حجّتهم، فأوضح بأنّه ليس إلّا عبد من عباد الله تعالى أنعم الله عزّوجلّ عليه بالإصطفآء، وجعله موضع عنايته، وأنّ خلقه ليس إلّا آية معجزة لبني إسرآئيل، لاثبات قدرته، ومثلاً من امثاله لهم... فنحن جعلنا عيسى بن مريم مثلاً لبنى اسرائيل، وجماعة جعلوه مِثلاً لنا فَنسوْا المَثَل، وضلّوا في المثل! فهذا ردّ على

المشركين الّذين ينظرون إلى الملائكة نظرة ترفعهم إلى مقام الأُلوهيّة... بهذا النّسب الّذي ينسبونهم به إلى الله تعالى وهذا نظر فاسد، فإنّه مهما يكن مقام المخلوق بين مخلوقاته تعالى فإنّه عبد من عباد الله جلّ وعلا وخلق من خلقه، يعبد الله ويسبّح بحمده، شأنه في هذا شأن كلّ مخلوق لله عزّوجلّ: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله...» النّسآء: ١٧٢) فهذا هو مقطع القول في المسيح بلا جدل ولا مما حكة.

وهذا هو المسيح ـ على ما يرى النّاس من عجيب مولده ـ وهؤلآء هم الملائكة ـ على ما يرى النّاس من عظمة خلقهم وقربهم من ربّهم ـ إنّهم جميعاً عبيدالله تعالى: «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» التّحريم: ٦)

فكيف يُعبَد العبد مع سيّده؟ وكيف يؤلّه المخلوق مع خالقه؟؟؟!!!

٦٠ ـ (ولو نشآء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون)

تقرير لكمال قدرة الله تعالى على ما هو معجز ومستحيل في نظر السّامعين مثل خلقه عيسى بدون أب، وعلى جعل نسلهم ملائكة يخلفونهم في الأرض بعدهم، فمن يستطيع على جعل نسل البشر ملائكة، يستطيع على خلق عيسى على النّحو الّذي خلقه، دون أن يكون ذلك موجباً لتألّيه كما فعل النّصارى، فلو شآء الله تعالى لجعل النّاس على صورة الملائكة خلقاً وتكويناً، ولأقامهم على خلافة الأرض ملائكة لا بشراً... فإنّ الّذيّ خلق الملائكة جنداً في السّموات قادر على أن يخلق ملائكة ليكونوا خلفآء في الأرض...

وفي هذا تذكير للنّاس بهذا الخلافة الّتي لهم على هذه الأرض... وأنّ الله عزّوجلّ قد جعلها للنّاس دون الملائكة الّذين طمعوا فيها ورأوا أنّهم أحقّ من البشر بها كما قال تعالى: «وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّمآء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك» البقرة: ٣٠)

وفي هذا ما يرى منه هؤلآء المشركون الّذين يعبدون الملائكة أنّهم إنّما يعبدون خلقاً مثلهم، أرادوا مرّة أن يكون لهم ما للإنسان من هذا السّلطان الّذي له في هذه

الأرض... فكيف يجوز في عقل عاقل أن يعبد الإنسان من كان يطمع في أن يكون في منزلته؟ أليس ذلك تدلّياً وسقوطاً؟ وبلى إنّه التدلّى السّفيه والسّقوط المهين والإنحطاط المبين!

هذا! ولا يبعد أن تكون الآية الكريمة مسرودة لرفع استبعاد أن يتلبّس البشر من الكمال مايقصّه القرآن الكريم عن عيسى عليه السّلام فيخلق الطير من الطّين، ويحيي الموتى ويكلّم النّاس في المهد وما إليها بإذن ربّه فيكون كالملائكة المتوسّطين في الإحيآء والإماتة والرّزق وسآئر أنواع التّدبير، ويكون مع ذلك عبداً غير معبود، ومألوهاً غير إله، فإنّ هذا النّوع من الكمال عند الوثنيّة مختصّ بالملائكة وهو ملاك الوهيّتهم ومعبوديّتهم، فالمشركون هم يحيلون تلبّس البشر بهذا النّوع من الكمال الّذي يخصّونه بالملائكة!

فاجيب بأنّ لله تعالى أن يزكّي الإنسان ويطهّره من أدناس الذّنوب والآثام... بحيث يصير باطنه باطن الملائكة، فظاهره ظاهر البشر، وباطنه باطن الملك يعيش في الأرض يخلف مثله ويخلفه مثله، ويظهر منه مايظهر من الملائكة، سوآء أكان هذا انقلاباً أم نوعاً من التّكامل الوجودي بالخروج من حدّ منه أدنى إلى حدّ منه أعلى، وكلاهما ليسا بمحال في شيء.

**٦١ - (وإنّه لعلم للسّاعة فلا تمترنّ بها واتّبعون هذا صراط مستقيم)**

إشارة إلى شرط من أشراط السّاعة الّتي لا يجوز المماراة فيها، سوآء أقلنا: إنّه نزول عيسى بن مريم عليه السّلام من السّمآء في آخر الزّمان لنصرة الإمام الثّاني عشر الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشّريف أم ظهور المهديّ الإمام الثّاني عشر أرواحنا له الفدآء أو كشف أسرار القرآن الكريم ورموزه قبل السّاعة... فعلى النّاس أن يتّبعوا دعوة الله تعالى فهي الصّراط المستقيم الّذي فيه خيرهم وسعادتهم، وصلاحهم وفلاحهم، وكما لهم ونجاتهم...

**٦٢ ـ (ولا يصدّنكم الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين)**

تنبيه وإنذار، وتحذير وعظة للسّامعين في كلّ ظرف أن يصدّهم الشّيطان عن طريق كما لهم وسعادتهم، عن سبيل فلاحهم وإنسانيّتهم، فلا يسمعوا لو ساوسه فإنّه شديد العداوة لهم، ولا يفعل إلّا ما فيه ضررهم.

**وقوله تعالى:** «إنّه لكم عدوّ مبين» تعليل لنهى السّامعين عن اتباع الشّيطان بعداوته لهم، فإنّ العداوة هي طلب المكروه والمكيدة والايقاع في كلّ مهلكة من أجل العداوة الّتي في هلاك صاحبها شفآء لما في صدره منها.

**٦٣ ـ (ولمّا جآء عيسى بالبيّنات قال قدجئتكم بالحكمة ولأُبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون)**

تقرير لما كان من أمر رسالة عيسى بن مريم عليه السّلام وحقيقة شخصيته وعبوديته لله تعالى ومدى رسالته، فعيسى عليه السّلام لم يدّع الألوهيّة ولم ينسب نفسه إلى الله سبحانه إبناً حتّى تصحّ حجّة المشركين واعتراضهم، وإنّما هو عبد من عباد الله، ونبيّ من أنبيآئه فإنّه قال لقومه حينما بعثه الله بالمعجزات لإثبات رسالته: إنّي جئتكم بالحكمة والمعارف الإلهيّة من العقآئد الحقّة والأخلاق الفاضلة... ولأُبين لكم الصّواب في بعض ماأنتم فيه تختلفون، ودعاهم إلى تقوى الله تعالى واتباعه. وفي الآية الكريمة اشارة الى تعنّت بنى‌اسرائيل. ان تسئل: لماذا قال عيسى (عليه السّلام) لأمّته: «لأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه»؟ تجيب عنه باجوبة:

**منها** ـ كان بنو اسرائيل يختلفون فى الامور الدينية والدنيوية، وفيما يعنيهم ومالا يعنيهم، فارسل الله تعالى عيسى عليه السّلام ليبين لهم الشرائع والاحكام وما يعنيهم خاصة.

**ومنها** ـ يحتمل ان يكون «بعض» هنا بمعنى كل كقوله تعالى: «وان يك صادقاً يصبكم بعض الّذي يعدكم» غافر: ٢٨)

**٦٤ ـ (إنّ الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)**

مستأنف بيانيّ سيق لتفصيل ما يأمرهم به، وأن يقرّر لهم: أنّ الله جلّ وعلا هو ربّه وربّهم، وأن يحثّهم على عبادته وحده، وأن يبيّن لهم أنّ هذا هو الصّراط المستقيم الّذي يجب عليهم السّير فيه، إتماماً للحجّة على من يقول بألوهيّته، فالمسيح لم يجئ إلى بني إسرائيل داعياً لهم أن يعبدوه من دون الله كما ذهب إلى ذلك أهل الضّلال ممّن عبدوه وجعلوه إلهاً.

**٦٥ ـ (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للّذين ظلموا من عذاب يوم أليم)**

إشارة إجماليّة إلى ما وقع بين بني إسرائيل في شأن عيسى بن مريم وحقيقة شخصيته، وفي مفهوم دعوته الّتي جآءهم بها من إختلاف كان انحرافاً وبغياً منهم، إذا اختلفت اليهود والنّصارى فكذبته اليهود وبهتوه ورموه وأُمّه بالفحش والزّور من القول، وقالوا: إنّه إبن زنا، وإنّ امّه جآئت به من سفاح! ثمّ اختلفت النّصارى في طبيعته هل هي واحدة أو أكثر، فصاروا فرقاً متحزّبة من يعقوبيّة فرفعته إلى مقام الالوهيّة، فقالوا: إنّه الله تجسّد في مريم، وجآء على صورة المسيح، ومن نسطوريّة، فقالوا: هو إبن الله، ومن ملكانيّة، فقالوا: هو ثالث ثلاثة.

وبين الفرق الثلاث فرق أُخرى:

منهم: الطّائفة الصّدوقيـون الّتي تولت الكهانة من عهد داود وسليمان وهم حسب احترافهم كانوا متشدّدين في شكليات العبادات وطقوسها، وينكرون البدع وهم مترخصون في ملاذ الحياة ناكرون للقيامة.

ومنهم: الفرقة الفريسيّون، وكانوا على شقاق مع الصّدوقيين ينكرون ذلك التشدّد وجحدهم للقيامة، والسّمة الغالبة عليهم هي الزّهد والتصوّف، وفي بعضهم اغترار بالعلم والمعرفة، والمسيح ينكر عليهم تلك الخيلاء والشّقشقة.

ومنهم: حزب السّامريّين وكانوا خليطاً من اليهود والأشوريين تدين بالكُتب

الخمسة في العهد القديم المعروفة بالكتب الموسوية، وتنفي ماعداها من المضاف إليها.

ومنهم: طائفة الآسين أو الاسينيين، وكانواهم متأثرين ببعض المذاهب الفلسفيّة المعوّجة يعيشون عزلة من سآئر طوائف اليهود ويأخذون أنفسهم بالشّدة والتّقشف.

وهناك غير هؤلآء الأحزاب نِحَلٌ فردية شتّى وبلبلة في الاعتقادات والتّقاليد بين بني إسرائيل الرّاضخين لضغط الإمبراطوريّة الرّومانيّة الّذين ينتظرون الخلاص على يد المخلص المنتظر من الجميع.

وقوله تعالى: «فويل للّذين ظلموا...» وعيد وتهديد وإنذار للمنحرفين عن طريق الحقّ والهدى جميعاً بعذاب شديد في يوم من الأيّام... فكلٌّ جآئر، حآئد عن طريق الحقّ في المسيح، وفي المهوم الّذي فهموه عليه... فهو ليس بإله ولا إبن إله ولا ثالث ثلاثة كما زعمه أنصاره وأتباعه... من النّصارى، ولا هو إبن زنى ولا كذّاباً ولا دجّالاً... كما بهته ورماه بذلك المفترون الضّالّون من اليهود العنود، وإنّما هو كما قال الله تعالى: «إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلنا مثلاً لبني إسرائيل».

وفي قوله عزّوجلّ: «فويل للّذين ظلموا...» من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

٦٦ ـ (هل ينظرون إلّا السّاعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون)

تحذير وإنذار للكفّار والمشركين، والفجّار والمنحرفين على ماهم فيه من الخلاف دون أن يتبيّنوا وجه الحقّ على طريق تساؤل المنكر المندّد الموبّخ عمّا إذا كانوا ينتظرون حلول آجالهم حتّى يتّبعوا الحقّ الّذي ظهر، مع أنّ آجالهم لا تحلّ إلّا بغتة، فتكون الفرصة المواتية لهم قد فاتت، وهم لا يشعرون بإضاعة الفرصة منهم، ولا بحلول الأجل بهم فجأة. وفي الكلام كناية عن عدم اعتنائهم بالإيمان بالحقّ ليتخلّصوا به عن أليم العذاب.

ويجوز أن يكون الكلام عودة بالخطاب إلى مشركي العرب، بعد أن ضُرِب لهم المثل بالمسيح بن مريم، وبما كان منهم من شغب في هذا المثل، وما كان من

بني إسرائيل من خلاف في شأنه... وفي هذا الخطاب الإستفهاميّ تهديد للمشركى العرب بما سيحل بهم إذا هم أمسكوا بما هم عليه من شرك وضلال... فماذا ينتظرون؟ إنّه ليس وراء هذا الانتظار إلّا أن يموتوا على شركهم، وإلّا أن يجدوا أنفسهم فجأة، وعلى غير توقّع منهم: أنّهم بين يدى عذاب الله الّذي أعدّ للكافرين المضلّين...

**إن تسئل:** ما فائدة قوله عزّوجلّ: «وهم لا يشعرون» بعد قوله: «بغتة» أي فجأة؟

**تجيب عنه:** إنّ فائدته أنّ السّاعة تأتيهم، وهم غافلون عن إضاعة الفرصة عنهم باشتغالهم بزخارف الدّنيا كما قال: «ما ينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون» يس: ٥٠) فلولا قوله: «وهم لا يشعرون» جاز أن تأتيهم فجأة وهم فطنون حذرون مستعدّون لها.

**وفي التبيان:** قال: «وإنّما كانت السّاعة فجأة مع تقديم الإنذار بها لأنّهم مع الإنذار لا يدرون وقت مجيئها كما لا يدرى الإنسان وقت الرّعد والزّلازل فتأتي بغتة وإن علم أنّها تكون».

**٦٧ - (الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين)**

إخبار من الله تعالى بإنقلاب الخلّة الدّنيويّة يوم القيامة إلى العداوة، وانقلاب الأخلّاء يؤمئذ إلى الأعداء، وانشغال كلّ بنفسه، فلا ينجو من المصير الرّهيب إلّا الّذين اتّقوا الله حقّ تقاته واتّبعوا سبيله واعتصموا بحبله، حيث إنّ يوم القيامة تبلى السّرآئر، وتكشف الحقآئق وتظهر المعانى كلّها بإنقلاب الظّواهر بواطن، وبالعكس، فلا إعتبار يومئذ للنّسب الصّورى، والقرابة المجازيّة والمحبّة الظّاهريّة... الّتي تبتني على الدّنيا وزخارفها، لا على الإعتقاد الحقّ والإيمان الصدق...

**إن تسئل:** لماذا قال الله عزّوجلّ هنا: «الأخلّاء» ولم يقل: «الأحبّآء» أو «الأصدقآء» أو «الأودّآء»؟

**تجيب عنه:** إنّ في الخلّة اختصاصاً بالتّكريم ليس هذا الاختصاص في غيرها، ولهذا قيل: إبراهيم خليل الله. لاختصاص الله تعالى إيّاه بالرّسالة، وفيها تكريم له،

والأنبيآء كلّهم أخلاّء الله بهذا الإعتبار. فكأنّ الخلّة هي قمّة المحبّة والصّداقة والمودّة لحدّ يخلّ الخليل في خليله كأنّهما نفس واحدة أو تخلّ المودّة بينهما، وفي كلّ منهما، فإذا أصبحت الأخلاّء أعدآء يوم القيامة، فَمَنْ دونهم أولى بالعداء، فكلّ خلّة بين الأخلاّء نبعت ونبتت على غير تقوى تبؤ يوم القيامة إلى العداء، حيث تبنّتها الطغوى، وأمّا انقلابها إلى العدآء دون أن تحبط فلاخلّة ولا عدآء فلأنّها حصلت على ضلال، ونبتت وقويت على ضلال، فأصبحت مضلّلة لكلّ خليله، فلا يتلاحون عليها يؤمئذ، بل يتلاومون ويتلاعنون، يلقى كلّ على خليله، تبعة ضلاله، فالخلّة الّتي تجمع بين الأخلاّء هنالك تجمع بينهم، فقد كانت ظاهرها فيها الرّحمة وباطنها من قبلها العذاب.

وقوله تعالى: «إلاّ المتّقين» إستثنآء من هذا الحكم العامّ، فليس كلّ الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ، وإنّما هذا الحكم واقع على إخوان السّوء وأهل الضّلال... أمّا أهل الإيمان والتّقوى المتحابّون في الله، المجتمعون على ذكره وطاعته ـ فهؤلآء يلقي بعضهم بعضاً بالحمد والثّنآء حيث كان بعضهم لبعض ناصحاً وهادياً. وفيه من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى.

وفي الآية الكريمة إنذار للكفّار والمنافقين، للفجّار والمجرمين، وللفسّاق والمستكبرين... وتنويه وتطمين لأهل التّقوى واليقين الّذين ساروا في طريق الحقّ والهدى، والصّلاح والفلاح، وفي سبيل السّعادة والنّجاة...

٦٨ ـ (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير ماينادى به الله تعالى عباده المتّقين المتحابّين في الله جلّ وعلا، يناديهم يوم القيامة تشريفاً لهم وتطييباً لقلوبهم، وتسكيناً لروعهم مما يرون من الأهوال... وتأميناً لهم من كلّ مكروه ومحتمل أو مقطوع به، فإنّ مورد الخوف، المكروه المحتمل، ومورد الحزن، المكروه المقطوع به، فإذا ارتفعا، ارتفعا. وقد خصّ المتّقين بأنّهم عباده من حيث إنّهم أطاعوه واجتنبوا معاصيه، فائتمروا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه.

وهذا هو نداَء من ربّ كريم لعباده المتّقين الّذين استخلصهم جلّ وعلا من بين تلك الجموع المتخاصمة المتلاعنة من أهل البغي والضّلال، من أهل الجرم والفساد، من أهل الفسق والعناد، ومن أهل الظّلم واللجاج... فأهل المحشر جميعاً بعضهم عدوّ لبعض إلّا المتّقين، الّذين ينادون من قبل الله عزّوجلّ بقوله تعالى: «يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون» وفي نداَء «المتّقين» من بين هذا المعترك الصّاخب من حولهم، وفي إضافتهم إلى الله تعالى: «يا عباد» لطف من لطف الله تعالى بهم، حيث تسكن بهذا النّداَء الكريم نفوسهم، وتطمئنّ قلوبهم، لمايرون من تناهش أهل الضّلال حولهم، وترامیهم بالعداوة والشّنآن... فاذا سمعوا هذا النّداَء الكريم بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أمنوا من الخوف، واطمأنّوا من فزع... إنّهم ناجون وحدهم من بين الرّكب الّذي تتخبّط به السّفينة في متلاطم الأمواج، وتوشك أن تهوى إلى القاع!

ولا يخفى على القارئ الخبير البيانيّ الأريب: أنّ في الآية الكريمة وما يليها من الآيات الخمس: (٧٣-٦٩) وصف لما سوف يلقاه المتّقون الّذين استثنوا في آخر الآية السّابقة: «إلّا المتّقين» فسوف يخاطب الله عزّوجلّ الّذين آمنوا بآياته وأسلموا نفوسهم إليه، وأخلصوا دينهم له وحده، فيطمئنّهم بأنّهم لن يروا مايبعث فيهم خوفاً ولا حزناً، ويأمرهم بدخول الجنّة مع أزواجهم وأمثالهم حيث يسرّون كلّ السّرور...

وأنّ الآيات متّصلة بما قبلها، وأنّ الوصف الّذي احتوته أخّاذ قويّ الإغراَء، وقد استهدف فيا استهدفه حمل السامعين في كل ظرف على الإستجابة للدّعوة لضمان هذا المصير السعيد لأنفسهم، وتبشير المؤمنين المستجيبين وتبشيرهم.

وقد حفلت الآيات بضروب من البلاغة وأفانين من البيان نوجزها فيا يلي:

١ ـ الإيجاز: وذلك في نداَء الله تعالى لعباده، فقد اشتمل هذا النّداَء على امور أربعة:

**أحدها** ـ نفي عنهم الخوف. **ثانيها**ـ نفي عنهم الحزن. **ثالثها**ـ أمرهم بدخول الجنّة. **رابعها**ـ بشّرهم باستحواذ السّرور على أنفسهم.

٢ ـ الإيجاز أيضاً: وذلك في قوله تعالى: «وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين»

فقد حصر انواع النّعم لأنّها لا تعدو أمرين اثنين: إمّا مشتهاة في القلوب، وإمّا مستلذّة في العيون، وجآء في الحديث: «إنّ رجلاً قال: يا رسول الله أفي الجنّة خيل، فإنّي أُحبّ الخيل؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إن يدخلك الله الجنّة، فلا تشآء أن تركب فرساً من ياقوتة حمرآء فتطير بك في أيّ الجنّة شئت إلّا فعلت، فقال أعرابيّ، يا رسول الله أفي الجنّة إبل، فإنّي أُحبّ الإبل؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا أعرابيّ إن أدخلك الله الجنّة أصبتَ فيها ما اشتهت نفسك ولذّت عينك».

٣ ـ الالتفات: في قوله: «وتلك الجنّة الّتي اورثتموها» فقد التفت من الغيبة إلى الخطاب تشريفاً، والمخاطب كلّ واحد ممّن دخل الجنّة، ولذلك أفرد الكاف، ولم يقل: «وتلكم» مع أنّ مقتضى «اورثتموها» أن يقول: «وتلكم» وذلك للإيذان بأنّ كلّ واحد من اهل الجنّة مقصود بالذّكر لذاته.

٤ ـ الإستعارة: فقد شبّه الجنّة بالمال الموروث والتلاد الموفور ثمّ استعار له الإرث على طريق الإستعارة المكنيّة لأنّ كلّ عمل لا بدّ وأن يلقى جزآءه إذ يذهب العمل ويبقى جزآؤه مع العامل، أو أنّها شبّهت في بقآئها على أهلها وإفاضة النّعم السّوابغ عليهم بالميراث الباقي لا ينضب له معَين ولا ينتهي إلى نفاد.

**٦٩ ـ (الّذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين)**

وصف لهؤلآء العباد المتّقين، وتمييزهم من غيرهم، فهم إنّما استحقّوا هذا التّكريم من الله جلّ وعلا بندآئهم وباضافتهم إلى ذات الله عزّوجلّ لأنّهم آمنوا بآيات الله كلّها وكانوا مسلمين في كلّ حال، وفي وصفهم بالإيمان، ثمّ وصفهم بأنّهم كانوا مسلمين قبل أن يكونوا مؤمنين دلالة على أنّهم قبل أن يؤمنوا على يد الرّسل، ويصدّقوا بآيات الله الّتي في أيديهم كانوا مسلمين أي على فطرتهم السّليمة الّتي لم تفسدها الأهوآء الموروثة... لقد كانوا على الولاية والبرآءة، وعلى السّلامة والطّهارة حتّى إذا التقوا برسل الله جلّ وعلا، ونظروا فيما معهم من آيات... إستجابوا لدعوة الحقّ، وآمنوا بآيات الله تعالى... وهم الأئمّة المعصومون عليهم السّلام كما ورد سيأتي إن شآ الله

تعالى.

أشبه بالأرض الطـيّبة الّتي احتفظت بكلّ مافيها من خير، حين لم تجد المآء الّذى يحيى مواتها حتّى إذا غاثها الغيث، اهتزّت وربت وأنبتت من كلّ زوج كريم، وليس كذلك الأرض الخبيثة، فإنّها حين لا تجد المآء حيث تنضح بكلّ مافيها من خبث فتصبح منبتاً للحَسَك والشّوك، ومأوى للآفات والهوام...

وإن كان المراد بالمؤمنين المسلمين غير الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فقد كان الإيمان قيد الفتك، والإسلام بعده خروجاً عن أسرالهوى إلى حرّيّة الهدى.

فللمؤمن حقّاً إسلام قبل الإيمان، وهو الإسلام الظّاهر على اللسان، فلمّا دخل الإيمان في قلبه لزم الإسلام في تداوم الإيمان، إذاً فالإسلام الثّاني هو ثنيّ الإيمان وكماله وهو أحسن الدّين: «ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن» النّسآء: ١٢٥) .

٧٠ ـ (ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون)

دعوة من الله جلّ وعلا المتّقين المؤمنين المسلمين إلى ضيافته في الجنّة، هم وأمثالهم في التّقوى والإيمان والإسلام من النسآء المؤمنات... وبهذا يكمل أُنسهم ويتمّ نعمتهم وسرورهم... ويا لهذا الخطاب الحنون من عطف منون أن يخاطب عباده المتّقين المؤمنين المسلمين بنفسه دون وسيط كأنّهم من أنبيآئه ورسله... وتشريفهم بعبوديّته الخاصّة، وبإيمانهم بآياته كلّها... وهودون تشريف الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وفوق تشريف غيرهم، ومن ثـمّ إضافة ضيافته «لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» بداية الورود، ثمّ أمرهم بالدّخول في ضيافته.

٧١ ـ (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون)

في الإلتفات من الخطاب: «ادخلوا...» إلى الغيبة: «يطاف عليهم...» ثمّ من

الغيبة إلى الخطاب: «وأنتم فيها خالدون» تفخيم لإكرامهم وإنعامهم، إنّ ذلك بحيث ينبغي أن يذكر لغيرهم ليزيد به اغتباطهم، ويظهر به صدق ما وُعِدوا به، ففيه إلفات للأنظار إلى هذا النّعيم الّذي يساق إلى عباد الله المتّقين الّذين استضافهم الله تعالى في رحاب كرمه، وأنزلهم منازل رضوانه... وفي هذا مايبعث في قلوب الكفّار والمستكبرين، في قلوب الفجّار والمضلّين، وفي قلوب الفسّاق والمنافقين... من حسرات إلى ما هم فيه من آلام وأحزان وهموم... كما أنّه يضاعف من نعيم أهل هذا النّعيم حيث ينظرون إلى أنفسهم، وإلى ما هم فيه من سلامة وعافية، وحيث يلقى غيرهم صنوف البلاء والهوان...

في قوله تعالى: «بصحاف من ذهب وأكواب» إشارة إلى الطّعام وهو آنية الطّعام وهي الصّحاف ـ جمع صحفة ـ وإلى الشّراب، وهو في آنية الشّراب، وهي الأكواب ـ جمع كوب ـ وهي جميعها من ذهب. فاكتفى جلّ وعلا بذكر الصّحاف والأكواب عن ذكر الطّعام والشّراب.

وقوله عزّوجلّ: «وفيها ماتشتهيه الأنفس...» حصر لأنواع النّعم لأنّها إمّا مشتهاة في النّفوس، وامّا مستلذّة في العيون... وقد جمع الله تعالى في قوله هذا مالو اجتمع الخلآئق كلّهم على أن يصفوا ما في الجنّة من أنواع النّعيم لما زادوا على ما انتظمته هاتان الصّفتان. وهذا ـ في فنّ البديع ـ من باب الإشارة وهي عبارة عن ألفاظ قليلة تدلّ على معنى كثيرة بالإلتزام أو بالتضمّن. فقد أشار تعالى هنا إلى مشتهاة غير محصورة تميل إليها النّفوس المؤمنة، وإلى مستلذّات غير محصاة تلتذّ بها الأعين المتّقية بألفاظ قليلة...

في قوله جلّ وعلا: «وفيها ماتشتهيه الأنفس» إشارة أُخرى إلى أنّ ورآء هذه الأطعمة والأشربة الّتي يطاف على أهل الجنّة بها ـ ورآء هذه الأطعمة ـ كلّ ما تشتهى الأنفس من طيّبات... فلايطلب أحد شيئاً إلّا وجده حاضراً بين يديه. فهذا تعميم بعد التّخصيص.

وفي قوله سبحانه: «وتلذّ الأعين» إشارة ثالثة إلى ما للأعين من مُتع خاصّة تجدها

فيما ترى من آيات الله تعالى، وبديع صنعه في تلك المنازل الكريمة الّتي استضافهم الله عزّوجلّ فيها. وقد أضاف الله تعالى الإلتذاذ إلى الأعين وهو للإنسان، لأنّ الملتذّ على الحقيقة هو الإنسان لا عينه لأنّ المناظر الحسنة سبب من أسباب اللذّة، فإضافتها إلى هذه الجهة أحسن وأبلغ لما فيه من البيان مع الإيجاز لأنّه الموضع الّذي يلتذّ به الإنسان عند رؤيته بعينه.

ولا يخفى أنّ حكمة التّنزيل اقتضت أن تكون أوصاف النّعيم والعذاب الأخرويين مستمدّة من مألوفات النّاس في الحياة الدّنيا للتّقريب والتّأثير مع ماينطوى في ذلك من حقيقة إيمانيّة، وقد ذُكِرَتْ هنا صحاف الذّهب وأكواب الذّهب كآنية للطّعام والشّراب، وذكر في سورة «فاطر» أنّ المؤمنين «يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير»: ٣٣) وفي سورة «الواقعة» وصف مطنب لمجالس الشّراب والطّعام وأوانيها وخدمها: «على سرر موضونة ـ جزآءً بما كانوا يعملون»: ١٥-٢٤) ومثل ذلك في سورة «الصّافات»: ٤٠-٤٩) وغيرها من سور أُخرى...

وقوله تعالى: «وأنتم فيها خالدون» التفات من الغيبة إلى الخطاب تشريفاً لهم على طريق الإخبار من الله تعالى و وعده والبشارة للمتّقين بالخلود، ولهم في العلم به من اللّذة الرّوحيّة مالايقاس بغيره ولا يقدّر بقدر.

**٧٢ـ (وتلك الجنّة الّتي اورثتموها بما كنتم تعملون)**

الإشارة إلى الجنّة هنا، هي دعوة لأهلها إلى أن يُرَفّوا إليها، وأنّ ينالوا منها مايشآؤن... فقد أصبحت ملكاً لهم، يتصرّفون تصرّف المالك فيما ملك... وقد شبّهت الجنّة في بقآئها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة...

وقد عبّر القرآن الكريم عن المِلك بالميراث لأمرين:

**أوّلها**ـ أنّ الوارث لايبخل على نفسه بالتّمتّع بكلّ ماورث، حيث لا يشتدّ حرصه عليه، لأنّ ماورثه قدجآء إليه من دون عَنآءٍ، وفي هذا دعوة إلى أهل الجنّة أن ينالوا من هذا النّعيم الموروث مايشآؤن، غيرمضيقين على أنفسهم في شيء.

ثانيا ـ أنّ هذه الجنّة الّتي نزل المتّقون المؤمنون رحابها، وورثوا نعيمها هي فضل من فضل الله تعالى عليهم، وإحسان من إحسانه إليهم، وأنّ أعمالهم الصّالحة الّتي عملوها في الحياة الدّنيا ليست هي الثّمن الّذي يكافئ هذا النّعيم العظيم... وأنّ هذه الأعمال لم تكن إلّا سبباً و وسيلة يتوسّلون بها إلى مرضاة الله... كما يتوسّل الوارث إلى مورّثه بسبب من قرابة اونسب، فتكون هذه القرابة سبباً لميراث مايرث، وإن لم يكن له فيما ورثه من عمل... وقد جآئت الإشارة: «تلك» الموضوعة للبعد، رفعاً لمنزلة الجنّة في الحسن، واستبعاداً عن ان يقاس بها غيرها من جنّات الدّنيا، وتنبيها على أنّ المتّقين هم المستحقّون أن يتنعّموا بنعيمها...

وقوله تعالى: «بما كنتم تعملون» لتحقيق أمرين كذلك:

أوّلها ـ الإحتفاء بالأعمال الصّالحة، والإشارة بقدرها، وإلى أنّها تثمر ثمراً طيّباً، وأنّ من يغرس في مغارسها لابدّ أن يجنى منها ثمراً طيّباً مباركاً.

ثانيها: تكريم العاملين، وإطعامهم من ثمرة عملهم ... ففي هذا لذّة مضاعفة لهذا الثّمر الّذي غرسوا مغارسه، وتعهدوها بالعمل... على خلاف مايناله الإنسان عفواً من غير عمل له... فإنّه وإن كان طيّباً كريماً، يجد فيه المرء هناءته وسعادته... فإنّه يقوم معه شعور في النّفس بأنّه ليس ملكاً خالصاً لصاحبه، وأنّه أشبه بالضّيف الوارد عليه... وفي هذا مايزعج الإنسان عمّا يجد فيه من هناءة وسعادة.

وفي التّعبير القرآني: «وتلك الجنّة الّتي اورثتموها بما كنتم تعملون» مايجعل هذه الجنّة ونعيمها ملكاً مصفّى من كلّ شآئبة، معزولاً عن كلّ شعور يعزل الإنسان عن هذا النّعيم أو يقطعه عنه، فهي ميراث ينفق منه الإنسان كيف يشآء، وينال منه مايريد، وهي ثمرة عمل وجهد... ومن حقّ العامل أن ينعم بما عمل!

**٧٣ ـ (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون)**

إشارة إلى ماللمتّقين المؤمنين المسلمين في الجنّة من فواكه متنوّعة دآئمة باقية لاتفنى مهما كثر الأكل، ولا تنفد مهما كثر الآكلون لمكان «من» للتبعيض وتنكير «فاكهة»

ووصفها بالكثرة، بعد أن بيّن الطّعام والشّراب بظروفها، والمشتهـاة غـير محـصاة، والمستلذّات غير معدودة، وهذا تخصيص بعد التّعميم.

ولعلّ تفصيل التّنعمّ بالمطاعم والمشارب وتكريره في القرآن الكريم وهو حقير بالإضافه إلى سآئر نعيم الجنّة لما كان بهم من الشّدّة والفاقة.

**٧٤ ـ (إنّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون)**

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير مايلقى أهل الكفر والضّلال، أهل البـغي والفسـاد وأهل الظّلم والعناد... من عذاب وبلآءٍ في الدّار الآخرة، بعد هذا البيان الّذي كشف عمّا لعباد الله المّقين عندالله تعالى من جنّات ونعيم... فالنّاس يوم القيامة فـريقان: فريق في الجنّة يتلق الكرامة والتّكريم فيها ويتنعّم بنعيمها، وفريق في جهنّم يـلق الهوان والعذاب ونارها.

وفي التّعبير عن أهل الكفر والضّلال... بـالمجرمين إشـارة إلى أنّهـم أصـحاب جنايات جنوها على أنفسهم، وعلى غيرهم من عبادالله تعالى، وأنّ هذا العـذاب الّذي يعذّبون به فى الآخرة بالخلود في نار جهنّم إنّما هو جزاء لهذه الجرآئم والآثام الّتي اقترفوها في دنياهم...

ففي الآية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى على القارئ الخـبير المتدبّر حيث إنّ سبب دخول النّار والخلود فيها هو الجرم والإجرام كما أظهر ذلك بقوله تعالى: «وما ظلمناهم» بهذا الدّخول والخلود والعذاب «ولكـن كـانوا هـم الظالمـين» حيث أجرموا وعاصوا وأسآؤا... فاستحقّوا العـذاب لذلك، فـالمجرمون بانحرافهم وآثامهم خالدون في عذاب جهنّم.

وانّ الآية الكريمة وما يليها من الآيات السّتّ: (٧٥ ـ ٨٠) وصف مصير الكفار والمشركين، والفجّار والظّالمين، والفسّاق والمنحرفين عن طريق الحق والهدى مقابلة لوصف مصير عبادالله المتّقين المؤمنين المسلمين جـرياً عـلى الأسـلوب القـرآنيّ، ويلفت النّظر إلى ما في الآيات السّبع، والّتي قبلها من صراحة وحـسم في تـقرير

استحقاق المتّقين والمجرمين مصآئرهم وفق عقائدهم وأفكارهم وأعمالهم وأقوالهم حقّاً وعدلاً.

**٧٥ ـ (لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون)**

إشارة إلى صفة من صفات عذاب جهنّم يخلّد فيه المجرمون، فهو عذاب لايخفّف ولا ينقطع عنهم أبداً، ولايفتر أو يضعف أبداً بل هو متّصل دائماً وعلى حال واحدة من الشّدّة والبلآء وإن اختلف صوراً وألواناً، وهم يآئسون من النّجاة والفرج منه، فيسكتون فيه سكوت يأس. ولا منافاة بين هذا وبين قوله الآتي: «ونادوا يا مالك...» لأنّ الأزمنة هنا لك متطاولة، والأحقاب ممتدة، فتختلف بهم الأحوال... فيسكتون تارة لغلبة اليأس عليهم، وعلمهم أنّه لانجاة ولا فرج لهم من العذاب، ويتلوّن عليهم العذاب، فيستغيثون.

والوصف قويّ مخيف من شأنه أن يثير الرّعب في السّامعين ويحملهم على الإرعوآءِ.

**وقوله تعالى:** «وهم فيه مبلسون» حال كاشفة عن هؤلآء المجرمين، وهم يَصْلَوْن هذا العذاب الأليم. والإبلاس: هو الوجوم والجمود من شدّة الحزن واليأس فهم أجسام قد تبلدت فيها العقول، وجمدت منها المشاعر، وذُهِلَت النّفوس...

**٧٦ ـ (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظّالمين)**

في موضع تعليل لعذاب المجرمين وخلودهم في نار جنّم، ودفع لما يمكن أن يتوهّم متوهمّ: أنّ المجرمين كيف يخلّدون في نار جهنّم ويعذّبون فيها إلى غير نهاية، وقد كان لأجرامهم وآثامهم نهاية؟ كيف يعذّبون من دون نهاية لما له نهاية؟ فردّ عليهم: أنّ هؤلآء المجرمين كانوا مصمّمين على الجرم والإجرام من دون نهاية لكون المشتقّ حقيقة فيما اذا جرىٰ على الذّات بلحاظ حال التلبّس ولو كان في المضيّ أو الاستقبال، فكانوا هم مصمّمين على أنّهم لو يعمّرون مالا نهاية له لعصوا الله وكفروا

بعد أن أقيمت عليهم الحجّة واوتوا بباهر المعجزات...

قال الله تعالى: «ولن يتمنّوه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظّالمين ولتجدنّهم أحرص النّاس على حياة ومن الّذين أشركوا يودّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمّر والله بصير بما يعملون» البقرة: ٩٥-٩٦)

فقول بعض المتفسّرين: «فنفى الظّلم هنا في خلود النّار وإبلاسهم في النّار دليل لامردّ له على فنآءِ النّار ففناء من في النّار» مردود عندالمبتدئين فضلاً عن المحقّقين.

## ٧٧ ـ(ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ماكثون)

تقرير لما يقوله أهل النّار وما يجيبهم به مالكها وهو اسم مقدّم خزنة النّار، وهو إسم مشتقّ من الملك والقوّة حيث تصرّفت حروفه، فهو غـير خـزنتها المـتولّون لأمرها. وفي قولهم: «يا مالك ليقض علينا ربك» دون أن يقولوا: «ربّنا» ما يكشف البلآء النّازل بهم كما يكشف اليأس الّذي وقع في نفوسهم من أن يـنالوا مـن الله خيراً، فهم لايرجون الله في هذا اليوم، ولايطمعون في رحمته حـتّى انّهـم لـينادون مالكاً دون الله، لأنّهم على يأس من أن يُنسبوا إلى الله وأن يقبل الله منهم قـولاً، وذلك من ضلالهم الّذي صحبهم في آخرتهم، فلم يقدروا الله قدره، ولم يروا سعة رحمته... فهم يومئذ منقطعون عن الرّبّ كما كانوا في الحياة الدّنـيا مـنقطعين عـنه بإنكارهم ربوبيّته العامّه أو أصلها.

وقيل: ولعلّه اشعار بأنّهم لضعفهم لايسـتطيعون تأديـة اللـفظ بـالتّمام، ولذلك اختصروا فقالوا: «ليقض علينا ربك» يعنى سل ربّك أن يقضى علينا أن يميتنا من قضى عليه إذا أماته.

وقوله تعالى: «قال إنّكم ماكثون» هو ردّ مالك على ما طلبوه منه أن يسئل ربّه القضآء عليهم، وإهلاكهم حتّى ينقطع عنهـم هذا العذاب... وقـول مـالك: «إنكـم ماكثون» أبلغ من قوله: إنّكم لن تموتوا أو لن يُـقضىٰ عـليكم لأنّ قـوله: «إنّكـم ماكثون» يدلّ على أنّهم لن يموتوا ولن يقضى عليهم كما يدل في نفس الوقت على

أنّهم لن يتحوّلوا عن حالتهم تلك الّتي هم فيها... إنّهم ماكثون فيما هم فيه من عذاب أليم، وعلى تلك الحال الّتي هم عليها... أمّا لو قيل لهم لن يقضى عليكم أو لن تموتوا فقد يظلّون أحيآء، ولكن في غير صحبة هذا العذاب الّذي معهم! وإن كان ذلك بعيداً عن محامل اللفظ إلّا أنّ المكروب يتعلّق بأوهى الأسباب... وفي هذا القول متعلّق لهم، وإن كان متعلّقاً كاذباً... فجآء قوله: «إنكم ماكثون» ليقطع حتّى هذا الوهم الّذي يتعلّقون به!

**٧٨ ـ (لقد جئناكم بالحق ولكنّ أكثرهم للحقّ كارهون)**

رجوع إلى كلام سابق، خطاب من الله عزّ وجلّ للمشركى العرب على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رداً على هؤلآءِ المشركين الّذين يُدْعَوْن إلى هذه النّار الّتي يُعَذّب فيها المجرمون الظالمون الّذين نادوا مالكاً قآئلين: «ليقض علينا ربّك» فهؤلآء المشركون يدعون في هذه اللحظة إلى تلك النّار، وهم إذ يطلبون وجهاً للفرار منها، يلقاهم هذا القول الّذي يمسك بهم ويدفعهم دفعاً إلى جهنّم: «لقد جئناكم بالحق...» والمخاطبون بهذا إنّما هم أكثر المشركين الّذين كانوا إلى هذا الوقت يقفون من الدّعوة الحقّة هذا الموقف العنادي، فأبوا أن يستمعوا لآيات الله تعالى، وأن يستجيبوا لها... أمّا الّذين استجابوا للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وآمنوا بالله تعالى، فقد كانوا قلّة قليلة منهم، ولهذا صحّ أن يخاطبوا بقوله عزّ وجلّ: «ولكن أكثركم للحق كارهون».

فقول أكثر المفسّرين: إنّ الخطاب موجّه إلى هؤلآءِ الظّالمين من أهل النّار الماكثين فيها، وإنّه من مقول القول الّذي ردّ به مالك عليهم، وإنّ ضمير الجمع في قوله: «جئناكم» راجع إليهم لأنّ مالكاً إنّما يتحدّث إليهم بلسان الملائكة الّذين هو منهم، والّذين جاؤا إلى هؤلآءِ المشركين بالحقّ من ربّهم فيما حملوا إلى رسل الله من آيات الله... مردود من وجهين:

أحدهما ـ أنّ في قوله تعالى: «ولكنّ أكثركم للحقّ كارهون» ما يشير إلى أنّ

بعضاً من المخاطبين بهذا الحـديث غير كارهين للحقّ، بل هـم مسـتعدّون لقـبوله والانتفاع به... وهذا لاينفق مع أهل النّار الماكثين فيها، الّذين قيل إنّ هذا الخطاب موجّه إليهم، إذ ليس فيهم أحد لم يكن كارهاً للحقّ، مجانباً له، بل و محارباً لكل من يتّجه إليه... ولو كان على غير تلك الصّفة لما ورد هذا المورد، ولما لقى هذا المصير المشئوم!!

ثانيهما ـ أنّ قوله تعالى في ا لآية التّالية: «أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون» هـو ـ بإجماع المفسّرين ـ خطاب إلى المشركين.

**فالخطاب متّصل بالكلام السّابق، إذ هو إضراب عنه، وإنشآء لخطاب آخر معهم.**

**٧٩ ـ (أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون)**

عقيب تنديد بالمشركى العرب وتجهيلهم والتّعجيب من حالهم، وتوبيخ وإنذار لهم على ما يريدون من الكيد برسول اللهصلّى الله عليه وآله وسلّم وتهـديدهم بأنّ الله تعالى يكيدهم، فإذا كانوا بيّتوا المناوأة لرسول اللهصلّى الله عليه وآله وسلّم و دعوة الحقّ وأحكموا تدبيرهم فإنّ الله قد بيّت لهم أمراً وهو ذلك العذاب الشّديد الّذي وصفته الآيات السّابقة... فهذا إضراب عن الخطاب الّذي وجه إليهم، والّذي كان من شأنه أن يحدث لهم ذكراً، وأن ينقادوا للحق ويُذعنوا له، ويؤمنوا بالله تعالى ورسولهصلّى الله عليه وآله وسلّم و بماجآءهم به...

وأما ولم يكن لهم من هذا الحديث عبرة وعظة فقد كان من التّدبير الحكيم أن يُطوى عنهم هذا الحديث وأن يواجهوا بهذا الواقع الّذي هم فيه، وهـو أنّهـم قـد أبرموا أمرهم وأحكموه على الكيد والضّلال، وعلى البغى والفساد... والله عزّ وجلّ قد أحكم أمره على أن يأخذ المجرمين بجرمهم... فكيدنا حقيقة لاكـيدهم او فـانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى: «أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون» الطور: ٤٢). وفي هذا وعيد لهم بما سيلقون من عذاب أليم يوم لايغني مولى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون.

٨٠ ـ (أم يحسبون أنّا لانسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)

تقرير لخطئهم وردّهم عليه بأنّه كانوا يظنّون أنّ الله تعالى لايسمع سرّهم و نجواهم فهم في ظنّهم هذا مخطئون لأنّ له تعالى عليهم رقبآء يحصون كلّ ما يفعلون ويسجّلونه... مع كونه إضراباً أيضاً عن الخطاب الّذي وجّه إليهم في قوله عزّ وجلّ: «أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون» حيث إنّ هذا الوعيد الّذي يحمله الخطاب إليهم لم يلق منهم إلّا استهزاءً واستخفافاً، لأنّهم على ظنّ بأن لابعث ولاحساب ولا جزآء وأن لا علم لنا بأعمالهم وأقوالهم وما في ضمآئرهم... وأنّه إذا كان بعث وحساب وجزاء ـ فأين هى أعمالهم الّتي يحاسبون عليها؟ ومن رآها منهم ومن أحصاها عليهم؟ وإذا كان هناك من يرى أعمالهم الظّاهرة الّتى يعملونها على مشهد من النّاس، فأين من يعلم مايعملونه في الخفآءِ وما يضمرونه في الصدور؟؟؟

فجآء قوله تعالى: «أم يحسبون أنّا لانسمع سرّهم ونجواهم؟» ليكشف عن هذا الوسواس الّذي توسوس به لهم ظنونهم الكاذبة عن علم الله تعالى، وليقرّر لهم الحقيقة الّتي غابت عنهم وهى أنّ كلّ شئ عملوه في السّرّ أو في الجهر يعلمه الله تعالى الّذي لاتخفى عليه خافية... بل وليس هذا فحسب، بل إنّ أعمالهم كلّها ـ سرّها وجهرها ـ مسجّلة في كتب يكتبها رسل من عند الله موكّلون بهم:

«بلى ورسلنا لديهم يكتبون» فيه إنذار لهؤلآءِ المشركين وتهديد للسّامعين في كلّ ظرف، وحملهم على تقوى الله واتقآءِ غضبه وعذابه لأنّ الكتابة أوقع في التّهديد حيث إنّ مَن علم أنّ أعماله محصاة مكتوبة يجتنب مايخاف عاقبته، وفيه من التجدّد الّذي يستفاد من المضارع: «يكتبون» مالا يخفى على سبيل العام من النيّات والأقوال والأفعال...

٨١ ـ (قل إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل العابدين)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير موقف النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إتّخذه من

دعوى مشركي العرب بأنّ لله ولداً وهم الملائكة الّذين نسبوهم إلى الله سبحانه ثمّ عبدوهم من دونه!

إنّ في الآية الكريمة صوراً لنفي الولد عن الله سبحانه:

منها ـ إنّ الله تعالى أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقول للمشركى العرب احقاقاً للحق: إنّ مخالفته لهم في عبادة مايعبدون لم يكن بغضاً منه لهم، ولاعداوة لمعبوداتهم، وإنّما لإستحالة نسبة ما نسبوه إليهم وبنوا عليه عبادتهم لهم من كونهم بنات الله سبحانه. فكأنّه قال لهم: إذا كنت لم أعترف بولد بدليل أنّي لم أعبده مع أنّي أقرب النّاس الى الله، فالولد لا وجود له حتماً حيث إنّ انتفآء الولد مرتّب على انتفآء عبادته لما علم من أنّه إذا انتفى اللازم لشئ انتفى ذلك الشّئ كما استدلّ بعدم فساد نظام الكون ونواميس الوجود على وحدانيّة الله في قوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» الأنبيآء: ٢٢)

ومنها ـ إنّ هذه الجملة قضيّة شرطيّه مركّبة من قضيّتين خبريتين، دخلت على إحداهما حرف الشّرط: «إن» وعلى الاخرى حرف الجزاء وهي الفاء، وبذلك تصير الجملتان القضيّتان جملة واحدة وقضيّة واحدة، وتفيد القضيّة الشّرطيّة كون الشّرط مستلزماً للجزآءِ سوآء اكان الشّرط حقاً أم باطلاً، وكان الجزاء حقاً أم باطلاً، وقد تكون القضيّة الشّرطيّة الحقّة مركّبة من قضيتين حقّيّتين أو من قضيتين باطلتين أو من شرط باطل وجزآء حقّ أو بالعكس، والأخير باطل ومحال، وأمّا الثّلاثة الاخرى فجائزة: وذلك أنّا إذا قلنا:

١ ـ «إن كان الانسان حيواناً فالإنسان جسم» فلا يخفى عليك أنّ القضيّة الشّرطيّة حقّة مركّبة من قضيّتين حقّيتين: إحداهما : «الإنسان حيوان» ثانيهما: «الإنسان جسم».

٢ ـ وإن قلنا: «إن كانت الخمسة زوجاً كانت منقسمة بمتساويين». إنّ القضيّة حقّة ولكنّها مركّبة من قضيّتين باطلتين وهما: «الخمسة زوج» و«الخمسة منقسمة بمتساويين» ولكن كونهما باطلتين لايمنع من أن يكون استلزام أحدهما للآخر حقّاً

كما قلنا، إنّ القضيّة الشّرطيّة لاتفيد إلّا مجرّد الاستلزام.

۳ ـ وإن قلنا: «إن كان الانسان حجراً فهو جسم» وهذه حقّة ولكنّها مركّبة من شرط باطل وهو «الإنسان حجر» ومن جزاء حق وهو «الإنسان جسم» وهذا جآئز لأنّ الباطل قد يكون بحيث يلزم من وقوعه وقوع حقّ لأنّا فرضنا كون الإنسان حجراً وجب أن يكون جسماً. فهذا شرط باطل يستلزم جزآءً حقّاً.

٤ ـ وإن قلنا: «إن كان لله تعالى وجود فإنّا نراه بأعيننا» فالقضيّة مركّبة من شرطية حقّة ومن جزآءٍ باطل، وهذا محال للزوم كون الحقّ مستلزماً للباطل بخلاف القسم الثّالث الّذي هو عكس الرّابع، فإنّه يلزم منه كون الباطل مستلزماً للحق، وذلك ليس بمحال. فاذا عرفت هذا فقوله تعالى: «إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل العابدين» قضيّة شرطيّة حقّة مركّبة من شرط باطل، ومن جزآءٍ باطل، ولكن كونهما باطلين لايلزم منع استلزام أحدهما للآخر أن يكون حقاً، فالمراد من كلامه تعالى حكاية عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل العابدين» لذلك الولد. ولايثبت ذلك أنّ لله سبحانه ولداً.

ومثله قوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» حيث إنّ عدم فسادهما دليل عل عدم تعدّد الآلهة والفرق بينهما أنّ كلمة «لو» تفيد انتفآء الشّئ بانتفاء غيره، ولكن لافرق بينهما في الاستلزام، وكلمة «إن» لاتفيد انتفاء الشّئ لانتفآءِ غيره، بل تفيد الشّك في الحصول وعدمه، ولكن حصول هذا الشّكّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ممتنع، فعلى هذا يحمل الكلام على ظاهره من غير تأويل، والمقصود من هذا الكلام أن يبيّن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للمشركين أنّي لاأنكر ولداً لله سبحانه لو كان له ولد عناداً ومنازعة، بل لو قام الدّليل على ثبوت الولد له سبحانه لكنت مقرّاً به، معترفاً بوجوب عبادته إلّا انّه لم يوجد هذا الولد ولم يقم دليل على ثبوته ألبتّة، فكيف أقول به؟ بل الدّليل القاطع قآئم على نفيه فكيف أعترف بوجوده؟.

ومنها ـ انّه لو سُلِّم بهذا الأمر جدلاً وكان للرّحمن ولد كما يزعمون، فهذا لايجعل

للولد مكاناً متقدماً على الوالد، حتّى يؤثر بالعبادة من دونه... فالوالد مقدّم عـلى الولد رتبة وزماناً... فهو بهذا معبود قبل أن يوجد الولد... فإذا وُجِدَ الولد بعد هذا، فليس له أن يزيل الوالد عن مكانه! وعلى هذا فإنّه لو سُلِّم للمشركين بما يقولون من أنّ لله ولداً فإنّ هذا لا يعطيهم حجّة على عبادة الولد دون الوالد... و لهذا كان أن واجههم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بما ينبغي أن يكون عليه الأمر ـ على فرض التّسليم بدعواهم الباطلة ـ وهو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل العابدين لله تعالى دون التفات إلى هذا الولد على فرض التّسليم به...!

وهذا الأسلوب في محاجّة الخصم هو أبلغ الأساليب في إفحامه، وقطع حـجّته وذلك باقامة الحجّة عليه من واقع إقراره واعترافه، عملاً بالمَـثَل القآئل: «مِن فَمِك أدينك».

ومنها ـ أنّ في الآية الكريمة دلالة على انتفآءِ كون الملائكة ولداً لله سبحانه على أبلغ الوجوه وأقواها، وعلى كون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عـلى قـوّة يـقين وثبات قدم في باب التّوحيد مع ما فيه من استنزال الكفره عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه إيراد «إن» مكان «لو» المـنبئة عن امتناع مقدّم الشّرطيّة. وفيه تـعليق العبادة على المحال، فالمعلّق على المحال محال مثله، وهذا اسلوب معروف بين العلمآءِ في الجدل والنّقاش وهو أبلغ في إفحام الخصم. وإنّما ادّعى أوّليّـته في العـبادة لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم متقدّم في كلّ حكم على امّته لأنّه قدوتهم، خصوصاً فيما يتعلّق بالاصول كتعظيم المعبود وتنزيهه، لكن التّالي غير واقع، فكذا المقدّم.

ومنها ـ أن يكون هذا من باب إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العـدل، والمظاهرة في الاحتجاج كقوله تعالى حكاية من رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وإنّا او إيّاكم لعلى هُدىً أو في ضلال مبين» سبأ: ٢٤)

## ٨٢ـ (سبحان ربّ السّموات والأرض ربّ العرش عمّا يصفون)

تنزيه لله تعالى عمّا لا يليق بذاته ممّا يقوله المشركون بالله سبحانه من نسبة الولد إليه، والّذي سلم به جدلاً لإظهار فساد منطقهم حتّى مع هذا المدّعى الباطل الّذي

يدّعونه على الله سبحانه الّذي هو منزّه أن يكون له ولد تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. وفي الآية الكريمة إشارة إلى حجّة على الوحدانيّة، وذلك أنّه لمّا كان الخلق مختصّاً بالله عزّ وجلّ حتّى باعتراف الخصم وهو من شئون عرش ملكه، والتّدبير من الخلق والايجاد، فإنّه ايجاد النّظام الجارى بين المخلوقات، فالتّدبير أيضاً من شئون عرشه، فربوبيته للعرش ربوبيّة لجميع السّموات والأرض، فربوبيّته المطلقة الشّاملة تجعل زعمهم باطلاً كلّ البطلان.

وفي إضافة إسم الرّبّ إلى أعظم الأجرام وأقواها تنبيه على أنّها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته، كيف يتوهّم أن يكون شئ منها جزءاً منه سبحانه، وفي تكرير إسم الرّبّ تفخيم لشأن العرش أو هناك ربوبيّتان للرّبّ الواحد: ربوبيّة الخلق: «ربّ السّموات والأرض» وهو تعبير عن الخلق كلّه، وربوبيّة التّدبير: «ربّ العرش» إذاً فما لمن دونه من خلقه الذين هم في تدبيره مهما سُمِّيَ ولداً الّا انّه رجم بالغيب وكذب على الله سبحانه.

**۸۳ ـ (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الّذي يوعدون)**

استصغار لأحلام هؤلآءِ المشركين، وأنّهم أشبه بالأطفال والمجانين يخوضون بلا تفكّر ويلعبون من دون تعقّل، فلا معتبر لما يقولون... حيث يرجمون بالغيب، ويرمون بالكلام على عواهنه، دون أن يكون لعقولهم نظر فيه أو تقدير له كأنّهم لاعقل لهم أصلاً، ولهذا فإنّ الأولى برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن ينصرف عنهم، وأن يتركهم وشأنهم بعد ذلك، وأن يدعهم في باطلهم، فيقضوا أوقاتهم في العبث واللهو واللعب بدنياهم إلى أن يصيروا إلى المصير الرّهيب، فتقع بهم الواقعة ويأتيهم العذاب من حيث لايشعرون.

وفيه تهديد شديد ووعيد بذوق الوبال والنكال جزآء ما اجترحوه من الشّرك والآثام... وفيه تسلية وتثبيت لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بسبب موقف المشركين العنيد منه.

٨٤ ـ (وهو الّذي في السّمآءِ إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم)

تكذيب للمشركى العرب في أنّ لله سبحانه شريكاً وولداً، وتأكيد لهذا التنزيه ومدح لذاته تعالى، ونفي عن كونه في مكان، إذ ليس له مكان، ولايخلو منه مكان، ولايشغل به مكان ولايحلّ في مكان، وليس بينه وبين خلقه حجاب غير خـلقه، وإعلان وتقرير بأنّ الله تعالى هو الإله المتفرّد بـالالوهيّة في السّـمآءِ لاشريك له فيها، وبهذا يـدين له أهـل السّـمآءِ بـالعبوديّة، وهـو الإله المـتفرّد بـالألوهيّة في الأرض لاشريك له فيها، وبهذا يدين له أهل الأرض بالولآءِ ويخصّونه بـالعبادة، وأنّه إذا كان في النّاس من ضلّ وغوى فانحرف عن هذا الوضع الّذي يتخذه أهل السّمآء والأرض، فإنّهم ـ مع هذا ـ مقهورون لله جل وعلا واقعون تحت سـلطانه طوعاً أو كرهاً، وهو المحيط علمه بكلّ شئ، الحكيم الّذي لايقع شئ إلّا بمـقتضى علمه وحكمته.

وفي تكرير «إله» تأكيد لتمكّن المعنى في النّفس لعظمه في باب الحقّ، وأنّ سلطانه موجود فيهما، ودلالة على كونه جلّ وعلا إلهاً في السّمآء أى مـعبوداً في السّـمآءِ يعبده الملائكة فيها، ومعبوداً في الأرض فيجب على السّامعين من الإنس والجنّ أن يعبدوه فيها، مع ما فيه من معنى تعلّق الوهيّته بهما لابمعنى اسـتقراره فـيهما أو في أحدهما.

**إن تسئل :** إنّ ظاهر قوله سبحانه: «وهو الّذي في السّمآءِ إله وفي الأرض إله» يقتضي تعدّد الآلهة لأن النّكرة إذا أُعيدت تعدّدت كقولك: له عَلَيَّ درهم ودرهم؟

**تجيب عنه :** إنّ الإله هنا بمعنى المعبود بالنّقل كما في قوله تعالى: «وهـو الله في السّموات وفي الأرض» الأنعام: ٣) وقوله عزّ وجلّ: «ألم تر أنّ الله يسجد له من في السّموات ومن في الأرض» الحجّ: ١٨)

فالمعنى : وهو الّذي في السّمآءِ معبود، وفي الأرض معبود، والمغايرة ثابتة بـين معبوديّته في السّمآءِ، ومعبوديّته في الأرض لأنّ العبوديّة من الامور الإضافيّة، فـيكفى في

تغايرهما التّغاير من أحد الطّرفين، فإذا كان العابد في السّمآءِ غير العابد في الأرض صدق أنّ معبوديّته في السّمآءِ غير معبوديّته في الأرض مع أنّ المعبود فيهما واحد.

وقوله عزّ وجلّ: «وهو الحكيم العليم» إشارة إلى الصّفتين الكريمتين اللّتين يتجلّى الله تعالى بهما على ملكه في السّموات والأرض... وهما: الحكمة والعلم، فكلّ ما خلق الله جلّ وعلا موزون بميزان الحكمة، مقدّر بقدرها... وكلّ ما في السّموات وما في الأرض واقع في علم الله تعالى: «لايعزب عنه مثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض» سبأ: ۳).

وهكذا كلّ أمر ـ صغُر أو كبُر ـ إنّما ملاكه الحكمة والعلم، فإنّ الحكمة هي الّتي يقوم بها الأمر، والعلم هو الّذي تضبط به مصادر الأمر وموارده، ولهذا كان مما طلب به «يوسف» القيام على تدبير خزآئن الأرض أنّه حفيظ عليم إذ قال للملك: «اجعلني على خزآئن الأرض إنّي حفيظ عليم» يوسف: ٥٥) والحفظ شعبة من شعب الحكمة.

مع أنّ في قوله جلّ وعلا: «وهو الحكيم العليم» الدّالّ على الحصر إشارة إلى وحدانيّة الله تعالى في الرّبوبيّة الّتي لازمها الحكمة والعلم.

وفي الآية الكريمة مقابلة لمايثبته الوثنيّة لكلّ من السّمآءِ والأرض إلهاً أو آلهة، مع ما فيها من بيان لقدرته وعظمته في ملكه، وجلاله واقتدار سلطانه،لتدبيره في نظام الكون ونواميس الوجود كلّه، فالآية الكريمة تنفي مزعمة الإلهين:

أحدهما ـ إله السّمآءِ. ثانيهما ـ إله الأرض، وتنفي أيضاً كونهما مكاناً لإله واحد إذ ليس له مكان، فالوهيته تحيط بهما على سوآء لا أنّه في إحداهما، ويحكم فيها، وفي الاخرى أو هو فيهما جميعاً، وإنّما هو «في السّمآء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم» فيهما «العليم» بهما سوآء، يحكم فيهما هو وحده لاسواه، ويعلم فيهما وحده لاسواه، فلايكون المسيح أو عزير أو سواهما إله الأرض ولادة أمّ وراثة والله إله السّمآءِ كما تهرف النّصارى في صلاتهم: «ليأت ملكوتك في الأرض كما هو في السّمآءِ» وترى من يلتمسونه أن يأتى بملكوت الله إلى الأرض كما هو في السّمآءِ، ولا أنّ الملائكة

آلهة السّموات وهو إله الأرض، فما من الوهيّة في الذّات والخلق والتّدبير والعبادة الّا لله تعالى وحده.

فالآية الكريمة تجرف ما يهرفه ويخرفه المقتسمون للالوهيّة إلى أقسام الكون أم يمكّنون ويُسكنون إله السّماوات والأرض في السّموات أو الأرض، وإنّما تمكيناً لالوهيته في الكون كلّه دون تمكّن لذاته في الكون كلّه، فإنّما حكمته النّافذة وعلمه المحيط يديران الكون ويدبّرانه، فالمدبّر هو الخالق، والخالق هو المدبّر، من دون فرق بين كائن وكائن ولا تمكّن في أيّ كآئن.

**٨٥ ـ (وتبارك الّذي له ملك السّموات والأرض وما بينهما وعنده علم السّاعة وإليه ترجعون)**

تسبيح بحمدالله وتقديس لجلاله بلسان كلّ مخلوق في السّموات والأرض، فهو تعالى المتفرّد بالالوهيّة في السّمآءِ والأرض... وهو المتعالى الّذي له ملك السّموات والأرض وما بينهما العالم وحده بموعد السّاعة، والّذي إليه مصيرهم ومرجعهم، ومن ثمّ كان كلّ من السّموات والأرض لسان حمد لله وتسبيح لله وولآءٍ لجلاله.

وفي قوله تعالى: «وعنده علم السّاعة وإليه ترجعون» تذكير للنّاس، وهم يشهدون جلال الله وعظمته في هذا الملك العظيم الّذي له وحده تذكير لهم بيوم الحساب والجزآءِ الّذي لايعلمه إلّا هو، وذلك يوم يرجعون إلى الله تعالى ويجزى كلّ امرئ بما عمل. وأمّا اختصاص علم السّاعة بالله تعالى فلأنّ السّاعة هي المنزل الأقصى إليه يسير الكل وكيف يصحّ أن يربّ الأشيآء من لا علم له بمنتهى مسيرها، فالله جلّ وعلا هو ربّ الأشيآءِ لامن يدّعونه، وأمّا رجوع النّاس إليه، فإنّ الرّجوع للحساب والجزاء وهو آخر التّدبير فمن إليه الرّجوع فإليه التّدبير، ومن إليه التّدبير له الرّبوبيّة.

وفي قوله تعالى: «وإليه ترجعون» التفات من الغيبة إلى الخطاب للتهديد والوعيد للسّامعين في كلّ ظرف.

**٨٦ ـ (ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة إلّا من شهد بالحقّ وهم يعلمون)**

تقرير بأنّ الّذين يدعوهم المشركون من دون الله جلّ وعلا لن يستطيعوا أن يشفعوا عند الله شفاعة خير إلّا بحق من آمن بالحق واتّبعه، ففيه إبطال لمقالة المشركين وتخييب لآمالهم، حيث كانوا يرجون شفاعه الملائكة الّذين لايمكنهم أن يشفعوا إلّا شهد بالحق وتبعه وعمل به، وفيه تسفيه أيضاً للمشركين وحملهم على الإرعواءِ.

وقوله تعالى: «إلّا من شهد بالحق...» استثناء من عموم النّفي الواقع على شفاعة الملائكة... بأنّ الشفعاء لايشفعون إلّا من شهد بالحق ولا يكتمونه. وفيه تصريح بوجود الشّفاعة وصحّتها يوم القيامة.

وقوله عزّ وجلّ: «وهم يعلمون» يجوز أن يكون حالاً من الإسم الموصول: «الّذين» أى أنّ الشّفعآء الّذين لهم مقام الشّفاعة عند الله تعالى يوم القيامة هم لايشفعون الّا لمن شهد بالحق وحالكون الشّفعآءِ عالمين أنّهم لايشفعون إلّا لمن شهد بالحق، فلا يشفعون لمن لم يشهد في الحياة الدّنيا بالحق، ويجوز أن يكون حالاً من الإسم الموصول «مَن شهد بالحق» أى لايشفع الشّفعاء يوم القيامة إلّا لمن شهد بالحق أى شهادة قائمة على علم، يملأ القلب ايماناً واطمئناناً، لامجرّد شهادة ينطق بها اللسان دون أن تقع من القلب موقعاً... فشفاعة الشّفعآء للعصاة من المؤمنين مقبولة عندالله تعالى يوم القيامة.

**٨٧ ـ (ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون)**

تسفيه للمشركى العرب، وتقرير بأنّهم متناقضو العقائد والأقوال والأفعال... على طريق التّساؤل الاستنكاري والتّنديدي عن انصرافهم عن الخالق المتعال، والحالة هذه إلى غيره وإشراك غيره معه سبحانه، تنديد بتناقضهم، فانّهم إذا سئلوا عمّن خلقهم لما وسعهم إلّا القول: إنّه الله تعالى وحده لتعذّر المكابرة فيه من فرط ظهوره،

ومع هذا الإقرار منهم بخلق الله لهم، فـإنّهم لايـعبدونه، بـل يـعبدون خـلقاً مـن خلقه،وهذا منطق معكوس لايلتق أوّله مع آخره... ولذا جآء قـوله عـزّ وجـلّ: «فأنّى يؤفكون» منكراً على هؤلآءِ المشركين هذا الإفك والإفترآء الّذي جعلوا منه ديناً يدينون به ولا مستند له من منطق حتّى منطقهم الّذي ينتزع قضاياه من الوهم والضّلال...

٨٨ ـ (وقيله يا ربّ إنّ هؤلآء قوم لايؤمنون)

حكاية قول صادر عن رسول الله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يشكو قومه إلى ربّه وينكر عليهم تخلّفهم عن الشّهادة بالحق، يعبّر به عن ألمه من عـناء المخـالفين اللـجوج، ويأسه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم من شهادتهم بالحقّ وفيه تـعجيب شـديد مـن عـدم شهادتهم بل كتمانهم الحق بعد بيانه.

إنّ الآية الكريمة وتاليها جآئتا خـاتمة قـويّة لمـوقف لجـاج المـعاندين العـنود وللسّورة معاً جرياً على النّظم القرآنيّ.

٨٩ ـ (فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون)

أمر بالصّفح والإغـضآءِ عـن هـؤلآءِ المـعاندين اللـجوج، وإقـناط إيمـان الّـذين لايشهدون بالحقّ ولايؤمنون به، ودعوة له صلّى اللّه عليه وآله وسلّم إلى الرّفـق بهـم ومقابلة جهلهم بالحلم، وسفاهتهم بالإعراض عنهم، وأنّهم كلّما قالوا فحشاً وهجراً، وأهانوا، قال لهم سلاماً مداراة ومتاركة...

وقوله تعالى: «وقل سلام» أمر بإعلان السّلام لهـم وتركهم وشأنهـم. والأمـر بالصّفح عنهم، وإعلان السّلام لهم ينطويان على التّوكيد بأسلوب رائع محـبب بأنّ مهمّة رسول الله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم هى التبليغ والإنذار والدّعـوة إلى الشّـهادة بالحق ومكارم الأخلاق، ثمّ ترك النّاس وشأنهم يختارون مايريدون دون إجبار ولا إبرام ولاعدآءٍ ولاحقد، مع تقرير هذا له ولمن آمن به، ومع الاطمئنان إلى أن مـا

يدعوا إليه هو الحق والهدى والخير والصّلاح... وأنّ ذلك سوف يظهر لهم وللنّاس كافة ممّا قد تكرّر تقريره في القرآن الكريم بأساليب متنوّعة...

وفيه تلقين جليل ربّانيّ للمؤمنين بأن يجعلوا السّلام عنواناً لمقابلاتهم وصلاتهم بالنّاس على اختلاف فئاتهم ممّا فيه روعة وجلال، وممّا جعل السّلام على النّاس من العادات الحسنة الّتي تميّز بها المسلمون منذ حياة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

**وقوله تعالى:** «فسوف يعلمون» فيه تطمين وتسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبثّ الوثوق والاستعلآء في نفسه، فسوف يعلمون أنّهم على جهل يزيّن لهم هذا الباطل الّذي هم فيه، يغذيهم بهذا السّفه الّذي ترمى به أفواههم... فسوف يعلمون مَن هو على الحق والهدى؟ ومن هو على الباطل والضّلال؟ ومن هو على الخير والصّلاح؟ ومن هو على الشّرّ والفساد؟؟؟!!!

وفيه وعيد وتهديد... فتأمل جيّداً ولا تغفل.

## ﴿الإعجاز﴾

وقد سبق منّا كلام مراراً ـ في بحث الإعجاز من هذا التّفسير ـ بأنّ الفصحآءِ والمحقّقين والبلغآء والمفسّرين، والعلمآء المتبحّرين في العلوم المختلفة والفنون المتنوّعة ـ وإن بلغوا ما بلغوا ـ كما لايستطيعون على إتيان حديث من مثل القرآن الكريم، كذلك هم لايستطيعون على بيان جميع وجوه إعجازه وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً فضلاً عن واحد أو اثنين أو ثلاث... منهم إذ لايكشف جميعها إلّا بظهور مولانا وولّيّ أمرنا المهديّ الإمام الثّاني عشر الحجّة بن الحسن العسكرى عجّل الله تعالى فرجه الشّريف.

فلن أستطيع على بيان وجه واحد حقّاً من مئات وجه إعجاز هذه السّورة: «الزّخرف» جدّاً، فضلاً عن بيان جميع وجوه إعجاز القرآن المجيد، فنشير إلى مايسعه المقام ونحن على جناح الإختصار:

١ ـ ومن الأسرار الّتى كشف عنها القرآن الكريم هي حركة الأرض إذ قال جلّ وعلا: «الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلّكم تهتدون» الزّخرف: ١٠)

ينبغي للقاريْ الخبير أن يتأمّل كيف تشير الآية الكريمة إلى حركة الأرض إشارة جميلة لم تتّضح إلّا بعد قرون؟ وكيف تستعير للأرض لفظ المهد الّذي يعمل للرّضيع، يهتزّ بنعومة لينام فيه مستريحاً هادئاً؟ وكذلك الأرض مهد للبشر وملآئمة لهم من جهة حركتها الوضعيّة والانتقالية، وكما أنّ تحرّك المهد لغاية تربية الطّفل

واستراحته، فكذلك الأرض، فإنّ حركتها اليوميّة والسّنويّة لغاية تربية الإنسان كلّهم، بل وجميع ما عليها من جماد ونبات وحيوان...

تشير الآية الكريمة إلى حركة الأرض إشارة جميلة، ولم تصرح بها لأنّها نزلت في زمن أجمعت عقول البشر فيه على سكونها، حتّى أنّه كان يُعدّ من البديهيّات الّتي لاتقبل التشكيك أبداً. حتّى اجترأ الحكيم «غاليلة» بعد الألف الهجرى فأثبت الحركتين: «الوضعيّة والانتقاليّة» للأرض فأهانوه، واضطهدوه حتّى قارب الهلكة، ثمّ سجن طويلاً مع جلالته وحقوقه العلميّة، فصار حكمآء الإفرنج يكتمون كشفياتهم الأنيفة المخالفة للخرافات القديمة خوفاً من الكنيسة الرّوميّة!

٢ ـ ومن وجوه إعجاز هذه السّورة ما أثاره مشركو العرب في وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أشارت إليه على لسانهم، وتولّت دفعه وإبطاله وهو: لماذا اختارت السّمآء محمداً؟ اعتراض خاصّ بشخص محمّدصلّى الله عليه وآله وسلّم: لماذا كان هوالّذي اختير لرسالة السّمآءِ من دون قومه وفيهم من هو أكثر منه مالاً وجاهاً وسنّاً... إلى جانب مشاركته في النّسب؟

«وقالوا لو لانزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف: ٣١)؟

وذلك أنّ مشركي العرب كانوا يستكثرون على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يكون هو ذلك الإنسان الّذي ندبته السّمآء لحمل هذه الرّسالة الكريمة، والقيام بهذه السّفارة العظيمة بين الله والنّاس! وقد أفحم القرآن الكريم هؤلآء الأغبيآء الّذين يجعلون حساب الإنسان في الإنسانيّة وحظّه من الكمال البشريّ مقدّراً بما بين يديه من مال أو جاه أو رجال... دون نظر إلى تلك المعاني السّاميّة في الإنسان... تلك المعاني الّتي تتّصل منه بمعالم الحقّ... من صدق وأمانة، وايثار وعفّة وما إليها ممّا تَخِفّ إزآء الدّراهم المعدودة منه موازين القناطير المقنطرة من زخارف الدّنيا وشهواتها...

وفي هذا قال الله عزّ وجلّ، «أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ورحمت ربّك خير ممّا يجمعون» الزخرف: ٣٢).

فلنقف قليلاً عند الآية الكريمة ونتأمّل مليّاً لنرى منها بـعض مشـاهد الحـقّ، ومطالع الإعجاز ولنطالع ما للنّبيّ الكريم صلّ الله عليه وآله وسلّم فيها مـن شـواهـد تشهد لمكانه المكين من القرآن الكريم وإعجازه: فالّذي كان من فضل الله تـعالى على «محمّد» ليس مالاً ولا حطاماً... وإنّما هو رحمة من رحمة الله جلّ وعلا، ورحمة الله وإن وسعت كلّ شئ، فإنّ لله عباداً قد اختصّهم بالمزيد منها... فهناك رحمة الله الشّاملة الّتي تنال كلّ موجود، وتشمل كلّ بَرّ وفاجر... فما وُجِدَ هذا الوجود إلّا عن فيض الرّحمة من «الرّحمن الرّحيم» ثمّ إنّ في داخل الرّحمـة العامّة الشّـاملة رحمـة خاصّة يفيضها الله تعالى على من يشآء من عباده وقد أشار إليها بقوله تعالى: «والله يختصّ برحمته من يشآء والله ذوالفضل العظيم» البقرة: ١٠٥)

فهذا الرّحمة الّتي يختصّ بها من يشآء من عباده ليست ممّا تخرج الأرض مـن زروع وكروم، وفاكهة وحبّ... ولا ممّا يتنازعه النّاس فيما بينهم من مـتاع الدّنـيا وزخارفها... وإنّما هى ألطاف بيد الله تعالى، ليس إلى يد العباد شئ منها... يصيب بها من يشآء...

فقال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤)

وقال: «الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن النّاس» الحجّ: ٧٥)

وقال: «إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال ومن ذرّيّتي قال لاينال عهدي الظّالمين» البقرة: ١٢٤)

«أهم يقسمون رحمة ربك؟»

وذلك مالا سبيل لهم إليه، فرحمة ربك بيده جلّ وعلا، يفضل بها على من يشآء من عباده... ولعلّك لاتمرّ بهذا الخطاب الحبيب الرّفيق الّذي يخاطب الله تعالى بـه نـبيّه الكـريم صـلّ اللّـه عـليه وآله وسـلّم في قـوله: «رحمـة ربّك» دون أن تخشـع له، وتستجمع له كيانك كلّه متشوّفاً مستشرقاً إلى فيض من هذه الرّحمة: «رحمة ربّك» ربّ محمّد صلّ الله عليه وآله وسلّم الّذي اختصّه منها بهذا الفضل العميم، وجعله رسوله إلى كافّة النّاس.

«نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا» فهم في هذا المعاش يتنافسون، وفيه يتكاثرون ويتغالبون، ويعلو بعضهم على بعض، كما تعلو أكوام التّراب على التّراب!

«ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون»

وانظر إلى هذه الرّحمة... لقد أشرقت مرّة ثانية فملأت بنورها السّموات والأرض، وإنك لترى في سناها أنّها ليست ممّا يجمع النّاس! إنّ قطرة واحدة منها خير من كلّ مايجمع النّاس.

«والله يختصّ برحمته من يشآء والله ذوالفضل العظيم» فرحمة ربّك هذه الّتي اختصّك بها هى خير من كلّ ما يجمع النّاس كلّهم من متاع الدّنيا.

واستمع إلى قوله عزّ وجلّ لرسوله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم متحدّثاً إليه بهذه الرّحمة الّتي اختصّه بها، وجعله من المرسلين: «وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلّا رحمة من ربّك» القصص: ٨٦)

فعن هذه الرّحمة الخاصّة الإلهيّة ومن فيضها ساق الله تعالى هذا الفضل إلى نبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم واصطفاه من بين عباده لهذه السّفارة العظيمة الّتي تصل السّمآء بالأرض، ثمّ إنّه بفيض هذه الرّحمة سكنت إلى الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم نفسه واطمأنّ قلبه، فكان على هذا الكمال البشري الّذي أهّله لأن يكون المربّي الكامل، والرّآئد البصير، والهادي الأمين، والقآئد الحكيم للمجتمع الإنساني كلّه، حيث تأوى النّفوس، وتسكن الأرواح، وتطمئنّ القلوب... إلى ظلّ ظليل من رحمته وبرّه ولطفه كما قال: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لا نفضّوا من حولك» آل‌عمران: ١٥٩)

ومن هذه الرّحمة الخاصّة الإلهيّة الّتي عمرت كيان محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كان رحمة عامّة شاملة للنّاس أجمعين بما حمل من هدى ورحمة... وفي هذا قال الله عزّ وجلّ: «وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين» الأنبيآء: ١٠٧) وقال تعالى فيما امتنّ به على العرب، والجنس البشريّ كلّه: «لقد جآءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم» التوبة: ١٢٨)

وفي هذا كلّه ما يكشف لنا عن مقام محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ومكـانته مـن الرّسالة الّتي دُعِيَ إلى حملها، والسّفارة بها، إذ ليس كلّ إنسان بالّذي يصلح لهـذا الأمر ويقوم له، ويحتمل أثقاله وأعبآئه... وإذ ليس بالأمر المهين أن يقف إنسـان وحده في وجه الإنسانيّة الشّاردة، ليردّها إلى الطّريق القويم، ويسلك بهـا مسالك الحق والهدى، والخير والصّلاح... إنّه سيصطدم بـضلالات الضُّـلاّل، وسـفاهات السُّفهآء، وسيقف له الضّلاّل والسّفهآء بكل سـبيل، ويـقعدون له بكـلّ مـرصد، يسلقونه بألسنة حداد، ويرمونه بما وسع جهدهم، وبلغ كيدهم من أذى وبلاء...!

وحياة الرّسل والأنبياء كلّهم صلوات الله عليهم أجمعين سـلسلة مـتّصلة مـن التّعب والعَنَت والرّهق، موصولة بالمكاره والشّدائد و الأهوال... ولهـذا كان محـمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مأنوساً في كلّ خطوة بصوت الحـقّ، يـدعوه إلى الصبر واحتمال المكاره حتّى يفتح الله تعالى بينه وبين قومه بالحقّ: «فاصبر كما صبر اولوالعزم من الرّسل» الأحقاف: ٣٥).

«واصبر لحكم ربّك فإنك بأعيننا» الطّور: ٤٨) «واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً» المزّمّل: ١٠) «فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون» الزّخرف: ٨٩)

ولو لا هذا المدد السّماويّ، وما يحمل من مؤانسة ومواساة لانحلّت عُقَد العزم في نفس الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ولضعف ووهن عن متابعة السّير بالرّسالة إلى غاياتها... ذلك إلى ما عند الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من رصيد ذاتيّ من قوى الصّبر والاحتمال... ومع هذا فقد كانت تأتيه أمداد السّمآءِ دآئماً لتشدّ عزمه وتثبت خطوه... وكان من هذا التّدبير نزول القرآن الكريم منجّماً، فإنّ ذلك كان من شأنه أن يجعل الصّلة مستمرّة بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبين السّمآءِ، الّتي تتنزّل عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم منها آيات القرآن المجيد، حالاً بعد حال، وزمناً بعد زمن، وبهذه الصّلة الدّائمة يستشعر النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم مسّ الأنس، ويجد ريح الطّمأنينة والأمن، في غدوّ الوحي ورواحه، وذلك مايشير إليـه قـوله تـعالى: «وقال الّذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة»؟

فأجاب بقوله تعالى: «كذلك لنثبّت به فؤادك» الفرقان: ٣٢)

وماذا لو جآئت هذه الرّسالة السّماويّة إلى إنسان على غير تلك الصّفة الّتي كان عليها محمّدصلّى الله عليه وآله وسلّم؟ أكان يمكن أن تستقيم على وجهها؟ أو أن تبلغ غايتها؟ وتقع من الحياة مواقعها على هذا النحو الّذي بلغه محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بها، وأقامها عليه، ومكّن لها هذا التمكين القوى الرّاسخ في القلوب والعقول والأفكار والمشاعر كلّها؟

إنّه لمحال أن يكون إنسان غير محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أو على صفة غير صفته أن يحقّق للدّعوة الإسلاميّة هذا النّصر المبين، ويقيم لها هذه الدّعآئم القويّة المكينة في الحياة! و حقّاً إنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كان حامل رسالة السّمآءِ، موجّهاً بما وُجّه له، صادعاً بما أُمِرَ به... لم يأت من عنده بشئ، ولم يغيّر ولايبدّل شيئاً ممّا وُضِع بين يديه، وأُمِرَ بحمله إلى النّاس، وبغرسه في العقول والقلوب... ذلك كلّه حقّ لاجدال فيه ولا امتراء معه لمن له أدنى مسكة وطيب ولادة.

ولكن يمكن أن يسئل سآئل: أكلّ حامل رسالة قادر على القيام بحملها والوفآء بحقّها؟

وكيف بهذه الرّسالة الّتي يواجه بها إنسان فرد كلّ انحرافات الإنسانيّة وعللها وأسقامها... النّفسيّة والرّوحيّة والعقليّة...؟ ويتصدّى للتيارات القويّة الهادرة الّتي تعمل جاهدة على أن تزحزحه من مكانه وتزيله عن موضعه؟ ثمّ أهل يقف النّاس عند حدّ المضامين الّتي تحملها الرّسالة المبلّغة إليهم، دون أن ينظروا في وجه هذا الذّي حملها إليهم، وأفضى بها لهم؟

إنّ الكتاب ـ كما يقولون ـ يُقرأ من عنوانه...

والرّسول ـ في كلّ أمر، ولكلّ أمر ـ هو عنوان الرّسالة الّتي يحملها، وهو الوجه الّذي يَلقَى به النّاسَ قبل أن يلقاهم من رسالته وجه من وجوهها، وهو الرّوح الّتي تبسط أرواحهم أو تقبضها، قبل أن يبسطها أو يقبضها من الرّسالة مضمون ومفهوم. وكم من الدّعوات الطيّبة الكريمة والمبادئ الإنسانيّة النّبيلة قد خمدت أنفاسُها من أوّل يومها في الحياة، وماتت مختنقه بيد أصحابها ودعاتها الّذين لم

يحسنوا القيام عليها، ولم يصحبهم التّوفيق في اختيار المداخل الّتي يدخلون بها على النّاس ويلقونهم بها؟

إنّ المبادئ والآرآء والمناهج ... ليست هى كلّ شئ ... بل إنّها ليست شيئاً إلّا إذا قام عليها من يمهدّ لها الطّريق إلى الحياة، ويفتح لها المغالق إلى العـقول والنّـفوس والقلوب... وذلك لايكون إلّا لأناس لهم على النّفوس سلطان، ولهم إلى القـلوب سبل، وإلى العقول مسالك... وقد قيل:

إذاكنت في حاجة مُرسِلاً فأرْسِلْ حكيماً ولا تُوصِه

و «الله أعـــلم حـــيث يـــجعل رســـالته»

إنّه جلّ وعلا يتخيّر للرّسالة من خلقه مَن هو أهل لها، ومن يرى النّاس فيه ثمرات الرّسالة ونفحاتها، قبل أن يسمعوها كلمات وآيات... فـيكون ذلك شـاهداً مفصحاً بأقوى دليل لها وأعظم برهان على ما تحمل من معالم الحقّ، ومعانى الخير والإحسان...

فما ينكشف للنّاس من أمارات الخير وشواهد الإحسان في الرّسول هو الثمرات المعجّلة من رسالته الّتي تطلع بها السّمآء على النّاس بين يدى الدّعوة الّتي تدعوهم إليها... وبهذا تنكشف للنّاس آيات الحق في ذات الرّسول قبل أن يـلتقوا بهـا في صميم الرّسالة.

ولقد كان رسل الله وأنبيآئه عليهم صلوات الله دآئماً مـوضع نـظر أقـوامـهم، يعيدون النّظر في تأريخ حياتهم، ويفتشون عـن المـعآئب والنّـقآئص ليـجدوا مـا يحاجّون به الأنبيآء والمرسلين، وليقولوا لهم فيما يـقولون: كـيف تـدعوننا إلى مـا تقولون: إنّه خير، وقد عرفنا منكم كذا وكذا مما لاوجه له في وجوه الخير؟ ولا شكّ أنّ تلك حجّة قويّة تُسقط قول كلّ قآئل وتبطل نصيحة كلّ ناصح... فالكلام إنّما يوزن بميزان صاحبه... فإذا كان المرء على طريق التّقوى وأمر بها، كان لكلماته من يقبلها ويتعامل بها، ويستقيم عليها... ثمّ إنّه لاوزن لكلماته هنا إذا هو كان معوّجاً منحرفاً ثمّ دعا إلى الصّلاح والاستقامة...

وقال الشّاعر:

**أمرتُك الخيرَ لكن ما أتمرتُ به ولا استقمتُ فما قولي لك ستِقم!**

ولقد ذمّ الله تعالى من يأمر بالبرّ وهو غير بار فقال تعالى: «أتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم» البقرة: ٤٤)؟ كما أنكر تعالى على المؤمنين أن يقولوا قولاً ثمّ لايصدق العمل هذا القول فقال: «يا أيّها الّذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون» الصّف: ٢-٣)

ولهذا فقد كان الأنبيآء والمرسلون عليهم السّلام مثلاً كريماً في النّاس قبل بعثتهم وبعدها... إذ حفظهم الله تعالى من الزّلّات والعثرات... صغيرها وكبيرها وحماهم ممّا يعاب أو يشين... وذلك ليكونوا بمكان الاحترام من قلوب النّاس وعقولهم، وإن كذّبوهم وآذوهم بألسنتهم اوبأيديهم...

وقد ذكر القرآن الكريم موقف «ثمود» من رسول الله «صالح» إذ يقولون له: «يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا» هود: ٦٢) أى أنّهم كانوا يعرفون في «صالح» قبل الرّسالة أنّه أكملهم كمالاً، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم نفساً... فلمّا اختاره الله تعالى لرسالته انحرفت نظرتهم إليه، وسآء رأيهم فيه، حسداً له، وخلافاً عليه وعناداً... «قد كنت فينا مرجّواً قبل هذا» فماذا جدّ؟ لاشئ إلّا شقوة غلبت عليهم، فأعمتهم عن هذا الهدى الّذي يدعوهم إليه...

وشأن مشركي العرب مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان أعجب وأغرب... إذ كانوا يلقّبونه بالصّادق الأمين قبل بعثته... وكان فيهم المثل الأعلى للكمال... إذ ما أخذالنّاس عليه بادرة من بوادر السّوء... ثمّ لمّا ساق الله تعالى إليه هذه الرّحمة واختصّه بها، فجعله رسولاً إلى العالمين نكص المشركون على عقبهم، وكذبوا على أنفسهم، وأصموا سآذانهم عن الاستماع له... وهم مع ذلك يعلمون عن يقين أنّه لايقول إلّا حقّاً، ولهذا يكشف الله تعالى ما بنفوسهم له بقوله: «فإنّهم لايكذّبونك ولكنّ الظّالمين بآيات الله يجحدون» الأنعام: ٣٣)

وإذن فنستطيع أن نقرّر أنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نفسه هو

معجزة من معجزات القرآن الكريم ووجه من وجوه إعجازه، ودليل من أدلّة هذا الإعجاز، فهو صلّى اللّه عليه وآله وسلّم هادٍ إلى القرآن المجيد، ودليل عليه، ومبيّن له كما قال تعالى في خطابه له هذا الخطاب الحبيب الكريم: «يا أيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً» الأحزاب: ٤٥ـ٤٦)

فني قوله جلّ وعلا: «وسراجاً منيراً» إشارة مشرقة من إشارات الحقّ إلى مكان محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم من الرّسالة، وإلى موضعه من المعجزة الّتي تحملها الرّسالة في كلمات الله... إنّه سراج منير... يكشف للنّاس مواقع الإعجاز من القرآن الكريم، فمن لم يكن له كاشف من بصيرته إلى الإعجاز القرآنيّ، فإنّ في الرّسول الّذي يحمل هذه المعجزة أضوآءً تلتق مع أضوآءِ القرآن المجيد، فتتجلّى المعجزة لكلّ ناظر، ولو كان أعشى النّظر، كليل البصر!

واستمع إلى قوله عزّ وجلّ في خطاب آخر، حبيب، كريم... إلى النّبيّ الكريم: «وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم» النّحل: ٤٤) فإنّ ممّا يدخل في هذا البيان أن يجلّي الرّسول على وجه الإعجاز القرآنيّ... وهذه التجلية إنّما تكون على أتمّ تمامها وأكمل كمالها حين ينظر إلى آيات الله تعالى من خلال رسول الله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فالرّسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم تفسير واضح للقرآن الكريم، ومعجزة قآئمة إلى جانب إعجازه الّذي تحمله كلمات الكتاب وآياته...

٣ ـ ومن الأسرار الّتي كشف عنها القرآن الكريم قبل خمسة عشر قرناً: وجود قارّة اخرى إذ قال على سبيل الحكاية: «يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين» الزخرف: ٣٨).

وذلك أنّ في الآية الكريمة إشارة إجماليّة إلى وجود قارّة اخرى تكون على السّطح الآخر للأرض يلازم شروق الشّمس عليها غروبها عنّا، حيث إنّ البُعد بين المشرقين هو أطول مسافة محسوسة، فلا يمكن حملها على مشرقي الشّمس والقمر، ولاعلى مشرقي الصّيف والشّتآء ـ كما ذهب بعض المفسّرين ـ لأنّ المسافة بين ذلك ليست أطول مسافة محسوسة، فلابدّ وأن يكون المراد بها المسافة الّتي ما بين

المشرق والمغرب، ومعنى ذلك أن يكون المغرب مشرقاً لجزءٍ آخر من الكرة الأرضيّة ليصحّ هذا التّعبير. فالآية الكريمة تدل على وجود هذا الجزءِ الّذي لم يكتشف إلّا بعد قرون من نزول القرآن المجيد.

وفيه آيات يذكر فيها المشرق والمغرب بلفظ المفرد يراد بها النّوع كقوله عزّ وجلّ: «ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله» البقرة: ١١٥)

وآيات يذكران فيها بلفظ التثنية يراد منها الإشارة إلى القارّة الموجودة على السّطح الآخر من الأرض كقوله جلّ وعلا: «ربّ المشرقين وربّ المغربين» الرّحمن: ١٧)

وآيات جآءا فيها بلفظ الجمع يراد منها المشارق والمغارب باعتبار أجزآءِ الكرة الأرضيّة كقوله تعالى: «فلا اقسم بربّ المشارق والمغارب» المعارج: ٤٠)

وفي الآيات الكريمة دلالة على تعدّد مطالع الشّمس ومغاربها، وإشارة أيضاً إلى كرويّة الأرض، فإنّ طلوع الشّمس على أيّ جزءٍ من أجزآءِ الكرة الأرضيّة يلازم غروبها عن جزءٍ آخر، فيكون تعدّد المشارق والمغارب واضحاً لاتكلّف ولاتعسّف فيه. فحمل بعض المفسّرين المشارق والمغارب على مطالع الشّمس ومغاربها باختلاف أيّام السّنة تكلّف لاينبغى أن يصار إليه، لأنّ الشّمس لم تكن لها مطالع معيّنة ليقع الحلف بها، بل تختلف تلك باختلاف الأراضي... فلابدّ وأن يراد بها المشارق والمغارب الّتي تتجدّد شيئاً فشيئاً، وفي كلّ آنٍ باعتبار كرويّة الأرض وحركتها.

وفي الرّوايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وأدعيتهم وخطبهم ما يدل على كروية الأرض. ومنها ما:

في وسائل الشيعة ـ (ج٣، ص١٣١، باب ١٦ ـ انّ أوّل وقت المغرب غروب الشمس ـ ح : ٢٢) بالاسناد عن عبيدالله بن زرارة عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سمعته يقول: «صحبني رجل كان يمسى بالمغرب، ويغلس بالفجر، وكنت أنا أصلّي المغرب إذا غربت الشّمس وأصلّي الفجر إذا استبان الفجر، فقال لى الرّجل:

مايمنعك أن تصنع مثل ما أصنع؟ فإنّ الشّمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنّا وهي طالعة على قوم آخرين بعد، قال: فقلت: إنّما علينا أن نصلّي إذا وجبت الشّمس عنّا، وإذا طلع الفجر عندنا ليس علينا إلّا ذلك، وعلى اولئك أن يصلّوا إذا غربت الشّمس عنهم».

كان الرّجل يستدلّ على مراده باختلاف المشرق والمغرب النّاشيّ عن استدارة الأرض، ويقرّه الإمام عليه السّلام على ذلك، ولكن ينبّهه على وظيفته الدّينيّة.

وفي رواية اخرى: قال الامام عليه السّلام: «إنّما عليك مشرقك ومغربك».

وفي الصّحيفة السّجّادية الكاملة ـ الدّعاء السّادس من أدعية الصّحيفة عندالصّباح والمسآء ـ قال سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما صلوات الله: «الحمد لله الّذي خلق الليل والنّهار بقوّته وميّز بينهما بقدرته، وجعل لكلّ واحد منهما حدّاً محدوداً وأمداً ممدوداً يولج كلّ واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه...» الدعآء.

أراد الإمام عليه السّلام بهذا البيان البديع التّعريف بما لم تدركه العقول في تلك العصور وهو كروية الأرض، وحيث إنّ هذا المعنى كان بعيداً عن أفهام النّاس لانصراف العقول عن إدراك ذلك، تلطف ـ وهو الإمام العالم بأساليب البيان ـ بالإشارة إلى ذلك على وجه بليغ، فإنّه عليه السّلام لو كان بصدد بيان ما يشاهده عامّة النّاس من أنّ الليل ينقص تارة، فتضاف من ساعاته إلى النّهار وبالعكس لاقتصر على الجملة الاولى: «يولج كلّ واحد منهما في صاحبه» ولما احتاج إلى ذكر الجملة الثّانية: «ويولج صاحبه فيه» إذن فذكر الجملة الثّانية إنّما هو للدّلالة على أنّ ايلاج كلّ من الليل والنّهار في صاحبه يكون في حال إيلاج صاحبه فيه، لأنّ ظاهر الكلام أنّ الجملة الثّانية حاليّة، ففي هذا دلالة على كروية الأرض، وانّ إيلاج اللّيل في النّهار ـ مثلاً ـ عندنا يلازم إيلاج النّهار في الليل عند قوم آخرين، ولو لم تكن مهمّة الإمام عليه السّلام الإشارة إلى هذه النّكتة العظيمة لم تكن لهذه الجملة الأخيرة فائدة، ولكانت تكراراً معنويّاً للجملة الاولى.

٤ ـ ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم هو العلوّ الشّامخ في تمكّن القرآن من مكانه وثباته في مكانته الّتي قام عليها... في علوّها وشموخها... فتدبّر آياته في هذه السورة: «الزّخرف» كيف يقول في أوّلها ما يقوله في وسطها وآخرها: «أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ـ فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين ـ ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهوله قرين ـ فويل للذين ظلمو من عذاب يوم أليم ـ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الّذي يوعدون ـ فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون» : ٥ و ٢٥ و ٣٦ و ٦٥ و ٨٣ و ٨٩).

فلم تتأثّر بالأحداث العارضة الّتي كانت تهدّدها وتدور في محيط الدّعوة الإسلامية، ولم تنفعل بها، ولم تستجب لها... بل كانت دائمة حيث هي في علوّها وسمّوها وسلطانها وقوّتها... تنظر إلى النّاس وإلى الحياة من عَلٍ دون أن تهتزّ أو تتأثّر بما تهتزّ له الحياة أو يتأثّر به النّاس.

ولقد كان القرآن الكريم ينزل على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في مكّة ـ وقد أخذ عليه الأعداء والمعاندون كلّ سبيل، وملكت عليه قريش كلّ أمر ـ فلا يلتفت القرآن المجيد إلى شئ من هذا، بل تتنزّل آياته مدويّة، مدمدمة، تتهدّد المشركين العرب، وتتوعّد قريشاً، وتسوق رؤسها الشّامخة المتعالية إلى موارد الخزى والهوان، والذّلّة والعارفي الدّنيا، وإلى جهنّم وعذاب النّار في الآخرة من دون مداهنة ولامجاملة، ولامصانعة ولا مداورة... لأنّ القرآن كلام من يملك الأمر كلّه، ومن بيده ملكوت السّموات والأرض، ومن في قبضته كلّ جبّار عنيد! فكيف يتأثر لهذا الأمر العارض الباطل ويستجيب له؟

ولعمري انّ في ذلك دروساً عظيمة لعلماءِ الدّين، والدّعاة والمصلحين والخطبآء والمبلّغين خاصّة وللمؤمنين كافّة...

ومن البداهة أنّ من أثر الجهة الّتي تصدر عنها الكلمة في الكلمة ذاتها... حيث إنّ الكلمة تخرج من فم فتملأ سمع العالمين، وهي ذاتها تخرج من فم فلا تتجاوز شفتي صاحبها، وإن تجاوزتها سقطت بين قدميه، وكذلك أنّ الأثر النّفسي وإن كان

لذات الشّخص الّتي صدرت عنه الكلمة إلاّ أنّ الكلمة هنا و هناك وإن تجرّدت من صاحبها، وجُهل مصدرها فإنّها مع ذلك تظلّ مشحونة بقوى تنبئ عن قوّته، وبروح تحدّث عن روحه... لأنّها بعض منه، ونفخة من قوّته وإرادته، وانطلاقة من وجدانه وإحساسه!

فكيف بكلمات الله تعالى؟ وكيف بما فيها من جلال الحـقّ وعظمته، من عـلمه وحكمته، ومن قدرته وتدبيره... سبحانه وتعالى؟ إنّها حيث كانت؟ ومـتى تـتلى؟ وأينما تسمع...؟ لايزايلها أبداً هذا العلوّ، ولا تنفصل عنها تلك العظمة والقوّة... إنّ هذه الصّفات ليست شيئاً عارضاً فيها، وإنّما هي من كيانها وصميمها... تعلو بهـا أبداً على كلّ كلام، وترتفع بها دائماً على كلّ قوى... علوّ النّجم على الحصا، وارتفاع السّحاب على التّراب... وليس هذا العلوّ وتلك العظمة البارزة في القرآن تعالياً أو تكبّراً، وإنّما هي حقيقة لاصنعة فيها، ولا تكلّف معها، وهل في علوّ الشّمس على هذا الوجود الأرضي علوّ أو تكبّر؟

«تمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لامبدّل لكلماته» الأنعام: ١١٥) «وكـلمة الله هـى العليا» التوبة: ٤٠) إنّ أيّ قارئ للقرآن الكريم أو مستمع له يسـتولي عـليه شـعور بالتّصاغر والتضاؤل أمام هذا الجلال، وتلك العظمة الّتي تطلع عليه من آيات الله جلّ وعلا والّتي تشرف عليه من علوّ تحسر دونه الأبصار...

فإنّ القرآن الكريم في تقرير اصوله واعتقاديّاته، في بيان فروعه وأحكامه، في مخاطباته ومجادلاته، في أوامره ونواهيه، في إرشاده وإنذاره، في وعده ووعيده، في أمثاله وقصصه، وفي مواعظه ونصآئحه... وفي كلّ حال منه إنّما هو دائماً في هذا العلوّ الشّامخ وفي هذا المقام الرّفيع الّذي لاينال... يتحدّث إلى النّاس حديث من يملك كلّ شئ، ومن يقوم على كلّ شئ، ومن يدبّر ويقدّر، دون أن يقف أحد أمام سلطانه أو يحول دون أمر من أمره...

«تبارک الّذي بيده الملك هو على كلّ شئ قدير الّـذي خـلق المـوت والحـياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور الّذي خـلق سـبع سماوات طـباقاً

ماترى في خلق الرّحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير» الملك: ١ـ٤)

فمن في البشر من يملك في نفسه تلك الشّجاعة، وهذه القوّة الّتي يواجه بها الحياة كلّها، والنّاس جميعهم متحدّياً كلّ شئ، جاعلاً له كلّ شئ، ليس لأحد معه مثقال ذرّة من شئ؟ أيكون ذلك إلّا للإله الحق جلّ وعلا الّذي يملك بحقّ كلّ شئ، ويقدر بحقّ على كلّ شئ؟

إنّ أدعيآء العظمة والملك والسّلطان والشّوكة... ليس لهم في ذات أنفسهم معين تنبع منه هذه العظمة، ويتدفق منه ذلك الملك وهذا السّلطان! ولذلك فهم إن استبدّ بهم الغرور في حال فتطاولوا وتشامخوا وعلوا في النّاس، وعتوا فإنّه لاتلبث هذه النّار الكاذبة أن تنطفئ في نفوسهم لأيّ عارض يعرض لهم، وبأيّ نازلة تنزل بهم، فتنحلّ قواهم، وتخور عزائمهم، وتنكسر نفوسهم... و إذا هم في جلابيب الخزى والعار، والذّلّة والصّغار... و إذاً أصواتهم الّتي كانت عالية مزمجرة تخفت وتضعف وتتخاذل فلا تكاد تسمع!

فهذا «نابليون» مثلاً الّذي عرفت الحياة قولته الّتي قالها في فورة انتصاراته: «ليس هناك مستحيل»! والّذي قيل: إنّه محا هذه الكلمة من «قاموس» لغته ماذا كان يجري علىلسانه بعد أن هزم فيموقعة «واترلوا» وبعد أن نفى في «سانت هيلين».

أتُرى كان يجري على لسانه غير الكلمات الضارعة الخانعة الّتي تحدّث عن نفس ضائعة وإنسان مهزوم؟ هكذا شأن الإنسان دآئماً... تقوى نفسه فتقوى لذلك كلماته، ويطغى غروره ويضعف فتضعف كلماته، وينهزم غروره وتموت دوافع التعالي والتّعاظم الّتي كانت تملأ كيانه، وتتفجّر على لسانه كلمات الأرباب الّذي يقوتون ويرزقون! «إنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى» العلق: ٦ـ٧) «إنّ الإنسان خُلِق هلوعاً إذا مسّه الشّرّ جزوعاً وإذا مسّه الخير منوعاً» المعارج: ١٩ـ٢١)

ولقد صوّرت هذه السّورة: «الزّخرف» فرعون في صورتيه تلك ... في علوّه وعتوّه، وفي استخزائه وانهياره... فهو في الحال الاولى جبّار عنيد، يضحك هو وأُجرآئه بآيات الله: «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إنّي رسول ربّ العالمين فلمّا جآءهم بآياتنا إذاهم منها يضحكون»: ٤٥-٤٦)

وهكذا يهتف فرعون بهذه الكلمات المجنونة المحمومة في وجوه قومه الفاسقين، ويُلقي بها على الملإ... وماذاك إلاّ لهذا الملك، ولهذا السّلطان الّذي بين يديه!! «أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون»: ٥١)

وانظر إلى هذا الجبروت، وهذا الطّغيان كيف يتحوّل إلى إستجداء واستخزآء حين يدركه الغرق فيقول هو ومن معه لموسى: «ادع لنا ربك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون»: ٤٩)

وينزل من سمآئه العالية ويرضى أن يكون هو وموسى على كفّتي ميزان... على أن تكون كفّته أرجح من كفّة موسى عليه السّلام: «أم أنا خير من هذا» : ٥٢)

لقد نفذت هذه السّورة الكريمة بهذه الكلمات القليلة إلى أغوار النّفس الإنسانيّة، ورصد حركاتها وسكناتها، وكشف عمّا يندس في مساربها من خواطر وتصوّرات، وما يزدحم في أعماقها من رُؤى وخيالات...

وهذا وجه من وجوه الإعجاز القرآني، يطالع من ينظر فيه متأمّلاً، آيات بيّنات، تشهد بأنّ هذا القرآن الكريم هو من كلام ربّ العالمين، الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، لأنّه طلع من آفاق عالية لا يتحوّل عنها أبداً ولا يتزحزح عنها في حال من أحواله، وأنّه كلام الحقّ جلّ وعلا: : «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً» النّسآء: ٨٢)

إختلافاً في منازله الّتي يطلع منها، وإختلافاً في القوّة الّتي ينطلق منها، واختلافاً في الميزان الّذي يزن به الحقّ والباطل، الصّلاح والفساد، الخير والشّرّ، الصّدق والكذب، والحسن والقبيح... وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَن شآء يرتع رياض الأنانق فعليه بآل حَم».

ومن الوجوه: قوله تعالى: «ومعارج عليها يظهرون» المعارج - جمع مِعْرَج - وهو

المسمّى اليوم بـ(أسنسير ـ آسانسور) وهذا من معجزات القرآن الكريم إذ لم يكن معروفاً عصر التنزيل.

ولقد اقتصرنا في بيان بعض وجوه إعجاز هذه السّورة على ماذكرناه روماً للإختصار، وفي ذلك كفاية ودلالة على أنّ القرآن الكريم وحي سماويّ، خارج عن طوق البشر، فتأمّل جيّداً واغتنم جّداً ولا تكن من الغافلين.

## ﴿التّكرار﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول ثمانية امور:

**أحدها** ـ أنّ آيات هذه السّورة: «الزّخرف» ختمت بحروف ثلاثة: ١ـ اللام. ٢ـ الميم. ٣ـ النّون. فواحدة من الآيات باللام: «لبني إسرآئيل»: ٥٩) وعشرة منها بالميم: «حم»: ١) و«حكيم»: ٤) و«العليم»: ٩) و«كظيم»: ١٧) و«عظيم»: ٣١) و«مستقيم»: ٤٣) و«مستقيم»: ٦١) و«مستقيم»: ٦٤) و«أليم»: ٦٥) و«العليم: ٨٤) و(٧٨) منها بالنّون فتدبّر جيّداً.

**ثانيها** ـ إنّ الله تعالى قال في هذه السّورة: «الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون»: ١٠) وقد قال في سورة «طه»: «الّذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً»: ٥٣)

وذلك أنّ لفظ السّلوك مع السّبيل أكثر استعمالاً به، فخصّ به «طه» وخصت «الزّخرف» بـ«جعل» ازدواجاً للكلام، وموافقة لما قبلها إذ قال في نفس الآية الكريمة: «الّذي جعل لكم الأرض مهداً» ولما بعدها إذ قال: «وجعل لكم من الفلك ـ وجعلوا له من عباده جزءاً»: ١٢و١٥) ويجوز أن يكون سبب التّكرار أنّ «خلق» تأتى لما لايتكرّر ولا يتبدّل، و«جعل» تأتي لمايتكرّر ويتبدّل، فالسّبل تتغيّر أحياناً بفعل الإنسان، وكذلك الأرض الممهّدة يحيلها الإنسان إلى وعر وبالعكس، وأمّا الأزواج والسّموات والأرض فخلقها الله تعالى، ولا يمكن تكرار نماذج منها.

**ثالثها** ـ إنّ الله عزّوجلّ قال في هذه السّورة حكاية عن الرّاكبين: «وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون»: ١٤) بلام التّأكيد في الخبر، وقال في سورة «الشّعرآء» حكاية عن السّحرة: «إنّا إلى ربّنا منقلبون»: ٥٠) بدون اللام لأنّ ركوب الدّابة أو السّفينة أو الجنازة أو السّيّارة أو الطّيارة... عام لكلّ من ركب تلك المراكب، فحسن إدخال اللام على الخبر للعموم، وما في الشّعرآء كلام السّحرة حين آمنوا ولم يكن فيه عموم، فخاصّ بهم.

**رابعها** ـ قال الله تعالى في هذه السّورة: «مالهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون»: ٢٠) وقد قال في سورة «الجاثية»: «ومالهم بذلك من علم إن هم إلّا يظنّون»: ٢٤)

وذلك أنّ «ما» في هذه السّورة متّصل بقوله عزّوجلّ: «وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمٰن إناثاً»: ١٩) والمعنى: أنّهم قالوا: إنّ الملائكة بنات الله سبحانه، وإنّ الله قد شآء منّا عبادتنا لهم، وهذا جهل منهم وكذب محض، فناسبه بلفظ «يخرصون» أي يكذبون. و«ما» في سورة «الجاثية» متّصل بخلطهم الصّدق بالكذب، فإنّ قولهم: «نموت ونحيا» صدق، فإنّ المعنى: يموت السّلف، ويحيى الخلف وهو كذلك إلى أن تقوم السّاعة، ولكنّهم كذبوا في إنكارهم البعث، وقولهم: «ومايهلكنا إلّا الدّهر» فناسبه بلفظ «يظنّون» أي هم يشكّون فيما يقولون.

**خامسها** ـ قال الله تعالى حكاية عن المشركين العرب: «وإنّا على آثارهم مهتدون»: ٢٢) وقال بعد ذلك: «وإنّا على آثارهم مقتدون»: ٢٣) فخصّ الأوّل بالإهتدآء لأنّه كلام المشركين في محاجّتهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وادّعآئهم أنّ آبآءهم كانوا مهتدين، فنحن مهتدون، ولهذا قال عقبة: «قل أولو جئتكم بأهدى»: ٢٤) والثّانية حكاية عمّن كان قبلهم من الكفّار وادعوا الإقتداء بالآبآء دون الاهتداء، فاقتضت كلّ آية ماختمت به. ومن دلآئل إعجاز القرآن الكريم من وجهة الدّقّة البالغة في رعاية المعاني: أنّ من طبائع المترفين التقليد الأعمى، والخضوع لتقاليد المجتمعات، والآية الثّانية تترجم عن هذا المعنى: «وكذلك ماأرسلنا من قبلك...»: ٢٣)

سادسها ـ إنّ الله عزّوجلّ قال في هذه السّورة: «إنّ الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للّذين ظلموا من عذاب يوم أليم»: ٦٤-٦٥) وقال في سورة مريم: «وإنّ الله ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للّذين كفروا من مشهد يوم عظيم»: ٣٦-٣٧)٠

وذلك أنّ الكفر أبلغ من الظّلم، وأنّ قصّة عيسى عليه السّلام في سورة «مريم» مشروحة، وفيها ذكر نسبتهم إيّاه إلى الله سبحانه إذ قال: «ما كان لله أن يتّخذ من ولد»: ٣٥) فذكر بلفظ الكفر، وأمّا قصّته في هذه السّورة فمجملة، فوصفهم بلفظ دونه وهو الظلم.

سابعها ـ انّ الله تعالى قد كرّر ما ذكر في أوائل السّورة قائلا: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض...»: ٩) في أواخرها: «ولئن سئلتهم من خلقهم...»: ٨٧) تنبيهاً وتسفيهاً وتعجيباً من حال المشركين العرب بأنّهم يعترفون بوحدانيّة الصّانع للسّموات والأرض ولأنفسهم ثمّ يجعلون له أنداداً!

ثامنها ـ أن نشير في المقام إلى صيغ عشر لغات ـ أوردنا معانيها اللغويّة على سبيل الإستقصآء في بحث اللغة من هذه السّورة ـ الصّيغ الّتي جآئت في هذه السّورة وفي غيرها من السّور القرآنيّة:

١ ـ جآئت كلمة (المضى) على صيغها في القرآن الكريم نحو خمس مرّات:

١ ـ سورة الزّخرف: ٨) ٢ـ سورة الأنفال: ٣٨) ٣ـ سورة الكهف: ٦٠) ٤ـ سورة الحجر: ٦٥) ٥ـ سورة يس: ٦٧)٠

٢ ـ جآئت كلمة (الجزء) على صيغها في القرآن الكريم نحو ثلاث مرّات:

١ ـ سورة الزّخرف: ١٥) ٢ـ سورة الحجر: ٤٤) ٣ـ سورة البقرة: ٢٦٠)٠

٣ ـ جآئت كلمة (الترف) على صيغها في القرآن الكريم نحو ثمان مرّات:

١ و ٢ـ سورة المؤمنون: ٣٣و٦٤) ٣ـ سورة الأنبيآء: ١٣) ٤ـ سورة هود: ١١٦) ٥ـ سورة سبأ: ٣٤) ٦ـ سورة الزّخرف: ٢٣) ٧ـ سورة الواقعة: ٤٥) ٨ـ سورة الإسراء: ١٦)٠

٤ ـ جآئت كلمة (الزّخرف) على صيغها في القرآن الكريم نحو أربع مرّات:

١ ـ سورة الزّخرف: ٣٥) ٢ـ سورة الإسراء: ٩٣) ٣ـ سورة يونس: ٢٤) ٤ـ سورة الأنعام: ١١٢).

٥ ـ جآئت كلمة (الصّمّ) على صيغها في القرآن الكريم نحو خمس عشرة مرّة:

٦ ـ جآئت كلمة (النكث) على صيغها في القرآن الكريم نحو سبع مرّات:

١ و ٢ـ سورة الفتح: ١٠) ٣و٤ـ سورة التّوبة: ١٢و١٣) ٥ـ سورة الزّخرف: ٥٠) ٦ـ سورة الأعراف: ١٣٥) ٧ـ سورة النّحل: ٩٢).

٧ـ جآئت كلمة (الخلال والخليل) على صيغها في القرآن الكريم نحو ١٣ مرّة:

٨ ـ جآئت كلمة (الفتر) على صيغها في القرآن الكريم نحو ثلاث مرّات:

١ ـ سورة الزّخرف: ٧٥) ٢ـ سورة المآئدة: ١٩) ٣ـ سورة الأنبيآء: ٢٠).

٩ ـ جآئت كلمة (المكث) على صيغها في القرآن الكريم نحو سبع مرّات:

١ ـ سورة النّمل: ٢٢) ٢ـ سورة الرّعد: ١٧) ٣ـ سورة طه: ١٠) ٤ـ سورة القصص: ٢٩) ٥ـ سورة الإسراء: ١٠٦) ٦ـ سورة الزّخرف: ٧٧) ٧ـ سورة الكهف: ٣).

١٠ ـ جآئت كلمة (البرم) على صيغها في القرآن الكريم نحو مرّتين:

١ و ٢ ـ سورة الزّخرف: ٧٩).

## ﴿التّناسب وجهاته﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور على جهات ثلاث:

**أحدها** ـ التّناسب بين هذه السّورة وما قبلها نزولاً.

**ثانيها** ـ التّناسب بين هذه السّورة وما قبلها مصحفاً.

**ثالثها** ـ التّناسب بين آيات هذه السّورة نفسها:

**أمّا الاولى و الثّانية:** فالتّناسب بينها ـ حيث إنّ سورة الزّخرف نزلت بعد سورة الشّورى، و وقعت بعدها مصحفاً ـ نزولاً ومصحفاً فبامور:

**أحدها** ـ التّناسب الموضوعي بينها، حيث إنّ غرض سورة الشّورى هو الوحى السّماوي والشّريعة المطلقة والولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين والشّريعة الخاصّة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم وغرض سورة الزّخرف هو إستمرار الوحي وبقآئه والإنذار في الشّريعة المحمّديّة إلى يوم القيامة إتماماً للحجّة على النّاس في كلّ ظرف من الظّروف...

**ثانيها** ـ يلحظ أنّ عروبة القرآن الكريم وصلته بالله تعالى كانت موضوعاً رئيسيّاً في السّور الثّلاث، وبخاصّة في سورتى فصّلت والشّورى، ثمّ في هذه السّورة: «الزّخرف» فضلاً عمّا قبلها ممّا يدلّ على اشتداد لجاج الكفّار المشركين العرب في هذا الموضوع، وعلى صحّة ترتيب هذه السّور وتتابعها في التّزول، وهو على ما هو المتبادر سبب ماروى عن سلسلة الحواميم السّبع، واسلوب الآيات والتّوكيد بمؤكّدات

مختلفة... يؤيّد القول: إنّ المقصد من تعبير القرآن والكتاب مرّة بعد اخرى كان في بدء الأمر القسم الّذي احتوى الآيات المحكمات في مبادئ الدّعوة وأُسسها...

ثالثها ـ التّناسب بين أوّل هذه السّورة، وأوّل ماقبلها، وذلك أنّه لمّا جآء في أوّل سورة الشّورى: «حٰمٓ عٓسٓقٓ كذلك يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك الله العزيز الحكيم» وكان المراد بالوحي المشار إليه هنا هو الوحي بتلك الحروف المقطّعة الّتي هي من كلام الله جلّ وعلا لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من دون وساطة ملك، وأنّ هذا الوحي هو أشبه بالرّمز والإشارة بحيث لا يفهم ماورآئها إلّا المُوحى إليه وأهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين، فإنّهم وحدهم، هم الرّاسخون في العلم إذ قال الله تعالى: «وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم» آل عمرآن: ٧).

جآء في أوّل سورة الزّخرف هذه: «حٰمٓ والكتاب المبين إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون» فكان في هذا إشارة إلى ما يوحى إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من آياته وكلماته عن طريق رسول الوحي السّماوي جبرئيل عليه السّلام مع ماتلقّاه وحياً مباشراً من ربّه.

وهذا الموحى به عن هذا الطّريق ـ طريق الرّسول السّماوي ـ هو الّذي يستطيع أهل اللسان العربيّ أن يفهموا دلالات ألفاظه، ومفاهيم آياته ومعاني كلماته... إن تعقّلوا لأنّه بلسانهم الّذي يتكلّمون به، وبألفاظهم الّتي يتعاملون بها، فليس إذن كلّ القرآن من هذه الوحي الرّمزيّ الّذي اختصّ رسول الله وأهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين بفهمه، والعمل به، دون أن يطالب غيرهم من المؤمنين بالبحث عن دلالته، وإن كانوا مطالبين بالتعبّد بتلاوته.

رابعها ـ هو التّناسب بين أوّل هذه السّورة وآخر ماقبلها: أنّه لمّا جآء في ختام سورة الشّورى: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ـ وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الّذي...»: ٥٢ـ٥٣) جآء في مفتتح سورة الزّخرف: «إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون وإنّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» بياناً لهذا النّور الّذي يهدى به من اهتدى إلى صراط الله جلّ وعلا وهو أنّه قرآن كريم بلسان عربيّ مبين، وإنّه

بهذا اللسان هو نعمة جليلة أنعم الله تعالى بها على العرب الّذين كان معهم وحدهم مفاتح الطّريق إلى هذا النّور وكان إليهم قيادة النّاس جميعاً إلى الهدى.

ثمّ كان قوله تعالى بعد ذلك: «أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين»: ٥) تهديداً لهؤلآء الّذين جعل الله بأيديهم مفاتح هذا النّور أن يصرف عنهم هذا العطآء الجزيل، إذا هم لم يؤدّوا الأمانة السّماوية إلى أهلها، ولم يقبلوا هذا العطآء حقّ القبول، ولم يحسنوا الإنتفاع به حقّ الإنتفاع، ولم يعملوا به حقّ العمل...

فمفتتح هذه السّورة يشاكل مختتم ماقبلها، فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل!

وأمّا الثّالثة: فمفتتح سورة الزّخرف ومختتمها وفصولها وآيها مترابطة ومتساوقة تسوغ القول: إنّها نزلت متتابعة، بحيث زعم بعض المفسّرين أنّها نزلت دفعة واحدة.

فلمّا إبتدأت بحرفي الحآء والميم ـ وهما رمز بين الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإشارة إلى معان وأُمور لايعرفها الاّ اهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم اجمعين فانّهم الراسخون في العلم ـ للإسترعآءِ إلى مابعدهما... أقسم جلّ وعلا بكتابه الواضح في أهدافه ودعوته... أنّه جعله يقرأ باللغة العربيّة، مع ذكر حكمة الجعل وغرضه: «والكتاب المبين ـ لعلكم تعقلون»: ٢و٣) فإنّ العقل هو خير وسيلة يتوسّل بها إلى الإفادة من معانيه ومفاهيمه...

إنّ الله تعالى لمّا أشار إلى غاية جعل القرآن، وصفه بصفتين من صفات الله جلّ وعلا وهما: العليّ والحكيم، تعظيماً له، وتنبيهاً إلى منزلة هذا الكتاب الّذي لابد أن يقرأ باللغة العربيّة عند الله تعالى، وشرفه في الملا الأعلى، وقيمته في تقديره الأزليّ الباقي بقوله تعالى: «وإنّه في أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم»: ٤) فإنّه بمثابة الأصل لسآئر الكتب السّماوية النّازلة على المرسلين، فلابد وأن يقرأ باللغة العربيّة الّتي هي بمثابة الأصل لسآئر اللغات، كما أنّ مكّة المكرّمة بمثابة الأصل لسآئر القرى، حيث إنّ أصل كلّ شيء امّه.

إنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن علوّ شأن القرآن العظيم، وحقّق أن إنزاله على لغة العرب ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه، عقب ذلك بإنكار أن يكون الأمر بخلافه، فخاطب

الّذين لم يعتبروا به ولم يعقلوه، بل جحدوا ما فيه من الحكمة والبيان، فقال على وجه الإنكار عليهم: «أفنضرب عنكم الذّكر...»: ٥) إشعاراً باقتضآء الحكمة توجه الذّكر إليهم وملازمته لهم كأنّه يتهافت عليهم، فكأنّه قال: لن نترك تذكيركم وإنذاركم بالذّكر بسبب إعراضكم عنه، ولاندعكم مهملين قطّ، بل نحتجّ عليكم برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبإمام بعده وبحجج بعده إلى يوم القيامة.

ثمّ ذكر التّهديد المخيف لأن يلوح لهم بعد ذلك بالإهمال من حسابه، ورعايته جزآء إسرافهم القبيح، وإلى جانب هذا التّهديد ذكر سنّته تعالى في المكذّبين المستهزئين بعد إرسال النّبيّين... مسليّاً لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن إستهزآء قومه وعزآء على تكذيبهم، آمراً له بالصّبر، مهدّداً للمشركين العرب منذراً لهم بشديد العقاب بقوله: «وكم أرسلنا من نبيّ في الأوّلين...»٦-٧).

ثمّ ذكر عقبى تكذيبهم واستهزآئهم برسله تسلية لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتحذيراً لقومه المشركين العرب: «فأهلكنا أشدّ منهم...»: ٨).

إن الله جلّ وعلا لمّا ذكر أن المشركين العرب انهمكوا في الشّرك والطّغيان، وأعرضوا عمّا جآء به القرآن، وذكّرهم بقصّة الأقوام المستهزئين من قبلهم، و وخامة عواقب أمرهم على سبيل الإجمال... أبان هنا أنّ أفعالهم تخالف عقآئدهم وأقوالهم... بأخذ الأدلّة الواضحة والإقرار منهم على وحدانيّته وربوبيّته أوّلاً، ولكمال قدرته وسعة علمه ثانياً بذكر الصّفات الثّلاث: الأولى: كونه خالقاً: «من خلق السّموات والأرض» الثّانية: كونه عزيزاً يغلب على كلّ شيء، فأشار بعزّته إلى كمال قدرته. الثّالثة: كونه عليماً، فأشار به إلى كمال علمه في تكوين الكون ونواميس الوجود، فقدرته على أساس العلم: «ولئن سئلتهم...»: ٩).

فأخذ الإقرار منهم حسب ماتقتضيه الفطرة تنبيهاً على سخافة عقولهم وقلّة محصولهم، فإنّهم مع الإقرار بأنّ خالق السّموات والأرض هو الله يعبدون الأوثان والأصنام... فكفرهم كفر عناد ولجاج لأنّهم يعرفون الله ثمّ يشركون به، وينكرون رسوله وكتابه وقدرته على البعث...

ثمّ فصّل خلق السّموات والأرض، ودلّ على نفسه بذكر مصنوعاته... بقوله: «الّذي جعل لكم الأرض مهداً...»: ١٠) ثمّ أشار إلى خلق أوّل مايحتاج إليه الإنسان في حياته على وجه الأرض: «والّذي نزّل من السّمآء مآء...»: ١١) ثمّ ذكّرهم بما أنعم عليهم من النّعم فيعرفوا منعمهم ولا يغفلوا عنه: «والّذي خلق الأزواج كلّها- وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون»: ١٢-١٤) فلمّا ذكر إظهار المنّة على العباد بجعل السّبيل، ذكر تسهيله السّير بخلق المراكب للسّير بقوله: «وجعل لكم من الفلك ...»: ١٣)

إنه تعالى لمّا أثبت التّوحيد بالأدلّة الآفاقيّة والأنفسيّة بعد أخذ الإقرار من مشركي العرب بوحدانيّته في الإيجاد، ذكر أنّهم أشركوا بالله سبحانه في الوجود مع أنّهم اعترفوا بأنّ ماسوى الله فهو مخلوق لله تعالى، فكيف له شريك في الوجود؟ وكيف يصفونه بصفات المخلوقين المنافية لكونه خالقهم، فوبّخهم على هذا التّناقض والمكابرة وأكّد كفرهم هذا بقوله: «وجعلوا له من عباده جزءاً إنّ الإنسان لكفور مبين» ١٥).

ثمّ بيّن كفرانهم، وزاد في الإنكار عليهم، والتّوبيخ والتّجهيل والتّعجيب من شأنهم حيث إنّهم لم يقنعوا بأن جعلوا له سبحانه جزءاً حتّى جعلوا له من مخلوقاته أجزآءً أخصّ ممّا اختير لهم وأبغض الأشيآء إليهم بحيث إذا بُشّر بها أحدهم اشتدّ غمّه به، فأعطوه سبحانه أخسّ صنفي الأولاد، وأخصّوا أنفسهم بأشرفهما، وهذا مع كونه قولاً محالاً في نفسه، إزرآء وإهانة ظاهرة وكفران: «أم اتّخذ ممّا يخلق بنات...»١٦).

ثمّ زاد التّوبيخ والإنكار والإحتجاج عليهم بقوله تعالى: «وإذا بشّر أحدهم...»: ١٧).

تنبيهاً على شدّة سخفهم، وتسفيهاً لهم ولقسمتهم تلك الجآئرة... أنّهم لا يرضون أن تكون البنات ممّن يولد لهم، فاذا ولد لأحدهم انثى امتلأت نفسه غمّاً وكمداً لم يكد يقدر على كتمه وكظمه، فكيف ينسب إلى الله سبحانه من هو- حسب تقديرهم هذا- مصدر همّ وغمّ؟ أهذا أدب مع الله تعالى عند من يعترف بوجود الله؟

ثمّ كرّر الإنكار والتّوبيخ والإحتجاج عليهم وأكدها بتعديد طرف من نقصان الإناث... بقوله: «أو من ينشّؤا في الحلية...»: ١٨).

ثمّ أوضح كذبهم وافترآئهم، وبيّن جهلهم في نسبة الأولاد إلى الله سبحانه، ثمّ في تحكّمهم بأنّ الملائكة اناث، وهم بنات الله سبحانه، ثمّ ردّهم وأوعدهم بقوله: «وجعلوا الملائكة...» ١٩).

ثمّ ذكر نوعاً آخر من كفرهم وشبهاتهم، وردّ عليهم بقوله تعالى: «وقالوا لو شآء الرّحمٰن ماعبدناهم...»: ٢٠).

إنّ الله تعالى لمّا أبطل عقيدة المشركين العرب وردّ عليهم لفقدان الحجّة لهم عليها من جهة العقل، أبطلها لفقدان الحجّة لهم عليها من ناحية النقل بقوله: «أم آتيناهم كتاباً من قبله...»: ٢١).

فليس لهم على شركهم وعبادتهم للملائكة حجّة عقليّة ولا دليل نقليّ، فلايستندون فيها إلى علم ولا بيّنة، وإنّماهم متوهمون توهّماً محضاً. إنّ الله تعالى حكى عنهم في سبع آيات: (١٥-٢١) ثلاثة وجوه من الشرك والكفر، ليس لهم دليل عقليّ ولا نقليّ عليها: الأوّل: «وجعلوا له من عباده جزءاً ـ وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمٰن إناثاً ـ وقالوا لو شآء الرّحمٰن ماعبدناهم...» وقد أنكر وردّ عليهم غاية الإنكار وتمام الرّدّ فتأمّل جيّداً.

إنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن أنّ المشركين العرب لا حجّة لهم على مقالتهم من جهة العقل والنّقل، بيّن أنّ الأمر ليس كما يقولون، بل إنّ عقيدتهم تبتنى على التّقليد الأعمى من آبآئهم الجهلة مثلهم... فساروا على طريقتهم الضّالّة، وسلكوا نهجهم المعوج... فإنّهم كانوا يعتقدون أنّ ماهم عليه متّصل بشريعة ربّانيّة يتوارثونها جيلاً عن جيل: «بل قالوا إنّا وجدنا آبآئنا على امّة...»: ٢٢).

ثمّ سلّى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ التّقليد الأعمى دأب أسلافهم ودآء قديم مستمرّ المدى في جهّال بني آدم في كلّ ظرف من الظّروف، فليس هذا شأن هؤلآء المشركين العرب وحدهم، بل هو شأن أهل الضّلال وخاصّة الزّعمآء الّذين استغرقوا في الترف، وأبطرتهم النّعمة، وغيرهم من ضعفآء النّاس، همج الرّعآء تبعة لهم: «وكذلك ماأرسلنا من قبلك في قرية...»: ٢٣).

ثمّ حكى ماقاله كلّ رسول لامّته، وما أجابوهم إجابة تيئيس من اتباعهم لهم على كلّ حال، إذ ليسوا أهل منطق ولا دليل، فهم يكفرون بالله تعالى ورسله على كلّ حال، سوآء أقاموا الأدلّة على صدق رسالتهم، وأقامواالبراهين على فساد عقآئد هؤلآء الجهلة ومقالاتهم أم لا، لأنّهم يصرّون على طريقة آبآئهم الجهلة مثلهم... على كلّ حال: «قال أو لوجئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آبآءكم...»: ٢٤).

ثمّ ذكر تعالى مافعل بهؤلآء المقلّدين الجهلآء من الانتقام منهم بعد إتمام الحجّة عليهم، بسبب تقليدهم من آبآئهم الجهلة، وإصرارهم على تكذيب الرّسل من دون عذر لهم، فعلى السّامعين في كلّ ظرف، النّظر والإعتبار والإتّعاظ: «فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين»: ٢٥).

إنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن عاقبة المكذّبين، كلّ ذلك نشأت عن التّقاليد العميآء أمر رسوله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم بذكر برآئة إبراهيم عليه السّلام عن التّقاليد وإظهارها ممّا كان عليه أبوه وقومه ليرى هؤلآء المشركين العرب كيف رفض التّقليد الأعمى، وتمسّك بالدّليل والبرهان أشرف آبآئهم... وإن لم يكن لهؤلآء المشركين بدّ من التّقليد، فجدير أن يقلّدوا أشرف آبآئهم في رفض التّقليد الأعمى، فاذا كانوا يريدون التمسّك بتقاليد الآبآء فهذا هو تقليد أبيهم الأكبر، وعليهم أن يعودوا عن ضلالهم إليه، فالقول بالتقليد يوجب رفض التقليد، وذلك أنّ إبراهيم عليه السّلام كان أشرف آبآء العرب، وأنّه رفض دين الآبآء لأجل الدّليل والبرهان، فلو كانوا هم مقلّدين لآبآئهم لوجب أن يتّبعوه في الإعتماد على الدّليل لاعلى مجرّد التّقليد: «وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ...»: ٢٦).

ثمّ أشار إلى أنّ إبراهيم عليه السّلام لمّا رفض التقليد الأعمى هداه إلى صراط مستقيم: «إلّا الّذي فطرني»: ٢٧).

ثمّ أشار إلى أنّ رفض إبراهيم عليه السّلام التقليد الأعمى والتمسّك بالدّليل، صار سنّة باقية، إذ جعل هذا الأمر وصيّة دآئمة في ذرّيّته لعلّهم يرجعون إلى تقليده هذا، فيسيروا إلى ماسار إليه إبراهيم عليه السّلام من رفض التقليد، والتمسّك بالدّليل، ويتذكّر

من يضلّ منهم، فيعود عن ضلاله إليه: «وجعلها كلمة باقية...»: ۲۸).

ثمّ أضرب عمّا يُرجىٰ منهم من رجوعهم من التقليد الأعمى إلى التمسّك بالدّليل، فلم يرجعوا عنه إليه، فتّعت هؤلآء المشركين العرب وآبآءهم فتمتّعوا بنعمى حتّى «جآءهم الحقّ ورسول مبين»: ۲۹).

ثمّ وبّخهم على إعراضهم عن الحقّ، وعدم النّظر فيه، وعلى تعويلهم على التقليد، وعلى غفلتهم عن غفلتهم، وجهلهم بجهلهم كسابقيهم إذ «قالوا إنّا بما ارسلتم به كافرون»: ۲٤) بل ضمّوا إلى تقليدهم الأعمى معاندة الحقّ والاستخفاف به، ومكابرة الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قابلوا الدّعوة بالجحود و وصفوها بالسّحر: «ولمّا جآءهم الحقّ قالوا هذا سحر...»: ۳۰).

إنّ الله تعالى لمّا بيّن إصرار المشركين العرب على التقليد الأعمى، أخذ بذكر شبهات زعمآئهم في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونزول القرآن الكريم عليه، إذ كانوا يرون أنفسهم أحقّ بالنّبوّة ومهمّة الدّعوة لأنّهم أصحاب الحول والمكانة في بيئتهم: «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن...»: ۳۱).

فأجابهم الله تعالى على سبيل الإنكار والتّوبيخ والتّعجيب والتّجهيل والتهجين قولهم، مع بيان خطأهم في طلب الاصطفآء بحسب مايهوون، وبيان العلل لماسلف: «أهم يقسمون رحمة ربّك...»: ۳۲).

إنّ الله عزّوجلّ لمّافضّل أمر الرّسالة على الدّنيا ومتاعها، أخذ بذكر حقارة الدّنيا وقلّة مقدارها عنده بحيث لايقاس الدّين بالدّنيا قطّ: «ولولا أن يكون النّاس امّة واحدة...»: ۳۳).

مع زيادة التّقرير: «ولبيوتهم أبواباً...»: ۳٤).

ثمّ بيّن أنّ هذه الأمتعة كلّها قصيرة الأمد، سريعة الزّوال، فهي متاع الحياة فانية، ثمّ حثّ النّاس على المتعة الحقيقيّة وهي متعة الآخرة الباقية لاينالها إلّا المتّقون: «وزخرفاً وإن كلّ ذلك...»: ۳٥).

إنّ الله تعالى لمّابيّن أنّ مادّة كلّ الآفات وأصل جميع البليّات هو الاشتغال

بالمحسوسات والانهماك في الشّهوات، والرّكون إلى الدّنيا، والسّكون إلى أهلها، فإنّ ذلك بمنزلة الرّمد للبصر ويصير بالتّدريج كالعشى ثمّ كالأعمى، وانتهى كلامه إلى الوعد للمتّقين، وأنّ الآخرة لهم، عقبه بذكر الوعيد وسوء عاقبة أمر المعرضين عن الحقّ، المتعامين عن ذكر الرّحمٰن مع الإشارة إلى أمرهم من أوّله وهو إنّ اعراضهم عن آيات الله وبيّناته، وتعاميهم عن ذكر الله جلّ وعلا يورثهم ملازمة قرنآء الشّياطين، فيلازمونهم مضلّين لهم حتّى يروا عذاب الآخرة معهم: «ومن يعش عن ذكر الرّحمٰن ...» : ٣٦).

ثمّ أشار إلى أوّل آثار الشّؤم وأهمّها لهذا الاقتران في الحياة الدّنيا، وهو إنّ الشّياطين القرنآء يصدّون المتعامين عن سبيل الله، ويدفعون بهم إلى طرق الغواية والضّلال ويزيّنونها حتّى ليحسبون أنّهم مهتدون: «وإنّهم ليصدّونهم ...» : ٣٧).

ثمّ أشار إلى أوّل آثار الشّؤم لهذا الاقتران يوم القيامة وهو النّدامة والحسرة على هذه الصّلة والرّفاقة، فيتمنّون التباعد عنهم، ولكنّهم لايتباعدون: «حتّى إذا جآءنا ...» : ٣٨).

ثمّ حكى ماسيقال لهم يوم القيامة توبيخاً وتأنيباً: إنّ هذه النّدامة يومئذ على هذه الرّفاقة لاتنفعهم، فالتّابع والمتبوع، والرّئيس والمرؤس، والضّالّ والمضلّ، والقادة والمردة الجهلة ... كلّهم في العذاب مشتركون: «ولن ينفعكم اليوم ...» : ٣٩).

لمّا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يضيق صدره بإعراض المشركين العرب عن الذكر، وتخبّطهم في طرق الغواية والضّلال، غيرملتفتين إلى الدّاعي الّذي يدعوهم إلى النّجاة والسّعادة سلاّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «أفأنت تسمع الصّمّ ...» : ٤٠).

إنّ الله تعالى لمّا أيأس رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من إيمان هؤلآء المتعامين عن ذكر الرّحمٰن، خاطبه مسلّياً له صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإنتقام منهم لإعراضهم عن الذّكر وتكذيبهم الرّسالة إمّا حال حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم وإمّا بعد موته صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فإمّا نذهبنّ بك ...» : ٤١-٤٢).

ثمّ أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالتمسّك بالقرآن الكريم وهو حبل الله المتين لاينفصم، أعرض عنه المتعامين فضلّوا وذلّوا في الدّنيا والآخرة، فمن تمسّك به فهو على صراط مستقيم يؤدّي إلى الحقّ المطلوب، حيث يستقيم بصاحبه حتّى يوصله إلى، فلا يضلّ ولا يشقى: «فاستمسك بالّذي...»: ٤٣).

ثمّ أشار تعالى إلى مايستحثّه صلّى الله عليه وآله وسلّم على التمسّك بالقرآن الكريم: «وإنّه لذكر لك...»: ٤٤).

إنّ الله عزّوجلّ لمّا أمر رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالتّمسّك بالوحي أمره أيضاً أن يسئل الرّسل قبله عمّا أُوحِيَ إليهم من أمر التّوحيد وهو الموضوع الرّئيسيّ لرسالة الرّسل أجمعين إذ قال تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبيآء:٢٥) فهذا الوحي مؤيّد بشهادة الرّسل الّذين أرسلهم الله عزّوجلّ قبله صلّى الله عليه وآله وسلّم فليسئلهم ليتأكّد من ذلك: «واسئل من أرسلنا من قبلك...»: ٤٥).

والغرض هنا من سئوال رسل الله هو استشهاد كتب الله السّماويّة وأهلها على هذا الوحي، وإبطال ماعليه المشركون العرب من عبادتهم للأوثان والأصنام والكواكب والملائكة والطّواغيت... وما إليها من المعتقدات الفاسدة الّتي ليست من دين الله في شيء، فتقليدهم من آبآئهم الجهلة مثلهم باطل تماماً لم يأت بشريعة من الشّرائع...

ولا يخفى على القارئ الخبير طيّب الولادة: أنّ الأمر بالتّمسّك بالوحي، والسّئوال عن الموحىٰ إليهم من الرّسل عليهم السّلام لاينافى التّمسّك بأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، والسّئوال عنهم، على ماسيأتي من الرّوايات الكثيرة فانتظر وتدبّر فإنّ المقام مزلّة الأقدام... لا يضلّ من له طيب الولادة.

إنّ الله تعالى لمّا ذكر أنّ زعمآء المشركين العرب لمّا جآءهم الحقّ سخروا منه وقالوا: هذا سحر، وكفروا به، وطعنوا في نبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لكونه فقيراً عديم المال والجاه... تبعاً لسنّة فرعون طاغي مصر، لا تقليداً عن آبآئهم الجهلة

مثلهم، بيّن هنا أنّ موسى عليه السّلام لمّا جآء فرعون وأشراف قومه بآياتنا ضحكوا منها وسخروا وكفروا بها، وطعن فرعون في نبوّة موسى عليه السّلام وأورد هذه الشّبهة الّتي أو ردها هؤلآء الزّعمآء قبلهم، إذ كان يحتجّ فيا يخاطب به قومه على أنّه خير من موسى بملك مصر، وأنهار تجرى من تحته، فاستخفّهم فأطاعوه، فآل أمرهم تقليدهم الأعمى من فرعون أن ينتقم الله تعالى منهم فيغرقهم، ويجعلهم سلفاً ومثلاً للآخرين: «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه ـ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين»: ٤٦-٥٦).

فالمناسبة هي هذا الشّبه القريب بين فرعون طاغي مصر، وبين فراعنة المشركين العرب الّذين كانوا ينظرون إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من سمآء عالية من الغرور الكاذب والوهم الخادع، فيكذبون رسول الله ويهزؤن به، لالشئ إلّا لأنّه ليس أكثرهم مالاً ولا أو سعهم غنى، وإنّهم لينكرون أن يختار الله لرسالته من لا يختارونه هم للرّياسة عليهم وللسّيادة فيهم.

وأيضاً لمّا قال: «واسئل من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا...» ذكر هنا حديث موسى وعيسى عليها السّلام وهما أكثر الأنبيآء أتباعاً، وأهل الكتابين ينتسبون إليها، وقد جآءا بالتّوحيد، ولم يكن فيا جآءا به إباحة إتخاذ آلهة من دون الله.

وأيضاً لمّا أعلم رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه منتقم له من عدوّه وأقام الحجّة باستشهاد الرّسل، واتّفاق الكلّ على التّوحيد، أكّد ذلك بقصّة موسى وفرعون، وما كان من فرعون من التكذيب وما نزل به وبقومه من الإغراق والتكذيب تسلية لرسوله وتطييباً لقلبه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

لمّا انتهت قصّة موسى عليه السّلام إلى الإنتقام من فرعون وقومه في الحياة الدّنيا بالإغراق والهلاك والخزى وجعله مثلاً فيا ينتهي إليه طريق الطغاة والمستكبرين، والبغاة والمكذّبين بآيات الله تعالى وبرسله... أخذ بحديث عيسى عليه السّلام يحتوي صورة من صور اللجاج والخصومة الشّديدة الّتي كانت عليها زعماء المشركين العرب، وفصلاً من فصول الجدل التى كانت تقع بينهم وبين محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى ينتهى إلى عذاب الآخرة للظّالمين الّذين كانوا يختلفون في أمر عيسى عليه السّلام كاختلافهم في أمر

المهديّ الإمام الثّاني عشر الحجّة بن الحسن العسكرى عجّل الله تعالى فرجه الشّريف: «ولمّا ضرب بن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون ـ فويل للّذين ظلموا من عذاب يوم أليم» :٥٧ـ٦٥).

إنّ الله تعالى لمّا ضرب للمشركين العرب مثلاً بعيسى بن مريم عليه السّلام وبما كان منهم من شغب في هذا المثل وماكان من بني إسرآئيل من خلاف في شأنه أعاد الخطاب إلى هؤلآء المشركين تهديداً لهم بما سيحلّ بهم إذا هم أمسكوا بما هم عليه من شرك وضلال، من بغى وعناد ، ومن ظلم ولجاج... وتحذيراً لهم على ماهم فيه من الخلاف دون أن يتبيّنوا وجه الحقّ فماذا ينتظرون؟ إنّه ليس وراء هذا الإنتظار إلّا أن يموتوا على شركهم، ويجدوا أنفسهم فجأة، ومن دون توقّع منهم ـ أنّهم بين يدى عذاب الله الّذي أعدّ للظّالمين المكذّبين: «هل ينظرون إلّا السّاعة...» :٦٦).

إنّ الله عزّوجلّ لما ذكر وقوع السّاعة بغتة، أخذ ببيان الأحوال المختلفة للنّاس في ذلك اليوم، فنها أنّ الأصدقآء يتعادون فيه، وينقلب الأخلآء فيه أعداء، وينشغل كلّ بنفسه، ولا ينجو من المصير الرّهيب إلّا من تخالّوا على التّقوى والإيمان، على الإعتقاد لا الإقتصاد، وعلى الدّين لا الدّنيا: «الأخلآء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين» :٦٧).

ثمّ أخبر جلّ وعلا بما يقال لهؤلآء المتّقين المطيعين من عباده المتحابيّن في الله تعالى، فإنّه يناديهم بهذا النّدآء الكريم تشريفاً لهم وتسكيناً لروعهم ممّا يرون من الأهوال: «يا عباد لا خوف عليكم اليوم...» :٦٨).

ثمّ وصفهم وميّزهم من غيرهم بهذا النّدآء وذلك التّكريم: «الّذين آمنوا بآياتنا...» :٦٩).

ثمّ يدعوهم إلى ضيافته في الجنّة: «ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم...» :٧٠).

ثمّ بيّن طرفاً ممّا يتمتّعون فيها من أنواع نعيمها، فأشار أوّلاً إلى صنوف الأطعمة وألوان الأشربة... ثمّ عمّم النّعيم ثانياً إلى الأشيآء المعقولة والمسموعة المتنوّعة، وما إليها ممّا تطلبه النّفوس وتهواه وتلذّ الأعين كآئناً ماكان ممّا لا عين رأته ولا اذن سمعته، ولا خطر بقلب، مع الإخبار والوعد والبشارة بالخلود فيها: يطاف عليهم

بصحاف من ذهب...»: ٧١).

ثمّ ذكر أنّ هذا كان فضلاً من ربّكم آتاكموه كفاء صالح أعمالكم الّتي أسلفتموها: «وتلك الجنّة الّتي أورثتموها...»: ٧٢).

لمّا ذكر تعالى المآكل والمشارب وغيرهما من النّعم الّتي لا تُحصى... أشار إلى أنواع الفواكه الّتي لا تنقطع فيها: «لكم فيها فاكهة كثيرة...»: ٧٣).

إنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن أحوال المتّقين يوم القيامة، وما أعدّلهم من النّعيم في الجنّة أشار إلى أحوال المجرمين، ومصير المنحرفين عن طريق الحقّ والهدى، وخلودهم في نار جهنّم، مقابلة لو صف مصير المتّقين جرياً على الاسلوب القرآني: «إنّ المجرمين في عذاب جهنّم...»: ٧٤).

ثمّ وصف العذاب بالدّوام، فلا يخفّف عنهم أبداً، وهم في يأس دائم، وحزن لا ينقطع: «لا يفتّر عنهم...»: ٧٥).

ثمّ ذكر أنّ ذلك العذاب الّذي هم فيه ليس إلّا جزآءً وفاقاً لما دسّوا به أنفسهم من العقائد الباطلة، وسيّئ الأعمال، وارتكاب المعاصي وفعل القبآئح... فلم يكن لظلم وقع عليهم: «وما ظلمناهم...»: ٧٦).

ثمّ أردف ذلك بمقال أهل النّـار لمالك جهنّم وهو رئيس خزنتها، وطلبهم منه أن يطلب هو من ربّه أن يموتوا حتّى يستريحوا ممّا هم فيه من العذاب الدّآئم، ثمّ إجابته لهم عن ذلك من دون طلبه من ربّه: «ونادوا يا مالك ...»: ٧٧).

إنّ الله تعالى لمّا بيّن مآل أمر الفريقين: المتّقين إلى الجنّة ونعيمها، والمجرمين إلى نار جهنّم وعذابها، أعاد إلى كلام سابق، خطاباً منه لأكثر المشركين العرب، على لسان رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهم كانوا في هذا الوقف يقفون من الدّعوة الحقّة هذا الموقف العنادي، فأبوا أن يستمعوا لآيات الله تعالى وأن يستجيبوا لها، خاطبهم خطاب تقريع وتوبيخ، وهم يُدعَون ـ وموقفهم هذا ـ إلى هذه النّار الّتي يعذّب فيها المجرمون الّذين ينادون مالكاً قائلين: «ليقض علينا ربّك» فخاطبهم ردّاً عليهم: «لقد جئناكم بالحقّ...»: ٧٨).

ثمّ ذكر كيفيّة مكرهم وفسادهم وسوء سريرتهم وخبث باطنهم، مع توبيخهم وتهديدهم وتجهيلهم، والتّعجيب من حالهم: «أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون» : ٧٩).

فكلّما أحكموا أمراً في المكر برسولنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فانّا نحكم أمراً في مجازاتهم.

ثمّ ذكر ماأحكموا تدبيرهم من ردّ الحقّ وإعلآء شأن الباطل، ظنّاً منهم: إنّا لانسمع سرّهم ونجواهم، وقد وهموا فيما ظنّوا أنّ الله غافل عمّا يعملون، وإنّ الله تعالى عليم بذلك كلّه، ثمّ أكّد علمه بأنّ حفظة الأعمال يكتبون كلّ ماصدرعنهم من قول أو فعل لايمكن الإنكار: «أم يحسبون أنّا لانسمع سرّهم...» : ٨٠).

ثمّ أمر الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بإبطال اُلوهيّة الولد لله سبحانه بإبطال أصل وجود الولد لله سبحانه: «قل إن كان للرّحمٰن ولد...» : ٨١).

ثمّ وصف نفسه منزّهاً عمّا هم يقولون به من اتّخاذ الولد، وعن كلّ مايقتضي الحدوث ممالا يليق بذاته: «سبحان ربّ السّموات...» : ٨٢).

إنّ الله عزّوجلّ لمّا ذكر الأدلّة القاطعة على نفي الولد عنه سبحانه أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يترك المشركين العرب وشأنهم ليخوضوا في باطلهم، ويقضوا أوقاتهم في اللهو واللعب بدنياهم حتّى يلاقوا يوم القيامة لأنّهم انهمكوا في الكفر والعصيان بحيث لايمكن انقاذهم من لجّة الشّرك والطّغيان... «فذرهم يخوضوا ويلعبوا...» : ٨٣).

إنّ الله تعالى لمّا نفى الشّريك عن نفسه في الوجود، أردف ذلك بنفي الشّريك عن ذاته في الإيجاد، مع وصف ذاته بصفتي الحكمة والعلم: «وهو الّذي في السّمآء إله...» : ٨٤).

ثمّ نفى الشّريك عن ذاته في التّدبير: «وتبارك الّذي له ملك السّموات والأرض...» : ٨٥).

فمن لاشريك له في الوجود، ولا شريك له في الإيجاد، ولا في التّدبير، فهو وحده يليق للعبادة ويرجع إليه وحده كلّ شيء.

ثمّ نفى الشّريك عن ذاته في العبادة: «ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة...»: ٨٦).

حيث إنّ من المشركين العرب طائفة كانوا يعبدون الملائكة الّذين زعموا أنّهم بنات الله، وهم يقولون: «مانعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى» الزّمر: ٣).

إنّ الله تعالى لمّا نفى عن ذاته أنحآء الشّرك كلّها وهي أربعة: الشّرك في الوجود، الشّرك في الإيجاد، الشّرك في التّدبير، والشّرك في العبادة بيّن أنّ أقوال المشركين تناقض أفعالهم تعجيباً من حالهم، وتجهيلهم وتسفيههم، لأنّهم يعترفون بالصّانع ثمّ يجعلون له أنداداً: «ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى تؤفكون»: ٨٧).

إن الله عزّوجلّ لمّا ذكر تناقض أقوال المشركين أفعالهم، فكفرهم كفر عناد ولجاج، حكى شهادة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الّذي خبر حالهم، وعرف الدّاء المتمكّن منهم، ويأسه صلّى الله عليه وآله وسلّم من إيمانهم، وأنّهم وقفوا المواقف العنيدة المناوئة، تعجيباً شديداً من إشراكهم بعد إقامة تلك الأدلّة القاطعة على التّوحيد واعترافهم به، فقال شاكياً إلى ربّه: «يا ربّ إنّ هؤلآء قوم لايؤمنون»: ٨٨).

ثمّ سلّى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بإعمال الخلق الحسن معهم، والإغضآء عنهم وتركهم وشأنهم إلى أوان النّصر والظّفر، فسيعلمون من هو على الحقّ ومن هو على الضّلال: «فاصفح عنهم...»: ٨٩).

## ﴿النّاسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

قيل: إنّ قوله تعالى: «فإنّا منهم منتقمون» الزّخرف: ٤١) منسوخة بآية السّيف: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ...» التّوبة: ٥).

**أقول:** إنّ الآية الكريمة في مقام التّهديد والوعيد بعذاب حتم، وأين هذا من النّسخ!

وقيل: إنّ قوله عزّوجلّ: «فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الّذي يوعدون»: الزّخرف: ٨٣) منسوخة بآية السّيف.

**أقول:** إنّ المقام ـ كأكثر المقام ـ خلط بين مورد التّهديد والوعيد، وبين النّسخ.

**في المجمع:** في قوله تعالى: «فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون» الزّخرف: ٨٩) قال: «وهذا منسوخ بآية السّيف عن قتادة وقيل: معناه فاصفح عن سفههم ولا تقابلهم بمثله ندبه سبحانه إلى الحلم فلا يكون منسوخاً عن الحسن».

**أقول:** إنّ الآية الكريمة كالآيتين السّابقتين في مقام الوعيد والتّهديد للمشركين فلا نسخ.

ولم أجد في هذه السّورة المباركة غير لفظة «حم» آية متشابهة، فآيها غيرها محكمات والله تعالى هو أعلم.

## ﴿تحقيق عميق في الأقوال﴾

**١ - (حم)**

في «حم» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أي قضى ماهو كائن أي بيّن. ٢- قيل: «حم» قسم، ولله تعالى أن يقسم بما شآء. ٣- قيل: «حم» من المتشابهات، والله تعالى هو أعلم بمراده به. ٤- قيل: إسم للسّورة، وإنّما كرّر ذكر «حم» لأنّه ينبئ عن استفتاح السّورة بذكر الكتاب على وجه التّعظيم إذ على ذلك جميع الحواميم السّبع، فهو إسم عَلَم للسّورة مضمّن بمعنى الصّفة من وجهين: أحدهما- أنّها من الحروف العربيّة.

ثانيها- أنّه استفتحت بذكر الكتاب على طريق المدحة.

٥ - قيل: «حم» إشارة إلى الحنّان والمنّان اللّذين هما من اسمآء الله تعالى، ومعنى الحنّان أنّه يرحم بعد السّؤال، والمنّان قبله. وفي داخل الكعبة ثلاث اسطوانات: «اسطوانة الحنّان وأُسطوانة المنّان، واسطوانة الدّيّان. ٦- قيل: «حم» حرف من الإسم الأعظم. ٧- قيل: «حم» الحميد المجيد. ٨- قيل: «حم» رمز وإشارة إلى امور ومعان لايعلمها إلّا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٩ - قيل: اريد بـ «حم» محمّد رسوله الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث إن الله تعالى أقسم بالكتاب المبين، أنّه أنزله في ليلةمباركة، ولا مُنزل له إلّا قلبه المنير كما أنّ قوله تعالى: «رحمة من ربّك» لمحة لامعة أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم المخاطب في «حم» ولا يناسب التّزول المحكم للكتاب المبين إلّا الرّسول الأمين صلّى الله عليه وآله وسلّم ولأنّ

الحواميم تاج القرآن ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم تاج النبيّين، فلتكن خاصّةً به صلّى الله عليه وآله وسلّم في خطابها كما هي وأضرابها تخصّه في معانيها... فالمراد بالحاء «أحمد» وبالميم «محمّد» وإذا لم تكن «حم» خطاباً لصاحب الكتاب المبين لم تكن لها موقع أدبيّ كمبتدإ، و«الكتاب المبين» القسم لا يصلح خبراً ولا فعلاً ولا أيّاً كان بالنّسبة إلى «حم» إلّا أن تعني جملة مستقلّة عن «والكتاب المبين».

**أقول:** والثّامن هو المؤيّد بالرّوايات الواردة في مفاتيح السّور، من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

**٢ ـ (والكتاب المبين)**

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: تقديره: وربّ الكتاب وهو القرآن المبين لأنّه يبيّن ـ من أبان ـ طريق الهدى عن الضّلالة، ويظهر كلّ مايحتاج إليه الإنسان من الشّريعة إلى يوم القيامة لأنّ البيان هو الدّليل الدّالّ على صحّة الشّيء وفساده بوضوح، ويظهر به المعنى للنّفس عند الإدراك بالبصر والسّمع، ويحصل ذلك بأحد الطرق الخمس: ١ـ إمّا باللفظ. ٢ـ إمّا بالخطّ. ٣ـ إمّا بالعقد بالأصابع... ٤ـ إمّا بالإشارة. ٥ـ إمّا بالهيئة الظّاهرة للحاسّة كالإعراض عن الشّيء والإقبال عليه والتّقطيب، وضدّه وغير ذلك، وأمّا مايوجد في النّفس من العلم فلايسمّى بياناً على الحقيقة، وكلّ ماهو بمنزلة النّاطق بالمعنى المفهوم فهو مبين.

٢ـ قيل: أي أقسم تعالى بالقرآن أنّه جعله عربيّاً، والمبين أي البيّن للّذين أنزل عليهم لأنّه بلغتهم وأساليبهم... ٣ـ قيل: أي الواضح لمن تدبّره وفكر في عبره ومواعظه وتعقّل في هداه ورشده وبركته وأدلّته على حقيقته، وأنّه تنزيل من حكيم حميد لا اختلاق من محمّد ولا افتراء من أحد. ٤ـ قيل: اريد بالكتاب الكتابة والخطّ، فأقسم الله عزّوجلّ بالكتابة الّتي تكثر فيها المنافع، فإنّ العلوم إنّما تكاملت بسبب الخطّ وبهذا الطّريق تكاثرت الفوآئد، وانتهت إلى غاية الغايات... ٥ـ قيل: إنّ المراد بالكتاب هذه السّورة: «الزّخرف» ٦ـ قيل: اريد بالكتاب الجنس، لأنّ الكتاب جنس يشمل

لجميع الكتب السّماويّة النّازلة على المرسلين عليهم السّلام.فكأنّه تعالى أقسم بجميع ما انزل من الكتب أنّه جعل القرآن عربيّاً.

٧ـ قيل: الكتاب هو القرآن كلّه، والمبين أي ظاهر في نفسه لا ريب فيه، ومظهر طريق الحقّ والباطل كالشّمس في رابعة النّهار كما قال تعالى: «ذلك الكتاب لا ريب فيه» البقرة: ٢).

٨ـ قيل: أي أقسم بالقرآن الواضح الجليّ في بيان عقيدته وشريعته. ٩ـ قيل: أي أقسم تعالى بالقرآن لينبئ عن تعظيمه لأنّ القسم يؤكّد الخبر بذكر المعظم منعقداً بما يوجب أنّه حقّ كما أنّ تعظيمه حقّ، وقد وصف بأنّه مبين وهو بيان مبالغة في وصفه بأنّه بمنزلة النّاطق بالحكم الّذي فيه من غير أن يحتاج إلى إستخراج الحكم من مبين غيره لأنّه يكون من البيان مالا يقوم بنفسه دون مبين حتّى يظهر المعنى فيه. ١٠ـ عن إبن عبّاس: أي اقسم بالكتاب المبين بالحلال والحرام، والأمر والنّهي والوعد والوعيد، والمبين بما يحتاج إليه الامّة بل الأنام من شرآئع الإسلام.

١١ـ قيل: أي اقسم بالقرآن الظّاهر الإعجاز. ١٢ـ قيل: أي المفصح عن كلّ حكم يحتاج إليه المكلّف في كلّ ظرف من الظّروف. ١٣ـ قيل: اريد بالكتاب اللوح المحفوظ. ١٤ـ عن ابن بحر: الكتاب هو الخطّ، والمبين هو الحسن الواضح، أقسم به تعظيماً لنعمته فيه. ١٥ـ قيل: اريد بالكتاب المكتوب الواضح وهذا دليل على أنّ القرآن كان يكتب عن نزوله.

**أقول:** وعلى السّابع أكثر المحقّقين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

**٣ ـ (إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)**

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي إنّا أوجدنا هذا الكتاب قرآناً بلغة العرب لعلكم يا أهل مكّة تفهمون معانيه... فالغاية أن يعقلوه حين يجدونه بلسانهم الّذي يعرفون به وأنّ القرآن وحي من الله تعالى جعله من صورته هذه اللفظيّة عربياً إذ إختار عرب مكّة لحمل هذه الرّسالة بدواً ثمّ العجم والعرب ثانياً، لأنّ من شرآئط النّبوّة أن

يكون كتابه بلسان قومه وإن كانت نبوّة النّبيّ عامة للنّاس إذ قال تعالى: «وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم» إبراهيم: ٤) فالخطاب خاصّ لأهل مكّة.

٢ـ عن السّدي ومقاتل وسفيان الثّوري: أي أنزلناه بلسان العرب إذ كنتم أيّها المنذرون به من رهط محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم عربيّ لتعقلوا معانيه ومافيه من مواعظه، ولم ينزله بلسان العجم فيجعله أعجمياً فتقولوا: نحن عرب، وهذا كلام أعجميّ لانفقه معانيه ومقاصده وأهدافه ودعوته. وقال ابن عيسى: فعلى هذا القول يكون الخطاب «لعلكم...» خاصّاً للعرب كلّهم دون أهل مكّة خاصّة، ولا العجم بأنّ الله تعالى أنزل القرآن باللغة العربيّة ليستطيع العرب المخاطبون به أن يفهموه ويعقلوه وينتفعوا بما فيه من خير بشرط التعقّل فيه لأنّ العقل هو الوسيلة الّتي يتوسّل بها إلى الإفادة من القرآن، وأنّ من يجيئ اليه متخلّياً عن عقله، غير متدبّر في آياته لاينال من خير شيئاً كأكثر العرب.

٣ـ عن ابن عبّاس ومجاهد: أي قلناه بلسان العرب كقوله تعالى: «ويجعلون لله البنات» النّحل: ٥٧) أي يقولون. والمعنى: قلناه على طريقة العرب في مذاهبهم في الحروف والمفاهيم... ومع ذلك فإنّه لايتمكّن أحد منهم من إنشآء مثله، والإبتداء بما يقاربه من علوّ طبقته في الفصاحة والبلاغة إمّا لعدم علمهم بذلك أو لأنّهم صرفوا عنه على الخلاف بين العلمآء فيه «لعلكم تعقلون» أي لكى تعقلوا وتتفكّروا فيه، فتعلموا صدق ماظهر على يده. ٤ـ قيل: أي ركّبناه وألّفناه من الحروف المتداولة والكلمات المتحاورة على ألسنتكم أيّها العرب على نحو عجزت الفصحآء والبلغآء كلهم عن إتيان حديث من مثله «لعلكم» أيّها العرب «تعقلون» مفاهيمه ومقاصده وتعملون بموجبها وتبلّغونها لسآئر الأمم... فالخطاب عام للعرب كلّهم من أهل مكّة وغيرها...

٥ـ قيل: أي صيّرناه مقروّاً باللغة العربيّة «لعكم» أيّها النّاس «تعقلون» في آياته... فالخطاب عام للنّاس أجمعين في كلّ ظرف فلابدّ أن يقرؤا بهذه اللغة العربيّة وإن تترجم معانيها بلغات أُخر... ٦ـ قيل: أي خلقناه قرآنا تقرؤنه بلسان العرب، غير أعجميّ إرادة أن تعقّلوا في آياته، ولئلاّ تقولوا: لولا فصّلت آياته ولا تقولوا: نحن

عرب، وهذا كلام أعجميّ لانفقه شيئاً ممّا فيه ٧ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي كتبناه في اللوح المحفوظ بالعربيّة. ٨ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي وضعناه على مجرى لغة العرب لكى تعلموا مافي القرآن من الحلال والحرام ومن الأمر والنّهي. ٩ـ قيل: أي سمّيناه قرآناً عربيّاً. ١٠ـ قيل: أي وصفناه قرآناً عربيّاً. ١١ـ عن سفيان الثّوري أيضاً والزّجّاج: أي بيّنّاه قرآناً عربيّاً لعلكم تتفكّرون أيّها المنذرون في مضامينه ومواعظه...

١٢ـ قيل: أي جعلنا هذا القرآن بيّناً واضحاً لا خفاء فيه، يعربُ عن حقيقته للعالمين. فالكتاب عربيّ في بعدين: باللغة العربيّة، فإنّها أعرب اللغات وأظهرها وأكملها وأحسنها... بلسان عربيّ في هذه اللغة حيث لاتعقيد فيه ولا ريب يعتريه، فهذا الكتاب كتاب يعرب عن حقائقه كأوضح مايمكن في فصاحة التّعبير وبلاغته «لعلّكم» أيّها النّاس في كلّ ظرف «تعقلون» أي تأخذون مايعرب عنه، من دون قصور ولا خفآءٍ فيما يعرب حيث لايعزب عن دلالة، ولا يغرب عن لمحة إلّا وهو بيان له، يعرب عن معارفه وحِكَمه، عن مفاهيمه وأسراره، وعن مضامينه وحقآئقه كأعرب بيان وأعذب تبيان لمن تعقلّ فيه وتدبّر آياته إذ هو يقول: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب» ص: ٢٩).

فالخطاب لا يختصّ بالعرب لأنّ القرآن بيان للنّاس كافّة في كلّ ظرف، فعليهم أن يعرفوا هذه اللغة أو يترجم لهم إلى لغتهم، إذ ربّ عربيّ لايعلم شيئاً من معانيه ومعارفه وحِكَمه وأسراره وأحكامه... وربّ أعجميّ يعلم بها... فالقرآن الكريم لسان عربيّ يعرب عن حقائقه... لا لغة عربيّة قد تعرب وقد تغرب، فلايختصّ القرآن بالعرب الّذين قال الله تعالى فيهم: «الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله» التّوبة: ٩٧) كما أنّه حكم عربيّ «وكذلك أنزلناه حكماً عربيّاً» الرّعد: ٣٧) فلا يختصّ بالعرب، وإنّما هو عبارة تعرب، وحكم يعرب دون عوج في عبارته وتعبيره، ولا خفآء في حكمه: «قرآناً عربيّاً غير ذي عوج لعلّهم يتّقون» الزّمر: ٢٨).

أترى لو نزل القرآن بغير هذه اللغة لما كان يُعقل أو يتّقى، فإنّما يتّقى ما يعقل، ويُعقل ويُقبل الظّاهر دلالةً، الموافق للعقل والفطرة والمصلحة مدلولاً، فكم من عبارة عربيّة لاتعقل فلاتقبل، وكم من أعجميّة تُعقل فتقبل، ولكنّما القرآن الكريم جمع بين عربيّة اللغة وعربيّة اللسان وعربيّة البيان وعربيّة الحقآئق الّتي يتقبلها العقل والفطرة، ويصدقها الواقع، فهو حكم عربيّ في كافّة المجالات...

و«لعلّ» هنا في موقف تُرجّى العقل عن القرآن، لا أنّ الله سبحانه يترجّى، وإنّما النّاس كلّهم مكلّفون بشرعة القرآن الكريم، فمنهم من يعقله، ومنهم من لايعقله، فالقرآن في نفسه بيان لاعوج فيه، فيه رجاء عقلكم أن تأخذوا حقآئقه، لا إثبات في عقله مطلق، ولا سلب عن عقله مطلق، بل عوان بين ذلك، فيعقل لمن يعقله ويعقل عنه، ولا يعقل لمن لايعقله ولا يعقل عنه: «وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً فأمّا الّذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأمّا الّذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون» التّوبة: ١٢٤ـ١٢٥)

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وهو الأنسب بظاهر السّياق، من دون تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر، فتدبّر جيّداً.

٤ ـ (وإنّه في امّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم)

في قوله تعالى: «إنّه في امّ الكتاب» أقوال: ١ـ قيل: أي إنّ هذا الكتاب المبين هو في أصل الكتاب الّذي منه نسخ هذا القرآن. عن ابن عبّاس: إنّ أوّل ما خلق الله تعالى القلم، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق إلى يوم القيامة، وهو أصل الكتاب الّذي عنده تعالى، نسخ منه هذا القرآن.

٢ـ قيل: «امّ الكتاب» هو أصل الكتاب وهو عند الله جلّ وعلا. والمراد بالامّ هنا الأصل، وبالكتاب علم الله تعالى. والمعنى: القرآن من الله وعلمه لا من وضع محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا من غيره، وهذا القرآن عندنا عالٍ في منزلته، حكيم في مبادئه وأحكامه، في مفاهيمه وأسراره، وفي معارفه وحِكَمه...

٣ـ عن قتادة والحسن: أي إنّ القرآن في أصل الكتاب وجملته.

٤ـ عن الزّجّاج: أُمّ الكتاب هو اللوح المحفوظ، وهو أصل الكتاب الّذي كتب الله فيه مايكون إلى يوم القيامة لمافيه من مصلحة ملائكته بالنّظر فيه، وللخلق فيه، وعلم فيه من لطف المكلّفين بالإخبار عنه، وقد سمّى امّاً لأنّ أصل كلّ شيء أمّه لقوله تعالى: «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» البروج: ٢١-٢٢) فاللوح المحفوظ هو الأصل الّذي أثبتت فيه الكتب، منه تستنسخ وتنقل، وفيه تشريف للقرآن وترفيع بكونه لديه، فالقرآن مثبت عندالله تعالى في اللوح المحفوظ. ٥ـ قيل: أي إنّ القرآن في عداد امّ الكتاب. على حذف المضاف، وسمّى بالأم لرفعة شأنه بين الكتب، ولكونه معجزاً من بينها. ٦ـ قيل: «ام الكتاب»: الآيات المحكمات لقوله تعالى: «هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ امّ الكتاب» آل عمرآن:٧)فالمعنى:إنّ سورة «حم» واقعة في الآيات المحكمات الّتي هي الأُمّ.

٧ـ قيل: «امّ الكتاب» هوعلم الله الأزليّ. والمعنى: وإنّ هذا الكتاب في علمه الأزليّ رفيع الشّأن لاشتماله على الأسرار والحكم، والأحكام والمعارف الّتي فيها سعادة البشر وهداية النّاس إلى سبيل الحقّ والهدى، والخير والفلاح... ٨ـ عن ابن جريج: «وإنّه» أي أعمال الخلق من إيمان وكفر، وطاعة ومعصية في لوح محفوظ، رفيع عن أن ينال فيبدّل، «حكيم»: محفوظ من نقص أو تغيير. ٩ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي إنّ القرآن في اللوح المحفوظ مكتوب عندنا «لعليّ»: لكريم، شريف مرتفع «حكيم»: محكم بالحلال والحرام. ١٠ـ عن إبن جريج أيضاً: أي إنّ الذّكر الحكيم فيه كلّ شيء كان، وكلّ شيء يكون، ومانزل من كتاب فمنه. ١١ـ عن عكرمة: امّ الكتاب هو القرآن.

١٢ـ عن ابن سابط: امّ الكتاب: ماهو كآئن إلى يوم القيامة، وكلّ ثلاثة من الملائكة يحفظون، فوكّل جبرئيل عليه السّلام بالوحي ينزل به إلى الرّسل عليهم السّلام، وبالهلاك إذا أراد أن يهلك قوماً كان صاحب ذلك، و وكّل أيضاً بالنّصر في الحروب إذا أراد الله أن ينصر، و وكّل ميكائيل عليه السّلام بالقطر أن يحفظه، و وكّل ملك

الموت عليه السّلام بقبض الأنفس، فإذا ذهبت الدّنيا جمع بين حفظهم وحفظ أهل الكتاب فوجده سوآء. ۱۳ـ قيل: «ام الكتاب» هو العلم المحيط من تشريع وتكوين، يحوى كتابات التشريع كلّها ومطلق التّكوين، وإنّ موقف القرآن في امّ الكتاب في ميزان الله ولدى الله تعالى عليّ على سآئر الكتب السّماويّ كما هو عليّ عن أن تناله الأفهام قبل نزوله، حكيم من أن يتدخل فيه الأوهام، والنّسخ والتّحريف والباطل...

**أقول:** وعلى الرّابع أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

**وفي قوله تعالى:** «لعليّ حكيم» أقوال: ۱ـ قيل: أي لذو علوّ ورفعة، حكيم قد احكمت آياته، ثمّ فصّلت فهو ذو حكمة، على أنّ الوصفين، وصفان للكتاب. ۲ـ قيل: «لعليّ حكيم» وصفان لله تعالى، مريداً علوّ المطلق، وحكمة العامّ. ۳ـ قيل: أي إنّ هذا القرآن لعالٍ في البلاغة، مظهر ومبيّن لمابالعباد إليه الحاجة ممّا لا شيء منه إلّا يحسن طريقه، ولا شيء أحسن منه، والقرآن بهذه الصّفة علمه من علمه، وجهله من جهله لتفريطه فيه، أي مظهر المعنى الّذي يعمل عليه المؤدّي إلى العلم والصّواب، والقرآن من هذا الوجه مظهر للحكمة البالغة لمن تدبّره وأدركه. ٤ـ قيل: أي لعليّ على جميع الكتب، وعليّ عن وجوه الفساد، حكيم على سآئر الكتب السّماوية النّازلة على الأنبيآء عليهم السّلام فضلاً عن غيرها.

٥ـ قيل: أي عليّ الشّأن، حكيم الاسلوب والمقاصد، محكم بكونه في غاية البلاغة والفصاحة، وصحّة المعاني واتقان المباني... ٦ـ قيل: أي رفيع، محكم بريئ من اللبس والزّيغ، ولا يوجد فيه إختلاف ولا تناقض، فلاينطق إلّا بالحكمة ولا يقول إلّا الحقّ والصّواب، فهو بمنزلة الحكيم الّذي لا يتكلّم إلّا بالحقّ، ففي توصيفه بالوصفين: «عليّ حكيم» توسّع لغرض المبالغة لأنّهما من صفات الحيّ. ۷ـ قيل: أي رفيع قدره ومنزلته وشأنه من أن يكون من ناحية الإنسان، وانّه غير معقول لكونه امّ الكتاب، ومعقول لما فيه من الاصول والفروع ومايحتاج إليه البشر في جميع شئون حياته في كلّ ظرف من الظّروف... فله اعتباران: باعتبار كونه في لوح محفوظ وكونه امّ الكتاب، فليس للعقل إليه سبيل، وباعتبار أنّه نزل علينا لنتدبّر آياته ونفهم معانيه وأهدافه ودعوته

ونعمل به فللعقل فيه سبيل.

٨ـ قيل: إنّه يعلو كلّ كتاب بما اختصّ به من الإعجاز، وهو ينسخ الكتب السّماوية وغيرها، ولا ينسخه كتاب، ويُعرض عليه كلّ شيء حتّى كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا يُعرض على شيء كما قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «يعطف الرّأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرّأى» ويعلو كلّ كتاب وكلام بوجوب إدامة العمل به وبما تضمّنه من الفوائد والآثار... ٩ـ قيل: أي إنّه يعظّمه الملائكة والمؤمنون، وإنّه محكم غير مفصّل ولا مجزيّ إلى سور وآيات وجمل وكلمات كما هو كذلك بعد جعله قرآناً عربياً كما قال تعالى: «كتاب احكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير» هود: ١).

١٠ـ قيل: إنّه عليّ كأنّما فيه روح، روح ذات سمات وخصائص تتجاوب مع الأرواح الّتي تلامسها، «حكيم» وهو في علوّه ذات حكمة متعالية يشرف على البشريّة ويهديها ويقودها وفق طبيعته وخصائصه، وينشئ في مداركها وفي حياتها تلك القيم والتّصوّرات والحقائق الّتي تنطبق عليها هاتان الصّفتان... ١١ـ قيل: أي لعال رفيع الشأن في الكتب السّماويّة كلّها لكونه معجزاً من بينها، وهو ذوحكمة بالغة أي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو هكذا مثبت في امّ الكتاب. ١٢ـ عن قتادة: إنّ قوله تعالى: «لدينا لعليّ حكيم» يخبر عن منزلة «امّ الكتاب» وفضله وشرفه. ١٣ـ قيل: أي علوّ الشّأن في البلاغة والإرشاد وغير ذلك، والحكيم المشتمل على الحكمة.

١٤ـ قيل: إنّه كما أنّ الله تعالى عَليٌّ لاينال في علوّه، وحكيم لايغتال، كذلك قرآنه المبين فعلوّه وحكمته لِزام له لا يزول أبداً، وإن كان كلّ درجات في مثلثة الحالات: «لدى الله» و«لدى رسول الله» و«لدى خلق الله» ولكنّ الأمر الثّابت: أنّه عليّ يعلو كلّ عال في دآئرة الوجود دون العليّ الأعلى، فعلوّه فوق المخلوق، دون الخالق، حكيم لايتطرق إليه أيّ إدغال، ولا ينفذ إليه غيره في أيّ مجال على أيّة حال!.

**أقول:** والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، من دون تنافٍ بينه وبين أكثر الأقوال

الأُخر فتأمّل جيّداً.

**٥ ـ (أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين)**

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن مجاهد وأبي صالح والسّدى: الذّكر هو العذاب والمعنى أفنضرب عنكم أيها المشركون العذاب ونترككم سدى فيما تحسبون، فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون، فلاتعاقبون على إسرافكم في الكفر والطغيان. وقال ابن عبّاس: أي أفحسبتم أن نصفح عنكم العذاب صفحاً فلانعذّ بكم إعراضاً ولم تفعلوا ما أُمِرتم به. ٢ـ عن ابن عبّاس أيضاً والضّحّاك : الذّكر هو القرآن. والمعنى: أفنرفع عنكم الوحي والرّسول يا أهل مكّة صفحاً أو نترككم هملاً بلاأمر ولا نهى، ونترك تذكيركم بهذا القرآن ولا نذكّركم به لأن كنتم قوماً مسرفين في الشّرك والضّلال ولا تؤمنون به في علم الله. قيل: المسرف هو الّذي ينفق ماله في معصية الله ولا إسراف في طاعته. وقيل: الإسراف يعمّ المال والمأكول والملبوس والمشروب والنّكاح وما إليها من كلّ شيئ تجاوز عليه الإنسان عن حدّه. وقيل: أي مسرفين على نفوسكم بترككم النّظر في القرآن والاعتبار بحججه...

قيل:لو رفع هذا القرآن حيث ردّه وأعرض عنه أوآئل هذه الامّة لهلكوا، ولكن الله تعالى عاد عليهم بعائدته ورحمته، فكرّره عليهم ودعاهم إليه. فلو ضرب الله تعالى الذّكر عنهم إعراضاً عنهم أو عقاباً لهم برفعه أو محوه بسبب إسرافهم في الشّرك والطّغيان... فما ذنب غير المسرفين، أو ضربه عنهم فقط بأن يجعل بينه وبينهم حجاباً مستوراً، ينقطع عنهم الحجّة، ويجب إستمرارها، فليكن الذّكر أمامهم وبين أيديهم يذكّرهم، فيعيشونه بأسماعهم وأبصارهم لعلّهم يعقلون فإن عقلوا فهم مهتدون، وإن أسرفوا في الشّرك والجهالة فحقّ عليهم عذاب الله.

وعن قتادة والحسن: لم يبعث رسولاً إلّا أن أنزل عليه كتاباً، فإن قبله قومه وإلّا رفع، فذلك قوله تعالى: «أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين» لاتقبلونه فيلقنه قلب نبيّه قالوا: قبلناه ربّنا، قبلناه ربنا ولو لم يفعلوا لرفع، ولم يترك

منه شي ء على ظهر الأرض.

٣- عن ابن عبّاس أيضاً: أي أتكذّبون بالقرآن ولا تعاقبون؟! ٤- قيل: أي أفنعزل أو ننعزل عنكم إنزال القرآن وإنذار القرآن وإلزام الحجّة إعراضاً عنكم؟ كلاّ لانترك إنذاركم ولا تذكيركم بالقرآن لانها ككم في الكفر والعناد، والإعراض عن أوامره ونواهيه... لانفعل ذلك رحمة بكم، وإن كانت حالكم هذه تدعو إلى تخليتكم، وما تريدون حتّى تموتوا على الكفر والضّلال والبغى والفساد. ٥- قيل: أي أفنضرب عنكم ذكر الإنتقام والعقوبة منكم بسبب أن كنتم قوماً مسرفين كقوله تعالى: «أيحسب الإنسان أن يترك سدى» القيامة:٣٦) والذّكر هو أيذكروا بالعقاب والإنتقام.

٦- قيل: أي أفظننتم أن نضرب عنكم هذا الذّكر الّذي بيّنّالكم فيه أمر دينكم صفحاً، فلايلزمكم العمل بما فيه، ولا نؤاخذكم لمخالفتكم إيّاه أو للإعراض عنكم لأن كنتم قوماً مسرفين على أنفسكم. ٧- قيل: أي أفنمسك عنكم إنزال القرآن إمساكاً، ونترك عنكم الوحى فلانأمركم ولا ننهاكم ولا نرسل إليكم رسولاً ولا إماماً ولا حجّة، ونهملكم، فلانعرّفكم ما يجب عليكم لأجل أن كنتم قوماً مشركين وأسرفتم في كفركم؟ كلاّ إنّا لا نفعل ذلك. يقال: ضرب عنه الذّكر: إذا أمسك عنه، وأعرض عن ذكره من ضرب في الأرض إذا أبعد. ٨- قيل: أي أتريدون أن نسكت عن دعوتكم إلى الحقّ، غير منذرين لالشي ء إلاّ لأنكم جهلآء أشقيآء.

٩- قيل: الذّكر بمعنى الوعظ والقرآن، و«صفحاً» بمعنى «جانباً» والمعنى: أفننحيه عنكم ونصرفه إلى جانب ونذوده عنكم لكونكم مسرفين؟ كلاّ إنّا لا نصرفه عنكم لذلك، فلانعرض عنكم جانباً بإعراضكم عن الوعظ والقرآن والتذكّر له والتفكّر فيه لأجل كونكم قوماً مسرفين على نفوسكم بترككم النّظر فيه والاعتبار بحججه... ١٠- قيل: ضرب الذّكر: هو رفع القرآن عن الأرض. والمعنى: أفنرفع القرآن عن الأرض أي أفنرفع القرآن من بين أظهركم لإشراككم مع علمنا بأنّه سيأتي من يقبله ويعمل به. ١١- عن قتادة أيضاً: أي أفنهلككم ولا نأمركم ولا ننهاكم؟ ١٢- عن قتادة أيضاً

وابن زيد: أي أفنمسك عن إنزال القرآن من قبل أنّكم لاتؤمنون به فلا ننزّله عليكم؟ ۱۳ ـ عن الكسآئي: أي أفنطوى عنكم الذّكر طيّاً فلا توعظون ولا تؤمرون. ١٤ ـ قيل: الذّكر: التذكّر فكأنّه قال: أنترك وننصرف عن تذكيركم بسبب أن كنتم قوماً مسرفين في المكابرة والعناد وتجاوزكم عن الحدود... ١٥ ـ قيل: أي أفنضرب عنكم الذّكر صافحين. وذلك أنّ الله تعالى عاتبهم على ماكان منهم وعلمه قبل ذلك من فعلهم. ١٦ ـ عن المبرّد: أي متى فعلتم هذا طلبتم أن نضرب الذّكر عنكم صفحاً. ١٧ ـ عن الزّجّاج: أي أفنضرب عنكم تذكيرنا إياكم الواجب صافحين أو مسرفين.

**أقول**: والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

## ٨ ـ (فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ومضى مثل الأوّلين)

**في قوله تعالى:** «أشدّ منهم بطشاً» اقوال: ١ ـ قيل: أي أشدّ منهم بطشاً بينهم حملةً على الرّسل والرّسالات، وحملةً على الأفراد والجماعات... فهؤلآء الأشدّآء من بين الأوّلين أهلكوا بالطّاغية بنآءً على أنّ الضّمير في «منهم» راجع إلى «الأوّلين» ٢ ـ قيل: أي هؤلآء الأولون أشدّ بطشاً من هؤلآء المشركين الموجودين في عصر النّبيّ صلّى الله عليه آله وسلّم فالضّمير في «منهم» راجع إلى المشركين العرب. ٣ ـ قيل: أي أشدّ منهم بينهم وأشدّ من هؤلآء الموجودين في زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فالضّمير راجع إلى كلتا الطّآئفتين: الأوّلين والآخرين.

**أقول**: وعلى الثّاني جمهور المفسّرين وهو الأنسب بظاهر السّياق، والأوّل خلاف الظّاهر وفي الثّالث تكلّف.

**وفي قوله عزّ وجلّ:** «ومضى مثل الأوّلين» أقوال: ١ ـ عن قتادة أى مضت عقوبة الأوّلين. ٢ ـ قيل: أى مضت صفة الأوّلين، فخبرهم بأنّهم أهلكوا على كفر. والمثَل: الوصف والخبر. ٣ ـ عن مجاهد: أى جرت سنّة الله في الامم السّابقة لهم. ٤ ـ أى سلف في مواضع من القرآن الكريم ذكر الأوّلين وقصّتهم العجيبة الّتي سارت مسير المثل. ٥ ـ قيل: أى ومضى في السّور النّازلة قبل هذه السّورة من القرآن وصف الامم الماضين، وأنّه كيف حاق بهم ما

كانوا به يستهزؤن. ٦ ـ قيل: أى مضى المثل الّذي يرى فيه المشركون العبرة والعظة، وهو ما حدّثهم به القرآن من مصارع القوم الظّالمين كقوم نوح وثمود وأصحاب مدين وقـوم لوط كقوله تعالى: «فكلّاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيّحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا» العنكبوت: ٤٠) مضى مثلهم مضيّاً في واقعه إذ وقع الهلاک، ومضيّاً في إنبآئه حيث الإنباءات الماضية منذ بزوغ وحى القرآن، ومضياً فى إمضائه ككلّ إنبآء لكم حيث الإنباءات تترى طول نزول القرآن، ومضيّاً في تحقيقه بينكم.

٧ ـ عن ابن عبّاس: أى وخلت سنّة الأوّلين بالعذاب عند تكذيبهم بالرّسل. ٨ ـ قيل: أى تقدّم في القرآن ذكر الامم الماضية وماحلّ بهم من وبال. ٩ ـ قيل: أى وسبق فيما أنزلنا إليك شبه حال الكافرين الماضين بحال هؤلآء المـشركين المـوجودين في التكـذيب، ولمّـا هلكوا اولئك بتكذيبهم رسلهم فعاقبة هؤلآء أيضاً الإهلاک.

**أقـول :** والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تنافٍ بينه وبين بـعض الأقـوال الأخر.

## ١٠ ـ (الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون)

**في قوله تعالى:** «مهداً» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس والسّدى: أى فراشاً وبساطاً. ٢ ـ قيل: أى قراراً وذلك أنّه لمّا كان المهد موضع راحة للصّبيّ، سمّى الأرض مهداً ومهاداً لكثرة ما فيها من الرّاحة للخلق، وهم يتربّون على الأرض وهى موضع راحتهم كما يربّى الصّـبيّ على مهده، فلذلك جعلت مهاداً لعدد العباد. ٣ ـ قـيل: أى مسـتقرّاً. ٤ ـ قـيل: أى ممـهّداً لاستقراركم فيها. ٥ ـ قيل: أى قارّة يمكن الانتفاع بها.

**أقول :** والمعاني متقارب والمآل واحد.

**وفي قوله عزّ وجلّ:** «سبلاً» أقوال: ١ ـ قيل : أى وجعل لكم في الأرض معايش. ٢ ـ قيل: أى طرقاً واضحة تسلكونها إلى حيث أردتم من البلدان والقرى والأمـصار... لو لا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكم ودوركم ولكنّها نعمة أنعم بها عليكم. ٣ ـ قيل: اريد بالسّبل ـ وهى جمع السّبيل ـ سبل الإنسانية كلّها ـ لاسبيل الإنسان وحده ـ وهى ثـلاثة: أولهـا ـ

سبيل المعرفة بالله تعالى بما اودع فى الارض من دلائل الوجود الواجب، ومن بدائع العزة والعلم. **ثانيها** ـ سبيل الشّريعة عبر الرّسالات... **ثالثها** ـ سبيل المادّيّة والحياة في البرّ والبحر والفضآءِ. ولا تكمل الإنسانيّة إلّا بالثّلاثة كلّها، وإن كان للإنسان أن يعيش بالثّالثة وحدها كالحيوان.

**أقول :** والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً.

**وفي قوله جلّ وعلا :** «لعلكم تهتدون» أقوال: ١ ـ عن ابن عيسى: أى تسلكون السّبل لكى تهتدوا إلى حاجاتكم ومقاصدكم في أسفاركم. ٢ ـ قيل: أى لتهتدوا إلى الحق والهدى والإيمان بالاعتبار الّذي جعل لكم بالنظر في السّبل. ٣ ـ قيل: أى لعلّكم تستدلّون بمقدوراته على قدرته تعالى، فتهتدوا إلى مبدئكم وصفاته من العلم والقدرة والتدبير والحكمة، واللطف والرّحمة. ٤ ـ عن سعيد بن جبير: أى لعلّكم تعرفون نعمة الله عليكم فتشكرونه. ٥ ـ قيل: أى لتهتدوا إلى دينكم ودنياكم. ٦ ـ قيل: أى لعلّكم تهتدون إلى معايشكم. ٧ ـ عن ابن عبّاس: أى لكي تهتدوا بالطّرق. ٨ ـ قيل: أى لعلّكم تهتدون إلى إمامكم الّذي هو سبيل إلى المقصد الكلّيّ الّذي هو الفوز بنعيم الجنّة.

٩ ـ قيل: أى لعلّكم تهتدون بالتفكّر في الأرض والسّبل إلى التّوحيد الّذي هو المقصد الأصليّ، وإلى حكمة الصّانع في نظام الكون ونواميس الوجود، وفي التشريع والرّسالات بالنظر فيها، حيث إنّ جَعْلَ الأرض مهداً بعد أن كانت شموساً محكومة بحركات مضطربة، وجَعْلَ سُبُلٍ للإنسان فيها بُغية اهتداء النّاس إلى منافعهم في كلّ ظرف من الظّروف، هما من مظاهر العزّة والعلم لخالق السّموات والأرض، فكما أنّ الطّفل يربّى في المهد ثمّ يُمشّىٰ في سبل الحياة، كذلك يتربّى الإنسان في مهد الأرض ويمشي في سبلها إلى منتفعات الحياة، سواء أكانت الحياة الارضية المادّيّة لصالح الجسم أم حياةً معنوية سماوية هى معرفة الله تعالى، فالسّبل المجعولة للإنسان فيها ليست هى السّبل الأرضيّة فحسب بل وسبل الإنسانيّة كلّها بما كُوِّن فيها أو شرع، فمن شِرعة التكوين يهتدي الإنسان إلى المكِّون وإلى حياته الارضيّة، ومن شرعة التّشريع يهتدي إلى مشاريع الإنسانية وهي حجر الأساس في تبنّي الإنسان كإنسان.

فهناك ثلاثة سبل مجعولة في الأرض يعيشها كلّ إنسان وكلّ جيل حسب مستطاعه، وعلى ضوء محاولاته الدّآئبة: سبل المعرفة، وسبل الشّريعة وسبل الحياة، والإنسان يعيش هذه السّبل ويهتدى بها إلى معارج الكمال والإنسانية، فالأرض بسبلها تكوينيّة وتشريعيّة مهد للطفولة الإنسانية حتّى تبلغ بالإنسان إلى رجولات ورجولات، حسب مختلف الإمكانيات والإدراكات، فالأرض مهد بحراكها الذّلول بعد أن كانت شَموساً، ومهد بحراكها المختلفة المولدة للفصول، ومهد بحراكها التطوريّة في مختلف الحقول، ومهد ممهّد لترقية النّاشئة إلى آمال وقمم من الكمال الإنسانيّ...

وإنّ مهاد الأرض ليس جديداً يخصّنا، بل هو يعمّ كلّ من يحتاج إلى مهدها من إنسان وحيوان ونبات فمهدها ومهادها وذلولها وكلّ ممهّدات الحياة الأرضيّة هى مجعولة بعزّة الله تعالى وعلمه لحاويجها من إنسان وغيره مهما كانوا هم في درجات... فالأرض مهد ومهاد وذلول وقرار وفراش وبساط وكفات وراجفة... تسبح كسابحات اخرى في يمّ الفضآء الملتطم: «وهو الّذي خلق الليل والنّهار والشّمس والقمر كلّ في فلك يسبحون» الأنبيآء: ٣٣).

**أقول :** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين من دون تناف بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر.

وفي الخطابات الأربع: «لكم ـ لكم ـ لعلّكم ـ تهتدون» أقوال: ١ ـ قيل: خطاب لهؤلاءِ المسرفين من المشركين العرب. ٢ ـ قيل: خطاب للموجودين في زمن الخطاب. ٣ ـ قيل: خطاب لهم ولمن يتلوهم إلى يوم القيامة. ٤ ـ قيل: خطاب لبني الإنسان أيّاً كانوا وأيّان. ٥ ـ قيل: خطاب لكلّ عاقل ممّن سبقنا من إنسان كما نحن.

**أقول :** والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، ولكن الثّالث هو الأوجه.

## ١٢ ـ (والّذي خلق الأزواج كلّها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون)

**في قوله تعالى:** «الأزواج» أقوال: ١ ـ عن عبدالله بن عبّاس وسعيد بن جبير: أى الأصناف والأشكال من الإنسان والحيوان والنبات والجماد. ٢ ـ عن الحسن: الأزواج: الصّيف والشّتآء، اللّيل والنّهار، الشّمس والقمر، الأرض والسّمآء، الجنّة والنّار، الحلو والحامض، والرّطب واليابس، والذّكر والانثى. ٣ ـ قيل: الأزواج: المتقابلات من الأشيآءِ إذ

لاشئ إلّا وله مقابل وضدّ كالحق والباطل، كالنور والظّلمة، كالخير والشرّ، كالكفر والايمان، كالإخلاص والنّفاق، كالحسن والقبح، كالفوق وتحت، كاليمين واليسار، كالذّكر والانثى وكالليل والنّهار...

٤ ـ عن ابن عيسى: أى أزواج الحيوان من ذكر وانثى. ٥ ـ قيل: أى أزواج النبات لقوله تعالى: «وأنبتنا فيها من كلّ زوج بهيج» ق: ٧) وقوله عزّ وجلّ: «كم أنبتنا فيها من كلّ زوج كريم» الشّعرآءِ: ٧) ٦ ـ قيل: الأزواج: كلّ ما يتقلّب فيه الإنسان من خير وشرّ، من كفر وايمان، من هداية وضلالة، من نفع وضر، من إدبار وإقبال، من فقر وغنى، ومن صحّة وسقم... ٧ ـ قيل: أى خلق كلّ شئ، فزوّجه أن خلق الاناث من الذّكور أزواجاً، والذّكور من الاناث أزواجاً كقوله تعالى: «يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونسآءً» النسآء: ١).

**أقول:** ولكلّ وجهٌ ولكن الأوجه هو التّعميم فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

## ١٣ ـ (لتستووا على ظهوره ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين)

**في قوله تعالى:** «ثمّ تذكروا نعمة ربّكم» أقوال: ١ ـ قيل: اريد بذكر نعمة الرّب تعالى بعد الاستواء على ظهر تلك المراكب ذكر النّعم الّتي ينتفع بها الإنسان بتسخيره جلّ وعلا له هذا المركب كالانتقال من مكان إلى مكان وحمل الأثقال... «وسخّر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره» إبراهيم: ٣٢) «والأنعام خلقها لكم ـ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلّا بشقّ الأنفس إنّ ربّكم لرؤف رحيم» النّحل: ٥ ـ ٧).

٢ ـ قيل: إنّ المراد هو ذكر مطلق نعمه تعالى بالانتقال من ذكر هذه النّعم إليه. ٣ ـ قيل: اريد بذكر النّعمة ذكر ما أنعم عليهم ربّهم من العقول الّتي يستطيعون بها أن يصنعوا الفلك ويسخّروا الأنعام ويركبوها ويحملوها أثقالاً ويتمكّنوا منها، ويقتدوا عليها ويقتادوها من زمامها إلى الوجهة الّتي يريدونها. ٤ ـ قيل: أى ما تنتفعون في أسفاركم من المنافع الدّينيّة والدّنيويّة، والمادّيّة والمعنويّة، وما تنالون بمعايشكم ومقاصدكم، وما تعلمون ممّا اُمرتم به

من الحجّ والجهاد وغير ذلك من المشاهد المشرّفة ومن العبادات... بركوبكم تلك المراكب...

**أقول :** والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق ولكن التّعميم غـير بـعيد فـتدبّر واغـتنم ولاتغفل.

**وفي قوله عزّ وجلّ :** «مقرنين» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس وقتادة والسّدي وابن زيد والكلبي: أى مطيقين. أى لاطاقة لنا بالفلك ولابالبحر ولا بالأنعام لولا أنّ الله سخّرها لنا. ٢ ـ قيل: أى مقاومين في القوّة. ٣ ـ قيل: أى مستطيعين. والمعنى انّ الله تعالى أودع في تلك الأنعام غريزة الانقياد للإنسان، ولولاها لتعذر عـليه أو تـعسّر أن يسـخره في الرّكـوب والحمل والحرث... ٤ ـ عن الأخفش وأبي عبيدة: أى ضابطين مع صعوبة خَلْقه وخُـلقه، يصبح لنا قرناً نركبه أو تقرن أسباب اصطناعه فنصطنعه إلّا بفضل من الله ورحمة. يـقال: فلان مقرن لفلان: ظابط له. ٥ ـ قيل: أى لايطيق أن يقرن بعضها ببعض حتّى يسيرها إلى حيث يريد. ٦ ـ قيل: أى حافظين. ٧ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أى مالكين. ٨ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أى مطيعين. ٩ ـ قيل: أي مماثلين في الايد والقوّة من قولهم: هو قِرْن فلان إذاكان مثله في القوّة.

**أقول :** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

## ١٥ ـ (وجعلوا له من عباده جزءاً إنّ الإنسان لكفور مبين)

**في قوله تعالى :** «وجعلوا له من عباده جزءاً» أقوال: ١ ـ قيل: أى وجعلوا لله سبحانه شريكاً في الوجود بتعدّد الآلهة ذاتيّة. فالمراد بالجزء هو الجزء الذّاتى المـتجزئ مـن ذاتـه كالأوّل. ٢ ـ قيل: أى وحكموا لله سبحانه شريكاً في الايجاد بتعدّد الآلهة في خلق العالم وما فيه، وهذا زعم أكثر الفلاسفة الضّالّة المضلّة إذ يقولون: إنّ الله هو الخـالق لأوّل الخـليقة كالعقل الأوّل، ثمّ هو الخالق لسائر الخلق مستقلاً أو كوسيلة لله. وتبعهم طآئفة من المشركين فزعموا أنّ الخلق كلّهم ليسوا مخلوقين لله وحده بل بعضهم لله وبـعضهم لغـير الله، فـهم لم يحكموا لله من عباده كلّهم، بل حكموا له منهم بعضاً وجزءاً منهم، ولغيره آخرين. فالجعل بمعنى الحكم. ٣ ـ قيل: أى وأثبتوا لله شريكاً في التّدبير بتعدّد الآلهة في تدبير نظام الكون

ونواميس الوجود. فزعموا أنّ الخالق هوالله وحده، والمدبّر غيره أو أنّ المدبّر هو وغيره معاً.

٤ ـ قيل : أى وجعلوا لله شريكاً في العبادة. فهذا إنكار على مثبتي الشّركآء لأنّهم جعلوا بعض العبادة لغير الله إذ أشركوا بينه وبين الأصنام في عبادتهم. ٥ ـ قيل: إنّ الجزء هنا بمعنى النّصيب. والمعنى: وجعلوا لله من مال عباده نصيباً فيكون كقوله تعالى: «وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركآئنا» الأنعام : ١٣٦).

فحذف المضاف : «مال». ٦ ـ قيل: أى وقالوا: إنّ لله ولداً كما «قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله» التّوبة : ٣٠) وقيل: إنّ الآية تشمل من جعل لله ولداً بولادة ذاتية بعضاً كالرّوح أو روح المسيح أو كلّا كالمسيح عند جماعة: أنّ الله تنزّل من لاهوت الالوهيّة إلى رحم مريم فتحوّل مسيحاً ولم يبق منه شئ أو بولادة تشريفيّة: «وقالت اليهود والنّصارى نحن أبنآؤ الله» المآئدة:١٨).

٧ ـ عن قتادة: الجزء: العِدْل. والمعنى: وجعلوا لله من عباده عِدلاً. ٨ ـ قيل: أى وأثبتوا الله سبحانه ولداً. وذلك أنّ الجزء هو عبد من عباده، فحصل جزء من أجزآئه في بعض عباده وذلك هو الولد لأنّ الولد هو جزء أبيه. وفي تفسير الفخر ما لفظه: «تقرير الكلام: أنّ ولد الرّجل جزء منه قال عليه السّلام: «فاطمة بضعة منّي» ولأنّ المعقول في الوالد أن ينفصل عنه جزء من أجزائه ثمّ يتربى ذلك الجزء ويتولّد منه شخص مثل ذلك الأصل، وإذا كان كذلك فولد الرّجل جزء منه وبعض منه» وفي تفسير النيسابورى ما لفظه: «أى أثبتوا له ولداً وذلك أنّ ولد الرّجل جزء منه قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فاطمة بضعه منّي يؤذيني ما يؤذيها»».

٩ ـ عن ابن عبّاس ومجاهد والحسن: أى زعموا أنّ الملائكة بنات الله. ١٠ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أى وصفوا الله بصفات المخلوقين إذ جعلوا الملائكة ولداً لله. وهم بنو مليح طائفة من مشركي العرب. ١١ ـ قيل: أى رغم أنّ خالق الأزواج ليس من الأزواج لأنّ الزّوجيّة علامة الحدوث وآية الفقر جعلوا للخالق من مخلوقه جزء تجزئوه انفصالاً عن ذاته المقدّسة من مَلِكٍ أو إنس أو جانّ أو جزء من الإنسان «روحه» جزء من روحه، وقد يخرصون له بكلامه: «ونفخت فيه من روحى» الحجر : ٢٩) رغم أنّ الرّوح «من أمر ربّي»

الاسرآء : ٨٥) لامن ذاته فقد جعلوا المسيح ابن الله بولادة إلهيّة وعـزيراً ابـن الله وأنـفسهم والجنّ أبنآء الله والملائكة بنات الله: «وجعلوا لله شركآء الجنّ وخـلقهم وخـرقوا له بـنين وبنات بغير علم» الأنعام : ١٠٠) وذلك الجزء المخروق من ذاته سبحانه لابد وأن يكون مثل ذاته سبحانه، فكيف أصبح مخلوقاً كما يقولون، وهو خالقه؟

**أقول :** ولكلٍّ وجه ولكن الأوجه والأنسب بظاهر السّياق هو التّاسع وفي معناه بعض الأقوال الأُخر، فتأمّل جيّداً.

**وفي قوله عزّ وجلّ :** «إنّ الإنسان لكفور مبين» أقوال : ١ ـ قيل: اريد بالإنسان هؤلآء المشركون العرب. والكفور: البليغ الكفران، والمبين: البيّن في غاية الظّهور وذلك أنّهم كانوا يشركون بالله ولايجتهدون في تنزيهه وتقديسه، وهم كانوا يعترفون بوحدانيّته في الخـلق والعزّة والعلم. ٢ ـ قيل: أى إنّ الإنسان يجحد ربّه وخالقه من دون حجّة ولابرهان عـلى جحده. ٣ ـ قيل: أى إنّ الإنسان لذو جحد لنعم ربه الّتي أنعمها عليه، يبين كفرانه نعمه عليه لمن تأمّله بفكر قلبه وتدبّر حاله. ٤ ـ عن ابن عبّاس: إنّ المراد بالإنسان هنا هم بنو مـليح طائفة من مشركي العرب، قالوا: الملائكة بنات الله، فكفروا بالله ظاهر الكـفر إذ اعـترفوا بوحدانيته في الخلق والعزّة والعلم. ٥ ـ عن الحسن: أى إنّ الإنسان بطبعه يـعدّ المـصآئب وينسى النّعم، مظهر الكفر. ٦ ـ قيل: أى ومن طبع الإنسان الّذي لايتعقّل في نظام الكـون ونواميس الوجود لكفور نعمة العقل والوجدان، فيكفر بربه كفراً وكفراناً مبيناً.

**أقول :** والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق، وعليه أكثر المحقّقين.

## ١٧ ـ (وإذا بشّر أحدهم بما ضرب للرّحمن مثلاً ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم)

**في قوله تعالى :** «بما ضرب للرّحمن مثلاً» أقوال: ١ ـ قيل: أى بما جعل للرّحمن شبهاً أى مشابهاً بنسبة البنات إليه لأنّ الولد يشبه الوالد، وولد كلّ شئ شبهه وجنسه لأنّـه إذا جعل الملائكة جزءاً له وبعضاً منه فقد جعله من جنسه ومماثلاً له، وان المـثل هـو المـثل والشّبه المجانس للشّئ، وضرب الشّئ مثلاً أخذه مجانساً للشّئ. ٢ ـ قيل: أى مثلاً بالجنس الّذي جعله شبهاً لله لأنّ الولد لايكون إلّا من جنس الوالد. ٣ ـ عن مجاهد: أى بما ضرب

للرّحمن ولداً. ٤ ـ عن قتادة: أي مثلاً بما جعل لله. ٥ ـ قيل: أي مثلاً من البنات. ٦ ـ عن ابن عبّاس: أي بما وصف للرّحمن إناثاً. ٧ ـ قيل: أي بما جعله ندّاً ومماثلاً للرّحمن حين جعلوا الملائكة بنات الله، انّ هذه النسبة من شأنها أن تجعل تماثلاً بين الله وبين خلقه إذ كان الوالد والأولاد على صورة متشابهة أو متقاربة أو متماثلة... جنساً وهيئة ولوناً وشكلاً...

**أقول :** والمعاني متقارب.

**وفي قوله عزّ وجلّ :** «وهو كظيم» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي مغموم مكروب يتردّد الغيظ في جوفه. ٢ ـ عن قتادة: أي حزين. ٣ ـ عن عكرمة: أي مكروب. ٤ ـ عن ابن أبي حاتم: أي ساكت وذلك لفساد مَثَله وبطلان حجّته. ٥ ـ قيل: أي مملوّ من الكرب. ٦ ـ قيل: أي مملؤ قلبه من الكرب. ٧ ـ قيل: أي كتوم لغيظه على شدّته بحيث لم يكد يقدر على كتمه وغيظه.

وعن بعض العرب أنّ إمرأته وضعت انثى فهجر البيت الّذي فيه المرأة فقالت:

**ما لأبي حمزة لايأتينا يظلّ في البيت الّذي يلينا**
**غضبان ألّا نلد البنينا وإنّما نأخذ ما أُعطينا**

**أقول :** والأوّل هو الأنسب بمعناه اللغويّ وفي معناه أكثر الأقوال الأُخر.

## ١٨ ـ (أو من ينشّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين)

**في قوله تعالى :** «أو من ينشّأ في الحلية» أقوال : ١ ـ عن ابن عبّاس ومجاهد والسّدي: اريد بـ«من ينشّأ» النّساء والجواري، و بـ«الحلية» الزّينة وما يتحلّى به من حليّ وثياب. ٢ ـ قيل: أي ينشّأ في الذّهب. ٣ ـ قيل: أي في اللهو. ٤ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي من يغذى ويربى في حلية الذّهب والفضّة. ٥ ـ قيل: أي في الحرير والذّهب رُخِّصَا للنّسآءِ دون الرّجال. ٦ ـ عن ابن زيد و الضّحّاك: إنّ المراد بـ«من ينشّأ» الأصنام والأوثان والتّماثيل... والمعنى: أو تعبدون أيّها المشركون تلك الآلهة الّتي تنشأ في الحلية تعجز عن الجواب إذا سئلتموها، ولا تقدر على النّطق بالحجّة. فيكون معنى «وهو في الخصام غير مبين» أي ساكت عن الجواب. فهذه التّماثيل الّتي تضربونها من ذهب وفضّة وتحلّونها بالحليّ تعبدونها

وهي لاتنطق؟! «فاسئلوهم إن كانوا ينطقون ـ لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ـ أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون» الأنبيآء: ٦٣ ـ ٦٧).

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق وعليه جمهور المحقّقين، من دون تنافٍ بينه وبين الأقوال الأُخر في معنى «الحلية» فتدبّر جيّداً.

## ٢٠ ـ (وقالوا لو شآء الرّحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون)

في قوله تعالى: «ما عبدناهم» أقوال: ١ ـ عن مجاهد وابن جريج: أى ما عبدنا الأوثان يقول الله: ما لهم بعبادة الأوثان من علم. ٢ ـ عن قتادة ومقاتل والكلبي: أى ما عبدنا الملائكة بنات الله. ٣ ـ قيل: أى ما عبدنا الآلهة من الملائكة والأصنام والأوثان...

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله عزّ وجلّ: «ما لهم بذلك من علم» أقوال: ١ ـ قيل: أى ما لهم في قولهم: إنّ لله ولداً من علم ولاحجّة. ٢ ـ قيل: أى ما لهم في مقالتهم: إنّ الملائكة إناث وهم بنات الله سبحانه من بيّنة ولا دليل. ٣ ـ قيل: أى ما لهم في فعلهم حيث يعبدون الملائكة معتقدين بأنّهم بنات الله من علم ولا برهان. ٤ ـ قيل: أى ما لهم في اعتقادهم من تعليق عبادتهم الملائكة بمشيّة الله: «لو شاء الله ما عبدناهم» من علم ولا حجّة. ٥ ـ قيل: يعمّ جميع ما تقدّم من عقآئدهم الباطلة، وأفعالهم الفاسدة، وأقوالهم الكاسدة.

أقول: والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق وإن كان التعميم غير بعيد من ظاهر الإطلاق.

وفي قوله جلّ وعلا: «يخرصون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أى يكذبون على الله في مقالتهم: لا عذر لنا في عبادة غير الله عزّ وجلّ. وكان في ضمن كلامهم أنّ الله أمرنا بهذا أو رضى ذلك منّا، ولهذا لم ينهنا ولا يعاجلها بالعقوبة. ٢ ـ قيل: أى يظنّون. ٣ ـ قيل: أى يتوهّمون ٤ ـ قيل: أى يخمنون. ٥ ـ قيل: أى يحدسون. ٦ ـ عن مجاهد: أى ما يعلمون قدرة الله على ذلك. ٧ ـ قيل: أى يفترون على الله. ٨ ـ قيل: أى ما هم إلّا كاذبون بما لا يعلمون. ٩ ـ قيل: أى يحتجّون بدون علم ولا بيّنة. ١٠ ـ قيل: أى لا يعلمون صحّة ما

يقولونه وليسوا هم إلّا كاذبين.

**أقول :** والرّابع هو الأنسب بمعناه اللغوى وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

## ۲۱ ـ ( أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أهذا شئ يخرصونه ويفترونه على الله تعالى بأنّ الرّحمن شآء أن يعبدوا الملآئكة أم آتيناهم كتاباً قبل هذا الكتاب فأمرناهم فيه بعبادة غير الله ونسبنا فيه الكفر إليه، فهم في عبادتهم لغير الله مستمسكون بهذا الكتاب، آخذون منه، ويعملون به ويدينون بما فيه و يحتجّون به عليك. ٢ ـ قيل: أى أحضروا حينما كان الله يخلق الملائكة أو شاهدوا أُنوثية الملائكة أم آتيناهم كتاباً من قبل القرآن ينطق بصحّة ما ادّعوه فهم به مستمسكون، ويستندون إليه فيما هم عليه من عقآئد ويدلّون به من حجج أو يتمسّكون بآرآئهم تمسّكاً أعمى من دون منطق ولا دليل. ٣ ـ قيل: أى ألهم دليل عقليّ وبرهان أنّ الملائكة بنات الله أم آتيناهم كتاباً قبل هذا القرآن، فهم به مستمسكون ويقولون بما فيه.

**أقول:** والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق وعليه أكثر المحقّقين.

**وفي قوله تعالى:** «من قبله» قولان: **أحدهما** ـ عن ابن عبّاس وابن جريج: أى من قبل القرآن. **ثانيهما** ـ قيل: أى من قبل الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

**أقول :** و الأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق.

## ۲۲ ـ (بل قالوا إنّا وجدنا آبآئنا على امّة وإنّا على آثارهم مهتدون)

**في قوله تعالى حكاية عنهم :** «على امّة» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس وقتادة والسّدي وعطيّة: أى على دين. وذلك أنّ الأمّة في اللّغة تجئ بمعنى الدّين حيث تجتمع عليه الجماعة وتكون امّة تنتسب إليه كما تنتسب بقوميّتها، فيقال: الأمّة العربيّة والامّة الإسلاميّة. وقيل: سمّيت الدّيانة امّة لاجتماع الجماعة على صفة واحدة فيها. ٢ ـ عن عمر بن عبدالعزيز: أى على مذهب. ٣ ـ عن ابن عبّاس وقتادة والسّدي أيضاً ومجاهد وقطرب: أى على ملّة. وذلك هو عبادتهم للأوثان والأصنام... ٤ ـ قيل: أى على سنّة. ٥ ـ قيل: أى على مسلك.

٦ ـ قيل: أى على منهاج. ٧ ـ قيل: أى على طريقة خاصّة. ٨ ـ قيل: أى على مرام. ٩ ـ قيل: أى على قصد. فإنّ الأمّة هى الطّريقة الّتي تؤم أى تقصد كالرّحلة للمرحول له. ١٠ ـ قيل: أى على نعمة وحالة حسنة. ١١ ـ قيل: أى على نحلة. ١٢ ـ قيل: عن الفرّآءِ: أى على قِبلة. ١٣ ـ عن الأخفش: أى على استقامة. ١٤ ـ عن الجبائي: أى على جماعة. أى كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه.

**أقول :** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

**وفي قوله عزّ وجلّ حكاية عنهم :** «على آثارهم» أقوال: ١ ـ قيل: أى على منهاجهم. ٢ ـ عن ابن عبّاس: أى على دينهم وأعمالهم. ٣ ـ عن مجاهد: أى على فعلهم. ٤ ـ قيل: أى على طريقتهم. ٥ ـ قيل: أى وإنّا ماشون على آثارهم.

**أقول :** ولكلٍ وجهٌ من دون تناف بنيها.

## ٢٦ ـ (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنّني برآء ممّا تعبدون)

**في قوله تعالى :** «إنّني برآء ممّا تعبدون» أقوال: ١ ـ قيل: أى إنّني برئ من عبادتكم الكواكب والأصنام... على سبيل المبالغة مثل زيد عدل. ٢ ـ قيل: أى إنّني ذو برآء من معبودكم. مصدر نُعِتَ به. ٣ ـ قيل: أى إنّني برئ من عبادتكم ومن معبودكم.

**أقول :** ولكلٍ وجهٌ.

## ٢٧ ـ (إلّا الّذي فطرني فإنّه سيهدين)

**في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم** عليه السّلام: «فطرني» أقوال: ١ ـ عن السّدي: أى خلقني. ٢ ـ قيل: أى فطرني بالتّوحيد وكلمة «لا إله إلّا الله». ٣ ـ قيل: أى أنشأني وأوجدني.

**أقول :** الأوّل والثّالث متقاربان، والثّاني من المعنى الالتزامي.

**وفي قوله تعالى حكاية عن خليله** عليه السّلام : «سيهدين» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أى سيحفظني على دينه وطاعته. ٢ ـ قيل: أى سيبيّن لى ويثبت. وقيل: ويثيب. ٣ ـ قيل: أى

سيرشدني لدينه. ٤ ـ قيل: أي سيهدين بعد إلى طريق الجنّة والسّعادة والعزّة والحقّ. ٥ ـ قيل: أي سيهديني إلى الجنّة بلطف من ألطافه يكون داعياً إلى أن أتمسّك به حتّى يؤدّيني إليها. ٦ ـ قيل: أي يرشدني إلى طريق ألطافه... ٧ ـ قيل: أي سيهدين إلى الحقّ الّذي أطلبه بما نصب لي من الأدلّة ويقيمني على طريق الهدى. ٨ ـ قيل: أي سيقوّمني للدّين الحقّ ويوفّقني لاتباع سبيل الرّشد. ٩ ـ قيل: أي سيثبتني على الهداية. ١٠ ـ قيل: أي سيهديني إلى الوحي والرّسالة اللّذين هما مكمّلان لهداية الفطرة. ١١ ـ قيل: أي سيهديني هداية بعد هداية إلى سبيل الرّشاد والكمال والصّلاح والفلاح... فتستمرّ الهداية إلى يوم القيامة.

**أقول :** والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

## ۲۸ ـ (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون)

**في قوله تعالى:** «وجعلها كلمة باقية» أقوال : ١ ـ عن مجاهد و قتادة والسّدي: أي وجعل إبراهيم عليه السّلام كلمة التّوحيد كلمة باقية. ٢ ـ قيل: إنّ الكلمة الباقية هي الّتي تكلّم بها من قوله: «فانّه سيهدين» وقيل: هي قوله: «إلّا الّذي فطرني» فجعل هذه الكلمة والمقالة باقية في عقبه. ٣ ـ قيل: وجعل الله تعالى كلمة التوحيد وهي قول إبراهيم عليه السّلام: «إلّا الّذي فطرني» باقية في عقبه. فضمير الفاعل راجع إلى الله، وضمير التأنيث: «ها» راجع إلى مقالة إبراهيم عليه السّلام ٤ ـ قيل: أي وجعل الله كلمة البراءة الّتي تكلّم بها إبراهيم عليه السّلام: «إنّني براء ممّا تعبدون» كلمة باقية في ولده من بعده. وذلك أنّ معنى كلمة البراءة معنى كلمة التّوحيد فإنّ مفاد «لا إله إلّا الله» نفي الآلهة غير الله لانفي الآلهة وإثبات الإله تعالى. والمعنى: إنّ الله جعل كلمة البرآءة في ولد إبراهيم فهم توارثوا البرآءة عن عبادة غير الله وأوصىٰ بعضهم بعضاً في ذلك.

٥ ـ قيل: إنّ البراءة من كلّ معبود سوى الله توحيد للمعبود بالحقّ، وقول بـ«لا إله إلّا الله» وهي كلمة باقية وصّى إبراهيم بها ذرّيّته بعد خروجه من النّار كما نطق به قوله تعالى: «ووصّى بها إبراهيم بنيه...» البقرة: ١٣٢). ٦ ـ قيل: أي وجعل إبراهيم عليه السّلام البراءة من الآلهة المنحوتة ومن أهلها، والولاية لله تعالى كلمة باقية ووصيّة دائمة لأنساله من بعده حتّى

يسيروا عليه ويتذكّر من يضلّ منهم، فيعود عن ضلاله إليه. فكانت الآيتان المتقدّمتان وهما قوله: «إنّني برآء مما تعبدون إلّا الّذي فطرني فانّه سيهدين» مقدّمة لهـذه الكـلمة البـاقية، وذلك أنّ معنى قوله: «إنّني برآء» نفي الآلهة عن الأشيآء الّتي كانوا يعبدونها، ومعنى قـوله: «إلّا الّذي فطرني» إثبات الآلهيّة لله الّذي فطره، فإذا حصل هذان المعنيان كان مجموعها هو قول «لا إله إلّا الله» فالمراد من الكلمة الباقية هو قول «لا إله إلّا الله» أوصى به ممّا أظهره الله من قوله إجلالاً له وتنزيهاً ورفعاً لقدره بما كان منه من جلالة الطّاعة، والصّبر على طاعة الله، فالكلمة الّتي جعلها إبراهيم ميراثاً منه لذرّيّته من بعده هى كلمة التّوحيد.

٧ ـ قيل: الكلمة الباقية هى براءة إبراهيم عليه السّلام من الشّرك. ٨ ـ عن الضّحّاك: هى ألّا تعبدوا إلّا الله. ٩ ـ عن ابن زيد وعكرمة: هى إسم الإسلام جعلها الله له وتكلّم إبراهيم بهذه الكلمة. كما قال: «إذ قال له ربّه أسلم قال أسلمت لربّ العالمين ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدّين فلا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون» البقرة: ١٣١ ـ ١٣٢).

١٠ ـ قيل: الكلمة الباقية هي قول إبراهيم عليه السّلام: «هو سمّاكم المسلمين من قـبل» الحجّ: ٧٨) و قوله: «ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيّتنا امّة مسلمة لك» البقرة: ١٢٨).

١١ ـ عن القرظي: أى وجعل الله وصيّة إبراهيم عليه السّلام الّتي وصّى بها بنيه وهو قوله: «يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدّين» كلمة باقية في بنيه وذرّيّته. ١٢ ـ قيل: الكلمة الباقية هى ذرّيّة إبراهيم عليه السّلام. ١٣ ـ قيل: الكلمة الباقية هي التّوحيد والإخلاص معاً، ولا يزال في ذرّيّته من يقول كلمة التّوحيد من بعده ويوحّد الله ويعبده وحده مخلصاً له الدّين. ١٤ ـ قيل: الكلمة هى النّبوّة الّتي لم تزل باقية في ذرّيّة إبراهيم عليه السّلام والتّوحيد هم أصـله، وغيرهم فيه تبع لهم. ١٥ ـ قيل: الكلمة الباقية هي الإمامة في ذرّيّته إلى يوم القيامة. وقد كانت لإبراهيم في الأعقاب موصولة بالأحقاب بدعوتيه المجابتين: **إحـداهـما** ـ في قـوله تعالى: «إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال ومن ذرّيّتي قال لاينال عهدى الظّالمين» البقرة: ١٢٤) فقد قال: نعم إلّا مَن ظلم منهم فلا عهد له. **ثانيهما** ـ قوله: «واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام» إبراهيم: ٣٥).

وقيل: بل الأولى قوله: «واجعل لي لسان صدق في الآخرين» الشّعرآء: ٨٤) فكـلّ امّـة

تعظمه بنوه، وغيرهم ممّن يجتمع معه في سام أو نوح عليه السّلام. ١٦ ـ قيل: إنّ الكلمة الباقية هى دين إبراهيم عليه السّلام وذلك أنّ إبراهيم عليه السّلام لمّا عدل عن طريق آبائه جعل الله تعالى دينه باقياً في عقبه إلى يوم الدّين، ودرست وبطلت أديان أبائه وقومه.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسّرين، والخامس عشر هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من غير تناف بينهما وبين أكثر الأقوال الأُخر سيأتي بيانه في التّفسير والتأويل إن شآء الله تعالى فانتظر.

**وفي قوله تعالى:** «في عقبه» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أى في خلفه. وعن الأخفش: عقب فلان مكان أبيه عاقبة أى خلفه. قيل: في الكلام تقديم وتأخير. والمعنى: فإنّه سيهدين لعلّهم يرجعون وجعلها كلمة باقية في خلفه. أى قال لهم ذلك لعلّهم يتوبون عن عبادة غير الله. والعقب ـ في الأصل ـ عبارة عن شئ بعد شئ، سوآء أكان من جنسه أم من غير جنسه. يقال: أعقب الله بخير أى جآء بعد الشدّة بالرّخآء وأعقب الشّيب السّواد. وعَقَبَ عَقَباً: إذا جآء شيئاً بعد شئ، ولهذا يقال لولد الرّجل: عقبه. والمعقاب من النّسآءِ: الّتي تلد ذكراً بعد انثى هكذا أبداً. وعقب الرّجل: ولده وولد ولده الباقون بعده والعاقبة: الولد.

٢ ـ قيل: إنّ الورثة كلّهم عقب. ٣ ـ عن ابن زيد: العقب: الذّرّيّة. ٤ ـ عن ابن شهاب: هم الولد و ولد الولد. ٥ ـ قيل: العقب: أى ولده الاناث. ٦ ـ عن ابن عبّاس أيضاً ومجاهد: أى ولده. ٧ ـ عن الزّهري: عقب الرّجل: ولده الذّكور والاناث وأولاد الذّكور. ٨ ـ عن عطآءِ: أى ولده الذّكور. ٩ ـ عن الحسن: أى ولده الذّكور والإناث إلى يوم القيامة، وذرّيّته من ناحية ابنه وبنته. ١٠ ـ عن ابن عبّاس ومجاهد وابن زيد أيضاً: أى في ولده وذرّيّته.

١١ ـ قيل: «في عقبه» هم أولاده المخصوصون يكون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة المعصومون عليهم السّلام منهم كما قال تعالى: «لا ينال عهدى الظّالمين» البقرة: ١٢٤) حيث طلب إبراهيم عليه السّلام على سبيل العموم، فاستثنى الله عزّ وجلّ «الظّالمين» وإلّا كان بعض ذرّيّته عابد الصّنم كأبي لهب وعباس إبني عبدالمطلب.

**في تفسير الطّبري:** عن السّدي أنّه قال: «في عقبه»: في عقب إبراهيم آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وتفسير القرطبي: وقال السّدي «في عقبه» : هم آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

**أقول :** والأخير هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

**وفي قوله عزّ وجلّ:** «لعلّهم يرجعون» أقوال: ١ ـ عن الحسن: أى لعلّ قوم إبراهيم عليه السّلام يرجعون عن الشّرك إلى التوحيد، وعن عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده. فالضميران راجعان إلى قوم إبراهيم عليه السّلام. ٢ ـ عن ابن عباس والفرّآءِ: أى لعلّ أهل مكّة يرجعون عمّا هم عليه من الشرك والكفر إلى التّوحيد: «لا إله إلّا الله» وإلى الايمان برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويعملون بموجبه. ٣ ـ عن قتادة: أى لعلّهم يعترفون ويذكرون الله. ٤ ـ قيل: إنّ الأئمّة المعصومين عليهم السّلام يرجعون إلى الدّنيا. ٥ ـ قيل: لعلّ المشركين العرب يرجعون من عبادة آلهة غير الله إلى عبادة الله أى يرجع بعضهم، وهم العابدون لغير الله بدعوة بعضهم وهم العابدون لله وحده إلى عبادة الله تعالى وحده. ٦ ـ قيل: أى لعلّ مشركي مكّة يرجعون عمّا هم عليه إلى دين أبيهم إبراهيم.

٧ ـ عن قتادة أيضاً ومجاهد: أى يتوبون أو يذكرون. ٨ ـ عن الحسن والفرّآءِ: أى ليرجعوا إلى طاعة ربّهم، ويتوبوا إلى عبادته، ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم، ويرجعوا عمّا هم عليه إلى الإقتدآءِ بأبيهم إبراهيم في توحيد الله جلّ وعلا كما اقتدى المشركون بآبآئهم... ٩ ـ قيل: أى لعلّ ذرّيّة إبراهيم عليه السّلام يرجعون إلى هذا الميراث الّذي تركه فيهم، ويذكرون ما وصّاهم به من الايمان بالله وحده وألّا يموتوا إلّا وهم مسلمون، وإذ كان مشركوا العرب من ذرّيّة إبراهيم عليه السّلام فإنّ لهم ميراثهم من كلمته هذه وإنّهم إذا كانوا قد وجدوا آبآءهم على دين غير دين أبيهم الأكبر إبراهيم عليه السّلام فإنّ أباهم هذا قد ترك فيهم ميراثاً خيراً من هذا الميراث، وديناً أقوم من هذا الدّين الّذي تلقّوه عن آبآئهم، إنّ آبآءهم قد ضيّعوا هذا الميراث، فليمدّوا هم أيديهم لتلقيه والانتفاع به. ويرجعوا إليه، وهو الّذي بنى لهم البيت الحرام، وأورثهم ذلك الفخر تبعوه فيما يدين به، ولايزال من عقبه عليه السلام مَن يعبد الله إلى يوم القيامة. ١٠ ـ قيل: أى لعلّهم يرجعون إلى الكلمة الباقية وهى الإمامة لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

**أقول :** و على الخامس جمهور المحقّقين وفي معناه العاشر، من دون تناف بينهما وبين

بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً ولاتغفل.

## ٢٩ ـ (بل متّعت هؤلآءِ وآبآءهم حتّى جآءهم الحقّ ورسول مبين)

**في قوله تعالى:** «بل متّعت...» أقوال: ١ ـ عن ابن‌عبّاس: أى أجلت وتركت هؤلآءِ المشركين المعاصرين لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل بعثته كما تركت آبآئهم من قبل، فلم نبعث فيهم رسولاً فعاشوا كما تشآء لهم أهوآءهم، مطلقين من كلّ قيد، يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، غير منذرين أو مبشرين... وقد ظلّوا هكذا معفين من التكاليف الشّرعية حتّى جآءهم الحق. ٢ ـ قيل: أى يسّرت لهم الأسباب والوسآئل... ٣ـقيل: أى ولكنّي متّعت هؤلآء المشركين وآبآءهم من قبل، ومددت أعمارهم وأكثرت نعمهم، فشغلتهم النّعم والترف والشّهوات، فأطاعوا الشّيطان ونسوا كلمة التوحيد، فجريت على سنّتي أن أجعل في بنى إبراهيم عليه السّلام من يوحّد الله ويدعوا من أشرك منهم إلى التّوحيد، وأصبحت كلمة التوحيد فيهم منسيّة.

**أقول:** ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها.

**وفي قوله تعالى:** «حتّى جآءهم الحقّ» أقوال: ١ ـ عن السّدي: أى حتّى جآءهم القرآن. ٢ ـ قيل: أى حتّى جآئهم الآيات الدّالّة على صدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٣ـقيل: أى حتّى جآءهم بالتّوحيد والإسلام الّذي هو أصل دين إبراهيم وهو الكلمة الّتي بقاها الله تعالى في عقبه.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

**وفي قوله عزّ وجلّ:** «رسول مبين» أقوال: ١ ـ قيل: هو محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يبيّن الحق ويظهره أوضح بيان لحدّ لم يسبقه سابق، وكأن من سبقه من رسل لم يكن فيهم مبين، وكلّهم في حدّه مبين، فهذا الرّسول مبين بنفسه، ومبين بكتابه، ومبين بمعجزاته، مبين بمن قبله في بشاراته، ومبين بشاهد منه في تربياته: «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنّار موعده فلا تک في مرية منه إنّه الحق من ربّك ولكنّ أكثر النّاس لا يؤمنون» هود: ١٧)

٢ ـ قيل: أى يبيّن الاصول الإعتقاديّة والفروع والأحكام الشرعيّة للنّاس. ٣ ـ قيل: يبين ـ من أبان ـ بين الحق والباطل، بين الهدى والضّلالة، بين الخير والشرّ، بين طريق السّعادة والشّقآء، بين طريق الكمال والانحطاط... فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر. ٤ ـ قيل: أى مبين برسالته الواضحة في دلالتها على صدقه وأمانته، ويبيّن لهم بالحجج والمعجزات الّتي يحتجّ بها على قومه أنّه لله رسول محقّ فيما يقول. ٥ ـ عن ابن عبّاس: أى يبيّن لهم الكتاب بلغة يعلمون به ويعملون بها. ٦ ـ قيل: أى يبيّن لهم ما بهم إليه حاجة. ٧ ـ قيل: أى ظاهر الرّسالة بما معها من المعجزات الباهرة والآيات البيّنة. ٨ ـ قيل: أى بيّن رسالته للنّاس.

**أقول :** والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق والتنكير، فتأمّل جيّداً.

**٣١ ـ (وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)**

**في قوله تعالى:** «على رجل من القريتين عظيم» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس وقتادة: يعنون الوليد بن المغيرة المخزومى من أهل مكّة، وأبامسعود عروة بن مسعود الثقفيّ من أهل الطّائف.

**في إعراب القرآن للزّجّاج:** قال الزّجاج: «هكذا قالوه وأنكره الأسود، وقال: «هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريف الثّقفي، وكان من أهل الطّآئف، وكان ينزل مكّة وهو حليفٌ لبني زهرة وهو أحد المنافقين، مطاع، فلمّا كان ثقيفيّاً من أهل الطّآئف ثمّ نزل مكّة جاز أن يقال: «على رجل من القريتين» وهذا ظاهر» إنتهى كلامه.

٢ ـ عن مجاهد: يعنون عتبة (عقبة خ) ابن أبي ربيعة ريحانة قريش من مكّة، وعمير ابن عبد يا ليل الثّقفي من الطّائف. ٣ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: الوليد بن المغيرة القرشى خيار قريش من مكّة، وحبيب بن عمرو بن عمير الثّقفيّ من الطّآئف. ٤ ـ عن السّدي: الوليد بن المغيرة القرشى من مكة وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير من الطّآئف. ٥ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: الوليد بن المغيرة من أهل مكّة، ومسعود بن عمرو الثّقفيّ من أهل ا لطّآئف. ٦ ـ عن قتادة أيضاً: الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثّقفيّ.

وروى: أنّ الوليد بن المغيرة ـ وكان يسمّى ريحانة قريش ـ كان يقول: لو كان ما يقوله محمّد حقّاً لنزل عَلَيَّ أو على ابن مسعود. ۷ ـ قيل: إنّ ذلك من تطبيق المفسّرين، وإنّما قالوا ما قالوا على الإبهام، وأرادوا أحد هؤلآءِ من عظمآءِ القريتين.

**أقول :** وعلى الأوّل جمهور المفسّرين، وهو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام والقول السّادس هو الأوّل، إذ كان كنيته أبا مسعود.

**۳۲ ـ (أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون)**

**في قوله تعالى:** «أهم يقسمون رحمة ربّك» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس: أي أهم يقسمون نبوّة ربّك وكتاب ربّك، فيقسمونها لمن شآؤا. فالمراد بـ«رحمة ربّك» النّبوّة والقرآن حين قالوا: لِمَ لم ينزل على الوليد بن المغيرة أو على عروة بن مسعود.

فالجملة إنكار على المشركين المترفين العرب ما أنكروه على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يكون موضع هذا الإحسان العظيم، وحامل هذا النّور القدسيّ السّماويّ... إنّهم ليسواهم الّذين يقسمون هذه الرّحمة، بل هي بيد الله جلّ وعلا يضعها حيث يشآء وتختصّ بها من عباده من يشآء.

ففيها ردّ على هذا المنطق السّقيم السّفيه الّذي تجري عليه مقاييس الامور عندهم، وأنّهم لايفرّقون بين مطالب الجسد وحاجة الرّوح، ولا ما هو من غذآءِ الأجسام وغذاء العقول... ! فالإنسان العظيم عندهم هو من جمع ما جمع من مال، وما استكثر من عُدَد وعَدَد، وعتادٍ ورجال إن كان لا حظّ له من عقل سليم ولا خُلقٌ قويم.

۲ ـ عن مقاتل: أي هم يقسمون النّبوّة بين الخلق. والمعنى: أفبأيدي زعمآءِ المشركين العرب مفاتيح الرّسالة، فيضعونها حيث شآؤا كانتخاب الرّئاسة الجمهوريّة لمملكة برّاً كان أو فاجراً؟ أفهم المدبّرون لأمر الرّسالة والتخيّر لها من يصلح لها ويقوم بها، والمتولّون لقسمة رحمة الله الّتي لايتولّاها إلّا هو بحكمته، وهو وحده الّذي يقسّم الرّسالة لاغيره

فيعطيها من يليق بمقامها، ولم يعبد الأصنام طرفة عين أبداً، يعطيها من ناسب حاله عظمة الله، فهم ليسوا بقاسميها، كيف وهم عاجزون عن تدبير مصالح دنياهم، وأنّ الله تعالى قسّم بينهم معيشتهم وقدّرها... ولم يوهّم ذلك التّدبير، ولم يفوّضه إليهم مع قلّة خـطره، فكـيف يكون أمر الرّسالة مفوّضاً إليهم مع جلالة قدرها وعظم خطرها، وكونها رحمة الله الكبرى؟

فنحن فاوتنا بينهم في الرّزق، فمنهم الغنيّ والسّيّد، ومنهم الفقير والعبد، ومنهم المـلوك والأقـوياء، ومـنهم السّـوقة والضّـعفآء، ومـنهم ذو والجـمال والجـلالة، ومـنهم القـبيح وذو والدّمامة... ولم يقدر أحد من عبادنا أن يغيّر ما حكمنا به في أحوال دنياهم مع قلّتها وذلّتها، فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا فيما هو أرفـع درجـة وأعـظم مـنصباً وأشرف غاية، وهو النّبوّة، فنحن رفعنا بعضهم على بعض بمشـيّتنا وخـصصنا مـن نشآء للنّبوّة كما أردنا، فكما لم يغيّروا ما هو أدنى هكذا هم أعجز عن التّغيير فيما هو أعلى؟

فإذا لم يكن الرّزق بأيديهم، فكيف تكون النّبوّة منهم، وهم لايـعرفون مكـان الخـير والفضل والعظمة، ولايفهمون معنى القيم الّتي ترفع النّاس درجات، ولم يفوّض إليهم توزيع المناصب والمراتب... إنّ الله تعالى يقسّم فضله بالعدل، ويعلم وزن العظمة والكرامة... وفي مفهوم النّاس: أنّ ربّ العمل أرفع من العامل، وأمّا عند الله تعالى فالأرفع هو الأتـقى: «إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم» الحجرات: ۱۳)

فعجباً لهم كيف جهلوا قدر أنفسهم؟ أو قد بلغ من أمرهم أن يصطفوا من يشآؤن للنّبوّة الّتي لايصلح لها إلّا من بلغ مرتبة روحانيّة خاصّة، وكان ذا فضآئل قدسيّة وكمالات خلقيّة، مستهيناً بالزّخارف الدّنيويّة الّتي انغمسوا فيها؟ فهم ليسوا لها بأهل، فضلاً عن أن يهبوها لمن يشاؤن، فهم لايملكون النّبوّة الّتي هى رحمة الله الخاصّة به، حتّى يمنعوك منها، ويعطوها لمن هَوَوْهُ؟!

۳ ـ قيل: اريد بـ «رحمت ربّك» رحمة الدّين والهداية. والمعنى: انّ هؤلآء الزّعمآء ليسوا بقاسمي رحمة الدّين والهداية الّتي لاحظّ لهم منها، ولا معرفة لهم بها، بل ليسوا بقاسمى ما هم يعرفونه ويتصرّفون به مـن المـعيشة والحـطام الدّنـيوىّ الّـذي يـتهالكون عـلى كسـبه ولا يقصدون إلّا إيّاه فضلاً عمّا لم يشمّوا عرفه ولم يعرفوا حاله.

**أقول:** وهو الأول المرويّ من دون تناف بينه وبين الأخيرين.

**وفي قوله عزّ وجلّ:** «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا» أقوال: ١ ـ قيل: أى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا، إذ أفقرنا قوماً وأغنينا آخرين، فاذا لم يكن أمر الدّنيا إليهم فكيف يفوّض أمر النّبوّة إليهم، فتلقاه ضعيف القوّة، قليل الحيلة، عيّ اللّسان، وهو مبسوط له، وتلقّاه شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقترّ عليه. ٢ ـ قيل: أى نحن أعطينا عظيم القريتين ما أعطينا لا لكرامتهما عليّ ولا لمنزلتهما عندنا، وأنا قادر على نزع النّعمة عنهما، فأيّ فضل وقدر لهما؟ ٣ ـ عن ابن عباس: أى نحن قسمنا بينهم معيشتهم بالمال والولد. ٤ ـ قيل: أى نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فجعل من شئنا رسولاً، ومن أردنا صديقاً، ونتّخذ من أردنا خليلاً كما قسمنا بينهم معيشتهم الّتي يعيشون بها في حياتهم الدّنيا من الأرزاق والأقوات... حسب ما علمنا من مصالح عبادنا، فليس لأحد أن يتحكّم في شئ من ذلك، فكما فضّلنا بعضهم على بعض في الرّزق، فكذلك اصطفينا للرّسالة من نشآء. ٥ ـ قيل: أى نحن قسمنا أسباب معيشتهم.

٦ ـ قيل: إنّ المراد بالمعيشة كلّ ما يعاش به أعمّ من المال والجاه. ٧ ـ قيل: اريد بالمعيشة خصوص المال وغيره تبع له كما يؤيّده قوله ذيلاً: «ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون» فإنّ المراد به المال وغيره من لوازم الحياة مقصود بالتّبع.

**أقول:** والمعاني متقارب والمآل واحد.

**وفي قوله جلّ وعلا:** «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» أقوال: ١ ـ عن مقاتل: أى فاضلنا بينهم، فمن فاضل ومفضول، ورئيس ومرؤس وخادم ومخدوم. ٢ ـ قيل: أى بالحرّيّة والرّقّ، فبعضهم مالك وبعضهم مملوك. ٣ ـ قيل: أى بالغنى والفقر، فبعضهم غنيّ وبعضهم فقير. ٤ ـ قيل: أى وفضّلنا بعض العباد على بعض في الغنى والفقر، وفي القوّة والضّعف، وفي العلم والجهل، وفي الشّهرة والخمول... إذ لو سوّينا بينهم فيها لم يخدم بعضهم بعضاً ولم يسخّر أحد غيره، وذلك ممّا يفضي إلى خراب العالم وفساد الدّنيا، ولم يستطع أحد أن يغيّر نظامنا ولا أن يخرج عن حكمنا.

هذه هى حظوظهم الّتي بين أيديهم من الدّنيا... هى بيد الله تعالى يعطي منها مايشآء لمن

يشآء، فليست حظوظهم منها على حدّ سوآءٍ، فكلّ له منها ما قسّم الله له، فـبعضهم غـنيّ واسع الغنى كثير المال، وبعضهم فقير لا يملك شيئاً، وبعضهم كثير المال لا ولد له، وبعضهم كثير الأولاد ولا مال له، وبعضهم سقيم امتلأت يداه بالمال لا يـقدر عـلى الانـتفاع، بـه، وبعضهم صحيح صفرت يداه من المال وهو الجائع... وهكذا، هم في معيشة الحياة الدّنـيا درجات بعضهم فوق بعض... وذلك لأمرٍ أراده الله تعالى، وهو أن يعيش النّـاس في هـذه المستويات المختلفة، حتّى يملأوا كلّ فراغ فيها، وحتّى تتدافع بهم تيارات الحياة، كما تتدافع الأمواج على صدر المحيط.

وانّ الدّليل على أنّ الأرزاق والأقوات والمعايش ليست بيد الإنسان اختلاف أفـراده بالغنى والفقر، والعافية والصّحّة وفي الأولاد وسآئر مايعدّ من الرّزق، وكلّ يريد أن يقتني منها ما لا مزيد عليه، ولا يكاد يتيسّر لأحد منهم جميع ما يتمنّاه ويرتضيه، فلو كان ذلك بيد الإنسان لم يوجد معدم فقير في شئ منها، بل لم يختلف إثنان فيها فاختلافهم فيها أوضح دليل على أنّ الرّزق مقسوم بمشيّة الله تعالى دون الإنسان.

وأمّا الإرادة والعمل من الإنسان «ليس للإنسان إلّا ماسعى» النّجم: ٣٩) فبعض الأسباب النّاقصة لحصول المطلوب الّذي هو الرّزق، وورآءهما أسباب كونيّة لاتحصى خارجة عن مقدرة الإنسان لايحصل المطلوب إلّا بحصولها جميعاً، واجتماعها عليه، وليست إلّا بـيد الله الّذي إليه تنتهى الأسباب... هذا كلّه في المال، وأمّا الجاه فهو أيضاً مقسوم من عند الله تعالى، فإنّه يتوقّف على صفات خاصّة، بها ترتفع درجات الإنسان في المجتمع، فيتمكّن من تسخير من هو دونه كالفطنة والدّهآءِ والشّجاعة والذّكآء والمتانة وعلوّ الهمّة وإحكام العزيمة وكثرة المال والعشيرة... وشئ من ذلك لايتمّ إلّا بصنع من الله عزّ وجلّ، وذلك قوله تعالى: «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات...» فيتبيّن لمجموع قوله سبحانه: «نحن قسمنا ـ ورفعنا بعضهم فوق بعض...» أنّ القاسم للمعيشة والجاه بين النّاس هو الله تعالى لاغيره.

٥ ـ قيل: أي رفعنا بعضهم فوق بعض درجات بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. ٦ ـ عن ابن عبّاس: أي فضآئل بالمال والولد والجاه... ففضّلنا بعضهم على بعض فيها، فجعلنا منهم أغنيآء ومحاويج وأقويآء وضعفآء... ـ قيل: أي أوقعنا بينهم التفاوت في الرّزق وغيره

على ما توجبه الحكمة، فرفعنا بعضهم بالمال والجاه والعلم والفضل فوق بعض. وقيل: إنّ الوجه في اختلاف الرّزق بين الخلق في الضيّق والسّعة زيادة على مافيه من الحكمة والمصلحة أنّ في ذلك تسخير بعض العباد لبعض بإحواجهم إليهم، لما في ذلك من الأحوال الّتي تدعو إلى طلب الرّفعة وارتباط النّعمة، ولما فيه من الاعتبار بحال الغنيّ والحاجة، وما فيه من صحّة التّكليف على المثوبة.

۷ ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «ورفعنا بعضهم...» عطف تفسير على قوله: «نحن قسمنا...» بأنّ الله عزّ وجلّ أعطى كلّ فرد من أفراد المجتمع مايرتفع به حوآئج الحياة فهو بما خصّ به يرفع عمّن لايكون عنده ذلك كالخبّاز ـ مثلاً ـ فيحتاج إلى السّقّآء وبالعكس، فكلّ منهما يرفع على الآخر ما عنده. فقوله: «ورفعنا بعضهم...» يبيّن قسم المعيشة بينهم ببيان علل انقسامها في المجتمع الإنساني، وذلك أنّ كثرة حوآئج الإنسان في حياته الدنيويّة بحيث لايقدر على رفع جميعها في عيش إنفراديّ أحوجته إلى الاجتماع مع غيره من الأفراد على طريق الاستخدام والاستدرار أوّلاً، وعلى طريق التّعاون والتّعاضد ثانياً.

فآل الأمر إلى المعاوضة العامّة المفيدة لنوع من الاختصاص بأن يعطي كلّ ممّا عنده من حوآئج الحياة مايفضل من حاجته، ويأخذ به من غيره ما يعادله ممّا يحتاج إليه، فيعطي مثلاً ما يفضل من حاجته من المآءِ الّذي عنده وقد حصّله واختصّ به، ويأخذ من غيره ما يزيد على قوته من الغذآءِ، ولازم ذلك أن يسعى كلّ فرد بما يستعدّ له ويحسنه من السّعي، فيقتني ممّا يحتاج إليه مايختصّ به، ولازم ذلك أن يحتاج إليه غيره فيما عنده من متاع الحياة، فيتسخّر له فيفيده مايحتاج إليه كالبنّاء يحتاج إلى العامل، وبالعكس، فيتعاونان بالمعاونة، وكالمخدوم يتسخّر للخادم لخدمته، والخادم يتسخّر للمخدوم لماله، وهكذا... فكلّ بعض من المجتمع مسخّر لآخرين بما عنده والآخرون متسخّرون له بلاواسطة أو بواسطة أو وسآئط لما أنّ كلاً يرتفع على غيره بما يختصّ به ممّا عنده بدرجات مختلفة باختلاف تعلّق الهمم والأغراض به.

**أقول**: والرّابع هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

**وفي قوله سبحانه**: «ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس وابن زيد:

أى خَوَلاً وخدّاماً وعبيداً وتابعاً يسخر الأغنيآء الفقرآء...

وذلك أنّ الإنسان خلق مدنياً بالطّبع، فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض، فيستخدم بعضهم بعضاً، ويستخرهم في أشغالهم حتّى يصلوا إلى منافعهم، فيصرف بعضهم بعضاً في حوآئجهم ويستخدموهم في مهنهم حتّى يعيش بعضهم مع بعض، وينفع بعضهم بعضاً، فهذا بماله وهذا بأعماله، لأنّا حكمنا أنّ هذه النّفوس تعيش في الأرض لتتعاون، ونحن قادرون أن نطعمهم وهم قاعدون كما أطعمنا النّبات والدّود والحيوان... وأنّ أسباب الرّزق على أنواع: صناعة وتجارة وزراعة... فالوجه في اختلاف الرّزق بين العباد في الضّيق والسّعة زيادة على ما فيه من المصلحة أنّ في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض بإحواجهم إليهم يستخدم بعضهم بعضاً، فينتفع أحدهم بعمل الآخر له، ويحصل بينهم تألّف، فينتظم بذلك قوام أمر العالم لا لكمال في الموسّع، ولا لنقص في المقتّر عليه.

٢ ـ عن قتادة والضّحّاك: أى ليملك بعضهم بعضاً بما لهم فيتّخذونهم عبيداً ومماليك...

٣ ـ قيل: أى ليتّخذ كلّ واحد من النّاس غيره مسخراً لنفسه. وذلك أنّ كلّ البشر مسخّر، بعضهم لبعض، فإنّ دولاب الحياة يدور بالجميع بخلاف عالم الحيوان والنبات الجماد، فيسخر بعضهم لبعض في كلّ وضع وفي كلّ ظرف، المقدور عليه في الرّزق مسخّر للمبسوط له في الرّزق والعكس، فهذا مسخّر ليجمع المال فيأكل منه، ويرتزق ذاك، وكلاهما مسخّر للآخر سوآء بسوآءٍ، والتّفاوت في الرّزق هو الّذي يسخّر هذا لذاك، ويسخّر ذاك هذا في دورة الحياة، فالعامل مسخّر للمهندس، ومسخّر لصاحب العمل، والمهندس مسخّر للعامل ولصاحب العمل، وصاحب العمل مسخّر للمهندس وللعامل على السّوآءِ، وكلّهم مسخّرون للخلافة في الأرض بهذا التّفاوت في المواهب والاستعدادات والتّفاوت في الأعمال والأرزاق...

٤ ـ قيل: التّسخير هنا استعلآء بعض على بعض، واستعلآء طبقة على طبقة، واستعلاء فرد على فرد. ٥ ـ قيل: «سخريّاً» من السّخريّة الّتي هى بمعنى الاستهزآءِ أى ليستهزئ الغنيّ بالفقير، والقويّ بالضّعيف، والقادر بالعاجز، والعالم بالجاهل...

٦ ـ قيل: إنّ الجملة، «ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً» بصدد تقرير حقيقة ثابتة في نظام

المجتمع الإنساني وهى طبقيّته بإرادة الرّبّ الرّحمن القادر المتعال حيث إنّها من شئون الرّبوبيّة والرّحمة العامّة لتنظيم الحياة البشرية، حيث يدور دولابها كما هى ثابتة في نفس نظام الكون ونواميس الوجود كلّه.

هنا لك معيشة في الحياة العليا الّتي من شئون الأُلوهيّة والرّحمة الخاصّة، وهى الرّسالة الإلهيّة: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» في قلوب صافية ضافية تفيض كما تستفيض دونما خيانة، وهناك عيشة في الحياة الدّنيا كسآئر مايعيّش الإنسان فيما سوى الرّوحيّة والمعنويّة، من عقليّة عمليّة واستعدادات في تحصيل المال والمنال... وفي صناعات... ممّا تدير شئون هذه الحياة: «ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً» دون أن يكون النّاس كلّهم على حدّ سوآءٍ في معيشتهم نُسَخاً متماثلة مكرّرة تُحيل أن تقوم معيشة وحياة في هذه الأرض.

نجد ثلاث طبقيّات بين الجوامع الإنسانيّة في كلّ ظرف:

**الاولى :** طبقيّة ظالمة، وهي توجد من أكلة الأرض ومصّاصي الدّمآءِ من المستكبرين الظّالمين بحقوق المستضعفين، فتطارد الشّرائع الإلهيّة كلّها هذه الطّبقيّة في كلّ ظرف، حيث تقرّر: «يا أيها النّاس كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً ـ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» البقرة: ١٦٨ و ١٨٨) «وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى» النّجم: ٣٩).

وإنّ الضّوابط الإقتصاديّة العادلة تحارب الفقر النّاشئ عن البطالة... وتحارب الغنيّ الظّالم، ولا تحارب الغنيّ عن سعى الّذى لايظلم الفقير المظلوم، وأمّا الفقير عن تقصير وعطالة... فتحاربه كما يندد بالفقير المتخاذل الّذي يتكاسل عن الأخذ بحقّه، حيث إنّ قبول الظّلم ظلم لنفس المظلوم ولغيره وتقوية للظّالم. وهذه الطّبقيّة لاتبتني على التّشريع ولا على التّكوين بل تخالفها تماماً. وهذه الطّبقيّة ليست من فعل الله سبحانه لا تكويناً ولاتشريعاً، وإنّما هى من ظلم النّاس بعضهم بعضاً أو ظلم بعضهم لنفسه، وليست من إله النّاس ولا من عدول النّاس.

**الثانية:** طبقيّة عادلة تشريعاً تراعي حقوق النّاس كلّهم بحسبه، فتعطي كلّ ذي حقّ حقّه، وتعطي سعي كلّ ساعٍ حقّه، فإن زاد سعيه عن حاجته فتنفق على مَن نقص، وإن نقص سعيه عن حاجته، فترحم عليه ممّن زاد دون منّ ولا أذىً: «لينفق ذو سعة من سعته ومن

قدر عليه رزقه فلينفق ممّا آتاه الله» الطّلاق:٧) هذه طبقيّة عادلة تـقرّب بـين السّـاعين في عيشتهم رغم اختلافهم في مساعيهم، وهكذا تقرّر الشّريعة الإلهيّة، سعياً حسب المستطاع وتراحماً بين السّاعين حسب المستطاع، وهذه طبقيّة تبتنى على نـظام التـشريع، تـناسب عيشة الإنسان، وهو في هذه الطّبقيّة وما قبلها مختار فمن شآء فليؤمن ويـعدل، ومـن شآء فليكفر ويظلم.

الثّالثة: طبقيّة فاضلة، وهى من إله النّاس تكويناً ليس للإنسان فـيها اخـتيار، فـإنّها حصيلة من مختلف المواهب والاستعدادات: «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليـتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً» فسِمة التّـفاوت في مـقادير الرّزق، نـتيجة تـفاوت الدّرجـات في استعدادات وفعليّات، هذه السِّمة لاتتخلّف أبداً حتّى في المجتمعات المـصطنعة المحكـومة بمذاهب موجّهة أن تساوي جميع الأفراد في هذا الرّزق أبداً، وإنّ الحكمة الأصيلة الإلهيّة في هذه السّمة هي «التّسخير» وطبعاً التسخير العادل المتعادل، لا الاستثمار الظّالم ولا الاستعمار والاستكبار، ولا الاستحمار والاستبداد، ولا الاستضعاف والاسـتخفاف: سـخريّاً ظـالماً هاتكاً حُرَم الإنسانيّة في أبوابه السّبع الجهنّميّة، حيث إنّ الشّرائع الإلهيّة تحاربها وتـغلقها دون مواربة ولامسايرة.

أجل إنّ «سخريّاً» لايعني طبقيّاً مشكّلاً من مسخِّرٍ ومُسَخَّرٍ دآئبين فإنّه سخريّ جانبي من الظّالمين المستكبرين، وإنّما السخريّ من كلّ الجوانب عدلاً وفضلاً، فـالعامل مسـخّر للمهندس، ولصاحب العمل، والمهندس مسخّر للعامل ولصاحب العمل، وصاحب العمل مسخّر للمهندس وللعامل على سوآءٍ، فكلّ مفضّل على الآخر بما عنده كما الآخر مـفضّل عليه بما عنده، فلو كان الكلّ على سوآءٍ في المواهب والاستعدادات لما مكّن أحد نفسه في شغل لآخر مثله، ولما تمكّن أحد من تسخير أحد هو مثله، وحالة الاستغناء هذه تمنع الحياة الجماعيّة والتّساخر بين الأفراد في حوآئجهم فتقف عَجَلة الحياة، فـ«سخرياً» هـذه هـى التّعامل اللازم واللّآئق بشأن الحياة كما تقتضيه الشّرعة العادلة الإلهيّة: أنّ لكلّ ساعٍ سعيه، ثمّ الزّائد والنّاقص في سعيه دون تقصير يتعاملان تعاملاً آخر، أن يفيد الأوّل مـن سـعيه الآخر، ويستفيد الآخر من سعي الأوّل، إنفاقاً دون منٍّ ولا أذىً حتّى تحصل طبقيّة عادلة.

فطبقيّة ظالمة تعمّ ما تحصل من ظلامات، ومن ترك الإنفاقات الواجبة والرّاجحة، وطبقيّة عادلة تطردهما في ترك الظّلامات وفعل الإنفاقات على ضوءِ الطبقيّة الفاضلة. فليست الطبقيّة كلّها ظالمة، وإنّما الظّلم ممنوع مذموم مطلقاً، والعدل مطلوب ممدوح مطلقاً، وأمّا اللّا طبقية فكلمة ماكرة خديعة لاستحمار عوام النّاس واستثمارهم لايمكن تحقّقها أبداً.

أترى لو تغاضينا عن آماد المساعى، فأعطينا عمالاً على اختلاف مساعيهم أُجوراً متساوية، أو قدر الحاجة لإزالة الطّبقيّة بينهم، ولكى لاتحصل، هل هو إذاً عدل؟ فـ«وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى» إذاً ظلم؟ كما يقوله الاقتصاد الشّيوعي، أم لو أعطينا كلاً على ما سعى دون رعاية لقصور الضّعاف أن نزيدهم لحدّ الكفاف، ودون أخذ الضّرآئب من الأقويآء إنفاقاً للضّعاف، تطبيقاً مكانيكيّاً لقاعدة السّعى، فهل عدلنا أم كما تقول الإشتراكية ظلمنا؟

أم إذ نجمع ـ على ضوءِ الاقتصاد الإسلاميّ ـ بين قاعدة السّعى وبين رعاية الضّعاف القُصَّر بفرض ضرآئب الكفاف على الأثريآءِ رعاية للمحاويج أفراداً أو جماعات، فهل ظلمنا أو عدلنا؟ وهذا ما يقوله الإسلام: «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً» على ضوءِ قاعدة السّعي والإنفاق المستحقّ، ليذهب الفقر من بين الجماعة المسلمة، وتقاربوا معنويّاً، فسماحة الإنفاق رَبْوَةٌ روحيّة بين النّاس، وتطبيق قاعدة السّعي عدل واقعيّ، وفي اختلاف المواهب والاستعدادات تمازج في تعاون دائب بين النّاس، حيث إنّ الكلّ محاويج بعضهم إلى بعض نتيجة اختلاف الدّرجات والموهبات والحاجيات...

آية السّخريّ تجعل مباعضة في بني آدم كافّة كأنّهم أبعاض لشخص واحد «ليتّخذ بعضهم بعضاً» وكما أنّ هناك سخريّ التّساخر العادل المتعادل المتكامل بين أعضآءِ الفرد الإنساني على درجات في الموهبات والإستعدادات في هذه الأعضآءِ، تحكمها روح واحدة باتّجاه واحد هو صالح المجموعة، فلتكن كذلك المجموعة الإنسانيّة بأفرادها، فيعني كلّ كادح صالح حياته ضمن المجموعة، في سخريّ التّرابط التّضامن العادل المتكامل قضآءً لحاجيات الأفراد ضمن المجموعة، والمجموعة ضمن الأفراد...

لاتجد في أيّة شرعة إلهيّة سماحاً لسُخريّ الاستبداد والاستكبار والاستخفاف

والاستعمار والاستثمار والاستضعاف والاستحمار... حيث أغلقت هـذه الأبـواب السّـبعة الجهنّميّة بمصراعيها على بني آدم، فاتحةً أبواب التّعايش العادل السّلمي والحياة التّضامنية العادلة الفاضلة، فلاتجد تسخيراً مسيّراً على عمل، أم مخيّراً في سعى لايوازيه أجره، فحرّيّة العمل، وحرّيّة الانتخاب في العمل لا يسلبها «سخريّاً» إلّا عادلاً يرجع إلى صالح الأفراد والمجتمعات، تقديماً لصالحها على صالح الأفراد، دون تأصّل للأفراد والمجتمع على هامشها، أو تأصّل للمجتمع والأفراد على هامشه، بل الأصلان مرعيّان تفضيلاً لصالح المجتمع عند التّعارض، وكما تجده في الحقل الاقتصاديّ الإسلاميّ كأفضل ما يمكن على ضوءِ الكتاب والسّنّة.

ثمّ إنّ في اتّخاذ بعضهم بعضاً سُخرياً حسب اختلاف الدّرجات ومقتضاها منتوجة اخرى بعد قضاء هذه الحاجيات، هى درك الإنسان للكمال، والأكمل فالتحرّى عنه والالتذاذ به ولو كان النّاس على حدّ سواء جمالاً وكمالاً، وفي كافّة المتطلبات فغضّاً عن شلّ الحركة التّضامنية حينذاك، لم يحظّ الإنسان حظوة بما عنده حيث يراه عند سآئر النّاس على سوآءِ، ولم يلتذّ إنسان بنعمة عنده لما يراها عند سآئر النّاس على سوآءٍ إذاً لزالت اللذّات ومرّت الحياة مُرَّةً دون حراك، لو أنّها مرّت دون تضامن التّساخر والتّعامل!

فالإشتراكيّة المتساوية خلقة وفي استعدادات هى هادمة اللّذّات، موقفة عجلة السّير الدّآئب المتسابق في الحياة، ولكنّما الطّبقيّة العادلة المتعادلة المتكاملة على ضوءِ الشّرآئع الإلهيّة إنّها تضمن عجلة دآئبة في صراع عجلة الحياة وسرعتها في سراعها، سباقاً سآئغاً سابغاً في ميادينها، وسراعاً: «سابقوا إلى مغفرة من ربكم» الحديد: ٢١) و «سارعوا إلى مغفرة من ربكم» آل عمران: ١٣٣).

**أقول:** والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولاتغفل.

**وفي قوله تعالى :** «ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون» أقوال: ١ ـ قيل: أى ورحمة ربّك العامّة أفضل ممّا يجمعون من الدّنيا ومتاع. ٢ ـ قيل: أى ورحمة ربّك الخاصّة بالمؤمنين خير ممّا يجمعون من المال والولد والجاه. ٣ ـ عن ابن عبّاس: الرّحمة هنا هى النّبوّة والكتاب من

ربّك خير ممّا يجمعونه من الأموال... ٤ ـ قيل: الرّحمة هي النّبوّة الّتي هي افضل من الدّنيا ومتاعها كلّه. لقوله تعالى: «وما ارسلناك الّا رحمة للعالمين» الأنبياء: ۱۰۷) وقوله: «أهُم يقسمون رحمة ربّك» والمعنى: فكيف يملكون النّبوّة وهم لايملكون قسم المال بينهم؟

٥ ـ قيل: الرّحمة هنا القرآن الكريم الّذي هو رحمة من رحمة الله جلّ وعلا هو خير من كلّ ما يجمع النّاس جميعاً من مال وما يقتنون من متاع، وما يرزقون من بنين... لقوله تعالى: «وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظّالمين الإ خساراً» الإسراء: ۸۲).

٦ ـ عن قتادة: الرّحمة هى الثّواب والجنّة للمؤمنين وهى خير من الدّنيا وما فيها يجمعه هؤلآءِ الكافرون. **أقول** : وقد سميّت الجنّة رحمة على سبيل المجاز على معنى أنّ النّعمة لمّا كانت صادرة عن الرّحمة اطلق إسم السّبب على المسبّب. قال الله تعالى: «متاع الدّنيا قليل والآخرة خير لمن اتّقى» النّساء: ۷۷) وقال: «وما الحياة الدّنيا إلّا لعب ولهو وللدّار الآخرة خير للّذين يتّقون أفلا تعقلون» الأنعام: ۳۲) فالرّحمة ما أعدّه الله تعالى لعباده الصّالحين في الدّار الآخرة.

۷ ـ قيل: أى تمام الفرآئض خير من كثرة النّوافل. ۸ ـ قيل: أى ما يتفضّل به عليهم خير ممّا يجازيهم عليه من أعمالهم. ۹ ـ قيل: أى وهذه الرّحمة الّتي هى دين الله وما يتبعه من الفوز والثّواب خير ممّا يجمع هؤلآءِ المشركون وزعمآؤهم من حطام الدّنيا وشهواتها... وذلك أنّ الدّنيا منقضية فانية ودين الله وما يتبعه من السّعادات باق لايزول، فكيف يجعل العاقل ما هو الأخسّ أفضل ممّا هو الأشرف. ۱۰ ـ قيل: الرّحمة هنا كل ما يطلق عليه إسم الرّحمة إمّا شمولاً وإمّا بدلاً خير ممّا يجمعون من الأموال وحطام الدّنيا وشهواتها...

**أقول** : وعلى الرّابع جمهور المحقّقين، وهو الأنسب بظاهر السّياق، وهو المستفاد من الرّوايات، من تنافٍ بينه وبين الثّالث والخامس إذ يتبع الكتاب، النّبوّة.

## ۳۳ ـ (ولو لا أن يكون النّاس امّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون)

**في قوله تعالى:** «ولو لا أن يكون النّاس امّة واحدة» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس وقتادة

والسّدي والحسن: أى لولا أن يجتمع النّاس على ملّة الكفر فيكونوا كلّهم كفّاراً لميلهم إلى الدّنيا وحرصهم على زخارفها وشهواتها... والمعنى: لو لا أن يكفر النّاس جميعاً بسبب ميلهم إلى الدّنيا وتركهم الآخرة لأعطيناهم في الدّنيا ما وصفناه لهوان الدّنيا ودنائتها وحقارتها وأهلها عندنا. ٢ ـ عن ابن زيد: أى ولو لا أن يجتمع النّاس في طلب الدّنيا واختيارها على الدّين. ٣ ـ قيل: أى لو لا كراهة أن يكون النّاس مجتمعين على الكفر. ٤ ـ عن الكسائي: أى لو لا أن يكون في الكفّار غنيّ وفقير، وفي المؤمنين مثل ذلك لأعطينا الكفّار من الدّنيا هذا لهوانها وهوانهم عندنا، ودنائتها ودنائتهم.

٥ ـ قيل: أى لو لا أن يصير النّاس كلّهم على مذهب واحد وسنّة واحدة وهي الكفر بالله سبحانه لو رأوا أنّ زخارف الدّنيا وما لها ومنالها بحذافيرها عند الكافر، والمؤمن صفر الكفّ منها مطلقاً. والمعنى: ولو لا أن يجتمع النّاس على الكفر لو رأوا تنعّم الكافرين، وحرمان المؤمنين لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة ودرجات عليها يظهرون لغيرهم. ٦ ـ قيل: أى إنّ الله تعالى جعل النّاس امّة واحدة بأن يكونوا كلّهم على دين واحد والمؤمنين بالله تعالى وبرسله وبكتبه وباليوم الآخر كما قال تعالى: «وكان النّاس امّة واحدة» البقرة: ٢١٣) فلولا ذلك، ويجعل النّاس على أديان ومذاهب مختلفة، ولم يخلقهم كلّهم على فطرة التّوحيد ليجعل للكفّار بيوتاً سقوفها مفضّضة حيث إنّهم يجمعون المال من أيّ طريق كان، ويحتكرون الثّراة، ولكنّا لم نشأ ذلك، ولم نجعل النّاس على الفطرتين المختلفتين، بل كلّهم على فطرة واحدة وهي التّوحيد.

٧ ـ قيل: أى ولو لا ما أردنا أن يتساوى النّاس كلّهم تجاه الأسباب الموصلة إلى زخارف الدّنيا، ولا يختلفوا فيها بالايمان والكفر لجعلنا لمن يكفر... هذا بنآءً على أنّ المراد بكون النّاس امّة واحدة كونهم جميعاً على نسبة واحدة تجاه الأسباب العاملة في حظوظ العيش من دون فرق بين الموحد الصالح، والمشرك الفاسد، فمن سعى سعيه للرّزق ووافقته الأسباب والعوامل الموصلة الاخرى نال منه موحّداً كان أو مشركاً، ومن لم يجتمع له حرم ذلك وقتر عليه الرّزق مؤمناً مطيعاً كان أو كافراً عاصياً. ٨ ـ قيل: أى ولو لا أن يكون النّاس امّة واحدة قبل بعثة الأنبيآء وإرسال الرّسل إليهم كما قبلها لجعلنا لمن يكفر... ٩ ـ قيل: أى لو لا

أن يكون النّاس امّة واحدة في قاعدى السّخريّ والسّعي اللّتين تقتضيان خليطاً من الفقر والغنى في فريق الكفر والايمان، من دون اختصاص أحدهما بأحدهما وإن كان الكفّار بطبيعة الحال أغنى من المؤمنين لأنّهم مكبّون على الحياة الدّنيا دون المؤمنين لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن...

**أقول** : والرّابع هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه أكثر الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

**وفي قوله تعالى:** «لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة» أقوال: ١ ـ قيل: أى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرّحمن سقفاً من فضّة. فالسّقف إذا كان من فضّة فالحيطان من فضّة. ٢ ـ قيل: أى لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن على بيوتهم سقفاً من فضّة. على أنّ اللام في «لبيوتهم» بمعنى «على» وقال مجاهد: ما يكون من السّمآءِ فهو سَقْف بالفتح، وما يكون من البيت فهو سُقُفٌ بضمّتين. ومنه قوله تعالى: «وجعلنا السّمآء سقفاً محفوظاً». ٣ ـ عن ابن عبّاس: أى لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن سمآء بيوتهم من فضّة، ودرجات يرتقون عليها من فضّة.

**أقول** : وعلى الأوّل أكثر المفسّرين من دون تنافٍ بينه وبين الثّاني.

**وفي قوله عزّ وجلّ:** «ومعارج عليها يظهرون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أى يصعدون بالمعارج إلى الغرف. ٢ ـ قيل: أى وجعلنا دَرَجاً وسلالم من فضّة لتلك السّقف عليها يعلون ويصعدون. ٣ ـ عن قتادة والسّدي: المعارج: المراقي يرفعون عليها. ٤ ـ قيل: أى على المصاعد يعلون السّطوح. ٥ ـ قيل: أى المعارج الّتي يظهرون بها على سطوح البيوت. ٦ ـ قيل: أى يظهرون لغيرهم. ٧ ـ قيل: أى يطّلعون ظاهرين غالبين على ما يهوون من التّطلّع إلى مافوق السّطوح الأرضيّة.

**أقول** : والخامس هو الأنسب بظاهر السّياق.

### ٣٥ ـ (وزخرفاً وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدّنيا والآخرة عند ربّك للمتّقين)

**في قوله تعالى:** «زخرفاً» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس والحسن وقتادة والسّدي

والضّحّاك: أى وجعلنا لهم مع ذلك ذهباً كثيراً. فيكون «ذهباً» عطفاً على محل «فضّة» أى سقفاً من فضة وذهب أي بعضها من فضّة وبعضها من ذهب. وإذا كانت المعارج والأبواب والسّرر كالسّقف كما تقدم يكون بعضها من فضّة وبعضها من ذهب على هذا التّقدير أيضاً.
٢ ـ عن الحسن أيضاً: الزّخرف: النقوش. والمزخرف: المنقوش. ٣ ـ عن ابن زيد: الزّخرف هو مايتّخذه النّاس في منازلهم من الفروش والأمتعة والأثاث والآلات... فيجلبون إلى تلك البيوت ألواناً من المتاع وأنواعاً من الزّخرف حتّى تفيض وتمتلئ... والمعنى: لأعطى الكافر في الدّنيا غاية ما يتمنّاه فيها لقلّتها وحقارتها ودنائة أهلها عنده وأنشدوا:

فلو كانت الدّنيا جزاءً لمحسن إذاً لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبيآء كرامةً وقد شَبِعَت فيها بطون البهآئم

وقال آخر:

تمتّع من الأيّام إن كنت حازماً فإنّك فيها بين ناهٍ وآمر
إذا أبقت الدّنيا على المرء دينَه فما فاته منها فليس بضآئر
فلا تزن الدّنيا جناح بعوضة ولا وزن رقّ من جناح لطآئر
فلم يرض بالدّنيا ثواباً لمحسن ولا رضى الدّنيا عقاباً لكافر

٤ ـ قيل: الزّخرف: مطلق الزّينة أى زينة من كلّ شئ. يقال: زخرف الدّار: زينتها وتزخرف فلان: تزيّن. والزّخرف: كمال حسن الشّئ، ومنه قيل: للذّهب، ويقال: زخرفه: إذا حسّنه وزيّنه. ومنه قيل للنّقوش والتصاوير: زخرف. ٥ ـ قيل: الزّخرف: الذّهب والزّينة. ٦ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أى وذهباً وكلّ شئ لهم من أواني منازلهم من الذّهب والفضّة. ٧ ـ قيل: أى البيوت المزخرفة بالذّهب بعد أن كانت جدرانها وسقوفها وأبوابها ومصاعدها وسررها وأرضها وسمآئها من فضّة، فظاهر البيوت ذهبيّة كما كان باطنها فضّيّة فمزخرفة بأنواع الزّخارف الذّهبيّة.

٨ ـ قيل: أى يغدق عليهم الذّهب فيتمتّعون بذلك. ٩ ـ قيل: أى نقوشاً وتزاويق وزينة كلما يرتفق به من شئون الحيوة، فمزيّنة بانواع الزّينة: من ذهب او فضة او زمردة أو أيّة زينة من الزّيَن من نابتات: «حتّى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت» يونس: ٢٤) أو مصطنعات

«أو يكون لک بيت من زخرف أو ترقى في السّمآءِ» الإسراء: ۹۳) وإلى «زخرف القول غروراً» الأنعام: ۱۱۲) وهو صوت الشّيطان: «واستفزز من استطعت منهم بصوتك» الإسراء: ٦٤) فـ«زخرفاً» هى مطلق الزّينة للبيوت وسواها عموماً بعد خصوص، والحياة الدّنيا كلّها زخرف، ولذلك تسمت هذه السّورة بالزّخرف، وصيغتها الاخرى سورة الدّنيا، حيث تمثّلها كما هيه.

**أقول:** والسّابع هو الأنسب بظاهر السّياق، والمستفاد من الرّوايات...

**وفي قوله عزّ وجلّ:** «والآخرة عند ربّك...» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أى الجنّة عند ربّك للمتقين خاصّة. ٢ ـ قيل: أى والعاقبة عند ربّك الثّواب الدّآئم للذين يتّقون معاصيه ويعملون بطاعته. ٣ ـ قيل: أى والحياة الآخرة السّعيدة بحكم من الله تعالى وقضآء منه مختصّة بالمتّقين. كأنّ الحياة الآخرة الشّقيّة لاتعدّ حياة. ٤ ـ قيل: أى الآخرة بما فيها من ضروب النّعيم الّتي لايحيط بها عدّ ولا إحصآء أعدّها الله تعالى لمن اتّقى الشّرك والمعاصي وائتمر بأوامره وانتهى عن نواهيه، وعمل صالحاً، وآثر الآخرة على الدّنيا وزخارفها...

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، وإن كان غيره لايخلو من وجه فتدبّر جيّداً.

## ٣٦ ـ (ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين)

**في قوله تعالى:** «ومن يعش عن ذكر الرّحمن» أقوال: ١ ـ عن قتادة والسّدى وابن زيد: أى ومن يعرض عن ذكر الله لاظلامه عليه لجهله: قيل: «يعش» من عشا يعشو: إذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأنّ عليها غشاوة، كما يعشو بعض النّاس في ضوءِ النّهار لآفة تعرض لأبصارهم... وإذا ذهب بصره قيل: عشى يعشى. ومنه: رجل أعشى وامرأة عشوآء: إذا كان لايبصر. وقيل: أو كان ببصره آفة لايبصر مطلقاً أو بالليل فقط. والعشواء: النّاقة الّتي لاتبصر أمامها فهى تخبط بيديها كلّ شئ. وركب فلان العشواء إذا خبط أمره على غير بصيرة، وفلان خابط خبط عشواء. ٢ ـ قيل: أى من تعامىٰ وتعشّىٰ بلا آفة وأعرض عن ذكر الرّحمن لفرط اشتغاله بالمحسوسات والمادّيات، وانهماكه في اللذّات والشّهوات...

٣ ـ عن ابن عبّاس وابن زيد: أى من يعمى عن ذكر الرّحمن، ويعرض عنه مع قيام

الدّلآئل الواضحة والحجج الظّاهرة والبراهين القاطعة بين يديه على صدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وصدق ما جآء به من عند الله. وقال الجبآئي: شبّههم بالأعمى لما لم يبصروا الحق والذكر هو القرآن. ٤ ـ قيل: أي من ينصرف عن ذكر الله وعن دعوته وتجاهل بهما. وهذه الآية تتّصل بقوله تعالى أوّل السّورة: «أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً» : ٥) أي نواصل لكم الذّكر، فمن يعش عن ذلك الذّكر بالإعراض عنه إلى أقاويل المضلّين وأباطيلهم... والعشي: كلال البصر عن الرّؤية، وربّما يكون عند مواجهة الضّوء السّاطع الّذي لاتملك العين أن تحدق فيه، أو عند دخول الظّلام، وكلال العين الضّعيفة عن التبيّن خلاله، وقد يكون لمرض خاص، والمقصود هنا هو العماية والإعراض عن تذكّر الرّحمن واستشعار وجوده ورقابته في الضّمير.

٥ ـ قيل: أي من ينس الله تعالى في أقواله وأفعاله، وفي أحواله، ولم يذكر الله بلسانه ولم يتوجّه بقلبه، ولم يخف سطوته ولم يخش عقابه... قيل: أي ومن يغفل عن ذكر الرّحمن متعامياً... وذلك أنّ زخارف الدّنيا تُعشي أصحابها عن ذكر الرّحمن تعامياً عنه بتقصير دون قصور، فالبصر يعشو، والبصيرة تعشو، ويصبح الإنسان عشواً عن ذكر الرّحمن متعامياً متغاضياً عمّا يذكره الرّحمن، محجوباً قلبه، ناسياً متناسياً وغافلاً متغافلاً وهنا لك مهبط الشّيطان.

**أقول:** وعلى الثّالث أكثر المحقّقين من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقوال الأُخر.

**وفي قوله عزّ وجلّ:** «ذكر الرّحمن» أقوال: ١ ـ عن الزّجّاج: الذّكر هو القرآن وما فيه. والمعنى: ومن أعرض عن القرآن وما فيه من الحكم والمعارف إلى أباطيل المضلّين ٢ ـ عن ابن عبّاس: ذكر الرّحمن هو توحيد الرّحمن وكتابه. ٣ ـ قيل: ذكر الرّحمن أي دعوة الرّحمن إلى الحق والهدى والخير والصّلاح، والمعنى: ومن يتعامى عن دعوة الرّحمن وينطلق مع أهوآئه يتخلى الله عنه ويكله إلى نفسه وشياطينه. ٤ ـ قيل: إنّ المعنى: ومن يعرف أنّ القرآن حقّ ولكنّه يتجاهل. ٥ ـ قيل: اريد بالذّكر ضدّ النسيان فمعناه: التّوجّه والالتفات. ٦ ـ قيل: إنّ المراد بالذّكر هو التسبيح والتهليل والتحميد وما إليها من الأذكار الواردة في الكتاب والسّنّة. والمعنى: ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته ولم يخش عقابه.

٧ ـ قيل: إنّ المراد من ذكر الرّحمن كلّ ما تذكّر لفظة «الرّحمن» الإنسان وهي كافّة الرّحمات الّتي يعيشها الإنسان في نفسه وحوله: من رحمة شاملة للكون، ورحمة خاصّة لخاصّة من خلق الله تعالى الدّالّة على ذاته المتعال ووحدانيته، على علمه وحكمته، على تدبيره وقدرته، وعلى عدله وعظمته... فليَعِشْ الإنسان ذِكرَ الرّحمن دون أن يعشو عنه أيّاً كان، عَشْو القالب أو القالب، عشو البصر والبصيرة، عشواً عن أيّ إدراك وتَبَصُّر، ولكي يتذكّر الرّحمن، فإنّه يتبنّى عقيدة الايمان والعمل به، وبه تنضبط الحياة في مسير الإنسان ومصيرته، فلا يختصّ العشو عن ذكر الرّحمن بعشو الباصرة بصراً وبصيرة، إنّه يعمّها وكلّ مدركة في الإنسان، فعليه ان يكرّسها كلّها لذكر الرّحمن الّذي مصدراً وصادراً درجات، كما أنّ العشو عن ذكر الرّحمن دركات...

فرسالات الله وكتبه، وآيات الله في الآفاق والأنفس كلّها ذكر، والإنسان هونفسه بما يحوم حوله من قريب أو غريب ذكر، وهذه بين معصوم سديد أو مأثوم طريد، أم عوان بين ذلك فالمعصوم ذكر بعصمة تبشيراً، والمأثوم ذكر بطرده إنذاراً، والعوان إنذار وتبشير، فالعاقل يذكر الرّحمن بكل ذكر، والجاهل لايذكر الرّحمن، فيعشو عن كلّ ذكر.

**أقول :** وعلى الأوّل جمهور المحقّقين وهو الأنسب بظاهر السّياق، فتدبّر جيّداً ولاتغفل.

**وفي قوله جلّ وعلا :** «نقيّض له شيطاناً» أقوال: ١ ـ عن الحسن وأبي مسلم: أى نخذله ونخلي بينه وبين الشّيطان الّذى يغويه ويدعوه إلى الضّلالة، فلا نمنعه منه، فيعاقبه الله بشيطان يقيّضه له حتّى يضلّه فيصير قرينه ويلازمه عوضاً عن ذكر الله، فلايهتدي مجازاة له حين آثر الباطل على الحقّ المبين. ٢ ـ عن ابن عبّاس: أى نجعل له شيطاناً قريناً، فيلازمه مضلاً له، ولايفارقه في الدّنيا، حتّى يرد هو وملازمه عذاب جهنّم. ٣ ـ عن قتادة: أى نقيّض له شيطاناً في الدّار الآخرة يلزمه يومئذ حتّى يصير به إلى النّار فحينئذ يتمنّى البُعد عنه، وأمّا المؤمن فيوكّل به ملك فلا يفارقه حتّى يصير به إلى الجنّة. وإنّما جاز أن يقيّض له الشّيطان إذا أعرض عن ذكر الله حتّى يغويه لأنّه إذاكان ممّن لايفلح، فلو لم يغوه الشّيطان لفعل من قبل نفسه مثل ذلك كالفساد الّذي يفعله بإغوآءِ الشّيطان أو أعظم منه، فلم يمنع لطفاً، وقيّض له الشّيطان عقاباً.

٤ ـ قيل: أي نسبّب ونقدر له شيطاناً جزآءً له على كفره فهو له قرين يوسوسه ويغويه دآئماً إلى أن يموت ضالاً. ٥ ـ قيل: أي نسوق ونضمّ إليه ونهـيّئ له شيطاناً فـهو له مـلازم مسلّط عليه يقوده إلى حيث شآء فهو شيطان مع الشّيطان حيث يكون. ٦ ـ قيل: أي نرتّب له شيطاناً يغويه والمراد من الشّيطان هنا كلّ ما يقود الإنسان إلى الكفر والطغيان، إلى الشّرّ والفساد، وإلى المخاطر والتّهلكة، هوىً كان أو وهماً أو إنساناً أو جنّاً أو أيّ شئ. ٧ ـ قيل: أراد به شياطين الإنس نحو علمآءِ السّوء وقادة الضّلالة، ورؤسآء الجهالة... ٨ ـ قيل: أي نرسل إلى قلب الإنسان النّاسي الغافل عن ذكر الرّحمن شيطاناً وهو إبليس اللعين.
**أقول :** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

**وفي قوله سبحانه** «فهو له قرين» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي فيصير هذا الإنسان المعرض عن ذكر الرّحمن قريناً للشّيطان في الحياة الدّنيا، فيمنعه الشّـيطان مـن الحـلال، ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطّاعة، ويأمره بالمعصية... فهذا الإنسان ملازم ومصاحب للشيطان. ٢ ـ قيل: فالشّيطان مصاحب وملازم لهذا الإنسان ولايتركه ليلاً ونهاراً، نـوماً ويقظة، غنىً وفقراً، عالماً وجاهلاً، رئيساً ومرؤساً، وقائداً ورعيّة... فيسعى الشـيطان في إغوآءِ هذا الانسان ظاهراً والحمار باطناً، فيرتكب كلّما تميل إليه شهوته، وهو لايشبع من المال والجاه والجماع والشّهوات وزخارف الدّنيا، كالظّمآن الّذي يشرب المآء المليح، فـهو فقير مع كثرة المال، وهو خآئف مع كونه قآئداً وحاكماً ورئيساً وذا جاه وكـبكبة وعِـدَة وعُدّة وشوكة، وهو مهموم مغموم مع انهماكه في أسباب اللهو وآلات اللعب، وهو يميل إلى الزّنا المحصنة مع كون النسآءِ المحللة له، فلا ينتفع من ماله ولا من أولاده، ولا من مقامه ولا من اتّباع شهواته... فالشّيطان ملازم لايفتأ يزيّن له القبيح، ويقبح له المليح إلى أن يورده موارد الهلاك الّذي هو يستحقه بسبب غفلته وتعاميه عن ذكر ربّه كما قال تـعالى: «مَـن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً» طه: ١٢٤).

٣ ـ قيل: أي فكلّ واحد من هذا الإنسان والشّيطان مقارن ملازم للآخر، فلا يفارق كلّ واحد، الآخر، كالجسم والرّوح المتلازمين ما دامت الحياة، ولذلك اضمر عنهما : «هو ـ له».
٤ ـ عن سعيد الجريري: أي فالشّيطان لهذا الإنسان قرين في الآخرة إذا قام من قبره، وذلك

أنّ المعرض عن ذكر الرّحمن إذا خرج من قبره يوم القيامة يشفع بشيطان لايزال معه حتّى يدخلا النّار معاً. ٥ ـ قيل: أى فالشّيطان قرين لهذا الإنسان لايفارقه في الدّنيا والآخرة.

**أقول :** والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

## ٣٧ ـ (وإنّهم ليصدّونهم عن السّبيل ويحسبون أنّهم مهتدون)

**في قوله تعالى:** «عن السّبيل» أقوال: ١ ـ قيل: أي عن سبيل الجنّة. ٢ ـ قيل: أي عن سبيل الحقّ والهدىٰ وما يدعوهم إليه الذّكر وأهله من سبيل الله الّذي هو دين التّوحيد والعدل والكرامة. ٣ ـ قيل: أي عن سبيل الخير والسّعادة والنّجاة والجنّة.

**أقول:** والتعميم هو الأنسب بظاهر السّياق.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «ويحسبون أنّهم مهتدون» أقوال: ١ ـ قيل: أي ويحسب المعرضون عن الذّكر وأهله أنّ أنفسهم مهتدون إلى الحق والهدىٰ باتباعهم قرنآئهم من شياطين الجنّ والإنس، وانّ هذا الحسبان أمارة تقييض القرناء السّوء ودخول المعرضين تحت ولاية الشّياطين... وذلك أنّ الإنسان بطبعه الأوّليّ مفطور على الميل إلى الحقّ ومعرفته إذا عرض عليه، ثمّ إذا عرض عليه فأعرض عنه اتّباعاً للهوى ودام عليه طبع الله على قلبه وأعمى بصيرته، وقيّض له القرين السّوء، فلم ير الحق الّذي تراءىٰ له، وطبّق الحقّ الّذي كان يميل إليه بالفطرة على الباطل الّذي يدعوه إليه القرين، فيحسب أنّه مهتد، وهو ضال، ويخيّل إليه أنّه على الحق وهو على الباطل.

وهذا هو الغطاء الّذي يذكر الله عزّوجلّ أنّه مضروب عليهم في الدّنيا، وأنّه سينكشف عنهم يوم القيامة فقال: «الّذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري ـ وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً» الكهف : ١٠١ ـ ١٠٤) وقال فيما يخاطبه يوم القيامة ومعه قرينه: «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ـ قال قرينه ربّنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد» ق: ٢٢ ـ ٢٧).

٢ ـ قيل: أي ويحسب هؤلآء العاشون عن الذّكر وأهله أنّ قرنآئهم الشّياطين هم مهتدون إلى الخير والسّعادة فيطيعونهم لينالوا بهما. ٣ ـ قيل: أي ويحسب المعرضون عن

الذّكر وأهله أنهم وقادتهم من شياطين الجنّ والإنس يعني التّابعين والمتبوعين، الرّؤسآء والمرؤسين، والغاوين والمغوين كلّهم مهتدون إلى طريق الحق والهدى، وإلى طريق الجنّة والنّجاة. ٤ ـ قيل: أي ويحسب القرنآء السّوء المضلّون أنّهم مهتدون كأكثر العلمآء الفسقة.

**أقول:** ولكلٍّ وجهٌ، والتّعميم غير بعيد فتدبّر جيّداً ولا تكن من الغافلين.

### ٣٨ ـ (حتّى إذا جآئنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)

**في قوله:** «بعد المشرقين» أقوال: ١ ـ عن الفرّآء: أراد المشرق والمغرب إلّا أنّه غلّب أحدهما على الآخر كما قيل للشمس والقمر: القمران. قال الشّاعر:

أخذنا بآفاق السّماء عليكم لنا قمراها والنّجوم الطّوالع

٢ ـ عن ابن عبّاس ومقاتل: أراد مشرق الشّتاء ومشرق الصّيف كما قال تعالى: «ربّ المشرقين وربّ المغربين» الرّحمن : ١٧) وإنّما أراد «ياليت بيني وبينك بعد المشرقين» مسافة فلم أرك، ولا اغتررت بك. فيتمنّى المعرض عن الذّكر وأهله أنّ بينه وبين مغويه بُعد مشرق أطول يوم في السّنة إلى مشرق أقصر يوم في السّنة. ٣ ـ قيل: «بعد المشرقين» كناية عن أبعد الأمكنة وأقصاها. ٤ ـ قيل: إنّ المغرب أيضاً مشرق بالنّسبة إلى الحركة الثّانية. ٥ ـ قيل: أراد بُعد مشرق كلّ يوم عن مشرق يوم آخر، وإن كان بعد مشرق يومين عندنا قريبين ولكن بينهما ملايين فرسخاً.

**أقول:** والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق، وإن كان غيره لا يخلو من وجه.

### ٣٩ ـ (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون)

في الخطابات الثلاث: «ينفعكم ـ ظلمتم أنكم» قولان: **أحدهما** ـ خطاب للتّابعين. والمعنى: ولن ينفعكم أيّها الأتباع الجهلة وهمج الرّعاء المردة... لن ينفعكم اليوم كلامكم هذا: «ياليت بيني وبينك...» **ثانيهما** ـ خطاب للفريقين: القادة والمردة، التّابعين والمتبوعين، الرّؤسآء والمرؤسين... جميعاً.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المحقّقين.

**وفي الآية الكريمة أقوال:** ١ ـ عن ابن عبّاس ومقاتل: أي ولن ينفعكم اليوم، الاعتذار والندم وكلامهم هذا: «ياليت بيني وبينك...» لأنّ قرناءكم السّوء المضلّين، وأنتم في العذاب مشتركون كما اشتركتم في الكفر والطّغيان والظّلم والعصيان والبغي والعدوان. ٢ ـ قيل: أي لا يخفّف الاشتراك عنكم شيئاً من العذاب لأنّ لكلّ واحد منكم التّابع والمتبوع، الرّئيس والمرؤوس، الغاوي والمغوي، والقادة والمردة... الحظ الأوفر من العذاب، فلن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب. وان قيل: إنّ المصيبة إذا عمّت طابت. وذلك أنّ كلّ واحد منكم مشغول في ذلك اليوم عن حال غيره بحال نفسه. وقد يتعزّى الإنسان في مصابه حين يرى مصيبة غيره في الحياة الدنيا، وأمّا في عذاب الآخرة فلا تصبّر ولا عزاء. ولذلك أعلم الله تعالى أنّه منع أهل النّار التأسّي كما يتأسّى أهل المصآئب في الدّنيا، وذلك أنّ التأسّي يستروحه أهل الدّنيا، فيقول أحدهم: لي في البلآء والمصيبة اسوة، فيسكن ذلك من حزنه كما قالت الخنسآء:

**فلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي**
**وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزّي النّفس عنه بالتّأسّي**

فإذا كان في الآخرة لم ينفعهم التّأسّي شيئاً لشغلهم بالعذاب.

٣ ـ قيل: أي لاتسلّي لكم عمّا أنتم فيه بما ترونه بغيركم من العذاب، إذ قد يتسلّى الإنسان عن المحنة والعذاب إذا رآى أنّ عدوّه في مثلها. والمعنى: لا يسلّيكم عمّا أنتم فيه من أنواع العذاب أنّ قرناءكم السّوء فيها، فانّكم إذا أسآء بعضكم إلى بعض في الدّنيا فأوقعه في مصيبة وعذاب أو نقمة وعقاب ربّما تسلّيتم بعض التّسلّي لو ابتلى هو نفسه بمثل ما ابتلاكم به، فينفعكم ذلك تسلّياً وتشفّياً لكن لا ينفعكم يوم القيامة اشتراك قرنائكم معكم في العذاب، فإنّ اشتراكهم معكم في العذاب، وكونهم معكم في النّار هو بعينه عذاب لكم.

٤ ـ قيل: أي ولن ينفعكم تمنّيكم تباعد قرناءكم عنكم لأنّ حقّكم أن تشتركوا أنتم المعرضون عن الذّكر وأهله، وقرناؤكم السّوء المضلّون في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الإعراض والكفر.

٥ ـ قيل: أي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب يوم القيامة كما كان ينفع في الدّنيا

الاشتراك في المهامّ الدّنيوية إذ يتعاونون في تحمّل أعبآئها وتقسّمهم لعنآئها لأنّ لكل واحد منكم وقرناءكم من العذاب ما لا تبلغه طاقته. ٦ ـ قـيل: أي ولن يـنفعكم التأوّه النّـدم: «ياليت» إذ ظلمتم لاشتراك العذاب، ولا ينفعكم اشتراك العذاب إذ ظلمتم لا تسليةً إذ كلّ مشغول بنفسه، منشغل عن غيره، والعذاب شديد لا يبقي مجالاً لتسلية، ولا تخـفيفاً، فـإنّ العذاب كامل لا تخففه الشّركة، ولا يتقاسمه المشتركون، ولا أنّ الله يخفّف عن مضلَّل ويثقل عن مضلِّل «إذ ظلمتم» فكلّ يعذّب على حدّ ظلمه أيّاً كان ولو مضلَّلاً أو يكون الإضلال على جهل من المضلَّل، فمضلِّلاً «ليحملوا أوزارهم كاملة يـوم القـيامة ومـن أوزار الّـذين يضلّونهم بغير علم ألا سآء ما يزرون» النّحل : ٢٥) فاشتراك الظّلم لِزامه اشتراك العـذاب، كلّ على قدر ظلمه فالآية لفظياً ومعنوياً تتحمّل الفاعلين على البدل.

**أقول:** والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

**٤١ ـ (فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون)**

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي فإمّا نميتك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل تعذيب هؤلآء المعرضين عن الذّكر وأهله، فإنّا منهم منتقمون في الدّار الآخرة. ٢ ـ عن قتادة والحسن: عنى بهم المسلمون من امّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يريد ما كان بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من الفتن... فذهب الله تعالى برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم النّقمة، ولم ير صلّى الله عليه وآله وسلّم في امّته إلّا الّذي تقرّ به عينه وأبقى الله النّقمة بعده، وليس من نبيّ إلّا وقد رآى في امّته العقوبة والنّقمة. وقد كانت بعد رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسـلّم نـقمة شديدة. والمعنى: فإمّا نتوفينّك فإنّا منتقمون بالقتل والنّقمة والعقوبة من امّتك بعدك. فأكرم الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله وسـلّم أن يريه في امّته ما كان من النّقمة والقتل والعقوبة بعده، فذهب نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وبقيت نقمته في عدوّه بعده.

٣ ـ عن ابن عبّاس: اريد بهم المشركون من قريش. والمعنى: فإن نذهب بك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من بين أظهر هؤلآء المشركين، فـنخرجك مـن بـينهم، فـإنّا مـنهم منتقمون بالعذاب كما فعلنا ذلك بغيرهم من الامم المكذّبة رسلها.

٤ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي فإمّا نذهبنّ بك ونخرجك من مكّة من أذى قريش، فإنّا منهم منتقمون يوم بدر. فأراه الله ذلك يوم بدر بعد إخراج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من مكّة، وإنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم استعلى عليهم وأسر منهم مع قلّة أصحابه وضعف عددهم، وكثرة المشركين وشدّة شوكتهم وكثرة عددهم، فقتلوهم كيف شآؤا، واسروا من أحبوّا، وكانوا ذلك مصداقاً لما قاله لهم. ٥ ـ عن جابر: أي فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منتقمون من النّاكثين والقاسطين والمارقين بعدك بعليّ بن أبي طالب عليه السّلام. ٦ ـ قيل: أي فإمّا نذهبنّ بك يامحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم من مكّة إلى المدينة، فإنّا رادّوك إليها، ومنتقمون منهم بعليّ بن أبي طالب عليه السّلام. ٧ ـ قيل: إنّما يكون ذلك في الرّجعة. ٨ ـ قيل: أي في الدّنيا والآخرة.

**أقول:** والخامس والسّادس هما المرويّان، ولعلّهما من أظهر المصاديق، والسّابع هو المستفاد من الرّوايات فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

## ٤٢ ـ (أو نرينّك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي أو نرينّك الّذي وعدناك بهم من الظّفر وإعلآءك عليهم، فأراهم بهم يوم بدر وكان كما قال، فإنّا عليهم مقتدرون، فنظهرك عليهم ونخزيهم بيديك وأيدي المؤمنين. ٢ ـ قيل: أي أو نعلمنك ما وعدناهم وفعلنا بهم، فإنّا على عذابهم قادرون قبل موتك وبعد موتك. ٣ ـ قيل: أي أو إن أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب، فإنّا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا. ٤ ـ قيل: أي أو نرينّك ما قد يحلّ بالمشركين من انتقامنا في الحياة الدّنيا ممّا توعّدناهم به، ومما نراك إيّاه فيهم. وذلك بما كان من قتل رؤوس المشركين يوم بدر، ومن خزيهم يوم الخندق، ثمّ ذلّتهم وانكسارهم يوم الفتح إذ أخضعهم لأمره مرغمين، واستسلم له عتاتها...

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

## ٤٣ ـ (فاستمسك بالّذي اوحى إليك إنّك على صراط مستقيم)

**في قوله تعالى:** «فاستمسک بالّذي اوحى إليك» أقوال: ١ ـ قيل: أي فاستمسك

بالآيات والشّرآئع... ٢ ـ قيل: أي فاستمسك بما مضى وحيه عليك من هـذا القـرآن لأنّ الماضي: «أوحى» يشير إلى ما مضى من نزول الوحـي دون مـا سـيوحى. ٣ ـ قـيل: أي فاستمسك بهذا القرآن الّذي اوحى إليك لأنّ القرآن الكريم نزل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دفعتين: ليلة القدر دفعة واحدة إنزالاً، وفي زمن الرسالة ثلاث وعـشرين سـنة تنزيلاً: «وقرآناً فرقناه لتقرأه على النّاس على مكث ونزّلناه تنزيلاً» الإسراء : ١٠٦)، فيشمل الاستمساك بالوحي لمجموع القرآن الّذي اوحى إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دفعة واحدة في ليلة القدر: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» القدر : ١) «أنّـا أنـزلناه في ليـلة مـباركة» الدخان : ٣) إنزالاً.

**أقول:** وعلى الثّالث جمهور المحقّقين.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «إنك على صراط مستقيم» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس وقتادة: أي على دين حقّ قآئم وصواب يرضاه وهو دين الإسلام الّذي امرت به، وهو يوصلك إلى الله تعالى ورضاه وثوابه وإلى جنّات النّعيم والخير الدّآئم المـقيم. ٢ ـ قـيل: أي عـلى طـريق مستقيم يوصلك إلى الحقّ المطلوب حيث يستقيم بصاحبه حتّى يوصله إليه وهـو مـنهاج سديد لا عوج له، لا يحيد عنه إلّا ضالّ. ٣ ـ قيل: الصّراط المستقيم هو التّوحيد. ٤ ـ قيل: الصّراط المستقيم هو علي بن أبي طالب عليه السّلام فإنّ ولايته هي الطريق إلى مـعرفة الله جلّ وعلا. والمعنى: إنك على ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السّلام. ٥ ـ قيل: الصراط المستقيم هو الانقياد لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والقيام بأركان شرعه وإسلامه عـلى طريق التّوحيد الحقيقيّ، واليمين والشّمال اللذان هما الشّرك الجليّ والخفيّ مضلّتان.

**أقول:** والرّابع هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

## ٤٤ ـ (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون)

في قوله تعالى: «وإنّه لذكر لك ولقومك» أقوال: ١ ـ قيل: أي إنّ الحـقّ لشرف لك بمـا أعطاك الله تعالى من الحكمة، وشرف لقومك العرب بما عرضهم له من إدراك الحقّ به وإنزاله على رجل منهم، تذكرون به بين الامم... ٢ ـ قيل: أي وإنّ هذا لتذكير وتنبيه لك ولقومك

قريش. ٣ ـ عن مجاهد: أي وإن الّذي اوحى إليك، فيه ذكر وموعظة وبيان لك ولقومك قريش لنزول الذّكر بلغتهم على رجل منهم، فاحتاج أهل اللغات الأخرى كلّها إلى لسانهم حتّى يقفوا على معانيه من أمر ونهي ونباء وقصص وحكمة وأدب، وقد نشر لغتهم في شرق الأرض وغربها.

٤ ـ قيل: اريد بالقوم: قريش والعرب عامّة وسآئر من اتبعه من غير العرب. ٥ ـ عن قتادة والحسن: «لقومك» أي لمن اتّبعك من امّتك. ٦ ـ قيل: وإنّ استمساكك بالذّكر وأهله هو شرف ونباهة وصيت لك، إذ هذا الاستمساك بقآء إسمك إلى يوم القيامة إذ كان أعداؤك في كلّ ظرف بصدد محوه، ومحو آثارك وسنّتك حتّى بإسم السّنّة، وإستمساك مَن اتبعك بهما من المؤمنين شرف لهم من العرب والعجم... ومنه قوله تعالى: «والقرآن ذي الذّكر» ص : ١) أي ذي الشّرف والنّباهة والشّهرة. وقوله عزّوجلّ: «ورفعنا لك ذكرك» الانشراح : ٤).

٧ ـ عن ابن عبّاس والسّدي: أي وإنّ هذا القرآن الّذي اوحى إليك لشرف لك ولقومك العرب، لأنّه نزل بلغتهم، ثمّ يختصّ ذلك الشّرف، الأخصّ فالأخصّ من العرب، حتّى يكون الشّرف لقريش أكثر من غيرهم، ثمّ لبني هاشم أكثر من غيرهم ممّا يكون لقريش. ٨ ـ قيل: اريد بالذّكر المذكّر لأنّ اللام في «لك ولقومك» للتّعليل لا للانتفاع لأنّه لا يختصّ به وبقومه بل هو شامل للعالمين. ٩ ـ قيل: اريد بالذّكر ذكر الله من التسبيح والتحميد والتّهليل. ١٠ ـ قيل: اريد بالذكر القرآن، واللام في «لك ولقومك» للاختصاص بمعنى توجّه ما فيه من التكاليف إليهم. ١١ ـ عن الحسن: أي وإنّ هذا القرآن حجّة تؤدّي إلى العلم لك ولامّتك كافّة. ١٢ ـ قيل: إنّ القرآن لذكر لك ولقومك تذكرة يذكرون بها أمر الدّين ويعملون به. ١٣ ـ قيل: أي بيان لك ولأُمّتك فيما بكم إليه حاجة. ١٤ ـ قيل: «وإنّه لذكر لك ولقومك» يعني الخلافة فإنّها في قريش لا تكون في غيرهم.

**أقول:** والسّادس هو الأنسب بظاهر السّياق وهو المستفاد من الرّوايات الواردة في المقام.

**وفي قوله تعالى:** «وسوف تسئلون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس والفرّاء والزّجّاج ومقاتل والكلبي: أي عن شكر ما جعله الله تعالى لكم من الشّرف، وشكركم على ما

رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين، هل أدّيتم شكر هذه النّعم أم لا؟ ٢ ـ قيل: أي وسوف تسئلون عن القرآن وعمّا يلزمكم من القيام بحقّه يوم القيامة. ٣ ـ قيل: أي وسوف تسئلون أنت وقومك عن معاني القرآن الكريم الى آخر الزّمان. ٤ ـ عن ابن جريج: أي تسئلون أنت ومن معك على ما أتاك. ٥ ـ قيل: أي وسوف تسئلون عن ايمانكم بالقرى وتمسّككم به ونشركم له. ٦ ـ قيل: أي وسوف تسئلون أيّها المسلمون عن استمساككم بالذّكر وأهله. لقوله تعالى: «ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النّعيم» التكاثر : ٨) ٨ ـ قيل: أي وسوف تسئلون ياأهل بيت الوحي المعصومين عمّا فعل بكم شرار هذه الأمة، وغاصبوا حقوقكم، إذ صدّوا النّاس عن الحق والهدى، وعن الخير والصّلاح... بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فصاروا سبب فشل المسلمين وهوانهم، وخزيهم وانحطاطهم...

**أقول:** والثّامن هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تكن من الغافلين.

## ٤٥ ـ (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون)

**في قوله تعالى:** «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: هو على ظاهره بأن جمع له صلّى الله عليه وآله وسلّم الرّسل ليلة الاسرآء أي: واسئل من أرسلنا من قبلك يامحمّد من رسلنا مثل إبراهيم وموسى وعيسى، وهذا في الليلة الّتي اسرى به إلى السّمآء وصلّى بسبعين نبيّاً، فأمر الله نبيّه أن: سلهم يامحمد. وعن ابن زيد قال: جمعوا له ليلة اسرى به ببيت المقدّس. وعن سعيد بن جبير قال: ليلة اسرى به لقى الرّسل.

**وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:** قال ابن عبّاس وابن زيد: لمّا اسرى برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ـ وهو مسجد ببيت المقدس ـ بعث الله له آدم ومَن وُلِدَ من المرسلين، وجبرئيل مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأذّن جبرئيل عليه السّلام ثمّ أقام الصّلاة، ثمّ قال: يامحمّد تقدّم فصلّ بهم، فلمّا فرغ رسول الله صلّى

الله عليه وآله وسلّم قال له جبرئيل عليه السّلام: «سل يامحمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون» فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا أسئل قد اكتفيت».

قال ابن عبّاس: وكانوا سبعين نبيّاً منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السّلام، فلم يسئلهم لأنّه كان أعلم بالله منهم.

في غير رواية ابن عبّاس: فصلّوا خلف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سبعة صفوف: المرسلون ثلاثة صفوف، والنّبيّون أربعة، وكان يلي ظهر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إبراهيم خليل الله، وعلى يمينه اسماعيل، وعلى يساره إسحق، ثمّ موسى، ثمّ سآئر المرسلين فأمّهم ركعتين، فلمّا انفتل، قام، فقال: «إنّ ربّي أوحى إليّ أن أسئلكم هل أرسل أحد منكم يدعو إلى عبادة غير الله»؟ فقالوا: يامحمّد إنّا نشهد إنّا أُرسِلنا أجمعين بدعوة واحدة: أن لا إله إلّا الله وأنّ ما يعبدون من دونه باطل، وإنّك خاتم النّبيّين وسيّد المرسلين، قد استبان ذلك لنا بإمامتك إيّانا، وأن لا نبيّ بعدك إلى يوم القيامة إلّا عيسى بن مريم، فإنّه مأمور أن يتّبع أثرك» وقال قتادة: سئلهم ليلة أسرى به، لقى الأنبيآء ولقى آدم ومالك خازن النّار. ثمّ قال القرطبي: قلت: هذا هو الصحيح في تفسير هذه الآية و «مِن» الّتي قبل «رسلنا» على هذا القول غير زائدة» إنتهى كلامه.

وعن ابن جريج: قال: بلغنا أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة أسرى به أرى الأنبيآء، فأرى آدم فسلّم عليه، وأرى مالكاً خازن النّار، وأرى الكذّاب الدّجّال.

وعن الزّهري: جمعوا له ليلة الأسرى وكانوا تسعين نبيّاً، منهم موسى وعيسى ولم يسئلهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه كان أعلم بالله منهم. وذلك أنّ الله تعالى حشر لنبيّه الأنبيآء ليلة المعراج، فلقاهم وأمّهم في مسجد بيت المقدس، فلمّا فرغ من الصّلاة نزلت عليه هذه الآية، والأنبيآء حاضرون، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا أسئل قد كفيت.

**في تفسير النظّام النّيشابوري** ـ وهو من أعلام العامة ـ قال في الآية الكريمة ما لفظه: «ورابعها ـ أي الأقوال ـ أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم جمع له الأنبيآء ليلة المعراج في السّمآء أو في بيت المقدس فأمّهم، وقيل له صلّى الله عليه وآله وسلّم: سلهم، فلم يسئل، وقد

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّي لا أشكّ في ذلك قاله ابن عبّاس وعن ابن مسعود: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: أتاني ملك، فقال: يامحمّد سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا» علام بعثوا؟ قال: قلت: علامَ بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه» رواه الثّعلبي».

٢ ـ قيل: اريد امم من أهل الكتابين: التّوراة والإنجيل، وإن كانوا كفّاراً فإنّ الحجّة تقوم بتواتر خبرهم، وإنّهم كانوا يرجعون إليهم في كثير من امورهم نظير: «فإن كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك فاسئل الّذين يقرؤن الكتاب من قبلك» ولم يسئل أحداً لأنّ المراد من الأمر بالسّؤال، التقرير لمشركي قريش أنّه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله. فالخطاب وإن توجّه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن المراد به الأُمة عامّة كأنّه قال: واسئلوا من أرسلنا كما قال: «ياأيّها النّبيّ إذا طلّقتم النّسآء» الطلاق : ١) أو قريش خاصّة أي سلوا من ذكرنا. وذلك المشركون كانوا يعبدون من دون الله من أوثان وكواكب وملائكة... ويعتقدون أنّه ذلك من دين الله، فردّ عليهم: أنّ هذا ليس من دين الله في شيء، وأنّ دين الله هو إفراده تعالى بالعبوديّة، المبرّأة عن الشّريك والصّاحبة والولد... فعن أيّ رسول من رسل الله تلقى المشركون هذا الدّين الّذي يدينون به؟ أكان من رسل الله مَن دعا إلى عبادة غير الله؟ وحاش لله أن يحمل رسول من رسل الله دعوة إلى عبادة غير الله!!! إذ كيف يكون رسولاً لله من يدعو لغير الله؟

وقد كانت دعوة الأنبيآء والمرسلين إلى أقوامهم تدور كلّها حول تصحيح معتقدهم في الله وإقامة وجوههم إلى الله وحده لا شريك له، وفي نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أخبار الرّسل مع أقوامهم بعد أن دعوتهم قآئمة على توحيد الله، وتحرير العقول من ضلالات الشّرك به، وكأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا قد سئل الرّسل وتلقّ الجواب منهم، وليس الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في حاجة إلى أن يسئل عن أمر هو عالم به، ولكن هذا السّؤال منه هو دعوة إلى هؤلآء المشركين أن يشاركوا في هذا السّؤال، وأن يتلقوا الجواب عليه، حتّى يكون لهم من ذلك علم يصححون به معتقداتهم سالفاسدة الّتي جآء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلاج ما بها من أدوآء

كما جآء رسل الله كلّهم بدوآء تلك الأدوآء...

۳ـعن قتادة والضّحّاك: أي واسئل مؤمني أهل الكتاب الّذين أرسلنا إليهم الرّسل هل جآئتهم الرّسل إلّا بالتّوحيد أن يوحّدوا الله وحده. ٤ ـعن مجاهد والسّدي والمـبرّد: أي واسئل امم مَن أرسلنا أو أتباع من أرسلنا. فحذف المضاف، وأقام المضاف إليـه مـقامه. ٥ـقيل: أي واسئل الّذي أرسلنا إليهم قبلك رسلنا. فـ«من» زائدة. ٦ ـأي: سَلْنا يامحمّد عن الأنبيآء الّذين أرسلنا قبلك. فحذفت «عن» والوقف على «رسلنا» على هذا تام ثمّ ابتدأ بالاستفهام على طريق الإنكار. وسبب هذا الأمر بالسّئوال أنّ اليهود والمشركين قالوا للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ ما جئت به مخالف لمن كان قبلك، فأمره الله بسئواله الأنبيآء على جهة التّوقيف والتّقرير لا لأنّه كان في شكّ منه، فلم يسئلهم ليقينه بالله عزّوجلّ حتّى حكى ابن زيد: أنّ ميكائيل قال لجبرئيل: هل سئلك محمّد عن ذلك؟ فقال جبرئيل: هو صلّى الله عليه وآله وسلّم أشدّ ايماناً وأعظم يقيناً من أن يسئل عن ذلك. فليس السّئوال ليعلم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد جهل ألّا معبود إلّا الله فإنّه قبل رسالته كان على توحيد الله، وهذا السّئوال حين رسالته، ولا ليعلم أنّ الرّسل قبله هل كانوا موحّدين ودعاة التّوحيد أم لا؟ وإنّما السّئوال لكي يعلم النّاكرون أو الشّاكّون في توحيد الله أنّ التّوحيد سنّة الرسالة الدّائبة دونما استثنآء.

۷ـقيل: أي واسئل كتب الّذين أرسلنا من قبلك من الرّسل، فإنّك تعلم صحّة ذلك من قبلها، فاستغنى بذكر الرّسل من ذكر الكتب إذ كان معلوماً ما معناه. فاستقرآء ما في كـتب المرسلين كمسئلة المرسلين لأنّهم لو كانوا وسئلوا لما أجابوا إلّا بما فيها. فسئوالهم عن كتبهم النّاطقة ـعلى تحرّفها ـبجوابه حيث إنّ مئات من آياتها البيّنات إجابة له شافية: «لم يجعل من دون الرّحمن آلهة يعبدون» مهما تمسّك المنحرفون من أهل الكتاب بمتشابهات من آياتها أو مختلقات، ولكنّما المحكمات الثّابتة منها ناطقة دون تشابه وإختلاف، ودليل الفطرة والعقل يؤيّدان توحيد العبادة، ويرفضان شركها، فإنّه ظلم مستحيل على الله أن يسوي بينه وبين خلقه في العبادة.

۸ـقيل: أي واسئل علمآء دينهم كقوله تعالى: «فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك»

يونس : ٩٤) وفائدة هذا المجاز أنّ المسئول عنه، السّئوال عنهم عين ما جآئت به رسلهم لا ما يجيبونه من تلقآء أنفسهم، على أنّ المراد بالعلمآء الرّبّانيون منهم لا المنحرفون. ٩ ـ قيل: أي واسئل من أرسلنا إليهم من قبلك رسولاً من رسلنا. ١٠ ـ قيل: إنّ حقيقة السّئوال هـهنا ممتنعة، ولكنّه مجاز عن النّظر في أديانهم والفحص عن مللهم... هل جآئت عبادة الأوثان قطّ في شيء من مللهم... وهذا كما قيل: سل الأرض من شقّ أنهارك، وغـرس أشـجارك وجنى ثمارك، فإنّها إن لم تجبك حواراً ـ مخاطبة بالنّطق ـ اجابتك اعـتباراً. ١١ ـ قـيل: أي واسئل جبرائيل عمّن أرسلنا.

١٢ ـ قيل: إن «من» مبتدأ، والاستفهاميّة خبره والعائد محـذوف أي عـلى ألسـنتهم. ١٣ ـ قيل: أي واسئل أرواح الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام هـل جآؤا بـدين ورآء ديـن التّوحيد، فاجتمعت له صلّى الله عليه وآله وسـلّم فسئلها فشهدت على ذلك. ١٤ ـ قـيل: أي واسئل اصحاب من أرسلنا من قبلك من رسلنا واستعلم مـا فى كـتبهم وتـعرف حـقائق سننهم... ١٥ ـ قيل: اى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا عمّا أتـوا بـه مـن شريـعة وأقاموا من عماد سنة إذ قد يأتي في كلامهم: اسئل كذا أي اطلبه واسئل عنه. قال الله تعالى: «واوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولاً» الاسراء : ٣٤) وقال: «وإذا المؤودة سُئِلت» التكوير : ٨) أي سئل عن قتلها وطلب بدمها، فكأنّه تعالى قال لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: وسئل عن سنن الأنبيآء قبلك وشرائع الرّسل الماضين أمامك.

١٦ ـ قيل: إنّ سئوال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المرسلين عليهم السّلام ينطلق عنهم، وهم حاضرون لديه ليلة الاسرآء أمّاذا فله صلّى الله عليه وآله وسلّم الحوار معهم أينما شآء في معراج أم غير معراج، ولكنّه سئوال باجابته لا يفيدان من سواه فإنّه غيب حيث المؤمنون عنه بعيدون فضلاً عن سواهم! وإنّما هو تشريف لهم أن يُسئلوا وله أن يسئل.

**أقول:** والأوّل هو المروي عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كما هو المؤيّد بنفس السّياق، وذلك أنّ الله تعالى لمّا بيّن ملاك شرف رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وامّته وهو الاستمساك بالذّكر وأهله، وهذا الاستمساك هو الطّريق الوحيد المستقيم إلى الله عزّوجلّ، وأنّ الامّة المسلمة هم مسئولون عن هذا الاستمساك أيّد هـذا بـشهادة

الرّسل الّذين أرسلهم الله تعالى قبله صلّى الله عليه وآله وسلّم فليسئلهم ليتأكّد من ذلك، وأنّ المقصد من سئوال رسل الله هو استشهاد كتب الله السّماويّة وأهلها.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي سلهم هل جعلنا آلهة يعبدون من دون الرّحمن. مقدّم ومؤخّر. ٢ ـ قيل: أي سلهم هل أمرنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون. ٣ ـ قيل: أي هل جعلنا فيما مضى معبوداً سوى الله يعبده قوم من الأصنام أو غيرها، فإنّهم يقولون: انّا لم نأمرهم بذلك ولا تعبّدناهم بـه. ٤ ـ عـن السّدي: أي أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون أتتهم الرّسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الله؟! «إذ جآئتهم الرّسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألّا تعبدوا إلّا الله» فصّلت : ١٤).

قيل: «آلهة يعبدون» أخرج الخبر عن الآلهة مخرج الخبر عن ذكور بني آدم، ولم يـقل: تعبدو لا يعبدن، فتؤنث وهي حجارة أو بعض جماد كما يفعل في الخبر عن بعض الجماد، وإنّما فعل ذلك كذلك إذ كانت تعبد وتعظم تعظيم النّاس ملوكهم وسراتهم، فأجرى الخبر عنها مجرى الخبر عن الملوك والأشراف من بني آدم. ٥ ـ قيل: «أجعلنا» أي أسمّينا؟ ٦ ـ قيل: أي أحكمنا بعبادة الأوثان... وهل جآء ذلك في ملّة من الملل؟ والمراد تقرير أنّ جميع الأنـبيآء والمرسلين عليهم السّلام على التّوحيد، فليس ببدع ما جآء به محمّد صلّى الله عـليه وآله وسـلّم حتّى يعارض.

**أقول:** والمعاني متقارب والمآل واحد فتأمّل جيّداً.

## ٤٨ ـ (وما نريهم من آية إلّا هي أكبر من اختها وأخـذناهم بـالعذاب لعـلّهم يرجعون)

**في قوله تعالى:** «وما نريهم من آية إلّا هي أكبر من اختها» أقوال: ١ ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «إلّا هي أكبر من اختها» إشارة إلى الآثار الّتي كانت تحدثها هذه الآيات في حـياة القوم... فكانت تنتقل بهم من سيّىء إلى أسوإ كما يقول الله تعالى: «فأخـذناهم بـالبأسآء والضّرّآء لعلّهم يتضرّعون» الأنعام : ٤٢) والمراد بالآيات هنا هي تلك الآيات الّتي أرسلها الله عليهم بالبلآء بعد البلآء كما قال: «فأرسلنا عليهم الطّوفان...» الأعراف : ١٣٣).

٢ ـ قيل: أي وما نرى فرعون وملإه من معجزة ولا دلالة ولا حجّة ولا برهان إلّا هي أكبر من الاخرى عند إدراك الإنسان لها لما يهوله من أمرها، فيجد نفسه يقضي أنّها أكبر كما يقول الإنسان: هذه العلّة الّتي نزلت بي هي أعظم من كلّ علّة، وهو يريد أنّ لها مزيّة أعظم منها لا أنّه ذهب هوله الاولى بانصرافها وحكم الثّانية بحصورها. فالمعنى: وما نريهم من آية إلّا هي أهول في صدورهم من الّتي مضت قبلها إذ كانت آيات موسى من كـبار الآيـات، وكانت كلّ واحدة منها أعظم ممّا قبلها. ٣ ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «هي أكبر من اختها» كناية عن كون كلّ واحدة منها بالغة في الدّلالة على حقّيّة الرّسالة. والمعنى: فلمّا أتاهم بالمعجزات إذا هم منها يضحكون، حالكون كلّ واحدة منها تامّة كاملة في إعجازها ودلالتها من غير نقص ولا قصور.

٤ ـ قيل: أي وما رأينا فرعون وملإه حجّة من حججنا الدّالّة على صدق رسالة رسولنا موسى عليه السّلام إلّا كانت هي أعظم من سابقتها في الحجّيّة عليهم وآكد في الدّلالة عـلى صحّة ما يأمر به من توحيد الله تعالى وعظمته وجلاله وقدرته وعلمه وحكمته. ٥ ـ قيل: «إلّا هي أكبر من اختها» لأنّ الاولى تقتضي علماً والثّانية تقتضي علماً، فـتضمّ الثّـانية إلى الاولى فيزداد الوضوح. ٦ ـ قيل: أي وما نريهم من آية من آيات العذاب إلّا هي أبلغ وأشدّ عذاباً من قرينتها الّتي قبلها. ومعنى الاخوّة: المشاكلة والمناسبة أي كلاً منها مثل شبيهـتها الّتي تقدّمت، وكلّ من رأى واحدة منها حكم بأنّها حكم كبراها لتكافؤ كلّ منها في الكبر، وإذا كان هذا الحكم صادقاً على كلّ منها، فكلّها كبار. ويقال: هذا الشّيء أخو هذا الشّيء إذا كان متشاكلاً له. وتشاكلا: تماثلا وتوافقا.

**أقول:** ولكلٍّ وجهٌ من دون تناف بينها فتأمّل جيّداً.

**٤٩ ـ (وقالوا ياأيّه السّاحر ادع لنا ربّك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون)**

**في قوله تعالى** حكاية عنهم: «ياأيّه السّاحر» أقوال: ١ ـ عن ابن عـبّاس والكـلبي والجبائي: أي ياأيّها العالم الكامل، وياأيّها السّاحر الماهر وياأيّها الفطن، لأنّ السّحر عندهم علم عظيم وأنّه عندهم دقّة النظر والعلم بالشّيء كـالسّحر الحـلال يـقال: فـلان يسـحر

بكلامه، وكان السّاحر فيهم عظيماً يعظّمونه ويوقّرونه بذلك، فلم يكن صفة ذمّ، ولهذا قالوا: إنّنا لمهتدون. ٢ ـ عن الحسن: إنّما قالوا إستهزآءً بموسى عليه السّلام إذ كانوا بعد على كفرهم، فلهذا سمّوه ساحراً ماهراً إنكاراً للنّبوّة. ٣ ـ قيل: أي ياأيّها السّاحر الّذي غلبنا بسحره. تقول العرب: خاصمته فخصمته، وحاججته فحججته، فكذلك ساحرته فسحرته. وهم يريدون أنّه غلب السّحرة فغلبهم بسحره. ٤ ـ قيل: أرادوا به السّحر على الحقيقة على معنى الاستفهام، فلم يَلُمهم على ذلك رجآء أن يؤمنوا به. ٥ ـ قيل: نادوه بذلك في تلك الحال لشدّة شكيمتهم وفرط حماقتهم.

٦ ـ قيل: إنّما قالوا له: ياأيّها السّاحر لجهلهم بنبوّته وصدقه واعتقادهم أنّه سحرهم بذلك، فجرى ذلك على ألسنتهم على عادتهم فيه قبل ذلك. ٧ ـ قيل: أي خاطبوه تشبيهاً له بالسّاحر.

**أقول:** والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق.

**وفي قولهم:** «بما عهد عندك» أقوال: ١ ـ قيل: العهد هنا النّبوّة. ٢ ـ قيل: أي استجابة دعوتك. ٣ ـ قيل: أي كشف العذاب عمّن اهتدى. ٤ ـ قيل: أي بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة.

**أقول:** وعلى الثّاني والثّالث أكثر المفسّرين.

## ٥٠ ـ (فلمّا كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون)

**في قوله تعالى:** «إذا هم ينكثون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي ينقضون ما عقدوا على أنفسهم بالاهتدآء. ٢ ـ عن قتادة: أي يغدرون. ٣ ـ قيل: قولهم: «إنّنا لمهتدون» إخبار منهم عن أنفسهم بالايمان، فلمّا كشف عنهم العذاب ارتدّوا. ٤ ـ قيل: أي ينكثون العهد الّذي عاهدونا. ٥ ـ قيل: أي فإذا هم يصرّون على كفرهم وضلالهم ويتمادون في غيّهم ولجاجهم.

**أقول:** والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

**٥١ ـ(ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون)**

**في قوله تعالى:** «ونادى فرعون في قومه» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي خطب فرعون قومه القبط. وذلك أنّه لمّا رأى أمر موسى عليه السّلام يزيد على الأيّام ظهوراً واعتلاءً خاف على ملكه، فأظهر الخداع، فخطب القبط بعد أن جمعهم. ٢ ـ عن ابن جريج: أي ليس هو نفسه ولكن أمر منادٍ أن ينادي في مجامع قومه، ومحافلهم. فاسند النّدآء إليه كقولك: بنى الأمير إذ أمر بالبنآء. ٣ ـ قيل: أي رفع صوته بذلك فيما بين خواصّه، فانتشر في غيرهم. ٤ ـ عن أبي مالك: لمّا رأى فرعون تلك الآيات خاف ميل قومه الّذين اتبعوه على دينه إلى موسى عليه السّلام فجمعهم، فقال فيهم... فنادى بمعنى قال. ٥ ـ قيل: أي رفع صوته بذلك فيما بين عظمآء القبط، ثمّ ينتشر عنه في جموع القبط، وكأنّه نودي به بينهم.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المحققين، وفي معناه الرّابع.

**وفي قوله:** «أليس لي ملك مصر» أقوال: ١ ـ قيل: أراد بالملك هنا الإسكندريّة. ٢ ـ قيل: أي أراد مملكة مصر. أي أتصرّف فيها كما أشآء لا ينازعني ولا يمنعني فيها أحد. ٣ ـ قيل: أراد بذلك إظهار بسطته في الملك والمال. ٤ ـ عن ابن عبّاس: أي أربعين فرسخاً في أربعين فرسخاً.

**أقول:** وعلى الثّاني أكثر المفسّرين.

**وفي قوله:** «وهذه الأنهار تجري من تحتي» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي وهذه الأنهار تجري من حولي. ٢ ـ قيل: عنى بالأنهار الأفراس تجري من تحتي. فالمراد بالأنهار: الجياد من الخيل. ٣ ـ قيل: أي هذه الأنهار من أنهار النّيل وغيرها تجري من تحت قصوري المرتفعة العالية البناء، وهو مشرف عليها. ٤ ـ قيل: أي وهذه الأنهار تجري من تحت أمري. وذلك أنّ فرعون إذا أمسك عنانه أمسك النّيل عن الجري. قال القُشَيري: ويجوز ظهور خوارق العادة على مدّعي الرّبوبيّة إذ لا حاجة في تمييز الإله من غير الإله إلى فعل خارق للعادة. ٥ ـ عن قتادة: أي من تحتي من بين يدي في الجنان والبساتين إذ كانت له جنات

وبساتين وأنهار مآء. ٦ ـ قيل: أي تصرّفي نافذ فيها من غير صانع ولا مانع.

٧ ـ قيل: أي وهذه الأنهار هي أنهار النّيل ـ كانت ثلاثمأة وستّين نهراً، وكان معظمها أربعة: ١ ـ نهر المِلك ٢ ـ نهر طالوت (طولون) ٣ ـ نهر دمياط ٤ ـ نهر منفيس (تنّيس) تجري تحت قصري وجناني وضياعي... ٨ ـ قيل: أي تجري تحت سريري لارتفاعه. ٩ ـ عن الضّحّاك: أي وهذه القوّاد والرّؤسآء والجبابرة يسيرون تحت لوائي. ١٠ ـ قيل: أراد بالأنهار الأموال، وعبّر عنها بالأنهار لكثرتها وظهورها. وقوله: «تجري من تحتي» أي افرّقها على من يتّبعني لأنّ التّرغيب والقدرة في الأموال دون الأنهار.

**أقول:** وعلى السّابع أكثر المفسّرين.

**وفي قوله:** «أفلا تبصرون» أقوال: ١ ـ قيل: أي أفلا تبصرون عظمتي وقوّتي وضعف موسى. ٢ ـ قيل: أي أفلا تبصرون قدرتي على نفقتكم وعجز موسى. ٣ ـ قيل: أي أفلا تبصرون أنّ ما أدّعيه حقّ، وأنّ ما يقوله موسى باطل. ٤ ـ قيل: أي أفلا تبصرون ذلك؟ أفلا تستدلّون به على غاية شوكتي، وقوّة ملكي وعظم شأني وكبر قدري، وضعف موسى عن مقاومتي لما فيه من فقر وعيّ وحَصَر.

**أقول:** والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

## ٥٢ ـ (أم أنا خير من هذا الّذي هو مهين ولا يكاد يبين)

**في قوله:** «أم أنا خير من هذا» أقوال: عن أبي عبيدة والسّدي: «أم» بمعنى «بل» فكأنّه قال: بل أنا خير من موسى لأنّه كذا وكذا. ٢ ـ قيل: إنّ مخرج «أم» مخرج المنقطعة وفيها معنى المعادلة لقوله: «أفلا تبصرون أم أنتم بصرآء؟ لأنّهم لو قالوا: نعم لكان بمنزلة قولهم: أنت خير. والأصل في المعادلة على أيّ الحالين: أنتم على حال البصر أم على حال خلافه. ولا يجوز أن يكون المعنى على أيّ الحالين: أنتم على حال البصر أم حال غيرها في أنّي خير من موسى. وإنّما المعادلة تفصيل لما أجمله. فالهمزة للتّقرير. والمعنى: أثبت عندكم واستقرّ أنّي خير.

٣ ـ قيل: تقدير الكلام هنا: أنا خير من موسى أم هو إلاّ أنّه ذكر بـ«أم» لاتّصال الكلام

بما قبله. وقيل: معناه: أفلا تبصرون فستعلمون أنّي خير منه. ٤ ـ قيل: «أم» زائدة والمعنى: أنا خير من موسى. ٥ ـ عن الأخفش: في الكلام حذف. والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون؟ ثمّ ابتدأ فقال: أنا خير.

**أقول:** ولكلّ وجهٌ فتدبّر جيّداً.

**وفي قوله:** «هو مهين» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس وقتادة والسّدي: أي ضعيف في بدنه. ٢ ـ قيل: أي فقير. ٣ ـ قيل: أي لا عِزَّ له فهو يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج إليه ليس له من يكفيه لحقارته وضعفه. ٤ ـ قيل: أي ضعيف حقير لفقره فلا يستعدّ للرّئاسة إذ لا عدد معه ولا عُدَد.

**أقول:** وعلى الرّابع أكثر المفسّرين.

**وفي قوله:** «ولا يكاد يبين» أقوال: ١ ـ عن الزّجاج: أي كانت في لسانه عـقدة قـبل النّبوّة. ٢ ـ عن قتادة والسّدي: أي كانت في لسانه آفة. ٣ ـ قيل: إنّ موسى عليه السّلام كان احترق لسانه بالجمر الّذي وضعه في فيه حين أراد أن يعتبر فرعون عقله لما لطم وجـهه، وأراد أن يأخذ غير النّار، فصرف جبرئيل يده إلى النّار، فدفع عنه القتل. ٤ ـ عن الحسن: أي كان في لسانه ثقل، فنسبه إلى ما كان عليه أوّلاً. ٥ ـ عن الجبآئي: كان في لسانه لُثغة فرفعه الله تعالى وبقي فيه ثقل. ٦ ـ عن ابن عبّاس: أي لا يكاد يبيّن حجّته.

**أقول:** وعلى الأوّل جمهور المحققين، وهو المؤيّد بالآيات الكريمـة، من دون تنافٍ بـينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

## ٥٣ ـ (فلولا القى عليه أسورة من ذهب أو جآء معه الملائكة مقترنين)

**في قوله:** «مقترنين» أقوال: ١ ـ عن السّدي: أي يقارن بعضهم بعضاً، فتتابعوا يشهدون له بأنّه رسول من الله إليهم. ٢ ـ عن مجاهد: أي يمشون معه. ٣ ـ عن قـتادة: أي مـتتابعين يعينونه على أمره الّذي بعث له ويشهدون له بصدقه. ٤ ـ عن ابن عبّاس: أي مـعاونين له على من خالفه، مصدّقين له بالرّسالة.

والمعنى: هلّا ضمّ إلى موسى عليه السّلام الملائكة الّتي يزعم أنّها عند ربّه حتّى يتكثّر بهم

ويصرفهم على أمره ونهيه، فيكون ذلك أهيب في القلوب... فأوهم فرعون قومه أنّ رسل الله ينبغي أن يكونوا كرسل الملوك في الشّاهد، ولم يعلم أنّ رسل الله إنّما أيّدوا بالجنود السّماوية وكلّ عاقل يعلم أن حفظ الله موسى مع تفرّده ووحدته من فرعون مع كثرة أتباعه وإمداد موسى بالعصا واليد البيضاء كان أبلغ من أن يكون له أسورة أو ملائكة يكونون معه أعواناً يعاونونه على مخالفيه أو دليلاً على صدقه، وليس يلزم هذا لأنّ الإعجاز كافٍ، وكان من الممكن أن يكذّب مع مجئ الملائكة كما كذّب مع وضوح الآيات وظهور الدّلائل... وذكر فرعون الملائكة حكاية عن لفظ موسى عليه السّلام لأنّه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم.

٥ ـ قيل: أي متعاضدين، متناصرين كلّ واحد منهم يمالئ صاحبه. ٦ ـ قيل: أي مقترنين بموسى عليه السّلام لا يفارقونه تماماً كالرّجل العظيم مع حواشيه... فاقتران الملائكة هو اتّصالهم ومرافقتهم لموسى عليه السّلام.

**أقول:** وعلى الرّابع أكثر المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

## ٥٤ ـ (فاستخفّ قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين)

**في قوله تعالى:** «فاستخفّ قومه فأطاعوه» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي استنزل قومه القبط فأطاعوه في قوله. ٢ ـ قيل: أي فقهرهم حتّى اتبعوه. يقال: استخفّه خلاف استثقله. واستخفّ به أهانه. ٣ ـ قيل: أي وجدهم خفاف العقول والأفكار... وهذا لا يدلّ على أنّه يجب أن يطيعوه فلابدّ من إضمار بعيد. تقديره: وجدهم خفاف العقول والآرآء... فدعاهم إلى الكفر والضّلالة والبغي والغواية فأطاعوه من دون تفكّر ونظر. ٤ ـ قيل: أي استفزّهم بالقول فأطاعوه على التّكذيب وحقيقته حملهم على أن يخفّوا له في الطّاعة ولما أراده منهم، وكذلك استنفزه فإنّ الفزّ هو الخفيف.

٥ ـ قيل: أي استخفّ أحلامهم وعقولهم ولعب أفكارهم... والاستخفاف هو طلب الخفّة من ثقل، وثقل الإنسان عقله، وهو إمام النّواميس الخمسة في كيان الإنسان وهي: ١ ـ العقل. ٢ ـ الدّين. ٣ ـ النّفس. ٤ ـ المال. ٥ ـ العِرض.

فإذا خفّ العقل باستخفاف تغافلاً عنه وتنازلاً عن حكمه تخلفه الطّاعة المطلقة لمن يستخفّ وهو الاستحمار الّذي يخلفه سآئر الأبواب السّبع الجهنّميّة من الاستثمار والاستغلال والاستعمار والاستكبار والاستبداد والاستضعاف، فالاستحمار وليد الاستخفاف ثمّ هو أمّ لسآئر الأبواب، فإذا خفّ الإنسان عقله أمام الاستخفاف، حرماناً عن التعقّل أو ابتعاداً عن حكم العقل أصبح كالرّيشة في مهبّ الرّياح الاستحماريّة، متخلّياً عن كيان الإنسانيّة ككلّ، إلى أنزل وأنذل دركات البهيميّة اللاشعوريّة، وهنالك الطّامّة الكبرى والمصيبة العظمى! وكافّة المحاولات الفرعونيّة في حمل قومه على طاعته تختصر في هذه الصّيغة: «فاستخفّ...» فللمستضعَفين أمام الطّغاة المستكبرين والبغاة المستبدّين إحدى حالات ثلاث:

١ ـ المُنعة والصّلابة والاستقامة على موازين العقل والحكمة الإلهيّة كالجبل الرّاسخ لا تحرّكه العواصف ولا تزيله القواصف، فلا يزيده الاستخفاف إلّا قوّة وسداداً وهؤلآء هم المستضعفون المؤمنون الصّادقون حقاً الّذين وعدهم الله تعالى خلافة الأرض ووراثتها، حيث لا يخفّون مهما يستخفّون، بل ويزدادون ثقلاً في الإيقان وتبلوراً في الإيمان: «وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الّذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً» النور : ٥٥) «ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين» القصص : ٥).

٢ ـ سفه وقلّة عقل وخطأ فكر دون فسوق ولا تقصير إلّا في مبادئه، وهنا الطّاعة بالإستخفاف واقعة لا محالة، ولا ذمّ فيها إلّا قليلاً: «إلّا المستضعفين من الرّجال والنّسآء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ـ فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم» النساء : ٩٨ ـ ٩٩) ٣ ـ تخاذل دون تثاقل على عقل ودراية، بفسق عامد، رغم إمكانيّة المُنعة والاستقامة وهم: «الّذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنّم وسآئت مصيراً» النساء : ٩٧).

هؤلآء هم المستخفّون فسقاً حيث يُخَفَّون، يحتنكهم كلّ شيطان مريد، يتّبعونهم، وهم لهم مطيعون، يُحنون ظهورهم، فهم عليهم راكبون: «فاستخفّ قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين» فمادّة الفسق: الخروج عن حكم الدّين والفطرة وعن حكم العقل والحكمة، تزداد فعالية لما يُستخفّ الإنسان عن أثقال الإنسانيّة، فيخفّ تنازلاً عنها وتخاذلاً: فطاعة مطلقة للمستخِفّ المستحمر! فاستخفاف الطغاة لهذه الجماهير استحمار فاستثمار واستغلال دائب لا حِوَل عنه، حيث يعزلون الجماهير عن أسباب المعرفة فيتناسونها حتّى ينسوها، فلا يعودون ليبحثوا عنها، فلمّا تخلّوا عن المعرفة بأسبابها ألقوا في روعهم ما يشآؤن من بواعث الكوارث، فيسهل استخفافهم، ويلين سَلِساً قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشّمال حيث يلعبون بهم كالرّيشة في مهبّ الرّياح العاصفة.

٦ ـ قيل: أي طلب فرعون من قومه الخفّة في مطاوعته، فدعاهم، فأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه من دون نظر ولا تفكّر، فإنّه احتجّ لهم على ذلك بما ليس بدليل وهو قوله: «أليس لي ملك مصر ـ فلولا ألقي عليه أسورة...» ولو عقلوا وفكروا لقالوا له: ليس في ملك الإنسان واشتهاره ما يدلّ على أنّه محقّ لكون ملوك كثيرة يخالفونك مبطلين عندك ولا يجب أن يُلقى على الرّسل أسورة من ذهب أو يأتي معهم ملائكة لأنّ الّذي يدلّ على صدق رسالتهم هو المعجزة. ٧ ـ عن ابن الأعرابي: أي فاستجهل فرعون قومه فأطاعوه لخفّة أحلامهم وقلّة أفكارهم وقصور عقولهم... يقال: استخفّه الفرح: أزعجه، واستخفّه: حمله على الجهل ومنه قوله تعالى: «ولا يستخفّنّك الّذين لا يُوقنون» الرّوم : ٦٠).

**أقول:** ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

## ٥٥ ـ (فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين)

**في قوله تعالى:** «فلمّا آسفونا» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي غاظونا وأسخطونا بالعناد، فحقّت كلمة العذاب على الفاسقين. ٢ ـ عن ابن عبّاس أيضاً وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن زيد: أي أغضبوا نبيّنا موسى ومالوا إلى غضبنا، وأغضبوا رسلنا وأوليآئنا المؤمنين من السّحرة وبني إسرائيل وهو كقوله تعالى: «إنّ الّذين يؤذون الله» الأحزاب : ٥٧)

وقوله عزّوجلّ: «إنّما جزآؤا الّذين يحاربون الله» المآئدة : ٣٣) أي رسله وأوليآئه... وغضب الله تعالى على العصاة إرادة عقوبتهم، ورضاه عن المطيعين إرادة ثوابهم الّذي يستحقّونه على طاعتهم. وقيل: الفرق بين الغضب والسّخط أنّ السّخط هو إظهار الكراهة، والغضب هـو إرادة الانتقام. وانّ الغضب من الله تعالى إمّا إرادة العقوبة، فيكون من صفات الذّات، وإمّـا عين العقوبة، فيكون من صفات الفعل. ولا يستطيع العبد أن يؤسف ربّه الّذي لا يأسف مهما توفرت عوامل الأسف، فلا يعني «آسفونا» إلاّ أنّهم عملوا الأعمال المـؤسفة وهـو سـبب الانتقام، وأمثال هذه الأفعال تجرّد عمّا لا يليق بساحة الرّبوبيّة، لأنّ الغضب ونحوه من تغيّر الحال، حيث إنّ الله سبحانه لا يتغيّر بانغيار المخلوقين ولا يأسف كأسفهم.

٣ ـ قيل: أي إذا ظهر منهم الأسف لما أفرطوا في الكفر والمـعاصي... وعـدوا طـورهم استوجبوا أن نعجل لهم عذابنا، وهذه سنّتنا بالنّسبة للمستخفّين الفاسقين العائشين عـلى هوامش فرعون ومَن سلك مسلكه في كلّ ظرف، فيستدرجهم مليّاً يملي، ثمّ يأخذهم بغتة.
٤ ـ قيل: أي أحزنوا رسلنا لأنّ الأسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله تعالى وهو على قول يعقوب: «ياأسفىٰ على يوسف» يوسف : ٨٤) أي ياحزني على يوسف. والأسف في الأصـل: الغيظ من المغتم.

**أقول:** وعلى الثّاني أكثر المفسّرين.

## ٥٦ ـ (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين)

**في قوله تعالى:** «فجعلناهم سـلفاً» أقـوال: ١ ـ قـيل: أي فـجعلنا فـرعون وقـومه المستكبرين قدوة لمن يعمل عملهم من أهل الكفر والضّلال ككفّار قومك، يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم لإتيانهم بمثل أفعالهـم... ٢ ـ عن قتادة: اريد بكون فرعون وقـومه سلفاً للآخرين، تقدّمهم عليهم في دخول النّار. والسَّلَف: المتقدّم على غيره قبل مجئ وقته، ومنه السّلف في البيع. والسَّلَف نقيض الخلف. والمعنى: فجعلنا هم مقدّمة يتقدّمون إلى النّار كفّار قومك من قريش، وكفّار قومك لهم بالأثر.

٣ ـ عن ابن عبّاس: أي فجعلناهم ذهاباً بـالعذاب. ٤ ـ عـن ابـن عـبّاس أيـضاً: أي

فجعلناهم أهوآءً مختلفة. ٥ ـ قيل: أي فجعلناهم متقدّمين ليتّعظ بهم الآخرون. ٦ ـ عن أبي مِجلَز: «سَلَفاً» لمن عمل عملهم. ٧ ـ عن مجاهد: أي فجعلناهم إخباراً لامّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٨ ـ عن مجاهد أيضاً: أي فجعلناهم إخباراً لكفّار قومك يتقدّمونهم إلى النّار فهم سابقون إلى الجحيم.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الاُخر.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «ومثلاً للآخرين» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والسّدي: أي وجعلنا قصّة فرعون وقومه عبرة وموعظة لمن يأتي بعدهم من الكافرين، وجعلناهم عبرة للمتأخّرين ليعتبروا ويتّعظوا بهم. والمثل هو الكلام السّآئر الّذي يتمثّل به ويعتبر به. فالعذاب الّذي اُخِذَ به فرعون وقومه كان عذاباً يُضرَب به المثل من بعدهم، ويرى الخَلَف عبرة وعظة فيما نزل بهذا السّلف. والمثل بيان عن أنّ حال الثّاني كحال الأوّل بما قد صار في الشّهرة كالعلم فحال هؤلآء المشركين كحال من تقدّم في الإشراك بما يقتضي أن يجروا مجراهم في الإهلاك إن أقاموا على الكفر والطّغيان والظّلم والعدوان، والبغي والعصيان.

٢ ـ عن أبي مِجلَز: «مثلاً» لمن يعمل عملهم. ٣ ـ عن مجاهد: أي عبرة لامّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ٤ ـ قيل: أي حديثاً عجيب الشّأن سايراً مسير المثل يشبّه غيرهم بهم، فيقول النّاس: مثلكم مثل قوم فرعون.

**أقول:** ولكلٍّ وجهٌ ولكنّ الأوجه والأنسب بظاهر السّياق هو الرّابع.

## ٥٧ ـ (ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون)

**في قوله تعالى:** «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً...» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس ومقاتل: أي ولمّا وصف ابن مريم شبهاً في العذاب بالآلهة أي فيما قالوه على زعمهم. وذلك أنّه لمّا نزل قوله تعالى: «إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم» الأنبيآء : ٩٨) قال المشركون: قد رضينا بأن تكون آلهتنا حيث يكون عيسى. وذلك قوله: «إذا قومك منه يصدّون» أي يضجّون ضجيج المجادلة حيث خاصموك وهو قوله: «وقالوا أآلهتنا خير أم هو» أي ليست آلهتنا

خيراً من عيسى، فإن كان عيسى في النّار بأن يُعبَد من دون الله فكذلك آلهتنا. فـالضّارب للمثل: المشركون والمعنى: ولمّا ضربوا عيسى بن مريم مثلاً بعبادة النّصارى إيّاه إذاً قريش من هذا المثل يصدّون أي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وجدلاً وضحكاً من إسكات النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بجدلهم.

وقيل: الضّارب للمثل هو عبد الله بن الزِّبْعرَى التميمي إذ قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبيّ وتثني عليه وعلى امّـه خـيراً، وقـد عـلمت أنّ النّصارى يعبدونهما، وعزير يعبد، والملائكة يعبدون، فإن كان هؤلآء في النّار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهـتنا معهم في النّار، فثار لقريش جلبة وضجيج فرحاً وجدلاً وضـحكاً بمـا سمعوا منه من إسكات النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بجدله ولو تأمّل ابن الزبعرى الآيـة مـا اعترض عليها لأنّه قال: «وما تعبدون» ولم يقل: «ومن تعبدون» وإنّما أراد الأصنام ونحوها ممّا لا يعقل، ولم يرد المسيح ولا الملائكة، وإن كانوا معبودين.

**أقول:** وفي بحث النّزول روايات فراجع.

٢ ـ قيل: أي ولمّا سمع المشركون العرب أنّ النّصارى يعبدون عيسى بزعمهم أنّه ابن الله، قالوا: إذا جاز أن يكون عيسى ابن الله جاز بأن تكون الملائكة بنات. ٣ ـ عن قتادة: لمّا قال الله تعالى: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهـة يعبدون» : ٤٥) تعلّق المشركون بأمر عيسى، وقالوا: ما يريد محـمد إلّا أن نـتّخذه إلهـاً كـما اتّخـذت النصارى عيسى بن مريم إلهاً. ونحوه عن مجاهد قال: إنّ قريشاً قالت: إنّ محـمّداً يـريد أن نعبده كما عبد قوم عيسى، عيسى فأنزل الله هذه الآية. ٤ ـ عن قتادة أيضاً: انّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا ضرب مع المسيح وامّه بالبراءة من الفاحشة، وأنّه كآدم في الخاصّيّة قالوا: إنّ محمداً يريد أن نعبده كما عبدت النّصارى عيسى عليه السّلام.

٥ ـ قيل: أي ولمّا ضرب الله المسيح مثلاً بآدم في قوله: «إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب» آل‌عمران : ٥٩) أي من قدر على أن ينشئ آدم من غير أب وامّ قادر عـلى إنشآء المسيح من دون أب، فلا وجه لاستنكاره من هذا الوجه، اعترض على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك قوم من كفّار قريش فنزلت هذه الآية، والمعنى: ولمّا شبّه الله عيسى في

إحداثه وإنشآئه إيّاه من غير فحل بآدم، فمثّله به بأنّه خلقه من تراب من دون فحل إذاً قومك يامحمد من ذلك يضجّون ويقولون: ما يريد محمّد منّا إلّا أن نتّخذه إلهاً نعبده كما عبدت النّصارى المسيح. ٦ ـ قيل: أي ولمّا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ بن أبي طالب عليه السّلام: ياعليّ إنّما مثلك في هذه الامّة كمثل عيسى بن مريم أحبّه قوم فأفرطوا في حبّه فهلكوا، وأبغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا فعظم ذلك على جماعة من المنافقين، فضحكوا وقالوا: لم يرض محمّد أن يضرب لعليّ مثلاً حتّى يشبّهه بالأنبيآء والمرسلين فنزلت الآية. فالضّارب للمثل هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، والأخير هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وأهل البيت أدرى بما في البيت وهو الأنسب بظاهر سياق الآيات الثّلاث المتقدّمة: (٤٣ ـ ٤٥) فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تكن من الغافلين.

**وفي قوله تعالى:** «إذاً قومك منه يصدّون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس وأبي عبيدة ومجاهد والضّحّاك والسّدي وابن المسيّب: أي يضجّون. وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لقريش: إنّه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير، فقالوا: ألست تزعم أنّ عيسى كان نبيّاً وعبداً من عباد الله صالحاً، وقد عبدته النّصارى، فإن كنت صادقاً فإنّه كآلهتهم فأنزل الله: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» أي يضجّون كضجيج الابل عند حمل الأثقال، سروراً منهم بأنّهم عبدوا الأوثان كما عبدت النّصارى المسيح إذ قالت قريش: إنّما يريد محمّد أن نعبده كما عبد قوم عيسى، عيسى. وقيل: أي كانوا يضجّون فرحاً لظنّهم أنّ محمّداً صار ملزماً به. ٢ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي يضحكون فرحاً بما سمعوا من تسميتهم بين عيسى وبين آلهتهم. فهم من قول ابن الزبعرى وأصحابه يضحكون.

٣ ـ عن قتادة: أي يجزعون ويقولون: يامحمّد يامحمّد ما ذكرت عيسى، وما تريد منّا إلّا أن نصنع بك كما صنعت النّصارى بعيسى أي إذا قومك من ضرب المثل يجزعون. ٤ ـ عن النّخعي: «يصدّون» ـ بالضّمّ ـ من الصّدود بمعنى التعطيل والإعراض عن الحق ـ أي يعرضون عن الحق. و ـ من التّصدية بمعنى التّصفيق ـ فذمّ لقريش في مقابلتهم المثل الحقّ بالتهكّم والسّخرية والمعنى: إذاً قومك المشركون من المثل الحق يضحكون فرحاً بما سمعوا

من تشبيههم إيّاه بآلهتهم. وقيل: هنا لغتان. ٥ ـ قيل: أي يصيحون ويـرتفع لهـم ضـجيج وفرح. ٦ ـ قيل: أي يضجون. ٧ ـ عن الضّحّاك: أي يعجّون. ٨ ـ قيل: أي تضحك جماعة من المنافقين من تشبيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السّلام بعيسى بن مريم.

**أقول:** والثّامن هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

## ٥٨ ـ (وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون)

**في قوله تعالى:** «وقالوا ءآلهتنا خـير أم هـو» أقـوال: ١ ـ عـن السّـدي: أي وقـال المشركون: ءآلهتنا خير عندك أم المسيح؟ فعلام إذن تنكر علينا عبادة الأصنام...؟ ٢ ـ عن قتادة: أي أآلهتنا خير أم محمّد، فنعبده ونترك آلهتنا؟! وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السّخريّة والاستهزآء. ٣ ـ قيل: معنى سئوالهم: آلهتنا خير أم هو؟ أنّهم ألزموا ما لا يلزم على ظنّ منهم وتوهّم كأنّهم قالوا: ومَثَلنا فيما نعبد مَثَل المسيح، فأيّهما خير؟ أعـبادة آلهـتنا أم عبادة المسيح؟ على أنّه إن قال: عبادة المسيح خير، فاعترف بعبادة غير الله، وكذلك إن قال: عبادة الأوثان... وإن قال: ليس في عبادة المسيح خير قصر به عن المنزلة الّتي ليست لأحد من سآئر العباد، وجوابهم عن ذلك أنّ اختصاص المسيح بضرب من التشريف والانـعام عليه لا يوجب العبادة له كما لا يوجب ذلك أنّه قد أنعم على غيره النّعمة.

٤ ـ قيل: إنّ مرادهم بقولهم: «ءآلهتنا خير أم هو» التّنصّل والتخلّص عمّا أُنكِر عليهم من قولهم: الملائكة بنات الله، ومن عبادتهم لهم كأنّهم قالوا: ما كان ذلك منّا بدعاً، فإنّ النّصارى يعبدون المسيح، وينسبونه إلى الله وهو بشر، ونحن نعبد المـلائكة ونـنسبهم إلى الله وهـو أفضل من البشر. ٥ ـ قيل: وقالوا: ءآلهتنا خير أم الله وهو غير ظاهر لنا؟ أفنترك الظّاهر، ونعبد الّذي لا نراه؟ ٦ ـ قيل: أي وقال جماعة من المنافقين بينهم ـ بعد تشبيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السّلام بعيسى بن مريم عليه السّلام ـ: أآلهتنا الّتي كنّا نعبدها مـن قبل، خير لنا بعد هذا الكلام من محمّد أم عليّ؟ فإنقلابنا على أعقابنا خير لنا من بقآئنا على دين محمّد. والمعنى: لئن نتّبع آلهتنا ونعبدها، ونطيع كبرآئنا خير من أن نتولّى عليّاً فيتحكّم علينا أو خير من أن نتّبع محمّداً فيحكّم علينا ابن عمّه؟! ٧ ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «وقالوا

ءآلهتنا خير أم هو...» مستأنف، والنّازل في قصّة التشبيه هو قوله عزّوجل: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً...» الآية، ومكّيّة السّورة لا تنافي مدنيّة بعض آياتها...

**أقول:** والسّادس هو المستفاد من الرّوايات الواردة في المقام فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «ما ضربوه لك إلّا جدلاً» أقوال: ١ ـ قيل: أي ما مثّلوا لك هذا المثل يامحمّد ولا قالوا لك هذا القول إلّا جدلاً وخصومة يخاصمونك به. ٢ ـ قيل: أي ما نقضوا وما اعترضوا بعيسى إلّا تهرّباً من الحقّ. ٣ ـ قيل: أي خصومة لك بالباطل، ودفعاً لك عن الحق لأنّ المجادلة لا تكون إلّا وأحد المجادلين مبطلاً، والمناظرة قد تكون بين المحقّين لأنّه قد يعارض سيظهر له الحقّ. ٤ ـ قيل: أي ما ضربوا لك هذا المثل إلّا إرادة الجدل لأنّهم كانوا يعلمون أنّ المراد بحصب جهنم ما اتّخذوه من الموات... لا المسيح ولا عزير ولا الملائكة. ٥ ـ قيل: أي ما ذكروا لك عيسى عليه السّلام إلّا للجدل والخصومة لك ولعليّ، وللغلبة في القول لا لطلب المعرفة.

**أقول:** والخامس كالسّادس من الأقوال السّابقة...

**وفي قوله جلّ وعلا:** «بل هم قوم خصمون» أقوال: ١ ـ قيل: بل هؤلآء المنافقون هم قوم شديد الخصومة، مجبولون على العداوة واللجاج، وعلى سوء الخلق والعناد لك ولعليّ. ٢ ـ قيل: أي بل هؤلآء المشركون العرب قوم عنيدون في الجدل والخصومة. ٣ ـ قيل: أي جدلون في دفع الحقّ بالباطل، خاصموه: يلتمسون الخصومة بالباطل إذ دأبهم الخصومة واللجاج، فيبالغون فيهما بالباطل. والمعنى: ما بقومك يامحمّد هؤلآء المشركين في محاجتهم إيّاك بما يحاجونك به طلب الحقّ، بل هم قوم يلتمسون الخصومة بالباطل ويبالغون في اللجاج والعناد.

**أقول:** والأوّل كالخامس السّابق، والسّادس الأسبق فتأمّل جيداً.

## ٥٩ ـ (إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل)

**في قوله تعالى:** «إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه» أقوال: ١ ـ أي ما عيسى بن مريم إلّا عبد من عبادنا أنعمنا عليه بالنّبوّة ٢ ـ قيل: أي أنعمنا عليه بالخلق من دون أب. ٣ ـ قيل: أي

أنعمنا عليه بالتّوفيق والايمان. ٤ ـ قيل: إنّ المراد بالعبد المنعم عليه هو محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنعم الله تعالى عليه بالرّسالة. ٥ ـ قيل: اريد بالعبد عليّ بـن أبي طـالب عليه السّلام أنعم الله تعالى بالولاية إذ قال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» المآئدة : ٣).

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين من دون تنافٍ بينه وبين غيره من الأقوال من بابي التفسير والتأويل فتأمّل جيّداً.

**وفي قوله تعالى:** «وجعلناه مثلاً لبني إسرآئيل» أقوال: ١ ـ عن قتادة والسّـدي: أي وجعلنا عيسى بن مريم موعظة وعبرة لبني إسرائيل يتّعظون به ويعتبرون به. ٢ ـ قيل: أي آية دالة على قدرة الله. ٣ ـ قيل: أي وجعلناه حالة عجيبة كالمثل السّآئر لبني إسرائيل إذ خلقناه من غير أب فيعرفون به قدرة الله على ما يريد حيث خلقه، فعيسى مثل لهم يشبّهون به ما يرون من أعاجيب صنع الله تعالى.

**أقول:** والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

## ٦٠ ـ (ولو نشآء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي ولو نشآء لجعلنا مـنكم أيّهـا المـشركون بـدلكم ملائكة في الأرض يخلفونكم فيها بأن نهلككم ونفنيكم جميعكم. فالآية بصدد تقرير قدرة الله تعالى على إهلاك المشركين، وجعل الملائكة يخلفونهم في الأرض بدلاً منهم، فيعمرونها ويعبدون الله وحده. فتكون الآية تهديداً وتخويفاً للمشركين العرب. ٢ ـ عن ابن عبّاس: أي ولو نشآء لجعلنا بمكانكم أيّها النّاس مـلائكة في الأرض يخـلفون خـلفآء مـنكم بـدلكم ويقومون مقامكم. ٣ ـ عن قتادة والسّدي: أي ولو نشآء لخلقنا منكم مـلائكة يمشـون في الأرض بدلكم، فيخلف بعضهم بعضاً مكان بني آدم.

٤ ـ عن مجاهد: أي ولو نشآء لجعلنا منكم أيّها السّامعون ملائكة في الأرض يعمرونها بدلاً منكم معاشر بني آدم، فيكونون خلفآء منكم. فالآية بصدد تقرير قدرة الله عزّوجل على جعل نسل المخاطبين ملائكة يكونون هـم سكّـان الأرض يخـلفونهم فـيها بـعدهم،

فيعمرونها ويعبدون الله تعالى وحده ولا يشركون به شيئاً. فكما أنّ الله تعالى قادر على جعل نسل البشر ملائكة يخلفونهم في الأرض، فهو قادر على خلق عيسى على النّحو الّذي خلقه دون أن يكون ذلك موجباً لتأليهه كما فعل النّصارى. ٥ ـ قيل: أي ولو نشآء لجعلناكم أيّها البشر ملائكة فيكون من باب التجريد. وفيه إشارة إلى قدرته على تغيير بنية البشر إلى بنية الملائكة، يخلف بعضهم بعضاً. فالمعنى: ولو نشآء ـ لقدرتنا على عجائب الامور ـ لولّدنا منكم يارجال، ملائكة يخلفونكم في الأرض كما نخلفكم أولادكم كما ولّدنا عيسى من انثى من دون فحل. والغرض بيان كمال القدرة، وأنّ كون الملائكة في السّموات لا يوجب لهم الإلهيّة ولا نسباً من الله تعالى. فلو نشآء لجعلنا في الأرض عجباً كأمر عيسى بحيث يلد الرّجل ملكاً، فيخلفه، فباب العجآئب والنّظم المدهشة لا حدّ له عندنا، فكم من نواميس خافية عليكم، بيدنا تصريفها...

٦ ـ قيل: أي ولو نشآء لجعلنا ذرّيّتكم ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم. ٧ ـ قيل: أي ولو نشآء لجعلنا من الانس ملائكة، وإن لم تجر العادة بذلك، والجواهر جنس واحد، والاختلاف بالأوصاف... والمعنى: ولو نشآء لأسكنّا الأرض ملائكة، وليس في إسكاننا إيّاهم السّموات شرف حتّى يعبدوا أو يقال لهم: بنات الله سبحانه ٨ ـ قيل: أي وأنتم أيّها المشركون بشر تعبدون الملائكة لكونهم ملائكة، ولو نشآء لجعلنا من أنفسكم ملائكة أو نجعلكم في عصمتهم وطهارتهم كملائكة في الأرض يخلفون كونهم أناسيّ من قبل، ويخلف بعضهم بعضاً بالتناسل، إذاً فأنتم تعبدون أمثالكم، ومن الإمكان تبديلكم بهم.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

## ٦١ ـ (وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم)

**في قوله تعالى:** «وإنّه لعلم للسّاعة» أقوال: ١ ـ قيل: أي وإنّ عيسى يعلم به السّاعة في خلقه من غير أب وإحيآئه الموتى، فيعلم به أنّ السّاعة ممكنة فلا تشكّوا في السّاعة ولا ترتابوا فيها ألبتّة. والجملة تعقيب على قوله تعالى: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً...» وهذا

التعقيب يجب أن يكون من كلّ عاقل على مـا سمـع مـن قـوله عـزّوجلّ في شأن عـيسى عليه السّلام وأنّه عبد من عباد الله، وأنّه إذاكان المشركون المعاندون قد تعلقوا بحبال الضّلال من هذا المثل، واستخرجوا منه هذا المنطق السّخيف الّذي تصايحوا به فرحاً ـ فإنّ العـاقل ليجد في هذا المثل دليلاً يستدلّ به على البعث، فيزداد ايماناً به ويقيناً بأنّ السّاعة آتـية لا ريب فيها.

وإنّ ابن مريم ـ في الميلاد الّذي ولد ـ ليفيد علماً بالبعث، حيث يتجلّى في خلقه على تلك الصّورة بعض من مظاهر قدرة الله تعالى، وأنّ البعث الّذي ينكره المشركون، استعظاماً له، إذ يقولون: «من يحيي العظام وهي رميم» يس : ٧٨) ويقولون: «أئذا متنا وكنّا تراباً ذلك رجع بعيد» ق : ٣) هذا البعث، هو أمر واقع تحت سلطان قدرة الله الّتي لا يعجزها شيء... فمن نظر إلى ميلاد المسيح الّذي جآء على غير تلك الأسباب الّتي يعرفها النّـاس، لم يـنكر البـعث وإعادة الحياة إلى من في القبور، وإن جآء على غير ما يعرف النّاس من أسباب... وهذا هو العلم الّذي يستدلّ به اولو النّظر على إمكان البعث والحساب والجزاء إذا هم نظروا نـظراً مستبصراً في ميلاد المسيح على تلك الصّورة الفريدة الّتي وُلد بها.

٢ ـ عن ابن إسحق: أي وإنّ إحيآء عيسى عليه السّلام الموتى دليل على السّاعة وبـعث الموتى.

٣ ـ عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والضّحّاك والسّدي وابن زيد: أي وان عيسى لعلم للسّاعة وذلك أنّ ظهور عيسى بن مريم عليه السّلام وخروجه من أشراط السّـاعة وبـيان لقيامها إذ ينزل من السّماء على الأرض في آخر الزّمان، فيعلم به قرب السّاعة، فظهوره من أشراطها، ونزوله دليل على فنآء الدّنيا وإقبال الآخرة. وقيل: إذا نزل عيسى رفع التكليف لئلّا يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزّمان فيما يأمرهم به عن الله وينهاهم عنه. وقيل: إنّ عيسى عليه السّلام يعود غير مكلّف في دولة المهديّ عليه السّلام وإن كان التكليف باقياً عـلى أهـل ذلك الزّمان.

وفيه أنّ بقاء الدّنيا يقتضي التكليف فيها، مع أنّه ينزل آمراً بمعروف وناهياً عن مـنكر، وليس هذا إلّا تكليفاً، فكيف يأمر النّاس بالصّلاة وهو لا يصلّي ؟؟؟!!!

٤ ـ عن أبي مسلم: انّ الضّمير في «إنّه» راجع إلى القرآن الكريم، وكونه علماً للسّاعة كونه آخر الكتب المنزلة من السّمآء في آخر الزّمان على خاتم الأنبيآء والمرسلين فلا نبيّ بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٥ ـ عن سعيد بن جبير والحسن وقتادة: الضّمير راجع إلى القرآن لأنّه يعلمكم بقيام السّاعة، ويخبركم عنها، ويدلّكم عليها وعن أحوالها وأهوالها... فالمراد بالعلم هنا الكشف والبيان، وذلك أنّ القرآن يلقي الأضوآء على يوم القيامة أهوالها وأحوالها... وما أعدّ الله تعالى يومئذ للمطيعين من نعيم، وللعاصين من جحيم، ويقف طويلاً مع الّذين أنكروا البعث، ويذكر أقوالهم ويجادلهم فيها أشدّ الجدال... والفائدة بالعلم بالسّاعة أنّه يجب التأهب لها من أجل أنّها تقوم للجزآء لا محالة، وفي الشّك فيها فتور في العمل لها، ويجب لأجلها اجتناب القبآئح الّتي يستحقّ بها الذّمّ والعقاب، واجتناء المحاسن الّتي يستحقّ بها المدح والثّواب... فالقرآن الكريم أمارة وشرط من أشراط السّاعة حيث يعلم السامعين بقيامها ويذكّرهم بها، ويقرّر حقيقتها، وحقيقة وقوعها، فليس من محلّ للمماراة فيها.

٦ ـ عن ابن عبّاس: أنّه من ـ العَلَم ـ بفتح العين واللام بمعنى العلامة والدّالّة على السّاعة وقربها. ٧ ـ قيل: إنّ الضمير في «إنّه» راجع الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام وانّه لعلم للساعة ٨ ـ قيل: أي وإنّ نزول الملائكة إلى الأرض علم للسّاعة لقوله تعالى: «لو ما تأتينا بالملائكة...» الحجر: ٧ ـ ٨) ٩ ـ قيل: أي وإنّ ظهور المهديّ المنتظر الحجّة بن الحسن العسكري الإمام الثّاني عشر صلوات الله عليهم أجمعين عَلَمٌ لوقوع السّاعة. ١٠ ـ قيل: أي وإنّ محمداً لعلم للسّاعة بدليل قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «بُعِثتُ أنا والسّاعة كهاتين» وضمّ السّبابة والوسطى. وقال الحسن: أوّل أشراط السّاعة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

**أقول:** وعلى الثّالث أكثر المفسّرين، ولكن عندنا لكلٍّ وجهٌ من دون تناف بينها فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «فلا تمترنّ بها» أقوال: ١ ـ عن يحيى ابن سلام: خطاب للامّة كلّهم أي فلا تشكنّ في السّاعة. ٢ ـ عن السّدي: أي فلا تكذّبوا بالسّاعة أيّها المشركون. ٣ ـ قيل: أي ولا تجادلوا في السّاعة فإنّها كائنة لا محالة. وذلك أنّ قوله عزّوجل: «فلا تمترنّ بها»

تعقيب على قوله تعالى: «وإنّه لعلم للسّاعة» بمعنى أنّه إذا كان ميلاد المسيح يفيد علماً بإمكان البعث، ومجيء السّاعة، فإنّه يجب ألّا يمتري فيها الممترون، وألّا يجادل فيها المجادلون، وألّا يكذّب بها المكذّبون، وبين أيديهم دلائل كثيرة وشواهد واضحة عليها. ٤ ـ قيل: خطاب للنّاس كلّهم في كلّ ظرف، أي فلا تشكّن في السّاعة ولا في مجيئها أيّها النّاس.

**أقول:** الرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق.

**وفي قوله جلّ وعلا:** «واتبعون هذا صراط مستقيم» أقوال: ١ ـ قيل: هذا من كلام الله تعالى والمعنى: اتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي. فهذا الّذي أدعوكم إليه هو الصراط المستقيم الّذي لا عوج فيه، وهو الموصل إلى الحقّ، وعلى النّاس كلّهم أن يتّبعوا دعوتي فإنّها الصراط المستقيم الّذي فيه نجاتهم. ٢ ـ قيل: هذا من كلام الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بأمر من الله تعالى. والمعنى: انّ ما أخبرتكم به من البعث والنّشور والثّواب والعقاب هو صراط مستقيم. وذلك أنّ قوله تعالى: «واتّبعون...» معطوف على قوله عزّوجلّ: «فلا تمترنّ بها» أي فدعوا المراء والجدل في السّاعة والتكذيب بها، واتبعون فيما أدعوكم إليه أيّها المشركون من البعث والنّشور والحساب والجزاء وهذا هو الصّراط المستقيم الّذي يسلك بمن يأخذ طريقه عليه إلى غايات الأمن والسّلامة والنّجاة...

٣ ـ قيل: أي قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للنّاس كافّة: فاتّبعوني في التّوحيد، وفيما أُبلّغكم عن الله تعالى، هذا الّذي آمركم به طريق قويم إلى جنّته لا عوج فيه ولا ضلال...

**أقول:** والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه الثّاني.

## ٦٣ ـ (ولمّا جآء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأُبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون)

**في قوله تعالى:** «ولمّا جآء عيسى بالبيّنات» أقوال: ١ ـ قيل: أي بالشّرائع... ٢ ـ عن ابن عبّاس: أي بالأمر والنّهي والعجآئب... ٣ ـ قيل: أي بالمعجزات الواضحات الدّالّة على نبوّته كإحيآء الموتى وإبرآء الأسقام، وخلق الطّير والمآئدة وما إليها... والإخبار بكثير من

الغيوب... ٤ ـ عن قتادة: أي بالإنجيل. ٥ ـ قيل: إنّ البيّنات تعم الجميع. والمعنى: ولمّا جآء عيسى عليه السّلام بني إسرآئيل بالآيات البيّنات ممّا أجرى الله تعالى على يديه من معجزات على صدق رسالته، وممّا أجرى على لسانه من الكلم الطّيّب الحكيم الّذي يشفي سَقَم العقول والأفكار، وآفات القلوب والنفوس... ٦ ـ قيل: البيّنات هي الآيات الثلاث: **الاولى:** المعجزات وهي الآيات البيّنات... لاثبات رسالته. **الثّانية:** آيات الإنجيل كانت بيّنة. **الثّالثة:** نفسه المقدّسة كانت آيات بيّنة حيث إنّ التّربية والعناية الإلهيّة بيّنة في هذه الثّلاث وإن كانت درجات.

**أقول:** والتّعميم هو الأنسب بظاهر السّياق.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «قال قد جئتكم بالحكمة» أقوال: ١ ـ قيل: أي قد جئتكم بشرائع الإنجيل لتستبين لكم السّبيل فيها صلاحكم. ٢ ـ عن السّدي: أي بالنّبوّة. ٣ ـ عن ابن عبّاس: أي بالأمر والنّهي والنّبوّة. ٤ ـ قيل: أي بدين الله وشريعته. ٥ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي علم ما يؤدّي إلى الجميل ويكفّ عن القبيح. ٦ ـ قيل: الحكمة هي الإنجيل من الشرآئع وغيرها. ٧ ـ قيل: أي بالّذي مَن عمل به من العباد نجى ومن خالفه هلك. ٨ ـ قيل: أي أنّ هذا الّذي جئتكم به من آيات بيّنات، هو ممّا أمرني الله عزّوجلّ أن أحمله إليكم من عنده لأطبّ لكم به من عللكم وأدوائكم العقليّة والرّوحيّة والجسميّة... ٩ ـ قيل: الآيات الثّلاث البيّنات كلّها حكمة والرّسالة كلّها حكمة عقليّة وعلميّة وعمليّة، تُحكم ما انفصل، وفصل بين النّاس، أو بين الإنسان ونفسه من المشككات... ١٠ ـ قيل: في الكلام تقدير: قد جئتكم بالإنجيل وبالبيّنات الّتي يعجز عنها الخلق. ١١ ـ قيل: اريد بالحكمة المعارف الإلهيّة من العقائد الحقّة والأخلاق الفاضلة...

**أقول:** والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق.

**وفي قوله جلّ وعلا:** «ولابيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه» أقوال: ١ ـ عن مجاهد: أي تختلفون فيه من أحكام التّوراة. ٢ ـ قيل: أي من أمر الدّين وغيره، فبيّن لهم أمر الدّين دون امور الدّنيا، إذ كان بين بني إسرائيل اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم، فقال عيسى عليه السّلام لهم: اُبيّن لكم أمر دينكم دون ما تختلفون في أمر دنياكم كأمر الزّراعة والصّناعة

والتجارة وما إليها... فارجعوا فيها إلى الخبراء والمتخصّصين... وقـيل: إنّ بـني إسرآئـيل اختلفوا بعد موسى عليه السّلام في أشيآء من أمر دينهم وأشياء من أمر دنياهم، فبيّن لهم أمر دينهم. ٣ـ عن مجاهد أيضاً: أي من تبديل التّوراة. وقال الزّجّاج: المـعنى: لابـيّن لكـم في الإنجيل بعض الّذي تختلفون فيه من تبديل التّوراة.

٤ـ عن أبي عبيدة: أي كلّ الّذي تختلفون فيه. فالبعض هنا بمعنى الكلّ. ومنه قوله تعالى: «يصبكم بعض الّذي يعدكم» غافر : ٢٨).

وقال لبيد:

تـــراك أمكـــنة إذا لم أرضـــها أو تـعتلق بـعض النّـفوس حِمامها

والموت لا يعتلق بعض النّفوس دون بعض. فالمعنى: ولابيّن لكم جميع ما تختلفون فيه.

٥ ـ عن مجاهد أيضاً: أي ولابيّن لكم في غير الإنجيل ما تحتاجون إليه. ٦ـ قيل: أي بيّن لهم بعض الّذي اختلفوا فيه من أحكام التّوراة على قدر ما سئلوه، فالّذي جاء به عيسى هو بعض ما اختلفوا فيه، وبيّنه لهم في الإنجيل، وأمّا الكلّ فموكول إلى خاتمة الرّسالات محـمد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم كما نطق به خاتم الكتب السّماويّة: «ونزّلنا عـليك الكـتاب تبياناً لكلّ شيء» النحل : ٨٩) ونطق به الإنجيل كما في (يوحنا ١٦:٧ـ ١٥) وممّا فـيه: «وانّ عندي كثيراً أقول لكم، ولكنّكم لا تطيقون حمله الآن (١٢) ولكن مـتى جآء روح الحـقّ فهو يرشدكم إلى جميع الحق» وفي (بشارات ثلاث من يـوحنا ١٦:١٤ و ١٥:١٦:٧ ـ ١٥) يبشّر فيها المسيح بمجيء بريكليطوس «محمد ـ أحمد» ومن ضمنها أنّه يرشدكم إلى جميع الحق.

٧ ـ قيل: أي ولأُبيّن لكم ما تختلفون في أشيآء لم تسئلوه عنها. ٨ـ عن مقاتل: هو كقوله تعالى: «ولاحلّ لكم بعض الّذي حرّم عليكم» آل عمران : ٥٠) يعني ما أُحِل في الإنجيل ممّا كان محرّماً في التّوراة كلحم الإبل والشّحم من كلّ حيوان، وصيد السّـمك يـوم السّـبت. فالمعنى: ولأكشف لكم عن مواقع الحقّ فيما اختلفتم فيه من التّوراة وأحكامها... ٩ ـ قيل: أي ولابيّن لكم بعض الّذي تختلفون في حكمه من الحوادث والأفعال...

**أقول:** والسّادس هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقـوال

الأُخر فتدبّر جيّداً.

## ٦٥ ـ (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)

**في قوله تعالى:** «فاختلف الأحزاب من بينهم» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس ومقاتل والكلبي: الأحزاب هم النّصارى فاختلفوا فيما بينهم في عيسى عليه السّلام فتناظروا في أمره، فقال بعضهم: هو ابن الله وهم النّسطوريّة، وقال بعضهم: هو الله وهم اليعقوبيّة، وقال بعضهم: هو شريكه وهم الملكانيّة، وقال بعضهم: هو ثالث ثلاثة وهم المرقوسيّة. وعن قتادة: فالأحزاب هم الأربعة الّذين أخرجهم بنو إسرائيل يقولون في عيسى عليه السّلام. ٢ ـ عن قتادة أيضاً ومجاهد والسّدي: الأحزاب هم اليهود والنّصارى الّذين اختلفوا في أمر المسيح. ثمّ اختلف النّصارى في طبيعته هل هي واحدة أو أكثر؟ فويل لليهود الّذين قالوا: هو ابن زنا، وللنّصارى الّذين قالوا: هو الله أو ابنه أو ثالث ثلاثة.

٣ ـ قيل: الأحزاب هم الفرق المختلفة في عيسى من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه من اتقآء الله والعمل بطاعته، وهم اليهود والنّصارى، ومن اختلف فيه النّصارى لأنّ جميعهم كانوا أحزاباً مبتسلين مختلفي الأهوآء مع بيانه لهم أمر نفسه. فالأحزاب هم الفرق المتحزّبة بعد عيسى عليه السّلام من كافر به قالٍ فيه، ومن مؤمن به غالٍ فيه، ومن مقتصد لزم الإعتدال كما في الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام. ٤ ـ الأحزاب هم النّاس من أهل الكتاب: اليهود والنّصارى وغيرهم من المشركين الّذين كانوا يحتجّون على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعبادتهم الأصنام... بعبادة النّصارى لعيسى عليه السّلام. ٥ ـ قيل: الأحزاب هم أحزاب مذهبيّة متخلّفة عن شرعة الدّين الحقّ، كان بينهم، فاختلفوا في البيّنات والحكم والبيان الّتي جآء بها عيسى بن مريم عليه السّلام اختلفوا ظلماً بين قائل: إنّه الله وقائل: إنّه ابن، وقائل: بالثّالوث، وقائل بألوهيّة المسيح وامّه، وآخرين في اُخريات من العقآئد والطقوس...

**أقول:** ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «فويل» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي شدّة العذاب. ٢ ـ أي كلمة

العذاب. ٣ ـ قيل: تهديد ووعيد للقالي منهم والغالي.

**أقول:** وعلى الثّالث أكثر المحقّقين.

### ٦٦ ـ (هل ينظرون إلّا السّاعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون)

**في قوله تعالى:** «هل ينظرون...» أقوال: ١ ـ قيل: أي ما ينتظر هؤلآء الأحزاب المتحزّبة المختلفون في شأن عيسى بن مريم عليه السّلام القآئلون فيه الباطل من القول إلّا أن تقوم السّاعة بغتة... ففيه تهديد لليهود والنّصارى معاً. ٢ ـ قيل: هو عودة بالخطاب إلى المشركين العرب بعد أن ضرب لهم المثل بعيسى بن مريم عليه السّلام وبما كان منهم من شغب في هذا المثل، وما كان من بني إسرآئيل من خلاف في شأنه. فالمراد بالأحزاب الّذين تحزّبوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكذّبوه من مشركي مكّة، فيتّصل بقوله تعالى: «وما ضربوه لك إلّا جدلاً» ٣ ـ قيل: خطاب لعامّة الكفّار والمجرمين، والفجّار والمستكبرين والفسّاق والظّالمين في كلّ ظرف.

**أقول:** والتعميم غير بعيد عن ظاهر السّياق وخاصّة الآية التّالية.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «إلّا السّاعة» أقوال: ١ ـ قيل: اريد بالسّاعة هنا الأجل، بأن آجالهم لا تحلّ بهم إلّا بغتة من دون اغتنامهم الفرصة لاتباع الحقّ الّذي ظهر لهم. ٢ ـ قيل: اريد بها نزول العذاب بهم فجأة. ٣ ـ قيل: اريد بها القيامة، وسمّيت ساعة لقرب أمرها كأنّها تكون في ساعة، ثمّ يحصل أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النّار في النّار وقيل: سمّيت بها لأنّها ابتداء أوقات الآخرة، فهي ابتداء تجديد السّاعات...

**أقول:** وعلى الثّالث جمهور المفسّرين.

### ٦٨ ـ (ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)

**في قوله تعالى:** «لا خوف عليكم اليوم» أقوال: ١ ـ قيل: لا خوف عليكم اليوم من عقابي فإنّي قد أمّنتكم منه برضاي عنكم. ٢ ـ قيل: أي لا خوف عليكم اليوم من مكروه محتمل وقوعه. على أنّ مورد الخوف هو المكروه محتمل الوقوع، فحاضركم لا يُخيف لأنّكم

في دار السّلام والرّاحة. ٣ـ قيل: أي لا خوف عليكم اليوم ممّا تلاقونه بعد الموت كما يخاف غيركم. ٤ ـ قيل: أي لا خوف عليكم اليوم من ترك بعض النّوافل، وارتكاب بعض الصّغائر في الحياة الدّنيا.

**أقول:** والتّعميم هو الأنسب بظاهر النّفي المطلق، حيث إنّ النكرة في سياق النّفي تفيد العموم.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «ولا أنتم تحزنون» أقوال: ١ ـ أي ولا أنتم تحزنون من خوف الثّواب. ٢ ـ قيل: أي ولا أنتم تحزنون على فراق الدّنيا، فإنّ الّذي تقدمون عليه خير لكم ممّا فارقتموه منها. ٣ ـ قيل: أي ولا أنتم تحزنون من مكروه مقطوع به، على أنّ مورد الخوف هو المكروه المقطوع به. فالمعنى: ولا أنتم تحزنون ممّا وقع عليكم قبل هذا اليوم، فماضيكم لا يُحزن. ٤ ـ قيل: أي ولا أنتم تحزنون على ما خلفتم لاعتقادكم أنّي وكيل حكيم أتصرّف في ملكي بالحكمة والعدل، وإنّما الحزن لغيركم.

**أقول:** والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً.

## ٦٩ ـ (الّذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين)

**في قوله تعالى:** «الّذين آمنوا بآياتنا» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي آمنوا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالقرآن. ٢ ـ قيل: أي آمنوا بالقرآن. ٣ ـ قيل: أي صدّقوا بحججنا ودلائلنا واتّبعوها. ٤ ـ قيل: أي الّذين صدّقوا بكتب الله النّازلة على رسله، وعملوا بما جآئتهم به رسلهم. ٥ ـ قيل: أي عملوا بموجب ايمانهم.

**أقول:** وعلى الثّاني جمهور المحقّقين من دون تنافٍ بينه وبين سآئر الأقوال... حيث إنّ الايمان بالقرآن الكريم حقاً هو العمل بموجبه، وهو الايمان برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والايمان بحجج الله تعالى ودلآئله كلّها، وتصديق كتب الله تعالى ورسله من غير فرق بين أحد منهم: «والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله» البقرة : ٢٨٦).

**وفي قوله عزّوجلّ:** «وكانوا مسلمين» أقوال: ١ ـ قيل: أي وحال كونهم مسلمين قبل

ايمانهم، لأنّ الإسلام وهو الاقرار باللسان قبل الايمان الّذي هو الإقرار باللسان والإعتقاد بالجنان والعمل بالأركان... ٢ ـ عن ابن عبّاس: أي وكانوا مخلصين بـالعبادة والتّـوحيد. ٣ـ قيل: أي وكانوا مستسلمين لأمر الله تعالى، خاضعين منقادين لأمره، جاعلين نفوسهم سالمة لطاعته. ٤ ـ قيل: أي كانوا أهل خضوع لله تعالى بقلوبهم، وقبول منهم لما جآئتهم به رسلهم عن ربّهم على دين إبراهيم خليل الرّحمن عليه السّلام حنفآء لا يهوديّ ولا نصرانيّ ولا أهل أوثان وأصنام...

٥ ـ قيل: أي عملوا بموجب إسلامهم. ٦ ـ قيل: إنّ الإسلام على قسمين: إسـلام قـبل الايمان وهو الإسلام الظّاهر على اللسان قبل دخول الايمان في القلب: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم» الحجرات : ١٤) وإسلام بعد الايمان وهو الإسلام في القلب يعيشه المؤمن طول حياة الايمان إسلاماً لوجهه كلّه لله تعالى: «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثق» لقمان : ٢٢).

إذاً فالإسلام الثّاني هو ثنيّ الايمان وكماله وهو أحسن الدّين: «بلى من أسلم وجـهه لله وهو محسن» البـقرة : ١١٢) وعلى هذا الضّوء فرسول الله صلّى الله عـليه وآله وسـلّم وهـو أوّل العابدين هو أوّل من أسلم: «قل إنّي امرت أن أكون أوّل مـن أسـلم» الأنـعام : ١٤) وهـذا الإسلام فوق الايمان وهو إسلام محمّد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كما في تفسير القمّي في قوله تعالى: «وكانوا مسلمين» يعني الأئمّة عليهم السّلام. وهذا الاسلام هو التسليم. وقد قال مولى الموحدين امام المتقين أميرالمؤمنين على بين ابيطالب عـليه السّـلام: «لأنسبنّ الإسلام نسبةً لم ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التسـليم، والتسـليم هـو اليـقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأدآء، والأداء هو العمل».

**أقول:** والسّادس هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً.

## ٧٠ ـ (ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون)

**في قوله تعالى:** «أزواجكم» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي حلآئلكم وهـن النّسآء المؤمنات في الدّنيا. فالخطاب: «ادخلوا» شامل لكلّ من آمن بالله تعالى من ذكر أو انثى، ولا

يدخل غير المؤمنات مع الأزواج المؤمنين جنّتهم، ولا غير المؤمنين مع الأزواج المؤمنات جنّتهنّ، فإنّ هنالك الصّلات منقطعات إلّا صلات الايمان والتقوى ٢ ـ قيل: هنّ الحور العين اللاتي يزوّجهم الله تعالى بهنّ في الجنّة. وفيه أنهنّ غير خارجات من الجنّة، فكيف يأمرن بالدّخول فيها. ٣ ـ قيل: الأزواج هنا الأمثال والأقران في الايمان والعمل والجزآء. فالأزواج من كان مستحقاً بالثّواب ودخل الجنّة سواء أكانوا زوجاتهم أم كانوا غربآء ذكراناً واناثاً، فهم كلّهم من أزواجهم: القرنآء الأتباع لقوله تعالى: «والّذين آمنوا وتبعتهم ذرّيّتهم بايمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كلّ امرئ بما كسب رهين» الطّور : ٢١) كما قال تعالى في أهل النّار: «احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون» الصّافات : ٢٣). والمعنى: ادخلوا الجنّة أيّها المؤمنون أنتم وقرناؤكم في الايمان والعمل مغبوطين بكرامة الله، مسرورين بما أعطاكم الله تعالى من مننه.

**أقول:** وعلى الأوّل جمهور المحقّقين وهو الأنسب بظاهر السّياق.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «تحبرون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس وقتادة والسّدي: أي تكرمون بالتّحف، وتنعمون في الجنّة. الكرامة في المنزلة. ٢ ـ قيل: أي تلقون المسرّة والحبور مع أزواجكم اللاتي آمنّ معكم... وبهذا يكمل انسهم ويتمّ نعيمهم. الحبور: السّرور الّذي يظهر أثره وحباره في الوجه، والحبرة: الزّينة وحسن الهيئة. ٣ ـ عن قتادة أيضاً وابن زيد: أي تنعمون. والنّعيم في البدن. ٤ ـ عن الحسن: أي تفرحون. والفرح في القلب. ٥ ـ عن مجاهد: أي تسرّون. والسّرور في العين. ٦ ـ عن ابن أبي نجيح: أي تعجبون. والعجب ههنا درك ما يستطرف. ٧ـ عن يحيى بن كثير: هو التّلذّذ بالسّماع.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، من دون تنافٍ بينه وبين سآئر الأقوال على سبيل التلازم.

## ٧١ ـ (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون)

**في قوله تعالى:** «يطاف عليهم» أقوال: ١ ـ قيل: إنّ الطّائفين على المؤمنين وأزواجهم

في الجنّة هم الحور العين الّذين يخلقهم الله تعالى فيها لهم. ٢ ـ قيل: هم ذرّياتهم وأزواجهم. ٣ ـ قيل: هم ولدان وغلمان وهم أولاد الصّغار من أهل الدّنيا الّذين ماتوا صغاراً، فلا حسنة لهم فيثابوا بها، ولا سيّئة فيعاقبوا عليها.

**أقول:** وعلى الثّالث جمهور المحقّقين.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «بصحاف من ذهب» أقوال: ١ ـ قيل: الصّحاف جمع الصّحفة وهي قصعة كبيرة منبسطة تشبع الخمسة. ٢ ـ قيل: الصّحاف: الجامات الّتي يؤكل فيها أنواع الأطعمة. ٣ ـ قيل: أي بجفان، جمع جفنة. ٤ ـ قيل: أي بأطباق، جمع طبق. ٥ ـ قيل: الصّحاف جمع صحفه وهي أصغر من القصعة الّتي هي آنية واسعة.

**أقول:** والأوّل هو الأنسب بمعناه اللغوي.

**وفي قوله جلّ وعلا:** «أكواب» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس والسّدي: الأكواب: كيزان بلا آذان ولا عرى، مدوّرة الرّؤوس فيها شراب أهل الجنّة. ٢ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: الأكواب: الجرار من الفضّة. ٣ ـ عن مجاهد: الأكواب الآنية الّتي ليس لها آذان. ٤ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: هي القلال الّتي لا عرى لها. ٥ ـ عن الضّحّاك: هي الجرار ليس لها عرى وهي بالنّبطية كوى. ٦ ـ عن قتادة وقطرب: الأكواب هي دون الأباريق، هي مدوّرة الرؤوس لا عرى لها. وقيل: إنّ العروة للكوز شيء زائد على مصلحة الشّراب، وإنّما هو لدفع حاجة كتعليق وتعلّق، وأهل الجنّة فيها براء من أمثال ذلك فلهذا كانت أكوازها أكواباً.

٧ ـ قيل: الأكواب آنية مستديرة الرّأس على صورة الأباريق لا اذن لها ولا خرطوم. ٨ ـ عن قتادة أيضاً: الكوب: المدوّر القصير العنق، القصير العروة، والإبريق المستطيل العنق، الطويل العروة. ٩ ـ عن الأخفش: الأكواب: الأباريق الّتي لا خراطيم لها ولا عرى. وهذا ليس بشيء للمقابلة بينهما في قوله تعالى: «وأكواب وأباريق» الواقعة : ١٨) ١٠ ـ قيل: هي القدح من أواني الشّرب. ١١ ـ قيل: الأكواب أوان مخصوصة لا عروة ولا خرطوم لها، يتّخذ بها للشّراب.

**أقول:** وعلى الأخير جمهور المفسّرين.

**وفي قوله جلّ وعلا:** «وفيها ما تشتهيه الأنفس» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي ما تتمنّى الأنفس من المآكل والمشارب والفواكه والملابس والمناكح...

قيل: وذلك أنّ النّفس الإنسانية إذا كملت في العلم والعمل، صارت كشجرة طيّبة فيها ثمرات العلوم الحقيقيّة وفواكه المعارف اليقينيّة، وكانت اصولها علوم ثابتة، وفرعها نتآئج هي حقائق عالم الملكوت، ومعارف عالم اللاهوت، هذا من حيث قوّة العلم والإدراك، وأمّا من حيث قوّة العمل والتّأثير، فكون الإنسان بحيث كلّما تريده نفسه وتشتهيه فيحضر عنده بقوّته الباطنيّة القويّة على إحضار الصّور المطلوبة دفعة من دون مهلة.

وذلك أنّ باطن الإنسان في الحياة الدّنيا هو ظاهره في الدّار الآخرة إذ فيها تبلى السّرآئر، وظاهره في الآخرة باطنه في الدّنيا، والإنسان يتصوّر ويخترع ههنا بقوّته الخياليّة مشتهيات كثيرة، يحضر صورها في عالم التمثّل الذّهني، إلّا أنّ تلك الصّور ليس بمحسوسة ولا حاضرة عند حسّه في العين، بل عند خياله في الذّهن، ولأجل ذلك لا يعظم لذّتها منها، بل لا يلتذّ منها أصلاً للشّواغل الحسّيّة، وأمّا إذا كان يوم القيامة وكان الباطن مكشوفاً ظاهراً والعلم عيناً، والغيب شهادة والذّهن خارجاً، كانت اللذّة على حسب الظّهور والوجود لأنّها نزلت تلك الصّور بمنزلة الصّور الموجودة في العين، ولن تفارق الآخرة الدّنيا في هذا المعنى إلّا من حيث كمال القوّة والقدرة للنّفس الإنسانيّة على تصوير الصّور عند القوّة الحاسّة كما تشتهيه.

وكلّما تشتهيه نفس الإنسان السّعيد حضر عنده دفعة، وتكون شهوته سبب تخيّله، وتخيّله سبب تمثّل الصّورة بين يديه وحضورها لديه كما قال تعالى: «فيها ما تشتهيه الأنفس...» وقال: «ولكم فيها ما تدّعون» فصّلت : ٣١).

وهذه القدرة أوسع وأكمل من القدرة على ايجاد الشّيء في الدّنيا أي في خارج الحسّ، فإنّ الموجود في الدّنيا لا يوجد في مكانين، ولا في مكان واحد يوجد اثنان للتّزاحم والتّضايق الواقعين في هذا العالم، وأيضاً انّ النّفس إذا اشتغلت بمحسوس خارجيّ احتجبت به عن الآخر، فشغلها محسوس عن محسوس، وحجبتها لذّة عن لذّة اخرى، والملذ أيضاً ليس بقويّ في إلذاذه لانقهاره في المادّة وامتزاجه بغيره، وكذا في الألم والمولم، وههنا كلّه بخلاف ما في الدّار الآخرة، فإنّ الصّور المحسوسة هناك تتضاعف عند الإنسان بلا مزاحمة

ولا تضايق، ولا يستحيل هناك وجود محسوسات غير متناهية دفعة واحدة، إذ لا يجـرى فيه براهين امتناع أمور غـير مـتناهية مجـتمعة، مـع أنّ النّـفس لا يشـغلها بـعض تـلك المحسوسات عن بعض. فقوله تعالى: «وفيها ما تشتهيه الأنفس...» يعمّ المشـتهيات كـلها، والملذّات جميعها، وانّ لأسفل أهل الجنّة فوق ما نتصوّره من نعيم مقيم فضلاً عمّن فوقهم، مع أنّ النّفس في الجنّة طيّبة لا تشتهي إلّا الطّيّبات دون شقآء ولا عنآء، فإذا اشتهت ولداً لم تحمّل حِمْل التّوليد والتّربية، ولا الوالدة حِمْل الحَمْل، فقد يخلق الله لها ما تشتهيه من غير حمل ولا ولادة أو بهما ولكن لاحِمْل ولا عناء ولا طول زمان...

٢ ـ قيل: اريد بـ«ما تشتهيه الأنفس» ما تتعلّق به الشّهوة الطّبيعيّة من مذوق ومشموم ومسموع وملموس... وما يتشارك فيه الإنسان وعامّة الحيوان. ٣ ـ قيل: إنّ الجملة تشير إلى أنّ كلّ كمال ولذّة في الحياة الدّنيا فهو في الدّار الآخرة على وجه أعلى وأتمّ وأبهى وألذّ وأصفى... فكيف يتوهّم متوهّم أنّ تلك اللذّات والمشتهيات موجودة في المحلّ النّاقص وهو الدّنيا، ومعدومة في المحل الكامل وهو الآخرة؟ ولذلك قال الله عزّوجلّ: «فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرّة أعين جزآء بما كانوا يعملون» السجدة : ١٧) وقال: «فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين...» وقال: «وإنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» العنكبوت : ٦٤) فإذا كانت الدّار حيواناً فما ظنّك بأهل الدّار؟

**أقول:** ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها فتأمّل جيّداً.

**وفي قوله تعالى:** «وتلذّ الأعين» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي تحجب الأعين بالنّظر إلى المشاهد والمناظر ووسآئل الرّاحة والسّرور. ٢ ـ قيل: اريد بمـا تـلذّه الأعـين الجـمال والزّينة وما إليها ممّا يختصّ بالإنسان كما في المناظر البهجة والوجه الحسن واللباس الفاخر، ولذا غيّر التّعبير، فعبّر عمّا يتعلّق بالأنفس بالاشتهآء، وفيما يتعلّق بالأعين باللذّة، وفي هذين القسمين تنحصر اللذائذ النّفسانيّة عندنا. ٣ ـ قيل: اريد بما تلّذه الأعين اللذّات الرّوحيّة العقليّة، فإنّ الالتذاذ الرّوحي يعدّ من رؤية القلب.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

## ۷۲ ـ (وتلك الجنّة الّتي اورثتموها بما كنتم تعملون)

في الآية الكريمة أقوال: ۱ ـ قيل: أي هذه الجنّة الّتي اعطيتموها هي بأعمالكم، بأنّكم استحققتموها بما كنتم تعملون في الدّنيا من صالح الأعمال... ۲ ـ قيل: شبّهت الجنّة في بقآئها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة، فالجنّة كالميراث الّذي يبقى على المورّث جزاء ما قدّموا من عمل صالح.

۳ ـ عن الحسن: أي اورثتموها من الكفّار، وكانوا داخليها لو آمنوا بالله وعملوا صالحاً. وعن ابن عبّاس: خلق الله لكلّ نفس جنّة وناراً، فالكافر يرث نار المسلم، والمسلم يرث جنّة الكافر.

فورّث الله تعالى الّذين آمنوا به وأطاعوه وائتمروا بأوامره وانتهوا عن نواهيه منازل الّذين كفروا به وعصوه ولم يقبلوا أمره ونهيه، كما أنّ ما يتركه الميّت فهو لكلّ وُلده، ويحرم منه ولده الكافر، فيرثه في نصيبه الولد المؤمن، بحيث لو آمن الولد الكافر قبل القسمة لأُوتيه نصيبه، فمن مات مؤمناً دخل الجنّة، واورث ماكان لغير المؤمن، وأمّا من يموت كافراً فلات حين مناص، إذ ضاعت الفرصة، وقد كانوا داخليها لو آمنوا، فأهل الجنّة يورثونها بتقواهم، وأهل النّار يحرمونها بطغواهم أوكما أنّ للمستضعفين المتقين ميراثاً في الحياة الدّنيا من المستكبرين الظّالمين «ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون» القصص : ٥ ـ ٦) «إنّ الارض لله يورثها من يشآء من عباده والعاقبة للمتقين ـ وأورثنا القوم الّذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها الّتي باركنا فيها» الأعراف : ۱۲۸ و ۱۳۷) بأن يخرج الأرض من حكم المستكبرين ويحوّلها للمستضعفين، فهكذا يورثون الجنّة من دون شركة فيها، فضلاً عن أنّ المستكبرين كانوا زمناً محتلّيها حتّى تحوّل إلى المستضعفين، فليس الميراث إلّا انتقال دولة أو شخص إلى دولة أو أشخاص آخرين.

٤ ـ عن عبدالله بن مسعود: أي تجوزون الصّراط بعفو الله، وتدخلون الجنّة برحمة الله وتقتسمون المنازل بأعمالكم، فتورثونها بها.

**أقول:** وعلى الثّالث أكثر المفسّرين.

## ٧٣ ـ (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون)

**في قوله تعالى:** «منها تأكلون» قولان: ١ ـ قيل: أي لا تأكلون من تلك الفاكهة الكثيرة إلّا بعضها، وكلّ ما يؤكل يخلف بدله، فلا ينزع رجل في الجنّة من ثمـرها إلّا ثـبت مكـانها مثلها، فيأكلون بعض الثّمار والباقي مزين لشجره. فـ«من» للتبعيض. ٢ ـ قيل: أي من كلّ نوع من أنواع تلك الفواكه الكثيرة تأكلون ما اشتهيتموه فـ«من» بيانيّة.

**أقول:** والثّاني هو الأنسب بسياق الامتنان.

## ٧٤ ـ (إنّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون)

**في قوله تعالى:** «إنّ المجرمين» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: اريد بالمجرمين أبـو جـهل وأصحابه. ٢ ـ قيل: اريد بهم المشركون العرب. ٣ ـ قيل: إنّ المراد بالمجرمين الكفّار من أهل الكتاب وهم اليهود والنّصارى. ٤ ـ قيل: اريد بالمجرمين المتلبّسون بالإجرام، فيكون أعمّ من الكفّار، ويؤيّده ايراده في مقابلة المتّقين وهو أخص من المؤمنين الذين هم أخص مـن المسلمين.

**أقول:** والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق.

## ٧٥ ـ (لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون)

**في قوله تعالى:** «لا يفتّر عنهم» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي لا يرفع عنهم العذاب ولا يقطع. ٢ ـ قيل: أي لا يسكن عنهم عذاب جهنّم. من فترت عنه الحمى إذا سكنت قليلاً ٣ ـ قيل: أي لا يخفّف عنهم ما يستحقّونه من العذاب. ٤ ـ قيل: أي لا ينقص. ٥ ـ قيل: أي لا يضعف عنهم العذاب أبداً بل هو متّصل دائماً. ٦ ـ قيل: أي لا يقلّ عنهم العذاب.

**أقول:** والثّاني هو الأنسب بمعناه اللغوي فراجع، من دون تناف بينه وبين سآئر الأقوال على معنى الالتزام والتضمّن فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «مبلسون» أقوال: ١ ـ قيل: أي سـاكـتون سكـوت يأس عـن

الخروج من النّار، وعن تفتّر العذاب من الإبلاس وهو الحزن المعترض من شدّة اليأس. والمبلس كثيراً ما يلزم السّكوت وينسى ما يعنيه، ومن ثمّ قيل: أبلس فلان إذا سكت وانقطعت حجّته. ٢ ـ عن ابن عبّاس: أي آيسون من الرّفع ومن كلّ خير. ٣ ـ عن قتادة: أي مستسلمون للعذاب والبلآء. ٤ ـ عن قتادة أيضاً: أي آئسون من النّجاة قانطون من رحمة الله. ٥ ـ قيل: أي آئسون من الفرج ساكتون تحيّراً ودهشاً. ٦ ـ عن السّدي: أي هم في العذاب متغيّر حالهم. ٧ ـ عن قتادة أيضاً: أي آئسون من رحمة الله وفرجه. والإبلاس: اليأس من الرّحمة من شدّة الحيرة. يقال: أبلس فلان إذا تحيّر عند انقطاع الحجّة.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المحقّقين، وإن كان غيره لا يخلو من وجه.

## ٧٧ ـ (ونادوا يامالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ماكثون)

**في قوله تعالى:** «ونادوا يامالك» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: «مالك» هو إسم خازن النّار. أي فلمّا قلّ صبر المجرمين على نار جهنم نادوا يامالك: خازن النّار. قيل: سمّى خازن النّار مالكاً لأنّ الملك علقة، والتعلّق من أسباب دخول النّار كما سمّى خازن الجنّة رضواناً لأنّ الرّضا بحكم الله تعالى سبب كلّ راحة وسعادة وصلاح وفلاح. وقيل: لما كان رضوان الله تعالى أعظم السّعادات وأشرف المرغوبات كما قال الله عزّوجلّ: «ورضوان من الله أكبر» التوبة: ٧٢) سمّى الله تعالى رئيس خزّان الجنان برضوان إذكان دخول الجنان وسكناها من مقتضيات رضوانه. قيل: خلق الله مالكاً لغضبه، إذا زجر النّار زجرة أكل بعضها بعضاً. ٢ ـ قيل: «مالك» إسم كبير خزنة النّار من الملائكة ومجلسه في وسط النّار، وفيها جسور تمرّ عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها.

٣ ـ قيل: «مالك» هو الملك الموكّل بالنّار من عند الله تعالى، وهو الّذي يقوم على أهل النّار كما يقوم السّجّان على المسجونين. وخطابهم مالكاً بما يسئلونه من الله تعالى لكونهم محجوبين عنه لقوله تعالى: «كلّا إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون» المطففين: ١٥) وقوله: «قال اخسئوا فيها ولا تكلّمون» المؤمنون: ١٠٨) ٤ ـ قيل: «مالك» هو مالك النّار بما ملّكه الله تعالى كما يراه فلا يملك لأهل النّار أو عليهم حكماً إلّا من الله تعالى، ولذلك يطلب المجرمون

قضاءهم من مالك النّار من ربّه: «ربّك» تلميحاً بهذه الأصالة في ربوبيّة النّار، مع أنّهم يرون أنفسهم منقطعين عن ربّهم: «ونادوا يامالك ليقض علينا ربّك» وثالثة كأنّهم يحاكـون مـا كانوا عليه في الحياة الدّنيا من إنكار ربوبيّته العامّة أم أصلها.

**أقول:** والثاني هو المفهوم من الآية الكريمة، والمؤيّد بالرّوايات... وأنّ المالك غير الخزنة كما في الصّحيفة السّجّاديّة ـ الرّوضة الثّالثة من دعاء الإمام زين العابدين عـليه السّـلام في الصّلاة على الملائكة ـ: «ومالك والخزنة ورضوان وسدنة الجنان...»

**وفي قوله عزّوجلّ** حكاية عن المجرمين: «ليقض علينا ربّك» أقـوال: ١ ـ عـن ابـن عبّاس وابن زيد: أي ليمتنا. والمعنى: ليقض علينا ربّك بالموت. من قضى عـليه: إذا أمـاته كقوله تعالى: «فوكزه موسى فقضى عليه» القصص : ١٥) قـيل: إنّ المـراد بـالموت الانـعدام والبطلان لينجوا بذلك من العذاب وهذا من ظهور ملكاتهم الدّنيويّة إذ كانوا يرون في الدّنيا أنّ الموت انعدام وفوت لا انتقال من دار إلى دار فيسئلون الموت بالمعنى الّـذي ارتكـز في نفوسهم، وإلّا فهم قد ماتوا وشاهدوا ما هي حقيقته. فهم يطلبون الرّحمة بالإعدام بدلاً من السّجن المؤبّد في قعر جهنّم بعد أن دخلوا جهنم فنالهم فيها من العذاب والبـلاء مـا نـالهم ٢ ـ قيل: أي ليقض علينا ربّك بالخروج من عذاب جهنّم. ٣ ـ قيل: أي بتخفيف العذاب عنّا.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

**وفي قوله جلّ وعلا:** «قال إنّكم ماكثون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس ومجاهد والسّدي ونوف البِكالي: أي قال مالك مجيباً للمجرمين بعد أن مكث عنهم ألف سنة: إنّكم ماكثون في العذاب دائماً لا خلاص لكم بموت ولا بغيره. وقال الأعمش: نُبِّئت أنّ بين دعآئهم وبـين إجابة مالك إيّاهم ألف عام. ٢ ـ عن ابن عبّاس وابن عمر : إنّ أهل النّار يـدعون مـالكاً، فخلى عنهم أربعين عاماً لا يجيبهم، ثمّ أجابهم بعد أربعين سنة: إنّكم ماكثون في العذاب ولا تخـرجون، شآء الله أن لا يقضى عليكم فتموتوا، وأن لا يخـفّف عـنكم العـذاب. فـحينئذٍ يقولون: «ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون» فلا يجـيبهم مـثل الدّنـيا، ثمّ أجـابهم: «اخسئوا فيها ولا تكلّمون» ثمّ يئس المجرمون، فما هو إلّا الزّفير والشّهيق تشبه أصواتهـم أصوات الحمير أوّلها شهيق وآخرها زفير.

٣ـعن نوف أيضاً: أي قال الله تعالى بعد مأة عام. قيل: وذلك لقوله تعالى: «ولقد جئناكم» فإنّه ظاهر من كلام الله تعالى بأن يتركهم مالك مأة سنة ممّا تعدّون ثمّ ناداهم ربّهم فقال لهم: إنّكم ماكثون. ٤ـعن محمد بن كعب القُرَظي: أي فسكت عنهم لا يجيبهم إلّا بعد ثمانين سنة، والسّنة ستّون وثلاثمأة يوم، والشّهر ثلاثون يوماً، واليوم كألف سنة ممّا تعدّون، ثمّ لحظ إليهم بعد الثّمانين، فقال: إنّكم ماكثون فيما أنتم فيه من الحياة الشّقيّة والعذاب الأليم.
٤ـقيل: لمّا صاحوا مستغيثين في طلب الهلاك السّريع الّذي يريح فلا يحسّوا بعد عذاباً أو قضاء الخروج من دون مكث، جآء الجواب الحاسم بلا تأخير: «إنكم ماكثون» لا موت فيها ولا خروج عنها ولا تخفيف عن عذابها.

**أقول:** والثّاني هو المرويّ.

## ٧٨ـ(لقد جئناكم بالحقّ ولكنّ أكثركم للحق كارهون)

**في قوله تعالى:** «لقد جئناكم» أقوال: ١ـعن الجبائي: هذا من تمام كلام مالك يقوله عن لسان الملائكة وهو منهم ومن جنس الرّسل. والمعنى: إنّكم ماكثون في النّار لأنّا جئناكم في الدّنيا بالحقّ فلم تقبلوه بل تنفرونه. ٢ـقيل: هذا من كلام الله تعالى للمجرمين، وهم في نار جهنّم معذّبون. والمعنى: لقد بيّنّا لكم الأدلّة وأرسلنا إليكم الرّسل بالحقّ، وأضافه إلى نفسه لأنّه كان يأمره. قيل: هذا بعيد لأنّ المجرمين يومئذ محجوبون عن ربّهم لا يكلّمهم الله تعالى. وفيه انّ الحجب بعد المرحلتين الأُخريين كما اشير إليهما في الآية السّابقة. ٣ـقيل: هذا كلام الأنبيآء والمرسلين لأممهم المجرمين الّذين هم يعذّبون بنار جهنّم.

٤ـقيل: هذا رجوع إلى كلام سابق خطاب من الله تعالى للمشركين العرب على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ردّاً على هؤلآء المشركين الّذين يُدعون إلى هذه النّار الّتي يعذّب فيها المجرمون الظّالمون الّذين نادوا مالكاً، فهؤلآء المشركون يدعون في هذه اللحظة إلى تلك النّار. ٥ـقيل: هذا كلام مالك وخزنة النّار كلّهم. والمعنى: لقد جئناكم معاشر الملائكة بالحقّ حينما اوحى الله إلى الأنبيآء بواسطتنا. ٦ـعن السّدي كلام من الله تعالى والمعنى: لقد أرسلنا إليكم يامعشر قريش وأهل مكّة رسولنا محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم بالحق.

**أقول:** والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «بالحقّ» أقوال: ١ ـ قيل: بولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام. ٢ ـ قيل: إنّ المراد «بالحقّ» مطلق الحقّ أيّ حقّ كان فهم يكرهونه وينفرون منه، وأمّا الحقّ المعهود الّذي هو التّوحيد أو القرآن، فكلّهم كانوا كارهين له مشمئزّين منه. والمراد بكراهتهم للحقّ الكراهة بحسب الطّبع الثّاني المكتسب بالمعاصي والفواحش لا بحسب الطّبع الأوّل الّذي هو الفطرة الّتي فطر النّاس عليها إذ لو كرهوه بحسبها لم يكلّفوا بقبوله. قال الله تعالى: «لا تبديل لخلق الله» الزوم : ٣٠) وقال: «ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها» الشّمس : ٧ـ٨) ٣ ـ عن السّدي: الحق هو الّذي جآء به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

**أقول:** والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق، وفي معناه الأوّل لأنّ الحقّ مع عليّ عليه السّلام وعليّ عليه السّلام مع الحق يدور حيثما دار.

**وفي قوله جلّ وعلا:** «ولكنّ أكثركم للحق كارهون» أقوال: ١ ـ قيل: إنّ الأكثر هم القادة المجرمون، والدّعاة المضلّون الّذين يصدّون النّاس عن سبيل الله ويبغونها عوجاً. فالمراد بالكثرة الرّؤسآء والقادة منهم، وأمّا الأتباع والمردة فما كان لهم أثر. ٢ ـ عن ابن عبّاس: «ولكن أكثركم» بمعنى: ولكن كلّكم أيّها المشركون للحق أي بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والقرآن جاحدون، وذلك أنّ الحقّ يوجب التّعب والباطل يوجب الكسل. ٣ ـ قيل: أي ولكنّ أكثركم أيّها المشركون لما جآء به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من الحق كارهون. ٤ ـ قيل: خطاب للنّاس كلّهم، أي ولكنّ أكثركم معاشر الخلق للحقّ كارهون لأنكم تألفون الباطل، فتكرهون مفارقته. فملاك السّعادة والشّقآء هو قبول الحقّ وردّه على ما يظهر من الآية الكريمة.

**أقول:** والثّالث كالثّالث السّابق فتدبّر جيّداً.

## ٧٩ ـ (أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عباس وابن زيد ومجاهد: أي بل أحكم كفّار مكّة

أمراً في كيد محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وشأنه فإنّا محكمون كيدنا في إهلاكهم ومجازاتهم. ٢ ـ عن مجاهد: أي أم اجمعوا أمراً فإنّا مجمعون أمراً إن كادوا شرّاً كدناهم مثله. ٣ ـ قيل: أي بل دبّر المشركون العرب وأبرموا الكيد والمكر لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فنقض الله تعالى ما دبّروه وأبرموه. ٤ ـ عن قتادة: أي كلّما أجمعوا وعزموا على تكذيب الحق أجمعنا على هلاكهم في الدّنيا وتعذيبهم في الآخرة. ٥ ـ قيل: وذلك أنّ مشركي مكّة اجتمعوا في دار النّدوة، وأطبقوا على الإغتيال بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وتنادوا وتناجوا في ذلك، فكفّ عنهم شرّهم، ولمّا استقرّ أمرهم على ما أشار إليه أبو جهل أن يبرز من كلّ قبيلة ليشتركوا في قتل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فتضعف المطالبة بدمه فنزلت هذه الآية، وقتل الله جميعهم يوم بدر. وقد اشير إلى مكرهم في دار النّدوة في قوله تعالى: «وإذ يمكر بك الّذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» الأنفال : ٣٠) كما أنّ أخلافهم الفسقة وأتباعهم الظّلمة اجتمعوا يوم السّقيفة السّخيفة الشّومة فوقى الله جلّ وعلا شرّهم كما قال به عمر بن الخطّاب وهو اُسُّ السّقيفة، إذ كانوا مصمّمين على محو آثار أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فأبرموا الخلافة الإسلاميّة في غير أهلها فأبرمها الله تعالى في أهلها.

٦ ـ قيل: بل أحكم الملأ من قريش كيداً في الخلاف عن أمرك، فإنّا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم. ٧ ـ قيل: «أم أبرموا» معطوف على محذوف لا يهمّ ذكره، وقد يعرف من المعطوف نحو: أكذبناهم في إنذار العذاب أم صدقنا؟ فهم أبرموا أمراً فلا يخافون العذاب بما أبرموا من كيد يريدونه: «أم يريدون كيداً فالّذين كفروا هم المكيدون» الطّور : ٤٢).

٨ ـ عن الكلبي: أي بل قضوا أمراً فإنّا قاضون عليهم بالعذاب. ٩ ـ قيل: «أم أبرموا» عطف على قوله: «أجعلنا من دون الرّحمن آلهة». ١٠ ـ قيل: أي ولقد جئناكم بالحقّ فلم تسمعوا أم سمعوا فأعرضوا عنه لأنّهم في أنفسهم أبرموا أمراً أمنوا به العقاب. ١١ ـ قيل: أي أحكموا أمرهم في المخالفة فإنّا محكمون أمرنا في المجازاة. ١٢ ـ قيل: أي عزموا في أيّ أمر على خلاف الحقّ في الدّنيا والآخرة، فإنّا عزمنا على إثبات الحقّ وإبطال الباطل. ١٣ ـ قيل: أي بيّتوا وقرّروا المناوأة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوة الحقّ، وأحكموا تدبيرهم، فإنّ الله

قد بيّت لهم أمراً وهو العذاب الشّديد الّذي عذّب به المجرمين وصفته الآيات السّابقة. ١٤ ـ قيل: أي بل تعاهدوا في الكعبة أن لا يردّوا أمر الخلافة في أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنّا متعهّدون بأنّه فيهم.

**أقول:** والخامس هو المرويّ، فراجع إلى بحث النّزول، وفي معناه بعض الأقوال الاخر، فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل، فإنّ المقام مزلّ الأقدام...

## ٨٠ ـ (أم يحسبون أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)

**في قوله تعالى:** «سرّهم ونجواهم» أقوال: ١ ـ قيل: «سرّهم» أي ما يسرّون إلى غيرهم و «نجواهم» ما يجهرون به بينهم. ٢ ـ عن ابن عبّاس: «سرّهم» فيما بينهم، و «نجواهم» خلوتهم حول الكعبة. ٣ ـ قيل: السّرّ: ما يحدث به الرّجل نفسه أو غيره في مكان خالٍ، والنّجوى: ما تكلّم به اثنان أو جماعة فيما بينهم على طريق التّناجي بحيث لا يسمعه غيرهم.

٤ ـ قيل: «سرّهم» أي ما يخفونه بينهم، و «نجواهم» ما يعلنونه. قيل: «نجواهم» تآمرهم في السّرّ والخفآء. ٥ ـ قيل: السّرّ ما يضمر به المرء في نفسه، والنّجوى ما يحدث به غيره في الخفية. ٦ ـ قيل: أي لا نسمع ما أخفوا عن النّاس من منطقهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا.

**أقول:** وعلى الخامس أكثر المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «ورسلنا لديهم يكتبون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس وقتادة والسّدي: هم حفظة الأعمال الكرام الكاتبون، فهم حاضرون عند النّاس يكتبون كلّ ما يفعلونه وما يقولونه، وما يخفونه بينهم وما يعلنونه. ٢ ـ قيل: اريد بـ«رسلنا» المرسلون عليهم السّلام لأنّهم شهداء على أعمال أُممهم... ٣ ـ قيل: اريد بـ«رسلنا» أعضآء الإنسان وجوارحه فإنّها تشهد على أصحابها يوم القيامة ما فعلوه في الحياة الدّنيا من النيّات والعقائد والأقوال والأعمال كلّها: صالحها وفاسدها، وصغيرها وكبيرها. ٤ ـ قيل: اريد بـ«رسلنا» الأرض بفضائها وأجوآئها... فانّها تشهد على من عمل على وجهها من صالح

الأعمال وفاسدها، صغيرها وكبيرها...

**أقول:** والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق.

## ٨١ ـ (قل إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل العابدين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي قل للمشركين العرب: إن كان للرّحمن ولد فرضاً فأنا أوّل العابدين للولد، لكن ثبت أن لا ولد له سبحانه فانتفت عبادته. ٢ ـ عن ابن عبّاس: أي فأنا أوّل الشّاهدين على أن لا ولد للرّحمن. ٣ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي فأنا أوّل متبرّئ من أن يكون لله ولد. ٤ ـ عن قتادة والحسن: أي ما كان للرّحمن ولد فأنا أوّل من عبد الله من هذه الامّة. فـ«إن» نافية. ٥ ـ عن مجاهد: أي قل إن كان للرّحمن ولد في قولكم وزعمكم أيّها المشركون فأنا أوّل المؤمنين بالله وأوّل من عبد الله وحده في تكذيبهم، وأوّل الجاحدين بما تقولون، فقولوا ما شئتم. والمعنى: لو كان لله ولد كما تزعمون فأنا أوّل الموحّدين لله، المنكرين لزعمكم، فلا أعبد الولد الّذي تزعمون. فقد دفع أن يكون له ولد.

٦ ـ عن قتادة أيضاً: هذه كلمة من كلام العرب: إن كان للرّحمن ولد أي انّ ذلك لم يكن ولا ينبغي. وعن زيد بن أسلم: هذا مقول من قول العرب: إن كان هذا الأمر قطّ أي ما كان. ٧ ـ عن ابن عبّاس وقتادة أيضاً وابن زيد: أي إن كان له ولد فأنا أوّل المقرّين وأوّل من قال بأن ليس لله ولد ولا شريك، وأوّل من يعبد الله بالايمان والتّصديق أنّه ليس للرّحمن ولد. على هذا أعبد الله وحده.

٨ ـ عن الجبائي والكسائي والقُتَبي: أي لو كان للرّحمن ولد لكنت أنا أوّل الآنفين من عبادته لأنّ من كان له ولد لا يكون إلّا جسماً محدثاً، ومن كان كذلك لا يستحقّ العبادة لأنّه لا يقدر على النّعم الّتي يستحقّ بها العبادة. من عَبِدَ يَعْبَدُ ـ من باب علم ـ: إذا اشتدّ أنفه. والمعنى: قل: لو كان للرّحمن ولد فأنا أوّل من أنف واستنكف عن عبادته.

**في تفسير الطّبري:** عن بعجة بن زيد الجهني: أنّ امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم أيضاً فولدت له في ستّة أشهر، فذكر ذلك لعثمان بن عفان، فأمر بها أن ترجم، فدخل عليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول

في كتابه: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» وقال: «وفصاله في عامين» قال: «فوالله مـا عَـبِدَ عثمان أن بعث إليها تُرَدّ» قال ابن وهب: عَبِدَ ـ من باب علم ـ: استنكف. والمعنى: ما استنكف عثمان ولا أنف.

وقال ابن الأعرابي: «فأنا أوّل العـابدين» أي الغـضاب الآنـفين. قـال اللّـيث: العَبَد ـ بالتّحريك ـ: الأنف والغضب والحميّة.

٩ ـ عن سفيان بن عيينة: أي كما أنّي لست أوّل من عبد الله فكذلك ليس لله ولد. وهذا كما تقول: إن كنت كاتباً فأنا حاسب تريد لست كاتباً ولا أنا حاسب. ١٠ ـ عن السّدي وأبي مسلم: أي لو كان للرّحمن ولد لكنت أوّل من يطيعه ويعبده بأنّ له ولداً، ولكن لا ولد له، فلم أكن أوّل العابدين له. وهذا كما تقول: لو دعت الحكمة إلى عبادة غيره لعبدته، ولكن الحكمة لا تدعو إلى عبادة غيره، ولو دلّ الدّليل على أنّ له ولداً لقلت به ولكنّه لا يدلّ. فهذا تحقيق لنفي الولد، وتبعيد له لأنّه تعليق محال بمحال. نحن أبنآء الدّليل فهو ضالّتنا ندين بموجبه أنّىٰ كان ويكون؟ ولا دليل على هذا بل قام على الضّدّ والعكس. وهذا كقوله تعالى: «وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال» إبراهيم : ٤٦) ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، فالّذي أنزل الله من كتابه قضاه من قضآئه أثبت من الجبال.

١١ ـ قيل: أي إن كان للرّحمن ولد إن صحّ ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجّة واضحة تدلّون بها، فأنا أوّل من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرّجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهو وارد على سبيل الفرض والتّقدير والتّمثيل للمبالغة في نفي الولد والإطناب فيه، وأن لا يترك النّاطق به شبهة إلّا مضمحلّة مع التّرجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التّوحيد، لأنّه علّق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فالمعلّق به محال مثله، فهو في صورة إثباته الكينونة والعبادة وفي معنى نفيها على أبلغ الوجـوه وأقـواهـا. فكأنّه قال: وإذا كنت أنا لم أعترف بولد بدليل أنّني لم أعبده مع أنّي أقرب النّـاس إلى الله فالولد منفيّ لا محالة، فإنّ انتفاء الولد مرتب على انتفاء عـبادته، ضرورة انـتفاء المـلزوم بانتفاء لازمه كما استدلّ بعدم فساد نظام الكون على وحدانية الله تعالى في قوله: «لو كـان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» الأنبيآء : ٢٢).

١٢ـقيل: أي قل يامحمّد لمشركي قومك الزّاعمين أنّ الملائكة بنات الله: إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل عابديه بذلك منكم، ولكنّه لا ولد له فأنا أعبده بأنّه لا ولد له ولا ينبغي أن يكون له. وهذا الكلام لا يكون على وجه الشّك بل على وجه الألطاف والتّرقيق في الكلام وحسن الخطاب كما قال تعالى: «قل الله وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» سبا : ٢٤) وقد علم أنّ الحقّ معه، وأنّ مخالفيه في الضّلال المبين. ١٣ ـقيل: أي فأنا أوّل من يعبده على الوحدانيّة مخالفة لكم.

١٤ـقيل: أي ما كان له ولد فأنا أوّل العابدين الموحّدين له من بينكم أهل مكّة ١٥ ـقيل: أي قل يامحمّد إن كان للرّحمن ولد في زعمكم فأنا أوّل العابدين إله الخلق أجمعين الّذي لم يلد ولم يولد، وأوّل الموحّدين للرّب الخاضعين المطيعين له وحده لأنّ من عبد الله تعالى واعترف بأنّه معبود وحده لا شريك له، فقد دفع أن يكون له ولد في دعواكم، والله عزّوجلّ واحد لا شريك له، وهو معبودي الّذي لا ولد له ولا والد.

١٦ ـعن أبي عبيدة: قل يامحمّد لهؤلآءِ المشركين ومن انسلك مسالكهم إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل الجاحدين. من عَبَدني حقّ أي جحدني. والتأويل في هذا القول باطنه مضادّ لظاهره كقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من عرف الحقّ لم يعبد الحقّ».

فالمراد بالعبادة الجحد والإنكار فإنه أحد معانيها اللّغوية. ومعنى الرّواية: من عرف الحقّ حقّ معرفته لم ينكره بعدها، فمن أنكر الحقّ وجحده بعد ادّعائه معرفته يظهر أنّ ما ادّعاه من المعرفة لم يكن معرفة صحيحة كما ذهب إليه علم الهدى السّيّد المرتضى رضوان الله تعالى عليه من استحالة تجدّد الكفر بعد الايمان الصّحيح والمعرفة اليقينيّة، ودلالة تجدّد الكفر على كون ايمانه في الظّاهر كفراً في الباطن. وفي الكافي روايات تدلّ على ذلك.

١٧ ـقيل: هذا من باب المبالغة فيالعدل والمماشاة مع الخصم. والمعنى: فإن كان للرّحمن ولد كما تقولون، فأنا أوّل العابدين لهذا الولد، فإنّي العارف بوالد وما ولد قبلكم وقبل كلّ أحد فإذاً لا أعبد رحماناً هكذا ولا ولداً، فليس إذاً للرّحمن ولد. أو المعنى: إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل العابدين للوالد دون ولده لأنّ التّسوية بين الوالد والولد في التّعظيم والتّكريم ظلم، حيث إنّ الوالد مقدّم على ولده. ١٨ ـ قيل: إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل الرّافضين

الرّحمن الوالد وولده.

١٩ ـ قيل: ليس المراد بالولادة هنا ولادة ذاتية، بل أُريد بها ولادة تكريم وتعظيم لشرف العبوديّة القمّة كما المسيح وعزير والملآئكة ـ زعم المتبنّين لله سبحانه ـ كانوا أعبَد من الرّحمن، فاتّخذهم ولداً، فأنا أوّل العابدين في رتبة العبوديّة ـ وليست هذه الأوّليّة زمنيّة ولا عَدَدية بل عُدَدِيَّةٌ رتبيّة حتّى تصلح هدماً لصرح «إن كان للرّحمن ولد» ـ وكما أنّني أوّل في درجات العصمة والولاية والرّسالة بين العالمين، إذاً فأنا أوّل من يتّخذ ولداً لهذه الكرامة العليا، ولكن لم يُوحَ إليّ ولا لمحة من هذه الولادة، ولم أدّع لمحة منها، فلا ولادة هكذا لمن دوني في كرامة العبوديّة، وكما: «وقالوا اتّخذ الرّحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إنّي إله من دونه فذلك نجزيه جهنّم كذلك نجزي الظّالمين» الأنبيآء : ٢٦ ـ ٢٩) وعلى هذا القول، فليست الجملة: «إن كان للرّحمن ولد» شرطيّة كاملة، جزآؤها: «فأنا أوّل العابدين» بل «إن» وصليّة، وإنّما «أوّل العابدين» يهدم صرح هذه الولادة التّكريمية لمن ادّعيت له، و «إن» الوصليّة هنا دون «لو» الشّرطيّة مسايرة في الحوار الّتي تأتي لهم بكلّ بوار وخسار، فالولادة الذّاتيّة عن الرّحمن منفيّة حيث «أنا أوّل العابدين» للرّحمن العارفين وحيه، ولا أعرف له وحياً يسانده، بل يعانده، فليس إذاً للرّحمن ولد.

٢٠ ـ قيل: أي إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل القآئلين لله أن يكون له ولد.

**أقول:** والسّادس عشر هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

### ٨٣ ـ (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الّذي يوعدون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي أُتركهم أن يخوضوا في الباطل، ويلعبوا بالقرآن حتّى يعاينوا يومهم الّذي يوعدون فيه الموت والعذاب. ٢ ـ قيل: أي يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتّى يلاقوا يومهم الّذي يوعدون فيه بعذاب الأبد وهو يوم

القيامة. ٣ ـ قيل: أي حتّى يعاينوا يومهم الّذي يوعدون من العذاب في الحياة الدّنـيا مـن الهلاك والدّمار. ٤ ـ قيل: أي العذاب في الدّنيا من الوبال والنكال، وفي الآخرة مـن النّـار والعذاب. ٥ ـ قيل: أي اتركهم وشأنهم ليخوضوا في الحديث ويـقضوا أوقـاتهم في اللّـهو واللّعب والعبث إلى أن يصيروا إلى المصير الرّهيب في اليوم الموعود.

**أقول:** والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

## ٨٥ ـ (وتبارك الّذي له ملك السّموات والأرض وما بينهما وعنده علم السّاعة وإليه ترجعون)

**في قوله تعالى:** «تبارك» أقوال: ١ ـ عن ابن عـبّاس: أي تـعالى وتـبرّأ عـن الولد، وتقدّس وتنزّه عن الشّريك. ولماذا الولد والشّريك له سبحانه وهو خالق الكـون بكـلمة «كن». ٢ ـ قيل: أي تعظّم له ملك السّموات... ٣ ـ قيل: أي دامت بركته، فمنه البركـات وايصال الخيرات والسّعادات... وجلّ عن أن يكون له ولد أو شـبيه. ٤ ـ قـيل: أي جـلّ الثّابت الّذي لم يزل ولا يزال، مأخوذ من البرك وهو الثّبوت.

٥ ـ قيل: أي جلّ الّذي عمّت بركة ذكره ٦ ـ قيل: أي تعاظم وتسامى.

**أقول:** والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، وإن كان غيره لا يخلو من وجه، فتأمّل جيّداً.

## ٨٦ ـ (ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة إلّا مـن شـهد بـالحقّ وهـم يعلمون)

**في قوله تعالى:** «ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس وسعيد ابن جبير ومجاهد: أي ولا يشفع الملآئكة وعيسى وعزير إلاّ لمن شهد بالحقّ ويعلم الحقّ. فالمراد بـ«الّذين يدعون» عيسى وعزير والملآئكة الّذين يعبدهم اليهود والنّصارى والمشركون ليكونوا لهم شفعآء عند الله يوم القيامة، فهم لا يشفعون إلّا لـمن شهـد بـالحقّ وآمن على علم وبصيرة، وليس ايمانهم كذلك. ٢ ـ قيل: اريد بـ«الّـذين يـدعون...» كـلّ معبود غير الله تعالى من الملآئكة والجنّ والبشر والأصنام والأوثان والطّواغيت... وما إليها

ممّا يعبده المشركون من دون الله، فالّذين قد عُبِدوا في الدّنيا لا يملكون الشّفاعة لمن عبدهم.

٣ ـ قيل: هم الملآئكة الّذين كان المشركون يزعمون أنّهم بنات الله فيعبدونهم مع الله في هذه الأصنام الّتي سمّوها بأسمآءٍ أطلقوها على بعض الملآئكة مثل اللاّت والعزّى ومناة وغيرها كما أشار إليها بقوله تعالى: «إنّ الّذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمّون الملآئكة تسمية الأنثى» النجم : ٢٧)، وكانوا يأملون شفاعتهم، وهؤلآء الملائكة لا يملكون الشّفاعة لأحد منهم كما يتوهّم هؤلآءِ المشركون إذ يقولون عنهم «وما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى» الزّمر : ٣) ويقولون فيهم: «هؤلآء شفعآؤنا عند الله» يونس : ١٨) وهؤلآءِ الملائكة لن يستطيعوا أن يشفعوا عند الله شفاعة خير إلاّ بحقّ من آمن بالحقّ وعمل به، فلن يشفعوا إلّا للمؤمنين بالحقّ، العاملين به.

فالاستثنآء من عموم النّفي واقع على شفاعة الملآئكة، فهم يشفعون للأقلّين الّذين آمنوا بالله وأخلصوا دينهم لله بعد أن عصوه وتابوا إليه تعالى. وتلك الشّفاعة هي إستغفار الملآئكة كما قال الله تعالى: «يستغفرون للّذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً فاغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك» غافر : ٧) فهذا من شفاعة الملائكة للعصاة من المؤمنين، وهي شفاعة مقبولة عند الله تعالى، وأمّا الأكثرون من المشركين الّذين كانوا كارهين للحقّ فليس للملآئكة شفاعة لهم. وعن ابن عبّاس: نزلت هذه الآية في بني مليح حيث قالوا: الملآئكة بنات الله.

٤ ـ قيل: أي ولا تقدر الأصنام والأوثان الّتي يعبدها المشركون على الشّفاعة لهم كما زعموا أنّهم شفعآء عند ربّهم، ولكن مَن نطق بكلمة التّوحيد وكان على بصيرة وعلم من ربّه كالملآئكة وعيسى وعزير تنفع شفاعتهم عنده بإذنه لمن يستحقها، وهم أصحاب الصّغآئر وتابوا من الكبآئر. ٥ ـ قيل: أي لا يملك هؤلآءِ العابدون من دون الله أن يشفع لهم أحد إلّا من شهد بالحقّ، فإن شهد بالحقّ يشفع له، ولا يشفع لمشرك. ٦ ـ قيل: أي لا يملك أحد من الملآئكة وغيرهم الشّفاعة إلّا لمن شهد أن لا إله إلّا الله. وذلك أنّ النّضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا: إن كان ما يقوله محمّد حقّاً فنحن نتولّى الملائكة، وهم أحقّ بالشّفاعة لنا منه، فنزلت الآية. فالمعنى: إنّهم يشفعون للمؤمنين بإذن الله وتمليكه.

۷ ـ قيل: أي ليس للملائكة أن يشفعوا لأحد أصلاً. ۸ ـ قيل: إنّ المعبودين من عيسى ومريم والملائكة وعزير لا يشفعون عند الله تعالى لأحد من عابديهم إلّا فيمن شهد بالحقّ وأقرّ بالتّوحيد والعمل الصّالح. ۹ ـ قيل: أي إنّ الّذين يدعون من دون الله من البشر والأجسام وجميع المعبوديات لا يملك الشّفاعة عندهم إلّا من شهد بالحقّ منهم يعني عيسى وعزيراً والملائكة لا يملكون الشّفاعة عند الله تعالى إلّا إذا كانوا على الحقّ شاهدين به معترفين بجميعه فإنّهم يملكون الشّفاعة عند الله، وإن كان لا يملكها ما عداهم من المعبودات، فعلى الأوّل يرجع الاستثناء إلى المشفوع له، والثّاني إلى الشّفيع. ۱۰ ـ قيل: اريد بالشّفاعة النُّصرة والمعونة والمنفعة لأنّ الشّفاعة فيمن تتناوله نفع يُوصَل إليه، وإرادة الشّفاعة في الأمّة معنى الشّفاعة وهو المنفعة والنّصرة. فتقدير الكلام: إنّكم تعبدون من لا ينفعكم ولا يضرّكم ولا يعينكم، ولمّا كان في جملة هؤلآء المعبودين مَن يصحّ أن يضرّ وينفع استثنى ليبيّن أنّ حكمهم مفارق لحكم غيرهم.

**أقول:** والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق وعليه أكثر المفسّرين.

**وفي قوله عزّوجلّ:** «إلّا من شهد بالحقّ» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس: اريد بالحقّ التّوحيد والشّهادة والاعتراف به. فشهادة الحق: «لا إله إلّا الله» مخلصاً بها. ۲ ـ قيل: أي الملآئكة: وعيسى وعزير لهم عند الله شهادة بالحقّ. ۳ ـ قيل: أي إلّا من شهد بأنّه أهل العفو عنه.

٤ ـ عن قتادة: أي لا يشفعون لعابديها إلّا من شهد بالحقّ يعني عزيراً وعيسى والملائكة، فإنّهم يشهدون بالحقّ والوحدانيّة لله.

٥ ـ قيل: يعني المؤمنين إذا أذن لهم.

٦ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. وقيل: وأنّ عليّاً أمير المؤمنين وليّ الله عليه السلام لأنّه مع الحقّ والحقّ معه يدور حيثما دار.

۷ ـ قيل: أي إلّا من تشهد له الملائكة بأنّه كان على الحقّ في الدنيا مع علمهم بذلك منه بأن يكون الله أخبرهم به أو بأن شاهدوه على الإيمان.

٨ ـ قيل: أي لا يشفع عيسى و عزير والملائكة إلّا من شهد بالحقّ وهو يعلم الحقّ.

٩ ـ عن مجاهد: أي شهد بالحقّ وهو يعلم أنّ الله ربّه.

١٠ ـ قيل: أي إلّا من شهد بحقّ الله في توحيده وبحقّ العبودية لنفسه، وبحقّ الشـفاعة لنفسه، وبحقّ المشفع له وهو من ارتضى الله دينه «ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى» الأنبياء: ٢٨)

أقول: وعلى السادس جمهور المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

**وفي قوله جلّ وعلا: «وهم يعلمون» أقوال:**

١ ـ قيل: أي يعلمون حال من شفعوا له وحقيقة عمله كما قال تعالى: «لا يتكلّمون إلّا من أذن له الرحمن وقال صواباً» النبأ: ٣٨) وإذا كان حال الشفعآء لا يملكونها إلّا بعد الشهادة بالحقّ فما هم بشافعين إلّا لأهل التوحيد كما قال: «ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى» الأنبياء: ٢٨).

٢ ـ عن قتادة: أي وهم كالملائكة والمسيح وعزير الّذين شهدوا بالحـقّ فأقرّوا به على علم منهم ويقين بأنّهم لا يملكون الشفاعة عنده إلّا بإذنه لهم بها، فأثبت تـعالى للـملائكة وعيسى وعزير فملّكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان باستثنائه الذي استثناه وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به لأنّ الشفاعة على مقدار وصول الآثار العلميّة والدينيّة، وكلّ من وصله علم المسيح قبل النسخ، وهكذا المؤمنون في جميع الأُمم الّذين لم تنسخ أديانهم، يشفع لهم أنبياؤهم وعلماؤهم وشهداؤهم كما في الحديث والمـلائكة من بـاب أولى لأنّهـم الواسطة، فهم قد عبدوا من دون الله ولهم شفاعة عند الله ومنزلة.

٣ ـ قيل: أي يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به ألسنتهم. وفي هذا دلالة على أنّ حقيقة الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والمعرفة لأنّ الله شرط مع الشّهادة العلم وهو ما اقتضى طمأنينة القلب إلى ما اعتقده بحيث لا يتشكّك إذ شكّك ولا يضطرب إذا حرّك.

أقول: ولكلٍ وجهٌ من دون تنافٍ بينها.

## ٨٧ ـ (ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون)

**قوله تعالى: «ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله». أقوال:**

١ ـ قيل: ولئن سئلت أيّها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلاءِ المشركين العابدين لغير

الله: من خلق أنفسهم؟ ليقولنّ الله وحده خلقنا وخلق كلّ شئ. ٢ ـ قيل: أي ولئن سئلت هؤلاءِ العابدين للأصنام والأوثان: من خلق هؤلاءِ المعبودين؟ ليقولن: الله وحده خلقنا وإيّاهم. ٣ ـ قيل: أي ولئن سئلت هؤلاء المعبودين من الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم: من خلقهم؟ لقالوا: الله خلقنا. ٤ ـ قيل: أي ولئن سئلت هؤلاءِ المعبودين من الملائكة من خلق هؤلاءِ المشركين الّذين يعبدونهم؟ ليقولنّ: الله تعالى خلقهم كما خلقنا وخلق كلّ شيء.

**أقول:** والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق وعليه جمهور المفسّرين.

**وفي قوله عزّ وجلّ:** «فأنّى يؤفكون» أقوال: ١ ـ قيل: أي فأنّى يصرفون عن عبادة الذي خلقهم إلى عبادة المخلوق كأنفسهم. ٢ ـ قيل: أي فأنّى يصرفون عن إلهيّتي وحده إلى الوهيّة الأصنام والأوثان... ٣ ـ عن ابن عبّاس: أي فمن أين يكذبون ويفترون على الله تعالى بعد هذا الإقرار منهم؟ ٤ ـ قيل: أي فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد وهذا إقرارهم؟ ٥ ـ قيل: أي إلى متى يصرفون عن الحقّ الذي هو التوحيد إلى الباطل الّذي هو الشرك إذ كانوا معترضين أن لا خالق إلّا الله تعالى، والتدبير الذي هو ملاك الربوبيّة غير منفكّ عن الخلق، فالربّ المعبود هو الذي بيده الخلق وهو الله جلّ وعلا. ٦ ـ قيل: أي فأنّى يؤفك هؤلاء المشركون في ادّعائهم الملائكة آلهة لهم بعد أن اعترفوا بأنّ الله تعالى وحده خلقهم؟ وهذا منطق معكوس.

**أقول:** والأخير هو الأنسب بظاهر السياق من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

## ٨٨ ـ (وقيله يا ربّ إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون)

**في قوله تعالى:** «وقيله ...» أقوال: ١ ـ قيل: «وقيله» عطف على «الساعة» في قوله تعالى: «وعنده علم الساعة» والمعنى: وعند الله علم الساعة، وعلم قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لربّه شاكياً قومه: «يا ربّ ...». ٢ ـ قيل: «وقيله» حكاية قول صادر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يعبّر به عن ألمه من عناد المشركين العرب وعصبيّتهم الجاهليّة،

ويأسه من إيمانهم. ٣ ـ قيل: إنّ الواو في «وقيله» بمعنى «مع» فالآية مرتبطة بقوله تعالى: «فأنّى يؤفكون» فهذا الاستفهام ينكر عليهم أن يعبدوا غير الله جلّ وعلا وأن ينصرفوا إلى غير خالقهم وخالق السموات والأرض الذي شهدت له بذلك ألسنتهم، ومع هذا فهم يعبدون غير الله بشهادة الواقع الذي هم فيه، وبشهادة الرسول الذي خبر حالهم، وعرف الدّآء المتمكّن منهم فقال شاكياً إلى ربّه: «يا ربّ ....».

والمعنى: إلى أين ينصرف هؤلاءِ المشركون مع شركهم الذي هم فيه، ومع ما يرى الرسول من حالهم في المستقبل، وأنّهم ممّن لا يرجى صلاحهم أو يتوقّع شفاؤهم من هذا الدّآء الذي معهم. ٤ ـ قيل: إنّ «قيله» مصدر منصوب لفعل مقدّر أي وقال قوله وشكا شكواه إلى الله. ٥ ـ عن الأخفش: عطف على قوله: «أنّا لا نسمع» والمعنى: أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم ... ولا نسمع قيل رسولنا صلّى الله عليه وآله وسلّم فيهم. ٦ ـ قيل: إنّ معنى «قيله» أنّه شكا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم شكوة إلى ربّه. ٧ ـ قيل: إنّ المعنى: فبعد الاستفتاء العامّ من العالمين: «لئن سئلتهم ...» والجواب العامّ بين المشركين والموحّدين: «ليقولنّ الله» فلينظر العالمون إلى «قيله» عن المشركين العرب اللجوج: «رب إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون» والواو تعطف على غير مذكور من سائر قبيله من هذا القيل. ٨ ـ قيل: أي وأقسم بقيله إنّ هؤلاء قوم ... و«قيله» مجرور بحرف القسم المحذوف. ٩ ـ عن مجاهد وقتادة: أي قال تعالى: هذا قول نبيّكم يشكو قومه إلى ربّه، وينكر عليهم تخلّفهم عن الدعوة والإيمان: «يا ربّ ...». ١٠ ـ عن أبي علي: إنّ الضمير في «قيله» راجع إلى عيسى بن مريم عليه السلام وفيه تسلية لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلم. ١١ ـ قيل: «وقيله» عطف على «بالحقّ» والمعنى: إلّا من شهد بالحقّ وشهد بقول رسول الحقّ: يا ربّ ...

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسّرين من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقوال الأُخر وقد سبقت وجوه إعراب «قيله» تفصيلاً في البحث النحوي فراجع.

## ٨٩ ـ (فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون)

في قوله تعالى: «فاصفح عنهم» أقوال:

١ ـ عن ابن عبّاس أي أعرض عن هؤلاء المشركين العرب المعاندين بصفحة وجهك كما قال تعالى: «وأعرض عن الجاهلين» الأعراف: ١٩٩). ٢ ـ عن قتادة: أي فاصفح عنهم نسخ الصفح، واغض عنهم واتركهم وشأنهم. ٣ ـ قيل: أي فاعف عنهم وتألفهم بالعفو. ٤ ـ عن الحسن: أي فاصفح عن سفههم ولا تقابلهم بمثله، فندب الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الحلم وإعمال الخُلق الحَسَن معهم إلى أوان النصر. ٥ ـ قيل: أي فاعرض عن أذاهم. ٦ ـ قيل: أي فأعرض عن دعوتهم وأنت آيس وقانط من إيمانهم.

٧ ـ قيل: أي فاصفح عنهم، وعن كلّ من سلك مسالكهم ممّن لا يحنّ إلى الحقّ والهدى، فاصفح عنهم إعراضاً بصفحك ولكن بالصّفح الجميل.

**أقول:** وعلى الأوّل أكثر المحقّقين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

**وفي قوله عزّ وجلّ:** «وقل سلام» أقوال:

١ ـ عن ابن عبّاس: أي وقل سداد من القول. ٢ ـ قيل: أي قل سلام متاركة ومداراة، فلا تدع عليهم بالعذاب ولا تدعهم للدّين. ٣ ـ عن الفرّاءِ: أي سلام عليكم. ومعناه الأمر بتوديعهم بالسّلام ولم يجعله تحيّة لهم، هذا سلام هجران ومجانبة لا سلام تحيّة وكرامة كقوله تعالى: «سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين» القصص: ٥٥). ٤ ـ عن قتادة: أي قل ما تسلم به من شرّهم وأذاهم. ٥ ـ قيل: أي وادعهم موادعة ترك من دون همّ لك فيهم. ٦ ـ قيل: أي قل معروفاً بأنّي لست لكم إلّا سلاماً ولا أدعوكم إلّا إلى سلام، وإذ تعرضون عن سلامكم فسلام «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً» الفرقان ٦٣) دون خفاء ولا جفاء تزيد في جهلهم وسفههم، وفي كفرهم وضلالهم، وما أنت وتعذيبهم بصفح غير جميل. ٧ ـ عن الحسن: «وقل سلام» يعني احلم عنهم فلا تجبهم بمثل ما يخاطبوك به من سيّئ الكلام وأحلم عنهم قولاً وفعلاً، فارفق بهم وقابل جهلهم بالحلم وسفاهتهم بالمغفرة والصفح، و أنّهم كلّما قالوا فاحشاً وهجراً، فقل أنت لهم سلاماً ومغفرة كما يقول تعالى لنبيّه الكريم: «خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» الأعراف: ١٩٩).

**أقول:** والسابع هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

**وفي قوله جلّ وعلا:** «فسوف يعلمون» أقوال:

١ ـ عن عبّاس: أي فسوف يعلمون ماذا يفعل بهم يوم بدر ويوم أُحُد ويوم الأحزاب، ثمّ أمره بالقتال بعد ذلك فنصره عليهم، فسوف يعلمون ماذا ينزل بهم من الجوع والدّخان، وما يلقون من البلاءِ والنّكال والعذاب على كفرهم وضلالهم. ٢ ـ قيل: أي فسوف يعلمون يوم القيامة إذا عاينوا ما يحلّ بهم من العذاب، وحين يلقون جزاءهم المحتوم. ٣ ـ قيل: أي فسوف يعلمون عاقبة كفرهم في الحياة الدنيا بالانحطاط والهوان، وفي الآخـرة بـالعذاب والنّـار. ٤ ـ قيل: أي فسوف يعلمون حين موتهم ويوم القيامة، يعلمون حقّاً بعد علم متجاهل قاحل إذ «جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً» النمل: ١٤). ٥ ـ قيل: أي إنّهم الآن على جهل يزيّن لهم هذا الباطل الّذي هم فيه، ويغذيهم بهذا السّفه الّذي ترمي به أفواههم، ولكنّهم مع الزّمن، ومع ما يأخذهم به الرّسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم من حلم وصفح ومـغفرة سيعلمون بعد جهل، ويؤمنون بعد كفر، ويصبحون جنداً من جنود الله وراية مـن رايـات الإسلام الّتي تخفق في آفاق الأرض، فهذا ليس من الوعيد، بل هو وعد بخير كثير ينتظر من هؤلاءِ المشركين، وسيكون منهم بناة الإسلام ومادّة دولته الّتي ستظهر عمّا قريب، وقد كان إذ دخل كثير منهم في دين الله حتى أنّه إذا جاء يوم الفتح لم يبق مشرك من قريش لم يدخل في الإسلام. ٦ ـ قيل: أي فسوف يعلمون من هو على الحقّ والهدى ومن هو على البـاطل والضّلال.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

# ﴿التفسير والتأويل﴾

**١ ـ (حم)**

وهي رابعة من الحواميم السّبع، ورد هذا المقطع بدأ لسبع سور من القرآن الكريم نزولاً ومصحفاً على الترتيب التّالي وهي: غافر، فصّلت، الشّورى، الزخرف، الدّخان، الجاثية، والأحقاف، وهذا الاتّفاق في اللفظ لا يلزم منه الاتّفاق في المعنى الّذي ينكشف منها لأهل بيت الوحي: محمّد وآله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وهي رمز وإشارة إلى معان وأُمور لا يعرفها إلّا الله والرّاسخون في العلم.

قال الله تعالى: «هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أُمّ الكتاب وأُخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذّكّر إلّا أُولوا الألباب» آل عمران: ٧).

**في نهج البلاغة:** قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحيّاته: «أين الّذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا؟ كذباً وبغياً علينا ...» الخطبة.

**٢ ـ (والكتاب المبين)**

إنّ الله تعالى أقسم بالقرآن الكريم الذي أنزله على خاتم رسله محمّد

المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو الكتاب الظّاهر بنفسه لا ريب فيه لمن تدبّر آياته، الواضح في أهدافه ودعوته لمن تفكّر فيه، وهو الكتاب المظهر للنّاس طريق الحقّ والهدى، والخير والفلاح، المبعد من الباطل والضّلال، والشرّ والخطاء، والموضح لسبيل الصّواب والرّشاد والصّلاح والكمال، والموضح لما يحتاج إليه البشر في جميع شئونه الدنيويّة والأخرويّة في كلّ ظرف من الظروف .. ليفوز بالخير والسعادة في الدّنيا والآخرة، فمن سلك سبيله فاز ونجى، ومن أعرض عنه خاب سعيه وضلّ سواء السبيل.

قال الله تعالى: «ذلك الكتاب لا ريب فيه ـ شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن هدى للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان» البقرة: ٢ و ١٨٥).

وقال: «وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الّذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين» يونس: ٣٧).

وقال: «الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً» الكهف: ١).

وقال: «هذا بيان للنّاس وهدى وموعظة للمتّقين» آل عمران: ١٣٨).

وقال: «وكذلك أنزلنا إليك الكتاب ـ بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين أُوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلّا الظّالمون» العنكبوت: ٤٧ ـ ٤٩).

وقال: «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» المائدة: ١٥ ـ ١٦).

وقال: «يا أيّها النّاس قد جاءكم برهان من ربّكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً فأمّا الّذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً» النساء: ١٧٤ ـ ١٧٥).

وقال: «ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» النحل: ٨٩).

وقال: «ما فرطّنا في الكتاب من شيئ ـ ولا رطب ولا يابسٍ الّا في كتاب مبين» الانعام: ٣٨ و ٥٩)

## ٣ ـ (إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون)

إنّا جعلنا هذا الكتاب المبين قرآناً تقرؤنه بلسان عربيّ فصيح واضح لعلّكم يا أهل مكّة تعقلونه وتدبّرون آياته .. فتفهموا أهدافه ودعوته، وتعلموا أحكامه وحدوده، وأسراره ومعارفه، وحِكَمه ومواعظه .. فإنّه بلسان قوم نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أُرسل إليكم لئلّا تعتذروا من دون وجه فتقولوا: نحن عرب، وهذا كلام أعجمي لا نفقه شيئاً ممّا فيه وإن كان هو ذكر للعالمين فنهم يعقلونه ويتدبّرون آياته ويؤمنون به ولا يعتذرون كما تعتذرون.

قال الله تعالى: «قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأُوحي إليّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ» الأنعام: ١٩).

وقال: «وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربيّاً لتنذر أُمّ القرى ومن حولها» الشورى: ٧)

وقال: «نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين ـ ولو نزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين» الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٩).

وقال: «كتاب فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ـ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته ءأعجميّ وعربيّ» فصّلت: ٣ و ٤٤).

وقال: «إن هو إلّا ذكر للعالمين» التكوير: ٢٧).

وقال: «ولقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مدّكر» القمر: ١٧).

وقال: «فإنّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون» الدخان: ٥٨).

وقال: «وما يذكّر إلّا أُولوا الألباب» آل عمران: ٧).

## ٤ ـ (وإنّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم)

وإنّ هذا القرآن العربيّ المعجز الخالد الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مثبت في اللّوح المحفوظ الّذي هو أصل الكتاب كلّه عندنا «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» البروج: ٢١ ـ ٢٢) «إنّه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسّه إلّا المطهّرون تنزيل من ربّ العالمين» الواقعة: ٧٧ ـ ٨٠) «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب» ٣٩) «كتاب

أُحكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير» هود: ١) «وإنّك لتلقّ القرآن من لدن حكيم عليم» النمل: ٦) و«قل إنّما الآيات عند الله وإنّما أنا نذير مبين» العنكبوت: ٥٠) و«الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات أنّ لهم أجراً حسناً» الكهف: ٢) «وإنّه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصّلت: ٤١ـ٤٢).

وقوله تعالى: «لعليّ حكيم» وهذا الكتاب ـ القرآن ـ لعليّ يعلو على الكتب السماوية النّازلة على المرسلين عليهم السّلام قبله فضلاً عن غيرها، يعلو عليها وعلى غيرها من كلمات المخلوقين في الأُسلوب والبيان، في الحكم والمعارف، في الأهداف والمقاصد، وفي الأسرار والأحكام ... «حكيم» ذو حكمة بالغة، بل هو نفس الحكمة، فيعلو علوّاً لن ينال بعلوّه ولا يقاس بحكمته كلام أبداً.

وما ورد من الرّوايات والأدعية سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى على أنّ المراد بـ «لعليّ حكيم» هو مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فمن باب التّأويل وهو اللّبّ حيث إنّ الإمام عليّ عليه السلام هو القرآن النّاطق وعنده علم الكتاب، ونفس النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بنصّ القرآن الكريم وقد كان هو عليه السلام نسخة ثانية من الحكمة القرآنيّة الّتي هي الحكمة المحمّدية تمثّلاً فيه عليه السلام وتداوماً في أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، كيف لا وقد كان إكمال الدّين وإتمام النّعمة وتبليغ الرّسالة المحمّدية صلّى الله عليه وآله وسلّم متوقّفة بولاية الإمام عليّ عليه السلام.

قال الله عزّ وجلّ: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» الرّعد: ٤٣).
وقال: «فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم» آل عمران: ٦١).
وقال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ و ٦٧).

وفي نهج البلاغة: قال الإمام عليّ عليه السلام: «ووالله إن جئتها إنّي للمحقّ الّذي يتّبع، وإنّ الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته فلقد كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم».

وفيه: قال الإمام عليه السلام: «نحن شجرة النّبوّة ومحطّ الرسالة ومختلف الملائكة

ومعادن العلم وينابيع الحِكَم ـ هم موضع سرّه ولجأ أمره وعيبة علمه وموئل حِكَمه وكهوف كتبه وجبال دينه ـ فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرّحمن ...».

## ٥ ـ (أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين)

أفنرفع عنكم هذا القرآن ونبعده إعراضاً عنكم ونذوده ونقطع الوحي، وندعكم مهملين، ولا نحتجّ عليكم بهذا الكتاب لأجل أن كنتم قوماً مسرفين في إعراضكم عنه، وفي الشّرك والضّلال، وفي البغي والعناد وفي المكابرة واللجاج ...؟! كلّا لا نترككم سدى، بل ندعوكم بهذا القرآن العربيّ إلى الحقّ والهدى وإلى الخير والصّلاح ... وإن لم تؤمنوا به، فلا نرفعه بسبب إعراضكم عنه إلّا يؤمن به غيركم وهم خير منكم.

قال الله تعالى: «وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لا يكونوا أمثالكم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ۳۸)

وقال: «فلا أُقسم بربّ المشارق والمغارب إنّا لقادرون على أن نبدّل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين» المعارج: ٤٠ ـ ٤١).

وقال: «فإن تولّوا فقد أبلغتكم ما أُرسِلتُ به إليكم ويستخلف ربّي قوماً غيركم» هود: ٥٧) «صفحاً» مصدر من صفحت عنه إذا أعرضت عنه لأنّ من أعرض عنك أراك صفحة عنقه، وسمّى العفو صفحاً لأنّه إعراض عن الانتقام وإرائة صفحة الرّحمة. إنّ الله عزّ وجلّ برحمته ولطفه بخلقه من جهة، ولإتمام الحجّة واستمرارها عليهم من جهة أُخرى لا يترك دعاءهم إلى الذكر الحكيم والصراط المستقيم، وإن كان أكثرهم عنه معرضين، بل يدعوهم إليه جلّ وعلا بكتابه المجيد في كلّ ظرف من الظروف، ويحتجّ به عليهم إمّا برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بإمام معصوم عليه السلام أو بحججه من العلماءِ العاملين والدعاة الصالحين لئلّا تنقطع الحجّة على الناس، فليكن الذكر الخالد أمامهم وبين أيديهم يذكّرهم في كلّ ظرف إذ ليس بعد هذا الكتاب المبين كتاب ينزل، ولا رسول يرسل إليهم، فلا بدّ من استمرار الحجّة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إمّا بإمام معصوم عليه السلام أو بحججه الصالحين في زمن الغيبة. قال الله تعالى: «كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلّمون الكتاب

وبما كنتم تدرسون ـ يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنـتم مسـلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ـ ولتكن مـنكم أُمّـة يـدعون إلى الخـير ويـأمرون بالمعروف وينهون على المنكر وأُولئك هم المفلحون ـ وإذ أخذ اللهُ ميثاق الّذين أُوتوا الكتاب لتبيّننه للنّاس ولا تكتمونه» آل عمران: ٧٩ و ١٠٢ ـ ١٠٤ و ١٨٧).

## ٦ ـ (وكم أرسلنا من نبيّ في الأوّلين)

وكثيراً ما أرسلنا قبلك يا محمّد صلّى الله عـليه وآله وسـلّم مـن نـبيّ رسـالة تـترى مـن دون انقطاع في الأمم الماضية قبل المسلمين: «كذلك أرسلنا في أُمّة قد خلت من قبلها أُمم» الرّعد: ٣٠) «ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأوّلين» الحجر: ١٠) «ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين ولقد أرسلنا فيهم منذرين» الصّافّات: ٧١ ـ ٧٢) «ثمّ أرسلنا رسلنا تترا كلّ ما جاء أُمّة رسولها كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبُعداً لقوم لا يؤمنون» المؤمنون: ٤٤) فـلم نتركهم بلا كتاب ولا رسول ولا زاجر ولا آمر «سنّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنّتنا تحويلاً» الإسراء: ٧٧)

سنّة دائبة في تواتر الرّسالات رغم تواتر التكذيبات من دون أن يضرب عنهم الذّكـر صفحاً لأجل أن كانوا قوماً مـسرفين في تكـذيبهم وكـفرهم، وفي ضـلالهم وعـنادهم... فكونكم أيّها المشركون قوماً مسرفين لا يمنعنا من إجراءِ سنّة الهداية من طـريق الوحـي والرسالة والإمامة وإتمام الحـجّة... فحين تـعني الأوّلين أوّليّـة الرّسـالة والمـرسل إليهـم، فالآخرون هم المسلمون، لمحة لطيفة إلى أنّ تلك الرّسالات الماضية كلّها كـانت تـقدّمات وتهيئات لهذه الرّسالة الأخيرة السّامية لا شأن لها إلّا أوّليّتها وكونها تقدّمات، وأنّهـا تعبّد طريق هذه الأخيرة.

قال الله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» آل عمران: ٨١).

### ٧ ـ (وما يأتيهم من نبيّ إلّا كانوا به يستهزؤن)

ولم يأت هؤلاءِ الأُمم الماضية من نبيّ يدعوهم إلى الحقّ والهدي إلّا كانوا هم يستهزؤن بالنبيّ كاستهزاءِ قومك بك، فكانوا يكفرون به، ويحتقرون ما أتوا به، ويظنّون أنّه من المخاريق الّتي لا يعمل عليها، كلّ ذلك لجهلهم بجهالتهم، وغفلتهم عن غفلتهم، ولفرط عنادهم ولجاجهم وغباوتهم .. فلذلك حملوا أنفسهم على الاستهزاءِ بالأنبياء والمرسلين، وهو عائد بالوبال عليهم، فلم نضرب عنهم الذّكر صفحاً لاستهزائهم وكفرهم برسلهم، بل كرّر الحجج، وأعدنا الرّسل، وأنزلنا الكتب ... فكما كانت عاقبة إسرافهم واستهزائهم الهلاك والدّمار والعذاب والنّار، فكذلك عاقبة إسراف قومك واستهزائهم بك.

قال الله تعالى: «فقد كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم فسوف يأتيهم أنبآؤا ما كانوا به يستهزون ـ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالّذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن» الأنعام: ٥ و ١٠).

فلا يحزنك أيّها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قول الكافرين من قومك واستهزائهم بك وبما جئتهم وسخريتهم منه: «ولا يحزنك الّذين يسارعون في الكفر» آل عمران: ١٧٦)

فإنّهم إنّما سلكوا مسالك هؤلاء الأُمم الغابرة في الكفر والطغيان، في البغي والعصيان، في الإثم والعدوان، وفي العناد واللجاج ... واحتذوا حذوهم ونهجوا مناهجهم حذو القُذّة بالقُذّة ... فهذا شأن أنبياء الله ورسله جميعاً مع أقوامهم، فلست بدعاً من الرّسل في هذا الذي يناله من قومه من أذى، ولا قومك ببدع في الأُمم ... فكن كما كان أُولوا العزم من الرّسل واصبر كما صبروا على ما أُوذُوا في سبيل الله تعالى.

قال الله تعالى: «قل ما كنت بدعاً من الرسل ـ فاصبر كما صبر أُولوا العزم من الرّسل ولا تستعجل لهم» الأحقاف: ٩ و ٣٥).

### ٨ ـ (فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ومضى مثل الأوّلين)

فأهلكنا المستهزئين بالرّسل من الأُمم السّابقة الّذين كانوا أشدّ قوّة ومنعة من هؤلاءِ المسرفين، وأقوى منهم في أبدانهم وأتباعهم، ولم يقدروا مع ذلك على دفع بأسنا إذ أتاهم،

فالّذين هم أضعف منهم قوّة ... فأحرى أن لا يقدروا على الامتناع من نقمتنا إذا حلّت بهم، وهذا مثل مضى لهؤلاء الباقين المستهزئين بك، ولمن قبلهم من ضربائهم ... مثّلنا الّذي مثّلناه لهم في أمثالهم من مكذّبي رسلنا الّذين أهلكناهم، وقد رأيتم أيّها المسرفون ما حلّ بهم في أسفاركم، وما حدّثكم به القرآن الكريم من مصارع القوم المستهزئين كقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين وقوم لوط، فاحذروا أن يحلّ بكم ما حلّ بهم إذ سلكتم في تكذيب الرّسل مسلك من كان قبلكم، فاحذروا أن ينزل بكم من الخزي ما نزل بهم، قال الله تعالى: «فجعلناهم سلفاً ومَثَلاً للآخرين» الزخرف: ٥٦).

وقال: «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّنّاهم في الأرض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السّماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين» الأنعام: ٦).

وقال: «أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر ممّا عمروها وجائتهم رسلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثمّ كان عاقبة الّذين أساؤا السّوآى أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون» الروم: ٩ـ ١٠).

وقال: «وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أشدّ بطشاً فنقّبوا في البلاد هل من محيص» ق: ٣٦).

وقال: «ألم نهلك الأوّلين ثمّ نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين» المرسلات: ١٦ـ١٨).

## ٩ ـ (ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم)

أُقسم بعزّتي وجلالي، وبعلمي وحكمتي أيّها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إن سئلت هؤلاء المشركين المسرفين في الكفر والضلال، وفي العناد واللجاج ... مَن أنشأ واخترع السّموات والأرض؟ فما كان لهم جواب إلّا أنّهم يقولون من دون ترديد ولا ريب: خلق السّموات والأرض مَن هو غنيّ لا يفتقر، قوي لا يضعف، غالب لا يقصر في ملكه وسلطانه وفي انتقامه من أعدائه، هو العليم بكلّ شيء وبمصالح الخلق وتدبيره وهو الله تعالى وحده لا يخفى عليه شيء من ذلك، فلا يسعهم أنّ يجيبوا ولا يمكنهم أن يحلفوا في ذلك على الأجسام

والأوثان ... لظهور فساد ذلك، فهم يعترفون لله تعالى وحده بالخلق والايجاد والعزّة والعلم المطلق، ثمّ يعبدون معه غيره عناداً ولجاجاً وجهلاً منهم لأنّ أفعالهم تخالف أقوالهم وضمائرهم ...

قال الله تعالى: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض وسخّر الشمس والقمر ليقولنّ الله فأنّى تؤفكون ـ ولئن سئلتهم من نزّل من السّماء ماءً فأحيى به الأرض بعد موتها ليقولنّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون» العنكبوت: ٦١ ـ ٦٣).

وقال: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون» لقمان: ٢٥).

## ١٠ ـ (الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سُبُلاً لعلّكم تهتدون)

العزيز العليم هو الله الّذي جعل لكم أيّها المسرفون وللنّاس كافّة بعزّته وعلمه هذه الأرض الّتي تعيشون عليها ممهّدة ممدودة مبسوطة سهلة صالحة للسّير والاستقرار، ملائمة لحياة الإنسان في جميع تصرّفاته، وجعلها في سهولة العيش فيها كمهد الصّبي، ولو كانت الأرض على غير ما هي عليه الآن لتعذّر عليكم وعلى الحيوان العيش والحياة فيها، وجعل لكم فيها طرقاً واسعة مختلفة، ومسالك بين الجبال تسلكونها في أسفاركم أينما شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها المختلفة ... تنتقلون فيها من بلد إلى بلد، من جانب إلى جانب، ومن إقليم إلى إقليم، لعلّكم تهتدون بسلوكها إلى مقاصدكم ومتاجركم وابتغاء رزقكم، ولعلّكم تعلمون أنّ تلك المهاد والسبل لم تكن رمية من غير رام.

قال الله تعالى: «الّذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً ـ إنّ في ذلك لآياتٍ لأُولي النُّهى» طه: ٥٣ ـ ٥٤).

وقال: «الله الّذي جعل لكم الأرض قراراً» غافر: ٦٤)

وقال: «والأرض فرشناها فنعم الماهدون» الذاريات: ٤٨)

وقال: «هو الّذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه» الملك: ١٥)

وقال: «والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً» نوح: ١٩ ـ ٢٠).

وقال: «الّذي جعل لكم الأرض فراشاً ـ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون» البقرة: ٢٢).

## ١١ ـ (والّذي نزّل من السّماء ماءً بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون)

وهو الله الّذي نزّل من السّماء مطراً وغيثاً على قدر حاجاتكم، وحاجات النّبات والحيوان إليه لا زيادة عليها فيفسد، ولا ناقصاً عنها فيضرّ ولا ينفع.

قال الله تعالى: «وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما نُنزّله إلّا بقدر معلوم وأرسلنا الرّياح لواقح فأنزلنا من السّماء ماءً فأسقيناكموه» الحجر: ٢١ ـ ٢٢).

وقال: «أنزل من السّماء ماءً فسالت أودية بقدرها» الحجر: ١٧).

وقال: «وأنزلنا من السّماء ماءً بقدر فأسكنّاه في الأرض وإنّا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنّات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون» المؤمنون: ١٨ ـ ١٩)

وقال: «هو الّذي أنزل من السّماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزّرع والزّيتون والنّخيل والأعناب ومن كلّ الثمرات إنّ في ذلك الآية لقوم يتفكّرون» النحل: ١٠ ـ ١١).

وقال: «أفرأيتم الماء الّذي تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أُجاجاً فلولا تشكرون» الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠).

فنزول المآء من السّماء بقدر دليل قاطع، وبرهان واضح على مدبّر عزيز عليم.

وقوله عزّ وجلّ: «فأنشرنا به بلدة ميتاً» فأحيينا بالماء النّازل من السّماء بلدة من بلادكم بعد ما كانت ميتاً خالياً من النّبات والثّمار والزّرع بالكلّية العادم للقوّة النّامية وإحياؤه تهيّج القوى النّامية فيه، وإحداث نضارته بأنواع النّباتات، وهو مستعار من الإحياء الحقيقي الّذي هو إعطاء القوّة الحاسّة كما أنّ موته مستعار من الموت الحقيقي الّذي هو عدم الحياة في البدن.

وقوله تعالى: «كذلك تخرجون»: مثل ذلك الإحياء الّذي هو في الحقيقة إخراج النّبات والأشجار والزّروع والثّمار من الأرض اليابسة بالماء، وإحياء البلدة بالنّبات أو بالماء بإخراج النّبات بالماء تبعثون أحياء، فيخرجكم الله جلّ وعلا يوم البعث من قبوركم بعد

موتكم كهيئتكم الّتي كنتم بها قبل مماتكم، فمن قدر على هذا قدر على ذلك.

**في الصّحيفة السجادية:** قال الإمام الرّابع سيّد الساجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام: «فصلّ على محمّد وآل محمّد وهب لنا يا إلهي من لدنك فرجاً بالقدرة الّتي بها تحيي أموات العباد وبها تنشر ميّت البلاد ...».

قال الله تعالى: «والله الّذي أرسل الرّياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النّشور» فاطر: ۹).

وقال: «ونزّلنا من السّماءِ ماءً مباركاً فأنبتنا به جنّات وحبّ الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميّتاً كذلك الخروج» ق: ۹ ـ ۱۱).

فإحياء البلد الميّت بالماءِ دليل واضح على إحياء الأموات يوم المعاد، ففي الآية الكريمة دلالة على المبدأ والمعاد.

## ۱۲ ـ (والّذي خلق الأزواج كلّها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون)

وهو الله الّذي خلق أصناف المخلوقات وأنواعها كلّها من إنسان على اختلاف ألسنته وألوانه، ومن حيوان على اختلاف أجناسه وأنواعه، ومن نبات على اختلاف أضرابه وأشكاله، ومن جماد على اختلاف صوره وخواصّه ... من جميع ما على الأرض من مخلوقات كلّها متزاوجة من ذكر وأنثى، وبهذا التّزاوج تتوالد فتتكاثر، وبهذا يعتدل ميزان الحياة بين الأحياء... ويكون تكاثر الحيوان والنّبات والجماد في البرّ والبحر والجوّ مكافئاً لتوالد الإنسان وتناسله ...

قال الله تعالى: «ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون» الذاريات: ٤۹).

وقال: «فاطر السّموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً» الشورى: ۱۱).

وقال: «ومن كلّ الثّمرات جعل فيها زوجين اثنين» الرعد: ۳).

وقال: «فأخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شتّى» طه: ٥۳).

وقال: «سبحان الّذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض ومن أنفسهم وممّا لا

يعلمون» يس: ٣٦).

فكلّ ما سوى الله زوج، ولا زوج إلّا وهو مخلوق، فلا فرد حقيقياً إلّا الله جلّ وعلا فالزّوجيّة هي قاعدة نظام الكون ونواميس الوجود أيّا كان من الذّكر والأُنثى، ومن شحنتي السلب والايجاب ... وممّا لم يعرفه الإنسان إلى الآن فسيعرفه ... فالزوجية ضاربة إلى أعماق الخلق كلّه، وزوالها هو زوال الكيان الماديّ، فالوجود الماديّ هو الوجود التركيبي الزوجيّ ممّا يعلمه الإنسان وما لا يعلمه، فخلق الأزواج بنفسه برهان قاطع على عدم زوجيّة خالقها كما أنّ الزّوجية بنفسه دليل واضح على حدوثها بخالق عزيز عليم.

وقوله تعالى: «وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون» وهو الله الّذي جعل لكم من السّفن ما تركبونه في البحار إلى حيث تقصدون لمعايشكم ومتاجركم، وخلق لكم من الأنعام ما تركبونه في البرّ كالخيل والإبل والحمير والبغال وما إليها ممّا تصلح للركوب سيوجد من وسائل المواصلات وطرق النّقلة برّاً وبحراً وجوّاً من السّيارة والطيّارة وغيرها لا يعرفها الإنسان إلى الآن. كما جاء في قوله تعالى: «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون» النحل: ٨) وقوله عزّ وجلّ: «وخلقنا لهم من مثله ما يركبون» يس: ٤٢).

**١٣ ـ (لتستووا على ظهوره ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين).**

لتستقرّوا على ظهور ما تركبون من السفن والأنعام ... وما سيوجد من السّيارة والطيّارة وأدوات الحمل والرّكوب في الأسفار إلى ما أمره الله تعالى إليه من الحجّ والعبادات والمشاهد المشرّفة وما أباحه الله عزّ وجلّ من المعايش والمتاجر والمقاصد والسّياحات المشروعة ...

ثمّ تذكروا نعمة ربّكم بقلوبكم معترفين بها إذا استويتم على ما تركبون مستعظمين لها، حامدين عليها، شاكرين لله جلّ وعلا بألسنتكم على تلك النّعم الّتي هي تسخير تلك المراكب البرّية والبحريّة والجوّية، وما تنتفعون بها في أسفاركم ... وتقولوا متعجّبين من ذلك، منزّهين له عن شبه المخلوقين: سبحان الّذي سخّر لنا هذا المركب الّذي ذلّله لنا حتّى

ركبناه. وما كنّا مطيقين ولا مقاومين في القوّة ما ركبناه من السفن والأنعام ... كيف نطيق على الخيل والإبل والبغال والحمير ... ونحن لا نطيق على بعوضة وذباب ونمل إذا صارت مسلّطات علينا؟ كيف نطيق على الإبل ونحن جبان من الأسد والذّئب والكلب ...؟ ولولا تسخير الله تعالى إيّاها لنا فلن نطيق على ركوبها حتّى ولا برؤيتها، فلو كانت للفيل علينا خيفة بما نخاف من الذئب فلن نقدر على رؤية الفيل فضلاً عن ركوبنا عليه. فما كنّا قادرين على جعل ما ركبناه قريناً مطيعاً لنا، وما كنّا قادرين على قيادة الأنعام الّتي هي أشدّ قوّة منّا لولا أن سخّرها الله تعالى لنا وملّكنا أمرها والتصرّف فيها.

## ١٤ ـ (وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون)

وتقولوا أيضاً: إنّا إلى ربّنا لمنقلبون انقلاباً من الشّرك إلى التّوحيد، من الكفر إلى الإيمان، من الضّلال إلى الهدى، من الباطل إلى الحقّ، من الظّلمة إلى النّور، من الطّغيان إلى الطّاعة ومن الشرّ إلى الخير ... تقولوا لترو حياتكم كلّها مربوطة بفضل الله ورحمته، فتصبحوا دائب الانقلاب إلى الله تعالى فراراً دون قرار، وتقولوا: وإنّا لصائرون إلى ربّنا بعد مماتنا، فيجازى كلّ نفس بما كسبت، فاستعدّوا لهذا اليوم ولا تغفلوا عن ذكره في حِلّكم وتَرحالكم يوم ضعنكم ويوم إقامتكم.

ولمّا كان الرّكوب مظنّة خطر وربّما يؤدّي إلى الموت فمن حقّ الرّاكب أن لا ينسى انقلابه إلى الله جلّ وعلا، ولا يدع ذكر ذلك حتّى يكون في كلّ حال مستعدّاً للقاء الله تعالى كأنّه يتذكّر ركوب الجنازة أو عثور الدّابّة أو انكسار السّفينة فليستعد للقاء الله بخلاف من يركب المراكب لأجل التنزّه والاشتغال بالملاهي والمناهي ...

## ١٥ ـ (وجعلوا له من عباده جزءاً إنّ الإنسان لكفور مبين)

وهؤلاء المشركون المسرفون بعد اعترافهم بأنّ الله تعالى وحده هو الخالق المتّصف بالعزّة والعلم جعلوا لله سبحانه بعض عباده ولداً وهم الملائكة بأنّهم بنات الله سبحانه، الولد جزء الوالد وبعضه لأنّ الولد بضعة من الوالد، منفصل منه متصوّر

بصورته، فوصفوه بصفة المخلوقين.

قال الله تعالى: «ويجعلون لله البنات سبحانه» النحل: ٥٧).

وقال: «فاستفتهم ألربّك البنات ولهم البنون ـ ليقولون ولد الله وإنّهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين» الصافات: ١٤٩ ـ ١٥٣).

إنّ القائل بهذا القول السخيف مظهر لكفره غير مستتر به، إذ اعترف بوحدانيّة الخالق وعزّته وعلمه المطلق، ونسب الولد إليه سبحانه، وهذا كفر ظاهر بيّن.

## ١٦ ـ (أم اتّخذ ممّا يخلق بنات وأصفاكم بالبنين)

أتقولون أيّها المشركون المسرفون: إنّ الله سبحانه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما، وترك لنفسه شرّهما وأدناهما؟! بأنّه سبحانه اتّخذ من خلقه أخسّ الصّنفين لنفسه وهنّ البنات، واختار لكم أفضلها وهم البنون، فخصّكم بهم واصطفاهم لكم؟ أفليست هذه القسمة بينكم قسمة جائرة؟ «ألكم الذّكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى» النجم: ٢١ ـ ٢٢).

وهذا مع كونه قولاً سخيفاً محالاً في نفسه إزراء وإهانة ظاهرة وكفر بَيّنٌ إذ نزلوا بقدر الله عن أن يكون مساوياً لهم، فجعلوا لله البنات، وجعلوا لهم البنين، وقالوا: إنّ الملائكة بنات الله ولم يروا أن يكون هؤلاء الملائكة ذكوراً ... وهذا منطق سقيم إذ كيف يكون الذّكور والاناث من خلق الله تعالى ثمّ يكون لهم هم أن يختاروا ما يشتهون منها، ويَدَعون لله ما لا يشتهون؟! «ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون» النحل: ٥٧).

قال الله تعالى: «أفأصفاكم ربّكم بالبنين واتّخذ من الملائكة إناثاً إنّكم لتقولون قولاً عظيماً» الإسراء: ٤٠).

وقال: «لو أراد الله أن يتّخذ ولداً لاصطفى ممّا يخلق ما يشاء سبحانه» الزّمر: ٤).

وقال: «أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكّرون» الصافات: ١٥٣ ـ ١٥٥).

والتعجّب من شأنهم حيث إنّهم لم يقنعوا ولم يرضوا بأن جعلوا لله سبحانه من عباده. جزءاً حتّى جعلوا له ذلك الجزء من مخلوقاته أجزاء أخسّ ممّا اختاروا لهم وأبغض الأشياء إليهم وأدونها وهو الإناث دون الذّكور على أنّهم أمقت خلق الله

للإناث بحيث إذا بشّر بها أحدهم اشتدّ غمّه به حتّى كانوا يئدونهنّ!

## ۱۷ ـ (وإذا بُشّر أحدهم بما ضرب للرّحمن مثلاً ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم)

وحالكون هؤلاء المشركين المسرفين الّذين جعلوا الملائكة بنات الله سبحانه أنّه إذا أخبر أحدهم بولادة ابنة له الّذي جعلها شبهاً مجانساً للرّحمن، حسب ما أضافوها إلى الله سبحانه ونسبوها إليه على وجه المثل لذلك إذا بشّر بها صار وجهه متغيّراً ممّا يلحقه من الغمّ والغضب والاختجال بذلك حتّى يسودّ ويربد في الغاية لما يعتريه من الكآبة، وهو ممتلئ قلبه غمّاً وكرباً وغيظاً وأسفاً، ولكن يتجرّعه ولا يظهره يتردّد الغيظ في جوفه لعدم رضاه بذلك، وعدّه عاراً له، فكيف ينسب البنات إلى الله تعالى عن ذلك؟ أفترضون لله جلّ وعلا ما لا ترضون لأنفسكم؟

فمن زعم أنّ الملائكة بنات الله سبحانه فقد جعلهم شبهاً لله تعالى لأنّ الولد من جنس الوالد وشبهه، ومن اسودّ وجهه بما يضاف إليه ممّا لا يرضى، أولى من أن يسودّ وجهه بإضافة مثل ذلك إلى من هو أجلّ عنه، فكيف إلى الله جلّ وعلا؟

قال الله تعالى: «وإذا بشّر أحدهم بالأُنثى ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أيمسكه على هون أم يدسّه في التّراب ألا سآء ما يحكمون» النحل: ٥٨ ـ ٥٩)

يأنف من ذلك غاية الأنفة كآبة من سوءِ ما بُشِّر به، ويتوارىٰ من القوم من خجله من ذلك، فكيف تأنفون أنتم من ذلك، وتنسبونه إلى الله سبحانه؟

## ۱۸ ـ (أوَمن ينشّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين)

أوَ تجعلون أيّها المشركون لله سبحانه بنات تنبت في الحلية، وتتربّى في الزّينة، وتشبّ في اللّينة، وتكبر في النعومة، وهنّ مع ذلك ضعيفات جسماً، وقاصرات عقلاً، فإنّهنّ في ميدان القتال عاجزات، وفي الجدال فكريّاً لا يخلو عنه الإنسان في العادة غير قادرات على تقرير دعواهنّ، وإقامة حجّتهن لنقصان عقلهنّ وضعف رأيهنّ. يقال: فلمّا تتكلّم امرأة بحجّتها إلّا تكلّمت بالحجّة عليها وما كان ينبغي لكم أيّها المشركون أن تجعلوا لله تعالى الجانب

الضّعيف من المخلوقات وهو جانب الأنوثة على حين تجعلون لأنفسكم الجانب القويّ وهو جانب الذّكورة ... ومن البداهة ـ في عالم الأحياء بل في عالم النّبات والجماد ـ أنّ الذّكـور أقوى من الإناث، وأشدّ بأساً في مجال الصراع والخصام ... فرق بين زيّهـنّ وزيّ الرجـال، ونقصهنّ من الميراث وبالشهادة، وأمرهنّ بالقعدة وسمّاهـنّ الخـوالف .. فـزيّهنّ غـير زيّ الرجال، وصورتهنّ غير صورة الرجال، وطبعهنّ غـير طـبع الرّجـال ... والقـوّة العـقليّة والبدنيّة للرّجال بالنّسبة للنّساء ممّا لا تنكر، وفي ذلك كلّه مصالح فرديّة واجتماعيّة ... قال الله عزّ وجلّ: «الرّجال قوّامون على النّساء» النساء: ٣٤).

## ١٩ ـ (وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون)

وجعل هؤلاء المشركون بالله سبحانه الملائكة الّـذين هـم عـباد الرّحـمـن يسـبّحونه ويقدّسونه ليلاً ونهاراً ولا يفترون: «يسـبّحون اللّـيل والنّهـار ولا يـفترون» الأنـبياء: ٢٠) جعلوهم إناثاً واعتقدوا أنّهم بنات الله سبحانه جهلاً منهم بحقّ الله وجرأة منهم عـلى قـيل الكذب والباطل وسمّوهم إناثاً: «إنّ الّذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمّون المـلائكة تسـمية الأُنثى» النجم: ٢٧) وعبدوا مـن هـو في نهـاية العـبادة: «لا يسـتكبرون عـن عـبادته ولا يستحسرون ـ بل عباد مكرمون» الأنبياء: ١٩ ـ ٢٦).

كيف اعتقدوا وحكموا بأنّ المـلائكة إنـاث مـن غـير عـلم ولا دليـل، فـلم يـبق إلّا أن يشاهدوا خلقهم أو صورهم؟ أشهدوا خلق الملائكة بأن كانوا حاضرين حينما خـلقهم الله فشاهدوهم أنّهم إناث؟ أو شاهدوا صورة الملائكة إناثاً فـعلموا بـذلك حـتّى حـكموا أنّهم إناث: «أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ألا إنّهم من إفكـهم ليـقولون» الصّافات: ١٥٠ ـ ١٥١).

ستكتب شهادتهم انوثيّة الملائكة في صحائف أعمالهم بـالكذب عـلى الله بمـقالتهم: إنّ الملائكة بنات الله سبحانه، وهم يسئلون عنها يوم القيامة أن يأتوا ببرهان على حـقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلاً، ويحاسبون عليها حساباً عسيراً.

۲۰ ـ (وقالوا لو شاء الرّحمن ما عبدناهم ما لهم بـذلك مـن عـلم إن هـم إلّا يخرصون)

وقال هؤلاء المشركون الّذين يعبدون الملائكة معتقدين بأنّهم إناث، بنات الله: لو شآء الرّحمن عدم عبادتنا للملائكة مشيّة ارتضاءٍ ما عبدناهم، إذ يحول بيننا وبين عباد تناهم، فإنّه عالم بذلك، وهو قد أقرّنا عليه، وهذا يزيّن الضّلال لأهله سوء أعمالهم، فيرونها حسنة، وفي هذا قال الله تعالى على لسان أهل الضّلال: «لو شآء الله ما أشركنا ولا آبآئنا ولا حرّمنا من شيء ـ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتّبعون إلّا الظنّ وإن أنتم إلّا تخرصون» الأنعام: ١٤٨).

وقال تعالى: «وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبائنا والله أمرنا بها قل إنّ الله لا يأمر بالفحشآء أتقولون على الله ما لا تعلمون» الأعراف: ٢٨).

أرادوا بذلك بيان أنّ ما فعلوه حقّ مرضيّ عند الله سبحانه، وأنّهم إنّما يفعلونه بمشيّته، فلا اعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه، فردّ الله عزّ وجلّ بقوله: «ما لهم بذلك من علم» بـالحسّ والعيان، ولا بالعقل والبرهان، فيشهدون على ذلك ويحصل لهم علم ما، يستندون إليـه في تأييد دعواهم، بل عبدوهم بلا دليل ولا بيّنة، وإنّما هو قائم على الرّأي والهـوى، والوهـم والتّخمين وتقليد الآبآء والأسلاف ...

ما هم في ذلك كلّه إلّا كاذبون فيما قالوا، متمحّلون تمحّلاً باطلاً، متقوّلون على الله سبحانه ما لم يقله. ومن يبني معتقده ويقيم دينه على مثل تلك الأوهام والظّنون لا يصل إلى حقّ أبداً.

قال الله تعالى: «وما يتّبع الّذين يدعون من دون الله شركآء إن يتّبعون إلّا الظّنّ وإن هم إلّا يخرصون» يونس: ٦٦).

وقال: «قُتِلَ الخرّاصون الّذين هم في غمرة ساهون» الذّاريات: ١٠ ـ ١١).

۲۱ ـ (أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون)

أهذا الاعتقاد بأنّ لله جزءاً وهو ولده، وأنّ الملائكة إناث، بنات الله، وأنّ الرّحمن شآء أن

يعبدوا الملائكة اعتقاد يخرصونه من دون دليل علميّ ولا برهان عقليّ؟ أم آتيناهم كتاباً قبل هذا القرآن، يدلّ على اعتقادهم هذا، فهم مستمسكون بهـذا الكـتاب ويـدينون بمـا فـيه ويحتجّون به عليك؟

كلّا! ليس عندهم بما يقولون علم ذاتيّ و لا برهان عقليّ، ولا حجّة لهم بالحسّ والعيان اهتدوا إلى هذا الاعتقاد السّخيف الباطل، وما آتيناهم كتاباً قبل هذا القرآن يتلوه عـليهم رسول ربّ العالمين ويدعوهم إلى هذا الاعتقاد.

وإنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «قل أرأيتم ما تدعون مـن دون الله أروني مـاذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السّموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين» الأحقاف: ٤) وقوله: «قل أرأيتم شركاءكم الّذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السّموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنة منه» فاطر: ٤٠) وقوله: «أتجادلونني في أسمآءٍ سمّيتموها أنتم وآبآؤكم ما نزّل الله بها من سلطان» الأعراف: ٧١) وقوله: «إن هي إلّا أسماء سمّيتموها أنتم وآبآؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتّبعون إلّا الظّنّ وما تهوى الأنفس» النّجم: ٢٣) وقوله: «ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكّرون أم لكم سـلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين» الصّافّات: ١٥٤ ـ ١٥٧) وقوله: «وما آتيناهم مـن كـتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» سبأ: ٤٤).

فإذن من أين جآءهم هذا الشرك؟ الجواب:

## ٢٢ ـ (بل قالوا إنّا وجدنا آبآئنا على أُمّة وإنّا على آثارهم مهتدون)

ليس الأمر على ما قاله هؤلاءِ المشركون الّذين جعلوا لله سـبحانه جـزءاً وهـو ولده، وجعلوا الملائكة إناثاً بنات الله وعبدوها، وقالوا: ما عبدنا الملائكة إلّا بمشيّة الله بدون دليل عقليّ ولا نقليّ، بل لمّا لزمتهم الحجّة اعترفوا بأن لا منطق لهم عقلاً ولا نقلاً، ولا من الحسّ والعيان، ورجعوا إلى التقليد الأعمى، وأحالوا الجميع عقيدتهم على التّقليد من الآبآءِ الجهلة مثلهم فحسب، دون الحجّة والبرهان، ولا الدّليل والكـتاب، وقـالوا: إنّـا وجـدنا آبـآئنا الأقدمين على طريقة مستمرّة تقصد، وإنّا على آثار آبآئنا مهتدون إلى الحقّ، فنهتدي بهداهم

وسيرتهم فيها.

قال الله تعالى: «وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آبآئنا أولو كان آبآؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون» البقرة: ۱۷۰) وقال: «واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل اللّه وإلى الرّسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا أو لو كان آبائهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون» المائدة: ۱۰٤).

وقال: «فلا تكُ في مرية ممّا يعبد هؤلاء ما يعبدون إلّاكما يعبد آبآؤكم من قبل» هود: ۱۰۹) فالحامل لهم على ما يجنحون إليه إنّما هو التّقليد عن الآبآءِ والأسلاف ... فهم متشبّثون بتقليد محض فحسب، إذ ليس لهم مستند سوى التّقليد، ويقولون: إنّ آبآئنا أرجح منّا أحلاماً وأصحّ أفهاماً، ونحن سائرون على طريقتهم وسالكون نهجهم، ولم نأت بشيء من عند أنفسنا ولم نغلط في الاتباع واقتفاءِ الآثار كما قال قيس بن الخطيم:

كنّا على أمّة آبآئنا ويقتدي بالأوّل الآخرُ

وهذه في الحقيقة حجّة الغافلين من الأمم في كلّ ظرف من الظّروف، فمجرّد أنّ الآباء كانوا على سنّة باطلة وطريقة خاطئة لا يبرر تقليد الآبآء لهم دون حجّة ولا برهان، وإنّما الإنسان ابن الدّليل أيّاًكان ومن أيّ كان، مهماكان ابن أبيه في الولادة، إنّ الآبآءِ كالأبنآء هم كانوا يوماً أبنآءً، فلأيّ مبرّر يقلّدون إذاً ألكونهم فقط آبآءً، فهل ولدوا إلّا الأبناء؟ أم ولدوا مع الأبنآء حججاً تقنع الابنآء كذلك؟! فما بالهم قد قبلوه على علاته وأخذوه دون تأمّل فيه؟!

ولعمري! إنّ المسلمين من العامّة الّذين سمّوا ـ على خلاف الواقع ـ بأهل السّنّة، وهم أهل سنّة فراعنة هذه الأمّة، وهم يقلّدون آبآئهم جيلاً بعد جيل من دون نظر ويخالفون الشّيعة بجرم اتّباعهم عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بغياً وحسداً وعناداً ولجاجاًكما خالف أوائلهم أوامر الله جلّ وعلا ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال الله عزّ وجلّ فيهم: «يا أيّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه...» المائدة: ٥٤).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه

السلام فيهم: «حتّى إذا قبض الله رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم رجـع قـوم عـلى الأعـقاب وغالتهم السّبل واتّكلوا على الولائج ووصلوا غير الرّحم وهجروا السّـبب الّـذي أُمِـروا بمودّته، ونقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، وأبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكن، أو مفارق للدّين مباين».

## ٢٣ ـ (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنّا وجدنا آبائنا على أُمّة وإنّا على آثارهم مقتدون)

ومثل ما قال هؤلآءِ المشركون العرب في الحوالة على تقليد آبآئهم في الشّرك والضّلالة، في الكفر والجهالة، وفي البغي والعداوة ... قالت الأُمم الماضية لرسلهم: «ما يقال لك إلّا ما قد قيل للرّسل من قبلك» فصّلت: ٤٣) إذ ما أرسلنا من قبلك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في قرية من القرى ولا في مجمع من مجامع النّاس من نذير يدعوهم إلى الحقّ والهدى، وينذرهم عقابنا على شركهم بنا وكفرهم برسولنا إلّا قـال مـلوكها الجـبابرة، وقـاداتهـا الطّـاغية، ورؤساؤها الباغية، وكبرآؤها وأشرافها، وزعمآؤها ووجهآؤها الّذين استغرقوا في التّرف، وأبطرتهم النّعمة، ومتنعّموها الّذين آثروا التّرفّه على طلب الحجّة ... الّـذين لا يحـبّون إلّا الشّهوات والمعافون، ويعافون مشاقّ الدّين وتكاليفه ...

قالوا مثل قول قومك المشركين العرب: إنّا وجدنا آبآئنا عـلى مـلّة ثـابتة، وإنّـا عـلى منهاجهم وطريقتهم، وعلى دينهم وأعمالهم ثابتون، فنذهب نحن إلى ما ذهبوا هم، ونسلك نحن إلى ما سلكوا هم، نفعل نحن بما فعلوا هم، ونتبعهم بما أمرونا وما نهونا عنه، ولسنا بصدد التّمييز بين الحقّ والبـاطل، بـين الصّـحّة والفسـاد، بـين الحسـن والقـبح، وبـين الفـلاح والخسران ... نقتدي بهم فلا نخالفهم ولا نتركهم ... فأحال جميعهم على محض التّقليد للآبآءِ فحسب دون الحجّة، وكانت حجّتهم الأُولى والآخرة: «إنّا وجدنا آبائنا وأسلافنا ... حلقات موصولة بعضها ببعض، تحلّق حجّتهم الدّاحضة عليهم عبر الفكرة المشركة بالله سبحانه في الطّول التأريخيّ والعرض الجغرافيّ.

فالتّشبّث بذيل التقليد الأعمى ليس ممّا يختصّ بالمشركين العرب، بل كـان ذلك دأب أسلافهم من الأمم المشركين، فالأمم في الكفر والضّلالة متشابهة ... والعلّة في ذلك: التّنعّم والبطالة، والكسل والجهالة وحبّ الاشتهار والشّهوة ... فكلّ فريق يقلّد أسلافه ... فقومك المشركون أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ليسوا ببدع في الأمم، فهم قـد سـلكوا مـنهاج سابقيهم من أهل الشّرك والجهالة في جواباتهم بما أجابوك، واحتجاجهم بمـا احـتجّوا بـه لمقامهم على نهجهم الباطل.

قال الله تعالى: «وقال الّذين أشركوا لو شآء الله ما عبدنا من دونه مـن شيء نحـن ولا آبآؤنا ولا حرّمنا من دونه من شيء كذلك فعل الّذين من قبلهم فهل على الرّسل إلّا البلاغ المبين» النّحل: ٣٥).

وقال: «وإن تكذّبوا فقد كذّب أُمم من قبلكم ومـا عـلى الرّسـول إلّا البـلاغ المـبين» العنكبوت: ١٨)

وقال: «إنّهم ألفوا آبآءهم ضالّين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين» الصّافّات: ٦٩ ـ ٧١).

وقال: «كذلك ما أتى الّذين من قبلهم من رسول إلّا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون» الذّاريات: ٥٢ ـ ٥٣).

## ٢٤ ـ (قال أولو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آبآءكم قالوا إنّا بما أُرسلتم به كافرون)

قال لهم الرّسول: أتبغون ذلك أيّها المشركون، وتتّبعون آبآءكم وتـقلّدونهم وتسـيرون على نهجهم، وتصرّون على طريقتهم حتّى ولو جئتكم من عند ربّكم بدين أهدى من دين آبائكم، وأبين إلى طريق الحقّ، وأدلّ لسبيل الرّشاد، وكان أوجب أن يتّبع، وأصلح أن يرجع إليه ممّا وجدتم عليه آبآئكم من الدّين والملّة؟

قال هؤلآء المشركون ـ مجيبين للرّسول جواب يأس وقنط ـ: إنّا ثابتون على دين آبآئنا لا ننفكّ عنه، ولو جئتنا بما هو أهدى منه، ولو كان حقّاً مبيناً، ولو علمنا صحّة ما جئتنا، نحن

لن ننقاد لك ولا نؤمن بك وبما جئتنا على كلّ حال، ولا كلام بعد هذا الكلام، إنّا كافرون بكلّ ما أُرسلتم به أنت ومَن قبلك معاشر الأنبيآء من الكتب كلّها فضلاً عن واحد منكم وعن واحد من الكتب.

هذا كلام المشركين العرب في غاية اليأس والقنط، قال مثله المترفون من الأُمم الماضية للأنبيآءِ السّابقين.

قال الله تعالى: «ألم يأتكم نبؤا الّذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم لا يعلمهم إلّا الله جآئتهم رسلهم بالبيّنات فردّوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنّا كفرنا بما أُرسلتم به وإنّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه مريب قالت رسلهم أفي الله شكّ فاطر السّموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخّركم إلى أجل مسمّى قالوا إن أنتم إلّا بشر مثلنا تريدون أن تصدّونا عمّا كان يعبد آبآؤنا» إبراهيم: ٩ ـ ١٠).

وقال: «وما أرسلنا في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنّا بما أُرسلتم به كافرون» سبأ: ٣٤).

## ٢٥ ـ (فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين)

فانتقمنا من هؤلآءِ المكذّبين للكتب السّماويّة والجاحدين للرّسل قبلك، بالعذاب الاستئصال، إذ أهلكناهم وعجّلنا عقوبتهم فى الحياة الدّنيا بالخسف والغرق والصيحة والقحط ... وفى الدّار الآخرة بعذاب النّار، فانظر أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وأيّها السّامع في كلّ ظرف من الظّروف كيف كان عاقبة المكذّبين بالكتب والرّسل فنجعلهم عبرة وعظة لغيرهم، فلا تكترث أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بتكذيب المكذّبين بك، وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين.

قال الله تعالى: «ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجآؤهم بالبيّنات فانتقمنا من الّذين أجرموا وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين» الروم: ٤٧).

وقال: «ولقد أخذنا آل فرعون بالسّنين ونقص من الثّمرات لعلّهم يذّكّرون ـ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمّ بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣٦).

وقال: «فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله إنّ الله عزيز ذو انتقام» إبراهيم: ٤٧).

وقال: «ومن أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه ثمّ أعرض عنها إنّا من المجرمين منتقمون» السجدة: ٢٢).
وقال: «فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخانٍ مبين ـ يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون» الدّخان: ١٠ ـ ١٦).

## ٢٦ ـ (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنّني برآء ممّا تعبدون)

واذكر أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لقومك المشركين العرب المتشبّثين في الشّرك والجهالة بذيل تقليد الآبآءِ والأسلاف من غير دليل ولا برهان: إبراهيم عليه السلام كيف رفض التقليد وتبرّأ من أبيه آزر ـ وهو عمّه أو جدّه لأمّه ـ وقومه المشركين حين جاءهم ورآهم عاكفين على عبادة الأصنام والكواكب ... تقليداً عن آبآئهم الجهلة مثلهم من دون حجّة، وقام بالنّظر وحده وتمسّك بالدّليل والبرهان، وقال لهم: إنّي برآء ممّا تعبدون من تلك الآلهة...

قال الله تعالى: «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتّخذ أصناماً آلهة إنّي أراك وقومك في ضلال مبين ـ وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه» الأنعام: ٧٤ ـ ٨٢).

فإذا كان المشركون العرب يريدون التمسّك بذيل تقاليد الآبآء والأسلاف، ولم يكن لهم بدّ من التّقليد، فهذا هو تقليد أبيهم الأكبر، فعليهم أن يعودوا عن ضلالهم إليه، وذلك أنّ إبراهيم عليه السلام كان أشرف آبآءِ العرب وأقدمهم، وأنّه رفض دين الآبآء لأجل الدّليل، فلو كانوا مقلّدين لآبآئهم وجب أن يتّبعوه في الاعتماد على الدّليل لا على مجرّد التّقليد.

فرفض الآلهة، وترك الطّواغيت، والبراءة من أهلها هي ملّة إبراهيم عليه السلام ومن يرغب عن ملّة إبراهيم فقد سفه نفسه.

قال الله تعالى: «قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والّذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءاؤا منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضآء أبداً حتّى تؤمنوا بالله وحده» الممتحنة: ٤).

وقال: «ما كان إبراهيم يهوديّاً ولا نصرانيّاً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النّبيّ والّذين آمنوا والله ولي

المؤمنين» آل عمران: ٦٧ ـ ٦٨).

وقال: «ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلّا من سفه نفسه» البقرة: ١٣٠).

## ٢٧ ـ (إلّا الّذي فطرني فإنّه سيهدين)

إنّني بريء من كلّ معبود سوى الله الّذي خلقني وأنشأني وربّاني وجعل فيَّ فطرة التّوحيد الّتي فيها هداية إجماليّة إلى التّوحيد: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّـاس لا يـعلمون» الزوم: ٣٠) فمـن أوجدني هكذا فهو سيهديني إلى هداية الوحي والرّسالة الّتي هي مكمّلة لفطرة التّوحيد.

قال الله تعالى حكاية عن خليله عليه السلام: «الّذي خلقني فهو يهدين» الشّعراء: ٧٨).

وقال: «قال يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجـهي للّـذي فـطر السّـموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين وحاجّه قـومه قـال أتحـاجّوني في الله وقـد هـدان» الأنعام: ٧٩ ـ ٨٠).

وقال: «إنّ إبراهيم كان أُمّة قانتاً لله حنيفاً ولم يک من المشركين شاكراً لأنعمه اجـتباه وهداه إلى صراط مستقيم» النّحل: ١٢٠ ـ ١٢١).

## ٢٨ ـ (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون)

وجعل الله تعالى كلمة التّوحيد كلمة باقية ثابتة في نسل إبراهيم عـليه السـلام إلى يـوم القيامة بما زرعها إبراهيم عليه السلام في القلوب بأمر الله تعالى، وبمـا دعـا الله جـل وعـلا: «واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام ـ فاجعل أفئدة من النّاس تهوي إليهم» إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٧).

«ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريّتنا أُمّة مسـلمة لك ـ ووصّى بهـا ابـراهـيم بـنيه ويعقوب يا بنيّ إنّ اللّه اصطفى لكم الدّين فلا تموتنّ إنّ وانتم مسلمون» البقرة : ١٢٨ ـ ١٣٢).

فعمل إبراهيم عليه السلام لله تعالى ودعا الله جلّ وعلا في بقآءِ كلمة التّوحيد، فجعلها الله كلمة باقية ثابتة في ذرّيّته ليكون فيهم أبداً من يوحّد الله عزّ وجـلّ ويـدعو إلى تـوحيده ويكون إماماً وحجّة على الخلائق ... لعلّ يرجع مَن أشرك منهم بدعآءِ من وحّده، فـالمراد

ببقآءِ الكلمة في عقبه عدم خلوّهم عن الموحّد ما داموا، فجعل الإمامة في عقبه رجـآء أن يرجع النّاس بالإمامة إلى التّوحيد لأنّها طريق إليه كما يظهر من قوله تعالى: «إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال ومن ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظّالمين» البقرة: ١٢٤).

ومن البداهة أنّ من أبرز الموحّدين من ذرّيّة إبراهيم عليه السلام أئمّة التّـوحيد وحملته الأعلون محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين، وإلى ذلك تنظر الرّوايات الّتي تفسّر الكلمة الباقية بالولاية العليا والعصمة الكبرى لا أنّها هي المعنيّة دون سواها، وإنّما هي المصداق الأجلى الحملة الإبراهيميّون لكلمة التّوحيد حيث حملوها أعرق وأعمق ممّا حملها إبراهيم عليه السلام ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر: كما أنّ المستفاد من الآيات الكريمة هنا هو التّوحيد إذ ليس بينها كلمة التّوحيد حتّى يرجع إليهـا ضمير «ها» في «جعلها» كذلك المستفاد منها هو الإمامة، وإن لم تكن بينها لفظة الولاية حتّى يرجع إليها ضمير «ها» في «جعلها» مع أنّ الإمامة شرط التّوحيد وطريق إلى مـعرفة الله جلّ وعلا كما أنّ بها كمال الإسلام وإتمام النّعمة وتبليغ الرّسالة: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ـ٦٧).

أكان إسلام إبراهيم عليه السلام: «إذ قـال له ربّـه أسـلم قـال أسـلمت لربّ العـالمين» البـقرة: ١٣١) غير إسلام محمّد رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسـلّم: «وأُمـرت أن أكـون مـن المسلمين» يونس: ٧٢) حتّى لا يحتاج في كماله إلى الولاية؟؟؟!!!

ومَن في عقبه الموحّدون درجات أعلاهم أئمّة التّوحيد الأعلون محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأوصيآؤه المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين، وقد التمس إبراهـيم عـليه السلام لعقبه الإمامة فاستجيب لغير الظّالمين: «قال إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال ومن ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظّالمين» البقرة: ١٢٤) حيث إنّ فاقد الشّيء لا يكون معطيه، فـالمتلبّس بالظّلم وهو الشّرك ـ إنّ الشّرك لظلم عظيم ـ ولو آناً ما لا يليق أن يكون إمام التّوحيد الّذي هو حصن يحتاج إلى حصين أمين لا خطأ ولا زَلَلَ فيه ولو آناً ما حتّى يقدر على حفظه من عداوة الشّرك، فالتّوحيد من دون الإمامة كالحصن من غير حصين.

ولا يبعد أن تعني روايات الولاية ـ كما قيل ـ أنّ «ها» في «جعلها» عائدة على الهداية الإبراهيميّة و«فإنّه سيهدين» الضّاربة إلى المستقبل تعني هداية الولاية والإمامة الإبراهيميّة، بعد هدايته قبلها بالوحي: «الّذي خلقني فهو يهدين» فتلك الهداية المستقبلة باقية في عقبه في مثلث:

١ ـ من هدى موسى وعيسى الّتي علّها كهدى إبراهيم وإمامته.

٢ ـ من هدى من دونهم من الأنبيآءِ الإبراهيميّين كأنبياءِ بني إسرآئيل وإسرآئيل نفسه وأضرابه.

٣ ـ من هدى مَن فوقهم كلّهم وإمامته، كالهدى المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم الثّابتة في أهل بيت هذه الرّسالة السّامية إلى يوم القيامة.

فـ «عقبه» يشمل العقب العامّ: كلّ من يأتي بعد إبراهيم عليه السلام من المكلّفين حيث لا يخلون من كلمة التّوحيد إلى يوم القيامة، ثمّ العقب الخاصّ: ذرّيّته من موحّدين ومشركين، ثمّ الأخصّ: الأنبيآء الإبراهيميّون من إسمعيل وإسحق، ثمّ أخصّ الخاصّ: محمّد رسول الله وآله المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين، و«لعلّهم يرجعون» يخصّ العقب الأوّل والثّاني.

وعلى أيّ التقديرين فهذا وذاك من التأويل والتّفسير بأعلى المصاديق وأجلاها دون مُنعة لسعة الكلمة كلّ موحّد من نسل إبراهيم إلى يوم الدّين، و«لعلّهم يرجعون» في ترجّي رجوعهم إلى كلمة التّوحيد تؤيّد الشّمول، فإنّ أئمّة التّوحيد هؤلآء لم يسبق لهم شرك حتّى يرجعوا عنه إلى توحيد، فلعلّ «هم» في «لعلّهم» يخصّ المشركين ممّن في عقبه وسواهم، وإن كان الصّدر «في عقبه» يزهر كأعلى مصداق في صدور المعصومين منهم وبينهما متوسّطون.

## ٢٩ ـ (بل متّعت هؤلآء وآبآءهم حتّى جآءهم الحقّ ورسول مبين)

ولكنّي متّعت أيّها الرّسول هؤلآءِ المشركين العرب من قومك وآبآئهم من قبل، بأنفسهم وأموالهم وأنواع النّعم من زهرة الحياة الدّنيا حتّى طال عليهم العمر لنفتنهم، فاغترّوا بالمهلة وشغلوا باتّباع الشّهوات عن التّوحيد والعمل بموجبه، ولم أُعاجلهم بالعقوبة لشركهم وطغيانهم وكفرهم وعصيانهم حتّى جآءهم القرآن الكريم، ورسول مظهر لهم الأُصول

الاعتقادية والأحكام الشّرعية ويبيّن لهم ما فيه خيرهم وصلاحهم، وفلاحهم وكمالهم، وسعادتهم في آخرتهم وأُولاهم ... لئلّا يكون لهم على الله حجّة بعد الرّسول.

قال الله تعالى: «بل متّعنا هؤلآء وآبآءهم حتّى طال عليهم العمر» الأنبيآء: ٤٤).

وقال: «ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدّنيا لنفتنهم فيه» طه: ١٣١).

وقال: «وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون ـ وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيّن لهم الّذين اختلفوا فيه» النّحل: ٤٤ و ٦٤).

## ۳۰ ـ (ولمّا جآءهم الحقّ قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون)

ولمّا جآء هؤلآء المشركين العرب هذا القرآن الكريم والرّسول المبين صلّى الله عليه وآله وسلّم من الله تعالى بما معه من الآيات والمعجزات لينبّههم عن جهلهم عن جهلهم، وعن غفلتهم عن غفلتهم، وينبّههم عن عنادهم ومكابرتهم، وعن لجاجهم وغباوتهم ... لم ينظروا في الحقّ ولم يقفوا عنده بل بادروا بالإعراض عنه والتكذيب له، وتحديد موقفهم به وأظهروا جهلهم وعنادهم وقالوا: إنّ ما جآئنا به سحر ـ تمويه وحيلة خفيّة ـ يسحرنا به، وليس بوحي ولا معجزة ولا محمّد برسول من عند الله، وإنّا بقرآن محمّد، ومحمّد قرآن جاحدون لكونهما من قِبل الله، حيث إنّ التكذيب بقرآن محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هو نفس التكذيب بمحمّد القرآن. وهكذا تعكس الحقائق في كلّ ظرف من الظّروف منذ آدم إلى يوم الدّين.

قال الله تعالى: «وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قالوا ما هذا إلّا رجل يريد أن يصدّكم عمّا كان يعبد آبآؤكم وقالوا ما هذا إلّا إفك مفترى وقال الّذين كفروا للحقّ لمّا جآءهم إن هذا إلّا سحر مبين» سبأ: ٤٣).

وقال: «ويجادل الّذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحقّ واتّخذوا آياتي وما أُنذروا هزواً ـ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً» الكهف: ٥٦ ـ ٥٧).

وقال: «ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الّذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين ـ وكذّب به قومك وهو الحقّ قل لست عليكم بوكيل لكلّ نبإٍ مستقرّ وسوف

تعلمون» الأنعام: ٧ و ٦٦ ـ ٥٧).

وقال: «وعجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب» ص: ٤).

## ٣١ ـ (وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)

وقال هؤلآء المشركون المترفون العرب من قومك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ متنزّلين عن إنكارهم الحقّ إطلاقاً، وعن مقالتهم: إنّه سحر، وعن كفرهم به إطلاقاً ـ متحكّمين بالباطل زادين شرارة على شرارتهم، ضامّين شركهم بمعاندة الحقّ والاستخفاف به وتحقير الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وتعليلاً عليلاً لتكذيبهم السّابق بالقرآن وكونه سحراً وكفرهم به: إن كان هذا القرآن حقّاً نزل من عند الله فهلّا نزل على رجل عظيم من عظمآء أهل إحدى القريتين: الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم عمّ أبي جهل، ريحانة قريش، عظيم بمكّة، أو عروة بن مسعود الثّقفيّ، عظيم بالطّائف؟

وإنّما قالوا ذلك لأنّ الرّجلين كانا عظيمي قومهما، وذوي الأموال الجسيمة فيهما، فدخلت الشّبهة عليهم حتّى اعتقدوا: أنّ من كان كذلك فقد كان أولى بالنّبوّة، هذا رأي زعمآء المشركين العرب كما تشبّث فرعون بالمال والجاه وزهرة الحياة الدّنيا في قوله: «أليس لي ملك مصر ـ فلولا ألق عليه أسورة من ذهب» الزخرف: ٥١ ـ ٥٣) فكان يرى أنّ النّبوّة إنّما تكون لمن أعطى الملك وزهرة الحياة الدّنيا، ففرعون وملائه، والمترفون من المشركين العرب كلّهم كانوا يعتبرون مقياس العظمة، ويجعلون ملاكها الجاه العريض والمال الكثير، وهذا رأى الّذين يكونون عبيد الدّنيا وفي خدمتها، وهم أدنى من نفس الدّنيا الدّنيئة في كلّ ظرف من الظّروف ... حيث إنّ الفضيلة والكرامة عندهم في المال والجاه الدّنيوي فحسب.

ومقياس العظمة عند الله عزّ وجلّ وعند العقلآء هو عظمة النفس وسموّ الرّوح مع الايمان والتّقوى والعقل والعلم، ومن أعظم نفساً وأسمى روحاً ... من محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ ولو كان غيره لاختاره الله عزّ وجلّ دونه «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤).

نعم! إنّ فرعون وزعمآء المشركين العرب لم يكونوا أهل معنى، ولا حظّ لهم إلّا من

الصّورة، فلم يتصوّروا في رسول الله: موسى عليه السلام ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم شيئاً يعظّمونه به إذ لا مال له ولا حشمة ولا جاه عندهم... ولكن عظم في أعين المشركين المترفين الوليد بن المغيرة وأضرابه لمكان حشمتهم وماهم وخدمهم؛ فمحمّد ليس بنبيّ في منطق الجبابرة المترفين إذ لا يملك مالاً كثيراً ولا جاهاً عريضاً، ولا تكون النّبوّة إلّا لعظمآء المظاهر والألقاب كالوليد بمكّة وعروة بالطّائف، فأحدهما يجب أن يكون نبيّاً وينزل عليه القرآن! ولذلك استخفّوا برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقالوا ما لا يناسب حاله من اصطفآء الله تعالى إيّاه وكرامته عنده: «لولا أنزل عليه كنز» هود: ۱۲) ولم يعلموا أنّ الرّسالة منصب عظيم، ومنزلة شريفة إلهيّة ورتبة روحانيّة تستدعي عظيم النّفس بالتحلّي بالفضآئل والكمالات القدسيّة لا التزخرف بالزّخارف الدّنيويّة الواهية الزائلة...

**۳۲ ـ (أهم يقسمون رحمت ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت ربّك خير ممّا يجمعون)**

أهؤلآء المشركون المترفون القآئلون: لولا نزّل هذا القرآن على رجل عظيم من أهل مكّة أو الطّآئف أهم ـ مع ضعف عقولهم ورأيهم، وغاية عجزهم وقصورهم، ونهاية جهلهم وسفههم ـ يقسمون بين زعمآءهم رحمة ربّك الخاصّة أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وهي الرّسالة وما يتبعها من وحي وكتاب ينزل، فيضعونها حيث شآؤا ويجعلونها حيثما أرادوا، ويصطفون من يشآؤن للنّبوّة الّتي لا يصلح لها إلّا من كان رفيع الدّرجات ذا فضائل قدسيّة وكمالات خلقيّة أم الله جلّ وعلا يختصّ بها من يشآء من عباده فإنّ أمر النّبوّة والإمامة ـ كأمر الخلق ـ بيد الله تعالى ليس لأحد حتّى الأنبيآء والمرسلين فيها خيرة.

قال الله تعالى: «والله يختصّ برحمته من يشآء ـ إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال ومن ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظّالمين» البقرة: ۱۰۵ و ۱۲٤).

وقال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ۱۲٤).

وقال: «وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات» الأنبياء: ۷۳).

وقال: «وربّك يخلق ما يشآء ويختار ما كان لهم الخيرة» القصص: ٦٨).

وقال: «إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدّار وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» ص: ٤٦ـ ٤٧).

وقال: «ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلآء مـبين» الدّخان: ٣٢ـ ٣٣).

**وقوله تعالى:** «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا» كما قسمنا صورهم وألسنتهم وأخلاقهم وطبآئعهم... فرزقهم إطلاقاً ـ كغيرهم من الدّوابّ ـ بيد الله تعالى وحده يعطي ما يشآء لمن يشآء.

فإذا لم يليقوا أن يفوّض أمر الدّنيا يُعطى الخلق من دون أن يكون الإعطآء على أساس اللياقة، فكيف يفوّض إليهم أمر الدّين ـ النّبوّة والإمامة ـ لا يعطى إلّا من كان لائقاً له؟!

إنّ الله تعالى يرزق المؤمن والكافر، البرّ والفاجر، العالم والجاهل، والمطيع والعاصي... وهو أعلم بمصالح خلقه، فيدبّر بعلمه...

قال الله عزّ وجلّ: «قل من يرزقكم من السّموات والأرض ـ قل إنّ ربّي يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» سبأ: ٢٤ و ٣٦).

وقال: «وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين» هود: ٦).

وقال: «إنّ الّذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً ـ وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإيّاكم وهو السّميع العليم» العنكبوت: ١٧ و ٦٠).

وقال: «له مقاليد السّموات والأرض يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر إنّه بكلّ شيء عليم» الشّورى: ١٢).

وقال: «وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وإن من شيء إلّا عندنا خزآئنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم» الحجر: ٢٠ـ ٢١).

وقال: «أمّن هذا الّذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجّوا في عتوّ ونفور» الملك: ٢١).

**وقوله عزّ وجلّ:** «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» في الرّزق وسآئر مبادئ المعاش لنبلوهم بهذا التفاوت والدّرجات...

وليس هذا التّفاوت والدّرجات في عالم التكوين حيث إنّ الجانب الأيمن وأعضآئه أقوى من الجانب الأيسر وأعضآئه، ولا في المعيشة الدّنيوية والأُمور المادّية فحسب، بل وهذا ثابت في عالم التّشريع وفي الرّسالات الرّوحيّة والأُمور المعنويّة ...

ومن البداهة أنّ الأشيآء كلّها متساوية غير متفاوتة من حيث إنّها مصنوعة بحكمة صانع واحد حكيم: «ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوت» الملك: ٣) وأمّا في الصّور والسّير، في الخواصّ والآثار، في العقول والأفكار، في الألسن والألوان، وفي الطبآئع والأميال ... فمختلفة حسب مقتضيات الظروف والأزمان ...

قال الله تعالى: «وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بمآء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون» الرّعد: ٤).

ثمّ لا شيء من أفراد نوع واحد أكثر اختلافاً وتفاوتاً ودرجة من أفراد البشر كما قال جلّ وعلا: «وقد خلقكم أطواراً» نوح: ١٤) «والله فضّل بعضكم على بعض في الرّزق فما الّذين فضّلوا برادّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سوآء» النّحل: ٧١) «انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ـ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطّيّبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً» الإسراء: ٢١ و ٧٠) «ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض ـ الرّجال قوّامون على النّسآء بما فضّل الله بعضهم على بعض» النّسآء: ٣٢ و ٣٤) «وهو الّذي جعلكم خلآئف الأرض رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم» الأنعام: ١٦٥) «تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات...» البقرة: ٢٥٣). هذا وإنّ الحكمة الإلهيّة ومصالح العباد مقتضية لإختلاف النّاس في الحياة الدّنيا لأنّ الإنسان لمّا كان غير مكفي بتفرّده لأن يعيش حتّى لو أنّ إنساناً حصل وحده لامتنع أو تعذّر بقآؤه أدنى مدّة، فإنّ أوّل ما يحتاج إليه ما يغذوه وما يواريه، وليس يجد ما يغذوه مطبوخاً ولا ما يواريه مصنوعاً كما يكون لكثير من الحيوانات ... بل هو مضطرّ إلى إصلاحها، وإصلاح شيء منها يحوجه إلى آلات غير مفروغ عنها، والإنسان الواحد لا توصل له إلى إعداد جميع ما يحتاج لتعيش به المعيشة الحميدة

اللائقة بشأنه، فلم يكن بدّاً للنّاس ممّن يشارك ويعاون، فجعل لكلّ قـوم صـنعة وهـيئة مفارقة للصنعة الأُخرى وهيئاتها، فقسمت الصّناعات بينهم: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا».

فيتولّى كلّ صُنعاً من الصّناعات والحِرَف والأعمال ... فيتعاطاه باهتزاز كما قال تعالى: «فتقطّعوا أمرهم بينهم زبراً كلّ حزب بما لديهـم فرحـون» المؤمنون: ٥٣) فـاقتضى ذلك أن يختلف جثّثهم وقواهـم وهـممهم وأغـراضهـم وطـبآئعهم وأمـيالهم ... حسب اخـتلاف الظّروف ... ليكون كلّ ميسّراً لما خلق له، وقال: «كلّ يعمل على شاكلته» الإسراء: ٨٤) فتكون معايشهم مقتسمة بينهم: «ولقد مكنّاكم في الأرض وجعلنالكم فيها معايش» الأعراف: ١٠).

ولو كان النّاس على حدّ سوآء في المواهب والمعطيات ... لاختلّ النّظام الإنساني وبغوا في الأرض وهلكوا كلّهم إذ كان يريد كلّ واحد منهم ما يريد غيره لتساويهم فيها، فما كان هناك خادم ومخدوم، ولا رئيس ومرؤس، ولا عامل وصاحب عمل، ولا خبّاز ونجّار، ولا بقّال وبنّآء، ولا تاجر وزارع، ولا سوقيّ ولا بدويّ ...

قال الله تعالى: «ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشآء إنّه بعباده خبير بصير» الشّورى: ٢٧).

**وقوله جلّ وعلا:** «ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً» ليستخدم بعضهم بعضاً مسخّراً لهم في العمل، وما به قوام المعاش والوصول إلى المنافع لا لكمال في الموسّع عليه ولا لنقص في المقتّر عليه، بل لحاجة التضامّ والتّآلف الّتي بها ينتظم شملهم، وأمّـا النّـفحات الرّبّـانيّة والعـلوم اللدنيّة فليست ممّا يستدعي سعة ويساراً لأنّها اختصاص إلهيّ، وفـيض ربّـانيّ، ولطـف رحمانيّ يمنّ به على أنفس مستعدّية وأرواح قابلية حسب درجاتها ...

فالغنيّ يستخدم الفقير، والرّئيس يستخدم المرؤس، والقويّ يستخدم الضّعيف، والحرّ يستخدم العبد، والعاقل يستخدم من هو دونه في العقل، والعالم يستخدم الجاهل .. وبه تتمّ مصالحهم، وينتظم معاشهم، ويصل كلّ واحد منهم إلى مطلوبه، فإنّ كلّ صـناعة دنـيويّة يحسنها قوم دون آخرين، فجعل البعض محتاجاً إلى بعض لتحصل المواساة بينهم في مـتاع الدّنيا، ويحتاج هذا إلى ذاك، ويصنع هذا لذاك، ويعطي هذا ذلك، فيكون بعضهم سبباً لمعاش

بعض، مع ما في ذلك كلّه من الابتلآء والاختبار.

قال الله عزّ وجلّ: «وكذلك فتنّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلآء منَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشّاكرين ـ وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين» الأنعام: ٥٣ ـ ٥٥) وقال: «وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربّك بصيراً» الفرقان: ٢٠).

**في تفسير القمّيّ:** قال في قوله تعالى: «ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً ...»: «فهذا من أعظم دلالة على التّوحيد لأنّه خالف بين هيئآتهم وتشابههم وإرادتهم وأهوآئهم ليستعين بعضهم على بعض لأنّ أحداً لا يقوم بنفسه لنفسه، والملوك والخلفآء لا يستغنون عن النّاس، وبهذا قامت الدّنيا، والخلق المأمورون المنهيّون المكلّفون، ولو احتاج كلّ إنسان أن يكون بنّاءً لنفسه وخيّاطاً لنفسه، وحجّاماً لنفسه، وجميع الصّناعات الّتي يحتاج إليها لما قام العالم طرفة عين لأنّه لو طلب كلّ إنسان العلم ما قامت الدّنيا، ولكنّه عزّ وجلّ خالف بينهم وبين هيئاتهم وذلك من أعظم الدّلالة على التّوحيد».

**وقوله عزّ وجلّ:** «ورحمت ربّك خير ممّا يجمعون» ورحمة ربّك أيّها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وفضله بالرّسالة الإلهيّة وما يتبعها من وحي سماويّ وكتاب ينزل إليك خير من كلّ ما يجمعه هؤلآء الزّعمآء المشركون العرب المترفون وأضرابهم في كلّ ظرف ... من الأموال والبنين، ومن الجاه والعَدَد والعُدَد ... حيث إنّ الرّسالات الإلهيّة وخاصّة خاتمتها الّتي معها المعجزة الخالدة وهو القرآن الكريم فيه تبيان كلّ شيء، هي خير مطلق نسبياً إلى الخيرات كلّها، فيختار جلّ وعلا لها من يناسبها وتناسبه، من يحتضنها وتحتضنه، من يعمل بها ويبلّغها كما هو أحرى: «الّذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله» الأحزاب: ٣٩).

فلا صلة بينها وبين عرض هذا الأدنى؛ لأنّ الدّنيا بزخارفها تنافر الرّسالات وتعارضها، حيث إنّ الرّسالات تريد أن تستخدم الدّنيا وما فيها للإنسان، وأن تستخدم الإنسان لنفسها، وإنّ الدّنيا تريد ان تستخدم الرّسالات الإلهيّة للانسان، وان تستخدم الانسان لنفسها، ولذلك يرى أنّ الحكّام والأُمرآء والأثريآء الظلمة والمترفين يكون في خدمة الدّنيا، ويسعون أن تكون الرّسالات في خدمتهم ... هذا هو فرعون

وملكة سبأ وزعمآء الشّرك العرب وأضرابهم في كلّ ظرف من الظّـروف هكـذا يـريدون: «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ أليس لي مـلك مـصر وهـذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الّذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا اُلقي عليه أسورة من ذهب» الزخرف: ٣١ و ٥١ ـ ٥٣) «وإنّي مرسلة إليهـم بهـديّة فـناظرة بم يرجع المرسلون فلمّا جآء سليمان قال أتمدّونن بمالٍ فما آتاني الله خير ممّا آتاكم بل أنتم بهديّتكم تفرحون» النّمل: ٣٥ ـ ٣٦).

حيث إنّ ملاك كرامة الإنسان ومقياسها عندهم هو الدّنيا وزخارفها، فليكن الإنسان في خدمتها، ويكون الدّين في خدمته، وإنّ معيار فضيلة الإنسان عند الله جلّ وعلا هو الدّين والعمل به، فليكن الإنسان في خدمته، لتكن الدّنيا في خدمة الإنسان.

قال الله عزّ وجلّ: «يا أيّها النّاس قد جائتكم موعظة من ربّكم وشفآء لما في الصّـدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هـو خـير ممّـا يجـمعون» يونس: ٥٧ ـ ٥٨).

## ٣٣ ـ (ولولا أن يكون النّاس أُمّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبـيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون)

ولولا أن تعتقد جهلة النّاس ـ وهم أكثرهم في كلّ ظرف ـ أنّ إعطآئنا زخارف الدّنـيا للكفّار والمستكبرين وللفجّار والمجرمين دليل على محبّتنا لمن أعطيناه، فيجتمعوا على الكفر ويرغبوا فيه إذا رأوا سعة الرّزق عندهم، وتنعّمهم بأنواع النّـعم الدّنـيوية، لحـبّهم الدّنـيا وزخارفها لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة، مجهّزة بدرجات ومصاعد من فضّة، بأن تكون بيوتهم مطبّقة بطبقات عديدة، سقوف كلّها من فضّة، ولكلّ طبقة فوقانيّة مدرج من فضّة يعلون بها على فوقها، أو مصاعد كهربائيّة أو غيرها من فضّة يـعلون بهـا ويرتقون منها على ما يريدون من طبقات بيوتهم ...

وإنّ الدّنيا وحقارتها وهوانها وقلّة خطرها ودنائة أهلها عندنا بحيث كنّا نجعل بـيوت الكفرة الفجرة ودَرَجها ومصاعدها فضّة لولا غلبة حبّ الدّنيا على أكثر النّاس، فـيحمل

ذلك أن يجتمعوا على الكفر، ولكنّا لا نفعل ذلك إذ فيه مفاسد وبلايا وفتن ...

وذلك أنّ الله عزّ وجلّ أراد لعباده الخير، فعافاهم من تلك المفاسد والبلايا، ودفع عنهم تلك الفتن، فجعل متاع الدنيا قسمة بينهم ينال منه الكافر والمؤمن على السّوآء، كلّ حسب ما قدّر له دون أن تكون الدّنيا وزخارفها من حظّ المؤمنين وحدهم، ولا حظّ الكافرين وحدهم إذ لا حساب للإيمان أو الكفر فيما يساق إلى النّاس من متاع الدّنيا لأنّ هذا المتاع ـ مهما كثر ـ لا يكون مقياساً يقوم عليه ميزان الإيمان أو الكفر.

وهذا هو معنى رحمانيّة الله تعالى الّتي وسعت كلّ شيء على أنّه مخلوق: مؤمناً ومخلصاً كان أو كافراً ومنافقاً، صالحاً ومطيعاً أو فاسداً وعاصياً ... من دون نظر إلى عمله، كما أنّ رحيميّة الله عزّ وجلّ تختصّ بمن آمن واتّقى، وأمّا الأولى في الحياة الدّنيا لحقارتها وحقارة أهلها عند الله تعالى، وأمّا الثانية ففي الدّار الآخرة لشرافتها وشرافة أهلها، فالمؤمن والكافر مشتركان في تنعّمها بالنّعم الدّنيويّة لأنّهما وجودان مخلوقان يعيشان في الدّنيا، فيتنعّمان بنعيمها على أساس الوجود والذّات، لا على أساس العمل والصّفة، وأمّا النّعم الأخرويّة فهي على أساس الفعل والصّفة، فمن اتّصف بصفة الإيمان والتّقوى وصالح العمل فهو متنعّم بنعيمها وإلّا فهو محروم عنها أبداً.

قال الله تعالى: «ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للّذين يتّقون ويؤتون الزّكاة والّذين هم بآياتنا يؤمنون الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ ـ واتّبعوا النّور الّذي أنزل معه أولئك هم المفلحون» الأعراف: ١٥٦ـ١٥٧).

وقال: «تلك الجنّة الّتي نورث من عبادنا من كان تقيّاً ـ يوم نحشر المتّقين إلى الرّحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنّم ورداً» مريم ـ ٦٣ و ٨٥ـ٨٦).

نعم! لو أنّ النّاس كلّهم آمنوا واتّقوا لفتح الله جلّ وعلا عليهم بركات من السّماءِ والأرض من دون تلك المفاسد والبلايا والفتن ...

قال الله تعالى: «ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السّماءِ والأرض» الأعراف: ٩٦) فالدّنيا خير للإنسان ما دامت في خدمته، وهو في خدمة الدّين، وإلّا كانت شرّاً ورأس كلّ خطيئة. وقال: «ولو أنّ أهل الكتاب آمنوا واتّقوا ـ لأكلوا من فوقهم

ومن تحت أرجلهم» المائدة: ٦٥ ـ ٦٦) ونِعم ما قيل: «ليس العجب ممّن نجـى كـيف نجـى، إنّ العجب ممّن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله تعالى وكثرة الدّلآئل...».

## ٣٤ ـ (ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكؤن)

وجعلنا لبيوت الكافرين أبواباً من فضّة كما تناسب ذوات السّقف الفضّيّة، وجعلنا لهم في تلك البيوت الفضّيّة كلّها: سقفها وأبوابها، وطبعاً حيطانها، سرراً من فضّة عليها يتّكؤون كما تناسب تلك البيوت، فيسمرون فوقها.

## ٣٥ ـ (وزخرفاً وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدّنيا والآخرة عند ربّك للمتّقين)

ولجعلنا بيوت الكافرين مذهّبة بأنواع الذّهب، وليس جميع ذلك إلّا متاع الحياة الدّنيا لا تقدر به قيم النّفوس الإنسانيّة، فكيف يقولون: «لولا نـزّل هـذا القـرآن عـلى رجـل ...» والعظمة المادّيّة والشّوكة الواهية، والبيوت الّتي تكون فضّيّة باطنها، وذهبيّة ظـاهرها، لا علاقة لها بالمناصب الرّسالة الإلهيّة كما أنّهم يقيمونها بها «وقالوا لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب ـ أو يكون لك بـيت مـن زخـرف» الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣).

ليس كلّ ذلك إلّا متاع الحياة الدّنيا يتمتّع به فيها قليلاً ثمّ ينقطع ويزول ويفنى.

قال الله تعالى: «زُيّن للنّاس حبّ الشّهوات من النّسآء والبنين والقناطير المقنطرة مـن الذّهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدّنيا» آل عمران: ١٤).

وقال: «ومن كفر فأُمتّعه قليلاً ثمّ اضطرّه إلى عذاب النّار وبئس المصير» البقرة: ١٢٦).

فلولا كراهة اجتماع النّاس على الكفر من إعطآء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك لقلّة مقدار الدّنيا عندنا، وعدم حظّه في الآخرة من النّعيم، كما لم نوسّع على المؤمنين كـلّهم وحـدهم، لتكون رغبة النّاس في الإيمان لمحض الإخلاص لا لأجل الدّنيا ومتاعها، مع أنّ زخـارف الدّنيا تحجب أكثر العقول عن عالم الرّوحانيّة والرّقي العقلي، وقلّ من يتخلّص من شرك هذه الآفات ... فالزّخارف إطلاقاً للعقول والأفكـار والقـلوب والنّـفوس أشـبه بـالقاذورات

بالنسبة للأجسام، وكما أنّ الأجسام القذرة يحوم حولها الذّباب، فيلق فيها بعوضة لتفرخ في القروح والعيون، ويخرج ذباب من يعيش من تلك القاذورات، فتكون آلام وآلام ... هكذا النّفوس الضّعيفة تعشعش فيها النّفوس المماثلة لها من عالم الشّياطين، وتلقى إليها بذور الفساد، فتزرع في تلك العقول والأفكار وتحصدها النّفوس خزياً وعاراً في الدّنيا والآخرة.

قال الله تعالى: «وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ـ ولتصغى إليه أفئدة الّذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون» الأنعام: ١١٢ ـ ١١٣).

وقوله تعالى: «والآخرة عند ربّك للمتّقين» والجنّة ونعيمها الباقية عند ربّك للمتّقين خاصّة خير من الدّنيا الفانية وزخارفها الزّآئلة. وبهذا تبيّن أنّ العظيم من يستحقّ العظمة في الآخرة بالايمان والتّقوى وصالح الأعمال لا في الدّنيا.

قال الله تعالى: «وما أُوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدّنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متّعناه متاع الحياة الدّنيا ثمّ هو يوم القيامة من المحضرين» القصص: ٦٠ ـ ٦١).

وقال: «ما عندكم ينفد وما عند الله باق» النّحل: ٩٦).

## ٣٦ ـ (ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين)

ومن يتعام ويعرض عن ذكر الرّحمن وهو القرآن الكريم، ويعرف أنّه حقّ نازل من عند الله تعالى على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويتجاهل ويتغافل عنه عالماً دينيّاً كان أو مسلماً عامياً أو منافقاً عاصياً أو كافراً طاغياً لفرط اشتغاله بكلمات المخلوق الخاطئ أو بزخارف الدّنيا واشتهارها ورئاستها ... أو لانهماكه في حظوظ الدّنيا الفانية وشهواتها الزآئلة ولذّاتها الواهية ...

وقد أُطلق الذّكر على القرآن المجيد بمواضع منه، منها:

قوله تعالى: «إنّ هو إلّا ذكر وقرآن مبين» يس: ٦٩).

وقوله عزّ وجل: «إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون» الحجر: ٩).

وقوله جلّ وعلا: «ما يأتيهم من ذكر ربّهم محدث إلّا استمعوه وهم يلعبون لاهيةً قلوبهم ـ وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون» الأنبيآء: ٢ و ٥٠).

وقوله سبحانه: «ومن أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه ثمّ أعرض عنها إنّا من المجرمين منتقمون» السّجدة: ٢٢).

وما ورد في «ذكر الرّحمن» من الرّوايات الآتية فمن باب التّأويل وهو اللبّ، فإنّ أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أهل الذّكر بلا مرآءٍ.

قال الله تعالى: «فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزّبر وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نُزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون» النحل: ٤٣ ـ ٤٤).

فمن أعرض عن الذّكر وأهله نجعل شيطاناً من شياطين الجنّ والإنس حسب حاله، قريناً له فيغويه عن الآثام والجرآئم ... من الشّرك والطّغيان، من الكفر والعصيان من اتّباع الهوى وحبّ الرّئاسة والاشتهار والجناية، والمقام والخيانة، ومن الفواحش والمعاصي ... فيلازمهُ ليلاً ونهاراً، نوماً ويقظة ... ويتسلّط عليه، ويزيّن له ما هو عليه، ويوحي إليه زخرف القول، ويحسّن له الباطل، ويحمله على أن يرتع في الشّهوات، ويَلَغْ في اللذّات ... حتّى يرى انحطاطه كمالاً لنفسه، وذلّته عزّة، وخسرانه تجارة، وضعته رفعة، ودنائته كرامة، ورذالته فضيلة، وحماقته شجاعة، وسفاهته شهامة ...

قال الله تعالى: «كتاب فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ـ وقيّضنا لهم قرنآء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ـ وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون» فصّلت: ٢ و ٣ و ٢٥ ـ ٢٦).

وقال: «ومن يكن الشّيطان له قريناً فسآء قريناً ـ فكيف إذا جئنا من كلّ اُمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلآء شهيداً يومئذٍ يودُّ الّذين كفروا وعصوا الرّسول لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً» النّسآء: ٣٨ و ٤٢).

وقال: «هل اُنبّئكم على من تنزّل الشّياطين تنزّل على كلّ أفّاكٍ أثيم يلقون السّمع وأكثرهم كاذبون» الشّعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣).

وقال: «ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشّيطان ما كانوا يعملون ـ وإنّ الشّياطين

ليوحون إلى أوليآءهم ليجادلوكم» الأنعام: ٤٣و ١٢١).

وقال: «فزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فهو وليّهم اليوم» النّحل: ٦٣).

وقال: «ومن يتخذ الشّيطان وليّاً من دون اللّه فقد خسر خسراناً مبيناً» النسآء: ١١٩)

وقال: «إنّا جعلنا الشّياطين أوليآء للّذين لا يؤمنون» الأعراف: ٢٧).

وقال: «ألم تر أنّا أرسلنا الشّياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً» مريم: ٨٣).

## ۳۷ ـ (وإنّهم ليصدّونهم عن السّبيل ويحسبون أنّهم مهتدون)

وإنّ هؤلآءِ القرناء السّوء من شياطين الجنّ والإنس ليصرفون هؤلآءِ المعرضين عن الذّكر وأهله، ويحولنّ بينهم وبين سبيل الحقّ والهدى، ويمنعونهم عن طريق الخير والصّلاح، عن طريق الكمال والفلاح، وعن طريق الجنّة والنّجاة، ويدفعون بهم إلى سبل الكفر والضّلالة والبغي والجناية ... ويزيّنون لهم طرق الإثم والعداوة والظّلم والخيانة، ويوسوسنّ لهم أنّهم على جادّة الحقّ، وسواهم على سبيل الباطل، فيطيعونهم، ويكرّهنّ إليهم الإيمان بالله تعالى والعمل بكتابه الكريم واتّباع نبيّه وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله تعالى: «ولا تكونوا كالّذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئآء النّاس ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم» الأنفال: ٤٧ ـ ٤٨).

وقال: «وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل فهم لا يهتدون» النّمل: ٢٤).

وقال: «سأصرف عن آياتي الّذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرّشد لا يتّخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتّخذوه سبيلاً ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» الأعراف: ١٤٦).

وقال: «الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أُولئك في ضلال بعيد» إبراهيم: ٣).

وقال: «قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ـ فأغويناكم إنّا كنّا غاوين» الصّافات: ٢٩ ـ ٣٢).

ويحسب هؤلآء المنحطّون الجهلة، والمغرضون الفجرة، المعرضون عن الذّكر وأهله، أنّهم

وقادتهم المغوين مهتدون إلى طريق الحقّ والهدى، والخير والصّلاح والجنّة والنجاة وهـم مستغرقون في لجّة الباطل والضّلالة، والشّرّ والجناية، والنّار والهلاكة.

قال الله تعالى: «إنّهم اتّخذوا الشّياطين أولياء مـن دون الله ويحسـبون أنّهـم مـهتدون» الأعراف: ٣٠).

وقال: «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحـياة الدّنـيا وهـم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً» الكهف: ١٠٣ـ ١٠٤).

فيتّبعون هؤلآء الشّياطين لأنّهم تلقوا منهم ما يلائم أمزجتهم الفاسدة، ويوافقهم أميالهم الباطلة، وألفوه فلم ينكروه.

من المعرضين مَن يعرض عن الذّكر وأهله على بصيرة وعناد، على بغي ولجاج وحسد تعامياً عن الحقّ وأهله كعلمآء اليهود والنصارى ومن إليهم ... وكعلمآء العامّة المتسمّين بأهل السّنّة، والله وبالله وتالله جلّ جلاله أنّهم ليسوا بـأهلها، وإنّما اتّخـذوا اسمـها لمحـو مـعناها وحقيقتها. نعم! إنّهم على سنّة من آل فرعون كما عرّفهم مولى الموحّدين إمام المتّقين أمـير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحيّاته:

**في نهج البلاغة:** «حتّى إذا قبض الله رسوله صلّى الله عليه وآله وسـلّم رجـع قـوم عـلى الأعقاب، وغالتهم السّبل واتّكلوا على الولآئج، ووصلوا غير الرّحم، وهجروا السّبب الّذي أُمِروا بمودّته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، مـعادن كـلّ خـطيئة، وأبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكن، أو مفارق للدّين مباين».

قال الله تعالى فيهم: «اتّخذوا أيمانهم جُنّة فصدّوا عن سبيل الله إنّهم سآء ما كانوا يعملون» المنافقون: ٢) كما قال في علماء أهل الكتاب: «يا أهـل الكـتاب لم تـلبسون الحـقّ بـالباطل وتكتمون الحقّ وأنتم تعلمون ـ قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهدآء وما الله بغافل عمّا تعملون» آل عمران: ٧١و ٩٩).

وعوامهم الجهلة يعرضون عن الذّكر وأهله على جهل وسفه لأنّهم يحسبون أنّ قادتهم مهتدون، فيتّبعونهم على زعمهم هذا.

## ٣٨ ـ (حتّى إذا جآءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)

لا يزال القرناء السّوء ملازمين للمعرضين عن الذّكر وأهله، يمسكون بزمامهم، ويصدّونهم عن سبيل الحقّ والهدى، ولا يزال المعرضون عن الذّكر وأهله يحسبون أنّهم مهتدون حتّى إذا حضر واحد منهم يوم القيامة موضع الحساب، ومعه قرينة السّوء في سلسلة واحدة زيادة عقوبة وغمّ وخزي وهوان، وكشف له عن كفره وضلاله، حيث يعرف أنّه إنّما كان يتّبع وسوسة الشّيطان وإغرائه، ويعرف ما يستتبعه من الخزي والعذاب الأليم، وهنا يتخلّى الشّيطان عن صاحبه، ويتخلّى صاحبه عنه، ويتبرّأ كلّ واحد من الآخر ويتولّى كلّ منهما رجم صاحبه بكلّ منكر، وقذفه بكلّ تهمة، فيقول التّابع الغاوي مخاطباً لقرينه المغوي نادماً متأذّياً من صحابته: «يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين» أبعد الأمكنة وأقصاها «فبئس القرين» الصّاحب الرّفيق كنت أنت إذ أضللتني إلى هذا الخزي الدّآئم والعذاب الأليم.

قال الله تعالى في أصحاب الشّياطين من الكافرين الفجرة، والمجرمين الفسقة والمنافقين الظلّمة: «ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون» الزمر: ٣١).

وقال: «يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جآئني» الفرقان: ٢٨ ـ ٢٩).

وقال: «إذ تبرّأ الّذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب وقال الّذين اتّبعوا لو أنّ لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّؤا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النّار» البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧).

وقال: «وبرزوا لله جميعاً فقال الضّعفآء للّذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا من عذاب الله من شيء ـ وترى المجرمين يومئذٍ مقرّنين في الأصفاد» إبراهيم: ٢١ و ٤٩).

## ٣٩ ـ (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون)

ولن ينفعكم أيّها المعرضون عن الذّكر وأهله، تمنّيكم وندمكم هذا يوم القيامة وعتابكم لقرنآئكم السّوء إذ تبيّن لكم اليوم ظلمكم بالاشتراك في الحياة الدّنيا، أنّكم مع قرنائكم

في عذاب جهنّم مشتركون، ولن يخفّف عن أحد منكم عذابه كون قرينه مشتركاً معه فـيه، وقد ظلمتم الله جلّ وعلا بالكفر والنّفاق، وظلمتم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمعصية واللّجاج، وظلمتم الذّكر وأهله بالتّكذيب والعناد ما ظلمتم، وظلمتم الجـوامـع البـشرية إذكنتم سبب فرقة جمعهم، وتشّت حملهم، وسبب انحطاطهم وفشلهم وهوانهم... وظلمتم أنفسكم بالخزي والنّار. وفي هذا قال الله تعالى على لسان الأتباع الجـهلة وهـمـج الرّعـآء المردة الّذين يطلبون مزيداً من العذاب لقادتهم ودعاتهم وكبرائهم الّذين كانوا سبباً لفتنتهم وبلائهم: «قالت أُخراهم لِأُولاهم ربّنا هؤلآء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّار» فيجيبهم الله عزّ وجلّ: «قال لكلّ ضعف ولكن لا تعلمون» الأعراف: ٣٨) وقـال عـلى لسـان قـادة الكفر والضّلال، ودعاة البغي والعناد، وهـم يـردّون عـلى أتـباعهم الّـذين يـتمنّون لهـم عذاباً فوق العذاب: «وقالت أُولاهم لأُخراهم فما كـان لكـم عـلينا مـن فـضل فـذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون» الأعراف: ٣٩) وقال: «وإذ يـتحاجّون في النّـار فـيقول الضّـعفآء للّذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا نصيباً من النّار قال الّذين استكبروا إنّاكلّ فيها إنّ الله قد حكم بين العباد وقال الّذين في النّار لخزنة جهنّم ادعوا ربّكم يخـفّف عنّا يوماً من العذاب قالوا أوَلم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قـالوا فـادعوا ومـا دعآؤا الكافرين إلّا في ضلال ـ يوم لا ينفع الظّالمين معذرتهم ولهم اللّعنة ولهم سوء الدّار» غافر: ٤٧ ـ ٥٢).

وقال: «فأغويناكم إنّا كنّا غاوين فإنّهم يومئذٍ في العذاب مشتركون» الصّافات: ٣٢-٣٣).

ولو لم يكن الإعراض عن الذّكر وأهله ظلماً لما كان للظّلم مفهوم قطّ، وإنّ الظّلم بأهل الذّكر هو الظّلم بالذّكر ورسول الذّكر صلّى الله عليه وآله وسلّم ومُرسِل الذّكر بعينه ألا لعنة الله على الظّالمين.

قال الله تعالى: «قد نعلم إنّه ليحزنك الّذي يقولون فإنّهم لا يكذّبونك ولكـنّ الظّـالمين بآيات الله يجحدون ـ فمن أظلم ممّن كذّب بآيات الله وصدف عنها» الأنعام: ٣٣ و ١٥٧).

وقال: «وما يجحد بآياتنا إلّا الظّالمون» العنكبوت: ٤٩).

وقال: «ألا لعنة الله على الظّالمين الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً» هود: ١٨ ـ ١٩).

## ٤٠ ـ (أفأنت تسمع الصُّمّ أو تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين)

إنّ هؤلآء المعرضين عن الذّكر وأهله، هم قرنآء الشّياطين الّذين تمرّنوا على الإعراض بحيث صار عشاهم عمى مقروناً بالصّمم، فتمكّنوا في ضلال عن الحقّ، ظاهر ضلاله لا شبهة فيه، إذ استحوذ عليهم القرنآء، فزيّنوا لهم سبيل الرّدى، فركبوا رؤسهم، ومضوا يتخبّطون في طرق البغي والضّلالة، والظّلم والخيانة والإثم والجناية ... فصاروا بمنزلة الأصمّ الّذين لا يسمعون، وهم يسمعون ولكن لا ينتفعون، وبمنزلة الأعمى الّذين لا يبصرون شيئاً، وهم يبصرون ولا ينتفعون، غير ملتفتين إلى الدّاعي الّذي يدعوهم إلى النّجاة، ويرفع لهم بين يديه نوراً كاشفاً من نور الله أفأنت تسمع الذّكر من يتصامم، أو تهدي إلى أهل الذّكر من يتعامى، وتنقذ من كان مرتكساً في ضلال عن عمد ومكابرة وعناد بيّن لا يخفى، فلا تتجشّم ولا تتكلّف في دعوتهم، ولا تحزن لإعراضهم وإصرارهم عليه إذ لست مكلّفاً على إكراههم على الإيمان ...

قال الله تعالى: «لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أُولئك كالأنعام بل هم أضلّ أُولئك هم الغافلون» الأعراف: ١٧٩).

وقال: «ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصّمّ ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون» يونس: ٤٢ـ٤٣).

وقال: «إنّ شرّ الدّوابّ عند الله الصّمّ البكم الّذين لا يعقلون» الأنفال: ٢٢).

وقال: «فتوكّل على الله إنّك على الحقّ المبين إنّك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصّمّ الدّعآء إذا ولّوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلّا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» النّمل: ٧٩ ـ ٨١).

وقال: «ويل لكلّ أفّاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثمّ يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئاً اتّخذها هزواً أُولئك لهم عذاب مهين» الجاثية: ٧ـ٩).

## ٤١ ـ (فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون)

فإن قبضناك وتوفّيناك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وذهبنا بك إلى الرّفيق الأعلى قبل أن ننتقم من هؤلآء المعرضين عن الذّكر وأهله، فإنّا منتقمون منهم بعدك في الحياة الدّنيا بالخزي والهوان، وبالفشل والانحطاط، وبـالقتل والخـذلان، وفي الدّار الآخـرة بـالعذاب والنّيران ... فإنّ انتقام الله تعالى واقع بهم لا محالة، وليس على رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسلّم أن يشهد هذا الانتقام، وإنّما حسبه أنّ الله عزّ وجلّ أخذ له بحقّه من هؤلاء المعرضين عن الذّكر وبغوا على أهله.

قال الله تعالى: «إنّ الّذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عـزيز ذو انـتقام» آل عمران: ٤).

وقال: «فانتقمنا من الّذين أجرموا وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين» الروم: ٤٧).

وقال: «ومن أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه ثمّ أعرض عـنها إنّـا مـن المجـرمين مـنتقمون» السّجدة: ٢٢).

وقال: «يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون» الدّخان: ١٦).

## ٤٢ ـ (أو نرينّك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون)

أو نبقينّك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى نراك في حياتك بعض ما وعدنا هؤلآءِ المعرضين من الذّكر وأهله من العذاب، فإنّا قادرون على ذلك فمتى شئنا عذّبناهم ونظهرك عليهم،ونخزيهم بيدك وبأيدي المؤمنين بك، فلامناص لهم من تحت ملكنا وملكتنا وقصرنا.

قال الله تعالى: «قل ربّ إمّا تريَنّي ما يوعدون ـ وإنّا على أن نريك ما نعدهم لقادرون» المؤمنون: ٩٣ ـ ٩٥).

وقال: «وإن ما نرينّك بعض الّذي نـعدهم أو نـتوفينّك فـإنّما عـليك البـلاغ وعـلينا الحساب» الرّعد: ٤٠).

وقال: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ فإمّا نرينّك بـعض الّـذي نـعدهم أو نـتوفينّك فـإلينا

يرجعون» غافر: ٧٧).

وقال: «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ـ وكذّب به قومك وهو الحقّ قل لست عليكم بوكيل» الأنعام: ٦٥ ـ ٦٦).

## ٤٣ ـ (فاستمسك بالّذي أُوحي إليك إنّك على صراط مستقيم)

فاستمسك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا الذّكر وهو القرآن الّذي أُوحي إليك وبلّغه وإن كذّب به من كذّب، سوآء أعجّلنا لك الموعود أم أخّرنا إلى يوم القيامة أو بعد موتك، لأنّك بالاستمساك بهذا الذّكر الموحى إليك الّذي به كمال الدّين وتبليغه على صراط مستقيم لا حول عنه ولا عوج فيه، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته.

إنّما الآية الكريمة في معنى آيتي الإكمال والتّبليغ ...

قال الله عزّ وجلّ: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين» المائدة: ٣ و ٦٧).

وذلك أنّ ولاية أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين هي صراط مستقيم إلى معرفة الله تعالى ولولا السّبيل لما كان مقصد، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على هذا الصّراط المستقيم ويهدي إليه النّاس: «إنّك لمن المرسلين على صراط مستقيم» يس: ٤) «وإنّك لتهدى إلى صراط مستقيم» الشورى: ٥٢) و«إنّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم». المؤمنون: ٧٣) وهذا هو الطريق السّليم من الاعوجاج والانحراف، والسّبيل المستقيم إلى الله جلّ وعلا وإلى مرضاته بخلاف سآئر الطّرق: «وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله» الأنعام: ١٥٣).

وهذا هو سبيل الفطرة أشار إليه بقوله تعالى: «قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً» الأنعام: ١٦١).

**في نهج البلاغة:** قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «وإنّي لعلى بيّنة من ربّي، ومنهاج من نبيّي، وإنّي لعلى الطّريق الواضح ألقطه لَقْطاً

انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سَمْتَهم واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلّوا ولا تتأخّروا عـنهم فتهلكوا.....».

**وفيه:** قال الإمام عليه السلام: «بنا اهتديتم في الظّلمآء وتسنّمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السّرار».

**وفيه:** قال الإمام عليه السلام: «بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى».

ومن البداهة والضّرورة لمن له طيب الولادة وحسن السّريرة أن الاستمساك بـأهل الذّكر وهم أهل بيت الوحي المعصومون وحدهم صلوات الله عليهم أجمعين هو الاستمساك بالذّكر بعينه.

**في نهج البلاغة:** قال الإمام عليه السلام: «وإنّ الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته».

**وفيه:** قال الإمام عليه السلام: «إنّما مَثَلي بينكم مثل السّراج في الظّلمة ليستضيئ به من ولجها فاسمعوا أيّها النّاس وَعَوْا، وأحضروا آذان قلوبكم تفهموا».

**وفيه:** قال الإمام عليه السـلام: «فأين يتاه بكم؟ بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم؟ وهم أزمّة الحقّ وأعلام الدّين وألسنة الصّدق فأنزلوهم بأحسن منازل القـرآن، وردوهـم ورود الهيم العطاش».

وإنّ التّلازم بين الذّكر وأهله هو التّلازم بين الجسم والرّوح للإنسان العاقل الكامل وإنّ الاستمساك هو سبيل المؤمنين المسلمين المصلحين حقّاً، وهو العروة الوثقى لا انفصام لهـا، والقاطع لكل عذر، والحجّة في كلّ غدر، فـن كان على هذا الاستمساك الّذي هو الصّراط المستقيم فهو على نور من ربّه، وعلى طريق الفلاح والكمال والخير والنّجاة: قال الله تعالى: «لا اكراه في الدّين قد تبيّن الرّشد من الغيّ فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروةالوثقى لا انفصال لها» البقرة:٢٥٦).

وقال: «ومن اسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروةالوثقى» لقمان: ٢٢).

وقال: «والّذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصّلاة إنّا لا نضيع أجر المصلحين» الأعراف: ١٧٠).

وقال: «أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون» الزّخرف: ٢١).

وقال: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أُولئك في ضلال مبين» الزّمر: ٢٢).

وقال: «فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذي أُنزِل معه أُولئك هم المفلحون» الأعراف: ١٥٧).

## ٤٤ ـ (وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون)

وإنّ الاستمساك بالذّكر ـ وهو القرآن الكريم ـ والاستمساك بأهله لشرف عظيم لك، ولكلّ من استمسك بهما من أُمّتك المؤمنين، وسوف تسئلون أيّها المسلمون عن موقفكم من هذا الذّكر وأهله وجهدكم في سبيله، ما فعلتم به، كما أنّ أهل الذّكر يسئلون عمّا فعل بهم الأُمّة المسلمة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٦٧) وقوله عزّ وجلّ: «فسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون ـ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون» الأنبياء: ٧ ـ ١٠) وقوله جلّ وعلا: «فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزّبر وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون» النّحل: ٤٣ ـ ٤٤) وقوله سبحانه: «وكذلك جعلناكم أُمّة وسطاً لتكونوا شهدآء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيداً» البقرة: ١٤٣) وقوله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلّكم تفلحون وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدّين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرّسول شهيداً عليكم وتكونوا شهدآء على النّاس» الحجّ: ٧٧ ـ ٧٨).

فشرف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في تبليغ الذّكر وأهله وشرف امّته في التفكّر والتعقّل والعمل بالذّكر واتّباع أهله، وإذاً فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شهيداً على أُمّته، وهم شهدآء على النّاس وإلّا فلا بنصّ القرآن المجيد، وعلى حدّ التّواتر قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً».

أيكون الاستمساك بالذّكر هو قرائته لأرواح الأموات في المقابر والمجالس؟ أو جـعله جهيزة الأعراس والتّبرّك به، والخروج من تحته حين السّـفر والتـفأّل بـه فـقط؟ أيكـون الاستمساك بأهله هو البكآء في مجالس العزآءِ، وزيارة مشاهدهم المشرّفة عليه آلاف الثّنآء والتّحيّة فقط؟ أو يكون الاستمساك هو التفكّر والتعقّل والعـمل بـالذّكـر واتّـباع أهـله وتقديمهم على غيرهم ... ثمّ ... ؟ قال الله تعالى: «كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ـ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ـ ولتكن منكم أُمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأُولئك هم المفحلون» آل عمران: ٧٩ و ١٠٣ ـ ١٠٤).

ولعمري! إنّ الذّكر وأهله كلاهما مهجوران اليوم في حوزات العلوم الدّينيّة، إذ يقدّمون كلمات المخلوق الخاطئ على كلام الخالق العـليم المـتعال، وعـلى كـلام اهـلبيت الوحـى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، ولا يتفكّرون في كلام الخالق واحداً من المأة ما يتفكّرون في كلام المخلوق الجهول الخاطئ، وهم قوم قال الله تعالى فـيهم: «فـنبذوه ورآء ظـهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران: ١٨٧ ـ ١٨٨) وهم الّذين يشكو عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عند الله تعالى يوم الحساب: «وقال الرّسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٣٠).

فيا أيّها العلمآء والدّعاة والمصلحون إنّ أهل الشّرق والغرب، بل الجوامع البشرية كلّها اليوم يريدون نشر معارف القرآن الكريم وحقآئق الإسلام، وحِكَم أهـل الذّكـر ... وهـم يسئلون بكم عن أهل الذّكر، وهم يسئلون بكم عن أهل الذّكر وهم لا يعلمون، وانّ كفاية الأُصول ـ وشروحها نحو (٢٥٠) شرحاً أقلّ من قرن واحد ـ وفرائد الأُصول والمكاسب، والكتب الفقهيّة المتكرّرة والرّسـائل العـمليّة المـتورّمة، وغـيرها مـن الكـتب المـوسميّة الشّخصيّة ... لن تستطيع أن تجيب ما تحتاج إليه الجوامـع البـشريّة اليـوم مـن الأُصـول الاعتقاديّة، والمعارف القرآنيّة، والحقآئق الدّينيّة والحِكَم والأسرار الإسلاميّة ... ولن يقول أحد: إنّ الإنسان لا يحتاج إلى الفروع ... وإنّما يقول كلّ مؤدّب بأدب القرآن الكريم وأهـل الذّكر: إنّ الأصل متقدّم عقلاً وشرعاً على الفرع، وقدأخذت الفروع اليوم بقشرها، وياليت

أخذت بلبّها ولبابها، وقد تركت الأُصول بتمامها خلافاً لنصّ القرآن الكريم ونزوله إذقـدّم الأُصول على الفروع وجعل كلّ شيء موضعه.

وإنّ الاجتهاد في الفروع واجب ولازم بلا مرآءٍ ولكن على الأدلّة الأربعة طوليّاً: أوّلها الكتاب الّذي ليس اليوم عنه خبر ولا وحي نزل، ولا على السّنّة فإنّها بعد عرضها على الكتاب وليس اليوم عرض، فالاجتهاد يومنا هذا نوع تقليد باسم الاجتهاد، وقد حبس الإسلام يومنا هذا بحقّه وحقيقته في قشر الفروع بهذا النّوع من الاجتهاد فحسب.

وليس المراد من «لقومك» العرب فقط كما توهّم بعضهم، إذ لا يكون للعرب في القرآن العربي شأن ما لم تكن مستمسكين بالذّكر وأهله كيف وهذا هو الوليد بن المغيرة عظيم من عظمآء مكّة، وهذا هو عروة بن مسعود عظيم من عظمآء الطّآئف، وهذا هو أبو لهب نزلت فيه سورة المسد، وهذا هو أبو جهل وأضرابهم الكفرة الفجرة الّذين نزلت في ذمّهم آيات عديدة ... مع أنّ كثيراً من أعاظم العامّة العربيّة أعاجم كأبي حنيفة رئيس مذهب الحنفيّة من أهل كابل، وأبي داود صاحب أحد صحاحهم السّتّ من أهل السّجستان (سيستان) وكالطبري والنّسآئي والحاكم النيشابوري والغزّالي والفخر الرّازي ...

وليس للعربيّة موضوعيّة في الشّرف والكرامة من دون إيمان وعمل: «إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم» الحجرات: ١٣).

كيف والله جلّ وعلا يقول: «ولقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلّمه بشر لسان الّذي يلحدون إليه أعجميّ وهذا لسان عربيّ مبين» النّحل: ١٠٣).

ويقول: «ولو جعلناه قرآناً أعجميّاً لقالوا لولا فصّلت آياته ءأعجميّ وعربيّ قل هو للّذين آمنوا هدى وشفآء والّذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أُولئك ينادون من مكان بعيد» فصّلت: ٤٤).

ويقول: «ولو نزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين» الشّعراء: ١٩٨ ـ ١٩٩).

ويقول: «إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون» الزخرف: ٣).

نعم! ومن الأعراب من يؤمن بالله جلّ وعلا حقّاً كأبي ذر الغفاري وعمّار ياسر والمقداد ومن إليهم ... ومنهم من أشدّ كفراً ونفاقاً كأبي جهل وأبي سفيان ومعاوية وأذنابهم ... قال الله

تعالى: «الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر ألّا يـعلموا حـدود مـا أنـزل الله عـلى رسـوله والله عليم حكيم ومن الأعراب من يتّخذ ما ينفق مغرماً ويـتربّص بكـم الدّوائـر عـليهم دائرة السّوء والله سميع عليم ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويـتّخذ مـا يـنفق قربات عند الله وصلوات الرّسول ألا إنّها قربة لهم سـيدخلهم الله في رحمـته إنّ الله غـفور رحيم» التّوبة: ٩٧ـ٩٩).

وهذا هو سـلمان الفـارسي يـقول فـيه رسـول الله صـلّى الله عـليه وآله وسـلّم: «سـلمان منّا أهل البيت» وهذا هو أبو لهب العربيّ يقول الله تعالى فيه: «تبّت يدا أبي لهب وتبّ ...».

فملاك الشّرافة ومقياس الكرامة عند الله تعالى حتّى لرسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم ولجميع أنبيآئه ورسله عليهم السّلام هو الاستمساك بالذّكر وأهله، فضلاً عن أُمّته وأُممهم ... ولذلك يقول الله عزّ وجلّ:

## ٤٥ ـ(واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا مـن دون الرّحـمن آلهـة يعبدون)

واسئل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة المعراج هذه، جميع الأنبيآء والمـرسلين الّذين أرسلناهم من قبلك إلى أُممهم من آدم إلى عيسى بن مريم صلوات الله عليهم أجمعين إذ جمعوا لك ببيت المقدس ـ المسجد الأقصى ـ واسئلهم بماذا أُرسلتم؟ ولماذا بعثتم؟ لنريك ههنا من آياتنا: «سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّـذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هو السّميع البصير» الإسراء: ١).

واسئلهم: أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون؟ أم أخذنا منهم أن لا يعبدوا إلّا الله تعالى وحده وأن يؤمنوا برسولنا الخاتم محمّد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم الّذي كان كـمال ديـنه وتـبليغ رسالته، وشرف نفسه وشرف أُمّته مرتبطة تمام الارتباط بولاية عليّ بن أبي طـالب عـليه السلام بحيث لولا الولاية لكانت الرّسالة كالمسكن بلا ساكن، وكالحصن من دون حصين.

قال الله تعالى: «ولا يأمركم أن تتّخذوا الملائكة والنّبيّين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون وإذ أخذ الله ميثاق النّبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جآءكم رسول مصدّق لما

معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشّاهدين فمن تولّى بعد ذلك فأُولئك هم الفاسقون» آل عمران: ۸۰ ـ ۸۲).

وقال: «النّبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أُمّهاتهم وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلّا أن تفعلوا إلى أوليآئكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً وإذ أخذنا من النّبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسئل الصّادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذاباً أليماً» الأحزاب: ٦ ـ ٨) وقد سبقت روايات في تفسير سورة الأحزاب فراجع كما ستأتي روايات في هذه السّورة فانتظر. وقال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المآئدة: ۳ و ٦٧).

## ٤٦ ـ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إنّي رسول ربّ العالمين)

يقول الله تعالى: أُقسِمُ بعزّتي وجلالي وقدرتي وعظمتي إنّا بعثنا موسى بن عمران عليه السلام معه حججنا الواضحة والبراهين القاطعة الدّالّة على صدقه إلى فرعون طاغي مصر وأشراف قومه كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين المستكبرين المترفين العرب، فقال موسى عليه السلام لفرعون وحواشيه: إنّي رسول إليكم من قِبَلِ ربِّ العالمين كما قلت أنت للمشركين إنّي رسول إليك من قبل ربّ العالمين.

قال الله عزّ وجلّ: «ثمّ بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه ـ وقال موسى يا فرعون إنّي رسول من ربّ العالمين» الأعراف: ۱۰۳ ـ ۱۰٤).

وقال: «إنّا أرسلنا إليكم رسولاً شهيداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً» المزّمّل: ١٥).

## ٤٧ ـ (فلمّا جآءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون)

فلمّا قال موسى عليه السلام: إنّي رسول ربّ العالمين طالبوه إقامة الحجّة على دعواه، فلمّا

جآءهم بآياتنا ـ اليد البيضآء والعصا ـ الدّالّة على رسالته وصدق قوله، إذاً فرعون وملائه من الآيات يضحكون استخفافاً واستهزآءً وسخرية، فلا يؤمنون بها جهلاً منهم بما عليهم من ترك النّظر والتأمّل فيها، وبما هم من النّفع بحصول العلم بها كـما أنّ المـشركين العـرب المترفين ممّا جئتهم به من الآيات يسخرون.

قال الله تعالى: «وقال موسى يا فرعون إنّي رسول من ربّ العالمين حقيق عليّ أن لا أقول على الله إلّا الحقّ قد جئتكم ببيّنة من ربّكم فأرسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصّادقين فألق عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضآء للنّاظرين قال الملأ من قوم فرعون إنّ هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون» الأعراف: ١٠٤ ـ ١١٠).

وقال في المشركين العرب: «بل عجبت ويسخرون وإذا ذكّروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلّا سحر مبين» الصّافات: ١٢ ـ ١٥).

## ٤٨ ـ (وما نريهم من آية إلّا هي أكبر من أُختها وأخـذناهم بـالعذاب لعـلّهم يرجعون)

وما نرى فرعون طاغي مصر وأشراف قومه وحواشيه المـستكبرين آيـة مـن آيـاتنا المترادفة عليهم، كانت كلّها آيات لموسى عليه السلام على صدق رسالته وعذابـاً لفـرعون وقومه من الطّوفان ـ وهو مآء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيّام ـ والجراد والقمّل والضفادع والدّم والطمس ونقص من الثّمرات ... إلاّ هي أكبر وأوكد وأوضح من الّتي رأيناهم قبلها من الآيات ... وأدلّ على صحّة ما يأمره به موسى عليه السلام ويدعوهم إليه من الأُصول والفروع ... وأخذنا فرعون وقومه إذ عصوا وطغوا واستكبروا وكـفروا بهـا، أخذناهم بالعذاب النّازل بهم بالسّنين ونقص الثّمرات والطّوفان وبالجراد والقمّل والضّفادع والدّم آيات مفصّلات ... لعلّ فرعون وقومه الباغين يرجعون عن كفرهم إلى الإيمان، عـن طغيانهم إلى الطّاعة، وعن طريق الباطل والضّلال إلى سبيل الحقّ والهدى بالتّوبة والإنابة.

قال الله تعالى: «وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمـؤمنين فـأرسلنا

عليهم الطّوفان والجراد والقمّل والضّفادع والدّم آيات مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين» الأعراف: ١٣٢ ـ ١٣٣).

## ٤٩ ـ (وقالوا يا أيّه السّاحر ادع لنا ربّك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون)

لمّا نزل بفرعون وقومه البلاء وأحاط بهم الكرب جآؤا إلى موسى عليه السلام ونادوه بما كانوا ينادونه به من قبل ذلك استخفافاً واستهزاءً به، على حسب عادتهم استكباراً: يا أيّه السّاحر الماهر: ادع لنا ربّك بما زعمت أنّ دعوتك مستجابة، وأنّ ربّك عهد لك وضمن لنا من كشف العذاب عنّا إن آمنّا به واتّبعناك، فإن كشف عنّا العذاب، فإنّنا لمهتدون إلى ما تدعونا إليه، ومؤمنون بك فيما يستقبل. وهذا وعد نووا خلافه.

قال الله تعالى: «ولمّا وقع عليهم الرّجز قالوا يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك لئن كشفت عنّا الرّجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل» الأعراف: ١٣٤) ولو كان «الرّجز» سحراً لكان لهم أن يدفعوه بسحر مثله إذ كانوا أهله، وإن كان معجزة فلماذا قالوا: «يا أيّها السّاحر ـ ربّك ـ عندك»؟ ولو كانوا من أهل الاهتداء بالآية الإلهيّة فهذه الآية الأخيرة آية من آيات الله تعالى، أو يكون كشف الرّجز آية، ووقوعه سحراً وليس بآية؟!

كما قال المشركون العرب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم استخفافاً واستهزاءً واستكباراً: «يا أيّها الّذي نزّل عليه الذّكر» الحجر: ٦).

## ٥٠ ـ (فلمّا كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون)

فلمّا دعانا موسى عليه السلام أن نكشف عنهم الرّجز والبلاء، واستجبنا له «إلى أجل هم بالغوه» تأكيداً للحجّة وإنارة للمهجة، وكشفنا عنهم العذاب ورفعنا عنهم البلاء فاجؤوا وقت نقض عهدهم بالاهتداء، فلم يستقيموا على العهد الّذي عاهدوا عليه موسى عليه السلام من الإيمان بالله بعد رفع البلآء عنهم، فنكثوا العهد، ولم يؤمنوا ولم يهتدوا، وأمسكوا بما هم عليه من كفر وضلال، من بغي وفساد، من إثم وعدوان، ومن عناد ولجاج ... وقد كان هذا ديدنهم مع موسى عليه السلام إذ كانوا يعدونه في كلّ مرّة أن يؤمنوا بالله ويهتدوا

إذا كشف عنهم الرّجز، فحين كشف العذاب عنهم ينقضون ما عاهدوا عليه.

قال الله تعالى: «فلمّا كشفنا عنهم الرّجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون» الأعراف: ١٣٥)

كما أنّ هذا ديدن المشركين العرب.

قال الله تعالى: «إذا مسّكم الضّرّ فإليه تجأرون ثمّ إذا كشف الضّرّ عنكم إذا فريق منكم بربّهم يشركون» النّحل: ٥٣ ـ ٥٤).

## ٥١ ـ (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون)

ونادى فرعون طاغي مصر في مجمع أشراف قومه وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم، مخافة أن يؤمن بعضهم، بموسى عليه السلام ضاحكاً على ذقونهم، ولاعباً بعقولهم وأفكارهم بواسع الملك وسلطة الحكم، عاتياً متمرّداً مفتخراً: يا قوم أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار من النّيل تجري من تحت قصوري، وبين يديّ في جناني وبساتيني؟ أفلا تبصرون هذا الملك العظيم؟ أفلا تبصرون غاية قوّتي وشوكتي، ونهاية قدرتي وعظمتي وعجز موسى وضعفه؟ أفلا تبصرون أيّها القوم ما أنا فيه من النّعيم والخير، وما فيه موسى من فقر وعيّ اللسان؟

افتخر فرعون عدوّ الله بملكه مصر، وما قد مكّن له من متاع الدّنيا وشهواتها ورئاستها ولذّاتها استدراجاً من الله جلّ وعلا له، وحسب أنّ الّذي هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله، وأنّ موسى إنّما لم يصل إلى الّذي يصفه، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة محتجّاً على جهلة قومه بأنّ موسى لو كان محقّاً فيما يأتي به من الآيات والعبر ولم يكن ذلك سحراً لأكسب نفسه من الملك والنّعمة مثل الّذي هو فيه من ذلك جهلاً بالله عزّ وجلّ واغتراراً منه بإملائه إيّاه، ومنشأ ذلك حبّ الدّنيا. وهذا ديدن الحكّام الجبابرة والملوك الفاجرة والأُمرآء الباغية والرُّؤسآء الطّاغية والثراة الفاسقة ... في كلّ ظرف من الظّروف ...

قال الله تعالى: «الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أُولئك في ضلال بعيد» إبراهيم: ٣).

وقال: «ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم

عذاب مهين ـ وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور» آل عمران: ١٧٨ و ١٨٥).

وقال: «والّذين كذّبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأُملي لهم إنّ كيدي متين» الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣).

## ٥٢ ـ (أم أنا خير من هذا الّذي هو مهين ولا يكاد يبين)

قال فرعون طاغي مصر لقومه المستكبرين ـ بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه وبيان لسانه وتمام خلقه، وفضل ما بينه وبين موسى بالصّفات الّتي وصف بها نفسه وموسى ـ: بل أنا ولا شكّ خير بما لي من السّعة في الملك والجاه من هذا المهين الضّعيف الحقير وهو موسى لما به من الفقر ورثاثة الحال، وهو مع ذلك لا يكاد يفصح عمّا يريد، فلا يليق للرّياسة إذ لا مال ولا ملك ولا يصلح للرّسالة إذ كان في لسانه حُبسة في صغره فعابه بها، وهو لا يعلم أنّ الله استجاب سؤله حين قال: «واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي» طه: ٢٨) فحلّ عقدة لسانه كما جآء في قوله تعالى: «قد أُوتيتَ سؤلك يا موسى» طه: ٣٦) والأشيآء الخِلقيّة لا يعاب بها المرء ولا يذمّ بها، ولكنّه أراد التّرويج على النّاس وصدّهم عن الإيمان به، قيل: إنّه قد بقي منها شيء لم يسئل زواله، وإنّما سئل زوال ما يمنع الإبلاغ والإفهام. ونظير الآية الكريمة قوله تعالى: «فحشر فنادى فقال أنا ربّكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأُولى إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى» النّازعات: ٢٣ ـ ٢٦).

## ٥٣ ـ (فلولا ألقى عليه أُسورة من ذهب أو جآء معه الملائكة مقترنين)

ثمّ قال فرعون لقومه المستكبرين مكذّباً موسى عليه السلام: فهلّا ألقي على موسى إن كان صادقاً في قوله: «إنّي رسول ربّ العالمين» هلّا طرح عليه أسورة ـ جمع سوار وهو القُلْب الّذي يجعل في اليد، والأسورة: الأقلبة ـ من جنس ذهب، فالبس عليه كما لكم أيّها العظمآء والأشراف ـ وهم كانوا يلبسونها ويجعلونها بأيديهم كعادتهم فيمن يسورونه أن يلبسوه أُسورة من ذهب ويطوقونه طوق ذهب ـ أو هلّا جآء مع موسى الملائكة متتابعين يعينونه ويشهدون له أنّه رسول من الله إليهم.

وإنّ إلقآء الأُسورة عليه عبارة عن تفويض مقاليد الملك إليه لأنّهم كانوا إذا أرادوا تشريف الرّجل سوّروه بسوار وطوّقوه بطوق من ذهب وغيره. فكأنّ فرعون قال: ليس مع موسى آلات الملك والسّياسة ولامعه حلية وزيّ حسن كما أنّ الملوك يشهرون رسلهم بالخلع والمكرمات، وبأشخاص يتّبعونهم فلذلك قال: «أو جآء معه الملائكة مقترنين» فزعم فرعون أنّ لُبس الملوك والحواشي اللّتين عنده من لوازم الرّياسة، هما من لوازم الرّسالة، فأوهم قومه أنّ الرّسل لا بدّ أن يكونوا على هيئة الجبابرة أو يكونوا محفوفين بالحواشي من الملائكة.

هذا هو ديدن فرعون طاغي مصر، وقد تبعه وسلك مسلكه الحكّام الجبابرة والملوك الظلمة والرّؤسآء الفجرة والقادة الباغية في طوال الأعصار حتّى في زماننا هذا بإسم الإسلام، إذ يلبسون لبس فرعون، ويركبون مركب فرعون، ويسكنون مسكن فرعون، ويمشون مشي فرعون ويكنزون كنز فرعون، ويحكمون حكومة فرعون ... ومعهم حفظة وحواشي ... والإسلام بريئ من ذلك كلّه ومنهم جدّاً.

وإنّ فرعون لا يريد الإيمان ولو طرح على موسى عليه السلام أُسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين كما أنّ المشركين المترفين العرب لا يريدون الإيمان ولو نزّل إليهم الملائكة أو كلّمهم الموتى أو حشر عليهم كلّ شيء قبلاً ...

قال الله تعالى: «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف: ٣١) وقال: «وقالوا لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ـ أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السّماء ولن نؤمن لرقيّك حتّى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه...» الإسراء: ٩٠ـ٩٥).

وقال: «لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنّة يأكل منها» الفرقان: ٧ـ٨).

وقال: «ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الّذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين وقالوا لولا أُنزل عليه ملك ـ ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا» الأنعام: ٧ـ٨و ١١١).

٥٤ ـ (فاستخف قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين)

فاستخفّ فرعون أحلام قومه إذ ضحك ذقونهم، ولعب أفكارهم وعقولهم بقوله وكيده، وبما أبداه من عظمة الملك والرّياسة، وبأسورة من ذهب وما إليها من مظاهر ... وجعلها مناطاً للعلم، ومقياساً للنّبوّة، وأنّه لو كانت هناك نبوّة لكان هو أولى بها، فلمّا دعاهم إلى اُلوهيّة نفسه وطاعته، وإلى الكفر بالله تعالى ومعصيته أطاعوه، أطاعوه في كلّ ما أمرهم به وما نهاهم عنه، من دون تفكّر ولا نظر في تقوّلاته، ولا تعقّل وتأمّل في دعوة موسى عليه السلام لأنّهم كانوا قوماً فاسقين: خارجين عن حكم العقل والفطرة، وعن حكم العلم والحكمة إلى حكم الشّهوة والنّفس الأمّارة بالسّوء، وإلى حكم الجهل والسّفاهة، وخارجين عن طاعة الله تعالى إلى معصيته، وعن معصية فرعون إلى طاعته ... ومن ثمّ أسرعوا إلى تلبية دعوة ذلك الفاسق الغوي، وردّ دعوة موسى عليه السلام من دون نظر ولا تعقّل وهم وأضرابهم يقولون في نار جهنّم: «إنّا أطعنا سادتنا وكبرآءنا فأضلّونا السّبيلا» الأحزاب: ٦٧) «لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السّعير» الملك: ١٠).

كما قال أهل مكّة في رجل من القريتين عظيم. وهكذا أنتم أيّها المشركون العرب ومَن إليكم إذا اتّبعتم من يجعل الرّسالة والإمامة موقوفة على الملك والجاه ... تصبحون كقوم فرعون ... وأكثر القادة في أيّامنا هذا حملة ألقاب ومظهر خلاب، دينهم إعلان، وإصلاحهم كلام بكلام، وهذه عادة الحكّام والملوك والأكاسرة والطّواغيت في الأعصار ...

٥٥ ـ (فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين)

فلمّا أغضب فرعون وقومه رسولنا موسى عليه السلام بسبب إفراطهم في الكفر والضّلال، وإصرارهم على البغي واللجاج، وإمعانهم في الكبر والطغيان وإسرافهم في التكذيب والعصيان، انتقمنا بالعذاب انتقامنا منهم لرسولنا موسى عليه السلام ومن آمن معه، وأن لا نحلم عنهم، فأغرقنا فرعون وقومه في اليمّ وأهلكناهم في البحر وما نجى منهم أحد.

ولا يخفى على القارئ الخبير أنّ الانتقام أشدّ من المعاجلة بالعقوبة، فإنّ المذنب إذا عوجل بالعقوبة لم يتمكّن في المعصية، فلم يستوجب غاية النكال في العقوبة.

وإنّما أهلك فرعون وقومه بالغرق ليكون هلاكهم بما تعزّزوا به وهو الماء في قوله: «وهذه الأنهار تجري من تحتي» فإنّ من تعزّز بشيء دون الله أهلكه الله تعالى به. قال الله تعالى: «ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات فسئل بني إسرائيل إذ جآءهم فقال له فرعون إنّي لأظنّك يا موسى مسحوراً قال لقد علمت ما أنزل هؤلآء إلّا ربّ السّموات والأرض بصآئر وإنّي لأظنّك يا فرعون مثبوراً فأراد أن يستفزّهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً» الإسراء: ١٠١ ـ ١٠٣).

وقال: «فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلّ فرق كالطّود العظيم وأزلفنا ثمّ الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثمّ أغرقنا الآخرين إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين» الشّعراء: ٦٣ ـ ٦٧).

وقال: «كدأب آل فرعون والّذين من قبلهم كذّبوا بآيات ربّهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكلّ كانوا ظالمين» الأنفال: ٥٤).

وقال: «فانتقما منهم فأغرقناهم في اليمّ بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» الأعراف: ١٣٦) فانظر أيّها القارئ المتدبّر كيف نجّى الله جلّ وعلا موسى عليه السلام أو أنّ الطفولية وهو في غاية الضعف نجّاه من اليمّ: «وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين» القصص: ٧) وأغرق فرعون في آخر سلطته، وهو في غاية القوّة والشّوكة في اليمّ؟

### ٥٦ ـ (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين)

فجعلنا فرعون طاغي مصر، وقومه الظّالمين الغافلين المكذّبين ماضياً فيه عبرة ونموذجاً من عواقب الظّلم والغفلة عن آياتنا، وتكذيبها للآخرين الّذين يأتون بعدهم ويسلكون مسالكهم ... وهم أمثال في رزاياهم وقضاياهم، ومن هؤلآء الآخرين، قومك المشركون العرب، فعليهم أن يعتبروا بما مضى على الأوّلين، فينتهوا عن الشّرك بالله سبحانه، وعن

تكذيب آياته ... وعن إعراضهم عن الذّكر وأهله، فيتمثّلون بهؤلآء الأوّلين، فلا يقدمون على مثل أفعالهم ... وفي ذلك عبرة لمن يخشى.

قال الله تعالى: «فدعا ربّه أن هؤلآء قوم مجرمون فأسر بعبادي ليلاً إنّكم متّبعون واترك البحر رهواً إنّهم جند مغرقون كم تركوا من جنّات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوم آخرين فما بكت عليهم السّمآء والأرض وما كانوا منظرين» الدّخان: ۲۲ ـ ۲۹).

وقال: «فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ومضى مثل الأوّلين» الزّخرف: ۸).

وقال: «ألم نهلك الأوّلين ثمّ نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين» المرسلات: ۱۶ ـ ۱۸).

وقال: «قل للّذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنّت الأوّلين» الأنفال: ۳۸).

وقال: «هل أتاك حديث موسى ـ إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى» النّازعات: ۱۵ ـ ۲۶).

### ۵۷ ـ (ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون)

لمّا سئلت أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم رسلنا من قبلك ليلة الأسرى ببيت المقدس عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ووصفته لقومك وشبّهته بعيسى بن مريم إذاً جماعة من المنافقين يضحكون ممّا تصفه ويسخرون منك.

وعلى قول، فالمعنى: ولمّا جعل ابن مريم مثلاً حين نزل قوله تعالى: «إنّكم وما تعبدون من دون اللّه حصب جهنّم» الأنبيآء: ۹۸) قال المشركون العرب: نحن رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى لأنّه عُبِدَ من دون الله إذاً قومك المشركون من المثل يضحكون فرحاً بما سمعوا فشبّهوه بآلهتهم.

### ۵۸ ـ (وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون)

وقال المشركون: ءآلهتنا خير عندك يا محمّد أم عيسى بن مريم؟ وهم يريدون أنّ آلهتهم ليست خيراً من عيسى عليه السلام فإذا كان عيسى من حصب جهنّم لعبادة النّصارى له:

«إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم» الأنبيآء: ٩٨) كان أمر آلهتنا أهون ... فلتكن آلهتنا ومعها عزير والملائكة ... فعلام إذن تنكر علينا عبادة الأصنام والأوثان ... وما ضربوا لك أيّها الرّسـول صلّى الله عـليه وآله وسلّم هـذا المـثل ومـا نـقضوا واعـترضوا بـعيسى بـن مريم عليه السلام إلّا لأجل الجدل والخصومة، والغلبة في القول تهرّباً من الحـقّ لا لإظـهار الحقّ وتمييزه من الباطل لأنّهم يعلمون أنّ المراد من «وما تعبدون» أصنامهم بـالخصوص، فلا يتناول عيسى وعزيراً والملائكة، ولكنّهم قوم ذوو لَدَد يبالغون في الخـصومة بالباطل، مجبولون على سوء الخلق، حرّاص على اللجاج والعناد ...

قال الله تعالى فيهم: «وتنذر به قوماً لدّاً» مريم: ٩٧) «كلّا إنّه كان لآياتنا عنيداً» المدّثر: ١٦) وما ورد في المقام فمن باب التأويل وهو اللبّ فلا تغفل.

## ٥٩ ـ (إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرآئيل)

ما كان عيسى بن مريم إلّا عبداً متظاهراً بالعبوديّة كسآئر عبادنا، ورسولاً من رسـلنا، أنعمنا عليه بالرّسالة وأيّدناه بروح القدس، وأجرينا المعجزات الباهرات عـلى يـديه مـن إحياء الموتى وإبرآء الأكمه والأبرص والأسقام ... ما لم نجعل لغيره في زمانه: «إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيّدتك بروح القدس تكلّم النّاس في المهد وكهلاً وإذ علّمتك الكتاب والحكمة والتّوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطّين كهيئة الطّير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بـإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبيّنات» المائدة: ١١٠).

مع أنّ بني إسرائيل كانوا يومئذٍ خير الخلق وأحبّه إلى الله تعالى، والنّاس دونهـم ليس أحد عند الله عزّ وجلّ مثلهم: «يا بني إسرائيل اذكروا نـعمتي الّـتي أنـعمت عـليكم وأنّي فضّلتكم على العالمين» البقرة: ٤٧).

فما كان عيسى إلهاً ولا ابن إله ولا معبوداً حتّى يقاس بآلهتكم أيّها المشركون أيّها خير؟!

«وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للنّاس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ ـ ما قلت لهم إلّا ما أمرتني به أن اعبدوا الله

ربّي وربّكم ...» المائدة: ١١٦ـ ١١٧).

وقد جعلناه آية بنفسه حيث ولد من غير أب: «مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب» آل عمران: ٥٩) جعلناه آية عجيبة إلهيّة خارقة من آيات الله، ومعجزة من معجزاته ومَثَلاً من أمثاله ... إذ يسير ذكره كالمثل السّآئر لبني إسرائيل وللنّاس أجمعين، جعلناه عبرة وآية يستدلّ بها على وحدانيّة الله تعالى وعظمته، على علمه وحكمته، وعلى تدبيره وقدرته على ما يشآء كما خلقنا آدم وشرّفناه وجعلناه كالمثل السّآئر للنّاس في كلّ ظرف إذ يفتح لهم باب التفكّر والتّذكّر والفهم والعلم ... فليس مخالفة العادة في شيء موجبة لعبادته كما زعم قوم من النّصارى، بل هي مذكّرة بعبادة الخالق العليم القادر الحكيم، إذ جعلناه حجة لنا عليهم بإرسالنا إيّاه إليهم للدّعآءِ إلينا.

فلم يكن عيسى بن مريم إلهاً حتّى ينظر في منزلته في الوهيّته، وإنّما جعلناه معلماً من معالم الحقّ والهدى، والخير والفلاح لبني إسرآئيل بعد أن ماجوا في الفتن والفساد، وغرقوا في الكفر والضّلال ... فإذا ضلّ فيه الضّالّون، وفتن به المفتتنون، فليس في هذا حجّة يحتجّ بها المشركون العرب على رسولنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ويتّخذون منها ذريعة لتبرير منكرهم الّذي هم فيه من عبادة الملائكة الّذين نصبوا لهم هذه التّماثيل وأطلقوا عليها ما أطلقوا من أسّمآءٍ ... فنحن جعلناه مَثَلاً لهم، فجعلوه مِثْلاً لنا فنسوا المَثَل، وضلّوا في المِثل: «اتجادلونني في أسمآء سمّيتموها أنتم وآبآؤكم ما نزّل الله بها من سلطان» الأعراف: ٧١) «ما تعبدون من دونه إلّا أسماء سمّيتموها أنتم وآبآؤكم ما أنزل الله بها من سلطان» يوسف: ٤٠) كما جعلنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام مثلاً ومعلّماً من معالم الحقّ والهدى لهذه الأمّة.

## ٦٠ ـ (ولو نشآء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون)

ولو نشآء لنذهبكم أيّها المشركون البغاة والمستكبرون الطّغاة، وجعلنا بدلاً منكم ملائكة، سكّان الأرض، فيكونوا خلفآء منكم فيها ويعمروها، ويعبدوا الله تعالى وحده ولا يشركوا به شيئاً ولا يعصوه ويفعلوا ما يؤمرون، وما ذلك على الله بعزيز.

قال الله تعالى: «إن يشأ يذهبكم أيّها النّاس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً»

النساء: ١٣٣) وقال: «وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكاً لقضى الامر ثمّ لاينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليه مايلبسون ـ إن يشأ يـذهبكم ويسـتخلف مـن بعدكم مايشاء» الأنعام: ٨ـ٩ و١٣٣).

وقال: «فإن تولّوا فقد أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم ويستخلف ربّي قوماً غيركم» هود: ٥٧).

وقال: «وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لا يكونوا أمثالكم» محمّد صلّى الله عـليه وآله وسلّم: ٣٨).

وقال: «إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز» إبراهيم: ١٩ـ ٢٠).

## ٦١ ـ (وإنّه لعلم للسّاعة فلا تمترنّ بها واتّبعون هذا صراط مستقيم)

وإنّ نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السّمآء إلى الأرض، وظهوره قبيل نهاية الدّنيا شرط من أشراط السّاعة وأمارة على انقضآء عمر الدّنيا وإقبال الآخرة، وقد سمّي الشّرط علماً لحصول العلم به، وعند نزول عيسى عليه السلام يؤمن أهل الكتاب كلّهم: «وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ به قبل موته» النسآء: ١٥٧ ـ ١٥٩) ويومئذٍ يصلّي عيسى بن مريم عليه السلام خلف المهديّ الحجّة بن الحسن العسكري الإمام الثّاني عشر أرواحنا وأرواح العالمين له الفدآء وهو مصلح الكلّ وبقيّة الله الأعظم: «بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين» هود: ٨٦) ويومئذ تقع الأمنة على وجه الأرض كلّها حتّى ترتع الأسد مع الإبل، والنّمار مع البقر، والذّئاب مع الغنم، وتلعب الصّـبيان مـع الحيات ... فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

فقل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للنّاس كافّة: فلا تشكّن في السّـاعة ومجـيئها، واتّبعوني فيما أدعوكم إليه على بصيرة أنا ومن اتّبعني وهذا هو طريق قويم واضح إلى الحقّ والهدى، إلى الخير والصّلاح، وإلى السّعادة والنجاة لا عوج فيه ولا ضلال ...

قال الله تعالى: «الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّي الّذي يجـدونه مكـتوباً عـندهم في التّوراة والإنجيل ـ قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً ـ فآمنوا بالله ورسوله النّبيّ الأمّي الّذي يؤمن بالله وكلماته واتّبعوه لعلّكم تهتدون» الأعراف: ١٥٧ـ١٥٨).

وقال: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني» يوسف: ١٠٨). وقال: «وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله» الأنعام: ١٥٣).
وقال: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله» آل عمران: ٣١).

## ٦٢ ـ (ولا يصدّنكم الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين)

ولا يمنعنّكم الشّيطان أيّها النّاس ولا يصرفنّكم عن الإيمان بأشراط السّاعة، وعن اتّباع الطّريق المستقيم الّذي بيّنّاه لكم الّذي يفضي بكم إلى الحقّ والهدى وإلى الخير والصّلاح ... ولا يعدل بكم إلى الطّريق المؤدّى إلى الباطل والضّلال وإلى الشّرّ والفساد وإلى الجحيم والنّار.

قال الله تعالى: «وإنّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وإنّ الّذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصّراط لناكبون» المؤمنون: ٧٣ ـ ٧٤).

وقال: «وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل وكانوا مستبصرين» العنكبوت: ٣٨).

وقال: «أولو كان الشّيطان يدعوهم إلى عذاب السّعير» لقمان: ٢١).

وقال: «يا أيّها النّاس إنّ وعد الله حقّ فلا تغرّنّكم الحياة الدّنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور إنّ الشَّيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً إنّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السّعير» فاطر: ٥ ـ ٦) فلا تغترّوا بوساوس الشّيطان وشبهه الّتي يوقعها في قلوبكم، فيمنعكم ذلك عن اتّباعي فيما أخبرتكم به من أشراط السّاعة وغيرها ... لأنّ الشّيطان شديد العداوة ومظهرها لكم، غير متحاش ولا متكتّم لها كما يدلّ على ذلك ما وقع بينه وبين أبيكم آدم من امتناعه عن السّجود له وما ألزم به نفسه من إغوآء جميع بني آدم إلّا عباد الله المخلصين، فعداوته ظاهرة لكم لا خفآء على أحد، ثابتة إلى يوم القيامة.

قال الله تعالى: «يا بني آدم لا يفتننّكم الشّيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة» الإعراف: ٢٧).

وقال: «ويريد الشّيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً ـ وقال لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلّنّهم ولا منّينّهم ولآمرّنهم ـ وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً» النساء: ٦٠ و١١٨ ـ ١٢٠).

وقال: «قال فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» ص: ٨٢ـ٨٣).

**٦٣ ـ (ولمّا جآء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأُبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون)**

ولمّا جآء عيسى بن مريم عليه السّلام بني إسرائيل بالأدلّة الواضحة والبراهين القـاطعة على صدق رسالته قال مخاطباً لهم: إنّي قد جئتكم معشر بني إسرائيل بالمعارف الإلهيّة من العقآئد الحقّة والأخلاق الفاضلة ... ولأُبيّن لكم الصّواب في بعض الّذي كنتم تختلفون فيه من أحكام التّوراة، وأمّا بيان كلّ الإختلاف، وبيان كلّ ما يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة فموكول إلى رسالة خاتم الأنبياءِ وكتابه وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فيبيّن بهم فيه الكلّ ...

قال الله تعالى: «ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنّبوّة ورزقناهم من الطّيّبات وفضّلناهم على العالمين وآتيناهم بيّنات من الأمر فما اختلفوا إلّا من بعد ما جآءهم العلم بغياً بينهم» الجاثية: ١٦ـ١٧).

وقال: «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه» هود: ١١٠).

وقال: «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحقّ ودرسوا ما فيه والدّار الآخرة خير للذين يتّقون أفلا تعقلون» الأعراف: ١٦٩).

وقال: «ورسولاً إلى بني إسرائيل أنّي قد جئتكم بآية من ربّكم ـ ومصدّقاً لما بين يديّ من التّوراة ولأُحلّ لكم بعض الّذي حرّم عـليكم وجـئتكم بآيـة مـن ربّكـم فـاتقوا الله وأطيعون» آل عمران: ٤٩ـ ٥٠).

وقال: «فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزّبر وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون ـ وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيّن لهم الّذي اختلفوا فيه ـ ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء» النّحل: ٤٣ـ٤٤ و٦٤ و٨٩).

وقوله تعالى: «فـاتقوا الله وأطـيعون» مـعشر إسرائـيل واخشـوا الله فـيما أمـركم بـه واجتنبوامعاصيه، واتّبعوا وصيّي وقولي، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه من التّـوحيد وأن لا

تعبدوا إلّا الله وحده.

وإذا كان هذا قول عيسى عليه السّلام فكيف يجوز أن يكون إلهاً أو ابناً له. فالمسيح لم يجىء إلى بني إسرائيل راعياً لهم أن يعبدوه من دون الله كما ذهب إلى ذلك أهل الضّلال ممّن عبدوه وجعلوه إلهاً واحتجّ المشركون على عبادتهم للأصنام...

قال الله تعالى: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله» النساء: ١٧٢).

وقال: «وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم، أنت قلت للنّاس اتّخذوني وامّي إلهين من دون الله قال سبحانك ـ ما قلت لهم إلّا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربيّ وربّكم» المائدة: ١١٦ ـ ١١٧).

## ٦٤ ـ (إنّ الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

إنّ الله وحده هو ربّي وربّكم معشر بني إسرائيل، ولا أمتاز عنكم بربوبيّته، فأنا وأنتم مربوبو ربّ واحد، فاعبدوه وحده لا سواه هذا وحده: التّوحيد والعبادة لله وحده صراط مستقيم يفضى سالكه إلى الكمال الإنساني، خلق الإنسان لأجله، فيجب علينا السّير فيه، وما سواه معوّج يؤدّي سالكه إلى الإنحطاط والنّار، فلا ينال الإنسان بالكمّال ولن يمكن إلّا بالتّوحيد والعبادة لله تعالى وحده، فالاعتقاد بوحدانية الله جلّ وعلا والتعبّد بالشرآئع مخلّص جميع الدّيانات والرّسالات الإلهيّة ... أي العلم والعمل، فالصّراط المستقيم علم بحقآئق وعمل بشرآئع ... جآء به الأنبياء كلّهم صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله تعالى: «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون» الذاريات: ٥٦).

وقال: «هذا بلاغ للنّاس ولينذروا به وليعلموا أنّما هو إله واحد وليذّكّر اولوا الألباب» إبراهيم: ٥٢).

وقال: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبيآء: ٢٥).

وقال: «ولقد بعثنا في كل امّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت» النحل: ٣٦).

وقال: «واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ـ اولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده» الأنعام: ٨٧ ـ ٩٠).

## ٦٥ ـ (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)

فاختلف الأحزاب من بينهم في عيسى بن مريم عليه السّلام فتقطّعوا أمرهم بينهم زبراً كلّ حزب بما لديهم فرحون، فويل للذين تحزّبوا في عيسى عليه السّلام وانحرفوا عن طريق الحقّ والهدى، وكفروا بما قالوه فيه، وظلموا أنفسهم من عذاب يوم مولم وجيع.

قال تعالى: «فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظّالمون اليوم في ضلال مبين» مريم: ٣٧ـ٣٨).

## ٦٦ ـ (هل ينظرون إلّا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون)

ما ينتظر الكفّار والمشركون، والفجّار والمجرمون، والفسّاق والظالمون بكفرهم وطغيانهم، وشركهم وعصيانهم، وبغيهم وعدوانهم، وتكذيبهم بآيات الله تعالى إلّا أن تأتيهم السّاعة فجأة، وهم لا يشعرون لا شتغالهم بامور الدنيا وشهواتها وغفلتهم عن الآخرة وحسابها وجزائها، وأهوالها وأحوال أهلها... بل لتكذيبهم بها وإنكارها فيندمون بعد إضاعة الفرصة إذ لم يتوبوا عندها، فيندمون حين لا ينفعهم النّدم ولا يدفع ذلك عنهم شيئاً.

قال الله تعالى: «ولا يزال الّذين كفروا في مرية منه حتّى تأتيهم السّاعة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم» الحج: ٥٥).

وقال: «وما أمر السّاعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب إنّ الله على كلّ شيء قدير» النحل : ٧٧).

وقال: «كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتّى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون» الشعراء: ٢٠٠ـ٢٠٣).

وقال: «وما يشعرون أيّان يبعثون بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شكّ منها بل هم منها عمون» النّمل: ٦٥ـ٦٦).

وقال: «ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم

وهم يخصّمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون» يس: ٤٨ ـ ٥٠).

وقال: «قد خسر الّذين كذّبوا بلقآءِ الله حتّى إذا جآئتهم السّاعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها» الأنعام: ٣١).

وقال: «فيومئذ لا ينفع الّذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون» الزوم: ٥٧).

## ٦٧ـ (الأخلآء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين)

الأخلاء على الكفر والضّلال، الأحبّآء على الظّلم والفساد، والأصدقآء على الجرم والفساد ... في الحياة الدّنيا هم يوم القيامة بعضهم لبعض عدوّ يتبرّأ بعضهم من بعض، ويعادي بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً لما يرى كلّ واحد منهم من العذاب بسبب تلك المحابّة والمصادقة ... «إذ تبرّأ الّذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب» البقرة: ١٦٦).

إلّا المتّقين الموحّدين المؤمنين الصّادقين المتحابّين في الله جل وعلا، فإنّهم يومئذ أصدقآء بعضهم لبعض كما كانوا في الحياة الدّنيا، فإنّ خلّة التّوحيد والإيمان والتقوى ثابتة تتأكّد بين أهلها يوم القيامة، ولا تنقلب إلى عداوة أبداً لأنّ المحابّة في الله عزّ وجلّ باقية لا تزول قطّ، بل تتأكّد وتزداد.

فكلّ خلّة وصداقة تبتني على الدّنيا الدّنيّة وشهواتها ... تنقلب كثيراً إلى عداوة في هذه الحياة الدّنيا بزوال عللها، تماماً إلى عداوة في الدّار الآخرة لظهور حقيقتها لهم يومئذ، وكلّ خلّة تبتنى على الآخرة تدوم بدوامها في الدّنيا والآخرة.

فإخوان السّوءِ والمتحابّون على الدّنيا يترامون بالتهم ويتقاذفون باللعنات يوم القيامة كلّ منهم يُلق باللّائمة على صاحبه ويقول له: أنت الّذي دعوتني إلى كذا وكذا من العاصي والآثام ... وأنت الّذي زيّنت لي كذا وكذا من الشّرور والفواحش ...

قال الله تعالى: «كلّما دخلت أمّة لعنت اختها حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت اُخراهم لأُولاهم ربّنا هؤلآء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّار» الأعراف: ٣٨).

وقال «ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً يا ويلتى

ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جآئني» الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩).

وقال: «وقال إنّما اتّخذتم من دون الله أوثاناً مودّة بينكم في الحياة الدّنيا ثمّ يوم القـيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً» العنكبوت: ٢٥).

## ٦٨ ـ (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)

يخاطب الله عزّ وجلّ وقت الخوف والفزع يوم القيامة للمتّقين المتحابّين في الله جلّ وعلا **خطاب تكريم وتشريف:** يا عبادي لا خوف عليكم اليوم مطلقاً: لا فيما مضى منكم، ولا ما حضر من فرار المرءِ من أخيه وقطع الأنساب، ولا ما يأتي من العذاب على مستحقّيه، ولا أنتم تحزنون مطلقاً: ممّا مضى من دنياكم، ولا من أهوال القيامة وأحوال المجرمين وإن كانوا من أقربائكم في الدّنيا، ولا في الجنّة فإنّ نعيمها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

قال الله تعالى: «فمن تبع هداي فلا خـوف عـليهم ولاهـم يحـزنون ـ مـن آمـن بـالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» البقرة: ٣٨ و٦٢ و١١٢).

وقال: «من جآء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النّمل: ٨٩).

وقال: «لا يحزنهم الفزع الأكبر» الأنبياء: ١٠٣).

وقال: «وينجّي الله الّذين اتقوا بمفازتهم لا يمسّهم السّوء ولا هم يحزنون» الزّمر: ٦١).

وقال: «وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى» النازعات: ٤٠ ـ ٤١).

## ٦٩ ـ (الّذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين)

هؤلآءِ العباد المتّقون هم الّذين آمنوا بالقرآن الكريم وعملوا به وهم الّذين آمنت قلوبهم وصفت نفوسهم، وانقادت لشرع الله تعالى ظواهرهم وبـواطـنهم... وقـد أسـلموا عـلى فطرتهم السّليمة الّتي لم تفسدها الأهوآء الموروثة، فكـانوا عـلى الولايـة والبراءة حسب

الفطرة، فأسلموا نفوسهم إلى الله جلّ وعلا وسلّموا لإرادته، وأخلصوا دينهم له وحده وهذا هو الإسلام المحض ومحض الإسلام: «وإذا يتلى عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحقّ من ربّنا إنّا كنّا من قبله مسلمين» القصص: ٥٣).

## ٧٠ ـ (ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون)

خطاب تكريم وتشريف يوم القيامة من الله جلّ وعلا للمؤمنين حقّاً المتحابّين في الله تعالى: يا عبادي المؤمنون! ادخلوا الجنّة أنتم ونسآؤكم المؤمنات الصّالحات حالكونكم تسرّون السّرور كلّها بلطف الله عزّ وجلّ وكرامته وضيافته تظهر آثارها في وجوهكم ...

قال الله تعالى: «ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب» غافر: ٤٠).

وقال: «وازلفت الجنّة للمتّقين غير بعيد هذا ما توعدون لكلّ أوّاب حفيظ من خشى الرّحمن بالغيب وجآء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشآؤن فيها ولدينا مزيد» ق: ٣١ـ٣٥).

وقال: «إنّ أصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متّكئون لهم فيها فاكهة ولهم فيها ما يدّعون سلام قولاً من ربّ رحيم» يس: ٥٥ـ٥٨).

وقال: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة» القيامة: ٢٢ـ٢٣).

وقال: «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة» عبس: ٣٨ـ٣٩).

وقال: «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنّة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابّي مبثوثة» الغاشية: ٨ـ١٦).

## ٧١ ـ (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيهاخالدون).

هٰؤلآءِ المؤمنين الصّادقين المتحابيّن في الله جلّ وعلا وأزواجهم المؤمنات الصّالحات بعد استقرارهم وهدى روعهم في الجنّة غلمان يخدمون لمولاهم فيها من دون غفلة ولا كسل ولا

توان ولا ملال، وهم باقون على هيئتهم من حداثـة السّـنّ فـلا يمـوتون ولا يهـرمون ولا يتغيّرون، وهم دائماً على الصّفة الّتي تسرّ المخدوم إذا رآى الخادم عليها كأنّهم لؤلؤ في الحسن والنّضارة، في الصّفارة والطّراوة، وفي البياض والصّباحة ... مصون من كـدر أو مخـزون في الصّدف أو الكنّ والدّرج، وأنّهم أخفّ في الخدمة والذّ للمخدومين ...

قال الله تعالى: «إنّ المتّقين في جنّات ونعيم ـ ويطوف عـليهم غـلمان لهـم كأنّهـم لؤلؤ مكنون» الطّور: ١٧ ـ ٢٤).

وقال: «وقليل من الآخرين على سرر موضونة متّكئين عليها متقابلين يطوف عليهـم ولدان مخلّدون» الواقعة: ١٥ ـ ١٧).

**وقوله عزّ وجلّ:** «بصحاف من ذهب وأكواب» يدور على هؤلآءِ المؤمنين الصّالحين وأزواجهم المؤمنات الصّالحات غلمان هيّأوا للخدمة بقصاع ـ آنية واسعة ـ جـنسها مـن ذهب الجنّة الّتي لا يقدر قدرها في الحياة الدّنيا، فيها أنواع طعام الجنّة، فإذا أراد المؤمنون وأزواجهم الشّراب، فيشربهم غلمانهم بأوانٍ مخصوصة لا عروة ولا خرطوم لها، يتّخذ بها للشّراب، وجنسها من ذهب الجنّة ـ كالصّحاف ـ فيها أنواع شرابهم ممّا لذّ وطاب، فيشرب الشّارب من حيث شآء.

قال الله تعالى: «وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها لا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنّهم لؤلؤ مكنون» الطور: ٢٢ ـ ٢٤).

وقال: «يطاف عليهم بكأس من معين بيضآء لذّة للشّاربين» الصّافّات: ٤٥ ـ ٤٦).

**وقوله جلّ وعلا:** «وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون» وفي تلك الجنّة كلّ ما تشتهيه أنفس المؤمنين الصّادقين، تلذّذاً من أنواع النّعيم من المآكل والمشارب والمناكح والملابس ... وغيرها لا حدّ لخزآئن الله تعالى ولا نهاية، وتلذّ أعينهم نظراً إليهـا موجودة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وأنتم أيّها المؤمنون الصّادقون المتحابّون في الله وأزواجكم المؤمنات الصّالحات في تلك الجنّة مع أنواع لذّاتها ونعيمها خالدون دائمون لا تموتون، ولا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولاً مع أنّ كلّ نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وفوق الزّوال، ومستعقب للتحسّر في ثاني الحال.

قال الله تعالى: «ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون» فصّلت: ٣١).

وقال: «وفاكهة ممّا يتخيّرون ولحم طير ممّا يشتهون» الواقعة: ٢٠ ـ ٢١).

وقال: «إنّ المتّقين في ظلال وعيون وفواكه ممّا يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون» المرسلات: ٤١ ـ ٤٣).

وقال: «ولهم فيها أزواج مطهّرة وهم فيها خالدون» البقرة: ٢٥).

وقال: «وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون» الأنبيآء: ١٠٢).

فالجنّة دار بقاء وسلامة لاموت فيها ولا هرم، ولا سقم ولا مرض، ولا آفة ولا زوال، ولا زمانة ولاغمّ ولا همّ ولا حاجة ولا فقر، وأنّها دار الغنى والسّعادة ودار المقام والكرامة، لا يمسّ أهلها فيها نصب، ولا يمسّهم فيها لغوب، دار أهلها جيران الله وأوليآؤه وأحبّآؤه وأهل كرامته يتنعّمون بأنواع المآكل والمشارب والملابس والمناكح والفواكه والأرائك، واستخدام الولدان والغلمان المخلّدين، والجلوس على النمارق والزّرابي ... كلّ منهم إنّما يتلذّذ بما يشتهيه ويريده على حسب ما تعلّقت عليه همّته، ويعطى ما عبد الله جلّ وعلا لأجله.

## ٧٢ ـ (وتلك الجنّة الّتي أورثتموها بما كنتم تعملون)

وتلك الجنّة الّتى أنزلتموها أيّها المؤمنون الصّادقون وأزواجكم المؤمنات جعلتها لكم ميراثاً بما كنتم تعملون في الحياة الدّنيا من صالح الأعمال ... إذ اشتريتم الجنّة بالدّنيا ومتاعها فملكتموها كما أنّ غيركم اشتروا الحياة الدّنيا بالآخرة فمالهم فيها من خلاق، فتختصّ الجنّة ونعيمها بكم، فتملكونها أبداً، وأنّها حرام على غيركم أن يدخلها أبداً.

قال الله تعالى: «ونودوا أن تلكم الجنّة اورثتموها بما كنتم تعملون» الإعراف: ٤٣).

وقال: «والّذين هم لإماناتهم وعهدهم راعون والّذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» المؤمنون: ٨ ـ ١١).

وقال: «تلك الجنّة الّتي نورث من عبادنا من كان تقيّاً» مريم: ٦٣).

وقال: «قالوا الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجر العاملين» الزّمر: ٧٤).

وقال: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا فلا خوف عـليهم ولا هـم يحـزنون اولئك أصحاب الجنّة خالدين فيها جزآءً بما كانوا يعملون» الأحقاف: ١٣ ـ ١٤).

وقال: «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً في التّوراة والإنجـيل والقرآن ومـن أوفى بـعهده مـن الله فاستبشروا ببيعكم الّذي بايعتم وذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ١١١).

وقال: «إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً اولئك لاخلاق لهم في الآخرة» آل عمران: ٧٧).

وقال: «اولئك الّذين اشتروا الحياة الدّنيا بالآخرة فلا يخفف عـنهم العـذاب ولا هـم ينصرون» البقرة: ٨٦).

وقال: «من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النّار وما للظّالمين من أنـصار» المآئدة: ٧٢).

وقال: «إنّ الّذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السّمآءِ ولا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط وكذلك نجزي المجرمين» الأعراف: ٤٠).

## ٧٣ ـ (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون).

لكم أيّها المؤمنون الصّادقون المتحابّون في الله تعالى، ولأزواجكم المؤمنات الصّالحات في الجنّة سوى أنواع الطّعام وصنوف الشّراب فاكهة كثيرة على ألوانها وأنحائها لا يـقدر أحد قدر أقسامها لاحصر لها، تأكلون من كلّ نوع من أنواعها ما اشتهيتموه حيثما شـئتم وكيفما اخترتم، من دون نفاد مهما كثر الأكل والآكلون ...

قال الله تعالى: «وإنّ للمتقين لحسن مآب جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب متّكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطّرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد» ص: ٤٩ ـ ٥٤).

وقال: «يدعون فيها بكلّ فاكهة آمنين» الدّخان: ٥٤).

وقال: «كلوا واشربـوا هـنيئاً بمـا كـنتم تـعملون ـ وأمـددناهم بـفاكـهة ولحـم ممّـا

يشتهون» الطّور: ١٩ ـ ٢٢).

وقال: «وفاكهة ممّا يتخيّرون ـ لا مقطوعة ولا ممنوعة» الواقعة: ٢٠ ـ ٣٣).

وقال: «في جنّة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما اسلفتم في الأيّام الخالية» الحاقة: ٢٢ ـ ٢٤).

## ٧٤ ـ (إنّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون)

إنّ كلّ من تلبّس بالجرم في الحياة الدّنيا ومات عليه من الكفّار والمنافقين، من الفجّار والمستكبرين، من الفسّاق والمفسدين، من البغاة والظّالمين، من الكذّاب والمفترين من الأفّاك والمكذّبين، ومن الطغاة والعاصين ... هم يوم القيامة في نار جهنم خالدون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

وقد أُطلِق المجرم في الآيات القرآنية على كلّ من يستحقّ عذاب جهنّم من الطاغى والمشرك من الضّالّ والمضلّ، من الكافر والمكذّب، من الفاجر والمفتري، من الباغي والمرائى، من العاصي والمفسد، من الفاسق والمنافق، ومن الظّالم ومعينه...

قال الله تعالى: «احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ـ فإنّهم يومئذ في العذاب مشتركون إنّا كذلك نفعل بالمجرمين إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون» الصّافات: ٢٢ ـ ٣٥).

وقال: «قال الّذين استكبروا للّذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهُدى بعد إذ جآءكم بل كنتم مجرمين» سبأ: ٣٢).

وقال: «إنّه من يأت ربّه مجرماً فإنّ له جهنّم لا يموت فيها ولا يحيى» طه: ٧٤).

وقال: «يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته الّتي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثمّ ينجيه كلّا إنّها لظى نزّاعة للشّوى تدعوا من أدبر وتولى وجمع فأوعى» المعارج: ١١ـ١٨).

وقال: «يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنّواصي والأقدام ـ هذه جهنّم الّتي يكذّب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن» الرّحمن: ٤١ ـ ٤٤).

## ٧٥ ـ (لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون)

لا يسكن ولا ينقطع ولا يخفّف عن هؤلآءِ المجرمين عذاب جهنّم لحـظة قـطّ، وهـم في العذاب الشّديد ساكتون سكوت يأس من رحمة الله تعالى وفرجه والنّجاة والخروج منه.

قال الله عزّ وجلّ: «اولئك الّذين اشتروا الحياة الدّنيا بالآخرة فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ـ خالدين فيها لا يخفّف عنهم العذاب ولاهم ينظرون» البقره : ٨٦و ١٦٢).

## ٧٦ ـ (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظّالمين)

وما ظلمنا هؤلاءِ المجرمين بهذا العذاب الشّديد الدّآئم، بل جازيناهم بأعمالهم لأنّنا نضع كلّ مخلوق في مرتبته، وأنّ الظّلم قبيح مطلقاً، والله تعالى غنيّ عن الظّـلم، وعـالم بـقبحه، ولكنّهم ظلموا أنفسهم بالشّرك والعصيان، بالكفر والطّغيان، وبالإثم والعدوان ... فـجنوا بسوءِ أعمالهم على أنفسهم، حيث أوردوها مورد الشّقوة والهلكة والعذاب والنّار ...

قال الله تعالى: «وما الله يريد ظلماً للعالمين» آل عمران: ١٠٨).

وقال: «إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة» النّساء: ٤٠).

وقال: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً» الأنبياء: ٤٧).

وقال: «ومن يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظّالمون ـ والكافرون هم الظّالمون» البقرة: ٢٢٩ و ٢٥٤).

وقال: «وأخذنا الّذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ـ ساء مثلاً القوم الّـذين كذّبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون» الأعراف: ١٦٥ و١٧٧).

فقال: «فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً ـ ومن أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه فأعرض عنها ونسى ما قدّمت يداه» الكهف: ١٥ و٥٧).

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الايمان ومن يتولّهم منكم فاولئك هم الظّالمون» التوبة: ٢٣).

وقال: «والّذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيّئات ما كسبوا وماهم بمعجزين» الزمر: ٥١).

## ٧٧ ـ (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ما كثون)

وهؤلآء المجرمون يستغيثون بالخزنة: «وقال الّذين في النّار لخزنة جهنّم ادعوا ربّكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب» غافر: ٤٩) فيحبس عنهم الجواب أربعين عاماً، ثمّ يجيبونهم بعد خيبة الآمال: «قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاؤا الكافرين إلّا في ضلال» غافر: ٥٠) والخزنة هم الملائكة الغلاظ الشّداد المتولّون لأمرها: «عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» التحريم: ٦).

فلمّا يئسوا من الخزنة رجعوا إلى مالك ـ هو إسم كبير الخزنة ومقدّمها ورئيس سدنتها الماضي عليهم كلامه، إسم مشتقّ من الملك والقوّة حيث تصرّفت حروفه وهم عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمرّ عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها ـ ونادوا يا مالك سل ربّك ليقض علينا، فيمتنا حتّى نتخلّص ونستريح من هذا العذاب؟ فيحبس عنهم الجواب أربعين عاماً وهم في العذاب، ثمّ يجيبهم وقال إنكم أيّها المجرمون لابثون دائمون في العذاب، فلا تتخلّصون منه بموت ولا فتور ولا خروج.

فحينئذ تقول لهم الخزنة: ادعوا ربّكم أيّها المجرمون فلا أحد خير من ربّكم، فيقولون: «ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالّين ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون» فيجيبهم الله جلّ وعلا: «اخسئوا فيها ولا تكلّمون» المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٨) «إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون» المطفّفين: ١٥) وعندئذ يئسوا من كلّ خير، وعندئذ يأخذون في الزّفير والحسرة والويل: «إنّهم لصالوا الجحيم ثمّ يقال هذا الّذي كنتم به تكذّبون» المطفّفين: ١٦ ـ ١٧).

## ٧٨ ـ (لقد جئناكم بالحقّ ولكنّ أكثركم للحقّ كارهون)

خطاب من الله تعالى للمشركين ولمن انسلك مسلكهم على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ردّاً على الّذين يقفون من الدّعوة الحقّة هذا الموقف العنادي، فأبوا أن يستمعوا الذّكر ويستجيبوا لأهله وهم أكثر المشركين ومن اتّبعهم وإن تظاهروا بالإسلام، ولذلك خوطبوا بقوله تعالى: «ولكنّ أكثركم للحقّ كارهون» وأمّا الّذين استمعوا واستجابوا فقد

كانوا قلّة قليلة منهم.

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «وما تأتيهم من آية من آيات ربّهم إلّا كانوا عنها معرضين فقد كذّبوا بالحق لمّا جآءهم فسوف يأتيهم أنبآء ما كانوا به يستهزؤن» الأنعام: ٤ ـ ٥).

وقوله: «لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر اللّه وهم كارهون» التوبة: ٤٨).

وقوله: «أفلم يدبّروا القول أم جآءهم مالم يأت آباءهم الأوّلين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنّة بل جآء هم بالحقّ وأكثرهم للحقّ كارهون ولو اتّبع الحـقّ أهوآءهم لفسدت السّموات والأرض ومن فيهنّ بل أتيناهم بذكرهم فـهم عـن ذكـرهم معرضون أم تسئلهم خرجاً فخراج ربّك خير وهـو خـير الرّازقـين وإنّك لتـدعوهم الى صراط مستقيم» المؤمنون: ٦٨ ـ ٧٣).

وقوله: «والّذين كفروا فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ـ إنّ الّذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى الشّيطان سوّل لهم وأملى لهم ذلك بأنّهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم اسرارهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٩ و٢٥ ـ ٢٦).

## ٧٩ ـ (أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون)

إنّ هؤلآءِ الكارهين للحقّ، والمعرضين عن الذّكر وأهله، لم يـقتصروا عـلى الكـراهـة والإعراض، بل أحكموا أمرهم كأسلافهم في تكذيب الحقّ وردّه إلى غير أهله، بأن يحيلوا عن ردّ الحق بالباطل بوجوه من المكر والكيد والحيل ... فـإنّا محـكمون أمـرنا فـنكيدهم كيدهم ونردّ عليهم سوء كيدهم بانحطاطهم وفشلهم وخزيهم وهوانهم في الحـياة الدّنـيا، وبتخليدهم في النّار معذّبين فيها أبداً كأسلافهم اولئك المجرمين ...

قال الله تعالى: «واصبر وما صبرك إلّا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق ممّا يمكرون» النحل: ١٢٧).

وقال: «وكذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلّا بأنفسهم

وما يشعرون ـ الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الّذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون» الأنعام: ١٢٣ ـ ١٢٤).

### ٨٠ ـ (أم يحسبون أنّا لانسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)

بل أيحسب هؤلآءِ الكارهون للحق، والمعرضون عن أهله أنّا لا نسمع حديث أنفسهم ونيّاتهم وأفكارهم وعقآئدهم وما يستسرّونه في ضمآئرهم وقلوبهم؟ ولا نسمع تآمرهم في السّرّ والخفآء، وما يناجيه بعضهم بعضاً بحيث لا يسمعه غيرهما؟ فإذا نعلم السّرّ والنّجوىٰ فكيف الأقوال والأفعال ...؟ بلى نعلم سرّهم كلّه، ونطلع نجواهم جميعه ممّا يتحدّثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم، ولايخفى علينا خافية فى الارض ولا فى السّماء.

قال الله تعالى: «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله» آل عمران: ٢٩).

وقال : «وان تبدوا ما فى أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به اللّه» البقرة: ٢٨٤).

وقال: «يعلم خائنة الأعيُن ومافي الصّدور» غافر: ١٩).

وقال: «عالم الغيب والشّهادة الكبير المتعال سوآء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخفّ باللّيل وسارب بالنهار» الرّعد: ٩ ـ ١٠).

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة ـ تسرّون إليهم بالمودّة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سوآء السّبيل» الممتحنة: ١).

وقال: «ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسّرون وما يعلنون إنّه عليم بذات الصّدور» هود: ٥).

وقال: «ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرّهم ونجواهم وأنّ الله علاّم الغيوب» التّوبة: ٧٨).

وقال: مخاطباً لموسى وهارون: «لا تخافا إنّني معكما أسمع وأرى» طه: ٤٦).

ولا يخفى على القارىء الخبير المتدبّر: أنّا نعرف حقيقة الصّوت، فإذا سمعناه وجدنا حالة زائدة على ماكان حاصلاً قبل العلم، وتلك الحالة مزيد انكشاف وظهور سمّيناه بالسّمع وأنّ لفظ السّامع والسّميع موضوع في الأصل لهذا الانكشاف والتجلّي، فلمّا ورد في حق الله جلّ

وعلا، كان ثبوت جنس هذا الانكشاف في حقّه سبحانه ولا يكون الحاصل لله تعالى نوع هذا الانكشاف، وذلك أنّ الانكشافات الحاصلة لله تعالى بالنسبة إلى الانكشافات الحاصلة للعبيد كنسبة ذاته المتعال إلى ذوات العبيد، وكنسبة وجوده إلى وجود العبيد، ولمّا كان لا مشاركة بين الذّاتين وبين الوجودين إلّا في الإسم، وكذا القول بين الانكشافين.

ومن البداهة أنّ الحاصل عند عقول الخلق من معاني صفات الله جلّ وعلا خيالات ضعيفة ورسوم خفيّة، وقد جلّت صفاته عن مناسبة صفات المحدثات، وقد تقدّست صمديّته وعزّته عن مشابهة الممكنات ...

وقوله عزّ وجلّ: «ورسلنا لديهم يكتبون» ومع ذلك رسلنا الموكّلون الّذين يحفظون عليهم عقائدهم وأفكارهم، وأقوالهم وأفعالهم ... يكتبون كلّها في صحائف أعمالهم ـ صغيرها وكبيرها، خيرها وشرّها، صالحها وفاسدها ... ـ ويلازمونهم أينما كانوا ما داموا أحيآء، ويكتبون ما يكيدونه وما يبيتونه.

قال الله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشّمال قعيد ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد» ق: ١٦ ـ ١٨).

وقال: «وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون» الانفطار: ١٠ ـ ١١).

وقال: «وكلّ شيء فعلوه في الزّبر وكلّ صغير وكبير مستطر» القمر: ٥٢ ـ ٥٣).

وقال: «إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون» يونس: ٢١).

## ٨١ ـ (قل إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل العابدين)

قل يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآءِ المشركين المعاندين تحقيقاً للحقّ وتنبيهاً لهم على أنّ مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة ليست لبغضك لهم أو لمعبوديهم، بل إنّما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا إليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله سبحانه، قل لهم: إذا ظللتم بأنّ لله سبحانه ولداً تعبدونه، فإنّي لا أزال أنكر ذلك، وأعلن أنّي أوّل العابدين لله جلّ وعلا وحده لا شريك له، وبذلك اُمرت وأنا أوّل المسلمين، وأوّل

الرّافضين الآلهة كلّها ...

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى خطاباً لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك اُمرت وأنا أوّل المسلمين قل أغير الله أبغي ربّاً وهو ربّ كلّ شيء» الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٤) و «فاستمسك بالّذي اُوحى إليك إنّك على صراط مستقيم ـ واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون» الزخرف: ٤٣ ـ ٤٥).

## ٨٢ ـ (سبحان ربّ السّموات والأرض ربّ العرش عمّا يصفون)

منزّه ربّ السّموات والأرض وما فيهما من الخلق، وربّ العرش المحيط بذلك كلّه، منزّه أن يلد أو يتّخذ ولداً أو شريكاً في خلق الكون، وتدبير نواميس الوجود، منزّه عمّا يصفه هؤلآء المشركون الأغبيآء كذباً وجهلاً من كلّ ما يقتضى الحدوث.

قال الله تعالى: «أم لهم إله غير الله سبحانه الله عمّا يشركون» الطّور: ٤٣).

وقال: «إنّما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السّموات وما في الأرض» النّساء: ١٧١).

وقال: «فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شيء» يس: ٨٣).

وقال: «وقل الحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في المُلك ولم يكن له وليّ من الذّلّ وكبّره تكبيراً» الإسراء: ١١١).

وقال: «سبحانه وتعالى عمّا يصفون بديع السّموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيء وهو بكلّ شيء عليم» الأنعام: ١٠٠ ـ ١٠١).

## ٨٣ ـ (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الّذي يوعدون)

فاترك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآءِ المشركين بالله سبحانه، والمكذبيّن برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمعرضين عن آياته ... الّذين اتّخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم

الحياة الدّنيا وغفلوا عن الآخرة، دعهم أن يخوضوا في شركهم وطغيانهم، في كفرهم وعصيانهم، في إثمهم وعدوانهم، وفي ضلالهم وعنادهم ويسلكوا في باطلهم مسك الخائضين في المآءِ. ويلعبوا في دنياهم لعب اللّاعبين الّذين لا فائدة من أفعالهم وأقوالهم إلّا مرّ الزّمان، وضياع العمر وفنائه ويفعلوا في امورهم الدّنيوية فعل اللاّعب الغافل عن عاقبة ما يعمل، فدعهم غير ملتفت إليهم حيث لم يذعنوا للحقّ وأهله بعدما سمعوا هذا البرهان الجليّ حتّى يلاقوا يوم القيامة ما وعدوا من الحساب والعقاب، ومن النّار والعذاب.

قال الله تعالى: «وإذا رأيت الّذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتّى يخوضوا في حديث غيره ـ وذر الّذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدّنيا ـ ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون ـ ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ـ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شآء ربّك ما فعلوه فذرهم وما يفترون» الأنعام: ٦٨ و ٧٠ و ٩١ و ١١٠ و ١١٢).

وقال: «ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون» الحجر: ٣).

وقال: «ذلك بأنّهم استحبّوا الحياة الدّنيا على الآخرة وأنّ الله لا يهدي القوم الكافرين» النّحل: ١٠٧).

وقال: «الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد» إبراهيم: ٣).

وقال: «فذرهم حتّى يلاقوا يومهم الّذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولاهم ينصرون» الطّور: ٤٥ ـ ٤٦).

وقال: «يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنّهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلّة ذلك اليوم الّذي كانوا يوعدون» المعارج: ٤٣ ـ ٤٤).

## ٨٤ ـ (وهو الّذي في السّمآء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم)

والله تعالى هو الّذي في السّمآءِ إله يستحقّ وحده لعبوديّة جميع خلقه، كما هو في الأرض إله يستحقّ هو وحده لمعبوديّة جميع خلقه، فيجب على أهلها كلّهم عبادته وحده

لوحدانيّته في الوجود والايجاد والتّدبير، فلا يستحقّ غيره من أهـل السّـموات والأرض للعبادة، وهو وحده الحكيم في جميع افعاله الّذي لا يقع شيء منها إلّا بمقتضى حكمته، العليم بمصالح عباده، المحيط علمه بكلّ شيء فيهما على سوآء، فهو وحده إله الكون وخالقه بأرضه وسمائه، ومدبّره بعلمه وحكمته، فكلّ ما خلق الله تـعالى مـوزون بمـيزان الحـكمة، مـقدّر بقدرها ... وكلّ مافي السّموات والأرض واقع في علم الله جلّ وعلا وهكذا كلّ أمر ـ صَغُرَ أو كَبُرَ ـ إنّما ملاكه الحكمة والعلم، فبالحكمة يقوم الأمر، وبالعلم تضبط مصادره وموارده.

فمن تدبّر اتقان نظام الكون، وحسن تنسيق نواميس الوجود يجد الحـكمة في كلّ شيء على أتمّ وجوهها، فيراها في أصغر الأشيآءِ كما يراها في جلائلها ... ويعجب مما فيه من جمال وكمال، ويدهش لما يجد فيه من غرائب يحار فيها اللبّ، فأفردوا أيّها المـشركون لله تـعالى العبادة ووحّدوه ولا تشركوا به شيئاً سواه، وهذا دعوة جميع الأنبيآءِ والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين لأُممهم ...

قال الله تعالى: «قل أيّ شيء أكبر شهادة قل الله شهيداً بيني وبينكم واوحى إليّ هـذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أئنّكم لتشهدون أنّ مع الله آلهة أُخرى قل لا أشهد قل إنّما هو إله واحد وإنّني بريء ممّا تشركون ـ ذلكم الله ربّكم لا إله إلّا هو خالق كلّ شيء فاعبدوه وهو على كلّ شيء وكيل» الأنعام: ١٩ و١٠٢).

وقال: «وما من إله إلّا الله وإنّ الله لهو العزيز الحكيم» آل عمران: ٦٢).

وقال: «ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله» المؤمنون: ٩١).

وقال: «قل إنّما أنا بشر مثلكم يُوحىٰ إليّ أنّما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقآء ربـه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً» الكهف: ١١٠).

وقال: «إنّما إلهكم الله الّذي لا إله إلّا هو وسع كلّ شيء علماً» طه: ٩٨).

وقال: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون ـ قل إنّما يوحىٰ إليّ أنّما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون فإن تولّوا فقل آذنتكم عـلى سـوآء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون إنّه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكـتمون» الأنـبياء: ٢٥ و١٠٨ ـ ١١٠).

**٨٥ ـ (وتبارك الّذي له ملك السمّوات والأرض وما بينهما وعنده علم السّاعة وإليه ترجعون)**

تعظّم وتقدّس الّذي له ملك السمّوات والأرض وما بينهما من عوالم لاندري عـددها فضلاً عن كنهها وحقيقتها، فيتصرّف في ملكه بلا دافـع ولا مـانع ولا مـنازع مـن أحـد، فسلطانه جارٍ على الكون كلّه، وحكمه نافذ في كلّ شيء، وقضآئه ماضٍ في جمـيع خـلقه، وبيده أزمّة الأُمور كلّها نقضاً وإبراماً، فمن أين له شريك في الوجود أو الايجاد أو في التّدبير أو في العبادة؟

قال الله تعالى: «لله ملك السّموات والأرض ومافيهنّ وهو على كلّ شيء قدير» المائدة: ١٢٠).

وقال: «تبارك الّذي بيده الملك وهو على كلّ شيء قدير» الملك: ١).

وقال: «ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين» الأعراف: ٥٤).

وقال: «ذلكم الله ربّكم فتبارك الله ربّ العالمين هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدّين الحمد لله ربّ العالمين» غافر: ٦٤ ـ ٦٥).

وقال: «وقل الحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذّلّ وكبّره تكبيراً» الإسراء: ١١١).

**وقوله تعالى:** «وعنده علم السّاعة» وعند الله تعالى وحده علم السّاعة متى تقوم، فلا يجلّيها لوقتها إلّا هو فأخفاها لتجزى كلّ نفسٍ بما تسعى.

قال الله عزّ وجلّ: «يسئلونك عن السّاعة أيّان مرساها قل إنّما علمها عند ربّي لا يجلّيها لوقتها إلّا هو ثقلت في السّموات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتة يسئلونك كأنّك حفيّ عنها قل إنّما علمها عند الله ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» الأعراف: ١٨٧).

وقال: «إنّ السّاعة آتية أكاد أُخفيها لتجزى كلّ نفسٍ بما تسعى» طه: ١٥).

**وقوله جلّ وعـلا:** «وإليـه تـرجـعون» وإلى الله تـعالى وحـده لا سـواه تـرجـعون أيّها المشركون يوم القيامة، فـتحاسبون يـومئذ حسـاباً عسـيراً، وتجـازون كـلّكم عـلى قدر أعمالكم وأقوالكم، على عـقائدكم وأفكـاركم، وعـلى نـيّاتكم ومـافي صـدوركم إن

خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ.

قال الله تعالى: «إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ـ إلى الله مرجعكم جميعاً فينبّئكم بما كنتم تعملون» المآئدة: ٤٨ و١٠٥).

وقال: «ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبّئهم بما عملوا إنّ الله عليم بذات الصّدور نمتّعهم قليلاً ثمّ نضطرّهم إلى عذاب غليظ» لقمان: ٢٣ ـ ٢٤).

فمن إليه وحده رجوع الخلق، فإليه وحده تدبيرهم، ومن إليه التدّبير فله الألوهيّة في السّمآءِ والأرض ومابينهما، ومن له الالوهيّة فيهنّ فله التّصرّف المطلق كيفما يشآء من دون مانع ولا منازع ولا مدافع من أحد من خلقه.

## ٨٦ ـ (ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة إلّا من شهد بالحقّ وهم يعلمون)

ولا يملك الملائكة الّذين كان المشركون العرب يزعمون أنّهم بنات الله سبحانه فيعبدونهم مع الله سبحانه، ويأملون شفاعتهم لأنفسهم عند الله يوم القيامة «ويقولون هؤلآء شفعآؤنا عند الله» يونس: ١٨) «ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى» الزمر: ٣) وهؤلآءِ الملائكة لا يستطيعون أن يشفعوا إلّا لمن آمن بالحقّ وعمل به، واستحقّ الشّفاعة، وهؤلآءِ الشّفعاء يعلمون حال المشفّع لهم وحقيقة أعمالهم بحيث صارت الشّهادة مقبولة لعلة العلم بالشّهادة، ولولا العلم بالشّهادة لما كانت الشّهادة مقبولة، فهذا من شفاعة الملائكة للعصاة التائبين من المؤمنين شفاعة مقبولة عند الله جلّ وعلا.

فالشّفاعة المأذونة للشّفعآءِ شفاعة كان الشّفعآء عالمين بأحوال المشفّع لهم، وحقيقة أعمالهم، فلا إذن لمن كان جاهلاً بها، ولا لمن لا يستحقّ الشّفاعة.

قال الله تعالى: «من ذا الّذي يشفع عنده إلّا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم» البقرة: ٢٥٥).

وقال: «ما من شفيع إلّا من بعد إذنه» يونس: ٣).

وقال: «يومئذ لا تنفع الشّفاعة إلّا من أذن له الرّحمن ورضى له قولاً» طه: ١٠٩).

وقال: «لا تغني شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشآء ويرضى» النجم: ٢٦).

وقال: «وما نرى معكم من شفعآءكم الّذين زعمتم أنّهم فيكم شركآء لقد تقطّع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون» الأنعام: ٩٤).

## ٨٧ ـ (ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون)

وأُقسم بإلهيّتي إن سئلت أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء المشركين المعاندين البَبْغآء: مَن خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً؟ ومَن أخرجهم من العدم إلى الوجود؟ لما وجدوا لأنفسهـم إلّا جواباً واحداً وهو أن يقولوا: الله وحده خلقنا الله وخلق كلّ شيء لا شريك له في ذلك، اذ لا يستطيعون الجحود لظهور الأمر وجلائه لأنّهم يعلمون ضرورة أنّ أصنامهم لم تخلقهم، وأنّ الملائكة من خلق الله تعالى وإن كانوا بنات الله في زعمهم ومع هذا الإقرار منهم بخلق الله كيف يعترفون بوحدانيّة الخالق، ثمّ يجعلون له أنداداً؟ كيف يصرفون عن توحيد خالق الكون ونواميس الوجود إلى الشّرك بالله سبحانه مع إقرارهم بأنّه وحده هو الخالق؟ من أيّ وجه يصرفون عن الخالق بعد أن استبان لهم الحقّ ووضح السّبيل؟ كيف يشركون المنحوت بمن له الملك والملكوت بمن له الخلق والأمر، وبمن له العلم والتّدبير؟ كيف يقبلون عن طريق الحقّ إلى الباطل؟ عن طريق الهدى إلى الضّلال؟ عن سبيل الصّلاح إلى الفساد؟ وعن سبيل الكمال إلى الانحطاط؟؟؟

فمن اعترف بوحدانيّة خالقه ثمّ عمد إلى حجر أو حيوان أو إنسان أو ملائكة أو جنّ ... وعبده مع الله تعالى أو عبده وحده فقد عبد بعض مخلوقاته، فهو في غاية الجهل والغباوة، في غاية السّفه والضّلالة، وفي غاية ضعف العقل والحماقة، ومن غاية سفاهة المشركين العرب وغباوتهم أنّهم كانوا يتّخذون الأحجار آلهة لأنفسهم يعبدونها ولا يقبلون الإنسان وهـو أشرف المخلوقات رسولاً من الله جلّ وعلا اليهم ليهديهم الى الله تعالى.

قال الله تعالى: «ولئن سئلتهم من السّموات والأرض وسخّر الشمس والقمر ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون ـ ولئن سئلتهم من نزّل من السّمآءِ ماءً فأحيا به من الأرض من بعد مـوتها ليقولنّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون» العنكبوت: ٦١ ـ ٦٣).

وقال: «أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون» الأعراف: ١٩١).

وقال: «أم جعلوا لله شركآء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم» الرّعد: ١٦).

وقال: «أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذّكرون ـ والّذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون» النّحل: ١٧ ـ ٢٠).

وقال: «قل من يرزقكم من السّمآء والأرض أمّن يملك السّمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتّقون فذلكم الله ربّكم الحق فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال فأنّى تصرفون» يونس: ٣١ـ ٣٣).

## ٨٨ ـ (وقيل يا ربّ إنّ هؤلآء قوم لا يؤمنون)

وعند الله جلّ وعلا علم السّاعة، وعلم قول رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم حين يشكو إلينا عامّة قومه العرب العنود الّذين أرسلناه إليهم من أنفسهم: يا ربّ إنّ هؤلاءِ الّذين أرسلتنى إليهم لتبليغهم دينك الحقّ، ودعوتهم إلى كتابك الحقّ، وأمرتني بإنذارهم هم قوم خصمون لجوج لا يؤمنون بك وبكتابك ولا يستجيبون لدعوتي فافعل بهم ماشئت.

قال الله تعالى: «وما تغني الآيات والنّذر عن قوم لا يؤمنون» يونس: ١٠١).

وقال: «وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون» الزّخرف: ٥٨).

وقال: «أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون» الطّور: ٣٢ـ ٣٣).

كما يشكو إلينا رسولنا الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم القيامة، خاصّة قومه الّذين اوتوا الكتاب فأخذنا ميثاقهم أن يبيّنوه للنّاس ولا يكتموه ولكنّهم اتّخذوه مهجوراً ولم يعتنوا بكلام خالقهم العليم الحكيم، على حدّ كلام المخلوق الجاهل الخاطىء، فنبذوا كلام خالقهم ورآء ظهورهم وشتروا به ثمناً قليلاً، واكتفوا بقرائته على المقابر، ومجالس العزآءِ، وجهيزة العرآئس، وعلى الخروج من تحته عند إرادة السّفر... وهم يحبّون أن يحمدوا بما نقضوه وكتموه ونبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

قال الله عزّ وجلّ: «ويوم يعضّ الظّالم على يديه يقول ياليتني إتّخذت مع الرّسول سبيلا ياويلتي ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذّكر بعد اذ جائني وكان الشيطان للإنسان خذولاً وقال الرسول ياربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القران مهجوراً» الفرقان: ٢٧ ـ ٣٠).

وقال: «واذ اخـذ الله مـيثاق الّـذين اوتـوا الكـتاب لتـبيّننّه للـنّاس و لا تكـتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم و اشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون لا تحسبنّ الّذين يفرحـون بما أتوا و يحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران: ١٨٧ ـ ١٨٨).

## ٨٩ ـ (فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون)

قال الله تعالى لرسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم جواباً له عن دعآئه ايّاه: «ياربّ إنّ هؤلاء قوم لايؤمنون» فاعرض عن هؤلآء المشركين العرب المعاندين اللّجوج وعن أذاهم وسفاهتهم، أعرض عنهم الصّـفح الجـميل بـصفح وجـهك، ومـن انسـلك مسـالكهم في الإعراض عن الذّكر وأهله فلا تبال بهم، وقل لهم سلام، فلا تجبهم بمثل ما يخطابونك من سوءِ الكلام وفاحشة القول، بل وقابل جهلهم بالحلم، وسفاهتهم بالمغفرة والصّفح الجميل والإغضآءِ، وقل لهم قولاً ميسوراً وادعـهم إلى سـبيل ربّك بـالحكمة والمـوعظة الحسـنة وجادلهم بالّتي هي أحسن، وبلّغ ما انزل إليك من ربّك، وذكّرهم فإنّ الذّكرى هي مهمّتك وما أنت عليهم بحفيظ، فسوف يعلمون من هو على الحق والهدى، ومن هو عـلى البـاطل والضّلال، من هو على الخير والسّعادة، ومن هو على الشّرّ والشّقاء، ومن هو على طـريق الكمال والنّجاة ومن هو على سبيل الإنحطاط والهلاك ...

فليس الصّفح والسّلام بمعنى تـرك دعـوتهم وتـبليغهم وتـذكيرهم كـما زعـم بـعض المتفسّرين بل لابدّ من دعوتهم وتركهم وشأنهم يختارون ما يريدون دون ما إجبار ولا إبرام ولا عداءٍ ولا حقد ... وأنّ ذلك سيظهر لهم.

قال الله تعالى: «أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين» الزّخرف: ٥).

وقال: «فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً» النّسآء: ٦٣).

وقال: «وإمّا تعرضنّ عنهم ابتغآء رحمة من ربّك ترجوها فقل لهم قولاً ميسور» الاسراء: ٢٨).

وقال: «فأعرض من تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدّنيا ذلك مبلغهم من العلم إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى» النّجم: ٢٩ ـ ٣٠).

وقال: «فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلّا البلاغ» الشورى: ٤٨).

وقال: «ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون. فاصفح الصّفح الجميل ـ وقل إنّي أنا النّذير المبين ـ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنّا كفيناك المستهزئين الّذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون» الحجر: ٣و ٨٥و ٩٦).

وقال: «ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ـ واصبر وما صبرك إلّا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إنّ الله مع الّذين اتّقوا والّذين هم محسنون» النّحل: ١٢٥ ـ ١٢٨).

وقال: «وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون» الشعراء: ٢٢٧).

## ﴿ جملة المعاني ﴾

**٤٣٢٦ ـ (حمٓ)**

رمز من الرّموز بين الله تعالى وبين رسوله الخاتم صلّى الله عـليه وآله وسـلّم وأهـل بـيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

**٤٣٢٧ ـ (والكتاب المبين)**

يقول الله عزّ وجل: أُقسم بهذا الكتاب الظّاهر بنفسه لا ريب فيه، المظهر للنّاس طريق الحقّ والهدى.

**٤٣٢٨ ـ (إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون)**

إنّا جعلنا هذا الكتاب قرآناً تقرؤنه بلسان عربيّ فصيح واضح لعلّكم يـا أهـل مكّـة تعقلون وتدبّرون آياته وتعملون به.

**٤٣٢٩ ـ (وإنّه في امّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم)**

وإنّ هذا القرآن العربيّ مثبت في اللوح المحفوظ الّذي هو أصل الكتاب كلّه عندنا وهذا القرآن لعليّ يعلو على جميع الكتب السّماويّة النّازلة على المـرسلين عـليهم السّـلام، ولحكـيم لايقاس بحكمته كلام أبداً.

**٤٣٣٠ ـ (أفنضرب عنكم الذّكر صفاً أن كنتم قوماً مسرفين)**

أفنرفع عنكم أيّها المشركون هذا القرآن الّذي يسّرناه للـذكر، ولا نحـتجّ عـليكم بـه وندعكم مهملين لأجل أن كنتم قوماً مسرفين في الإعراض عنه، وعدم التذكّر به؟

**٤٣٣١ ـ (وكم أرسلنا من نبيّ في الأوّلين)**

وكثيراً ما أرسلنا من قبلك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من نبيّ، رسالة تترى من دون انقطاع في الامم الماضية رغم تواتر تكذيبهم رسلنا، من دون أن نرفع عنهم الذّكر صفحاً لأجل أن كانوا قوماً مسرفين في تكذيبهم وإعراضهم عن الذّكر.

**٤٣٣٢ ـ (وما يأتيهم من نبيّ إلّا كانوا به يستهزؤن)**

ولم يأت هؤلاء الامم الماضية من نبيّ يدعوهم إلى الحقّ والهدى إلا كانوا هُم يستهزؤن بالنّبي وما جآءهم به كاستهزآءِ قومك بك وبما جئتهم به.

**٤٣٣٣ ـ (فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ومضى مثل الأوّلين)**

فأهلكنا المستهزئين بالرّسل من الامم السّالفة الّذين كانوا هم أشدّ قـوّة مـن هـؤلاء المشركين، وهذا مثل مضى للمستهزئين بك من قومك ولمن قبلهم من أضرابهم ...

**٤٣٣٤ ـ (ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليـقولنّ خـلقهنّ العـزيز العليم)**

أُقسم بعزّتي وعلمي إن سئلت أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسـلّم هـؤلآء المـشركين المسرفين: من خلق السّموات والأرض؟ فما كان لهم جواب إلّا أن يقولوا: خلق السّموات والأرض مَن هو غالب لا يقهر في ملكه، مَن هو عالم بكلّ شيء.

**٤٣٣٥ ـ (الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلّكم تهتدون)**

هو الّذى جعل لكم أيّها المسرفون وللنّاس كافة هذه الأرض ممهّدة للسّير والاستقرار، وجعل لكم فيها طرقاً مختلفة تسلكونها أينما شئتم من أقطارها ... لعلّكم تهتدون بسلوكها إلى مقاصدكم...

**٤٣٣٦ ـ (والّذي نزّل من السّمآءِ ماءً بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون)**

وهو الّذي نزّل من السّمآءِ مطراً على قدر حاجاتكم، فأحيينا به بلدة من بلادكم بعد أن كانت ميتاً خالياً من النّبات، مثل ذلك الإحياء تبعثون أحيآء من قبوركم بعد موتكم يوم البعث.

**٤٣٣٧ ـ (والّذي خلق الأزواج كلّها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون)**

وهو الّذي خلق أصناف المخلوقات كلّها ... وجعل لكم من السّفن ما تركبونه في البحار، ومن الأنعام ما تركبونه في البر إلى حيث تقصدون...

**٤٣٣٨ ـ (لتستووا على ظهوره ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين)**

لتستقرّوا على ظهور ما تركبون من السّفن والأنعام ... ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم على ما تركبونه، وتقولوا: سبحان الّذي سخّر لنا هذا المركب الّذي ذلّله لنا حتّى ركبناه، وما كنّا مطيقين ولا مقاومين في القوّة ما ركبناه.

**٤٣٣٩ ـ (وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون)**

وأن تقولوا أيضاً: إنّا إلى ربّنا لمنقلبون إنقلاباً من الشّرك إلى التّوحيد.

**٤٣٤٠ ـ (وجعلوا له من عباده جزءاً إنّ الإنسان لكفور مبين)**

وهؤلآءِ المشركون بعد اعترافهم بأنّ الله تعالى وحده هو الخالق المتّصف بالعزّة والعلم جعلوا لله سبحانه بعض عباده ولداً وهم الملائكة بأنّهم بنات الله سبحانه، إنّ القآئل بهذا القول السّخيف مظهر لكفره، غير مستتر به.

**٤٣٤١ ـ (أم اتّخذ ممّا يخلق بنات وأصفاكم بالبنين)**

أتقولون أيّهاالمشركون: إنّ الله سبحانه إتّخذ من خلقه أخسّ الصّنفين لنفسه وهنّ البنات، واختار لكم أفضلها وهم البنون؟!

**٤٣٤٢ ـ (وإذا بشّر أحدهم بما ضرب الرّحمن مثلاً ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم)**

وحالكون هؤلآءِ المشركين الّذين جعلوا الملائكة بنات الله سبحانه أنّه إذا أُخبِرَ أحدهم بولادة إبنة له بحسب ما نسبوها إلى الله سبحانه على وجه المثل لذلك، صار وجهه متغيّراً ممّا يلحقه من الغمّ والاختجال بذلك حتّى يسودّ، وهو ممتلىء قلبه كرباً وغيظاً وأسفاً.

**٤٣٤٣ ـ (أومن ينشّؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين)**

أو تجعلون أيّها المشركون لله سبحانه بنات تنبت في الحلية وتتربّى في الزّينة، وهنّ مع ذلك غير قادرات على تقرير دعواهنّ وإقامة حجّتهن لنقصان عقلهنّ وضعف رأيهنّ؟ لأنّ بكآئهنّ عند كل شئ دليل على ذلك.

**٤٣٤٤ ـ (وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون)**

وجعل هؤلاء المشركون بالله سبحانه الملائكة الّذين هم عباد الرّحمن يسبّحونه إناثاً

واعتقدوا أنّهم بنات الله سبحانه كيف اعتقدوا بذلك؟ أشهدوا خـلق المـلائكة، ستكتب شهادتهم انوثيّة الملائكة في صحآئف أعمالهم، وهم يسئلون عنها يوم القيامة.

**٤٣٤٥ ـ (وقالوا لو شآء الرّحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هـم إلّا يخرصون)**

وقال هؤلآء المشركون الّذين يعبدون الملائكة معتقدين أنّهم إناث بـنات الله: لو شآء الرّحمن عدم عبادتنا للملائكة ما عبدناهم، مالهم بذلك الإعتقاد الباطل والعبادة الباطلة من علم ولا دليل عقليّ ولا نقليّ، ماهم فيما قالوا إلّا متمحّلون تمحّلاً باطلاً.

**٤٣٤٦ ـ (أم آتينام كتاباً من قبله فهم به مستمسكون)**

أآتيناهم كتاباً من قبل هذا القرآن يدلّ على اعتقادهم هـذا فـهم مسـتمسكون بهـذا الكتاب فيحتجّون به عليك؟

**٤٣٤٧ ـ (بل قالوا إنّا وجدنا آبآئنا على امّة وإنّاعلى آثارهم مهتدون)**

ليس الأمر على ما قاله هؤلآءِ المشركون بدون دليل عقليّ ولا نقليّ، بل لمّا لزمتهم الحجّة اعترفوا أن لا منطق لهم عقلاً ولا نقلاً، وهم رجعوا في معتقداتهم إلى التّقليد الأعمى مـن آبآئهم الجهلة مثله، وقالوا: إنّا وجدنا آبآئنا الأقدمين على طريقة مستمرّة تقصد، وإنّا على آثارهم مهتدون إلى عقآئدنا...

**٤٣٤٨ ـ (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنّا وجدنا آبآئنا على امّة وإنّا على آثارهم مقتدون)**

ومثل ما قاله هؤلآء المشركون في الحوالة على تقليد آبآئهم في الشّرك والضّلال قالت الأُمم الماضية لرسلهم إذ ما أرسلنا من قبلك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في قـرية مـن القرى من رسول يدعو أهلها إلى الحقّ والهـدى إلّا قال متنعّموها الّذين آثروا التّرفّه على

طلب الحجّة مثل ما قاله قومك المشركون: إنّا وجدنا آبآئنا على ملة ثابتة، وإنّا على منهاجهم ثابتون.

**٤٣٤٩ ـ (قال أولو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آبآءكم قالوا إنّا بما ارسلتم به كافرون)**

قال لهم الرّسول: أتبغون ذلك أيّها المشركون وتتّبعون آبآءكم... حتّى ولو جئتكم من عند ربّكم بدين أهدى من دين آبآئكم... قال المشركون جواباً لرسولهم جواب يأس: إنّا بما أرسلتم به كافرون، وثابتون على دين آبآئنا...

**٤٣٥٠ ـ (فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين)**

فانتقمنا من هؤلآءِ الكافرين بالكتب السّماويّة والمكذّبين لرسل الله من قبلك، بالعذاب العاجل، فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين.

**٤٣٥١ ـ (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنّني برآء ممّا تعبدون)**

واذكر أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لقومك المشركين العرب المتشبّثين في الشرك والجهالة بذيل تقليد الآباء من دون أيّ دليل: إبراهيم عليه السّلام كيف رفض التقليد، وتبرّأ من أبيه وقومه إذ قال لهم: إنّني برآء ممّا تعبدون من تلك الآلهة...

**٤٣٥٢ ـ (إلّا الّذي فطرني فإنّه سيهدين)**

إلّا الّذي خلقني وجعل فيّ فطرة التّوحيد، فمن أوجدني وفطرني على فطرة التّوحيد تكويناً فإنّه سيهديني إلى التّوحيد تشريعاً.

**٤٣٥٣ ـ (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون)**

وجعل الله تعالى كلمة التّوحيد كلمة ثابتة في نسل إبراهيم عليه السّلام إلى يوم القيامة

ليكون فيهم أبداً من يوحّد الله عزّ وجل ويدعو النّاس إلى التّوحيد ويكون إماما وحـجّة بالغة على الخلائق...

**٤٣٥٤ ـ (بل متّعت هؤلآءِ وآبآءَهم حتّى جآءهم الحقّ ورسول مبين)**

ولكنّي متّعتُ هؤلآء المشركين العرب من قومك أيّها الرّسول وآبآءهم من قبل، حـتّى جآء القرآن الكريم ورسول مظهر لهم الاصول الاعتقادية والفروع العمليّة...

**٤٣٥٥ ـ (ولمّا جآءهم الحقّ قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون)**

ولمّا جآء هؤلآءِ المشركين العرب، هذا القرآن والرّسول المبين صلّى الله عـليه وآله وسلّم قالوا من دون نظر ولا تأمّل في الحق: هذا سحر وإنّا بقرآن محمّد، ومحمّد قرآن كافرون.

**٤٣٥٦ ـ (وقالوا لو لانزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)**

وقال هؤلآء المشركون ـ متنزّلين عن إنكارهم الحق إطلاقاً، وعن مقالتهم: إنّه سـحر، وعن كفرهم برسول الحقّ اطلاقاً ـ: إن كان هذا القرآن حقّاً نزّل على محمّد، فهلاّ نزّل على رجل عظيم من عظمآء أهل إحدى القريتين: مكّة أو الطّائف؟

**٤٣٥٧ ـ (أهم يقسمون رحمت ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ورحـمت ربّك خير ممّا يجمعون)**

أهؤلآءِ المشركون مع غاية جهلهم وسفههم يقسمون بينهم رحمت ربّك الخاصّة، وهي الرّسالة، نحن قسـمنا بـينهم رحمـتنا العـامّة وهـي مـعيشتهم في الحـياة الدّنـيا كـغيرهم من الدّوابّ ... ورفعنابعضهم فوق بعض درجات في الرّزق وسآئر مباديء المعاش لنبلوهم بهذا التّفاوت والدّرجات أولاً وليستخدم بعضهم بعضاً مسـخراً لهـم في العـمل، ومـا بـه قوام المعاش ثانياً، ورحمت ربّك الخاصّة أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم خير مـن كـلّ

ما يجمعون هم من متاع الدّنيا.

**٤٣٥٨ ـ (ولو لا أن يكون النّاس امّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون)**

ولو لا أن تعتقد جهلة النّاس ـ وهم أكثرهم في كلّ ظرف ـ أنّ إعطآئنا زخارف الدّنيا للكفّار دليل على محبّتنا بهم، فيجتمعوا على الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة، مجهّزة بدرجات ومصاعد من فضّة، يعلون بها على ما يريدون من طبقات بيوتهم...

**٤٣٥٩ ـ (ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكؤن)**

وجعلنا لبيوت الكافرين أبواباً من فضّة، وسرراً من فضّة عليها يتّكؤن.

**٤٣٦٠ ـ (وزخرفاً وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدّنيا والآخرة عند ربّك للمتّقين)**

ولجعلنا بيوت الكافرين مذهّبة بأنواع الذّهب، وليس جميع ذلك إلّا متاع الحياة الدّنيا لا تقدر به قيم النّفوس الإنسانيّة، والجنّة ونعيمها الباقية عند ربّك مختصة بالمتقين.

**٤٣٦١ ـ (ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين)**

ومن يتعام ويعرض عن هذا القرآن الكريم وأهله، نجعل له شيطاناً من شياطين الجنّ والإنس حسب حاله، قريناً له فيغويه على الآثام والجرائم...

**٤٣٦٢ ـ (وإنّهم ليصدّونهم عن السّبيل ويحسبون أنّهم مهتدون)**

وإنّ هؤلاء القرنآء السّوء من الشّياطين ليصرفون هؤلاءِ المعرضين عن الذّكر وأهله، ويحسب هؤلآءِ المعرضون المنحطّون الجهلة أنّهم وقادتهم عالمون، مهتدون إلى طريق الحقّ والهدى وإلى العلم والكمال...

**٤٣٦٣ ـ (حتّى إذا جآئنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)**

لا يزال القرنآء السّوء ملازمين للمعرضين عن الذّكر وأهله، ممسكين بزمانهم، حتّى إذا حضر واحد منهم يوم القيامة موضع، ومعه قرينه السّوء في سلسلة واحدة، قـال مخـاطباً لقرينه المـغوى نادماً متأذّياً من صحبته: ياليت بيني وبينك أبعد الأمكنة وأقصاها، فبئس الصّاحب كنت أنت لي!

**٤٣٦٤ ـ (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون)**

ولن ينفعكم أيّها المعرضون عن الذّكر وأهله ندمكم هذا يوم القيامة، وعتابكم لقرنائكم السّوء إذ تبيّن لكم اليوم ظلمكم بالاشتراك في الحياة الدّنيا، أنّكم مع قـرناءكم في عـذاب جهنّم مشتركون.

**٤٣٦٥ ـ (أفأنت تسمع الصمّ أو تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين)**

أفأنت أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم تسمع الذّكر من يتصامم أو تهدى إلى أهـل الذّكر من يتعامى، وتنقذ من كان مرتكساً في ضلال عن عمد وعناد بيّن لا يخفى.

**٤٣٦٦ ـ (فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون)**

فإن توفّيناك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل أن ننتقم من هؤلآءِ المعرضين عن الذّكر وأهله، فإنّا منتقمون منهم بعدك في الدّنيا بالانحطاط والخذلان، وفي الآخرة بالعذاب والنيران.

**٤٣٦٧ ـ (أونرينّك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون)**

أو نبقيّنك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى نراك في حياتك بـعض مـا وعـدنا هؤلآء المعرضين عن الذّكر وأهله من العذاب، فإنّا قادرون على ذلك.

**٤٣٦٨ ـ (فاستمسك بالّذي اوحى إليك إنّك على صراط مستقيم)**

فاستمسك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بهـذا الذّكـر الّـذي أوحـى إليك لأنّك بالاستمساك بهذا الذّكر على صراط مستقيم لا عوج فيه.

**٤٣٦٩ ـ (وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون)**

وإنّ الإستمساك بالذّكر وأهله لشرف عظيم لك ولكلّ من استمسك بهـما مـن امّـتك المؤمنين، وسوف تسئلون أيّها المسلمون عن موقفكم من هذاالّذكر وأهله.

**٤٣٧٠ ـ (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون)**

واسئل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة المعراج من أرسلنا من قبلك من رسلنا إذ جمعوا لك ببيت المقدّس، واسئلهم بماذا اُرسلتم؟ أجعلنا من دون الرّحمن آلهـة يعبدون؟ أم أخذنا منهم أن لايعبدوا إلّا الله تعالى وحده.

**٤٣٧١ ـ (ولقد أرسلنا موسى بآياتناإلى فرعون وملائه فقال إنّي رسول ربّ العالمين)**

اُقسم بربوبيّتي إنّا بعثنا موسى عليه السّلام بحججنا الواضـحة الدّالّـة عـلى صـدقه إلى فرعون طاغي مصر وأشراف قومه، فقال موسى عليه السّلام لفرعون وحواشيه: إنّي رسول إليكم من قِبَل ربّ العالمين.

**٤٣٧٢ ـ (فلمّا جآءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون)**

فلمّا جآء موسى عليه السّلام فرعون وحواشيه بآياتنا الدّالّة على رسالته وصدق قوله، إذاً فرعون وأشراف قومه يضحكون من آياتنا استخفافاً.

**٤٣٧٣ ـ (وما نريهم من آية إلّا هي أكبر من اختها وأخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجعون)**

ومانري فرعون وحواشيه آية من آياتنا إلّا هي أكبر من اختها الّتي رأيناهم قبلها، وأخذنا فرعون وقومه بالعذاب الموقّت لعلّهم يرجعون عن كفرهم وطغيانهم إلى الايمان والطّاعة.

**٤٣٧٤ ـ (وقالوا يا أيّه السّاحر ادع لنا ربّك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون)**

لمّا نزل بفرعون وقومه البلاء العاجل جآؤا إلى موسى عليه السّلام ونادوه بما كانوا ينادونه به من قبل ذلك استخفافاً: يا أيّه السّاحر الماهر: ادع لنا ربّك بما زعمت أن دعوتك مستجابة أن يكشف عنّا العذاب، فإنّنا لمهتدون إلى ماتدعونا إليه.

**٤٣٧٥ ـ (فلمّا كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون)**

فلمّا دعانا موسى عليه السّلام أن نكشف عنهم البلاء، واستجبنا له، ورفعنا عنهم العذاب، إذاً هم ينكثون وينقضون عهدهم، فلم يستقيموا على عهدهم الّذي عاهدوا عليه موسى عليه السّلام.

**٤٣٧٦ ـ (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون)**

ونادى فرعون في مجمع أشراف قومه بعد كشف العذاب العاجل عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم بموسى عليه السّلام: يا قوم أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار من النّيل تجري من تحت قصوري؟ أفلا تبصرون غاية قوّتي وضعف موسى عليه السّلام؟

**٤٣٧٧ ـ (أم أنا خير من هذاالّذي هو مهين ولا يكاد يبين)**

بل أنا خير لسعة ملكي وجاهي من موسى عليه السّلام الّذي هو ضعيف حقير فقير، وهو مع ذلك لا يكاد أن يفصح عن مراده.

**٤٣٧٨ ـ (فلولا القي عليه أسورة من ذهب أو جآء معه الملائكة مقترنين)**

فهلاّ القِ على موسى عليه السّلام إن كان صادقاً في ادّعائه الرّسالة، أسورة من جنس ذهب، أو هلاّ جآء مع موسى عليه السّلام الملائكة متتابعين يعينونه ويشهدون له أنّه رسول من الله إليهم؟

**٤٣٧٩ ـ (فاستخفّ قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين)**

فاستخفّ فرعون أحلام قومه ولعب عقولهم بقوله وكيده فدعاهم إلى الوهيّة نفسه وطاعته فأطاعوه من دون نظر ولاتفكّر، لأنّهم كانوا قوماً خارجين عن حكم العقل والنّظر.

**٤٣٨٠ ـ (فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين)**

فلمّا أغضب فرعون وقومه رسولنا موسى عليه السّلام بسبب إفراطهم في الكفر والطغيان انتقمنا منهم بالعذاب، فأغرقناهم أجمعين في اليّم وما نجى منهم أحد.

**٤٣٨١ ـ (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين)**

فجعلنا فرعون وقومه المستكبرين ماضياً فيهِ عبرة، ونموذجاً من وخامة عواقب الظّلم والغفلة عن آياتنا وتكذيبها للآخرين الّذين يأتون بعدهم.

**٤٣٨٢ ـ (ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون)**

ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك المشركون ومن انسلك مسالكهم من هذاالمثل يضحكون.

**٤٣٨٣ ـ (وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون)**

وقال المشركون: ءآلهتنا خير عندك يا محمد أم عيسى ابن مريم؟ ما ضربوا لك أيّها

الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هذا المثل إلّا لاجل الجدل والغلبة في القول، بـل هـم قـوم يبالغون في الخصومة بالباطل.

**٤٣٨٤ ـ (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل)**

ما كان عيسى بن مريم إلّا عبداً متظاهراً بالعبوديّة أنعمنا عليه بالرّسالة، وجعلناه كالمثل السّآئر، ومَعْلَماً من معالم الحقّ والهدى لبني إسرآئيل، بعد أن ماجوا في الفتن والفساد...

**٤٣٨٥ ـ (ولو نشآء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون)**

ولو نشآء لنذهبنّ بكم أيّها المشركون ومن يتبعكم، وجعلنا بدلاً منكم ملائكة، سكّان الأرض فيكونوا خلفآء منكم فيها ويعمروها ويعبدوا الله تعالى وحده ولا يعصوه.

**٤٣٨٦ ـ (وإنّه لعلم للسّاعة فلا تمترنّ بها واتّبعون هذا صراط مستقيم)**

وإنّ نزول عيسى بن مريم عليه السّلام من السّمآءِ إلى الأرض، ونصرته لخاتم الأوصياء الحجة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشّريف وأرواحـنا له الفـداء شرط مـن أشراط السّاعة، فلا تشكّنّ أيّها النّاس في السّاعة، وقل لهم أيّها الرّسول صلّى الله عـليه وآله وسلّم: اتّبعوني فيما أدعوكم إليه على بصيرة أنا ومن اتبعني.

**٤٣٨٧ ـ (ولا يصدّنّكم الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين)**

ولا يصرفنّكم الشّيطان أيّها النّاس عن الايمـان بأشراط السّاعة لأنّ الشّيطان شـديد العداوة ومظهرها لكم وعداوته ظاهرة لاخفآء.

**٤٣٨٨ ـ ولمّا جآء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون)**

ولمّا جآء عيسى بن مريم عليه السّلام بني إسرائيل بالأدلّة الظّاهرة على صدق رسـالته،

قال مخاطباً لهم: إنّي قد جئتكم بالمعارف الحقّة، ولأُبيّن لكم الصّواب في بعض الّذى كنتم تختلفون فيه، فاخشوا الله فيما أمركم به، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه.

**٤٣٨٩ ـ (إنّ الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)**

إنّ الله وحده هو ربّي وربّكم معشر بني إسرائيل، فاعبدوه وحده لا سواه هذا وحده: التوحيد والعبادة له وحده صراط مستقيم لا عوج فيه.

**٤٣٩٠ ـ (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)**

فاختلف الأحزاب من بينهم في عيسى عليه السّلام فويل للذين تحزّ بوا في عيسى وكفروا بما قالوه فيه، وظلموا أنفسهم من عذاب يوم مولم.

**٤٣٩١ ـ (هل ينظرون إلّا السّاعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون)**

ما ينتظر الكفّار والمجرمون إلّا أن تأتيهم السّاعة فجأة، وهم لا يشعرون لا شتغالهم بامور الدّنيا وشهواتها، وغفلتها عن الآخرة وحسابها.

**٤٣٩٢ ـ (الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين)**

الأخلاء على الكفر والضّلال هم يوم القيامة بعضهم لبعض عدوّ يتبرّأ بعضهم من بعض إلّا المتقين المتحابّين في الله جلّ وعلا، فإنّهم يومئذ أصدقآء بعضهم لبعض كما كانوا في الدّنيا.

**٤٣٩٣ ـ (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)**

خطاب تكريم من الله تعالى يوم القيامة للمتحابّين في الله جلّ وعلا: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم مطلقاً، ولا أنتم تحزنون مطلقاً.

**٤٣٩٤ ـ (الّذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين)**

هؤلآء العباد المتّقون هم الّذين آمنوا بالقرآن الكريم وعملوا به، وكانوا مسلمين لله ربّ العالمين.

**٤٣٩٥ ـ (ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون)**

خطاب تشريف من الله جلّ وعلا للمتحابين في الله تعالي: ادخلوا الجنّة أنتم ونسآؤكم المؤمنات الصّالحات، حالكون آثار السّرور كلّها تظهر في وجوهكم...

**٤٣٩٦ ـ (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون)**

يطاف على هؤلآءِ المؤمنين والمؤمنات في الجنّة بقصاع جنسها من ذهب الجنّة فيها أنواع طعامها، وبأوان مخصوصة جنسها من ذهب الجنة فيها أنواع شرابها، وفي تلك الجنة ماتشتهيه أنفس المؤمنين من أنواع نعيمها، وتلذّ أعينهم من مناظرها، وأنتم أيّها المؤمنون وأزواجكم فيها خالدون.

**٤٣٩٧ ـ (وتلك الجنّة الّتي أورثتموها بما كنتم تعملون)**

وتلك الجنّة الّتي أنزلتموها أيّها المؤمنون وأزواجكم جعلتها لكم ميراثاً بما كنتم تعملون في الدّنيا من صالح الأعمال...

**٤٣٩٨ ـ (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون)**

لكم أيّها المؤمنون في الجنّة سوى أنواع طعامها وصنوف شرابها، فاكهة كثيرة تأكلون من كلّ نوع من أنواعها ما اشتهيتموه حيثما شئتم.

**٤٣٩٩ ـ (إنّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون)**

إنّ كلّ من تلبّس بالجرم في الحياة الدّنيا ومات عليه هم يوم القيامة في نار جهنم وعذابها خالدون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

**٤٤٠٠ ـ (لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون)**

لا يخفّف عن هؤلآءِ المجرمين عذاب جهنم لحظة، وهم في العذاب آئسون من الفرج والنّجاة منه.

**٤٤٠١ ـ (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظّالمين)**

وما ظلمنا هؤلآءِ المجرمين بهذا العذاب الشّديد، بل جازيناهم بأعمالهم، ولكن كانوا هم الظّالمين الّذين ظلموا أنفسهم بالجرم والطغيان فأوردوها مورد النّار والعذاب.

**٤٤٠٢ ـ (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ماكثون)**

ولمّا يئس المجرمون من خزنة جهنّم رجعوا إلى مالكها، ونادوا يا مالك سل ربّك ليقض علينا فيمتنا حتّى نتخلّص من هذا العذاب، فيحبس عنهم الجواب أربعين عاماً ثمّ يجيبهم وقال: إنّكم أيّها المجرمون لابثون في العذاب.

**٤٤٠٣ ـ (لقد جئناكم بالحقّ ولكنّ أكثركم للحقّ كارهون)**

لقد جئناكم أيّها المجرمون بالقرآن الكريم، ولكنّ أكثركم للايمان بالقرآن كارهون.

**٤٤٠٤ ـ (أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون)**

إنّ هؤلآءِ الكارهين للحقّ لم يكتفوا على الكراهة والإعراض عن الحقّ بل أحكموا أمرهم كأسلافهم في تكذيب الحق، فإنّا محكمون أمرنا.

**٤٤٠٥ ـ (أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)**

بل أيحسب هؤلآءِ الكارهون للحقّ أنّا لا نسمع حديث أنفسهم، وما يناجيه بعضهم بعضاً بحيث لا يسمع غيرهما؟ بلى نعلم سرّهم ونطّلع نجواهم، ومع ذلك رسلنا الموكّلون عليهم يكتبون ما يكيدونه وما يبيتونه.

### ٤٤٠٦ ـ (قل إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل العابدين)

قل يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآءِ المشركين العنود: إذا ظللتم بأنّ لله سبحانه ولداً تعبدونه، فإنّي لا أزال أنكر ذلك، وأعلن أنّي أوّل العابدين لله تعالى وحده لا شريك له.

### ٤٤٠٧ ـ (سبحان ربّ السّموات والأرض ربّ العرش عمّا يصفون)

منزّه ربّ السّموات والأرض وربّ العرش المحيط بهما، منزّه يصفه هؤلآء المشركون كذباً وجهلاً.

### ٤٤٠٨ ـ (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الّذي يوعدون)

فاترك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء المشركين أن يخوضوا في شركهم وطغيانهم، ويلعبوا في دنياهم حتّى يلاقوا يوم القيامة ماوعدوا من الحساب والعذاب.

### ٤٤٠٩ ـ (وهو الّذي في السّمآءِ إله وفى الارض إله وهو الحكيم العليم)

والله تعالى هو الّذى فى السمآءِ إله يستحق وحده لمعبوديّة جميع خلقه، كما هو في الأرض إله يستحقّ وحده لمعبوديّة جميع خلقه، وهو وحده الحكيم المطلق، والعليم المطلق.

### ٤٤١٠ ـ (وتبارك الّذي له ملك السّموات والأرض وما بينهما وعنده علم السّاعة وإليه ترجعون)

وتعظّم وتقدّس الّذي له ملك السّموات والأرض وما بينهما من عوالم لا ندري عددها، وعند الله جلّ وعلا وحده علم السّاعة متى تقوم، وإليه وحده ترجعون أيّها المشركون يوم القيامة، فينبّئكم يومئذ بما كنتم تعملون ويحاسبكم به ويجزيكم به.

**٤٤١١ ـ (ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة إلّا من شهد بالحقّ وهم يعلمون)**

ولا يملك الملائكة الّذين كان المشركون العرب يزعمون أنّهم بنات الله سبحانه، فيعبدونهم مع الله سبحانه، ويأملون شفاعتهم لهم عند الله تعالى، وهؤلآء الملائكة لا يشفعون إلّا لمن شهد بالحقّ وعمل به، وهؤلآءِ الشّفعاء يعلمون حال المشفّع لهم وحقيقة أعمالهم...

**٤٤١٢ ـ (ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون)**

اقسم بإلهيّتي إن سئلت أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء المشركين: مَن خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً؟ ليقولنّ الله وحده خلقنا، ومع هذا الإعتراف منهم فكيف يصرفون عن توحيدالخالق إلى الشّرك به سبحانه؟

**٤٤١٣ ـ (وقيل ياربّ إنّ هؤلآء قوم لا يؤمنون)**

وعند الله تعالى علم السّاعة وعلم قول رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين يشكوا إلينا: يا ربّ إنّ هؤلآء المشركين العرب ومن إنسلك مسالكهم قوم لا يؤمنون بك وبكتابك الحقّ وبرسولك الحقّ وبأهل بيت الحقّ.

**٤٤١٤ ـ (فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون)**

فأعرض أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عن هؤلآءِ المعاندين اللجوج، الصّفح الجميل، ولاتبال بهم، وقل لهم سلام، وادعهم إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة، فسوف يعلمون من هو على الحقّ ومن هو على الباطل.

## ﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمّي: «حمٓ والكتاب المبين» قال: «حمٓ» حرف من الإسم الأعظم «والكتاب المبين» يعني القرآن الواضح. وقوله: «وإنّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» يعني أمير المومنين عليه السّلام مكتوب في الحمد في قوله: «إهدنا الصّراط المستقيم» قال أبو عبد الله عليه السّلام: «هو أمير المؤمنين عليه السّلام».

وفي معاني الأخبار: باسناده عن سفيان الثّوري عن الإمام الصّادق عليه السّلام في حديث طويل ـ قال عليه السّلام: «وأمّا «حمٓ» فمعناه الحميد المجيد».

وفي كتاب المزار للشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه ـ في باب الصّلاة يوم الغدير ودعآئه ـ: «وأشهد أنّه الإمام الهادي الرّشيد أمير المؤمنين الّذي ذكرت في كتابك، فـانّك قلت وقولك الحقّ: «وإنّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم».

وفي التّهذيب: ـ في الدّعاءِ المنقول بعد صلاة يوم الغدير ـ عن أبي عبد الله عليه السّلام: «ربّنا آمنّا واتّبعنا مولانا ووليّنا وهادينا وداعينا وداعى الأنام، وصراطك المستقيم السّويّ وحجّتك وسبيلك الدّاعي إليك على بصيرة هو ومن اتّبعه، سبحان الله عمّا يشركون بولايته، وبما يلحدون باتّخاذ الولآئج دونه، فاشهد يا إلهي انّه الإمام الهادي المرشد الرّشيد عليّ أمير المؤمنين الّذي ذكرته في كتابك، فقلت: «وانّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» لا اشركه إماماً ولا اتّخذ من دونه وليجة».

وفي معاني الأخبار: بإسناده عن حمّاد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السّلام في قول الله

عزّ وجلّ: «إهدنا الصّراط المستقيم» قال: هو أمير المؤمنين ومعرفته، والدّليل على أنّه أمير المؤمنين قوله عزّ وجلّ: «وانّه في امّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» وهو أمير المؤمنين عليه السّلام في امّ الكتاب في قوله تعالى: «اهدنا الصّراط المستقيم».

وفي **كنز الفوائد**: باسناده عن أبي حماد السمندي (حماد السّمندري خ) عن أبي عبد الله عليه السّلام وقد سئله سائل عن قول الله عزّ وجلّ: «وإنّه في امّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» قال: هو أمير المؤمنين عليه السّلام».

**وفيه**: باسناده عن محمّد بن عليّ بن جعفر قال: سمعت الرّضا عليه السّلام وهو يقول: قال أبو عبد الله عليه السّلام وقد تلا هذه الآية: «وإنّه في امّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» قال: عليّ بن أبيطالب عليه السّلام.

**وفيه**: وروى عنه أنّه سئل أين ذكر عليّ عليه السّلام في امّ الكتاب؟ فقال: في قوله سبحانه: «إهدنا الصّراط المستقيم» هو عليّ عليه السّلام.

**وفيه**: باسناده عن ابن نباته قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السّلام حتّى انتهينا إلى صعصعة بن صوحان فإذا هو على فراشه، فلمّا رأى عليّاً عليه السّلام خفّ له، فقال له عليّ عليه السّلام لا تتّخذنّ زيارتنا إيّاك فخراً على قومك، قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكن ذُخراً وأجراً، فقال له: والله ما كنت علمتك إلّا خفيف المؤنة، كثير المعونة، فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمتك إلّا أنّك بالله لعليم، وأنّ الله في عينك لعظيم، وأنّك في كتاب الله لعليّ حكيم، وأنّك بالمؤمنين رؤف رحيم».

**وفيه**: بإسناده عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: لمّا صرع ابن صوحان يوم الجمل جآء أمير المؤمنين عليه السّلام حتّى جلس عند رأسه، فقال: رحمك الله يا زيد قد كنت خفيف المؤنة، عظيم المعونة، فرفع زيد رأسه إليه، فقال: وأنت جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، فوالله ما علمتك إلّا بالله عليماً وفي امّ الكتاب عليّاً حكيماً، وإنّ الله في صدرك عظيماً».

وفي **البحار**: ـ باب ـ ٤ ـ في زياراته صلوات الله عليه المطلقة الّتي لا تختصّ بوقت من الأوقات ـ: «السّلام على أمين الله في أرضه وخليفته والحاكم بأمره، والقيّم بدينه، والنّاطق بحكمته، والعامل بكتابه أخي الرّسول وزوج البتول، وسيف الله المسلول، السّلام على

صاحب الدّلالات والآيات الباهرات والمعجزات القاهرات، والمنجى من الهـلكات الذي ذكره الله في محكم الايات، فقال تعالى: «وإنّه في امّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» الزّيارة.

**وفي البرهان:** البرسي باسناده يرفعه إلى الثّقاة الّذين كتبوا الأخبار أنّهم أوضحوا ما وجدوا وبان لهم من أسمآءِ أمير المؤمنين عليه السّلام فله ثلاثمأة إسم في القرآن منها ما رووه بالاسناد الصّحيح عن ابن مسعود قوله تعالى: «وإنّه في امّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» وقوله: «وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً» ... الخ.

**وفيه:** ابن شهرآشوب قال أبو جعفر الهاروني في قوله تعالى: «وإنّه في امّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» وامّ الكتاب الفاتحة يعني أنّ فيها ذكره.

**وفي تحف العقول:** ـ باب مواعظ أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام ـ في وصيّته لهشام بن الحكم وصفته للعقل: «يا هشام بن الحكم إنّ الله عزّ وجلّ أكمل للنّاس الحجج بالعقول، وأفضى إليهم بالبيان، ودلّهم على ربوبيّته بالأدلآءِ فقال: «وإلهكم إله واحد لا إله إلّا هو الرّحمن الرّحيم» «إنّ في خلق السّموات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار ـ إلى قوله ـ لآيات لقوم يعقلون» يا هشام قد جعل الله عزّ وجلّ ذلك دليلاً على معرفته بأنّ لهم مدبّراً فقال: «وسخّر لكم اللّيل والنّهار والشّمس والقمر والنّجوم مسـخّرات بأمـره إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون» وقال: «حمٓ والكتاب المبين إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون» ... الحديث.

**وفي تفسير القمّي:** وقوله: «أفنضرب عنكم الذّكـر صـفحاً» اسـتفهام أي نـدعكم مهملين لانحتجّ عليكم برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوبإمام أو بحجج؟

**١٣ ـ (لتستوا على ظهوره ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عـليه وتـقولوا سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين)**

**في اصول الكافي:** باسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عـليه السّـلام: هـل للشّكر حَدٌّ إذا فعله العبد كان شاكراً؟ قال: نعم، قلت: ماهو؟ قال: يحمد الله على كلّ نعمة عليه في أهل ومال، وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حقّ أدّاه، ومـنه قـول الله عـزّ وجـلّ:

«سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين»... الخبر.

قوله عليه السّلام: «حقّ» أي واجب أو الأعمّ و«منه» أي من الشّكر أو من الحقّ الّذي يجب أدآؤه فيما أنعم الله عليه أن يقول عند ركوب المراكب ... ما قال تعالى تعليماً لعباده وإرشاداً لهم حيث قال جلّ وعلا: «وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين».

**وفي الخصال:** ـ باب ما علّمه صلوات الله عليه من أربعمأة باب ـ باسناده عن أبي بصير ومحمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: حدّثني أبي عن جدّي عن آبآئه عليهم السّلام أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام علّم أصحابه في مجلس واحد أربعمأة باب ممّا يصلح للمؤمن في دينه ودنياه ـ حديث طويل ـ إلى أن قال ـ: «إيّاكم وشرب المآءِ من قيام على أرجلكم فإنّه يورث الدّآء الّذي لا دوآء له، أو يعافي الله عزّ وجلّ، إذا ركبتم الدّوابّ فاذكروا الله عزّ وجلّ وقولوا: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون» الحديث.

**وفي قرب الاسناد:** عن ابن عيسى عن ابن أسباط قال: قلت لأبي الحسن عليه السّلام: ماترى اخرج بَرّاً أو بحراً، فإنّ طريقنا مخوف شديد الخطر؟ قال: أُخرج بَرّاً ـ إلى أن قال ـ فإن خرجت برّاً فقل الّذي قال الله: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وانّا إلى ربّنا لمنقلبون» فإنّه ليس عبد يقول عند ركوبه، فيقع من بعير أو دابّة فيضرّه شيء باذن الله» الحديث.

**وفي دعوات الرّاوندي:** عن أبي هاشم قال: ركبت دابّة، فقلت: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» قال: فسمع منّي أحد السّبطين عليه السّلام وقال: لابهذا أُمرت، أُمرت أن تذكر نعمة ربّك إذا استويت عليه يقول الله عزّ وجلّ: «اذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه» فقلت: كيف أقول: قال: قل: «الحمد لله الّذي هدانا للإسلام، والحمد لله الّذي منّ علينا بمحمّد وآله، والحمد لله الّذي جعلنا في خير أُمّة أُخرجت للنّاس» فاذا أنت قد ذكرت نعماً عظيمة ثمّ تقول: «سبحان الّذي سخّر لنا ...» الآية.

**وفي وسآئل الشّيعة:** بالاسناد عن حاتم بن إسماعيل عن أبي عبد الله عليه السّلام عـن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ على ذروة كلّ بعير شيطاناً، فاذا ركبتموها فقولوا كما أمركم الله: «سبحان الّذي سخّر لنـا هـذا ومـا كـنّا له مـقرنين» وامتهنوها لأنفسكم، فإنّما يحمل الله».

**وفي الكشّاف:** عـن الحسـن بـن عـليّ عـليهما السّـلام أنّـه رأى رجـلاً يـركب دابّـة فقال: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا» فقال: أبهذا أمِرتم؟ فقال: وبم أُمرنا؟ قال: أن تـذكروا نعمة ربكم».

**وفي المجمع:** وروى العياشي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ذكر النّعمة أن تقول: الحمد لله الّذي هدانا للإسلام وعلّمنا القرآن ومنّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وتقول بعده: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا ...» إلى آخره.

**وفي الدّرّ المنثور:** عن أبي مجلز قال: رأى حسين بن عليّ عليهما السّلام رجـلاً يـركب دابّة، فقال: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّـنا لمـنقلبون» قـال: أوبذلك أُمِرتَ؟ قال: فكيف أقول؟ قال: الحمد لله الّذي هدانا للإسلام، الحمد لله الّذي منّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الحمد لله الّذي جعلني في خير أُمّة أُخرجت للـنّاس ثمّ تقول: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين».

**وفي بصآئر الدّرجات:** بالإسناد عن يعقوب بن جعفر قال: كنت مع أبي الحسن عليه السّلام بمكّة فقال له رجل: إنّك لتفسّر من كتاب الله ما تسمع به؟ فقال أبو الحسن: علينا نزل قبل النّاس ولنا فسّر قبل أن يفسّر في النّاس، فنحن نـعرف حـلاله وحـرامـه ونـاسخه ومنسوخه وسفريّه وحضريّه، وفي أيّ ليلة نزلت كم من آية، وفيمن نزلت، وفـيما نـزلت، فنحن حكمآء الله في أرضه، وشهدآؤه على خلقه، وهو قول الله تبارك وتعالى: «سـتكتب شهادتهم ويسئلون» فالشّهادة لنا، والمسئلة للمشهـود عليه، فهذا علم ما قد أنهـيته إليك وأدّيته إليك مالزمني، فإن قبلت فاشكر، وإن تركت فإنّ الله على كلّ شيء شهيد».

**وفي المناقب:** يزيد بن أسباط قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السّلام في مرضته الّتي مات فيها، فقال: يا يزيد أترى هذا الصّبيّ؟ إذا رأيت النّاس قد اختلفوا فيه، فاشهد عـليَّ

بأنّي أخبرتك أنّ يوسف إنّما كان ذنبه عند إخوته حتّى طرحوه في الجبّ، الحسد له، حين أخبرهم أنّه رآى أحد عشر كوكباً والشّمس والقمر وهم له ساجدون، وكذلك لا بدّ لهذا الغلام من أن يحسد، ثمّ دعا موسى، وعبد الله وإسحق ومحمّداً والعبّاس، وقال لهم: هذا وصيّ الأوصيآء وعالم علم العلماءِ وشهيد على الأموات والأحياء ثمّ قال يا يزيد: «ستكتب شهادتهم ويسئلون».

**وفي مكارم الأخلاق:** ـ باب مواعظ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لإبن مسعود ـ حديث طويل إلى أن قال ـ: «ياابن مسعود لا تتكلّم إلّا بالعلم بشيء سمعته ورأيته فإنّ الله تعالى يقول: «ولا تقف ماليس لك به علم إنّ السّمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسئولاً» وقال: «ستكتب شهادتهم ويسئلون» وقال: «إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشّمال قعيد ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد» وقال: «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» ... الحديث.

**وفي اصول الكافي:** باسناده عن عبد الله بن إبراهيم الجعفري قال: كتب يحيى بن عبد الله بن الحسن إلى موسى بن جعفر عليه السّلام: «أمّا بعد فإنّي اوصي نفسي بتقوى الله وبها اوصيك فإنّها وصيّة الله في الأوّلين، ووصيّته في الآخرين، خبرني مَن ورد عَلَيّ من أعوان الله على دينه ونشر طاعته بما كان من تحنّنك مع خذلانك، وقد شاورت في الدّعوة للرّضا من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد احتجبتها واحتجبها أبوك من قبلك، وقديماً إدّعيتم ماليس لكم وبسّطتم آمالكم إلى مالم يعطكم الله فاستهوتم وأضللتم، وأنا محذّرك ما حذّرك الله من نفسه».

فكتبت إليه أبوالحسن موسى بن جعفر عليه السّلام «من موسى بن عبد الله ابن جعفر وعلى مشتركين في التذّلّل لله وطاعته إلى يحيى بن عبد الله بن الحسن أمّا بعد فإنّي احذّرك الله ونفسي وأعلمك أليم عذابه وشديد عقابه، وتكامل نقماته، واوصيك ونفسى بتقوى الله فإنّها زين الكلام، وتثبيت النّعم أتاني كتابك تذكر فيه: أنّي مدّع وأبي من قبل وما سمعت ذلك منّي و«ستكتب شهادتهم ويسئلون».

٢٨ ـ (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون)

**في إكمال الدّين:** باسناده عن المفضّل قال: قلت للصّادق عليه السّلام: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه»؟ قال: يعني بذلك الإمامة وجعلها الله في عقب الحسين عليه السّلام إلى يوم لقيامة، قال: فقلت له: يا بن رسول الله فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن وهما جميعاً ولدا رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسـلّم وسـبطاه وسيّدا شباب أهل الجنّة؟

فقال: إنّ موسى وهارون كانا نبييّن مرسلين أخوين، فجعل الله النّبوّة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول: لِمَ فعل الله ذلك؟ فإنّ الإمامة خـلافة الله عـزّ وجلّ ليس لأحدٍ أن يقول: لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن؟ لأن الله هو الحكيم في أفعاله لا يسئل عمّا يفعل وهم يسئلون».

رواه الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى في معاني الأخبار والخصال.

**وفي معاني الأخبار:** باسناده عن أبي بصير قال: سئلت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» قال: هى الإمامة، جعلها الله عزّ وجلّ في عقب الحسين عليه السّلام باقية إلى يوم القيامة».

**وفي إكمال الدّين:** باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله عزّ وجلّ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» إنّها في الحسين عليه السّلام تنتقل من ولد إلى ولد ولاترجع إلى أخ ولا عمّ».

**وفي غيبة الشيّخ الطوسى(قدس سره):** بإسناده عن الفضيل بن الزّبير قال: سمـعت زيد بن عليّ عليه السّلام يقول: المنتظر من ولد الحسين بن عليّ في ذرّيّة الحسين وفي عـقب الحسين وهو المظلوم الّذي قال الله: «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه ـ قال: وليّه رجل من ذرّيّته من عقبه ثمّ قرأ «وجعلها كلمة باقية في عقبه» ـ سلطاناً فلا يسرف في القتل» قال: سلطانه في حجّته على جميع من خلق الله حتّى يكون له الحجّة على النّاس ولا يكون لأحد عليه حجّة».

وفي البحار: عن بريدة قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ ملك الموت خيّرني فاستنظرته إلى نزول جبرئيل، فتجلّى ابنته فاطمة الغشي، فقال لها: يا بنتي احفظي عليك فإنّك وبعلك وابنيك معي في الجنّة.

بشّرت مريم بولدها: «إنّ الله يبشّرك بكلمة» وبشّرت فاطمة بـالحسن والحسـين في الحديث أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بشّرها عند ولادة كلّ منهما بأن يقول لها: ليهنّئك أن ولدت إماماً يسود أهل الجنّة وأكمل الله تعالى ذلك في عقبها قوله: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» يعني عليّاً عليه السّلام.

وفي كفاية الأثر: بالاسناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال: سئلت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن قوله عزّ وجلّ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» قال: جعل الإمامة في عقب الحسين، يخرج من صلبه تسعة من الأئمّة، ومنهم مهديّ هذه الأمّة، ثمّ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو أنّ رجلاً صفن بين الرّكن والمقام ثمّ لقى الله مبغضاً لأهل بيتي دخل النّار».

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم «صفن» كلّ صاف قدميه قآئماً فهو صافن.

وفيه: بهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّي تارك فيكم الثّقلين أحدهما كتاب الله عزّ وجلّ، من اتّبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضّلالة، ثمّ أهل بيتي اذكّركم الله في أهل بيتي ـ قالها ثلاث مرّات ـ فقلت ـ أى الأعرج ـ لأبي هريرة: فمن أهل بيته نسآؤه؟ قال: لا أهل بيته أصله وعصبته وهم الأئمّة الإثنى عشر الّذين ذكرهم الله في قوله: «وجعلها كلمة باقية في عقبه».

وفيه: بإسناده عن حذيفة بن اليمان قال: صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسـلّم ثمّ أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: معاشر أصحابي أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته، فمن عمل بها فاز وغنم وأنجح، ومن تركها حلّت به النّدامة، فالتمسوا بالتّقوى السّلامة من أهوال يوم القيامة، فكأنّي أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، ومن تمسّك بعترتي من بعدي كان من الفآئزين، ومن تخلّف عنهم كان من الهالكين، فقلت: يا رسول الله على من تخلّفنا؟ قال: على من خلّف موسى بن عمران قومه، قلت: على وصيّه يوشع بن نون؟ قال: فإنّ وصيّي وخـليفتي مـن بـعدي عـليّ بـن

أبيطالب، قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.

قلت: يا رسول الله فكم يكون الأئمّة من بعدك؟ قال: عدد نقبآء بني إسرائيل: تسعة من صلب الحسين، أعطاهم الله علمي وفهمي، وهم خزّان علم الله ومعادن وحيه، قلت: يا رسول الله فما لأولاد الحسن؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى جعل الإمامة في عقب الحسين وذلك قوله عزّ وجلّ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» قلت: افلا تسمّيهم لي يارسول الله؟ قال: نعم إنّه لمّا عرج بي إلى السّمآءِ ونظرت إلى ساق العرش، فرأيت مكتوباً بالنّور: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله أيّدته بعليّ ونصرته به، ورأيت أنوار الحسن والحسين وفاطمة، ورأيت في ثلاثة مواضع: عليّاً عليّاً عليّاً ومحمّداً محمّداً وجعفراً وموسى والحسن والحجّة يتلألأ من بينهم كأنّه كوكب درّيّ، فقلت: يا ربّ مَن هؤلآءِ الّذين قرنتَ أسمآئهم باسمك؟ قال: يا محمّد إنّهم الأوصيآء والأئمّة بعدك، خلقتهم من طينتك، فطوبى لمن أحبّهم، والويل لمن ابغضهم، فبهم أُنزل الغيث، وبهم أُثيب وأُعاقب، ثمّ رفع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يده إلى السّمآءِ ودعا بدعوات فسمعته فيما يقول: اللهمّ اجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي، وفي زرعي وزرع زرعي».

أقول: إنّ المراد بالزّرع: الولد.

وفيه: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قلت له: يا ابن رسول الله إنّ قوماً يقولون: إنّ الله تبارك وتعالى جعل الإمامة في عقب الحسن والحسين قال: كذبوا والله، أولم يسمعوا الله تعالى ذكره يقول: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» فهل جعلها إلّا في عقب الحسين عليه السّلام ثمّ قال: يا جابر إنّ الأئمّة هم الّذين نصّ عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإمامة وهم الّذين قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لمّا أسرى بي إلى السّمآءِ وجدتُ أساميهم مكتوبة على ساق العرش بالنّور إثنى عشر إسماً، منهم عليّ وسبطاه، وعليّ ومحمّد وجعفر وعليّ وموسى وعليّ ومحمّد وعليّ والحسن والحجّة القآئم، فهذه الأئمّة من أهل بيت الصّفوة والطّهارة، والله لا يدّعيه أحد غيرنا إلّا حشره الله تبارك وتعالى مع إبليس وجنوده ثمّ تنفّس عليه السّلام الصّعداء وقال: لا رعى الله حقّ هذه الامّة فإنّها لم ترع حقّ نبيّها، أما والله لو تركوا الحقّ على أهله لما اختلف في الله تعالى اثنان ثمّ أنشأ عليه السّلام يقول:

إنّ اليـــهود لحبّهم لنـبيّهم أمنوا بوائق حادث الأزمان
والمـؤمنون بحبّ آل محمد يـرمون فـي الآفـاق بـالنّيران

وفي الإحتجاج: ـ في خطبة خطبها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم الغدير بخمّ ـ إلى أن قال: «معاشر النّاس القرآن يعرّفكم أنّ الأئمّة من بعده ولده، وعرّفتكم أنّه منّي وأنا منه حيث يقول الله عزّ وجلّ: «كلمة باقية في عقبه» وقلت: لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما ...» الخطبة.

وفي كنز الفوآئد: بإسناده عن سليم بن قيس قال: خرج علينا عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ونحن في المسجد فاحتوشناه فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن القرآن، فإنّ في القرآن علم الأوّلين والآخرين، لم يدع لقآئل مقالاً، ولا يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم، وليسوا بواحد ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان واحداً منهم، علّمه الله سبحانه إيّاه، وعلّمنيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ لا يزال في عقبه إلى يوم تقوم السّاعة، ثمّ قرأ: «وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملآئكة» فأنا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمـنزلة هارون من موسى إلّا النّبوّة، والعلم في عقبنا إلى أن تقوم السّاعة، ثمّ قرأ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» ثمّ قال: كان رسول الله عقب إبراهيم، ونحن أهل البيت عقب إبراهيم عليه السّلام وعقب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قوله: «فاحتوشناه» من احتوش القوم الرّجل وعليه: أحدقوا به وجعلوه في وسطهم. و«ليسوا» أي ليس الرّاسخون في العلم بواحد.

وقال بعض المعاصرين: «التأمّل في الرّوايات يعطي أنّ بنآءها على إرجاع الضّمير في «جعلها» إلى الهداية المفهومة من قوله: «سيهدين» وأنّ الإمام وظيفته هـداية النّـاس في ملكوت أعمالهم بمعنى سوقهم إلى الله سبحانه بإرشادهم وإيرادهم درجات القرب من الله سبحانه، وإنزال كلّ ذي عمل منزله الّذى يستدعيه عمله، وحقيقة الهداية من الله سبحانه وتنسب إلى إلا مام بالتّبع أو بالعرض، وفعليّة الهداية النّازلة من الله إلى النّاس تشمله اوّلاً ثم تفيض عنه إلى غيره، فله أتمّ الهداية ولغيره ماهي دونها، وما ذكره إبراهيم عليه السّلام في قوله: «فإنّه سيهدين» هداية مطلقة تقبل الإنطباق على أتمّ مراتب الهداية الّتي هـي خـطّ

الإمام منها فهي الإمامة، وجعلها كلمة باقية في عقبه جعل الإمامة كذلك» انتهى كلامه.

**في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي** في قوله تعالى: «وجعلها كلمة باقية» ما لفظه: «وقال السّدي: هم آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم».

**وفي تفسير الطّبري:** «عن السّدي «في عقبه» قال: في عقب إبراهيم آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم».

## ٣١ ـ (وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)

**في تفسير القمي:** «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن» يعني هلّا نزل هذا القرآن «على رجل من القريتين عظيم» وهو عروة بن مسعود والقريتين مكّة والطّائف، وكان جزاؤكم (جزاهم ظ) ما تحتمل الذّباب (وكان يحتمل الدّيات خ) وكان عمّ المغيرة بن شعبة، فردّ الله عليهم، فقال: «أهم يقسمون رحمة ربّك» يعني: النّبوّة والقرآن حين قالوا: لِمَ لم ينزل على عروة بن مسعود».

**وفي الاحتجاج:** ـ مما أجاب به أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكري في رسالته إلى أهل الأهواز حين سئلوه عن الجبر والتّفويض ـ إلى أن قال ـ: «وإليه الصّفوة يصطفى من يشآء من عباده، إصطفى محمّداً صلوات الله عليه وآله، وبعثه بالرّسالة إلى خلقه، ولو فوّض اختياراً أُموره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار اميّة بن الصّلت وأبي مسعود الثّقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمّد لمّا قالوا: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» يعنونهما بذلك ...».

**وفي تحف العقول:** «وإليه الصّفوة يصطفي من يشآء من عباده لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده إصطفى محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعثه برسالاته إلى خلقه، فقال من قال من كفّار قومه حسداً واستكباراً: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» يعني بذلك أُميّة بن أبي الصّلت وأبا مسعود الثّقفيّ، فأبطل الله اختيارهم، ولم يجز لهم آرآءهم حيث يقول: «أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم ...».

**وفي الاحتجاج:** بالاسناد إلى أبي محمّد العسكريّ عليه السّلام أنّه قال: قلت لأبي عليّ بن

محمّد عليهما السّلام: هل كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجّهم؟ قال: بلى مراراً كثيرة: منها ما حكى الله تعالى من قولهم: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم».

قال: وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان قاعداً ذات يوم بفنآءِ الكعبة إذا اجتمع جماعة من رؤسآءِ قريش منهم: الوليد بن المغيرة المخزوميّ، وأبو البختريّ بن هشام وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل السّهمي، وعبد الله بن أبي أُميّة المخزوميّ وكان معهم جمع ممّن يليهم كثير، ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في نفر من اصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدّي إليهم عن الله أمره ونهيه، فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمّد وعظم خطبه، فتعالوا: نبدء بتقريعه وتبكيته وتوبيخه، والاحتجاج عليه وإبطال ما جآء به ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره عندهم، فلعلّه أن ينزعه (فلعلّه ينزع خ) عمّا هو فيه من غيّه وباطله وتمرّده وطغيانه، فإن انتهى وإلّا عاملناه بالسّيف الباتر، قال أبو جهل: فمن الّذي يلي كلامه ومجادلته؟ قال عبدالله بن اميّة المخزومي: أنا إلى ذلك، أفما ترضاني له قرناً حسيباً ومجادلاً كفيّاً؟ قال أبو جهل: بلى، فأتوه بأجمعهم فابتدأ عبدالله بن أبي اميّة المخزومي فقال:

لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجلّ من فيما بيننا مالاً وأحسنه حالاً، فهلاّ نزّل هذا القرآن الّذي تزعم أنّ الله أنزله عليك وانبعثك به رسولاً على رجل من القريتين عظيم: إمّا الوليد بن المغيرة بمكّة، وإمّا عروة بن مسعود الثّقفيّ بالطّائف؟

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: وأمّا قولك: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الوليد بن المغيرة بمكّة أو عروة بالطّائف، فإنّ الله ليس يستعظم مال الدّنيا كما تستعظم أنت ولا خطر له عنده كما له عندك، بل لو كانت الدّنيا عنده تعدل جناح بعوضة ماسقى كافراً به مخالفاً شربة ماء، وليس قسمة رحمة الله إليك، بل الله القاسم للرّحمات والفاعل لما يشآء في عبيده وإمآئه، وليس هو عزّ وجلّ ممّن يخاف أحداً كما تخافه أنت لماله وحاله، فعرفته بالنّبوّة لذلك، ولا ممّن يطمع في أحد في ماله أو حاله كما تطمع أنت، فتخصّه بالنّبوّة لذلك، ولا ممّن يحبّ أحد محبّة الهوى كما تحبّ، فيقدّم من لا يستحقّ التّقديم، وإنّما

معاملته بالعدل فلا يؤثر لأفضل مراتب الدّين وجلاله إلّا الأفضل في طاعته والأجـدّ في خدمته، وكذا لا يؤخّر في مراتب الدّين وجلاله إلّا أشدّهم تباطئاً عن طاعته.

وإذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى حال، بل هذا المال والحال من تفضّله، وليس لأحد إكراهه من عباده عليه ضريبه لازب، فلا يقال له: إذا تفضّلت بالمال على عبد فلا بدّ أن تتفضّل عليه بالنّبوّة أيضاً لأنّه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده، ولا إلزامه تفضّلاً لأنّه تفضّل قبله بنعمة ألا ترى يا عبدالله كيف أغنى واحداً وقبّح صورته؟ وكيف حسّـن صورة واحد وأفقره؟ وكيف شرفّ واحداً وأفقره؟ وكيف أغنى واحداً ووضعه؟.

ثمّ ليس لهذا الغنيّ أن يقول: هلاّ أُضيف إلى يساري جمال فلان؟ ولا للجميل أن يقول: هلاّ اضيف إلى جمالي مال فلان؟ ولا للشّريف أن يقول: هلاّ أُضيف إلى شرفي مال فلان؟ ولا للوضيع أن يقول: هلاّ أُضيف إلى مالي شرف فلان؟ ولكنّ الحكم لله يقسم كيف يشآء ويفعل كما يشآء وهو حكيم في أفعاله، محمود في أعماله، وذلك قوله: «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» قال الله «أهم يقسمون رحمة ربك» يـا محـمّد «نحـن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا».

فأحوجنا بعضاً إلى بعض، أحوج هذا إلى مال ذلك، وأحوج ذلك إلى سلعة هـذا وإلى خدمته، فترى أجلّ الملوك وأغنى الأغنيآءِ محتاجاً إلى افقر الفقرآءِ في ضرب من الضّروب إمّا سلعة، معه ليست معه، وإمّا خدمة يصلح لها يتهيّأ لذلك الملك ان يستغنى الا به، وإمّا باب من العلوم والحكم، هو فقير إلى أن يستفيدها من هذا الفقير الّذي يحتاج إلى مال ذلك الملك الغني، وذلك الملك يحتاج إلى علم هذا الفقير أو رأيه أو معرفته، ثمّ ليس للملك أن يقول: هلاّ اجتمع إلى مالي علم هذا الفقير؟ وللفقير أن يقول: هلاّ اجتمع إلى رأيي ومعرفتي وعلمي وما اتصرّف فيه من فنون الحكم مال هذا الملك الغنيّ؟

ثمّ قال: «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً» ثمّ قال: يـا محمّد قل لهم: «ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون» أي ما يجمعه هؤلآءِ مـن أمـوال الدّنـيا ...» الحـديـث.

قوله: «استفحل» الأمر: تفاقم وعظم.

**وفي الصّحيفة السّجّاديّة:** ـ في الدّعآء الثّاني والثّلاثين ـ قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين (عليهما السّلام): «فصلّ على محمّد وآله، وسهّل عَلَيَّ رزقي وأن تقنعني بتقديرك لي، وأن ترضيني بحصّتي فيما قسمت لي، وأن تجعل ما ذهب من جسمي وعمري في سبيل طاعتك إنك خير الرّازقين».

إنّ الله تعالى وحده يقسم الرّزق لعباده ويعيّنه ويفرزه من غيره حسب ما تقتضيه مشيئته وحكمته.

**وفيه:** ـ في الدّعاء التّاسع والعشرين ـ قال الإمام عليه السّلام: «أللّهمّ إنّك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظّنّ، وفي آجالنا بطول الأمل، حتّى التمسنا أرزاقنا من عند المرزوقين وطَمِعنا بآمالنا في أعمار المعمّرين».

**أقول:** الابتلاء: الاختبار، وابتلاء الله عزّ وجلّ عبارة عن معاملته لعباده معاملة المبتلى المختبر لأنّه تعالى عالم الخفّيات والسّرآئر ... وما كان وما يكون، فلا يتصوّر في حقّه سبحانه الإختبار حقيقة. وسوء الظّنّ هنا: عبارة عن عدم اليقين بأنّ الأرزاق إنّما يكون من الله تعالى، وأنّها صادرة عن قسمته الرّبانيّة، المكتوبة بقلم القضآء الإلهي في اللوح المحفوظ الّذي هو خزانة كلّ شيء كما قال عزّ وجلّ: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا» وأنّ حصولها إلى المرزوقين بمقتضى قسمته كما قال تعالى: «وإن من شيء إلّا عندنا خزآئنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم» الحجر: ٢١).

فلا يزيد فيه حيلة محتال، ولا ينقص منه عجز عاجز، فعدم اليقين بذلك إمّا شكّ فيه، وإما اعتقاد راجح بأنّ الأمر على خلاف ذلك، وكلّ منهما سوء ظنّ ناشيء من ضعف الايمان، فيبعثه ذلك على عدم الثّقة بالله تعالى في حصول رزقه من غير اهتمام واكتساب، وعلى الاعتماد على الكسب والطّلب والتّعب والنّصب، فيحمله ذلك على ذلّ السّؤال ورذيلة الاكتساب.

**في نهج البلاغة:** ـ من الكلمات الحكميّة لمولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «اعلموا علماً يقيناً أنّ الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدّت طلبته، وقويت مكيدته أكثر ممّا سمّى له في الذّكر الحكيم، ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلّة

حيلته، وبين أن يبلغ ما سمّى له في الذّكر الحكيم، والعارف لهذا العامل به أعظم النّاس راحة في منفعة، والتارك له الشّاكّ فيه أعظم النّاس شغلاً في مضرّة».

**وفي الصّحيفة السّجّاديّة** ـ في الدعآءِ الأوّل ـ قال الإمام عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «وجعل لكلّ روح منهم قوتا معلوماً مقسوماً من رزقه» أي معيّنا مفروزاً عن غيره، قسمة تقتضيها مشّيته المبنيّة على الحكمة والمصلحة ولم يفوّض أمره إليهم علماً منه بعجزهم عن تدبير أنفسهم.

**وفيه:** قال الامام عليّ بن الحسين عليهما السّلام ـ في الدعاءِ الخامس والثّلاثين ـ: «الحمد لله رضاً بحكم الله، شهدتُ أنّ الله قسم معايش عباده بـالعدل، وأخـذ عـلى جميع خـلقه بالفضل» وفي الدّعآءِ إشارة إلى قوله تعالى: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنـيا» فإن العدل لا يكون قسمة إلّا عدلاً، ولا يتجاوز إلى إفراط ولا تفريط.

**وفي الحديث القدسي:** «وإنّ من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلّا الغنى، ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك، وإنّ من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلّا الفقر ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك ...» الحديث.

فإغناء من لا يصلحه إلّا الفقر إفراط، وإفقار من لا يصلحه إلّا الغني تفريط، والعدل هو ما به إصلاح كلّ منهما، فثبت اتّصاف قسمته تعالى بالعدل.

**وفي اصول الكافي** ـ باب فرض العلم ووجوب طلبه ـ قال أمير المؤمنين عليّ عـليه السّلام: «أيّها النّاس اعملوا أنّ كمال الدّين طلب العلم والعمل به، ألا وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسوم مضمون لكم، قدقسّمه عادل بينكم، وضمنه وسَيَفِي لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد اُمِرتم بطلبه من أهله فاطلبوه».

**أقول:** إنّ المراد بالمال: الرّزق لا فضوله، قد قسّمه عادل بينكم لقوله تعالى: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا» وضمنه لقوله تعالى: «وما من دابّة إلّا على الله رزقها» هود: ٦).

**وفي مصباح الشّريعة:** قال الصّادق عليه السّلام: «لو حلف القـانع بـتملّكه الدّاريـن لصدّقه الله عزّ وجل بذلك، ولأبرّه لعظم شأن مرتبة القناعة، ثمّ كيف لا يقنع العبد بما قسم الله عزّ وجلّ له وهو يقول: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا» فمن أيقن وصدّقه بما

شآء ولما شآء بلا غفلة ممّن أيقن بربوبيّته، أضاف تولية الأقسام إلى نفسه بلا سبب، ومن قنع بالمقسوم استراح من الهمّ والكذب والتّعب وكلّما نقص من القناعة زاد في الرّغبة، والطّمع والرّغبة في الدّنيا أصلان لكلّ شرّ، وصاحبهما لا ينجو من النّار إلّا أن يتوب».

**وفي الصّحيفة السّجّادية** ـ في الدّعاء السّابع والأربعين ـ قال سيّد السّاجدين زين العابدين عليه السّلام: «وذلّلني بين يديك وأعزَّني عند خلقك، وضَعني إذا خلوتُ بك وارفَعني بين عبادك، وأغْنِني عمّن هو غنيّ عنّي وزِدني إليك فاقةً وفقراً...» الدعاء.

**أقول:** إنّ الغرض هو سئواله تعالى إفاضة قوّة على عقله يقوى بها على قهر النّفس وتذليلها بالاتصاف بالخضوع والخشوع والاستكانة والافتقار حال عبادته وملاحظة عظمته وجلاله عزّ وجلّ وهو روح العبادة.

**في اصول الكافي** ـ باب التّواضع ـ باسناده عن عليّ بن يقطين عمّن رواه عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السّلام يا موسى تدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يارِبّ ولِمَ ذاك؟ قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه أن يا موسى إنّي قلّبت عبادي ظهراً لبطن، فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي نفساً منك يا موسى إنّك إذا صلّيت وضعت خدّك على التّراب ـ أو قال: على الأرض».

**وقوله عليه السّلام:** «وأعِزَّني عند خلقك» المراد بإعزازه عندهم: جعله بحيث تميل قلوبهم إلى تعظيمه وتوقيره ومحبّته واجتناب إذلاله وإهانته، والاستخفاف به ظاهراً وباطناً.

**وقوله عليه السّلام:** «وضَعني إذا خلوت بك» المراد به هنا جعله متواضعاً له، خاضعاً لعظمته، متّسماً بالذّلّ والافتقار والعجز إليه تعالى.

**وقوله عليه السّلام:** «إذا خلوت بك» أي إذا تفرّدت عن الخلق بمناجاتك، وليس المراد الانفراد الجسماني فقط، بل العمدة الانفراد بالسّرّ، ولذلك عرّف أرباب القلوب الخلوة بأنّها محادثة السّرّ مع الحقّ بحيث لا يرى غيره من بشر وملك قالوا: هذا حقيقة الخلوة ومعناها، وأمّا صورتها فهو ما يتوصّل به إلى هذا المعنى من التّبتّل إلى الله والانقطاع عن الغير.

**وقوله عليه السّلام:** «وارفعني بين عبادك» أي إجعلني رفيعاً شريف المنزلة بين عبادك.

قال بعض العارفين: لا يكون الإنسان رفيع القدر، شريف المنزلة، ملحوظاً بعين الاحترام بين الخلق حتّى يكون كبير الهمّة، عالي النّفس، عزيز الجانب، كريم الجناب، واسع الذّرع، عزوف النّفس، حلو الشّمائل، موطأ الأكتاف، كريم العنصر، ينعش المولیٰ، ويحتمل الجلي، ويرتاح لإكرام الأشراف، ويرغب في صحبة الأخيار، يغضي عن العدوّ كما ينخفض للصّديق، ترفعه همّته عن دنيّ الأفعال، وتسمو به نفسه عن مساوي الأخلاق، فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال، واتّفقت فيه هذه الخلال لاحظه الصّغير والكبير بالإجلال، واعترف له جميع الخلق بالفضل والكمال، وهذا أمر لا يكون إلّا بتأييد الله تعالى ومعونته وتسديده وتوفيقه، فكأنّه عليه السّلام سئل ربّه إفاضة ما يقوى به على التّحلّي بهذه المكارم ليكون رفعياً بين عباده، وقد فعل سبحانه.

**وقوله** عليه السّلام: «وأغنني عمّن هو غنيّ عنّي» أي لا تجعل لي حاجة إلى من لا حاجة له ليّ، ولمّا كان سلب مطلق الحاجة الى الخلق ممّا لا سبيل إليه في هذه الدّار إذ كان قوام الإنسان ومعيشته ونظام أمره لا يتيسّر إلّا باحتياج بعضهم إلى بعض، وتعاونهم على أسباب العيش خصّ الإمام عليه السّلام سئوال إغنآئه بأن يكون عمّن هو غنيّ عنه حتّى لا يحتاج إلى مسئلته، ولا يفتقر إلى فضله وإحسانه، فخرج بذلك من لابدّ من الحاجة إليه، وعدم الاستغنآء عنه ممّن لا يستغني هو أيضاً عنه عليه السّلام كأرباب الصّنآئع والحرف والأُجرآء والخدم ونحوهم، فإنّه لابدّ من حاجته إليهم، وحاجتهم إليه.

**وفي البحار:** ـ باب ما ورد عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في أصناف آيات القرآن ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «وأمّا وجه الإجارة فقوله عزّ وجلّ: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ورحمة ربك خير ممّا يجمعون» فأخبرنا سبحانه أنّ الإجارة أحد معايش الخلق، إذ خالف بحكمته بين هممهم وإرادتهم وسآئر حالاتهم، وجعل ذلك قواماً لمعايش الخلق، وهو الرّجل يستأجر الرّجل في صنعته وأعماله وأحكامه وتصرّفاته وأملاكه ولو كان الرّجل منّا مضطرّاً إلى أن يكون بنّاءً لنفسه أو نجّاراً أو صانعاً في شيء من جميع أنواع الصّنايع لنفسه، ويتولّى جميع ما يحتاج إليه من إصلاح الثّياب ممّا يحتاج إليه الملك فمن دونه، ما استقامت

أحوال العالم بذلك، ولا اتّسعوا له ولعجزوا عنه، ولكنّه تبارك وتعالى أتقن تدبيره، وأبان آثار حكمته لمخالفته بين هممهم، وكلّ يطلب ما ينصرف إليه همّته ممّا يقوم به بعضهم لبعض، وليستعين بعضهم ببعض في ابواب المعايش الّتي بها صلاح أحوالهم».

**وفي اصول الكافي:** ـ باب فضل فقراءِ المسلمين ـ بإسناده عن سعيد بن المسيّب قال: سئلت عليّ بن الحسين (عليهما السّلام) عن قول الله عزّ وجلّ: «ولولا أن يكون النّاس امّة واحدة» قال: عنى بذلك امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يكونوا على دين واحد كفّاراً كلّهم «لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة» ولو فعل الله ذلك بامّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لحزن المؤمنون وغمّهم ذلك ولم يناكحوهم ولم يوارثوهم».

**أقول:** ومن المحتمل أن يكون المراد بالنّاس امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد وفاته بقرينة المضارع: «يكون» و «يكفر» فالمراد بمن يكفر بالرّحمن: المخالفون المنكرون للإمامة، والنّصّ على الامام، ولذا عبّر بالرّحمن إشعاراً بأنّ رحمانيّة الله تعالى يقتضي عدم إهمالهم في امور دينهم أو المراد أنّ المنكر للإمام كافر برحمانيّة الملك العلاّم.

والحاصل أنّه لولا أنّه كان يصير سبباً لكفر المؤمنين لحزنهم وغمّهم وانكسار قلبهم، فيستولي عليهم الشّيطان فيكفرون ويلحقون بالمخالفين إلّا شاذ منهم لا يكفي وجودهم لنصرة الامام أو يهلكون غمّاً وحزناً، وأيضاً لو كان جميع المخالفين بهذه الدّرجة من الغنا والثّروة، وجميع المؤمنين في غاية الفقر والمهانة والمذلّة لم يناكحوهم أي المخالفون المؤمنين بأن يعطوهم بناتهم أو يأخذوا منهم بناتهم، فلم يكن يحصل فيهم نسب يصير سبباً للتّوارث، فبذلك ينقطع نسل المؤمنين، ويصير سبباً لانقراضهم أو لمزيد غمّهم الموجب لارتدادهم، وبتلك الأسباب يصير امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّهم كفرة ومخالفين، فيكونوا امّة واحدة كفرة إمّا مطلقاً أو إلّا من شذّ منهم، ممّن محض الايمان محضاً، فعبّر بالنّاس عن الأكثرين لقلّة المؤمنين، فكأنّهم ليسوا منهم.

فالمراد بالأمّة في قوله عليه السّلام: «عنى بذلك امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم» أعمّ من امّة الدّعوة والإجابة كلّهم أو الأعمّ من المؤمنين والمنافقين والمخالفين، و «ذلك» إشارة إلى النّاس، والمراد بالأُمّة في قوله: «ولو فعل ذلك بامّة محمّد» المنافقون والمخالفون أو الأعمّ

منهم ومن سائر الكفّار، والأوّل أظهر بقرينة «ولم يناكحوهم» فإنّ غيرهم من الكـفّار لا يناكحون الآن أيضاً، والضّمير المرفوع راجع إلى المنافقين، والمنصوب إلى المؤمنين، وكـذا «ولم يوارثوهم».

**ومن حكم الامام على** عليه السّلام: «من هوان الدّنيا عـلى الله ان لا يـعصى الا فـيها، ولا ينال ما عنده الا بتركها».

**وفي البحار**: ـ باب ٩ ـ في أحوال أقرباءِ الإمام جعفر الصّادق عليه السّـلام ـ بالإسناد عن عطيّة بن نجيح بن المطهّر الرّازي وإسحاق بـن عـمّار الصّـيرفي قـالا: إنّ أبـا عـبدالله جعفر بن محمّد عليهما السّلام كتب إلى عبدالله بن الحسن حين حُمِل هو وأهل بـيته يـعزّيه عمّار صار إليه ـ:

«واعلم أي عمّ وابن عمّ أنّ الله جلّ وعزّ لم يبال بضرّ الدّنيا لوليّه ساعة قطّ، ولا شيء أحبّ إليه من الضّرّ والجهد والبلآء مع الصّبر، وأنّه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدّنيا لعدوّه ساعة قطّ، ولولا ذلك ماكان أعداؤه يقتلون أوليآئه ويخوّفونهم ويمنعونهم، وأعداؤه آمنون مطمئنّون عالون ظاهرون، ولولا ذلك لما قتل زكريّا ويحي بن زكريّا ظلماً وعدواناً في بغيّ من البغايا، ولولا ذلك ما قُتِلَ جدّك عليّ بن أبي طالب عليه السّلام لمّا قام بأمر الله جلّ وعزّ ظلماً، وعمّك الحسين بن فاطمة صلّى الله عليهم اضطهاداً وعدواناً.

ولولا ذلك ما قال الله جلّ وعزّ في كتابه: «ولولا أن يكون النّاس امّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون».

**وفيه**: بالإسناد عن إسحق بن غالب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يـقول في هـذه الآية: «ولولا أن يكون النّاس امّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون» قال: لو فعل لكفر النّاس جميعاً».

**وفي الصّحيفة السّجّاديّة**: ـ في الدّعآءِ السّابع والأربعين ـ قال الإمام عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «ولا تتخذني هزواً لخلقك ولا سُخِريّاً لك» السّخريّ ـ على لفظ المنسوب ـ إسم من سخّره تسخيراً اذا كلّفه عملاً واستخدمه بالقهر أي لا تجعلني خادماً مكلّفاً بعمل إلّا بك، ومنه قوله عزّ وجلّ: «ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً» أي ليستخدم بعضهم بعضاً.

**وفي الدّرّ المنثور:** عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لو كانت الدّنيا تزن عندالله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة مآء».

**وفي تفسير القمي:** وقوله: «ولولا أن يكون النّاس امّة واحدة» أي على مذهب واحد «لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون» قال: المعارج الّتي يظهرون بها «ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكئون وزخرفاً» قال: البيت المزخرف بالذّهب، فقال الصّادق عليه السّلام: «لو فعل الله ذلك لما آمن أحد ولكنّه جعل في المؤمنين أغنيآء وفي الكافرين فقرآء وجعل في الكافرين أغنيآء وفي المؤمنين فقرآء ثمّ امتحنهم بالأمر والنّهي والصّبر والرّضى».

**وفي العلل:** باسناده عن منصور بن يونس قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام قال الله عزّ وجلّ: «لولا أن يجد عبدي المؤمن في نفسه لعصبت الكافر بعصابة من ذهب» أي لولا أن يخطر بباله شيء.

**وفي الكافي:** عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال: «ما كان من ولد آدم عليه السّلام مؤمن إلّا فقيراً ولا كافر إلّا غنيّاً حتّى جآء إبراهيم عليه السّلام فقال: «ربّنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا» الممتحنة: ٥) فصيّر الله من هؤلآءِ أموالاً وحاجة، وفي هؤلآءِ أموالاً وحاجة».

## ٣٦ ـ (ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين)

**في البحار:** بالإسناد عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم» آل محمّد حقّهم «أنّكم في العذاب مشتركون» وهذا جواب لمن تقدّم ذكرهم أمام هذه الآية وهو قوله عزّ وجلّ: «ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وإنّهم ليصدّونهم عن السّبيل ويحسبون أنّهم مهتدون حتّى إذا جآئنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين» فيقال لهم عقيب ذلك: «ولن ينفعكم اليوم» أي هذا اليوم «إذ ظلمتم» آل محمد حقّهم «انكم في العذاب مشتركون» التابع منكم والمتبوع، واصول الظّلم والفروع».

**وفي الخصال:** عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «من تصدّى بالإثم أعشى عن ذكر الله

تعالى ومن ترك الأخذ عمّن أمر الله بطاعته قيّض الله له شيطاناً فهو له قرين».

**وفي مكارم الأخلاق:** ـ باب وصيّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لابن مسعود ـ : «يا ابن مسعود قال الله تعالى من ردّ عن ذكري وذكر الآخرة «ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وإنّهم ليصدّونهم عن السّبيل ويحسبون أنّهم مهتدون حتّى إذا جآئـنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين».

يا ابن مسعود إنّهم ليعيبون عـلى مـن يـقتدي بسـنّتي فـرآئـض الله قـال الله تـعالى: «فاتّخذتموهم سخريّاً حتّى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تـضحكون إنّي جـزيتهم اليـوم بمـا صبروا أنّهم هم الفآئزون».

**وفي روضة الكافي:** باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام أنّه قال أمير المؤمنين عليه السّلام في خطبة له ـ خطب النّاس بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «ولئن تقمّصها دوني الأشقيان ونازعاني فيما ليس لهما بحـقّ، وركـباها ضـلالة واعتقداها جهالة فلبئس ما عليه وردا، ولبئس ماالأنفسهما مـهّدا، يـتلاعنان في دورهمـا ويتبرّأ كلّ واحد منهما من صاحبه، يقول لقرينه إذا التقيا: «يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين» فيجيبه الأشقى على رثوثة (وثوبة خ): «يا ليتني لم أتخذك خليلاً لقد أضللتني عن الذّكر بعد إذ جآئني وكان الشيّطان للإنسان خذولاً» فأنا الذّكـر الّـذي عـنه ضـلّ، والسّبيل الّذي عنه مال، والايمان الّذي كفر به، والقرآن الّذي إيّاه هجر، والدّين الّذي بـه كذّب، والصّراط الّذي عنه نكب.

ولئن رتعا في الحطام المنصرم والغرور المنقطع، وكانا منه على شفا حفرة من النّار لهما على شرّ ورود في أخيب وفود وألعن مورود، يتصارخان باللّعنة ويتناعقان بالحسرة، مالهما من راحة ولا من عذابهما من مندوحة، إنّ القوم لم يزالوا عبّاد أصنام وسدنة أوثان، يقيمون لها المناسك وينصبون لها العتآئر، ويتّخذون لها القربان ويجعلون لها البحيرة والوسيلة والسّآئبة والحام، ويستقسمون بالأزلام عامهين عن الله عزّ ذكره، حآئرين عن الرّشاد، مهطعين إلى البعاد، وقد استحوذ عليهم الشـيّطان، وغـمرتهم سـودآء الجـاهليّة، ورضـعوها جـهالة وانفطموها ضلالة ...» الخطبة.

**أقول:** وقد أخبر الإمام عليّ عليه السّلام بعد سبعة أيّام من وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بما يأتي على الإسلام والمسلمين من الضّلالة والفشل، والانحطاط والذّلّة بسبب غصب أبي بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطّاب الخلافة، وهو عليه السّلام يعلم بتصميمهما على هذه الجناية، وقد أتمّ الإمام عليه السّلام الحجّة على النّاس يومئذ بخطبته هذه. فتأمّل جيّداً ولا تكن من الغافلين.

**قوله** عليه السّلام: «رثوثة»: البذادة، ومن اللباس: البالي. و «وثوبة»: سريعة. و «رتعا»: تنعّما، و «الحطام»: كلّ مافي الدّنيا يفنى من متاعها وشهواتها، و «المنصرم» المنقطع، و «يتناعقان»: يتصاحان كالحمار، و «العتائر» جمع العتيرة: هي شاة كان المشركون يذبحونها في رجب لآلهتهم، و «البحيرة والسّائبة» ناقتان مخصوصتان كانوا يحرمون الانتفاع بها، و «الوصيلة» شاة مخصوصة يذبحونها على بعض الوجوه، ويحرمونها على بعض، و «الحام»: الفحل من الإبل الّذي طال مكثه عندهم، فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولا مآء، والاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسم لهم ممّا لم يقسم بالأقداح، والعمة: التحيّر والتّردّد، و «مهطعين»: مسرعين، و «استحوذ»: استولى. والانفطام: الفصل عن الرّضاع أي كانوا في صغرهم وكبرهم في الجهالة والضّلالة.

**وفي الاختصاص للشّيخ المفيد** رضوان الله تعالى عليه ـ باب صفة النّار ـ باسناده عن جابر بن يزيد الجعفيّ عن أبي جعفر عليه السّلام ـ حديث طويل ـ: «ثمّ يدفع في صدره دفعة فيهوي على رأسه سبعين ألف عام حتّى يواقع الحطمة، فإذا واقعها دقّت عليه وعلى شيطانه وجاذبه الشّيطان بالسّلسلة (جاز به الشّيطان السّلسلة خ) كلّما وقع رأسه نظر إلى قبح وجهه، كلح في وجهه، قال: فيقول: «ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين» ويحك بما أغويتني أحمل عنّي من عذاب الله من شيء، فيقول: ياشقيّ كيف أحمل عنك من عذاب الله من شيء وأنا وأنت اليوم في العذاب مشتركون» ... الحديث.

**وفي كامل الزّيارات:** بإسناده عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: لمّا اسرى بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قيل له: إنّ الله مختبرك في ثلاث لينظر كيف صبرك؟ قال: أُسلّم لأمرك يا ربّ، ولا قوّة لي على الصّبر إلّا بك، فما هنّ؟ قيل: أوّ لهنّ الجوع والأثرة على

نفسك وعلى أهلك لأهل الحاجة، قال: قبلت ياربّ ورضيت وسلّمت ومنك التّوفيق والصبر.

وأمّا الثّانية فالتكذيب والخوف الشّديد، وَبذْلك مهجتك فيّ ومحاربة أهل الكفر بمالك ونفسك، والصّبر على ما يصيبك منهم من الأذى ومن أهل النّفاق والألم في الحرب والجراح قال: ياربّ قبلت ورضيت وسلّمت ومنك التّوفيق والصّبر.

وأمّا الثّالثة فما يلقى أهل بيتك من بعدك من القتل:

أمّا أخوك فيلقى من امّتك الشّتم والتّعنيف والتّوبيخ والحرمان والجهد والظّلم وآخر ذلك القتل، فقال: ياربّ سلّمت وقبلت ومنك التّوفيق والصّبر.

وأمّا إبنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقّها غصباً الّذي تجعله لها، وتُضرَب وهي حامل، ويدخل على حريمها ومنزلها بغير إذن، ثمّ يمسّها هوان وذلّ ثمّ لا تجد مانعاً وتطرح مافي بطنها من الضّرب وتموت من ذلك الضّرب، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون قبلت ياربّ وسلّمت ومنك التّوفيق ...

وأمّا ابنتك فإنّي أُوقفها عند عرشي فيقال لها: إنّ الله قد حكّمكِ في خلقه فمن ظلمكِ وظلم ولدكِ فاحكمي فيه بما أحببت، فإنّي أُجيز حكومتكِ فيهم، فتشهد العرصة فإذا أوقف من ظلمها امرت به إلى النّار، فيقول الظّالم: «واحسرتاه على ما فرّطت في جنب الله» ويتمنّى الكرّة «ويعضّ الظّالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرّسول سبيلاً ياويلتي ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً» وقال: «حتّى إذا جآءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون» فيقول الظّالم: «أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون» أو الحكم لغيرك؟ فيقال لهما: «ألا لعنة الله على الظّالمين الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون».

وأوّل من يحكم فيه محسن بن عليّ عليه السّلام في قاتله، ثمّ في قنفذ فيؤتيان هو وصاحبه، فيضربان بسياط من نار، لو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها ولو وضعت على جبال الدّنيا لذابت حتّى تصير رماداً فيضربان بها.

ثمّ يجثو أمير المؤمنين صلوات الله عليه بين يدي الله للخصومة مع الرّابع وتدخل الثّلاثة في

جبّ، فيطبّق عليهم لايراهم أحد ولا يرون أحداً، فيقول الّذين كانوا في ولايتهم: «ربّنا أرنا اللّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين» قال الله عزّ وجلّ: «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون» فعند ذلك ينادون بالويل والثّبور ويأتيان الحوض يسئلان عن أمير المؤمنين عليه السّلام ومعهم حفظة فيقولان: اعف عنّا واسقنا وخلّصنا، فيقال لهم: «فلمّا رأوه زلفة سيئت وجوه الّذين كفروا وقيل هذا الّذي كنتم به تدّعون» بإمرة المؤمنين، ارجعوا ظماء مظمئين إلى النّار فما شرابكم إلّا الحميم والغسلين، وما تنفعكم شفاعة الشّافعين».

**أقول:** ولعمري انّي لا أشكّ فيمن شكّ في صحّة هذه الرّواية أو تذبذب: أنّه إمّا جاهل سفيه وإن ادعى العلم ما ادّعى، وإما أجير من الأُجرآءِ، وإمّا خبيث الولادة وإن ادّعى طيبها ما ادّعى، تبّت يدا مَن مدّ يده إلى يد مَن لطم وجه بضعة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة الزّهراء سلام الله عليها وأسقط جنينها، اللّهمّ العن مَن يحمى هؤلاء الظّالمين، والعن من لا يلعنهم، واحشره معهم في نار الجحيم، واشربه من الغسلين، ولو لم يكن هؤلاء الظّالمون من أهل سقر لكان خلق جهنّم عبثاً.

**وفي البحار:** ـ باب ١٦ ـ أنّ الإمام عليّ عليه السّلام السّبيل والصراط الميزان في القرآن ـ قال المحقّق الخبير العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه ـ في بيان حديث ١١ من هذا الباب ـ في قوله تعالى: «ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين»: «ويظهر من بعض الأخبار أنّ الموصول: «من» كناية عن أبي بكر حيث عمى عن ذكر الرّحمن يعني أمير المؤمنين عليه السّلام والشّيطان المقيّض ـ بناء المفعول: المقدر ـ له هو عمر «وإنّهم ليصدّونهم» أي النّاس «عن السّبيل» وهو أمير المؤمنين عليه السّلام وولايته «ويحسبون أنّه مهتدون» ثمّ قال بعد ذلك: «حتّى إذا جاءانا» يعني العامي عن الذّكر وشيطانه: أبا بكر وعمر «قال» أبو بكر لعمر: «ياليت بيني وبينك بعد المشرقين» ويؤيّد أنّ المراد بالشّيطان عمر ما رواه عليّ بن ابراهيم عن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله تعالى: «ولا يصدّنّكم الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين» قال يعني الثّاني عن أمير المؤمنين عليه السّلام».

**٤١ ـ (فإمّا نذهبن بك فإنّا منهم منتقمون)**

**في تفسير القمي:** باسناده عن يحي بن سعيد عن أبي عبدالله عليه السّـلام قـال: فـإمّا نذهبنّ بك يا محمّد من مكة إلى المدينة، فإنّا رادّوك إليهـا ومـنتقمون مـنهم بـعليّ بـن أبي طالب عليه السّلام.

**وفي كنز الفوائد:** بإسناده عن عبدالرّحمن بن سالم عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّ وجلّ: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» وقال: الله انتقم بعليّ عـليه السّـلام يـوم البصرة وهو الّذي وعد الله رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

**وفيه:** باسناده عن حرب بن أبي الأسود الدّئلي عن عمّه أنّه قال: إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا نزل عليه قوله تعالى: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» قال: أي بعليّ كذلك حدّثني جبرئيل.

**وفي اصول الكافي:** بإسناده عن الثّمالي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: أوحى الله إلى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فاستمسك بالّذي اوحى إليك إنّك على صراط مستقيم» قال: إنّك على ولاية عليّ عليه السّلام وعليّ عليه السّلام هو الصّراط المستقيم».

**وفي كنز الفوائد:** باسناده عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السّلام في قول الله عزّ وجلّ: «فاستمسك بالّذي أوحى إليك» قال: في عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

**وفي البحار:** بالأسانيد إلى جعفر بن محمّد عليه السّلام قال: أوحى الله تعالى إلى نـبيّه: «فاستمسك بالّذي اوحى إليك إنّك على صراط مستقيم» فقال: إلهي ما الصّراط المستقيم؟ قال: ولاية عليّ بن أبي طالب، فعليّ هو الصّراط المستقيم».

**وفي بصائر الدّرجات :** بالإسناد عن أبي بصير قال: سئلت أبا جعفر عليه السّلام عن شهادة ولد الزّنا تجوز؟ قال: لا فقلت: إنّ الحكم بن عتيبة يزعم أنّها تجوز، فقال: اللهمّ لا تغفر له ذنبه، ما قال الله للحكم: «إنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» فليذهب الحكم يميناً وشمالاً، فهو الله لا يوجد العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل».

**أقول:** إنّ الله عزّ وجلّ خاطب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا الخطاب: أنّ القرآن

الكريم ذكر أي مذكّر أو شرف لك ولقومك، وقومه هم أهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين. وقد ورد في الأخبار: أنّ المخاطب في قوله تعالى: «وسوف تسئلون» هو أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّ النّاس لابدّ أن يسئلوهم عن علوم القرآن لقوله جلّ وعلا: «فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون» النحل: ٤٣).

**وفي اصول الكافي:** باسناده عن عبدالله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السّلام في قول الله عزّ وجلّ: «فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون» قال: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الذّكر، أنا والأئمّة عليهم السّلام أهل الذّكر، وقوله عزّ وجلّ: «وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» قال أبو جعفر عليه السّلام: نحن قومه ونحن المسئولون».

**وفي بصائر الدّرجات:** بإسناده عن الفضيل عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله تعالى: «وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» قال: الذّكر القرآن، ونحن قومه، ونحن المسئولون».

**وفي كنز الفوائد:** بإسناده عن محمّد الحلبي قال: قوله عزّ وجلّ: «وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» فرسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم أهل الذّكر وهم المسئولون أمر الله النّاس أن يسئلوهم فهم ولاة النّاس وأولاهم بهم، فليس يحلّ لأحد من النّاس أن يأخذ هذا الحقّ الّذي افترضه الله لهم».

**أقول:** إنّ الرّوايات في «الذّكر» مختلفة، ففي بعضها هو القرآن، وفي بعضها هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيمكن لنا الجمع بوجوه: **أحدها** ـ أن يكون المراد بالذّكر هو القرآن، ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صاحب الذّكر على حذف المضاف كقوله تعالى: «واسئل القرية» يوسف: ٨٢) أي أهلها.

**ثانيها** ـ أن يكون الذّكر مصدراً بمعنى المذكور كقوله تعالى: «هذا خلق الله» لقمان: ١١) والمعنى: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو المذكور في الخطاب. **ثالثها** ـ أنه يكون المراد بالذّكر هو القرآن، ويكون إطلاق النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على الذّكر من باب المبالغة لاختصاص رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعلمه، وكونه نازلاً عليه وحافظه ومفسّره.

**وفي وسائل الشيعة** ـ كتاب القضاء ـ باب وجوب الرّجوع في جميع الأحكام إلى

المعصومين عليهم السّلام ـ بالإسناد عن عبدالرّحمن بن كثير قال: قـلت لأبي عـبدالله عـليه السّلام: «فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون» قال: الذّكر محمّد صلّى الله عـليه وآله وسـلّم ونحن أهله، ونحن المسئولون، قال: قلت: «وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» قـال: إيّانا عنى، ونحن أهل الذّكر ونحن المسئولون».

وفيه: بالإسناد عن عبدالحميد بن أبي الدّيلم عن أبي عبدالله عليه السّلام ـ في حـديث طويل ـ قال: قال الله عزّ وجلّ: «فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون» قال: الكتاب الذّكر، وأهله آل محمّد أمر الله بسئوالهم، ولم يؤمروا بسئوال الجهّال، وسمّى الله القرآن ذكراً فـقال تبارك: «وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» وقال: «وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم» وقال: «وأطيعوا الله وأطيعوا الرّسول واُولى الأمر منكم» وقال عزّ وجلّ: «ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى اولى الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم» فردّ الأمر أمر النّاس إلى اولى الأمر منهم الّذين أمر الله بطاعتهم والرّدّ إليهم».

وفيه: بالإسناد عن الرّيّان بن الصّلت عن الرّضا عليه السّلام ـ في حـديث ـ أنّـه قـال للعلمآءِ في مجلس المأمون: أخبروني عن هذه الآية: «ثمّ أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا» فقالت العلمآء: أراد الله بذلك الامّة كلّها، فقال الرّضا عليه السّلام: بل أراد الله العترة الطّاهرة ـ إلى أنه قال الرّضا عليه السّلام ـ: ونحن أهل الذّكر الّـذين قـال الله عـزّ وجـلّ: «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» فقالت العلمآء: إنّما عنى بذلك اليهود والنّصارى، فقال أبو الحسن عليه السّلام: سبحان الله ويجوز ذلك إذن يدعونا إلى دينهم، ويقولون: إنّـه أفضل من دين إلاسلام، فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قـالوا يـا أبـا الحسن؟ قال: نعم الذّكر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونحن أهله، وذلك بيّن في كتاب الله حيث يقول في سورة الطلاق: «فاتقوا الله يا اولي الألباب الّذين آمنوا قد أنزل إليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّنات» فالذّكر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونحن أهله».

وفيه: بالإسناد عن عمر بن يزيد قال: قال أبو جعفر عليه السّلام في قوله: «وإنّه لذكر لك ولقومك سوف تسئلون» قال: الذّكر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته أهل الذّكر وهم المسئولون».

**أقول:** وفي قوله تعالى: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا»: ٤٥) روايات ستأتي في الفصل الثّاني إن شآء الله تعالى فانتظر.

## ٤٦ ـ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إنّي رسول ربّ العالمين)

**في البحار:** عن تفسير العياشي: عن عاصم المصري رفعه قال: «إنّ فرعون بنى سبع مدائن يتحصّن فيها من موسى عليه السّلام وجعل فيما بينها آجاماً وغياضاً، وجعل فيها الأسد ليتحصّن بها من موسى، قال: فلمّا بعث الله موسى إلى فرعون فدخل المدينة ورآه الأسد تبصبصت وولّت مدبرةً قال: ثمّ لم يأت مدينة إلّا انفتح له بابها حتّى انتهى إلى قصر فرعون الّذي هو فيه، قال: فقعد على بابه وعليه مدرعة من صوف، ومعه عصاه، فلمّا خرج الآذن قال له موسى: استأذن لي على فرعون، فلم يلتفت إليه، قال: فقال له موسى عليه السّلام: «إنّي رسول ربّ العالمين».

قال: فلم يلتفت إليه، قال: فمكث بذلك ما شآء الله يسئله أن يستأذن له، قال: فلمّا أكثر عليه قال له: أما وجد ربّ العالمين من يرسله غيرك؟! قال: فغضب موسى فضرب الباب بعصاه فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلّا انفتح حتّى نظر إليه فرعون وهو في مجلسه، فقال: ادخلوه قال: فدخل عليه وهو في قبّة له من بقعة كبيرة الارتفاع ثمانون ذراعاً، قال: فقال: «إنّي رسول ربّ العالمين» إليك، قال: فقال: «فأت بآية إن كنت من الصّادقين» قال: فألقى عصاه وكان لها شعبتان، قال: فإذا هي حيّة قد وقع إحدى الشعبتين في الأرض، والشّعبة الاخرى في أعلى القبّة، قال: فنظر فرعون إلى جوفها وهو يلتهب نيراناً، قال: وأهوت إليه، فأحدث وصاح: يا موسى خذها».

**وفي كامل الزّيارات:** بإسناده عن عبدالله بن بكر الأرّجاني قال: صحبت أبا عبدالله عليه السّلام في طريق مكّة من المدينة ـ حديث طويل ـ قلت: جعلت فداك فهل يرى الإمام مابين المشرق والمغرب؟ قال عليه السّلام: يابن بكر فكيف يكون حجّة على مابين قطريها وهو لا يراهم ولا يحكم فيهم؟ وكيف تكون حجّة على قوم غيّب لا يقدر عليهم ولا

يقدرون عليه؟ وكيف يكون مؤدّياً عن الله وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم؟ وكيف يكون حجّة عليهم وهو محجوب عنهم، وقد حيل بينهم وبينه أن يقوم بأمر ربّه فيهم؟ والله يقول: «وما ارسلناك إلّا كافّة للنّاس» يعني به من على الأرض، والحجّة يقوم مقام النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من بعده وهو الدّليل على ما تشاجرت فيه الأمّة، والآخذ بحقوق النّاس، والقيام بأمر الله، والمنصف لبعضهم من بعض، فإن لم يكن معهم من ينفذ قوله وهو يقول: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم».

فأيّ آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق؟ وقال: «ما نريهم من آية إلّا هي أكبر من اختها» فأيّ آية اكبر منّا، والله إنّ بني هاشم وقريشاً لتعرف ما أعطانا الله ولكنّ الحسد أهلكهم كما أهلك إبليس، وإنّهم ليأتوننا إذا اضطرّوا وخافوا على انفسهم فيسئلونا فنوضح لهم، فيقولون: نشهد أنّكم أهل العلم ثمّ يخرجون، فيقولون: ما رأينا أضلّ ممّن اتبع هؤلآء ويقبل مقالاتهم».

وفي التّوحيد: بإسناده عن البرقي عن أبيه يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّ وجلّ: «فلمّا آسفونا انتقمنا منهم» قال: إنّ الله تبارك وتعالى لا يأسف كأسفنا، ولكنّه خلق أولياءً لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مدبّرون، فجعل رضاهم لنفسه رضىً، وسخطهم لنفسه سخطاً، وذلك لأنّه جعلهم الدّعاة إليه والأدلاّء عليه، ولذلك صاروا كذلك، وليس أنّ ذلك يصل إلى الله عزّ وجلّ كما يصل إلى خلقه، ولكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقد قال أيضاً: من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة، ودعاني إليها، وقال أيضاً: «من يطع الرّسول فقد اطاع الله» وقال أيضاً: «إنّ الّذين يبايعونك إنّما يبايعون الله».

وكلّ ذلك وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرّضا والغضب وغيرهما من الأشياءِ ممّا يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى المكوّن الأسف والضّجر وهو الّذي أحدثهما وأنشأهما لجاز لقائل أن يقول: إنّ المكوّن يبيد يوماً لأنّه إذا دخله الضّجر والغضب دخله التغيير وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة، ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوِّن من المكوَّن، ولا القادر من المقدور ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علوّاً كبيراً، هو الخالق للأشياءِ لا لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحدّ والكيف فيه، فافهم ذلك إن شاء الله».

**وفي نهج البلاغة:** ـ في الخطبة القاصعة ـ قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: «فإنّ الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ولقد دخل موسى ابن عمران ومعه أخوه هارون صلّى الله عليهما على فرعون وعليهما مدارع الصّوف وبأيديهما العِصِيّ، فشرطا له إن أسلم بقآءَ ملكه ودوام عزّه فقال: الا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العزّ وبقاءَ الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذُّلّ، فهلاّ اُلقِيَ عليهما أساور من ذهب؟! إعظاماً للذّهب وجمعه، واحتقاراً للصّوف ولُبسه.

ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح له كنوز الذُّهبان، ومعادن العِقيان، ومغارس الجِنان، وأن يحشر معهم طيور السّمآء ووحوش الأرض لفعل، ولو فعل لسقط البلآء وبطل الجزآءُ واضمحلّت الأنبآءُ، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين، ولا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمت الأسمآء معانيها، ولكنّ الله سبحانه جعل رسله اولى قوّة في عزآئمهم، وَضَعَفَةً فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعةٍ تملأ القلوب والعيون غِنىً وخصاصةٍ تملأ الأبصار والأسماع أذىً.

ولو كانت الأنبياء أهل قوّة لا تُرام، وعزّة لا تُضام، وملك تمتدّ نَحْوَه أعناقُ الِرّجال، وتُشَدُّ إليه عُقَدُ الِرّحال لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار وأبعد لهم من الاستكبار ولأمنوا عن رهبة قاهرة لهم، أو رغبة مآئلة بهم، فكانت النّيّات مشتركة، والحسنات مقتسمة ولكنّ الله سبحانه أراد أن يكون الاتّباع لرسله والتّصديق بكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة لأمره والاستسلام لطاعته اموراً له خاصّة لا تشوبها من غيرها شآئبة، وكلّما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزآء أجزل...» الخطبة.

**وفي شرح الحديد:** وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطّبري في التأريخ: أنّ موسى قدم هو وأخوه هارون مصر على فرعون، لما بعثهما الله تعالى إليه حتّى وقفا على بابه يلتمسان الإذن عليه، فمكثا سنين يغدوان على بابه ويروحان، لا يعلم بهما، ولا يجترىء أحد على أن يخبره بشأنهما ـ وقد كانا قالا لمن بالباب: إنّا رسولا ربّ العالمين إلى فرعون ـ حتّى دخل عليه بطّال له يلاعبه ويضحكه فقال له: أيّها الملك إنّ على الباب رجلاً يقول قولاً عجيباً

عظيماً، ويزعم أنّ له إلهاً غيرك، قال: ببابي! قال: نعم قال: أدخلوه، فدخل وبيده عصاه ومعه هارون أخوه، فقال: أنا رسول ربّ العالمين إليك ...» الخبر.

**وفي الدر المنثور:** عن عقبة بن عامر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قـال: «إذا رأيت الله يعطي العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه، فإنّما ذلك استدراج منه له وقرأ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين».

## ٥٧ ـ (ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون)

**في البحار:** روى أحمد بن حنبل في المسند، وأبو السّعادات في فـضائل العـشرة: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «يا عليّ مثلك في هذه الأُمّة كمثل عيسى بن مريم أحبّه قوم فأفرطوا فيه وأبغضه قوم فأفرطوا فيه، قال: فنزل الوحي: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون».

**وفي الخرائج:** «وإنّ النّبيّ لمّا وصف عليّاً عليه السّلام وشبّهه بعيسى عـليه السّـلام قـال تعالى: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون».

**وفي معاني الأخبار:** بإسناده عن عيسى بن عبدالله الهاشميّ عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله عزّ وجلّ: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» قال: الصّدود في العربيّة: الضّحك».

**وفي الدّر المنثور:** عن أبي امامة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلّا اوتوا الجدل ثمّ قرأ: «ما ضربوه إلّا جدلاً ...» الآية.

**وفيه:** عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الكذب باب مـن أبواب النّفاق، وإنّ آية النّفاق أن يكون الرّجل جدلاً خصماً».

**وفي الخرائج:** «وجعل الله سبحانه بعد محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الامامة في قـومه عند انقطاع النّبوّة حتّى يأتي أمرالله وينزل عيسى عليه السّلام فيصلّي خلف رجل من ذرّيّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يقال له: المهديّ عليه السّلام يملأ الأرض عدلاً ويمحو كلّ جور كما وصفه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم».

**وفي المجمع:** في قوله تعالى: «وانّه لعلم للسّاعة» قال: يعني أنّ نزول عيسى عليه السّلام من أشراط السّاعة يعلم بها قربها «فلا تمترنّ بها». وقال ابن جريج: أخبرني أبو الزّبير أنّه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: ينزل (كيف بكم إذا نزل خ) عيسى بن مريم فيقول أميرهم (أميركم خ): تعال صلّ بنا، فيقول: لا إنّ بعضكم على بعض امرآء تكرمة من الله لهذه الأمّة» أورده مسلم في الصّحيح وفي حديث آخر: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم».

**وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:** «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» وفي رواية: «فأمّكم منكم» قال ابن أبي ذئب: تدري «ما أمّكم منكم»؟ قلت: تخبرني، قال: فأمّكم بكتاب ربّكم وسنّة نبيّكم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ثمّ قال القرطبي: قال علمآؤنا: فهذا نصّ على أنّه ينزل مجدّداً لدين النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم للّذي دُرِس منه، لا بشرع مبتدإ والتّكليف باق».

**وفي الكشّاف:** وفي الحديث: إنّ عيسى عليه السّلام ينزل على ثنيّة بالأرض المقدّسة يقال لها: افيق، وعليه ممصرتان، وشعر رأسه دهين، وبيده حربة، وبها يقتل الدّجّال، فيأتي بيت المقدّس والنّاس في صلاة الصّبح، والإمام عليه السّلام يؤمّ بهم، فيتأخّر الإمام فيقدّمه عيسى ويصلّي خلفه على شريعة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصّليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النّصارى إلّا من آمن به».

**وفي معجم أحاديث الإمام المهدي** عليه السّلام في قوله تعالى: «وإنّه لعلم للسّاعة» عن مقاتل بن سليمان: «هو المهديّ عليه السّلام يكون في آخر الزّمان وبعد خروجه يكون قيام السّاعة وأماراتها».

**وفي البرهان:** عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حديث ـ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وإنّه ـ عليّاً ـ لعلم للسّاعة».

**وفيه:** شرف الدّين النّجفي قال: جآء في تفسير أهل البيت عليهم السّلام: أنّ الضّمير في «إنّه» يعود إلى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام لما روى بحذف الاسناد عن زرارة بن أعين

قال: سئلت أبا عبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وإنّه لعلم للسّاعة» قـال: عـنى بذلك أمير المؤمنين عليه السّلام وقال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ أنت علم هذه الامّة فمن تبعك نجى ومن تخلّف عنك هلك وهوى».

وفي الاحتجاج: محمّد بن أبي عمير الكوفي عن عبدالله بن الوليد السمان قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام: «ما يقول النّاس في اولى العزم وصاحبكم أمير المـؤمنين عـليه السّـلام؟ قال: قلت: ما يقدمون على اولى العزم أحداً قال: فقال أبو عبدالله عليه السّلام: إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السّلام: «وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة» ولم يـقل: كـلّ شيء موعظة، وقال لعيسى عليه السّلام: «ولأُبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه» ولم يقل: كلّ شيء، وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السّلام: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبـينكم ومـن عنده علم الكتاب» وقال عزّ وجلّ: «ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين» وعلم هـذا الكتاب عنده».

وفي بصائر الدّرجات: عليّ بن إسماعيل عن محمّد بن عمرو الزّيّات عن عبدالله ابـن الوليد قال: قال لي أبو عبدالله عليه السّلام: «أيّ شيء يقول الشّيعة في عيسى وموسى وأمير المؤمنين عليهم السّلام؟ قلت: يقولون: إنّ عيسى وموسى افضل من أمير المـؤمنين قـال: أيزعمون أنّ أمير المؤمنين قد علم ما علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ قـلت: نـعم ولكن لا يقدمون على اولى العزم من الرّسل أحداً قال أبو عبدالله عليه السّلام: فـخاصمهم بكتاب الله قلت: وفي أيّ موضع منه أُخاصمهم؟ قال: قال الله تبارك وتعالى: «وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء» علمنا أنّه لم يكتب لموسى كلّ شيء، وقال الله تبارك وتعالى لعيسى: «ولأُبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه» وقال تبارك وتعالى لمحمّد صلّى الله عـليه وآله وسـلّم: «وجئنا بك على هؤلآءِ شهيداً ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء»».

وفي المناقب لابن شهرآشوب المازندراني رحمة الله تعالى عـليه بـالإسناد عـن أبي خنيس الكوفيّ قال: حضرت مجلس الصّادق عليه الصّلاة والسّـلام وعـنده جمـاعة مـن النّصارى، فقالوا: فضل موسى وعيسى ومحمّد سـوآء لأنّهـم صـلوات الله عـليهم أصـحاب الشّرائع والكتب، فقال الصّادق عليه السّلام: إنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم أفـضل مـنهما

وأعلم ولقد أعطاه الله تبارك وتعالى من العلم مالم يعط غيرد. فقالوا: آية من كتاب الله تعالى نزلت في هذا؟ قال عليه السّلام: نعم قوله تعالى: «وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء» وقوله تعالى لعيسى: «ولأُبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه» وقوله تعالى للسّيّد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وجئنا بك شهيداً على هؤلآءِ ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء» وقوله تعالى: «ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربّهم وأحاط بما لديهم وأحصى كلّ شيء عدداً» فهو والله أعلم منهما، ولو حضر موسى وعيسى بحضرتي وسئلاني لأجبتهما، وسئلتهما ما أجابا».

وفي الخرائج: بالاسناد عن عبدالله بن الوليد السّمّان قال: قال الباقر عليه السّلام: يا عبدالله ما تقول في عليّ وموسى وعيسى؟ قلت: ما عسى أن أقول فيهم؟ قال: هو ـ عليّ ـ والله أعلم منهما. ثمّ قال: ألستم تقولون: إنّ لعليّ مالرسول الله من العلم؟ قلت: نعم، والنّاس ينكرون قال: فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسى عليه السّلام: «وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء» فعلمنا أنّه لم يكتب له الشّيء كلّه. وقال لعيسى عليه السّلام: «ولأُبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه» فعلمنا أنّه لم يبيّن له الأمر كلّه.

وقال لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وجئنا بك شهيداً على هؤلآءِ ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء» قال: فسئل عن قوله: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» قال: والله إيّانا عنى، وعليّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال عليه السّلام: إنّ العلم الّذي نزل به آدم على حاله عندنا، وليس يمضي منّا عالم إلّا خلفه من يعلم علمه، والعلم يتوارث».

وفي الغيبة النّعمانيّة: بإسناده عن داود الدّجاجيّ عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سُئِل أمير المؤمنين عليه السّلام عن قوله تعالى: «فاختلف الأحزاب من بينهم» فقال: انتظروا الفرج من ثلاث، فقلت: يا أمير المؤمنين وماهنّ؟ فقال: اختلاف أهل الشّام بينهم، والرّايات السّود من خراسان، والفزعة في شهر رمضان، فقيل: وما الفزعة في شهر رمضان؟ فقال: أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ في القرآن: «إن نشأ ننزّل عليهم من السّمآءِ آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين» آية تخرج الفتاة من خدرها وتوقظ النّآئم، وتفزع اليقظان».

وفي المحجّة: بالإسناد عن زرارة بن أعين قال: سئلت أبا جعفر عليه السّلام عن قول

الله عزّ وجلّ: «هل ينظرون إلّا السّاعة أن تأتيهم بغتة» قال: هي ساعة القائم عليه السّلام تأتيهم بغتة».

وفي تفسير العياشي: بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السّلام يقول: «إلزَم الأرض لاتحرّكنّ يدك ولا رجلك أبداً حتّى ترى علامات أذكرها لك في سَنَةٍ، وترى منادياً ينادي بدمشق وخَسفٌ بقرية من قراها، ويسقط طآئفة من مسجدها، فإذا رأيت التُّرك جازوها، فأقْبَلَتِ التُّرك حتّى نزلت الجزيرة، واقبلت الرّوم حتّى نزل الرّملة، وهي سنة اختلاف في كلّ أرض من أرض العرب.

وإن أهل الشّام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: الأصهب، والأبقع والسّفياني مع بني ذَنَب الحمار مُضَرّ، ومع السّفياني أخواله مِن كلب، فيظهر السّفياني ومن معه على بني ذنب الحمار، حتّى يُقتَلوا قتلاً لم يُقتَله شيء قطّ، ويُحضَر رجل بدمشق فيقتل هو ومن معه قتلاً لم يقتله شيء قط وهو من بني ذَنَب الحمار، وهي الآية الّتي يقول الله تبارك وتعالى: «فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للّذين كفروا من مشهد يوم عظيم».

## ٦٧ ـ (الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين)

في تفسير القمي: في قوله تعالى: «الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض» يعنى: الأصدقاء يعادي بعضهم بعضاً وقال الصّادق عليه السّلام: «ألا كلّ خلّة كانت في الدّنيا في غير الله فإنّها تصير عداوة يوم القيامة».

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «وللظّالم غداً بكفه عضة (يكفيه عضة يديه خ) وللرّجل وشيك وللأخلّاء ندامة إلّا المتّقين».

وفيه: باسناده عن الحارث عن عليّ عليه السّلام قال في خليلين مؤمنين، وخليلين كافرين، ومؤمن غنيّ، ومؤمن فقير، وكافر غنيّ وكافر فقير، فأمّا الخليلان المؤمنان فتخالّا حياتهما في (على خ) طاعة الله تبارك وتعالى وتباذلا عليها، وتوادّا عليها، فمات أحدهما قبل صاحبه فأراه الله منزله في الجنّة يشفع لصاحبه، فقال: ياربّ خليلي فلان كان يأمرني بطاعتك ويعينني عليها، وينهاني عن معصيتك فثبّته على ماثبّتني عليه من الهدى حتّى تريه

ما أريتني، فيستجيب الله له حتّى يلتقيا عند الله عزّ وجلّ، فيقول كلّ واحد منهما لصاحبه: جزاك الله من خليل خيراً، كنت تأمرني بطاعة الله، وتنهاني عن معصيه الله، وأمّا الكافران فتخالاً بمعصية الله وتباذلا عليها وتوادّا عليها، فمات أحدهما قبل صاحبه، فأراه الله تبارك وتعالى منزله في النّار، فقال: ياربّ فلان خليلي كان يأمرني بمعصيتك، وينهاني عن طاعتك، فثبّته على ما ثبّتني عليه من المعاصي حتّى تريه ما أريتني من العذاب، فيلتقيان عندالله يوم القيامة، يقول كلّ واحد منهما لصاحبه: جزاك الله من خليل شرّاً، كنت تأمرني بمعصية الله وتنهاني عن طاعة الله قال: ثمّ قرأ عليه السّلام: «الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين».

ويُدعى بالمؤمن الغنيّ (ثمّ يؤمر بمؤمن غنيّ خ) (ويؤتى بالمؤمن الغنيّ خ) يوم القيامة إلى الحساب يقول الله تبارك وتعالى: عبدي! قال: لبيّك ياربّ، قال: ألم أجعلك سميعاً وبصيراً (سميعاً بصيراً خ) وجعلت لك مالاً كثيراً؟ قال: بلى ياربّ، قال: فما أعددت للقآئي؟ قال: آمنت بك وصدّقت رسولك (رسلك خ) وجاهدت في سبيلك، قال: فماذا فعلت فيما آتيتك؟ قال: أنفقت في طاعتك، قال (فقال خ): ماذا اورثت في عقبك (ورث عقبك خ)؟ قال: خلقتني وخلقتهم، ورزقتني ورزقتهم، وكنت قادراً على أن ترزقهم كما رزقتني، فوكلت عقبي إليك، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقت إذهب، فلو تعلم مالك عندي لضحكت كثيراً.

ثمّ يُدعى (دعا خ) بالمؤمن الفقير، فيقول: يا عبدي (يابن آدم خ) فيقول: لبّيك ياربّ فيقول: ماذا فعلت؟ فيقول: ياربّ هديتني لدينك وأنعمت عليّ، وكففت عنّي مالو بسطته لخشيت أن يشغلني عمّا خلقتني له، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقت عبدي لو تعلم مالك عندي لضحكت كثيراً، ثمّ يُدعى (دعا خ) بالكافر الغنيّ، فيقول: ما أعددت للقآئي؟ فيقول: ما أعددت شيئاً (فيعتل خ) فيقول: ماذا فعلت فيما آتيتك؟ فيقول: ورّثته عقبي، فيقول له: من خلقك؟ فيقول: أنت، فيقول: من رزقك؟ فيقول: أنت، فيقول: من خلق عقبك؟ فيقول: أنت، فيقول:ألم أك قادراً على أن أرزق عقبك كما رزقتك؟ فإن قال: نسيت هلك، وإن قال: لم أدرِ ما أنت هلك، فيقول الله عزّ وجلّلله لو تعلم مالك عندي لبكيت كثيراً.

قال: ثمّ يُدعى بالكفر الفقير، فيقول: يا بن آدم مافعلت فيما أمرتك؟ فيقول: ابتليتني

(أبليتني خ) ببلآءِ الدّنيا حتّى أنسيتني ذكرك، وشغلتني عمّا خلقتني له، فيقول له: هلاّ دعوتني فأرزقك، وسئلتني فأُعطيك؟ فإن قال: يا ربّ نسيت هلك، وإن قال: لم أدر ما أنت هلك، فيقول له: لو تعلم مالك عندي لبكيت كثيراً».

وفي الإختصاص للشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن أبي بـصير قـال: أتيت أبا عبد الله عليه السّلام بعد أن كبرت سنّي وقد أجهدني النّفس ـ حديث طويل ـ إلى أن قال: قلت: جعلت فداك زدني قال عليه السّلام: «لقد ذكركم الله في كتابه فـقال: «الأخـلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتقين» فالخلق والله غداً أعداء غيرنا وشيعتنا، ومـا عـنى بالمتّقين غيرنا وغير شيعتنا» الحديث.

وفي البحار: ومن كتاب فرج الكرب عن أبي بصير قال: قال الصّادق عليه السّلام: يـا بامحمّد تفرّق النّاس شعباً، ورجعتم أنتم إلى أهل بيت نبيّكم، فأردتم ما أراد الله وأحببتم من أحبّ الله واخترتم من اختاره الله ـ إلى أن قال ـ: قد ذكركم الله في كتابه عزّ من قآئل: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» يريد أنّكم وفيتم بما أخذ عليكم ميثاقه من ولايتنا، وإنّكم لم تستبدلوا بنا غيرنا، وقال: «الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتّقين» والله ما عنى بهذا غيركم ....» الحديث.

وفي مصباح الشّريعة: قال الصّادق عليه السّلام: «المحبّ في الله محبّ الله، والمحبوب في الله حبيب الله لأنّهما لا يتحابّان إلاّ في الله قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: المرء مـع مـن أحبّ، فمن أحبّ عبداً في الله فإنّما أحبّ الله، ولا يحبّ الله تعالى إلاّ من أحبّه الله. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أفضل النّاس بعد النبيّين في الدّنيا والآخرة المحبّون لله، المتحابّون فيه، وكلّ حب معلول يورث بعداً فيه عداوة إلاّ هذين، وهما من عين واحدة يزيدان أبداً ولا ينقصان قال الله عزّ وجلّ: «الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتّقين» لأنّ أصل الحبّ التبرّي عن سوى المحبوب».

وفي عدّة الدّاعي: عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إنّ المؤمنين المتواخين في الله ليكون أحدهما في الجنّة فوق الآخر بدرجة، فيقول: يا ربّ إنّه أخي وصـاحبي قـد كـان يأمرني بطاعتك، ويثبّطني عن معصيتك، ويرغّبني فيما عندك ـ يعني الأعلى منهما يقول ذلك ـ

فاجمع بيني وبينه في هذه الدّرجة، فيجمع الله بينهما، وإنّ المنافقين ليكون أحدهما أسفل من صاحبه بدرك مَن في النّار، فيقول: يا ربّ إنّ فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ويثبّطني عن طاعتك، ويزهّدني فيما عندك، ولا يحذّرني لقآءك، فاجمع بيني وبينه في هذا الدّرك، فيجمع الله بينهما، وتلا هذه الآية: «الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين».

وفي كنز الفوائد: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «النّاس إخوان، فمن كانت اخوّته في غير ذات الله فهي عدواة، وذلك قوله عزّ وجلّ: «الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين».

وفي مصباح الشّريعة: قال الصّادق عليه السّلام: «ثلاثة أشياء في كلّ زمان عزيزة: الأخ في الله، والزّوجة الصّالحة الأليفة في دين الله، والولد الرّشيد، ومن أصاب أحد الثّلاثة فقد أصاب خير الدّارين، والحظّ الأوفر من الدّنيا، واحذر أن تواخي من أرادك لطمع أو خوف أو ميل، أو للأكل والشّراب، وأطلب مواخاة الأتقيآء ولو في ظلمات الأرض، وإن أفنيت عمرك في طلبهم، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق على وجه الأرض أفضل منهم بعد الأنبياءِ والأوليآءِ، وما أنعم الله على العبد بمثل ما أنعم به من التّوفيق بصحبتهم قال الله عزّ وجلّ: «الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتقين».

وفي مكارم الأخلاق: ـ باب وصيّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لابن مسعود ـ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يا ابن مسعود فليكن جلساؤك الأبرار، وإخوانك الأتقيآء والزّهّاد لأنّ الله تعالى قال في كتابه: «الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين».

وفي البحار: ـ باب ما جمع من جوامع كلم أمير المؤمنين عليه السّلام ـ قال عليه السّلام: «فساد الأخلاق بمعاشرة السّفهاء وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلآء، والخلق أشكال، فكلّ يعمل على شاكلته والنّاس إخوان، فمن كانت إخوته في غير ذات الله فإنّها تحوز عداوة، وذلك قوله تعالى: «الإخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ آلاّ المتّقين».

وفي تفسير القمي: قال عليّ بن إبراهيم في قوله: «الّذين آمنوا بآياتنا» يعني بالأئمّة «وكانوا مسلمين ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون» أي تكرمون «يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب» أي قصاع وأواني «وفيها ما تشتهيه الأنفس ـ إلى قوله ـ منها

تأكلون» فإنه محكم.

**وفيه:** وأخبرني أبي عن الحسن بن محبوب عن ابن يسار عن أبي عبد الله عـليه السّلام قال: «إنّ الرّجل في الجنّة يبق على مائدته أيّام الدّنيا ويأكل في أكلة واحدة بمقدار ما أكله في الدنيا.

**وفي روضة الكافي:** بإسناده عن محمّد بن سليمان عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّه قال لأبي بصير: يا با محمّد صرتم عند أهل هذا العالم شرار النّاس وأنتم والله في الجـنّة تحبرون وفي النّار تطلبون ...»الحديث.

**وفي بصآئر الدّرجات:** بالإسناد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: يا با محمّد أنتم في الجنّة تحبرون وبين أطباق النّار تطلبون فلا توجدون ...» الحديث.

**أقول:** في قوله عليه السّلام: «وبين أطباق النّار تطلبون فلا توجدون» إشارة إلى قوله عزّ وجلّ: «وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار اتّخذناهم سخريّاً أم زاعت عنهم الأبصار» ص: ٦٢ ـ ٦٣).

**وفي اختصاص الشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه:** ـ في حديث موسى المبرقع ـ عن موسى بن محمد بن على بن موسى سئله ببغداد فى دار الفطن قال: قال موسى: كتب إليّ يحيى بن أكثم يسئلني عن عشر مسائل أو تسعة، فدخلت على أخي، فقلت له: جعلت فداك انّ ابن أكثم كتب إليّ يسئلني عن مسائل افتيه فيها فضحك، ثمّ قال: فهل أفتيته؟ قلت: لا قال: ولِمَ؟ قلت: لم أعرفها، قال: وماهي؟ قلت: كتب إليّ: أخبرني عن قوله عزّ وجل: «فيها مـا تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين» فاشتهت نفس آدم البرّ فأكل وأطعم، فكيف عوقبا فيها على ما تشتهي الأنفس؟

فقال أخوه أبو الحسن الهادي الإمام العاشر عليه السّلام: اكتب، قلت: وما أكتب؟ قال: اكتب ... «وأمّا الجنّة ففيها من المآكل والمشارب والملاهي والملابس ماتشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وأباح الله ذلك كلّه لآدم، والشّجرة الّتي نهى الله عنها آدم وزوجته أن يأكـلا مـنها شجرة الحسد عهد إليها أن لا ينظر إلى مَن فضّل الله عليها، وعلى كلّ خلآئقه بعين الحسد فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزماً ...» الحديث.

وفي تحف العقول: قال موسى بن محمّد بن الرّضا: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامّة، فسئلني عن مسائل، فجئت إلى أخي عليّ بن محمّد عليهما السّلام، فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته، فقلت: جعلت فداك إنّ ابن أكثم كتب يسئلني عن مسائل لافتيه فيها، فضحك عليه السّلام ثمّ قال: فهل افتيته؟ قلت: لا لم أعرفها، قال عليه السّلام: وماهي؟ قلت: كتب يسئلني ـ حديث طويل ـ عن قول الله: «وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين» فاشتهت نفس آدم عليه السّلام أكل البرّ فأكل وأطعم «وفيها ما تشتهي الأنفس فكيف عوقب؟

قال عليه السّلام: اكتب إليه، قلت: وما أكتب؟ قال عليه السّلام: اكتب ... «وأمّا الجنّة فإنّ فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، وأباح الله ذلك كلّه لآدم عليه السّلام والشّجرة الّتي نهى الله عنها آدم عليه السّلام وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما أن لا ينظر إلى مَن فضّل الله على خلائقه بعين الحسد، فنسى ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزماً ...» الحديث.

وفي الاحتجاج: عن الحجّة القائم عليه السّلام وفيه أنّه سئل عليه السّلام عن أهل الجنّة هل يتوالدون إذا دخلوها أم لا؟ فأجاب عليه السّلام: إنّ الجنّة لا حمل فيها للنّساءِ ولا ولادة ولا طمث ولا نفاس ولا شقآء بالطّفوليّة، و«فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأَعْيُن» كما قال الله سبحانه، فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله عزّ وجلّ بغير حمل ولا ولادة على الصّورة الّتي يريد كما خلق آدم عليه السّلام عبرة».

قوله عليه السّلام: «ولا شقاء»: لا عسر ولا شدّة، فنفي الولادة هنا، نفي الولادة الصّعبة وشقآء الطفولة. كما في الحديث التّالي:

في الدّرّ المنثور: عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يارسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الولد من قرّة العين وتمام السّرور فهل يولد لأهل الجنّة؟ فقال: إنّ المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنّة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي».

وفي تفسير الإمام عليه السّلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: حثّ الله عزّ وجلّ على برّ اليتامى لانقطاعهم عن آبآئهم فمن صانهم صانه الله، ومن أكرمهم أكرمه الله، ومَن

مسح يده برأس يتيم رفقاً به جعل الله له في الجنّة بكلّ شعرة مرّت تحت يده قصراً أوسع من الدّنيا بما فيها، و«فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وهم فيها خالدون».

**وفي رواية:** عن أبي سعيد الخدري عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّة ينادي منادٍ إنّ لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبداً، وإنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإنّ لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبداً، وإنّ لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً ذلك قـول الله عـزّ وجلّ: «ونودوا أن تلكم الجنّة أورثتموها بما كنتم تعملون».

**وفي رواية:** عن حذيفة أنّه سمع النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «لا تلبسوا الحرير ولا الدّيباج ولا تشربوا في آنية الذّهب والفضّة ولا تأكلوا في صحافها فإنّها لهم في الدّنيا ولكم في الآخرة».

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فإنّها لهم» أي للكافرين في الدّنيا.

**وفي رواية:** عن جابر بن عبدالله قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسـلّم يقول: «إنّ أهل الجنّة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوّطون ـ ولا يمخطون ـ قالوا: فما بال الطّعام؟ قـال: جُشاء ورَشـح كـرشح المسك يـلهمون التسـبيح والتـحميد والتكبير» وفي رواية: «كما يلهمون النَّفَس».

## ٧٤ ـ (إنّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون)

**في تفسير القمي:** قال: ثمّ ذكر الله ما أعدّه لأعداءِ آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: «إنّ المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون» أي آيسون من الخير، فذلك قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «وأمّا أهل المعصية فخلدوا في النّـار، وأوثـق مـنهم الأقدام، وغلّ منهم الأيدي إلى الأعناق، وألبس أجسادهم سرابيل القطران، وقطعت لهم مقطعات من النّار، هم في عذاب قد اشتدّ حرّه، ونار قد أطبق على أهلها، فلا يفتح عـنهم أبداً، ولا يدخل عليهم ريح أبداً، لا ينقضى منهم الغمّ (عمر خ) أبداً، والعذاب أبداً شديد، والعقاب أبداً جديد، لا الدّار زائلة فتفنى ولا آجال القوم تقضى».

**وفي كنز الفوائد:** بإسناده عن محمّد بن سليمان عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السّلام في

قوله عزّ وجلّ: «وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظّالمين» قال: وما ظلمناهم بتركهم ولاية أهل بيتك ولكن كانوا هم الظّالمين».

**وفي تفسير القمي:** قال: ثمّ حكى ندآء أهل النّار فقال: «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك» قال: أي نموت، فيقول مالك: «إنّكم ماكثون» ثمّ قال الله: «لقد جئناكم بالحقّ» يعني بولاية أمير المؤمنين عليه السّلام «ولكن أكثركم للحقّ كارهون» والدّليل على أنّ الحقّ ولاية أمير المؤمنين عليه السّلام قوله: «وقل الحقّ من ربّكم ـ يعني ولاية عليّ عليه السّلام ـ فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر إنّا اعتدنا للظالمين ـ آل محمّد حقّهم ـ ناراً» ثمّ ذكر على أثر هذا خبرهم، وما تعاهدوا عليه في الكعبة أن لا يردّوا الأمر في أمر أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: «أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون ـ إلى قوله ـ لد يهم يكتبون».

**وفي عقاب الأعمال** للشّيخ الصدّوق رحمة الله تعالى عليه بإسناده عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن ابيه عن آبآئه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يؤمر برجال إلى النّار، فيقول الله عزّ وجلّ لمالك: قل للنّار: لا تحرق لهم أقداماً، فقد كان يمشون بها إلى المساجد، ولا تحرق لهم وجوهاً، فقد كانوا يرفعونها بـالدّعاءِ، ولا تحرق لهم ألسنة فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن، قال: فيقول لهم خازن النّار: يـا أشـقيآء ماحالكم؟ قالوا: كنّا نعمل لغير الله عزّ وجلّ، فقيل: لتأخذوا ثوابكم ممّن عملتم له».

**وفي البحار:** سُئِلَ الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السّلام): «ما ظنّك بنار لاتبقى على من تضرّع إليها، ولا يقدر على الخفيف عمّن خشع لها، واستسلم إليها، تـلقى سكّـانها بأحـرّ مالديها من أليم النّكال وشديد الوبال».

**وفيه:** وفي الحديث: «إنّ أهل النّار إذا دخلوها ورأوا نكالها وأهوالها وعلموا عـذابهـا وعقابها ورأوها يعرفون أنّ أهل الجنّة في ثواب عظيم ونعيم مقيم، فيؤمّلون أن يطعموهم أو يسقوهم ليخفّ عنهم بعض العذاب الأليم كما قال الله عزّ وجلّ جـلاله في كـتابه العـزيز: «ونادى أصحاب النّار اصحاب الجنّة أن افيضوا علينا من المآءِ أو ممّـا رزقكم الله» قـال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة، ثمّ يجيبونهم بلسان الاحتقار والتّهوين: «إنّ الله حرّمهما

على الكافرين» قال: فيرون الخزنة عندهم، وهم يشاهدون ما نـزل بهـم مـن المـصاب، فيؤمّلون أن يجدوا عندهم فرحاً بسبب من الأسباب كما قال الله جلّ جلاله: «وقال الّذين في النّار لخزنة جهنم ادعوا ربّكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب».

قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة، ثمّ يجيبونهم بعد خيبة الآمال: «قالوا فادعوا وما دعآء الكافرين إلّا في ضلال» قال: فإذا يئسوا من خزنة جهنّم رجعوا إلى مالك مقدّم الخزّان وأمّلوا أن يخلّصهم من ذلك الهوان كما قال جلّ جلاله: «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك» قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة، وهم في العذاب ثمّ يجيبهم كما قال الله في كتابه المكنون: «قال إنّكم ما كثون».

**وفي رواية:** عن أبي الدّردآء قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يُلق على أهل النّار الجوع فيعدل ماهم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون من ضريع لا يُسمن ولا يُغني من جوع، فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصّة فيذكرون أنّه يجيزون الغـصص في الدّنـيا بالشّراب، فيستغيثون بالشّراب فيدفع إليه بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شَوَت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم، قطعت ما في بطونهم، فيقولون: ادعوا خزنة جهنّم، فيقولون: «ألم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعآء الكافرين إلّا في ضلال» قال: فيقولون: ادعوا مالكاً فيقولون: «يا مالك ليقضى علينا ربّك» قال: فيجيبهم: «إنّكـم ماكثون» قال: فيقولون: ادعوا ربّكم فلا أحد خير من ربّكم فيقولون: «ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالّين ربّناأخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون» قال فيجيبهم: «اخسئوا فيها ولا تكلّمون» قال: فعند ذلك يئسوا من كـلّ خـير وعـند ذلك يأخـذون في الزّفـير والحسرة والويل».

**وفي لئالي الأخبار:** روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال: «والّذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنّم قبل أن تُخلَق جهنّم بألف (بآلاف خ) عـام، فـهم كـلّ يـوم يزدادون قوّة إلى قوّتهم».

**وفي البحار:** ـ باب ما ورد في أصناف القرآن ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام في جـواب

السائل ـ «وأمّا قضاء إنزال المـوت فكقول أهل النّار في سورة الزّخرف: «وقالوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ماكثون» أي لينزل علينا الموت، ومـثله: «لا يـقضى عـليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها» أي لا ينزل عليهم الموت فيستريحوا...».

## ۸۱ ـ (قل إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل العابدين)

**وفي تفسير القمّي:** وقوله: «قل إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل العـابدين» يـعني أوّل القائلين (الآنفين خ) لله أن يكون له ولد.

**وفي البحار:** عن جابر بن يزيد الجعفيّ قال: قال ابو جعفر محمّد بن عليّ البـاقر عـليه السّلام ـ حديث طويل ـ «فنحن أوّل خلق الله، وأوّل خلق عبدالله وسبّحه، ونحن سـبب خلق الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملآئكة والآدميّين، فبنا عرف الله وبنا وحدّ الله وبنا عبدالله، وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه، وبنا أثاب مَن أثاب، وبنا عـاقب مـن عاقب، ثمّ تلا قوله تعالى: «وإنّا لنحن الصّافّون وإنّا لنحن المسبّحون» وقوله تعالى: «قل إن كان للرّحمن ولد فأنّا أوّل العابدين» فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل مـن عـبد الله تعالى، وأوّل مَن أنكر أن يكون له ولد أو شريك، ثمّ نحن بعد رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسلّم ... الحديث».

**وفي اصول الكافي:** بإسناده عن محمّد بن عليّ الحلبي عن ابي عبدالله عليه السّلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أراد أن يخلق آدم عليه السّلام أرسل المآء على الطّين، ثمّ قـبض قـبضة فعركها، ثمّ فرّقها فرقتين بيده ثمّ ذرأهم، فإذا هم يدبّون، ثمّ رفع لهم ناراً فأمر أهل الشّمال أن يدخلوها، فذهبوا إليها، فهابوها، فلم يدخلوها، ثمّ أمر أهل اليمين أن يـدخلوها فـذهبوا فدخلوها، فأمر الله جلّ وعزّ النّار فكانت عليهم برداً وسلاماً، فلمّا رآى ذلك أهل الشّمال، قالوا: ربّنا أقِلنا، فأقالهم ثمّ قال لهم: ادخلوها فذهبوا، فقاموا عليها ولم يدخلوها فأعادهم طيناً وخلق منها آدم عليه السّلام وقال أبو عبدالله عليه السّلام: فلن يستطيع هؤلآءِ أن يكونوا من هؤلآء ولا هولآء أن يكونوا من هولآءِ. قال: فيرون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

أوّل من دخل تلك النّار، فلذلك قوله جـلّ وعـزّ: «قـل إن كـان للـرّحمن ولد فأنـا أوّل العابدين».

**أقول:** لا يبعد أن يكون المراد من الفرقتين: العقل وهو أهل اليمين، والجهل وهو أهـل الشّمال، ومافي النّفس من التّقوى والفجور: «ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواهـا» الشمس: ٧ـ٨) فلمّا أمر الله تعالى العقل بالدّخول على النّار فأتمر ودخلها، ولمّـا أمـر الجـهل بالدّخول فلم يدخلها فلن يستطيع العقل أن يكون جهلاً، ولا العكس، والإنسـان بـينهما مختار، فمن شآء فليؤمن ومن شاء فليكفر. فراجع إلى كتاب العقل والجهل ـ حديث ١٤ ـ من اصول الكافي.

**وقوله** عليه السّلام: «فيرون» أي أهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عـليهم أجـمعين يرون أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل من كان مبادراً في دخول النّار عند الأمر به لأنّه مظهر العقل في عالم اللّاهوت كما في عالم النّاسوت، فالمعنى: إن كان للرّحمن ولد فأنا أوّل العابدين منكم، فإنّي أعلم منكم بالله جلّ وعلا وبما يصحّ له، وبما لا يصحّ له، وأولى منكم بتعظيم ما يوجب تعظيمه، ومن حقّ تعظيم الوالد تعظيم ولده، ولا يـلزم مـن ذلك صـحّة كينونة الولد، وعبادته له، فإنّ المحال قد يستلزم المحال، بل المراد نفيهما. فتدبّر جيّداً ولا تغفل فإنّ المقام مزلّة الأقدام ...

**وفي الاحتجاج:** عن أمير المؤمنين عليه السّلام ـ حديث طويل ـ قال: قوله: «إن كـان للرّحمن ولد فأنا أوّل العابدين» أي الجاحدين، والتّأويـل في هـذا القـول بـاطنه مـضادّ لظاهره».

**أقول:** ومن المعلوم لمن له أدنى مسكة أنّ التّأويل ـ وهو اللبّ والباطن ـ يضادّ الظّاهر ـ وهو القشر والظّاهر ـ ومراد الإمام عليه السّلام بيان نفي الولد ونفي العبادة له معاًكما سبق منّا آنفاً. فليس في الرّواية إشكال كما توهّم بعض المتوهّمين.

**وفي البرهان:** بالاسناد عن يزيد بن الأصم قال: سئل رجل عمر بـن الخـطّاب: مـا تفسير «سبحان الله»؟ قال: إنّ في هـذا الحـايط رجـلاً إذا سـئل أنـبأ، وإذا سكت ابـتدأ، فدخل فإذاً هو عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فقال: يا أبا الحسن ما تفسير «سبحان الله»؟

قال: هو تعظيم جلال الله عزّ وجلّ وتنزيهه عمّا قال فيه كلّ مشرك، فإذا قالها العبد صلّى عليه كلّ ملك».

**وفي التوحيد:** بإسناده عن حنّان بن سدير عن أبي عبدالله عليه السّلام ـ حديث طويل ذكر فيه العرش ـ وقال: «إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كلّ سبب وضع في القرآن صفته على حدّه يقول فيه، فمن إختلاف صفات العرش أنّه قال تبارك وتعالى: «ربّ العرش عمّا يصفون» وهو وصف عرش الوحدانية لأنّ قوماً أشركوا كما قلتُ لك، قال تبارك وتعالى: «ربّ العرش» ربّ الوحدانيّة «عمّا يصفون» وقوماً وصفوه بيدين فقالوا: «يد الله مغلولة» وقوماً وصفوه بالرّجلين، فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنها ارتقى إلى السّمآءِ، وقوماً وصفوه بالأنامل، فقالوا: إنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّي وجدت بَرْدَ أنامله على قلبي، فلمثل هذه الصّفات قال: «ربّ العرش عمّا يصفون» يقول: ربّ المثل الأعلى عمّا به مثّلوه ولله المثل الأعلى الّذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهّم فذلك المثل الأعلى ...» الحديث.

**وفي طبّ الأئمّة:** بالإسناد عن عبدالرّحمن بن سالم قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: جعلت فداك هل يكره في وقت من الأوقات الجماع؟ قال: نعم وإن كان حلالاً، يكره مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس، ومابين مغيب الشّمس إلى سقوط الشّفق، وفي اليوم الّذي تنكسف فيه الشمس، وفي اللّيلة واليوم الّذي يكون فيه الزّلزلة والرّيح السّودآء والرّيح الحمرآء والصّفرآء.

ولقد بات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مع بعض نسآئه في ليلة انكسف فيها القمر، فلم يكن منه في تلك اللّيلة شيء ممّا كان في غيرها من الليالي، فقالت له: يارسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لبغض كان هذا الجفآء؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أما علمت أنّ هذه الآية ظهرت في هذه الليلة، فكرهت أن أتلذّذ وألهو فيها وأتشبّه بقوم عيّرهم الله في كتابه عزّ وجلّ: «وإن يروا كسفاً من السمآءِ ساقطاً يقولوا سحاب مركوم فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الّذي كانوا يوعدون ـ وقوله ـ حتّى يلاقوا يومهم الّذي فيه يصعقون».

ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: وأيم الله لا يجامع أحد في هذه الأوقات الّتي كره رسول

الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الجماع فيها، ثمّ رزق له ولد، فيرى في ولده ما يحبّ بعد أن يكون علم مانهى عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الأوقات الّتي كره فيها الجماع واللّـهو واللّذّة، واعلم يابن سالم إنّ من لا يجتنب اللّهو واللّذّة عند ظهور الآيات ممّن كـان يـتّخذ آيات الله هزواً».

## ٨٤ ـ (وهو الّذي في السّمآءِ إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم)

**في تفسير القـمّيّ:** وقوله: «وهو الّذي في السّمآءِ إله وفي الأرض إله» قال: هو إله في السّمآءِ والأرض.

**وفيه:** باسناده عن أبي أُسامة قال: سئلت أبا عبدالله عليه السّلام عن قوله عـزّ وجـلّ: «وهو الّذي في السّمآءِ إله وفي الأرض إله» فنظرت والله إليه، وقد لزم الأرض وهو يقول: والله عزّ وجلّ الّذي هو والله ربّي في السّمآءِ إله وفي الأرض إله وهو الله عزّ وجلّ».

**وفي اصول الكافي:** باسناده عن هشام بن الحكم قال: قال أبو شاكر الدّيصانيّ: إنّ في القرآن آية هي قولنا، قلت: ماهي؟ فـقال: «وهـو الّـذي في السّـمآءِ إله وفي الأرض إله» فلم أدر بما أُجيبه فحججت، فخبّرت أبا عبدالله عليه السّلام فقال: هذا كلام زنديق خبيث، إذا رجعت إليه فقل له: ما إسمك بالكوفة؟ فإنّه يقول: فلان، فـقل له: مـا إسمك بـالبصرة؟ فإنّه يقول: فلان، فـقل: كـذلك الله ربّـنا في السّـمآءِ إله، وفي الأرض إله، وفي البـحار إله وفي القفار إله، وفي كلّ مكان إله، قال: فقدمت فأتيت أبا شاكر فأخبرته، فقال: هذه نقلت من الحجاز».

**أقول:** إنّ الدّيصاني لمّا كان قائلاً بإلهين: نور، ملكه السّمآء، وظلمة ملكها الأرض، أوّلَ الآية الكريمة بما يوافق مذهبه بأن جعل قوله تعالى: «وفي الأرض إله» جملة تامّة معطوفة على مجموع الجملة السّابقة أي وفي الأرض إله آخر، وأمّا بـناءً عـلى القـول بكـونه مـن الدّهريين كما يظهر من بعض الأخبار، فيمكن أن يكون استدلاله بما يـوهم ظـاهر الآيـة الكريمة من كونه بنفسه حاصلاً في السّمآءِ والأرض، فيوافق ماذهبوا إليه من كون المـبدء الطّبيعة، فإنّها حاصلة في الأجرام السّماوية والأجسام الأرضيّة معاً، فأجاب الإمـام عـليه

السّلام بأنّ المراد أنّه جلّ وعلا مسمّى بهذا الإسم في السّمآءِ وفي الأرض. ومن المحتمل أن يكون الظّرف متعلّقاً بـ«إله» لأنّه بمعنى المعبود أو مضمّن معناه كقولك: هو حاتم في البلد.

**وفي رجال الكشي:** بإسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إنّ بناناً والسريّ وبزيعاً لعنهم الله ترائا لهم الشّيطان في أحسن ما يكون صورة آدميّ من قرنه إلى سرّته قال: فقلت: إنّ بناناً يتأوّل هذه الآية: «وهو الّذي في السّمآءِ إله وفي الأرض إله» أنّ الّذي في الأرض غير إله السّمآءِ، وإله السّمآءِ غير إله الأرض، وأنّ إله السّمآءِ أعظم من إله الأرض، وأنّ أهل الأرض يعرفون فضل إله السّمآءِ ويعظّمونه فقال عليه السّلام: والله ماهو إلّا الله وحده لا شريك له، إله في السّماوات وإله في الأرضين كذب بنان، عليه لعنة الله، لقد صغّر الله جلّ جلاله وصغّر عظمته».

**وفي الاحتجاج:** عن أمير المؤمنين عليه السّلام ـ حديث طويل ـ يقول فيه: وقوله: «وهو الّذي في السّمآءِ إله وفي الأرض إله» وقوله: «وهو معكم أينما كنتم» وقوله: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم» فإنّما أراد بذلك استيلآء أمنآئه بالقدرة الّتي ركبها فيهم على جميع خلقه وإنّ فعلهم فعله «وهو الحكيم العليم».

**وفي البرهان:** السّيّد الرّضي في الخصآئص قال الأُسقف النّصرانيّ لعمر ـ بن الخطّاب ـ أخبرني يا عمر أين الله تعالى؟ قال: فغضب عمر، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: أنا أُجيبك، وسل عمّا شئت إنّا (كنّا خ) عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم إذا أتاه ملك فسلّم، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أين أُرسِلتَ؟ قال: من سبع سموات من عند ربّي، ثمّ أتاه ملك آخر، فسلّم، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أين أُرسِلتَ؟ قال: من سبع أرضين من عند ربّي، ثمّ أتاه ملك آخر، فسلّم، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أين أُرسِلتَ؟ قال: من مشرق الشّمس من عند ربي، ثمّ أتاه ملك آخر، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أين أُرسِلت؟ قال: من مغرب الشّمس من عند ربّي، فالله هيهنا وهيهنا في السّمآءِ إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم.

قال أبو جعفر عليه السّلام: معناه من ملكوت ربّي في كلّ مكان، ولا يعزب عن علمه شيء تبارك وتعالى.

**وفي شرح ابن أبي الحديد:** ومن الأدعيّة المرويّة عن عيسى بن مريم عليهما السّلام: «اللهمّ أنت إله مَن في السّمآءِ، وإله مَن في الأرض، لا إله فيهما غيرك، وأنت حكيم مَـن في السّمآءِ وحكيم مَن في الأرض، لا حكيم فيهما غيرك، وأنت مَلِك مَن في السّمآءِ، ومَلِك مَن في الأرض، لا ملك فـيهما غـيرك، قـدرتك في السّـمآءِ كـقدرتك في الأرض، وسـلطانك كسلطانك في الأرض، أسئلك باسمك الكريم، ووجهك المنير، ومُلكِكَ القديم، أن تفعل بي كذا وكذا».

**وفي بصآئر الدّرجات:** عن حنّان بن سدير عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إنّ لله علماً عاماً وعلماً خاصّاً، فأمّا الخاصّ فالّذي لم يطّلع عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، وأمّا علمه العامّ الّذي اطّلعت عليه الملائكة المقرّبون والأنبياء المـرسلون فقد رفع (فقد دفع خ) (فقد وقع خ) ذلك كلّه إلينا، ثمّ قال: أما تقرأ: «وعنده علم السّاعة» «وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت»».

**وفيه:** بإسناده عن المفضّل أنّه كتب إلى أبي عبدالله عليه السّلام فجآئه هذا الجواب: من أبي عبدالله عليه السّلام ـ إلى أن كتب ـ: «ثمّ إنّي أُخبرك أنّ الدّين وأصل الدّين هـو رجـل، وذلك الرّجل هو اليقين وهو الايمان وهو إمام امّته وأهل زمانه، فمن عرفه عرف الله ودينه، ومن أنكره أنكر الله ودينه، ومن جهله جهل الله ودينه، ولا يـعرف الله وديـنه وحـدوده وشرائعه بغير ذلك الإمام كذلك جرى بأنّ (فذلك معنى أنّ خ) معرفة الرّجـال ديـن الله، والمعرفة على وجهين:

معرفة ثابتة على بصيرة يعرف بها دين الله ويوصل بها إلى مـعرفة الله، فـهذه المـعرفة الباطنة الثّابتة بعينها الموجبة حقّها المستوجب أهلها عليها الشكر لله الّتي مَنَّ عليهم بها مَنٌّ من الله يمنّ به على من يشآء مع المعرفة الظّاهرة.

ومعرفة في الظّاهر، فأهل المعرفة في الظّاهر الّذين علموا أمرنا بالحقّ على غير علم لا تلحق (لا يلحقون خ) بأهل المعرفة في الباطن على بصيرتهم، ولا يصلون بـتلك المـعرفة المقصّرة إلى حقّ معرفة الله كما قال في كتابه: «ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة إلّا من شهد بالحقّ وهم يعلمون» فمن شهد شهادة الحقّ لا يعقد عليه قلبه، ولا يبصر ما يتكلّم

به لايثاب عليه مثل ثواب من عقد عليه قلبه على بصيرة فيه، كذلك من تكلّم بجور لا يعقد عليه قلبه لا يعاقب عليه عقوبة من عقد عليه قلبه وثبت على بصيرة، فقد عرفت كيف كان حال رجل أهل المعرفة في الظّاهر والإقرار بالحقّ على غير علم في قديم الدّهر وحديثه إلىٰ أن انتهى الأمر إلى نبيّ الله وبعده إلى من صار وإلى من انتهت إليه معرفتهم، وإنّما عرفوا بمعرفة أعمالهم ودينهم الّذي دان (دانوا خ) الله به المحسن بإحسانه، والمسيء بإسآئته، وقد يقال: إنّه من دخل في هذا الأمر بغير يقين ولا بصيرة خرج منه كما دخل فيه، رزقنا الله وإياك معرفة ثابتة على بصيرة...» الكتاب.

**وفي تفسير القمّي:** قال عليّ بن إبراهيم: «ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة» قال: هم الّذين قد عبدوا في الدّنيا لا يملكون الشّفاعة لمن عبدهم».

**وفي الفقيه:** قال الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: «القضاء اربعة: ثلاثة في النّار وواحد في الجنّة: رجل قضى بجور وهم يعلم أنّه جور فهو في النّار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم أنّه جور فهو في النّار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النّار، ورجل قضى بالحقّ وهو يعلم فهو في الجنّه».

قال الله تعالى: «إلّا من شهد بالحقّ وهم يعلمون».

**وفي تفسير فرات الكوفي:** وقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كلّ مولود يولد على الفطرة بأنّ الله تعالى خالقه وذلك قوله تعالى: «ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله»».

**وفي اصول الكافي:** باسناده عن عبدالله بن محمّد الجعفيّ وعقبة جميعاً عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق، فخلق من أحبّ ممّا أحبّ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة، وخلق من أبغض ممّا أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النّار، ثمّ بعثهم في الظّلال، فقلت: وأيّ شيء الظّلال؟ فقال: ألم تر إلى ظلّك في الشّمس شيئاً وليس بشيء، ثمّ بعث منهم النبيّين فدعوهم إلى الإقرار بالله عزّ وجلّ وهو قوله عزّ وجلّ: «ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ» ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنّبيين فأقرّ بعضهم وأنكر بعض، ثمّ دعوهم إلى ولايتنا فأقرّ بها والله من أحبّ وأنكرها من أبغض وهو قوله: «ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل» ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: كان التّكذيب ثمّ».

قوله عليه السّلام: «وخلق من ابغض ممّا أبغض ...» أي بأنّ الله تعالى لمّا علم حين خلقهم أنّهم سيصيرون من الأشقياء وأبغضهم، فكأنّه خلقهم ممّا أبغض، أو أنّه إشارة إلى اختلاف استعداداتهم وقابليّاتهم في اختيار الحقّ وقبوله، والمراد بالظّلّ إمّا عالم الأرواح وإمّا عـالم المثال، فعلى الأوّل شبّه الرّوح المجرّد على القول به أو الجسم اللّطيف بالظّلّ للطافته، وعدم كثافته أو لكونه تابعاً لعالم الأجساد الأصليّة، وعلى الثّاني ظاهر.

وقوله عليه السّلام: «وليس بشيء» أي أنّ الحياة والتّكليف في ذلك الوقت لا يـصيران سببين للثّواب والعقاب كأفعال النّائم ولا يبق، بل مثال وحكاية عن الحياة والتّكليف في الأبدان، ولذا سمّى الوجود الذّهنيّ بالوجود الظّلّي لعدم كونه منشأً للآثار ومبدءاً للأحكام ومن المحتمل أن يكون المراد به عالم الذّرّ المبائن لعالم الأجساد الكثيفة وهو يحكي عن هذا العالم ويشبهه وليس منه فهو ظلّ بـالنّسبة إليـه أو عـالم الأرواح كـما قـال الإمـام أمـير المؤمنين عليه السّلام في بعض خطبه: «ألا إنّ الذّرّيّة أفنان أنا شجرتها ودوحة أنا سـاقتها، وإنّي من أحمد بمنزلة الضّوءِ من الضّوءِ، كنّا أظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر، وقبل خلق الطّينة الّتي كان منها البشر أشباحاً خالية لا أجساماً نامية».

وفي المحاسن: بإسناده عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله: «وإذ أخـذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم» قال: كان ذلك مـعاينة لله، فأنساهم المعاينة، وأثبت الإقرار في صدورهم، ولولا ذلك ما عرف أحد خالقه ولا رازقه وهو قول الله: «ولئن سئلتهم ليقولنّ الله».

قوله عليه السّلام: «المعاينة» مجاز عن المواجهة بالخطاب أي خلق الكلام قبالة وجههم فنسوا تلك الحالة وثبتت المعرفة في قلوبهم. وقد يظهر من أخبار الرّؤية والتّوحيد أنّ معنى هذه المعاينة هو العلم اليقيني بالله جلّ وعلا من دون وساطة تفكّر عقليّ أو تصوّر خياليّ أو وهميّ أو اتّصال حسّيّ، ومن غير لزوم تجسيم أو تحديد، وأن لا يخلو موجود ذو شعور بل موجود مخلوق عن هذا العلم فلا حجاب بينه تعالى وبين خلقه كما في الرّوايات ...

وفي تفسيرالقمي: ـ متّصل بما قبله من قوله: لمنْ عَبَدهم ـ ثمّ قال رسول الله صـلّى الله عـليه وآله وسـلّم: «يـارب إنّ هـؤلاء قـوم لا يـؤمنون»؟ فـقال: الله: «فـاصفح عـنهم

وقل سلام فسوف يعلمون».

**وفي بصائر الدّرجات:** بالإسناد عن عبدالصّمد بن بشير قال: ذكر عند أبي عبدالله عليه السّلام بدء الأذان وقصّة الأذان في إسرآءِ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى إنتهى إلى السّدرة المنتهى قال: فقالت السّدرة المنتهى: ما جاوزني مخلوق قبلك قال: «ثمّ دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى» قال: فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين وأصحاب الشّمال. قال: وأخذ كتاب أصحاب اليمين بيمينه ففتحه فنظر إليه، فإذاً فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء آبآئهم وقبآئلهم، قال: فقال له: «آمن الرّسول بما أُنزل إليه من ربّه» قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» قال: فقال الله: قد فعلت قال: «ربّنا لا تحملّنا ما لاطاقة لنا به واعف عنّا ...» إلى آخر السّورة وكلّ ذلك يقول الله: قد فعلت.

قال: ثمّ طوى الصّحيفة فأمسكها بيمينه، وفتح صحيفة أصحاب الشّمال فإذاً فيها أسمآء أهل النّار وأسمآء آبآئهم وقبائلهم، قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ربّ إنّ هؤلآءِ قوم لا يؤمنون» قال: فقال الله: «فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون» قال: فلمّا فرغ من مناجاة ربّه ردّ إلى البيت المعمور ثمّ قصّ قصّة البيت والصّلاة فيه، ثمّ نزل ومعه الصّحيفتان فدفعهما إلى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

## ﴿بحث دقيق فقهي إستدلاليّ﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول أربعة عشر فصلاً:

**الفصل الأوّل:** يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون ـ فاستمسك بالّذي اوحى إليك إنّك على صراط مستقيم وانّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ـ لقد جئناكم بالحقّ ولكنّ أكثركم للحقّ كارهون» الزّخرف: ٣ و ٤٣ ـ ٤٤ و ٧٨) على حجّيّة ظواهر الكتاب بعد الفحص عن المخصّص أو المقيّد أو المبيّن أو المفسّر أو النّاسخ وعدم حجّيّتها قبله، فتدبّر ولا تغفل.

**في المسآئل الصّاغانيّة** للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه في ـمسئلة عاشرة ـ في قوله تعالى: «إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون» قال: أخبر تعالى: أنّه عربيّ فصيح لا يشوبه غير العربيّة من لسان.

فزعم النّعمان: أنّ من غيّر العربيّة عن معاني القرآن بالفارسيّة والنّبطيّة أو الزّنجيّة وأشباه هذه الألسن المخالفة للعربيّة فقد تلا القرآن، وجآء به على ما أنزله الله عزّوجلّ ردّاً على الله بغير ارتياب ومكابرة لكافّة العقول والأديان.

**فصل:** وزعم مع ذلك: أنّ من قام في صلاته فافتتحها بقوله: «سبحان الله والحمد لله» فقد قرأ في صلاته القرآن، فإذا جلس للتّشهّد فقعد مقداره لا يقول شيئاً، ثمّ أحدث ما ينقض الطّهارة متعمّداً، فقد أدّى فرض الله تعالى عليه من الصلاة، تلاعباً بدين الله واستخفافاً بشرع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وتظاهراً بالإلحاد».

**الفصل الثّاني:** يستدلّ بقوله تعالى: «والّذي خلق الأزواج كلّها» الزّخرف : ۱۲) على أنّ الخنثى إمّا ذكر أو انثى في الواقع لعدم الواسطة على الظّاهر المستفاد من تقسيم الإنسان بل مطلق الحيوان إلى الذّكر والانثى في جميع الأصناف في الآية الكريمة ونظائرها في القرآن المجيد على وجه لا ينكر.

وإنّ الخنثى هو من له فرج الرّجل والمرأة معاً، وهو يرث ـ من غير خلاف ـ على الفرج الّذي يبول منه، فإن كان من فرج الرّجل ورث ميراث الذّكر، وإن كان من فرج المرأة ورث ميراث الانثى بالكتاب والسّنّة وبالاجماع على قسميه.

**الفصل الثّالث:** ويستدلّ بقوله تعالى: «ثمّ تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» الزّخرف : ۱۳) على استحباب الذّكر والدّعاء حين الرّكوب على المركب من الأنعام أو السّفينة أو السّيّارة أو الطّيّارة وما إليها سيوجد بَعدُ، أراد السّفر أم لا.

**في وسائل الشّيعة:** ـ الباب ـ ۲۰ من أبواب السّفر ـ الحديث ۲ ـ بالإسناد عن ابراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «إذا ركب الرّجل الدّابّة فسمّى ردفه ملك يحفظه حتّى ينزل، وان ركب ولم يسمّ ردفه شيطان، فيقول له: تغن، فإن قال له: لا احسن قال: تمنّ، فلا يزال يتمنّى حتّى ينزل، وقال: من قال إذا ركب الدّابّة: بسم الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله» « سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» حفظت له نفسه ودابّته حتّى ينزل».

**الفصل الرّابع:** يستدلّ بقوله تعالى: «أو من ينشّؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين» الزّخرف : ۱۸) على عدم جواز التّقليد من المرأة وعلى عدم أهليّتها للفتيا ولو كانت أعلم النّاس وليست كذلك قطّ لتعلّقها الشّديد بالحلية والزّينة، وضعفها في تقرير الحجّة المبنيّ على قوّة التّعقّل، وفيها من الدّعة ورخاوة الخَلْق بضعف المقاومة الجسميّة والعقليّة، حيث إنّ المرأة أضعف من الذّكر عقلاً وجسماً بلا مراءٍ، وإنّ «الرّجال قوّامون على النّسآء» النّسآء : ۳٤).

فتقوّل بعض المذبذبين في كتابه: (تـبصرة الفـقهآء) وفي الواقـع (تـغوية السّـفهآء) في بحث الإجتهاد والتقليد ـ مسئلة ١٣ و ١٩: «لا يشترط في مرجع التقليد سوى الاعـلميّة والأزهديّة وأمّا الرّجولة وسواها فلا بـرهان عـلى اشـتراطـها. فـإذا كـانت إمـرأة هـي أعلم وأتق من كافّة العلمآء فالمتعيّن تقليدها» «فـالأصل في التّـقليد قـرآنـياً هـو اتـباع أحسن القول سوآء أكان قآئله حيّاً أو ميّتاً، أم أصبح مجنوناً أو فاسقاً أم خارجاً عن الدّين» مدفوع إلى نفسه الضّالّة والمضلّة. وكيف يكون فاقد الشئ مـعطيه؟! وقـد قـال الله جـلّ وعلا: «أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى إلاّ أن يُهدىٰ فما لكم كيف تحكمون» يونس: ٣٥) مع أن المرجعيّة الدينية لإدامة الرسالة والإمامة لهداية الناس، وما كان رسـول ولا إمام مؤنثاً ومن دون مراءٍ أنّ التقليد عن المرأة وإن بلغت من العلم مابلغت حرام بيّن لأنّه خلاف الأدلة الأربعة قطعاً، فوسوسة المذبذبين خذلهم الله من شِباك الشياطين، حفظ الله تعالى المسلمين منها.

**الفصل الخامس:** يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «أو من ينشّأ في الحلية» على جواز استعمال الذّهب والفـضّة والحـرير للـنّسآءِ دون الرّجـال... إذ رخّـص تـعالى لهـنّ الحـرير والذّهب... والرّوايات الصحيحة عن أهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات الله فـيه كثيرة لا يسعها المقام ونحن على جناح التّنبيه والاختصار، والإجماع منعقد على ذلك فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

**الفصل السّادس:** يستدلّ بقوله جلّ وعلا: «أشهـدوا خلقهم» الزخـرف: ١٩) عـلى ردّ شهادة من لا علم له بما يشهده إذ قال الله تعالى على وجه الإنكـار والتّـوبيخ: «أشهـدوا خلقهم» ثم قال: «ستكتب شهادتهم» بذلك «ويسئلون» عن صحّتها سئوال تـوبيخ، فمـن شهد بما لا علم له به، فهو حقيق أن يوبخ ويذمّ على ذلك.

**الفصل السّابع:** يستدل بقوله تعالى: «بل قالوا إنّا وجدنا آبآئنا على أُمّة وإنّا على آثارهم مهتدون ـ إنّا وجدنا آبآئنا على أُمّة وإنّا على آثارهم مقتدون ـ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنّي براء مما تعبدون إلاّ الّذي فطرني فانّه سيهدين» الزخـرف: ٢٢ ـ ٢٣ ـ و ٢٦ ـ ٢٧) عـلى أنّ التّقليد في الاصول الإعتقادية لا يغني من الحقّ شيئاً وهو مذموم باطل، وأنّه غير مستقلّ

فيها إذ قال إبراهيم عليه السّلام: «فإنّه سيهدين» بعد قوله: «إلّا الّذي فطرني» كما أشار إلى عدم استقلال العقل بقوله: «رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل» النسآء : ١٦٥) فالآيات الثّلاث الاولى تردّ العقيدة الّتي تكون مستندة إلى قدمها وتوارثها عن الآباء... وإنّما يجب أن تكون قائمة على بيّنة وعلم، وفيها تسفيه مستمرّ المدى والثّقلين، وتنديد لكلّ من يلق عقيدته على عواهنه من غير سند إلى علم وبيّنة، أو يتمسّك برأيه تمسّكاً أعمى بدون منطق صحيح، ولا دليل قاطع.

ومن البداهة: أنّ النّاس في كلّ ظرف بين أو هام وآرآء تقف أمامهم سدّاً وحائلاً أشدّ من أسوار منيعة، وحصون شاهقة، وأشواك شائكة، وطرق وعرة، وبحار واسعة، وجبال شاهقة تفصل بينهم وبين تفكيرهم لا يستطيعون بهدم تلك الحصون وإزالة تلك الأوهام وكسر تلك الحوآئل، والعبور من الأنهار والنّجاة من أمواج البحار والوصول إلى الحقائق سالمين إلّا بالثّقلين اللّذين تركهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فيهم، فما داموا متمسّكين بهما لن يضلّوا بعده أبداً وإلّا فيملك التّقليد مشاعرهم من دون دليل ولا منطق، فيعيشون بالتّقليد، ويموتون عليه.

وقد فتح الله عزّوجلّ باب النّظر والعلم على مصراعيه، فأمر الله عباده كلّهم على النّظر والإجتهاد ليكون اعتقادهم وعملهم على العلم والدّليل من الكتاب والسّنة من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وغيرهما ضلال وباطل جدّاً، فقال تعالى بلسان رسوله: «قال أو لو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آبآءكم» الزخرف : ٢٤) تنبيهاً على صحّة التّقليد المطابق والموافق للواقع كتاباً وسنّة لا العقل والإجماع من دون ابتنآئهما على الكتاب والسّنّة.

**في تفسير التبيان:** في قوله تعالى: «إنّا وجدنا آبآئنا على امّة وإنّا على آثارهم مقتدون» قال الشّيخ قدّس سرّه: أي «نقتدي بهم فأحال الجميع على التّقليد للآبآء فحسب، دون الحجّة، والتّقليد قبيح بموجب العقل لأنّه لو كان جائراً للزم فيه أن يكون الحقّ في الشّىء ونقيضه، فيكون عابد الوثن يقلّد أسلافه، وكذلك يقلّد أسلافه اليهوديّ والنّصرانيّ والمجوسيّ، وكلّ فريق يعتقد أنّ الآخر على خطاء وضلال، وهذا باطل بلا خلاف».

**وفي المجمع:** قال ـ اصطياداً من كلام الشّيخ: «نقتدي بهم فلا نخالفهم، وأحال جميعهم على التّقليد للآبآء فحسب دون الحجّة، والتّقليد قبيح في العقول إذ لو كان جائزاً لكان يلزم في ذلك أن يكون الحقّ في الشّيء ونقيضه، لكل فريق يقلّد أسلافه مع أنّ كلّاً منهم يعتقد أنّ من سواه على خطاء وضلال».

وقد استدل بعض المتفسّرين بالآيات الثّلاث الاولى على عدم جواز التّقليد مطلقاً.

**في الجامع لأحكام القرآن:** في قوله تعالى: «وإنّا على آثارهم مهتدون» قال القرطبي: «وفي هذا دليل على إبطال التقليد لذمّه إيّاهم على تقليد آبآئهم وتركهم النّظر فيما دعاهم إلى الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلم».

**أقول:** إنّما الآيات الكريمة ونظآئرها... تنفي التّقليد الأعمى من دون دليل قاطع وبرهان واضح في الاصول الإعتقادية والفروع العمليّة، وأمّا التقليد في كيفيّة الإستدلال لإثـبات الاصول علميّاً فلا تنفيه لقوله تعالى: «اولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده» الأنعام: ٩٠).

وأمّا التقليد فى الفروع فيجوز إذا كان المجتهد حائزاً لشرائط الفتيا ومصوناً لهوى نفسه، وكان فتواه مستنداً على الثّقلين لا سواه.

**في الإحتجاج** ـ في رواية صحيحة تؤيّدها الآيات القرآنية ـ عن أبي محمّد العسكرى عليه السّلام ـ إلى أن قال عليه السّلام: «فأمّا من كان من الفقهآء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه وذلك لا يكـون إلّا بـعض فـقهآءِ الشّيعة لا كلّهم...» الحديث.

**أقول:** لن يوسوس في صحّة هذه الرّواية المؤيّدة بالآيات القرآنية قطعاً إلّا غير البعض الّذين هم صآئنون لدنياهم، حافظون لدنانيرهم، مخالفون على مولاهم، مطيعون لأوامـر أهوآءهم... فحرام على النّاس أن يقلّدوهم بلا مرآء، والبحث في المقام طويل فراجـع إلى محلّه من هذا التفسير.

**في تصحيح الاعتقاد** للشّيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه: «قال الله تعالى ذاكراً لمقلّدة من الكفّار وذامّاً لهم على تقليدهم: «إنّا وجدنا آبآئنا على امّة وإنّا على آثارهم مقتدون قال أو لو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آبآءكم» وقال الصّادق عليه السّلام: «من أخذ دينه من

أفواه الرّجال أزالته الرّجال ومن أخذ دينه من الكتاب والسّنّة زالت الجبال ولم يزل» وقال عليه السّلام: «إيّاكم والتّقليد فإنّه من قلّد في دينه هلك» إنّ الله تعالى يقول: «اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» فلا والله ما صلّوا لهم ولا صاموا، ولكنّهم أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فقلّدوهم في ذلك، فعبدوهم وهم لا يشعرون» وقال عليه السّلام: «من أجاب ناطقاً فقد عبده فإن كان النّاطق عن الله تعالى فقد عبد الله، وإن كان النّاطق عن الشّيطان فقد عبد الشّيطان».

**فصل:** ولو كان التقليد صحيحاً والنّظر باطلاً لم يكن التّقليد لطائفة أولى من التّقليد لاخرى، وكان كلّ ضالّ بالتقليد معذوراً، وكلّ مقلّد لمبدع غير موزور، وهذا ما لا يقوله أحد، فعلم بما ذكرناه أنّ النّظر هو الحقّ، والمناظرة بالحقّ صحيحة، وأنّ الأخبار الّتي رواها أبو جعفر رحمه الله وجوابها ما ذكرناه، وليس الأمر في معانيها على ما تخيّله فيها والله وليّ التّوفيق» أنتهى كلامه ورفع مقامه.

**الفصل الثّامن:** يستدلّ بقوله تعالى: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» الزّخرف : ٢٨) على أنّ ولد البنت يرث جدّه الامّيّ في مرتبته لإطلاق الولد عليه حقيقة، فإنّ العقب في الأصل عبارة عن شيء بعد شيء، ولهذا قيل لولد الرّجل: عقبه. وعقب الرّجل: ولده وولد ولده الباقون بعده، فالورثة كلّهم عقب ولا فرق عند أحد من العلمآء المحقّقين بين لفظ العقب والولد في المعنى. وتوهّم بعض المتفقّهين: أنّ إطلاق الإبن على ابن البنت مجاز فمردود، بل ابن البنت هو ولد على الحقيقة في الأصل لوجود معنى الولادة فيه، وقد ثبت بالتّواتر: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال في الحسن بن عليّ عليهما صلوات الله ابن ابنته: «إنّ ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين» ولإجماع أهل العلم على تحريم نكاح بنت البنت كنفس البنت من قوله عزّوجلّ: «حرّمت عليكم امّهاتكم وبناتكم» النّسآء : ٢٣) وقد قال الله جلّ وعلا: «ومن ذرّيته داود وسليمان ـ كلّ من الصّالحين» الأنعام : ٨٤ ـ ٨٥) فجعل الله تعالى عيسى من ذرّيته وهو ابن ابنته.

**الفصل التّاسع:** يستدل بقوله تعالى: «أهم يقسمون رحمت ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً»

الزّخرف : ٣٢) على وجوب الصّناعات المختلفة الّتي يتوقّف النّظام الاجتماعي الإنساني عليها، على النّاس كفائيّاً، فلا يسقط عنهم الوجوب ما لم يقم من به الكفاية، ويتعيّن على العارفين بها، ويجب على العارفين تعليمها عينيّاً، كما يجب على غيرهم تعلّمها كفائياً، ويجوز أخذ الاجرة لها حتّى ولتعليمها وتعلّمها من دون حاجة إلى قصد القربة فيها، ولا بأس بالوجوب مع العوض إذ لا منافاة بين صفة الوجوب، واستحقاق العوض للوقوف على التراضي في صورة قيام الغير.

**الفصل العاشر :** في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ في المسئلة الرّابعة ـ في قوله تعالى: «ولولا أن يكون النّاس امّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون» الزّخرف : ٣٣) قال: استدلّ بعض العلمآء بهذه الآية على أنّ السّقف لا حقّ فيه لربّ العُلْو لأنّ الله تعالى جعل السّقوف للبيوت كما جعل الأبواب لها، وهذا مذهب مالك رئيس المذهب المالكي. قال ابن العربيّ: وذلك لأنّ البيت عبارة عن قاعة وجدار وسقف وباب، فمن له البيت فله أركانه، ولا خلاف أنّ العلوّ له إلى السّمآء. واختلفوا في السّفل، فمنهم من قال: هو له، ومنهم من قال: ليس له في باطن الأرض شيء. وفي مذهبنا القولان. وقد بيّن حديث الإسرائيلي الصّحيح فيما تقدّم: أنّ رجلاً باع من رجل داراً فبناها فوجد فيها جرّة من ذهب، فجآء بها إلى البائع فقال: إنّما اشتريت الدّار دون الجرّة، وقال البائع: إنّما بعت الدّار بما فيها، وكلّهم تدافعها، فقضى بينهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم أن يزوّج أحدهما ولده من بنت الآخر ويكون المال لهما».

**أقول:** إنّ علو البيت إلى السّمآء وسفله إلى باطن الأرض عند فقهآء الشّيعة الإماميّة الإثنى عشريّة الحقّة لصاحب البيت إلّا أن يخرج عنهما بالبيع، فمن باع أحد الموضعين فله منه ما ينتفع به، وباقيه للمبتاع منه، ولا يجوز لأحد أن يتصرّف في علوّ بيت غيره ولا في سفله إلّا بالرّضا عن صاحبه، فللمالك أن يتصرّف تصرّفاً مالكيّاً في العلو والسّفل من دون إضرار بغيره وإلّا فلا.

**الفصل الحاديعشر :** يستدلّ بقوله تعالى: «فاستمسك بالّذي اوحي إليك إنّك على صراط مستقيم» الزّخرف : ٤٣) على وجوب الاستمساك بالقرآن الكريم على المسلمين كافّة،

وعلى العلمآء خاصّة في جميع شئون حياتهم في كلّ ظرف من الظّروف لعلّة الوجوب وهي: «إنّك على صراط مستقيم»، فمن لم يستمسك به فهو خارج عن صراط مستقيم.

فتقوّل بعض المتفقّهين بأنّ الكتاب لمن خوطب به، مردود إلى جهله بالكتاب، وغفلته عن حقيقته، وأمّا السّنّة المبيّنة للكتاب من طريق أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فني طول الكتاب وبعد عرضها عليه «ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ـ هم الظالمون ـ هم الفاسقون» المآئدة : ٤٤ ـ ٤٥ و ٤٧) فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تكن من الغافلين.

والله وتالله وبالله أقول وبالحقّ أقول: لو استمسكنا نحن المسلمون وعلمآؤنا بالكتاب والسّنّة هكذا من قبل لما كنّا على ما نكون اليوم من الجهل والضّلال، من الخزى والهوان، ومن الفشل والإنحطاط... ولما قلنا بعد أربعة عشر قرناً من نزول الكتاب: إنّ القرآن لمن خوطب به، ولفهمنا أنّ هذا شعار من أعدآء الإسلام والمسلمين ألقوه علينا ليصدّونا عن إدراك حقآئق الدّين ومعارف القرآن الكريم، وعن أسرار الكون ونواميس الوجود... فتقبّلناه بتمام وجودنا بأحسن قبول، وقدّمناه على نفس الوحي الّذي هو كلام الخالق واشتغلنا بالدّور والتّسلسل والاصول وما إليها ممّا لا أصل له ولا يبتني على الكتاب والسّنّة حتّى قلنا: إنّ الكتاب ظنّيّة الدّلالة، والسّنّة ظنّيّة الصّدور، فليس عندنا العلمآء شيء من العلم، ونحن الجاهلون ونفتخر بجهلنا، فليس في الإسلام إلّا جهلاً محضاً ونحن علمآؤه! أهكذا يكون القرآن الكريم برنامجاً لجميع شئون حياتنا؟!

**الفصل الثاني عشر :** استدلّ بعض المتفسّرين بقوله تعالى: «ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون» الزخرف : ٥٨) على حرمة الجدل في الدّين إطلاقاً، ولنهي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عن الجدل كما في مسئلة القدر، وقد روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: خرج على أصحابه فرآهم يتكلّمون في القدر، فغضب حتّى احمرّت وجنتاه وقال: «إنّما هلك من كان قبلكم بخوضهم في هذا، عزمت عليكم أن لا تخوضوا فيه أبداً» وقال صلّى الله عليه وآله وسلم: «إذا ذكر القدر فامسكوا» ولا شكّ أنّ النّظر جدل، فيكون منهيّاً عنه.

**أقول:** ومن المعلوم أنّ النّهي الوارد عن الجدل إنّما هو حيث كان الجدل تعنّتاً وعناداً

ولجاجاً بتلفيق الشّبهات الفاسدة لترويج الآرآء الباطلة ودفع العقآئد الحقّة وإراءة الباطل في صورة الحقّ بالتّلبيس والتّدليس كما قال تعالى: «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ» غافر : ٥) وقال: «ومن النّاس من يجادل في الله بغير علم» الحج : ٣) ومثل هذا الجدل لا نزاع في كونه منهيّاً عنه لمن لا يستطيع على دفع الشّبهـات، وأمّا من كان قادراً على دفعها، وكذا الجدل بالحقّ لإظهاره وإبطال الباطل فمأمور به لقـوله عـزّوجلّ: «وجـادلهم بـالّتى هـى أحسن» النحل : ١٢٥) ومجادلة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لابن الزّبعرى، وجدال الإمام عليّ عليه السّلام ومجادلات أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمـعين لفـرق مختلفة مشهورة بل متواترة لا تنكر.

**الفصل الثالث عشر :** يستدلّ بقوله تـعالى: «إلّا مـن شهـد بـالحقّ وهـم يـعلمون» الزخرف : ٨٦) على امور : **الأوّل:** انّ التّقليد لا يغني ولا يكفي مع عدم علم المقلِّد بصحّة مقالة المقلَّد. **الثّاني:** انّ شهادة المقلِّد غير معتبر حيث إنّ الشّهادة مقبولة لعلّة العـلم بـالشّهادة، ولولا العلم بالشّهادة لما كانت الشهادة مقبولة، وبعبارة اخرى: انّ العلم اتّخذ في مـوضوع الشّهادة بالحقّ، فالعلم بما أنّه علم دخيل في موضوع الشّهادة ولم يـتّخذ عـلى الطّـريقيّة، فشرط الشّهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشّاهد عالماً بها. وقد روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إذا رأيت مثل الشّمس فاشهد وإلّا فدع».

**الثالث:** انّ ايمان المقلّد غير معتبر حيث إنّ الشّرط على المؤمن، من الله تعالى أن يكون ايمانه عن علم وبصيرة ويقين كيلا يكون ممّن وصفه الله تعالى في قوله:

«قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قـلوبكم» الحجرات : ١٤).

فمن دخل في الايمان بغير علم ولا يقين يخرج منه بغير عـلم ولا يـقين، وقـد قـال العـالم عليه السّلام : «من دخل في الايمان بعلم ثبت فيه، ونفعه ايمانه، ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه» وقال عليه السّلام : «من أخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلم زالت الجبال قبل أن يزول ومن أخذ دينه من أفواه الرّجال ردّتـه الرّجـال» وقـال عليه السّلام : «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكّب الفتن».

**الرّابع:** انّ عمل المقلّد غير معتبر، حيث إنّ الشّرط من الله عزّوجلّ فيا استعبد به خلقه أن يؤدّوا جميع فرآئضه بعلم ويقين وبصيرة ليكون المؤدّي لها محموداً عند ربّه، مستوجباً لثوابه، وعظيم جزآئه، لأنّ الّذي يؤدّى بغير علم ولا بصيرة لا يدري ما يؤدّي، ولا يدري إلى من يؤدّي، وإذا كان جاهلاً لم يكن على ثقة ممّا أدّى، ولا مصدّقاً، لأنّ المصدّق لا يكون مصدّقاً حتّى يكون عارفاً بما صدّق به من دون شك ولا شبهة، لأنّ الشّاكّ لا يكون له من الرّغبة والرّهبة والخضوع والتّقرّب مثل ما يكون من العالم المستيقن، فالشّرط على المؤمن، من الله تعالى أن يؤدّى فرآئضه بعلم وبصيرة ويقين كيلا يكون ممّن وصفه الله تعالى في قوله: «ومن النّاس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنّ به وأن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدّنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين» الحجّ : ١١).

**الفصل الرّابع عشر :** يستدلّ بقوله تعالى: «وقل سلام» الزخرف : ٨٩) على اكتفاء كلمة «سلام» في التّحيّة وردّها. فتأمّل جيّداً.

وتلك الفصول واصولها مرتبطة بظاهر القرآن الكريم والسّنّة المبنيّة له من طريق أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

# ﴿بحث عميق مذهبيّ﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول خمس عشر بصيرة:

**الاولى:** يستدلّ بقوله تعالى: «والكتاب المبين إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً» الزخرف : ٢ـ٣) على أنّ القرآن المجيد كان مدوّناً في زمن الوحي، بحيث يطلق عليه إسم الكتاب، إذ لا يطلق على آية واحدة أو آيات متفرّقة كتاب، معرّفاً باللام، ومتّصفاً بوصف «المبين» ورجوع الضّمير المفرد إليه. فمصحف عثمان، كذب محض لايخفى على مَن له أدنى مسكة وطيب ولادة.

**الثّانية:** يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً» الزخرف : ٣) على حدوث القرآن الكريم لأنّ المجعول هو المحدث بعينه، وأنّ ما يكون عربيّاً لا يكون قديماً لحدوث العربيّة. فالتّوهّم: أنّ «جعلناه» بمعنى «سمّيناه» على أنّ الجعل قد يكون بمعنى التّسمية مدفوع، إذ لو كان كذلك لكان الواحد منّا إذا سمّاه عربيّاً فقد جعله عربيّاً، وكان يجب لو كان القرآن على ما هو عليه وسمّاه أعجميّاً أن يكون أعجمياً أو كان يكون بلغة العجم وسمّاه عربيّاً أن يكون عربياً، وكلّ ذلك باطل من دون مرآءٍ.

**الثّالثة:** يستدلّ بقوله تعالى: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم» الزخرف : ٩) على أنّ المشركين كانوا عالمين بالله تعالى ضرورة، حيث إنّ المعارف الحقّة ضروريّة الفطرة، ولكن عوارض الأهوآء النّفسانيّة ـ كالسّحاب المظلمة المتراكمة ـ عرضت عليها فأشركوا بالله سبحانه وعبدوا معه غيره.

**الرّابعة:** يستدلّ بقوله تعالى: «وجعلوا الملآئكة الّذين هم عباد الرّحمن إناثاً...» على أنّ

الملائكة ليس لهم توالد ولا تناسل ولا ذرّيّة، وعلى أنّ إبليس ما كان من جنس الملائكة إذ له ذرّيّة لقوله تعالى: «أفتتخذونه وذرّيّته أوليآء من دوني» الكهف : ٥٠) وأنّ الذّرّيّة إنّما تحصل من الذّكر والانثى، والملآئكة لا انثى فيهم، إذ أنكر تعالى على من حكم عليه بالانوثيّة بقوله: «أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون» فإذا انتفت الأنوثيّة انتفت التّوالد لا محالة.

وهذا تماماً كقول من تفلسف وتعسف في أنّ أصل الإنسان قرد ويفتخر به، وليس هو أحسن منه، ومن الّذي رآى هذه الولادة وشاهدها: «هو الّذي يصوّركم في الأرحام كيف يشآء» آل عمران : ٦).

وقد أشار تعالى في قوله: «وجعلوا الملآئكة...» الآية وتاليها إلى خمس كفرات جمعت في المشركين العرب: **أحدها** ـ أنّهم نسبوا إلى الله سبحانه الولد. **ثانيها** ـ أنّهم نسبوا إليه سبحانه أخسّ النّوعين وهو الإناث. **ثالثها** ـ أنّهم جعلوا الولد من الملآئكة ثمّ استخفّوا بهم واحتقروهم بالانوثيّة، فردّ الله عليهم ثلاثاً من تلك الكفرات بقوله: «أشهدوا خلقهم...» بأنّ الملآئكة اناث؟ **رابعها** ـ عبادتهم الملآئكة من دون الله. **خامسها** ـ إنّ عبادتهم للملآئكة بمشيّة الله تعالى، فردّ الله عليهم بقوله: «ما لهم بذلك من علم...».

**الخامسة:** أنّ الله تعالى قد حكى عن لسان المشركين العرب المجبّرة: «وقالوا لو شآء الرّحمن ما عبدناهم» الزخرف : ٢٠) بأنّ الله سبحانه أراد كفرهم، ولو لم يشأ ذلك لما كفروا، وهم حزب الشّيطان وأتباعه إذ قال: «ربّ بما أغويتني» الحجر : ٣٩) ثمّ انسلكت الأشاعرة من العامّة مسلك هؤلآءِ المشركين العرب المجبّرة، فضمّت أصواتها إلى أصوات المشركين في مزعمة الجبر في التكليف تبعاً لإبليس بأنّ الإنسان مسيّر لا مخيّر، فقالوا: لو شآء الرّحمن ما كفر كافر، ولا عصى عاصٍ، ولا أشرك مشرك ولا طغى طاغ... فردّ الله جلّ وعلا عليهم بقوله: «ما لهم بذلك من علم» فأبطل مذهب المجبّرة فقطع على كذبهم على مذهبهم السّخيف: إنّ الله سبحانه شآء عبادتهم للملآئكة، وذلك قبيح لا محالة، وقد نفاه عن نفسه وكذبهم في قولهم فيه بأنّ مالهم بهذا الكلام الباطل من علم: «إن هم إلّا يخرصون» وقال بعض المعاصرين: إنّ الآية الكريمة حجّة عقليّة داحضة محكيّة عنهم يمكن أن تقرّر تارة

لإثبات صحّة عبادة الشّركآء بأن يقال: لو شآء الله أن لا نعبد الشّركآء ما عبدناهم ضرورة لاستحالة تخلّف مراده تعالى عن إرادته، لكنّا نعبدهم فهو لم يشأ ذلك، وعدم مشيّته عـدم عبادتهم، إذنٌ في عبادتهم، فلا منع من قبله تعالى عن عبادة الشّركآء والملآئكة منهم، وهذا المعنى هو المنساق إلى الذّهن من قوله في سورة الأنعام: «سيقول الّذين أشركوا لو شآء الله ما أشركنا ولا آبآؤنا ولا حرّمنا من شيء» الأنعام : ١٤٨) على ما يعطيه سياق ما قبله وما بعده.

وتقرّر تارة لإبطال النّبوّة القآئلة: إنّ الله يوجب عليكم كذا وكذا ويحرّم عليكم كذا وكذا بأن يقال: لو شآء الله أن لا نعبد الشّركآء ولا نحلّ ولا نحرّم شيئاً لم نعبد الشّركآء، ولم نضع من عندنا حكماً لاستحالة تخلّف مراده تعالى عن إرادته لكنّا نعبدهم ونحلّ ونحرّم أشـيآءَ فلم يشإ الله سبحانه منّا شيئاً، فقول إنّ الله يأمركم بكذا وينهاكم عن كذا وبالجملة إنّه شآء كذا باطل. وهذا المعنى هو الظّاهر المستفاد من قوله تعالى في سورة النّحل: «وقال الّـذين أشركوا لو شآء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبآؤنا ولا حرّمنا مـن دونـه مـن شيء» النحل : ٣٥) بالنّظر إلى السّياق.

وقولهم في محكيّ الآية المبحوث عنها: «لو شآء الرّحمن ما عبدناهم» على ما يفيده سياق الآيات السّابقة واللّاحقة مسوق للاحتجاج على المـعنى الأوّل وهـو تـصحيح عـبادتهم للملآئكة، فيكون في معنى آية سورة الأنعام وأخصّ منها. ثمّ ردّ عليهم بقوله: «ما لهم بذلك من علم» أى هو منهم قول مبنيّ على الجهل، فإنّه مغالطة خلطوا فيها بين الإرادة التكوينيّة والإرادة التّشريعيّة، وأخذوا الاولى مكان الثّانية، فمقتضى الحجّة ـ أن لا إرادة تكوينيّة منه تعالى متعلّقة بعدم عبادتهم الملآئكة وانتفآء تعلّق هذا النّوع من الإرادة بعدم عبادتهم لهم لا يستلزم انتفآء تعلّق الإرادة التّشريعيّة به.

إنّ الله تعالى لمّا لم يشأ أن لا يعبدوا الشّركآء بالإرادة التكوينيّة، كانوا هم مختارين غير مضطرّين على فعل أو ترك، فأراد منهم بالإرادة التّشريعيّة أن يوحّدوه ولا يعبدوا غـيره، والإرادة التّشريعيّة لا يستحيل تخلّف المراد عنها لكـونها اعـتباريّة غـير حـقيقيّة، وإنّـما تستعمل في الشّرائع والقوانين والتّكاليف المولويّة، والحقيقة الّتي تبتني عليها هـي اشـتمال الفعل على مصلحة أو مفسدة» إنتهى كلامه.

وقد جآءت بهذا المعنى روايات كثيرة عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين منها:

**في الكافي:** بإسناده عن الحسن بن عليّ الوشّاء قال: سئلت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام فقلت: الله فوّض الأمر إلى العباد؟ قال: الله أعزّ من ذلك. قلت: فجبّرهم على المعاصي؟ قال: الله أعدل وأحكم من ذلك. ثمّ قال الإمام عليه السّلام: «قال الله: ياابن آدم أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي، عملت المعاصي بقوّتي الّتي جعلتها فيك».

**ومنها:** عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «من زعم أنّ الله يأمر بالسّوءِ والفحشآءِ فقد كذب على الله، ومن زعم أنّ الخير والشّرّ بغير مشيّة الله فقد أخرج من سلطانه، ومن زعم أنّ المعاصي بغير قوّة الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله أدخله الله النّار».

**قوله** صلّى الله عليه وآله وسلم: «بغير قوّة الله» يعني الإمداد بإفاضة القوى والقدرة عليه، ومن ثمّ كان جميع ما وقع إنّما وقع بقوّته وقدرته وإذنه تعالى.

وأقرب ما يمثل هذه القاعدة في مثل المقام: انّك إذا عرضت يدك للنّار، فإنّها تحترق، ولكن هذا الإحتراق لا يكون إلّا بإذن الله تعالى، فالله عزّوجلّ هو الّذي أودع النّار خاصّيّة الحرق، ولا يزال يمدّها بتلك الخاصّيّة كما أودع يدك خاصّيّة الاحتراق بالنّار، ولا يزال يمدّها بتلك الخاصّيّة، وهو قادر على أن يوقف تلك الخاصّيّة حين لا يمدّها ولا يأذن، لحكمة خاصّة يريدها كما فعل في قصّة ذبح إسمعيل عليه السّلام سلب السّكّين خاصّيّة القطع، وسلب حلقوم إسمعيل عليه السّلام خاصّيّة الانقطاع، أى لم يمدّهما في هذه الخاصّيّة، فلم يأذن لهما في القطع والانقطاع، فلم يتحقّق الذّبح.

ويمكن لنا أن نتمثّل بمثال آخر وهو: أنّ الأشيآء الممكنة بالذّات كما تفتقر في حدوثها إلى إفاضة المبدإ تعالى، كذلك في بقآئها ـ الّذي هو حدوث في آنٍ ثانٍ ـ فلابدّ في بقآئها واستمرارها من استمرار إفاضة الوجود عليها من المبدإ تعالى، فلو انقطعت الإفاضة عليها في آنٍ لانعدمت من فورها، بداهة استحالة بقآءِ الممكن بالذّات (وهو المفتقر في وجوده إلى مبدء يفيض عليه الوجود حدوثاً وبقآءً) بدون تلك الإفاضة المستمرّة.

نظير وجود النّور داخل الزّجاجة الكهربآئيّة، تشع به ما دامت الطاقة الكهربائية تتّصل إليها من مركز التّوليد عبر الاسلاك، لا يمكن تحقّق هذا الوجود النّوري ـ داخل الزّجاجة ـ حدوثاً وبقاءً إلّا باستمرار ذلك الاتّصال المفاض عليها من المركز، ومتى ما انقطعت تـلك الإفاضة أو انقطع السّلك، فانّ النّور ينقطع في آنه، وحينئذ لو فرضنا أنّ إنساناً وضع يـده على زر الكهرباء، كانت إنارة الزّجاجة واقعة تحت اختياره بالمباشرة، إن شآء ضغط على الزّر فتتنوّر الزّجاجة، وإن شآء رفع يده فتنطفي، وصحّت نسبة إنارة الغرفة وإضلامها إليه بنفس هذا الاعتبار وإن كان حظّه من ذلك هو نفس القطع والوصل لا أكثر، وهكذا حظّ الإنسان في إحداث ما يريد من أعمال وايجادها.

فتبيّن من ذلك صحّة إسناد حدوث جميع المحدثات إلى الله عزّوجلّ، وإطلاق القول بأن لا خالق إلّا الله، ولا مؤثّر في الوجود إلّا الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم إذ يرجع جميع القوى في تأثيراتها إلى إمداد فيضه جلّ وعلا باستمرار، كما صـحّت نسـبة الأفـعال الإختياريّة إلى فاعليها وإرادتهم الخاصّة، بما أوجدوا من جوّ صالح لذلك التّفاعل الطبيعي والتأثيرات والتأثّرات... ومن ثمّ فانّ مضاعفات الأعمال السّيئة تعود إلى مرتكبيها بالذّات، حيث استخدموا من القوى الصّالحة في سبيل العيث والفساد، وأمّا نتآئج الأعمال الحسنة فإنّ القسط الأكبر من فضلها يعود إلى الله عزّوجلّ نظراً لاعداده سـبل الخـير والسّـلام، وإقداره العباد على الاستفادة منها والاستخدام، فكان حقّاً توجيه المحامد كلّها إلى الله جلّ وعلا: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» الزخرف : ١٣).

فإذا كان الله سبحانه خلق الشّرك والطغيان، والكفر والعصيان... فكيف يسـتعان بـه ويستعاذ منه؟ ولماذا يحثّ عباده في مواضع كثيرة من كـتابه المجـيد عـلى الاسـتعانة بـه: «استعينوا بالله واصبروا» الأعراف : ١٢٨) وعلى الاستعاذة منه: «فاستعذ بالله من الشّـيطان الرّجيم» النّحل : ٩٨)؟ وكيف يصحّ الأمر بالطّاعة: «أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول واولى الأمر منكم» النّسآء : ٥٩) وللمسارعة إليها: «وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم» آل عمران : ١٣٣) مـع كون المأمور ممنوعاً عاجزاً عن الإتيان بها على زعم المشركين العـرب المجـبّرة ومـردتهم الأشاعرة من العامّة؟ وكما يستحيل أن يقال فيها للمُقعَد الزّمن: قم، ولمن يرمى من شاهق

جبل: إحفظ نفسك فكذا ههنا.

وأيضاً يلزم بطلان الألطاف والدّواعي لأنّه تعالى إذا كان هو الخالق لأفعال العباد فأيّ نفع يحصل للعبد من اللطف الإلهيّ يفعله الله تعالى، ولكن الألطاف حاصلة من دون ريب ولا مرآءٍ: «الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلّكم تهتدون ـ وتقولوا سبحان الّذي سخّر لنا هذا...» الزخرف : ۱۰ ـ ۱۳) فالإنسان مختار في عقائده وأفكاره وفي أقواله وأفعاله: «إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً» الإنسان : ۳) وقد أنكر تعالى على من نفى المشيئة والاختيار عن نفسه وأضافها إلى الله سبحانه: «ما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون» الزخرف : ۲۰).

**السّادسة:** يستدلّ بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السّلام: «إلّا الّذي فطرني فإنّه سيهدين» الزخرف : ۲۷) على أنّ الهداية على قسميها: التكوينيّة والتّشريعيّة بيد الله تعالى.

**السّابعة:** يستدل بقوله عزّوجلّ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» الزخرف : ۲۸) كقوله تعالى: «واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام» إبراهيم : ۳۵) على أنّ من أولاد إبراهيم وذرّيته إلى محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم مَن لم يعبد الأصنام قطّ ليكون الرّسول ووصيّه من أصلاب شامخة وأرحام مطهّرة لم تنجسّها الجاهليّة فلم يعبد عبد الله وأبوطالب عليهما صلوات الله صنماً قطّ، ولم يشركا بالله سبحانه طرفة عين أبداً.

**الثّامنة:** يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «أهم يقسمون رحمت ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا...» الزخرف : ۳۲) على أن ليس للنّاس خيرة في أمر الرّسالة والإمامة والخلافة الإلهيّة، وذلك أنّه إذا كانت المعايش الدّنيويّة مع دنائتها وحقارتها وخساستها مفوّضة إلى تدبير الله وتسخيره وتقديره دون أحد من خلقه، فالامور الإعتقاديّة والشّئون الدّينيّة والمناصب الحقيقيّة والمنازل الاخرويّة أولى بذلك، فإذا أنكر عليهم أنّ الرّزق منهم فكيف تكون النّبوّة منهم.

وفي الآية الكريمة ردّ على أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة ومردتهم الّذين اتّبعوا أسلافهم المشركين العرب في أمر الرّسالة: «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف : ۳۱) إذ قاس المشركون العرب العنود أمر الرّسالة بأمر رئاسة

القبيلة، فأتبعهم على ذلك أخلافهم اللجوج بعد تظاهرهم بالإسلام، فقاسوا أمر الخـلافة والإمامة بأمرها، فلابدّ وأن يكون الخليفة عندهم رجلاً عظيماً وأسن من غـيرهم، وكـان أبوبكر كذلك، ولو كان هذا صحيحاً لكان أبوه أعظم وأسن منه، فلماذا لم ينتخب للخلافة؟

**التّاسعة:** وقد اختلفت الأشاعرة المجبّرة والمعتزلة في قوله تعالى: «نحـن قسـمنا بـينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا» الزّخرف : ٣٢) بأنّ الرّزق هل يطلق عـلى كـلّ مـا يكـتسب بـه الإنسان حلالاً كان أم حراماً؟ أو يطلق على ما يقتنى به الانسان حلالاً فقط، فليس الحرام برزق؟ فذهبت الأشاعرة المجبّرة تبعة إبليس إلى أنّ كلّ ما ينتفع به الإنسان فهو رزق له، حلالاً كان أم حراماً، كما صرّح بذلك احمد بن المـنير الإسكندري من علمآءِ الأشاعرة في حاشية تفسير (الكشّاف : ج ٤ ص ٢٤٩) في تفسير الآية الكريمـة حتّى قال: «مذهب أهل السّنّة ـ أي الأشاعرة ـ أنّ فاعل الكآئنات كلّها هو الله تعالى».

وذهبت المعتزلة إلى أنّ الله قسم لكلّ عبد معيشته وهى مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع وأذِنَ له في تناولها، ولكـن عـهد عـليه وأمـره أن يسـلك في تـناولها الطّـريق الّتي شرعها فمن سلكها وتناول بها فهى رزقه، ومن لم يسـلكها، ولكـنّه تـناول بهـا مـن غير طريقها فلا تسمّى رزقاً، كمن نكح إمرأة بطريق مشروع فهى زوجته، ومـن نكـحها بغيره فهو زان وليست هى زوجته، فالله تعالى هو قاسم المعائش والمنافع والأرزاق كـلّها، ولكنّ العباد هم الّذين يكسبونها صفة الحرمة بسوءِ تناولهم وهو عدو لهم فيه عمّا شرعه الله إلى ما لم يشرعه.

**في تفسير النيشابورى:** قال في تفسير هذه الآية الكريمة: «واستدلّ السّنّيّ بالآية ظاهر في أنّ كلّ الأرزاق من الله حلالاً كانت أو حراماً، وقالت المعتزلة: الله تعالى قاسم، ولكـنّ العباد هم الّذين يكسبونها صفة الحرمة بسوءِ تناولهم».

**أقول:** ومذهب السّنّيّ مردود بنصّ الكتاب إذ يقول: «لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلّا أن تكون تجارة عن تراض منكم» النّساء : ٢٩) «وأحلّ الله البيع وحرّم الرّبا» البقرة : ٢٧٥) ويقول: «وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً واتـقوا الله» المائدة : ٨٨) ويـقول: «ويحـلّ لهـم الطّيّبات ويحرّم عليهم الخبآئث» الأعراف : ١٥٧) ويقول: «إنّ كثيراً من الأحـبار والرّهـبان

ليأكلون أموال النّاس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله» التوبة: ٣٤) وغيرها من الآيات القرآنيّة الّتي لا تطلق الرّزق على الحرام، وانّ بطلان مذهب السّنّيّ إطلاقاً غير خفيّ على من له الدّراية وطيب الولادة، وأمّا من ليس له الدّراية ولا طيب الولادة فنذرهم في طغيانهم يعمهون.

وفي تفسير النيشابوري: قال: «قالت المعتزلة في الآية دلالة على أنّ اللطف من الله تعالى واجب، وفيه أنّه تعالى لمّا لم يفعل بالنّاس التّوسعة لئلّا يجتمعوا على الكفر فلأن لا يخلق فيهم الكفر أولى والجواب أنّ وقوع كلّ النّاس في طريق القهر محذور، وأمّا وقوع البعض فضروريّ كما مرّ في أوّل البقرة فشتّان بين الممتنع الوجود والضّروريّ الوجود، فكيف يقاس أحدهما على الآخر».

**أقول:** وفضاحة جواب النّيشابورى وهو من الأشاعرة المجبّرة غير خفيّ على من له أدنى مسكة.

**العاشرة:** قال بعض المعاصرين في تفسير قوله تعالى: «ولولا أن يكون النّاس امّة واحدة ـ والآخرة عند ربّك للمتّقين» الزخرف: ٣٣ـ٣٥): «وهذا ردّ على من قال: إنّ المناصب الإلهيّة وغيرها من المراتب العالية وقف على عظماءِ البذخ والمظاهر، وخلاصة الرّدّ: أنّ النّاس يؤثرون نعيم الدّنيا على كلّ شيء لأعطى سبحانه الكافر بيوتاً من فضّة بأرضها وجدرانها وسقفها وأبوابها ومصاعدها وأثاثها، وزادهم على ذلك ما يشآؤن من الذّهب والزّينة لهوان الدّنيا على الله، ولأنّ الكافر لا حظّ له في غيرها فهى جنّته الوحيدة، ومن حِكَم الإمام عليّ عليه السّلام: «من هوان الدّنيا على الله أنّه لا يعصى إلّا فيها، ولا ينال ما عنده إلّا بتركها».

**الحادية عشر:** في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: قال في قوله تعالى: «أفأنت تسمع الصّمّ أو تهدى العمى ومن كان في ضلال مبين» الزخرف: ٤٠): «وفيه ردّ على القدريّة وغيرهم وأنّه الهدى والرّشد والخذلان في القلب خَلقُ الله تعالى يضلّ من يشآء ويهدى من يشآء» انتهى كلامه.

**أقول:** إنّ الآية الكريمة تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبصدد بيان عدم

مسئوليّته تجاه عدم قبول دعوته من هؤلآء العتاة الكفرة، والبغاة الفجرة والطغاة الفسـقة، وإصرارهم على الكفر والضّلال، حيث هو صلّى الله عـليه وآله وسـلّم مسـئول عـن البـلاغ والأدآءِ، وأمّا التّأثير والقبول فهذا شيء لا يمسّه: «فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلّا البلاغ» الشورى : ٤٨) فإسماع الصّمّ وهداية العمى والضّالّ المصرّ على ضـلاله، بالإجبار ليست من فعل النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّ الّذي عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم هو البلاغ والتّذكير : «فذكّر إنّما أنت مذكّر لست عليهم بمصيطر» الغاشية : ٢١ ـ ٢٢).

لكنّه تعالى يهدي بتوفيقه وعنايته الخاصّة من يشآء من عباده الّذي سـعوا في لقآئـه الكريم، إذ قال: «والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين» العـنكبوت : ٦٩) نعم لو شآء الله تعالى أن يهديهم بإلجاءهم على الهدى لفـعل، لكـنّه عـزّوجلّ جـعل لهـم الاختيار في قبول الدّعوة لحكمة التكليف والاختبار، فالمشيّة على هذا تكوينيّة.

**الثانية عشر :** يستدلّ بقوله تعالى: «وإنّه لذكر لك ولقومك» الزّخرف : ٤٤) على حدوث القرآن الكريم.

**في النكت الاعتقادية:** للشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه ـ في الفصل الأوّل ـ قال: «فإن قيل: كلام الله تعالى حادث أم قديم؟ فالجواب: حادث غير قديم. فإن قيل: ما الدّليل على ذلك؟ فالجواب: الدّليل على ذلك من جهة العقل والنّقل، أمّا من جهة العقل فلأنّ الكلام مركّب من الحروف المتتالية الّتي يعدم بعضها ببعض، ويسبق بعضهـا بعضاً فيكون حادثاً، وأمّا من جهة النّقل فقوله تعالى: «ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث» الأنبيآء : ٢) والذّكر هو القرآن لقوله تعالى: «إنّا نحن نزّلنا الذكـر وإنّـا له لحـافظون» الحـجر : ٩) «وإنّـه لذكـر لك ولقومك»».

**الثّالثة عشر :** يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «واسئل من أرسـلنا مـن قـبلك مـن رسـلنا» الزّخرف : ٤٥) على صحّة الرّجعة.

**الرّابعة عشر :** تشبّث الأشعري ـ قآئد الأشاعرة المجبّرةُ المجسّمة والمشبّهة ـ بمـا روى: «انّ رجلاً أتى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بأمة سودآء، فقال: يارسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّي اريد أن أعتقها في كفّارة فهل يجوز عتقها؟ فقال لها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أين

الله؟ قالت: في السّمآء قال: فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال النّبيّ: اعتقها فإنّها مؤمنة» تشبّث الأشعري به على أنّ الله على عرشه فوق السّمآءِ.

**أقول:** إنّ هذا غير ما توهّم الأشعريّ، وتبعته الأشاعرة الجهلة من دون شعور، وذلك أنّ المشركين العرب يومذاك كانوا يعبدون أصناماً هم نحتوها بأيديهم من أحجار وأخشاب وكانوا يزعمونها آلهة في الأرض تمثل إله السّمآء: «ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى» الزمر: ٣) فلمّا جآء الاسلام وأمر بنبذة الآلهة غير الله جلّ وعلا أصبح عنوان التّوحيد هو الاعتراف بإله السّمآءِ ورفض آلهة الأرض كناية عن الاعتقاد بالله تعالى إلهاً واحداً لا شريك له في الذّات ولا نظير له في الايجاد ولا مثيل له في التّدبير، ولا ندّ له في العبادة، فإذا قال إنسان: إنّي لا أعبد سوى الإله الّذي في السّمآءِ اعتبر ـ ذلك اليوم ـ موحّداً بالنّظر إلى جانب سلب القضيّة، وهو نفي آلهة الأرض المزعومة، لا إثبات كون الإله في السّمآء مكاناً له بالخصوص، وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى بقوله: «وهو الله في السّمآء إله وفي الأرض إله» الزخرف: ٨٤) فهو وحده إله الأرض والسّمآء جميعاً: «فأينما تولّوا فثمّ وجه الله» البقرة: ١١٥) ولم يفهم الأشعرى ومردته هذا المعنى، فضلّوا وأضلّوا...

**الخامسة عشر:** في المجمع في قوله تعالى: «ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة إلّا من شهد بالحقّ وهم يعلمون» الزّخرف: ٨٧) قال: «وفي هذا دلالة على أنّ حقيقة الايمان هو الإعتقاد بالقلب والمعرفة لأنّ الله شرط مع الشهادة العلم وهو ما اقتضى طمأنينة القلب إلى ما اعتقده بحيث لا يتشكك إذا شكّك ولا يضطرب إذا حرّك» إنتهى كلامه.

**أقول:** ويستدل بالآية الكريمة على أنّ الشّفاعة شاملة لشيعة الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وهو الحقّ الّذي يدور معه حيثما دار، وأنّ الشّفعآء يعلمون أنّهم شهدوا أنّه الحقّ الّذي نصبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إماماً بأمر الله تعالى لعباده، وعلى بطلان سآئر الفرق الإسلاميّة الّذين لم يشهدوا بالحقّ، وعلى عدم شمول الشّفاعة لهم.

**في الفصول المختارة** من العيون والمحاسن للسّيّد الشّريف المرتضى علم الهدى رضوان الله تعالى عليه ـ الجزء الثاني من الكتاب ـ فيما أقرّ أرباب العامّة واعترف قادتهم على أنفسهم أنّهم كانوا يشهدون بالزّور والباطل، ويحكمون بالظّنّ والقياس...: «وهذا ابن

مسعود ركن من أركانكم ـ يعني فقهآء العامّة ـ وإمام من أئمتكم وهو من أفاضل من قال في الفتيا فما ظنّك فيمن دونه، فكيف يكون هؤلآء حجّة علينا ويلزمنا لهم طاعة، على أنّا لم نبلغ من القول فيهم ما قال بعضهم في بعض.

قال الجاحظ: قال إبراهيم: ورويتم عن اسمعيل عن الشّعبي أنّ قوماً سئلوا زيد بن ثابت عن شيء فأفتاهم فكتبوه فقال: وما يدريكم لعلّي قد أخطأت، وإنّما اجتهدت لكم برأيي، ورويتم عن المغيرة عن إبراهيم أنّ عمر بن الخطّاب قضى بقضآءٍ فقال له رجل: أصبت والله ياأمير المؤمنين، فقال: وما يدريك أنّي أصبت، والله ما يدري عمر أأصاب أم أخطأ، ورويتم عن سفيان الثّورى عن عاصم عن الشّعبي عن ابن عبّاس أنّه قال: ربّما أنهاكم عن أشيآءٍ لعلّها ليس بها بأس، وآمركم بأشيآءٍ لعلّ بها بأساً، ورويتم عن عمر وعن طاووس أنّ ابن عمر سئل عن شيء، فقال: لا أدري فإن شئت أخبرتك بالظّنّ.

قال إبراهيم بن سيار النّظام: فقد أقرّ القوم على أنفسهم أنّهم بالظّنّ كانوا يريقون الدّمآء وبالظّنّ كانوا يبيحون الفروج، وبالظّنّ يحكمون في الأموال، وبالظّنّ يوجبون العبادات، وقد نهى الله عزّوجلّ العباد أن يحكموا بالظّنّ ويشهدوا به فقال تعالى: «إلّا من شهد بالحقّ وهم يعلمون» الزخـرف : ٨٦) وأمر بالعلم واليقين، فخالف القـوم ذلك، وعـلموا أنّ النّـاس لهـم منقادون وأنّهم ما قالوا من شيء فهو حتم لا مردّ له.

قال إبراهيم: وإذا كان هذا المذهب موجوداً في الأكابر والأصاغر من السّلف فما ظـنّك بالتّابعين، ثمّ ما ظنّك بالفرق الّتي بينهم، وإذا كان هذا ما أقرّوا به على أنفسهم فما لم يقرّوا به ورأوا ستره أكثر». **أقول:** ولعمري إنّ العامة المسمّون بأهل السّنّة هم لعلى سنّة آل فرعون لا على سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

**في نهج البلاغة:** قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المـؤمنين عـليّ بـن أبـيطالب عليه السّلام: «أيّها النّاس إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه ـ ولا يحمل هذا العَلَم إلّا أهل البَصَر والصّبر والعِلم بمواقع الحق، فامضوا لما تؤمرون به، وقـفوا عندما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتّى تتبيّنوا، فإنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه غِيَراً».

**وفيه:** قال الإمام عليّ عليه السّلام: «والّذي بعثه بالحقّ واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلّا

صادقاً - أيّها النّاس إنّي والله ما احثّكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها».

**وفيه:** قال الإمام عليه السّلام: «فوالّذي لا إله إلّا هو إنّي لعلى جادّة الحقّ، وإنّهم لعلى مزلّة الباطل».

**وفيه:** قال الإمام عليّ عليه السّلام: «حتّى إذا قبض الله رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السّبل، واتكلوا على الولآئج ووصلوا غير الرّحم، وهجروا السّبب الّذي أُمِروا بمودّته، ونقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، وأبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون، من منقطع إلى الدّنيا راكن، أو مفارق للدّين مباين».

**وفيه:** قال الإمام عليّ عليه السّلام: «وإنّي لعلى بيّنة من ربّي، ومنهاج من نبيّي، وإنّي لعلى الطّريق الواضح ألقطه لَقْطاً، انظروا أهل بيت نبيّكم، فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثَرَهم، فلن يُخرِجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لَبَدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا».

**وفيه:** قال الإمام عليّ عليه السّلام: «فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ والأعلام قآئمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم؟ بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم؟ وهم أزمّة الحقّ، وأعلام الدّين، وألسنة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش».

## ﴿ملاك الرّسالة عند مشركي العرب، وملاك الخلافة عند العامّة﴾

قال الله تعالى: «ولمّا جآءهم الحقّ قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا» الزّخرف: ٣٠ـ٣٢)

وقد زعم زعمآء المشركين العرب كالوليد بن المغيرة المخزومي، وأبي البختری بن هشام، وأبي جهل بن هشام، والعاص بن وائل السّهمي، وعبدالله بن أبي اميّة وأضرابهم وهم أهل الحلّ والعقد، وحكمهم نافذ على غيرهم سوآء أكانوا من سكّان مكّة أم غيرهم... أنّ الرّسالة الإلهيّة كزعامة القبيلة ورئاسة الدّولة وإمارة المملكة لهم حقّ اختيارها، فلهم وحدهم أن ينتخبوا من أرادوه لها، فلمّا جآئتهم كفروا بها، وقالوا ما قالوه إذ يرونها منصباً عظيماً، فلا تليق إلّا بعظيم بالمال والجاه والثراة، جاهلين أنّ ملاكها ليس ذلك، فلم يعلموا أنّها رتبة روحانيّة تستدعي عظيم النّفس بالتحلّي بالفضآئل النّفسانيّة والكمالات القدسيّة لا الزّخرف بالزّخارف الدّنيويّة الدّنيئة، وهم غافلون عن قوله جلّ وعلا: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤)

نعم انّ المال والجاه والمقام هى ملاك الشّرافة وعلوّ المنزلة عند أبنآءِ الدّنيا، والمنهمكين فيها، فكان اعتقادهم أنّ الرّسالة والنّبوّة والخلافة منزلة شريفة إلهيّة لا ينبغي أن يتلبّس بها

إلّا رجل شريف في نفسه، عظيم مطاع في قومه بالمال والجاه والكبر في السّنّ، وإن كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من ذؤابة قريش وبني هاشم، وهم في العلية من العرب كما كان شخصه صلّى الله عليه وآله وسلّم معروفاً بالصّداقة والأمانة وبسموّ الخلق في بيئته قبل بعثته، ولكن لم يكن ذا مال وكبير سنّ، ولا زعيم قبيلة ولا رئيس عشيرة في بيئة تعتز بمثل هذه القيم القبيلة، وهذا ما قصد إليه المعترضون بقولهم: «لولا نزّل هذا القرآن من القريتين عظيم» غافلين أنّ ملاك الرّسالة ليس مالاً وكبر سنّ ولا زعامة قبيلة، وإنّما ملاكها أهليّة الرّسول للرّسالة، والنّبيّ للنّبوّة، والإمام للإمامة في عمق ذواتهم...

فاختار الله عزّوجل من له الأهليّة لها، فلم يشأ تعالى أن يجعل لهذه الرّسالة والنّبوّة والإمامة سنداً من خارج طبيعتها، ولا من قوّة من خارج حقيقتها، فاختار رجلاً ميزته الكبرى... الخلق... وهو من طبيعة هذه الدّعوة وسمته البارزة... التجرّد... وهو من حقيقة هذه الدّعوة، ولم يختره زعيم قبيلة ولا رئيس عشيرة، ولا صاحب جاه ولا صاحب ثرآء كيلا تلتبس قيمة واحدة من قيم هذه الأرض بهذه الدّعوة النّازلة من السّمآءِ، ولكيلا تزدان هذه الدّعوة بحيلة من الحيل أو بحلية من حلى هذه الأرض ليست من حقيقتها في شيء، ولكيلا يكون هناك مؤثر مصاحب لها، خارج عن ذاتها المجرّدة، ولكيلا يدخلها طامع، ولا يتنزّه عنها متعفّف، ولكنّ القوم الّذين غلبت عليهم الشّهوات وزخارف الدّنيا، والّذين لم يدركوا طبيعة دعوة السّمآء راحوا يعترضون ذلك الاعتراض: «لولا نزّل هذا القرآن...».

فردّ عليهم القرآن الكريم مستنكراً هذا الاعتراض على رحمة الله تعالى الّتي يختار لها من عباده من يشآء، وعلى خلطهم بين قيم الأرض وقيم السّمآء مبيّناً لهم عن حقيقة القيم الّتي يعتزّون بها، ووزنها الصّحيح في ميزان الله جلّ وعلا بقوله: «أهم يقسمون رحمة ربّك...» على أنّ أمر معاشهم ودنياهم ليس بأيديهم فضلاً عن أمر معادهم وآخرتهم.

**في تفسير النيشابوري** ـ وهو من أعلام العامة ـ قال في تفسير قوله تعالى: «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه...» الزّخرف: ٤٦): «واعلم أنّ كفّار قريش إنّما طعنوا في نبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم من جهة كونه فقيراً خاملاً، وكان فرعون اللعين قد طعن

في موسى بمثل ذلك حيث قال: «أليس لى ملك مصر ـ إلى قوله ـ مهين» الزخرف: ٥١ـ٥٢) فلا جرم أورد قصّة موسى ههنا تسلية للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم» إنتهى كلامه.

وعلى زعم هؤلآء المشركين العرب في الرّسالة زعمت العامّة في الإمامة الكبرى للمسلمين بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أى الخلافة والحكم والقيادة والولاية: أنّ لزعمآئهم حقّ اختيارها، وهم أهل الحلّ والعقد، وحكمهم نافذ على من سواهم من العرب والعجم في كلّ ظرف... وقد ردّ عليهم القرآن الكريم بأنّ الإمامة كالرّسالة، ما كان لأحد من عباده فيها خيرة، مخبراً بما في قلوبهم بقوله تعالى: «وربّك يخلق ما يشآء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمّا يشركون وربّك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون» القصص: ٦٨ـ٦٩).

في تفسير القمّي: قال: يختار الله الإمام، وليس لهم أن يختاروا، ثمّ قال: «وربّك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون» ما عزموا عليه من الاختيار، وأخبر الله نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل ذلك.

وفي تفسير الطّبري ـ وهو من أعلام العامة وحملة أسفارهم ـ قال في قوله تعالى: «وربّك» يامحمّد «يخلق ما يشآء» أن يخلقه «ويختار» لولايته الخيرة من خلقه، ومن سبقت له منه السّعادة، وإنّما قال جلّ ثنآؤه: «ويختار ما كان لهم الخيرة» والمعنى ما وصفت لأنّ المشركين كانوا فيما ذكر عنهم يختارون أموالهم، فيجعلونها لآلهتهم، فقال الله لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وربّك» يامحمّد «يخلق ما يشآء» أن يخلقه «ويختار» للهداية والايمان والعمل الصّالح من خلقه ما هو في سابق علمه أنّه خيرتهم، نظير ما كان من هؤلآءِ المشركين لآلهتهم خيار أموالهم، فكذلك اختياري لنفسي واجتبآئى لولايتي، واصطفآئي لخدمتي وطاعتي خيار مملكتي وخلقي» انتهى كلامه.

وفي غاية المرام: عن أنس قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله خلق آدم من طين كيف يشآء ثمّ قال: ويختار إن اختارني وأهل بيتى على جميع الخلق، فانتجبنا فجعلني الرّسول، وجعل عليّ بن أبيطالب الوصيّ، ثمّ قال: ما كان لهم الخيرة يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا ولكنّي اختار من أشآء، فأنا وأهل صفوة الله وخيرته من خلقه، ثمّ قال: سبحان الله

عمّا يشركون به كفّار مكّة.

**وفي المستخرج من تفاسير الاثنى عشر للحافظ محمد بن مؤمن الشّيرازي -وهو من** مشايخ العامة- في تفسير هذه الآية: «وربّك يخلق ما يشآء...» عن أنس قال: سئلت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن هذه الآية، فقال: إنّ الله خلق آدم من الطّين كيف يشآء ويختار، وانّ الله اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق، فانتجبنا فجعلني الرّسول، وجعل علىّ بن أبيطالب الوصيّ، ثمّ قال: ما كان لهم الخيرة يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا ولكنّي أختار من أشاء، فأنا وأهل بيتي صفوته وخيرته من خلقه، ثمّ قال: سبحان الله يعني تنزّهاً لله عمّا يشركون به كفّار مكّة، ثمّ قال: «وربّك» يعني يامحمد «يعلم ما تكنّ صدورهم» من بغض المنافقين لك ولأهل بيتك، وما يعلنون من الحبّ لك ولأهل بيتك».

**أقول:** وقد صرّح القرآن الكريم بأنّ انتخاب الإمام بيد الله جلّ وعلا وأنّ الإمامة مجعولة إلهيّة كالرّسالة سوآء بسوآءٍ، فلا دخل لآراء البشريّة في تعيين الرّسول والإمام في ظرف من الظّروف، وقد بيّن الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السّلام وأوضح لنا في كتابه المجيد بما لا يدع مجالاً للشكّ بأنّ الإمامة منصب إلهيّ يجعله الله حيث يشآء، ويعطيه لمن يشآء من عباده: «وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمّهنّ قال إنّي جاعلك للنّاس إماماً» البقرة: ١٢٤) وقد أوضح بأنّ الإمامة هى عهد من الله جلّ وعلا لا ينال به إلّا عباد الله الصّالحون الّذين اصطفاهم لهذا الغرض، لانتفائه عن الظّالمين الّذين لا يستحقّون عهده تعالى بظلمهم ولو آناً ما: «قال لا ينال عهدى الظالمين» البقرة: ١٢٤).

ولو كانت الإمامة بيد غير الله لاختارها إبراهيم عليه السّلام لمن أحبّ إليه، ولم يفعل، بل طلبها من الله تعالى لذرّيّته، فقال جلّ وعلا: «لا ينال عهدى الظّالمين».

**وفي تفسير الرّازى:** قال الفخر: قوله تعالى: «لا ينال عهدى الظّالمين» فهذا العهد نبوّة كانت أو الإمامة يدل على أنّه لا ينال على هذا العهد فاسق ولا ظالم، لأنّ الفاسق كان ظالماً لنفسه، فوجب أن لا تحصل النّبوّة والإمامة لأحد من الفاسقين».

وبما أنّ غير عليّ بن أبيطالب عليه السّلام من صحابة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أشركوا بالله فترة ما قبل الإسلام، فإنّهم بذلك يصبحون من الظّالمين، فلا يستحقّون

عهد الله تعالى لهم بالإمامة والخلافة، فعليّ بن أبيطالب عـليه السّـلام اسـتحقّ وحـده دون سائر الصّحابة عهد الله بالإمامة لأنّه لم يعبد إلّا الله، وكرّم الله وجهه إذ لم يسجد لصنم طرفة عين أبداً.

وفي **تفسير اللوامع**: عن ابن مسعود قال: قال رسـول الله صـلّى الله عـليه وآله وسـلّم: «انتهت الدّعوة إليّ وإلى عليّ لم يسجد أحدنا قطّ لصنم فاتّخذني نبيّاً واتّخذ عليّاً وصيّاً».

وأمّا القول بأنّ الإسلام يجبّ ما قبله، فمردود بالفرق الكبير بين من كان مشركاً وتاب، ومن كان نقيّاً خالصاً لم يعرف إلّا الله ولم يعبد إلّا الله تعالى.

وقد علم إبراهيم عليه السّلام أنّ منصب الإمامة كنفس الرّسالة والنّـبوّة مـنصب إلهـيّ يعطيه من يليق به، حيث طلب هذا المنصب من الله تعالى، ونفى الله عزّوجلّ هذا المـنصب عمّن لا يليق به، ويستفاد من هذا أمران:

**الأول**: أنّ هذا المنصب بيد الله تعالى وحده لا بآرآء الأنبيآء والمرسلين فضلاً عن عوام النّاس والمترفين وإلّا لما طلبه إبراهيم عليه السّلام من الله عزّوجلّ.

**الثّاني** : انّ شرط النّيل بهذا المنصب هو العصمة، وذلك لقداسـة الإمـامة والخـلافة، وكونها من المناصب الشّامخة الإلهيّة، والمراتب السّامية الرّبّانيّة، فكيف يليق أن يـتقمّصها من كان سنين من عمره وأعوام من دهـره عـاكـفاً بـفناء اللّات والعـزّى ومـناة الثّـالثة الاخرى...؟ أو لا ينافي الكفر وسجود الصّنم الإمامة؟!

وقال الله تعالى: «وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهـم فـعل الخـيرات وإقـام الصّلاة وايتاء الزّكاة وكانوا لنا عابدين» الأنبيآء: ٧٣)

وقال: «وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» السّجدة : ٢٤)

وقال: «ونـريد أن نمـنّ عـلى الّـذين استـضعفوا في الأرض ونجـعلهم أئمّـة ونجـعلهم الوارثين» القصص: ٥)

وقد يتوهّم البعض بأنّ مدلول الآيات المذكورة يُفهم منها بأنّ الإمامة المقصودة هنا هي النّبوّة والرّسالة، وهو خطأ في المفهوم العامّ للإمامة، لأنّ كلّ رسول هو نبيّ وإمام، وليس كلّ إمام رسول أو نبيّ!

## ﴿ ملاك الإمامة عند الله تعالى هو نفس ملاك الرّسالة ﴾

ومن البداهة عقلاً ونقلاً أنّ الإمامة وهى الخلافة والولاية، كالنّبوّة والرّسالة منصب إلهيّ يعهد به الله جلّ وعلا إلى من يصطفيه من عباده الصّالحين ليقوم بذلك الدّور الخطير وهو قيادة العالم بعد النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعلى هذا كان الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السّلام إماماً للنّاس كافّة كما كان محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم رسولاً للنّاس كافّة سوآءً بسوآءٍ باختيار الله جلّ وعلا له، وقد أوحى إلى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن ينصّبه علماً للنّاس، وقد فعل، ولما للإمامة من الأهميّة الكبرى والخطورة العظمى، وهى قيادة العالم كلّه، وما تقوم عليها القيادة من فضآئل عديدة وكمالات نفسانيّة وخصآئص فريدة، هى أصل من اصول الدّين عند الشّيعة الإماميّة الإثنى عشريّة الحقّة كسآئر الاصول الإعتقادية من التّوحيد والعدل والنّبوّة والمعاد على حدّ سوآءٍ.

وانّ الإمامة أرفع منالاً وأعظم شأناً أن تختار بانتخاب بشريّ، ولا اقتراع أرضيّ، ولا مجال لاستنساب العقل في مجال اختيار الرّسل والأوصيآءِ، ولم يختر بنو إسرائيل موسى عليه السّلام ولا هو اختار هارون عليه السّلام دون سابق علم الله تعالى وإلهامه، ولا عيسى عليه السّلام انتقى الحواريّن ولا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم نصّب أوصيآئه صلوات الله عليهم أجمعين تنصيباً من عنده كورثة عرش، ولكنّ الله عزّوجلّ فعل ذلك كلّه، وجعلهم حاملي مواريث النّبوّات عبر التّأريخ، والرّادّ على ذلك رادّ على الله عزّوجلّ لا على ناقل الحقّ ومبلّغه للنّاس: «فإنّهم لا يكذّبونك ولكنّ الظّالمين بآيات الله يجحدون» الأنعام: ٣٣).

وانّ للإمامة شأنها وعظمتها وهيبتها، لا شأن للانتخاب الفرديّ والجماعي فيها، لأنّها في الصّفوة من الخلق: «وربّك يخلق ما يشآء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمّا يشركون» القصص: ٦٨) فليكن من شآء في صفّ المكذّبين والظّالمين والجاحدين والمشركين، والله جلّ وعلا حين يختار الإمامة لا يشاور أحداً، وشرك المشرك، وتكـذيب المكـذّب، وظلم الظالم وجَحد الجاحد لا يضرّ الإمامة، ولا يعيق اختيار الله عزّوجلّ لأنّه تـعالى لا يصطفي لهذه المرتبة إلّا النخبة من خلقه الّذين جبلهم لائقين لما لا يليق له غيرهم، وممتازين بكلّ مقوّماتهم الجسديّة والفكريّة عمّن سواهم...

**في الاحتجاج** ـ في احتجاج الإمام المهدى الحجّة بن الحسن العسكـرى عـليه السّـلام وأجوبته عن مسائل سعد بن عبدالله القمّي ـ: «فقلت: أخبرني يامولاى عن العلّة الّتي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم؟ قال: مصلح أو مفسد؟ فقلت: مصلح، قال عليه السّلام: هل يجوز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد. قلت: بلى. قال عليه السّلام: فهى العلّة أيدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك. قلت: نعم.

قال: أخبرني عن الرّسل الّذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتب، وأيّدهم بـالوحى والعصمة إذ هم أعلام الأمم، فاهدى إلى ثبت الاختيار، ومنهم موسى وعيسى هل يجـوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما، إذ هما على المنافق بالاختيار: أن يقع خيرتهما وهما يـظنّان أنّه مؤمن؟

قلـت: لا.

قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه، ونزول الوحي عليه اختار مـن أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممّن لم يشكّ في إيمانهم وإخـلاصهم، فوقع خيرته على المنافقين قال الله عزّوجلّ: «واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا...» الأعراف: ١٥٥) فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنّبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد، علمنا: أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصّدور ومـا تكنّ الضّمآئر، وينصرف عنه السّرآئر، وأن لا خطر لاختيار المـهاجرين والأنـصار بـعد وقوع خيرة الأنبيآء على ذوى الفساد لما أرادوا أهل الصّلاح...» الحديث.

وفي أمالي الصّدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن عبدالله بن الفضل، عن الصّادق عن آبآئه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «معاشر النّاس والّذي بعثني بالنّبوّة واصطفاني على جميع البريّة ما نصبت عليّاً علماً لامّتي في الأرض حتّى نوّه الله باسمه في سماواته وأوجب ولايته على ملائكته...» الخبر.

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نوّه الله» من نوه ذكره: مدحه وعظمه.

وفيه: باسناده عن أبي سعيد عقيصا عن سيّدالشّهدآءِ الحسين بن عليّ بن أبيطالب عليهم السّلام عن سيّد الأوصيآء أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ياعليّ أنت أخي وأنا أخوك، أنا المصطفى للنّبوّة وأنت المجتبى للإمامة، وأنا صاحب التّنزيل وأنت صاحب التّأويل، وأنا وأنت أبوا هذه الامّة، ياعليّ أنت وصيّي وخليفتي ووزيري ووارثي وأبو ولدي، شيعتك شيعتي، وأنصارك أنصاري، وأوليآؤك أوليآئي، وأعداؤك أعدآئي، ياعليّ أنت صاحبي على الحوض غداً، وأنت صاحبي في المقام المحمود، وأنت صاحب لوآئي في الآخرة كما أنت صاحب لوآئي في الدّنيا.

لقد سعد مَن تولّاك وشقى مَن عاداك، وإنّ الملآئكة لتتقرّب إلى الله تقدّس ذكره بمحبّتك وولايتك، والله إنّ أهل مودّتك في السّمآءِ لأكثر منهم في الأرض، ياعليّ أنت أمين امّتي وحجّة الله عليها بعدي، قولك قولي، وأمرك أمري، وطاعتك طاعتي، وزجرك زجري، ونهيك نهيي، ومعصيتك معصيتي، وحزبك حزبي، وحزبي حزب الله «ومن يتولّ الله ورسوله والّذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون»».

وفي اصول الكافى ـ كتاب الحجّة ـ عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنّا مع الرّضا عليه السّلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدءِ مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف النّاس فيها، فدخلت على سيّدي عليه السّلام فأعلمته خوض النّاس فيه، فتبسّم عليه السّلام ثمّ قال: ياعبد العزير جهل القوم وخدعوا عن آرآئهم، إنّ الله عزّوجلّ لم يقبض نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى أكمل له الدّين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلّ شىء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه النّاس كملاً، فقال عزّوجلّ: «ما فرّطنا في الكتاب من شىء» وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلّى الله

عليه وآله وسلّم: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكـم الإسـلام ديناً» وأمر الإمامة من تمام الدّين، ولم يمض صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى بيّن لامّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحقّ، وأقام لهم عليّاً عليه السّلام عَلَماً وإماماً، وما ترك لهم شيئاً يحتاج إليه الأمة إلّا بيّنه، فمن زعم أنّ الله عزّوجل لم يكمّـل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به.

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الامّة، فيجوز فيها اختيارهم، إنّ الإمامة أجلّ قدراً وشأناً وأعلا مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً مـن أن يـبلغها النّـاس بـعقولهم أو يـنالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إنّ الإمامة خصّ الله عزّوجلّ بهـا إبـراهـيم الخـليل عليه السّلام بعد النّبوّة، والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها، وأشاد بها ذكره، فقال: «إنّي جاعلك للنّاس إماماً» فقال الخليل عليه السّلام سروراً بها: «ومن ذرّيّتي» قـال الله تـبارك وتعالى: «لا ينال عهدي الظّالمين» فأبطلت هذه الآية إمـامة كـلّ ظـالم إلى يـوم القـيامة وصارت في الصّفوة، ثمّ أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيّته أهل الصّفوة والطّهارة فـقال: «ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلّاً جعلنا صـالحين وجـعلناهم أئمّـة يهـدون بأمـرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصّلاة وإيتآء الزّكاة وكانوا لنا عابدين».

فلم تزل في ذرّيّته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتّى ورّثها الله تعالى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال جلّ وتعالى: إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النّبيّ والّذين آمنوا والله وليّ المؤمنين» فكانت له خاصّة فقلّدها صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السّـلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذرّيّته الأصفيآء الّذين آتاهم الله العلم والايمان بقوله تعالى: «وقال الّذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث» فهى في ولد عليّ عليه السّلام خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبيّ بعد محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فمن أين يختار هؤلآءِ الجهّال؟

إنّ الامامة هي منزلة الأنبيآء وإرث الأوصيآء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ومقام أمير المؤمنين عليه السّلام وميراث الحسن والحسين عليهما السّلام، إنّ الإمامة زمام الدّين، ونظام المسلمين، وصلاح الدّنـيا وعـزّ المـؤمنين، إنّ الإمـامة اسّ

الإسلام النّامي، وفرعه السّامي، بالإمام تمام الصّلاة والزّكاة والصّيام والحجّ والجهاد وتوفير الفيء والصّدقات، وإمضآء الحدود والأحكام، ومنع الثّغور والأطراف.

الإمام يُحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة، الإمام كالشّمس الطّالعة المجلّلة بنورها للعالم وهى في الافق بحيث لا تنالها الأيدى والأبصار.

الإمام البدر المنير، والسّراج الزّاهر، والنّور السّاطع، والنّجم الهادي في غياهب الدّجى وأجواز البلدان والقفار، ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظّمإ والدّالّ على الهدى، والمنجي من الرّدى، الإمام النّار على اليفاع، الحارّ لمن اصطلى به، والدّليل في المهالك، من فارقه فهالك، الإمام السّحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشّمس المضيئة والسّمآء الظّليلة، والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والرّوضة، الإمام الأنيس الرّفيق، والوالد الشّفيق، والأخ الشّقيق، والامّ البرّة بالولد الصّغير، ومفزع العباد في الدّاهية النّآد، الإمام أمين الله في خلقه، وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده، والدّاعي إلى الله، والذّابّ عن حرم الله.

الإمام المطهّر من الذّنوب، والمبرّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدّين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين وبوار الكافرين، الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدلٌ ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له، ولا اكتساب بل اختصاص من المفضّل الوهّاب.

فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظمآء، وتحيّرت الحكمآء وتقاصرت الحلمآء، وحصرت الخطبآء وجهلت الألبّآء، وكلّت الشّعرآء وعجزت الادبآء وعييت البلغآء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضآئله، وأقرّت بالعجز والتّقصير، وكيف يوصف بكلّه أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه لا كيف وأنّى؟ وهو بحيث النّجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟

أتظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرّسول محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كذبتهم والله

أنفسهم، ومنّتهم الأباطيل، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامـهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآرآء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلّا بعداً قاتلهم الله أنّى يؤفكون، ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحـيرة، إذ تركوا الإمام عن بـصيرة وزيّـن لهـم الشّـيطان أعـمالهم، فـصدّهم عـن السّـبيل وكـانوا مستبصرين.

رغبوا عن اختيار الله واخـتيار رسـول الله صـلّى الله عـليه وآله وسـلّم وأهـل بـيته إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم: «وربّك يخلق ما يشآء ويختار ما كان لهم الخيرة سـبحان الله وتعالى عمّا يشركون» وقال عزّوجلّ: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» وقال: «مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون إنّ لكم فيه لما تخيّرون أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون سلهم أيّهم بذلك زعيم أم لهم شركآء فليأتوا بشركآئهم إن كانوا صـادقين» وقـال عـزّوجلّ: «أفـلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» أم «طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون» أم «قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إنّ شرّ الدّوابّ عند الله الصّمّ البكم الّذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون» أم «قالوا سمعنا وعصينا» بل هو فضل الله يؤتيه من يشآء والله ذو الفضل العظيم».

فكيف لهم باختيار الإمام؟! والإمـام عـالم لا يجـهل، وراع لا يـنكل، مـعدن القـدس والطّهارة والنّسك والزّهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرّسول صـلّى الله عـليه وآله وسلّم ونسل المطهّرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذّروة من هاشم، والعترة من الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والرّضا مـن الله عـزّوجلّ، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عـالم بالسّياسة، مفروض الطّاعة، قآئم بأمر الله عزّوجلّ، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

إنّ الإنبيآء والأئمّة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزّمان في قوله تعالى: «أفمن يهدي إلى الحـقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون» وقوله تبارك وتعالى: «ومن

يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً» وقوله في طالوت: «إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشآء والله واسع عليم» وقال لنبيّه صلّى الله عـليه وآله وسلّم: «أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً» وقال في الأئمّة من أهل بيت نبيّه وعترته وذرّيّته صلوات الله عليهم: «أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنّم سعيراً».

وإنّ العبد إذا اختاره الله عزّوجلّ لأُمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصّواب، فهو مـعصوم مؤيّد، موفّق مسدّد، قد أمن من الخطايا والزّلل والعثار يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله ذو الفضل العـظيم. فـهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصّفة فيقدّمونه، تعدّوا ـ وبيت الله ـ الحقّ ونبذوا كتاب الله ورآء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون، في كـتاب الله الهـدى والشّـفآء، فنبذوه واتّبعوا أهوآءهم، فذمّهم الله ومقّتهم وأتعسهم، فقال جلّ وتعالى: «ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدى القوم الظّالمين» وقـال: «فـتعساً لهـم وأضـلّ أعمالهم» وقال: «كبر مقتاً عند الله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب مـتكبّر جبّار» وصلّى الله على النّبيّ محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً».

**أقول:** وقد أوضح الإمام الثّامن عليّ بن موسى الرّضا عليه آلاف التّحيّة والثّـنآء: أنّ الإمامة زعامة إلهيّة ونيابة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في أدآءِ وظآئفه كلّها، فلا تكون الغاية منها مجرّد حفظ الحوزة، وتحصيل الأمن في الرّعيّة كما توهّم بعض المذبذبين، وإلّا لجاز أن يكون الإمام كافراً أو منافقاً أو أفسق الفاسقين أو خـارجـاً عـن الدّيـن إذا حصلت به هذه الغاية كما توهّم بعض المغوين من المعاصرين...

بل لابدّ أن يكون الغاية من الإمامة تحصيل ما به سعادة الدّارين كالغاية من الرّسـالة سوآء بسوآء وهي لا تتمّ إلّا أن يكون الإمام كـالنّبيّ صـلّى الله عـليه وآله وسـلّم مـعصوماً، وأحرص النّاس على الهداية، وأقربهم للإتّباع والانتفاع به في امـور الشّريـعة والآخـرة

وأحفظهم للحوزة وحقوق الرّعيّة وسياستها على النّهج الشّرعي، فلابدّ أن يكون الإمـام معياراً لجميع الفضآئل الأخلاقية، ومقياساً لجميع الكمـالات النّـفسانية، ومجـمعاً لجـميع المحامد... من العقل والفهم، من الرّأى والعلم، من الصّبر والحلم، من حسن الخلق والحزم، من الزّهد والكرم، من العدل والشّجاعة، من التقوى والصّلابة، من الوقـار والعـفّة، ومـن التّدبير والسّياسة الشّرعيّة وما إليها ليكون أقرب للاتباع له، وتسليم النّفوس له، والاقتفآء لآثاره، فيحصل لهم مع حفظ الحوزة، السّـعادة بـكمال الايمـان وشرف الفـضآئل وخـير الدّارين، وهي الغاية من الرّسالة.

وهذه الغاية لا يمكن تحصيلها إلّا أن يختار الله جلّ وعلا لعباده من ينوء بأعبآء الإمامة ويمثّل الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في كلّ الوظآئف، ويعمّ تبليغ الشّريعة بلطيف بـيانه، ويزيح الشّبه بقويم برهانه، ويجلى الظّلم بعرفانه، ويدفع عن الدّين عادية المعتدين بسيفه، ويقيم الأمت والعوج بيده ولسانه... وعلى هذا.

فكيف يجوز توكيل أمر الإمامة إلى أفراد الامّة أو إلى أهل الحلّ والعقد منهم أو حتّى إلى الواحد منهم كما تعتقده العامّة تبعاً للمشركين العرب في أمر الرّسـالة، ولابـدّ وأن يكـون الإمام كالرّسول مكتنفاً بشرائط بعضها من النفسيّات الخفيّة، والملكات الّتي لا يعلمها إلّا العالم بالسّرائر والخفايا... كالعصمة والقداسة الرّوحـية، والنّزاهـة النّـفسيّة لتـبعده عـن الأهوآءِ والشّهوات، والعلم الّذي لا يضلّ معه في شيء من الأحكام إلى كثير من الأوصاف الّتي تقوم بها النّفس ولا يظهر في الخارج منها إلّا جزئيّات من المستصعب الحكم باستقرآئها على ثبوت كلّيّاتها... و «الله يعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤) «وربّك يعلم مـا تكـنّ صدورهم وما يعلنون» القصص: ٦٩).

فالامّة المنكفىء علمها عن الغيوب لا يمكنها تشخيص من تحلّى بتلك الصّفات، فالغالب على خيرتها الخطأ، فإذا كان نبيّ كموسى عليه السّلام تكون وليدة اختياره من الآلاف المؤلّفة سبعين رجلاً، وانّهم لمّا بلغوا الميقات قالوا: «لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة» البقرة: ٥٥).

فما ظنّك بأفراد عاديّين واختيارهم، وأُناس ماديّين وانتخابهم، وما عساهم أن ينتخبوا غير أمثالهم ممّن هو وإيّاهم سواسية كأسنان المشط في الحاجة إلى المسدّد، بل يـقع غـالباً

انتخابهم على عآئث، أو يكون إلتياثهم بمشاغب، أو يكون انثيالهم وراء من يسرّ على الامّة حسواً في ارتغآء أو يقع اختيارهم على جاهل يرتبك في الأحكام فيرتكب العظام، ويأتي بالجرائم، ويقترف المآثم، وهو لا يعلم أو يعلم ولا يكترث لأن يقول زوراً، ويحكم غـروراً فيفسدوا من حيث أرادوا أن يصلحوا، وينحطّوا من حـيث أرادوا أن يـكملوا، فـيقعوا في الهلكة من حيث لا يشعرون كما رأينا في زماننا هذا!

فأنّى تسوغ أن تكون للخلق خيرة في أمر الإمـامة وانـتخابها، مـع شـيوع الغـايات والأغراض والدّعاوي والميول والأهوآء والشّهوات في النّاس حول الانتخاب مع اختلاف الأنظار وتضارب الآرآءِ والمعتقدات في تحليل نفسيّات الرّجال والشّخصيّات البارزة مع كثرة الأحزاب، والفرق والأقوام والطّوآئف المتشاكسـة مـع شـقاق القـوميّة والطّـائفيّة والشّعوبيّة الذّايع الشّايع في المسكين ابن آدم من أوّل يومه.

وتوهّم بعض المعاصرين: «نجد في القوانين الحديثة نصّاً بضرورة اشتراك المواطـن في الانتخابات الرّئاسية ونحوها. وقد سبق الإسلام إلى ذلك حيث ورد في الحديث الشّريف: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» مدفوع بنصّ الكتاب والسّنّة والعـقل وماكان انتخاب أبي بكر باجماع الامّة قطّ، وإنّماكان بانتصاب قرينه عمر بن الخطاب، ومعه عميله أبوعبيدة الجرّاح الحفّار، كيف كان بالإجماع وقد تخلّف عن البيعة بنو هاشم كعليّ بن أبيطالب عليه السّلام والعبّاس وغيرهما من سآئر بني هاشم، وتخلّف عنها كـبار الصّـحابة الصّادقون كسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بـن الأسـود، وعـمّار بـن يـاسر، وحذيفة اليمان، واسامة بن زيد، والزّبير، وخزيمة بن ثابت، وأبي بريدة الأسلمي، والبراء بن عازب، وابيّ بن كعب وبلال الحبشي، وأبي أيّوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وسهل بن حنيف وسعد بن عبادة، وقيس بن سعد، وخالد بن سعيد، وغيرهم من الكبار الصّادقين.

وقد كان تخلّف عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وحده عن هذه البيعة كافياً للطّعن على ذلك الإجماع لو ادّعاه أحد، فإنّه عليه السّلام المرشح الوحيد للخلافة من قبل النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم على فرض عدم وجود النّصّ المباشر عليه.

في كتاب ثمّ اهتديت للدكتور محمد التيجاني السّماويّ ـ وهو مـن مـتفكّرى العـامة المعاصرين ـ استبصر أخيراً قال: «وإنّما كانت بيعة أبي بكر عن غير مشورة بل وقعت على حين غفلة من النّاس، وخصوصاً أولي الحلّ والعقد منهم كما يسمّيهم علمآء المسـلمين إذ كانوا مشغولين بتجهيز الرّسول صلّى الله عليه وآله وسـلّم ودفنه، وقد فوجىء سكّان المدينة المنكوبة بموت نبيّهم وحملوا النّاس على البيعة بعد ذلك قهراً كما يشعرنا ذلك من تهديدهم بحرق بيت فاطمة إن لم يخرج المتخلّفون عن البيعة، فكيف يجوز لنا بعد هذا أن نـقول بأن البيعة كانت بالمشورة وبالإجماع.

وقد شهد عمر بن الخطّاب نفسه بأنّ تلك البيعة كانت فلتة وقى الله المسـلمين شرّهـا وقال: فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه أو قال: فمن دعا إلى مثلها فلا بيعة له ولمن بايعه.

ويقول الإمام عليّ عليه السّلام في حقّها: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وأنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى ينحدر عنّي السّيل ولا يـرقى إليّ الطّـير...» الخـطبة الشقشقيّة.

## ﴿انتقام الله تعالى من أعداءِ الذّين بعليّ بن أبيطالب عليه السّلام﴾

قال الله عزّوجلّ: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» الزخرف: ٤١).

وقد أوردنا روايات عديدة عن طريق العامّة في بحث «النّزول» من تفسير هذه السورة أنّ الآية الكريمة نزلت في عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فراجع.

**في كتاب خصائص الوحي المبين:** قال يحيى بن الحسن بن البطريق: «واعلم أنّ هذا الفصل قد جمع من الوحي العزيز أشيآء كلّ واحد منها يوجب لمولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب صلّى الله عليه ولاء الامّة وفقد النّظير.

**منها:** قوله تعالى: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» ومن أخبر الله سبحانه عنه أنّه مع ذهاب نبيّه يقوم مقامه في استيفآءِ حقّه تعالى ممّن كفر وأشرك، وأنّه قد شرك نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم في الانتقام من أعدائه تعالى وذلك هو السّبب في إقامة دين الله تعالى، وما يشرك النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في ذلك ويقوم مقامه إلّا من قام مقامه في ولآء الأُمّة بعده بدليل لفظ القرآن العزيز».

**وفي نهج الحقّ وكشف الصّدق** للعلامة الحلّيّ رضوان الله تعالى عليه قال: «الحادية والسّبعون ـ من الآيات النّازلة في عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ـ: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» قال ابن عبّاس: بعليّ عليه السّلام».

قال الفضل بن رزبهان العامّي ردّاً على العلّامة: «لا يظهر ربطه بعليّ إذ المراد من الّذين

ينتقم منهم هم الكفّار، وعليّ لم يحارب الكفّار بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وإن أراد البغاة فالآية ليست نازلة في شأنهم كما يدل السّابق واللاّحق من الآية على أنّها نـزلت في شأن الكفّار، وإن صحّ فلا يدلّ على المدّعىٰ».

**في فضآئل أمير المؤمنين** وإمامته من دلائل الصّدق قال ـ ردّاً على هذا العـامّي ـ: «هذا ممّا نقله أيضاً في ينابيع المودّة في (الباب السّـادس والعـشرين) عـن أبي نـعيم عـن حذيفة بن اليمان. وقال السّيوطي في الدّرّ المنثور: «أخرج ابن مردويه عن جابر عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذه الآية: نزلت في عليّ بن أبيطالب أنّـه يـنتقم مـن النّـاكـثين والقاسطين بعدي»».

فهذه الرّواية صريحة في نزول الآية بانتقام عليّ عليه السّـلام من البغاة كما هـو مـقتضى الأخبار الأُخر. وأمّا ما زعمه الفضل من أنّ المراد من الّذين ينتقم منهم هم الكفّار بدعوى دلالة ما سبق على الآية وما لحقها عـلى ذلك فـمنوع لشـمول هـذه الآيـات للكـافرين والمنافقين قال تعالى في سورة الزّخرف: «ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وانّهم ليصدّونهم عن السّبيل ويحسبون أنّهم مهتدون حتّى إذا جآءنا قال يـاليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن يـنفعكم اليـوم إذ ظـلمتم أنّكـم في العـذاب مشتركون أفأنت تسمع الصّمّ أو تهدى العمى ومن كان في ضلال مبين فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون أو نرينّك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون».

فإذا كان لفظ الآيات شاملاً للكافرين والمنافقين، وكان صالحاً لتـخصيصه بـالمنافقين لدليل خاصّ كسآئر العمومات فقد صحّ لتلك الأخبار أن يراد بالآيات الخـصوص، وأن يكون المراد بضمير الغيبة في قوله تعالى: «فإنّا منهم منتقمون» هو المـنافقون، لا سـيّما مـع التّصريح في رواية جابر المذكورة بالانتقام من النّاكثين والقاسطين، فإنّهم وسآئر البغاة على عليّ عليه السّلام أعداء مبغضون له، وقد استفاضت الأخبار كما مرّ مراراً أنّ بـغضه عـلامة النّفاق، فإذا كان عليّ عليه السّلام هو الّذي وعد الله سبحانه بالانتقام به بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بمقتضى تلك الأخبار كان هو الإمام لأنّ قيامه مقام النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما هو أنسب بعمل الخلفآء والأئمّة ظاهر في إمامته بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ولو سلّم أنّ الآيات نازلة بالكافرين فالبغاة على أمير المؤمنين عليه السّلام منهم لإنكارهم لإمامته، والإمامة من اصول الدّين كما هو الحقّ، ولقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «حربك حربي) وقوله سبحانه: «من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبونه...» الآية فإنّها نازلة بعليّ عليه السّلام ومن حاربه كما سبق، إلى غير ذلك من الأدلّة الدّالة على كفرهم ولو حكماً في الجملة».

وفي الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السّلام للشّيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه قال: «ويؤيّد ذلك إنذار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قريشاً بقتال أمير المؤمنين عليه السّلام لهم من بعده حيث جآءه سهيل بن عمرو في جماعة منهم، فقالوا: يامحمّد إنّ أرقّآءنا لحقوا بك فارددهم علينا؟

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لتنتهنّ ـ يامعشر قريش ـ أو ليبعثنّ الله عليكم رجلاً يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله» فقال له بعض أصحابه: من هو ـ يارسول الله ـ أبو بكر؟ فقال: لا، فقال: فعمر؟ فقال: لا، ولكنّه خاصف النّعل في الحجرة» وكان عليّ عليه السّلام يخصف نعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحجرة.

رواه جماعة من أعاظم العامة وحملة آثارهم.

**منهم:** الترمذى في (صحيحه: ج ٥ ص ٦٣٤).

**ومنهم:** أحمد فى (مسنده: ج ٣ ص ٨٢).

**ومنهم:** الحاكم في (المستدرك: ج ص ١٢٥ و ١٣٧).

**ومنهم:** البيهقى في (دلائل النّبوّة: ج ٦ ص ٤٣٥).

**ومنهم:** ابن المغازلي في (المناقب: ص ٤٣٨ ـ ٤٤٠).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمير المؤمنين عليه السّلام: «تقاتل بعدي النّاكثين والقاسطين والمارقين» كما في (مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٣٩) وفي (أسد الغابة: ج ٤ ص ٣٣) و (تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ١٨٧) و (مجمع الزّوائد: ج ٦ ص ٢٣٥) و (فرائد السّمطين: ج ١ ص ٢٨٢) و (الطرائف: ص ١٠٤) و (مناقب الخوارزمي: ص ١٢٢ و ١٢٥).

وقول الله عزّوجلّ: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» وهي في قراءة عبد الله بن

مسعود: منهم بعليّ منتقمون. وبذلك جآء التّفسير عن علمآءِ التأويل.

قال الشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه: «وإذا كان الأمر على ما وصفناه ولم يجر لأبي بكر وعمر في حياة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ما ذكرناه فقد صحّ أنّ المراد بمن ذكرناه أمير المؤمنين خاصّة على ما بيّنّاه».

## ﴿بعثة الأنبيآء على ولاية عليّ المرتضىٰ عليهم صلوات الله﴾

قال الله تعالى: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا» الزّخرف: ٤٥).

واعلم أنّ الرّوايات الواردة عن الفريقين كثيرة جدّاً لا يسعها المقام، ونحن على جناح الاختصار، فنشير إلى نبذة منها...

أمّا العامّة فروى نقلة آثارهم في أسفارهم روايات في المقام...

**منهم:** ما رواه الحافظ سليمان القندوزي الحنفيّ في (ينابيع المودّة ـ الباب الخامس عشر: ص ٨٢) موفق بن احمد والحمويني وأبو نعيم الحافظ بأسانيدهم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لمّا عرج بي إلى السّمآء انتهى بي السّير مع جبرئيل إلى السّمآءِ الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر، فقال جبرئيل: هذا البيت المعمور قم يامحمّد فصلّ إليه قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم جمع الله النبيّين، فصفّوا ورآئي صفّاً، فصلّيت بهم، فلمّا سلمت أتاني آتٍ من عند ربّي، فقال: يامحمّد ربّك يقرؤك السّلام، ويقول لك: سل الرّسل على ما ارسلتم من قبلك، فقلت: معاشر الرّسل على ماذا بعثكم ربّي قبلي؟ فقالت الرّسل: على نبوّتك وولاية عليّ ابن أبيطالب وهو قوله تعالى: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا...» الاية. أيضاً رواه الدّيلمي عن ابن عبّاس.

رواه جماعة منهم بأسانيد عديدة على اختلاف يسير:

١ ـ الحاكم في آخر النوع (٢٤) من كتاب (معرفة علوم الحديث ص ٩٦ و ١١٩)

باسناده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ياعبد الله أتاني ملك فقال: يامحمّد سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قال: قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب».

٢ ـ الحسكاني في (شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٥٦ ط بيروت) رواه بأسانيد...

٣ ـ الحافظ الگنجي الشّافعي في (كفاية الطالب: ص ٢٥).

٤ ـ الخوارزمي في (المناقب: ١٢١).

٥ ـ الطبرى في (ذخائر العقبى: ص ٦٩) وقال: أخرجه الملأ في سيرته.

٦ ـ الحافظ أبو بكر في (مجمع الزّوائد: ج ٩ ص ١٠٨).

٧ ـ الحمويني في (فرائد السّمطين جزء ٣٢).

٨ ـ البدخشي في (مفتاح النجا: ص ٤١).

**ومنهم:** السّيوطي الشّافعي في (الدّرّ المنثور) عن سعيد بن جبير في قوله: «واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا» قال: ليلة اسرى به لقى الرّسل.

**وفيه:** عن ابن زيد في قوله: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا» قال: جمعوا له ليلة اسرى به ببيت المقدس.

**ومنهم:** النيشابورى في تفسيره (غرائب القرآن) عن ابن مسعود أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: أتاني ملك، فقال: يامحمّد سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا علام بعثوا؟ قال: قلت: علام بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبيطالب رضى الله عنه. رواه الثّعلبي ولكنّه لا يطابق قوله سبحانه: «أجعلنا...» الآية.

**أُجيبَ عنه بوجوه: الأوّل:** أن يكون على سبيل الاختصار بجزء الكلام، فإنّ السّئوال على بعض الأخبار كان عن التّوحيد والنّبوّة والولاية، فقوله: «أجعلنا» بيان لسئوال التّوحيد وطوى الأخيران وخفيا، فبيّنهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومثله كثير في الآيات القرآنيّة، فإنّ كثيراً ما يذكر جزء من القصّة في موضع وجزء منها في موضع آخر، ونظيره قوله: «ألست بربّكم» ومحمّد نبيّكم وعليّ إمامكم؟ كما مرّ. وأمّا الأخبار الّتي اقتصر فيها على الأخيرين فإنّما اكتفى فيها بذكر ما لم يذكر في الآية

الكريمة لعدم الحاجة إلى ذكر ما هو مصرّح فيها.

الثّاني: أن يكون ما ذكر في الآية إشارة إلى الشّهادات الثّلاث تصريحاً وتلويحاً، فأمّا دلالته على الشّهادة بالوحدانيّة فظاهر، وأمّا الأخيرين فلأنّ نصب خلفآء الجور ومتابعتهم في مقابلة أئمّة الحقّ نوع من الشّرك، وطاعة من نهى الله عن طاعته نوع من عبادة غير الله كما قال الله تعالى: «أن لا تعبدوا الشّيطان» وقال: «اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» وقال: «أرأيت من اتّخذ إلهه هواه» ومثل ذلك كثير.

الثّالث: أن يكون الجعل في الجملة الإستفاميّة: «أجعلنا» بمعنى الحكم كما صرّح به النيشابورى إذ قال: «ومعنى الجعل التّسمية والحكم» ويكون الجملة حكاية عن قول الرّسول صلوات الله عليهم، وتأكيداً لما أُضمر في الكلام من الإقرار ببعثهم على الشّهادة المذكورة بأن يكون المعنى أنّ الشّهادة المذكورة لا يمكن التّوقّف فيها إلّا لمن جعل من دون الرّحمن آلهة يعبدون، ونظير هذا الإضمار واقع في القرآن في قوله تعالى: «أنا أُنبّئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيّها الصّدّيق أفتنا» غاية الأمر أن يكون ما نحن فيه من الآية لخفآءِ القرينة على تعيين المحذوف من المتشابهات الّتي لا يعلم معناها إلّا بتوفيق من الله تعالى على لسان رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

الرّابع: أن تكون هذه ولاية التّوحيد الكامل، وعلى ضوئها ولاية الرّسالة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم والولاية العلويّة عليه السّلام.

ومنهم: أبو نعيم الإصبهاني في (حلية الاوليآءِ) في تفسير هذه الآية: «أنّه لما اسري برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأحضرت الرّسل عنده قال الله تعالى: يامحمد! سلهم بماذا بعثكم الله؟ قالوا: بشهادة أن لا إله إلّا الله والإقرار بنبوّتك وبولاية عليّ عليه السّلام. (كفاية الخصام: ص ٣٤٨).

في نهج الحقّ للعلّامة الحلّي رضوان الله تعالى عليه: «آية على ماذا بعث الأنبيآء - السّادسة عشر - من الآيات النّازلة في عليّ بن أبيطالب عليه السّلام - روى ابن عبد البرّ وغيره من السّنّة في قوله تعالى: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا» قال: إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة أُسري به جمع الله بينه وبين الأنبيآء ثمّ قال له: سلهم يامحمد على ماذا

بُعثتم؟ قالوا: بُعثنا على شهادة أن لا إله إلّا الله وعلى الإقرار بـنبوّتك والولايـة لعـليّ بـن أبيطالب عليه السّلام.

**وقال الفضل بن رزبهان العامّي** ـ ردّاً على العلامة رحمة الله تعالى عليه: «ليس هذا من رواية أهل السّنّة وظاهر الآية آبٍ عن هذا لأنّ تمام الآية: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون» والمراد أنّ إجماع الأنبيآءِ واقع على وجـوب التّوحيد ونفي الشّرك هذا مفهوم الآية، وهذا النّقل من المناكير، وإن صحّ فلا يثبت به النّصّ الّذي هو المدّعى لما علمت أنّ الولاية تطلق على معانٍ كثيرة» إنتهى كلامه.

**أقول:** وكلامه مدفوع بما سبق آنفاً وما يأتي...

ولا يخفى على من له طيب الولادة، دلالة الرّوايات الواردة عن طريق العامة وحده بل صراحتها على إمامة مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فضلاً عمّا ورد عن طريق شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وذلك أنّ بعث الأنبياء والمرسلين عليهم السّلام وأخذ الميثاق عليهم في القديم بولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّـلام وجعلها محلّ الاهتمام العظيم في قـرن أصـلى الدّيـن: التّوحيد والنّبوّة لا يمكن أن يراد بها إلّا إمامة من له الفضل على الامّة أجمعين بل فضله على المرسلين كلّهم كفضل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كما سيأتى... فلا يـضرّ حـينئذ إطـلاق الولاية على معانٍ كثيرة بعد هذه القرينة الصّريحة في إرادة الإمامة.

وأمّا ابن رزبهان العامّي وأضرابه... فنحن شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لن نتوقّع منهم التّصديق والقبول... فإنّهم وجدوا أسلافهم على مخـالفة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته أو لم يكن عمر بن الخطّاب وهو أربابهم قآئـلاً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين احتضاره وهو الّذي قال الله تعالى فيه: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى» النّجم: ٣ ـ ٤): «إنّ هذا الرّجل ليهجر»؟ وإنّ ابن رزبهان العامّي وأذنابه على آثار أسلافهم مقتدون. قال الله عزّوجلّ فيهم وفي أسلافهم: «ألم تر إلى الّذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطّاغوت ويقولون للّذين كفروا هـؤلآء

أهدى من الّذين آمنوا سبيلاً» النساء : ٥١) وقال: «وقيله يارب إنّ هؤلآء قوم لا يـؤمنون» الزخرف : ٨٨).

**إن تسئل:** انّ الآية الكريمة لم تذكر النّبوّة والإمامة، بل ولا الإرسال بشهادة أن لا إله إلّا الله، فإنّها تقول: «أجعلنا» ولم تقل: «أأرسلناهم» بالشّهادة؟

**تجيب عنه:** انّ الاستفهام في الآية الكريمة تقريريّ بمعنى تقرير الرّسل عن أمر ثـابت عندهم نفيه وهو جعل آلهة من دون الرّحمن يعبدون، ولكن لمّا كان المناسب لتقرير الرّسل بما هم رسل هو تقريرهم عمّا ارسلوا به، كان الظّاهر إرادة تقريرهم عن ذلك بما هم رسـل بنفيه، وهو راجع إلى الإرسال بالشهادة بالتّوحيد، فصحّ ما أفادته الرّوايات من أنّ المـراد بالآية الكريمة السّئوال عمّا بعث به الرّسل من الشّهادة بالوحدانيّة، ولمّا كـان بـعثهم بهـذا معلوماً لمن آمن بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يحسن أن يراد أنه يقرّرهم بـه خاصّة، بل ينبغي أن يراد تقريرهم به بضميمة ما لا يعلمه المؤمنون خاصّة والامّة عـامّة إقرار المرسلين به لعدم علم الامّة بإرسال الرّسل عليه ـ وإن كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومون عليهم السّلام عالمين به ـ وهو الّذي صرّحت به الرّوايات أعني إرسال الرّسل على نبوّة سيّد المرسلين وإمامة أمير المؤمنين عليهم صلوات الله أجمعين إتماماً للحجّة على الامّة، وحسماً لاعتذارهم بعدها.

وإنّما لم تذكره الآية الكريمة إكتفاءً بذكر الأصل وهو البعث على الشّهادة بالتّوحيد، كما أنّ بعض الرّوايات اكتفت بذكر نبوّة نبيّنا وإمامة وليّنا لأنّهما الدّاعي إلى السّئوال والتّقرير مع وضوح بعثهم على الشّهادة بالوحدانيّة لكونه الأصل، ولذكر الآية الكريمة له. فما أعظم قدر نبيّنا الأطيب وأخيه الأطهر عند الله عزّوجلّ حتّى ميّزهما على جميع عباده وأكرمهما ببعث الرسل الأكرمين على الإقرار بفضلهما ورسالة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وإمـامة عـليّ عليه السّلام وأخذ الميثاق عليهم بهما مع الشّهادة بالوحدانيّة، فحقّ لذرّيّتهما أن يفتخروا بما افتخر الشّريف الرّضيّ به وهو قول الفرزدق:

اولئك آبآئي فجئني بـمثلهم ... إذا جمعتنا ياجرير المجامع

**وأمّا الرّوايات الواردة** عن طريق شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله

عليهم أجمعين فكثيرة جدّاً لا يسعها مقام الاختصار، فنشير إلى نبدة منها:

**في تفسير القمّي:** بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي الرّبيع قال: حججت (حججنا خ) مع أبي جعفر عليه السّلام في السّنة الّتي (كان خ) حجّ فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع بن الأزرق مولى عمر بن الخطّاب، فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السّلام في ركن البيت، وقد اجتمع عليه النّاس فقال (نافع خ) لهشام: ياأمير المؤمنين من هذا الّذي تتكافأ (قد تداكّ خ) عليه النّاس؟ فقال: هذا نبيّ أهل الكوفة، هذا محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبيطالب عليهم السّلام فقال (نافع: أشهد خ): لآتينّه فلأسئلنّه عن مسآئل لا يجيبني فيها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ أو ابن وصيّ نبيّ، فقال هشام: فاذهب إليه فسله، فلعلّك أن تخجله، فجآء نافع و (حتّى خ) اتّكأ على النّاس ثمّ أشرف على أبي جعفر عليه السّلام فقال:

يامحمّد بن عليّ إنّي قد قرأت التّوراة والإنجيل والزّبور والفرقان، وقد عرفت حلالها وحرامها، وقد جئت أسئلک (عن خ) مسآئل لا يجيبني فيها إلّا نبيّ أو وصي نبيّ أو ابن وصيّ نبيّ (قال خ:) فرفع (إليه خ) أبو جعفر عليه السّلام رأسه، فقال: سل (عمّا بدا لك خ) فقال: أخبرني كم بين عيسى و (بين خ) محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من سنة؟ فقال: أُخبرك بقولي أو بقولك؟ قال: أخبرني بالقولين جميعاً، فقال: أمّا بقولي فخمسمأة سنة، وأمّا بقولك فستمأة سنة، قال: فأخبرني عن قول الله عزّوجلّ لنبيّه: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون» من ذا الّذي سئل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان بينه وبين عيسى خمسمأة سنة؟

قال: فتلا أبو جعفر عليه السّلام هذه الآية: «سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّذي باركنا حوله لنريه من آياتنا» فكان من الآيات الّتي أراها الله (تبارك وتعالى خ) محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم حين (حيث خ) أسرى به إلى بيت المقدس أن حشر الله الأوّلين والآخرين من النّبيّين والمرسلين، ثمّ أمر جبرائيل، فأذّن شفعاً وأقام شفعاً، ثمّ قال في إقامته (وقام في أذانه خ): حيّ على خير العمل، ثمّ تقدّم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وصلّى بالقوم فأنزل الله عليه: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون» فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما تشهدون

وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذت على ذلك مواثيقنا وعهودنا: قال نافع: صدقت يابن رسول الله ياأبا جعفر أنتم والله أوصيآء رسول الله وخلفاؤه في التّوراة وأسمآؤكم في الإنجيل، وفي الزّبور وفي القرآن وأنتم أحقّ بالأمر من غيركم».

**وفي الاحتجاج** ـ في احتجاج عليّ بن أبيطالب عليه السّلام على زنديق في آي متشابهة ـ حديث طويل ـ إلى أن قال الزّنديق ـ: «وأجده يقول: «واسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا» فكيف يسئل الحيّ من الأموات قبل البعث والنّشور؟ ـ فأجاب عنه الإمام عليّ عليه السّلام ـ وأمّا قوله: «واسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا» فهذا من براهين نبيّنا الّتي آتاه إيّاها، وأوجب به الحجّة على سآئر خلقه لأنّه لمّا ختم به الأنبيآء، وجعله الله رسولاً إلى جميع الامم، وسآئر الملل، خصّه الله بالارتقآء إلى السّمآء عند المعراج وجمع له يومئذ الأنبيآء، فعلم منهم ما ارسلوا به وحملوه من عزآئم الله وآياته وبراهينه، واقرّوا أجمعون بفضله، وفضل الأوصيآء والحجج في الأرض من بعده وفضل شيعة وصيّه من المؤمنين والمؤمنات الّذين سلموا لأهل الفضل فضلهم، ولم يستكبروا عن أمرهم، وعرف من أطاعهم وعصاهم من امهم، وسآئر من مضى ومن غبر، أو تقدّم أو تأخّر.

**وفي البحار** ـ باب ما ورد عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في أصناف آيات القرآن وأنواعها ... حديث طويل ـ إلى أن قال عليه السّلام : «ولمّا الرّدّ على من أنكر المعراج فقوله تعالى: «وهو بالافق الأعلى ثمّ دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ـ إلى قوله ـ عندها جنّة المأوى» فسدرة المنتهى في السّمآء السّابعة، ثمّ قال سبحانه: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون» وإنّما أمر رسوله أن يسئل الرّسل في السّمآء...» ـ إلى أن قال ـ: ولمّا اُسري برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى السّمآءِ الرّابعة ودخل إلى بيت المعمور جمع الله عزّوجلّ له من النّبيّين من آدم فهلمّ حتّى صلّى بهم، قال الله تعالى: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون» وفي هذا مقنع لمن تأمّله.

**وفي كشف اليقين**: بالإسناد عن الحضرميّ عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: أتى رجل

إلى أمير المؤمنين عليه السّلام وهو في مسجد الكوفة، وقد احتبى بحمآئل سيفه، فقال: ياأمير المؤمنين إنّ في القرآن آية قد أفسدت عليّ ديني وشكّكتني في ديني، قال: وما ذاك؟ قال: قول الله عزّوجلّ: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون» فهل كان في ذلك الزّمان نبيّ غير محمّد فيسئله عنه؟ فقال له أمير المـؤمنين عـليه السّـلام : اجلس اُخبرك به إن شآء الله.

إنّ الله عزّوجلّ يقول في كتابه: «سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّذي باركنا حوله لنريه من آياتنا» فكان من آيات الله الّتي أراها محمّداً أنّه انتهى به جبرئيل إلى البيت المعمور وهو المسجد الأقصى، فلمّا دنا منه أتى جـبرئيل عـيناً فتوضّأ منها ثمّ قال: يامحمّد توضّأ، ثمّ قام جبرئيل فأذّن ثمّ قال للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : تقدّم فصلّ واجهر بالقراءة فإنّ خلفك اُفقاً من الملآئكة لا يعلم عدّتهم إلّا الله جلّ وعزّ، وفي الصّفّ الأوّل آدم ونوح وإبراهيم وهود وموسى وعيسى، وكلّ نبيّ بعث الله تبارك وتعالى منذ خلق الله السّموات والأرض إلى أن بعث محمّداً، فتقدّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فصلّى بهم غير هائب ولا محتشم، فلمّا انصرف أوحى الله إليه كلمح البصر : سل يامحمّد من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون».

فالتفت إليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بجميعه فقال: بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّك رسول الله وأنّ عليّاً أميرالمؤمنين وصـيّك، وأنّك رسول الله سيّد النّبيّين وأنّ عليّاً سيّد الوصيّين، اُخِذت على ذلك مواثيقنا لكما بـالشّهادة، فقال الرّجل: أحييت قلبي وفرّجت عنّي ياأمير المؤمنين».

**وفي كنز الفوائد:** بالإسناد عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لمّا عرج بي إلى السّمآء وانتهيت في المسير مع جبرئيل إلى السّمآءِ الرّابعة، فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر فقال لي جبرئيل: يامحمّد هذا البيت المعمور خلقه الله قبل خـلق السّـموات والأرض بخمسين ألف عام، فصلّ فيه فقمت للصّلاة، وجمع الله النّبيّين والمرسلين، فصفّهم جبرئيل فصلّيت بهم، فلمّا سلّمت أتاني آتٍ من عند ربّي، فقال: يامحمّد ربّك يقرؤك السّلام، ويقول لك: سل الرّسل: على ما اُرسلتم من قبلي؟ قلت: معاشر الأنبيآء والرّسل على ماذا

بعثكم ربّي قبلي؟ قالوا: على ولايتك وولاية عليّ بن أبيطالب، وذلك قوله: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا».

**وفي البرهان:** بالإسناد عن محمّد بن عبد الرّحمن عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ولايتنا ولاية الله الّتي لم يبعث الله نبيّاً قطّ إلّا بها».

**وفيه:** عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السّلام قال: «ولاية عليّ عليه السّلام مكتوبة في جميع صحف الأنبيآء ولن يبعث الله رسولاً إلّا بنبوّة محمّد ووصيّه عليّ عليه السّلام».

**وفيه:** بالإسناد عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام عن أبيه عن جدّه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما قبض الله نبيّاً حتّى أمره الله أن يوصي إلى أفضل عشيرته من عصبته، وأمرني أن اوصي، فقلت: إلى من يا ربّ؟ فقال: اوص يا محمّد إلى ابن عمّك عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فإنّي قد أثبتّه في الكتب السّالفة وكتبت فيها أنّه وصيّك، وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيآئي ورسلي أخذت مواثيقهم لي بالرّبوبيّة ولك يا محمّد بالنّبوّة، وبعليّ بن أبيطالب بالولاية».

**وفي خصآئص الوحي المبين:** قال يحيى بن الحسن بن البطريق: «وأعلم أنّ هذا الفصل قد جمع من الوحي العزيز أشيآء كل واحد منها يوجب لمولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب صلّى الله عليه ولآء الامّة وفقد النّظير ـ إلى أن قال ـ ومنها قوله سبحانه وتعالى: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا» وكان جواب الرّسل صلّى الله عليهم الإقرار بالله تعالى، وبالنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وبولاية مولانا أمير المؤمنين صلّى الله عليه فما بعد هذا بيان يلتمس لأنّه تعالى قد كلّف رسله السّابقين بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الإقرار بولاية عليّ عليه السّلام بعد الإقرار بنبوّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وذلك كلّه بعد معرفة الله سبحانه وتعالى، فقد وجب له من الولآء ما وجب لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهذا مثل قوله تعالى: «إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون».

وكونها خاصّة به، وقد تقدّم اختصاصها به، وهذا أمر لا ينبغي أن يكون لأحد من

البشر سوى سيّد البشر محمّد فيجب أن يكون لعليّ عليه السّلام من الأمر مثله بدليل ألفاظ القرآن العزيز، فعدم في ذلك نظيره ووجب تفرّده بالسّيادة صلّى الله عليه.

ثمّ قال: وهذا بيّن لمن تأمّله:

بمديحه جعل الكتاب قلايدا    في جيد كلّ مـديحة غـرّآء
وبفضله ورد الكتاب مترجماً    عن قدره فـي ليـلة الإسـراء
وبفضله وبنصله اتّضح الهدى    والشّرك مـثل اللّـيلة اللـيلآء

أقول: وليس بين تلك الرّوايات تناف ـ كما توهّم ـ لوقوع الأمر بمواضع عديدة، مـن بيت المقدس تارة، والسّمآءِ الرّابعة تارة اخرى ... مع تكرّر المعراج وقد ورد أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أسرى به مأة وعشرون مرّة. فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تكن من الغافلين.

# ﴿الميثاق الإلهي من الأنبيآء لولاية عليّ المرتضى﴾

قال الله تعالى: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين» الأعراف: ١٧٢)

واعلم أنّ الرّوايات الواردة عن الفريقين كثيرة جدّاً لا يسعها مقام الاختصار، فنشير إلى نبذة منها:

**في ينابيع المودّة** ـ الباب الخامس عشر في عهد النّبيّ لعليّ عليه السّلام وجعله وصيّاً ـ عن طلحة بن زيد عن جعفر الصّادق عن آبآئه عن أمير المؤمنين عليّ عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما قبض الله نبيّاً حتّى أمره الله أن يوصى إلى أفضل عشيرته من عصبته وأمرني أن اوصى إلى ابن عمّك عليّ أثبتته في الكتب السّالفة، وكتبت فيها أنّه وصيّك وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق، وميثاق أنبيآئي ورسلي، وأخذت مواثيقهم لي بالرّبوبيّة، ولك يامحمّد بالنّبوّة ولعلي ابن أبيطالب بالولاية والوصيّة».

**وفي بصآئر الدّرجات:** بالإسناد عن عبدالغفّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله تعالى قال لنبيّه: «شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى» من قبلك «أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه» إنّما يعني الولاية «كبر على المشركين ما تدعوهم إليه» يعني كبر على قومك يامحمّد ما تدعوهم إليه من تولية عليّ عليه السّلام.

قال: إنّ الله قد أخذ ميثاق كلّ نبيّ وكلّ مؤمن ليؤمننّ بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليّ

وبكلّ نبيّ وبالولاية ثمّ قال لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده» يعنى آدم ونوحاً وكلّ نبيّ بعده».

**وفي كشف اليقين:** بالإسناد عن جابر الجعفى عن أبي جعفر عن أبيه عن جدّه أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لعليّ عليه السّلام: «أنت الّذي احتجّ الله به في ابتداءِ الخلق حيث أقامهم فقال: «ألست بربّكم»؟ «قالوا» جميعاً: «بلى» فقال: محمّد رسولي، فقالوا جميعاً: بلى فقال: وعليّ أمير المؤمنين، فقالوا جميعاً: لا استكباراً وعتوّاً عن ولايتك إلّا نفر قليل وهم أقلّ القليل وهم أصحاب اليمين».

**وفيه:** بالإسناد عن معروف بن خرّبوذ المكّيّ عن أبي جعفر عليه السّلام قال: لو يعلم النّاس متى سمّي عليّ أمير المؤمنين لم ينكروا حقّه، فقيل له: متى سمّي؟ فقرأ: «وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى» الآية قال: محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليّ أمير المؤمنين عليه السّلام».

**وفي تفسير القمّي:** حدّثني أبي عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السّلام قال: «إنّ رحم آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم معلّقة بالعرش، يقول: «اللهمّ صِل مَن وصلني، واقطع مَن قطعني، وهي تجري في كلّ رحم ونزلت هذه الآية: «الّذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق» وما عاهدهم عليه وما اخذ عليهم من الميثاق في الذّرّ من ولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام بعده وهو قوله: «الّذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق...».

ثمّ ذكر أعدآئهم فقال: «والّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه» يعني في أمير المؤمنين عليه السّلام وهو الّذي أخذ الله عليهم في الذّرّ وأخذ عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بغدير خمّ، ثمّ قال: «اولئك لهم اللّعنة ولهم سوء الدّار».

**وفي بصآئر الدّرجات:** بإسناده عن زرارة عن حمران عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أخذ الميثاق على اولى العزم: أنّي ربّكم ومحمّد رسولي، وعليّ أمير المؤمنين وأوصيآؤه من بعده ولاة أمري وخزّان علمي، وأنّ المهديّ أنتصر به لديني».

## ﴿مثل عليّ بن أبيطالب عليه السّلام في هـذه الامّـة مـثل عيسى ابن مريم عليه السّلام في النّصارى﴾

قال الله جلّ وعلا: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» الزّخرف : ٥٧) وقد أورد في المقام حفظة آثار العامّة وحملة أسفارهم روايات كثيرة بأسانيد عديدة صحيحة في مآخذهم المعتبرة عندهم، وما وقفت على ذلك من كتبهم إلى الآن نحو مأة كتاب وقد أشرنا إلى نبذة منها في بحث «النزول» وفي «البحث الرّوائيّ» من تفسير هذه السّورة فراجع ونشير إلى بعضها ههنا على طريق الإختصار:

١ ـ روى أحمد بن حنبل في (المسند: ج ١ ص ١٦٠ ط الميمنية بمصر) عن عليّ رضى الله عنه قال: قال لي النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: فيک مثل من عيسى أبغضته اليهود حتّى بهتوا امّه، وأحبّته النّصارى حتّى أنزله بالمنزلة الّتي ليس بـه، ثمّ قـال: يهـلك فيّ رجـلان: محبّ مفرط، يفرطني بما ليس فيّ، ومبغض بحمله شنآني على أن يبهتني».

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١ ـ الطّبري في (ذخائر العقبى: ص ٩٢ ط مكتبة القدسي بمصر) وفي (الرّياض النّضرة: ج ٢ ص ٢١٧ ط الخانجي بمصر).

٢ ـ الحمويني في (فرائد السّمطين).

٣ ـ السّيوطي في (تاريخ الخلفآء: ص ١٧٣ ط القضاء بمصر).

٤ ـ ابن حجر الهيتمي في (الصّواعق المحرقة: ص ٧٤ ط الميمنية بمصر).

٥ ـ البدخشي في (مفتاح النجا: ص ٦٤).

٦ ـ الصّبان في (اسعاف الرّاغبين) المطبوع بهامش (نور الأبصار: ص ١٧٧). وغيرهم تركناهم للإختصار.

٢ ـ روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب: ص ٢٢٧ ط تبريز) باسناده عن الأصبغ عن علي عليه السّلام قال: قال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ياعليّ فيك مثل عيسى بن مريم أحبّه قوم فهلكوا فيه، وأبغضه قوم فهلكوا فيه، فقال المنافقون: أما يرضى له مثلاً إلّا مثل عيسى! فنزل قوله تعالى: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون».

ونقل القندوزى الحنفى نحوه في (الينابيع في الباب الرّابع والأربعين) عن المناقب.

وقد استفاض ضرب المثل لعليّ بن أبيطالب عليه السّلام بعيسى بن مريم عليه السّلام في أخبارهم... حتّى روى في (مسند أحمد: ص ١٦٠ من الجزء الأوّل) وهى آخر صحيفة من مسند عليّ عليه السّلام من طريقين، ورواه النسآئي في (خصآئصه) والحاكم في (المستدرك من الجزءِ الثّالث: ص ١٢٣) وصحّحه ونقله ابن حجر في (الصّواعق) في الحديث العشرين من الأحاديث الواردة في فضل أمير المؤمنين عليه السّلام عن البزار وأبي يعلى، ونقله في (كنز العمّال: ج ٦ ص ١٥٨) عن أبي نعيم وغيره.

ولا ريب في صحّة ذلك حتّى لو لم ترد به رواية لشهادة الوجدان به، فإنّ النّصّاب لعليّ بن أبيطالب عليه السّلام الّذين هلكوا ببغضه كثيرون كالخوارج وبني اميّة وأذنابهم... كابن أبي الحديد وابن رزبهان وابن كثير الدّمشقي وأشباههم ممّن ألزموا أنفسهم من دون برهان بتأخيره عليه السّلام رتبة وفضلاً عمّن لا يقاس به علماً وعملاً، مخالفين لكتاب الله تعالى وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والعقل والإجماع، عاملين بفعل الإثنين: عمر بن الخطاب وأجيره أبوعبيدة الجرّاح الحفّار في السّقيفة السّخيفة الشّؤمة الموجبة لانحطاط المسلمين حتّى اليوم. ومن كلام مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السّلام للخوارج: «وسيهلك فيّ صنفان: مُحبٌّ مُفرِطٌ يذهب به الحبُّ إلى غير الحقّ، ومُبغضٌ مفرط يذهب به البُغض إلى غيرالحقّ، وخير النّاس فىّ حالاً النّمط الأوسط فالزموه» ومن حِكَمه عليه السّلام قال: «هلك فىّ رجلان: محبٌّ غالٍ، ومُبغضٌ قالٍ» ومن

حِكَمه عليه السّلام أيضاً قالَ: «يهلك فيّ رجلان: محبٌ مفرِطٌ وباهِتٌ مُفْتَر».

ولا يمكن أن تكون الإماميّة ممّن هلك بحبّه عليه السّلام لأنّ الرّوايات المشار إليها جعلت الهالكين بحبّه عليه السّلام من نحو الهالكين بحبّ عيسى عليه السّلام ومن المعلوم أنّ من هلك بحبّ عيسى عليه السّلام إنّما هو من قال بإلهيّته، فكذا من هلك بحبّ عليّ عليه السّلام مع أنّ المفهوم من الآية الكريمة أنّ الضّارب للمثل بعيسى عليه السّلام هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا قومه، وإنّما القوم هم صادّون عنه.

وممّا ذكر يعلم وجه الدّلالة على إمامة عليّ ابن أبيطالب عليه السّلام فإنّ ضرب المثل له بعيسى بن مريم دالّ على أنّه مثله في الفضل والمكانة عند الله عزّوجلّ بحيث كان بغضه هلاكاً فهو شبيه بعيسى بن مريم عليه السّلام في العظمة وفوق الامّة وإمامها، ولذا قال المنافقون لا يرى له مثلاً إلّا عيسى عليه السّلام مع أنّ الدّاعي للغلوّ فيه كالدّاعي للغلوّ بعيسى وهو ما صدر عنه من المعجزات وخوارق العادات والكرامات... ولا شكّ أنّ صدورها من شخص دون غيره دليل على كرامته عند الله تعالى وفضله على قومه، والأفضل محلّ الإمامة ودليل على أنّ إمامته من الله جلّ وعلا لاقتران معجزاته بدعوى الإمامة، ويكفيك من معجزاته أخباره بالمغيبات وردّ الشّمس له في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعده ومخاطبة الثّعبان له وغيرها من كراماته الباهرة الّتي لا تنكر.

**في نهج البلاغة:** قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «والله لو شئت أن اخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصّة ممّن يُؤمن ذلك منه، والّذي بعثه بالحقّ واصطفاه على الخلق ما أنطق إلّا صادقاً، ولقد عهد إليّ بذلك كلّه وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر...».

**في شرح ابن أبي الحديد:** قال: «فأقسم أنّه لو شآء أن يخبر كلّ واحد منهم من أين خرج وكيفيّة خروجه من منزله وأين يلج وكيفيّة ولوجه، وجميع شأنه من مطعمه ومشربه، وما عزم عليه من أفعاله وما أكله، وما ادّخره في بيته وغير ذلك من شئونه وأحواله لفعل وهذا كقول المسيح عليه السّلام: «وأُنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم» آل عمران: ٤٩)

قال عليه السّلام: إلاّ أنّي أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أى أخـاف عليكم الغلوّ في أمري، وأن تفضّلوني على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بل أخاف عليكم أن تدّعوا فيّ الإلهيّة، كما ادّعت النّصارى ذلك في المسيح لمّا أخبرهم بالامور الغآئبة.

ثمّ قال عليه السّلام: «ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصّة» أى مفضٍ به ومـودع إيّـاه خـواصّ أصحابي وثقاتي الّذين آمَنُ منهم الغلوّ، وأعلَمُ أنّهم لا يكفرون فيّ بالرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلمهم أنّ ذلك من إعلام نبوّته، إذ يكون تابع من أتباعه، وصاحب من أصحابه بلغ إلى هذه المنزلة الجليلة.

ثمّ أقسم قَسَماً ثانياً أنّه ما ينطق إلاّ صادقاً، وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عـهد بذلك كلّه إليه، وأخبره بمهلك من يهلك من الصّحابة وغيرهم من النّاس، وبمنجاة من ينجو وبمآل هذا الأمر يعني ما يفضي إليه أمر الإسلام وأمر الدّولة والخلافة».

٣ـ في شرح ابن أبي الحديد ـ من شرح خطبة (١٥٤) ـ: «الخبر السّادس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «والّذي نفسي بيده لولا أن تقول طوآئف من امّتي فيك مـا قـالت النّصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً: لا تمرّ بملإٍ من المسلمين إلاّ أخذوا التّراب من تحت قدميك للبركة» ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل في «المسند».

إنّ الرّوايات الواردة في المقام عن طريق العامّة كثيرة جدّاً تركناها رومـاً للاخـتصار، ونشير إلى نبذة ما ورد عن طريق شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عـليهم أجمعين.

**في الخصال:** بإسناده عن عامر بن واثلة في احتجاج أمير المؤمنين عـليه السّـلام يـوم الشّورى على النّاس قال: «نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: احفظ الباب، فإنّ زوّاراً من الملآئكة يزورونني، فلا تأذن لأحد، فجآء عمر فرددته ثلاث مرّات، وأخبرته أنّ رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسـلّم محـتجب وعـنده زوّار مـن الملآئكة، وعدّتهم كذا وكذا، ثمّ أذن له، فدخل، فقال: يارسول الله إنّي جئت غير مرّة (قـد جئتك ثلاث مرّات خ) وكلّ ذلك يردّني عليّ، ويقول: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم محتجب وعنده زوّار من الملآئكة وعدّتهم كذا وكذا، فكيف علم بالعدّة أعاينهم؟

فقال له: ياعليّ كيف علمت بعدّتهم؟ فقلت: اختلفت على التّحيّات وسمعت الأصوات فأحصيت العدد، قال: صدقت فإنّ فيك شبهاً من أخي عيسى، فخرج عمر وهو يقول: ضربه لإبن مريم مثلاً! فأنزل الله تعالى: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» قال: يضجّون «وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ولو نشآء لجعلنا منكم ملآئكة في الأرض يخلفون» غيرى؟ قالوا: اللهمّ لا.

وفي **التهذيب** ـ في الدّعآءِ المرويّ عن أبي عبد الله عليه السّلام بعد ركعتي صلاة الغدير ـ : «ربّنا قد أجبنا داعيك النّذير المنذر محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم عبدك ورسولك إلى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام الّذي أنعمت عليه، وجعلته مثلاً لبني إسرائيل أنّه أمير المؤمنين ومولاهم ووليّهم إلى يوم القيامة يوم الدّين، فإنّك قلت: «إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل»».

وفي **تفسير الفرات**: بالإسناد عن أحمد بن سليمان الفرقانيّ قال: قال لنا ابن المبارك الصّوريّ: لِمَ قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذرّ: ما أقلّت الغبرآء ولا أظلّت الخضرآء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ؟ ألم يكن النّبيّ أصدق؟ قال: بلى، قال: فما القصّة ياأبا عبد الله في ذلك؟ قال: كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في نفر من قريش إذا قال: يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل يشبه بعيسى بن مريم فاستشرفت قريش للموضع، فلم يطلع أحد، وقام النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لبعض حاجته إذاً طلع من ذلك الفجّ عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فلمّا رأوه قالوا: الارتداد وعبادة الأوثان أيسر علينا ممّا يشبّه ابن عمّه بنبيّ! فقال أبو ذرّ: يارسول الله إنّهم قالوا: كذا وكذا، فقالوا بأجمعهم: كذب وحلفوا على ذلك، فوجل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أبي ذرّ، فما برح حتّى نزل عليه الوحي: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» قال: يضجّون «وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل» فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما أظلّت الخضرآء ولا أقلّت الغبرآء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ».

قوله: «الفجّ»: الطّريق الواسع الواضح بين جبلين.

وفي كنز الفوائد: بالإسناد عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى قال: قال لي عليّ عليه السّلام: «مثلي في هذه الامّة مثل عيسى بن مريم، أحبّه قوم فغالوا في حبّه فهلكوا، وأبـغضه قـوم فهلكوا واقتصد فيه قوم فنجوا».

وفي أمالي الشيخ الطّوسي رضوان الله تعالى عليه بالإسناد عن عبيد الله بن عليّ عن الرّضا عن آبآئه عن عليّ عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ياعليّ إنّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم: أحبّه قوم فأفرطوا في حبّه فـهلكوا فـيه، وأبـغضه قـوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا فيه، واقتصد فيه قوم فنجوا».

وفي تفسير فرات الكوفي: بإسناده عن عمرو بن عمير عن أبيه قال: بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً إلى شعب فأعظم فيه العناء فلمّا أن جآء قال: ياعليّ قد بـلغني نبؤك، والّذي صنعت، وأنا عنك راضٍ، قال: فبكى عليّ عليه السّلام فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما يبكيك ياعليّ أفرح أم حزن؟ قال: بل فرح ومالي لا أفرح يارسول الله وأنت عنّي راضٍ، قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أما أنـا وإنّ الله ومـلائكته وجـبرئيل وميكائيل عنك راضون، أما والله لولا أن يقول فيك طوائف من امّتي ما قالت النّصارى في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك قـولاً لا تمـرّ بمـلاءٍ مـنهم قـلّوا أو كـثروا إلّا قـاموا إليك يأخذون التّراب من تحت قدميك يلتمسون في ذلك البركة، قال: فقال قريش: ما رضى حتّى جعله مثلاً لابن مريم! فأنزل الله تعالى: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» قال: يضجّون».

وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب السّروي المازندراني عن ابن عباس في قوله تعالى: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» قال: كان جبرئيل عليه السّلام جالساً عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن يمينه إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السّلام فضحك جبرئيل عليه السّلام فقال: يامحمّد هذا عليّ بن أبيطالب عليه السّلام قد أقبل، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ياجبرئيل وأهل السّموات يعرفونه؟ قال: يـامحمّد والّـذي بـعثك بالحقّ نبيّاً إنّ أهل السّموات لأشدّ معرفة له من أهل الأرض، ما كبّر تكبيرة في غزوة إلّا

كبّرنا معه، ولا حمل حملة إلّا حملنا معه، ولا ضرب بسيف إلّا ضربنا معه، يامحمّد إن اشتقت إلى وجه عيسى وعبادته وزهد يحيى وطاعته، وميراث سليمان وسخاوته فانظر إلى وجه عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وأنزل الله تعالى: «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً» يعني شبهاً لعليّ بن أبيطالب، وعليّ بن أبيطالب شبهاً لعيسى بن مريم «إذا قومك منه يصدّون» يعني يضحكون ويعجبون» وغير ذلك من الرّوايات الواردة في المقام تركناها للإختصار... وانّ هذه الرّوايات تدلّ على فضل جليل وشرف عظيم لا يشبه شيئاً من الفضآئل والكمالات... ولن يقاس به عليه السّلام أحد من هذه الامّة، وتدلّ على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مع كثرة ما مدحه وبيّن فضآئله عليه السّلام أخفى كثيراً منها خوفاً من غلوّ الغالين، وبغض المنافقين، وعداوة المعاندين ولجاج المغوين... الّذين كانوا يخالفون عن أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته، ويهتكون حرمته حين احتضاره، فكيف يجوز أن يتقدّم على من هذا شأنه حثالة من الجاهلين النّاقصين الّذين لم يعرفوا الغثّ من السّمين، ولم يعلموا شيئاً من أحكام الدّنيا والدّين؟ وكيف يجوز أن يقوم مقام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من كان يخالفه ويهتك حرمته؟ وكيف يدعو النّاس إلى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يعصى الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟؟؟!!! أعاذنا الله تعالى من عمه العامهين، وحشرنا في الدّنيا والآخرة مع الثّقلين: كتاب الله وأهل بيت رسوله صلوات الله عليهم أجمعين.

**في شرح ابن أبي الحديد** ـ في شرح خطبة (١٥٤) ـ قال: «واعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لو فخر بنفسه، وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته الّتي آتاه الله تعالى إيّاها، واختصّه بها وساعده على ذلك فصحاء العرب كافّة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرّسول الصّادق صلوات الله عليه في أمره ـ إلى أن قال ـ: الخبر الرّابع عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وإلى آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته وإلى عيسى في زهده فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب» رواه أحمد بن حنبل في «المسند» ورواه أحمد البيهق في صحيحه».

# ﴿الإمام عليّ عليه السّلام مجمع خصال الأنبيآءِ والمرسلين عن طريق العامّة﴾

واعلم أنّ الرّوايات الواردة في المقام تسمّى بحديث الأشباه أوردها حفظة آثار العامّة وحملة أسفارهم بأسانيد عديدة صحيحة في مآخذهم المعتبرة عندهم، وما وقفت منها إلى الآن نحو (٩٠) كتاباً من كتبهم: أنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السّلام كان مجمع خصال الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام، وكان له عليه السّلام تسعون خصلة من خصال الأنـبيآءِ جمـع الله تعالى في عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ولم يجمع أحـداً غـيره، ونشـير إلى مـا يسـعه مـقام الاختصار:

١ ـ روى الكشفي الترمذي الحنفي في كتابه (المناقب المرتضوية) عن جابر قـال: قـال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَن أحبّ أن ينظر إلى إسرافيل في هيبته، وإلى ميكائيل في رتبته، وإلى جبرائيل في جلالته، وإلى آدم في سلمه، وإلى نوح في خشيته، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى يعقوب في حزنه، وإلى يوسف في جماله، وإلى موسى في مناجاته، وإلى أيّوب في صبره،، إلى يحيى في زهده، وإلى يونس في سنّته، وإلى عيسى في ورعه، وإلى محمّد في حسبه وخلقه فلينظر إلى عليّ، فإنّ فيه تسعين خصلة من خصآئل الأنبيآء جمع الله فيه، ولم يجمع أحداً غيره».

رواه جماعة من أعلامهم...

منهم: ابن المغازلي الشّافعي في (المناقب وفردوس الاخبار)

**ومنهم:** الهمدانى الشّافعى في (مودّة القربى)

**ومنهم:** الدهلوي الهندي في (تجهيز الجيش: ص ٣٣٦) وغيرهم...

٢ ـ روى الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين: ص ٤٣ ط النجف) بإسناده عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام».

رواه جماعة من أعاظمهم...

**منهم:** الخطيب في (المناقب: ص ٤٩ ط تبريز)

**ومنهم:** الواقدى في (صحيحه)

**ومنهم:** الطّبري في (الرّياض النّضرة: ج ٢ ص ٢١٧ ط محمد أمين الخانجى بمصر) وفي (ذخآئر العقبى: ص ٩٣ ط مكتبة القدسي بمصر)

**ومنهم:** الحمويني في (فرآئد السّمطين)

**ومنهم:** الدّمشقي في (البداية والنّهاية: ج ٧ ص ٣٥٦ ط مصر)

**ومنهم:** العاصمي في (زين الفتى في شرح سورة هل أتى) ثمّ قال:

«أمّا آدم عليه السّلام فإنّه وقعت المشابهة بين المرتضى وبينه بعشرة أشيآءٍ... **أوّلها:** بالخلق والطينة. **والثّاني:** بالمكث والمدّة. **والثّالث:** بالصّاحبة والزّوجة. **والرّابع:** بالتزويج والخلعة. **والخامس:** بالعلم والحكمة. **والسّادس:** بالذّهن والفطنة. **والسّابع:** بالأمر والخلافة. **والثّامن:** بالأعدآءِ والمخالفة. **والتّاسع:** بالوفاءِ والوصيّة. **والعاشر:** بالأولاد والعترة. ثمّ بسط القول في هذه كلّها فقال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين نوح بثمانية أشيآء... **أوّلها:** بالفهم. **والثّاني:** بالدّعوة. **والثّالث:** بالإجابة. **والرّابع:** بالسّفينة. **والخامس:** بالبركة. **والسّادس:** بالسّلام. **والسّابع:** بالشكر. **والثّامن:** بالإهلاك. ثمّ بيّن وجه الشبه في هذه كلّها ـ إلى أن قال ـ:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين إبراهيم الخليل بثمانية أشيآء... **أوّلها:** بالوفاءِ. **والثاني:** بالوقاية. **والثّالث:** بمناظرته أباه وقومه. **والرّابع:** بإهلاك الأصنام بيمينه.

**والخامس:** بشارة الله إيّاه بالولدين اللذين هما من اصول أنساب الأنبياء عليهم السّـلام. **والسّادس:** باختلاف أحوال ذرّيّته من بين محسن وظالم. **والسّابع:** بابتلآءِ الله تـعالى إيّـاه بالنّفس والولد والمال. **والثّامن:** بتسمية الله إيّاه خليلاً حتّى لم يؤثر شيئاً عليه، ثمّ فصّل وجه الشّبه فيها ـ إلى أن قال ـ:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يوسف الصّدّيق بثمانـية أشـيآءٍ... **أوّلهـا:** بـالعلم والحكمة في صغره. **والثّاني:** بحسد الاخوة له. **والثّالث:** بنكثهم العهود فيه. **والرّابع:** بالجمع له بين العلم والملك في كبره. **والخامس:** بالوقوف على تأويل الأحاديث. **والسّادس:** بالكرم والتجاوز عن إخوته. **والسّابع:** بالعفو عنهم وقت القدرة عليهم. **والثّامن:** بتحويل الدّيار، ثمّ قال بعد بيان وجه الشّبه فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين موسى الكليم عليه السّلام بثمانية أشيآءٍ... **أوّلها:** الصّلابة والشّدّة. **والثّاني:** بالمحاجّة والدّعوة. **والثّالث:** بالعصا والقـوّة. **والرّابـع:** بـشرح الصّـدر والفسحة. **والخامس:** بالاخوّة والقربة. **والسّادس:** بالودّ والمحبّة. **والسّابع:** بالأذى والمحنة. **والثّامن:** بميراث الملك والإمرة. وبيّن وجه الشّبه فيها ثمّ قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين داود بثمانية أشياءٍ... **أوّلها:** بالعلم والحكمة. **والثّاني:** بالتّقوى على إخوانه في صغر سنّه. **والثّالث:** بـالمبارزة لقـتل جـالوت. **والرّابـع:** بـالقدر معه من طالوت إلى أن أورثه الله ملكه. **والخامس:** بإلانة الحديد له. **والسّـادس:** بـتسبيح الجوامد معه. **والسّابع:** بالولد الصّالح. **والثّامن:** بفصل الخطاب. ثمّ فصّل وجه الشّبه فيها إلى أن قـال ـ:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين سليمان بثمانية أشيآءٍ... **أوّلها:** بـالفتنة والابـتلاء في نفسه. **والثّاني:** بتسليط الجسد على كرسيّه. **والثّالث:** بتلقين الله إيّاه في صغره بما استحقّ به الخلافة. **والرّابع:** بردّ الشّمس لأجله بعد المغيب. **والخامس:** بـتسخير الهـوى والرّيح له. **والسّادس:** بتسخير الجنّ له. **والسّابع:** بعلمه منطق الطّير والجوامد وكلامه إيّاه. **والثّامن:** بالمغفرة ورفع الحساب عنه. ثمّ بيّن وجه المشابهة فيها ـ إلى أن قال ـ:

ووقعت المشابهة بين المرتضى عليه السّلام وبين أيّوب بثمانية أشيآءٍ... **أوّلها:** بالبلايا في

بدنه. **والثّاني:** بالبلايا في ولده. **والثّالث:** بالبلايا في ماله. **والرّابع:** بالصّبر على الشّدآئد. **والخامس:** بخروج الجميع عليه. **والسّادس:** بشماتة الأعدآءِ. **والسّابع:** بالدّعآءِ لله تعالى فيما بين ذلك وترك التّواني فيها. **والثّامن:** بالوفآءِ للنّذر والاجتناب عن الحنث. ثمّ قال بعد بيان وجه الشّبه فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يحيى بن زكريّا بثمانية أشيآءٍ... **أوّلها:** بالحفظ والعصمة. **والثّاني:** بالكتاب والحكمة. **والثّالث:** بالتسليم والتحيّة. **والرّابع:** ببرّ الوالدين. **والخامس:** بالقتل والشّهادة لأجل مرأة مفسدة (أى بسببها) **والسّادس:** بشدّة الغضب والنّقمة من الله تعالى على قتله. **والسّابع:** بالخوف والمراقبة. **والثّامن:** بفقد السّميّ والنّظر له في التّسمية. ثمّ بيّن وجه الشّبه فيها تفصيلاً فقال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين عيسى بثمانية أشيآءٍ... **أوّلها:** بالإذعان لله الكبير المتعال. **والثّاني:** بعلمه بالكتاب طفلاً ولم يبلغ مبلغ الرّجال. **والثّالث:** بعلمه بالكتابة والخطابة. **والرّابع:** بهلاك الفريقين فيه من أهل الضّلال. **والخامس:** بالزّهد في الدّنيا. **والسّادس:** بالكرم والإفضال. **والسّابع:** بالإخبار عن الكواين في الاستقبال. **والثّامن:** بالكفائة. ثمّ بيّن وجه المشابهة فيها.

۳ ـ روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب: ص ۵۳ ط تبريز) باسناده عن الحرث الأعور قال: بلغنا أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان في جمع من صحابته، فقال: أيّكم آدم في علمه، ونوح في فهمه، وإبراهيم في حكمته فلم يكن بأسرع من أن طلع عليّ عليه السّلام فقال أبو بكر: يارسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أقِستَ رجلاً بثلاثة من الرّسل بخّ بخّ بهذا الرّجل من هو يارسول الله؟ قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو لا تعرفه ياأبا بكرٍ؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: هو أبو الحسن عليّ بن أبيطالب فقال أبو بكر: بخّ بخّ لك ياأبا الحسن وأين مثلك ياأبا الحسن؟».

رواه المحدّث الحنفي الموصلي في كتابه (درّ بحر المناقب: ص ٦٤) وزاد في آخر الحديث: «وقد شبهت بجمع من الأنبياءِ».

٤ ـ روى الحنفيّ الموصلي في (درّ بحر المناقب: ص ۱۱) بالإسناد عن أبي ذر الغفاريّ قال:

بينما ذات يوم بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قام وركع وسجد شكراً لله تعالى ثمّ قال: ياجندب من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، ونوح في فهمه، وإبراهيم في خلته، وموسى في مناجاته، وعيسى في سياحته، وأيّوب في صبره وبلائه فلينظر إلى هذا الرّجـل المـقبل الّذي هو كالشّمس والقمر السّاري والكوكب الدّرّيّ أشجع النّاس قلباً، وأسـخاهم كـفّاً، فعلى مبغضيه لعنة الله تعالى قال: فالتفت النّاس لينظروا من هذا المقبل فإذا هو عـليّ بـن أبيطالب عليه السّلام.

٥ ـ روى الطّبري في (ذخائر العقبى: ص ٩٤ ط مكتبة القدسي بمصر) عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمه، وإلى يوسف في جماله فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام».

٦ ـ روى احمد بن حنبل في (الفضائل) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو في محفل من أصحابه: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنّته، وإلى محـمّد في تمـامه وكماله، فلينظر إلى هذا الرّجل المقبل، فتطاول النّاس فإذا هم بعليّ بن أبيطالب عليه السّلام كأنّما ينقلع من صبب، وينحطّ من جبل».

٧ ـ روى البيهقي في (فضائل الصّحابة) بلفظ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام».

رواه محمد بن طلحة الشّافعى في (مطالب السّئول) نقلاً عن كتاب (فضائل الصّـحابة) للبيهقى ثمّ قال: «فقد أثبت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ بهذا الحديث علماً يشبه علم آدم، وتقوىً يشبه تقوى نوح، وحلماً يشبه حلم إبراهيم، وهيبة تشبه هيبة موسى، وعبادة تشبه عبادة عيسى وفي هذا تصريح لعليّ بعلمه وتقواه وحلمه وهـيبته وعـبادته، وتـعلوا هـذه الصّفات إلى أوج العلا حيث شبّهها بهؤلآءِ الأنبيآءِ المرسلين من الصّفات المذكورة والمناقب المعدودة.

٨ ـ روى الكنجي الشّافعي في (كفاية الطّالب: ص ٤٥) بإسناده عن ابن عبّاس قال: بينما

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس في جماعة من أصحابه إذ أقبل عليّ عليه السّلام فلمّا بصر به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام. ثمّ قال: قلت: تشبيهه لعليّ بآدم في علمه لأنّ الله علّم آدم صفة كلّ شيء كما قال عزّوجلّ: «وعلّم آدم الأسمآء كلّها» فما من شيء ولا حادثه إلّا وعند عليّ فيها علم وله في استنباط معناها فهمٌ.

وشبّهه بنوح في حكمته ـ وفي رواية: في حكمه ـ وكأنّه أصحّ لأنّ عليّاً كان شديداً على الكافرين، رؤفاً بالمؤمنين كما وصفه الله تعالى في القرآن بقوله: «والّذين معه أشدّآء على الكفّار رحمآء بينهم» وأخبر الله عزّوجلّ عن شدّة نوح على الكافرين بقوله: «ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً».

وشبّهه في الحلم بإبراهيم خليل الرّحمن كما وصفه عزّوجلّ بقوله: «إنّ إبراهيم لأوّاه حليم» فكان متخلّقاً بأخلاق الأنبيآءِ متّصفاً بصفات الأصفيآءِ».

۹ ـ روى الطّبرى في (الرّياض النّضرة: ج ۲ ص ۲۱۸) بلفظ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريّا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام».

۱۰ ـ روى الصّفوري في (نزهة المجالس: ج ۲ ص ۲٤۰) قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في زهده، وإلى محمّد في بهآئه فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب رضى الله عنه».

۱۱ ـ روى الرّازى في (تفسيره) بلفظ: «من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلقه، وموسى في قربه، وعيسى في صفوته فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب».

**أقول:** رواه جماعة من أعلام العامّة وحملة أسفارهم بأسانيد عديدة باختلاف ألفاظه...

منهم: الحمويني في (فرائد السّمطين)

ومنهم: عضد اللائجى الشّافعي في (المواقف: ج ۳ ص ۲۷٦)

ومنهم: التّفتازاني الشّافعي في (شرح المقاصد: ج ۲ ص ۲۹۹)

ومنهم: ابن الصّبّاغ المالكي في (الفصول المهمّة: ص ٢١)

ومنهم: الآلوسى البغدادي في (شرح عينيّة عبد الباقى العمري: ص ٢٧)

ومنهم: أحمد القادين خاني في (هداية المرتاب: ص ١٤٦) وغـيرهم تـركناهم رومـاً للإختصار.

١٢ ـ روى أبو علي إسمعيل بن القاسم القالي البغدادى في كتابه (الأمالي: ج ٢ ص ١٤٣ ط مصر) ما لفظه: «قال أبو عليّ: حدّثنا أبو بكر قال: حدّثني العكلي عن الحرماذي عـن رجل من همدان قال: قال معاوية ـ بن أبي سفيان ـ لضرار الصّدائي: ياضرار صف لي عليّاً عليه السّلام قال: اعفني ياأمير المؤمنين؟ قال: لتصفنّه، قال: أما إذ لابدّ من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جـوانـبه، وتـنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدّنيا وزهرتها، ويستأنس باللّيل ووحشته (ظلمته خ) وكان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كفّه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللـباس مـا قصر (ما خشن خ) ومن الطّعام ما جشب.

كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سئلناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيّانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، يعظم أهل الدّين، ويحبّ المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، ولا ييأس الضّعيف من عدله، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى اللّيل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل (يميل خ) في محرابه قابضاً على لحيته يتململ السّليم، ويبكي بكآء الحزين ويقول:

يادنيا غرّي غيري، أبي تعرضت أم إليّ تشوّقت! هيهات هيهات! قد باينتك ثـلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطر حقير (وحظّك قليل خ) آه آه من قلّة الزّاد وبعد السّفر، ووحشة الطّريق، فبكى معاوية (فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمّه، وقد احتنق القوم بالبكآء خ) وقال: رحم الله أبا الحسن، فلقد كـان كـذلك، فكـيف حزنك عليه ياضرار؟ قال: حزن من ذبح واحد ها (ولدها خ) في حجرها.

وفي كتاب (المستطرف): «فلا ترقأ عبرتها، ولا تسكن حيرتها ثمّ قال فخرج».

رواه جماعة من أعلام العامة وحملة أسفارهم:

**منهم:** أبو نعيم الإصفهاني في (حلية الأوليآء: ج ۱ ص ۸٤ ط السّعادة بمصر)

**ومنهم:** ابن عبد البرّ في (الاستيعاب: ج ۲ ص ٤٦۳ ط حيدر آباد الدّكن)

**ومنهم:** النّويري في (نهاية الارب: ج ۳ ص ۱۷٦ ط القاهرة)

**ومنهم:** الطّبري في (الرّياض النّضرة: ج ۲ ص ۲۱۲ ط مصر) وفي (ذخآئر العقبى: ص ۱۰۰ ط مكتبة القدسي بمصر)

**ومنهم:** محمد بن أحمد الحلّيّ الشّافعي في (المستطرف: ج ۱ ص ۱۲۷ ط القاهرة) وغيرهم تركناهم للإختصار.

۱۳ ـ قال المحدّث أحمد بن محمّد الصّدّيق المغربي ـ وهو من أعاظم العامة ـ في كتابه: (فتح العلى: ص ۲ ط إسلاميّة بالقاهرة) ما لفظه: «جمع من الحفّاظ أنّه لم يرد من الفضآئل لأحد من الصّحابة بالأسانيد الصّحيحة الجياد ما ورد لعليّ بن أبيطالب عليه السّلام».

۱٤ ـ روى الحافظ الكنجي الشّافعي في (كفاية الطّالب: ص ۱۲۵ ط الغرى) بإسناده عن عيسى ابن عبد الله عن أبيه عن جدّه قال: قال رجل لابن عبّاس: سبحان الله ما أكثر مناقب عليّ وفضآئله؟ إنّي لأحسبها ثلاثة آلاف، فقال ابن عبّاس: أو لا تقول: إنّها إلى ثلاثين ألفاً أقرب».

ثمّ قال الكنجي الشّافعي: «خرّج هذا الأثر جماعة من الحفّاظ في كتبهم» نذكر بعضهم:

**منهم:** الحموينى في (فرائد السّمطين)

**ومنهم:** الهروى الشّيرازي في (الأربعين)

**ومنهم:** القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة: ص ۱۲۱) وغيرهم تركناهم للاختصار.

**أقول:** فإذا كانت هذه خصال عليّ المرتضى وفضآئله عليه السّلام بنقل أعلام العامّة وحملة أسفارهم ... بأسانيد صحيحة عندهم في مآخذهم ... فكيف يقدّمون أبا بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان الظّلمة الخونة الجهلة ... على مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام؟ ولعمر الله جلّ وعلا أقول بعلم ويقين: ما كان تقديم أبي بكر وقرينيه على عليّ بن أبيطالب عليه السّلام من تقديم المفضول على الفاضل كما زعمه ابن أبي الحديد المذبذب المغوى وأسلافه الطّاغون، وأخلافه الباغون...

وإنّما كان هذا من تقديم الجهل المحض على العلم المحض، من تقديم الظّلم والخيانة على العدل والأمانة، من تقديم الظّلمة والضّلال على النّور والهداية، من تقديم الفجور والجناية على التقوى والصّداقة، من تقديم الوضيع والدّني على الشّريف والعليّ، من تقديم الانحطاط والذّلّة على الكمال والعزّة، من تقديم الخسران والشّقاوة على الفلاح والسّعادة، من تـقديم الفساد والخزى على الصّلاح والسّيادة، من تقديم السّفه والبلادة على الحكمة والفطانة، من تقديم الكفر والنّفاق على الايمان والإخلاص، من تقديم نمرود على إبـراهـيم عـليه السّـلام وتقديم فرعون على موسى عليه السّلام وتقديم أبي جهل على رسول الله صـلّى الله عـليه وآله وسلّم وبالجملة من تقديم الرّذائل كلّها على الفضآئل جميعها... ومن تقديم العجل والجـبت والطّاغوت والأصنام على الله تعالى، يعبدون الأحجار ويتخذون العجل والأصنام آلهة لهم ولا يؤمنون بالله ولا يصدقون الإنسان رسولاً من الله تعالى، ليس هذا من تقديم المفضول على الفاضل، فتدبّر جيّداً واغتنم جداً ولا تكن من الغافلين.

هؤلآء العامّة هل يقدّمون من يدّعى الطّبّ وهو لا يحسـنه عـلى الطّـبيب الحـاذق في معالجاتهم الجسميّة؟ هل يقدّمون من لا يحسن من أمر الدّنيا شيئاً على من يحسنه؟ وهـل يقدّمون المبتدئ من طلّابهم على مفتيهم؟؟؟!!! وما لم يقدّم النّاس الموجودون اليوم كـلّهم مدّعى الطّب والجاهل والمبتدئ، وأمثالهم على الطّـبيب الحـاذق، والعـالم بـامور الدّنـيا، ومفتيهم... فكيف يقدّمون مجمع الخبآئث والرّذآئل... عـلى مجـمع المـناقب والفـضائل في معالجاتهم الرّوحيّة...؟! أعاذنا الله تعالى من الجهالة والسّفاهة والبلادة... بـعصمة محـمّد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

## ﴿ الإمام عليّ المرتضى مجمع صفات الأنبيآء عند الشيعة ﴾

واعلم أنّ الرّوايات الواردة في المقام عن طريق شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كثيرة، فنشير إلى نبذة منها روماً للاختصار:

١ ـ **في اصول الكافي** ـ كتاب الحجّة باب أنّ الأئمة عليهم السّلام ورثة العلم ـ بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ في عليّ عليه السّلام سنّة ألف نبيّ من الأنبياء، وإنّ العلم الّذي نزل مع آدم عليه السّلام لم يرفع، وما مات عالم فذهب علمه، والعلم يتوارث».

٢ ـ **وفيه:** عن عليّ بن النّعمان رفعه، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: يمصّون الثّماد ويدعون النّهر العظيم، قيل له: وما النّهر العظيم؟ قال: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والعلم الّذي أعطاه الله، إنّ الله عزّوجلّ جمع لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم سنن النّبيّين من آدم وهلمّ جرّاً إلى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم قيل له: وما تلك السّنن؟ قال: علم النبيّين بأسره، وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صيّر ذلك كلّه عند أمير المؤمنين، فقال له رجل: ياابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النّبيّين؟ فقال أبو جعفر عليه السّلام: اسمعوا ما يقول؟ إنّ الله يفتح مسامع من يشآء، إنّي حدّثته أنّ الله جمع لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم علم النّبيّين، وأنّه جمع ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السّلام وهو يسئلني أهو أعلم أم بعض النّبيّين». وفي الخرائج والجرائح: مثله، وزاد في آخره: وتلا «قال الّذي عنده علم من الكتاب» ثمّ فرّق بين أصابعه فوضعها على صدره وقال: عندنا والله علم الكتاب كلّه».

٣ ـ **في أمالي الصّدوق** رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن الثّمالي عن عليّ بن الحسين عن أبيه عليهما السّلام قال: «نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم إلى عليّ عليه السّلام قد أقبل وحوله جماعة من أصحابه، فقال: من أراد أن ينظر إلى يوسف في جماله، وإلى إبراهيم في سخآئه، وإلى سليمان في بهجته، وإلى داود في حكمته فلينظر إلى هذا».

٤ ـ **في عيون الأخبار:** بإسناده عن الرّضا عن آبآئه عن عليّ صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ياعليّ ما سئلت ربّي شيئاً إلاّ سئلت لك مثله، غير أنّه قال: لا نبوّة بعدك، أنت خاتم النّبيّين وعليّ خاتم الوصيّين».

٥ ـ **في روضة الكافي:** بإسناده عن أبي ذرّ الغفاريّ قال: «بينما ذات يوم من الأيّام بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قام وركع وسجد شكراًلله تعالى، ثمّ قال: ياجندب من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سياحته، وإلى أيّوب في صبره وبلائه، فلينظر إلى هذا الرّجل المقبل الّذي هو كالشّمس والقمر السّاري والكوكب الدّرّيّ، أشجع النّاس قلباً وأسخى النّاس (أسخاهم خ) كفّاً فعلى مبغضه لعنة الله والملآئكة والنّاس أجمعين قال: فالتفت النّاس ينظرون من هذا المقبل فإذاً هو عليّ بن أبيطالب عليه الصّلاة والسّلام».

٦ ـ **في أمالي الشيخ الطّوسي** قدّس سرّه بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالساً في جماعة من أصحابه إذ أقبل عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب».

٧ ـ **في كمال الدين** بإسناده عن عبد الله بن عبّاس قال: كنّا جلوساً عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في سلمه وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطانته، وإلى داود في زهده فلينظر إلى هذا، فنظرنا فإذا عليّ بن أبيطالب عليه السّلام قد أقبل كالمآءِ ينحدر من صبب».

٨ ـ **في أمالي المفيد** رحمة الله تعالى عليه بإسناده عن أبي إسحق عن أبيه قال: بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس في جماعة من أصحابه إذ أقبل عليّ بن أبيطالب

عليه السّلام نحوه فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أراد أن ينظر إلى آدم في خلقه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام».

٩ ـ **في أمالي الطّوسي** رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى عن آبآئه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله أخرجني ورجلاً معي من ظهر إلى ظهر (من طهر إلى طهر خ) من صلب آدم حتّى خرجنا من صلب أبينا، فسبقته بفضل هذه على هذه ـ و ضمّ بين السّبّابة والوسطى وهو النّبوّة، فقيل له: من هو يارسول الله؟ قال: عليّ بن أبيطالب.

١٠ ـ **في أمالي الصّدوق** رحمة الله تعالى عليه بإسناده عن سلمة بن قيس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «عليّ في السّمآءِ السّابعة كالشّمس بالنّهار في الأرض، وفي السّمآءِ الدّنيا كالقمر بالليل في الأرض، أعطى الله عليّاً من الفضل جزءاً لو قُسِّمَ على أهل الأرض لوسعهم، وأعطاه الله من الفهم لو قسّم على أهل الأرض لوسعهم، شُبِّهَتْ لينه بلين لوط، وخلقه بخلق يحيى، وزهده بزهد أيّوب، وسخآؤه بسخآء إبراهيم، وبهجته ببهجة سليمان بن داود، وقوّته بقوّة داود، وله إسم مكتوب على كلّ حجاب في الجنّة بشّرني به ربّي، وكانت له البشارة عندي، عليّ محمود عند الحقّ، مزكّى عند الملآئكة، وخاصّتي وخالصتي، وظاهرتي ومصباحي وجُنّتي ورفيقي، آنسني به ربّي، فسئلت ربّي أن لا يقبضه قبلي، وسئلته أن يقبضه شهيداً بعدي، اُدخِلتُ الجنّة فرأيت حور عليّ أكثر من ورق الشّجر، وقصور عليّ كعدد البشر.

عليّ منّي وأنا من عليّ، من تولّى عليّاً فقد تولاّني، حبّ عليّ نعمة، واتّباعه فضيلة، دان به الملآئكة، وحفّت به الجنّ الصّالحون، لم يمش على الأرض ماشٍ بعدي إلاّ كان هو أكرم منه عزّاً وفخراً ومنهاجاً، لم يك فظّاً عجولاً، ولا مسترسلاً لفساد، ولا متعنّداً، حملته الأرض فأكرمته، لم يخرج من بطن اثنى بعدي أحد كان أكرم خروجاً منه، ولم ينزل منزلاً إلاّ كان ميموناً، أنزل الله عليه الحكمة، وردّاه بالفهم، تجالسه الملآئكة ولا يراها، ولو اوحي إلى أحد بعدي لاوحي إليه، فزيّن الله به المحافل، وأكرم به العساكر، وأخصب به البلاد، وأعزّ به الأجناد، مثله كمثل بيت الله الحرام يُزار ولا يزور، ومثله كمثل القمر إذا طلع أضآء الظّلمة،

ومثله كمثل الشّمس إذا طلعت أنارت الدّنيا، وصفه الله في كتابه، ومدحه بآياته، ووصف فيه آثاره، وأجرى منازله، فهو الكريم حيّاً، والشّهيد ميّتاً».

١١ ـ **في أمالي الصـدوق** رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن سعيد بن جبير قـال: أتيت عبدالله بن عبّاس، فقلت له: يابن عمّ رسول الله إنّي جئتك أسئلك عـن عـليّ بـن أبيطالب عليه السّلام واختلاف النّاس فيه؟ فقال ابن عبّاس: يابن جبير جئتني تسئلني عن خير خلق الله من الأمة بعد محمّد نبيّ الله جئتني تسئلني عن رجل كـانت له ثـلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة وهي ليلة القربة، يابن جبير جئتني تسئلني عن وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ووزيره وخليفته وصاحب حوزه ولوآئه وشفاعته، والّذي نفس ابن عبّاس بيده لو كانت بحار الدّنيا مداداً، والأشجار أقلاماً، وأهلها كتّاباً فكتبوا مـناقب عـليّ بـن أبيطالب عليه السّلام وفضائله من يوم خلق الله عزّوجلّ الدّنيا إلى أن يفنيها ما بلغوا معشار ما آتاه الله تبارك وتعالى».

١٢ ـ **وفي المقام** لأبي عبدالله محمّد بن أحمد بن عبيدالله الكاتب النّحويّ البـصريّ الملقّب بالمُفجّع قصيدة نفيسة غرّآء توجد مقطّعة في كتاب (مناقب آل أبي طالب عليه السّلام لابن شهرآشوب السّروي المازندراني، وفي (بحار الأنوار) للمجلسي وفي (الغدير) للأميني وغيرها مشروحةً بذكر الأحاديث المتضمّنة لمفاد كلّ فضيلة للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام نظمها في بيت أو بيتين أو أكثر يبلغ عدد أبياتها (١٦٠) بيتاً.

وانّ المفجَّع ـ المتوفّى سنة ٣٢٧ ـ هو أوحديّ من رجالات العـلم والحـديث والأدب، ومن المعدودين من أصحابنا شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين مدحته العامّة بحسن العقيدة وسلامة المذهب وسداد الرّأى، وقد كان كلّ جنوحه إلى أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله، وقد أكثر في شعره من الثنآءِ عليهم، والتّفجّع لما انتابهم من المصآئب والفوادح، فلم يزل على ذلك حتّى لقّبه مناوؤه المتنابزون بالألقاب بـ«المـفجَّع» وإليه يوعز بقوله:

إن يكن قيل لي: المفُجَّع نبزاً      فـلعمري أنـا المُـفجَّع هـمّاً

ثمّ صار لقباً له حتّى عند أوليآئه لذلك السّبب المذكور، وقد سمّى قصيدته بالأشباه لـما

شبّه فيها عليّاً عليه السّلام بالأنبيآءِ والمرسلين عليهم السّلام كما ورد به الأحـاديث... مـن قصيدته:

أيّـها اللّائـمي لحـبّي عـليّاً ... قـم ذمـيماً إلى الجـحيم خـزيّاً
أبـخير الأنـام عـرّضت؟ لا زلـ ... ـت مذوداً عن الهـدى مـزويّاً
أشـبه الأنـبيآء كـهلاً وزولاً ... وفـطيماً وراضـعاً وغـذيّاً
كـان فـي عـلمه كآدم إذ عُـلِـ ... ـلِمَ شـرح الأسـمآء والمكـنيّا
وكنوح نجا من الهـلك مـن سـ ... ـير في الفلك إذ علا الجـوديّا
وعـليّ لمّـا دعـاه أخـوه ... سـبق الحـاضرين والبـدويّا
وله من أبيه ذي الأيـدي إسـما ... عيل شبه مـا كـان عـنّي خـفيّا
إنّه عاون الخـليل عـلى الكعبـ ... ـة إذ شـاد ركـنها المـبنيّا
ولقـد عـاون الوصـيّ حـبيب ... الله إذ يـغسلان مـنها الصّـفيّا
رام حمل النّبيّ كي يقلع الأصـ ... ـنام عن سطحها المثول الجثيّا
فـحناه ثـقل النّـبوّة حـتّى ... كـاد يـنآد تـحته مـثنيّا
فـارتقى مـنكب النّـبيّ عـليّ ... صـنوه مـا أجـلّ ذاك رقـيّا
فأماط الأوثان عن ظاهر الكعـ ... ـبة ينفي الأرجاس عـنها نـفيّا
ولو أنّ الوصيّ حاول مسّ النّـ ... ـجم بـالكفّ لم يـجده قـصيّا
أفـهل تـعرفون غـير عـليّ ... وابنه استرحـل النّبيّ مـطيّا؟!
لم يكن أمره بدوحات «خـمّ» ... مشكـلاً عـن سـبيله مـلويّا
إنّ عـهد النّـبيّ فـي ثـقليه ... حجّة كنت عـن سـواهـا غـنيّا
نصب المرتضى لهم في مقام ... لم يكـن خـاملاً هـناك دنـيّا
عـلماً قـائماً كـما صـدع البـد ... ر تـماماً دُجـنة أو دُجـيّا
قال: هذا مولى لمن كنت مولا ... ه جـهاراً يـقولها جـهوريّا
وال يارب من يواليـه وانـصر ... ه وعاد الّـذي يـعادي الوصـيّا
إنّ هـذا الدّعـا لمـن يـتعدّى ... راعـياً فـي الأنـام أم مـرعيّا

لا يبالي أمات موت يهود — من قلاه أو مات نصرانيّا

من رأى وجهه كمن عبد الله — مدم القنوت رهبانيّا

كان سئول النّبيّ لمّا تمنّى — حين أهدوه طائراً مشويّا

إذ دعا الله أن يسوق أحبّ — الخلق طرّاً إليه سوقاً وحيّا

فإذا بالوصيّ قد قرع البا — ب يريد السّلام ربّانيّا

فثناه عن الدّخول مراراً — أنسٌ حين لم يكن خزرجيّا

وذخيراً لقومه وأبى الرّ — حمان إلّا إمامنا الطّالبيّا

ورمى بالبياص من صدّ عنه — وحبا الفضل سيّداً أريحيّا

# ﴿ أفضليّة عليّ المرتضى على جميع الأنبيآءِ والمرسلين عليهم السّلام ﴾

قال الله عزّوجلّ: «ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء» النحل : ٨٩) وقال: «ما فرّطنا في الكتاب من شيء ـ ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين» الأنعام : ٣٨ و ٥٩)

وقال: «هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب واُخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم» آل عمران : ٧) وممّا لا مراء فيه أنّ هذا القرآن الكريم هو الجامع لجميع الكتب السّماوية النّازلة على المرسلين عليهم السّلام الّتي لم تكن تبيان كلّ شيء، فما كان عند هؤلآء المرسلين تبيان كلّ شيء، وهذا القرآن المجيد هو وحده تبيان كلّ شيء، ولا رطب ولا يابس إلّا فيه، وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم وهم أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وقد كان عليّ بن أبيطالب عليه السّلام أوّلهم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان عنده علم الكتاب وتبيان كلّ شيء بصريح الكتاب.

ومن البداهة أنّ ملاك فضيلة كلّ أحد على غيره هو العلم بحقآئق الامور والعمل بها، ولم أجد إلى الآن في الكتب السّماويّة، ولا في الرّوايات والأحاديث والأخبار، ولا في التّواريخ والقصص والحكايات... رسولاً من المرسلين، ولا نبيّاً من الأنبيآء، ولا وصيّاً من الأوصيآء، ولا عالماً من العلمآءِ أن يقول ما قاله مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام:

**في نهج البلاغة ـ الخطبة ٩٢ ـ** قال عليه السّلام: «أمّا بعد حمد الله والثّنآء عليه أيّها النّاس، فإنّي فقأتُ عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها، واشتدّ كلبها فاسئلوني قبل أن تفقدوني، فوالّذي نفسي بيده لا تسئلونني عن شيء فيما بينكم وبين السّاعة ولا عن فئة تهدى مأة، وتُضِلّ مأة إلّا أنبأتكم بناعقها وقآئدها وسائقها ومناخ ركابها ومحطّ رحالها، ومن يُقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً...»

قال ابن أبي الحديد ـ في شرحها ـ: «واعلم أنّه عليه السّلام قد أقسم في هذا الفصل بالله الّذي نفسه بيده أنّهم لا يسئلونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة إلّا أخبرهم به، وأنّه ما صحّ من طائفة من النّاس يهتدي بها مأة وتضلّ بها مأة إلّا وهو مخبر لهم ـ إنّ سئلوه ـ برعاتها وقائدها وسائقها، ومواضع نزول ركابها وخيولها، ومن يقتل منها قتلاً، ومن يموت منها موتاً، وهذه الدّعوى ليست منه عليه السّلام إدّعاء الرّبوبيّة ولا ادّعاء النّبوّة، ولكنّه كان يقول: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبره بذلك، ولقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدّعوى المذكورة» ثمّ ذكر ابن أبي الحديد موارد عديدة من إخباره عليه السّلام بالامور الآتية الّتى وقعت كما أخبر بها...

**وفي نهج البلاغة ـ** ومن كلام (١٢٨) له عليه السّلام ـ ويؤمي به إلى وصف الأتراك ـ: «كأنّي أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة، يلبسون السَّرَق والدّيباج، ويعتقبون الخَيْل العِتاق، ويكون هناك استمرار قتل حتّى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت أقلّ من المأسور.

فقال له بعض أصحابه: لقد أُعطيتَ ياأمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السّلام وقال للرّجل وكان كلبيّاً:

ياأخا كلب ليس هو بعلم غيب، وإنّما هو تَعلّمٌ من ذي علم، وإنّما عِلمُ الغيب علم السّاعة وما عدّده الله سبحانه بقوله: «إنّ الله عنده علم السّاعة» الآية، فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أُنثى وقبيح أو جميل، وسخيّ أو بخيل، وشقيّ أو سعيد، ومن يكون في النّار أو في الجنان للنّبيّين مرافقاً، فهذا علم الغيب الّذي لا يعلمه أحد إلّا الله وما سوى ذلك فعلمٌ علّمه الله نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فعلّمنيه، ودعا لي أن يعيه صدري، وتضطمّ عليه جوانحي»

وفيه: ـ الخطبة: ١٥٧ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أُخبركم عنه ألا إنّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي ودوآء دائكم ونظم ما بينكم»

وفيه: ـ الخطبة: ١٧٤ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «والله لو شئت أن اخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ـ إلى أن قال ـ أيّها النّاس إنّي والله ما أحثكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها»

وفيه: ـ الخطبة: ٢٣١ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني ـ فلأنا بطرق السّمآءِ أعلم منّي بطرق الأرض ـ قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خِطامها، وتذهب بأحلام قومها»

**في شرح ابن أبي الحديد:** قال: «أجمع النّاس كلّهم على أنّه لم يقل أحد من الصّحابة ولا أحد من العلماءِ: «سلوني» غير عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ذكر ذلك ابن عبد البرّ المحدّث في كتاب «الاستيعاب».

ثمّ قال ابن أبي الحديد: «والمراد بقوله: «فلأنا أعلم بطرق السّمآءِ منّي بطرق الأرض» ما اختصّ به من العلم بمستقبل الامور ولا سيّما في الملاحم والدّول، وقد صدّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكرّرة لا مرّة ولا مأة مرّة، حتّى زال الشّك والرّيب في أنّه إخبار عن علم، وأنّه ليس على طريق الاتّفاق، وقد ذكرنا كثيراً من ذلك فيما تقدّم من هذا الكتاب»

**أقول:** ولا يخفى على من له مسكة وطيب ولادة أنّ عليّ بن أبيطالب عليه السّلام كان أعلم النّاس كلّهم من الأنبيآء والمرسلين واممهم غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعاملاً بعلمه ولذلك كان يقول ما لم يقله رسول ولا نبيّ ولا وصيّ نبيّ فضلاً عن غيرهم.

**في تفسير البرهان:** عن جابر بن عبد الله أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ياجابر أيّ الاخوة أفضل؟ قال: قلب: البنون من الأب والأمّ، فقال: إنّا معاشر الأنبيآء إخوة، وأنا أفضلهم، ولأَحَبُّ الاخوة إلىّ عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فهو عندى أفضل من الأنبيآءِ، فمن زعم أنّ الأنبيآء أفضل منه، فقد جعلني أقلّهم، ومن جعلني أقلّهم فقد كفر لأنّي

لم أتّخذ عليّاً أخاً إلّا لما علمت من فضله، ثمّ قال: وما معنى الاخوة بينهما إلّا المماثلة في الفضل إلّا النّبوّة لما روى الفضل بن عمر المهلبي عن رجاله مسنداً عن محمّد بن الثّابت قال: حدّثني أبو الحسن موسى عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السّلام: «أنا رسول الله المبلّغ عنه، وأنت وجه الله المؤتم به، فلا نظير لي إلّا أنت ولا مثل لك إلّا أنا».

وفي فضائل ابن شاذان وروضة الكافي: ممّا روى عن جماعة ثقات أنّه لمّا وردت حرّة بنت حليمة السّعديّة على الحجّاج بن يوسف الثّقفي، فمثّلت بين يديه، قال لها: أنت حرّة بنت حليمة السّعديّة؟ قالت له: فراسة من غير مؤمن!

فقال لها: الله جآء بك، فقد قيل عنك: إنّك تفضّلين عليّاً على أبي بكر وعمر وعثمان؟ فقالت: لقد كذب الّذي قال: إنّي أُفضّله على هؤلآءِ خاصّة، قال: وعلى مَن غير هؤلآء؟ قالت: أُفضّله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وداود وسليمان وعيسى بن مريم عليهم السّلام فقال لها: ويلك إنّك تفضّلينه على الصّحابة وتزيدين عليهم سبعةً من الأنبيآء من اولي العزم من الرّسل؟ إن لم تأتيني ببيان ما قلت، ضربت عنقك فقالت: ما أنا مفضّلته على هؤلآءِ الأنبيآءِ ولكنّ الله عزّوجلّ فضّله عليهم في القرآن بقوله عزّوجلّ في حقّ آدم: «وعصى آدم ربّه فغوى» طه: ١٢١) وقال في حقّ عليّ عليه السّلام: «وكان سعيكم مشكوراً» الإنسان: ٢٢)

فقال: أحسنت ياحرّة فبما تفضّلينه على نوح ولوط؟ فقالت: الله عزّوجلّ فضّله عليهما بقوله: «ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النّار مع الداخلين» التحريم: ١٠) وعليّ بن أبيطالب عليه السّلام كان ملاكه تحت سدرة المنتهى، زوجته بنت محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة الزّهرآء الّتي يرضى الله تعالى لرضاها ويسخط لسخطها.

فقال الحجّاج: أحسنت ياحرّة، فبما تفضّلينه على أبي الأنبيآء إبراهيم خليل الله؟ فقالت: الله عزّوجلّ فضّله بقوله: «وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي» البقرة: ٢٦٠) ومولاى أمير المؤمنين عليه السّلام قال قولاً لا يختلف فيه أحد من المسلمين: «لو كشف الغطآء ما ازددت يقيناً» وهذه كلمة ما قالها أحد قبله ولا بعده، فقال: أحسنت ياحرّة، فبما تفضّلينه على موسى كليم الله؟ قالت: يقول الله عزّوجلّ:

«فخرج منها خائفاً يترقّب» القصص : ١٨) وعليّ بن أبيطالب عليه السّلام بات على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يخف حتّى أنزل الله تعالى في حقّه: «ومن النّاس من يشري نفسه ابتغآء مرضاة الله» البقرة: ٢٠٧)

قال الحجّاج: أحسنت ياحرّة فبما تفضّلينه على داود وسليمان عليهما السّلام؟ قالت: الله تعالى فضّله عليهما بقوله عزّوجلّ: «ياداود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله» ص : ٢٦) قال لها: في أيّ شيء كانت حكومته؟ قالت: في رجلين: رجل كان له كرم، والآخر له غنم، فنفشت الغنم بالكرم فرعته فاحتكما إلى داود عليه السّلام فقال: تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتّى يعود إلى ما كان عليه فقال له ولده: لا ياأبة بل يؤخذ من لبنها وصوفها، قال الله تعالى: «ففهّمناها سليمان» الأنبيآء: ٧٩)

وإنّ مولانا أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام قال: «سلوني عمّا فوق العرش، سلوني عمّا تحت العرش، سلوني قبل أن تفقدوني» وإنّه عليه السّلام دخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم فتح خيبر، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم للحاضرين: «أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم عليّ».

فقال لها: أحسنت فبما تفضّلينه على سليمان؟ فقالت: الله تعالى فضّله عليه بقوله تعالى: «ربّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» ص: ٣٥) ومولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام قال: «طلّقتك يادنيا ثلاثاً لا حاجة لي فيك» فعند ذلك أنزل الله تعالى فيه: «تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» القصص: ٨٣)

فقال: أحسنت ياحرّة فبما تفضّلينه على عيسى بن مريم عليه السّلام؟ قالت: الله تعالى عزّوجلّ فضّله بقوله تعالى: «إذ قال الله ياعيسى بن مريم ءأنت قلت للنّاس اتّخذوني وامّي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علّام الغيوب ما قلت لهم إلّا ما أمرتني به» المآئدة: ١١٦ ـ ١١٧) فأخّر الحكومة إلى يوم القيامة، وعليّ بن أبيطالب عليه السّلام لما ادّعوا النّصيرية فيه ما ادّعوه قتلهم ولم يؤخّر حكومتهم، فهذه كانت فضآئله لم تعدّ بفضآئل غيره قال: أحسنت ياحرّة خرجت من جوابك، ولولا ذلك لكان ذلك، ثمّ أجازها وأعطاها

وسرّحها سراحاً حسناً رحمة الله عليها».

**أقول:** «النصيرية»: طائفة من الغلاة السّبأية، وملخّص مقالتهم في أهل بيت الوحـي المعصومين عليهم السّلام أنّهم روح اللاهوت.

**في شرح ابن أبي الحديد** ـ في شرح الخطبة : ١٥٤ ـ قال بعد نقل أربعة وعـشرين حديثاً في فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «واعلم أنّا إنّمـا ذكـرنا هـذه الأخبار ههنا لأنّ كثيراً من المنحرفين عنه عليه السّلام إذا مرّوا على كلامه في «نهج البلاغة» وغيره المتضمّن التحدّث بنعمة الله عليه من اختصاص الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم له وتميزه إيّاه عن غيره، ينسبونه إلى التّيه والزّهو والفخر، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصّحابة، قيل لعمر : وَلِّ عليّاً أمر الجيش والحرب، فقال: هو أتْيَهُ من ذلك! وقال زيد بن ثابت: مـا رأينا أزهى من عليّ وأسامة!

فأردنا بإيراد هذه الأخبار ههنا عند تفسير قوله: «نحن الشّـعار والأصـحاب ونحـن الخزنة والأبواب» أن نُنبّه على عِظَم منزلته عند الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنّ مَن قيل في حقّه ما قيل: «لو رقى إلى السّمآء وعرج في الهوآءِ، وفخر على الملآئكة والأنبياء، تعظّما وتبجّحاً لم يكن ملوماً، بل كان بذلك جديراً» فكيف وهو عليه السّلام لم يسلك قطّ مسـلك التعظّم والتكبّر في شيء من أقواله ولا من أفعاله، وكان ألطف البشر خلقاً، وأكرمهم طبعاً، وأشدّهم تواضعاً، وأكثرهم احتمالاً، وأحسنهم بشراً، وأطلقهم وجهاً حتّى نسبه من نسـبه إلى الدّعابة والمزاح، وهما خُلُقان ينافيان التكبّر والاستطالة، وإنّما كان يـذكر أحـياناً مـا يذكره من هذا النّوع، نفثة مصدور، وشكوى مكروب، وتنفّس مهموم، ولا يـقصد بـه إذا ذكره إلّا شكر النّعمة.

وتنبيه الغافل على ما خصّه الله به من الفضيلة، فإنّ ذلك مـن بـاب الأمـر بـالمعروف والحضّ على اعتقاد الحقّ والصّواب في أمره، والنّهي عن المنكر الّذي هو تقديم غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك، فقال: «أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون» يونس : ٣٥) انتهى كلام ابن أبي الحديد في شرحه.

## ﴿أعلميّة أهل بيت الوحي وأفضليّتهم على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السّلام﴾

قال الله جلّ وعلا: «هو الّذي أنزل عليك الكتاب ـ وما يعلم تأوله إلّا الله والرّاسخون في العلم» آل عمران: ٧)

وقد سبق منّا آنفاً أنّ القرآن الكريم هو الكتاب الجامع لجميع الكتب النازلة على المرسلين عليهم السّلام، مضافاً إلى أنّه تبيان كلّ شيء، وما يعلم تأويله إلّا الله تعالى والرّاسخون في العلم، وهم أهل بيت الوحي المعصومون من عليّ المرتضى وفاطمة الزّهرآء وأحد عشر إماماً من ولدهما، والرّسول هو صاحب البيت والوحى صلوات الله عليهم أجمعين، وأنّ الرّوايات الواردة في المقام كثيرة لا يسعها مقام الاختصار فنشير إلى نبذة منها:

**في نهج البلاغة:** ـ الخطبة: ١٤٤ ـ قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا».

**وفي الخطبة الاولى:** قال ـ في أهل بيت الوحي عليهم السّلام ـ: «هم موضع سرّه ولجأ أمره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائصه ـ لا يقاس بآل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم من هذه الامّة أحد ولا يسوّى بهم

من جرت نعمتهم عليه أبداً هم أساس الدّين وعماد اليقين»

**وفي الخطبة : ١٠٨):** قال الإمام عليّ عليه السّلام: «نحن شجرة النّبوّة ومحطّ الرّسالة ومختلف الملآئكة ومعادن العلم وينابيع الحكم»

**وفي الخطبة : ١٤٧)** قال عليه السّلام: «واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرّشد حتّى تعرفوا الّذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الّذي نقضه، ولن تمسّكوا به حتّى تعرفوا الّذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله، فإنّهم عيش العلم وموت الجهل، هم الّذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدّين ولا يختلفون فيه هو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق»

**وفي الخطبة : ١٥٣)** قال عليه السّلام: «فيهم كرآئم القرآن، وهم كنوز الرّحمن، إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق رآئدٌ أَهْلَه وليُحضِر عَقْلَه، وليكن من أبنآءِ الآخرة فإنّه منها قَدِمَ وإليها ينقلب»

**وفي الخطبة : ٢٣٩)** قال عليه السّلام: «هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حِكَم منطقهم، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، هم دعآئم الإسلام وولآئج الإعتصام، بهم عاد الحقّ في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدّين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سِماع ورِواية، فإنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل».

**وفي بصآئر الدّرجات:** بإسناده عن الحسين بن علوان عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «إنّ الله خلق (فضّل خ) اولى العزم من الرّسل، وفضّلهم بالعلم، وأورثنا علمهم، وفضّلنا عليهم في علمهم، وعلم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما لم يعلموا، وعلمنا علم الرّسول وعلمهم».

**وفيه:** بإسناده عن عبد الله بن الوليد السّمّان قال: قال لي أبو جعفر عليه السّلام: ياعبد الله ما تقول الشّيعة في عليّ وموسى وعيسى عليهم السّلام؟ قال: قلت: جعلت فداك، ومن أيّ

حالات تسئلني؟ قال: أسئلك عن العلم، فأمّا الفضل فهم سوآء قال: قلت: جعلت فداك فما عسى أقول فيهم؟ فقال: هو والله أعلم منها.

ثمّ قال: ياعبد الله أليس يقولون: إنّ لعليّ ما للرّسول من العلم؟ قال: قلت: بلى، قال: فخاصمهم فيه، قال: إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السّلام: «وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء» فأعلمنا أنّه لم يبيّن له الأمر كلّه، وقال الله تبارك وتعالى لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وجئنا بك على هؤلاءِ شهيداً ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء».

**وفيه:** بإسناده عن أبي عمران قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «لقد سئل موسى العالم مسئلة لم يكن عنده جوابها، ولقد سئل العالم موسى مسئلة لم يكن عنده جوابها، ولو كنت بينهما لأخبرت كلّ واحد منهما بجواب مسئلته ولسئلتهما عن مسئلة لا يكون عندهما جوابها».

**وفيه:** بإسناده عن الثّمالي عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: «قلت له: جعلت فداك الأئمّة يعلمون ما يضمر؟ فقال: علمتُ والله ما علمت الأنبيآء والرّسل، ثمّ قال لي: أزيدك؟ قلت: نعم، قال: نزاد ما لم تزد الأنبيآء».

**وفي البحار:** ـ نقلاً عن كتاب المحتضر ـ عن عبد الملك بن سليمان قال: وجد في ذخيرة أحد حواري المسيح عليه السّلام رقّ مكتوب بالقلم السّريانيّ منقولاً من التّوراة، وذلك لمّا تشاجر موسى والخضر عليهما السّلام في قضيّة السّفينة والغلام والجدار، ورجع موسى إلى قومه سئله أخوه هارون عمّا استعمله من الخضر عليهما السّلام في السّفينة وشاهده من عجائب البحر قال: بينما أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سقط بين أيدينا طائر أخذ في منقاره قطرة من مآءِ البحر ورمى بها نحو المشرق، ثمّ أخذ ثانية ورمى بها نحو المغرب، ثمّ أخذ ثالثة ورمى بها نحو السّمآء، ثمّ أخذ رابعة ورمى بها نحو الأرض، ثمّ أخذ خامسة وألقاها في البحر، فبهت الخضر وأنا.

قال موسى: فسئلت الخضر عن ذلك فلم يجب، وإذا نحن بصيّاد يصطاد، فنظر إلينا

وقال: ما لي أراكما في فكر وتعجّب؟ فقلنا: في أمر الطّآئر، فقال: أنا رجل صيّاد وقد علمت إشارته، وأنتما نبيّان لا تعلمان؟ قلنا: ما نعلم إلاّ ما علّمنا الله عزّوجلّ، قال: هـذا طآئـر في البحر يسمّى مسلم لأنّه إذا صاح يقول في صياحه: مسلم وأشار بذلك إلى أنّه يأتي في آخر الزّمان نبيّ يكون علم أهل المشرق والمغرب وأهل السّمآءِ والأرض عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في البحر، ويرث علمه ابن عمّه ووصيّه.

فسكن ما كنّا فيه من المشاجرة، واستقلّ كلّ واحد منّا علمه بعد أن كنّا بـه مـعجبين، ومشينا ثمّ غاب الصّيّاد عنّا، فعلمنا أنّه ملك بعثه الله عزّوجلّ إلينا يعرّفنا بـنقصنا حـيث ادّعينا الكمال».

**وفي بصآئر الدّرجات:** بإسناده عن سورة بن كليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السّلام: «والله إنّا لخزّان الله في سمائه وأرضه لا على ذهب ولا على فضّة إلاّ على علمه» أى خزّان علم السّمآء وعلم الأرض.

**وفي العيون:** بإسناده عن الهروى عن الرّضا عن آبآئه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما خلق الله عزّوجلّ خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي، قال عليّ عليه السّلام: فقلت: يارسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال عليه السّلام: ياعليّ إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيآءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النّبيين والمرسلين، والفضل بعدى لك ياعليّ وللأئمّة من بعدك، وإنّ الملآئكة لخدّامنا وخدّام محبّينا، ياعليّ الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، ياعليّ لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّا ولا الجنّة ولا النّار ولا السّمآء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملآئكة، وقد سـبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؟ لأنّ أوّل ما خلق الله عـزّوجلّ خـلق أرواحـنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده. ثمّ خلق الملآئكة فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحـداً اسـتعظموا أمرنا، فسبّحنا لتعلم الملآئكة أنّا خلق مخلوقون، وأنّه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملآئكة

بتسبيحنا، ونزّهته عن صفاتنا. فلمّا شاهدوا عظم شأننا هلّلنا لتعلم الملآئكة أن لا إله إلّا الله وأنّـا عـبيد، ولسـنا بآلهـة، يجب أن نـعبد مـعه أو دونـه فـقالوا: لا إله إلّا الله. فلمّا شاهدوا كبر محلّنا كبّرنا لتعلم الملآئكة أنّ الله أكبر من أن ينال عظم المحلّ إلّا به. فلمّا شاهدوا ما جعله الله لنا من العزّ والقوّة قلنا: لا حول ولا قوّة إلّا بالله لتعلم الملآئكة أن لا حول لنا ولا قوّة إلّا بالله.

فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطّاعة قـلنا: الحـمد لله لتـعلم الملآئكة ما يحقّ لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه. فقالت الملآئكة: الحـمد لله فـبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده.

ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملآئكة بالسّجود له تعظيماً لنـا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّوجلّ عبوديّة ولآدم إكراماً وطاعة. لكوننا في صلبه. فكيف لا نكون أفضل من الملآئكة، وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون.

وإنّه لمّا عرج بي إلى السّمآء أذّن جبرئيل مثنى مـثنى وأقـام مـثنى مـثنى، ثمّ قـال لي: تقدّم يامحمّد فقلت له: ياجبرئيل أتقدّم عليك؟ قال: نـعم، لأنّ الله تـبارك وتـعالى فـضّل أنبيآئه على ملائكته أجمعين، وفضّلك خاصّة. فتقدّمت فصلّيت بهم ولا فخر. فلمّا انتهيت إلى حجب النّور قال لي جبرئيل: تقدّم يامحمّد وتخلّف عنّي. فـقلت: يـاجبرئيل في مـثل هذاالموضع تفارقني؟ فقال: يامحمّد إنّ انتهآء حدّي الّذي وضعني الله عزّوجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلّ جلاله. فـزخّ بي في النّـور زخّة (فزج بي فى النّور زجة خ) حتّى انتهيت إلى حيث ما شآء الله من علوّ ملكه، فنوديت: يامحمّد، فقلت: لبّيك ربّي وسعديك تباركت وتعاليت، فنوديت: يامحمّد أنت عبدي وأنـا ربّك، فإيّاى فاعبد وعليّ فتوكّل، فإنّك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجّتي عـلى بريّتي لك ولمن اتّبعك خلقت جنّتي، ولمن خالفك خـلقت نـاري، ولأوصيآئك أوجـبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي.

فقلت: ياربّ ومن أوصيآئی؟ فنوديت: يامحمد أوصيآؤك المكتوبون على ساق عرشي فنظرت وأنا بين يدي ربّي جلّ جلاله إلى ساق العرش، فرأيت اثنى عشر نوراً في كلّ نور سطر أخضر عليه إسم وصيّي من أوصيآئي أوّلهم عليّ بن أبيطالب، وآخرهم مهديّ امّتي.

فقلت: ياربّ هؤلآءِ أوصيآئي من بعدي؟ فنوديت: يامحمد هـؤلآءِ أوليآئي وأحـبّآئي وأصفيآئي وحججي بعدك على بريّتي، وهم أوصيآؤك وخـلفآؤك وخـير خـلق بـعدك. وعزّتي وجلالي لأُظهرنّ بهم ديني ولأُعلينّ بهم كلمتي، ولأُطهّرنّ الأرض بآخـرهم مـن أعدآئي ولأُمكّننّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأُسخّرنّ له الرّياح ولأُذلّـلنّ له السّـحاب الصّعاب، ولأُرقينّه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي ولأمدّنّه بملائكتي حتّى تـعلوا دعـوتي وتجمع الخلق على توحيدي، ثمّ لأُديمنّ مُلْكَهُ ولأُداولنّ الأيّام بين أوليآئي إلى يوم القيامة.

**أقول :** رواه فى العلل وفى إكمال الدين، والمجلسي رحمة الله تعالى عليه في البحار.

**تمّت سورة الزّخرف والحمد لله ربّ العالمين**

**وأفضل صلوات الله وأكمل تحياته على محمّد وآله المعصومين**

# سُورَةُ الدُّخَانِ

# سُورَةُ الدُّخَانِ

ترتيبها ٤٤ — آياتها ٥٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾

وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ
بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

## ﴿فضلها و خواصّها﴾

روى الصّدوق رضوان اللّه تعالى عليه في «ثواب الأعمال» بإسناده عن أبي حمزة الـثّمالي قال: قال أبوجعفر﴿عليه السلام﴾: «من قرأ سورة «الدّخان» في فرآئضه و نوافله بعثه اللّه من الآمنين يوم القيامة، و أظلّه تحت عرشه، و حاسبه حساباً يسيراً و أعطاه كتابه بيمينه».

**أقول:** رواه الطّبرسي في المجمع، و جوامع الجامع، و البحراني في البرهان، و الحويزى في نور الثّقلين، و المجلسي في البحار، و الحرّ العامليّ في وسآئل الشّيعة، و غيرهم تركناهم للإختصار إلاّ أنّ في نسخة من المجمع و في جوامع الجامع «تحت ظلّ عرشه» و في نور الثّقلين «ظلّله» بدل «أظلّه» و في البرهان سقط، و روى الكفعمي في المصباح، و الدّيلمي في أعلام الدّين عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق﴿عليه السلام﴾ مثله من دون ذكر «يوم القيامة» و في الأعلام: «من قرأ حم الدّخان ليلة الجمعة بعثه» و ذكر الحديث عن الإمام الصّادق﴿عليه السلام﴾.

**أقول:** و ذلك أنّ من قرأها متذكّراً بما فيها من أمر الكفر و الايمان و مآل أمرهما، و آمن واتّقى و عمل صالحاً من دون شكّ يلعب فيه بعثه اللّه تعالى برحمته الخاصّة آمناً من فزع القيامة: «من جآء بالحسنة فله خير منها و هم من فزع يومئذ آمنون» النّمل: ٨٩) و أظلّه اللّه تعالى تحت ظلّ عرشه، و يغشى الغافلين عنها دخان مبين، و حاسبه حساباً يسيراً أعطاه كتابه بيمينه: «فأمّا من أُوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً»

الإنشقاق: ٧ - ٨) «يوم لايغني مولًى عن مولًى شيئاً و لا هم ينصرون إلاّ من رحم اللّه - إنّ المتّقين في مقام أمين - ذلك هو الفوز العظيم» الدّخان: ٤١ و ٥١ - ٥٧) فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً و لاتكن من الغافلين عنها.

و في **المجمع**: أُبيّ بن كعب عن النّبيّ﴿ﷺ﴾: «و من قرأ الدّخان في ليلة الجمعة غفر له» و في «جوامع الجامع» «غفر اللّه له» و في البرهان: «غفر اللّه له ذنوبه السّابقة» و زاد في المصباح: «و كان له بكلّ حرف منها مأة ألف رقبة و استغفر له سبعون ألف ملك».

و في **المجمع** و **تفسير أبي الفتوح**: عن أبي هريرة عن النّبيّ﴿ﷺ﴾ قال: «من قرأها في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له».

و **فيهما**: عن أبي أمامة عن النّبيّ﴿ﷺ﴾ قال: «من قرأ سورة الدّخان ليلة الجمعة و يوم الجمعة بنى اللّه له بيتاً في الجنّة».

و في **المجمع**: أبو هريرة عن النّبيّ﴿ﷺ﴾ قال: «من قرأ سورة الدّخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك». و عنه عن النّبيّ﴿ﷺ﴾ قال: «و من قرأها في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له».

و في **البرهان** - نقلاً عن خواصّ القرآن - روى عن النّبيّ﴿ﷺ﴾ أنّه قال: من قرأ هذه السّورة كان له من الأجر بعدد كلّ حرف منها مأة ألف رقبة عتيق، و من قرأها ليلة الجمعة غفر اللّه له جميع ذنوبه، و من كتبها و علّقها عليه أمِنَ من كيد الشّياطين، و من جعلها تحت رأسه رأى في منامه كلّ خير، و أمن من تعلقه في اللـيل، و إذا شرب مآءها صاحب الشّقيقة برىء و إذا كتبت و جعلت في موضع، فيه تجارة ربح صاحب الموضع، و كثر ماله سريعاً.

و **فيه**: و قال الصّادق﴿ع﴾: «من كتبها و علّقها عليه أمن من شرّ كلّ ملك، و كان مهاباً في وجه كلّ من يلقاه و محبوباً عند النّاس، و إذا شرب مآئها نفع عن انعصار البطن و سهل المخرج بإذن اللّه».

و في **اصول الكافي** - كتاب الحجّة - باب في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القـدر و تفسيرها حديث ٨ - باسناده عن الحسن بن العبّاس بـن الحـريش عـن أبي جـعفر

الثّاني ﴿عليه السلام﴾ قال: قال أبو عبد اللّه ﴿عليه السلام﴾ - حديث طويل - قال السّائل: يا ابن رسول اللّه كيف أعرف أنّ ليلة القدر تكون في كلّ سنة؟ قال: إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدّخان في كلّ ليلة مأة مرّة، فإذا أتت ليلة ثلاث و عشرين فإنّك ناظر إلى تصديق الّذي سئلت عنه».

**أقول:** رواه الصّدوق في أماليه و معاني الأخبار و الحرّ العاملي في و سآئل الشّيعة، و المجلسي في البحار، و البحراني في البرهان، و الحويزى في نور الثقلين و غيرهم تركناهم روماً للإختصار.

كلّ ذلك من الخواص و الآثار ... جسماً و روحاً، مادّياً و معنويّاً لمن تدبّر في القرآن الكريم و تذكّر بآياته، و آمن و اتّقى و عمل عملاً صالحاً إذ قال اللّه تعالى: «و ننزّل من القرآن ما هو شفآء و رحمة للمؤمنين و لا يزيد الظّالمين إلاّ خساراً» الإسراء: ٨٢.

## ﴿الغرض﴾

هدف السّورة هو التّنويه بليلة نزول الوحي بالقرآن الكريم، و بحكمته و مهمّة الرّسالة و هو إنذار النّاس و تنبيههم من غفلتهم برسالة الرّسول﴿صلّى الله عليه و آله﴾ حسبما اقتضته الرّحمة الالهيّة و توكيد بصدق ذلك، و هم تجاه هذه الرّحمة على فريقين:

فريق الكفر و الطّغيان، و البغى و العصيان، و الظّلم و العدوان...

و فريق التّوحيد و الايمان، و التّقوى و الغفران، و العدل و الإحسان...

مع بيان مآل أمر الفريقين في الحياة الدّنيا بالخزى و الدّمار، و في الآخرة بالعذاب و النّار للكافرين، و بالعزّة و النّجاة في الدّنيا، و الأمن و الفوز العظيم في الآخرة للمؤمنين.

و تنديد بالكافرين على ما هم عليه، و تذكيرهم بما كان من موقف فرعون و قومه المماثل من رسالة موسى﴿عليه السلام﴾ و ما كان من الانتقام و إهلاكهم بالإغراق في اليمّ في الدّنيا، و بعذاب الحميم فى الآخرة، و تبشير بالمؤمنين على نجاة من آمن بموسى﴿عليه السلام﴾ من بني إسرائيل و اختيارهم على العالمين.

## «النّزول»

سورة «الدّخان» مكّيّة نزلت بعد سورة «الزّخرف» و قبل سورة «الجاثية» و هي السّورة الرّابعة و السّتّون نزولاً، و الرّابعة و الأربعون مصحفاً، و تشتمل على (٥٩) آية، سبقت عليها (٣٣٤٨) آية نزولاً، و (٤٤١٤) آية مصحفاً على التّحقيق، و مشتملة على (٣٤٠) كلمة و قيل: (٣٤٦) كلمة، و على (١٤٣١) حرفاً، و قيل: (١٤٤٠) حرفاً على ما في بعض التّفاسير.

و قيل: قوله تعالى: «إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عآئدون» مدنيّة.

و فصول السّورة مترابطة و متساوقة، و بدايتها مرتبطة بنهايتها، و آياتها أيضاً متوازنة توازناً و ثيقاً ممّا يسوّغ القول: إنّها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة، و هي منسجمة في السّياق والموضوع انسجاماً تامّاً، و هذا لاينافي مدنيّة بعض آيها...

و هذه السّورة هي خامسة سلسلة السّور السّبع المكّيّة المعروفة بالحواميم...

و قد سميّت بالدّخان لقوله تعالى: «فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان مبين»: ١٠)

في أسباب النّزول للسّيوطي: عن ابن مسعود قال: إنّ قريشاً لما استعصوا على النّبيّ«صلى الله عليه و آله» دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط حتّى أكلوا العظام، فجعل الرّجل ينظر إلى السّماءِ فيرى ما بينه و بينها كهيئة الدّخان من الجهد، فأنزل اللّه: «فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان مبين» فأُتِيَ رسول اللّه«صلى الله عليه و آله» فقيل: يا رسول اللّه استسق اللّه لمُضَر فإنّها قد هلكت، فاستسق فسقوا، فنزلت الآية: ١٠).

و فيه: قوله تعالى: «إنّكم عائدون» فلمّا أصابتهم الرّفاهيّة عادوا إلى حالهم فأنزل اللّه: «يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون» يعني يوم بدر.

و في السّيرة النّبويّة لابن هشام - باب ذكر ما لقى رسول اللّه(صلى الله عليه و آله) من قومه من الأذى -: «و أبو جهل بن هشام، لمّا ذكر اللّه عزّ و جل شجرة الزّقّوم تخويفاً بهالهم، قال: يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزّقّوم الّتي يخوّفكم بها محمّد؟ قالوا: لا قال: عجوة يثرب بالزّبد، و اللّه لئن استمكنّا منها لنتزقّمنها تزقّماً، فأنزل اللّه تعالى فيه: «إنّ شجرة الزّقّوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلى الحميم» أى ليس كما يقول.

قوله: «عجوة» ضرب من التّمر.

و في أسباب النّزول للسّيوطي: و أخرج سعيد بن منصور عن أبي مالك قال: إنّ أباجهل كان يأتي بالتّمر و الزّبد، فيقول: تزقّموا فهذا الزّقوم الّذي يعدكم به محمّد، فنزلت: «إنّ شجرة الزّقّوم طعام الأثيم»: ٤٣ - ٤٤).

و فيه: و أخرج الاموي في مغازيه عن عكرمة قال: لقى رسول اللّه(صلى الله عليه و آله) أباجهل، فقال: إنّ اللّه أمرني أن أقول لك: «أولى لك فأولى ثمّ أولى لك فأولى» قال: فنزع ثوبه من يده، فقال: ما تستطيع لي أنت و لاصاحبك من شيء، لقد علمت أنّي أمنع أهل بطحاءِ و أنا العزيز الكريم، فقتله اللّه يوم بدر و أذلّهُ و عيره بكلمته، و نزل فيه: «ذق إنّك أنت العزيز الكريم»: ٤٩).

و في أسباب النّزول للواحدي: قال قتاده: نزلت الآية: «ذق إنّك أنت العزيز الكريم» في عدوّ اللّه أبي جهل، و ذلك أنّه قال: أيوعدني محمّد و اللّه لأنّا أعزّ من بين جبليها، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

## ﴿ القراءة ﴾

و قد سبقت قراءة «حٓم» في سورة «المؤمن» فراجع. قرأحفص و عاصم و حمزة: «ربّ السّمٰوات»: ٧) بالخفض بدلاً من «ربّك» و قرأ الباقون بالرّفع لوجوه:

**أحدها-** على الإستئناف، فمبتداء و خبره الجملة: «لا إله إلاّ هو» كقوله تعالى: «ربّ المشرق و المغرب لاإله إلاّ هو» المزّمّل: ٩).

**ثانيها-** على الخبر لـ«إنّ» في قوله تعالى: «إنّه هو السّميع العليم».

**ثالثها-** خبر لمحذوف أى هو ربّ السّموات...

و كذلك: «ربّكم و ربّ اٰبآئكم» بالجرّ بدلاً، و بالرّفع على الإستئناف.

و قرأ نافع و أبوجعفر و ابن كثير و أبو عمرو: «إنّىَ اُتيكم»: ١٩) بفتح اليآء، و قرأ الباقون بإسكانها. و قرأ نافع و ابن كثير و ابن عامر و عاصم: «عُذْتُ» بالإظهار على الأصل، و قرأ الباقون بالإدغام طلباً للتّخفيف. و قرأ حفص و عاصم: «ترجمون» و «فاعتزلون» بكسر النّون، و حذف يآءِ التّكلم وقفاً و وصلاً، و قرأ الباقون بالياءِ: «ترجموني» و «فاعتزلوني» وصلاً و بالحذف وقفاً.

و قرأ حفص و عاصم: «إن لم تؤمنوا لي» بكسر ما قبل ياء التّكلم، و سكون اليآءِ، و قرأ الباقون: «إن لم تؤمنوا لِيَ»: ٢٠) بفتح اليآء، وقرأ حفص و عاصم: «فأسْر» بهمزة القطع، من باب الإفعال، و قرأ الباقون: «فاسْر» بهمزة الوصل ثلاثياً. و قرأ حفص و عاصم: «و عيون» بضمّ العين، و قرأ الباقون: «و عِيون» بكسر العين. و قرأ أبوجعفر:

«فاكهين»:٢٧) بغير ألف - ههنا- وفي «المطفّفين» و في «الطّور» و وافقه حفص في «المطفّفين» فقط.

قرأ حفص و ابن كثير: «يغلي»: ٤٥) بيآء التّذكير حملاً على الطّعام، و هو في معنى الشّجرة، و لا يحمل على المُهل لانّه ذكر للتّشبيه، و قرأ الباقون: «تغلي» بتاء التأنيث، و الضمير للشّجرة، و قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر: «فاعتلوه»: ٤٧) بضمّ التّآء، و قرأ الباقون بكسرها. و قرأ نافع و ابن عامر و أبوجعفر: «في مُقام»: ٥١) بضمّ الميم، و قرأ الباقون بالفتح.

# ﴿الوقف و الوصل﴾

«المبين لا» للجواب التّالي، و من لم يقف على «حٓم» وقف عـلى «المـبين» لأنّ القسم متعلّق بما قبله و هو: هذه حٓم. و «حكيم لا» بنآءً على أنّ التّقدير: أمرنا أمراً، و «عندناط» لتمام الكلام، و «مرسلين ج» لاحتمال أنّ «رحمة» مفعول له، أو مفعول به، أو التّقدير: رحمنا رحمة، و «من ربّك ط» لتمام الكلام و إستئناف التّالي، و «العليم لا» لمن خفض «ربّ السّمٰوات» بدلاً من «من ربّك» و «من بينهما صلى» علامة عـلى جـواز الوصل عند بعض، و عدمه عند الآخرين من القرّآء، و «يميت ط» و «بدخان مبين ى لا» للوصف التّالي، و «ى» علامة العشر الّتي عند انتهاء عشر آيات.

«النّاس ط» لتمام الكلام، و استئناف التّالي، و «مبين» لعطف التّالي، و «مجنون م» لئلاّ يوهم أنّ ما بعده من قول الكافرين، و «عائدون م» لئلاّ يظن أنّ ما بعده ظرف للعود، و «الكبرى ج» لاحتمال التّالي التّعليل، و الاستئناف، و «كريم لا» لتـفسير التّـالي، و «عباد اللّه ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «أمين لا» لعطف التّالي، و «على اللّه ج» لاحتمال التّالي التعليل و الاستئناف، و «مـبين ج» لتمـام الكـلام، و عـطف التّـالي، و «ترجمون زى»: ٢٠) «ز» علامة الوقف المجوّز، ولكنّ الوصل أولى، و «ى» علامة العشر.

«متّبعون لا» لعطف التّالي، و «رهواً ط» لتمام الكلام، و «عيون لا» للـعطف، و «كريم لا» كالسّابق، و «فاكهين لا» لأنّ المعنى: تركوها مهيّأة كما كانت، و «كذلك قف» علامة الوقف المستحبّ و لا حرج في الوصل و «منظرين ع» علامة انتهاء الرّكوع و هو

الحصّة اليوميّة لمن يريد حفظ القرآن الكريم في عامين و «المـهين لاى» لتـعلّق «مـن فرعون» بما قبله.

«من فرعون ط» لتمام الكلام، و «العالمين ج» لتمام الكـلام و عـطف التّـالي، و «ليقولون لا» لمقول القول، و «تبّع لا» لعطف التّالي، و «من قبلهم ط» لتناهي الاستفهام إلى ابتدآء الاخبار، و «أهلكناهم ز» لأنّ التّعليل أوضح، و «أجمعين لاى» لأنّ ما بعده بدل.

«ينصرون لا» لاستثناء التّالي، و «رحم اللّه ط» لتمام الكلام، و «الرّحيم ع» لما سبق آنفاً، و «الزّقّوم لا» لأنّ التّالي خبر لـ«إنّ» و «الأثيم ج» لاحتمال أن يكون «كالمهل» خبراً بعد خبر أو خبر لمبتداء محذوف، و «كالمهل ج» على اختلاف في «كالمهل» بالنسبة إلى ما قبلها، و «في البطون لا» لتعلّق التّالي بما قبله، و «من عذاب الحميم ج» لأنّ التقدير: قولوا أو يقال له: ذق ... و «ذق لا» لتعليل التّالي، و «تمترون»: ۵۰).

«أمين لا» لأنّ التّالي بدل، و «عيون ج» لاحتمال ما بعده الاستئناف و الحال، و «متقابلين ج» لاحتمال أن يراد كما ذكرنا من حالهم من قبل، أو يكون التقدير: الأمر و «كذلك قف» و «عين ط» لئلاّ يوهم أنّ ما بعده نعت للحور، و «آمنين لا» لأنّ ما بعده صفة، فإنّ الأمن لايتمّ إلاّ به و «الاولى ج» لأنّ ما بعده يصلح استئنافاً، و حالاً بإضمار «قد» و «الجحيم لا» لأنّ «فضلاً» مفعول له، و من المحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف أى تفضّلنا بذلك فضلاً، و «من ربك» لتمام الكلام و استئناف التّالي.

## ﴿ اللّغة ﴾

### ١٠ - الدّخن و الدّخان - ٤٦٩

دخنت النّار تَدْخُنُ و تَدْخِنُ دُخاناً و دُخُوناً و دَخْناً - من بابي نصر و ضرب -: خرج دخانها و ارتفع، و خرج الدّخان: ارتفع، و دخن الغبار: سطع.

**الدّخان:** ما يكون مع اللّهيب، و قد يقال للبخار و ما هو على صورته: دخان جمعه: أدخنة و دواخن و دواخين.

قال اللّه تعالى: «فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان مبين» الدّخان: ١٠).

فُسِّرَ بالدّخان المعروف، و يكون ذلك فيما قبل قبيل يوم القيامة أو فيه أو هو كناية عن الشّرّ الغالب أو هو أثر من آثار الجدب و يُبس الأرض، فيثور غبارها، و من اشتداد الجوع، فيصير له ظلمة في الأبصار كظلمة الدّخان. و قالوا: إنّ ذلك و قع حين أصاب قريشاً قحط شديد. يقال: إنّ الجائع كان يرى بينه و بين السّمآءِ دخاناً من شدّة الجوع. بل قيل للجوع: دخان ليُبس الأرض في الجَدْب و ارتفاع الغبار، فشُبّه غُبْرتها بالدّخان. و منها قيل لسنة المجاعة: غبراء و جوع أغبر. و ربما و ضعت العرب الدّخان موضع الشّرّ إذا علا، فيقولون: كان بيننا أمر إرتفع له دخان. و قد قيل: إنّ الدّخان قد مضى.

و قال جلّ و علا: «ثمّ استوى إلى السّمآءِ و هي دخـان» فصّلت:١١) أى مثل الدّخان إشارة إلى أن لا تماسك لها، و يُسِّرَ بالبخار و ما هو على صورته.

و دَخِنَتِ النّار تَدْخَنُ دَخَناً - من باب علم -: كثر و هاج دخانها الشّديد بإلقاءِ الحطب عليها. و دَخِنَ الطّعام و اللّحم و غير هما - : أصابه دخان فأخذريحه في حال طبخه أوشيّه، حتّى غلب على طعمه، فتغلّبت رآئحة الدّخان على طعمه فهو دَخِـنٌ. و دَخِنَ الطّبيخ: أفسده الدّخان إذا تدخّنت القدر. و دَخِنَتِ النّار: فسدت بإلقآءِ الحطب عليها حتّى هاج دخانها. و دَخِنَ خُلُقُه: سآء و فسدو خبث، و دَخِـنَ الشّىء: صـار أدخن، و دَخِنَ النّبت و الدّابّة: صار لونهما أكدر في سواد. و الدَّخَنَ: الفساد. و يقال: لست أُصالحه على دَخِنٍ أى على مكرٍ و فساد.

دَخُنَ النّبت و الدّابّة تَدْخُنُ دُخْنَةً - من باب كرم -: مثل دَخِنَ.

الدُّخْن - كقفل -: حبّ صغير أملس جدّاً، و هو غير الجاوَرْش، الواحدة دُخْنَة: نبات من فصيلة النّجيليّات، حبّه صغير يقدّم طعاماً للطّيور و الدّجاج، زراعته منتشرة في القطر الجزائري و هو نـوع الحـبوب الوحـيد المـمكن زراعـته في بـعض المـناطق الاستوائيّة.

الدُّخْنَة - من الدّخان - لكن تُعُورِفَ فيما يتبخّربه من الطّيّب.

الدَّخَن - محرّكة -: الدّخان، و تُصُوِّرَ منه التأذّى به، فيقال: هو دَخِـنُ الخُـلق: سوءالخلق، و الدَّخَن: سو الخُلْق و الحِقد و تغيّر العقل و الدّين و الحسب، و فرندالسّيف كقوله في سيف: «في متنه دَخَنٌ و أثر أحْلَس». و في الحديث: «هدنة على دَخَـنٍ» أى سكون لعلّة لا للصّلح. و قيل: أى على فساد و اختلاف تشبيهاً بدخان الحطب الرّطب لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصّلاح الظّاهر. و جآء تفسيره في الحديث: أنّه لاترجع قلوب قوم على ما كانت عليه أى لايصفوا بعضها لبعض، و لاينصح حبّها كالكدورة الّتي في لون الدّابّة. و قال المتنبّي: «و لا أُصالح مغروراً على دَخَنٍ» أى على مكر و فساد. و يقال: فلان دَخَنُ الحسب و الدّين و العقل: متغيّر هنّ. استعير من دَخِنَ النّار و الطّبيخ.

الدُّخْنة: - أيضاً - كدرة في سواد، و ذريرة تدخّن بها البيوت و الثّياب.

أبو دُخْنة - طائر يشبه لونه لون القبّرة. و الدُّخْنان: ضرب من العصافير. يوم دَخْنان: سَخْنان و هى دخنانة.

الدُّخْنان و الدّخنانة: ما يغشاه الدّخان.

الدّاخنة: كوّة تتّخذ على المقلى و الأتون، كوّة يخرج منها الدّخان جمعها: الدّواخن.

الأدخن: من به دُخنة أى كدرة في سواد و هي دخنآء. فتُصُوِّر من الدّخان: اللّون. فيقال: شاة دخنآء و ذات دخنة، و كبش أدخن، و ليلة دخنانة كأنّما تغشاها دخان من شدة حرّها.

المدخن: موضع الدّخان، و منه المَدخَن للبيت الّذي يُدَخّن فيه برز القزّ.

المِدْخَنَة - بالكسر - المِجمَرة، جمعها: مداخن.

المَدْخَنَة: ما يخرج منه الدّخان من أنبوب و كوّة (مولّدة).

يقال: «فلان أعجز من قتيل الدّخان» مَثَلٌ يُضرَب في سقوط الهمّة. و أصله: أنّ رجلاً أو قد في جنابه ناراً، فخنقه دخانها و لم يتحلحل عن مكانه.

إبنا دُخان: غنِيٌّ و باهلة. و العرب تقول لغنيّ و باهلة بنو دخان. قيل: سمّوا به لأنّهم غزاهم ملك من اليمن، فدخل هو و أصحابه في كهف، فنذرت بهم غني و باهلة، فأخذوا باب الكهف و دخّنوا عليهم حتّى ماتوا. و قيل: سمّوا به لأنّهم دخّنوا على قوم في غار فقتلوهم. دخّنت النّار و ادّخنت: ارتفع دخانها، و دخّن الشّيءَ: جعل الدّخان يعلوه. و تَدَخَّنت القدر: علاها الدخان. دَخّن: امتصّ دخان لفافة التبغ او دخان التّنبك من النّارجيلة ثم مجّهَ. و يقال ايضاً: دَخّنَ لفافةً او نارجيلة. و دَخّن الشيء: صيّر الدخان يعلوه. إدّخن الزّرع إدّخاناً: اشتدّحبّه. و ادّخنت النّار: مثل دخّنت.

في القاموس و المحكم و الصّحاح: الدّخُن - بالضّمّ - الجاروس، و حبّ الجاروس أوحبّ أصغر منه أملس، بارد يابس حابس للطّبع. و الدُّخان: العُثان.

## ٨ - الفتن و الفتنة - ١١٢٧

فتنه يفتنه و فتنة و مفتوناً - من باب ضرب -: خبره.

من الحسّيّ في المادّة: الفَتْن: الإحراق بالنّار. فتن الشّيء: أحرقه، و فتنت الرّغيف: إذا أحرقته بالنّار.

و من المعنوي فى المادّة: الفتن: الإختبار و الإمتحان و الإبتلاء و من هذا تطلق الفتنة على ما هو سبب لها و يوقع فيها.

و المادّة كثيرة المعنى في لغة العرب. و من المعنوى:

قال اللّه تعالى: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون و جاءهم رسولٌ كريم» الدّخان: ۱۷)

اى عاملنا هم معاملة المختبر.

و فَتَنَ الشّيء فَتْناً: أحرقه، و فتن الصّائغُ الذَّهَبَ فتنةً: أذابه بالبوتقة ليبيّن الجيّد من الرّديء، و يعلم أنّه خالص أو مشوب.

و فتن فتناً و فُتُوناً: أعجبه و في الحديث: «ما تركت فتنة أضرّ على الرّجال من النّسآءِ»، اى أخاف أن يعجبوا بهنّ و يشتغلوا عن الآخرة و العمل لها و فتن المال النّاسَ: إستمالهم، و فتنت المرأة فلاناً و لهّته و أحبّها. و فُتِنَ الرّجلُ إلى النّسآءِ: أراد الفجور بهنّ، و فتنه: أضلّه، و فتنه عن رأيه: صدّه. و فُتِنَ في دينه: مال عنه. و فتنه: أوقعه في الفتنة. و فتن الرّجل: وقع في الفتنة (لازم و متعدٍّ) فهو فاتن. جمعه: فُتّان. و فُتِنَ: أصابته فتنة، فذهبت بما له أو عقله و كذلك إذا اختبر فهو مفتون.

**الفتنة**: الخبرة و الابتلاء و العبرة و المحنة و العذاب، و المرض، و الجنون، و الضّلال و الإثم و الكفر، و الفضيحة و المال و الأولاد و الإيذاء و الحرب و الوله و الحبّ و الإغرآء و الظّلم و الإزالة والزّلّة، و الصّدّ، و الصّرف عن الشّيء، و اختلاف النّاس في الآرآءِ و ما يقع بينهم من القتال، و منه فُسّر قول النّبيّ الكريم﴿ﷺ﴾: «إنّي أرى الفتن خلال بيوتكم» فإنّه يكون القتل و الحروب، و الاختلاف الّذي يكون بين فِرَق المسلمين إذا تحزّبوا، و يكون ما يبلون به من زينة الدّنيا و شهواتها، فيفتنون بذلك عن الآخرة و العمل لها. و في الحديث: «من دخل على السّلطان فُتِنَ» و ذلك لأنّه إن وافقه فيما يأتي و يذر فقد خاطر بدينه و إن خالفه خاطر بدنياه.

**الفتنة**: إسم يقع على كلّ شرّ و فساد. و فتنة النّهار: نبات من فصيلة الزنبقيّات له

أزهار جميلة تتفتّح خلال النّهار، و تنطبق في اللّيل يزرع للتّزيين. جمعها: فِتَن.

**الفاتن:** المضلّ عن الحقّ، و الفاتن: الشّيطان لأنّه يضلّ العباد، و ينحرفهم عن جادّة الحقّ و الهدى.

**الفَتْن:** الحال و الفَنّ و النّوع. و منه: «العُمْر فتْنان» أى نوعان: حلو و مرّ.

**الفِتان:** غشآء للرّحل من أدم كقوله: «فثنيت كفّي و الفِتان و نمرقي»

**الفَتين:** الأرض الحرّة السّودآء، كأنّ حجارتها محرقة. ذَهبٌ فتين: مُحرَقٌ. جمعه فُتُن.

و **المفتون:** كلّ ما غيّرته النّار و الأمة السّودآء مفتونة كأنّها محترقة، و لأنّها محترقة، و لأنّها كالحرّة السّودآء.

**الفَيْتَن:** النّجّار. و المفتون: المجنون.

**الفِتنْان:** الغدوة و العشيّ.

**الفتّان** – مبالغة –: الكثير الفَتْن. الفَتّان: الصّائغ لإذابته الذّهب و الفضّة في النّار، و اللصّ الّذي يعرض للرّفقة في طريقهم، فينبغي لهم أن يتعاونوا على اللّصّ. الفتّان: الشّيطان لأنّه يفتن النّاس عن الدّنيا أو لأنه يفتنهم بخداعه و غروره و تزيينه المعاصي... تقول: «أعوذ باللّه من الفتّان» أى الشّيطان. و إذا نهى الرّجل أخاه عن ذلك فقد أعانه على الشّيطان. الفتّانان: الذّهب و الفضّة، و الدّرهم و الدّينار، و نكير و منكر. و في حديث الكسوف: «و إنّكم تفتنون في القبور» يريد مسئلة نكير و منكر. و منه الحديث: «فبي تفتنون، و عنّي تسئلون» أى تمتحنون بي في قبوركم و يتعرّف إيمانكم بنبوّتي فيها. و في الحديث: «أفتّان أنت أم معاذ؟».

**الفُتّان** – بالضّمّ –: جمع الفَتّان – بالفتح –: الشّياطين. «و استغوتهم الفُتّان» أى الشّياطين. و الفتّان: المضلّون. و في الحديث: «المسلم أخو المسلم يسعهما المآء و الشّجر يتعاونان على الفتّان» أى يعاون أحدهما الآخر على الّذين يضلّون النّاس عن الحقّ و يفتنونهم.

**الفتّانة:** مؤنّث الفَتّان. و الفتّانة: الحجر الّذي يُخبر و يُجرّب به الذّهب و الفضّة.

**أفتنه:** أعجبه، و استماله و ولّهه. و أفتنه: أو قعه في الفتنة. و أفتنه: اختبره. و منه الحديث: «المؤمن خُلِقَ مُفْتَناً» أى ممتحناً. و في الحديث: «إنّ اللّه يحبّ المفتن التوّاب» أى الممتحن بالذّنب ثمّ يتوب.

و **فتّنه:** بمعنى فتنه، شدّد للمبالغة فهو مُفَتِّن، و ذاك مُفَتَّن، و فتّنه المرأة فلاناً: و لّهته.

**إفتنّ:** في دينه: مال عنه. و افتتن: و قع في الفتنة، و أو قعه في الفتنة لازم متعدٍّ.

**تفتّن:** تكلّف ايقاعه في الفتنة.

**تفاتنوا:** تحاربوا.

و قد جآءت المادّة في القرآن الكريم نحو ثلاثين معنىً مع إختلاف بين المفسّرين في تطبيقها على مواردها، فنشير إلى بعضها:

**الأوّل:** الفتنة بمعنى الإمتحان و الإختبار و الإبتلاء كقوله تعالى: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون» الدّخان:١٧) أى و لقد ابتلينا هم قبلهم و عاملناهم معاملة المختبر. و كقوله عزّ و جلّ: «أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا و هم لايفتنون» العنكبوت: ٢) أى و هم لايبتلون في ايمانهم، فيتميّز خبيثهم من طيّبهم. و قد جعلت الفتنة كالبلاء في أنّهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدّة و رخاءٍ و هما في الشّدّة أظهر معنىً و أكثر استعمالاً، و قد قال فيهما: «و نبلوكم بالشّرّ و الخير فتنة» الأنبياء:٣٥).

**الثّاني:** بمعنى المحنة و الشّرّ و شدّة التكليف كقوله تعالى: «و إن أصابته فتنة انقلب على وجهه» الحجّ: ١١) أى وإن أصابته محنة أو شرّ أو شدّة تكليف...

**الثّالث:** بمعنى الشّرك كقوله عزّ و جلّ: «و الفتنة أشدّ من القتل - و قاتلوهم حتّى لاتكون فتنة» البقرة: ١٩١ و ١٩٣) أى و الشّرك أعظم عند اللّه من القتل في الشّهر الحرام، و قاتلوا المشركين حتّى لايكون شرك. و قيل: إنّهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم.

**الرّابع:** بمعنى الكفر كقوله سبحانه: «لقد ابتغوا الفتنة من قبل» التّوبة: ٤٨) أى كان المنافقون في غزوة الخندق و أُحُد يطلبون الكفر و يريدون الإنقلاب على أعقابهم ... و قوله تعالىٰ في المنافقين: «و لكنّكم فتنتم أنفسكم» الحديد: ١٤) و قوله عزّ و جلّ: «فيتّبعون ما تشا به منه ابتغآء الفتنة» آل عمران: ٧) أى طلب الكفر.

**الخامس:** بمعنى الإثم و البليّة و العصيان كقوله عزّ و جلّ: «ألا في الفتنة سقطوا» التوبة: ٤٩) أى في الإثم و البليّة و المعصية وقعوا.

**السّادس:** بمعنى العذاب في الدّنيا و الإحراق بالنّار في الدّار الآخرة كقوله تعالى: «إنّ الّذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات» البروج: ١٠) أى حرّقوا المؤمنين و المؤمنات و عذّبوهم بالنّار في الدّنيا و هم أصحاب الأُخدود، و قوله عزّ و جلّ: «يوم هم على النّار يفتنون ذوقوا فتنتكم» الذّاريات: ١٣ - ١٤) أى ذوقوا عذابكم.

**السّابع:** بمعنى اختلاف الآرآء و تشتّت الأفكار و شقّ العصا... كقوله جلّ و علا: «واتّقوا فتنةً لاتصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة» الأنفال: ٢٥).

**الثّامن:** بمعنى الهجمة و القتل كقوله سبحانه: «إن خفتم أن يفتنكم الّذين كفروا» النّسآء: ١٠١) أى أن يهجمكم و يقتلوكم بغتة على غفلة. و قوله تعالى: «على خوف من فرعون و ملائهم أن يفتنهم» يونس: ٨٣) أى أن يقتلهم.

**التّاسع:** الصّدّ و الخدعة كقوله جلّ و علا: «و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل اللّه إليك» المائدة: ٤٩) أى يصدّوك أو يخدعوك.

**العاشر:** الضّلالة و الإضلال كقوله تعالى: «فإنّكم و ما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين» الصّافّات: ١٦٢) أى بمضلّين أو بقادرين، فإنّ المادّة إذا عدّت بـ «على» لكانت بمعنى القدرة. أى لاتقدرون أن تفتنوا إلاّ من كان من أصحاب الجحيم بسوءِ اختياره.

**الحاديعشر:** بمعنى الخزى و الفضيحة و الهلاكة كقوله عزّ و جلّ: «و من يرد اللّه فتنته» المائدة: ٤١) أى خزيه أو فضيحته أو ضلالته أو هلاكه... على اختلاف في معناها.

**الثّاني عشر:** بمعنى الجنون كقوله تعالى: «بأيّكم المفتون» القلم: ٦).

**الثّالث عشر:** بمعنى الزّلّة و الإزالة، من فتن الرّجل أى أزلّه و أزاله عمّا كان عليه و منه قوله عزّ و جلّ: «و إن كادوا ليفتنونك عن الّذي أوحينا إليك» الإسراء: ٧٣) أي ليزلقونك و يزلّونك عمّا اوحى إليك، و يميلونك و يزيلونك عنه.

**الرّابع عشر:** العذر و الجواب كقوله تعالى: «ثمّ لم تكن فتنتهم إلاّ أن قالوا» الأنعام: ٢٣) أى لم تكن معذرتهم أو جوابهم.

**الخامس عشر:** بمعنى العبرة و المصيبة و البلاء و الاعجاب كقوله تعالى حكاية عن المتوكّلين: «ربّنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظّالمين» يونس: ۸۵) أى لاتجعلنا عبرة لهم. و قيل: الفتنة هنا بمعنى الإعجاب. فالمعنى: ربّنا لاتظهر الظّالمين علينا، فيعجبوا و يظنّوا أنّهم خير منّا. و الفتنة هنا إعجاب الظّالمين بظلمهم. و غيرها من المعاني...

**في المفردات:** أصل الفَتْن: إدخال الذّهب النّار لتظهر جودته من ردائته، و استعمل في إدخال الإنسان النّار، و الفتنة من الأفعال الّتي تكون من اللّه تعالى، و من العبد كالبليّة و المصيبة و القتل و العذاب و غير ذلك من الأفعال الكريهة، و متى كان من اللّه يكون على وجه الحكمة، و متى كان من الإنسان بغير أمر اللّه يكون بضدّ ذلك، و لهذا يذمّ اللّه الإنسان بأنواع الفتنة في كلّ مكان.

**و في مجمع البحرين:** و في الحديث: «الموت خير من الفتنة» الفتنة تكون من اللّه، و من الخلق، و تكون في الدّين و الدّنيا كالإرتداد و المعاصي و البليّة و المصيبة و القتل و العذاب. و يقال: فتنة عمياء صمّاء. أى لايرى منها مخرجاً. و المراد بها صاحبها يقع فيها على غير بصيرة، فيعمون فيها و يصمّون عن تأمّل الحقّ و استماع النّصح.

**و في اللّسان:** جماع معنى الفتنة: الإبتلاء و الإمتحان و الإختبار، و أصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضّة و الذّهب إذا أذبتهما بالنّار لتميّز الرّديء من الجيّد.

**و في تاج العروس** في شرح القاموس: و فتنة الصّدر: الوسواس، و فتنة المحيا أن يعدل عن الطّريق، و فتنة الممات أن يسئل في القبر، و فتنة الضّرّآءِ: السّيف، و فتنة السّرّآء: النّسآء. و يقال للأمة السّودآء: مفتونة لأنّها كالحرّة السّودآء في السّوادكأنّها محترقة. و الفتن: النّاحية عن أبي عمرو. و فتن - كبقم -: مدينة بالهند كبيرة حسنة على ساحل البحر، و مرساها عجيب، و بها العنب و الرّمان الطّيّب.

## ۲۷- فرعون - ۱۱۴۶

فرعن الرّجل يفرعن فرعنة و فرِعاناً - رباعّي من باب دحرج -: تكبّر كان

ذادهآء و نكر. و فرعن النبات: طال و قوى. و فرعن فلان علينا: طغى و تجبّر.

الفرعنة: الدّهاء و النكر. يقال: فيه فرعنة. و عندالعامّة: البطر. فيقولون: «فلان مُفَرْعِنٌ» أى بَطِرٌ.

فِرْعَوْن، و فُرْعُون، و فُرْعَون كلّ عات متمرّد. كان لقباً لكلّ ملك مصر.

قال اللّه تعالى: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون - من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين» الدّخان: ١٧ و ٣١).

جمع فرعون: فراعنة، و تقول: «أعُوذ باللّه من تيه الفراعنة».

الفرعون: التّمساح بلغة القبط. تفرعن: تخلّق بأخلاق الفراعنة.

في المفردات: فرعون: إسم أعجميّ، و قد أُعتبر عرامته، فقيل: تفرعن فلان إذا تعاطى فعل فرعون، كما يقال: أبلس و تبلّس، و منه قيل للطّغاة: الفراعنة و الأبالسة.

و في اللّسان: الفرعنة: الكبر و التجبّر، و فرعون كلّ نبيّ مَلِك دهره. قال القطامي:

و شقّ البحر عن أصحاب موسى و غُرِّقَتِ الفراعنة الكِفار

الكِفار: جمع كافر كصاحب و صِحاب. و فرعون الّذي ذكره تعالى في كتابه من هذا، و إنّما ترك صرفه في قول بعضهم لأنّه لاسميّ له كإبليس فيمن أخذه من أبلس. قال ابن سيده: و عندي أنّ فرعون هذا العلم أعجميّ، و لذلك لم يصرف. الجوهري: فرعون لقب الوليد بن مُصْعَب مَلِكَ مصر.

و في القاموس و شرحه: فرعون - بلالام - لقب الوليد بن مصعب بن الريان بن الوليد بن بروان بن يراش بن فاران بن عويج بن يلمع بن اسليحابن لاوذ بن سام بن نوح﴿عليه السلام﴾ و كان في الأصل عشاراً في قرية منف هو صاحب موسى﴿عليه السلام﴾ الّذي ذكره تعالى في كتابه العزيز. الدّورع الفرعونية، منسوبة إلى فرعون موسى﴿عليه السلام﴾ و الفرعونية قرية بمصر على شاطىء النّيل.

## ٧٩ - الرّهو - ٦٠٧

رها الرّجل يرهو رَهْواً - واويّ من باب نصر -: رفق، و سار سيراً سهلاً فهو راهٍ.

و رها البحر رهواً: سكن. و كلّ ساكن لايتحرّك راهٍ و رَهْوٌ.

قال اللّه جلّ و علا: «و اترك البحر رهواً إنّهم جندٌ مغرقون» الدّخان: ٢٤) أى مفتوحاً ذا فجوة واسعة. أى سعة من الطّريق. و قيل: اتركه و أنت ساكن النّفس، أو تفرّق منه المآء أو واسعاً بين طاقات. أو دع البحر قآئماً مآئه ساكناً، و اعبر أنت البحر. أو ساكناً على هينته قارّاً على حاله. يقال: إفعل ذلك رَهْواً: ساكناً على هينتك.

يقال: جآئت الخيل رهواً: متتابعة و تسير سيراً سهلاً. و أَرْهُ على نفسك: إرفق بها. و الرّهو: السّير السّهل السّريع رها فلان بين رجليه: فتح. و رها الطّائر: نشر جناحيه. بِئْرٌ رَهْوٌ: واسعة الفم. الرّهآء من الأماكن: الواسع و من كلّ شيء: مستواه. و منه: الرّهاء للمفازة المستوية. و يقال لكلّ حومة مستوية يجتمع فيها الماء: رهو. و منه قيل: لاشفعة في رَهْو. الرَّهْو: المكان المرتفع و المنخفض. ضدّ و الرَّهْو جماعة من النّاس. يقال: النّاس رَهْوٌ ما بين المدينة و الجبل أى متقاطرون. الرّهو: المطر السّاكن. و الرّهو: مشى في سكون، جمعه: رِهآء. ثوبٌ رَهْوٌ: رقيقٌ. غارة رَهْوة: متتابعة. الرّهو و الرّهوة: شبه تلّ صغير في متون الأرض، و على رؤس الجبال و هى مواقع الصّقور و العقبان.

الرّهوة: المكان المرتفع و المكان المنخفض. ضدّ. يجتمع فيه المآء. و في الحديث: «نهى أن يباع رهو المآء» أى مجتمعه. سمّى رهواً بإسم الموضع الّذي هو فيه لانخفاضه. و الرّهوة: الموضع الّذي تسيل إليه مياه القوم. و منه الحديث: «سُئِلَ عن غَطَفان فقال: رهوة تنبع مآء» أراد أنّهم جبل ينبع منه المآء، و أنّ فيهم خشونة و توعّراً» و منه الحديث: «لاشفعة في فنآءٍ و لامنقبة و لاطريق و لارُكْح و لارهْو» أى أنّ المشارك في هذه الأشيآءِ الخمسة لاتكون له شفعة إن لم يكن شريكاً في الدّار و المنزل الّتي هذه

الأشياء من حقوقها، فإنّ واحداً من هذه الأشياء لايوجب له شفعة حتى يكون شريكاً في عين العقار و الدّور و المنازل الّتي هذه الأشيآء من حقوقها، و الفنآء: فنآء الدّار و هو ما امتدّ معها في جوانبها، والمُنقبة: الطّريق بين الّدارين، و الرُّكْح: ناحية البيت من ورائه، و ربما كان فضاءً لابناء فيه. و الرَّهْو: الجوبة التّي تكون في محلّة القوم يسيل إليها مياههم.

الرَّهآء من الأماكن: الواسع. يقال: صادفتُ موضع رَهاء. يقال: طلع رَهْواً و رهوة و هو نحو التلّ. رَهْوة: عقبة ببلاد العرب، جمعها: رَهَوات. و في حديث عليّ﴿؏﴾ يصف السّمآء: «و نظم رَهَوات فُرَجها» أى المواضع المتفتّحة منها. الرّاهي من العيش: الطّيّب السّاكن.

**الرّاهية**: مؤنّث الرّاهي: النّحلة، سمّيت بها لسكونها في طيرانها، و الرّهو من الطّير و الخيل: السَّراع.

**الأرهآء**: الجوانب. ونظر أعرابيّ إلى بعير فالج فقال: رهو بين سنامين. الرّهو: طآئر يشبه الكُرْكي. و الرّهِيّة: طعام يُعمل بأن يؤخذ السّنبل و يُفرَك بالأيدى، ثمّ يُدَقّ ويلقى عليه لبن، و يطبخ به. و الرَّهِية: بُرّ يطحن بين حجرين و يصبّ عليه لبن و قدراتهى.

عيشُ راهٍ: خصيب ساكن رافهٌ. طعام راهٍ: دائم كراهن.

**الرّهوان**: المطمئن من الأرض، و به سمّى البِرذون إذا كان ليّن الظّهر في السّير (تركيّة أو فارسيّة) على قول.

**المرهاة**: – من الخيل – السّريعة. جمعها: مراه. يقال: فرس مرهاة. و في حديث رافع بن خديج: «أنّه اشترى بعيراً من رجل ببعيرين فأعطاه أحدهما و قال آتيك بالآخر غداً رهواً» أى عفواً سهلاً لا احتباس فيه. و في حديث ابن مسعود: «إد مرّت به عنانة تَرَهْيَأتْ» أى سحابة تهيّأت للمطر فهي تريده و لم تفعل.

رُهآء – بالضّمّ و المدّ – حيّ من بني مذ حج، و النّسبة إليهم رهاوي. و الرّها: مدينة. و الرّهآء: بلد بالجزيرة ينسب إليه ورق المصاحف.

**أرهى على نفسه** يُرهي إرهآءً – من باب الإفعال –: رفق بها و سكّنها. يقال: أرْهِ على نفسك أى إرفق بها. و يقال: أرهى لك الشيء أى أمكنك. و أرهيته لك أى مكّنتك منه. أرهى إرهآءً: صادف مكاناً رهاءً. أرهى إرهآءً: دام على أكل الرّهو أي الكُرْكي، وصادف موضعاً رهآءً. أرهى لهم الطّعام و الشّراب و غيرهما: أدامه.

**المُرْهي** – من الخيل –: السّريع الّذي تراه كأنّه لايسرع، و إذا طُلِبَ لم يُدرَك. و يقال: ما أرهيتَ إلاّ نفسك أى ما رفقت إلاّ بها. و جمع المُرهي: المراهي ...

**راهى الرّجل** يراهي مراهاة – من باب المفاعلة –: قاربه و اجتمع معه حامقه.

**تراهي القوم**: تعاملوا برفق و وداعة.

**إرتهى القوم**: اختلطوا، اتّخذوا الرَّهِيّة.

## ٦٦ – البكآء – ١٥٠

بكى الرّجل يبكى بُكآءً و بُكىً – يائيٌ من باب ضرب نحورَمىٰ –: سال الدّمع من عينيه حزناً و ألَماً فهو باكٍ، جمعه باكون و بكاة. و جمع باكية: باكيات و بواكٍ.

**البكآء**: سيلان الدّمع عن حزن و عويل، يقال إذاكان الصّوت أغلب كالرُّغآءِ و الثّغا و سآئر هذه الأبنية الموضوعة للصّوت، و بالقصر يقال إذاكان الحزن أغلب.

بكا الميّت يبكيه بكاءً: بكى عليه ورثاه، و بَكى الرّجل: أبكاه. و بكت السّحابة في أرضهم: صبّت مآءها.

قال اللّه تعالى: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين» الدّخان: ۲۹) أى ما حزن أحد لفقدهم، و هو تهكّم بهم و بحالهم المنافية لحال من يعظم فقده.

و بكت السّمآء إذا أمطرت. و قال جرير: «تبكى عليك النّائحات بجمعها».

و بُكِيّ جمع تكسير للبكآء. قال اللّه تعالى: «خرّوا سجّداً و بكيّاً» مريم: ٥٨) أصله: فعول كالجالس و الجلوس، لكن قلبت الواو يآءً، فادغم نحو جاث و جُثِيّ.

بُكيّ يقال في الحزن و إسالة الدّمع معاً، و يقال في كلّ واحد منهما منفرداً عن الآخر، و قد يكنّى بالبكآءِ عن الحزن و الألم كما يكنّى بالضّحك عن السّرور.

قال اللّه تعالى: «فليضحكوا قليلاً و ليبكوا كثيراً» التّوبة: ٨٢) إشارة إلى الفرَح و التّرَح و إن لم تكن مع الضّحك قهقهة و لامع البكآءِ إسالة دمع.

**البكى** – مقصوراً –: نبات أو شجرة. الواحدة بكاة كحصاة.

**البكّاء و البكيّ**: الكثير البكاء، و هي بكّاءة و بكيّة.

**التبكاء** – بفتح التاء و كسرها –: البكآء أو كثرته.

**المَبكىٰ** – جمعه مباك –: مكان البكآءِ. و منه: «حائط المبكى» و هو حائط باق من هيكل سليمان في القدس يزوره اليهود و يبكون عنده.

**أبكاه يبكيه إبكآءً** – من باب الإفعال –: فعل به ما يوجب بكاءه، و أبكى الرّجلَ: هيّجه للبكاء.

بكّاه على الفقيد: هيّجه للبكاء عليه و دعاه إليه.

باكيته فبكيته: كنت أبكي منه.

**تباكى**: تكلّف البكاء. كقولك: «تبيّن من بكى ممّن تباكى» و منه: «إن لم تجدوا البكاء فتباكوا». و في عزآءِ سيّد الشهدآءِ الحسين بن عليّ عليهما السلام: «مَن بكى أو أبكى أو تباكىٰ وجبت له الجنّة».

استكباه: مثل أبكاه و طلب منه أن يبكى.

## ١٧ – الزّقّوم – ٦٣٤

زقم الطّعام و يزقه زَقْماً و ازدقم – من بابي علم و نصر –: لقمه و ابتلعه.

**الزّقوم**: من الزّقم: اللقم الشّديد، و الشّرب المفرط و شجرة مرّة كريهة الطّعم و الرّايحة يكره أهل النّار على تناوله. و منه: «أعوذ بك من الزّقّوم».

الزّقوم: كلّ طعام يقتل، و الزّبد بالـتّمر في لغة أهل إفريقيّة، و شجرة. قيل: إنّها في جهنّم و منها طعام أهل النّار. قال اللّه تعالى: «إنّ شجرة الزّقوم طعام الأثـيم» الدّخـان: ۴۳-۴۴).

**الزّقمة:** الطّاعون، المرّة من زقم.

**أزقم الشّيء:** جعله يبلعه. و زقّم: أطعمه الزّقّوم. و تزقّم: تلقّم أكل الزّقّـوم. و تزقّم اللبن: أفرط في شربه.

**في المفردات:** «الزّقّوم» عبارة عن أطعمة كريهة في النّار، و منه استعير زَقَمَ فلان و تزقّم إذا ابتلع شيئاً كريهاً.

## ۳۳ - الغلي - ۱۱۰۲

غلت القِدْر و الجرَّة تغلي غلياً و غَلَياناً - يائيّ من باب ضرب نحورمى -: إذا جاشت و ثارت و اشتدّت غليانها بقوّة الحرارة. و به شُبّهَ غَلَيان الغضب و الحرب.

قال اللّه تعالى: «كالمهل يغلي في البطون كغلى الحميم» الدّخان: ۴۵ - ۴۶).

**الغالية:** أخلاط من الطّيب، مركّب من مسك و عنبر و كافور و دهن البـان و عود، و تغليت بالغالية، و تغلّلت بها: إذا تطيّبت بها، و إنّما سمّيت لأنّها أخلاط تغلي على النّار مع بعضها.

أغلى القِدْر إغلاءً: جعلها تغلي. و غلّى القِدْر تغلية: جعلها تغلي. و غلّى الرّجُلُ: سلّم من بُعدٍ و أشار.

**المِغلاة:** آلة تغلى بها الأبازير و النّباتات و اللّـبن و غـيرها، و مـنها المـغلاة الكهربائية و العامّة تسمّيها غِلاّية.

تغلّى الرّجل: تطيّب بالغالية، و تخلّق بها كتغلّل.

**الغلانية** - بتخفيف الياء - التغالي بالشّيء و النّون زائدة.

**الغَلْيون:** أنبوب قصير على شكل معروف، له رأس مجوّف يُحرِق فيه التّبغ عند شربه. جمعه: غلايين.

و **الغاليون:** نبات.

## ٨٤ - سُنْدُس - ٧٤٣

اختلف أهل اللغة في معنى «سندس» فقال أكثرهم: سندس: ضرب من نسيج الدّيباج و رفيعه أو الحرير (فارسيّة) و منهم من قال: ضرب من نسيج البزّ أو من رقيق الدّيباج. و في الكلّيات: هو نمارق من حرير (معرّب) و قيل: عربيّ أو هو من توافق اللغات. و قيل: نمارقّ من الدّيباج و ممّا غلظ منه. و قيل: ضرب من البُزيون يتّخذ من المِرْعِزّى و قيل: ضرب من البرود.

# ﴿الدّخان﴾

١- حم

سبق القول في إعراب «حم» في أوّل سورة «المؤمن» فراجع.

٢- (و الكتاب المبين)

سبقت الوجوه من الكلام حول الآية الكريمة في أوّل سورة «الزّخرف» فراجع.

٣- (إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين)

«إنّا» حرف توكيد مع إسمها، و «أنزلنا» فعل ماضٍ للتّكلم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال في موضع رفع، خبر لـ«إنّ» و الضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، و في الجملة المؤكّدة و جهان: **أحدهما** - جواب القسم لا محلّ لها. **ثانيهما** - إعتراضيّة بين القسم لامحلّ لها، و جوابه: «إنّا كنّا منذرين». و ليست جملة «إنّا أنزلناه» جواب القسم، إذ لايقسم بالشّيء على نفسه، فإنّ القسم تأكيد خبر لخبر آخر، و إنّ الجواب صفة للمقسم به، و لاتكون صفة المقسم به جواباً للقسم. و لكنّ الجمهور على الأوّل من دون بأس، فإنّ المعنى: إنّا أنزلنا القرآن على محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾ و لم يتقوّله. و من المحتمل أنّ القسم وقع على إنزاله في ليلة مباركة.

«في ليلة» متعلّق بـ«أنزلناه» و «مباركة» إسم مفعول من باب المفاعلة، نعت لـ «ليلة» و «منذرين» جمع «منذر» إسم فاعل من باب الإفعال، خبر لـ«كنّا» و جملة «كنّا منذرين» في موضع رفع، خبر لـ«إنّ» الثّاني، و في الجملة المؤكّدة وجوه:

**أحدها** – جواب ثانٍ للقسم من غير عاطف. **ثانيها** – أنّها جواب قسم. **ثالثها** – مستأنفة أو إعتراضيّة. **رابعها** – تفسيريّة لجواب القسم. و على الوجوه الأربعة لامحلّ لها.

**٤– (فيها يفرق كلّ أمرٍ حكيم)**

«فيها» متعلّق بـ«يُفرَق» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، و «كلّ» ناب مناب الفاعل، أضيف إلى «أمر» و «حكيم» نعت لـ«أمر» و في الجملة: «فيها يفرق ...» وجهان:
**أحدهما**– مستأنفة تفسيريّة لجواب القسم الّذي هو قوله تعالى: «إنّا أنزلناه ...» كأنّه قيل: أنزلناه لأنّ من شأننا الإنذار و التّحذير من العقاب، و كان إنزالنا إيّاه في هذه الليلة خصوصاً لأنّ إنزال القرآن من الأمور الحكيمة، و هذه اللّيلة يفرق فيها كلّ أمر حكيم.
**ثانيهما** – في موضع خفض، نعت لـ«ليلة».

**٥– (أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين)**

في «أمراً» وجوه: **أحدها** – مفعول مطلق، نائب عن المصدر فهو ملاقيه في المعنى أي فرقاً من عندنا. **ثانيها** – حال من فاعل «أنزلناه» أى آمرين أو مأموراً به. **ثالثها**– حال من مفعول «أنزلناه». **رابعها** – حال من فاعل «يُفرَق». **خامسها** – مفعول لاجله، عامله «أنزلناه». **سادسها** – مفعول لأجله، عامله «منذرين». **سابعها** – مفعول به لـ«منذرين» كقوله تعالى: «لينذر بأساً» الكهف: ٢).

**ثامنها**– مفعول لأجله، عامله «يفرق». **تاسعها** – حال من الضّمير في «حكيم» لانّه قريب من المعرفة. **عاشرها** – حال من «أمر» لانّه قد وصف. و المعنى: فيها يفرق كلّ أمر حكيم. حالكونه أمراً من عندنا. **الحادى عشر**: حال من «كلّ». **الثّاني عشر**: أن

يكون مصدراً أى أمرنا أمراً، و دلّ على ذلك ما يشتمل عليه الكتاب من الأوامر. **الثّالث عشر**: أن يكون بدلاً من الهاءِ في «أنزلناه». **الرّابع عشر**: منصوب على الإختصاص أى أخصّ أو أعني بهذا الأمر الحكيم أمراً صادراً من عندنا. لأنّ كونه من عنداللّه يوجبه مزيد شرف و فخامة. **الخامس عشر**: أن يكون التّقدير: ذا أمر. فحذف المضاف كما قال تعالى: «ولكنّ البرّ» البقرة: ١٧٧) بمعنى ذا البرّ. **السّادس عشر**: مصدر مؤكّد لـ «يفرق» لاتّحاد الأمر و الفرقان في المعنى.

و في «من عندنا» وجوه: **أحدها** – متعلق بمحذوف، هو نعت لـ «أمراً» أى أمراً ثابتاً أو مستقرّاً من عندنا. **ثانيها** – متعلق بـ «يفرق». **ثالثها** – متعلق بـ «أنزلناه» أى حالكون الكتاب أمراً أو بأمرٍ من عندنا.

و في جملة «إنّا كنّا مرسلين» وجوه: **أحدها** – تعليليّة لـ «يفرق» أو لقوله: «أمراً». **ثانيها** – بدل من قوله: «إنّا كنّا منذرين» أى أنزلنا القرآن لأنّ من شأننا إرسال الرّسل و إنزال الكتاب إلى عبادنا. **ثالثها** – جواب ثالث للقسم. رابعها – مستأنفة لامحلّ لها على الوجوه كلّها.

**٦-(رحمة من ربّك إنّه هو السّميع العليم)**

في «رحمة» وجوه: **أحدها** – منصوب على المصدر أى رحمناكم رحمة. **ثانيها**– منصوب على الحال أى أنزلناه آمرين به، راحمين رحمة عليهم. **ثالثها**– منصوب على أنّه مفعول له أى أنزلناه لأجل إفاضة الرّحمة على النّاس أو لاقتضآء رحمة ربّك إنزاله. فحذف مفعول «مرسلين». **رابعها** – مفعول له، عامله «أمراً». **خامسها** – مفعول له، عامله «يفرق». **سادسها** – مفعول له، عامله «منذرين». **سابعها**– مفعول به لـ«مرسلين» و المراد بالرّحمة النّبيّ ﴿ﷺ﴾ لقوله تعالى: «و ما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» الأنبياء: ١٠٧).

**ثامنها**– حال من ضمير «مرسلين» أى ذوي رحمة. **تاسعها** – بدل من «أمراً» فيجىء فيه ما تقدّم. **عاشرها** – تعليل لـ «يفرق». **الحادى عشر**: تعليل لـ «أمراً».

الثّاني عشر: منصوب على الاختصاص أى أعني بهذه الرّحمة رحمة خاصّة كائنة من عند ربك.

و في «من ربّك» و جهان: أحدهما - متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «رحمة». ثانيهما - متعلّق بنفس «رحمة» و «إنّ» حرف توكيد، تشبه بالفعل، و «ه» في موضع نصب، إسمها، و في «هو» و جهان: أحدهما - ضمير منفصل، مبتداء، و «السّميع» خبره و الجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ». ثانيهما - ضمير فصل للتّوكيد، و «السّميع» خبر «إنّ» و «العليم» خبر ثانٍ.

٧- (ربّ السّموات و الأرض و ما بينهما إن كنتم موقنين)

في «ربّ السّموات» قرائتان: أحدهما - الجرّ و فيه: وجوه: أحدها - بدل من «ربّك» فمجرور مثله. ثانيها - بيان لـ «من ربّك». ثالثها - نعت.

ثانيهما - الرّفع و فيه أيضاً وجوه: أحدها - مبتداء و «لاإله إلاّ هو» خبره فالجملة مستأنفة لامحل لها. ثانيها - في موضع رفع، خبر ثالث لـ «إنّ». ثالثها - خبر لمحذوف أي هو ربّ السّموات. رابعها - وصف لـ «السّميع العليم».

و الواو عاطفة، و «الأرض» عطف على «السّموات» و الواو الثّانية عاطفة، و «ما» موصولة في موضع جرّ، معطوف على «السّموات» و «بينهما» ظرف، منصوب، متعلّق بمحذوف، هو صلة الموصول، و «إن» حرف شرط، و «كنتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب من أفعال النّاقصة، في موضع جزم، فعل الشّرط، و «موقنين» جمع «موقن» إسم فاعل من باب الإفعال، خبر لـ «كنتم»، و في جملة «إن كنتم موقنين» و جهان: أحدهما - مستأنفة. ثانيهما - إعتراضيّة لامحلّ لها على الوجهين. و جواب الشّرط محذوف أى فأيقنوا برسالة محمّد(ﷺ).

٨- (لا إله إلاّ هو يحيي و يميت ربّكم و ربّ آبآئكم الأوّلين)

«لا» حرف نفي للجنس على سبيل التّنصيص، تعمل عمل «إنّ» و «إله» مبنيّ على

الفتح إسمها، و خبرها محذوف أى لا إله بحقّ موجود أو ممكن... و «إلاّ» حرف استثناءٍ، و في «هو» و جهان: **أحدهما** - بدل من الضّمير المستكن في الخبر. **ثانيهما** - خبر لـ«لا». و في الجملة وجوه: **أحدها** - في موضع رفع، خبر رابع لـ«إنّ». **ثانيها** - مستأنفة لامحلّ لها. **ثالثها** - في موضع رفع، خبر لمبتداء محذوف، تقديره: اللّه لا إله إلاّ هو.

«يحيى» فعل مضارع من باب الإفعال، خبر لمحذوف أى هو يحيي. و في الجملة وجهان:

**أحدهما** - مستأنفة بيانيّة لامحلّ لها. **ثانيهما** - في موضع رفع، خبر بعد خبر لـ«إنّ» و «يميت» معطوف على «يحيي». و في «ربّكم» وجوه: **أحدها** - خبر لمحذوف أى هو ربّكم و الجملة مستأنفة بيانيّة لامحلّ لها. **ثانيها** - خبر خامس لـ«إنّ». **ثالثها** - أن يكون فاعلاً لـ«يميت» و في «يحيي» ضمير راجع إلى ما قبله أو على شريطة التّفسير. و «ربّ آبآئكم» معطوف على «ربّكم» و «الأوّلين» نعت لـ«آبآئكم».

**٩- (بل هم في شكّ يلعبون)**

«بل» للإضراب الانتقالي عن محذوف، كأنّه قيل: فليسوا بموقنين برسالة محمّد(ﷺ) بل ... و «هم» مبتداء، و «في شكّ» متعلّق بمحذوف، هو خبر المبتداء، و الجملة مستأنفة لامحلّ لها، و «يلعبون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب. و فى جملة «يلعبون» و جهان: أحدهما - في موضع رفع، خبر ثان لـ«هم». **ثانيهما** - في موضع نصب، حال من «هم».

**١٠- (فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخانٍ مبين)**

في الفاءِ و جهان: أحدهما - فصيحة. **ثانيهما** - عاطفة للرّبط، و «ارتقب» فعل أمر من باب الإفعال، و فاعله ضمير مستترفيه و جوباً، و جملة «ارتقب» معطوفة على استئناف مسبّب عمّا سبق لامحلّ لها أى تنبّه فارتقب، و «يوم» مفعول به لـ«ارتقب» اضيف إلى «تأتي» و «السّمآء» فاعل «تأتي» و الجملة في موضع جرّ لإضافة «يوم»

إليها، و «بدخان» متعلّق بـ «تأتي» و الباء للتّعدية، و «مبين» إسم فاعل من باب الإفعال، نعت لـ «دخان».

١١- (يغشى النّاس هذا عذابٌ أليم)

«يغشي» فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «دخان» و الجملة في موضع جرّ، و نعت ثانٍ لـ «دخان» و «النّاس» مفعول به، و «هذا» مبتداء و «عذاب» خبره و «أليم» نعت لـ «عذاب» و جملة «هذا ...» في موضع نصب، مقول لقول مقدّر أي قالوا: هذا عذاب ... و جملة القول في موضع نصب على الحال أى قائلين لربّك.

١٢- (ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون)

«ربّنا» منادى مضاف، و الجملة مستأنفة في حيّز القول لامحلّ لها، و «اكشف» فعل أمر للدّعاءِ، و الفاعل مستتر، تقديره أنت. و «عنّا» متعلّق بـ «اكشف» و «العذاب» مفعول به، و جملة «اكشف...» جواب النّدآء لامحلّ لها، و «إنّا» حرف توكيد و إسمها و «مؤمنون» خبرها، و الجملة تعليليّة للدّعاء لامحلّ لها.

١٣- (أنّى لهم الذّكرى و قد جآء هم رسولٌ مبين)

«أنّى» إسم استفهام. بمعنى كيف، في موضع نصب، ظرف مكان، متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «لهم» تبيين متعلّق بحال من «الذكرى» و هو مبتداء مؤخر، أو «أنّى» ظرف يعمل به الاستقرار، و الخبر هو «لهم» و جملة «أنّى لهم الذّكرى» مستأنفة لامحلّ لها و «قد» حرف تحقيق، و «جآء» فعل ماضٍ، و «هم» في موضع نصب، مفعول به، و «رسول» فاعل «جآء» و جملة «جآءهم رسول» في موضع نصب، حال من الضّمير في «لهم» و «مبين» نعت لـ «رسول».

١٤- (ثمّ تولّوا عنه و قالوا معلّم مجنون)

«ثمّ» حرف عطف، و «تولّوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب من باب التّفعّل على حذف اليآءِ الّتي هى لام الفعل، مبنيّ على الضّمّ المقدّر على اللام المحذوفة لالتقاء السّاكنين، و «عنه» متعلّق بـ«تولّوا» و في الجملة و جهان: **أحدهما** - عطف على محذوف أى فلم يذكّروا به ثمّ تولّوا عنه فلا محلّ لها. **ثانيهما** - في موضع نصب، معطوفة على جملة «جآءهم رسول مبين» و الواو عاطفة و في «قالوا» وجوه: **أحدها** - عطف على «تولّوا» **ثانيها** - في موضع نصب، معطوفة على جملة «جآءهم رسول» **ثالثها** - في موضع نصب، حال من فاعل «تولّوا» بتقدير «قد» و «معلّم» إسم مفعول من باب التّفعيل، خبر لمحذوف أى هو معلّم، و «مجنون» إسم مفعول لثلاثي، خبر ثانٍ لمحذوف، و جملة «هو معلّم...» في موضع نصب مقول القول.

## ١٥- (إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عائدون)

«إنّا» حرف توكيد مع إسمها، و «كاشفوا» جمع كاشف، إسم فاعل، خبر «إنّ» اضيف إلى مفعوله و هو «العذاب» و الجملة المؤكّدة مستأنفة بيانيّة جواب لدعآئهم لامحلّ لها. و في «قليلاً» و جهان: **أحدهما** - إسم منصوب، نائب عن ظرف مقدّر أى زمناً قليلاً، فمتعلق بـ«كاشفوا» **ثانيهما** - مفعول مطلق نآئب عن المصدر أى كشفاً قليلاً. و «إنّكم عائدون» تعليليّة للإستئناف المتقدّم لامحلّ لها.

## ١٦- (يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون)

في «يوم» وجوه: **أحدها** - ظرف، منصوب، متعلّق بمحذوف دلّ عليه «منتقمون» أى ننتقم. **ثانيها** - بدل من «يوم يأتي». **ثالثها** - منصوب بإضمار ذكّر أو اذكر يا محمّد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ يوم... **رابعها** - منصوب بـ«منتقمون» أى ننتقم. **خامسها** - منصوب متعلّق بـ«عائدون». **سادسها** - أن يكون العامل فيه «كاشفوا العذاب» و «نبطش» فعل مضارع للتّكلّم مع الغير تعظيماً، في موضع جرّ لإضافة «يوم» إليها، و «البطشة» مصدر المرّة من فعل بطش، مفعول مطلق، و «الكبرى» نعت لـ«البطشة» و

«منتقمون» جمع منتقم، إسم فاعل من باب الإفتعال، خبر «إنّ» و في الجملة المؤكّدة و جهان: **أحدهما** – مستأنفة بيانيّة. **ثانيهما** – تعليليّة لامحلّ لها على الوجهين.

**١٧– (و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون و جآءهم رسولٌ كريم)**

الواو استئنافية، و اللام لام قسم مقدّر، و «قد» حرف تحقيق، و «فتنّا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً، ثلاثيّ، و «قبلهم» ظرف منصوب، متعلّق بـ«فتنّا» و جملة «قد فتنّا...» جواب القسم المقدّر لامحلّ لها، و جملة القسم المقدّرة إستئنافية لامحلّ لها، و «قوم» مفعول به لـ«فتنّا» أُضيف إلى «فرعون» غير منصرف للعلميّة و الأعجميّة. و في الواو و جهان: **أحدهما** – عاطفة، و «جآء» فعل ماض، و «هم» فى موضع نصب، مفعول به، و «رسول» فاعل «جاء» و «كريم» نعت لـ«رسول» و الجملة معطوفة على جملة جواب القسم لامحلّ لها. **ثانيهما** – في موضع نصب، حال بتقدير «قد».

**١٨– (أن أدّوا إليّ عبادالله إنّي لكم رسولٌ أمين)**

في «أن» وجوه: **أحدها** – تفسيريّة لأنّ مجيىء الرّسل متضمّن معنى القول الّذي تقدّم عليها، و جملة «أدّوا...» تفسيريّة لامحلّ لها. فالتّقدير: و جآءهم رسول بأن أدّوا. **ثانيها** – مصدريّة، و هى مع مدخولها في تأويل مصدر، منصوب بنزع الخافض، متعلّق بـ«جآء». **ثالثها** – مخفّفة من الثقيلة، و إسمها ضمير الشّأن، و جملة «أدّوا إليّ» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب من باب الإفعال، و أصله: أدّيُوا – كأكرموا – فاستثقلت الضّمّة على الياء، فنقلت إلى الدّال بعد حذف كسرها – إعلال بالتّسكين – فحذفت الياءِ لالتقاءِ السّاكنين: الواو و الياء فحذفت الياء لأنّ الواو علامة الجمع الّتي لاتحذف، و «أدّوا» في موضع رفع، خبرها، و «إليّ» متعلّق بـ«أدّوا» و مفعول «أدّوا» محذوف، تقديره: أدّوا إليّ أمركم أو ما وجب عليكم يا عبادالله.

و في «عباد» و جهان: **أحدهما** – منادى مضاف إلى «الله» منصوب بحرف النّدآء المحذوف أى يا عبادالله كقوله تعالى: «يوسف أعرض عن هذا» يوسف: ٢٩) أى يا

يوسف... **ثانيهما** - مفعول به لـ«أدّوا» أى خلّوا بيني و بين من آمن بي. و جملة النّدآءِ و جوابه المقدّر إعتراضيّة لامحلّ لها. و «إنّي» حرف توكيد مع اسمها، و «لكم» متعلّق بمحذوف، حال، و «رسول» خبر «إنّ» و «أمين» كشريف، نعت لـ«رسول» و في الجملة المؤكّدة و جهان: **أحدهما** - تعليليّة للأمر المتقدّم. **ثانيهما** - مستأنفة بيانيّة فلا محلّ لها على كلا الوجهين.

**١٩- (و أن لاتعلوا على اللّه إنّي آتيكم بسلطانٍ مبين)**

الواو عاطفة، و «أن» كالسّابقة في حالاتها الثّلاث، و «لا» ناهية، و «تعلوا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مجزوم بحرف النّهى، على حذف نون الرّفع، و فيه إعلال بحذف لام الفعل، فإنّ أصله: تعلووا - بواوين - فلمّا التقى ساكنان، حذفت واو الفعل، حرف العلّة، و أصبح تعلوا على وزن تفعوا. و «على اللّه» متعلّق بـ«تعلوا» و جملة «لاتعلوا...» معطوفة على جملة «أدّوا...» من عطف النّهي على الأمر، فمحلّها كمحلّها، و «إنّي» حرف توكيد مع إسمها، و في «آتي» و جهان: **أحدهما** - إسم فاعل، اُضيف إلى مفعوله: «كم» خبر لـ«إنّ». **ثانيهما** - فعل مضارع للتّكلّم وحده، و «كم» في موضع نصب، مفعول به، و الجملة خبر «إنّ».

و في «بسلطان» و جهان: **أحدهما** - متعلّق بـ«آتيكم». **ثانيهما** - متعلّق بحال من الضّمير المستتر في «آتيكم» و «مبين» نعت لـ«سلطان» و في الجملة المؤكّدة و جهان كالجملة المؤكّدة السّابقة.

**٢٠- (و إنّي عُذت بربّي و ربّكم أن ترجمون)**

الواو عاطفة، و «عذت» فعل ماضٍ للتّكلّم وحده في موضع رفع، خبر لـ«إنّ» و الجملة المؤكّدة معطوفة على سابقها، و «بربّي» متعلقّ بـ«عذت» و «ربّكم» معطوف على «ربّي» و «أن» حرف مصدريّ، و «ترجمون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، منصوب: بـ«أن» على حذف نون الرّفع، و النّون المكسورة نون وقاية على حذف يآءِ

التّكلّم الّتي هى في موضع نصب، مفعول به لفعل الرّجم، حذفت اليآء لرعاية الفواصل... و «ترجمون» صلة الموصول الحرفيّ لامحل لها، و جملة «أن ترجمون» في تأويل مصدر، منصوب بنزع الخافض، متعلّق بـ«عذت» أى من أن ترجموني.

## ٢١- (و إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون)

الواو عاطفة، و «إن» حرف شرط، و «لم» حرف جحد، و «تؤمنوا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مجزوم، فعل الشرط، و علامة الجزم حذف النّون، و في «لي» وجوه: **أحدها** - انّ اللام بمعنى البآءِ أى و إن لم تؤمنوا بي كقوله تعالى: «فآمن له لوط» العنكبوت:٢٦) أى به. **ثانيها** - انّ اللام بمعناها بتضمين «تؤمنوا» معنى «تقرّوا». **ثالثها**- اللام بمعنى لام أجل أى و إن لم تؤمنوا باللّه لأجل برهاني. و على أيّ وجه من الوجوه فـ «لي» متعلّق بـ«تؤمنوا» و الفاء رابطة لجواب الشّرط، و «اعتزلوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، في موضع جزم، جواب الشّرط، مقترنة بالفآءِ، و النون للوقاية، و كسرها تدلّ على حذف يآءِ المتكلّم.

## ٢٢- (فدعا ربّه أنّ هؤلآء قوم مجرمون)

الفاء عاطفة، و «دعا» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستترفيه راجع إلى «موسى» و «ربّه» مفعول به و الجملة معطوفة على الجملة المقدّرة لامحلّ لها أى فلم يتركوه أو كفروا به فدعا ربّه، و «أن» تقرأ بفتح الهمزة و كسرها، و على الأوّل ففي موضع نصب بـ«دعا» أى بأنّ هؤلآء، فالمجرور متعلّق بـ«دعا» و الباء للتّعدية، و على الثّاني فعلى تقدير القول أى فقال إنّ هؤلآءِ، و «قوم» خبر لـ«أنّ» و «مجرمون» جمع مجرم، إسم فاعل من باب الإفعال، صفة لـ«قوم».

## ٢٣- (فأسر بعبادي ليلاً إنّكم متّبعون)

في الفآءِ و جهان: **أحدهما** - فصيحة تقع رابطة لجواب شرط مقدّر، و «أسر»

فعل أمر، من باب الإفعال، بحذف عين الفعل، و جملة «أسر» في موضع جزم، جـواب للشّرط المقدّر أي إن أردت النّجاة اوإن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي ... و جملة الشّرط في موضع نصب، مقول لقول مقدّر أى قال اللّه تعالى لموسى ﴿عليه السلام﴾: **ثانيهما** - عاطفة، فالجملة معطوفة على «فدعا ربّه» «فاسر» عطف وقع موقع جواب الدّعاء. و تقديره: فدعا فأُجيب بأن قيل: فأسر بعبادي.

و «بعبادي» متعلّق بـ«أسر» و «ليلاً» ظرف زمان، منصوب، متعلّق بـ«أسر» و جآء الظّرف للتّوكيد و التّصريح به، و «إنّ» حرف توكيد، و «كم» في موضع نصب، إسمها و «متّبعون» جمع متّبع، إسم مفعول، من باب الإفتعال، خبر لـ«إنّ» و الجملة تـعليليّة للأمر بالسّير ليلاً لامحلّ لها.

**٢٤- (و اترك البحر رهواً إنّهم جندٌ مغرقون)**

الواو عاطفة، و «اترك» فعل أمر، في موضع جزم، معطوف على «أسر» و «البحر» مفعول به، و في «رهواً» وجوه: **أحدها** - حال من «البحر» بمعنى ساكناً أو منفرجاً. و ذلك أنّ «رهواً» مصدر سماعيّ للثّلاثيّ من رها يرهو بمعنى سكن أو انفرج، و استعمل هنا في موضع الصّفة بمعنى ساكن أو منفرج. و المعنى و اترك يا موسى ﴿عليه السلام﴾ البحر ساكناً حتّى يحصلوا فيه و لاينفروا عنه. **ثانيها** - أن يكون «رهواً» من نعت موسى ﴿عليه السلام﴾ لامـن نعت «البحر» و المعنى: سرساكناً على هينتك. **ثالثها** - مفعول به ثانٍ لـ«اترك» إن كان من أفعال التّحويل أى صيّره.

«إنّهم» حرف توكيد مع إسمها، و «جند» خبر لـ«إنّ» و «مغرقون» جمع مغرق - كمكرم - إسم مفعول من باب الإفعال، صفة لـ«جند» و الجملة المؤكّدة تعليليّة للأمر بالتّرك لامحلّ لها.

**٢٥- (كم تركوا من جنّات و عيون)**

في «كم» و جهان: **أحدهما** - خبريّة، كناية عن العدد، في موضع نصب، مفعول به،

مقدّم، و «تركوا» فعل ماضٍ، مستأنفة لامحلّ لها. **ثانيهما**- انّ «كم» للتّكثير في موضع نصب، بأنّه صفة لموصوف محذوف، و هو مفعول به لـ «تركوا» و تقديره: شيئاً كثيراً تركوا. و في «من جنّات» و جهان: **أحدهما** - تمييز لـ «كم» و «عيون» جمع عين، نعت لـ «جنّات» **ثانيهما** - في موضع نصب، على الحال.

**٢٦- (وزروع و مقام كريم)**

الواو عاطفة، و «زروع» جمع زرع، معطوف على «جنّات» و «كريم» عطف على «جنّات» أيضاً، و «كريم» نعت لـ «مقام».

**٢٧- (و نعمة كانوا فيها فاكهين)**

الواو عاطفة، و «نعمة» معطوفة على «جنّات» من عطف العام على الخاص، و «فيها» متعلّق بـ «فاكهين» خبر «كانوا» و الجملة في موضع جرّ، نعت لـ «نعمة».

**٢٨- (كذلك و أورثناها قوماً آخرين)**

في «كذلك» وجوه: **أحدها**- خبر لمحذوف أى الأمر كذلك. فالجملة إعتراضيّة لامحلّ لها. **ثانيها**- حال من مفعول «تركوا» المحذوف. و المعنى: كثيراً ما تركوا أشيآء كذلك أى على حالها. **ثالثها**- مفعول مطلق. أى على مثل ذلك الإخراج أخرجنا هم منها. **رابعها** -نعت لموصوف محذوف. تقديره: تركاً كذلك. **خامسها** - في موضع نصب، على الوصف لمصدر محذوف. و تقديره: يفعل فعلاً كذلك بمن يريد إهلاكه.

الواو عاطفة، و «أورثنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال، معطوف على «كم تركوا» و من المحتمل أن تكون جملة «أورثناها» معطوفة على الإستئنافية لامحلّ لها. و الضّمير: «ها» مفعول به لـ «تركوا» المحذوف المبيّن بقوله: «من جنّات...» و «قوماً» مفعول به ثانٍ، و «آخرين» نعت لـ «قوماً».

**٢٩- (فمابكت عليهم السّماء و الأرض و ماكانوا منظرين)**

الفاء عاطفة، و «ما» نافية، و «بكت» فعل ماضٍ، فيه إعلال بالحذف لالتقآءِ السّاكنين: لام الكلمة و تاء التأنيث، و «عليهم» متعلّق بـ «بكت» و «السّماء» فاعل «بكت» و «الأرض» عطف على «السّماء» و جملة «ما بكت عليهم السّمآء...» معطوفة على «أورثناها» لامحلّ لها، أو على جملة «اغرقوا» المقدّرة. و الواو عاطفة و «ما» نافية، و «منظرين» خبر «كانوا» و جملة «ما كانوا منظرين» معطوفة على «أورثناها» لامحلّ لها.

**٣٠- (و لقد نجّينا بني إسرائيل من العذاب المهين)**

الواو إستئنافية، و اللام لام القسم المقدّر، و «قد» تحقيق، و «نجّينا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً من باب التّفعيل، جواب للقسم المقدّر لامحلّ لها، و جملة القسم المقدّرة إستئنافيّة لامحل لها، و «بني إسرائيل» مفعول به لـ «نجّينا» و «من العذاب» متعلّق بـ «نجيّنا» و «المهين» صفة لـ «العذاب».

**٣١- (من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين)**

في «من فرعون» و جهان: **أحدهما** - بدل من «العذاب» بإعادة الجار أى من عذاب فرعون، فحذف المضاف كأنّه في نفسه كان عذاباً مهيناً لما كابدوه منه من عذاب و إهانة. **ثانيهما** - متعلّق بمحذوف، حال من «العذاب» أى ثابتاً أو كآئناً أو صادراً من «فرعون» فلا يكون على حذف المضاف. و «إنّه» حرف توكيد مع إسمها، و «عالياً» إسم فاعل، خبر لـ «كان» و جملة «كان عالياً» في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» و في «من المسرفين» و جهان: **أحدهما** - متعلّق بمحذوف، خبر ثان لـ «كان». **ثانيهما** - حال من الضّمير في «عالياً» و الجملة المؤكّدة مستأنفةُ بيانيّة لامحلّ لها.

**٣٢- (و لقد اخترنا هم على علمٍ على العالمين)**

الواو عاطفة، و «لقد اخترناهم» مثل «لقد نجّيناهم» جواب القسم المقدّر، و جملة

القسم المقدّرة لامحلّ لها، معطوفة على جملة القسم الاولى، و «على علم» فـ«على» بمعنى «مع»، أى مع علمنا بأنّهم يزيفون و تفرط منهم الفرطات، متعلّق بمحذوف، هو حال من ضمير الفاعل في «اخترنا» أى اخترناهم عالمين بهم و «على العالمين» متعلّق بـ «إخترناهم» بتضمينه معنى ميّزناهم.

## ٣٣- (و آتينا هم من الآيات ما فيه بلآء مبين)

الواو عاطفة، و «آتينا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً، معطوف على «إخترنا» لامحلّ لها، و «هم» في موضع نصب، مفعول به، و «من الآيات» متعلّق بمحذوف، هو حال من «ما» قدّم عليه، و «ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به ثانٍ، و «فيه» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «بلاء» مبتداء مؤخّر، و «مبين» نعت لـ«بلآء» و الجملة صلة الموصول لامحلّ لها.

## ٣٤- (إنّ هؤلآء ليقولون)

«إنّ» حرف توكيد، و «هؤلآء» مبنيّ على الكسر، في موضع نصب، إسم «إنّ» و اللّام المزحلقة للتّوكيد، و «يقولون» في موضع رفع، خبرها، و الجملة المؤكّدة مستأنفة مسوقة للحديث عن قريش بعد استطراد حديث بني إسرائيل لامحلّ لها.

## ٣٥- (إن هى إلاّ موتتنا الأُولى و مانحن بمنشرين)

«إن» نافية بمعنى «ما» كقوله تعالى: «إن الكافرون إلاّ في غرور» الملك: ٢٠) و لاتعمل «إن» ههنا في لغة من أعملها لأنّها بمنزلة «ما» لدخول «إلاّ» في خبرها، و أنّ «إلاّ» إذا دخلت على «ما» بطل عملها، و إذا بطل عمل الأصيل بدخول «إلاّ» فبطلان عمل الفرع عندئذٍ أولى، و «هى» مبتداء تسمّى هنا ضمير العاقبة و الحالة، و «إلاّ» أداة حصر، و «موتتنا» خبر لـ«هي» و «الاولى» نعت لـ«موتتنا» و جملة «إن هى ...» في موضع نصب، مقول القول، و الواو عاطفة، و «ما» نافية حجازية تعمل عمل «ليس» و

«نحن» إسمها، و البآء في «بمنشرين» زائدة، و مدخولها: جمع منشر، إسم مفعول من باب الإفعال، خبر لـ «ما» منصوب محلاًّ، مجرور لفظاً. و جملة «مانحن ...» في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول.

**۳٦- (فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين)**

الفاء فصيحة رابطة لجواب شرط مقدّر، و «ائتوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، و «بآبائنا» متعلّق بـ «ائتوا» و جملة «ائتوا» في موضع جزم، جواب الشّرط المقدّر أى إن كنتم تقولون صدقاً فأتوا... و «إن» حرف شرط، و «كنتم» فعل ماضٍ ناقص في موضع جزم، فعل الشّرط، و «صادقين» خبر لـ «كنتم» و جملة «إن كنتم صادقين» تفسيريّة لامحلّ لها، و جواب الشّرط مقدّر دلّ عليه ما قبله.

**۳۷- (أهم خير أم قوم تبّع و الّذين من قبلهم أهلكناهم إنّهم كانوا مجرمين)**

الهمزة للإستفهام الإنكاريّ، و «هم» مبتداء، و «خير» خبره، و «أم» حرف عطف و «قوم» أضيف إلى «تبّع» معطوف على «هم» و جملة «هم خير...» مستأنفة لامحلّ لها. و في «و الّذين...» وجوه: **أحدها** - الواو عاطفة، و «الّذين» موصولة في موضع رفع، معطوف على «قوم تبّع» و «من قبلهم» متعلّق بمحذوف، هو صلة الموصول لامحلّ لها. **ثانيها** - الواو عاطفة، و «الّذين» في موضع جرّ، معطوف على «تبّع» كأنّه قال: قوم تبّع المهلكين من قبلهم. **ثالثها** - الواو إستئنافية، و «الّذين» في موضع رفع، مبتداء و «أهلكناهم» في موضع رفع، خبره، و الجملة مستأنفة لامحلّ لها. و المعنى: الّذين من قبل هؤلآء أهلكناهم فِلَم لاتعتبرون؟ **رابعها** - الواو إستئنافية، و «الّذين» في موضع نصب، بفعل مضمر دلّ عليه «أهلكناهم» تقديره: و أهلكنا الّذين من قبلهم أهلكناهم.

«أهلكنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال، و «هم» في موضع نصب، مفعول به، و في الجملة وجوه: **أحدها** - في موضع نصب، حال من المعطوف و المعطوف عليه على تقدير: «قد». **ثانيها** - مستأنفة لامحلّ لها، تقديره: و أهلكناهم.

ثالثها - صلة الموصول، و «من قبلهم» متعلّق بـ «أهلكناهم» لامحلّ لها. رابعها- في موضع نصب، نعت لموصوف محذوف أى قوماً أهلكناهم. و «إنّهم» حرف توكيد مع إسمها، و جملة «كانوا مجرمين» في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» و الجملة المؤكّدة تعليليّة لإهلاكهم لامحلّ لها.

**٣٨- (و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما لاعبين)**

في الواو و جهان: **أحدهما** - إستئنافيّة، و «ما» نافية، و «خلقنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً، و «السّموات» مفعول به، و الواو عاطفة، و «الأرض» عطف على «السّموات» و جملة «ما خلقنا...» مستأنفة لامحلّ لها. **ثانيهما** -الواو عاطفة، و جملة «خلقنا...» معطوفة على ما قبلها ليتناسق الكلام، و يلتئم طرفاه. «وما» الواو عاطفة، و «ما» موصولة إسميّة، في موضع نصب، عطف على «السّموات» و «بينهما» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول، و ضمير التثنية بإعتبار جنسى السّموات و الأرض، و لذا لم يجمع، و «لاعبين» جمع لاعب، إسم فاعل، منصوب، حال من فاعل «خلقنا».

**٣٩- (ما خلقنا هما إلاّ بالحقّ و لكنّ أكثرهم لايعلمون)**

«ما» نافية، و «هما» مفعول به لـ «خلقنا» و «إلاّ» أداة حصر، و «بالحقّ» الباء للملابسة، متعلق بحال من فاعل «خلقنا هما» أو حال أى محقّين في ذلك ليكون في ذلك برهان للعاقل، و الجملة بدل أو مفسّرة لما قبلها. و في الواو و جهان: **أحدهما** -حاليّة، و «لكنّ» حرف مشبّه بالفعل للإستدراك، و «أكثرهم» إسمها، و جملة «لايعلمون» في موضع رفع، خبرها، و جملة «لكنّ أكثرهم ...» في موضع نصب، حال. **ثانيهما**- عاطفة، و ما بعدها معطوفة على جملة «ما خلقناهما» لامحلّ لها.

**٤٠- (إنّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين)**

«إنّ» حرف توكيد، و «يوم» أُضيف إلى «الفصل» إسمها، و «ميقاتهم» خبر «إنّ»

و الميقات إسم زمان، و المراد به وقت الموعد الّذي يكون فيه الحساب و الجزاء و هو يوم القيامة. و عن الكسآئى و الفرّآء: نصب «ميقاتهم» بـ «إنّ» و «يوم الفصل» ظرف في موضع خبر «إنّ» أى إنّ ميقاتهم يوم الفصل. و «أجمعين» توكيد معنويّ للضّمير في «ميقاتهم» مجرور بالإضافة و الجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها.

٤١- (يوم لايغني مولىً عن مولىً شيئاً و لاهم ينصرون)

في «يوم» وجوه: **أحدها** - منصوب، بدل من «يوم الفصل». **ثانيها** - ظرف لما دلّ عليه الفصل أى يفصل بينهم يوم لايغني. و لايتعلّق بالفصل نفسه لأنّه قد أخبر عنه. **ثالثها**- صفة لـ «ميقاتهم» و لكنّه بُنِيَ بالفتح. و «يغني» فعل مضارع من باب الإفعال، في موضع جرّ لإضافة «يوم» إليه، و «مولىً» فاعل «يغني» و «عن مولى» متعلّق بـ «يغني» و في «شيئاً» و جهان: **أحدهما**- مفعول به، أى شيئاً من العذاب. **ثانيهما**- مفعول مطلق أى قليلاً منه. و الواو عاطفة، و «لا» نافية، و «هم» مبتداء و «ينصرون» فعل مضارع مبنيّ للمفعول، في موضع رفع، خبر لـ «هم» و الجملة معطوفة على جملة «لايغني».

٤٢- (إلاّ مَن رحم اللّه إنّه هو العزيز الرّحيم)

«إلاّ» أداة حصر، و «مَن» إسم موصول، و «رحم اللّه» صلة الموصول لامحلّ لها. و في الإستثناءِ وجوه: **أحدها**- إستثنآء من الضّمير في قوله تعالى: «و لاهم ينصرون» فالضمير راجع إلى النّاس جميعاً. **ثانيها**- الإستثناء منقطع، فالضّمير راجع إلى الكفّار فقط. و المعنى: و لكن من رحمهاللّه و هم المتّقون، فانّهم غنيٌ عن مولى يغنى عنهم و ناصر ينصرهم. **ثالثها**- إستثنآء من «مولى» فالإستثناء متصل. أى لايغني قريب عن قريب إلاّ المؤمنين فإنّه يؤذن لهم في الشّفاعة فيشفعون في بعضهم.

و في «مَن» وجوه: **أحدها**- في موضع رفع، بدل من نائب الفاعل، و هو الواو في «ينصرون» أى لايمنع من العذاب إلاّ من رحمه اللّه. **ثانيها**- بدل من «مولى» الأوّل أى

يوم لايغني إلاّ من رحم اللّه. **ثالثها**- في موضع نصب، على الإستثناءِ فيكون منقطعاً أى ولكن من رحم اللّه لاينالهم ما يحتاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين. **رابعها**- في موضع رفع على الإبتداءِ تقديره: إلاّ من رحم اللّه فيعفى عنه.

«إنّه» حرف توكيد، مع إسمها، و في «هو» وجوه: **أحدها**- ضمير فصل. **ثانيها**- ضمير منفصل، مبتداء، و «العزيز» خبره و الجملة: «هو العزيز» خبر لـ «إنّ» **ثالثها**- مستعار لمحلّ النّصب، توكيداً لإسم «إنّ» و «الرّحيم» خبرثان، و الجملة المؤكّدة تعليليّة لامحلّ لها.

## ٤٣- (إنّ شجرة الزّقّوم)

«إنّ» حرف توكيد، و «شجرة» أضيفت إلى «الزّقّوم» إسم لـ «إنّ».

## ٤٤- (طعام الأثيم)

خبر لـ «إنّ» و الجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها.

## ٤٥- (كالمُهل يغلي في البُطون)

في «كالمهل» وجوه: **أحدها**- متعلّق بمحذوف، خبرثان لـ «إنّ». **ثانيها**- متعلّق بحال من «طعام الأثيم» و العامل فيها معنى التّوكيد في «إنّ». **ثالثها**- على تقدير: هو كالمهل.

و في «يغلي» فعل مضارع وجوه: **أحدها**- في موضع نصب، حال من «الزّقّوم». **ثانيها**- حال من «طعام الأثيم» و قد مرّ منّا مراراً بحث مجيىء الحال من المضاف إليه لأنّه كالجزء من المضاف. **ثالثها**- حال من الضّمير في الكاف أى يشبه المـهل غـالياً. **رابعها**- في موضع رفع، خبر ثالث لـ «إنّ» **خامسها**- حال من «المهل». **سادسها**- على تقدير: هو يغلي أى الزّقّوم أو الطّعام. و «في البطون» جمع البطن متعلّق بـ «يغلي».

٤٦- (كغلي الحميم)

«كغلي» أُضيف إلى «الحميم» متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، نعت لمصدر محذوف أى تغلي غلياناً مثل غليان الحميم.

٤٧- (خذوه فاعتلوه إلى سوآءِ الجحيم)

«خذوا» فعل أمر، مبنيّ على حذف نون الرّفع، و الضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، و الأمر للزّبانيّة أى يقول اللّه تعالى للزّبانيّة: فالجملة في موضع نصب، مقول لقول مقدّر. و الفاء عاطفة، و «اعتلوه» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، ثلاثيّ من عتل. و الضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «الأثيم» و «إلى سواء» أُضيف إلى «الجحيم» متعلّق بـ«اعتلوه» و الجملة في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول.

٤٨- (ثمّ صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم)

«ثمّ» حرف عطف للتّرتيب مع التّراخي، و «صبّوا» فعل أمر، و «فوق» ظرف، منصوب، متعلّق بـ«صبّوا» أُضيف إلى «رأس» أُضيف إلى ضمير راجع إلى «الأثيم» و «من عذاب الحميم» متعلّق بـ«صبّوا» و الجملة في موضع نصب، معطوفة على جملة «اعتلوه».

٤٩- (ذق إنّك أنت العزيز الكريم)

«ذق» فعل أمر، من ذاق يذوق، فيه إعلال بالحذف لمناسبة البنآءِ على السّكون.

أصله: اُذْوق -كأنصر- فثقلت الضّمّة على الواو، فنقلت على ما قبلها، فالتقى السّاكنان، فحذفت الواو، و لاحاجة إلى همزة الوصل مع حركة الفاءِ، فحذفت، فأصبح «ذق» في موضع نصب، مقول لقول مقدّر أى تقول الزّبانيّة للأثيم: ذق و «إنّك» حرف توكيد مع إسمها، و في «أنت» وجوه: أحدها- ضمير فصل و «العزيز» خبر «إنّ» و «الكريم» خبر ثانٍ. ثانيها- ضمير مستعار لمحلّ النصب، توكيد لإسم «إنّ». ثالثها-

مبتداء و «العزيز» خبره، و الجملة في موضع رفع، خبر لـ«إنّ». و الجملة المؤكّدة تعليليّة لامحلّ لها.

### ٥٠- (إنّ هذا ما كنتم به تمترون)

«إنّ» حرف توكيد، و «هذا» إسم إشارة في موضع نصب، إسم «إنّ» و «ما» موصولة في موضع رفع، خبر «إنّ» و «كنتم» صلة الموصول لامحلّ لها، و «به» متعلّق بـ «تمترون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، في موضع نصب، خبر لـ «كنتم» و الجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول لقول مقدّر.

### ٥١- (إنّ المتّقين في مقام أمين)

«المتّقين» جمع المتّقي، إسم فاعل من باب الإفتعال، منصوب، إسم لـ «إنّ» و «في مقام» متعلّق بمحذوف، خبر «إنّ» و «أمين» صفة لـ «مقام» و الجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها.

### ٥٢- (في جنّات و عيون)

«في جنّات» بيان أو بدل من «في مقام» بإعادة الجار، و «عيون» جمع عين، معطوف على «جنّات».

### ٥٣- (يلبسون من سندس و استبرق متقابلين)

«يلبسون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب، و في «يلبسون» وجوه: **أحدها**- مستأنفة بيانيّة لامحلّ لها. **ثانيها**- في موضع رفع، خبر ثان لـ«إنّ». **ثالثها**- في موضع نصب، حال من الضّمير في الجار الّذي هو قوله: «في مقام» لأنّ التقدير: إنّ المتّقين ثبتوا في مقام، و مفعول «يلبسون» محذوف، و تقديره: «يلبسون ثياباً من سندس» و «من سندس» متعلّق بـ«يلبسون» و «استبرق» معطوف على «سندس»، و «متقابلين» جمع

متقابل، إسم فاعل من باب التفاعل، منصوب، حال من الضّمير في «يلبسون».

**٥٤- (كذلك و زوّجناهم بحورٍ عين)**

في «كذلك» وجوه: **أحدها** - متعلّق بمحذوف، هو خبر لمبتدآء مقدّر أى الأمر كذلك. **ثانيها** - أى فعلنا كذلك. ف«كذلك» في موضع نصب، مفعول به. **ثالثها** - في موضع نصب، لأنّه نعت لمصدر محذوف، تقديره: يفعل بالمتّقين فعلاً كذلك. **رابعها** - تقديره: كذلك شأنهم الّذي هم فيه، و أكثر من هذا... و زوّجناهم... و على أيّ وجه ف«كذلك...» الجملة إعتراضيّة بين المعطوف و المعطوف عليه، جيىء بها للتّقرير فلا محلّ لها.

الواو عاطفة، و «زوّجنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً من باب التّفعيل، و «هم» في موضع نصب، مفعول به، و الجملة معطوفة على جملة «يلبسون» فمحلّها كمحلّها، و «بحور» جمع حورآء متعلّق ب«زوّجنا» و «عين» جمع عيناء نعت ل«حور».

**٥٥- (يدعون فيها بكلّ فاكهة آمنين)**

«يدعون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب، في موضع نصب، حال من ضمير الغآئب في «زوّجناهم» و في «فيها» و جهان: **أحدهما** - أن تكون متعلّقاً ب«يدعون». **ثانيهما** - أن تكون متعلّقاً بمحذوف، هو حال اخرى.

و في «بكلّ» أُضيف إلى «فاكهة» وجوه: **أحدها** - متعلّق ب«يدعون» بتضمينه معنى يرغبون. **ثانيها** - انّ الباء ليست للتّعدية لأنّ «يدعون فيها» متعدّ بنفسه، و إنّما الباء للحال من الدّاعين، و تقديره: متلبّسين بكل فاكهة. أى يدعون مقدّرين فيها الملابسة بكلّ فاكهة. بمنزلة الباءِ في قولهم: خرج زيد بسلاحه أى متلبّساً بسلاحه. و ليست الباء زائدة لأنّ الفاكهة لاتدعىٰ. **ثالثها** - أن يكون نعتاً لمصدر محذوف كأنّه قال: يدعون فيها دعاء بكلّ فاكهة أى قد التبس الدّعاء. و «آمنين» جمع آمن، إسم فاعل، ثلاثيّ، منصوب، حال من فاعل «يدعون».

٥٦- (لايذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الأُولى و وقاهم عذاب الجحيم)

«لا» نافية، و «يذوقون» فعل مضارع، في موضع نصب، حال من الضّمير في «آمنين» و في «فيها» و جهان: **أحدهما**- متعلّق بـ«يدعون» **ثانيهما**- متعلّق بمحذوف، هو حال أى ثابتين فيها. و «الموت» مفعول به، و «إلاّ» أداة حصر، و «الموتة» منصوب، مستثنى من الموت، على أنّه إستثناء منقطع أى ماتوا الموتة الاولى قد ذاقوها. و «الاولى» صفة لـ«الموتة» و من المحتمل أن يكون الإستثناء متّصلاً. و التّأويل: إنّ المؤمن عند موته في الدّنيا بمنزلته في الجنّة لمعاينته مايعطاه منها، أو لما يتيقّنه من نعيمها.

و في «إلاّ» وجوه: **أحدها**- أن تكون بمعنى «سوى» أى سوى الموتة الّتي ذاقوها في الدّنيا كقوله عزّ و جلّ: «و لاتنكحوا مانكح آبآؤكم من النّسآء إلاّ ما قد سلف» النساء:٢٢) أى سوى ما قد سلف. **ثانيها**- بمعنى «غير» على أنّ «إلاّ» و ما بعدها صفة أو بدل مما قبلها. و المعنى: لايذوقون فيها الموت غير الموتة الاولى، فإنّ الموتة الاولى قد انقضت، فلا يمكن أى يستثنى من الموت الّذي لايذوقونه في الجنّة إذ ليست بداخلة فيه. **ثالثها**- بمعنى «بعد» كأنّه قال: بعد الموتة الاولى. **رابعها**- بمعنى «لكنّ» و المعنى: لكنّ الموتة الاولى قد ذاقوها.

الواو عاطفة، و «وقى» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستترفيه، راجع إلى اللّه تعالى، و «هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و «عذاب» أُضيف إلى «الجحيم» مفعول به ثان، و جملة «و قاهم...» معطوفة على جملة «زوّجناهم» بمراعاة الإلتفات لامحلّ لها.

٥٧- (فضلاً من ربّك ذلك هو الفوز العظيم)

في «فضلاً» وجوه: **أحدها**- مفعول مطلق لفعل محذوف من لفظه، تقديره: فضل فضلاً من ربّك. **ثانيها**- منصوب، حال ممّا تقدّم ذكره من الكرامة و النّعمة. **ثالثها**- مفعول لأجله، عامله «وقاهم». **رابعها**- مفعول له، عامله «يدعون». **خامسها**- مفعول له، عامله محذوف، تقديره: فعل اللّه ذلك بهم فضلاً منه و تفضّلاً منه. **سادسها**- مصدر منصوب، مؤكّد لما قبله لأنّ ما ذكره قبله تفضّل منه تعالى. **سابعها**- مفعول

مطلق نآئب عن المصدر فهو ملاقيه في الإشتقاق أى تفضّلاً أو تفضّلنا بذلك فضلاً.

ثامنها- منصوب بفعل مقدّر أى أعطاهم فضلاً. تاسعها- عامله معنى الكلام الّذي قبله لأنّه تفضّل منه عليهم إذ وفّقهم في الدّنيا إلى أعمال يدخلون بها الجنّة.

«من ربّك» متعلّق بمحذوف، هو نعت ل «فضلاً» و «ذلك» مبتداء و في «هو» و جهان: أحدهما- ضمير فصل، و «الفوز» خبر ل «ذلك» و «العظيم» نعت ل «الفوز» ثانيهما- مبتداء ثانياً، و «الفوز» خبره، و الجملة خبر ل «ذلك» و جملة «ذلك...» مستأنفة لامحلّ لها.

٥٨- (فإنّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون)

في الفاءِ و جهان: أحدهما- فصيحة بنآءً على أنّ الآية الكريمة فذلكة للسّورة، فقدأ فصحت عن مقدّر. ثانيهما- إستئنافية. و «إنّما» كافّة و مكفوفة، و «يسّرنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً من باب التفعيل، و الضمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «الكتاب المبين» الّذي سبق ذكره في أوّل السّورة. و «بلسانك» متعلّق ب «يسّرناه» و الباء للمصاحبة، و الجملة على الوجهين لامحلّ لها. و «لعلّ» للتّرجّي، و «هم» في موضع نصب، إسمها، و «يتذكّرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب التفعّل في موضع رفع، خبر «لعلّ» و الجملة مستأنفة بيانيّة لامحلّ لها.

٥٩- (فارتقب إنّهم مرتقبون)

في الفاءِ و جهان: أحدهما- عاطفة على ما قبلها. ثانيهما- رابطة لجواب شرط مقدّر، تقديره: إن لم يتّعظوا و لم يؤمنوا به فارتقب هلاكهم. و «ارتقب» فعل أمر من باب الإفتعال، مفعوله محذوف، و الجملة جواب الشّرط المقدّر. و «إنّهم» حرف توكيد مع إسمها، و «مرتقبون» جمع مرتقب، إسم فاعل من باب الإفتعال، خبرل «إنّ» و مفعول «مرتقب» محذوف أي هلاكك. و الجملة الموكّدة تعليليّة لامحلّ لها.

## ﴿البيان﴾

### ١- (حٰمٓ)

إيتدأت السّورة برمز «حٰمٓ» من الرّموز بين اللّه عزّ و جلّ و رسوله و أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين للإسترعاء و التّنبيه، و قد سبق منّا في المقام كلام في أوّل بيان سورة «المؤمن» فراجع.

### ٢- (و الكتاب المبين)

في القسم بالكتاب المبين و هو القرآن الكريم إنباء عن تعظيمه و تفخيم شأنه، حيث إنّ القسم يؤكّد الخبر بذكر المعظم، منعقداً بما يوجب أنّه حقّ كما أنّ تعظيمه حقّ، و قد وصف اللّه عزّ و جلّ الكتاب بأنّه مبين، و هو بيان مبالغة في وصفه بأنّه بمنزلة النّاطق بالحكم الّذي فيه من دون حاجة إلى استخراج الحكم من مبين غيره لأنّه يكون من البيان ما لايقوم بنفسه دون مبين حتّى يظهر المعنى فيه، و قد أقسم جلّ و علا بكتابه هذا لما فيه من هداية البشر و سعادته، من خيره و صلاحه، من فلاحه و كماله، و من عزّته و نجاته...

و في لفظ «الكتاب» دلالة واضحة على أنّ هذا القرآن المجيد كان مكتوباً عند نزوله إذ لايطلق الكتاب على الآيات المتفرّقة و المكتوبات المتشتّتة، و خاصّة مع تعريفه بالألف و اللام و وصفه بـ«المبين». و قد تقدّم منّا في المقام كلام في أوّل بيان سورة

«الزّخرف» فراجع و في وصف «الكتاب» بـ«المبين» توكيد لو صفه بأنّه «الكتاب الحكيم» في سورة يونس: ۱) و بأنّه «كتاب أُحكمت آياته» هود: ۱) فإنّ الحكمة لاتكون حكمة، و الحكيم لاتتمّ حكمته حتّى تخرج تلك الحكمة على صورة بيّنة واضحة مشرقة، يرى النّاس على وجهها أضوآء العلم و المعرفة، و إلاّ كانت حكمة مضمرة لاينتفع بها أحد... أشبه باللّآلي في أصدافها في البحر... فالمبين مبين و حكيم معاً، و الحكيم حكيم و مبين معاً.

### ۳- (إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين)

جواب للقسم على سبيل التّوكيد و التّفخيم و التّجليل و التّعظيم، و هو من الأيمان الحسنة البديعة حيث إنّ اللّه تعالى أقسم بالقرآن المجيد ثمّ جعل المقسم عليه تكريم القرآن بأنّه أنزله في ليلة مباركة، و أنّه ينذر به النّاس في كلّ ظرف من الظروف...

و قد أخبر جلّ و علا على طريق القسم بنفس القرآن الكريم بأنّه أنزله في ليلة مباركة، و في نسبة الإنزال إلى نفسه على سبيل التّوكيد و التّفخيم إشارة إلى أنّه ليس بمفترى كما زعمه مشركوا العرب. و أمّا قول بعض أهل البيان: إنّه ليس من عادتهم أن يقسموا بنفس الشّيء إذا أخبروا عنه فجواب القسم: «إنّا كنّا منذرين» و قوله: «إنّا أنزلناه» إعتراض فغير وجيه فإنّ المعنى: «إنّا أنزلنا القرآن على محمّد﴿ﷺ﴾ و لم يتقوّله. مع احتمال أنّ القسم وقع على إنزاله في ليلة مباركة. و من المعلوم للأديب الأريب أنّ في خمسة ضمآئر للتّكلّم مع الغير في الآية الكريمة: «إنّا أنزلنا - إنّا - كنّا منذرين» تعظيماً لذاته المقدّسة، و تفخيماً لكتابه المبين، و تجليلاً لنبيّه الكريم﴿ﷺ﴾ و تكريماً لمن يتذكّر بهذا الكتاب، و تهديداً لمن أعرض عنه.

و قد جآء هذا التعظيم في هذه السّورة «۲٥» مرّة على التّرتيب التّالي: «إنّا - أنزلنا - إنّا - كنّا - منذرين - عندنا - إنّا - كنّا - مرسلين - إنّا - كاشفوا - نبطش - إنّا - منتقمون - فتنّا - أورثنا - نجّينا - إخترنا - آتينا - أهلكنا - خلقنا - لاعبين - خلقنا - زوّجنا - يسّرنا» فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً و لاتكن من الغافلين إذ فيها لطآئف

و أسرار و نكات و معارف و حِكَم... لايسعها مقام الاختصار.

و **قوله عزّ و جلّ**: «في ليلة مباركة» تنويه بليلة نزول الوحي، و تجليل القرآن النّازل فيها، و تكريم للنّبيّ الّذي نزل عليه القرآن فيها، فالليلة المباركة بذاتها هي الليلة الّتي نزل فيها القرآن المبارك: «كتاب أنزلناه إليك مبارك» ص: ٢٩) فهي ليلة باركها اللّه جلّ و علا و اصطفاها من بين ليالى السّنة كلّها، بل هي خير من ألف شهر، كما اصطفى من بين كتبه القرآن لنزوله في هذه الليلة الممتازة على سآئر الليالي، و هو خير من جميع كتبه النّازلة على المرسلين، و اصطفى من بين أنبيآءه محمداً ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ لهذه الرّسالة العظمى، و هو أفضل من جميع رسله، فلكون هذه الليلة المباركة بذاتها كانت ظرفاً حاوياً للرّحمة العظمى المنزلة من السّمآء إلى الأرض، و هى القرآن المبارك و الرّسول الأعظم ﴿صلّى الله عليه و آله﴾.

فهذه الليلة المباركة هى مبدأ لرحمة اللّه الشّاملة الّتي استنقذت الإنسانيّة كلّها من ربقة الكفر و الطغيان و الاثم و العدوان، و البغى و العصيان ... و أخذت بايدى الحيارىٰ إلى مسالك واضحة المعالم، شريفة الغايات و الأهداف، يستشعرون فيها برد الطّمأنينة و راحة السّكينة و استرجاع الرّشد العازب، و ربما كان من أجل هذه الأهداف العالية و المعاني الشّريفة في ليلة القدر جعل قيامها ستراً للعيوب و غفراناً للذّنوب... فقال النّبيّ الكريم ﴿صلّى الله عليه و آله﴾: «من قام ليلة القدر ايماناً و احتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه» إنّ اللّه تعالى وصف ليلة نزول القرآن الكريم بالمباركة - من باب المفاعلة - تنبيهاً إلى أنّ هذه الليلة بذاتها بركة، و ما نزل فيها من القرآن بنفسه بركة على حدّ سوآءٍ من التّقارن، لما في هذه الليلة تقسم النّعم و الأرزاق و الآجال، و قضاء الأقضية من سنة إلى سنة و ما إليها من ألطاف اللّه جلّ و علا من الغفران و قبول التّوبة و عنايته الخاصّة بعباده و لما ينزل عليهم فيها من البركات و الخيرات و الثّواب فتدوم... و لما في هذا القرآن الكريم من الهداية و الصّلاح، من الرّحمة و الشّفآء، من السّعادة و الفلاح، و من النّور و النجاة... فهما نظيران مقارنان لانظير لهما سواهما، فكما أنّ هذه الليلة منقطعة النّظير عمّا سواها من ليالى السّنة كلّها، كذلك ما نزل فيها منقطع النّظير عمّا سواه من بين الكتب السّماوية كلّها كالرّسول ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ الّذي هو منقطع النظير عمّن سواه من الرّسل أجمعين...

إنّ البركة: هی كثرة الخير و نمآؤه، و البركة ثابتة متتابعة في هذه اللّيلة إلى يوم القيامة بدوام الإنذار، و استمرار العمل بالوحي و طاعة رسول الوحی«ﷺ» و إنّ المبارك ما فيه نماء الخير و كثرته متتابعة من دون انقطاع.

و قوله تعالى: «إنّا كنّا منذرين» يجوز أن يكون مستأنفاً مبيّناً لما يقتضى الإنذار، فوقع موقع التّعليل كأنّه قيل: إنّا أنزلنا هذا القرآن لأنّ من شأننا الإنذار و التّحذير من العقاب، و أن يكون جواباً للقسم، فقوله: «إنّا أنزلناه» إعتراض، و أن يكون جواباً ثانياً بغير عاطف مع ما فيه من دلالة على استمرار الإنذار بأنّه سنّة من سنن إلهيّة جارية في كلّ ظرف من الظّروف لإستمرار بركتها و قدرها و ظرفيّتها للخير الكثير الّذي ينبسط على الخلق من الرّحمة الواسعة مرّ الأعوام إلى يوم القيامة حيث تتكرّر بكلّ قدر، و على استمرار الإنذار منه تعالى قبل هذا الإنذار، فليس نزول القرآن الكريم من عنده ببدع فإنّ سنّة الإنذار كانت جارية في السّابقين من طريق الوحی إلى المرسلين و بعثهم لإنذار النّاس.

و في قوله عزّ و جلّ: «إنّا كنّا منذرين» إشارة إلى أنّ إنذار النّاس و تنبيههم من غفلتهم بإرسال الرّسل و إنزال الكتب - هو ممّا إقتضته رحمة اللّه تعالى بعباده و المراد بالإنذار ما تحمله كلمات اللّه عزّ و جلّ و آياته من التّحذير من عذابه، و التّخويف بعقابه، و ذلك ليستقيم النّاس على الطّريق السّويّ، و ليرجعوا إلى اللّه تعالى بعد أن تقطّعت بهم السّبل إليه تعالى بسوءِ اختيارهم.

و في الإقتصار على الإنذار مع أنّ رسالات السّمآء تحمل بين يديها - مع النّذر الّتي تحملها إلى المشركين العرب، و المكذّبين العنود - بُشْرَيات برضوان اللّه جلّ و علا، و جنّات عرضها السّموات و الأرض أُعدّت للمتّقين - في هذا إشارة إلى أنّ رسالات السّمآءِ إنّما تجيىء، و قد ركب النّاس رؤسهم، و تنكبوا عن طريق الحقّ و الهدى و عن سبيل الخير و الفلاح، و جرفهم تيار الكفر و الضّلال إلى حيث يشرف بهم على الهلاك و الدّمار، فكان من شأن من يَخَفّ للنّجدة و الإنقاذ أن ينفخ نفخة النّذير، و أن يصرخ في هذا الموكب المتّجه إلى حافة الإنحطاط و الهلاك و شفا حفرة من النّار: أن قفوا و إلاّ فهو

السّقوط و الهلاك و الدّمار و النّار لسوء المصير...

فإذا كان من هؤلآءِ الضّالّين إستماع لهذا النّذير، و استجابة لدعوته - كان للحديث عن الحياة الجديدة الّتي يحياها النّاس مع الايمان باللّه و الإستقامة على طريق الحقّ، و ماورآء هذه الحياة من نعيم مقيم في جنّات عرضها السّموات و الأرض أُعدّت للمتّقين - كان لهذا الحديث آذان تسمع، و قلوب تفقه، و صدور تنشرح، و نفوس تتهيّأ للبذل و التّضحية في سبيل هذا المعتقد الّذي اعتقدته و اطمأنّت اليه... هذا و من مبادیء الشّريعة السّماوية: أنّ دفع المضارّ مقدّم على جلب المصالح... و على هذا فالإنذار من الخطر هو المطلوب أوّلاً... و على الإنذار كانت نبوّة الأنبياء و رسالة المرسلين، و دعوة المصلحين...

قال اللّه تعالى: «و إن من أُمّة إلاّ خلا فيها نذير» فاطر: ٢٤).

و قال: «و لقد أرسلنا فيهم منذرين» الصّافات ٧٢).

و قال: « و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون» التّوبة: ١٢٢) ثمّ يكون الإتجاه بعد هذا إلى جلب المنافع...

### ٤- (فيها يفرق كلّ أمر حكيم)

مستأنف كما قبله، سيق لبيان سبب تخصيص نزول القرآن الكريم بتلك الليلة المباركة فخصّصه بها أنّ إنزال القرآن من الامور ذات الحكمة، و هذه الليلة فيها يفصل كلّ أمر حكيم، ففيها تكتب أرزاق العباد و آجالهم و أعمالهم، و غير هامن أُمور السّنة إلى مثلها من العام القابل، فتعرف إلى الليلة المباركة التّالية، و لمّا كان القرآن المجيد أهمّ الأُمور المحكمة أنزله فيها.

فقوله تعالى: «إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كلّ أمر حكيم» جملتان مستأنفتان ملفوفتان، فسّر هما جواب القسم كأنه قيل: إنّا أنزلناه لأنّ من شأننا الإنذار، و أنزلناه في هذه الليلة خصوصاً لأنّ إنزال القرآن من الأُمور الحكيمة، و هذه الّليلة المباركة مفرّق كلّ أمر حكيم.

و ما يضاف إلى هذه اللّيلة المباركة من البركة، و من القضاءِ بكلّ أمر حكيم فيها، هو خاصّ بهذا الكوكب الأرضي، و بالإنسان الّذي يقوم على خلافة اللّه سبحانه فيه، حيث إنّ لكلّ عالم نظامه الزّمني و أوقاته المباركة... و وصف الأمر بالحكيم مجاز لأنّ الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة كما أنّ «كلّ أمر» كناية عن كلّ فرد جبروتيّ إبداعيّ جامع لجميع أفراده النّاسوتيّة مع جميع أحوالها، و هو الصّور العلميّة القضائيّة التّفصيليّة و «الحكيم» من الإسناد المجازي من قبيل «الكتاب الحكيم» و «الاسلوب الحكيم» أى حكيم صاحبه.

في تلخيص البيان للسّيّد الشّريف الرّضيّ رضوان اللّه تعالى عليه في قوله تعالى: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» قال: «و هذه إستعارة، و قد مضى الكلام على مثلها في - سورة - (بني إسرائيل) و المراد و اللّه تبيّن كلّ أمر حكيم في هذه اللّيلة حتّى يصير كفرق الصّبح في بيانه أو مفرق الطّريق في إيضاحه. و منه قولهم: فرقت الشّعر إذا أخلصت بعضه من بعض، و بينت مخط و سطه بالمدرى أو بالإصبع» إنتهى كلامه و رفع مقامه.

إن تسئل: كيف خصّ وصف الأمر بالحكمة هنا، مع أنّ كلّ أمر يقتضى به اللّه تعالى هو موصوف بالحكمة من دون وصف؟

تجيب عنه - و اللّه جلّ و علا هو أعلم -: أنّ وصف الأمر بالحكمة ليس وصفاً مخصّصاً له، و إنّما هو وصف مؤكّد للوصف القآئم في ذات الأمر و مبيّن له، كما يقال في وصف العسل مثلاً بأنّه حلو، و في وصف المسك بأنّه طيّب الرّيح...

و إن تسئل: كيف خصّصت هذه اللّيلة بأنّها يفرق فيها كلّ أمر حكيم؟ و هل يعني هذا أنّها اللّيلة الّتي يقضي فيها اللّه عزّ و جلّ بما يقضي، ثمّ لايكون له تعالى قضاء في غيرها؟ و هو جلّ و علا يقول: «كلّ يوم هو فى شأن» الرّحمن: ٢٩).

تجيب عنه: أوّلاً أنّ هذه الليلة - كما سبق آنفاً - خاصّة بالعالم الأرضي، و على هذا فإنّ ما يقضي به في هذه اللّيلة من عنداللّه يكون خاصّاً بهذا العالم و بالمخلوقات و الكآئنات الموجودة فيه، و هذا يعني أنّ مقدّرات ما يجري على هذا العالم الأرضي في مدّة عام مقبل يفرق، و يقضي به في هذه الليلة إلى مثلها في العام القادم... و هذا الّذي يقضي،

و إن كان قد قُضِيَ به أزلاً، فإنّ القضآء به في تلك الليلة معناه نقله من اللوح المحفوظ إلى جنداللّه تعالى من الملآئكة الموكّلين بإنفاذ ما قضى اللّه به... و قد كان ممّا قضى اللّه عزّ و جلّ في تلك الليلة نزول القرآن المجيد، و بعثة الرّسول الأعظم﴿ﷺ﴾ و ذلك في عام البعثة النبويّة، و لهذا جآء قوله تعالى بعد ذلك: «إنّا كنّا مرسلين» مشيراً إلى أنّه ممّا قضى اللّه تعالى به في عباده أن يبعث في هؤلآء الأُمّيّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آيات اللّه و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة، و ذلك ليقيم الحجّة على عباده، و ليأخذهم بذنوبهم إذا هم عصوا رسله و ردّوا الهدى الّذي يحملون من اللّه تعالى إليهم: «رسلاً مبشّرين و منذرين لئلاّ يكون للنّاس على اللّه حجّة بعد الرّسل و كان اللّه عزيزاً حكيماً» النّساء:١٦٥) و «ما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً» الإسراء: ١٥).

و ثانياً: أنّ الحكمة الإلهيّة إقتضت أن يكون للّه عزّ و جلّ في كلّ أمر حكيم بداءٌ و مشيئةٌ يقدّم ما يشآء و يؤخّر ما يشآء من الآجال و الأرزاق و البلايا و الأمراض و الأعراض و ما إليها من الامور... إذ قال تعالى: «يمحوا اللّه ما يشآء و يثبت و عنده أمّ الكتاب » الرّعد: ٣٩).

## ٥- (أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين)

منصوب على الاختصاص، و ذلك أنّ اللّه تعالى لمّا جعل كلّ أمر جزلاً بأن وصفه بالحكيم، زاده جزالةً و كسبه فخامة، حيث إنّ كونه من عنداللّه تعالى على سبيل التّعظيم: «عندنا» يوجبه مزيد شرف و كرامة، و مزيد فضل و فخامة، فكأنّه قال: أخصّ بهذا الأمر الحكيم أمراً صادراً من عندنا، كآئناً من لدنّا هو القرآن الكريم على مقتضي حكمتنا البالغة و كمال علمنا و غاية تدبيرنا و شمول عنايتنا، و هو بيان لفخامته الإضافيّة بعد بيان فخامته الذّاتيّة، فالأمور الّتي تفرق في هذه الليلة المباركة شأنها عظيم، و قدرها فخيم و قوله تعالى: «إنّا كنّا مرسلين» مستأنف بيانيّ سيق لتقرير سبب نزول الكتاب من عنداللّه تعالى. و المعنى: إنّا أنزلنا هذا القرآن المبارك في هذه الليلة المباركة أمراً من عندنا على مقتضى حكمتنا لأنّ سنّتنا الجارية إرسال المرسلين بالكتب...

٦- (رحمة من ربّك إنّه هو السّميع العليم)

هذا بيان لسبب إرسال الرّسل بالكتب عامّة، و إرسال رسـولنا محـمد(ﷺ) بالقرآن الكريم خاصّة، و غاية لإرسال متأخّرة عنه على أنّ المراد بها الرّحمة الواصلة إلى العباد، و باعث متقدّم عليه على أنّ المراد مبدؤها. و المعنى: إنّا أنزلنا القرآن لأنّ من شأننا و عادتنا و سنّتنا إرسال الرّسل بالكتب إلى عبادنا لأجل إفاضة رحمتنا عليهم أو لإقتضاء رحمتنا السّابقة إرسالهم، فأرسلناهم بها رحمة منّا، و فضلاً و إحساناً إليهم، و إلاّ فإنّ مع كلّ إنسان رسولاً يدعوه إلى الإيمان باللّه تعالى و هو عقله الّذي هو حجّة باطنيّة عليه بحيث لو أحسن النّظربه، و وجّهه نحو الإتّجاه الصّحيح لعرف ربّه، و آمن به، و لكن من رحمة اللّه جلّ و علا بعباده و لطفه بهم أنّه لم يدعهم لعقولهم الّتي قد تضلّ و تزيغ، و تزلّ و تخطأ، فبعث إلى هذه العقول رسولاً من عنده لازلل معه و لاخطأ فيه، معصوماً من السّهو و النسيان، ينبّه الغافل من العقول، و يوقظ النآئم و يهدى الضّالّ الحآئر، و يتمّ الحجّة عليه: «لئلاّ يكون للنّاس على اللّه حجّة بعد الرّسل» النساء: ١٦٥).

الأصل: «إنّا كنّا مرسلين رحمة منّا» فوضع الظّاهر: «ربّ» موضع الضمير: «نا» إيذاناً بأنّ الرّبوبيّة تقتضي الرّحمة على المربوبين، و أنّ إرسال الرّسل أعظم أنواع الرّبوبيّة. ففي ذكر الرّب إشارة إلى مناط الرّحمة من المربّي الّذي لايعطي إلاّ بقدر كما يفعل بلبن الأمّ، كلّ امّ و ولدها بقدرهما، و يعطي المعلّم الخبير تلميذه مقدار استعداده... فـتبيان النّعم و الأرزاق و الآجال و الأحوال... إنزال القرآن الكريم دفـعة واحـدة في اللـيلة المباركة، و إنزاله نجوماً حسب الوقائع و الحوادث... نحو ثلاث و عشرين سنة كلّ ذلك رحمة، إلهيّة مصحوبة بالتربية، فإنّ الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع...

و قوله تعالى: «من ربّك» رجوع من خطاب النّفس إلى خطاب الواحد، و فائدة العدول هى تخصيص رسول اللّه(ﷺ) بالذّكر لأنّه المقصود بالذّات من هذا النّزول، و فيه إلتفات من التّكلّم مع الغير إلى الغيبة لإظهار العناية الخاصّة برسول اللّه(ﷺ) لأنّه هو الّذي أُنزِل عليه هذا القرآن المبارك في هذه الليلة المباركة، و هو المنذر المرسل إلى النّاس كافّة إلى يوم القيامة.

و في إضافة الرّب إلى ضمير النّبي الكريم«ﷺ» تشريف و تكريم له «ﷺ» و تنبيه على أنّه تعالى يربّي رسوله«ﷺ» و على ذلك تكون أعماله و أقواله و عقائده و أفكاره«ﷺ» ستكون بنظام و حكمة و رحمة مصحوبة بتربيّة الامّة، فيستبين لهم ما يضرّهم و ما ينفعهم، فلا يكون لهم على اللّه جلّ و علا حجة بعد إرسال هذا الرّسول المكرّم«ﷺ» إليهم.

و قوله عزّ و جلّ: «إنّه هو السّميع العليم» تحقيق لربوبيّته، و أنّها لاتحقّ إلاّ لمن هذه نعوته، و فيه تهديد لمن خالف أمره، و عصى رسوله«ﷺ»، و في وصفه سبحانه ب «السّميع العليم» إشارة إلى أن هاتين الصّفتين اللّتين للّه جلّ و علا، قد جعل منهما للإنسان ما يقابلهما رحمة منه و فضلاً و إحساناً إلى الإنسان، فالإنسان من شأنه أن يسمع و أن يكون سميعاً، و من شأنه أن يعلم و أن يكون عليماً، و بهذا يرتفع إلى هذا المستوى الكريم، الّذي أقامه اللّه جلّ و علا فيه خليفة له على الأرض، و إنّ خير ما يسمعه الإنسان من كلام، و خير ما يتعلّم من علم، هو العلم المودع في كتاب اللّه المجيد و هو القرآن المبارك فمن كانت له أُذنان فليسمع، و من كان له قلب فليعقل.

و لايخفى على القارىء الخبير المتدبّر أنّ الآيات الخمس: (٢ - ٦) بصدد توكيد نسبة القرآن الكريم، إلى اللّه جلّ و علا، ثمّ في صدق رسالة الرّسول«ﷺ» و كونها رحمة للعالمين.

٧- (ربّ السّموات و الأرض و ما بينهما إن كنتم موقنين)

تأكيد للتحقيق السّابق، و ذلك أنّ الوثنيّين لمّا كانوا يرون أنّ لكلّ صنف من الخلق إلهاً واحداً أو أكثر، و ربّما اتّخذ قوم منهم إلهاً غير ما يتّخذه غيرهم أكّد قوله: «من ربّك» بقوله: «ربّ السّموات و الأرض...» دفعاً لتوهّمهم: أنّ ربوبيّته للنّبيّ«ﷺ» ليست بالاختصاص كالّتي بينهم، بل هو تعالى ربّه«ﷺ» و ربّ الكون كلّه، و لذلك أكّده ثانياً في الآية التّالية بقوله: «لا إله إلاّ هو» فينبغي لهم أن يعرفوا أنه تعالى وحده ربّهم كما أنّه ربّ الكون كلّه.

و قوله تعالى: «إن كنتم موقنين» هذا الشّرط من قبيل قولنا: هذا إنعام زيد الّذي تسامع النّاس بكرمه، و اشتهروا سخآئه إن بلغك حديثه و حدّثته بقصّته. فالمعنى: هو الّذي يعرفه المؤمنون بأنّه وحده ربّ السّموات و الأرض و ما بينهما إن كنتم منهم عرفتموه بأنّه ربّ كلّ شيء و فيه إستدعآء لهؤلآء المشركين العرب الّذين سُئِلُوا من قبل في آخر سورة «الزّخرف»: «من خلقهم» فقالوا: «اللّه»: ٨٧) دعوة لهم أن يصحّحوا قولهم هذا الّذي أنطقهم الواقع به، من غير أن يكون له رصيد من وعى و إدراك، و نظر في ملكوت السّموات و الأرض... و لهذا فإنّ هذا القول لم يقع من أنفسهم موقع اليقين أى المستيقن المحقق الّذي تدعمه الأدلّة و البراهين، و هذا ما يشير إليه قوله عزّ و جلّ: «و في الأرض آيات للموقنين و في أنفسكم أفلا تبصرون» الذّاريات: ٢٠ - ٢١).

فالآية الكريمة دعوة لهم إلى العلم الّذي يقوم على النّظر المتأمّل، و العقل المتيقّظ، و الإدراك الفاقة... فهذا العلم هو الّذي يقيم في كيان الإنسان يقيناً بما علم، عن هذا اليقين تتحرّك نوازع الإنسان و تتّجه إرادته، و تمضي عزيمته، و في صحبته شعلة من هذا العلم، تضيء له الطّريق، و تكشف له معالم الحقّ و الهدى و الخير و الصلاح، و الصّواب و الرّشاد...

### ٨- (لا إله إلاّ هو يحي و يميت ربّكم و ربّ آبآئكم الأوّلين)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير ما قبله و تأكيده، و هو منطق المستيقن الّذي علم عن يقين أنّ اللّه تعالى وحده ربّ الكون كلّه، فمن علم هذا و استيقنه، أسلمه هذا العلم إلى أن يعلم و يستيقن أنّ ربّ الكون هو وحده يحقّ أن يكون الإله المتفرّد بالألوهيّة: «لا إله إلاّ هو» و أنّه جلّ و علا وحده هو الّذي يحيى و يميت، و أنّه تعالى وحده ربّ النّاس كلّهم: الماضين و الحاضرين و اللاحقين... و هذه هى حقيقة ناصعة إذا كان السّامعون في كلّ ظرف من الظّروف يريدون المعرفة و اليقين.

و قوله تعالى: «يحيى و يميت» مستأنف بيانيّ كما قبله، و هو في - فنّ البديع - من القسم المعنويّ من وجوه تحسين الكلام، من المعنوي، المطابقة، و هى الجمع بين

معنيين متقابلين. و انّ الإحيآء و الإماتة من أخصّ صفات اللّه عزّ و جلّ، و هما من شئون التّدبير، و في ذكرهما نوع تمهيد لماسيأتي من إنذارهم بالمعاد.

و قوله عزّ و جلّ: «ربّكم و ربّ آبائكم الأوّلين» تصريح بأنّ اللّه تعالى وحده هو ربّهم و ربّ آبآئهم الأوّلين كما هو وحده ربّ محمّد رسول اللّه﴿ﷺ﴾ و ربّ الكون كلّه، فليعبدوه وحده و لايتعلّلوا باتّباع آبآئهم في عبادة الأصنام، و لتكميل التّصريح سيقت الجملة بالخطاب فقيل: «ربّكم و ربّ آبآئكم الأوّلين» فتدبّر جيداً.

**٩- (بل هم في شكّ يلعبون)**

إلتفات من الخطاب إلى الغيبة على سبيل الإضراب عن الحديث إلى هؤلآءِ المشركين العرب اللجوج الّذين دُعوا ليسمعوا كلام اللّه جلّ و علا و ليكونوا من الموقنين، فلم يسمعوه و لم يعقلوه و لم يؤمنوا به ... فجدير أن يصرف اللّه تعالى نبيّه﴿ﷺ﴾ عنهم إذ ليسوا أهلاً لأن يقوم فيهم هذا المقام، فهم في شكّ يفسد عليهم كلّ أمر يتّصل بالنّبيّ الكريم﴿ﷺ﴾ و ما يتلوه عليهم، و هم لهذا لايستمعون إليه إلاّ استماع الأطفال الّذي يشغلهم اللعب عن كلّ حديث فيه جدّ... فهم يصرّون على ارتيابهم في كلام اللّه جلّ و علا بعد ما قامت الأدلّة الواضحة و البراهين القاطعة على أنّه كتاب مبارك نازل في ليلة مباركة على رسول اللّه الأعظم﴿ﷺ﴾ لغرض الإنذار رحمة من اللّه تعالى بعباده، فهم لايسمعونه و لايعقلونه و لايؤمنون به و لايوقنون لأنّهم في شكّ و ارتياب فيه يلعبون بالإشتغال بدنياهم عنه، و لايريدون العلم به لأنّهم يتلقّون ما يسمعون من الكتاب المبين بالشكّ و اللعب و الهزء...

و لايخفى على الأديب الأريب أنّ من خصآئص المسند إليه تعريفه بالإضمار لحاجة إلى الغيبة كالآية الكريمة فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً.

**١٠- (فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان مبين)**

الفاء لترتيب الإرتقاب أو الأمر به على ما قبلها، فإنّ كونهم في شكّ ممّا يوجب

ذلك حتماً أى فانتظرهم. إلتفات من الغيبة إلى الخطاب، و فيه تهديد لأهل الشكّ و اللعب باليوم الّذي ينتشر فيه من جانب السّمآءِ دخان عظيم يملأ الجوّ. و من المحتمل أن يكون الدّخان كناية عن الجدب لأنّ الهواء يتكدر سنة الجدب بكثرة الغبار لقلّة الأمطار المسكنة له.

۱۱- (يغشى النّاس هذا عذاب أليم)

وصف ثانٍ للدّخان بأنّه يكون قطعاً مظلمة عظيمة متراكمة كالسّحب العظيمة، يحيط بهم من كلّ جانب، حال كونهم قائلين: «هذا عذاب أليم» و هذا تهديد لهم بالعذاب الأليم الواقع عليهم، و وصف العذاب بالأليم مبالغة في سببه لأجل استمراره، و صار بالعرف عبارة عن العقاب، لأنّ الألم الّذي يفعل للعوض و الإعتبار كأنّه لايعتدّ به لما يؤل إليه من النّفع.

۱۲- (ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون)

هذا حكاية قول النّاس و إشارة إلى عادتهم أنّهم إذا رأوا العذاب أو وقعوا في شدّة أيّاً كانت يعدون بالتّوبة و الرّجوع عمّا هم فيه و الايمان باللّه تعالى و صالح الأعمال... و لكنّهم إذا نجوا عنه يعودون إلى ما كانوا عليه من قبل من الكفر و الطّغيان، من الإثم و العدوان و من البغي و العصيان...

۱۳- (أنّى لهم الذّكرى و قد جآءهم رسولٌ مبين)

هذا ردّ لكلامهم و استدعآئهم الكشف على سبيل الإستبعاد، و تساؤل المنكر المستنكر عمّا إذا كان هذا ينفعهم حينئذ، و قد جآءهم رسول اللّه بالآيات الواضحة و هم في متّسع من الوقت، و تكذيب لهم في الوعد بالإيمان المنبيء عن التذكّر و الإتّعاظ بما اعتراهم من الدّاهية، و تنبيه على أنّ غرضهم كشف العذاب فحسب، و هم لايريدون الايمان.

و المعنى: أنّ هؤلآءِ المرتابين اللاعبين المستهزئين المعاندين كيف يذكرون و يتّعظون و يرتدعون و يفون بما و عدوا به من الايمان عند كشف العذاب عنهم، و قد جآءهم ما هو أعظم و أدخل في وجوب الادّكار من كشف الدّخان، و هو ما ظهر على يد رسول اللّه﴿ﷺ﴾ الأعظم من الآيات البيّنات و من الكتاب المعجز و غيره و حثّهم على الايمان به فلم يذكروا و أعرضوا عنه بل أصرّوا على الشّرك و تكذيب الكتاب و الرّسول﴿ﷺ﴾ مكابرة و عناداً... و هذا زمان سقوط التّكليف لكونهم ملجئين، فلا تقبل معذرتهم و توبتهم عندئذ، فمن أين لهم التّذكّر و الإتّعاظ عند حلول العذاب؟! فليس المراد بالإستفهام هنا على حقيقته، بل الغرض منه استبعاد الإتّعاظ و نفيه.

و قوله تعالى: «رسول مبين» في وصف رسول اللّه﴿ﷺ﴾ بأنّه «مبين» إشارة إلى أنّ القرآن الكريم الّذي بين يديه، و الّذي فيه البيان المبين إلى الهدى و دين الحقّ، و أنّه بهذا الكتاب المبين يقدم الحجّة الدّامغة و السّلطان المبين كما قال عزّ و جلّ: «أنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس ما نزل إليهم» النّحل: ٤٤).

## ١٤- (ثمّ تولّوا عنه و قالوا معلّم مجنون)

بيان لكذبهم، و عدم وفآئهم بما وعدوا به، و إصرارهم على كفرهم و طغيانهم، و بقاءهم على شكّهم و لعبهم، بأنّهم لم يكتفوا بالإعراض عن الرّسول﴿ﷺ﴾ و الإستخفاف به﴿ﷺ﴾ حتّى اتّهموه بأنّه إنّما يعلّمه بشر، و نسبوه إلى الجنون و اختلال العقل مكابرة و عناداً لأنّهم لايعنون بهذا أنّه﴿ﷺ﴾ مجنون معتوه إذ كانوا هم يعرفونه﴿ﷺ﴾ بكمال العقل و الرّأى و غاية الصّدق و الأمانة قبل النّبوّة حتّى أقرّت قريش أنّهم و جدوه أكمل دهره عقلاً و رأياً، و أجمعهم للخصال الحميدة ذاتاً و قولاً و عملاً، و كانوا يسمّونه «الصّادق الأمين» قبل أن قام بالنّبوّة كما أنّهم إجتمعوا لبناءِ البيت إذ إنتقض بنآؤه، فحضر من كلّ بطن من بطون قريش، رؤسآؤهم و تعاونوا على بنآئه لكى لاتكون تلك المنقبة لبعضهم دون بعض.

فلمّا أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود موضعه، إختلفوا و تنافسوا في ذلك، ثمّ اتّفقوا

على محمّد(ﷺ) و قالوا: رضينا بحكم الصّادق الأمين محمّد(ﷺ) فحضر(ﷺ) و أمر أن يبسط ثوب و يوضع عليه الحجر، و أن يأخذ رئيس كلّ قبيلة طرفاً من الثّوب، ثمّ يرفعوه معاً، ففعلوا ثمّ تناوله هو (ﷺ) فوضعه موضعه، فرفعوا بذلك ثقة منهم به(ﷺ) و إعتماداً على كمال تدبيره و عقله و رأيه، و نهاية صدقه و أمانته، و بذلك كانوا يعرفونه حتّى ظهر بالنّبوّة، و عاب دينهم و ما كانوا يعبدونه من دون اللّه، عادوه ونابذوه و اتّهموه بالكذب و نسبوه إلى الجنون! و في التعبيرين: «معلّم مجنون» دلالة على ما كان يظنّه المشركون العرب في رسول اللّه(ﷺ) و على بواعث جحودهم و تصامهم عن دعوته، و لذلك جآءت الآيات بالاسلوب التنديدى و الإنذاري.

### ۱۵- (إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عائدون)

هذا جواب من اللّه تعالى عن قولهم: «ربّنا اكشف عنّا العذاب...» بطريق الإلتفات، على وجه التّبكيت لهم على شدّة مكابرتهم و عنادهم لمزيد التّوبيخ و التّهديد، و ما بينهما اعتراض، و صيغة الفاعل في الفعلين: «كاشفوا - عائدون» للدّلالة على تحقّقهما لامحالة، و كذلك «منتقمون» و هذا حكم كاشف عن حال هؤلآءِ المشركين العرب مع تلك التجربة و أنّهم سينكثون هذا العهد الّذي عاهدوا اللّه عليه، لو أنّه كشف عنهم العذاب، فلا يوفون بعهدهم، بل إذا زال عنهم الخوف نكصوا على أعقابهم، و رجعوا إلى سيرتهم الاولى، و عضّوا على الكفر و العناد بالنّواجذ و ساروا على طريق الآبآءِ و أجدادهم الضّالّين...

و قوله تعالى: «إنّكم عائدون» فيه إشارة إلى أنّهم كانوا أثنآء تلك المحنة قد اتّجهوا إلى اللّه جلّ و علا، و أخذوا طريقهم إلى الايمان به، فلمّا كشف عنهم الضّرّ عادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر و الطغيان، و انسحبوا من هذا الطّريق الّذي وضعوا أقدامهم عليه...

و هكذا شأن أهل البغي و الضّلال، و الظّلم و الفساد في كلّ ظرف... إذا مسّهم الضّرّ دعوا اللّه مخلصين له الدّين، فإذا كشف عنهم الضّرّ تولّوا عنه معرضين... و في هذا

قال جلّ و علا: «هو الّذي يسيّركم في البرّ و البحر حتّى إذا كنتم في الفلك و جرين بهم بريح طيّبة و فرحوا بها جآئتها ريح عاصف و جآءهم الموج من كلّ مكان و ظنّوا أنّهم أُحيط بهم دعوا اللّه مخلصين له الدّين لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشّاكرين فلمّا أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحقّ» يونس: ٢٢ - ٢٣).

و لايخفى على **أصحاب الفصاحة** و البلاغة أنّ الآية الكريمة هذه في - فنّ البديع - من باب المناقضة، و هى هنا عبارة عن إيراد المتكلّم كلاماً يكون ظاهر ألفاظه وعداً، و معناه و عيداً، فيفرح المخاطب بظاهره، و يحزن بمعناه، و يقع الإشكال على ظاهره، و يرتفع في آخره، و ذلك أنّ قوله تعالى: «إنّا كاشفوا العذاب» وعد يفرح به السّامعون، و تقييد الكشف بالمدّة اليسيرة: «قليلاً» وعيد، يحزن به المخاطبون، و هذا القيد بظاهره ينافي عفو الكريم، و يرتفع هذا التنافي بموجب العذاب و هو عودهم إلى الكفر و الطغيان، إلى الإثم و العدوان، إلى البغي و العصيان، و إلى العناد و اللجاج... فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً و لاتغفل.

## ١٦- (يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون)

و عيدو إنذار شديد لهم بأخذهم في الحياة الدّنيا - كيوم بدر و فتح مكّة - إلاّ أن يستدركوا بالإستغفار و التّوبة و الإيمان و صالح الأعمال... فانتقم اللّه جلّ و علا منهم بإنزال العقوبة بهم.

**فى التّبيان:** «و قد فرّق قوم بين النّقمة و العقوبة: بأنّ النّقمة ضدّ النعمة و العقوبة ضدّ المثوبة، فهي مضمنة بأنّها بعد المعصية في الصّفة، و ليس كذلك النّقمة، و إنّما تدلّ الحكمة على أنّها لاتقع من الحكيم إلاّ لأجل المعصية».

و قيل: إنّ الفرق بين العقاب و الإنتقام أنّ الإنتقام سلب النّعمة بالعذاب، و العقاب جزاء على الجرم بالعذاب لأنّ العقاب نقيض الثّواب و الإنتقام نقيض الإنعام»

**و قال بعضهم:** إنّ الإنذار بانتقام اللّه من كفّار العرب قد توالى في هذه السّورة و ما قبلها حيث يلهم هذا أنّ الكفّار قد أخذوا يشتدون في مناوأتهم و أذاهم.

و نستطرد إلى ذكر مسئلة من المسآئل الّتي يثيرها بعض الباحثين من غير المسلمين حيث جعل توالي إنذار القرآن بالانتقام في هاتين السّورتين و غيرهما، و وصف اللّه بالغضب و بذى الإنتقام و بالقوى، و بالشّديد العقاب، و بالبطش و بالجبّار و القهّار المتكبّر المهيمن... و بعض الباحثين من غير المسلمين و من جملتهم - فيليب - حتّى يقولون: «إنّ صفات الحبّ في اللّه تتضائل أمام صفات القوّة و الجلال في العقيدة الاسلاميّة».

و في هذا إفتئات مؤسف قآئم على الهوى و لم يأت عن تحرّ و تدقيق. فالقرآن قد ذكر إلى هذه الصّفات: الرّحمن و الرّحيم و الغفور و العفوّ و الودود و الكريم و الرّزّاق و التّوّاب و السّلام و الغفّار و المجيب و القريب و الشّكور و الحليم و الحميد... بل إنّ عدد المرّات الّتي وردت فيها هذه الصّفات أكثر من المرّات الّتي وردت فيها تلك، و بينما استعملت تلك في مقامات فيها حكاية مواقف المشركين و الكفّار من الدّعوة النّبويّة، و ما كان من عنادهم و مناوأتهم بل و أذاهم للمسلمين استعملت هذه في مقامات تلهم أنّها الصّفات الشّاملة ممّا ورد في آيات كثيرة كثرة تغني عن التّمثيل.

و هذا فضلاً عن الآيات الكثيرة الّتي نفت الظّلم عن اللّه، و قرّرت أنّ اللّه لو يؤاخذ النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة، و لو يعجّل اللّه لهم بالشّرّ استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم، و أنّه الغفور ذو الرّحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجّل لهم العذاب، و لو يؤاخذ اللّه النّاس بظلمهم ما ترك عليها من دابّة، و أمر النّبيّ ﴿ﷺ﴾ بالصّفح و السّلام و الصّبر و التّسامح و الإحسان و الإعراض و الهجر الجميل و الصّفح الجميل...

و دعت بأساليب متنوّعة إلى التّوبة و الإنابة إلى اللّه و عدم القنوط من رحمة اللّه و فتحت الباب واسعاً لكلّ مذنب مهما عظمت ذنوبه و لكلّ كافر و لكلّ منافق مهما أجرموا و اجترحوا السّيّئات لإصلاح أنفسهم، و بدء حياة جديدة و الإستمتاع بعفو اللّه و رحمته و غفرانه و تسامحه ممّا احتوته آيات كثيرة جدّاً كثرة تغني عن التّمثيل كذلك.

**١٧- (و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون و جآءهم رسول كريم)**

قسم مقدّر ربّانيّ على سبيل التّعظيم بأنّه جلّ و علا فتن قبل المشركين العرب، فرعون و قومه، و اختبرهم بالنّعماءِ و البأسآءِ و بموسى بن عمران(ﷺ) كما اختبر هؤلآءِ المشركين بالرّخآءِ و الضّرّآءِ و بمحمّد(ﷺ) و لكن كلا الفريقين لم يحسنوا ذلك، فتمرّد هؤلاء و أُولئك... و قد جمع اللّه تعالى في كثير من المواقف في القرآن الكريم بين المشركين العرب، و بين فرعون و قومه، و ذلك لما بين الفريقين من تشابه كثير: في الكفر و الضّلال، في البغي اللجاج، في الكبر و العناد، و في الإستعلاءِ و الفساد... مع الجهل الّذي يدفع بهذه القوى الغاشمة الجامحة، إلى حيث يلقون مصارعهم على يديها...

و إنّه كما فُتِنَ قوم فرعون بأنفسهم، و بما زُيّن لهم الجهل و الحماقة، و الغرور و الغفلة و الباطل و الضّلالة... فرأى فرعون في نفسه أنّه إله لهؤلآء الحمقاء... و رأى الملأ من حوله أنّهم أشباه آلهة... كذلك فُتِنَ المشركون العرب بأنفسهم، و رأوا أنّهم أكبر من أن يتلقّوه شيئاً من إنسان، و من حماقتهم أنّهم كانوا يعبدون الأحجار المنحوتة بأيديهم و يتخذونها آلهة لأنفسهم و لا يقبلون الإنسان رسولاً و لو كان مرسلاً من ربّ العالمين.

و قوله تعالى: «و جآءهم رسول كريم» تفسير للإمتحان، و فيه إشارة إلى موسى(ﷺ) و أنّه الرّسول الكريم الّذي جآء إلى فرعون طاغي مصر، و ملائه الباغين... و في وصف موسى بالكرم، لما في يديه من معجزات كثيرة، عاد على النّاس خيرها، فعاشوا في ظلّها كما يعيش النّاس في ظلّ جناب كريم معطاء ... فقد كان بين يدى موسى من المعجزات: العصا الّتي أخرج بها بني إسرائيل من العذاب المهين، و الّتي فجر بها المآء من الحجر... كما كان من معجزاته المنّ و السّلوى الّذي كان طعام بني إسرائيل إلى أن عافوه، و زهدت فيه نفوسهم الخبيثة ... و قد كان يمكن أن يكون لفرعون نصيب عظيم من هذا الخير الّذي بين يدى موسى لو أنّه صدّقه و آمن باللّه تعالى و عمل صالحاً.

**١٨- (أن أدّوا إليّ عباد اللّه إنّي لكم رسول أمين)**

تقرير لمضمون الرّسالة الّتي حملها موسى بن عمران(ﷺ) إلى فرعون طاغي

مصر، و قومه الباغين و هو أن يؤدّوا إليه عباد اللّه أى يطلقوهم و يرسلوهم معه إلى حيث يخرج بهم من هذا البلاء الّذي هم فيه، حيث إنّ معنى مجيء الرّسول هو تبليغ الرّسالة، و قد كان من رسالة موسى«عليه السلام» إلى فرعون و قومه أن يرسلوا معه بني إسرائيل و لايعذّبوهم، و قد عبّر عن بني إسرائيل بقوله تعالى: «عباد اللّه» إسترحاماً، و تنبيهاً إلى أنّهم ليسوا عبيداً لفرعون، و لالقوم فرعون، و إنّما هم عباد اللّه تعالى وحده وهذا رسول اللّه يطلبهم لينقلوا من هذه العبودية للمخلوق إلى العبوديّة للخالق، و تلويحاً إلى أنّهم في استكبارهم و تعدّيهم عليهم إنّما يستكبرون على اللّه جلّ و علا لأنّهم عباد اللّه.

و في التّعبير عن إرسال بني إسرائيل مع موسى«عليه السلام» بقوله تعالى: «أدّوا إليّ عباد اللّه» إشارة إلى أنّهم أمانة للّه تعالى في يد القوم، و أنّ عليهم أن يؤدّوا هذه الأمانة عند طلبها إلى أهلها... و هذا يعني أنّ الضّعيف أمانة في يد القوى، و أنّ عليه أن يرعاه و يحفظه، و ألاّ يضيّع إنسانيّته بالقهر و البغي، فيتحوّل في يده إلى إنسان قد فقد وجوده... إنسان قد مسخت إنسانيته فاستخذى و ذلّ... و هذا هو الضّياع الّذي هو الموت بالحياة!

و قوله تعالى: «إنّي لكم رسول أمين» تعليل للأمر بردّ عباد اللّه تعالى إلى موسى«عليه السلام» أو لوجوب المأمور به، و في وصفه«عليه السلام» بالأمانة إشارة اُخرى إلى أنّه سيحفظ أمانة اللّه عزّ و جلّ فى عباده، اذا صاروا الى يده و الاّ يضيّعهم كما ضيّعهم فرعون، بل إنّه سيصلح ما أفسد فرعون منهم، و يطبّ لما رماهم به من دآءٍ اغتال كلّ معانى الإنسانيّة فيهم... و في الوصف بالأمانة دفع لإحتمال أن يخونهم في دعوى الرّسالة و إنجآءِ بني إسرائيل من سيطرتهم، فيخرج معهم عليهم، فيخرجهم من أرضهم كما حكى اللّه عزّ و جلّ عن فرعون إذ قال للملإ حوله: «إنّ هذا لساحرٌ عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره» الشّعراء: ۲٥). و هو من حسن التّعبير هو الجمع بين التأدية و الأمين.

**۱۹- (و أن لاتعلوا على اللّه إنّي آتيكم بسلطانٍ مبين)**

بيان لمضمون آخر من مضامين رسالة موسى«عليه السلام» على سبيل النّهى بعد الأمر،

و بيان مقول واجه به موسى﴿ﷺ﴾ فرعون و قومه، و هو أنّه جآءهم بسلطان ظـاهر يعلو كلّ سلطان، و من كان هذا شأنه فلا يصحّ أن يلقاه القوم متعالين... فإنّه - و هو أعلى منهم سلطاناً و أقوى قوّةً - قد جآءهم طالباً راجياً، و لم يأتهم مُـلجأ مسـتعلياً جابراً...

و في التّعبير عن السّلطان الّذي يلق به القوم - في التّعبير عن هذا بفعل المستقبل: «آتيكم» إشارة إلى أنّ هذا السّلطان الّذى معه لم يره القوم بعد، و أنّهم إذا شأوا أن يروه أراهم إيّاه و في هذا يقول اللّه عزّ و جلّ فيما كان بين فرعون و موسى﴿ﷺ﴾: «قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصّادقين فألق عصاه فإذا هى ثعبان مبين و نزع يده فإذا هى بيضآء للنّاظرين» الشّعراء: ٣٠ - ٣٣).

فالسّلطان المبين الّذي جآء به موسى﴿ﷺ﴾ هو عصاه و يده و لم يكن فرعون و من معه يرون في العصا و اليد سلطاناً... فلمّا سئلوا موسى﴿ﷺ﴾ أن يريهم هذا السّلطان ألق عصاه، و نزع يده، فكانتا آيتين من آيات اللّه جلّ و علا.

و من حسن التّعبير فى الآية الكريمة هو الجمع بين نفي العلوّ من فرعون و قومه، و إثبات السّلطان لنفسه﴿ﷺ﴾ كما أنّ لذكر الأمين مع الأدآءِ، و السّلطان مع العلآءِ شأن لا يخفى على الأديب الأريب فتدبّر جيّداً.

**و قوله تعالى﴿ﷺ﴾:** حكاية عن موسى﴿ﷺ﴾ «إنّي آتيكم ...» تعليل للنّهى: «لا تعلوا على اللّه».

**في تلخيص البيان:** في قوله تعالى: «و أن لا تعلوا على اللّه ...» قال: «و هـذه إستعارة، و المراد بالعلوّ ههنا الإستكبار على اللّه سبحانه و على أوليآئـه، و يـوصف المستكبر فى كلامهم بأن يقال: قد سمخ بأنفه، و هذه الصّفه مثل و صفه بالعلوّ لأنّ الشّامخ العالي، و قال سبحانه: «إنّ فرعون علا في الأرض» أى تجبّر فيها و استكبر على أهلها، و ليس يراد بذلك العلوّ الّذي هو الصّعود، و إنّما يراد به العلوّ الّذي هو الإستكبار و العتوّ، و ضدّ و صفهم المستكبر بالعلوّ و التّطاول وصفهم المتواضع بالخشوع و التّضاؤل».

۲۰-(و إنّي عذت بربّي و ربّكم أن ترجمون)

بيان لمقول آخر من مضامين رسالة موسى﴿عليه السلام﴾ إلى فرعون طاغي مصر و ملائه الباغين ... إذ قال لهم: إنّي مستعيذ بربّي و مستجير بربّكم أن تأخذكم العزّة بالإثم، فتمتدّ أيديكم إليّ بالأذى و الجناية، أو أن تتطاول عليّ ألسنتكم بالفحش من القول، فترجموني بقوارص الكلم و بذيئه ...

و في إيثار الجملة الإسميّة المؤكّدة و صيغة الماضي: «إنّي عذت» دون المستقبل: «أعوذ» دلالة على أنّه كان طغيان فرعون و ملائه عظيماً، و دعوتهم إلى اللّه تعالى أمراً خطيراً لابدّ و أن تكون بالعوذة بالرّبّ بحيث كانت جزء رسالته﴿عليه السلام﴾ ولدعاة النّاس و المصلحين و العلمآءِ و المبلّغين فيه درس ثمين.

و في قوله: «و ربّكم» مع أنّهم لا يعترفون بربّ موسى﴿عليه السلام﴾ ربّاً لهم - إلزام لهم بالإعتراف بربّ موسى﴿عليه السلام﴾ و إن لم يقبلوه ربّاً لهم ... فذلك هو الحقّ الّذي لابدّ أن يقال، سوآء قبله القوم أم كذّبوه، فإنّ الرّسول مسئول عن تبليغ رسالته، و ليس بمسئول عن قبول النّاس دعوته، إذ ليس شرط التّبليغ قبول الدّعوة كما توهّم بعض العلمآءِ الكسالى ...

۲۱-(و إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون)

تقرير لمقول رابع من مقالات موسى﴿عليه السلام﴾ لفرعون و ملائه بأنّكم أيّها الطّغاة إن لم تصدّقوني فيما أدعوكم إليه، و إن لم تسلّموا بما جئتكم به، و إن لم تهتدوا إلى ما أهديكم إليه من الحقّ و الصّواب، من الخير و الرّشاد، من الصّدق و الفلاح، من العدل و الصّلاح، و من الكمال و النّجاة ... فليكن الأمر بيني و بينكم على ما كان عليه من قبل، و هو أن تكفّوا عنّي أذاكم، و لا ترجموني باليد و لا باللّسان، و تدعوني و شأني مسالمة حتّى يحكم اللّه جلّ و علا بيني و بينكم و هو خير الحاكمين بعد أن بلّغتكم رسالة ربّي و أتممت عليكم الحجّة البالغة.

فقد دعاهم موسى﴿عليه السلام﴾ إلى ترك ملابسته بسوءٍ إن أصرّوا على الكفر و

الطغيان، و لم يقبلوا إلى الحقّ و الايمان، لأنّ هذا أمر يدعو إليه العقل ببديهته، و لا يحتاج إلى دليل و لا برهان.

### ٢٢- (فدعا ربّه أنّ هؤلآء قوم مجرمون)

إشارة إلى يأس موسى﴿عليه السلام﴾ من إيمان فرعون و ملائه، و من إطلاقهم بني إسرائيل، فلمّا يئس دعا ربّه شاكياً إلى ربّه: أنّ هؤلآءِ قوم مجرمون، تعريضاً بالدّعآءِ عليهم بذكر ما استوجبوه به، و لذلك سمّاه دعاءً، فدعا عليهم بما يقتضيه خبث سريرتهم، و فساد أعمالهم، و سوء معاملتهم له﴿عليه السلام﴾ فكأنّه قال: اللّهمّ عجّل لفرعون طاغي مصر، و لملائه الباغين بما يستحقّونه بكفرهم و طغيانهم، ببغيهم و عصيانهم، و بإثمهم و عدوانهم ... بما يكونون به نكالاً لمن بعدهم، لأنّهم أجرموا قطعاً لثمرات الإنسانيّة الحرّة قبل إيناعها، و فصلوا عنها كافّة مُعِدّاتها، حيث إنّ الرّسالة حياة جماهيريّة و سلالة من ثمرات الإنسانيّة هم مجرموها و قاطعوها ...

يا ربّ أنت بعثتني للإثمار الإيناع لإستعدادات خاملة كرماً على الإنسانية جمعاء: «و جاءهم رسول كريم» و هم برجمهم المهدّد مجرمون هذه البعثة الكريمة، فأنت و شأنك يا ربّ! فلا مخلص لي في أمرك إلاّ بأمرك يا ربّ! فما دعا موسى﴿عليه السلام﴾ بهذا الدّعآءِ إلاّ بعد إذن اللّه تعالى له في الدّعاءِ عليهم، و لذلك تأتي الإجابة فور الدّعآءِ كأنّها آتية مع الدّعاء، و لمّا يصل أمرك إلى ما وصل:

### ٢٣- (فأسر بعبادي ليلاً إنّكم متّبعون)

جواب لندآءِ موسى﴿عليه السلام﴾ ربّه، و دعائه إيّاه أن يأخذ هؤلآءِ المجرمين بجرمهم ...
و في الكلام إيجاز بالحذف، تقديره: فأجبناه دعآئه و أوحينا إليه: أن أسر بعبادي ليلاً يتّبعكم فرعون و جنوده إذا علموا بخروجكم. و لم يصرّح بالجزآءِ الّذي طلب موسى﴿عليه السلام﴾ من ربّه أن يجزى به القوم المجرمين، و إنّما اقتصر على عرض القوم و هو في تلبّسهم بالكفر الّذي هو الجريمة الّتي يدانون بها، و في هذا ما يشير إلى أنّ عقابهم على

هذا الجرم أمر مفروغ منه، و أنّه لا يحتاج إلى طلب، إذ كانت تلك الجريمة الشّنيعة تنادي بالويل و الهلاك لمن ألمّ بها ... و لهذا جآء قوله عزّ و جلّ: «فأسر بعبادي ...» معطوفاً بالفاء الّتي تدلّ على التّرتيب و التّعقيب على قوله تعالى: «فدعا ربّه ...» مشعراً بأنّ الدّعاء و استجابته أمر واحد، فإنّ الجريمة و عقابها مترابطان متلازمان ... فحيث كانت هذه الجريمة، كان العقاب مصاحباً و ملازماً لها لامحالة.

**إن تسئل:** إنّ الإسراء لا يكون إلاّ في الليل، فما الفآئدة في ذكر «ليلاً»؟

**تجيب عنه:** إنّ «ليلاً» تأكيد للإسرآءِ، و تصريح به لعدّة، و زيادة إيضاح للآخرين، إذ ليس كل إنسان يفهم أنّ الإسراء لا يكون إلاّ باللّيل، مع أنّ سير الليل غالباً يكون عن خوفٍ، و أنّ الخوف يكون بوجهين: إمّا الخوف من العدوّ فيتّخذ اللّيل ستراً مُسدلاً فهو من أستار اللّه تعالى، و إمّا من خوف المشقّة على الدّوابّ و الأبدان بحرٍّ أو جدب، فيتّخذ السّرى مصلحة من ذلك، و في ذكر «ليلاً» مع السّرى الّذي لا يكون إلاّ «ليلاً» إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه موسى﴿عليه السلام﴾ و قومه من الحذر، و هم يأخذون طريقهم ليلاً فارّين هرباً من وجه فرعون و قومه ظاهراً ليتّبعوهم فيغرقوا في البحر.

فقد يكون السّير ليلاً، فاضحاً لأهله، إذاهم أحدثوا جلبة وضو ضآء ... و أصل السُّرى من السرّ، و سمّى السّير بالليل سرىً لأنّ الليل يكتم تحرك الأشيآءِ و يسترها عن الأعين ...

**و قوله تعالى:** «إنّكم متّبعون» مستأنف بيانيّ في موضع تعليل للأمر بالسّير ليلاً يخبر عمّا سيقع عقيب الإسراء، و من المحتمل أن يكون بياناً للحكمة من السّير ليلاً، فإنّ هناك من يتربّص بالقوم و يتتبّع آثارهم و أخبارهم ...

**٢٤- (و اترك البحر رهواً إنّهم جندٌ مغرقون)**

أمر لموسى﴿عليه السلام﴾ من ربّه أن يترك البحر قآئماً فيه الطريق الّذي أحدثه بعصاه لأنّه سيطبق و شيكاً على فرعون و جنوده، بعد أن يجاوزه موسى﴿عليه السلام﴾ و قومه. و في

الكلام إيجاز بالحذف اختصاراً، تقديره: لمّا بلغت يا موسى(عليه السلام) و من معك البحر فاضرب به بعصاك لينفتح طريق لجوازكم، فجاوزوه و اتركه ساكناً أو مفتوحاً على حاله، فيدخله فرعون و جنوده طمعاً في إدراككم فهم جند مغرقون.

و قوله تعالى: «إنّهم جند مغرقون» تعليل للأمر بترك البحر رهواً، و فيه بشارة من اللّه تعالى لموسى(عليه السلام) بأنّ فرعون و قومه مغرقون فيه. و سمّى فرعون و قومه هنا جنداً لأنّهم كانوا في معركة مع موسى، و قد انتهت هذه المعركة و كانوا من المغرقين ...

و لا يخفى أنّ الآيات الثّمان: (١٧-٢٤) هنا تختصر الأحداث و تطويها طيّاً لأنّ تفصيل هذه الأحداث، قد جاء به القرآن الكريم في مواضع أُخرى، فكانت الإشارة إليها هنا مغنية عن الشّرح و التّفصيل.

**٢٥-٢٧ (كم تركوا من جنّاتٍ و عيون و زروعٍ و مقامٍ كريمٍ و نعمة كانوا فيها فاكهين)**

إخبار من اللّه تعالى عن حال فرعون طاغي مصر و قومه الباغين، و بيان ترك هؤلآءِ الهالكون غَرَقاً من متاع الدّنيا و زخارفها بلا صاحب لها، فقد خلّفوا ورآءهم جنّات مثمرة و عيوناً جارية، و زروعاً مونقة، و حياة طيّبة، و معيشة راضية ... و هو شيء كثير أفاضه اللّه على القوم من فضله، فما زادهم ذلك إلاّ طغياناً و كفراً ... وهاهم أُولآء قد خلّفوه ورآءهم، يعيش فيه غيرهم، و ينعم به سواهم ... فما أغنى عنهم أموالهم و لا أولادهم، و لا قصورهم و لا جنّاتهم و لاعدّتهم و لا عددهم ... من اللّه من شيء ...

و لا يخفى على أصحاب البلاغة أنّ الآيات الثّلات ... فى - فنّ البديع - من باب حسن البيان و هو إظهار المعنى للسّامع بأحسن وجه و أسهل طريق، و حسن البيان هو عين البلاغة، و هو قد يكون باسلوب الايجاز، و قد يكون بسبك الإطناب، على حسب مقتضى الحال، و قد جاء حسن البيان على طريق الإيجاز و الإطناب بمواضع كثيرة من القرآن الكريم، و منها تلك الآيات الثّلاث و تاليها الّتي تكون بصدد تحذير النّاس في كلّ ظرف من الغرور بمتاع الدّنيا و زخارفها، و جاهها و شهواتها ... و لا يخفى عليهم أيضاً:

أنّ الكلام مرتبط بمقدّر لابدّ منه ليلتئم نظام الكلام. تقديره: فاطمأنّ موسى بذلك فتمّ إغراقهم و «كم» خبريّة بمعني كثير أى كثيراً تركوا ... كقول سيّد السّاجدين زين العابدين الإمام الرّابع عليّ بن الحسين عليهما أفضل صلوات اللّه في الصّحيفة السّجّاديّة: «فكم قد رأيتُ يا إلهى من أُناس طلبوا العزّ بغيرك فذلّوا، و راموا الثّروة من سواك فافتقروا، و حاولوا الإرتفاع فاتّضعوا ...».

## ۲۸- (كذلك و أورثناها قوماً آخرين)

إخبار من اللّه تعالى عن هلاك فرعون طاغي مصر، و قومه الباغين، و عن إخلآءِ أيديهم ممّا كان يعتزّون به من ملك و سلطان، من عدّة و عدد، من شوكة و بطشة، من أموال و بنين، من جنّات و قصور، و من زروع و مقام كريم ... فلقد ذهب كلّ ذلك و لم يغن عنهم شيئاً، بل و صار ميراثاً لغيرهم ... فمثل هذا الإحسان العظيم إليهم كان عقابنا الشّديد لهم، فنزعنا هذه النّعم من أيديهم، و أورثناها قوماً آخرين من بعدهم، و هم بنو إسرائيل إذ رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون و قومه على ما قيل.

**إن تسئل:** إنّ بين قوله تعالى: «و أورثناها قوماً آخرين» و قوله عزّ و جلّ: «و أورثناها بني إسرائيل» الشعراء: ٥٩) تناقضاً، فإنّ بني إسرائيل قد خرجوا من مصر و لم يرثوها؟

**تجيب عنه:** أوّلاً انّه ليس بينهما تناقض، فإنّ آية الدّخان لا تنفى كون الورثة بني إسرائيل، لأنّ هناك آيات تذكر أنّ بني إسرائيل أخذوا حليّ المصريّين كقوله تعالى: «قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنّا حمّلنا أوزاراً من زينة القوم فقذ فناها فكذلك ألقى السّامريّ» طه: ۸۷) حيث يتضمّن هذا معنى إرث أموال المصريين.

و ثانياً: إنّ فلسطين و شرق الأُردن كانت في نطاق سلطان المصريين، فاستولى عليها بنو إسرائيل، و قد عبّر عن ذلك بالإرث في قوله تعالى: «و أورثنا القوم الّذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض و مغاربها الّتي باركنا فيها و تمّت كلمة ربّك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا و دمّرنا ما كان يصنع فرعون و قومه و ما كانوا يعرشون»

الأعراف: ١٣٧).

و ثالثاً: انّ هذا في صدد التّساوق في نصوص القرآن المجيد مع إعتقادنا بأنّه لاطآئل من إثارة هذه النّقاط و أمثالها لأنّ الهدف الجوهرى في هذه الآيات و أمثالها هو التّذكير و الموعظة بأساليب، و عبارات متنوّعة ممّا تكرّر في القرآن الكريم بتكرّر المناسبات ...

**٢٩- (فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين)**

بكاء السّماء و الأرض على شيء فآئت إستعارة مكنيّة تخييليّة عن تأثّرهما عن فوته، و فقده، مبالغة في التّبكيت و التهكّم عليهم و تهوين شأنهم عند اللّه تعالى رغم ما كانوا عليه من قوّة و ترف و قد كانوا يستعظمون أنفسهم، و يعتقدون أنّهم لو ماتوا لقال النّاس فيهم ذلك، فأخبر تعالى أنّهم ما كانوا في هذا الحدّبل كانوا خلاف ذلك، فعدم بكآءِ السّماء و الأرض عليهم بعد إهلاكهم كناية عن هوان أمرهم على اللّه و عدم تأثير هلاكهم في شيء من أجزاءِ الكون، و عدم الإعتداد بوجودهم، فيه تهكّم بهم و بحالهم المنافية لحال من يعظم فقده، فيقال له: «بكت عليه السّماء و الأرض» فشبّه السّمآء و الأرض بمن يصحّ منه الإكترات ثمّ حذف المشبّه به و هو من يصحّ منه الإكترات، و استعار له شيئاً من لوازمه و هو البكآءِ و المعنى: أنّ فرعون مستكبر مصر و قومه البغاة لم يكونوا يعملون عملاً صالحاً ينقطع بهلاكه فتبكى الأرض لانقطاعه، و تبكى السّمآء لأنّه لم يصعد إليها شيء من ذلك العمل الصّالح بعد هلاكهم، فقد أهلكهم اللّه عزّ و جلّ و أخذهم بعذابه، فلم يأس عليهم أحد، و لم تبكهم عين، و لم يحزن من أجلهم قلب ... بل ذهبوا كما يذهب الوباء يتنفّس بعده النّاس أنفاس العافية و الرّجاء ...

فليس لهؤلآءِ الهلكى أوليآء في السّمآءِ و لا في الأرض ... فهم أعدآء اللّه و أعداء ملآئكته و أعدآء أنبيائه و رسله، و أعدآء الإنسانيّة كلّها ...

راحوا فما بكت الدّنيا لمصرعهم و لا تعطّلت الأعياد و الجمع

و قد جعله بعض أهل البيان مجازاً مرسلاً عن الإكترات بهلاك الهالك، و العلاقة

السّببيّة، ذكر المسبّب و أراد السّبب، فإنّ الاكتراث المذكور سبب يؤدّى إلى البقآءِ عادة، و قال أبوحيّان: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض» إستعارة لتحقير أمرهم، و أنّه لم يتغيّر عن هلاكهم شيء و يقال في التّعظيم: بكت عليه السّمآء و الأرض و بكته الرّيح و أظلمت له الشّمس و قال زيد بن مفزع:

الرّيح تبكي شجوها     و البرق يلمع في غمامه

و قال جرير:

فالشّمس طالعة ليست بكاسفة     تبكي عليك نجوم الليل و القمرا

و قد وردت روايات عديدة عن الفريقين سيأتي ذكرها تبدولنا أنّها بصدد بيان كون بكاء السّمآءِ و الأرض حقيقة، و كونهما تبكيان على المؤمنين حين موتهم فضلاً عن سيّد الشّهدآءِ و الصّدّيقين ...

و في **تلخيص البيان**: قال: «و هذه إستعارة، و قد قيل في معناها أقوال: أحدها – أنّ البكآء ههنا بمعنى الحزن، فكأنّه قال: فلم تحزن عليهم السّمآء و الأرض بعد هلاكهم و انقطاع آثارهم و إنّما عبّر سبحانه عن الحزن بالبكآءِ لأنّ البكآء يصدر عن الحزن في أكثر الأقوال.

و من عادة العرب أن يصفو الدّار إذا ظعن عنها سكّانها و فارقها قطّانها بأنّها باكية عليهم و متوجّعة (متوجهة خ) لهم على طريق المجاز و الاتّساع بمعنى ظهور علامات الخشوع و الوحشة عليها و انقطاع أسباب النّعمة و الأُنسة منها.

و وجه آخر و هو أن يكون المعنى: لو كانت السّموات و الأرض من الجنس الّذي يصّح منه البكآء لم تبكيا عليهم و لم تتوجّعا لهم إذ كان اللّه سبحانه عليهم ساخطاً و لهم ماقتاً. و وجه آخر: قيل: معنى ذلك ما بكى عليهم من السّموات و الأرض ما يبكى على المؤمن عند وفاته من مواضع صلواته و مصاعد أعماله على ما ورد به الخبر، و في ذلك و جهان آخران يخرج بهما الكلام عن طريق الاستعارة: فأحدهما – أن يكون المعنى فما بكى عليهم أهل السّمآء و الأرض و نظائر ذلك في القرآن كثيرة و الآخر أن يكون المعنى أنّه لم ينتصر أحدلهم و لم يطلب طالب بثأرهم و يعني في أشعار العرب: (بكينا فلاناً

بأطراف الرّماح و بمضارب الصّفاح) أى طلبنا دمه و أدركنا ثاره» إنتهى كلامه و رفع مقامه.

و **قوله تعالى:** «و ما كانوا منظرين» كناية عن سرعة جريان القضآءِ الإلهي و القهر الرّبوبي في حقّهم، و عدم مصادفته لمانع يمنعه أو يحتاج إلى علاج في رفعه حتّى يتأخّر به لنهاية عتوّهم و طغيانهم ...

الإنظار: التّأخير و الإمهال فلم يكن فرعون طاغي مصر، و لا قومه المستكبرون ممّن يُمهلون بالجزآءِ إلى يوم القيامة، بل كان عذابهم معجّلاً في الدّنيا، و هم في الآخرة عذاب عظيم ...

و هذا يعني أمرين: **أوّلها:** أنّ جرم هؤلآءِ المجرمين قد بلغ من الشّناعة حدّاً لابدّ و أن يعذّبوا في الدّنيا قبل الآخرة عبرة للآخرين و كان عذابهم في الدّنيا و في الآخرة جميعاً.

**ثانيهما:** أنّ هؤلآءِ المشركين العرب لن يعجّل لهم العذاب كما عجّل لقوم فرعون، بل إنّهم منظرون إلى يوم القيامة إكراماً لرسول اللّه«ﷺ» من ربّه في قومه، و إتماماً للحجّة عليهم، و إفساحاً لهم مجالاً لإصلاح ما فسد منهم ...

**٣٠-(و لقد نجّينا بني إسرائيل من العذاب المهين)**

مستأنف بيانيّ سيق لتسلية رسول اللّه«ﷺ» عمّا كان يكابده من المشركين العرب، و إثلاج صدره على سبيل التّعظيم و التّوكيد بالقسم الرّبّاني بأنّه جلّ و علا قادر على إنقاذه«ﷺ» و إنقاذ المؤمنين به من أذاهم كما نجى بني إسرائيل من ظلم فرعون و بغي قومه إذ كانوا يذبّحون أبناءهم و يستحيون نسآءهم و يسومونهم سوء العذاب، و قد كانت نجاتهم منهم بحسب الظّاهر أمراً بعيد الوقوع، فأكّده بالقسم على سبيل التّعظيم: «نا».

و في ذلك بيان لما كان للّه جلّ و علا من فضل و إحسان في نجاة بني إسرائيل الّذين آمنوا باللّه تعالى و أطاعوا رسوله موسى«ﷺ» و هم أجداد هؤلآءِ اليهود العنود

الّذين يقفون من دين اللّه تعالى و هو الإسلام موقف المتربّص به، و المتحفّز لانقضاض عليه ... فقد نجّى اللّه تعالى آبآءهم الأوّلين من العذاب المهين الّذي أخذهم به فرعون و ملائه ... فليذكر اليهود نعمة اللّه تعالى عليهم و ليكونوا أوليآء لأُوليآئه، و أعدآء على أعدائه و إلاّ فالويل لمن يحادّ اللّه و رسله و أوليائه ... «من فرعون» بدل من «العذاب المهين» إذ كان وجوده بنفسه عين العذاب المهين لشدّة شكيمته و فرط عتوّة، و لما كابدوه منه من عذاب و إهانة، من بغي و جناية، و من ظلم و خيانة ... و قد أبهم تعالى أمر فرعون طاغي مصر أوّلاً ثم بيّنه بقوله: «إنّه كان عالياً من المسرفين» ثانياً لإفصاح كنه أمره في الشّرّ و الفساد، و الكفر و الإلحاد ... و قد وصف المسرف بأنّه عال، و إن كان وصف عال قد يكون صفة مدح، ولكنّه هنا ليس بمدح لفرعون إذ قيّده بأنّه عال من المسرفين، و العالي في الإحسان صفة مدح، و في الإسائة صفة ذمّ، و إطلاق صفة عال تعظيم، و إذا أطلق فالمدح به أولى.

٣٢- (و لقد اخترناهم على علم على العالمين)

إكرام و تعظيم، و إجلال و تبجيل لبني إسرائيل، مقسماً بأنّه اختارهم إختيار الشّيء على غيره بالإرادة له لتفضيله عليه، و مثله الإيثار، و ليس في مجرّد الإرادة تفضيل شيء على غيره لأنّه قد يمكن أن يريد شيئاً من غير أن يخطر بباله ما هو فيه أولى منه في العقل، فلا يكون اختياره تفضيلا، و إمّا أن يريد الاولى، و لا يدرى أنّه أولى، فيختاره عليه لجهله بأنّه أولى أو يختاره و هو يعلم أنّه غير أولى، و يختاره لحاجته إليه من جهة تعجل النّفع به، و من اختار الأدون في الصّلاح على الأصلح كان منقوصاً مذموماً لأنّه بمنزلة من اختار القبيح على الحسن.

و **قوله تعالى:** «على العالمين» عام اريد به الخاص أى على عالمي زمانهم، لا أهل الأرض في كلّ ظرف. و ذلك أنّ اللّه تعالى أنعم على بني إسرائيل بالعديد من الآيات التّسع و المعجزات كفلق البحر و تظليل الغمام، و إنزال المنّ و السّلوى و ما إليها من النّعم الّتي لم ينعمها على غيرهم، و تدلّ عليه الآية التّالية: «و آتيناهم من الآيات ...».

و لا ريب أنّ التكريم و التّفضيل لبني إسرائيل على غيرهم قبل تحريف التّوراة و انحراف بني إسرائيل و خيانة اليهود، حيث إنّ خيريّتهم إنّما كانت على أهل زمانهم بسبب استجابتهم لدعوة موسى ﴿عليه السلام﴾ و إيمانهم باللّه تعالى وحده و التزامهم بشرائعه... و لا يتّسق مع روح التّلقين القرآنيّ، و لا مع حكمة اللّه جلّ و علا أن يدوم حكم الخيريّة لهم حينما انحرفوا عن عبادة اللّه إلى عبادة العجل و البعل، و انحرفوا عن شرائع اللّه، و اقترفوا الفواحش و الموبقات، و حرّفوا كلام اللّه عن مواضعه، و افتروا على اللّه الكذب و نسبوا إليه ما ليس منه في حياة موسى و بعده على ما سجلته عليهم أسفار عديدة من أسفار العهد القديم، و آيات كثيرة من القرآن الكريم.

و قوله عزّ و جلّ: «على علم» فيه إشارة إلى أنّ اللّه تعالى إنّما كان اختياره لبني إسرائيل و إختصاصهم بالآيات التّسع الّتي جآئتهم، و بتظاهر النّعم عليهم، انّما كان ذلك على علم منه تعالى بما سيكون من هؤلآء المناكيد من كفر بتلك الآيات، و تكذيب لرسل اللّه، و إعنات لهم كما قال عزّوجل فيهم: «أفكلّما جآءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم و فريقاً تقتلون» البقرة: ٨٧.

ففي قوله جلّ و علا: «على علم» ردّ على من لا يعرف قَدْر اللّه عزّوجلّ و لا يعنوا لجلاله و عظمته، و علمه و حكمته، و تدبيره و قدرته... فيسوء ظنّه باللّه حين يرى آثام بني اسرآئيل و شناعاتهم، و مفاسدهم في الأرض، ثمّ يرى كثرة الرّسل الّذين بعثهم اللّه فيهم و كثرة الآيات الّتي جآؤهم بها، ممّا لم يكن لامّة من الأمم، أو شعب من الشّعوب...

فكان قوله تعالى: «على علم» ردّاً على من يظنّ هذا الظّنّ في اللّه سبحانه، و يرى - عن جهل - أنّ اختيار اللّه تعالى لبني اسرائيل، و اختصاصهم بالرّسل و الشّرائع و الآيات و المعجزات... لم يكن واقعاً موقعه الصحيح، إذلم يثمر إلّا هذا الثّمر النكد الخبيث!! و كلّا... ثمّ كلّا... تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً، فقد كان اختيار هؤلآء القوم لرسالات السّماءِ إبتلاء لهم و إمتحاناً و تجربة للإنسانيّة، تعمل فيها السّماء أسلحتها في النّفس البشريّة، لتخرج منها ما كَمَنَ فيها من آفات و علل... و قد تخيّرت السّمآء لهذه

التجربة بني إسرائيل فبعثت إليهم الأطبّاء و الأساة يحملون الدّواء لكلّ دآء، فلم تتقبّل النّفوس الفاجرة أيّ دوآء و لم تستجب له، فعاشت بدائها و ماتت به!.

٣٣-(و آتيناهم من الآيات ما فيه بلآءٌ مبين)

بيان لما اختار هم اللّه تعالى به، إذجعل فيهم الأنبيآء الّذين جآؤهم بـالآيات البيّنات من عند اللّه تعالى ليكونوا موضع امتحان و ابتلاء... فقد تتابعت عليهم آيات اللّه و كثرت فيهم نعمه، و انّه على قدر الإحسان يكون الحساب، و قد خرج بنو إسرائيل من هذا الإمتحان بأخسر صفقة، إذ كشف ذلك منهم عن نفوس خبيثة، و قلوب مريضة، و طبائع شرسة... فكان أن أخذهم اللّه بالبأسآء و الضّرّآء، و أنزل بهم الضربات القاصمة، فكانوا عبرة و عظة لمن يكفر بنعم اللّه تعالى يستنبت من إحسانه و فضله أنياباً و مخالب ينهش بها عباد اللّه، فلقد لعنهم اللّه تعالى و جعل منهم القردة و الخنازير و عبدة الطّاغوت...

و في هذا قال جلّ و علا: «فبما نقضهم ميثاقهم لعنّا هم و جعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه و نسوا حظّاً مما ذكّروا به - و جعل منهم القردة و الخنازير و عبد الطّاغوت اولئك شرّ مكاناً و أضلّ سبيلاً - لُعِنَ الّذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود و عيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون» المائدة: ١٣ و ٦٠ و ٧٨).

و لا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر أنّ في الآيات السّبع عشر أعني قوله جلّ و علا: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون وجآءهم رسول كريم - إلى قوله - و آتينا هم من الآيات ما فيه بلآؤ مبين»: ١٧ - ٣٣) إشارة إلى ما كان من رسالة موسى بن عمران﴿عليه السلام﴾ إلى فرعون طاغي مصر و قومه الباغين، و إلى وخامة عاقبتهم... و قد جآئت هذه القصّة على أثر حكاية موقف المشركين العرب، و التنديد بهم و إنذارهم جرياً على الأسلوب القرآني، و احتوت ما احتوته بأسلوب الإشارة و الإجمال المتّسق مع ما ورد في القصّة مسهباً في المناسبات السّابقة، و هذا أيضاً من أساليب القصص القرآنيّة حسب ما اقتضته حكمة التنزيل، و استهدفت - كما يستلهم من أُسلوبها القويّ النّافذ و من مضمونها -

إنذار المشركين العرب، و تطمين النّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ و المؤمنين الصّادقين...

فقد أهلك اللّه عزّوجل فرعون مستكبر مصر، و ملائه المستبدّين، و قد كانوا أشدّ من هؤلآء المشركين العرب قوّة، و لم يمهلهم و لم تبك عليهم سماء و لا أرض، و لم يتأثّر بهلاكهم شئ من أجزاء الكون و نواميس الوجود، و قد سلبهم اللّه جلّ و علا منهم ما كان لهم من جنّات و عيون، و قصور و أنهار، و زروع و مقام كريم، و ما كانوا يتمتّعون به من حياة ناعمة مترفة.

و أورث ذلك لغيرهم، ونجّى بني اسرآئيل ممّا كانوا يقاسونه من عذاب فرعون الشّديد المسرف المستكبر الطّاغي، ثمّ جعلهم خير عالمي زمانهم عن علم بأحوالهم إختباراً و امتحاناً لهم...

و العبرة في تلك الآيات الكريمة هي تقرير كون اللّه تعالى قادراً على أن يفعل بمشركي مكّة ما فعله بفرعون مصر و قومه الّذين كانوا أقوى و أعظم منهم، و أن يلطف بالمؤمنين فيجعلهم ورثة لهم يرثون ما هم فيه من أسباب الغنى و الحياة النّاعمة و وسائلها، و يختارهم على العالمين بدورهم مثل ما كان من لطفه ببني اسرائيل.

و في تذييل القصّة بهذه الآيات الأربع من قوله عزّوجلّ: «و لقد نجّينا بني إسرائيل من العذاب المُهين – و آتينا هم من الآيات ما فيه بلاؤ مبين»: ٣٠ - ٣٣) نوع تطييب لنفس النّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ و إيمآء إلى أنّ اللّه جلّ و علا سينجّيه و الّذين اتّبعوه من فراعنة مشركي مكّة، و يختارهم و يمكّنهم في الأرض فينظر كيف يعملون، و تهديد شديد للمشركين العرب عامّة بالهلاك و الدّمارو الوبال...

## ٣٤– (إنّ هؤلآء ليقولون)

مستأنف بيانيّ سيق لرجوع الكلام إلى المشركين العرب و من انسلك مسالكهم في كلّ ظرف من الظّروف – بعد استطراد قصّة فرعون و ملائه، و حديث موسى ﴿ع﴾ و بني إسرائيل – و تقرير سوء مقالاتهم و فساد عقآئدهم في الأُصول الخمسة الإعتقاديّة:

١- التّوحيد، و قد كانوا هم فيه في شكّ يلعبون من قبل.

٢- النّبوّة، فتولّوا عنه و قالوا معلّم مجنون.

٣- البعث، فيقولون: «إن هى إلّا موتتنا الأُولى...»

٤- العدل العام الإلهى تكويناً و تشريعاً: «و ما خلقنا هم الّا بالحقّ و لكنّ أكثرهم لا يعلمون».

٥- الولاية لأهلها: «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون إلّا من رحم اللّه».

و واضح أنّ في الآيات التّسع: (٣٤ - ٤٢) عودة على بدء في حكاية أقوال المشركين العرب و عقآئدهم و مواقفهم، و التنديد بهم و إنذار هم كما أنّ فيها صورة من صور الجدل و اللجاج الّتي كانت تقع بين رسول اللّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و مشركي مكّة، فهى و الحالة هذه إستمرار للسّياق.

الإشارة هنا «هؤلآء» إلى مشركي مكّة و فراعنتهم الّذين كانوا يستمعون إلى قصّة فرعون طاغي مصر، و ملائه المستبدّين و قومه عبدة فرعون، و إلى حديث موسى﴿عليه السلام﴾ و بني إسرائيل، و إلى ما كان من استكبار فرعون و طغيانه، و ما أخذه اللّه تعالى به من عذاب ونكال... ثمّ إلى ما كان من إحسان اللّه تعالى إلى بني إسرائيل و فضله عليهم و نجاتهم من عذاب فرعون، ثمّ مكر هم بآيات اللّه جلّ و علا و تكذيبهم لرسله... فكان أن لعنهم اللّه و مزّق شملهم و فرّق جمعهم، و قطّعهم في الأرض فرقاً مختلفة حتّى بلغت أحداً و سبعين فرقة!

و هؤلآءِ المشركون العرب و من ينسلك مسالكهم بعد هم... ماذا هم يفعلون مع رسول اللّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و أهل بيته المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين؟ و ما يحمل إليهم من آيات ربّه؟ و هذا سئوال يسئله الّذين يستمعون - في كلّ ظرف من الظّروف - إلى هذا الحديث الّذي تحدث به القرآن الكريم عن فرعون طاغي مصر، و موسى رسول اللّه﴿عليه السلام﴾ و عن بني إسرائيل و معاملتهم مع هارون أخ موسى ﴿عليهما السلام﴾ و عن آيات اللّه تعالى إليهم... فكان الجواب: «إنّ هؤلآء ليقولون إن هي إلّا موتتنا الاولى و ما نحن

بمنشرين» هذا هو الدّآء المتمكّن من القوم المشركين العرب... و هو إنكار هم للبعث و الحساب و الجزآء و ذلك لاستبعادهم أن تعود الحياة مرّة أُخرى إلى الموتى، بعد أن يصيروا عظاماً و رفاتاً ... كأنّهم على يقين: أنّهم لن يبعثوا، فيقولون لمن يحدّثهم عن البعث:

**٣٥- (إن هى إلّا موتتنا الاولى و ما نحن بمنشرين)**

حكاية لما كان تتقوّل به فراعنة المشركين العرب في إنكار البعث و الحساب و الجزاء حيث كانوا يقولون: إنّنا سنموت موتة أبديّة لن نقوم بعدها.

و المراد بالموتة الاولى أنّهم لمّا وعدوا بعد الحياة الدّنيا حالتين أُخريين: الأُولى منهما الموت و الأُخرى حياة البعث أثبتوا الحالة الأُولى، و هي الموت و نفوا ما بعدها و سمّوها اولى مع أنّهم إعتقدوا أن لا شئ بعدها لأنّهم نزلوا جحدهم على الإثبات، فجعلوها أولى على ما ذكرت لهم، و هذا أولى من حمل الموتة الأولى على السّابقة على الحياة الدّنيا لوجهين:

**أحدهما** -أنّ الاقتصار عليها لا يعتقدونه لأنّهم يثبتون الموت الّذى يعقب حياة الدّنيا و حمل الحصر المباشر للموت في كلامهم على صفة تذكر لا على نفس الموت المشاهدلهم فيه عدول عن الظّاهر بلاحاجة.

**ثانيهما**-أنّ الموت السّابق على الحياة الدّنيا لا يعبّر عنه بالموتة، فإنّ الموتة فعلة فيها إشعار بالتّجدّد و الطّريان، و الموت السّابق على الحياة الدّنيا أمر مستصحب لم تتقدّمه حياة طرأ عليها مع أنّ في بقيّة السّورة قوله عزّوجل: «لا يذوقون فيها الموت إلّا الموتة الاولى» و إنّما عنى بالموتة الاولى هنا الموت المتعقّب للحياة الدّنيا فقط.

**إن تسئل**: إنّ الخلاف بين رسول اللّه(صلى الله عليه و آله) و منكري البعث إنّما كان في الحياة بعد الموت لا في الموت، فكيف قال اللّه عزّوجل: «إنّ هؤلآء ليقولون إن هي إلّا موتتنا الاولى» و لم يقل إلّا حياتنا، كما قال تعالى في موضع آخر: « إن هى إلّا حياتنا الدّنيا» الأنعام: ٢٩)؟

و ما معنى و صف الموتة بالاولى كأنّهم وعدوا موتة أُخرى حتّى نفوها و جحدوها و أثبتوا الموتة الاولى؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها - أنّهم لمّا وعدوا موتة تكون بعدها حياة نفوا ذلك، كأنّهم قالوا: لا تقع في الوجود موتة تكون بعدها حياة إلّا ما كنّا فيه من موتة العدم، و بعثنا منه إلى حياة الوجود و وجّه تقييد الموتة في الآية بالاولى بأنّه ليس بقيد إحترازيّ إذ لاملازمة بين الأوّل و الآخر أو بين الأوّل و الثّاني، فمن الجآئز أن يكون هناك شئ أوّل، و لا ثانى له، و لا في قباله آخر.

و منها - أنّهم نفوا بذلك الموتة الثّانية في القبر بعد إحيآئهم لسئوال منكر و نكير.

و منها - أنّهم لمّا قيل لهم: إنّكم تموتون موتة تتعقّبها حياة كما تقدّمتكم موتة قد تعقّبتها حياة و ذلك قوله تعالى: «و كنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ثمّ إليه ترجعون» البقرة: ۲۸) قالوا: «إن هى إلّا موتتنا الاولى و ما نحن بمنشرين» يريدون ما الموتة الّتى من شأنها أن تتعقّبها حياة الاّ الموتة الاولى دون الموتة الثّانية، و ما هذه الصّفة الّتي تصفون بها الموتة من تعقّب الحياة لها إلّا للموتة الاولى خاصّة، فلا فرق إذاً بين هذا و بين قوله: «إن هى إلّا حياتنا الدّنيا» في المعنى.

و منها - أنّهم لمّا سمعوا قوله تعالى: «قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين و أحييتنا اثنتين» غافر: ۱۱) على أنّ المراد بالإماتة الاولى هي الموتة بعد الحياة الدّنيا، و الإماتة الثّانية هي الّتي بعد الحياة البرزخيّة، قالوا: إن هى إلاّ موتتنا الاولى» نافين الموتة الثانية الملازمة للحياة البرزخيّة الّتي هي حياة بعد الموت، فإنّهم يرون موت الإنسان إنعداماً له و بطلاناً نذاته.

و منها - أن يكون تقييد «الموتة» بـ«الأُولى» راجعاً إلى الحكاية دون المحكيّ، و ذلك بأن يكون الّذي قالوا إنّما هو « إن هي إلّا موتتنا» و يكون معنى الكلام أنّ هؤلآء ينفون الحياة بعد الموت، و يقولون: إن هي إلّا موتتنا يريدون الموتة الاولى من الموتتين اللّتين ذكر نافي قولنا: «قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين...» آنفاً.

و منها- أنّهم قالوا «إن هى إلّا مو تتنا الاولى و ما نحن بمنشرين» و هم بهـذا يردّون على تصوّر خاطئ للبعث - في تصوّر هم هذا أنّ البعث يعقبه موت... لأنّه حياة بعد موت، و هذه الحياة - في تصوّر هم - سيعقبها موت... ثمّ حـياة... ثمّ مـوت... و هكذا... و لهذا جز موا بأنّه لا موت بعد أن يمو توا، بمعنى أنّه لا بعث، و لا موت بعد البعث... إن كان هناك بعث!!

و في التّعبير عن الحياة بعد الموت بالنّشر، تشبيه للموت بأنّه طيّ لحياة الإنسان، كما تطوى الصّحف على ما ضمّت عليه من كلمات... فإذا أُريد النّظر في هذه الكلمات مرّة أُخرى، نُشِرت هذه الصّحف بعد طيّها... فالموت ليس إلّا طيّاً لصفحة الحياة مع بـقآء الحياة كا منة في هذه الصّحف المطويّة، و نشر الصّحف بعد طيّها أمر هيّن لا يحتاج إلى عنآء و معالجة، كما أنّه لا يدعو إلى استبعاده و إنكاره!!

**٣٦- (فأتوا بآبآئنا إن كنتم صادقين)**

خطاب تحدٍّ من فراعنة المشركين العـرب لمـن وعـدهم بـالبعث و النّشـور، و بالحساب و الجزآء، و هم رسول اللّه(ﷺ) و المؤمنون معه، و احـتجاج مـن جـهلة هؤلآء المشركين لردّ الإحياء و الإعادة بعد الموت، و هذه مغالطة واضحة لأنّ البعث و الإعادة إنّما هى في الدّار الآخرة الّتي هى دار الجزاء لادار التكليف، و ليست الإعادة فى الحيوة الدنيا التى هى دار التكليف لادار الجزاء، و لا تكليف بعد الموت. فكأنّهم قالوا: إن كنتم صادقين في إعادة آبآئنا يوم القيامة للحساب و الجزآء، فأُعيدوهم إلى هذه الحياة الدّنيا للتّكليف و العمل لأنّ من قدر على النّشأة الثّانية قدر على إعادة الآبآء...

و هذا كقول قائل: إن كان ينشأ بعدنا قوم من الأبنآء فِلمَ لا يرجع إلينا من مضىٰ من الآبآء...؟

و هذا باطل لأنّ النّشأة الثّانية إنّما وجبت للـحساب و الجـزآء لا للـتّكليف و العمل، فلا تلزم إعادة الآبآء و لا تجب. فتركوا الحجّة و اتّخذوا الشّبهة، و هذه حـجّة داحضة، فلذلك لم يتعرّض القرآن الكريم لردّ ما تقوّلوه، بل عـدل عـن مـقابلتهم إلى

الوعيد و الوعظ بما هو أعود عليهم فقال لهم مهدّداً متوعّداً منذراً بأسه الّذي لا يردّ: «أهم خير أم قوم تبّع...».

و لعلّ هذه أوّل مرّة يأتي تحدّي المشركين العرب فيها بما حكى عنهم، إذ حكت آيات عديدة في السّور السّابقة إنكار هم للبعث و الحساب و الجزآء بعد موتهم هم و آباؤهم بعد أن يصبحوا رفاتاً و عظاماً و رمياً، و يمزقون كلّ ممزّق، فقد كان القرآن الكريم يردّ عليهم مبرهناً بقدرة اللّه عزّوجلّ على إحيائهم ثانية بما هو ما ثل أمام أعينهم من مشاهد قدرة اللّه تعالى و تدبيره و علمه و حكمته، و عظمته و ملكوته... و ينبّههم إلى أنّ الّذي خلقهم بدءاً قادر على خلقهم إعادة، و يضرب لهم الأمثال بالأرض الميتة الخامدة الّتي يحييها بالمطر، فجآؤاالآن يتحدّون رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله و سلم﴾ بطلب البرهنة على ذلك باحيآء آبآئهم في الدّنيا حتّى يروهم ويكلّموهم!

و في **المجمع**: و قيل: إنّ قائل هذا أبوجهل بن هشام قال: إن كنت صادقاً فابعث جدّك قَصَيّ بن كلاب، فإنّه كان رجلاً صادقاً لنسئله عمّا يكون بعد الموت؟

و هذا القول جهل من أبي جهل من وجهين: **أحدهما** – أنّ الإعادة إنّما هي للجزاء لا للتّكليف، و ليست هذه الدّار بدار جزآءٍ، و لكنّها دار تكليف، فكأنّه قال: إن كنت صادقاً في إعادتهم للجزآء فأعدهم للتّكليف. و **ثانيهما** – أنّ الإحياء في دار الدّنيا إنّما يكون للمصلحة، فلا يقف ذلك على اقتراحهم لأنّه ربما تعلّق بذلك مفسدة.

و قد اقتضت حكمة التنزيل بالرّدّ عليهم بما كان من إهلاك الكفرة و المجرمين و من دمار الفجرة و المستكبرين... أمثالهم من قوم تبّع و مَن قبلهم ممّن يعرفون قصصهم، و هم أقوى منهم، و أنّ الّذي أنزل في المجرمين السّامين التّدمير و العذاب قادر عليهم، و بأنّ اللّه جلّ و علا لا يعقل أن يكون قد خلق السّموات و الأرض عبثاً و لعباً، و لابدّ من أن يكون لذلك حكمة منها بعث النّاس و محاسبتهم على أعمالهم، و توفيتهم الجزآء عليها.

**إن تسئل**: لِمَ لم يجابوا عن شبهتهم في الآية الكريمة، و لم يبيّن لهم أنّ ذلك لا يلزم و ماالوجه في جوابهم؟ «أهم خير أم قوم تبّع»

**تجيب عنه**: أنّ هذا من قبيل من تجاهل في الحجاج الّذي يجرى مجرى الشّغب

الّذي لا يعتقد بمثله مذهب لنفي الشّبهة فيه، فإنّه ينبغي أن يعدل عن مقابلته إلى الوعظ له بما هو أعود عليه، فلذلك عدل تعالى معهم إلى هذا الوعيد الشّديد و قال: «أهم خير أم قوم تبّع...» أهلكناهم لما جحدوا بآيات اللّه و كفروا بنعم اللّه، و ارتكبوا معاصيه، فما الّذي يؤمّن هؤلآء من مثل ذلك؟

إن تسئل: ما معنى هذا القول: «أهم خير أم قوم تبّع» مع أنّه لا خير في الفريقين؟

تجيب عنه: أنّ المعنى: أهم خير في القوّة و الشّوكة و البشطة... كقوله تعالى: «أفكفاركم خير من أُولئكم» القمر: ٤٣) بعد ذكر آل فرعون. فالمراد نفي الخيريّة تماماً عن كلتا الطآئفتين...

و قد جآء الرّدّ الرّبّانيّ بهذا الأسلوب ليتّسق مع مشيئة اللّه تعالى بعدم إجابتهم إلى التّحدّي الّذي كان الكفّار يتحدّون به رسول اللّه﴿ﷺ﴾ بالإتيان بالمعجزات للبرهنة على صحّة رسالته وصلتها وصلة القرآن الكريم باللّه جلّ و علا، لأنّ طلبهم الإتيان بآبآئهم هو معجزة يطلبونها بأسلوب التّحدّي، فلم تقتض مشيئة اللّه تعالى إجابتهم طلبها مع دخولها في نطاق قدرته كما كان الشّأن في مواقف تحدّيهم المتكرّرة.

و قد زعموا أنّ لهم على إنكارهم للبعث شهوداً من الواقع، حيث إنّ آبآئهم الّذين أودعوهم القبور لم يَعُد أحد منهم، فإن كان الّذين يقولون بالبعث على يقين من هذا القول، فليأتوا على هذا ببرهان، و ذلك بأن يأتوهم بآبآئهم الّذين ماتوا من قبل... فإذا لم يرجع هؤلآء الّذين ماتوا، فكيف يرجعون هم إذا ماتوا؟ ذلك منطقهم الّذي جعل البعث عندهم أبعد من أن يتصوّر...

إنّهم كانوا يؤمنون بأنّ لهذا الوجود ربّاً قآئماً عليه، هو الّذي خلقه، و هو الّذي يدبّر أمره و إن كان هذا الإيمان قد اختلط بشوآئب كثيرة أو قليلة من الأهوآء الفاسدة...

«بل هم في شكّ يلعبون» الدّخان: ٩).

و لكنّ الشّئ الّذي لا يتصوّرونه، و لا يصدقون به هو البعث و الحساب و الجزاء في الدّار الآخرة و هو الدّآء الّذي أفسد عليهم إيمانهم باللّه جلّ و علا، و أقامهم في هذه الدّنيا مقاماً قلقاً مضطرباً، يتهدّدهم فيه الفنآء الأبدي المطلّ عليهم من كلّ وجه...

و هذا قسّ بن ساعدة الإيادى من حكمآء العرب و خطبآئهم المعدودين... و قد نسب إليه أنّه كثيراً ما كان يخطب في الناس فيقول: «إنّ في السّمآء لَعِبَراً، و إنّ في الأرض لخَبَراً... سمآء ذات أبراج، و الأرض ذات فجاج... العبرة تدلّ على العبير، و الأثر يدل على المسير...».

و من هذه العبارات و أمثالها يُقيم قسّ الأدلّة و البراهين على وجود إله قآئم على هذه الكون... فإذا جآء إلى الموت لم يرفيه إلّا حكماً واقعاً على الأحياء، و أنّه سَفَرٌ بلا عودة و ذهاب من دون إياب، و ينسب إليه أنّه كان يقول:

في الذّاهبين الأولـ ـين من القرون لنا بصآئر
لمّا رأيتُ مـوارداً للـ ـموت ليس لها مـصادر
و رأيت قـومي نحـوها يمضى الأكابر و الأصاغر
أيـقنت أنّي لا محـا لة حيث صار القوم صائر
لا يـرجـع الماضون لا و لا يبقى من الباقين ناظر

فهو - كما ينطق هذا الشّعر - لا يرى عودةً للموتىٰ، و إن كان يرى أن لا بقاء لحيّ في هذه الحياة!

٣٧ - (أهم خير أم قوم تبّع و الّذين من قبلهم أهلكناهم إنّهم كانوا مجرمين)

الهمزة للإنكار و «أم» بمعنى «بل» للإضراب و التّقرير، انّ الكلام ردّ على هؤلآء المشركين العرب و فراعنتهم بصيغة التّساؤل الإنكاري عمّا إذا كانوا هم خيراً و أقوى من قوم تبّع و من قبلهم من الأمم الّتي أهلكها اللّه تعالى لأنّهم وقفوا موقف الكفر والعناد، موقف الكبر و الإنكار و موقف الشّرك و الإلحاد... و تهديد لهؤلآء المشركين بالإهلاك كما أهلك قوم تبّع و من إليهم و بدّد شملهم و فرّق جمعهم، فلم يغن عنهم ما كانوا فيه من عزّة و قوّة و ومَنَعة... و قد خصّ قوم تبّع بالذّكر لقربهم من العرب زماناً و مكاناً و خبراً...

و قوله تعالى: «أهلكنا هم» مستأنف سيق لبيان عاقبة أمرهم.

و قوله عزّ و جلّ: «إنّهم كانوا مجرمين» تعليل لإهلاكهم ليعلم المشركون العرب أنّ هؤلآء القوم مع غاية القوّة و الشّدّة هلكوا بسبب إجرامهم، فالمشركون ليسوا بأولى منهم.

و في الكلام نوع تلويح إلى سلامة تبّع نفسه من الإهلاك كسآئر الرّسل عليهم السّلام لقوله تعالى: «كذّبت قبلهم قوم نوح و أصحاب الرّسّ و ثمود و عاد و فرعون و إخوان لوط و أصحاب الأيكة و قوم تبّع كلّ كذّب الرّسل فحقّ وعيد» ق: ١٢- ١٤).

٣٨ - (و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما لا عبين)

مستأنف بيانيّ سيق للتّدليل على صحة البعث و وقوعه، و لك أن تعطفه على ما قبله ليتناسق الكلام و يلتئم طرفاه، أمّا الأوّل فتقريره أنّه لولم يكن و راء هذا العالم الفاني عالم ثابت باق، بل كان اللّه سبحانه لا يزال يوجد أشيآء ثمّ يعدمها، ثمّ يوجد أشيآء أُخر ثمّ يعدمها، و يحيى هذا ثمّ يميته و يحيى آخر و هكذا من دون حساب و لا جزاء كان لاعباً في فعله، عابثاً به، و اللعب عليه سبحانه محال، ففعله حقّ له غرض صحيح، فهناك عالم آخر باق ينتقل إليه الأشياء، و أنّ هذه الدّنيا الفانية و ما فيها مقدّمة للإنتقال إلى ذلك العالم و هو الحياة الآخرة.

و أمّا تقرير الثّاني فلمّا جآء في الآيات السّابقة إنكار المشركين العرب للبعث من دون دليل على ذلك إلّا السفسطة و المغالطة الواضحة، و تهديد هم بالهلاك في الحياة الدّنيا كما أهلك المكذّبين قبلهم، جآءت هذه الآية الكريمة و تاليها تعقيباً على ما هُدِّدَ له به المنكرون من عذاب و بلآء... و ذلك أنّ اللّه جلّ و علا أقام هذا الوجود على الحقّ كما خلقه بالحقّ الّذي ينتظم كلّ ذرّة في هذا الوجود... و لهذا فقد اقتضت الحكمة الإلهيّة أن يجعل سلطان الحقّ قائماً على هذا الوجود، و أن يقطع دابر الباطل إذا هو طاف بحمى الحقّ، و إعترض سبيله... و هذا ما يشير إليه القرآن الكريم بمواضع عديدة منه، فيقول اللّه تعالى: «بل نقذف بالحقّ على الباطل فيد مغه فإذا هو زاهق» الأنبياء: ١٨) و يقول: «و يريد اللّه أن يحقّ الحقّ بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليحقّ الحقّ و يبطل الباطل و لو

كره المجرمون» الأنفال: ۷- ۸).

و إذن فهذه الضّربات الّتي تنزل بأهل الباطل في هذه الدّنيا هى وقاية للحقّ من أن يغتاله الباطل... فإذا كانت الآخرة، كان القضآء المبرم على الباطل و أهله جميعاً... و في هذا اليوم ينطق الوجود كلّه بحمد اللّه، أن قضى على الباطل و الشّرّوا الضّلال، و كلّ ما من شأنه أن يخرج على طريق الحقّ و الهدى، و الخير و الرّشاد... «و قضى بينهم بالحقّ و قيل الحمد للّه رب العالمين» الزّمر: ۷٥).

## ۳۹ - (ما خلقنا هما إلاّ بالحقّ و لكنّ أكثرهم لا يعلمون)

الجملة الاولى مفسّرة لما قبلها، و الإستثناء مفرّغ من أعمّ الأحوال أو أعمّ الأسباب، أى ما خلقناهما متلبّساً بشئ من الأشيآء إلّا متلبّساً بالحقّ، أو ما خلقناهما بسبب من الأسباب إلّا بسبب الحقّ الّذي هو الايمان و الطّاعة و البعث و الحساب و الجزآء، فما خلقناهما إلّا بالجدّ لا باللّعب حيث إنّ من اللّعب أن خلقكم في الأرض غافلين، ثمّ أعدم أرواحكم هالكين، كمن يوقد المصباح نهاراً و يطفئه ليلاً، و يفتل الحبل و ينقضه، و كالصّبيّ الّذي يبنى البنآء بالطّين، و في الحال يهدمه لا لسبب إلّا لعباً، أو كالبلهآء يفعلون من دون إرادة، و كالمجانين يتكلّمون من غير تعقّل...

و من البداهة أنّ الحوادث كلّها مستندة إلى القدرة الأزليّة، و لكن بعضها مرتّب على بعض في الحدوث ترتّب المشروط على الشّرط، فلا تصدر من القدرة الأزليّة، و القضآء الإلهى إرادة حادثة إلّا بعد علم، و لا علم إلّا بعد حياة، و لا حياة إلّا بعد محلّها، و كما لا يجوز أن يقال: حصل الحياة من الجسم الّذي هو شرطها، فكذلك في سائر مراتب درجات التّرتيب، و لكنّ بعض الشّروط ممّا يظهر للعوام، و بعضها ممّا لا يظهر إلّا للخواصّ العارفين بنور الحقّ، فكلّ ما في عالم الإمكان حادث على ترتيب الواجب، و حقّ لازم لا يتصوّر أن يكون إلّا كما يكون، و على الوجه الّذي يكون، فلا يسبق سابق إلّا بحقّ، و لا يلحق لا حق إلّا بحقّ، و اليه قد أشار جلّ و علا بقوله: «و ما خلقناهما إلّا بالحقّ».

فما تأخّر متأخّر إلّا لانتظار شرطه، فإنّ وقوع المشروط قبل تحقّق الشّرط ممتنع، و المحال لا يوصف بكونه مقدوراً، فلا يتخلّف العلم عن النّطفة إلّا لفقد شرطه و هو الحياة، و لا الإرادة عن العلم إلّا لفقد شرطها و هو القدرة، و لا الفعل عن القدرة إلّا لفقد شرطه و هو الإرادة، و كلّ ذلك على المنهاج الواجب، و التّرتيب الواجب ليس شيء منها ببخت و لا باتّفاق، بل بحكمة و تدبير، و بعلم و قدرة.

و قوله تعالى: «و لكنّ أكثرهم لا يعلمون» تقريع لهؤلآء المشركين العرب بالجهل و الحماقة، و تنبيه إلى أنّ أصحاب العقل و العلم في كلّ ظرفٍ قليل جدّاً لقلّة أهل الايمان و صالح العمل «و قليل من عبادي الشّكور» سبأ: ١٣) «قليلاً ما تؤمنون» الحاقّة: ٤١) «أكثر النّاس لا يعلمون - أكثر النّاس لا يشكرون - و ما أكثر النّاس ولو حرصت بمؤمنين» يوسف: ٢١ و ٣٨ و ١٠٣).

فلا يفهم أكثر السّامعين أنّ خلق الكون و نواميس الوجود على الحقّ و الحكمة، و على العلم و التّدبير لعدولهم عن النّظر فيه و الإستدلال على صحّته، و لا يعلمون أنّ لهذا المطاف نهاية، و لا يعلمون أنّ السّموات و الأرض و ما فيها من نظام و إحكام يشهدان شهادة صدق و عدل بقدرة الخالق و عظمته، بعلمه و حكمته، و بتدبيره و سلطانه...

و لو أنّهم فكروا بعقولهم لأدركوا و لعرفوا أنّ مَن يخلق الجسم الإنساني، و قد حافظ على حياته و بقآئه أمداً طويلاً في الدّنيا بما دبّر في صنعه من عين تبصر النّافع و الضّارّ، و أنف يشمّ ما يصلح للغذاء و مالا يصلح، و ذوق يميز الخبيث من الطّيّب، و أُذُن تسمع صوت العدوّ المهاجم، و الصّديق الملآئم، و عقل يحكم في سآئر القضايا، و يد تدفع المهاجم، و تجلب النّافع، و رِجْل يكون بها الطّلب و الحرب، و أحشآء تهضم الطّعام و تدفع ما فضل، و ما إليها من الأعضاء و أسرارها و حكمها... إنّ مَن هذا فعله، و هذه رحمته، لا يذر هذه الأرواح تخطو إلى العدم بعد هذه النّعم، فلو علموا ما نظمناه لأيقنوا بما تكون عقباه و لذلك أعقبه بقوله:

٤٠ - (إنّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين)

إنّ الآية الكريمة و ما يليها متّصلة بسابقاتها إتّصال تعقيب و تدعيم، و اتّصال توكيد لما سلف و بيان لصفة اليوم الّذي يثبته البرهان السّابق و هو يوم القيامة الّذي يقوم فيه النّاس لربّ العالمين، فيوم الفصل و القضاة الأُخروى هو موعدهم جميعاً من الأوّلين و الآخرين، و في الآيات غاية تحذير و وعيد و نهاية تهديد و تخويف، و ردّ آخر على الّذين تحدّوا النّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ بالإتيان بآبآئهم وإنذارهم و حملهم على الإرعوآء و التّطمين للمؤمنين.

و إنّ الآيات فى – فنّ البديع – من باب حسن البيان في مقام الوعيد و التهديد...

**الميقات:** إسم زمان، و المراد به وقت الموعد الّذي يكون فيه الحشر و الحساب و الجزاء و هو يوم القيامة، و قد سمّى يوم القيامة بيوم الفصل إذ يفصل يومئذ بين المؤمن و الكافر، بين الموحّد و المشرك، بين المخلص و المنافق، بين المحسن و المسيئ، بين المصلح و المفسد، بين الطّيّب و الخبيث، بين المتّقي و المجرم، و بين أهل الجنّة و أهل النّار...ففي هذا اليوم يصفّي حساب النّاس كلّهم، فيجمع أهل الباطل على مختلف صورهم و سرآئرهم، و يُلق بهم فى جهنّم ليكون حطباً لها، و بهذا يتخلّص الحقّ من كلّ ما علق به من شوائب ... و في هذا اليوم يتعرّى أهل الضّلال من كلّ سلطان يدفع عنهم هذا المصير الّذي هم صائرون إليه... إنّه لا ناصر لهم من دون اللّه جلّ و علا يخلصهم من هذا العذاب الأليم...

**٤١ – (يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً ولا هم ينصرون)**

بيان ليوم الفصل و أهواله، و أحوال أهله، يوم لن ينفع فيه وليّ وليّاً و حليف حليفاً، و قد أيأس جلّ و علا النّاس من ذلك لما علم أنّ فيه صلاح عباده و لو لا ذلك لجاز أن يغرى، و هذا لا ينافي شفاعة رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ و أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين في إسقاط كثير من عقاب بعض المؤمنين الّذين أسآؤا بجهالة،لأنّ الشّفاعة لا تحصل إلّا بإذن اللّه تعالى و رضاه. و المعنى: ليس لأحد يوم القيامة أن يدفع عن غيره أهواله، و لا ينصره من عذابه بغير إذن اللّه تعالى و رضاه.

و المولى: هو الوليّ و النّاصر و القريب و الصّدّيق و الصّاحب و السّيّد و العبد و

المنعم و الجار و الحليف و المحبّ و التّابع، و المُعتِق و المُعتَق، و النّزيل و الشّريك و المالك و ابن العمّ و المعين، و من يتولّى الأمر، و من يتولّى أمره...

و المراد أنّ أحداً منهم بأىّ معنى فرض لا يتوقّع منه النّصرة و لا ينفع أىّ مولى كان شيئاً من الإغناء. و الضمير في «و لا هم ينصرون» للمولى الأوّل بإعتبار المعنى لأنّه عامّ يشمل لكلّ مولىً... و أنّ الآية الكريمة تنفي أوّلاً إغناء مولى عن مولاه يومئذ، و تخبر ثانياً أنّهم لا ينصرون، و الفرق بين المعنيين أنّ الإغناء يكون فيما استقلّ المغني في عمله، و لا يكون لمن يغني عنه صنع في ذلك، و النّصرة إنّما تكون فيما كان للمنصور بعض أسباب الظّفر النّاقصة، و يتمّ ذلك بنصرة النّاصر، و الوجه فى إنتفاء الإقناع و النّصر يؤمئذٍ أنّ الأسباب المؤثرة في نشأة الحياة الدّنيا تنقطع لقوله عزّ و جلّ: « و تقطّعت بهم الأسباب» البقرة: ١٦٦) و قوله تعالى: «فزيّلنا بينهم» يونس: ٢٨).

٤٢ - (إلّا من رحم اللّه إنّه هو العزيز الرّحيم)

إستثناء من الضّمير في قوله تعالى: «و لا هم ينصرون» أى لا ناصر لأحد من النّاس في هذا اليوم إلّا من كان مستحقّاً لرحمة اللّه تعالى الخاصّة، و في الإستثنآء تطمين للمؤمنين الّذين تداركهم رحمة اللّه جلّ و علا، فيشفع الشّفعاء للذين أساؤا منهم عن جهالة، و إنذار للكافرين عامّة، و حملهم على الإرعوآء، فليس لهم حميم و لا شفيع يومئذ، فيشفع المؤمنون بعضهم لبعض، و يشفع العلماء العاملون لمن تعلّم منهم، و يشفع الشّهدآء لمن رضى اللّه تعالى له الشّفاعة، و يشفع أهل بيت الوحي المعصومون عليهم صلوات اللّه لشيعتهم، و يشفع رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ لأمّته المؤمنين الصّادقين إمّا باسقاط عقابهم إبتداءً أو بإعلاء درجتهم عند اللّه جلّ و علا.

و المعنى: إلّا من رحمه اللّه تعالى بالعفو عنه و قبول الشّفاعة في حقّه من الشّفعآء، فإنّه جلّ و علا هو العزيز الغالب الّذي لا ينصر من أراد تعذيبه، الرّحيم لمن أراد أن يرحمه، و يقبل الشّفاعة في حقّه، فهو تعالى هو القوىّ الغالب وحده، النّاصر وحده، الرّحيم وحده في أيّ ظرف يستدعي القوّة و النّصر و الرّحمة.

فقوله تعالى: «إنّه هو العزيز» تهديد لمن لا يستحق الشّفاعة بأنّ اللّه تعالى ينتقم منه و يعذبه لا محالة، و «الرّحيم» وعد للمؤمنين بقبول الشّفاعة في حقّهم، فقرن تعالى الوعد بالوعيد كقوله تعالى: «يدخل من يشآء في رحمته و الظّالمين أعدّلهم عذاباً أليماً» الانسان: ٣١).

فهاتان الصّفتان من صفات اللّه جلّ و علا الّتي يتجلّى بها اللّه تعالى على أهل المحشر يوم القيامة، فبعزّته لايملك أمر هذا اليوم، و يقضي فيه بما شآء في المستكبرين الظّلمة، و المجرمين الفجرة، و المفسدين الفسقة، و في المستبدّين الكفرة... فلا يكون لهم مع سلطان اللّه جلّ و علا سلطان، و لا مع عزّته عزّة... و برحمته الخاصّة يدخل من يشآء من عباده، و يضفي عليهم ما يشآء من فضله و إحسانه.

## ٤٣ - (إنّ شجرة الزّقّوم)

إنّ الآية و الآيات السّبع من تاليها مستأنفة بيانيّة سيقت لتقرير أحوال أهل النّار من المشركين الفجرة، من المجرمين الكفرة، من المستكبرين الظّلمة، و من المفسدين الفسقة... و بيان مصيرهم... فتحدّث صوراً عن العذاب الّذي أُعِدّ لهؤلآءِ الطّاغين يوم القيامة و قد جآءت تلك الصّور من العذاب مفردة حيث تحصر في إطارها إنساناً ظالماً طاغياً باغياً من هؤلآء الظّلمة المتكبّرين... فيبدوا في هذه الصّورة و كأنّ العذاب الجهنّمي قد احتواه وحده، و في شخصه هذا يرى كلّ ظالم أثيم أنّه هذا الانسان الشّقيّ المنكود، يتقلّب وحده في هذا العذاب الّذي تقشعرّ من هو له الجبال!

و شجره الزّقّوم كما وصفها القرآن المجيد هى شجرة «تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنّه رؤس الشّياطين» الصّافات: ٤ و ٦٥) شجرة تغتذي من جهنّم، و تمتدّ أُصولها و فروعها بين جمرها و لهيبها هي شجرة أقوى من جهنّم، و أعتى من النّار... فكيف بثمرها هذا الّذي تختصر وجودها كلّه فيه؟

إن تسئل: إنّ النّار تحرق الشّجرة فكيف تنبتها؟

تجيب عنه: أوّلاً إنّ اللّه جلّ و علا قادر على أن يمنع من النّار إحراقها مثل

إبراهيم ﴿ﷺ﴾ و ثانياً: أنّ إضافة الشّجرة إلى «الزّقّوم» تنبيه على أنّها ليست كشجرة الدّنيا، و إنّما هى شجرة خاصّة نارية. ثالثاً: فلا عجب عن نبات شجرة في قاع الجحيم و بقآئها فيها و حياة الإنسان و بقآئها خالداً فيها أعجب، و اللّه تعالى يفعل ما يشآء و يحكم ما يريد.

## ٤٤ - (طعام الأثيم)

في إضافة «طعام» إلى «الأثيم» كإضافة «شجرة» إلى «الزّقّوم» ما لا يخفى على أهل الأدب و البيان فتدبّر جيّداً و لا تغفل، كما لا يخفى عليهم من تعليق الحكم على الوصف...

إنّ هذا الـثّمر من شجرة الزّقوم الكريهة الطّعم الّذي يشبه طعم عكريت الزّيت - كما قيل - طعام الأثيم الفاجر الكثير الذّنوب، الجرئ في ارتكاب الإثم من دون مبالات في ارتكابه من أيّ نوع منه: الشّرك و الطّغيان، الكفر و العدوان، و البغي و العصيان...

## ٤٥ - (كالمهل يغلي في البطون)

وصف طعام الآثمين - في شدّة الحرارة - أنّه كالمهل و هو الشّئ الّذي يذاب في النّار حتّى يشتدّ حرّة كالصّفر و النّحاس، و الرّصاص و الفضّة و ما إليها ممّا يماع في النّار و هو مهل لأنّه يمهل في النّار حتّى يذوب، أو أنّه كخثّارة الزّيت و رديئه بعد غليانه... ثمّ وصف المهل بقوله: «يغلي في البطون» بأنّ هذا الطّعام يغلي في بطون الآثمين دائماً من دون توقّف و لا مهلة، بدل الهضم فيها.

## ٤٦ - (كغلى الحميم)

نعت لمصدر محذوف أى تغلى غلياناً مثل غليان الحميم، فشبّه غليان هذا الطّعام من شجرة الزّقّوم في بطون الآثمين بالمآء الحارّ فوق النّار إذا اشتدّ غليانه و بلغ المنتهىٰ.

٤٧ - (خذوه فاعتلوه إلى سوآءِ الجحيم)

خطاب من اللّه العزيز القهّار للموكّلين على النّار و زبانيتها بأن يأخذوا كلّ من تلبّس بالإثم و مات عليه، و يجرّوه بقهر، و يضغطوه من كلّ جانب، و يسوقوه حتّى يدفعوه دفعاً عنيفاً و قسوة و غلظة إلى وسط الجحيم لتحيط به النّار، فكأنّه يؤخذ بتلبيبه بقسوة و عنف، فيجرّ إلى وسط جهنّم، و التّركيب يدل على نهاية الشّدّة و غاية الغلظة.

و في ذلك تنكيل بهذا الأثيم، و مضاعفة لما يلقى من ذلّة و هوان في هذا اليوم، حيث يساق إلى جهنّم بين زبانيتها سوقاً عنيفاً، ثمّ يُعتَل عَتْلاً، ثمّ لا يلقى به حيث يقع، بل يدفع به دفعاً عنيفاً حتّى يبلغ وسط الجحيم، و مركز دآئرتها، و بهذا يتلقّى من العذاب أقساه و أشدّه...

العتلّ: هو أن يأخذ بتلابيب الرّجل فيجرّ إلى حبس أو قتل أو محنة أو بليّة أو إهانة، و منه العتلّ و هو الجافي الغليظ.

٤٨ - (ثمّ صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم)

أمر آخر من اللّه تعالى لزبانية جهنّم بأن يصبّوا فوق رأس كلّ من تلبّس بالإثم و مات عليه من عذاب الحميم، و هو الماء السّاخن الشّديد الحرارة. و في كلمة «ثمّ» للتّراخي دلالة على تشديد العذاب على الآثمين بأنّهم لمّا عذّبوا بطعام الزّقوم في بطونهم، بمدّة طويلة، أُضيف عليهم العذاب، بعذاب الحميم في ظاهرهم... عذاب إلى هذا العذاب الّذي يأكل هذا الأثيم أكلاً، ثمّ يلفظه، ثمّ يأكله... و هكذا... و ما يصبّ فوق رأسه ليس مآء، و إنّما هو عذاب، و لكنّه من ذوب جهنّم، و نضيج عرقها. و الحميم: المآء الحارّ الّذي يغلي... و منه الحمّى، لاشتداد حرارة المريض بها...

**و قوله تعالى:** «من عذاب الحميم» دون أن يقول: «من الحميم» تهويل و سلوك لطريق الإستعارة لأنّه إذا صبّ عليه الحميم، فقد صبّ عليه عذابه و شدّته. إستعارة مكنيّة تخييليّة، إذ شبّه العذاب بالمائع، ثمّ خيّل له بالصّبّ.

**إن تسئل:** كيف قال اللّه تعالى: «ثمّ صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم» و

العذاب لايصبّ، و إنّما يصبّ الحميم كما قال في موضع آخر: «يصبّ من فوق رؤسهم الحميم» الحج: ١٩)؟

**تجيب عنه:** أوّلاً: أنّه إذا صبّ عليه الحميم، فقد صبّ عليه عذابه و شدّته إلاّ أنّ صبّ العذاب طريقه الإستعارة ليكون الوعد أهول و أهيب، و نظيره قوله تعالى: «فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب» الفجر: ١٣).

و قالت بضعة رسول اللّه(ﷺ) فاطمة الزّهرآء عليها أفضل صلوات اللّه لمّا رأت بعد وفاة أبيها ظلماً من الظّلمة الفجرة بإسم الخلافة:

صُبّت عَلَيَّ مصآئب لو أنّها صُبّت على الأيّام صِرن لَيالِيا

و ثانياً: أنّه يحتمل أنّه شبّه إنزال الحميم على الأثيم بالصّبّ على سبيل الإستعارة التّبعيّة. و في التّعبير عن إنزال العذاب بالصّبّ إيذان بكثرته و استمراره و تتابعه، فإنّه عبارة عن إراقة الشّيء المائع أو جار مجراه في السّيلان كالرّمل و الحبوب، و إفراغه بشدّة و كثرة و استمرار، فصبّ عذاب الحميم كناية عن التعذيب المتتابع المتواتر الشّديد...

## ٤٩- (ذق إنّك أنت العزيز الكريم)

خطاب من اللّه تعالى لخزنة النّار أن يأمروا الأثيم بذوق العذاب -إذ سقط هو أن يخاطب اللّه جلّ و علاله - تقريعاً و تهكّماً، و هذا الخطاب يقاسي العذاب بعد العذاب، و توصيفه بالعزّة و الكرامة على ما هو عليه من الذّلّة و اللّآمة إستهزاءً به تشديداً لعذابه، و قد كان يرى في الدّنيا لنفسه عزّة و كرامة لاتفارقانه كما يظهر ممّا حكى اللّه تعالى من قوله: «و ما أظنّ السّاعة قآئمة و لئن رجعت إلى ربّي إنّ لي عنده للحسنى» فصّلت: ٥٠).

فالخزنه تقول للأثيم - حين العذاب - على سبيل التّهجين: هذا مقامك أيّها العزيز الكريم، و يا من كنت تزعم لنفسك العزّة و الكرامة، فذق ثمرة كفرك و طغيانك عاقبة غرورك و عصيانك، و نتيجة ظلمك و عنادك...!

و لايخفى على أهل الأدب و البيان أنّ التّهكّم عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع النّذارة، و الوعد في مكان الوعيد تهاوناً من القائل بالمقول له، و استهزاءً به كقوله

جلّ و علا: «بشّر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً» النسآء: ۱۳۸) و هو أغيظ للمستهزء به، و أشدّ إيلاماً له.

فالأمر بالذوق ممّا يساق إلى كلّ من تلبّس بالإثم على أنواعه و مات عليه، من ألوان العذاب... فهو إذ يشوى بنار جنّهم، يصبّ فوق رأسه ما ينضح عليه من لهيبها من عرق ليتبرّد به، ثمّ يلقىٰ في أذنه بهذه التّحايا الّتي كان يتلقّاها في دنياه من ندمآئه و أتباعه... و إنّها لتحايا تملأ قلبه حسرة و كمداً... «ذق»! و أيّ شيء يذوق؟ مُهْلاً يغلي في بطنه، و حميماً يصبّ فوق رأسه، و ناراً تقطّع له منها أثواب فوق أثواب...!

هذا هو نعيمه الّذي ينعم به، و تلك هى التّحايا الّتي يحيّابها، و الكؤوس الّتي يتناولها من يد السّقاة و الندمان!!! و إنّه مع هذا هو العزيز الكريم... يحضره في هذا البلآء المشتمل عليه - ما كان له في دنياه من عزّة و منعة في قومه، و ما كان له من كرامة فيهم، و إكرام منهم... فهذان شاهدان من أهله - عزّته و كرامته - يشهدان هوانه و ذلّته... و إنّه ليس أشدّ إيلاماً للنفس، و لا إزعاجاً للفؤاد من أن يفتضح المرء في أهله، و أن يعرّى على أعينهم، مع ما كان له فيهم من عزّة و كرامة...

مع أنّ الكلام قد يكون على اعتقاد المخاطب، فإنّ العرب قد تصف الإنسان بما يعتقده في نفسه و إن كان إعتقاده ذلك باطلاً، و كذا يذكر نفسه بما هو على خلافه لاعتقاد المخاطب فيه ذلك و لذلك نظآئر في القرآن الكريم منها قوله تعالى: «ذق إنّك أنت العزيز الكريم» مع أنّه لم يكن كذلك، و منها قوله عزّ و جلّ حكاية عن موسى(عليه السلام) فيما خاطب به السّامريّ: «و انظر إلى إلهك الّذي ظلت عليه عاكفاً» طه: ۹۷) و لم يرد إلهه في الحقيقة الّذي هو اللّه عزّ و جلّ و إنّما أراد إلهه في اعتقاده.

و قال حسّان بن ثابت في ردّ أبي سفيان عليه الهاوية و النّيران فيما هجابه رسول اللّه(صلى الله عليه و آله و سلم):

أتهجوه و لست له بندّ    فشرّ كما لخير كما الفداء

و لم يكن رسول اللّه(صلى الله عليه و آله و سلم) شرّاً.

و من المعلوم لأهل الأدب و البيان أنّ قوله تعالى: «ذق إنّك أنت العزيز الكريم»

من أفضل التّعريض ممّا يجلّ عن جميع الكلام، و أنّ التّعريض - في الأصل -: خلاف التّصريح، و - في الإصطلاح -: أن يطلق الكلام و يشاربه إلى معنى آخر يفهم من السّياق و من ظرف الكلام.

٥٠- (إنّ هذا ما كنتم به تمترون)

تعليل لإرتكاب الإثم الموجب لهذا العذاب الأليم، و هو الشّكّ و الإرتياب فيه، فالجمع باعتبار جنس الإثم، أو التفات من الخطاب المفرد إلى الخطاب الجمع، فعاد الخطاب إلى الجماعة بعد أن شهدوا أنفسهم فرداً فرداً في شخص هذا العتلّ الأثيم الّذي تجرع كئوس العذاب و الهوان ألواناً مترعة... فهذا العذاب هو الّذي كان يمتري فيه أي يجادل فيه هؤلآء الظّالمون الضّالون الّذين كانوا يجادلون من يحدثهم عن اليوم الآخر، ويحذرهم من لقآءِ ربّهم فيه على ما هم عليه من شرك و ضلال، و كفر و لجاج، و بغي و عناد و من كبر و فساد...

و من المحتمل أن تكون الآية الكريمة إستئنافاً من كلام اللّه جلّ و علا يخاطب به المشركين العرب بعد ذكر حالهم يوم القيامة، إذ خاطبهم بخطاب الجمع، و قد كان الخطاب في الآيات السّابقة بالإفراد.

و على أيّ تقدير، أنّ الآيات الثّمان: (٤٣ - ٥٠) جآئت في أثر الآيات السّابقة إستمراراً للكلام أو تعقيباً و تدعيماً لبيان مصير المشركين الفجرة، و المجرمين الكفرة و الآثمين الفسقة و المستكبرين الظّلمة... و وصف مصيرهم هنا قويّ رآئع من شأنه إثارة الخوف و الفزع فيهم ليرعووا عمّاهم عليه.

٥١- (إنّ المتّقين في مقام أمين)

إنّ الآية الكريمة و الآيات السّتّ من تاليها بصدد بيان أحوال المتّقين و مصيرهم يوم الفصل، و وصفهم بما جآء في الآيات السّبع قويّ رائع من شأنه بعث الطمأنينة و الغبطة في المتّقين، و دعوة النّاس إلى مصيرهم، و هى ممّا استهدفته الآيات الكريمة على ما

هو الظّاهر منها.

و ذلك أنّ الآيات تعرض صورة مقابلة لأهل الكفر و الضّلال، و أهل الرّيب و الإنكار... و ما يلقون في جهنم من ذلّة و هوان، و عذاب و نار... و في المقابلة بين الصوّرتين تتّضح المعالم في كلّ من الفريقين، و يرى كلّ من الصّورة المقابلة ما يضاعف ما هو فيه من بلاءٍ و عذاب أو نعيم و ثواب... فأهل النّار حين يرون أصحاب الجنّة و ما هم فيه من نعيم و رضوان، يزداد بلاؤهم و تتضاعف محنتهم، و يشتدّ عذابهم و حسرتهم... و أصحاب الجنّة حين يرون أهل النّار و ما هم فيه من محن و شدائد و من هوان و عذاب... يعظم نعيمهم و يتضاعف رضوانهم، فلا يجدون غير أن يسبّحوا بحمد ربّهم أن عافاهم من هذا البلآء: «و قالو الحمدللّه الّذي أذهب عنّا الحزن – و لايمسّنا فيها لغوب» فاطر: ۳٤ – ۳٥).

و لهذا كان أصحاب الجنّة و أصحاب النّار على مشهد من بعضهم، حيث يرى بعضهم بعضاً، و يتحدّث بعضهم إلى بعض دون أن يصل إلى أصحاب الجنّة شيء من عذاب أهل النّار، و دون أن يصل شيء من نعيم الجنّة و ريحها إلى أهل النّار: «و نادى أصحاب النّار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من المآءِ أو ممّا رزقكم اللّه قالوا إنّ اللّه حرّمهما على الكافرين» الأعراف: ٥٠).

و انّ الآيات الكريمة – في فنّ البديع – من حسن البيان في الوعود. و فيها من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف على الحكم ما لايخفى على القارىء الخبير المتأمّل.

و «مقام» بالفتح: موضع القيام، و بالضّمّ: موضع الإقامة، و الأمين في وصف المكان مستعار لأنّ المكان المخيف كأنّما يخوّف صاحبه، و يخونه ممّا يلقى فيه من المكاره، و أما المكان الأمين يأمن صاحبه من كلّ سوءٍ و خوف.

في الميزان: «إنّ نسبة الأمن إلى المقام بتوصيف المقام بالأمين من المجاز في النّسبة، حيث إنّ المقام – إسم مكان – بمعنى الثّبوت و الرّكوز، ولذا فسّر أيضاً بموضع الإقامة، و الأمين صفة من الأمن بمعنى عدم إصابة المكروه. و المعنى: إنّ المتّقين – يوم القيامة –

ثابتون في موضع أمن من إصابة المكروه مطلقاً».

٥٢- (في جنّات و عيون)

بيان لذلك المقام الأمين، و في تنكير «جنّات و عيون» إشارة إلى عظم قدرهما، و أنّهما ممّا لارأت عين و لاسمعت اذن و لاخطر على قلب بشر، فلا يقدر الواصفون على وصفهما، و أنهما ليستا كجنّات الدّنيا تبيد و كعيونها تغور، و قد جعل العيون ظرفاً للمتّقين باعتبار المجاورة، و وجودها فى الجنّات الّتى هى ظرفٌ لهم، و جمع الجنات و العيون باعتبار كثرتهما و أنواعهما باختلاف درجات المتّقين فيهما أو باعتبار أنّ لكلّ منهم وحده جنّة و عينان أو أكثر...

إنّ اللّه تعالى أشار هنا إلى خمسة أنواع من نعيم الجنّة الّتي يتنعّم بها أهل التّقوى و اليقين:

**النّوع الأوّل:** هو المسكن، و هو يطيب بأمرين: **أحدهما**- أن يكون السّاكن فيه آمناً مطمئنّاً من جميع ما يخافه و يحذر منه و هو المقام الأمين. **ثانيهما**- أن يكون فيه أسباب النّزهة من جنّات و عيون... و في تقديم المسكن على نعيم ما فيه ما لايخفى على القارىء الخبير المتدبّر.

٥٣- (يلبسون من سندس و إستبرق متقابلين)

بيان للنّوع الثّاني و الثّالث من أنواع نعيم الجنّة لأهل التقوى و اليقين، أمّا الثّاني فملابسهم من السّندس و هو مارقّ من الحرير و الدّيباج، و من الإستبرق و هو ما غلظ منه، و هما لايشبهان سندس الدّنيا و لاإستبرقها إلاّ بالإسم فحسب، و إنّ كلمتى السّندس و الإستبرق معرّبتان عن لغة أعجميّة، و مستعملتان عندالعرب قبل نزول القرآن الكريم على ما هو المتبادر لنا. و في تقديم لباس المتّقين - بعد استقرارهم في جنّات و عيون - على غيره من النّعيم مالايخفى. و لايبعد أن يكون اختلاف اللباس في الرّقّة و الغلظة باعتبار اختلاف أحوالهم أو باختلاف درجاتهم فيها. و حيث يلبس أهل

النّار من النّار أثواباً، يلبس أصحاب الجنّة حللاً من سندس و إستبرق. و أمّا النّوع الثّالث فأُنس المتقين فيها إذ يستأنس بعضهم ببعض بجلوسهم على جهة التّقابل و هو أتمّ للأُنس. فالمتّقون يلبسون ثياب الحرير و يتّكؤن على السّرر مستأنسين.

و إذ يتدابر أهل النّار، فلا ينظر بعضهم إلى بعض، لما وقع بينهم من عداوة وبغضآء... و لما يشهدون من العذاب الّذي يعذّب به المعذبون... فإنّ أصحاب الجنّة يواجه بعضهم بعضاً، و يأنس بعضهم بالنظر إلى بعض، وبما يصافح أنظارهم من آيات الرّضا و البهجة الّتي تملأ الصّدور، و تفيض على الوجوه: «على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النّعيم» المطففين: ۲۳ - ۲٤).

في أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها - لمحمّد بن أبي‌بكر بن ابن عبدالقادر الرّازى و هو من أعلام العامّة في القرن السّابع - ما لفظه: «فإن قيل: كيف وعد اللّه أهل الجنّة بلبس الإستبرق و هو غليظ الدّيباج في قوله تعالى: «يلبسون من سندس و إستبرق» مع أنّ لبس الغليظ من الدّيباج عند السّعداء من أهل الدّنيا عيب و نقص؟

قلنا: كما أنّ رقيق ديباج الجنّة و هو السّندس لايماثل رقيق ديباج الدّنيا إلاّ في الإسم فقط، فكذلك غليظ ديباج الجنّة. و قيل: السّندس لباس السّادة من أهل الجنّة و الإستبرق لباس العبيد الخدم إظهاراً لتفاوت المراتب» إنتهى كلامه.

هذا! فنسبة الدّرويش في كتابه: (إعراب القرآن و بيانه) الإلحاد إلى ابن الرّاوندي رضوان اللّه تعالى عليه مردودة إلى نفس الدّرويش لأنّه من العامّة كالرّازي.

٥٤- (كذلك زوّجناهم بحورٍ عين)

بيان للنّوع الرّابع من أنواع نعيم الجنّة لأهل التّقوى و اليقين، و هو الأزواج من جنس الحور العين اللّاتي لم يطمثهنّ إنس قبلهم و لاجانّ، فلسن من نسآء الدّنيا كما توهّم بعض المتفسّرين.

و المعنى: كذلك شأن المتّقين الّذي هم فيه، و أكثر من هذا فقد زوّجهم اللّه جلّ و علا بحور عين من حور الجنّة و عرآئسها... و الحور: جمع حورآء... و هي الّتي في عينها

حَوَرٌ و هو شدّة سواد العين مع شدّة بياضها و إستدارة حدقتها و رقّ جفونها، و هذا من مفاتن المرأة يقول جرير:

إنّ العيون الّتي في طرفها حَوَرٌ قـتلننا ثمّ لايحـيين قـتلانا

و العين: جمع عيناء و هي الواحدة من بقر الوحش، و ذلك لسعة عينيها و جمالها، و تشبه المرءة الحسناء ذات العيون الفاتنة.

## ٥٥- (يدعون فيها بكلّ فاكهة آمنين)

بيان للنّوع الخامس من أنواع النّعيم و هـو المأكـولات للـمتّقين و أزواجـهم، فيطلبون و يأمرون بإحضار ما تشتهيه أنفسهم من أنواع الفاكهة فيتمتّعون بكلّ فاكهة من دون تخصيص شيء منها بمكان و لازمان، آمنين من كلّ ضرر.

و قد عبّر عن الطّلب بالدّعآءِ لانّه إلتماس و رجآء من ربّ كريم، و عُدّى الفعل بالبآءِ مع أنّه يتعدّى بنفسه لتضمّنه معنى الهتاف بالفاكهة... فما هـى إلاّ أن يهـتف بهـا أحدهم حتّى تكون حاضرة بين يديه من غير أن يحملها إليه أحد أو يمدّ إليها هو يده... بل يجدها بين يديه و هو آمن، ساكن لا يلتفت و لايتحرّك...

و في تخصيص الفاكهة بالذّكر إشعار بأنّ مطاعمهم فيها لمحض التّفكّه و التلذّذ دون التّغذّي لانّه ربما يكون لتحصيل بدل المتحلّل و لاتحلّل فيها.

## ٥٦- (لايذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الاولى و وقاهم عذاب الجحيم)

تعليل لقوله تعالى: «آمنين» و بشارة لهم بأنّ حياتهم في هذا النّعيم دائمة لايلحقها موت و لافناء و لاعذاب، فهم في أمان من أن يزعجهم عن هذا النّعيم الّذي هم فيه أىّ خاطر يخطرلهم من إنقطاع هذا النّعيم بالموت، أو بالتّحوّل عنه إلى غيره، فهم في أمان من الموت في الجنّة: «لايذوقون فيها الموت» أبداً فإنّها حياة خالدة، و نـعيم خـالد... فـلا يتحوّلون أبداً عن هذا النّعيم إلى ما يقابله من عذاب الجحيم الّذي يصلاه أهل النّار، فقد وقاهم اللّه تعالى هذا العذاب، و أنقذهم منه فلا يتعرّضون له أبداً.

و قد شبّه الموت بالطّعام الّذي يذاق و يتكرّه عند المذاق فإنّ الموت عرض لايذاق ولكن جعل كالطّعام الّذي يكره ذوقه، فاستعير فيه لفظ الذّوق، ثمّ نفى أن يكون ذلك في الجنّة، و إنّما خصّهم بأنّهم لايذوقون الموت مع أنّ جميع أهل الآخرة لايذوقون الموت لما في ذلك من البشارة لهم بالحياة الهنيئة في الجنّة، و أمّا من يكون فيما هو كالموت في الشّدّة فإنّه لايطلق له هذه الصّفة لأنّه يموت موتات كثيرة بما يقاسيه من العقوبة، و أمّا غير المكلّفين فليس ممّا يعقل، فتلحقه هذه البشارة و إن عمّ ذلك أهل الجنّة، فهم فيها أحياء بحياة أبديّة لايعتريها موت. و المعنى: لايذوقون فيها الموت ألبتّة، فوضع قوله تعالى: «إلاّ الموتة الاولى» موضع ذلك لأنّ الموتة الماضية لايمكن ذوقها في المستقبل، و هو من باب التّعليق بالمحال، فكأنّه قال: إن كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنّهم يذوقونها.

و من المحتمل أن يكون في قوله عزّ و جلّ: «إلاّ الموتة الاولى» إشارة إلى قول المنكرين للبعث: «إن هى إلاّ موتتنا الاولى و ما نحن بمنشرين» الدّخان: ٣٥) أى أنّ أهل الجنّة قد ذاقو هذه الموتة الاولى الّتي كانوا على إيمان بالحياة و البعث بعدها، فكان إيمانهم هذا سبباً لنجاتهم من عذاب الجحيم كما كان موجباً لتنعّمهم بنعيم الجنّة... و مذاق هذه الموتة عند المؤمنين غير مذاقها عند المنكرين للبعث، فإنّ المؤمنين يجدون بالبعث أنّ هذا الموت سبيل إلى الحياة الآخرة و إلى لقاءِ ما أعدّ اللّه تعالى لهم من جزاء كريم، على حين يجد المنكرين البعث أنّ الموت هو حكم عليهم بالفنآءِ الأبدي الّذي يتحوّلون بعده إلى تراب في هذا التّراب... إنّه الضّياع الأبديّ لهم، و الفراق الّذي لالقآء بعده للأهل و الولد... فهم يعذّبون بالموت في الدّنيا، كما يقول اللّه عزّ و جلّ: «و تزهق أنفسهم و هم كافرون» التوبة: ٥٥) و هم كذلك يعذّبون بهذا الموت في الآخرة إذ كان هو الّذي انتقل بهم إلى هذا العذاب الجهنّمي الّذي يتجرّعون كئوسه ألواناً...

فهذا الموت الّذي ذاقه المؤمنون في الدّنيا، هو سبب مسرّاتهم الّتي يُسَرّون بها في الجنّة إذهم يذكرونه – و هم في الجنّة – فيذكرون أنّه هو الّذي أوصلهم إلى هذا النّعيم، فلولا الموت لما كان البعث، و لاالحساب و لاالجزآء...

و لا يبعد أن يكون هذا من قبيل من يثبت له ما يعلم بداهة أنّه غير ثابت له إيآءً، إلاّ أنّه لو قدر فيه عيب و قصور، فهو هذا الأمر الّذي يعلم بالضّرورة خلوّه عنه، و لو نسب إليه لذمّه العقلآء، فالمراد أنّ المتّقين لايمنعهم من دخول الجنّة و التّنعّم بنعيمها شيء إلاّ ما يعلم بالضّرورة أنّه غير مانع، بل وسيلة للدّخول و هو الموت، فما يتوهّم مانعاً هو الموت، إذ ليس فلا مانع أصلاً.

إن تسئل: كيف قال اللّه عزّ و جلّ في و صف المتقين أنّهم في الجنّة: «لايذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الاولى» حيث إنّ إستثناء الموتة الاولى يفيد أنّهم يذوقون الموتة الاولى فيها، و المراد خلافه قطعاً، فإنّهم لم يذوقوها في الجنّة؟ و هل يجوز أن يقال: لأعطيك اليوم در هماً إلاّ ما أعطيتك إيّاها بالأمس؟ و بعبارة أُخرى: أنّ الموتة الاولى هي موتة الدّنيا، و قد مضت بالنّسبة إلى أهل الجنّة، و التّلبّس في المستقبل بأمر ماضٍ محال قطعاً فما معنى إستثناء الموتة الاولى من عدم الذّوق في المستقبل؟

تجيب عنه: أوّلاً بما سبق آنفاً قبل السّئوال فيدفع به. و ثانياً: أنّ الإستثناء منقطع، و المعنى: لاموت لأهل الجنّة إطلاقاً و لكن الموتة الاولى قد ذاقوها في الدّنيا و قد مضت فعموم قوله تعالى: «لايذوقون فيها الموت» على حاله. و ثالثاً– و على فرض عدم كون الإستثناء منقطعاً فـ«إلاّ» بمعنى «سوى» و «إلاّ الموتة الاولى» بدل من «الموت» و ليس من الإستثنآءِ في شيء. و المعنى: لا يذوقون فيها سوى الموتة الاولى من الموت أمّا الموتة الاولى فقد ذاقوها. و محال أن تعود و تذوق و هي أولى.

و رابعاً: أنّ «إلاّ» بمعنى «بعد» كقوله تعالى: «إلاّ ما قد سلف» النّساء: ٢٣).

و خامساً: أنّ المتّقين إذا حضرتهم الوفاة كشف لهم الغطآء و عرضت عليهم منازلهم و مقاماتهم في الجنّة، فتلذّذوا في حال النّزع بروحها و ريحانها، فكأنّهم ماتوا في الجنّة.

إن تسئل: إنّ بين الحياة الدّنيا و السّاعة موتتين: موتة بالإنتقال من الدّنيا إلى البرزخ، و موتة بالإنتقال من البرزخ إلى الآخرة كما تقدّم في قوله عزّ و جلّ حكاية عن لسان الكافرين المعترفين بذنوبهم يوم القيامة: «ربّنا أمتّنا اثنتين و أحييتنا اثنتين»

غافر:۱۱) و الظّاهر أنّ المراد بالموتة الاولى في الآية الكريمة هى موتة الدّنيا النّاقلة للإنسان إلى البرزخ، فهب أنّا أصلحنا إستثناء الموتة الاولى بوجه، فما بال الموتة الثّانية لم تستثن؟ و ما الفرق بينهما و هما موتتان ذاقوهما قبل الدّخول في جنّة الخلد؟

تجيب عنه: انّه إذا كانت كلمة «إلاّ» في قوله تعالى: «إلاّ الموتة الاولى» بمعنى «سوى» و كان المجموع بدلاً من «الموت» كانت الآية الكريمة مسوقة لنفي غير الموتة الاولى، و هى الموتة الثّانية الّتي هى موتة البرزخ، فلا موت في جنّة الآخرة موتة الدّنيا لأنّها تحقّقت لهم من قبل، و لا غير موتة الدّنيا الّتي هى موتة البرزخ، و بهذا يتبيّن وجه تقييد الموتة بالاولى. فتدبّر جيّداً و لا تغفل.

و قوله تعالى: «و وقاهم عذاب الجحيم» ذكر الوقاية من عذاب الجحيم مع نفي الموت عنهم تتميم لقسمة المكاره أى إنّهم محفوظون من الإنتقال من دار إلى دار بعد دخولهم فى جنّة الخلد و من نشأة الجنّة إلى نشأة غيرها و هو الموت، و محفوظون من الإنتقال من حال سعيدة إلى حال شقيّة و هى عذاب الجحيم.

۵۷- (فضلاً من ربّك ذلك هو الفوز العظيم)

تعليل لقوله جلّ و علا: « لا يذوقون فيها الموت ...» أى أنّ ما قضى اللّه عزّ و جلّ به في أهل الجنّة من أنّهم لا يذوقون الموت، و لا يتحوّلون عن هذا النّعيم الّذي هم فيه، إنّما كان ذلك فضلاً من فضل اللّه تعالى، و إحساناً من إحسانه، و رحمة من رحمته إلى عباده المؤمنين، و حسبهم بهذا فوزاً ... فذلك هو الفوز العظيم الّذي لا يُعْدِ له فوز لأنّه خلاص عن المكاره و فوز بالمطالب ...

۵۸- (فإنّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون)

تفريع على جميع ما تقدّم من أوّل السّورة إلى هنا، و فذلكة للسّورة، و حثّ و تحريص على اتّباع القرآن الكريم، و دعوة عامّة إلى التّذكّر بالقرآن المجيد بعد تسجيل صدق الإنذار و شدّة العذاب الّذي انذر به الكفّار و المجرمون، و الفجّار و المستكبرون ...

و صدق الوعد و كثرة النّعم في الجنّة للمتّقين ...

إنّ المراد بتيسير القرآن المجيد بلسان رسول اللّه «صلى الله عليه و آله» تمكين العرب من الإلتقآءِ بهذا الوحي السّماوي، و الأخذ عنه، و تلقّ الهدى منه لأنّه بلسانهم الّذي هو لسان النّبيّ «صلى الله عليه و آله» المبعوث فيهم. و في قوله عزّ و جلّ: «لعلّهم يتذكّرون» تذكير لهؤلآءِ المشركين بنعمة اللّه تعالى عليهم، إذ أنزل عليهم كتاباً من عنده باللسان الّذي يتكلّمون به ... و لو جآءهم بغير هذا اللسان. لما كان لهم سبيل إلى الإتّصال به، و الحياة في رياض النّضرة و الإقتطاف من ثماره الطيّبة المباركة ... فهذه نعمة جليلة من نعم اللّه تعالى على الأمّة العربيّة، و إنّه لجدير بها أن تلتق بهذه النّعمة، و أن تأخذ حظّها منها ... فهو كتاب اللّه عزّ و جلّ إليهم، و رحمته فيهم، و قد ذُكِر القرآن الكريم بضميره، دون أن يكون لهذا الضّمير مرجع لأنّ القرآن أشهر من أن يذكر إذا هو حجّة قائمة على المتّقين، و غير المؤمنين جميعاً ...

فالآية الكريمة و تاليها تعقيب على وصف مصيرى الكفّار و المجرمين، و أهل التّقوى و اليقين، و قد وجّه الخطاب فيها للنّبيّ الكريم «صلى الله عليه و آله» و قد جعل القرآن بلسان رسوله «صلى الله عليه و آله» لعلّ السّامعين يتّعظون به لأنّه بلغتهم ...

و قوله تعالى: «فإنّما يسّرناه بلسانك ....» تقرير و توكيد لحقيقة وصف بها القرآن الكريم في أوّل هذه السّورة بأنّه «الكتاب المبين» فمن بيان القرآن المجيد الّذي يكشف عن الحكمة المشتمل عليها أنّه جآء إلى مَن يخاطبهم باللسان الّذي يحسنون الفهم عنه، و التّفاهم به، و هو اللسان العربي، و لو جآء القرآن إلى العرب بغير هذا اللسان العربيّ لما عقلوا عنه و لما انتفعوا بأحكامه و آدابه و لأفلت من أيديهم كلّ ما اشتمل عليه من حكمة، و لهذا جآئت فاصلة الآية الكريمة: «لعلّهم يتذكّرون» مصدّرة بحرف الرّجآء: «لعلّ» حيث يكون العربيّ المستمع لهذا القرآن العربيّ على رجآء من أن يتذكّر به، و يفهم مراميه، و بهذا تقوم الحجّة على كلّ عربيّ استمع لهذا الكتاب المبين، و لم يؤمن باللّه تعالى و بأنّ القرآن كلام اللّه و بأنّ محمّداً رسول اللّه «صلى الله عليه و آله».

٥٩- (فارتقب إنّهم مرتقبون)

أمر من اللّه جلّ و علا لرسوله«صلى الله عليه وسلم» بانتظار تحقّق الوعد الإلهي له بالنّصر و الغلبة على المشركين العرب، و تحقّق الوعيد لأعدآئه بالخزى و الهلاك و الدّمار و النّار، فانتظر بهم، فإنّهم يتربّصون بك الدّوآئر ... و في هذا تسلية للنّبيّ الكريم«صلى الله عليه وسلم» و تطمين له و وعدله بالنّصر، إستهدف به بثّ الثّقة و القوّة و الأمل في نفس المؤمنين به«صلى الله عليه وسلم» و هذا في - فنّ البديع - من باب حسن الخاتمة. و فيه وعيد و تهديد و إنذار للمكذّبين الفجّار ... بالخزى و الهوان ... فإذا لم يتّعظوا فلينتظر النّبيّ«صلى الله عليه وسلم» و لينتظر الكفّار معاً أمر اللّه جلّ و علا و قضائه فهو واقع لامحالة، لا ريب فيه.

فالعطف بالفآءِ هنا يشير إلى أنّ الأمر بين رسول اللّه«صلى الله عليه وسلم» و المشركين العرب لم ينته إلى نهايته بعد، و أنّهم مازا لوا في هذا الإمتحان مع الكتاب المبين، فلينتظر النّبيّ الكريم«صلى الله عليه وسلم» ما يكون منهم، و ليصبر على أذاهم، و لا ييأس من استجابتهم له، و ذلك لأنّهم «مرتقبون» لم يقطعوا برأى بعد فيما يدعوهم إليه، و إن كانوا مقيمين على كبر و عناد، على شرك و لجاج، و على إثم و فساد ... و هكذا كان شأن المشركين العرب مع رسول اللّه«صلى الله عليه وسلم» إنّهم لا يكذّبون النّبيّ«صلى الله عليه وسلم» و لا يشكّون في أنّه رسول اللّه«صلى الله عليه وسلم» في واقع الأمر فانّهم يعرفونه قبل الرّسالة صادقاً أميناً، و لكن كبرهم و عنادهم ... هو الّذي كان يقطع عليهم الطّريق إليه ... و باصطلاح بعض معوجى أفكار أيّامنا: كانت المعاصريّة تحجب عن تصديقهم إيّاه«صلى الله عليه وسلم» و إيمانهم به، و طاعتهم له«صلى الله عليه وسلم» و إنّهم لينتظرون ما تأتي به الأيّام ...

و لن تأتي الأيّام إلاّ بما يسوء المعاندين و المكابرين منهم ... و يخيب ظنونهم، حيث يبدولهم من اللّه جلّ و علا ما لم يكونوا يحتسبون ... إنّهم سُيبعثون، و قد كانوا لا يتوقّعون بعثاً و إنّهم ليحاسبون، و قد كانوا لا يرجون حساباً، و إنّهم سيعذّبون بعذاب الجحيم، و قد كانوا مصرّين على تكذيب هذا العذاب، و في شكّ منه ... و إذا كان القوم لم يرتقبوا شيئاً من هذا كلّه، فإنّهم مكرهون على هذا الإرتقاب، إذ لا مفرّ لهم منه.

و لقد أدّى بهم إرتقابهم في الحياة الدّنيا إذ رأوا كلمة اللّه جلّ و عزّ تعلو، و شهدوا جند الحقّ ينتصرون، و إذا ظلّ الشّرك ينسخ شيئاً فشيئاً حتّى تدول دولته، و يجيىء فتح اللّه تعالى و النّصر، و يدخل النّاس في دين اللّه أفواجاً ... و هنا يرى رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ و قد استجاب لدعوته، و غلب هو و من معه على المشركين العرب، فكان ذلك يوم بدر و يوم النّصر و الفتح ... يوماً تحقّق فيه للنّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ ما وعده به ربّه يوم اصطفاه لحمل الرّسالة، فقال جلّ و علا له: «و لسوف يعطيك ربّك فترضى» الضّحى: ٥).

## ﴿الإعجاز﴾

و من المعلوم لأهل الفنّ و الخبرة أنّ القرآن الكريم معجزة في حروفه و كلماته، في جمله و آياته، و في سوره و مجموعه، معجزة في نظمه و وجه تركيبه، في اطّراد أُسلوبه و آدابه، و في أُصوله و فروعه، معجزة في أحكامه و أمثاله، في تاريخه و قصصه، و في حقآئقه و معارفه، و معجزة في حكمه و أسراره، في إخباره بما يأتي، و في أثره الإنساني و ما إليها من وجوه الإعجاز الّتي لا تخالف الفطرة الإنسانيّة في شيء، و إنّما هي باقية ما بقيت دون سآئر الكتب السّماويّة فضلاً عن غيرها ...

و ليس هذا الكتاب المبين إلاّ صورة روحيّة للإنسان، كما أنّ الإنسان في تركيبه صورة روحيّة للعالم كلّه، حيث إنّ الإنسان عالم صغير، و العالم كلّه إنسان كبير، روحه هو الكتاب المبين: «حمٓ و الكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين» الدّخان: ١-٥).

و أنّ المعجزة القرآنيّة معجزة ذاتيّة كنفس نظام الكون و نواميس الوجود كلّه، حيث إنّ القرآن الكريم كلّه يدخل على العقول و الأفكار، و القلوب و النّفوس كلّها مدخل الرّوعة و الدّهش و الإثارة بما لا يستطيع أروع آيات الفنّ الكلاميّ أن يبلغ أقلّ القليل منه، متفرّقة و مجتمعة ...

و نحن لا نستطيع على بيان وجه من وجوه إعجاز هذه السورة المباركة: «الدّخان» فضلاً عن جميعها، و نحن على جناح الإختصار، فنشير إلى ما يقتضيه المقام:

و من الواضح أنّ مجموعة الفواتح القرآنيّة تسع و عشرون، و أنّها على ثلاثة عشر شكلاً، و أنّ أكثر الأحرف و روداً فيها: الألف و اللام، ثمّ الميم، ثمّ الحآء، ثمّ الرّآءِ، ثمّ السّين، ثمّ الطّآء، ثمّ الصّاد، ثمّ الهاء و الياء، و العين و القاف، و أخيراً الكاف و النّون، و أنّ جميع هذه الحروف الواردة في الفواتح من غير تكرار يساوي أربعة عشر، و هي نصف الحروف الهجائيّة و قد ذهب كثير من المفسرّين إلى أنّ فواتح السّور إنّما ذكرت في القرآن الكريم لتدلّ على أنّ هذا الكتاب المبين مؤلّف من حروف التّهجّي المعروفة، فجآء بعضها مقطعاً منفرداً، و جآء تمامها مؤلفاً مجتمعاً، ليتبيّن للعرب أنّ القرآن الكريم نزل بالحروف الّتي يعرفونها فيكون ذلك تقريعاً لهم و دلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله.

و قد ذهب بعض المحقّقين إلى أنّ هذا العدد: «أربعة عشر حرفاً» من دون تكرار يشير إلى عدد أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين، و هم أربعة عشر نفراً:

محمّد، عليّ، فاطمة، الحسن، الحسين، عليّ، محمّد، جعفر، موسى، عليّ، محمّد، عليّ، الحسن و المهديّ صلوات اللّه عليهم أجمعين.

و قد سبق منّا بمواضع من هذا التّفسير: أنّ مفاتيح السّور التّسع و العشرين رموز بين اللّه تعالى و أهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات اللّه، و هذا وجه من وجوه إعجاز القرآن المجيد.

في الإتقان (ج ٢ ص ١٦) للسّيوطي الشّافعي يروي عن العزّ بن عَبْد السّلام أنّ عليّاً رضى اللّه عنه إستخرج واقعة معاوية من «حمٓ عٓسٓقٓ».

و ذهب بعض المحقّقين إلى أنّ مجموعة هذه الفواتح إذا حذف المكرّر فيها يفيد أنّ «صراط عليّ حقّ نمسكه».

و من الوجوه: الإخبار بما يأتي كما في قوله تعالى: «بل هم في شكّ يلعبون فارتقب يوم تأتى السّمآء بدخان مبين يغشى النّاس هذا عذاب أليم ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون أنّى لهم الذّكرى و قد جآءهم رسولٌ مبين ثمّ تولّوا عنه و قالوا معلّم

مجنون إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون» الدّخان: ٩-١٦).

و ذلك أنّ اللّه جلّ و علا وعد نبيّه«ﷺ» بالنّجاة من فراعنة المشركين العرب بإخراجهم من مكّة ثمّ إهلاك عتاتهم و صناديدهم في تعقيبهم رسول اللّه«ﷺ» و المؤمنين به.

و قد ذهب أكثر المفسرين إلى أنّ المراد بالعذاب الأليم، الجاعة الّتي ابتلى بها أهل مكّة، فإنّهم لمّا أصرّوا على كفرهم و أذا هم النّبيّ«ﷺ» و المؤمنين به، دعا عليهم رسول اللّه«ﷺ» فقال: «اللّهمّ ابعث عليهم سنين كسني يوسف، فاحتبس عنهم القطر، و قحطوا حتّى جفّا الشّجر و النّبات، و هلك الخفّ و الظلف، و أكلوا العِهن و الميتة و العظام، و اشتووا القِدّ، فأصابتهم مجاعة شديدة، و كان الرّجل لما به من الجوع يرى بينه و بين السّمآءِ كالدّخان ثمّ جآؤا إلى النّبيّ«ﷺ» و قالوا: يا محمّد جئتَ تأمر بصلة الرّحم، و قومك قد هلكوا و وعدوه إن كشف اللّه عنهم الجدب أن يؤمنوا باللّه تعالى و برسوله «ﷺ» و بكتابه، فدعا رسول اللّه«ﷺ» و سئل اللّه جلّ و علا لهم بالخصب و السّعة، فكشف عنهم العذاب، ثمّ عادوا بعد الكشف إلى كفرهم و طغيانهم، إلى بغيهم و عصيانهم، و إلى ضلالهم و عنادهم ... و نقضوا عهدهم، فما زادهم ذلك إلاّ كفراً و طغياناً...

إن تسئل: كيف يقع عذاب على هؤلآءِ المشركين، و قد وعد اللّه تعالى نبيّه«ﷺ» ألاّ يعذّب قومه و هو فيهم إذ قال: «و ما كان اللّه ليعذّبهم و أنت فيهم، و ما كان اللّه معذّبهم و هم يستغفرون» الأنفال: ٣٣)؟

نجيب عنه: أوّلاً - أنّ هذا العذاب الّذي لقيه هؤلآءِ المشركون من قحط أو قتل، ليس هو من العذاب الّذي كان يؤخذ به أقوام الرّسل من قبل، و الّذي كان بلاءً شاملاً يستأصل القوم، و يأتي على كلّ شيء، فلا تبقي منهم باقية ... كما حلّ بقوم نوح، و عاد، و ثمود، و أصحاب مدين، و قوم لوط ... و إنّما هذا العذاب الّذي نزل بالمشركين لم يكن إلاّ وجهاً من وجوه الحياة الّتي كان يتقلّبون فيها ... فإذا نزل بهم قحط، فقد عرفوا هذا

القحط من قبل، و ذاقوا العذاب منه ... و إن أُصيبوا في أنفسهم في معركة من المعارك كيوم بدر ... فما أكثر المعارك الّتي أُريقت فيها دمآؤهم و أزهقت أرواحهم ... ولكنّ الّذي يجعل هذا العذاب الّذي ينزل بالمشركين طعماً جديداً، هو أنّه يأتي على يد النّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ بدعائه عليهم، و ذلك فيما أصابهم من قحط أو على يد أصحابه يوم بدر...

فهذا هو الّذي يجعل لهذا العذاب حساباً خاصّاً عندهم، و أثراً مضاعفاً في نفوسهم ... هذا ما يشير إليه القرآن الكريم في قوله عزّ و جلّ: «قل هل تربّصون بنا إلاّ إحدى الحسنين و نحن نتربّص بكم أن يصيبكم اللّه بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربّصوا إنّا معكم متربّصون» التّوبة: ٥٢).

فالنّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ و المؤمنون به إنّما يتربّص بهم، و ينتظر أن يحلّ بهم عذاب من عند اللّه تعالى، و هو هذا القحط الّذي حلّ بهم، أو أن يحلّ بهم عذاب بأيدى المؤمنين، و هو ما أصابهم على أيدى المسلمين من خزى و هوان في ميادين القتال ... حتّى لقد انتهى الأمر بدخول المسلمين عليهم مكّة، و استسلامهم لرسول اللّه ﴿ﷺ﴾ و إسلامهم للّه ربّ العالمين.

و ثانياً: أنّ هؤلآء المشركون قد دخل جمع في الإسلام، و لم يمت منهم على الكفر إلاّ أعداد قليلة بالنّسبة لمجموعهم، سوآء من مات منهم في ميادين القتال بأيدى المسلمين أو من مات حنف أنفه ... و هذا من شأنه ألاّ يوقع حكماً عاماً على هؤلآءِ المشركين بالعذاب الأليم يوم القيامة، و ذلك لأنّهم سيصبحون عمّا قليلٌ فى عداد المؤمنين باللّه جل و علا... و على هذا فإنّ ما يتهدّدهم به القرآن الكريم من عذاب، هو العذاب الدّنيوى الّذي يرونه رأى العين، و الّذي يكون فيه عبرة و عظة، تفتح لهم الطّريق إلى الايمان باللّه كما قال اللّه تعالى عن غزوة بدر: «قد كان لكم آية في فئتين التقتافئة تقاتل في سبيل اللّه و اخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين و اللّه يؤيّد بنصره من يشآء إنّ في ذلك لعبرة لأولى الأبصار» آل عمران: ١٣).

و قوله جلّ و علا: «أنّى لهم الذّكرى و قد جآءهم رسول مبين ثمّ تولّوا عنه و قالوا معلّم مجنون» هو استبعاد لأن يقع في نفوس المشركين شيء من العبرة و التّذكّر من

هذا الإبتلاءِ الّذي ابتلوا به من القحط الّذي كان آيةً على صدق رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ و على صلته بربّه، إذ كان هذا القحط دعوةً مستجابة له من اللّه تعالى كما كان رفع هذا البلآء عنهم إستجابةً أُخرى لرسول اللّه ﴿ﷺ﴾ من اللّه عزّ و جلّ فهو معجزة من معجزات النّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ الماديّة، بعد أن ملأ النّبيّ ﴿ﷺ﴾ الدّنيا عليهم بالمعجزة الكبرى الّتي تطلع عليهم من آيات اللّه و كلماته ... فماذا تفعل هذه الآية في نفوس تحدّث الرّسول ﴿ﷺ﴾ و ما بين يديه من كتاب مبين، تنطق آياته و كلماته بالمعجزات الّتي لا تنتهى؟ لقد تولّوا عنه، و أعرضوا عن الإستماع إليه، و النّظر فيما بين يديه، و اتّهموه بالكذب و الإفترآء و الجنون و قالوا: «معلّم» أي علمه غيره و «مجنون» يهذي بهذا الّذي اختطفه من علم العلمآءِ!!!

و من وجوه إعجاز القرآن الكريم قصصه على طريق الإجمال و التّفصيل منها قصّة فرعون و موسى ﴿ع﴾ على سبيل الإجمال في هذه السّورة: «و لقد فتنّا قوم فرعون و جآءهم رسول كريم - و آتيناهم من الآيات ما فيه بلآؤ مبين» الدّخان: ۱۷-۳۳) من دون إختلاف بين القصص إذ لو كان في القرآن الكريم إختلاف لما كان له هذا الشّأن الّذي نجده له هنا في القرآن المجيد، حيث إنّ للقرآن مقامه من الصّدق في نقل الأخبار و القصص و المشاهد و الأحداث و الحوادث و الوقآئع ... و حيث إنّ لكل حرف أو حركة في الكتاب المبين وزنها الّذي يرجح وزن السّموات و الأرض لأنّه يحدث و يقصّ و يخبر و يحكى ... و هو الصّدق المطلق في جميع صوره و أشكاله ...

و أنّ كلّ صورة من صوره هى الحقّ الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و أنّ الحقّ وجه واحد لا يدخل عليه شيء مطلقاً من تبديل أو تحويل ... و لا يمكن أن يكون هذا في غير القرآن الكريم، و لا يمكن أن يحتمله نظم غير نظم القرآن... حيث إنّ النّظم القرآنيّ ينقل المشاهد بأبعادها و أعماقها، و بحركاتها و سكناتها، و بنطقها و صمتها، و بوسوسة خواطرها و هجسات نفوسها ... ثمّ لا يكون ذلك كلّه إلاّ بلقطة أو لقطتين أو ثلاثاً للمشهد الواحد كلّه ... و من تدبير الكتاب المبين في هذا أنّه لم يجمع هذه اللّقطات في معرض واحد حتّى لاتتراكب و لا تتراكم، بل جعلها موزعة في مواضع

متباعدة في القرآن الكريم بحيث يمكن أن تستقل كلّ لقطة منها بذاتها مستغنية عن كلّ تفصيل، ثمّ بحيث لو نظر ناظر إليها من خلال اللّقطات الاخرى المماثلة أو المناظرة لها لوجد منها جميعاً صورة واحدة كصورة الإنسان مع اختلاف الألوان و الألسنة و القبآئل...

و ليس شأن القصص القرآنيّ شأن القصص التأريخيّ الّذي لا يكون قصصاً إلاّ إذا لوّنه القاصّ بألوان من خارج الواقع، و جعل لنفسه سلطاناً على الأحداث، فيغيّر و يبدّل كما يقتضي الحال، و تستدعي أجوآء القصّة ... مع أنّ القصص القرآنيّ لم يكن تأريخاً للحياة كلّها و أحداثها ... و إنّما هو عرض لبعض المواقف، و كشف عن بعض الأحداث الّتي من شأنها أن تحدث في النّفس أثراً، و تقيم في الضّمير وازعاً، و تفتح العقل و القلب و النّفس على مواقع مائلة للعبرة و العظة ...

فالقصص القرآني لا يمسك بالأحداث الواقعة في الحياة كلّها، و إنّما يمسك من الأحداث و الوقائع بما يراه مجلياً عن عبرة، كاشفاً عن عظة، لتنتفع بها الدّعوة الإسلاميّة في مقام الدّعوة إلى اللّه جلّ و علا و الإنابة إليه، و لا يعني أن يكون الحدث مدوياً صارخاً أو مزلزلاً عاتياً بقدر ما تعنيه الدّلالة الّتي يدلّ عليها، و العظة الّتي ينطوى عليها...

و لا شبهة أنّ هذه الأحداث و الوقائع الّتي يقتطعها القصص القرآني من (شريط) الحياة هى الصّدق الخالص الحقّ الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ... يقتطعها القرآن زماناً و مكاناً و أشخاصاً و ملابسات ... ثمّ ينفخ فيها نفخة الحياة، فتبعث من مرقدها و قد تساقط منها ما جفّ من أوراقها، و ما زبَل من أغصانها ... و إذاً هي ثمرة طيّبة دانية القطوف، تأخذها العين، و تشتهيها النّفس ... إذن فليس تخليص القصص القرآني من الزّوائد و الحواشي الّتي لا تغني شيئاً في تصوير الحدوث و عرضه في معرض الإعتبار و العظة ...

ليس هذا التخليص إلاّ عمليّة غربلة و تصفية، غايتها تنقية الحدث عن الشّوآئب، و تخليصه من الغُثآءِ و الزّبد ليصفو مورده، و يسوغ مذاقه للواردين ... و ليس

ذلك عن عجز أو غفلة عن جميع الملابسات الّتي اتّصلت بالحدث من كلّ جهاته و إلتقت به من قريب أو بعيد! حيث إنّ ما جآء في القصص القرآني هو الصّميم من الواقع، و اللباب من الحادث، و إن يكن ترك ما ترك من حواشي و أطراف و زوائد و قشور ...

إنّ القصص القرآني قد جآء ليكون قصصاً مثمراً نافعاً، فقد جآء على وفق الحياة الّتي يحياها النّاس و لم يخرج على مألوفها، و لو جآء على غير هذا لما كان للنّاس إلتفات إليه، و لو أنّهم التفتوا إليه لما وقع لهم منه إلاّ البلبلة و الإضطراب ... و ذلك أنّ الحياة كلّها بأزمنتها و أمكنتها، و من أشخاصها و أحداثها، حاضرة عتيدة كلّها بين يدى الحكيم الخبير الّذي لا تخفى عليه خافية في الأرض و لا في السّمآءِ ...

فالنّاس يتداولون الأنباءِ، ويروون الأخبار، و يتناقلونها على تعدّد الأشخاص و اختلاف الألسنة ... ثمّ لا يكون شيئاً من ذلك حائلاً بينهم و بين أن يفيدوا منها، و ينتفعوا بها، و يخلصوا إلى مضامينها ... و غاية ما يمكن أن ينظر إليه في هذه الأحوال هو الصّدق في الرّواية، و الأمانة في النّقل، و الدّقّة في التصوير و التعبير ... و إذا كان هناك ملتمس تلتمس فيه هذه الغاية على أتمّ تمامها و أكمل كمالها، فلن يكون ذلك على هذا الوجه إلاّ في القرآن الكريم، و فيما نطق عنه الكتاب المبين فحسب.

إنّ القصص القرآني و إن كان سماويّ المطلع فهو بشريّ الصّورة، إنسانيّ المنازع و العواطف ... يتحدّث عن النّاس إلى النّاس، عن قوم إلى قوم، عن طائفة إلى طائفة، عن أُسرة إلى أُسرة، و عن فرد إلى فرد، و يأخذ من الحياة للحياة ... يقرؤه النّاس و يسمعونه، فكأنّما يقرؤن أطوآء أنفسهم، و يسمعون همس ضمآئرهم، و يحسّون وسوسة خواطرهم ... و من هنا فهم يعيشون فيه، و يحيون معه، و ينتفعون به إنتفاع الأرض يصوبها الغيث ... فيقع منها مواقع مختلفة، بين و ديان و سهول و جبال و قيعان و أحراش و سهوب ...

إنّ القصص القرآني أحداث واقعيّة مقتطعة من التّأريخ، و أنّ القرآن الكريم قد تخيّر من هذه الأحداث ما يخدم الدّعوة، و يفتح للنّاس طرقاً للعبرة و العظة منها، كما أنّه تخيّر من هذه الأحداث مارآه من المواقف و المشاهد صالحاً لبنآءِ الصّورة المحقّقة لهذه

الغاية على هذا النّظم الرّائع المعجب، و الأُسلوب المعجز، هو في ذاته آية من الآيات في فنّ الكلام ... و من كانت آيات القرآن الكريم كلّها فنّاً عالياً لا يطاول ... من فنون القول، و كان أيّ لون من ألوان الحقآئق معجباً مثيراً إذا حملته ألفاظ القرآن المجيد، و جلته في هذا الأُسلوب المعجب، و هذا النّظم المعجز ...

و إذن فكلّ آيات القرآن الكريم تحقّق لقارئها أو لسامعها أصدق و أقوى ما تحقّق أروع آيات الفنّ القولى، في مجال النّثر أو الشّعر، و في مجال الخطابة أو القصّة ... فالآية أو الآيات من الكتاب المبين لك أن تطلق عليها الوصف الّذي يروعك و يروقك من فنون القول، فتقول عنها: إنّها قصيدة أو خطبة أو قصّة ... لا تعني بذلك الأُسلوب الّذي نظمت به، و جآءت عليه، و إنّما تعني ما دخل عليك منها من آثار فنّيّة، ملكت عليك عقلك و قلبك، و فكرك و رأيك ...

و هذا ما كان من عتاة المشركين العرب و فراعنتهم الّذين يستمعون إلى الكتاب المبين فيأخذونها من جلاله روعة، و تغشاهم من تلقائه سطوة ... ثمّ لا يدرون ماذا يقولون فيه ... فيقولون مرّة: إنّه شعر، و مرّة أُخرى: هو سحر، و مرّة ثالثة: إنّه من أساطير الأوّلين، و رابعة: هو قول كاهن أو قول شاعر ... و هكذا يمضون في تنقّلها من قول إلى قول فيه، لأنّهم يجدون منه أحوالاً أشبه بهذه الأحوال الّتي يجدونها للشّعر، و للسّحر و للأخبار العربيّة الّتي يحدث بها الكهّان و أصحاب الأساطير ... و إن كانوا ما يلقونها من القرآن أصفى صفآءً و أبلغ أثراً و أصدق خبراً ...

و من أجل ذلك أراد بعض هؤلآء المشركين أن يكيد للنّبيّ الكريم﴿ﷺ﴾ و هو يدعوهم إلى الحقّ و الهدى، إلى الخير و الصّواب، و إلى الصّلاح و الفلاح ... فجلب قينات يعزفن و يغنين ليجذب المشركين العرب إليه، و ليملأ أسماعهم بتلك الألحان و الأغاني الّتي استجلبها، و هو يحسب أنّ ذلك سيصرف النّاس عن الإستماع إلى القرآن الكريم، و عن الخشوع له، فما التفت إلى هذا اللهو و العبث إزآء ما كان يملأ به القرآن المجيد الآذان و القلوب و النّفوس ... من آياته البيّنات المعجزة كما فعل ذلك، و في هذا قال اللّه جلّ و علا: «و من النّاس من يشترى لهو الحديث ليضلّ عن سبيل اللّه» لقمان: ٦).

و حين لم ينفع هذا شيئاً من النّفع فيما أُريد له، جعلوا يشوّشون على القرآن الكريم حين يتلى فيتصايحون حول قارئه، و يتعابثون حتّى لا يخلص منه إلى الآذان ما ينفذ منه إلى القلوب من جلال و رهبة، و قد فضح اللّه عزّ و جلّ هذا الكيد الصّبياني فقال: «و قال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلّكم تغلبون» فصّلت: ۲۶) فذلك هو غاية كيدهم الّذي يريدون أن يكيدوا به لهذا القرآن الكريم، و ذلك بأن يفرّوا من بين يدى سلطانه بهذا العبث الصّبياني، كما يفرّ الأعشى من ضوءِ الشّمس بإلقآءِ حجاب كثيف أسود على عينيه، على حين أنّ الضّوء مشتمل بسلطانه كلّه عليه ...

و من البداهة أنّ الأحداث التأريخيّة في النّظم القرآنيّ لها من الإثارة الفنّيّة ما لا يحدثه أروع الملاحم، و أكثرها إغراباً في الخيال ... حتّى لو كانت هذه الأحداث الّتي يعرضها القرآن الكريم تساق مساق الخبر، مجرّدة من كلّ صور الصّراع و الإحتكاك بغيرها من الأحداث كما يرى ذلك في القصص الّذي لا يخلو من مواقف الصّراع ... بين النّاس و النّاس ... أو بين النّاس و الأحداث ...

فإذا كان ذلك هو شأن الكتاب المبين كلّه من حيث نظمه، و ما لهذا النّظم من روعة آسرة و سلطان قاهر متحكّم في العقول و الأفكار، و في القلوب و النّفوس ... فإنّ إطلاق إسم القصص على بعض الأحداث التّأريخية الّتي جآء بها لا تأباه هذه الأحداث، بل إنّها في هذا النّظم المعجز و الأُسلوب المعجب ليست مجرّد سرد للأخبار، و لا عرضٍ للأحداث، و إنّما هي بعث جديد لها، كما تبعث الحياة في الأرض الموات!. و إذن فليست الأحداث الّتي جآء بها القصص القرآنيّ محتاجة إلى شيء جديد من مواد الإثارة و التّشويق، تضاف إليها، لكى تكتسب ألواناً من الإثارة و التّأثير ... فإنّها في هذا النّظم القرآنيّ غنيّة عن كلّ زخرف، مستغنية عن كلّ طلآءٍ بما أفاض اللّه عليها من آيات الحسن، و الجمال و الجلال ... فكلّ حسن إلى حسنها باهت، و كلّ جمال إلى جمالها ماحل، و كلّ جلال إلى جلالها ظلّ زائل ...

و من الواضح لأهل الفنّ و الخبرة: أنّ القرآن الكريم ينظر إلى القصّة نظرة أكبر من مجرّد أنّها أحداث و حقآئق تاريخيّة، إذ أنّ في كيانها من العناصر المعروفة في القصص

ما ليس في غيرها من الحقآئق الّتي تصور لمجرّد الكشف عن ذاتها، فمن تدبّر القـصص القرآنيّ، و ينظر مليّاً في الأحداث و المواقف الّتي أطلق عليها القصص ... يجد أن الحادثة القصصيّة في القرآن الكريم حادثة متميّزة بطابع خاصّ، لا نجده في تلك الأحداث الّتي تحدث عن أمثال واقعة أو مفترضة أن تقع ... فإنّ في أحداث القصص القرآني صوراً من الصّراع بين قوى التّوحيد و الشّرك، بين الإيمان و الكفر، بين الهدى و الضّلال، بين الحقّ و الباطل، بين الخير و الشّرّ، بين النّور و الظّلام، بين الصّلاح و الفساد، بـين الفـلاح و الخسران، بين السّعادة و الشّقاء، و بين الكمال و الإنحطاط ... كما أنّ فيها صوراً من الحوار و الجدل الّذي تنشأ عنه أزمّة الحدث أو عقدته، و أخيراً تتمخض هذه الأزمّة أو تلك العقدة عن موقف تنفرج فيه الأزمّة أو تحلّ العقدة ...

فانظر أيّها القارىء الخبير و تدبّر! كيف يكون الحال حين تجيء كلمات اللّه جلّ و علا في النّظم القرآني إلى الأحداث التّأريخيّة، فتمسك بها من أعماق الزّمن، و تجمعها من وجوه الأرض، لتعرضها على الحياة من جديد، في مقام العظة و العبرة! إنّه -كما قلنا آنفاً - هو البعث الّذي يعيد إلى الأحداث وجودها الّذي كان لها في الحياة قبل أن يطويها الزّمن، و يضمّها التأريخ ... تماماً كما يبعث الموتى من القبور أو كما بعثت الطّير الّتي أماتها إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ ثمّ ردّ إلى الحياة بقدرة الخلاّق العليم.

فالقصص التّأريخى في الكتاب المبين حياة مجدّدة للأحداث الّتي يعرضها القرآن الكريم يجيئ بها إليها، أو يجيئ بنا إليها، لم يغيّر الزّمن شيئاً من سماتها و مشخّصاتها ... و من تلك القصص قصّة فرعون و قومه ستأتي إن شآء اللّه تعالى في الفصل الثّاني مـن تفسير هذه السّورة فانتظر.

و لبعض المتأخّرين المتجدّدين مقالة نشير إليها على سبيل الإختصار و الزّيادة منّا: «إنّ أهل مكّة قد رأوا الدّخان و انذروا البطشة الكبرى، و قد تمّ ذلك يوم بدر، و قد رأى المسلمون إليوم، الدّخان في الحرب الكبرى، و انذروا البطشة الكبرى، و هي آتية لا ريب فيها في الدّنيا و الآخرة، فكما كانت البطشة الكبرى يوم بدر، و لم تمنع من بطشة القيامة، فهكذا ستكون البطشة الكبرى في الدّنيا، و لا تمنع من بطشة يـوم القـيامة، و

البطشة الكبرى يوم بدر كانت على المشركين، و البطشة الكبرى المستقبلة ستكون على الجاهلين من هذه الامّة الّذين تركوا الأُصول الإعتقاديّة و تشبّثوا بالفروع، و نبذوا علوم الثّقلين و راء ظهورهم و أخذوا تقوّلات الجاهلين، و نسوا المعارف العالية الإسلاميّة و حِكَمها، و شربوا المياه المتعفّنة من مشارب الفلاسفة و الملاحدة ... و غفلوا عن الصّناعات و المواهب الّتي أعدّها اللّه تعالى لهم في الأرض، و طلبوها من أعدائهم بإزاء إعطاء كرامتهم و شرافتهم إيّاهم ... فتصيبهم البطشة الكبرى لا محالة!

فليكن المسلمون في كلّ ظرف على حذر من هذه البطشة الكبرى لتركهم و تشبّثهم، لنبذهم و أخذهم، لنسيانهم و شربهم، و لغفلتهم و طلبهم! ... و قد أبان اللّه تعالى الحقآئق للشّعوب و الأُمم الإسلاميّة فالبطشة موجهة أوّلاً إلى العلمآءِ و الدّعاة و المصلحين الّذين يتعامون عن الثّقلين معاً، و لا يأخذون الحيطة و الحذر، و ثانياً إلى المسلمين الّذين يُحَرقون بنار قادتهم الغافلين ...

و من البيّن للقارىء المتدبّر الخبير أنّ في تسميّة السّورة بإسم «الدّخان» أمراً عجيباً، و كيف تسمّى السّورة بإسمه، و ينذر اللّه جلّ و علا المسلمين و قادتهم به، و ينذرهم بطشة الكبرى، أنّ هذا من أكبر المعجزات في هذا الزّمان، إذ أرى المسلمين و قادتهم الآيات، و أظهر لهم المعجزات، و أبان لهم المخبآت، و لم يذر حجّة إلاّ أقامها، و لا آية إلاّ أبرزها، فإن نام العلمآء و القادة، و إن غفل الدّعاة و المصلحون بعد الآن جآئتهم البطشة الكبرى فكانوا لها خاضعين، فليحذروا النّوم و الكسل و الجهل و الغفلة!!!

ثم، قال: لقد أصبحت مسئلة الدّخان من المسآئل المعتادة في العالم الإنسانيّ إذ جآء مقال تحت عنوان «آرآء في وادي النّيل و سكّانه» جآء في التلغرافات العموميّة فآثرت نقله ليعلم قارىء هذا التّفسير أنّ ذكر الدّخان في القرآن و تسميّة السّورة بإسمه من أكبر معجزات القرآن الكريم في هذا الزّمان، و هذا نصّه:

«نشرت جريدة منشستر جارديان اليوم مقالاً للمستر رانسوم، وصف فيه سياحته من القاهرة إلى الشّلال، فقال ما يأتي: «إنّ مصر ليست بلاداً بل نهراً فشقّة الأرض الضّيقة على ضفتى النّهر هى الصّالحة للسّكنى و هى تتوقّف بكلّ ما فيها من

عوامل الحياة على مجرى مآءٍ واحد، ففي وسع من يسافر في النّهر أن يرى الصّحرآء ورآء المعمور على الجانبين، و إذا وضع مدفع على أحد الجانبين، فإنّه يسيطر على البلاد كلّها - إلى أن قال -: و تهبّ الرّياح الشّماليّة على طول ذلك الوادي الضّيّق مدة شهور عديدة، فاستعمال الغازات السّامّة على الطريقة الحديثة يكفي وحده بدون صعوبة لإهلاك جميع الأهالي، و تقع النتيجة نفسها إذا أمكن حجز النّهر أو تحويل مجراه».

ثمّ قال: فانظر كيف أصبح الكلام على الغازات السّامة أمراً عادياً، وَ أَصبح الدّخان بمثابة السّيف و المدفع، فكما يقال: سيف و مدفع، يقال: غازات خانقة أو سامّة، و هو الّذي أعلنه القرآن منذ ألف و ثلاثمأة سنة، و العالم الإنساني اليوم قادم على امور هائلة، فإمّا فنآء عظيم لقوم و إذ لال لآخرين، و إمّا أن يكون النّاس قادمين على زمن انقلاب إلى حال أجمل ممّا نحن فيه لأنّ الشّيء متى جاوز حدّه إنقلب إلى ضدّه» إنتهى كلامه.

و غير ذلك من وجوه إعجاز سورة «الدّخان» و ما ذكرناه ليس إلاّ أقلّ قليل منها، و على الآتين التدبّر و التحقيق العميق و البيان.

# «التّكرار»

و اعلم أنّ البحث في المقام يدور حول خمسة أُمور:

**أحدها** – أنّ آيات هذه السّورة: «الدّخان» ختمت بحرفين: الميم و النّون، فخمس عشرة آية منها بالاولى، و الباقية: (٤٤) آية بالثّانية، فتدبّر جيّداً.

**ثانيها** – أنّ اللّه تعالى قال في هذه السّورة: «و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما لاعبين»: ٣٨) بجمع «السّموات» لموافقة قوله تعالى في أوّل هذه السّورة: «ربّ السّموات و الأرض و ما بينهما»: ٧) و قد قال في سورة الأنبيآءِ: «و ما خلقنا السّمآء و الأرض و ما بينهما لاعبين»: ١٦) بإفراد «السّمآء» لموافقة قوله عزّ و جلّ في أوّلها: «قال ربّي يعلم القول في السّمآء و الأرض» الأنبيآء: ٤).

**ثالثها** – أنّ اللّه تعالى قال: «و لقد اخترناهم على علم على العالمين» الدّخان: ٣٢) أى على علم منّا و قال في سورة الجاثية: «و فضّلناهم على العالمين»: ١٦) و لم يقل: «على علم» لأنّه مكرّر في قوله سبحانه: «و أضلّه اللّه على علم»: الجاثية: ٢٣).

**رابعها** – أنّ قوله عزّ و جلّ: «إن هى إلاّ موتتنا الاولى و ما نحن بمنشرين» الدّخان: ٣٥) مرفوع، و قوله تعالى: «أفما نحن بميّتين إلاّ موتتنا الاولى و ما نحن بمعذّبين» الصّافات: ٥٨-٥٩) منصوب، ذكر في المتشابه و ليس منه، لأنّ ما في هذه السّورة مبتداء و خبر، و ما في سورة الصّافّات إستثنآء.

**خامسها** - أن نشير في المقام إلى صيغ ثمان لغات - أوردنا معانيها اللّغويّة على سبيل الإستقصآءِ في بحث اللغة من هذه السّورة - الصّيغ الّتي جآئت في هذه السّورة و في غيرها من السّور القرآنيّة:

۱- جآئت كلمة (الدّخان) في القرآن الكريم مرّتين:

۱- سورة الدّخان: ۱۰). ۲- سورة فصّلت: ۱۱).

۲- جآئت كلمة: (الفتن و الفتنة) على صيغها في القرآن المجيد نحو: (٦٠) مرّة.

۳- جآئت كلمة: (فرعون) في القرآن الكريم نحو: (٧٤) مرّة.

٤- جآئت كلمة: (الرّهو) في القرآن الكريم مرّة واحدة و هى في سورة (الدّخان: ٢٤).

٥- جآئت كلمة: (البكاء) في القرآن الكريم نحو: سبع مرّات:

۱- سورة الدّخان: ۲۹). ۲ و ۳ - سورة النّجم: ٤٣ و ٦٠). ٤- سورة التّوبة: ۸۲). ٥- سورة يوسف: ١٦). ٦- سورة الإسراء: ١٠٩). ٧- سورة مريم: ٥٨).

٦- جآئت كلمة: (الزّقوم). فى القران الكريم نحو: ثلاث مرّات:

۱- سورة الدّخان: ٤٣). ۲- سورة الصّافّات: ٦٢). ۳- سورة الواقعة: ٥٢).

٧- جآئت كلمة: (الغلى) فى القران الكريم مرّتين:

و هما في سورة الدّخان: ٤٥-٤٦).

٨- جآئت كلمة (سندس) في القرآن الكريم نحو: ثلاث مرّات:

۱- سورة الدّخان: ٥٣). ۲- سورة الكهف: ۳۱). ۳- سورة الإنسان: ۲۱).

## ﴿التّناسب﴾

و اعلم أنّ البحث في المقام يدور على جهات ثلاث:

**أحدها** – التّناسب بين هذه السّورة و ما قبلها نزولاً.

**ثانيها** – التّناسب بين هذه السّورة و ما قبلها مصحفاً.

**ثالثها** – التّناسب بين آيات هذه السّورة نفسها.

**أمّا الاولى و الثّانية:** حيث إنّ سورة «الدّخان» نزلت بعد سورة «الزّخرف» و وقعت بعدها مصحفاً. فالتّناسب بينهما فبأُمور:

**أحدها** – التّناسب الموضوعي بينهما، حيث إنّ غرض سورة «الزّخرف» هو إستمرار الوحي و بقآئه، و الإنذار الدّائم في هذه الشّريعة الخالدة إلى يوم القيامة إتماماً للحجّة على النّاس في كلّ ظرف، و غرض سورة «الدّخان» هو التّنويه بليلة نزول الوحي و حكمته، و تنبيه النّاس من غفلتهم عن هذه الشّريعة و إنذارها، و كونهم تجاهه على فريقين: فريق الايمان و الطّاعة، و فريق الكفر و المعصية.

**ثانيها** – أنّ اللّه تعالى لمّا أشار في سورة «الزّخرف» إلى رسالة موسى ﴿عليه السلام﴾ إلى فرعون طاغي مصر و قومه المستكبرين، و إلى مهمّتها في قوله: «و لقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون ملائه فقال إنّي رسول ربّ العالمين – فجعلناهم سلفاً و مثلاً للآخرين»: ٤٦–٥٦) أشار في هذه السّورة إلى أنّ هذه الرّسالة كانت من مهمّتها فتنة

لفرعون و قومه، فأساۤؤا فهلكوا بقوله: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون – إنّه كان عالياً من المسرفين» الدّخان: ١٧–٣١).

ثالثها – لمّا جاۤء في آخر السّورة السّابقة قول اللّه تعالى حكاية عن رسوله الخاتم﴿ﷺ﴾: «و قيله يا ربّ إنّ هؤلاۤء قوم لا يؤمنون»: ٨٨) جاۤء في هذه السّورة ما هو كالبيان لنتيجة القيل، فقال حكاية عن موسى﴿عليه السلام﴾: «إنّ هؤلاۤءِ قوم مجرمون»: ٢٢) تعريضاً بالدّعاۤءِ عليهم بذكر ما يوجبه، و هو الإجرام. و ذلك أنّه لمّا ذكر هنا أمر قوم فرعون و دعاۤء نبيّهم عليهم سيعقّبه بذكر النّتيجة ليكون تبياناً لعاقبة اولئك.

رابعها – لمّا بيّن في السّورة السّابقة أنّ عدم الايمان سبب للدّعاۤءِ عليهم، ثمّ قال: «فاصفح عنهم و قل سلام فسوف يعلمون»: ٨٩) حكى في هذه السّورة عن موسى﴿عليه السلام﴾: «و إنّي عذت بربّي و بربّكم أن ترجمون و إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون»: ٢٠–٢١) و هما قريبان معنىً.

خامسها – لمّا ختمت السّورة السّابقة بالوعيد و التّهديد: «فسوف يعلمون»: ٨٩)، و إنّ هذا الختام يتّسق مع السّورة الّتي كانت تمثّل مرحلة من مراحل الدّعوة الإسلاميّة في مواجهة المشركين العرب، و أنّ هذه المرحلة كانت أشبه بالهدنة بعد هذا الصّراع الّذي كان محتدماً بين النّبيّ الكريم﴿ﷺ﴾ و هؤلاۤءِ المشركين، بدئت هذه السّورة بذكر القرآن الكريم، و أنّه نزل في ليلة مباركة، يفرق فيها كلّ أمر حكيم، و هذا البدء هو تحريك لمسيرة الدّعوة بعد تلك الهدنة، و من أوّل المسيرة يواجه المشركون بالكتاب المبين، و ما يحمل إليهم من خير و صلاح، من حقّ و صواب، و من سعادة و بركة لا خفاۤء فيها، و أنّه إذا كان قد أنذرهم و توعّدهم بالعذاب، فإنّما ذلك لأنّه حريص على هدايتهم و سعادتهم، ضنين بهم على النّار الّتي أُعدّت للمشركين الفجرة، للمستكبرين الكفرة، و للمجرمين الفسقة ...

و غير ذلك من وجوه التّناسب لا يسع المقام بذكر جميعها، و نحن على جناح الإختصار فتدبّر جيّداً و لا تغفل، فإنّ لوجوه التّناسب المصحفي و النّزولي بين طرفي كلّ

سورة من السّور القرآنية دخالة تامّة في تفسير القرآن بالقرآن، فاغتنم جدّاً و لا تغفل.

و أمّا الثّالثة: فلمّا افتتحت السّورة بحرفي «الحآءِ و الميم» - و هما رمز بين اللّه عزّ و جلّ و رسوله «صلى الله عليه وآله» و إشارة إلى حقآئق و أسرار لا يعرفها و لا يعلم تأويلها إلاّ اللّه تعالى و الرّاسخون في العلم و هم أهل بيت الوحي المعصومون صلوات اللّه عليهم أجمعين - للإسترعآءِ و التنبيه إلى ما بعدهما، أعقبهما قسم بـ«الكتاب المبين»: ۲) ثمّ ذكر وقت نزوله: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة» ثمّ بيّن سبب إنزاله بقوله: «إنّا كنّا منذرين»: ۳) ثمّ بيّن سبب تخصيص نزوله بتلك الليلة المباركة: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم أمراً من عندنا» ثمّ بيّن أنّ الكتاب السّماويّ ينزل على الرّسل: «إنّا كنّا مرسلين»: ۵).

ثمّ بيّن السّرّ في نزوله الكتاب على لسان رسله: «رحمة من ربّك» ثمّ أكّد ربوبيّته بقوله: «إنّه هو السّميع العليم»: ٦) ثمّ أكّد العلّة في سمعه للأشيآء و علمه بها، بإيضاح ربوبيّته بعد ذكرها إجمالاً فقال: «ربّ السّموات و الأرض ...»: ۷).

إنّ اللّه تعالى لمّا أثبت وحدانيّته في ربوبيّته في نظام الكون و نواميس الوجود كلّه، ذكر وحدانيّته في اُلوهيّته: «لا إله إلاّ هو يحيى و يميت» ثمّ أشار إلى ربوبيّته في الإنسان خاصّة: «ربّكم و ربّ آبآئكم الأوّلين»: ۸) ثمّ بيّن حقيقة أمر المشركين العرب بأنّهم ليسوا بموقنين، بعد أن تبيّن لهم الرّشد من الغيّ، فقال تعالى على سبيل الإضراب عن الحديث إلى هؤلآءِ المشركين تنديداً بهم أوّلاً إذ يتلقّون ما يسمعون من آيات الكتاب المبين بالشّك و اللّعب و الهزء: «بل هم في شكّ يلعبون»: ۹).

ثمّ توعّدهم ثانياً باليوم الّذي ينتشر فيه من جانب السّمآءِ دخان عظيم يملأ الجوّ، و يغشى النّاس و يشعر هؤلآءِ المشركون بما هو واقع بهم من عذاب اللّه الأليم: «فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان مبين يغشى النّاس هذا عذاب أليم»: ۱۰-۱۱)، فيلجأون عندئذ إليه تعالى لكشفه عنهم، و يعلنون بأنّهم مؤمنون: «ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون»: ۱۲) و تساءلت ثالثاً تساؤل المنكر المستنكر عمّا إذا كان هذا ينفعهم حينئذ، و قد جآءهم رسول اللّه «صلى الله عليه وآله» بالآيات الواضحة، فاستبعد منهم الاتّعاظ بقوله: «أنّى لهم

الذّكرى و قد جآءهم رسول مبين»: ١٣) و هم في متّسع من الوقت، فأعرضوا عنه، و استخفّوا به، و نسبوا إليه الجنون، و تعلّم ما يقوله من الغير: «ثمّ تولّوا عنه و قالوا معلّم مجنون»: ١٤).

ثمّ وجّهت رابعاً الكلام إليهم، فاللّه تعالى يستجيب إليهم هذه المرّة، و يكشف عنهم العذاب ردحاً من الزّمن، و لكنّهم سوف يعودون بعد كشفه إلى ما كانوا فيه من كفر و عناد: «إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عائدون»: ١٥) و حينئذ تنزل بطشة اللّه الكبرى فيهم، و ينتقم منهم: «يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون»: ١٦).

و بعبارة اخرى: إنّ اللّه تعالى لمّا ذكر حقيقة أمر المشركين العرب بقوله تعالى: «بل هم في شكّ يلعبون» ذكر عاقبة شكّهم بقوله عزّ و جلّ وعيداً و تهديداً: «فارتقب يوم تأتي ...» مع كمال ظهور رحمة اللّه تعالى عليهم في تربية وجوداتهم و أرواحهم، فقابلوها بالكفران، و لم ينتفعوا بالمُنَزَّل، و لا بالمنَزَّل عليه، فهم استحقّوا بشكهم أن ينتظروا حتّى يحلّ بهم بأسه تعالى لأنّهم أهل خزى و عذاب، و ليسوا بأهل إكرام و غفران، تسلية للنّبيّ الكريم ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و تهديداً للمشركين، ثمّ أشار إلى أحوالهم في ذلك اليوم بقوله تعالى: « يغشى النّاس ...» ثمّ ذكر مقالتهم حين رأوا شدّة العذاب يوم ذاك بقوله: «ربّنا اكشف ...» ثمّ ردّ عليهم و على دعآئهم: «أنّى لهم الذّكرى ...» ثمّ ذكر معاملتهم بما أنزل عليهم و من جآء به بقوله: «ثمّ تولّوا عنه ...»: ١٤).

ثمّ بيّن سبب عذابهم بالدّخان، و الإنتقام منهم في الحياة الدّنيا بأنّه جلّ و عزّ كشف عنهم العذاب بعد دعآئهم، و لكنّهم عادوا إلى ما كانوا عليه من قبل الكشف، و يصرّون عليه: «إنّا كاشفوا العذاب - إنّا منتقمون»: ١٥-١٦).

إنّ اللّه تعالى لمّا ذكر أحوال المشركين العرب، و تهديدهم بوخامة عاقبة أمرهم في الحياة الدّنيا قبل الآخرة لإصرارهم على الشّرك و العناد، و على تكذيبهم بآيات اللّه جلّ و علا و رسوله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ تمثّل لهم بقصّة إرسال موسى ﴿عليه السلام﴾ إلى فرعون و قومه، و تكذيبهم له ﴿عليه السلام﴾ و قصّة إغراقهم و سوء عاقبتهم و نجاة موسى ﴿عليه السلام﴾ و الّذين معه،

تسلية لرسوله﴿ﷺ﴾ و وعده﴿ﷺ﴾ بالنّصر و النجاة من فراعنة المشركين العرب بإخراجهم من مكّة ثمّ إهلاك صناديدهم في تعقيبهم النّبيّ الكريم و المؤمنين به، أردف ذلك ببيان أنّ هؤلآءِ المشركين ليسوا ببدع في الأمم، فكثير قبلهم كذّبوا رسلهم، فهاهم أُولاءِ: فرعون طاغي مصر و ملائه المستكبرون قد كان منهم مع موسى﴿عليه السلام﴾ مثل ما كان من قومك معك بعد أن أتاهم بالبيّنات الّتي كانت تدعو إلى تصديقه، فكذّبوه فنصره اللّه تعالى عليهم و نجّاه و من معه، و أغرق فرعون و قومه و جعلهم مثلاً للآخرين ...

و قد بيّن تعالى أنّ رساله موسى﴿عليه السلام﴾ إلى فرعون و قومه كانت إمتحاناً لهم لابدّ و أن يعتبر به النّاس في كلّ ظرف: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون و جآءهم رسولٌ كريم»: ١٧) فدعاهم إلى اللّه تعالى: «أن أدّوا ...»: ١٨) و نهاهم عن التكبّر و العلوّ على اللّه جلّ و علا: «و أن لا تعلوا على اللّه ...»: ١٩) و لمّا أصرّ فرعون مصر على عتوّه و طغيانه، و تبعه قومه، قال لهم موسى﴿عليه السلام﴾: «و إنّي عذت بربّي و ربّكم ...»: ٢٠-٢١).

و لمّا طال مقام موسى﴿عليه السلام﴾ بين أظهرهم، و أقام حجج اللّه تعالى عليهم، و لم يزدهم ذلك إلاّ كفراً و طغياناً، إلاّ كبراً و عناداً، إلاّ ظلماً و عدواناً، و إلاّ بغياً و عصياناً ...

و يئس موسى﴿عليه السلام﴾ من إيمانهم دعا عليهم: «فدعا ربّه أنّ هؤلآءِ قوم مجرمون»: ٢٢) و حينئذ أمره اللّه تعالى أن يخرج ببني إسرائيل من بين أظهرهم من دون أمر فرعون و لا مشورته: «فأسر بعبادي ليلاً ...»: ٢٣) مع تعليل السُّرَى ليلاً بقوله: «إنّكم متّبعون»: ٢٣) و أمره﴿عليه السلام﴾ أن يترك البحر رهواً، و وعده بغرق فرعون و قومه في البحر: «و اترك البحر رهواً إنّهم جند مغرقون»: ٢٤).

إنّ اللّه عزّ و جلّ لمّا أخبر بغرق فرعون و قومه في البحر ذكر ما خلفوه، و أخبر عن حالهم بعد إهلاكهم فقال: «كم تركوا من جنّات و عيون ...» ٢٥-٢٧) ثمّ بيّن أنّه تعالى يفعل ذلك على كلّ من سلك مسلك فرعون طاغي مصر و قومه، و أكّد هذا بقوله: «كذلك و أورثناها قوماً آخرين»: ٢٨) ثمّ استهزأبهم، و سخر منهم حين هلكوا فقال: «فما بكت عليهم السّمآء ...» ثمّ أخبر تعالى بأنّ هؤلآءِ كانوا بمنزل عن ذلك حتّى تبكى عليهم السمآء و الأرض: «و ما كانوا منظرين»: ٢٩).

و لمّا بيّن تعالى كيفيّة إهلاك فرعون و قومه، أردف ذلك بذكر إحسانه إلى رسوله موسى﴿عليه السلام﴾ و قومه و نجاتهم فقال: «و لقد نجّينا بني إسرائيل ...»: ٣٠) ثمّ أخبر تعالى: أنّ فرعون كان من المسرفين: «من فرعون ...»: ٣١) و لمّا بيّن طريق دفعه للضّرّ عنهم، أردف ذلك بذكر ما أكرمهم به و ثناهم، مقسماً بأنّه اختارهم فقال: «و لقد اخترناهم على علم على العالمين»: ٣٢) ثمّ بيّن ما به اختارهم بقوله: «و آتيناهم من الآيات ...»: ٣٣) و قد كان به بلاء و اختبار شديدان.

عود على بدءٍ في حكاية أقوال المشركين العرب و مواقـفهم و التّـنديد بهـم و إنذارهم، و ذلك أنّ الكلام كان أوّلاً في هؤلآءِ المشركين إذ قال فيهم: « بل هم في شكّ يلعبون»: ٩) أى في شكّ من البعث و الحساب و الجزاءِ، ثمّ بيّن كيف هم أصرّوا عـلى شكّهم و تكذيبهم، و على كفرهم و طغيانهم ... فأنذرهم بالعذاب الدّنيوى، و تمثّل لهذا العذاب بما جرى على فرعون طاغي مصر و قومه المسرفين إذ جآءهم موسى﴿عليه السلام﴾ بالرّسالة، فكذّبوه فأخذهم اللّه عزّ و جلّ بعذاب الغرق و الإهلاك فاستأصلهم، و ذلك أنّ فرعون و قومه كانوا في إصرارهم على الكفر و الإستكبار كهؤلآءِ المشركين العرب، و قد أهلكهم اللّه جلّ و علا، و أنجى بني إسرائيل من عذاب فرعون و قومه، و أكرمهم بما أكرمهم ...

ثمّ رجع إلى الحديث الأوّل و هو إنكار هؤلآءِ المشركين للـبعث و الحسـاب و الجزاءِ، و قولهم: إنّه لاحياة بعد هذه الحياة: «إنّ هؤلآء ليقولون إن هى إلاّ موتتنا الاولى و ما نحن بمنشرين»: ٣٤-٣٥) ثمّ خاطبوا الّذين وعدوهم بالنّشور و الحساب و الجزآءِ، و هم رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ و المؤمنون به، و قالوا لهم: فإن كنتم صادقين فى دعواكم فاسئلوا ربّكم يعجل لنا إحيآء من مات من آبائنا الماضين حتّى يكون ذلك دليلاً قاطعاً عـلى صدق دعواكم النّبوّة و البعث و الحساب و الجزاء يوم القيامة: «فأتوا بآبآئنا إن كـنتم صادقين»: ٣٦).

و هذه حجّة داحضة، فإنّ المعاد يوم القيامة بعد انقضآءِ الدّار الدّنيا، حين يعيد اللّه العالمين خلقاً جديداً، و من ثمّ لم يتعرّض الكتاب المبين لردّ ما قالوا، بل قال لهـم

مهدّداً متوعّداً منذراً بأسه الّذي لا يردّ بأسه سيستنّ بهم سنّة من قبلهم من المكذّبين، إذ أهلك من هم أقوى منهم بطشاً، و أكثر منهم جنداً، و هم قوم تبّع، فحذار أن يصرّوا على الكفر و العناد، و الكبر و اللجاج ... حتّى لا يحيق بهم بأس ربّهم، فقال: «أهم خير أم قوم تبّع و الّذين من قبلهم أهلكناهم إنّهم كانوا مجرمين»: ۳۷).

ثمّ احتجّ على إثبات البعث و الحساب و الجزاءِ، و برهن على صحّتها بقوله تعالى: «و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما لاعبين»: ۳۸) ردّاً على الّذين تحدّوا النّبيّ الكريم﴿ﷺ﴾ بالاتيان بآبائهم ... و ذلك أنّه لو كان على ما توهّم هؤلآءِ المشركون العرب أنّه لا يجر به إلى الجزآءِ في دار أُخرى مع ما فيه من الألم لكان الخلق و نظام الكون و نواميس الوجود كلّه عبثاً لعباً، لأنّه ابتدأ باختيار ألم لا يجربه إلى عوض، ثمّ بيّن أنّه خلق السّموات و الأرض بالحقّ، و إن كان أكثر النّاس في كلّ ظرف لا يعلمون ذلك بقوله: «ما خلقنا هما إلاّ بالحقّ ...»: ۳۹).

ثمّ بيّن ذلك اليوم بقوله تعالى: « إنّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين»: ٤٠) يحشرهم فيه، ثمّ بيّن أيّ يوم هو؟ فقال: «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً»: ٤١) ثمّ استثنى مولىً تغني شفاعته لمن يستحقّ أن يشفع له من المؤمنين الّذين عملوا السّوء بجهالة أو لترفيع درجاتهم عند اللّه جلّ و علا، ثمّ وصف نفسه بأنّه القادر الّذي لا يغلب و لا يقهر بدفع العقاب عمّن يريد فعله به، «الرّحيم» بمن يريد العفو عنه بإسقاط عقابه أو ترفيع عقابه: «يوم لا يغني مولًى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون إلاّ من رحم اللّه إنّه هو العزيز الرّحيم»: ٤١-٤٢).

ثمّ أنبأ عن مصير المنكرين للبعث و الحساب و الجزآءِ، و ما سيلقونه من أنواع العذاب في الدّار الآخرة بقوله تعالى: «إنّ شجرة الزّقّوم طعام الأثيم»: ٤٣-٤٤) ثمّ وصف طعامهم بشدّة الحرارة و نهاية الحراقة بقوله جلّ و علا: «كالمهل ...»: ٤٥-٤٦) ثمّ بيّن أنّه تعالى يأمر خزنة النّار أن يأخذوا هؤلآءِ الآثمين الفجرة، هؤلآءِ المجرمين الفسقة و هؤلآءِ المستكبرين الكفرة ... و أن يجرّوهم و يدفعوهم بعنف إلى وسط الجحيم، ثمّ يأمرهم بأن يصبّوا فوق رؤسهم من عذاب الجحيم: «خذوه ...»: ٤٧-٤٨).

ثمّ ذكر ما يقال لكلّ من تلبّس بالإثم و مات عليه آنئذ تقريعاً و تهكّماً و توبيخاً و مستخفّاً به: «ذق ...» أى ذق هذا الذّلّ و الهوان اليوم الّذي كنت تكذّب به ... ثمّ علّل ذلك بقوله تعالى: «إنّك أنت العزيز الكريم»: ٤٩) ثمّ علّل ذلك ثانياً بقوله: «إنّ هذا ما كنتم به تمترون»: ٥٠).

إنّ اللّه تعالى لمّا ذكر وعيد الآثمين الفجرة، و المشركين الكفرة و المجرمين الفسقة، و ما يرونه من الأهوال و أنواع العذاب يوم القيامة، أعقب هذا بوعد المتّقين بما يلاقونه في جنّات النّعيم من خمسة ضروب من أنواع التّكريم:

١- المسكن، و هو لا يطيب إلاّ بأمرين:

**أحدهما** - أن يكون من فيه آمناً من جميع ما يخافه و يحذر منه و هو المقام الأمين: «إنّ المتّقين في مقام أمين»: ٥١).

**ثانيهما** - أن تحصل فيه أسباب النّزهة، و هى الجنّات و العيون، و ذلك قوله تعالى: «في جنّات و عيون»: ٥٢).

٢- التّنعّم من الملابس الحسنة الّتي تناسب تلك المساكن و الجنّات و العيون ... فقال: «يلبسون من سندس و إستبرق»: ٥٣).

٣- الجلوس على هيئة التّقابل، و الغرض منها كمال إستئناس بعضهم ببعض أشار إليه بقوله تعالى: «متقابلين»: ٥٣) فينظر بعضهم إلى بعض و هو أتمّ للأُنس.

٤- الأزواج الصّالحات و خاصّة الحور العين اللاّتي لم يطمثهنّ إنس قبلهم و لاجانّ، فقال: «كذلك و زوّجناهم بحور عين»: ٥٤).

٥- المأكول، فقال: «يدعون فيها بكلّ فاكهة آمنين»: ٥٥).

إنّ اللّه عزّ و جلّ لمّا وصف ما هؤلآءِ المتّقون فيه من نعيم مقيم، بيّن أنّ هذا النّعيم أبديّ خالد لايعقبه زوال و لا تحوّل، و لا انتقال و لا موت و لا عذاب ... فقال: «لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الاولى و وقاهم عذاب الجحيم»: ٥٦) معلّلا ذلك بقوله تعالى: «فضلاً من ربّك ذلك الفوز العظيم»: ٥٧).

ثم ختم السّورة المباركة بما بدأ به، و هو نزول القرآن الكريم للتّذكّر، و أمر رسوله ﴿صلی الله علیه و آله و سلم﴾ بالإنذار، فختمها بالمنّة على العرب في نزول الكتاب المبين بلغتهم و يسّره بلسانهم لعلّهم يتذكّرون و يتّعظون به، ثمّ توعّدهم إذا هم كذبوا بما جآءهم رسولهم ﴿صلی الله علیه و آله و سلم﴾ بحلول النّقمة و الإنحطاط، والذّلّة و الهوان بهم، والنّصر له ﴿صلی الله علیه و آله و سلم﴾ عليهم كما هي سنّته في أمثالهم من المكذّبين برسله تعالى: «كتب اللّه لأغلبنّ أنا و رسلي إنّ اللّه قويّ عزيز» المجادلة: ٢١) «و إنّ جندنا لهم الغالبون» الصّافّات: ١٧٣) فقال مسلّياً لرسوله ﴿صلی الله علیه و آله و سلم﴾ و واعداً له بالنصّر، و متوعّداً من كذبه بالخزى و الهلاك: «فإنّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون فارتقب إنّهم مرتقبون»: ٥٨-٥٩).

# ﴿النّاسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه﴾

قيل: إنّ في قوله تعالى: «فار تقب إنّهم مرتقبون» الدّخان: ٥٩) أمراً بالمتاركة، و هو منسوخ بآية السّيف و هى قوله عزّوجلّ: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم...» التّوبة: ٥).

**أقول:** إنّ الآية الكريمة و عيد و إنذار و تهديد صريح، فلا نسخ.

و لم أجد في هذه السّورة المباركة غير كلمة «حمٓ» آية متشابهة فآيها غيرها محكمات و الله عزّ و جلّ هو أعلم.

## ﴿تحقيق عميق في الأقوال﴾

١- (حٰم)

تقدّمت الأقوال في مثلها في سورة «الزّخرف» فجدّد بها عهداً.

٢- (والكتاب المبين)

سبقت خمسة عشر قولاً في مثلها في سورة «الزّخرف» فراجع.

٣- (إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين)

**في قوله تعالى:** «في ليلة مباركة» أقوال: ١- عن ابن عبّاس و قتادة و إبراهيم النّخعي: أي أرسلنا جبرئيل بالقرآن جملة إلى سمآءِ الدّنيا حتّى أملى القرآن على أهل سمآءِ الدّنيا في ليلة مباركة و هي ليلة القدر، ثمّ أنزل الله جبرئيل بعد ذلك على محمّد﴿ﷺ﴾ بآية و سورة نجوماً بجواب كلام النّاس، و كان بين أوّله و آخره عشرون سنة. و عن سعيد بن جبير: أنّه قال: نزل القرآن من السّمآءِ العليا إلى السّمآءِ الدّنيا جميعاً في ليلة القدر، ثمّ فصّل بعد ذلك في تلك السّنين. و عن إبن عبّاس أيضاً أنّه قال: قد كلّم الله جبرائيل في ليلة واحدة و هي ليلة القدر، فسمعه جبرائيل و حفظه بقلبه، و جآء به إلى سمآءِ الدّنيا إلى الكتبة و كتبوه، ثمّ نزل على محمّد﴿ﷺ﴾ بالنّجوم في ثلاث و عشرين سنة. و قيل: في عشرين سنة.

٢- عن عكرمة: هي ليلة النّصف من شعبان نزل فيها القرآن الكريم من أمّ الكتاب من السّمآءِ السّابعة إلى سمآءِ الدّنيا، فأنزل الله جبرئيل إلى سمآءِ الدّنيا حتّى أملى القرآن على الكتبة، و هم أهل سمآءِ الدّنيا. و لهذه الليلة خمسة أسمآءٍ: ١- الليلة المباركة. ٢- ليلة البراءة لأنّ البندار إذا استوفى في الخراج من أهله كتب لهم البراءة، و كذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة من النّار في هذه الليلة. ٣- ليلة الصّك. ٤- ليلة القدر. ٥- ليلة الرّحمة لنزول الرّحمة فيها.

٣- عن أبي الجلد أنّه قال: نزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة رمضان، و أنزل الإنجيل لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان، و أنزل الفرقان لأربع و عشرين. و عن واثلة: «أُنزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من رمضان، و أُنزلت التّوراة لستّ مضين من رمضان، و أُنزلت الزّبور لإثنتي عشرة من رمضان، و أنزل الإنجيل لثمان عشرة خلت من رمضان و أُنزل القرآن لأربع و عشرين مضت من رمضان» و في هذه الليلة تفصل الأُمور الهامّة من سنة إلى سنة.

٤- قيل: أي أُنزل القرآن الكريم كلّه من مبدإالوحي دفعة واحدة إلى البيت المعمور في ليلة النّصف من شعبان، ثمّ أنزل كلّه من البيت المعمور دفعة واحدة على قلب محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ في ليلة القدر الّتي هي إحدى الليالي الثلاث أو الأربع (١٩-٢١- ٢٣-٢٧) من شهر رمضان المبارك ثمّ أنزل نجوماً في سائر الأيام على حسب إتّفاق الأسباب في مدّه ثلاث و غشرين سنة و هي مدّه دعوة النّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾.

و هذا لاينافي ماورد- كتاباً و سنّةً - من نزول الوحي في ليلة القدر، فيتطلّع المؤمنون الصّادقون في مشارق الأرض و مغاربها إلى هذه الليلة المباركة و هي النصف من شهر شعبان المعظّم، و الإحتفال بها و الحرص عليها، و التّعرّض لما يحتشد فيها من خير كثير و ثواب كبير و بركات عظيمة ببركة ولادة مَن يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعد ما مُلئت ظلماً و جوراً و هو خاتم الأوصيآءِ، صاحب العصر و الزّمان، بقيّة الله الأعظم، الحجّة بن الحسن العسكري، الإمام الثّاني عشر أرواحنا و أرواح العالمين لتراب مقدمه فداء، و هذه الليلة المباركة من الشّئون الدّينيّة الّتي صحّ بها النّصّ صحّة لاتدع في صدور

المؤمنين الصّادقين ريباً و لاحرجاً و لوكره المشركون و الكافرون و كره المجرمون، و هو الّذي قال الله عزّ وجلّ فيه: «بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين» هود: ۸٦).

و قال: «يريدون ليطفؤا نورالله بأفواههم و الله متمّ نوره ولوكره الكافرون هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه و لوكره المشركون» الصّفّ: ۹-۸).

وقال: «ويريداللّه أن يحقّ الحقّ بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليحقّ الحقّ و يبطل الباطل و لوكره المجرمون» الأنفال: ۷-۸).

و من المعلوم لمن له أدنى تأمّل في الآية الكريمة: أنّ ظهور الإسلام على الأديان كلّها، وإحقاق الحقّ كلّه بكلمات الله جلّ و علا، و قطع دابر الكافرين و إبطال الباطل كلّه... لم تتحقّق إلى اليوم، و لولا تتحقّق بعده لكانت تلك البشارات كذباً، و لاتتحقّق إلاّ بيد بقيّة الله الأعظم المهدى المنتظر الحجّة بن الحسن العسكرى عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، كماتدلّ على ذلك صيغ المضارع في الآيات الكريمة...

و في المقام روايات كثيرة عن طريق العامّة، فضلاً عن طريق شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فمن أرادها فليراجع إلى كتاب (معجم أحاديث الإمام المهدي(عليه السلام)) تأليف و نشر مؤسسّة المعارف الإسلامية.

و من تلك الرّوايات الواردة عن طريق العامة ماورووه في أسانيدهم عن حذيفة قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «يا حذيفة لو لم يبق من الدّنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يملك رجل من أهل بيتي، تجري الملاحم على يديه، و يُظهِر الإسلام لا يُخلِفُ وعده و هو سريع الحساب».

و في هذه الليلة المباركة أسرار تدعوا المؤمنين الصّادقين إلى تكريمها من أجلها، و فيها تفتح أبواب بركات السّمآء، و يملأ الفضآء نوراً و إن لم يره الأعمى، و لم يستضيء الظّالم، و كره المجرم ... و في هذه الليلة المباركة تولّد من بيمنه رُزق الورى، و بوجوده ثبتت الأرض و السّمآء، و إنّما هذه الليلة المباركة هي مبدأ الرّحمة الالهيّة الشّاملة الّتي تستنقذ الإنسانيّة كلّها من ربقة الشّرك و الطغيان، و الكفر و العصيان، و الإثم و

العدوان... و تأخذ بأيدى الحيارى إلى مسالك واضحة المعالم، شريفة الغايات و الأهداف ... يستشعرون فيها برد الطمأنينة، و راحة السّكينة، و استرجاع الرّشد العاذب، و ربّما كان من أجل تلك المعاني الشريفة و المعارف العالية في هذه الليلة المباركة جعل قيامها ستراً للعيوب و غفراناً للذنوب، و سبباً لنزول البركات ...

٥- عن قتادة أيضاً و ابن زيد: أي أنزل الله القرآن كلّه في ليلة القدر من أمّ الكتاب إلى بيت العزّة في سمآءِ الدّنيا، ثمّ أنزل الله على نبيّه﴿ﷺ﴾ في اللّيالى و الأيّام في ثلاث و عشرين سنة.

٦- قيل: أي كان ينزل في كلّ ليلة القدر ما ينزل في سآئر السّنة. ٧- قيل: أى كان إبتداء الإنزال في هذه الليلة بأن يكون المراد بنزول الكتاب في ليلة مباركة إفتتاح نزوله التّدريجيّ في ليلة القدر من شهر رمضان، فأوّل ما نزل من آيات القرآن - و هو سورة العلق أو سورة الحمد - نزل في ليلة القدر. ٨- قيل: أى أنزل الله تعالى القرآن كلّه دفعة واحدة في ليلة النّصف من شعبان المعظّم، ثمّ أظهر بعثة محمد﴿ﷺ﴾ في السّابع و العشرين من رجب المرجب بنزول خمس آيات اولى من سورة العلق، ثم سورة الفاتحة للصّلاة، ثمّ كان ينزل القرآن كلّه دفعة واحدة في ليلة قدر كلّ سنة من سنيى البعثة المحمّديّة، مع إنزاله نجوماً في مدّة ثلاث و عشرين سنة.

٩- قيل: أي أنزل ما يحتاجون إليه في كلّ سنة في هذه الليلة المباركة، ثمّ أنزله شيئاً فشيئاً وقت الحاجة، و إنّما انزل في هذه الليلة خصوصاً لأنّ إنزال القرآن أشرف الأُمور الحكميّة، و في هذه الليلة يزيد الله تعالى ماء زمزم زيادة ظاهرة. ١٠- قيل: أي إبتدأ بانتساخ القرآن من اللّوح المحفوظ ليلة البراءة و هي ليلة النّصف من شعبان، و وقع الفراغ في ليلة القدر، و انّ تسمية ليلة القدر هي تسمية علميّة، و أنّه كان لهذه الليلة خطورة دينيّة ما في أذهان السّامعين.

١١- قيل: ليلة مباركة هي فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها. ١٢- قيل: أي أنزلناه مرّة في ليلة القدر إجمالاً، و مرّة أُخرى في مدّة ثلاث و عشرين سنة تفصيلاً. ١٣- عن الحسن البصريّ: أى أنزلناه في ليلة مباركة من كلّ شهر رمضان فيها تقسم الآجال و

الأرزاق و غيرهما من الألطاف ... ١٤- قيل: إنّ للقرآن الكريم ثلاث مراحل:

١- أعلاها امّ الكتاب: «و إنّه في امّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» الزخرف: ٤). ٢- أوسطها محكم الكتاب، و قد أنزل من امّ الكتاب حكيماً في ليلة مباركة هى ليلة القدر: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة» و «إنّا أنزلناه في ليلة القدر». ٣- أدناها تفصيل الكتاب، نزل طول البعثة قرآناً عربياً: «إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً» الزّخرف: ٣) و مهما تشترك الحواميم السّبع في نزول القرآن تِلْوها، فالدّخان تختصّ من بينها بنزول الإنزال - المحكم - في ليلة مباركة، و السّتّ الأُخرى بنزول التّنزيل طول البعثة. و محكم القرآن لم ينزل إلاّ مرّة واحدة و هى ليلة القدر و هي ليلة مباركة من رمضان.

أقول: و الرّابع هو ما يستظهر من الآيات القرآنيّة و الرّوايات الواردة في المقام، فتدبّر جيّداً و لا تغفل.

و في وصف الليلة بالبركة: «في ليلة مباركة» أقوال: ١- قيل: لما أنّ نزول القرآن الكريم فيها بركة و رحمة. ٢- قيل - لما فيها من تنزّل الملآئكة و الرّحمة و إجابة الدّعوة. ٣- قيل: أى لتقسيم النّعمة و فصل الأقضية و تقسيم الأرزاق و تعيين الآجال في هذه الليلة. ٤- قيل: لفضيلة العبادة و إعطآءِ تمام الشّفاعة لرسول الله (ﷺ) فيها. ٥- قيل: لزيادة ظاهرة على مآءِ زمزم في هذه الليلة.

٦- قيل: أى كون الليلة مباركة ظرفيّتها للخير الكثير الّذي ينبسط على الخلق من الرّحمة الواسعة الّتى تنمو بها الأرواح و الأجسام، و هي إحدى الليالى من شهر رمضان كما قال تعالى: «شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن» البقرة: ١٨٥) ثمّ نزل منجّماً بعد ذلك في ثلاث و عشرين سنة بحسب الوقائع و الأسباب حالاً فحالاً. و تقع هذه الليلة في كلّ سنة مرّة واحدة في شهر رمضان، و أمّا كونها في أيّة ليلة من لياليه فلا إشعار في كلامه تعالى بذلك. فوصفها بالبركة لما ينزل فيها على عباده من البركات و الخيرات و المغفرة و الثّواب و الرّحمة، و لأنّ الله تعالى يقسّم فيها نعمه على عباده من السّنة إلى السّنة، فتدوم بركاتها طولها، و البركة نماء الخير، و ضدّها الشّوم و هو نماء الشّرّ، و المباركة: الكثيرة الخير و البركة. و ذلك أنّ الأيّام و الأزمنة، و الليالي و الأمكنة لا فضل

لواحد منها على الآخر من حيث هو زمان أو مكان، فإنّ شرف المكان بالمكين، و كرامة الظّرف بمظروفه، ففضل كلّ باعتبار ما حلّ به من عبادة أو ظهور حكمة أو علم أو عمل صالح ... فتوصيف الليلة بالمباركة باعتبار ما يفرق فيها من كلّ أمر حكيم.

٧- قيل: سمّيت ليلة نزول الوحي من مبدئه إلى البيت المعمور من دون واسطة، في النّصف من شهر شعبان المعظّم، توطئة لنزوله على قلب محمّد﴿ﷺ﴾ بواسطة أمين الوحي في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، مباركة لبركة ما نزل في هذه اللّيلة من القرآن المبارك إلى البيت المعمور أو في قلب الرّسول﴿ﷺ﴾ و لو لم يوجد فيها إلاّ إنزال القرآن المجيد لكفى به بركة: «كتاب أنزلنا إليك مبارك ليدبّروا آياته و ليتذكّر اولوا الألباب» ص: ٢٩) فالليلة الّتي انزل فيها كتاب الله جلّ و علا مباركة ينمي فيها الحقّ و الهدى و الخير و الصّلاح، و الصّواب و الرّشاد ... على ما دبّر الله تعالى لها من علوّ مـرتبتها، و استجابة الدّعآء فيها، و تنزّل الملآئكة فيها، و لظهور الرّحمة و البركة من الهداية و العدالة في العالم بهذه الليلة.

٨- قيل: إنّ إنزال القرآن الكريم في هذه الليلة سوآء أكانت ليلة النّـصف مـن شعبان المعظّم أم ليلة القدر من رمضان المبارك إشارة إلى إنزال العقل القـرآنيّ الجـامع للحقائق كلّها، و إلى إنزال العقل الفرقانيّ المفصل لمراتب الوجود المبين لتفاصيل الصّفات و أحكام تجلّياتها، جرت عادته جلّ و علا على قضآء كلّ أمر خطير محكم من أوامره فيها.

**أقول:** و الكلام في السّابع هو الكلام في الرّابع المتقدّم فتأمّل جيّداً.

و في قوله عزّ و جلّ: «إنّا كنّا منذرين» أقوال: ١- قيل: أى مخوّفين بما أنزلناه من تعذيب العصاة، و الإنذار هو الإعلام بموضع الخوف ليتّقي، و موضع الأمن ليجتبى، فالله تعالى قد أنذر عباده بأتمّ الإنذار من طريق العقل و السّمع، و أتمّ الحجّة عليهم فلا عذر لهم بعد ذلك. ٢- قيل: أُريد بالإنذار هنا تنبيه النّاس. ٣- قيل: أي إنّا كنّا معلمين النّاس ما ينفعهم فيعلمون به، و ما يضرّهم، فيجتنبونه لتقوم حجّةالله على عباده.

**أقول:** و لكلٍ وجهٌ من دون تنافٍ بينها.

٤- (فيها يفرق كلّ أمر حكيم)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس و الحسن و قتادة و مجاهد و أبي مالك: أى يحكم الله أمر الدّنيا إلى قابل في ليلة القدر من أرزاق العباد و آجالهم و جميع أُمورهم و قضاء الأقضية و غيرها من أُمور السّنة، من هذه الليلة إلى مثلها في السّنة المقبلة فيحكم في هذه الليلة بحيث يرى الرّجل يمشى في الأسواق، و قد وقع إسمه في الموتى.

٢- قيل: أى في هذه الليلة المباركة - سوآء أكانت نصف شعبان أو ليلة القدر في رمضان - يفرق كلّ أمر محكم بأنّه تعالى يقسم فيها الأرزاق و الآجال و غيرهما ... فالحكيم ههنا بمعنى محكم لايستطاع أن يطعن فيه بحال، و لا فيه تغيير و لا تبديل، و يبيّن فيها التّشريع الكامل الّذي فيه صلاح العباد كلّهم و هدايتهم و سعادتهم، و النّافع لهم في دنياهم و آخرتهم.

٣- قيل: أى يقدّر الله تعالى في هذه الليلة المباركة كلّ أمر من الحقّ و الباطل، من الخير و الشّرّ، من السّعادة و الشّقاء، و من الشّدّة و الرّخآء ... و ما يكون إلى مثلها في تلك السّنة و له تعالى فيه البداء و المشيئة يقدّم ما يشآء و يؤخّر ما يشآء من الآجال و الأرزاق و البلايا و الأعراض و الأمراض ... و يزيد فيها ما يشآء و ينقص ما يشآء و يلقيه رسول الله(صلى الله عليه و آله) إلى أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب(عليه السلام) و يلقيه أميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و احداً بعد واحد حتىّ ينتهى ذلك إلى ناموس العصر و مدار الدّهر صاحب الزّمان عجل اللّه تعالى فرجه الشّريف و يشترط له ما فيه البدآء و المشيئة و التّقديم و التّأخير.

٤- قيل: أى يقضى في هذه الليلة كلّ أمر حكيم أى خطير محكم من أوامره فيها لا تلحقها زيادة و لا نقصان، ففيها يقضى الله تعالى كلّ خلق و أجل و رزق و عمل إلى مثلها في السّنة القابلة. فالمراد بكون الأمر حكيماً إحكامه بعد الفرق لا الإحكام الّذي قبل التفصيل.

٥- قيل: فرق الأمر: قطعه، و الفصل فيه، و منه الفاروق الّذي يفرق بين الحقّ و الباطل ... و المعنى: أنّه في هذه الليلة المباركة يُقضىٰ و يُفصَل كلّ أمر حكيم أى مُحكَمٌ لا

يُنقض و لا يُبَدَّل. و المراد بالأمر الحكيم هنا هو القرآن الكريم الّذي إبتداء نزوله في ليلة القدر، و سُمِّيَ حكيماً لأنّه قآئم على الحكمة الإلهيّة، مقدّر بقدرها، و لأنّه كلام الله الّذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه» فصّلت: ٤٢) و «لا تبديل لكمات الله» يونس: ٦٤).

٦- قيل: أى يقرّر في ليلة القدر أمر السّنة إلى السّنة كلّها: من يموت، و من يُولَد، و من يعزّ و من يذلّ، و مِن إقبال دولة و إدبارها، و وقوع حوادث و رفعها، و مصآئب و معآئش ... ٧- عن ابن عبّاس أيضاً: أى يُفصَل في ليلة القدر الامور الهامّة من سنة إلى سنة. ٨- عن عكرمة: أى يبرم في ليلة نصف شعبان أمر السّنة، و ينسخ الأحيآء من الأموات، و يكتب الحاجّ، فلا يزاد فيهم أحد، و لا ينقص منهم أحد، فيؤذن للحاجّ ببيت الله الحرام في هذه الليلة فيكتبون بأسمآئهم و أسمآءِ آبآئهم، فلا يغادر تلك الليلة أحد ممّن كتب. ٩- عن أبي عبدالرّحمن: أى يدبّر أمر السّنة في ليلة القدر. ١٠- قيل: أى يفرق كلّ أمر ذي حكمة، أهمّها إنزال القرآن، فإنزاله من الامور الحكيمة، و هذه الليلة مفرّق كلّ أمر حكيم.

١١- قيل: إنّ الفرق هو فصل الشّيء من الشّيء بحيث يتمايزان، و يقابله الإحكام فالأمر الحكيم ما لا يتميّز بعض أجزآئه من بعض، و لا يتعيّن خصوصيّاته و أحواله كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: «و إن من شيء إلاّ عندنا خزآئنه و ما ننزّله إلاّ بقدر معلوم» الحجر: ٢١).

و إنّ للأُمور بحسب القضآء الالهي مرحلتين: مرحلة الإبهام و الإجمال، و مرحلة التّبيين و التّفصيل، و في ليلة القدر تخرج الامور من مرحلة الإحكام إلى مرحلة الفرق و التّفصيل، و قد نزل فيها القرآن، و هو أمر من الامور المحكمة فرق في ليلة القدر، و لعلّ الله تعالى إطّلع نبيّه ﴿صلّی الله علیه و آله﴾ على جزئيّات الحوادث الّتي ستقع في زمان دعوته، و ما يقارن منها نزول كلّ آية أو آيات أو سورة من كتابه، فيستدعي نزولها و أطلعه على ما ينزل منها، فيكون القرآن نازلاً عليه دفعة و جملة، قبل نزوله تدريجاً و مفرّقاً. و مآل هذا الوجه هو إطّلاع النبيّ ﴿صلّی الله علیه و آله﴾ على القرآن في مرحلة نزوله إلى القضآءِ التّفصيليّ قبل

نزوله على الأرض و استقراره في مرحلة العين، و على هذا الوجه لا حاجة إلى تفريق المرّتين بالإجمال و التفصيل.

۱۲- قيل: أُريد بقوله تعالى: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» تفصيل الأُمور المبيّنة في القرآن من معارف و حِكَم و أحكام و ما إليها ... قال بعض المعاصرين: إنّه مدفوع بظاهر قوله تعالى: «فيها يفرق» حيث إنّ صيغة المضارع: «يفرق» تفيد الإستمرار، و الّذي يستمرّ في هذه الليلة بتكرّرها تفصيل الامور الكونيّة بعد إحكامها، و أمّا المعارف و الأحكام الإلهيّة فلا إستمرار في تفصيلها، فلو كان المراد فرقها كان الأنسب أن يقال: «فيها فرق» إنتهى كلامه.

**أقول:** و هذا ليس بشيء حيث إنّ الزّمان يفسّر القرآن، مع أنّ المعارف و الحِكَم و الأحكام و ما إليها ممّا لم يفسّر و لم يُعلم بعد أكثر و أكثر ممّا فُسِّرَ و عُلِمَ إلى الآن جدّاً، مضافاً إلى أنّ كلّ أمر حكيم مطلقاً يعرض على صاحب الزّمان﴿عليه السلام﴾ في ليلة مباركة من كلّ سنة، سوآء أكانت هى ليلة النّصف من شعبان المعظّم أم ليلة القدر من رمضان المبارك فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً و لا تغفل.

۱۳- قيل: أى كلّ أمر له شأن، ذوحكمة أي ما تقتضيه الحكمة من أرزاق العباد و آجالهم و جميع أُمورهم إلى العالم القابل، فيدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، و نسخة الحروب و الزّلازل و الصّواعق و الخسوف إلى جبرائيل، و نسخة الأعمال إلى إسمعيل صاحب سمآءِ الدّنيا، و نسخة المصآئب إلى ملك الموت. و وصف الأمر بالحكيم مجاز لأنّ الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة.

۱٤- قيل: أى يقدّر كلّ أمر محكم.

۱٥- قيل: أى يعطي كلّ عامل بركات أعماله، فيلقى على ألسنة الخلق مدحه، و على قلوبهم هيبته.

۱٦- عن ابن عمر: أى يفرق كلّ أمر حكيم الاّ الشّقاءِ و السّعادة فإنّهما لايتغيّران، بأنّ الله أمر الملآئكة بما يكون في ذلك العالم، و لم يزل ذلك في علمه تعالى.

۱۷- عن ابن عبّاس أيضاً: أى يكتب من أُمّ الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السّنة من

رزق أو موت أوحياة أو مطر حتّى يكتب الحاجّ يحجّ فلان و يحجّ فلان. ١٨- عن مجاهد أيضاً: أى يفرق في ليلة القدر ما يكون من السّنة إلى السّنة إلاّ الحياة و الموت يفرق فيها المعايش و المصآئب كلّها ...

١٩- قيل: أى يجد الرّجل ينكح النّسآء و يفرش الفرش، و إسمه في الأموات....

٢٠- عن أبي نضرة: أى يفرق أمر السّنة في كلّ ليلة القدر، خيرها و شرّها و رزقها و أجلها و بلآؤها و رخآؤها و معاشها إلى مثلها من السّنة، فيقدّر فيها كلّ شيء يكون في تلك السّنة. ٢١- قيل: أى يقدّر كلّ أمر يوافق الحكمة. ٢٢- قيل: أى يفصّل مجمل القرآن و يفرّقه من متشابهه و يقدّر الأشيآء و يبيّن أحكام خصوص الوقآئع الّتي تصيب الخلق في تلك السّنة إلى ليلة القدر الآتية.

**أقول:** و الثّالث هو المؤيّد بالرّوايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فتدبّر جيّداً.

**٥- (أمراً من عندنا إنّا كنا مرسلين)**

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أى بياناً منّا نبيّن لجبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت ماهم موكلّون عليه من سنة إلى سنة إنّا كنّا مرسلين الرّسل بالكتب. ٢- قيل: الأمرهنا بمعنى الفرق أى يفرق فرقاً من عندنا إنّا كنّا مرسلين الرّسل كلّهم: محمّداً(ﷺ) و مَن قبله. ٣- قيل: الأمر هو القرآن أنزله الله تعالى من عنده إلى البيت المعمور في ليلة النّصف من شعبان، ثمّ إلى قلب محمّد(ﷺ) في ليلة القدر من رمضان. و المعنى: أنزلناه إنزالاً.

٤- قيل: الأمرهنا هو كلّ أمر حكيم قضاه الله جلّ و علا في الليلة المباركة من أحوال عباده و أرزاقهم و آجالهم و جميع أُمورهم ... في كلّ سنة، فيعمّ أمر الفعل، و أمر الحكم مقابل النّهي، و أمر الشّيء، فينزل مثلّث الأمر الحكيم، فيفرقه لوليّ الأمر عن حكمته إلى تفصيله، فلكلّ سنة من سني الامّة امور و أوامر حكيمة ليست من صلب الشّرع و أصله، يفرقها الله تعالى لوليّ الأمر نبيّاً في زمنه، و إماماً معصوماً(ع) بعد

النّبيّ«صلى الله عليه و آله و سلم» في كلّ عصر إلى يوم القيامة و ممّا يدل على تقاسم الأمر كلّه لدى وليّ الأمر و ناموس الدّهر، و صاحب العصر من دآئب هو لزام ولايته و إمرأته على المسلمين رسالة و إمامة، و من غيره هو لزامه المتجدّد في كلّ عام.

٥- قيل: أى آمرين به أو ماموراً به فأُريد بالأمر ضدّ النّهي، فوضع موضع مصدر «يفرق» حيث إنّ الأمر و الفرق واحد لأنّ من حكم بالشّيء و فصله و كتبه فقد أمر به و أو جبه. و المعنى: يفرق فيها كلّ أمر بأمر منّا. ٦- قيل: إنّ الله تعالى جعل كلّ أمر جزلاً فخماً بأن وصفه بالحكيم، ثمّ زاده جزالة و كسبه فخامة بأن قال: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا كآئناً من لدنّا، و كما إقتضاه علمنا و تدبيرنا إنّا كنّا مرسلي رسولنا محمّد«صلى الله عليه و آله و سلم». ٧- قيل: أى إنّا نأمر ببيان ذلك و نسخه من اللوح المحفوظ إنّا كنّا مرسلين محمّداً«صلى الله عليه و آله و سلم» إلى عبادنا كمن كان قبله من الأنبيآءِ و المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين. ٨- قيل: أُريد بالأمر هنا الشّأن، فـ«أمراً» حال من الأمر السّابق: «في كلّ أمر» و المعنى: في الليلة المباركة يفرق كلّ أمر حالكونه أمراً من عندنا و مبتدأً من لدنّا. ٩- قيل: أى إنّا أنزلنا القرآن أمراً من عندنا لأنّ سنّتنا الجارية إنزال الكتب و إرسال الرّسل ... فـ «أمراً» متعلّق بـ«أنزلناه» أى حالكون الكتاب أمراً أو بأمر من عندنا، و يؤيّده قوله: «إنّا كنّا مرسلين» و يكون تعليلاً له.

**أقول:** و الرّابع هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٦-(رحمة من ربّك إنّه هو السّميع العليم)

**في قوله تعالى:** «رحمة» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أى أرسلنا الرّسل بالكتب نعمة منّا بعبادنا. و سمّيت النّعمة رحمة لأنّها بمنزلة ما يبعث على فعله رقّة القلب على صاحبه و مع الدّاعي الحكمة إلى الإحسان إليه يؤكّد أمره. ٢- عن ابن عبّاس أيضاً: أى رأفة منّا عليهم بما بعثنا إليهم من الرّسل. ٣- قيل: أى رحمناهم رحمة. و نصبه حال أى راحمين رحمة بهم أو مفعول لأجله أى أنزلناه لأجل إفاضة الرّحمة على النّاس أو

لاقتضآءِ رحمة ربّك إنزاله. ٤- قيل: أى أرسلنا إلى النّاس رحمة و النّبىّ﴿ﷺ﴾ هو الرّحمة إذ قال: «و ما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» الأنبيآء: ۱۰۷).

٥- قيل: أى أرسلنا رسلنا إلى النّاس حالكوننا ذوى رحمة. ٦- قيل: أى إذا أرسلنا الرّسول﴿ﷺ﴾ بالكتاب المبين رحمة منّا لعبادنا حتىّ يستبين به لهم ما يضرّهم و ما ينفعهم، و حتّى لا يكون لهم حجّة بعد إرسال الرّسول به، و رحمة محمّد﴿ﷺ﴾ من رحمة القرآن الّتي عمّت الأرض شرقها و غربها. ٧- قيل: إنّ هنا ستّة امور:
۱- إنزال الكتاب المبين. ٢- إنزاله في الليلة المباركة. ٣- إنذار النّاس به. ٤- فرق كلّ أمر حكيم في هذه الليلة. ٥- أمراً من عندنا. ٦- الإرسال. فكلّها رحمة مصحوبة بتربية الاُمّة.

**أقول:** و السّابع هو الأنسب بظاهر السّياق.

### ٧- (ربّ السّموات و الأرض و ما بينهما إن كنتم موقنين)

و فى **قوله تعالى:** «إن كنتم موقنين» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: إنّ الخطاب متوجّه إلى المعترفين بأنّ الله تعالى ربّ السّموات و الأرض. و المعنى: إن كنتم موقنين مصدّقين بوحدانيته في الرّبوبيّة بأنّ للسّموات و للأرض ربّاً و خالقاً عن معرفة و إيقان، فاعلموا أنّ له أن يرسل الرّسل، و ينزل الكتب و أيقنوا بما أخبرتكم. ٢- قيل: خطاب للمنكرين بأنّه الخالق. و المعنى: ينبغي أن يعرفوا أنّه الخالق و أنّه الّذي يميت و يحيى. ٣- قيل: خطاب لمن يريد اليقين و يطلبه. و المعنى: إن كنتم تطلبون معرفة ذلك، معرفة يقين لا شكّ فيه. كما تقول: فلان ينجد أى يريد نجداً، و يُتهِم أى يريد تهامة. و المعنى: إن كنتم تريدون اليقين فاعلموا ذلك.

و هذا طريق اليقين يلج الصّدور بالعلم و هو حال يجده الإنسان من نفسه عند التّعقّل، و لهذا يقال: من وجد برد اليقين كان من المتّقين، و لذلك لا يوصف الله تعالى باليقين، و إن وصف بأنّه عالم و عليم.

٤- قيل: أى إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أنّ ربّكم ربّ السّموات و الأرض فإنّ الّذي أخبرتكم أنّ الله هو الّذي هذه الصّفات صفاته، و أنّ هذا القرآن تنزيله و محمّداً﴿ﷺ﴾ رسوله حقّ يقين، فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقآئق الأشيآءِ غيره. ٥- قيل: أى إن كانت لكم عقول تؤمن و توقن بالحقّ، و دلائله القآئمة في كلّ شيء من أشياء الكون. ٦- قيل: أى إن كنتم موقنين بهذا الخبر محقّقين له، و هو أنّه لاإله إلاّ هو. و ذلك أنّهم كانوا مقرّين بأنّه تعالى ربّ السّموات و الأرض، قيل لهم: إن كنتم على بصيرة و إيقان من ذلك فلا تشكّوا فيه.

٧- قيل: أى إن كنتم موقنين بالرّبّ الإله حيث إنّ الشّرك في الرّبوبيّة مع العلم بأنّ ربّك هو خالق الكون و مدبّره كلّه ينافي الإيقان بربوبيّته، فالألوهيّة الوحيدة لزامها الرّبوبيّة الوحيدة. ٨- قيل: أى هو الّذى يعرفه الموقنون بأنّه وحده ربّ السّموات و الأرض و ما بينهما إن كنتم منهم عرفتموه بأنّه ربّ كلّ شيء. و هذا من قبيل قولنا: هذا إنعام زيد الّذي تسامع النّاس بكرمه، و إشتهروا سخآئه إن بلغك حديثه و حدّثت بقصّته. ٩- قيل: أى إن كنتم موقنين علمتم أن الأمر كما قلنا.

١٠- قيل: أى إن كنتم موقنين و مصدّقين بأنّ الله تعالى وحده رب السّموات و الأرض فأيقنوا بأنّ محمّداً رسول الله﴿ﷺ﴾. ١١- قيل: أى إن كنتم من أهل الإيقان في العلوم فلا تشكّوا في الله تعالى.

**أقول:** و الثّامن هو الأنسب بظاهر السّياق، من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر فتأملّ جيّداً.

**٨- (بل هم في شكٍّ يلعبون)**

فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عبّاس: أى بل هؤلآءِ المشركون العرب في شكّ من قيام السّاعة و يهزؤن بقيام السّاعة. ٢- قيل: أى ليسوا على يقين فيما يظهرونه من الإيمان و الإقرار فى قولهم: إنّ الله خالقهم، و إنّما يقولونه لتقليد آبآئهم من غير علم، فهم في شكّ و إن توهّموا أنّهم مؤمنون، فهم يلعبون في دينهم بما يغن لهم من غير حجّة.

٣- قيل: أى يضيفون إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ الإفتراء إستهزآءً و يقال لمن أوفى عن المواعظ: لاعب و هو كالصّبيّ الّذي يلعب، و يفعل مالا يدرى عاقبته. ٤- قيل: أى يلعبون بالدّنيا و يتردّدون فى أحوالها...

٥- قيل: أى يستهزؤن بنا. ٦- قيل: أى يلهون بشكّهم في الّذي يخبرون به من ذلك فليسوا موقنين لما ارتطموا فيه من الشّكّ و اللعب، بل هم في شكّ بحسب ضمآئرهم... ٧- قيل: أى بل هم في شكّ مما ذكر من شئونه تعالى، غير موقنين في إقرارهم يلعبون بأنّ إقرارهم لايصدر عن علم و حقيقة. فلا يقولون ما يقولون عن جدّ و إذعان بل هو قول مخلوط بلعب وهزء. ٨- قيل: إنّ كلمة «يلعبون» تومىء إلى أنّ مَن يدّعى الايمان بالله و يتّكل على سواه فهو غير واثق من خالقه تماماً كمن يلهو بشىء و هو على علم بأنّه لايجدي نفعاً. ٩- عن الجبآئي: أى بل هم في شكّ مّما أخبرناك به و وصفنا الله تعالى به، يلعبون مع ذلك، و يستهزؤن بك، و يسخرون من القرآن إذا قُرِىءَ. ١٠- قيل: أى بل هم في شكّ من وحدة الرّبوبيّة رغم الإقرار بوحدة الأُلوهيّة، يلعبون بساحة الأُلوهيّة كأنّه إقتسم ربوبيّة ما هو إلهه و خالقه بينه و بين خلقه. ١١- قيل: أى بل هم لايوقنون و لايؤمنون بما ذكر من رسالة الرّسول ﴿ﷺ﴾ و صفة الكتاب الّذي انزل عليه بل هم في شكّ و ارتياب فيه، يلعبون بالإشتغال بدنياهم. ١٢- قيل: أى بل هم في شكٍّ مّاذكرناه مّما يكون في اللّيلة المباركة.

**اقول:** و الثّاني عشر هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تناف بينه و بين بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

**٩- (فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخانٍ مبين)**

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن مسعود و قتادة و الضّحّاك و مجاهد: أُريد بالدّخان هنا يوم شدّة و مجاعة، فإنّ الجائع يرى بينه وبين السّمآءِ كهيئة الدّخان من ضعف بصره. فالآية الكريمة إخبار بقحط و مجاعة أصابت المشركين العرب بسوءِ أعمالهم... و ذلك أنّ الدّخان: الظّلمة الّتي كانت تغشى أبصار المشركين العرب لشدّة

الجوع، حتّى كأنّهم كانوا يرون دخاناً، فإنّ الإنسان إذا اشتدّ خوفه أو ضعفه أظلمت عيناه و رأى الدّنيا كالمملوة دخاناً. فلمّا عصى المشركون و طغوا و آذوا رسول‌الله(صلّی الله علیه و آله و سلّم) و المؤمنين به، و أصرّوا على الشّرك و الطّغيان، على التّكذيب و العصيان، على البغى و العدوان و على العناد و اللّجاج... دعا عليهم رسول الله(صلّی الله علیه و آله و سلّم) فقال: «اللّهمّ سنين كسني يوسف» فاستجاب تعالى له(صلّی الله علیه و آله و سلّم) و قطع عنهم المطر، فأصابهم الجهد و الجوع حتّى أكلوا العظام و الميتة، و جعلوا يرفعون أبصارهم إلى السّمآءِ، فلا يرون إلا الدّخان أو يرون بينهم و بين السّمآء كهيئة الدّخان من الجَهْد و الجوع، و قيل: سمّى دخاناً ليبس الأرض منه يرتفع منها الدّخان. أو لأنّ الهواء يظلم عام القحط لقلّة الأمطار و كثرة الغبار و المعنى: فانتظر أيّها الرّسول يوم يأتي الجدب و المجاعة الّتي تجعل الجائع من هؤلآءِ المشركين يرى بينه و بين السّمآء كهيئة الدّخان المنتشرة في الفضآء... ٢- عن ابن عبّاس و أبي سعيد و الجبائى و ابن عمر و الحسن و ابن أبي مليكة: الدّخان آية من أشراط السّاعة بأن يظهر الدّخان قبل قيام السّاعة، و لم يأت بعد، فيأتي فيدخل في مسامع الكافر و المنافق حتّى يكون كالرأس الحنيذ، و قيل: يدخل الدّخان فى أُنوفهم فيثقب مسامعهم و يضيق أنفسهم فصاروا كالسّكارى و هو من آثار جهنّم يوم القيامة، و يصيب المؤمن منه مثل الزّكام، فتكون الأرض يومئذ كلّها كبيت أو قد فيه، ليس فيه ثقبة و لاخلل و لافرجة، و يمكث ذلك أربعين يوماً فيوم الدّخان هو قبل القيامة الكبرى فهي تتلوه: «يوم نبطش البطشة الكبرى» الدّخان: ١٦) فبطشة الدّخان ليست من الكبرى، ثمّ و لاكشف للعذاب يوم القيامة و لو قليلاً ليختبر بهذا الكشف أهل النّار ما عندهم من وفآءٍ أو نكث بما عاهدوا الله عليه إن كشف الضّرّ عنهم، و الدّار الآخرة دار جزآء و ليست بدار إبتلاءٍ و اختبار. و يوم الدّخان: «إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عائدون»: ١٥) و هذا يعني أنّ المراد من الكشف هنا هو كشف عذاب وقع بالقوم في الحياة الدّنيا.

فبطشة الدّخان قد تكشف قليلاً و هي في أقل من الكبرى، فليست هى الأُخرى، و قد يعني بطش الدّخان المبين العذاب الأدنى: «و لنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون

العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون» السّجدة: ٢١) أو أنّه العذاب دون الأكبر، و ليس الأدنى، اللّهمّ الاّ أن يعنى من الأدنى ضمنها قياساً إلى الأكبر. و ممّا يؤكّد أنّه من أشراط السّاعة المستقبلة قوله تعالى: «مبين» قد يعني إيانة الدّخان عن أمر غير مباين، و أهمّه السّاعة، فدخان السّاعة رَجْعٌ للسّمآءِ: «و السّمآءِ ذات الرّجع» الطارق: ١١) إلى ما كانت من دخان الغاز، و دونه دخان من أشرط السّاعة كما أنّ إنشقاق القمر من قبله، و من أشراط إنشقاقه عند السّاعة، و لكن أين دخان من دخان، و إنشقاق من اِنشقاق إلاّ أنّهما من أشراطها ...

مع أنّ قوله عزّ و جلّ: «يوم نبطش البطشة الكبرى» و عيد من الله تعالى لهؤلآءِ المشركين العرب الّذين نقضوا ما عاهدوا الله عليه بأن يؤمنوا إذا كشف الضّرّ عنهم، فلمّا كشف عنهم الضّرّ عادوا إلى مانهوا عنه، فالفعل الّذى وقع الوعيد عليه كان في الدّنيا إذ لا وعيد على ما يقع من النّاس في الآخرة.

٣- أى إصبر يوم تأتي السّمآء بدخان عظيم يملأ الجوّ، و ذلك إذا خرجوا في الرّجعة من القبر. ٤- قيل: عن إبن مسعود أيضاً و أبي العالية: اريد بيوم الدّخان يوم بدر. فآية الدّخان قد مضت. ٥- قيل: إنّ المراد بيوم الدّخان، يوم فتح مكّة حين دخل جيش المسلمين مكّة، فارتفع الغبار كالدّخان المظلم. و عن عبدالرّحمن الأعرج: إنّه يوم فتح مكّة لما حجبت السّمآء الغبرة. و المعنى: إحفظ أيّها الرّسول﴿صلى الله عليه وآله﴾ قول هؤلآءِ المشركين هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السمآء بدخان مبين يوم فتح مكّة. و لذلك سمّيَ الحافظ رقيباً.

٦- قيل: اُريد بيوم الدّخان يوم القيامة، و هو ما يطلع على النّاس يوم القيامة من أهوالها و مرجفاتها، فإذا خرجوا من قبورهم يومئذ يحيط بالخلآئق و يغشاهم. ٧- قيل: إنّ المراد بالدّخان هو بخار المآء، فتأتي السّمآء بما كان قبل خلقها. و ذلك أنّ كلمة الدّخان جآئت في موضعين من القرآن الكريم: ١- في هذه السّورة. ٢- في قوله تعالى: «ثمّ استوى إلى السّمآءِ و هى دخان» فصّلت: ١١) فهما واحد أو من سنخ واحد بأن ترجع السّمآء إلى ما كانت دخاناً و هو المستصحب مع اللّهيب: «يوم تبدّل الأرض غير

الأرض و السّموات» إبراهيم: ٤٨) كما قال تعالى: «و السّمآءِ ذات الرّجع» الطارق: ١١) و منه الرّجوع إلى ما ابتدأت دخاناً.

و إلى مثله ذهب بعض الحكمآءِ من القدمآءِ .... قيل: و هذا لا ينافي كلام المتكلّمين من أنّ الأجسام مؤلّفة من الاجزاءِ الّتي لا تتجزّى، لجواز أن يخلق الله تعالى أوّل الأجسام من تلك الجواهر ثمّ تتكوّن باقي الأجسام عن الأجسام الأوّل، و أمّا الحكمآء فلما لم تكن تلك الظّواهر موافقة لمقتضى أدلّتهم لتأخّر وجود العناصر عندهم عن وجود السّموات لا جرم إحتاجوا إلى تأوّلها توفيقاً بينها و بين آرآئهم في ذلك.

٧- قيل: أُريد بالدّخان: الفتنة و الشّرّ الغالب، يعبّر عنه بلفظ الدّخان، و ربما وضعت العرب الدّخان في موضع الشّرّ إذا علا، فيقال: «في بيتنا أمر، إرتفع له دخان» و إنّ العرب تسمّى الشّرّ المتفاقم دخاناً. ٨- قيل: إنّ المراد بالدّخان ما يجيىء في الحروب الكبرى الثّالثة العالمية الّتي قبل يوم القيامة من آلات عظيمة مدمّرة تهلك ثلث النّاس الموجودين يوم ذاك.

**أقول:** و على الأوّل أكثر المفسّرين، من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر مع أنّ صيغة المضارع: «تأتي - يغشى» تفيد التّجدّد و الحدوث فتأمّل جيّداً و لا تغفل.

**١٠- (يغشى النّاس هذا عذاب أليم)**

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عبّاس: النّاس هم المشركون العرب من أهل مكّة، و هذا حكاية قولهم عند نزول عذاب الدّخان. و المراد بـ«أليم» و جيع و هو الجوع. و المعنى: يغشى ذلك الدّخان أى الجوع هؤلآءِ المشركين و يحيط بهم، حالكونهم قائلين: هذا الدّخان عذاب وجيع. ٢- قيل: أُريد بالنّاس كلّهم، و بالدّخان الظّلمة و المعنى: تشمل الظّلمة النّاس أجمعين و تلبسهم، يقول الله تعالى لهم عندئذ: هذا عذاب أليم أى موجع مؤلم. فمن قال: إنّ الدّخان قد مضى فقوله: «هذا عذاب أليم» حكاية حال ماضية. و من جعله مستقبلاً فهو حكاية حال آتية.

يغشى النّاس كلّهم يومئذ ذلك الدّخان أدنى من غشية السّاعة: «هل أتاك حديث الغاشية» الغاشية: ١) «يوم يغشاهم العذاب من فوقهم و من تحت أرجلهم و يقول ذوقوا ما كنتم تعملون» العنكبوت: ٥٥) فيحيط بهم عذاباً أمّا الكفّار و المستكبرون و الفجّار و المجرمون و الفسّاق و المفسدون فلإستحقاقهم لهذا العذاب الأليم في الدّنيا و في الدّار الآخرة و الأبرار و المؤمنون، و الأخيار و المتقون فيغشاهم معهم في الحياة الدّنيا دون الآخرة تخفيفاً عنهم كما ورد و سبق ذكره: «يأخذ المؤمن منه كالزّكمة و أمّا الكافر بمنزلة السّكران يخرج من منخريه و أُذنيه و دبره، فينتفخ حتّى يخرج من كلّ مسمع منه».

فقد اختلف عذاب الدّخان هنا بين المؤمن و الكافر، كما يختلف بينهما يوم القيامة: «يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم إنّ زلزلة السّاعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حمل حملها و ترى النّاس سكارى و ماهم بسكارى و لكنّ عذاب اللّه شديد» الحجّ: ١ - ٢) «و إن منكم إلاّ و اردها كان على ربّك حتماً مقضيّاًثمّ ننجّي الّذين اتّقوا و نذر الظّالمين فيها جثيّاً» مريم: ٧١ - ٧٢).

وحتّى إذا لم يختلف عذاب الدّخان فيالدّنيا، و الزّلزال في الآخرة، فهو للكافر عذاب قبل العذاب الأكبر، و للمؤمن عذاب حتّى يخفّف عنه من العذاب الأكبر، كما في الزّلازل و البركانات الّتي لا تميّز بين مؤمن و كافر، بين صالح و فاسد، و بين متّق و فاجر... و قديشير: «يخشى النّاس هذا عذاب أليم» إلى الأكثريّة السّاحقة من نسناس النّاس حينذاك فإنّه من أشراط السّاعة القريبة إلى الرّجعة، و قيام مدار الدّهر و ناموس العصر، صاحب الزّمان من آل محمّد(ﷺ) الّذي به يملاء الله الأرض قسطاً و عدلاً بعد ماملئت ظلماً و جوراً.

٣- قيل: أُريد بالنّاس الكفّار كلّهم من المشركين العرب و غيرهم، فهم يشعرون يومئذ، بما هو واقع بهم من عذاب الله الأليم، و هم يقولون إذا رأوا العذاب: هذا عذاب أليم.

٤- قيل: هذا إخبار عن دنوّ الأمر كما تقول: هذا الشّتآء فأعدّله. ٥- قيل: هذا منطبق على دخان الحرب الكبرى الماضية، فإنّ الدّخان كان يدخل الخنادق و يحيط

بالمحاربين من كلّ جانب، و يكون قطعاً مظلمة عظيمة كالسّحب العظيمة تحيط بالنّاس.

٦- قيل: أُريد بدخان السّماءِ الغاشي مايحصل في الحرب الكبرى العالميّة الثّالثة الّتي يذهب فيها ثلثا النّاس أو ثلاثة أرباعهم أو سبعة أو تسعة أعشارهم حسب مختلف الحديث: «حتّى إذا فتحت يأجوج و مأجوج و هم من كلّ حدب ينسلون و اقترب الوعد الحقّ فإذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا يا ويلنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنّا ظالمين» الأنبياء: ١٠٦ - ١٠٧) «فإذا جآء و عدربّي جعله دكّاء و كان و عدربّي حقّاً و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض و نفخ في الصّور فجمعنا هم جمعاً» الكهف: ٩٨ - ٩٩).

فنسل يأجوج و مأجوج من كلّ حدب مرتفع، تهجّماً على من تحت كلّ حدب، قديعمل دخاناً غاشياً كعذاب أليم، و كما نرى الطّآئرات الحربية كيف تشعّل ناراً و دخاناً في كلّ حدب؟

و مهما يكن من شيء فدخان السّمآءِ الغاشي كلّ إنسان قبل يوم القيامة من أشراط السّاعة، سوآء أكان من هذه الحرب الكبرى العالميّة أو الثالثة الآتية، و النّسل اليأجوجى أم كان من عوامل الدّخان أُخرى بشريّاً أم إلهيّاً لا علم لنابها.

**أقول:** و على الأوّل أكثر المفسرين، من دون تناف بينه و بين بعض الأقوال الأُخر كالمتقدّم.

## ١١- (ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون)

في «العذاب» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: العذاب هنا هو الجوع. ٢- عن قتادة: أُريد بالعذاب هنا الدّخان. ٣- قيل: إنّ المراد بالعذاب هنا هو الثّلج.

**أقول:** و على الأوّلين جمهور المفسّرين من دون تنافٍ بينهما، حيث إنّ الدّخان كان من الجوع الّذى أصابهم. و إن كان عذاب الدّخان بالنّسبة إلى من انسلك مسالك المشركين العرب من غير العرب نوعاً آخر من أنواع العذاب، فيمكن أن اللام في «العذاب» للعهد، و أن تكون للجنس، فتشمل أنواعه كلاًّ بحسبه فتأمّل جيّداً و لاتغفل.

**١٢-(أنّى لهم الذّكرى و قدجآء هم رسولٌ مبين)**

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أى كيف لهؤلآءِ المشركين العرب العظة و التّوبة إذاكشفنا عنهم عذاب الدّخان، وهم كاذبون فيما يعدون بالايمان: و قد أبان لهم رسولنا﴿ﷺ﴾ ما هو أعظم من حالتهم هذه في وجوب الإدّكار من كشف الدّخان و هو ما ظهر على رسول الله﴿ﷺ﴾ من الآيات البيّنات و المعجزات القاهرات... ٢- قيل: أى أنّى لهم الايمان إذا أهلكنا هم يوم بدر و قدجآء هم محمّد رسول﴿ﷺ﴾ يبيّن لهم كتاباً بلغة يعلمونها، و حثّهم على الايمان بالله تعالى فلم يقبلوا به، و هذا زمان سقوط التّكليف لكونهم ملجئين، فلا تقبل لهم توبة. ٣- قيل: أى أنّى لهم الايمان يوم القيامة، و قد جآء هم رسول بيّن الرّسالة.

٤- عن مجاهد: أى من أين يكون لهم التّذكّر و الإتّعاظ بعد وقوع هذاالبلاءِ، و عند حلول هذا العذاب، و قد جآءهم رسول يبيّن لهم الحقّ، فأنّى لهم الذّكرى في ذلك اليوم. ٥- قيل: أى و كيف يتذكّرون و يتّعظون، و حالهم أنّهم قد جآءهم رسول ظاهر الصّدق و الدّلالة. ٦- قيل: أى و هم كاذبون في قولهم: إنّا مؤمنون إذ أنّى لهم ذكر الايمان حتّى يؤمنوا و يذعنوا بالحقّ، و قد تعرّق الكفر في أعماقهم، حيث « قد جآءهم رسول مبين» لكلّ حقّ كالشّمس في رابعة النّهار لاتقبل الإرتياب، و هو رسول الله﴿ﷺ﴾ جآئهم بالآيات الواضحة...

٧- قيل: أى كيف يتّعظون و يرتدعون أن كشف الله عنهم العذاب، و قد أصرّوا على الشّرك و تكذيب الرّسول﴿ﷺ﴾ مكابرة و عناداً، و قد جآءهم ماهو كاف في رجوعهم إلى الصّواب فلم يرجعوا إذ أرسلنا إليهم رسولاً أتى بالمعجزات، فلم يؤمنوا، و إنّ التّوبة إمّا أن يكون بماينال النّاس من النّوآئب، و إمّا أن تكون بما يتّضح لهم من الحقآئق، و هؤلآءِ قد إتّضحت لهم الحقآئق و وجوه الصّواب، فلم يفقهوا، فأخذنا بالعذاب، فنعاقبهم، و كيف يرجعون بالعقاب، و قد ذكرنا هم بالآيات و ظهور الحقآئق الّتي هي في مجموعها أنجع أثراً من العقاب، فأعرضوا عنها، و لم يؤمنوا و قالوا ما قالوا.

أقول: و السّابع هو الأنسب بظاهر السّياق و في معناه بعض الأقوال الأُخر.

١٣- (ثمّ تولّوا عنه و قالوا معلّمٌ مجنون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن مجاهد: أى ثمّ أعرض هؤلآءِ المشركون العرب عن محمّد رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ فقال بعضهم: إنّ القرآن إنّما يعلّمه غلام روميّ لبعض ثقيف. و قيل: كان يعلّمه غلام أعجميّ إسمه عدّاس. و قال آخرون: إنّه أُصيب بخبل إذ تلقّى إليه الجنّ هذه الكلمات حين يعرض له الغشى. و قيل: علّمه الكهنة و الشّياطين... ٢- قيل: أى ثمّ أعرضوا عن الإستماع إليه، و النّظر فيما بين يديه، و اتّهموه بالكذب و الإفتراء و الجنون. ٣- عن ابن عبّاس: أى أعرضوا عن الايمان به، و قالوا: معلّم يعلّمه جبر و يسار، مجنون مخنوق يختنق.

**أقول:** و لكلّ وجه من دون تنافٍ بينها فتامّل جيّداً.

١٤- (إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عائدون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن مسعود و ابن عبّاس و مقاتل: أى إنّا كاشفوا الجوع و الدّخان عنكم أيّها المشركون العرب زماناً قليلاً يسيراً إلى يوم بدر، فربّما نكشف عنكم العذاب يا أهل مكّة إنّكم عآئدون إلى شرككم و ضلالكم، و إلى كفركم و عنادكم، لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من الابتهال و التّضرّع. فلمّا رفع الله تعالى عنهم العذاب باستسقآءِ النّبي ﴿ﷺ﴾ هم عادوا إلى الشّرك و العصيان فأهلكهم الله يوم بدر. ٢- قيل: إنّ في الآية الكريمة إشارة إلى مايكون من الفرجة بين آية و آية من آيات قيام السّاعة ثمّ من قضى عليه بالكفر لإصراره عليه يستمرّ عليه.

٣- قيل: هذا في الدّار الآخرة أى لو كشفنا عنكم العذاب لعدتم إلى الكفر.

٤- قيل: معنى: «إنّكم عائدون» إلينا أى مبعوثون بعد الموت. ٥- قيل: أى إنّكم عائدون إلى نار جهنّم إن لم تؤمنوا. و عن قتادة: أى عائدون يوم القيامة إلى عذاب الله أى العذاب الأكبر و هو عذاب جهنّم. و القليل مدّة مابين العذابين. ٦- قيل: هذا قبل يوم القيامة. و المعنى: إذا أتت السّمآء بالدّخان قبل يوم القيامة تضرّع المعذّبون به و قالوا: ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا منيبون مؤمنون، فيكشفه الله عنهم، فربّما يكشفه عنهم

يرتدّون. ٧- قيل: أى إنّا كاشفوا العذاب عنكم كشفاً قليلاً إنّكم عائدون إلى الكفر الّذي كنتم فيه لما غلب على طباعكم، و لمّا كان العذاب القليل لم يؤثر، و الإصلاح بالعلم و الإيمان لم يفد أمهلناكم إلى يوم البطشة الكبرى حيث لا توبة بعدها فننتقم يوم البطشة الكبرى.

٨-قيل: أي سندفع أوسنرفع عنكم ما أنتم فيه من العذاب بعض الوقت، و لكنّانعلم إنّكم ماكثون بالعهد لا محالة، فرغم أنّنا عالمون بكيدكم في استكشاف العذاب و كيدكم في دعوى الايمان «إنّا كاشفوا العذاب قليلاً» تحقيقاً لما التمستم، و إظهاراً لما كذبتم و كِذْتم « إنّكم عائدون » إلى ما كنتم عليه، و إنّ كشف العذاب يعمّ قبل اللمس و بعده، فيشمل الدّفع و الرّفع.

**أقول:** و على الأوّل أكثر المفسّرين، و في معناه بعض الأقوال الأُخر.

## ١٥-(يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس و قتادة و الحسن و الجبآئي: البطشةالكبرى هي يوم القيامة. و البطش: التّناول بصولة، و الأخذ بقوّة و شدّة وقع الألم، و أكثر ما يكون بوقوع الضّرب المتتابع، فأجرى إفراغ الألم المتتابع مجراه.

و المعنى: سننتقم من المشركين العرب يوم القيامة أشدّ الانتقام، و نجازيهم بما قالوا و بما فعلوا، و نأخذهم أخذ عزيز مقتدر و لايجدنّ شفيعاً و لاوليّاً و لانصيراً يمنع عنهم عقابنا، فيند منّ و لات حين مندم.

٢-عن ابن عبّاس أيضاً و ابيّ بن كعب و ابن مسعود و مجاهد و سعيد بن جبير و أبي العالية و قتادة و الضّحّاك و ابن زيد و مسروق و محمّد بن سيرين و قتادة و عطيّة: هو ماجرى على المشركين و صناديد هم يوم بدر. و المعنى: نحن ننتقم منهم في ذلك اليوم بالسّيف و نعاقبهم بالعقوبة العظمى. ٣- عن ابن عبّاس و الحسن ايضاً و عكرمة و الزّجاج: البطشة الكبرى هي عذاب جهنّم يوم القيامة. ٤-قيل: هي دخان يقع في الدّنيا أو جوع أو قحط يقع قبل يوم القيامة.

٥- قيل: البطشة الكبرى هي قيام السّاعة لأنّها خاتمة بطشاته في الدّنيا، و يقال: إنتقم الله منه أى عاقبه. و الإسم منه النّقمة. و قيل بالفرق بين النّقمة و العقوبة حيث إنّ العقوبة بعد المعصية لأنّها من العاقبة، و النّقمة قد تكون قبلها. و قيل: العقوبة: ما تقدّرت و الإنتقام غير مقدّر.

أقول: و على الثّاني جمهور المحقّقين.

١٦- (و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون و جآءهم رسول كريم)

و فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس و الفرّآء: أى و لقد ابتلينا قبل مشركي مكّة، فرعون و قومه بالعذاب، و جآءهم موسى﴿عليه السلام﴾ و هو رسول كريم على ربّه إذ اختصّه بالنّبوّة و إسماع الكلام، كريم عندالله تعالى بما استحقّ بطاعته من الإكرام و الإعظام و الإجلال. و المعنى: عاملناهم معاملة المختبر ببعثة موسى﴿عليه السلام﴾ إليهم ليجازي بما يظهر دون ما يعلم ممّا لا يظهر، فكذّبوه فأهلكوا، فهكذا أفعل بأعدآئك يا محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾ إن لم يؤمنوا.

٢- قيل: «فتنّا» بمعنى عذّبنا. أى عذّبناهم بالغرق. و في الكلام تقديم و تأخير والتّقدير: ولقد جآء رسول كريم و هو موسى﴿عليه السلام﴾ جآء فرعون و قومه و أغرقناهم. لأنّ الفتنة كانت بعد مجييء الرّسل. والواو لاترتّب. و معنى«كريم» شريف و سيط و حبيب فى قومه بنى إسرائيل. و قيل: أى كريم الأفعال والأخلاق بالتّجاوز والصّفح والدّعاء إلى الصّلاح والرّشد، فلم يخاشنهم فى التّبليغ كما قال تعالى: «فقولا له قولاً ليّناً» طه: ٤٤) فكان متّصفاً بالخصال الحميدة.

٣- قيل: معنى الفتنة أنّه تعالى أمهلهم و وسّع عليهم الرّزق، و كان ذلك سبباً لانهماكهم فى المعاصى وابتلاهم با رسال موسى﴿عليه السلام﴾ إليهم ليؤمنوا، فاختاروا الكفر والضّلالة على الايمان والهداية، والشّرك والجهالة على التّوحيد والحكمة ... و كان موسى﴿عليه السلام﴾ كريماً فى نفسه. و قيل: أى حقيق بالتكرّم في الدّعاء إلى اللّه تعالى والبرهان الواضح، والدّليل القاهر حتّى يسلكوا طريق الهدى المؤدّي إلى ثواب الجنّة، ويعدلوا عن

طريق الرّدى المؤدى إلى العقاب بنار جهنّم.

فكانت فتنة فرعون و قومه بـ«جنّات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين»: ٢٥ - ٢٧) قبل فتنة مشركى مكّة، حتّى جآءهم موسى﴿ﷺ﴾ و هو رسول كريم، و إنّها لفتنة كبرى أن يصبح الإنسان فى قوّة و نعمة و ثرآء ثمّ يأتيه رسول من اللّه تعالى يهدّده بطغواه فيها و يحدّله تقواه. و هذه من النّصوص على الرّسالة العالميّة لموسى بن عمران﴿ﷺ﴾ إذ جآء فرعون و قومه من القبط كعديد أمثالهم، و هكذا تقضي كرامة الرّسالة وسعتها ألاّ تخصّ بقوم دون آخرين، مهما ركزت على قوم دون قوم كما بني إسرائيل «جآءهم رسول كريم» برسالة كريمة، و هم لئام مستكبرون، و من ثمّ كان بنو إسرائيل لئاماً مستضعفين إلاّ شذر منهم نبيّون أو مؤمنون.

٤- قيل: أى اختبرناهم بالنّعمآءِ و البأسآءِ و بموسى﴿ﷺ﴾ تماماً كما اختبرنا قريشاً بالرّخآءِ والضّرّآءِ و بمحمّد﴿ﷺ﴾ فتمرّد هؤلآءِ و اولئك. ٥- قيل: أى امتحنّاهم و شددنا عليهم التّكليف لأنّ الفتنة شدّة التعبّد في الأخذ بالسّرّآءِ والضّرآءِ. وأصلها: الإحراق بالنّار لخلاص الذّهب من الغشّ. فهذه الشّدّة كشدّة الإحراق للخلاص. والفتنة: الإمتحان للعلم. بحقيقة الشّئ. والمعنى: فعلنا بهم فعل الممتحن الّذى يريد أن يعلم بحقيقة ذلك الشىء، و ذلك الإمتحان كان بزيادة الرّزق والتّمكين في الأرض، ففسدوا واستطالوا فى الغىّ و ركوب متن الضّلال.

و أمّاالكريم فإذا وُصِف اللّه عزّوجلّ به فهو إسم لإحسانه و إنعامه المتظاهر نحو قوله تعالى: «فإنّ ربّي غنىّ كريم» النّمل: ٤٠) و إذا وصف به الإنسان فهو إسم للأخلاق الفاضلة و الأفعال المحمودة الّتى تظهر منه، و لا يقال: هو كريم حتّى يظهر منه ذلك، و كلّ شىء شريف فى بابه، فإنّه يوصف بالكريم، قال اللّه جلّ و علا: «كم أنبتنا فيها من كلّ زوج كريم» الشّعراء: ٧) «وزروع و مقام كريم» الدّخان: ٢٦) و «إنّه لقرآن كريم» الواقعة: ٧٧) و «قل لهما قولاً كريماً» الإسراء: ٢٣).

ولم يوصف رسول بشخصه أنّه كريم إلاّ موسى﴿ﷺ﴾ و محمّد﴿ﷺ﴾: «و جآءهم رسول كريم» الدّخان: ١٧) و «إنّه لقول رسول كريم» الحاقة: ٤٠) و لعلّ هذا

الإختصاص فيهما لموضع اللّئامة المنقطعة النّظير فى قوم موسى(عليه السلام) و المشركين العرب اللجوج العنود ...

**أقول:** والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق و عليه أكثر المحقّقين.

## ١٧- (أن أدّوا إلىّ عباداللّه إنّى لكم رسولٌ أمين)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى أدّوا إلىّ عباداللّه ممّا فرض اللّه تعالى عليكم من الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ والسّنن والأحكام ... إنّى لكم رسول أمين غير متّهم.
٢- عن مجاهد و قتادة والحسن و ابن زيد: إنّ هذا طلب موسى(عليه السلام) من فرعون و ملائه أن يحرّروا بنى إسرائيل الّذين استعبدوهم، و كانوا تحت سيطرة فرعون طاغى مصر و ملائه المستكبرين. فأوّل تطلّب موسى(عليه السلام) من برثنة الفرعونيّة هو تخلية السّبيل عن عباد اللّه جلّ و علا استعبد هم فرعون طاغى مصر و ملأه المستكبرون، إذ جعلوهم عبيداً لهم من دون اللّه حتى قال فرعون لهم و لأذنابه: «فقال أنا ربّكم الأعلى» النّازعات: ٢٤).

و قال: «يا أيهّا الملأ ما علمت لكم من إله غيرى» القصص:٣٨).

و لا يتضرّر من هذه السّلطة الآ منْ تحت السّلطة و هم بنو إسرائيل المستصعفون المستعبدون، فليبدأ بهم تخليصاً لهم عن المستعبِدين، و من ثم يرجعهم إلى عبادة ربّ العالمين، فالم يخرج الإنسان من عبودية غيراللّه فلا يصبح عبداً للّه جل و علا.

٣- قيل: عن الفرّآءِ: «عباداللّه» نداء لفرعون و قومه. والتّقدير: أن أدّوا إلىّ ما آمركم به يا عباداللّه.

٤- عن ابن عبّاس: أى إدفعوا إلىّ فأرسلوا معى واتّبعونى يا أيهّاالنّاس إلى ما أدعوكم إليه من الحقّ، إنّى رسول من اللّه أمين على الرّسالة. ٥- قيل: أى أدّوا إلىّ حقّ اللّه تعالى ما وجب عليكم من الايمان والطّاعة، فأظهروا إيمانكم و طاعتكم لي، و قبول الدّعوة منّى يا عباداللّه إنّى لكم رسول أمين على ما أُوَدّيه إليكم و أدعوكم إليه، و على ما أُرسلتُ به. ٦- قيل: أى تعالوا إلىّ و اقبلوا على دعوتي، إنّي لكم رسول أمين على ما

استأديه منكم فلا أخون فيه. ٧- قيل أي أدّوا إليّ سمعكم حتّى ابلّغكم رسالة ربّي، إنّي لكم رسول أمين على الوحي، فاقبلوا نصحي.

أقول: والثّاني هو المؤيّد بالآيات الكريمة سيأتي ذكرها في بحث التّفسير والتّأويل فانتظر و تدبّر جيّداً.

١٨- (و أن لا تعلوا على اللّه إنّي آتيكم بسلطان مبين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن الحسن: أى و أن لا تتجبّروا على اللّه تعالى بترك طاعته و اتّباع أمره، و تكذيب رسالتي، فإن تكذيب الرّسول في رسالته إستعلاء و تجبّر على من أرسله، ثمّ علّل ذلك بقوله: «إنّي آتيكم بسلطان مبين» أى ببرهان بيّن على رسالتي أى حجّة بارزة من الآيات المعجزة و حجّة البرهان. ٢- قيل: أى و أن لا تعثوا في الأرض مفسدين إنّي آتيكم بعذر مبين. ٣- عن إبن عبّاس: أى و أن لا تتكبّروا و لا تفتروا على اللّه كذباً إنّي آتيكم بحجّة بينّة و عذر بيّن.

عن قتادة: أى و أن لا تبغوا على اللّه بكفران نعمه. و الفرق بين البغي و الإفتراءِ أنّ البغي بالفعل، و الا فتراء بالقول. ٥- قيل: أى و أن لا ترتفعوا عن طاعته. ٦- عن إبن جريج: أى و أن لا تعظموا على اللّه. ٧- عن يحيى بن سلام: أى و أن لا تستكبروا على عبادة اللّه و طاعته. والفرق بين التّعظيم و الإستكبار أنّ التّعظيم تطاول المقتدر، و الإستكبار ترفّع المحتقر. ٨- قيل: أى و أن لاتستكبروا على اللّه بالإستهانة برسوله و وحيه إنّي آتيكم بحجّة واضحة تدلّ على أنّي نبيّ، و يظهر الحقّ معها لاسبيل إلى إنكارها لأنّ السّلطان: الحجّة، والمبين: الظّاهر الّذى مع ظهوره يظهر الحقّ، فكأنّه أظهره. ٩- قيل: أى و أن لا تتكبّروا على أوليآءِ اللّه بالبغى عليهم إنّي آتيكم بمعجز ظاهر يبيّن صحّة نبوّتي و صدق مقالتي.

**أقول:** و لكلٍّ وجهٌ والتّعميم غير بعيد، حيث إنّ العلوّ على اللّه جلّ و علا علوّ على رسله خاصّة، و على خلقه عامّة، فإنّ فرعون كان عالياً من المسرفين.

۲۰-(و إنّي عذت بربّي و ربّكم أن ترجمون)

في الآية الكريمة أقوال: ۱- عن إين عبّاس و أبي صالح: الرّجم الّذي إستعاذ منه موسى﴿عليه السلام﴾ بربّه و ربّهم هو الشّتم، و هو الرّجم بالقول كقولهم، هو ساحر كـذّاب و نحوه. ۲- عن إين عبّاس أيضاً: الرّجم هنا هو القتل. والمعنى: إعتصمت بربّي و ربّكم من أن تقتلوني، و ذلك أنّ فرعون طاغي مصر و جنوده المستكبرين توعّدوه و تهـدّدوه بالقتل فاستجار باللّه تعالى منه، فقال: إنّي عذت باللّه تعالى فيما مضى من وعيدكم لي بالقتل، لأنّ اللّه تعالى وعده بالحفظ، فقال: «فلا يصلون إليكما» القصص: ۳٥).

۳- قيل: أي و إنّي لُذتُ بربّي و ربّكم أن تؤذوني ضرباً أوشتماً. ٤- عن قتادة: هوالرّجم بالحجارة. والمعنى: إلتجأت إلى مالكي و مالككم أن ترموني بالحجارة، فـلا تقدرون على ذلك. و ذلك أنّ عذاب الرّجم كان عند فرعون و ملائه أشدّ العذاب، ولكن هذا الرّسول الكريم موسى﴿عليه السلام﴾ لا يترك أو يؤخر دعوته خوف الرّجم، و لا يلتجأ إليهم من عذاب الرّجم و إنّما قال: «إنّي عذت بربّي و ربّكم أن ترجمون» للماضي دون أن يقول: «أعوذ» للحال و الإستقبال تنبيهاً إلى أن زاده في دعوته عوذ الرّبّ، فإنّه رسول الرّبّ، فليعذه ربّه في هذه السّبيل الشّائكة الفائكة كما أعاذ.

و قيل: إنّ هذا إشارة إلى ما آمنه ربّه قبل المجيء إلى القوم كما في قوله تعالى: «قالا ربّنا إنّنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يـطغى قـال لاتخـافا إنّـني مـعكما أسمـع و أرى» طه:٤٥-٤٦).

و بذلك يظهر فساد ما قيل: إنّ هذا كان قبل أن يخبره اللّه تعالى بعجزهم عـن رجمه بقوله عزّوجلّ: «فلا يصلون إليكما» القصص: ۳٥).

٥- قيل: أى و إنّي ألتجيء إلى اللّه الّذى خلقني و خلقكم أن لا تصلوا إليّ بسوءٍ من قول أو فعل. ٦- قيل: اريد بالرّجم هنا القذف بالكلمات البذيئة من دون حساب.
۷- قيل: المعنى: أنّ موسى﴿عليه السلام﴾ عاذ بربّه، واتّكل على أنّه وحده يعصمه منهم و من كيدهم، فهو غير مبال بما كانوا يتوعّدونه و يتهدّدونه به من الرّجم والقتل و الأذى بأن تقتلون أو تشتمون بالنسبة إلى السّحر و الكذب، فاستعاذ موسى﴿عليه السلام﴾ بربّه من كلّ

معاني رجمهم الّذى يصل منه إلى المرجوم من أذى و مكروه شتماً كان باللّسان، أو رجماً بالحجارة باليد أو القتل ...

أقول: والتعميم هو المؤيّد بالآيات الكريمة سيأتى ذكرها فى بحث التّفسير والتّأويل فانتظرو تدبّر جيّداً كما أنّه الأنسب بظاهر الإطلاق.

٢١-(و إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن قتادة: أى و إن لم تؤمنوا لى فخلّوا سبيلي و كفّوا عن أذاى. ٢- عن ابن عبّاس: أى و إن لم تصدّقونى بالرّسالة فاتركونى لامعي و لا عليّ. ٣- عن مقاتل: أى و إن لم تصدّقوني و لم تؤمنوا بي لأجل برهاني، فدعوني كفافاً أى مكفوفاً عنّي شرّكم لالي و لاعليّ. ٤- قيل: أى كونوا بمعزل منّي و أنا بمعزل منكم إلى أن يحكم اللّه بيننا. ٥- قيل: أى و إن لم تؤمنوا بي فتنحّوا عنّي و اقطعوا أسباب الوصلة بيني و بينكم. ٦- قيل: أى فخلّوني و فارقوني كفافاً و كونوا بمعزل عنّي لا عليّ و لا لي و لا تتعرّضوا لي بشرّكم و أذاكم و لا بخير و شرّ.

٧- قيل: أى و إن لم تؤمنوا لى فليكن الأمر بيني و بينكم على السّلم حتّى يقضى اللّه أمراً كان مفعولاً. ٨- عن إبن عبّاس أيضاً أى فاعتزلوا أذاي. ٩- قيل: إنّ المعنى: «لكم دينكم ولى دين» فلا تتعرّضوني برجم و معانيه كما لا أحكم على ما أدعوا كرهاً دون اختيار، فاعتزلون، فإنّما شأنى بعد كمال الدّعوة مع ربّى. ١٠- قيل: أى فابتعدوا من طريقي. ١١- قيل: أي فدعوني و شأني. ١٢- قيل: أى و إن لم تصدّقوني في أنّه رسول اللّه إليكم، و أنّ ما أدعوكم إليه حقّ يجب عليكم العمل به، فلا أقلّ من أن تعتزلون بصرف أذاكم عنّي لأنّكم إن لم تجازوا الإحسان بالإحسان فلا إسائة، و إنّما دعاهم إلى ترك ملا بسته بسوءٍ إن أصرّوا على الكفر و لم يقبلوا إلى الايمان لأنّ هذا أمر يدعو إليه العقل ببديهته و لا يحتاج إلى بزهان.

أقول: و على الأخير أكثر المحقّقين، و في معناه أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

۲۲-(فدعا ربّه أنّ هؤلآءِ قوم مجرمون)

في جرم فرعون و ملائه أقوال: ۱- عن ابن عبّاس و الكلبي و مقاتل: هو شركهم. و المعنى: أنّ هؤلآء قوم مشركون لا يؤمنون باللّه، فاجترموا الهلاك على أنفسهم. ۲- قيل: كان جرمهم هو امتناعهم من إطلاق بني اسرائيل بعد أن اُمِروا بـه: «أن أدّوا إليّ عبادالله». ۳- قيل: هذا تعريض بالدّعآء عليهم بذكر ما استوجبوه بـه، و لذلك سمّاه دعآءً، فدعا بما يقتضيه سوء أفعالهم و قبح إجرامهم و سوء معاملتهم له، فكأنّه قال: اللّهمّ عجّل لهم بما يستحقّونه بإجرامهم و معاصيهم بما به يكونون نكالاً لمن بعدهم، و ما دعا موسى﴿عليه السلام﴾ بهذا الدّعآء إلاّ بعد إذن الله تعالى له في الدّعآءِ عليهم. ٤- قيل: لمّا كذّب فرعون و ملائه بموسى﴿عليه السلام﴾ و ما جآءهم به، و لم يؤمنوا به، و لم يؤدّوا إليه عبادالله و همّوا بقتله و قتلهم: «و قال فرعون ذروني أقتل موسى و ليدع ربّـه» غـافر:۲٦) «قـال سـنقتّل أبـنآءهم و نسـتحي نسآءهـم و إنّـا فـوقهم قـاهرون» الأعـراف:۱۲۷) دعـا موسى﴿عليه السلام﴾ ربّه بأنّ فرعون و جنوده قوم مجرمون.

٥- قيل: لمّا يئس موسى﴿عليه السلام﴾ من إيمانهم به توجّه إلى ما هو شأنه، بعد إتمـام الحجّة عليهم و تبليغ الرّسالة و كمال الدّعوة، و هو الدّعآء على الّذين طغوا على الله و على رسوله و على النّاس كافة و سعوا في الأرض فسـاداً، و أجـرموا قـطعاً لثمـرات الإنسانيّة الحرّة قبل إيناعها، و فصلوا عنها كافّة معدّاتها، و الرّسالة حياة جما هيرّية و سلالة من ثمرات الإنسانيّة هم مجرموها و قاطعوها ... يا ربّ أنت بعثتني لإثمار الإيناع لإستعدادت خاملة كرماً على الإنسانيّة جمعآء: و «جآءهم رسول كريم» و هم برجمهم المهدّد مجرمون هذه البعثة الكريمة و الرّسالة العظيمة، فأنت و شأنك يا ربّ! فلا مخلص لي أمرك إلاّ بأمرك يا ربّ! هنا لك تأتي الإجابة فور الدّعآءِ كأنّها آتية مع الدّعآءِ، و لمّـا يصل أمرك إلى ما وصل «فأسر بعبادي ...»

**أقول:** و التّعميم هو الأنسب بظاهرِ الإطلاق و المؤيّد بالآيات الكريمة سيأتي ذكرها في بحث التّفسير و التّأويل فانتظر و تدبّر جيّداً.

## ٢٣- (فأسر بعبادي ليلاً إنّكم متّبعون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس: إنّ المراد «بعبادي» بنو إسرائيل، و ب «ليلاً» أوّل الليل. و المعنى: فأسر ببني إسرائيل من أوّل الليل، إنّكم متّبعون في البحر أى يتبعكم فرعون و جنوده. ٢- قيل: أُريد ب «ليلاً» ما ارتفع من الليل. و المـعنى: فأسر ببني إسرائيل فراراً عن تجدّد حصرهم و اسرهم و ايّاكم في مرتفع الليل لأنّكم متّبعون رغم ظلام اللّيل و ارتفاعه. و ذلك أنّ سراة كلّ شيء أعلاه، فالإسراء ليلاً هو السّير بهم في مرتفع الليل. ٣- قيل: «ليلاً» أى بقطع من الليل كان وقت نوم فرعون و جنوده بأن لا يدركوا خروجهم من مصر. و المراد ب«عبادي» الّذين آمنوا بموسى ﴿عليه السلام﴾ و اتّبعوه و لم يخافوا من فرعون و جنوده في خروجهم من مصر، و هم أكثر بني إسرائيل لا كلّهم، فإنّ منهم من لم يؤمن بموسى ﴿عليه السلام﴾ و منهم من آمن به و خاف فلم يخرج.

٤- قيل: إنّ معنى «ليلاً» قبل الصّباح. أى فأجبنا دعآئه و قلنا له: أسر ... و كان من دعآئه: «اللّهمّ عجّل لهم ما يستحقّونه بإجرامهم» و قيل: كان دعآئـه مـا جآء فى سورة يونس: «ربّنا اطمس على أموالهم ...» يونس: ٨٨.

٥- قيل: أى إن كان الأمر كذلك فأسر بعبادي ليلاً إنّكم متّبعون أى سيتبعكم فرعون و قومه. ٦- قيل أى فأسر بعبادي الّذين صدّقوك و آمنوا بك و اتّـبعوك دون الّذين كذّبوك منهم و أبوا قبول ما جئتهم به، و كان الّذين كانوا بهذه الصّفة يومئذ بني إسرائيل. «إنّكم متّبعون» أى فرعون و قومه من القبط متّبعوكم إذا شخصتم عن بلدهم و أرضهم فى آثاركم ... ٧- قيل: أى فسر ببنى إسرائيل و من آمن معك من القبط ليـلاً، حيث إنّ بعض القبط آمن بموسى ﴿عليه السلام﴾ واتبعه، إنّ فرعون و ملائه سيتّبعونكم إذا علموا بخروجكم و مسيركم ليلاً، يؤخر علمهم بذلك فلا يدركونكم.

أقول: و السّابع هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً و لا تغفل.

## ٢٤- (و اترك البحر رهواً إنّهم جندٌ مغرقون)

في قوله تعالى: «رهواً» أقوال: ١- عن إبن عبّاس و مجاهد و قتادة: أى و اترك

البحر ساكناً على ما هو به إذا قطعته و عبرته، فلا تضر به ثانياً. و كان موسى«عليه السلام» قد ضرب البحر بالعصا، فانفلق لموسى«عليه السلام» و المؤمنين به، فأمره الله تعالى أن يتركه كما هو ليغرق فيه فرعون و جنوده. و ذلك أنّ موسى«عليه السلام» لمّا جاوز البحر هو و من معه، أراد أن يضر به بعصاه ثانياً، فينطبق كما ضر به فانفلق، فأمره الله تعالى أن يتركه ساكناً على هيئته قارّاً على حاله من انتصاب المآءِ و كون الطّريق يبساً، و أن لا يضر به بعصاه ثانياً و لا يغيّر منه شيئاً ليدخله فرعون و جنوده، فإذا دخلوه أطبقهالله تعالى عليهم.

٢- عن مجاهد و قتادة أيضاً و عكرمة و الحسن: أى و اترك البحر طريقاً يابساً. و ذلك أنّ موسى«عليه السلام» لمّا قطع البحر، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم، و خاف أن يتبعه فرعون و جنوده، فقيل له: و اترك البحر كما هو طريقاً يابساً. ٣- عن أبي مسلم: أى و اترك البحر منفتحاً منكشفاً حتّى يطمع فرعون في دخوله. على أنّ الرّهو: الفجوة الواسعة. و عن محمّد بن كعب القرظي: رهواً: مفتوحاً، منفرجاً أى ذافجوة واسعة.

٤- قيل: أى و اترك البحر جانباً أى خذعلى الطّرف. ٥- قيل: أى خذعلى الطّريق. ٦- عن إبن الأعرابي: أى و اترك البحر واسعاً ما بين الطّاقات. ٧- عن خالد بن خيبرى: أى و اترك البحر سهلاً بغير تشدّد، ليس برمل و لا حزن. قال القطامي في وصف الرّكاب:

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة و لا الصّدور على الأعجاز تتّكل

٨- عن ابن عبّاس أيضاً: «رهواً» أى سمتاً. ٩- عن ابن عبّاس أيضاً: الرّهو أن يترك كما كان من قبل أن ينفلق، فإنّهم لن يخلصوا من ورائه. ١٠- عن ابن عبّاس و الحسن أيضاً و الضّحّاك و ابن زيد و الرّبيع: أى سهلاً دمثاً. ١١- عن عكرمة أيضاً: أى أُتركه يبساً جدداً كهيئته بعد أن ضربه. يقول: لا تأمره أن يرجع اتركه حتّى يدخل آخرهم.

١٢- قيل: أى و اترك البحر مفترقاً.

**أقول:** و على الثّاني أكثر المفسّرين، و في معناه أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

**٢٦- (و زروع و مقام كريم)**

في «زروع» أقوال: ١- قيل: أى أثمار. ٢- قيل: أى كنوز لقوله تعالى: «و كنوز و مقام كريم» الشّعرآء: ٥٨). ٣- قيل: هى زروع قآئمة في مزارعهم، و قد كانوا يزرعون مابين الجبلين من أوّل مصر إلى آخرها. ٤- قيل: اريد بها ههنا الخزآئن. ٥- قيل: هي الدّفآئن. ٦- عن الضّحّاك: الزّروع ههنا الأنهار و هذا مردود لأنّ العيون تشملها. ٧- عن إبن عبّاس: أى حروث.

**أقول:** و على الثّالث أكثر المفسّرين.

و في قوله تعالى: «و مقام كريم» أقوال: ١- قيل: أى و مجالس شريفة. ٢- عن مجاهد: هو مجالس الملوك و مقام الأمراء و الرّؤسآء و الحكماء و الزّعمآءِ. ٣- قيل: أى منازل حسنة خطيرة، و مساكن زاهية بهيّة. ٤- عن قتادة: أى مقام حسن بهج. ٥- قيل: أى مرابط الخيل لتفرّد الزّعمآء بارتباطها عُدّة و زينة فصار مقامها أكرم منزل بها. ٦- عن مجاهد أيضاً و سعيد بن جبير: هي منابر الخطبآءِ، و قد كان ألف منبر لألف جبّار يعظّمون عليها فرعون و ملكه.

٧- عن سعيد بن جبير و مجاهد أيضاً: هي المناظر الحسنة. ٨- عن عليّ بن عيسى: المقام الكريم هو الّذي يعطي اللذّة كما يعطى الرّجل الكريم الصّلة. ٩- قيل: «مقام كريم» ههنا: قصور شاهقة. ١٠- قيل: هي حياة طيّبة. ١١- قيل: هو سلطان و بذخ. ١٢- قيل: أى في موضع شريف كريم كانوا يقومونه. ١٣- قيل: المقام الكريم: الفيوم. ١٤- عن قتادة: أى مقام حسن.

**أقول:** و على الثّالث أكثر المفسّرين من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر.

**٢٧- (و نعمة كانوا فيها فاكهين)**

و في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى و متعة كانوا فيها ناعمين متفكّهين. ٢- قيل: أى حياة طيّبة منعمة أو ناعمة و معيشة راضية. ٣- عن إبن عبّاس: «فاكهين» أى

معجبين. ٤- عن ابن عمر: أُريد بـ«نعمة» نيل مصر، و «فاكهين» أي أشرين بطرين. ٥- قيل: «نعمة» هي أرض مصر لكثرة خيرها، و «فاكهين» أي لاهين مازحين. ٦- قيل: النَّعمة - بالفتح -: التّنعيم، و - بالكسر -: منفعة يستحقّ بها الشّكر، و إن كانت مشقّة لأنّ التّكليف نعمة و إن كانت فيه مشقّة. و المعنى: إنّ فرعون و ملائه كانوا متمتّعين من نعم الله تعالى. و الفاكه هو المتمتّع بأنواع اللّذّة كما يتمتّع الآكل بأنواع الفاكهة. و الفاكهة: فضل عن الفوت الّذي لا بدّمنه.

٧- قيل: النّعمة: هي الفيوم. ٨- قيل: «نعمة» ما كانوا فيه من تنعّم وسعة في العيش و دعة، و تمتّع كما يتمتّع بالفواكه و هي أنواع الثّمار ... فقد كانوا في بُلْهَنية من العيش وسعة من الرّزق و خفض ودعة و سرور و حبور. ٩- قيل: النّعمة في الأبدان، و «فاكهين» أي مفاكهين للنّسآء. ١٠- قيل: «فاكهين» أي طيّبي الأنفس ... من فكه و فاكه: طيب النّفس ضحوك أو يحدّث صحبه فيضحكهم. ١١- قيل: «فاكهين» أي أصحاب فاكهة.

**أقول:** و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق، و خاصّة النكرة في سياق التعريف، فالنّعمة شاملة لجميع ما تقدّم و غيره مما لم يذكر، فتأمل جيّداً.

## ٢٨- (كذلك و أورثناها قوماً آخرين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس و قتادة: إنّ المراد بـ«قوماً آخرين» هم بنو إسرائيل، فإنّهم رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون و جنوده. و المعنى: و مثل ذلك الإخراج أخرجنا فرعون و ملائه من مصر، و جعلناها لبني إسرائيل بعد فرعون و قومه القبط. و إنّ توريث ملك مصر و ما فيها من النّعم إلى بني إسرائيل بعد هلاك فرعون و جنوده كان بغير مشقّة كما يصير الميراث إلى الورثة على تلك الصّفة، و توريث العلم شبه بذلك لأنّ الأوّل تعب في إستخراجه، و توطئة الدّلالة المؤدّية إليه، و وصل إليه الثّاني و هو رافه وادع، لم يكل لطول الفكر، و شدّة طلب العلم، فلمّا كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم كان ذلك توريثاً من الله تعالى لهم.

٢- عن الكلبي: أى هكذا فعلنا بهؤلآءِ المكذّبين برسلنا، و هكذا نفعل بكلّ من عصانا و خالف أمرنا من عبادنا في كلّ ظرف، و أورثنا تلك البلاد بما فيها من خير عميم و نعيم عظيم قوماً غير أهلها ممّن لا يمتون إليهم بقرابة و لا دين و لا أيّ سبب و لا نسب، فقد تغلّب على مصر الآشوريّون و البابليّون زمناً، و الحبش حيناً آخر، ثمّ الفرس مدّة، و اليونان مدّة أُخرى، ثمّ الرّومان من بعدهم، ثمّ العرب، ثمّ الطولونيّون، و الإخشيديون، و الفاطميّون، و المماليك البرّية و البحرية، و الترّك و الفرنسيّون و الإنجليز ... فالمراد بـ «قوماً آخرين» غير بني إسرائيل دخلوا مصر بعد فرعون و القبط إلى اليوم، و أمّا بنو إسرائيل فلم يتغلّبوا عليها بعد.

٣- قيل: أى نفعل فعلاً كذلك لمن نريد إهلاكه ... ٤- قيل: أى بمثل هذا الإحسان العظيم إليهم كان عقابنا الشّديد لهم، فنزعنا هذه النّعم من أيديهم ... و أورثنا قوماً آخرين من بعدهم، و هم أبنآؤهم الّذين صارت إليهم هذه الأرض، و ما خلّف المغرقون و تركوا فيها من جنّات و عيون و زروع و مقام كريم ... و سمّي الأبنآء الوارثون لهؤلآءِ المغرقين ... سمّوا قوماً آخرين لأنّ آبآئهم كانوا على حال من الضّلال بحيث لا يكاد يجمعهم بأبنآءهم أىّ وجه من وجوه الشّبه ... فمهما ورث أبناؤهم من بعدهم من الكفر و الضّلال ... فإنّ المسافة بينهم و بين أبنآءهم ستظلّ دآئماً بعيدة، لأنّ آبآءهم قد بلغوا في هذا الضّلال غاية لا يبلغها أحد ...

فهم غير بني إسرآئيل لأنّ بني اسرآئيل قد خرجوا من أرض مصر، فراراً من العذاب الّذي سُلّطَ عليهم فيها، و قد تحدّث القرآن عن تيههم في الصّحرآءِ أربعين سنة، ثمّ عن حياتهم في أرض كنعان بعد موسى«عليه السلام» ثمّ إنّ المراد بالميراث هنا ليس هو الوارث، و لهذا جآء مجهّلاً بقوله تعالى: «قوماً آخرين» و إنّما المراد هو الإخبار عن هلاك فرعون و قومه، و إخلاءِ أيديهم ممّا كانوا يعتزّون به من ملك و سلطان و بساتين و أنهار... فلقد ذهب كلّ ذلك.و لم يغن عنهم شيئاً بل وصار ميراثاً لغيرهم ...

٥- قيل: أى كثيراً ما تركوا أشيآءً كذلك أى على حالها، و نجّينا بني إسرائيل ممّا كانوا يقاسونه من عذاب فرعون الشّديد المسرف المستكبر، فجعلناهم ورثة لهم يرثون

ماهم فيه من أسباب الغنى و الحياة النّاعمة و وسآئلها ... ٦- قيل: الأمر كذلك، و قد أُورِث بنو إسرآئيل كلّما كان لفرعون و ملائه، و ليس لزام الإيراث نقل عين الميراث إلى الورثة، و إنّما هو عزل قوم، و نقل آخرين إلى ما كانوا يملكون، على تحوّل و تبدّل... و قيل: لم يرث بنوإسرائيل كلّما كان لفرعون و ملائه، حيث إنّ النّعمة كانت مضلّلة، و من مقامهم إستعلاءً على الله و استعباداً لعبادالله! عن الحسن: رجع بنوإسرآئيل إلى مصر بعد هلاك فرعون و قومه، فورثوا جميع ما ذكرهالله تعالى من الجنّات و العيون و الزّروع و المقام الكريم ...

٧- قيل: أُريد بالوراثة هنا ما استعاروه من حليّ من آل فرعون بأمر الله تعالى.

٨- قيل: أى كذلك كان أمرهم فاهلكوا، و أورثنا أموالهم لا أرضهم، بنيإسرائيل و هم قوم آخرون ليسوا من دينهم.

**أقول:** و الأوّل هو المستفاد من الآيات الكريمة سيأتي ذكرها في بحث التّفسير و التّأويل، فانتظر و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

## ٢٩- (فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين)

في الآية الكريمة أقوال: ١-: عن إبن عبّاس و سعيد بن جبير و مجاهد: أى فما بكت على فرعون طاغي مصر و جنوده المستكبرين السّمآء و لاالأرض بسبب هلاكهم في البحر، بخلاف المؤمنين الّذين يبكى عليهم بموتهم مصلاّهم من الأرض، و مصعد عملهم من السّمآءِ، و ما كانوا مؤخّرين للتّوبة، و لا ممهلين إلى وقت آخر.

فلم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، و لم يكن لهم كلم طيّب يصعد إلى السّمآء، فلم تبك عليهم السّمآءِ و الأرض اذ لم يكن لهم باب في السّمآءِ لرفع عملهم، و لا مصلّى في الأرض. و البكاء على حقيقته. ٢- قيل: أى فما بكت عليهم السّمآء و الأرض لكفرهم و طغيانهم، لظلمهم و عصيانهم، و لبغيهم و عدوانهم ... و ما كانوا مؤخّرين بالغرق و العقوبة الّتي حلّت بهم، و لكنّهم عوجلوا بها إذ أسخطوا ربّهم عليهم. و ذلك أنّ العرب كانت تقول عند موت السّيّد و الزّعيم منهم: بكت له السّمآء و الأرض أى عمّت

مـصيبته الأشـيآء حـتّى بكـته السّـمآء و الأرض و الرّيح و البرق، و بكـته اللّـيالي الشّاتيات... قال الشّاعر:

فـالرّيح تـبكي شـجوها و البرق يلمع في الغـمامة

و قال آخر:

و الشّمس طالعة ليست بكـاسفة تبكى عليك نجوم اللّيل و القـمرا

و قالت الخارجيّة:

أيا شـجر الخـابور مـالك مـورقا كأنّك لم تجزع على إبـن طـريف

و ذلك على سبيل التمثيل و التخييل مبالغة في وجوب الجزع و البكآء عليه. و المعنى: إنّهم هلكوا فلم تعظم مصيبتهم و لم يوجد لهم فقد، فما تألّم أحد و لا تأسّف أحد لموتهم و هلاكهم، و ما أخّر الله تعالى عذابهم إلى يوم القيامة. ٣- عن الحسن: في الكلام إضمار أى ما بكى عليهم أهل السّمآءِ و الأرض من الملآئكة ... كقوله تعالى: «و اسئل القرية» يوسف: ٨٢).

أى أهل القرية و كقوله عزّو جلّ: «حتّى تضع الحرب أوزارها» محمّد(ﷺ): ٤).

أى أصحاب الحرب. و المعنى: بل سروا بهلاكهم لكونهم مسـخوطاً ومـغضوباً عليهم بإنزال الخزى بهم.

٤- عن عطآءٍ: إنّ بكآءهما حمرة أطرافهما، و يكون البكآء ههنا حقيقة، و لكنّ الخسوف و الكسوف و الحمرة الّتي تحدث في السّمآءِ و هبوب الرّياح العاصفة بكآء لها.

٥- قيل: البكآء إدرار الشّيء فإذا أدرّت العين بمآئـها قـيل: بكت، و إذا أدرّت السّمآء بحمرتها قيل: بكت، و إذا أدرّت الأرض بغبرتها قيل: بكت. ٦- قيل: بكآؤهما أمارة تظهر منها تدلّ على أسف و حزن. ٧- قيل: في الآية الكريمة تهكّم بهم و بحالهم المنافية لحال من يجلّ زرؤه و يعظم فقده فيقال فيه: بكت عليه السّمآء و ما كانوا ممهلين وقتاً أى لمّا جآء وقت هلاكهم لم يمهلوا إلى الآخرة بل عُجِلّ لهم في الدّنيا.

و ذلك أنّه كان إذا مات الرّجل الخطير عظيم الشّأن، قالوا في تعظيم مـعصيبته: بكت عليه السّمآء و الأرض، و أظلمت الدّنيا. ففيه تمثيل و تخييل و تهكّم بهم أنّهم كانوا

يستعظمون أنفسهم و يعتقدون أنّهم لو ما توا لقال النّاس فيهم ذلك، فأخبرالله عزّوجلّ: أنّهم ما كانوا في هذا الحدّبل كانوا دون ذلك، ففيه مبالغة في وصف فرعون و جنوده بصغر القدر و فقد المنزلة، و تهوين شأنهم، و تحقير مقامهم عندالله جلّ و علا، فعدم بكآءهما عليهم بعد هلاكهم كناية عن هوان أمرهم على الله تعالى و عدم تأثير هلاكهم في شيء من أجزآءِ الكون، و ما امهلوا لتوبة أو تدارك تقصير، بل عُجِّلوا لهم العذاب، فاهلكوا في البحر.

۸- قيل: إنّ التقدير: إنّ السّمآء و الأرض لو كانتا ممّن يبكى على أحد إذا هلك لما بكتا على فرعون طاغي مصر، و لا على ملائه المستكبرين لأنهّم ممّن أهلكهم الله تعالى بالإستحقاق و أنزل عليهم رجزاً بما كانوا يكفرون و يفسدون في الأرض فـالمعنى: لو كانت السّماوات و الأرض من الجنس الّذي يصحّ منه البكآء لم تبكيا عليهم إذ كان الله عليهم ساخطاً و لهم ماقتاً. ۹- قيل: البكاء هنا بمعنى الحزن، فكأنّه قال: فلم تحزن عليهم السّمآء و الأرض بعد هلاكهم و انقطاع آثارهم... و قد عبّر عن الحـزن بـالبكآءِ لأنّ البكاء يصدر عن الحزن غالباً، و من عادة العرب أن يصفوا الدّار إذاظعن عنها سكّانها، و فارقها قطّانها بأنّها باكية عليهم و متوجّعة لهم على طريق معنى المجاز بمـعنى ظـهور علامات الخشوع و الوحشة عليها، وانقطاع أسباب النّعمة و الأُنسة منها، فمعنى البكاء ههنا الإخبار عن الإختلال بعد كما يقال: بكى منزلي بعدي، و منزل فلان بعده قـال مزاحم:

بكت دارهم من بعدهم فتهلّلت ... دمـوعي فأىّ الجـازعين ألوم

أمستعبراً يبكى من الهون و البلا ... و آخـر يـبكي شـجوه ويـهيم

۱۰- قيل: إنّ معنى الآية الكريمة إخبار بأنّه لا أحد أخذ بثأرهم، و لا انتصر لهم، ففيها كناية عن فقد الإنتصار لهم و الأخذ بثأر، و المعنى: فلم ينتصر لهم أحد، و لم يطلب بثارهم طالب. لأنّ العرب كانت لا تبكي على قتيل إلاّ بعد الأخذ بثأره، فكنّى بهذا اللفظ عن فقد الإنتصار و الأخذ بالثّأر على مذهب القوم الّذين خوطبوا بالقرآن الكريم.

١١- قيل: إنّ البكآء كناية عن المطر و السّقيا لأنّ العرب تشبه المطر بالبكآءِ، فمعنى الآية: أنّ السّمآء لم تسق قبورهم، و لم تَجُد عليهم بقطرها، على مذهب العرب المعهود بينهم لأنّهم كانوا يستسقون السّحآئب لقبور من فقدوه من أعزّآئهم، و يستنبتون الزّهر و الرّياض لمواقع حفرهم، قال عديّ بن حاتم في وفاة رسول‌الله(ﷺ):

إنّ الّذي بكت السّمآء لفقده عميت علينا بعده الأنبآء
و الأرض خاشعة لها بجبالها و النّاس لا موتى و لا أحيآء

و قال أبوذ ويب:

كسفت لمصرعه النّجوم و بدرها و تزعزعت أركان بطن الأبطح

و قال النّابغة:

فلا زال قبر بين تبنى و حاسم عليه من الوسميّ طلّ و وابل
فينبت حوذاناًو عوفاً منوّرا سأتبعه من خير ما قال قائل

و كانوا يجرون هذا الدّعاء مجرى الإسترحام، و مسئلة الله تعالى لهم الرّضوان، و الفعل إذا أُضيف إلى السّموات كان لا تجوز إضافته إلى الأرض، فقد يصحّ عطف الأرض على السّمآء بأن يقدّر فعل يصحّ نسبته إليها، و العرب تفعل مثل هذا قال الشّاعر:

يا ليت زوجك قد غدا متقلّداً سيفاً ورمحاً

بعطف الرّمح على السّيف، و إن كان التّقلّد لا يجوز فيه، و مثل هذا يقدّر في الآية الكريمة، فيقال: إنّه تعالى أراد السّمآء لم تسق قبورهم، و أنّ الأرض لم تعشب عليها و كلّ هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله تعالى و رضوانه، و ربّما شبّه الشّعراء النّبات بضحك الأرض كما شبّهوا المطر ببكآءِ السّمآءِ، و في ذلك يقول أبو تمام:

إنّ السّمآء إذا لم تبك مقلتها لم تضحك الأرض عن شيء من الخضر
و الزّهر لا تنجلي أبصاره أبداً إلاّ إذا رمدت من كثرة المطر

١٢- قيل: إنّ هذا من التوسّع الّذي و رد على غير وجه الإضافة كقوله تعالى: «ثمّ استوى إلى السمآءِ و هي دخان فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً اوكرهاً قالتا أتينا طائعين» فصّلت: ١١) حيث إنّ نسبة القول إلى السمآءِ و الأرض من باب التوسّع لأنّهما

جماد، و النّطق إنّما هو للإنسان لا للجماد، و لا مشاركة ههنا بين المنقول و المنقول إليه، فكذلك قوله عزّوجلّ: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين».

**أقول:** و الأوّل هو المؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

**۳۰- (و لقد نجّينا بني إسرآئيل من العذاب المهين)**

**في قوله تعالى:** «من العذاب المهين» أقوال: ١- قيل: هو استعباد فرعون و قتله أبنآء بني‌إسرآئيل و استحيآئه نسآءهم و تحقيره كبرآئهم، و ما يصيبهم من إسارة فرعون إيّاهم. ٢- قيل: هو الّذي كان يفعله بهم فرعون و قومه لأنّهم كانوا يستعبدونهم و يكلّفونهم المشاقّ و يحملونهم القذارات و يأمرونهم بكنسها و تنظيفها، و ما إليها من أنواع العذاب الشّديد الإهانة و الإذلال و من وسآئل الخسف و الضّيم و الضّغط ... ٣-قيل: هو طغيان فرعون كأنّه في نفسه كان عذاباً مهيناً لإفراطه في تعذيبهم و تحقيرهم و إهانتهم.

٤- قيل: أُريد بالعذاب المهين العذاب الجسمي لأنّ فرعون كان إذا أراد تعذيب أحد من بني‌إسرآئيل- رجلاً أو إمرأة- بسطه على وجهه، على وجه الأرض، و وتّديديه و رجليه فأوتد بأربعة أوتاد في الأرض، و ربّما بسطه على خشب منبسط، فوتّد رجليه و يديه بأربعة أوتاد، ثمّ تركه على حاله حتّى يموت، و لذلك وصفه الله تعالى بذي الأوتاد في قوله: «و فرعون ذي الأوتاد» الفجر:١٠) و يؤيّده ما حكاه الله تعالى من قول فرعون إذ هدّد السّحرة لإيمانهم بموسى ﴿عليه السلام﴾: «فألقي السّحرة سجّداً قالوا آمنّا بربّ هارون و موسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنّه لكبيركم الّذي علّمكم السّحر فلأُقطّعنّ أيديكم و أرجلكم و لأُصلّبنّكم في جذوع النّخل و لتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً و أبقى» طه: ٧٠ - ٧١).

٥- قيل: إنّ المراد بالعذاب المهين، العذاب الرّوحي و هو سلب الحرّية المشروعة عن بني‌إسرائيل خاصّة و عن المواطنين عامّة، و قد كان استبداد فرعون طاغي مصر

أكبر العذاب الرّوحي لرعيّته و لبني إسرآئيل، و هذا دأب من سلك مسلك فرعون مصر في كلّ ظرف من الظّروف من الطّواغيت و الأمرآءِ و الحكّام الجابرة...

**أقول:** و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً.

### ٣١- (من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عبّاس: أي من فرعون و قومه من ذبح الأبنآءِ و استخدام النّسآءِ و غير ذلك، إنّه كان مخالفاً عاتياً من المسرفين في الشّرك و الضّلال. ٢- قيل: أى من عذاب فرعون، فالمضاف مقدّر. ٣- قيل: أى أنجينا بني إسرآئيل من العذاب و من فرعون، إنّه كان جبّاراً من المشركين، و ليس هذا علوّ مدح، بل هو علوّ في الإسراف، و قيل: هذا العلوّ هو التّرفّع عن عبادالله تعالى. ٤- قيل: أى كان هذا العذاب المهين واقعاً صادراً من جهة فرعون و بأمره، إنّه كان كبيراً رفيع الطّبقة من بينهم، بليغاً في إسرافه في الشّرّ و الفساد، عالياً على عبادالله استعباداً لهم، و على الله إدّعاءً للرّبوبيّة العليا، مسرفاً في علوّيه. ٥- قيل: أى بل جعل فرعون في نفسه عذاباً مهيناً لشدّة شكيمته و فرط عتوّه، جعل فرعون نفس العذاب، مبالغةً لما كابدوه منه من عذاب و إهانة و إنّه كان متكبّراً متجبّراً متغلّباً مسرفاً متجاوزاً الحدّ في الطّغيان. ٦- قيل: أى من استعباد فرعون و استبداده، و من قتله أبنآءهم و استحيآءِ نسآءهم، إنّه كان جبّاراً مستكبراً من المسرفين في العتوّ و الطّغيان، و البغي و العصيان، و في الإثم و العدوان...

**أقول:** و المعاني متقارب.

### ٣٢- (و لقد اخترناهم على علم على العالمين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن مجاهد و قتادة و الحسن: أى و لقد اخترنا بني إسرآئيل بعد إهلاك فرعون و قومه، و فضّلناهم بإيتاءِ الملك و التّوراة لكونهم خير موجودين في ذلك الزّمن، على علم بحالهم و مسيرهم و مصيرهم، و بخيرهم و شرّهم، و برشدهم و ضلالهم... مع علمنا بأنّهم يزيفون و تفرط منهم الفرطات و البوادر... و أنّهم

سوف يصبحون من أفسد المفسدين، و شر الشّاردين... لحدّ قلّما توجد أقوام في التّأريخ الرّسالي- فيما يقصّه القرآن الكريم- كأمثالهم فيما أفسدوا في الأرض فساداً حتّى اليوم و لكنّه تعالى علم أنّهم على حالهم وماضيهم من أفضل العالمين و أحقّهم بالإنتصار حيث استضعفوا بالفرعنة الجبّارة و هم موحّدون وحدهم دون غيرهم، و أنّ فيهم أنبيآء و صلحآء مهما حصل بينهم من انحراف و انجراف و تلكّؤ و التواء: «و نريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمّة و نجعلهم الوارثين و نمكّن لهم في الأرض و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون» القصص: ٥ - ٦).

فكانوا هم أحقّاء بذلك أن يختاروا على عالمي زمانهم... فلفظه عام و معناه خاص لقوله تعالى في أمّة نبيّنا محمّد(ﷺ): «كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس» آل‌عمران: ١١٠) و ذلك يوجب أنّه تعالى ما اختارهم على من هو خير منهم، و إنّما اختارهم على من هو في زمنهم من العالمين، و كان هذا الإختيار إختياراً مؤقتاً باختبار خير الموجودين في ذلك الزّمن، فالمعنى: فضّلنا بني‌إسرائيل على علم بمكان الخيرة، و على بصيرة منّا باستحقاقهم التّفضيل و الإختيار على عالمى زمانهم ذلك، و على من بين أظهرهم و لكلّ زمان عالم، ففضّلوا على أهل زمانهم... بناءً على أنّ المراد بالإختيار مطلقه، فإنّهم لم يختاروا على الأمّة الإسلاميّة الّتي خاطبهم الله عزّوجلّ بمثل قوله: «كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس» و قوله: «هو اجتباكم و ما جعل عليكم في‌الدّين من حرج» الحجّ: ٧٨).

٢- قيل: أى و لقد اخترناهم على النّاس جميعاً لكثرة الأنبيآءِ منهم، مع علم منّا بأنّهم يزيغون في بعض الأحوال... و ذلك أنّ الله تعالى جعل في بني‌إسرائيل من الأنبيآءِ الكثيرين، فهذه خاصّة لهم، ليست لغيرهم لما في العلوم من مصالح المكلفين بأنبيآئهم ... فالمراد بالعالمين جميع العالمين من الأمم... بنآء على أنّ المراد بالإختيار، الإختيار من بعض الوجوه و هو كثرة الأنبياءِ، فإنّهم بذلك يمتازون من سآئر الأمم... فالمعنى: إنّا فضّلنا بني‌إسرائيل على جميع العالمين في أمر كانوا مخصوصين به و هو كثرة الأنبيآء منهم.

٣- عن إبن عبّاس: أى فضّلنا بني‌إسرائيل على عالمى زمانهم بالمنّ و السّلوى و

الكتاب و الرّسول و النّجاة من العذاب المهين و من فرعون و قومه، و النّجاة من الغرق، فهم كانوا يمتازون بأن مرّ عليهم دهر طويل في التّيه، و هم يتظلّلون بالغمام و يأكلون المنّ و السّلوى و بالمعجزات كفلق البحر و ما إليها من الآيات البيّنات... ٤- قيل: أى فضّلنا بني‌إسرائيل على علم منّا بحالهم على عالمي زمانهم أى العقلآءِ... و يرجع هذا الإختيار و التّفضيل إلى نجاتهم و تخليصهم من الغرق و إيراثهم الأرض بعد فرعون و القبط.

٥- قيل: إنّ الله تعالى أقسم بأنّه اختار موسى«عليه السلام» و قومه بني‌إسرائيل على علم على العالمين، و أنّ الإختيار هو اختيار الشّيء على غيره بالإرادة له لتفضيله عليه، و مثله الإيثار، و ليس في مجرّد الإرادة تفضيل شيء على غيره لأنّه قد يمكن أن يريد شيئاً من غير أن يخطر بباله ما هو فيه أولى منه في العقل، فلا يكون إختياره تفضيلاً، و إمّا أن يريد الاولى و لا يدري أنّه أولى، فيختاره عليه لجهله بأنّه أولى، أويختاره و هو يعلم أنّه غير أولى، و يختاره لحاجته إليه من جهة تعجّل النّفع به، و من اختار الأدون في الصّلاح على الأصلح كان منقوصاً مذموماً لأنّه بمنزلة من اختار القبيح على الحسن.

**أقول:** و على الأوّل جمهور المحقّقين.

**٣٣- (و آتيناهم من الآيات ما فيه بلآؤمبين)**

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى و آتينا بني إسرآئيل من الآيات ما فيه بلآء مبين نعمة ظاهرة من فلق البحر و المنّ و السّلوى و غيرها... فأنجاهم الله تعالى من عدوّهم و أقطعهم البحر و ظلّل عليهم الغمام و أنزل عليهم المنّ و السّلوى و غير ذلك من الآيات العظام الّتي لم يظهرها الله تعالى في غيرهم. ٢- عن إبن عبّاس: أى و أعطيناهم من العلامات ما فيه بلاء مبين أى نعمة عظيمة. ٣- قيل: أى أعطينا بني‌إسرائيل الآيات و هي الدّلالات و المعجزات لموسى«عليه السلام» و هي التّسع و غيرها ما فيه إمتحان ظاهر، و لقد أُوتوا من الآيات المعجزات ما لم يعهد في غيرهم من الأمم، و ابتلوا بذلك إبتلاءً مبيناً.

٤- عن قتادة: الآيات هي إنجاءهم من فرعون و فلق لهم البحر، و تظليل الغمام عليهم و إنزال المنّ و السّلوى. و يكون الكلام متوجّهاً إلى بني‌إسرائيل. ٥- قيل: الآيات

هي العصا و اليد البيضا. و يكون الكلام متوجّهاً إلى فرعون و قومه. ٦- عن عبد الرّحمن بن زيد: الآيات هي الشرّ الّذي كفّهم عنه، و الخير الّذي أمرهم بـه، فـيكون الكـلام متوجّهاً إلى الفريقين معاً من بني‌إسرائيل و فرعون و قومه. ۷- قيل: أى و أعطيناهم من العبر و العظات مافيه اختبار يبيّن لمن تأمّله أنّه اخـتبار إخـتبرهم الله بـه. و البـلآء: الإختبار الظّاهر.

۸- قيل: أى و أعطيناهم من الأمور ذوات الخطر الدّالّة على كرامتهم عندنا ما فيه عبرة لمن تأمّل فيه، فأنجيناهم من عدوّهم، و ظلّلنا عليهم الغمام و أنزلنا عليهم المنّ و السّلوى و ما إليها من الآيات الّتي خصّت بهم دون آل فرعون، إذ كانت في غرقهم كفلق البحر أو بعد غرقهم كانبجاس العيون من الحجر، و نتق الجـبل، وإنـزال المـنّ و السّلوى عليهم، و بنتيجة اختبارهم و سقوطهم في هوّات الضلالة و الإفسـاد سـلبت عنهم النّبوّة إلى بني‌إسمعيلّ، و بعث عليهم من يشردهم و يسومهم سوءالعذاب إلى يوم القيامة: «و إذ تأذن ربّك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إنّ ربّك لسريع العقاب و إنّه لغفور رحيم» الأعراف:١٦٧).

**أقول:** و على الأوّل أكثر المفسرين و في معناه أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً و لا تغفل.

**و في قوله عزّو جلّ:** «ما فيه بلآء مبين» أقوال: ١- عن قتادة و الحسن: أى ما فيه نعمة ظاهرة جليّة كما قال الله تعالى: «و ليبلى المؤمنين منه بلآءً حسناً» الأنفال: ١٧) لأنّ الله جلّ و علا يبلو بالنّعمة كما يبلوا بالمصيبة. ٢- عن الفرّآءِ: أى عذاب شديد و محنة شديدة. و ذلك أنّ البلآء قد يكون بالعذاب و النّقمة، و قد يكون بالإحسان و النّعمة، و هو ما فعل الله بهم من إهلاك فرعون و قومه، و تخليصهم منه و إظهار نعمه عليهم شيئاً بعد شيء. ٣- عن عبدالرّحمن بن زيد:أى ما فيه اختبار ظاهر يتميّز به المـؤمن مـن الكافر، و الطّيّب من الخبيث... ٤- عن ابن زيد أيضاً: أى ابتلاؤهم بالرّخاء و الشّدّة، و بالخير و الشّرّ فابتلاهم بما فيه شدّة و امتحان كقوله تعالى: «و نبلوكم بالشرّ و الخـير فتنة» الأنبيآء: ٣٥) بلاء لمن آمن بها و كفر بها، بلوى نبتليهم بها نمحّصهم، بلوى إختبار

نختبرهم بالخير و الشرّ نختبرهم فيما آتيناهم من الآيات من يؤمن بها، و ينتفع بها و من يكفر بها و يضيع حقّها: «و لقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا و ليعلمنّ الكاذبين» العنكبوت: ٣).

و قيل: فيكون في الآيات نعمة على الأنبيآء و المؤمنين لهم، و شدّة على الكفّار و المكذّبين بهم. ٥- قيل: أى ابتلاهم بنعمه عندهم لتظهر أفعالهم شكراً أو كفراً، و قد ظهرت في البغي و الضّلال، و في الغدر و الفساد حتّى لعنهم الله و غضب عليهم و جعل منهم القردة و الخنازير. ٦- قيل: أى ما فيه بلاء و اختبار شديدان، و فيه تلميحة بيّنة أنّ هذه الآيات المعجزات كانت بطيّاتها بلاءً مبيناً، يبين مدى إيمانهم أو كفرهم و كفرانهم. ٧- قيل: أى ما فيه اختبار ظاهر بيّن و هو الّذي نجاهم من فرعون و من الغرق، و أنزل عليهم المنّ و السّلوى في التّيه و غير ذلك.

أقول: و الرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق، إذ كانوا قبل إهلاك فرعون و قومه في غاية خزي و هوان، و في نهاية الشّدّة و النّقمة، ثمّ اختارهم على أهل زمانهم بالملك و الكتاب و النّبوّة و النّعمة و الرّخآء...

**٣٥- (إن هى إلاّ موتتنا الاولى و ما نحن بمنشرين)**

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى ما الموتة الّتي بعدها الحياة إلاّ موتتنا الاولى أى و هم نطف، و ما نحن بمبعوثين أحيآء بعد الثّانية، و ذلك أنّ النّزاع إنّما وقع في موتة تعقبها حياة، فأنكروا أن تكون موتة بهذا الوصف الاّ الموتة الاولى و هو حال كونهم نطفاً. ٢- عن ابن عبّاس: أى ما حياتنا إلاّ بعد موتتنا الاولى و ما نحن بمحيون بعد الموت.

٣- قيل: أى ما الموتة إلاّ موتتنا الاولى الّتي نموتها في الدّنيا فلا بعث بعدها، و ما نحن بمعادين بعد موتنا. فهم يريدون بقولهم: «إن هي إلاّ موتتنا الاولى» نفى الحياة بعد الموت الملازم لنفي المعاد بدليل قولهم بعده: «و ما نحن بمنشرين» أى بمبعوثين.

٤- قيل: أى ما الصّفة أو النّهاية أو الحالة أو العاقبة إلاّ الموتة الاولى، و ليست هذه إثباتاً لموتة ثانية، إنّما هو كقولك: حجّ فلان الحجّة الاولى و مات. فالضّمير: «هي»

راجع إلى الصّفة... و المعنى: ليست عاقبة أمرنا و نهاية وجودنا و حياتنا إلاّ الموتة الاولى المزيلة للحياة الدّنيويّة، فنحن نعدم بها، فلا حياة بعدها أبداً إذ نحن نموت موتة أبديّة لن نقوم بعدها، فلا حياة لنا بعد هذه الحياة الّتي نحن فيها في هذه الحياة الدّنيا، فلا ثانية لها: أن نموت عن حياة برزخيّة هي بعد الموتة الاولى «وما نحن بمنشرين» عن الموتة الثّانية.

و قد كان المنكرون للبعث تارة ينكرون لأيّة حياة بعد الموتة الاولى: «و قالوا إن هي إلاّ حياتنا الدّنيا و ما نحن بمبعوثين» الأنعام: ۲۹) رغم أنّهما إحياء ان!... و ينكرون تارة أُخرى أيّة إماتة بعد الاولى: «و ما نحن بمنشرين» كما هنا. فإنكار الموتة الثّانية هو إنكار للحياة البرزخيّة بعد الموت حيث إنّ الموتة الثّانيّة تستلزم حياة بين الموتتين، و إنّ قولهم: «و ما نحن بمنشرين» إنكار للحياة الآخرة بعد الموتة الثّانية.

فقولهم: «إن هي إلاّ حياتنا الدّنيا و ما نحن بمبعوثين» إنكار للحياة الأُخرى، و قولهم: «إن هى إلاّ موتتنا الاولى و ما نحن بمنشرين» إنكار للحياتين بعد الموت، و الحياة البرزخيّة ضرورة كما الحياة الأُخرى، فهنالك إماتتان و إحيآء ان: إحيآء أوّل للحياة الدّنيا، ثمّ إماتة عنها، فحياة برزخيّة، ثمّ إماتة ثانية، و من ثمّ إحيآء ثان للأُخرى، و هم سيعترفون بهما يوم الدّين، و قد كانوا ينكرونها في الحياة الدّنيا.

**أقول:** و الثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق و في معناه الرّابع فتدبّر جيّداً.

### ۳٦- (فأتوا بآبآئنا إن كنتم صادقين)

في الخطاب أقوال: عن إبن عبّاس و الفرّآء: خطاب لرسول الله ﴿ﷺ﴾ و قد جمع كقوله تعالى: «يا أيّها النّبيّ إذا طلّقتم النّسآء فطلّقو هنّ لعدّتهنّ» الطّلاق: ۱) و قوله: «ربّ ارجعون» المؤمنون: ۹۹) و المعنى: فأحي يا محمّد آبآئنا الّذين ماتوا قبلنا حتّى نسئلهم أحقّ ما تقول أم باطل؟ إن كنت من الصّادقين أن نبعث بعد الموت كقوله تعالى: «و لكلّ أُمّة رسول فإذا جآء رسولهم قضى بينهم بالقسط و هم لا يظلمون و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» يونس: ٤٧ - ٤٨) و قوله عزّوجلّ: «و لا تحزن عليهم و لا تكن في ضيق ممّا يمكرون و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض

الّذي تستعجلون» النّمل: ٧٠-٧٢).

٢- قيل: خطاب لرسول الله(ﷺ) و للمؤمنين به. ٣- قيل: خطاب للمؤمنين خاصّة، و هؤلآء المنكرون للبعث و الحساب و الجزاءِ يريدون بتحدّيهم هذا أن يوقعوا الشّكّ و الشّبهة في أذهان المؤمنين ليضلّوهم عن سبيل الله تعالى، و هذا دأب المضلّين في كلّ ظرف...و المعنى: فأتوا أيّها المؤمنون فاحيوا آبائنا الماضين بدعائكم أو بأيّ وسيلة إتّخذ تموها إن كنتم صادقين حتىّ نعلم صدقكم في دعواكم: أنّ الأموات سيحيون، و تكون الحياة بعد الموت، و أنّ الموت ليس بانعدام! أفبإتيان آبآئهم أحيآءً يثبت عندهم البعث بعد موتهم، و هم لا يعرفون آباءهم عياناً، و هم بمشهد متواتر من حياة بعد موت نباتيّةً و حيوانيّةً؟ مع أنّ البعث جمعآء ليس إلاّ في الدّار الآخرة للجزآء، و في الرّجعة لجماعة خاصّة للمكافاة... و لا يكون صدق القول في البعث محصوراً في نشر الآبآءِ... ثمّ إنّ نشرهم إلى الحياة الدّنيا لا يثبت نشرهم إلى الدّار الآخرة إلاّ إمكانيّة بالمماثلة و هي حاصلة عمليّاً و واقعيّاً.

ثمّ إنّ إتيان الآبآء للأبناءِ ليسئلوهم هل هناك نشرة بعد الموتة؟ و النّشرة تكون يوم القيامة، و ما وقعت بعد أوّلاً، و الآباء كأمثال الأبناءِ في إنكارها ثانياً، و حتّى إذا صدّقوها كيف هم يُصَدَّقون، و حملة الوحي يُكذَّبون، و إذا أنتم تكذِّبون حملة الوحي بآياتهم المعجزات ... و أنتم تعرفونها، فأنتم أولى تكذيباً بآبآئكم و أنتم لا تعرفونهم، و لو عرفتموهم لما كان لأقوالهم حجّة إلاّ أنّهم آباؤكم تقليداً أعمى و تقديماً لقولة الموتى الكافرين على الأحيآءِ الصّادقين...

و هذه خرافة تتكرّر، و شريطة تعاد على ألسن المنكرين ليوم البعث و الحساب و الجزآءِ: مَن ذا الّذي مات ثمّ رجع حتىّ يخبرنا عن الحياة الأُخرى؟ يسئلونه كأن لا جواب لهم إلاّ إنكارها، و لا يكون تصديقها محصوراً في أخبار الموتى، و إنّما تتبّع أدلّتها العقليّة و الواقعيّة الاخرى تسجّل ضرورة الحياة الأُخرى للحساب و الجزآءِ دون أن تثبتها أقاويل الموتى أو تنفيها...

و انّ هذه الأراجيف و الشّبهات يهرفها الخارفون، و ينكرها العارفون، فإنّ لكلّ

مدلول دليلاً يخصّه دون ما يتعنّته المنكرون...

و إنّ المنكرين للبعث يغفلون أو يتغافلون عن حكمة البعث... أنّها للوصول بالمؤمنين الصّادقين و المحسنين الصّالحين إلى النّهاية الكريمة الّتي تهيّئوا و تأهّلوا لها في الرّحلة الدّنيا: «و ما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيراً و أعظم أجراً» المزمّل: ۲۰).

و الوصول بالظّالمين الكاذبين و المسيئين الفاسدين إلى النّهاية الحقيرة الذّليلة الّتي قدّموا لها من حياتهم الرّذيلة و خطواتهم المرتكسة في الحمأة القذرة «لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و في العذاب هم خالدون» المائدة: ۸۰).

إذاً فدور البعث و النّشور و الحساب و الجزآءِ ليس إلاّ بعد انقضآءِ الحياة الأرضيّة كلّها دون أن تكون لعبة تتمّ حسب أيّة رغبة أو نزوة و تهوسة لفرد أوجماعة كي يصدقوا بالحياة الآخرة، و لن يصدقوها مهما غرقوا في واقع الأدلّة... «بل هم في شكّ يلعبون».

**أقول:** و على الأوّل جمهور المحقّقين و هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل و لا تغفل، فإنّ التدبّر في كلام الخالق أحرى و أولى من كلام المخلوق الخاطىء، و قد جعل الله عزّوجلّ حكمة التّنزيل، التدبّر في آياته، و عاتب من لم يتدبّرها عتاباً شديداً فقال: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته و ليتذكّر أُولوالألباب» ص: ۲۹) و قال: «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمّد(ﷺ): ۲٤) فتدبّر جيّداً و لا تكن من الغافلين.

و لعمري إنّ منشأ وقفة الاسلام و انحطاط المسلمين إلى الآن هو ترك تدبّر المسلمين كافّة، و العلمآء خاصّة في كلام الخالق العليم المتعال، و تمام تدبّرهم في الإصطلاحات الجامدة الجافّة المصطنعة من المخلوق الخاطىء، و تقديم كلام المخلوق الخاطىء على كلام الخالق جلّ و علاء بإسم العلم و ليس إلاّ جهلاً محضاً.

**٣٧- (أهم خير أم قوم تبّع و الّذين من قبلهم أهلكناهم إنّهم كانوا مجرمين)**

**في قوله تعالى:** «أهم خير أم قوم تبّع» أقوال: ١- قيل: أى أهؤلآء المشركون خير في القوّة و المنعة اللتين يدفع بهما أسباب الهلاك لا في الدّين حتّى يرد أنّه لا خيريّة في واحد من الفريقين، أم قوم تبّع الّذين كانت لهم القوى و القدرة...؟ أى ليس هؤلآء المشركون العرب خيراً من قوم تبّع و الأمم المهلكة، و إذا أهلكنا أُولئك فكذا هؤلآء... و تبّع رجل صالح عن إبن عبّاس. ٢- قيل: أى أهؤلآءِ المشركون هم أظهر نعمة و أكثر أموالاً أم قوم تبّع و هو نبيّ من الأنبيآء عن ابن عبّاس أيضاً.

٣- قيل: أى أهم أعزّ و أشدّ و أقوى و أمنع أم تبّع، و ليس المراد بتبّع رجلاً واحداً، بل المراد به ملوك اليمن، فكانوا يسمّون ملوكهم التّبابعة، فتبّع لقب للملك منهم ككسرى للفرس و قيصر للرّوم و خاقان للتّرك، و عن أبي عبيدة: سمّى كلّ واحد منهم تبّعاً لأنّه يتّبع صاحبه أو لكثرة تبعه.

**أقول:** و على الأوّل أكثر المفسّرين.

**و في قوله عزّوجلّ:** «و الّذين من قبلهم» و جهان: **أحدهما**- قيل: أى و الّذين من قبل قوم تبّع من قوم عاد و ثمود و قوم لوط و أضرابهم من كلّ جبّار عنيد أُولي بأس شديد. **ثانيهما**- قيل: أى من قبل هؤلآء المشركين.

**أقول:** و على الأوّل جمهور المفسّرين.

**٣٨- (وما خلقنا السّموات و الأرض و مابينهما لا عبين)**

**في قوله تعالى:** «لا عبين» أقوال: ١- عن ابن عباس و الكلبي: أى لا هين فيه. و المعنى: أنّا لم نخلق شيئاً من خلق السّموات و الأرض و ما بينهما لاهياً، و لا لغرض حكمى، بل خلقنا كلّ شيء من الخلائق لغرض حكمى، و هو أن ننفع به المكلّفين، و نعرضهم الثّواب، و ننفع سآئر الحيوان بضروب من المنافع لهم فيها و اللّذّات ... كلاًّ بحسبه فكيف يلهو بالحقّ و هو منزّه عن الباطل و البعث؟

۳- قيل: أى عابثين و المعنى: و ما خلقنا الخلق عبثاً بأن نوجدهم ما أردنا ثمّ نفنيهم بغير امتحان بطاعتنا و عبادتنا، و اتّباع أمرنا و نهينا، و بدون مجازاة للمطيع على طاعته، و العاصي على معصيته، بل خلقناهم لنبتلي من أردنا إمتحانه منهم بما شئنا من الأمر و النّهي، و لنجزى الّذين أساؤا بما عملوا، و نجزى الّذين أحسنوا بالحسنى.

فبداهة ضرورة الحياة الأُخرى عند من له أدنى مسكة غير خفيّة، إذ لولاها لكان نظام الكون باطلاً، و نواميس الوجود عبثاً، إذاً فالخلق دون الحياة و الحساب و الجزآءِ عبث و هو مستحيل على الله سبحانه.

و ذلك أنّ من البداهة أنّ بين الخلق، و خاصّة بين المكلّفين ظلامات و تعدّيات، و تخلّفات عن شرعة الحقّ و الهدى، و بينهم إستكبارات و إستضعافات، و فيهم من يعدل و من يظلم، من يطيع و من يعصى، من يحسن و من يسيىء، من يصلح و من يفسد، و من يؤمن و من يكفر... و الخلق الحقّ و الخالقيّة الحقّة العادلة تقتضي الجزآء الوفاق لكلّ كما يعمل، فإنّه تعالى قدير عليم، و عدل حكيم، و لا يرى أحد من المكلّفين تمام الحساب و كمال الجزاء في هذه الحياة الدّنيا، فلا بدّ و أن تكون حياة أُخرى بعدها لتجزى فيها كلّ نفس بما تسعى فيها، و لولاها لكان الخلق عبثاً، و أنّ الخالق هادف غير عابث، و أنّ القصد و التّصميم لائح من الخلق كلّه، و أنّه جلّ و علا عدل حكيم، فلتكن هناك حياة أُخرى بعد الحياة الدّنيا إذ ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما عبثاً.

۳- قيل: أى ما خلقت هذا باطلاً كيف و قد خلقت السّموات و الأرض، و أدرت الشّمس و القمر، و أنرت السّبل، و نظمت أحوال المعاش، و رتّبت كلّ شيء، و جعلت الجمال بادياً في جليل الأُمور و حقيرها، و لم أذر ذرّة الاّ نظمتها، و لا حبّة إلاّ رتّبتها، و لا عملاً إلاّ أحكمته: «صنع الله الّذي أتقن كلّ شيء» النّمل: ۸۸.

فانظروا إلى آثار الحكمة في الأنوار و الشّموس، في النّجوم و الكواكب، في القمر و الفضآء، في الجماد و النّبات، في الحيوان و في أجسامكم و أعضائكم، في ألوانكم و ألسنتكم، و في طبائعكم و إختلاف إستعداداتكم ...فانظروا ثمّ اجعلوا أبصاركم هل ترون من فطور في خلق الرّحمن؟

هل نظمته عابثاً؟ أو خلقته باطلاً؟ أأخلق مالا مستقبل له؟ إذاً فلما ذا هذه الأحكام و الأنعام؟ و لماذا هذه النّظم القويمة و العجآئب العظيمة و الرّحمة العميمة...؟ أأذر هذا كلّه كالهبآءِ المنثور في الهوآءِ، و العصف في الصّحرآءِ، والضّلال فى البيدآءِ، و عمل أرباب الرّيآءِ و كسر الطّفل للإنآءِ تلهيه بالببغآء، و جريه في العرآءِ؟؟؟

أأنهى عن الكفر و الضّلال، عن البغى و الفساد، عن الإثم و العناد، و عن العتوّ و اللّجاج ... و أبتغيها و أُثيبها؟ أم آمر بالبرّ و التّقوى، بالخير و الصّلاح، بالحقّ و الهدى، و بالرّشد و الفلاح ... و أمنعها و أُعاقب عنها؟ كلاّ! ثمّ كلاّ!

أيّها النّاس فكّروا في خلق السّموات و الأرض، و تدبّروا ما بينهما، و تعقّلوا في عقآئد كم و أعمالكم و أقوالكم... مستبصرين... و تأمّلوا فى نظام الكون و نواميس الوجود و ما فيهما من العلم و الحكمة، من التّدبير و القدرة، و من الجلال و العظمة... هل خلقنا خلقاً عبثاً؟!

٤- قيل: عن مقاتل: أى غافلين عنه.

**أقول:** ولكلّ وجه من دون تناف بينها فتأمّل جيّداً و اغتنم جدّاً و لا تكن من الغافلين.

## ٣٩- (ما خلقنا إلاّ بالحقّ و لكنّ أكثرهم لا يعلمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ محقّين في ذلك ليستدلّ به على وحدانيّتنا و عظمتنا، على علمنا و حكمتنا، و على تدبيرنا و قدرتنا... و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون ذلك. ٢- عن إبن عبّاس و الحسن و الكلبي: أى ما خلقناهما إلاّ للحقّ الّذي يصل إليه في دار الجزآءِ لا للباطل، و لكنّ أكثر أهل مكّة لا يعلمون ذلك و لا يصدّقون. ٣- عن مقاتل: أى ما خلقناهما إلاّ بالأمر الحقّ. ٤-قيل: أى إلاّ لإقامة الحقّ و إظهاره من توحيدالله و التزام طاعته.

٥- قيل: أى ما خلقناهما إلاّ بالحقّ الّذى لايصلح التّدبير إلاّ به، و لكن أكثر المشركين العرب من أهل مكّة و غيرهم لا يعلمون أنّالله خلق ذلك لهم، فهم لا يخافون

على ما يأتون من سخط الله عقوبة و لا يرجون على خير إن فعلوه ثـواباً لتكـذيبهم بالمعاد، و لا يعلمون أنّ العودة إلى دار أُخرى بعد هـذه الدّار، فـهم لقـلّة تـدبّرهم لا يعتقدون أنّ الأمر كذلك، و هم واهمون فيما يظنّون إذ لو لم توجد دار للحساب و الجزآء لما امتاز مطيع من عاص، و لامحسن من مسيئ، ولا مؤمن من كافر... والعقل قاضٍ بغير هذا.

٦- قيل: أى ما خلقنا السّموات و الأرض بما فيهما من نظام و إحكام يشهدان شهادة صدق و عدل بقدرة الخالق و تدبيره، بعلمه و حكمته، و بجلاله و عظمته و لكن أكثرأهل مكّة لا يعلمون ذلك لشركهم و ضلالهم، و لعنادهم و لجاجهم ... ٧- قيل: أى ما خلقنا هما إلاّ بالعلم الدّاعى إلى خلقهما، و العلم لا يدعو إلاّ إلى الصّواب والحـقّ. ٨- قيل: أي ما خلقناهما إلاّ للحقّ و هو الإمتحان بالأمر و النّهى، و الـتّمييز بين المحسن و المسيئ لقوله تعالى: «ليجزى الّذين أسآؤا بما عملوا و يجزى الّذين أحسنوا بالحسنى» النّجم: ٣١).

٩- قيل: أى ما خلقنا هما إلاّ على الحقّ الّذي يستحقّ به الحمد، خلاف الباطل الّذي يستحقّ به الذّمّ و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون صحّة ما قلناه لعدولهم عن النّظر فيه، و الإستدلال على صحّته. ١- قيل: أى ما خلقناهما إلاّ بالجدّ لا باللعب، و من اللعب أن أخلقكم في الأرض غافلين، ثم أعدم أرواحكم هالكين كمن يوقد المصباح في النّهار و يطفئه، و يفتل الحبل و ينقضه، و يبنى البناء و في الحال يهدمه لا لسبب إلاّ هواه، و لا لدليل إلاّ ما جناه فعل الصّبيان و الأطفال، فعل البلهاء و السّفهآء، و فعل الأذلّة الجبنآء... الّذين لا يعقلون، و لكن أكثر النّاس في كلّ ظرف لا يعلمون ذلك.

١١- قيل: أى ما خلقنا هما إلاّ متلبّسين بالحقّ و هو الدّلالة بهما على وحدانيّة الخالق لهما، و وجوب طاعته، و الإنابة إليه لعظمته و جـبروته كـما جآء في الحـديث القدسي: «كنت كنزاً مخفيّاً فأردت أن أعرف فخلقت الخـلق فـبي عـرفوني» فـالبآء للملابسة. ١٢- قيل: أى ما خلقنا هما بسبب من الأسباب إلاّ بسبب الحقّ الّذي هـو الايمان و الطّاعة و البعث و الجزآء. فالباء سببيّة. ١٣- قيل: أى ما خلقنا إلاّ بالحقّ سبباً و

ملابسة و غاية، فالخلق إذاً في مثلّث الحقّ، فلو لم يكن حساب أصبح في مثلّث الباطل و لكن أكثر النّاس لا يعلمون الحقّ الّذي خُلِقَتا به، لا جهلاً ذاتياً قاصراً، فهم معذورون بل لا يعلمون ذلك تجاهلاً و تغافلاً مقصّراً فهم مسئولون... و لا يخفى على ذي مسكة أنّ الفعل من العالم الحكيم هادف قاصد، فهل يخلق الله تعالى شيئاً فضلاً عن خلآئقه... ثمّ يهرج و يمرج بين خلقه دونما شرعة تضبطهم هنا، و دون حياة أُخرى للحساب يجازيهم فيها؟

أيرى من له أدنى مسكة أنّ هذه الرّحلة القصيرة على هذه الكوكبة الصّغيرة للإنسان أم أيّاً كان من الخليقة في هذا الكون الشّاسع الواسع المُستَخدَم لتكامله،كلّ ذلك تصبح هبآءً خواء، دون أيّة نهاية مقصودة؟ إنّ الخلق الحقّ، البعيد عن أيّ باطل، كيف يحمل باطل اللعب و اللهو البعث في اتّساعه دونما حاجة في هذه القصيرة و في عدم الحياة الحساب و الجزاء في النّهاية.

**أقول:** و على العاشر أكثر المحقّقين من دون تنافٍ بينه و بين أكثر الأقوال الاخُر فتأمّل جيّداً و لا تغفل.

**٤٠- (إنّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين)**

**في قوله تعالى:** «يوم الفصل» أقوال: أى يوم يقضى الله تعالى و يحكم بين عباده: بين المؤمنين و الكفّار، و المتّقين و الفجّار، و المطيعين و الفسّاق، فيجازي كلاًّ بما يستحقّه.
٢- قيل: أى يقضى بين الأنبيآء و بين أقوامهم... فيوم الفصل هو يوم القضآء و الحكم من الله تعالى، فهو يوم المحاكمة. ٣- قيل: سمّاه الله تعالى يوم الفصل لأنّه يفصل فيه بين الحقّ و الباطل، بين المحقّ و المبطل، و بين أهل التّقوى والفجور و بين أهل الجنّة و النّار بالجزآء.

٤- قيل: أى يفصل بين المؤمنين و بين ما يكرهون، و بين الكافرين و ما يشتهون.

٥- قيل: أى يفصل بين الوالد و ولده، و الرّجل و زوجته... يوم القيامة بما فيه من الهول الموجب لفرار كلّ منكم من الآخر، حسبما نطق به قوله تعالى: «يوم يفرّ المرء من أخيه و أُمّه و أبيه و صاحبته و بنيه لكلّ امرءٍ منهم يومئذٍ شأن يغنيه» عبس: ٣٧). ٦- عن

قتادة: أی یفصل بین النّاس بأعمالهم... ۷- قیل: أی یفرّق الله تعالی یومئذ بین النّاس لقوله عزّوجلّ: «و یوم تقوم السّاعة یومئذ یتفرّقون» الرّوم: ۱٤). ۸- قیل: أی یوم تظهر حال کلّ ما یکرهه، فلا یبقی فی حاله ریبة و لا شبهة، فتنفصل الخیالات و الشّبهات، و تبقی الحقآئق و البیّنات...

۹- قیل: أی یوم یمیّز اللّه عزّوجل بعضکم یومئذٍ من بعض، فیدخل أهل الایمان و الطّاعة الجنة، و أهل الکفر و المعصیة النّارو لا یری القریب المؤمن فی الجنّة قریبه الکافر فی النّار. ۱۰- قیل: أی یفصل الله تعالی یوم القیامة بینکم بتقطع الأسباب الدّنیویّة کقوله تعالی: «فإذا نفخ فی الصّور فلا أنساب بینهم یومئذ» المؤمنون: ۱۰۱).

**أقول:** و علی الثّالث أکثر المفسّرین، من دون تنافٍ بینه و بین بعض الأقوال الأُخر.

و فی قوله عزّوجلّ: «میقاتهم أجمعین» أقوال: قیل: أی میقات المشرکین العرب أجمعین.

۲- قیل: أی میقات النّاس أجمعین من الأوّلین و الآخرین. ۳- قیل: أی میقات من تقدّم ذکر من قوم تبّع و قوم فرعون و من تقدّمهم و قریش و غیرهم.

**أقول:** و الثّانی هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

**٤۱- (یوم لا یغنی مولی عن مولی شیئاً و لا هم ینصرون)**

فی الآیة الکریمة أقوال: ۱- قیل: أی لا یغنی مولی عن مولی شیئاً بقرابة، و لا یدفع عنه شیئاً من العذاب، و لا هم یمنعونه منه. ۲- قیل: أی لا یغنی مولی عن مولی أی صداقة. ۳- قیل: أی لا یغنی أحد عن أحد شیئاً إذ تنقطع الأسباب یومئذ، و ذهبت الأنساب، و صار النّاس إلی أعمالهم، فلا تنفعهم إلاّ أعمالهم الصّالحة و العقآئد الحقّة و الأقوال الحسنة، فمن أصاب یومئذ خیراً فی دنیاه سعد به آخر ما علیه، و من أصاب یومئذ شرّاً شقی به آخر ما علیه. ٤- عن الضّحّاک: أی لا یغنی ولیّ عن ولیّ شیئاً، و لا حلیف عن حلیف شیئاً، و لن ینجو من هو له و لا من شرّه.

٥- عن إبن عبّاس: أى لا يغني قرابة عن قرابة، و لا كافر عن كافر، و لا قريب من قريب شيئاً من الشّفاعة و لا من عذاب الله، و لا يمنعون ممّا يراد بهم من العذاب. ٦- قيل: المولى: الوليّ و هو ابن العمّ و النّاصر و المعتق و الجار و الحليف. و المعنى: لا يدفع ابن عمّ عن ابن عمّه، و لا قريب عن قريبه، و لا صاحب عن صاحبه، و لا صديق عن صديقه شيئاً من عقوبة الله الّتي حلّت بهم من الله و لا ينصر المؤمن الكافر لقرابته و لا حليف لحليفه، و لا نصير لنصيره، ولو كان بينهما في الدّنيا علقة من قرابة أو صداقة أوغيرهما.

٧- قيل: أى لا يغني مولى أىّ مولى كان من قرابة و غيرها عن أىّ مولى كان شيئاً من إغنآء و لا هم ينصرون. و الضّمير: «هم» راجع إلى الموالي لأنّهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام و الشّياع كلّ مولى، فلا ينصر بعضهم بعضاً، فيستعيذوا ممّن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدّنيا ٨- قيل: المعنى: لايغني أحد من الوليّ و النّاصر و المعين و ابن العمّ أحداً، و لا يتوقّع منه النّصرة. و الضّمير في «لا ينصرون» للمولى الثّاني لأنّه جمع في المعنى لعمومه و شياعه. ٩- قيل: أى من والى غير أوليآء الله لا يغني بعضهم عن بعض، و ليس لهم من ينتصر لهم من عقاب الله تعالى.

١٠- قيل: المولى هو الصّاحب الّذي له أن يتصرّف في أُمور صاحبه، و لا يطلق على من يتولّى الأمر، و على من يتولّى أمره، و المولى الأوّل في الآية هو الأوّل، و الثّاني و هو الثّاني. و الآية الكريمة تنفي أوّلاً إغنآء مولى عن مولاه يومئذ، و تخبر ثانياً أنّهم لا ينصرون، و الفرق بين المعنيين أنّ الإغنآء يكون فيما استقلّ المغني في عمله، و لا يكون لمن يغني عنه صنع في ذلك، و النّصرة إنّما تكون فيما كان للمنصور بعض أسباب الظّفر النّاقصة، و يتمّ له ذلك بنصرة النّاصر. و الوجه في انتفاء الإغناء و النّصر يومئذ أنّ الأسباب المؤثّرة في نشأة الحياة الدّنيا تسقط يوم القيامة قال الله تعالى: «و تقطّعت بهم الأسباب» البقرة: ١٦٦) وقال: «فزيّلنا بينهم» يونس: ٢٨).

**أقول:** و على الأخير أكثر المفسّرين، و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٤٢- (إلاّ من رحم الله إنّه هو العزيز الرّحيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى لا يمنع من العذاب إلاّ من رحمه الله تعالى بالشّفاعة. ف«من» في موضع رفع، بدل من الواو في «ينصرون» بنآءً على أنّ ضمير الجمع راجع إلى النّاس أجمعين. قيل: لا يجوز البدل لأنّ «إلاّ» محقّق، و الأوّل منفيّ و البدل لا يكون إلاّ بمعنى الأوّل. ٢- قيل: أى و لكن من رحم الله و هم المتّقون الّذين لا ينالهم ما يحتاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين، فإنّ المرحومين في غنى عن مولى يغني عنهم و ناصر ينصرهم. ف«من» في موضع نصب على الإستثنآء المنقطع. هذا بنآء على رجوع الضّمير إلى الكافرين.

٣- قيل: أى لا يغني قريب عن قريب إلاّ المؤمنين، فإنّه يؤذن لهم في الشّفاعة، فيشفعون في بعضهم بأن يأذن بالشّفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له بشفاعته أو يسقط عقابهم إبتداء. فالإستثناء متّصل. ٤- قيل: إنّ الإستثناء متّصل من «مولى» ثمّ قيل: و فيه نظر فإنّ الإغناء إنّما هو فيما لم يكن عند الإنسان شيء من أسباب النّجاة، و من كان على هذه الصّفة لم يغن عنه مغن، و لاإستثناء، و الشّفاعة نصرة تحتاج إلى بعض أسباب النّجاة و هو الدّين المرضيّ، نعم يمكن أن يوجّه بما سيجيء في رواية الشّحّام. ٥- قيل: أى إلاّ من رحم الله فمغفور عنه، أو فيغني عنه و يشفع و ينصر. ف«من» مبتداء أو خبر لمحذوف. قيل: لا يجوز ذلك إذ لا يستأنف بالإستثنآء. قيل: كأنّك قلت: لا يقوم أحد إلاّ فلان.

٦- قيل: إستثناء عن «لا يغني» و فيه أنّ «شيئاً» في سياق نفي الغنى ينفي كلّ غنى في كلّ شيء فلا يستثنى، و أنّ النّصرة المساعدة هي موضع الشّفاعة على شروطها، دون الغنى المستقلّة لمن ليست له أيّة أهليّة للرّحمة الخاصّة الإلهيّة فالشّفيع لا يغني و لا يكفي و إنّما ينصر بإذن الله تعالى و رضاه،و إنّما المغني الكافي هو الله تعالى وحده لا سواه «أليس الله بكاف عبده» الزّمر:٣٦). ٧- قيل: إنّ قوله تعالى: «إلاّ من رحم الله» تعمّ المولى النّاصر الشّافع ، و المنصور المشفع له، حيث إنّ المستثنى منه يعمّهما «مولى عن مولى».

أقول: و على الثّالث أكثر المحقّقين و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

## ٤٣- (إنّ شجرة الزّقّوم)

في «شجرة الزّقّوم» أقوال: ١- قيل: هي من أخبث الشّجر المرّ بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم و شجرة الزّقّوم: شجرة خلقها الله في جهنّم و سمّاها الشّجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النّار إلتجئوا إليها، فأكلوا منها، فغليت في بطونهم كما يغلي المآء الحارّ. ٢- قيل: هي شجرة على صورة الشّجرفي الدّنيا، و الزّقّوم ثمرها مقيت و سمّ مميت. ٣- قيل: شجرة الزّقّوم: الكريهة الطّعم الّذي يشبه طعم عكر الزّيت. ٤- قيل: هي شجرة ذات ثمرمرّ تنبت بتهامة، شبعت بها الشّجرة الّتي تنبت في الجحيم. ٥- قيل: الزّقّوم ما أكـل بتكرّه شديدله ، لأنّه يخشو به فمه، و يأكله بشره شديد. ٦- قيل: الزّقم: هو الكريه في المنظر و المطعم و الرّيح، فالزّقّوم هو المبالغ في ذلك.

أقول: و على الاوّل أكثر المفسّرين من دون تنافٍ بينه و بين الأقوال الأخر، و قد سبق فيها أقوال في تفسير سورة الصّافات:٦٢) فراجع و تدبّر.

## ٤٤- (طعام الأثيم)

في «الأثيم» أقوال: ١- عن إبن عبّاس: الأثيم الفاجر و هو أبوجهل و أصحابه ذو وا الأثم الكبير. ٢- قيل: الأثيم هو الظّالم الضّالّ المكذّب الباغي، الطّاغي. ٣- قيل: الأثيم: الكثير الآثام... و هو الكافر. ٤- عن سعيد بن جبيرو إبن زيد و أبي ما لك: الأثيم: الآثم و هو أبوجهل. و روى أنّ أبا جهل أتى بتمر وزبد، فجمع بينهما و أكل: و قال: هذا هو الزّقّوم الّذي يخوّ فنا محمّد به، نحن نتز قمه أي نملأ أفوا هنا به. ٥- عن يحيي بن سلام: هو المشرك المكتسب للإثم.

٦- قيل: الأثيم من استقرّ فيه الإثم إمّا بالمداومة على معصية، و إمّا بالإكثار من المعاصي... و أثم الرّجل: إذا وقع في الإثم. ٧- قيل: الأثيم: ذوالإثم، و المراد به هنا الكفر بالله دون غيره من الآثام... ٨- قيل: أى الفاجر الكثير الآثام... روى أنّ أبا الدّردآء كان يقرىء رجلاً: إنّ شجرة الزّقّوم طعام الأثيم، فقال: طعام اليتيم فقال أبو الدّردآء:قل: إنّ شجرة الزّقوم طعام الفاجر. ٩- عن ابن عيسى و القشيري: الأثيم مبالغة الآثم، و لهذا

يمكن أن يقال: إنّه مخصوص بالكافر.

**أقول:** و التعميم هو الأنسب بظاهر الوصف.

## ٤٥- (كالمهل يغلي في البطون)

في «المهل» أقوال: ١- عن إبن عبّاس و سعيد بن جبير: المهل: مآء غليظ كدرديّ الزّيت الأسود في النّار، و خثارته و رديئه بعد غليانه. ٢- عن إبن عبّاس أيضاً: أى حارّة كالفضّة المذابة. و أنّ إبن عبّاس رآى فضّة قد أُذيبت، فقال: هذا المهل.

٣- قيل: شبّه ما يصير من شجرة الزّقّوم إلى بطون الكفّار الآثمين بالمهل و هو النّحاس المذابّ. و لعلّ وجه التّشبيه هو بشاعة الطّعم كما أنّ الوجه في قوله: «طلعها كأنّه رؤس الشّياطين» الصّافّات: ٦٥) هو كراهة المنظر.

٤- عن عبدالله بن مسعود في قوله تعالى: «كالمهل يشوي الوجوه» الكهف: ٢٩) قال: دخل بيت المال، فأخرج بقايا كانت فيه، فأوقد عليها النّار حتّى تلألأت، قال: أين السّآئل من المهل؟ هذا هو المهل، و ذلك أنّ ابن مسعود سئل عن المهل الّذي يقولون يوم القيامة شراب أهل النّار. و هو على بيت المال، فدعا بذهب و فضّة فأذا بهما، فقال: هذا أشبه شيء في الدّنيا بالمهل الّذي هو لون السّمآء يوم القيامة، و شراب أهل النّار غير أنّ ذلك هو أشدّ حرّاً من هذا.

**في السّيرة النبوية:** لابن هشام:قال: المهل كلّ شيء أذبته من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة. و بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصرى أنّه قال: كان عبد الله بن مسعود والياً لعمربن الخطاب على بيت مال الكوفة، و أنّه أمر يوماً بفضّة فأُذيبت فجعلت تلوّن ألواناً، فقال: هل بالباب من أحد؟ قالوا: نعم، قال: فأدخلوهم، فأُدخِلوا، فقال: إنّ أدنى ما أنتم رآون شبهاً بالمهل لهذا.

و قال الشّاعر:

يسقيه ربّي حميم المهل يجرعه     يشوى الوجوه فهو في بطنه صهر

٥- قيل: المهل هو صديد الميّت خاصّة، و ما يتحات عن الخبز من الرّماد.

و في السّيرة: ويقال: إنّ المهل: صديد الجسد. بلغنا أنّ أبابكر لمّا حُضِر أمر بثوبين لبيسين يُغسلان، فيكفّن فيهما، فقالت له عائشة: قد أغناك الله يا أبت عنهما فاشتر كفناً، فقال: إنّما هي ساعة حتّى يصير إلى المهل.

قال الشّاعر:

شاب بالمآء منه مهلاً كريهاً ثمّ علّ المتون بعد النّهال

المهل: الشّرب بعد الشّرب، و المتون: الظّهور، و النّهال - جمع نهل -: هو الشّرب الأوّل. ٦- قيل: «كالمهل» أى كعكر الزّيت، فإذا قرّب إلى وجه، سقطت فروة الوجه فيه. ٧- قيل: المهل هو المذاب من النّحاس أو الرّصاص أو الذّهب أو الفضّة و غيرها ممّا يماع بالنّار. و الغلي إرتفاع المآئع من المآء و نحوه بشدّة الحرارة.

٨- قيل: المهل: ماهو يمهل في النّار حتّى يذوب. ٩- قيل: المهل: إسم يجمع معدنيّات الجواهر كالفضّة و الحديد و الصّفر ما كان منها ذآئباً، و القطران الرّقيق، و الزّيت الرّقيق، و السّمّ و القيح.

**أقول:** و على السّابع أكثر المفسّرين، و في معناه بعض الأقوال الأُخر.

**٤٦- (كغلى الحميم)**

في «الحميم» قولان: **أحدهما** - قيل: أى يغلي ثمرة شجرة الزّقّوم في بطون الآثمين كغلي المآء الحارّ المحموم و هو المسخن الّذي قد أو قد عليه حتّى تناهت شدّة حرّه. **ثانيهما** - قيل: «الحميم» بمعنى المحموم لأنّه مصروف من مفعول إلى فعيل كالقتيل من المقتول.

**أقول:** و على الأوّل جمهور المفسّرين.

**٤٧- (خذوه فاعتلوه إلى سوآء الجحيم)**

في قوله تعالى: «فاعتلوه» أقوال: ١- عن مجاهد أى جرّوه بشدّة على وجهه. ٢- قيل: أى زعزعوه و أدفعوه بعنف و منه قول الشّاعر:

فيا ضَيْعَةَ الفِتيان إذ يعتلونه ... ببطن الثّرى مثل الفنيق المُسَدَّم

العتل: زعزعة البدن بالجفآء و الغلظة للإهانة. و اعملوا به هذا العمل. ٣- قيل: أى سوقوه بالعنف و ادفعوه دفعاً في ظهره و سحباً و اذ هبوا به. أمر صارم من العزيز الجبّار إلى زبانية النّار باعتقال كلّ أثيم قهّار: «خذوه» أخذ الإعتقال و شدّوه في كلّ إهانة و مهانة على أيّة قال، و هو في حالة الفرار و لات حين فرار «فاعتلوه» خذوه بمجامعه و جرّوه بقهر «إلى سوآء الجحيم».

٤- قيل: أى جرّوه بعنف و غلظة كأن يؤخذ بتلبيبه فيجرّ إلى وسط النّار. و التّركيب يدلّ على الشّدّة و الغلظة، و منه العتلّ للجا في الغليظ. العتل: الأخذ بمجامع الشّيء و جرّه بقهر. ٥- قيل: أى فقوّدوه بعنف، و هو أن يؤخذ بتلبيب الرّجل فيجرّ إلى قتل أو حبس و منه العتلّ. ٦- عن إبن عبّاس: أى أيّها الزّبانيّة خذوا أباجهل فتلتاوه. ٧- قيل: أى إحملوه بعنف وسو قوه و ألقوه. ٨- قيل: أى إضغطوا كلّ أثيم من كلّ جانب ثمّ أنزلوه إلى قلب جهنّم.

**أقول:** و الثّاني هو الأنسب بمعناه اللغوي، و غيره من لوازمه و آثاره فتدبرّ جيّداً.

و في قوله عزّ و جلّ: «إلى سوآءِ الجحيم» أقوال: ١- عن قتادة أى إلى وسط النّار. و سمّى وسط الشّيء و عمقه سوآء لاستوآء المسافة بينه و بين أطرافه المحيطة به، و السّواء: العدل. و كأنّ وسط الجحيم دركه الأسفل المحيط به سآئر الجحيم، فإنّ الجحيم طبقات متداخلة كرويّة أماهيه، بعضها فوق بعض، ممّا يزيد كلّ تالية عذاباً حتّى الدّرك الأسفل في المركز الرّئيسي منه، كما أنّ الكرّة الأرضية ذات الحرارة في أعماقها، حيث الأسفل منها و مركزها و هي أحرّ من سآئر أطباقها، و لأنّ أصل الحرارة في الجحيم هو في أصل الجحيم، فأهل الأصل هم صلآءه و الباقون بهم يصطلون.

٢- قيل: أى إلى وسط معظم النّار. ٣- قيل: أى إلى قلب النّار.

**أقول:** و لكلّ وجهٌ من دون تنافٍ بينهما.

## ٤٩-(ذُق إنّك أنت العزيز الكريم)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى قولوا أيّها الخزنة للأثيم اللئيم إستهزاءً به: أنت كذلك عند نفسك و قومك اذ كنت في الحياة الدّنيا ترى نفسك عزيزاً تتغلّب على من سواك، كريماً كأنّك المنعم على من سواك لاسواك، حتّى كنت تزعم أنّ لك يوم القيامة الحسنى دون من سواك. هذا على وجه التّهجين له بما كان يدّعى له ممّا ليس به. و هذا عذاب العزيز دو نما عزّة، و جزآء الكريم دو نما كرامة، و إنّما ذلّة و لئامة بلا هوادة.

٢- قيل: إنّ الله تعالى لمّا أمر أن يصبّ فوق رأس الأثيم من عذاب الحميم يخاطبه فيقول له: ذق ...

٣- عن إبن عبّاس و سعيد بن جبير: أى ذق أيّها الأثيم الشّقيّ إنّك أنت الذّليل المهين. إلاّ أنّه قيل: على تلك الجهة للتّبعيد منها على وجه الإستخفاف به، و التّوبيخ له على مقاله، و الإستهزآء و الإهانة و التّنقيص. و هذا على معنى النّقيض و التقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدّنيا، و توبيخ له بذلك على وجه الحكاية لأنّه كان في الدّنيا يقول: إنّي أنا العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة إذ عذّب بما عذّب به في النّار: ذق هذا الهوان اليوم، فإنّك كنت تزعم أنّك أنت العزيز الكريم، و أنّك أنت الذّليل المهين فأين الّذي كنت تقول و تدّعى من العزّ و الكرم هلاّ تمتنع من العذاب بعزّتك. و المعنى: قال له: ذق إنّك أنت الذّليل المهان و هو كما قال قوم شعيب لشعيب: «إنّك لأنت الحليم الرّشيد» هود: ٨٧) يعنون السّفيه الجاهل في أحد التّأويلات يقال للجاهل: يا عالم، و للقبيحة: يا قمر...

٤- عن إبن عبّاس أيضاً و عكرمة و قتادة: إنّ الآية نزلت في أبي جهل، و قد كان يقول لرسول الله ﴿صلى الله عليه و آله و سلم﴾: «ما بين جبليها أعزّ و لا أكرم منّي» و «أنا أعزّ الوادي و أكرمهم» و «أنا أعزّ من بها و أكرم و أنا العزيز الكريم» و المعنى: ذق يا أباجهل عذاب الجحيم اليوم إنّك أنت العزيز المتعزّز في قومك، الكريم المتكرّم عليهم فيعيّر بذلك في النّار.

٥- قيل: أى يقول لكلّ أثيم جبّار، ملك من الملآئكة: ذق أيّها الأثيم أنت الّذي كنت تطلب العزّ في قومك، و الكرم بمعصية الله. ٦- قيل: أى كلمة تقال لكلّ أثيم حين العذاب،

عذاباً فوق العذاب حيث إنّك أنت العزيز في قومك، الكريم عليهم، فما أغنى ذلك عنك اليوم. فذق هذا العذاب لأنّك كنت صاحب الجلالة و الفخامة، و صاحب السّيادة و المعالي و صاحب الهرّ و السّنيور...

**أقول:** و على الأوّل أكثر المحقّقين، و في معناه بعض الأقوال الأُخر.

**٥٠- (إنّ هذا ما كنتم به تمترون)**

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى تقول خزنة النّار للآثمين: إنّ هذا العذاب ما كنتم به تشكّون فيه. ٢- قيل: أى تتمارون فيه. ٣- قيل: أى تتلاجون بسببه. ٤- قيل: يقال لهم: إنّ هذا العذاب ما كنتم تختصمون فيه، و لا تؤمنون و توقنون به في الحياة الدّنيا، فقد لقيتموه اليوم فذوقوه. ٥- قيل: أى تتصرّفون مسترسلين مع طموح الميول وجموح الأهوآء آمنين من كلّ حساب، هذه هي عاقبة الطغاة المجرمين أمّا مصير الأحرار الطّيّبين... ٦- قيل: أى تتردّون في تكلّف النكران حيث إنّ البيّنات من كلّ الصّنوف واضحة الدّلالة على ضرورة الحياة الحساب وضح النّهار و لكنّكم كنتم تمترون تحميلاً على فطركم و عقولكم حيث لا تتحمّل مثل ذلك النكران إلاّ تكلّفاً و الإفتعال تكلّف للفعل.

**أقول:** و على الأوّل أكثر المفسّرين، و في معناه بعض الأقوال الأُخر.

**٥١- (إنّ المتّقين في مقام أمين)**

في «المتّقين» أقوال: ١- قيل: أى الّذين اتّقوا الله تعالى و خافوا غضبه و عقابه، و ارجوا فضله و ثوابه. ٢- قيل: أى الّذين اجتنبوا معاصى الله تعالى لكونها قبآئح، و يفعلون طاعاته لكونها طاعات... ٣- قيل: أى الّذين اجتنبوا الكفر و الشّرك و البغى و الإثم و الفواحش...

**أقول:** و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

و في قوله تعالى: «في مقام أمين» أقوال: ١- قيل: أى في موضع إقامة من الظّعن. هذا بناءً على ضمّ الميم في «مقام» فالمتّقون آمنون في ذلك الموضع ممّا كان يخاف منه في مقامات الدّنيا من الأوصاب و العلل و الأنصاب و الأحزان... ٢- قيل: أى إنّ المتّقين في موضع قيامهم. هذا بناءً على فتح الميم. و وصفه بأنّهم في «مقام أمين» من كلّ ما يخاف و يحذر، فيأمن صاحبه عن الآفة و الإنتقال. و ليس هذا في الحياة الدّنيا إذ لا يخلو منها أحد من موقف خوف من مرض أو عدوّ أو أذى و ما إليها، فسيكون المتّقون وحدهم يوم القيامة في مقام الآمن المطمئن، فهم ثابتون في محلّ ذي أمن إصابة المكروه مطلقاً.

٣- قيل: أى في مجلس أمنوا فيه من كلّ همّ و حزن... فكما أنّ الكفر و الطغيان، و البغي و العصيان، و الظّلم و العدوان تجعل أهلها في اضطراب مهين، كذلك الإيمان و التّقوى، و الطّاعة و الإحسان، و العدل و الفلاح تجعل أهلها في مقام أمين في الدّارين معاً حيث إنّ العقبات السّوء من الخآئنين الآثمين، و الظّالمين الباغين في الدّنيا الّتي تتربّص دوائرها بالمؤمنين المتّقين لا تُحْسَب إضطرابات لهم أمام الأمن الأمين لهم يوم الدّين، مع أنّ المتّقين لهم الأمن في سرآئرهم و ضمآئرهم، في عقولهم و أفكارهم، و في قلوبهم و صدورهم: «ألاٰ بذكرالله تطمئنّ القلوب» الرّعد: ٢٨) «و كيف أخاف ما أشركتم و لا تخافون أنّكم أشركتم بالله ما لم ينزّل به عليكم سلطاناً فأىّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون الّذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أُولئك لهم الأمن و هم مهتدون» الأنعام: ٨١-٨٢).

فإنّه في «حزب الله بالتّقوى من كلّ بليّة» و من ثمّ لهم كمال الأمن في الدّولة الأخيرة المهدويّة ﴿ﷺ﴾: «و ليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدو نني لا يشركون بي شيئاً» النّور: ٥٥) أمن بعد أمن في الحياة الدّنيا، و أمن ثالث دآئم في الدّار الآخرة.

٤- قيل: أى أمنوا فيه الغيرَ من الموت و الحوادث... ٥- عن قتادة: أى أمنوا فيه من الشّيطان و الأحزان و الأوصاب. ٦- قيل: أى في مقام أمين أبداً لا شيء يكدر العيش و يزعج القلب. ٧- قيل: أى في مجلس و مشهد أمنوا فيه من غيرهم. ٨- قيل: أى في مقام ذي أمن يؤمن فيه من الآفات... ٩- قيل: الأمين هنا من الأمانة لأنّ المكان

المخيف كأنّما يخوّف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره... ۱۰- عن ابن عبّاس و ابن جريج: أى في مكان أمنوا فيه من الموت و العذاب و الزّوال... ۱۱- عن الضّحّاك: أى أمنوا الموت أن يموتوا، و أمنوا الهرم أن يهرموا، و لا يجوعوا و لا يعروا و لا يظمأوا.

**أقول:** و التّعميم هو الأنسب بسياق الإطلاق و الإمتنان. فتأمّل جيّداً و اغتنم جدّاً و لا تكن من الغافلين.

**۵۲- (في جنّات و عيون)**

في «عيون» أقوال: ۱- عن إبن عبّاس: أى أنهار الخمر و المآء و اللّبن و العسل. ۲- قيل: أى عيون المآء المطّرد في أصول أشجار الجنّات و البساتين. ۳- قيل: أى و عيون مآء نابعة فيها.

**أقول:** و الأوّل غير بعيد، فتأمّل جيّداً.

**۵۳- (يلبسون من سندس و إستبرق متقابلين)**

في «سندس و إستبرق» أقوال: ۱- عن الحسن و قتادة و عكرمة: السّندس هو حرير رقيق، من ديباج الجنّة لا يماثل رقيق ديباج الدّنيا إلاّ في الإسم فقط. و الإستبرق هو غليظ ديباج الجنّة لا يماثل ديباج الدّنياإلاّ في الإسم فقط، فلا يساوي غليظ ديباج الدّنيا، غليظ ديباج الجنّة حتيّ يعاب كما أنّ سندس الجنّة هو رقيق الدّيباج لا يساويه سندس الدّنيا. ۲- قيل: السّندس لباس السّادة من أهل الجنّة، و الإستبرق لباس العبيد و الخدم إظهاراً لتفاوت المراتب.

۳- قيل: السّندس و الإستبرق نوعان من الحرير السّميك السّماوي لا الأرضي فوعدهم الله تعالى من الثّياب بما عظم عندهم و اشتهته أنفسهم. ٤- قيل: السّندس ما يلبسونه و الإستبرق ما يفترشونه. ۵- عن ابن عبّاس: السّندس: ما لطف من الدّيباج، و الإستبرق ما ثخن من الدّيباج.

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين.

و في قوله عزّوجلّ: «متقابلين» أقوال ١- قيل: أى متقابلين في المجالس لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، بل يقابل بعضهم بعضاً. ٢- قيل: أى متقابلين بالمحبّة لا متدابرين بالبغضة. ٣- قيل: أى متواجهين يدور بهم مجلسهم حيث داروا. ٤- عن إبن عبّاس: أى متقابلين في الزّيادة.

أقول: و لكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينهما، فتأمّل جيّداً.

٥٤- (كذلك و زوّجناهم بحور عين)

في قوله تعالى: «كذلك» أقوال: ١- أى الأمر كذلك الّذي ذكرناه. ٢- عن إبن عبّاس: أى هكذا مقام المؤمنين في الجنّة. ٣- قيل: أى كما أدخلناهم الجنّة و فعلنا بهم ما تقدّم ذكره كذلك أكرمناهم بأن زوّجناهم حوراً عيناً. ٤- قيل: أى مثل ذلك آتيناهم. ٥- قيل : أى كما أعطينا هؤلآء المتّقين في الآخرة من الكرامة بإدخالنا إيّاهم الجنّات، و إلباسنا إيّاهم فيها السّندس و الإستبرق كذلك أكرمناهم بأن زوّجناهم أيضاً فيها حوراً من النّسآء و هنّ النّقيّا البياض. ٦- قيل:أى كذلك حال أهل الجنّة. ٧- قيل: أى كذلك المقام الأمين. ٨- قيل: أى كذلك شأنهم الّذي هم فيه. ٩- قيل: أى و مثل ما فعلنا بهم كذلك زوّجناهم بحورعين.

أقول: و الثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق و في معناه أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله جلّ و علا: «و زوّجناهم» أقوال: ١- عن مجاهد و الأخفش: هذا من التّزويج و النكاح المعروف. و عن عكرمة: هي لغة يمانية، و ذلك أنّ أهل اليمن يقولون: زوّجنا فلاناً بفلانة. ٢- عن ابن عبّاس: أى قرناهم بهنّ في الجنّة من الزّوج بمعنى القرين. و هو أصل التزويج في اللغة، فلا يكون في الجنّة تزويج. ٣- قيل: ليس هذا تزويجاً كتزويج الدّنيا، بل هو تمتّع دآئم من غير كلفة.

أقول: و على الأوّل أكثر المحقّقين و المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و في قوله عزّوجلّ: «بحورعين» أقوال: ١- عن قتادة: أى بيض عين. ٢- قيل: الحور جمع حورآء و هي المرآة البيضآء من الحور- بالتّحريك-: و هو شدّة البياض، و لا يقال للمرأة: حورآء إلاّ البياض مع حورها. ٣- عن أبي عبيدة: الحوراء: الشّديدة بياض العين، الشّديد سوادها من حورت العين حوراً: إذا اشتدّ بياض بياضها، و سواد سوادها. و الحور: هو أن يصفو بياض العين، و يشتدّ خلوصه، فيصفو سوادها. فالحور غير نسآء الدّنيا. ٤- عن الحسن: هنّ عجآئزكم ينشئهنّ الله خلقاً آخر. و هنّ نسآء بيض و اسعات الأعين حسانها.

٥- عن مجاهد: الحور هي الّتي يحار فيها الطّرف بادياً، يحار في حسنهنّ و بياضهنّ و صفآء لو نهنّ إذا يرى مخ سوقهنّ من ورآء ثيابهنّ، و يرى النّاظر وجهه في كبد إحدا هنّ كالمرآة من رقّة الجلد و صفآء اللون، خلق الحور من الزّعفران و عن ابن زيد: إنّ الله لم يخلق الحور العين من تراب، إنّما خلقهنّ من مسك و كافور و زعفران، و قيل: خلقت الحورآء من تسبيح الملآئكة، و يوجد ريح المرأة من الحور العين من مسيرة خمسمأة سنة. ٦- عن ابن عبّاس: الحوراء: البيضآء الممتعة. و قال: لو أنّ حورآء أُخرجت كفّهابين السّمآء و الأرض لا فتتن الخلائق بحسنها، و لو اخرجت نصيفها لكانت الشّمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشّمس لاضوء لها، و لو أخرجت وجهها لأضآء ما بين السّمآء و الأرض.

٧- عن عطآء: حور عين: سود الحدقة، عظيمة العين. ٨- عن الضّحّاك: الحور: البيض، و العين: العظام الأعين. و حورته: بيضته من حار يحور أى رجع إلى الحالة الاولى كما يرجع إلى حال الأبيض، و منه المحور. ٩- عن إبن عبّاس أيضاً: بحور عين أى بجوار بيض، عظام الأعين، حسان الوجوه. ١٠- قيل: الحوراء: البيضآء الّتي يرى ساقها من ورآء ثيابها، و يرى النّاظر وجهه في كعبها كالمرآة من دقّة الجلد و بضاضة البشرة و صفآء اللون. فعنى الحور هنا: الحسان الثّاقبات البياض بحسن. عن إبن مسعود: إنّ المرأة

من الحور العين ليرى مخّ ساقها من ورآء اللّحم و العظم، و من تحت سبعين حلّة كما يرى الشّراب الأحمر في الزّجاجة البيضآء.

١١- عن أبي عمرو: الحور: أن تسودّ العين كلّها مثل عين الظّبآء و البقر ليس في بني آدم حور، و إنّما قيل للنّسآء: حور العين لأنهنّ يشبّهن بالظّباء و البـقرة. أى ذات المقلة السّودآء كالظّباء و البقرة. فللمؤمنين في الجنّة أزواج مؤمنات من نسآء الدّنيا، و حور عين لسن من جنس نسآء الدّنيا ، و النّسآء المؤمنات هنّ أفضل من الحور العين في الجنّات.

**أقول:** و الثّالث هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

## ٥٥- (يدعون فيها بكلّ فاكهة آمنين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى يستدعون أىّ ثمرة شآؤاو إشتهوا غير خآئفين فوتها، آمنين من نفادها و مضرّتها. ٢- قيل: أى يطلبون و يأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه، لا يتخصّص شيء منها بمكان و لا زمان آمنين ضررها. ٣- قيل: أى يطلبون إحضارها لديهم، لا يخافون من مغبّة أكلها. ٤- قيل: أى يتمتّعون بكلّ فاكهة، ويطلبون ما يشتهون من أنواعها و هم آمنون من انقطاعها، و انقطاع ما هم فيه من النّعيم، و آمنون من غآئلة أذاها و مكروهها و مضرّتها فإنّها ليست كفواكه الدّنيا الّتي يأكلها الإنسان، و يخاف مكروه عاقبتها أو يخاف نفادها أحياناً...

٥- عن قتادة: أى يحكمون و يأمرون في الجنّة بإحضار ما يشتهون من الفواكه في أيّ وقت و مكان، آمنين من التّخم و التّبعات و الأسقام و الأوجاع، و من أيّ إضطراب في أكلها، و من الموت و النّصب و الوصب و الشّيطان و المرض و الكبر و الضّعف. ٦- قيل: أى يطلبون من الخدم في الجنّة أن يأتوهم بكلّ فاكهة من فواكهها، آمنين من كلّ مخوّف. ٧- عن إين عبّاس: أى يسئلون في الجنّة بألوان كلّ فاكهة آمنين من المـوت و

الزّوال و العذاب. ۸- قيل: أي يتعاطون في الجنّة، آمنين ممّا رزقهم الله تعالى بالنّعم من الآفات...

**أقول:** و الثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تنافٍ بينه و بين الأكثر الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً.

**۵۶- (لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الأُولى و وقاهم عذاب الجحيم)**

في الآية الكريمة أقوال: ۱- عن إبن عبّاس: أي لا يذوق المتّقون في الجنّة الموت بعد موتهم في الحياة الدّنيا، و رفع عنهم ربّهم عذاب النّار، فـ«إلاّ» بمعنى بعد. كأنّه قال: بعد الموتة الأُولى. ۲- عن الفرّاء و الزّجاج: أي لا يذوقون في الآخرة الموت إلاّ الموتة الأُولى الّتي في الدّنيا بعد حياتهم فيها لأنّهم خالدون فيها لكنّ الموتة الأُولى قد ذاقوها في الدّنيا. فالإستثناء منقطع. ۳- عن قتادة: أي لا يذوقون في الجنّة طعم الموت، فلا ينام أهل الجنّة و لا يموتون فيها. ٤- قيل: إنّ الإستثناء متّصل بأنّ المتّقين عند موتهم في الدّنيا يصيرون بلطف الله تعالى كأنّهم في الجنّة لا تّصا لهم بأسبابها، و مشاهدتهم إيّاها، و ما يعطاهم من نعيمها، فكأنّهم ماتوا فيها.

۵- قيل: إنّ «إلاّ» بمعنى «سوى» أي سوى الموتة الاولى الّتي ذاقوها في الحياة الدّنيا كقوله تعالى: «و لا تنكح ما نكح آبآؤكم من النّسآء إلاّ ماقد سلف» النّسآء: ۲۲) أي سوى ما قد سلف. و هذا كما تقول: ما ذقت اليوم طعاماً سوى ما أكلت أمس. ٦- قيل: إنّ المؤمن إذا أشرف على الموت إستقبله ملآئكة الرّحمة، و يلقى الرّوح و الرّيحان، و كان موته في الجنّة لا تصّافه بأسبابها، فهو إستثناء صحيح. و الموت عرض لا يذاق، و لكن جعل كالطّعام الّذي يكره ذوقه، فاستعير فيه لفظ الذّوق.

۷- قيل: إنّ المراد بالمتّقين أعم من الرّاسخين و غيرهم، فضمير «فيها» راجع إلى الآخرة لا الجنّة، فالعاصي إذا أراد الله تعالى تعذيبه بالنّار يذيقه فيها موتة أُخرى. ۸- قيل: إنّ الموتة الأُولى في الجنّة مجازيّة فلا يكون ذلك محالاً. ۹- قيل: أي لا يذوقون فيها الموت البتّة، فوضع قوله: «إلاّ الموتة الاولى» موضع ذلك لأنّ الموتة الماضية لا يمكن

ذوقها تارة أُخرى في المستقبل و هو من باب التّعليق بالمحال، فكأنّه قال: إن كانت الموتة الأُولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنّهم يذوقونها.

١٠- قيل: أى لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الأُولى الّتي في الدّنيا حين يشارفون الجنّة و يشاهدونها، بل يحيون فيها دآئماً، و قد و قاهم الله الموت مرّة ثانية، و كتب لهم الخلود في هذا النّعيم و حماهم من عذاب النّار. ١١- قيل: أى لا يذوقون في الجنّة الموت. شبّه الموت بالطّعام الّذي يذاق، و يتكرّه و ينكر عند المذاق، ثمّ نفى ذلك، و أنّه لا يكون في الجنّة، و إنّما خصّهم بأنّهم لا يذوقون الموت مع أنّ جميع أهل الآخرة لا يذوقون فيها الموت لما في ذلك من البشارة لهم بانتهآء ذلك إلى الحياة الهنيئة في الجنّة، فأمّا من يكون فيما هو كالموت في الشّدّة، فإنّه لا يطلق له هذه الصّفة لانّه يموت موتات كثيرة بما يقاسيه من العقوبة، و ما يلاقيه من الشّدّة، و أمّا غير المكلّفين فليس ممّا يعقل، فتلحقه هذه البشارة و إن عمّ ذلك أهل الجنّة.

١٢- عن الجبآئي: هذا حكاية حال المؤمنين في الدّار الآخرة، فلمّا أخبرهم بذلك في الدّنيا، و هم لم يذوقوا بعد الموت جاز أن يقال: لا يذوقون الموت في المستقبل إلاّ الموتة الاولى يخرجون بها من دار التّكليف. قيل: و هذا ضعيف لأنّ في ذلك خبراً عن حكمهم في الجنّة، و أنّهم لا يذوقون فيها الموت، ثمّ استثنى من ذلك الموتة الاولى، و كيف يرد إلى دار الدّنيا و حقيقة «إلاّ» إخراج بعض عن كلّ، و حقيقة «بعد» إخراج الثّاني عن الوقت الأوّل.

١٣- قيل: إنّ الحياة الدّنيا عند الأصفيآء متّصلة بالحياة الأُخرى، فكأنّهم عند الموت دخلوا الجنّة، فهم حين موتهم يكونون في نفس الجنّة. فالإستثناء متّصل على هذا الوجه. و كأنّ الموتة الاولى المعلومة و جدت في نفس الجنّة لأنّ الرّوح وقت خروجها تكون فرحة متمتّعة بروحها و ريحانها، و هذا المعنى هو الّذي تنطق به الأرواح: إنّ النّفوس الشّريفة الّتي كرهت العلآئق الدّنيويّة، و اطمأنّت و لبست لباس الحكمة إذا حلّ بها الموت تكون متيقّظة مستبشرة، لا يهمّها أنّها نقلت من حال إلى حال، بل ترى أنّها دخلت في حظيرة السّعادة، و ساحة السّلامة، و أمّا الأرواح الّتي لم تتجرّد من علائق

الدّنيا فإنّها إذا ماتت نظرت، فرأت لها جسماً كالجسم الّذي كان لها في الأرض، و يحصل لها دهش كد هش النّائم بين اليقظة و النّوم، ويصبح العقل الإنساني كالمغشيّ عليه.

فهذه الرّوح تبقي أيّاماً أو أشهراً أو سنين و هى في بهت و دهش: ثمّ تنجلي عنها الغياهب شيئاً فشيئاً، و تتأمّل في ما فيها و حاضرها و مستقبلها، و تعرف ما الّذي قطعته في هذه المرحلة الأرضيّة؟ و ماذا صنعت لرقيها و إسعادها و سفرها الطّويل، و هنا يكون الفرح العظيم، أو الشّقآء الطّويل، و النّدم و العويل، و الألم الوبيل، إنّ ذكر الموت يشعر بألم، لكنّ الأرواح الشّريفة عند الموت لا تحسّ بذلك الألم لأنّه ثبت أنّ الألم إنّما يكون بالإحساس، و الموت هو أخذ الرّوح في الإنفصال عن الجسم، و الإنفصال عن الألم ليس ألماً، و إذا كان التّنويم المغناطيسي لايحسّ معه المنوّم عند التّنويم بألم من حيث هو تنويم فما بالك بالموت و هو النّوم الأتمّ، بل هو عندالنّاس أخو العدم.

و إنّما ألم النّاس عند الموت للفراق لأنّهم ظنّوا أنّه لا وجود إلاّ في هذه الأجسام، فصعب عليهم فراقها، و حزنوا على مغادرتها لظنّهم أن لا حياة بعدها، و لا جرم أنّ النّفوس الشّريفة لا تهلع للموت، و لا تحزن للفراق لأنّها ترى أنّها خرجت من سجنها، و دخلت في نعيمها، فهى لا تألم بالموت، بل تفرح به، لذلك أعقب ذكر الموت المشعر بالألم بقوله: «و وقاهم عذاب الجحيم» فلا يحسّون بألم الفراق، و لا بوخز الضّمير الّذي يشعر به من تعلّق قلبه بالدّنيا و هو مذنب، و لا يخاف من عذاب النّار الجسميّة كما لا يخاف من النّيران القلبيّة.

١٤- قيل: أترى أنّ الموته الاولى- و هي عن الدّنيا إلى البرزخ- هم ذاقوها في الجنّة؟ فلا يذوقون فيها موتة ثانية، و لا موت في الجنّة فضلاً عن الأُولى الّتي هي قبل البرزخ و الجنّة! إنّه استثناء منقطع يستأصل عن الجنّة أيّة موتة فيها، فإنّها دار الخلود، و ما أجمله تأكيداً لاستئصاله استثنآء ما مضى عمّا قد يظنّ أنّه يلحق، فهو إذاً تأكيد ذو بعدين. و ترى هل الموتة واحدة قبل الجنّة هي الاولى؟ فلما ذا الاولى و هي تلمح لغير الاولى؟ و إذا كانت واحدة فلتكن «إلاّ الموتة عن الدّنيا» لا الاولى. ثمّ هي مرّتان كما حملتها الآيتان: واحدة تنذر بمن يحصرها فيالاولى: «إنّ هؤلآء ليقولون إن هي إلاّ

موتتنا الأُولى» الدّخان: ٣٤ - ٣٥) و الأُخرى تثبت الموتة الثّانية: «و قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين و أحييتنا اثنتين» غافر: ١١) إذاً فكيف لا يذوقون فيها الموتة الاولى؟

لعلّ الثّانية- و هي عن الحياة البرزخيّة إلى الأُخرى- تخصّ غير المؤمنين كما الآيتان لا تدلاّنها إلاّ لهم دون المؤمنين، فالصّعقة العامّة بالنّفخة الأُولى هي للكافرين موتة ثانية، و للمؤمنين دون موتة بصعقة، و لمن شآء الله لا صعقة و لا موتة: «و نفخ في الصّور فصعق من في السّموات و من في الأرض إلاّ من شآء الله ثمّ نفخ فيه أُخرى فإذا هم قيام ينظرون» الزّمر: ٦٨).

و إن قال قآئل: إنّ أهل البرزخ يصعقون موتة كما الكافرون أوغشية كما المؤمنون، فما للأحيآء الّذين يموتون موتتهم الاولى بهذه الغشية؟ تقول: إنّ المؤمنين و هم الأكثريّة السّاحقة لا يموتون إلاّ مرّة واحدة، و سواهم قد تتكرّر موتتهم، فالاولى بهذه الصّعقة، و الثّانية بإماتة خاصّة بين الصّعقتين.

و من المحتمل أن يكون ذوق الموت ذوق ألمه، فالكافريذوقه في الموتة الثّانية كالاولى، و المؤمن لا يذوقه في الثّانية لأنّه في رحمة الله مهامات ثانية، رغم ذوقه في الأُولى، حيث الدّنيا دار بلآء و عنآء. و لعلّ «فضلاً من ربّك» يعني فضل الجنّة، و فضلاً قبلها أنّهم لم يذوقوا الموتة الثّانية، حيث لم يموتوا ثانية أولم يذوقوا ألمها. و من دون ريب أنّ «من شآء الله» هم لا يذوقون الموتة الثّانية، ثمّ من دونهم من المؤمنين بالله قد لا يموتون و إن صعقوا، و قد يموتون دون ذوق لألمه.

و لأنّ «لا يذقون...» من ميّزات أهل الجنّة كما في الرّواية: «و فرحون لا يحزنون و أحيآء لا يموتون» فليذق أهل النّار موتة ثانية أمّا هيه بعد الاولى، منها الموتة الثّانية و هي عن البرزخ، و منها موتاتهم المستمرّة في حياتهم الجهنّميّة: «ثمّ لا يموت فيها و لا يحيى» الأعلى: ١٣) فرغم أنّهم لا يموتون في النّار فوتاً، فحياتهم لا تشبه الحياة فإنّها شرّ من الموت حيث يذوقون دونما إنفصال أخطر بواعث الموت، إذاً فللكافر بعد الموتة الأُولى موتات: عن الحياة البرزخيّة إلى الأُخرى، ثمّ لا يموت فيها و لا يحيى. وهلاّ يكون في الجنّة نوم كما ليس فيها موت، قد يكون رياحة، و قد لا يكون لأنّه أخ الموت و لأنّه

من ذوق الموت، فالموتة الاولى و الثّانية معهماموتات النّوم، و الجنّة ليس فيها موت و لا نوم.

أقول: و الحاد يعشر هو الأنسب بظاهر السّياق، و في معناه بعض الأقوال الأُخر، فتأمّل جيّداً.

**۵۷- (فضلاً من ربّك ذلك هو الفوز العظيم)**

في الآية الكريمة أقوال: ۱- قيل: يعني فضل الجنّة و فضلاً قبلها أنّه لم يـذوقوا الموتة الثّانية، حيث لم يموتوا ثانية أولم يذوقوا ألمها، ذلك هو السّعادة و الرّبح و النّجاة العظيمة. ۲- قيل: تقديره:فضّل الله تعالى هؤلآء المتّقين على المجرمين الآثمين فضلاً منه تعالى ذلك هو الفلاح العظيم. ۳- عن ابن عبّاس: أى اعطوا ذلك كلّه تفضّلاً منه و عطاءً، ذلك هو الفوز العظيم لأنّه خلاص عن المكاره و هي النجاة من النّار، و الفوز بالمطالب و هي الفوز بالجنّة و نعيمها، فأعطاهم ذلك تفضّلاً منه عليهم. ف«فضلاً» مصدر عمل فيه «يدعون». ٤- قيل: أى تفضّلنا بذلك تفضلاً منّا و إحساناً و عطاءً و ثواباً. و ذلك أنّ الله تعالى فعل ذلك بهم تفضّلاً منه اذ خلقهم و أنعم عليهم و ركّب فيهم العقل، و كلّفهم و بيّن لهم من الآيات ما استدلّوا به على وحدانيّة الله تعالى و حسن الطّاعات، فاستحقّوا به النّعم العظيمة، ثمّ جزاهم بالحسنة عشر أمثالها فكان ذلك فضلاً منه تعالى. قـيل: إنّمـا سمّـاه فضلاً و إن كان مستحقّاً لأنّ سبب الإستحقاق و هو التكليف و التمكين فضل من الله تعالى، و هو من الله جل و علا إذ وفّقهم في الدّنيا إلى أعمال يدخلون بها الجنّة.

۵- قيل: أى كلّ ما تقدّم ذكره من الكرامة و النّعمة بفضل الله تعالى و رحمته من غير استحقاق من العباد إستحقاقاً يوجب عليه سبحانه، و يلزمه على الإثـابة، فـإنّه تعالى مالك غير مملوك لا يتحكّم عليه شيء، و قد وعدالله تعالى عباده بالثّواب و أنّه لا يخلف وعده ذلك هو الظّفر بالمراد، و كونه فوزاً عظيماً لكونه آخر ما يسعد به الإنسان.

٦- قيل: أى حفظهم و نجاهم من عذاب الجحيم تفضّلاً منه تعالى و إحساناً، و ذلك هو الفوز العظيم بما كانوا يطلبون إدراكه في الدّنيا بإيمانهم و طـاعاتهم لربّهـم و بأعـمالهم

الصّالحة و إتّقائهم إيّاه فيما امتحنهم به من الطّاعات و اجتنابهم للمحرّمات فالعامل في «فضلاً» هو «و قاهم الله».

فوقاهم الله عذاب النّار تفضّلاً من ربّك يا محمّد﴿ﷺ﴾ عليهم و إحساناً منه إليهم بذلك و لم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدّنيا، و لولا تفضّله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك لم يقهم عذاب النّار، بل ينالهم ألمه، و يصيبهم مكروهه، هذه الوقاية من عذاب الجحيم هو الفوز العظيم.

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً.

**۵۸- (فانّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون)**

في الآية الكريمة أقوال: ۱- عن ابن عبّاس: أى هوّنا عليك يا محمّد﴿ﷺ﴾ قراءة هذا القرآن لكي يتّعظ أهل مكّة و يفهموه. ۲- عن قتادة و إبن زيد: أى سهّلنا هذا القرآن بلغتك عليك و على من يقرؤه لعلّهم يتّعظون و ينزجرون. ۳- قيل: أى ذكرناهم بالكتاب المبين فأسهلناه حيث أنزلناه إليك بلغتك إرادة تذكّر المشركين العرب أهل مكّة و من حولها الّذين أرسلناك إليهم بعبره و حججه، و يتّعظوا بعظاته، و يتفكّروا في آياته إذا أنت تتلوه عليهم فينيبوا إلى طاعة ربّهم و يذعنوا للحقّ عند تبيّنهموه.

۴- قيل: أى جعلنا هذاالقرآن عربيّاً ليسهل عليك و على قومك تفهّمه ليتذكّروا ما فيه من الأمر و النّهي، و الوعد و الوعيد، و يتفكّروا فيه و ليعلموا أنّ الأمر على ما قلناه.

۵- قيل: إنّ المراد من تيسير القرآن بلسان رسول‌الله﴿ﷺ﴾ إجرآؤه على لسانه، و هو أُمّيّ لا يقرأ و لا يكتب ليكون آية لصدق نبوّته. ۶- قيل: أى فإنّما جعلنا هذاالقرآن بلسانك العربيّ لعلّ السّامعين من العرب: أهل مكّة أُمّ القرى و من حولها يتّعظون به لأنّه بلغتهم.

و لسآئل أن يسئل: أيكون تيسير القرآن بلسانه تسهيلاً لتفهّمه على ضوءِ اللّغة العربيّة؟ و قد تكون صعبة لا ميسّرة! و حتّى إذا كان القرآن ميسّراً بالعربيّة ف «لعلّهم

يتذكّرون» لا تختصّ بالعرب و «إن هو إلاّ ذكر للعالمين لمن شآء منكم أن يستقيم» التّكوير: ۲۷ - ۲۸) «و لقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مدّكر» القمر: ٤٠).

تجيب: أنّ اللّسان غير اللّغة، فهما كانت لغته عربيّة و هى خير اللّغات و أيسرها تفهّماً، و لكنما اللّسان الرّساليّ المحمّديّ(ﷺ) له موقعه الخاصّ في «لعلّهم يتذكّرون» «فإنّما يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين و تنذر به قوماً لدّاً» مريم: ۹۷) «و ما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم» إبراهيم: ٤) و قوم أُولي العزم من الرّسل هم العالمون أجمع، فلا بدّ لكلّ من لسان يفهمه العالمون أجمعون، فليست إذا هي اللّغة، فقد تكون اللّغة صعبة و اللّسان ميسّر أو اللّسان صعباً و اللّغة ميسّرة، و القرآن ميسّر في البعدين لساناً و لغة، حتّى إذا لا تعرف اللّغة، فلتعرف اللّسان الّذي يترجم اللّغة و هكذاالقرآن المبين.

٧- عن إبن عبّاس أيضاً: يريد ما يسّر من نعمة الجنّة و عذاب النّار يا محمّد(ﷺ) لكي يتّعظ المشركون العرب.

**أقول:** و على السّادس أكثر المفسّرين، من دون تنافٍ بينه و بين أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيداً.

### ٥٩- (فارتقب إنّهم مرتقبون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن قتادة: أى فانتظر يا محمّد(ﷺ) بمجيء ما وعدتك به، إنّهم منتظرون أيضاً. و إنّما قال فيهم: «إنّهم منتظرون» لأنّهم في مثل حال المنتظر في أنّه سيأتي عاقبة حاله كما يأتي المنتظر. ٢- قيل: أى فانتظر ما يحلّ بهم من العذاب كما حلّ بقوم تبّع، إنّهم منتظرون ما يحلّ بك من العذاب. ٣- قيل: أى إن لم يتّعظوا و لم يؤمنوا به فانتظر هلاكهم، فإنّهم منتظرون هلاكك. ٤- قيل: أى إصبر على أذاهم حتّى يأتيهم أمرالله تعالى و قضآئه، فهو واقع بهم لا ريب فيه، و هم ينتظرون أمرالله و قضآئه فيك. ٥- قيل: أى فارتقب خلفيّة رسالتك و مفعوليّتها، إنّهم مرتقبون بك دوآئر السّوء.

٦- قيل: أى فارتقب النّصرة من ربّك، إنّ قومك المشركين مرتقبون بك ما يتمنّونه من الغوآئل، و ما يتربّصون بك من الدّوآئر، و لن يصبرك ذلك بفضل ربّك عليك و سيتمّ نصرك، و يُفلج حجّتك و يُعلى كلمتك. ٧- قيل: أى فارتقب رحمة ربّك و ما وعد المتّقين من مقام أمين، إنّهم مرتقبون لك خلافه من الموت و الفوت، و فى الحقّ يرتقبون شجرة الزّقّوم. ٨- قيل: أى فارتقب عاقبة أمرك اليسر و هم مرتقبون عاقبة أمرهم الإمر: «و يا قوم إعملوا على مكانتكم إنّي عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و من هو كاذب و ارتقبوا إنّي معكم رقيب» هود: ٩٣).

٩- قيل: أى فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان مبين، إنّ هؤلآء المشركين مرتقبون، و هنالك فليخسر المبطلون. فكلّ يرتقب نتآئج أعماله، شآء أم لم يشأ فى الدّارين و ما عليك إلاّ البلاغ المبين. ١٠- قيل: أى فاصبر على أذى المشركين العرب و لا تيأس من إستجابتهم لك، و ذلك لأنّهم مرتقبون لم يقطعوا بر أى بعد فيما تدعوهم إليه و إن كانوا مقيمين على كبر و عناد ... و هكذا كان شأن قريش مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ إنّهم لا يكذّبونه و لا يشكّون في أنّه رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولكنّ كبرهم و عنادهم و لجاجهم هو الّذى كان يقطع عليهم الطّريق إليه ... ١١- قيل: فإن أعرضوا و لم يقبلوا فانتظر مجيىء ما وعدناك به إنّهم منتظرون لأنّهم فى حكم من ينتظر لأنّ المحسن يترقّب عاقبة الإحسان، والمسيىء يترقّب عاقبة الإسائة.

١٢- قيل: أى فانتظر بهم عذاب الله تعالى فإنّهم ينتظرون بك الدّوآئر ... ١٣- قيل: أى فانتظر قهرهم و نصرك عليهم، فإنّهم منتظرون قهرك بزعمهم. ١٤- قيل: أى فانتظر يا محمّد ﴿ﷺ﴾ فسيعلم الّذين إتّخذوا هذاالقرآن مهجوراً ماذا يحلّ بهم من خزي و هوان، و ذلّة و انحطاط، و عذاب و نار ... ١٥- قيل: أى فانتظر أيّهاالنّبيّ ﴿ﷺ﴾ الفتح من ربّك و النّصر على هؤلآء المشركين بالله سبحانه من قومك من قريش، إنّهم منتظرون عند أنفسهم قهرك و غلبتك بصدّهم عمّا أتيتهم به من الحقّ، من أراد قبوله و إتّباعك عليه.

۱۵- قيل: أى فانتظر ما وعدتك من النّصر عليهم، إنّهم منتظرون لك المـوت. ۱٦- قيل: أى فانتظر أن يحكم‌الله بينك و بينهم فانّهم ينتظرون بك ريب الحدثان. ۱۷- قيل: أى فارتقب ما وعدتك من الثّواب فإنّهم كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب. ۱۸- قيل: أى فارتقب يوم القيامة، فإنّه يوم الفصل، و إن لم يعتقدوا وقوع القيامة، جـعلوا كالمرتقبين لأنّ عاقبتهم ذلك. ۱۹- عن ابن عبّاس: أى فانتظر هلاك المشركين يوم بدر، إنّهم منتظرون هلاكك، فأهلكهم‌الله يوم بدر. و هذا قبل نزول الأمر بجهادهم. ۲۰- قيل: أى فانتظر أيّهاالرّسول﴿ﷺ﴾ قليلاً ترى أنّ العاقبة لك عليهم، و إنّهم منتظرون و إن يدّعون بأنّ الدّآئرة ستدور عليك و لكن «هلك من ادّعى، و خاب من افترى، و من أبدى صفحته للحقّ هلك» كما قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين علىّ بـن أبيطالب عليه أفضل صلوات‌الله و أكمل تحيّاته.

**أقول:** و الأخير هو الأنسب بظاهر السّياق و الإطلاق و في مـعناه كـثير مـن الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً و لاتغفل.

# «التّفسير و التّأويل»

١ - (حمٓ)

و هى خامسة من الحواميم السّبع، رمز من الرّموز بين‌الله جلّ و علا و بين رسوله(صلى الله عليه وآله) و أهل بيت الوحى المعصومين صلوات‌اللّه عليهم أجمعين لا يعلم تأويلها إلاّ اللّه تعالى و الرّاسخون فى العلم.

٢ - (و الكتاب المبين)

في وصف «الكتاب» و هو القرآن الكريم بإعتبار مجموعه المكتوب، بأنّه «المبين» توكيد لوصفه بأنّه «الكتاب الحكيم» يونس:١) و بأنّه «القرآن الحكيم» يس:٢).
و بأنّه «كتاب أُحكمت آياته» هود:١) و بأنّه آيات مبيّنات: «و لقد أنزلنا إليكم آيات مبيّنات - لقد أنزلنا آيات مبيّنات» النور: ٣٤و ٤٦).
«قد أنزل اللّه إليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات اللّه مبيّنات» الطلاق: ١١-١٠).
و ذلك أنّ الحكمة لاتكون حكمة، و أنّ الحكيم لا تتمّ حكمته حتّى تخرج تلك الحكمة على صورة بيّنة واضحة مشرقة يرى النّاس في كلّ ظرف على وجهها أضواء العلم و المعرفة من دون واسطة أم بواسطة أهل بيت الوحى المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين لحكمة الإمتحان و الإختبار و الإبتلاء و غيرها من وجوه الحِكَم «هو الّذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب و أُخر متشابهات، فأمّاالّذين في قلوبهم

زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغآء تأويله و ما يعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا و ما يذّكّر إلاّ أُولواالألباب - ذلك نتلوه عليك من الآيات و الذّكر الحكيم» آل عمران: ٧ و ٥٨).

و إلاّ كانت حكمة مضمرة لا ينتفع بها أحد، أشبه باللّآلي في أصدافها في البحر. فالمبين، مبين و حكيم معاً، و الحكيم حكيم و مبين كذلك، كما أنّه برهان و نور يهدي به من اعتصم به.

قال‌الله عزّوجلّ: «يا أيّهاالنّاس قد جآءكم برهان من ربّكم و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً فأمّاالّذين آمنوا بالله و اعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه و فضل و يهديهم إليه صراطاً مستقيماً» النّسآء: ١٧٤ - ١٧٥).

و قال: «قد جآءكم من‌الله نور و كتاب مبين يهدى به‌الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور بإذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم» المائدة:١٥-١٦).

فالقرآن الكريم كتاب حكيم و نور مبين ... من خالق حكيم و نور مبين... إلى رسول حكيم و نور مبين ... مع درجاتها ...

قال الله جلّ و علا: «ذلك ممّا أوحى إليك ربّك من الحكمة» الإسراء:٣٩).

و قال: «و إنّك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم» النّمل:٦).

## ٣- (إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين)

إنّا بدأنا إنزال هذاالكتاب المبين في ليلة مباركة، و هي ليلة النّصف من شهر شعبان المعظّم، شهر خاتم الأنبيآء و سيّدالمرسلين، و هذه الليلة مولد بقيّةالله الأعظم، خاتم الأئمّة الإمام الثّاني عشر، الحجّة بن الحسن العسكرى مدار الدّهر، و ناموس العصر، و صاحب الزّمان عجّل‌الله تعالى فرجه الشّريف، ليلة عظيمةالشّأن، فإنّها مولد النّور الّذي يشع‌الكون بأسره، و يخلص العالم عن أسره في عسره(عليه السلام).

فأنزلنا هذاالقرآن الكريم كلّه من مبدإالوحى دفعة واحدة إلى البيت المعمور في

هذه الليلة المباركة بغير واسطة تعظيماً لهذاالكتاب المبين، و توطئة، فأنزلنا خاتم الكتب السّماوية في ليلة ولادة خاتم الأوصيآء و الأئمّة الهدى الذى يأمر الارض كلّها إلى البيت المعمور ثم أنزلناه من البيت المعمور بواسطة جبرئيل أمين الوحي دفعة واحدة إلى قلب خاتم الأنبيآء و سيّدالمرسلين في ليلة القدر الّتي مخفيّة علينا، و مجهولة عندنا بين ثلاث أو أربع ليالٍ (١٩-٢١-٢٣-٢٧) من شهر رمضان المبارك.

قال‌الله عزّوجلّ: «شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن» البقرة: ١٨٥).

و قال «إنّا أنزلناه في ليلة القدر و ما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر» القدر: ١ - ٣).

و قال: «نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين» الشّعراء: ١٩٣ - ١٩٥).

ثمّ أنزله نجوماً بحسب الحوادث و الوقائع و الأسباب المختلفة في مدّة ثلاث و عشرين سنة قال‌الله تعالى: «و قرآناً فرقناه لتقرأه على النّاس على مكث و نزّلناه تنزيلاً» الإسراء: ١٠٦).

و قال: «و قال الّذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبّت به فؤادك و رتّلناه ترتيلاً» الفرقان: ٣٢).

و إنّ الفصل بين النّزولين: نزول الكتاب المبين دفعة واحدة إلى البيت المعمور ليلة النّصف من شهر شعبان، و نزوله دفعة واحدة إلى قلب الرّسول﴿صلى الله عليه و آله﴾ ليلة القدر من شهر رمضان، كالفصل بين نزول الوحي، و البعثة المحمّدية﴿صلى الله عليه و آله﴾ إذ كان نزول الوحي دفعة واحدة، ليلة القدر، و قد كانت بعثة النّبيّ الكريم﴿صلى الله عليه و آله﴾ ليلة سابعة و عشرين من شهر رجب المرجّب الآتي إجماعاً.

و قد نزل الكتاب المبين على النّبيّ الكريم﴿صلى الله عليه و آله﴾ مرّتين: مرّة مجموعاً و جملة دفعة واحدة، في إحدى ليالي ثلاث أو أربع: (١٩-٢١-٢٣-٢٧) من شهر رمضان، و مرّة تدريجاً و نجوماً بحسب الأسباب في مدّة ثلاث عشرين سنة، و هى مدّة دعوته﴿صلى الله عليه و آله﴾ و تدلّ على سبق نزول الوحي الدّفعيّ على النّزول التّدريجي على رسول‌الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ آيات منها:

قوله تعالى: «لا تحرّك به لسانك لتعجل به إنّ علينا جمعه و قرآنه فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه ثمّ إنّ علينا بيانه» القيامة: ١٦ - ١٩).

وقوله عزّوجلّ: «و لاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه» طه: ١١٤).

فترديد بعض المعاصرين بأنّ « هذاالقرآن المؤلّف من السّور والآيات بما فيه من السّياقات المختلفة المنطبقة على موارد النّزول المختلفة الشّخصيّة لا يقبل النّزول دفعة، فإنّ الآيات النّازلة في وقائع شخصيّة و حوادث جزئيّة مرتبطة بأزمنة و أمكنة و أشخاص و أحوال خاصّة لا تصدق إلاّ مع تحقّق مواردها المتفرّقة زماناً و مكاناً و غير ذلك بحيث لو إجتمعت زماناً و مكاناً و غير ذلك إنقلبت عن تلك الموارد و صارت غيرها، فلا يمكن إحتمال نزول القرآن و هو على هيئته و حاله بعينها مرّة جملة و مرّة نجوماً» مردود بنفس القرآن الكريم فلا يعتنى به، إذ قاس كلام الخالق بكلام المخلوق، و من البداهة أنّ من وجوه الإعجاز القرآنيّ هو الإخبار بما يأتي، فكيف ينطبق الخبر على المخبر عنه الآتي؟

و هذه اللّيلة المباركة - ليلة النّصف من شهر شعبان المعظّم مولد خاتم الأئمّة المعصومين الّذي بيمنه رزق الورى و بوجوده ثبتت الأرض و السّمآء - من ليالي إسلاميّة ذات شأن خاصّ عند المؤمنين الأبرار، و المتّقين الأخيار، موسومة بسمة خاصّة تمتاز بها على غيرها من الليالي ... و اصطفاهاالله تعالى من بين الليالى كما يصطفى من يشآء من عباده للنّبوة، فهي ليلة مباركة لأنّها كانت ظرفاً للرّحمة المنزلة من مبدإالوحي إلى البيت المعمور، و هي الكتاب المبين، من دون تنافٍ بين هذه الليلة المباركة، و ليلة القدر خير من ألف شهر.

و من هذه الليلة المباركة تفصل أرزاق العباد و آجالهم، و جميع أُمورهم و قضاء الأقضية ... إلى مثلها في السّنة المقبلة ... و على المؤمنين الصّادقين الإحتفال بهذه الليلة، و قراءة أدعيّة خاصّة فيها، يجب التحفّظ بها:

في مفاتيح الجنان: «و هذا شهر نبيّك سيّد رسلك شعبان الّذي حففته منك بالرّحمة والرّضوان - اللّهمّ بحقّ ليلتنا هذه و مولودها و حجّتك و موعودها الّتي قرنت

إلى فضلها فضلاً فتمّت كلمتك صدقاً وعدلاً لامبدّل لكلماتك و لا معقّب لآياتك، نورك المتألّق و ضيآؤك المشرق، و العَلَمُ النّور في طَخيآء الدّيجور، الغآئب المستور جَلَّ مولده و كرم محتدُه، و الملآئكة شُهّده والله ناصره و مؤيّده إذا آن ميعاده و الملآئكة أمداده سيف الله الّذي لاينبو، و نوره الّذي لا يخبو، و ذو الحلم الّذي لا يصبو، مدار الدّهر و نواميس العصر، و ولاة الأمر، والمُنَزّل عليهم ما يتنزّل في ليلة القدر و أصحاب الحشر و النّشر، تراجمة وحيه و ولاة أمره ونهيه اللّهمّ فصلّ على خاتمهم و قائمهم المستور عن عوالمهم اللّهمّ و أدرك بنا أيّامه و ظهوره و قيامهُ و اجعلنا من أنصاره، واقرن ثارنا بثاره و اكتبنا في أعوانه و خلصآئه، و أحينا في دولته ناعمين، و بصحبته غانمين، و بحقّه قائمين و من السّوء سالمين يا أرحم الرّاحمين – صلّ على محمّد و آل محمّد و اغفرلي و ارحمني و اكفني ما أهمّني و اقض ديني، و وسّع عليّ في رزقي فإنّك في هذه اللّيلة كلّ أمر حكيم تفرق و من تشآء من خلقك ترزق، فارزقني و أنت خير الرّازقين – إجعلني في هذه اللّيلة ممّن نظرت إليه فرحمته، وسمعت دعائه فأجبته، و علمت استقالته فأقلته، و تجاوزت عن سالف خطيئته و عظيم جريرته، فقد استجرت بك من ذنوبي و لجأت إليك في ستر عيوبي.

اللّهمّ فجد عليّ بكرمك و فضلك، و احطط خطاياى بحلمك و عفوك و تغمّدني في هذه اللّيلة بسابغ كرامتك، و اجعلني فيها من أوليائك الّذين اجتبيتهم لطاعتك و اخترتهم لعبادتك و جعلتهم خالصتك و صفوتك ...

اللّهمّ فلا تحرمني ما رجوت من كرمك، و لا تؤيسني من سابغ نعمك، و لا تخيّبني من جزيل قِسَمك في هذه اللّيلة لأهل طاعتك، و اجعلني في جُنّة من شرار بريّتك ...

إلهى تعرّض لك في هذااللّيل المتعرّضون، و قصدك القاصدون، و أمّل فضلك و معروفك الطّالبون، و لك في هذااللّيل نفحات و جوائز و عطايا و مواهب تمنّ بها على من تشآء من عبادك و تمنعها من لم تسبق له العناية منك، و ها أنا ذا عُبَيدك الفقير إليك المؤمّل فضلك و معروفك، فإن كنتَ يا مولاى تفضّلت في هذه اللّيلة على أحد من خلقك، و عُدتَ عليه بعائدة من عطفك، فصّل على محمّد و آل محمّد الطّيّبين الطّاهرين

الخيّرين الفاضلين، و جُدْ عَلَيّ بطولك و معروفك يا ربّ العالمين، و صلّى الله على محمّد خاتم النّبيّين و آله الطّاهرين و سلّم تسليماً إنّ الله حميد مجيد اللّهمّ إنّي أدعوك كما أمرت، فاستجب لي كما وعدتَ إنّك لا تخلف الميعاد» الأدعيّة فاحفظها أيّها القارىء الكريم.

و قوله تعالى: «إنّا كنّا منذرين» فعلينا تخويف النّاس و وعيدهم بتبعات ما هم عليه من الشّرك و الضّلال، من الكفر و العناد، من الإثم و اللجاج، و من البغي و الفساد... لإتمام الحجّة عليهم فلا يكون لهم علينا حجّة بعد الإنذار.

قال الله تعالى: «تبارك الّذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان: ١).

و قال: «و هذا كتاب أنزلناه إليك مبارك مصدّق الّذى بين يديه و لتنذر أمّ القرى و من حولها - و هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتّبعوه واتّقوا لعلّكم ترحمون» الأنعام: ٩٢ و ١٥٥). و قال: «كتاب انزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته و ليتذكّروا أُولوا الألباب» ص: ٢٩).

و قال: «و هذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون» الأنبيآء: ٥٠).

و قال: «رسلاً مبشّرين و منذرين لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل» النّساء: ١٦٥).

## ٤- (فيها يفرق كلّ أمر حكيم)

يفصل في هذه اللّيلة المباركة كلّ أمر محكم، و فيها تكتب أرزاق العباد و آجالهم... فتعرف إلى الليلة المباركة التّالية، حيث إنّ هذه الليلة مستمرّة في بركتها و عظم شأنها مرّ الأعوام إلى يوم القيامة، فيفرق في هذه الليلة من كلّ سنة، كلّ أمر حكيم بنازل الملآئكة و الرّوح في قلب الإمام المعصوم في كلّ عصر.

## ٥- (أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين)

أخصّ و أعني بكلّ أمر حكيم أمراً صادراً من عندنا، إنّا كنّا مرسلين كما اقتضاه

علمنا و تدبيرنا من الوقائع و الحوادث و الأرزاق و الآجال و الأحوال و الألطاف و قضاء الأقضية ... من سنة إلى سنة في ليلة النّصف من شعبان المعظم شهر الرّسول المكرّم«صلى الله عليه وآله» فكلّها من لدن حكيم عليم بما يصلح شئون عباده في معاشهم و معادهم...

قال‌الله تعالى: «و إن من شيءٍ إلاّ عندنا خزآئنه و ما ننزّله إلاّ بقدر معلوم» الحجر:٢١).

و قال: «لكلّ أجل كتاب يمحوالله ما يشآء و يثبت و عنده أُمّ الكتاب» الرّعد:٣٨-٣٩).

و قال: «قد علمنا ما تنقص الأرض منهم و عندنا كتاب حفيظ» ق: ٤).

فكما أنّ شرعة التّكوين و التّشريع الّتي تتبني ولاية الأمر رسالة و إمامة ليست إلاّ من عندالله: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤) «إنّي جاعلك للنّاس إماماً» البقرة: ١٢٤) «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً» المائدة:٣) كذلك الأمر فيهما سنويّاً ليس إلاّ من عندالله جلّ و علا و لاية دآئبة، و على هامشها ولاية سنويّة مستمرّة إلى يوم القيامة: «آمنّا به كلّ من عند ربّنا و ما يذّكّر إلاّ أُولواالألباب» آل عمران: ٧).

و قوله عزّوجلّ: «إنّا كنّا مرسلين» يدل على استمرار الليلة المباركة و تجدّدها منذ بزوغ الرّسالة المحمّديّة«صلى الله عليه وآله» إلى يوم القيامة، كما يدلّ على استمرار الرّسالات إلى خاتمتها، فيضمّ إستمرار أمر الولاية إلى أمر الرّسالة، منذ بزغت الرّسالة فلتكن اللّيلة المباركة دائبة زمن الرّسالة المحمّديّة و الولاية العلويّة، منذ البداية إلى النّهاية، فلا ولاية بعدها كما لا رسالة بعد هذه الرّسالة إلى يوم القيامة، حيث إنّ الولاية لاهلها مكمّلة للرّسالة، و علة مبقية لها، فمستمرّة بإستمرارها الى يوم الآخرة، حتّى لولا الولاية لما كانت الرّسالة مبلّغة إذ قال‌الله عزّوجلّ: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٦٧).

و كما أنّ الرّسالة المحمّدية«صلى الله عليه وآله» كانت هي المركز الرّئيسيّ لسآئر الرّسالات، كذلك الولاية العلويّة«عليه السلام» هى المركز الرئيسى لسائر الولايات ... إذكان عند صاحب

الولاية العلوية ﴿عليه السلام﴾ علم الكتاب كلّه: «قل كفى بالله شهيداً بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب» الرّعد: ٤٣) و قد كان عند أصحاب سآئر الولايات علم من الكتاب: «قال الّذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك» النّمل: ٤٠).

و لقد اُمِرنا شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين الّذين عندهم علم الكتاب كلّه أن نحاجج ناكري ولاية الأمر الدّآئبة بسورة القدر و الدّخان فإنّهما لُولاة الأمر خاصّة.

٦- (رحمة من ربّك إنّه هو السّميع العليم)

إنّ الكتاب المبين، و إنزاله في اللّيلة المباركة، و إنذار النّاس به، و فرق كلّ أمر حكيم فى هذه اللّيلة مستمرّة الى يوم القيامة، أمراً من عندنا فحسب دون غيرنا، و إرسال الرّسل ... كلّها رحمة منّا لعبادنا مصحوبة بتر بيتهم، فعليكم أيّها النّاس بها في كلّ ظرف لعلّكم ترحمون قال‌الله تعالى: «و يوم نبعث في كلّ اُمّة شهيداً عليهم من أنفسهم و جئنا بك شهيداً على هؤلآءِ و نزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شئٍ و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين» النّحل: ٨٩).

و قال: «أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربّكم على رجل منكم لينذركم و لتتّقوا لعلّكم ترحمون – و إذا قرىء القرآن فاستمعوا له و أنصتوا لعلّكم ترحمون» الأعراف: ٦٣ و ٢٠٤).

و قال: «و هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتّبعوه و اتّقوا لعلّكم ترحمون» الأنعام: ١٥٥).

و قال: «و ما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» الأنبيآء: ١٠٧).

و قال: «فسأكتبها للّذين يتّقون و يؤتون الزّكاة و الّذين هم بآياتنا يؤمنون الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الاُمّيّ ...» الأعراف: ١٥٦ – ١٥٧).

و قوله تعالى: «إنّه هو السّميع العليم» إنّ‌الله عزّوجلّ فعل ذلك كلّه لأنّه جلّ و علا هوالسّميع لما يقول هؤلآء المشركون العرب فيما أنزلنا من كتابنا و أرسلنا من رسلنا إليهم، و غير ذلك من منطقهم إذ يقولون: «ربّنا اكشف عنّا العذاب» و غير ذلك من

أقاويلهم، و يسمع لأقوال عباده من أهل الحقّ و الباطل، من أهل الخير و الشّرّ، من أهل الايمان و الكفر، من أهل الصّلاح و الفساد، و من أهل السّعادة و الشّقآء ... و يسمع لمن دعاه من عباده، فيجيب كلاًّ منهم على ما يعلمه منه مصلحته، و مصالح العباد كلّهم ... يعلم بما تنطوى عليه ضمآئرهم و حوآئجهم و بما يصلح أحوالهم، و يعلم بأقوالهم و أفعالهم، و مآل أمرهم، و غير ذلك من أُمورهم و امور غيرهم ...

قال‌الله تعالى: «أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم و نجواهم» الزّخرف: ٨٠).

و قال: «أنّ‌الله لا يخفى عليه شئ في الأرض و لا في السّمآء» آل عمران: ٥).

و قال: «يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصّدور» غافر: ١٩).

## ٧- (ربّ السّموات و الأرض و ما بينها إن كنتم موقنين)

ربّ محمّد رسول‌الله ﴿ﷺ﴾ هو الّذي يعرفه أهل المعرفة و الإيقان ربّ السّموات و الأرض، و ربّ ما بينهما من الخلق كلّه لا ربّ سواه، إن كنتم أيّها المشركون العرب من أهل المعرفة و الإيقان عرفتموه بأنّه وحده ربّ كلّ شئ لا ربّ محمّد وحده فلا تشكّوا فيه.

قال‌الله تعالى: «ذلكم‌الله ربّكم لاإله إلاّ هو خالق كلّ شئ فاعبدوه - قل أغيرالله أبغي ربّاً و هو ربّ كلّ شيء» الأنعام: ١٠٢ و ١٦٤).

و قال: «إنّ‌الله ربّي و ربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم» آل عمران: ٥١).

و قال: «إنّ ربّكم‌الله الّذي خلق السّموات و الأرض - ذلكم‌الله ربّكم فاعبدوه أفلا تذكّرون - فذلكم‌الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال فأنّى تصرفون» يونس: ٣-٣٢).

## ٨- (لاإله إلاّ هو يحيي و يميت ربّكم و ربّ آبآئكم الأوّلين)

لاإله‌إلاّالله جلّ و علا إذ لا خالق سواه، هو وحده يحيي الخلق بعد موتهم للحساب و الجزآء، و يميت الخلق بعد إحيآئهم كما تشاهدون، هو وحده ربّكم الّذي

خلقكم و دبّركم، و ربّ آبآئكم الّذي خلقهم و دبّرهم الّذين سبقوكم و تقدّموكم، فلا ربّ و لا مدبّر و لا خالق سواه فلا تصلح العبادة إلاّ له وحده، فاعبدوه وحده، و ارفضوا آلهتكم الّتي لا تقدر على نفع و لا ضرّ.

قال الله تعالى: «له ملك السّموات و الأرض لاإله إلاّ هو يحيى و يميت فآمنوا بالله و رسوله النّبيّ الأمّيّ الّذى يؤمن بالله و كلماته و اتّبعوه لعلّكم تهتدون» الأعراف: ١٥٨).

و قال: «ذلك بأنّ الله هو الحقّ و أنّه يحيى الموتى و أنّه على كلّ شيء قدير» الحجّ: ٦).

و قال: «إنّ الله له ملك السّموات و الأرض يحيى و يميت و مالكم من دون الله من وليّ و لا نصير» التّوبة: ١١٦).

فكما أنّ له وحده الملك و التّدبير و الرّبوبيّة في العالم كلّه الّذي هو الإنسان الكبير، و من لوازمها الوحدة في الألوهيّة، كذلك له وحده الملك و التّدبير و الرّبوبيّة في الإنسان الّذي هو العالم الصّغير.

٩- (بل هم في شكّ يلعبون)

بل هؤلآء المشركون العرب في شكّ ممّا أُخبروا من نزول الكتاب المبين في اللّيلة المباركة و إنذارهم به، و فرق كلّ أمر حكيم فيها، و إرسال الرّسول﴿ﷺ﴾ إليهم، و هم في شكّ من أمر التّوحيد و قيام السّاعة، و البعث و الحساب و الجزآء، فيمترون بعد أن وضح الحقّ و أفصح الصّبح لذي عينين، و يلعبون استهزاءً بك، و يتلقّون ما يسمعون من آيات الكتاب المبين بالشّكّ و اللّعب و الهزء و السّخرية، فعل اللاعب العابث الّذي يأخذ الجدّ و مالا مرية فيه أخذ الهزل الّذي لا فآئدة فيه.

قال الله تعالى: «ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث إلاّ استمعوه و هم يلعبون لاهية قلوبهم و أسرّوا النّجوى الّذين ظلموا هل هذا إلاّ بشر مثلكم أفتأتون السّحر و أنتم تبصرون» الأنبيآء: ٢-٣).

و قال: «بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شكّ منها بل هم منها عمون و قال الّذين كفروا إذا كنّا تراباً و آبآؤنا أإنّا لمخرجون لقد وُعدنا هذا نحن و آبآؤنا من قبل إن

هذا إلاّ أساطير الأوّلين» النّمل: ٦٦-٦٨).

### ١٠-(فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان مبين)

فانتظر أيّها الرّسول﴿ﷺ﴾ لهؤلاء المشركين العرب الّذين هم في شكّ يلعبون، و من انسلك مسالكهم بعد هم من المستهزئين بآيات الله، و المكذّبين برسوله﴿ﷺ﴾ و بما جآءهم به، فانتظر لهم ما يحلّ بهم من بأس الله تعالى، و الإنحطاط و الخزى و الهوان في هذه الحياة الدّنيا قبل الدّار الآخرة، يوم تأتيهم السّمآء بدخان مبين، فأجدبت الأرض و اشتدّ بهم الجوع، و انحطّوا و خذلوا ... إلى أن رأوا من شدّتها كهيئة الدّخان بين السّمآء و الأرض.

قال الله تعالى «فهل ينتظرون إلاّ مثل أيّام الّذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين» يونس: ١٠٢) و قال: «فكذّبوا فأخذهم عذاب يوم الظلّة» الشّعراء: ١٨٩) و قال «يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنّا منتظرون» الأنعام:١٥٨).

و قال: «قل يوم الفتح لا ينفع الّذين كفروا إيمانهم و لا هم ينظرون» السّجدة: ٢٩).

### ١١-(يغشى النّاس هذا عذاب أليم)

يحيط هذا الدّخان المظلم بهؤلآء المشركين العرب، و بمن انسلك مسالكهم في الكفر و الطّغيان في الإثم و العدوان في البغي و العصيان و في الضّلال و اللّجاج و العناد... يشملهم و يلبسهم من كلّ جانب... فيقولون عندئذ: هذا عذاب مؤلم يقضّ المضاجع، و ينتهي إلى موت محقّق إن دام، والأمر مستمرّ إلى يوم القيامة كما سبق على الماضين.

قال الله تعالى: «وما تسئلهم عليه من أجر إن هو إلاّ ذكر للعالمين و كأيّن من آية في السّموات و الأرض يمرّون عليها و هم عنها معرضون و ما يؤمن أكثرهم باللّه إلاّ و هم مشركون أفأمنوا أم تأتيهم غاشية من عذاب الله أوتأتيهم السّاعة بغتة و هم لا يشعرون قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتّبعني» يوسف: ١٠٤-١٠٨).

و قال: «و أنّه أهلك عاداً الأُولى و ثمود فما أبقى و قوم نوح من قبل إنّهم كانوا هم أظلم و أطغى و المؤتفكة أهوى فغشّاها ما غشّى فبأيّ آلآء ربّك تتمارى هذا نذير من النّذر الأُولى» النّجم: ٥٠-٥٦).

۱۲- (ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون)

إنّ هؤلآء المشركين العرب و من انسلك مسالكهم... لمّا أحاط بهم عذاب الدّخان يعلنون عندئذ بأنّهم مؤمنون بالله تعالى و رسوله ﴿ﷺ﴾ و بكتابه... يدعون و يتضرّعون إلى ربّهم، و يقولون: ربّنا إنّنا سنؤمن بأنّه لا إله غيرك، و لا يستحقّ العبادة سواك إن كشفت عنّا العذاب الّذى أنزلته علينا.

و هذه عادة أهل الكفر و الطّغيان، أهل البغى و العصيان، أهل الإثم و العدوان، و أهل الضّلال و العناد و اللجاج... إذا هم و قعوا في شدّة أيّاً كانت أن يعدوا بالتّوبة، و الرّجوع عمّاهم فيه، و لكنّ النّفوس الشّريرة لا تتّجه إلى الايمان و صالح الأعمال...و لا تفعل ما تتقرّب به إلى ربّها انتظاراً لمثوبته و رجاء فى غفرانه و رحمته... قال الله تعالى: «و إذا مسّ الإنسان الضّرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قآئماً فلمّا كشفنا عنه ضرّه مرّ كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه كذلك زيّن للمسرفين ما كانوا يعملون» يونس:١٢).

و قال: «و لمّا وقع عليهم الرّجز قالوا يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك لئن كشفت عنّا الرّجز لنؤمننّ لك و لنرسلنّ معك بني‌إسرائيل فلمّا كشفنا عنهم الرّجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون» الأعراف: ١٣٤-١٣٥).

وقال: «و ما نريهم من آية إلاّ هى أكبر من أُختها و أخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجعون و قالوا يا أيّه السّاحر ادع لنا ربّك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون فلمّا كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون» الزّخرف: ٤٨-٥٠).

۱۳- (أنّى لهم الذّكرى و قد جآءهم رسولٌ مبين)

من أين لهؤلآءِ المشركين العرب و من انسلك مسالكهم يذكرون. و يتّعظون و

يفون بوعدهم في إيمانهم باللّه تعالى و رسوله﴿ﷺ﴾ و بكتابه عند كشف العذاب عنهم، و قد جآء هم رسول بيّن الرّسالة لا ارتياب فيها، ما هو أعظم من كشف العذاب و هم شاهدوا من دواعي التّذكّر و موجبات الإتّعاظ، و هو ما ظهر على رسول الله﴿ﷺ﴾ من الآيات البيّنات من الكتاب المعجز و غيره من المعجزات القاهرة، و بيّن لهم مناهج الحقّ و الهدى و الخير و الصّلاح... فلم يتذكّروا، و هم يصرّون على الشّك و الضّلال، على الإثم و العناد، و على الكبر و اللجاج...ولا يتذكّر به إلاّ من له قلب سليم.

قال الله تعالى: «و لو ترى إذ فزعوا فلا فوت و أُخذوا من مكان قريب و قالوا آمنّا به و أنّا لهم التّناوش من مكان بعيد و قد كفروا به من قبل» سبأ:٥١-٥٣).

وقال: فهل ينظرون إلاّ السّاعة أن تأتيهم بغتة فقد جآء أشراطها فأنّى لهم إذا جآئتهم ذكراهم» محمّد﴿ﷺ﴾:١٨).

و قال: «أولم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إنّ في ذلك لرحمة و ذكرى لقوم يؤمنون» العنكبوت: ٥١).

و قال: « إنّ في ذلك لذكرى لأُولى الألباب» الزّمر: ٢١).

و قال: «تبصرة و ذكرى لكلّ عبد منيب - إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السّمع و هو شهيد» ق: ٨ و ٣٧).

## ١٤- (ثمّ تولّوا عنه و قالوا معلّم مجنون)

فلم يتذكّر هؤلآء المشركون العرب و أذ نابهم بعدالبيان بما جآءهم به رسول الله﴿ﷺ﴾ و لم يقبلوا منه و كذّبوه: ثمّ أعرضوا عنه: و هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوه من العظآئم الموجبة للإقبال عليه، و لم يقتنعوا بالتّولّي عنه، بل استخفّوا به، و نسبوا إليه الجنون، و تعلّم ما يقوله من الغيرالّذي أعانه على نظم القرآن، فاخترعه و نسبه إلى الله افتراء، و قالوا في حقّه﴿ﷺ﴾: هو معلّم يعلّمه غيره فيحفظ بعض الكلمات، و ينطق بها من دون فهم و لا شعور، و إنّه مجنون مختلّ العقل يهذي بهذا الّذي اختطفه من علم غيره، و يدّعى النّبوّة بلا وجه، فليس برسول من الله.

قال الله تعالى: «و قال الّذين كفروا إن هذا إلاّ إفك إفتراه و أعانه قوم آخرون فقد جآؤا ظلماً و زوراً و قالوا أساطير الأوّلين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة و أصيلاً» الفرقان: ٤-٥).

و قال: «و لقد نعلم أنّهم يقولون إنما يعلّمه بشر لسان الّذى يلحدون إليه أعجميّ و هذا لسان عربيّ مبين» النّحل: ١٠٣).

و قال: «و لمّا سمع الذّكر و يقولون إنّه لمجنون» القلم: ٥١).

و قال: «و قالوا يا أيّها الّذى نُزّل عليه الذّكر إنّك لمجنون» الحجر: ٦).

و قال: «أو لم يتفكّروا ما بصاحبهم من جنّة إن هو إلاّ نذير مبين» الأعراف: ١٨٤).

و قال: «أفلم يدّبّروا القول أم جآء هم مالم يأت آبآءهم الأوّلين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنّة بل جآء هم بالحقّ و أكثرهم للحقّ كارهون» المؤمنون: ٦٨-٧٠).

## ١٥-(إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عآئدون)

إنّا كاشفوا عذاب الدّخان المعهود عن هؤلآء المشركين العرب و من إليهم زماناً قليلاً ليعلم أنّهم لا يفون بقولهم، بل هم كاذبون في وعدهم، فإذا كشفنا عنكم أيّها المشركون ما بكم من الدّخان النّازل و العذاب الحالّ بكم من الجهد و الجوع... بدعآء رسولنا(ﷺ) لكم لم تفوا بما وعدتم و عاهدتم عليه ربّكم من الايمان... و لكنّكم تعودون إثر ذلك إلى سيرتكم الأُولى من تمسّككم بالكفر و الضّلالة، و إصراركم على الشّرك واللجاجة، و استمرار كم على الغيّ و الجهالة... و إلى ترك الحقّ ورآء كم ظهريّاً لما في طباعكم من الميل إلى عبادة الأوتان و اتّباع الطّواغيت و إلى التّقليد الأعمى من الآباء الجهلة و الأجداد الفجرة، و تنسون ما كنتم عليه من هذه الحالة. قال الله تعالى: «ولو رحمناهم و كشفنا ما بهم من ضرّللجّوا في طغيانهم يعمهون» المؤمنون: ٧٥) وقال: «فلمّا أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحقّ» يونس: ٢٣) و لا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم كقوله تعالى: «إلاّ قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في

الحياة الدّنيا و متّعناهم إلى حين» يونس: ۹۸).

## ۱٦-(يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون)

و اذكر أيّها الرّسول﴿ﷺ﴾ لهؤلآء المشركين و صناد يدهم يوماً يأتيهم و هو يوم بدر نبطش بهم البطشة الكبرى إنّا منتقمون منهم انتقاماً يستحقّون به جزاءً و فاقاً بما كانوا يعملون.

و ذلك أنّنا لمّا كشفنا عنهم الجوع و عذاب الدّخان عادوا إلى الشّرك والعتوّ، و أصرّوا على الكبر و الفجور... فنكثوا ما عاهدواالله تعالى عليه من الايمان إن كشفنا عنهم العذاب. و هذه البطشة الكبرى هي يوم بدر حيث قتل من عتاة المشركين و رؤسهم سبعون قتيلاً، و أُسِرَ منهم سبعون مقاتلاً...

قال الله تعالى: «و إن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون – قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم و يخزهم و ينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين» التّوبة: ۱۲-۱٤).

و قال: «فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه» الفتح: ۱۰).

و قال: «و من عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذوانتقام» المائدة: ۹۵).

و قال: « ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون و من أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه ثمّ أعرض عنها إنّا من المجرمين منتقمون» السّجدة:۲۱-۲۲).

و قال: «فانتقمنا من الّذين أجرموا و كان حقّاً علينا نصرالمؤمنين» الرّوم:٤٧).

و لا يخفى على القارئ الكريم المتدبّر أنّ للبطش في القرآن الكريم معان:

منها: البطش: العقوبة كالآية الكريمة يعني نعاقبهم عقوبة كبرى في الحياة الدّنيا و هي بالسّيف يوم بدر و فتح مكّة ... و قوله عزّ و جلّ: «و لقد أنذرهم بطشتنا» القمر: ٣٦) يعني: عقوبتنا. و قوله جلّ و علا: «إنّ بطش ربّك لشديد» البروج: ۱۲) أى عقاب ربّك.

و منها: البطش: القوّة كقوله تعالى: «فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً» الزخرف: ۸) أى قوّة، و قوله سبحانه: «و كم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشدّ منهم بطشاً» ق: ٣٦) يعنى قوّة.

و منها: البطش: الغضب كقوله عزّ و جلّ: «و إذا بطشتم بطشتم جبّارين» الشّعرآء: ۱۳۰) أى غضبتم....

و منها: البطش: ضرب الوجه باليد بشدّة كقوله جلّ و علا: «فلمّا أراد أن يبطش بالّذى هو عدوّ لهما» القصص: ۱۹).

۱۷- (و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون و جآءهم رسول كريم)

و لقد اختبرنا او ابتلينا أيّها الرّسول﴿ﷺ﴾ قبل هؤلآء المشركين العرب، فرعون و قومه من القبط بالسّراءِ و الضّراءِ، و بالشدّة و الرّخاء، و بالخير و الشّر ... و جاء هم رسول رفيع عندنا مكانه، أرسلناه إليهم و هو موسى بن عمران﴿عليه السلام﴾.

و هؤلاء القوم مثال قومك المشركين في كفرهم و ضلالهم، في جبروتهم و طغيانهم، في عنادهم و لجاجهم، في عتوّهم و استكبارهم، و في نقض عهدهم و وعدهم سوآء بسوآء قال الله في فرعون و قومه: «فلمّا جآءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون و ما نريهم من آية إلاّ هي أكبر من أُختها و أخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجعون و قالوا يا أيّه السّاحر ادع لنا ربّك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون فلمّا كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون» الزّخرف: ٤٧-٥٠).

و قال: «و آتيناهم من الآيات ما فيه بلآءٌ مبين» الدّخان: ۳۳).

و قال: في المشركين حكاية عنهم: «ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون - إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عآئدون» الدّخان: ۱۲-۱۵).

۱۸- (أن أدّوا إليّ عبادالله إنّي لكم رسول أمين)

قال موسى﴿عليه السلام﴾ لفرعون طاغي مصر، وجنوده الباغين: أيّها القوم أطلقوا بني‌إسرائيل من أُسركم و تعذيبكم، و خلّوا سبيلهم من تسخيركم و تعبيدكم، و سلّموهم إلينا و أرسلوهم معنا فإنّهم أحرار من عبادالله جلّ و علا لا عبيدكم! ما لكم و لبني إسرائيل؟ تسخفّون كبرآئهم، و تستحيون نسآءهم، و تقتلون أبنآءهم...؟ لماذا

تحبسون بنى إسرآئيل و تسومونهم سوء العذاب، و هم قوم أحرار اتّخذتموهم عبيداً لكم؟ خلّوا سبيلهم، و لا تبقوهم في الخزى و المهانة، و في الذّلّ و الإهانة...؟ خلّوا سبيلهم إنّي رسول من الله عزّوجلّ، مأمون على ما أُبلّغكم غير متّهم فيه، أمين على وحيه و رسالته.

قال الله تعالى: «إذهبا إلى فرعون إنّه طغى - فأتياه فقولا إنّا رسولا ربّك فأرسل معنا بني إسرائيل و لا تعذّبهم قد جئناك بآية من ربّك و السّلام على من اتّبع الهدى إنّا قد أوحى إلينا أنّ العذاب على من كذّب و تولّى» طه: ٤٣-٤٨).

و قال: «ثمّ أرسلنا موسى و أخاه هارون بآياتنا و سلطان مبين إلى فرعون و ملائه فاستكبروا و كانوا قوماً عالين» المؤمنون: ٤٥-٤٦).

و قال: «و إذ قال موسى لقومه أُذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب و يذبّحون أبنآءكم و يستحيون نسآءكم و في ذلكم بلآءٌ من ربّكم عظيم» إبراهيم: ٦).

وقال: «و لقد نجّينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين» الدّخان: ٣٠-٣١).

## ١٩-(وأن لا تعلوا على الله إنّي آتيكم بسلطانٍ مبين)

و أن لا تعلوا على الله جلّ و علا أيّها القوم: فرعون و جنوده، و لا تطغوا في الأرض مفسدين، و لا تبغوا على ربّكم فتكفروا به، و تعصوه فتخالفوا أوامره و نواهيه...لأنّي آتيكم بسلطان ظاهر يعلو كلّ سلطان، آتيكم بحجّة واضحة على حقيقة ما أدعوكم إليه و آتيكم ببرهان قاطع على صحّته، لا خفاء عليها لمن تأمّلها و تدبّر أنّها حجّة لي على صحّة ما أقول لكم، و صدق ما أدعوكم إليه.

و قد كان فرعون مصر طاغوتاً مسرفاً في طغيانه و علوّه، يطغى على الله جلّ و علا و على رسوله و عباده، و يستعلى على الله تعالى إدّعآءً و على رسوله تجبّراً، و على عباده استعباداً و كان جنوده يتّبعونه في الإستعلآء و التّجبّر و الطّغيان...

قال اللّه تعالى: «وإنّ فرعون لعال في الارض و إنّه لمن المسرفين» يونس: ٨٣).

و قال: «إنّ فرعون علا في الأرض و جعل أهلها شيعاً يستضف طائفة منهم يذبّح أبنآءهم و يستحيي نسآءهم إنّه كان من المفسدين» القصص: ٤).

و قال: «إذهب إلى فرعون إنّه طغى - فقال أنا ربّكم الأعلى» النّازعات: ١٧-٢٤).

و قال: « إذهب إلى فرعون إنّه طغى - قالا ربّنا إنّنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنّني معكما أسمع و أرى» طه: ٤٣-٤٦).

و قال: «فلمّا جآءتهم آياتنا مبصرة قالوا هـذا سـحر مـبين و جـحدوا بهـا و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علوّاً» النّمل ١٣-: ٤).

و قال: «و فرعون ذى الأوتاد الّذين طغوا في البـلاد فأكـثروا فـيها الفسـاد» الفجر: ١٠-١٢).

٢٠-(و إنّي عذت بربّي و ربّكم أن ترجمون)

و لمّا هدّد فرعون و جنوده موسى﴿عليه السلام﴾ بالقتل و الأذى، و بالسّجن و الضّرب و الشّتم، و نسبوه إلى الكذب و السّحر و الإفساد في الأرض، و استهزؤا به و ضحكوا منه قال موسى﴿عليه السلام﴾ - من غير أن يترك الدّعوة و الإرشاد، أو يؤخر تـبليغ الرّسـالة و الإنذار خوفاً من تهديدات فرعون طاغي مصر و ملائه الباغين -: إنّي إلتجأت إلى ربّي الّذي خلقني و هو وحده مالك أمري كما أنّه وحده ربّكم الّذي خلقكم و هو وحده مالك أمركم، إلتجأت إليه و توكّلت عليه أن تأخذكم العزّة و الإثم، فتمتدّ أيديكم إليّ بالقتل و الأذى و بالسّجن و الجفاء... أو أن تتطاول عليّ ألسنتكم بالشّتم و الفحش و الإستهزآء، أو النّسبة الكاذبة إليّ من الكذب و السّحر و الإفساد في الأرض، فترجموني بقوارص الكلم و بذيئه... وهذا هو دأب الفراعنة و الطّواغيت و الحكام الجابرة في كلّ ظرف...

قال الله تعالى: «و قال فرعون ذروني أقتل موسى و ليدع ربّه إنّي أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد و قال موسى إنّي عذت بربّي و ربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب - و قال فرعون يا هامان إبن لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب

أسباب السّموات فأطلع إلى إله موسى و إنّي لأظنّه كاذباً» غافر: ٢٦- ٢٧ و ٣٦- ٣٧).

و قال: «قال إنّ رسولكم الذّي أُرسل إليكم لمجنون - قال لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين » الشّعرآء: ٢٧-٢٩).

و قال: «قال الملأمن قوم فرعون إنّ هذالساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون و قال الملأمن قوم فرعون أتذر موسى و قومه ليفسدوا في الأرض و يذرك و آلهتك قال سنقتّل أبنآءهم و نستحيى نساءهم و إنّا فوقهم قاهرون» الأعراف: ١٠٩-١١٠ و ١٢٧).

و قال: «و لقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون و ملائه فقال إنّي رسول ربّ العالمين فلمّا جآءهم بآياتنا إذاهم منها يضحكون» الزّخرف: ٤٦-٤٧).

و قد كان دأب الأمم الباغية، و الحكّام الجابرة و الطواغيت و المستكبرين أن يهدّدوا الأنبيآء و المرسلين و الأوصيآء و المصلحين بالرّجم على إطلاقه الشّامل ... و قد هُدِّدَ نوح﴿عليه السلام﴾ بالرّجم في قوله تعالى: «إن أنا إلاّ نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكوننّ من المرجومين» الشّعرآء: ١١٥-١١٦).

و هُدِّد به إبراهيم﴿عليه السلام﴾ في قوله عزّوجلّ: «قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنّك و اهجرني مليّاً» مريم: ٤٦).

و وُعِّدَ به شعيب النّبيّ﴿عليه السلام﴾ في قوله جلّ و علا: «قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً ممّا تقول و إنّا لنراك فينا ضعيفاً و لولا رهطك لرجمناك و ما أنت علينا بعزيز» هود: ٩١).

و وُعِّدَ به المرسلون في قوله سبحانه: «قالوا إنّا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم و ليمسّنّكم منّا عذاب أليم» يس: ١٨).

٢١- (و إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون)

و قال موسى﴿عليه السلام﴾ لفرعون طاغي مصر و لجنوده الباغين: أيّها الطّغاة الفجرة و أيّها البغاة الكفرة، و أيّها العصاة الفسقة ... إن لم تؤمنوا بي، و لم تسلّموا و لم تصدّقوني بما جئتكم به من عند ربّي، فخلّوا سبيلي غير مرجوم باليد و لا باللسان، فليكن الأمر بيني

و بينكم على ما كان عليه من قبل، و هو أن تكفّوا عنّي و تدعوني و شأني بعد أن بلغتكم رسالة ربّي، و أتممت عليكم الحجّة ...فلا موالاة بيني و بين من لا يؤمن بالله تعالى، فتنحّوا عنّي أو فخلّوني كفافاً لالي و لا عليّ، و لا تتعرّضوا لي بشرّكم و أذاكم، فليس جزآء مَن دعاكم إلى ما فيه فلا حكم ذلك. «لكم دينكم ولي دين» فاتركوا أذاي فلم يتركوه.

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «و قل للّذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنّا عاملون و انتظروا إنّا منتظرون» هود: ١٢١).

و قوله عزّوجلّ: «و إن كذّبوك فقل لي عملي و لكم أعمالكم أنتم بريئون ممّا أعمل و أنا بريء ممّا تعملون» يونس: ٤١).

و قوله جلّ و علا: «قل يا قوم اعلموا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدّار إنّه لا يفلح الظّالمون» الأنعام: ١٣٥).

## ٢٢- (فدعا ربّه أنّ هؤلآء قوم مجرمون)

لمّا كذّب فرعون طاغي مصر، بموسى﴿عليه السلام﴾ و أصرّ على الكفر و الضّلال، على الكبر و اللجاج، على البغي و الفساد، على الإثم و العناد، على الظّلم و الطّغيان، و على العتوّ و العصيان ...

حتّى إدّعى الألوهيّة لنفسه وحده و همّ بقتل موسى﴿عليه السلام﴾ و قتل عبادالله و إستحياء نسآءهم ... و تبعه جنوده الباغون ... و يئس موسى﴿عليه السلام﴾ من إيمانهم بالله جلّ و علا و من إهتدائهم إلى الحقّ و الهدى، و إلى الخير و الصّلاح ... دعا ربّه شاكياً: ربّنا! إنّ فرعون و ملائه هؤلآء قوم مجرمون بكلّ جرم ... و أنّهم قد استحقّوا بإجرامهم هذا أن يلقوا جزآء المجرمين على حدّ الهلاك و الدّمار.

قال‌الله تعالى: «و قال فرعون يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري - و استكبر هو و جنوده في الأرض بغير الحقّ» القصص: ٣٨-٣٩) و قال: «فاتّبعوا أمر فرعون و ما أمر فرعون برشيد» هود: ٩٧).

و قال: «ثمّ بعثنا من بعدهم موسى و هارون إلى فرعون و ملائه بآياتنا فاستكبروا و كانوا قوماً مجرمين - فما آمن لموسى إلاّ ذرّيّة من قومه على خوف من فرعون و ملائه أن يفتنهم و إنّ فرعون لعال في الأرض و إنّه لمن المسرفين - و قال موسى ربّنا إنّك أتيت فرعون و ملائه زينة و أموالاً في الحياة الدّنيا ليضلّوا عن سبيلك ربّنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب الأليم قال قد أُجيبت دعوتكما فاستقيما و لا تتّبعانّ سبيل الّذين لا يعلمون» يونس: ٧٥-٨٩).

## ٢٣-(فأسر بعبادي ليلاً إنّكم متّبعون)

فأجبنا دعاء رسولنا موسى﴿عليه السلام﴾ و أوحينا إليه أن أسر بمن آمن بالله و اتّبعك من بني إسرائيل، و هم أكثرهم، و من القبط و هم بعضهم، فأسر بأهلك و بالمؤمنين لك، و اخرج بهم من مصر ليلاً لئلاّ يردّكم فرعون إذا خرجتم نهاراً جهاراً، و أعلمهم بانّه سيتبعهم فرعون و جنوده فقال: «إنّكم متّبعون» فإنّ هناك من يتربّص بالقوم و يتتبّع آثارهم و أخبارهم، فيخرجون خلفكم إذا علموا بخروجكم من مصر.

قال‌الله تعالى: «و أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنّكم متبعون فأرسل فرعون في المدآئن حاشرين - فأتبعوهم مشرقين فلما ترآء الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لمدركون قال كلاّ إنّ معي ربّي سيهدين» الشّعراء: ٥٢-٦٢).

## ٢٤-(و اترك البحر رهواً إنّهم جندٌ مغرقون)

سار موسى﴿عليه السلام﴾ مع أهله و المؤمنين له، و أتبعه فرعون و جنوده، فلمّا بلغ موسى﴿عليه السلام﴾ و مَن معه البحر أمرالله تعالى موسى﴿عليه السلام﴾ أن يضربه بعصاه لينفتح له و المؤمنين طريق لعبورهم فيه، فلمّا جاوزوه أراد موسى﴿عليه السلام﴾ أن يضربه ثانياً بعصاه حتّى يحول بينه و بين فرعون و ملائه، فأمره‌الله جلّ و علا أن يتركه ساكناً على حاله الّتي كانت عليها من انتصاب المآء و كون الطريق يبساً حين دخله موسى﴿عليه السلام﴾ و أصحابه، حتّى يدخله فرعون و قومه طمعاً في إدراكهم، و بشّرالله تعالى رسوله موسى﴿عليه السلام﴾ بأنّ

فرعون و جنوده مغرقون في البحر ليطمئنّ قلب رسوله﴿ﷺ﴾ في ترك البحر كما هو، فدخله فرعون و ملائه فأطبقه‌الله عليهم، و قد كان موسى﴿ﷺ﴾ و أصحابه ينظرون ذلك.

قال‌الله تعالى: «و لقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً و لا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من الغمّ ما غشيهم» طه: ٧٧-٧٨).

و قال: «و إذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم و أغرقنا آل فرعون و أنتم تنظرون» البقرة: ٥٠).

و قال: «و إنّي لا ظنّك يا فرعون مثبوراً فأراد أن يستفزّهم من الأرض فأغرقناه و من معه جميعاً» الإسراء: ١٠٢-١٠٣).

و قال: «و جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون و جنوده بغياً وعدواً حتّى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنّه لاإله‌إلاّ الّذى آمنت به بنوإسرائيل و أنا من المسلمين ءآلان و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية و إنّ كثيراً من النّاس عن آياتنا لغافلون» يونس: ٩٠-٩٢).

## ٢٥- (كم تركوا من جنّات و عيون)

كثيراً ما ترك فرعون طاغي مصر و ملائه الباغون، و خلفوا بعد غرقهم و هلاكهم في البحر من بساتين فيحاء رائعة، و حدائق غنّاء مثمرة، تركوها لم تنفعهم حين نزل بهم عذاب‌الله جلّ و علا، و تركوا من عيون تجري في بساتينهم لم تدفع عنهم عقاب‌الله تعالى: «فأخرجناهم من جنّات و عيون» الشّعرآء: ٥٧).

و بهذه البساتين و العيون يفتخرو يباهى فرعون على موسى﴿ﷺ﴾ في قومه: «و نادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر و هذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون» الزّخرف: ٥١).

## ٢٦- (وزروع و مقام كريم)

و كثيراً ما تركوا من زروع كثيرة مونقة ناضرة، و تركوا من مجالس حافلة كانوا يقيمونها، و محافل حسنة مزيّنة هانئة كانوا يلتفّون فيها، و يكرمون عليها.

و قال الشّاعر:

و فيهم مقامات حسانٌ وجوههم ... و أندية ينتابها القول و الفعل

## ٢٧- (و نعمة كانوا فيها فاكهين)

و عيش لين رغد، و تنعّم وسعة في العيش، كانوا في تلك النّعم ناعمين متمتّعين كما يتمتّع الآكل بأنواع الفواكه... كانوا هم غريقين: يتعاطون في تلك النّعم الفاكهة، و مختلف ألوان الشّهوة بكّل تفاهة و رذالة و حَيْوَنة...« و قال موسى ربّنا إنّك أتيت فرعون و ملائه زينة و أموالاً في الحياة الدّنيا» يونس: ٨٨) « و نادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر و هذه الأنهار تجري من تحتي أفلاتبصرون » الزّخرف: ٥١).

و قد أخرج الله عزّو جلّ فرعون طاغي مصر و ملائه الباغين من جنّاتهم الرّائعة، و عيونهم الجارية، وزروعهم المونقة، و مقامهم الكريم إذ تركوا رسوله الكريم موسى﴿عليه السلام﴾ حتّى أورطهم في البحر و أهلكهم فيه جميعاً، و نجّى رسوله﴿عليه السلام﴾ و المؤمنين له أجمعين.

قال الله تعالى: « فأخر جناهم من جنّات و عيون و كنوز و مقام كريم- فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلّ فرق كالطّود العظيم و أزلفنا ثمّ الآخرين و أنجينا موسى و من معه أجمعين ثمّ أغرقنا الآخرين» الشّعراء: ٥٧-٦٦).

## ٢٨- (كذلك و أورثناها قوماً آخرين)

مثل ذلك الإخراج أخرجنا فرعون طاغي مصر و قومه القبط المستكبرين منها، و أورثنا بني إسرائيل بعد إهلاك فرعون و ملائه في البحر، و ملّكنا هم أرض مصر بعد أن

كانوا فيها مستضعفين مستعبدين، فصار والها وارثين لوصول ذلك إليهم كوصول الميراث إلى وارثه.

قال الله تعالى: «و قال الملاء من قوم فرعون أتذر موسى و قـومه ليـفسد وافي الأرض و يذرك و آلهتك قال سنقتّل أبنآءهم و نستحيى نسآءهم و إنّا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا باللّه و اصبروا إنّ الأرض للّه يورثها من يشآء ن عباده و العاقبة للمتّقين قالوا او ذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ما جئتنا قال عسى ربّكـم أن يهلك عدوّكم و يستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون - فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمّ بأنّهم كذّبوا بآ ياتنا و كانوا عنها غافلين و أورثنا القوم الّذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض و مغاربها الّتى باركنا فيها وتمّت كلمة ربّك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا و دمّرنا ما كان يصنع فرعون و قومه و ما كانوا يعرشون» الأعراف: ۱۲۷- ۱۳۷).

و قال: «و جاوزنا ببني اسرآئيل البحر فأتبعهم فرعون و جنوده بغياً و عدواً إذا أدركه الغرق - و لقدبوّ أنا بني إسرائيل مبوّأ صدق ورزقناهم هم من الطيّبات فما اختلفوا حتّى جآءهم العلم» يونس: ۹۰-۹۳).

و قال: «فأراد أن يستفزّ هم من الأرض فأغرقنا هم و من معه جميعاً و قلنا من بعده لبني اسرآئيل اسكنوا الأرض فإذا جآء وعد الآخـرة جـئنابكم لفـيفاً» الاسراء: ۱۰۳-۱۰٤).

و قال: «فأخر جناهم من جنّات و عيون و كنوز و مقام كريم كذلك و أورثناها بني إسرائيل» الشّعراء: ۵۷-۵۹).

مع أنّ هناك آيات تذكر أنّ بني إسرائيل أخذوا حليّ المصريين كـقوله تـعالى: «قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا و لكنّا حُمِّلنا أوزاراً من زينة القوم ...» طـه: ۸۷). حـيث يتضمّن هذا معنى إرث أموال المصريين مضافاً إلى أنّ فلسطين و شرق الأردن كانت في نطاق سلطان المصريّين فاستولى عليها بنوإسرائيل.

**٢٩- (فما بكت عليهم السّماء و الأرض و ماكانوا منظرين)**

فما بكت على فرعون طاغي مصر، و ملائه الباغين - لمّا هلكوا في البحر بسبب عتوّهم و طغيانهم، بسبب كفرهم و عدوانهم، بسبب ظلمهم و عصيانهم... - فما بكت عليهم السّمآء و الأرض إذ لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد إلى أبواب السّمآء فتبكي على فقدهم، و لا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله جلّ و علا فيها فقدتهم فتبكي عليهم الأرض، و لذلك استحقّوا الخزى و الهلاك و الذّلّ و الدّمار في الحياة الدّنيا قبل الآخرة، بل و ما أمهلوا إلى وقت آخر لمّا جآءهم وقتها.

قال الله تعالى: «إذهب إلى فرعون إنّه طغى - فقال أناربّكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة و الاولى إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى» النّازعات:١٧-٢٦).

وقال: «و في موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولّى بركنه و قال ساحر أو مجنون فأخذناه و جنوده فنبذناهم في اليمّ و هو مليم» الذّاريات: ٣٨-٤٠).

وقال: «و لقد جآء آل فرعون النّذر كذّبوا بآياتنا كلّها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر» القمر: ٤١-٤١).

وقال: «فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقنا هم أجمعين فجعلناهم سلفاً و مثلاً للآخرين» الزّخرف:٥٥ - ٥٦).

و قال: «فانتقمنا منهم فأغرقنا هم في اليمّ بأنّهم كذّبوا بآياتنا و كانوا عنها غافلين» الأعراف: ١٣٦).

و قال: «و جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون و جنوده بغياً و عدواً حتّى إذا أدركه الغرق قال آمنت - ءآلئن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين» يونس: ٩٠-٩١).

وقال: «كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لايؤمنون به حتّى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة و هم لايشعرون فيقولوا هل نحن منظرون» الشّعراء: ٢٠١-٢٠٣).

و إنّ بكآء السّمآء و الأرض كتسبيحها و سجودها و طاعتها و عبادتها... على

حقيقة معناها كبكآء الحيوان و غيره و تسبيحه و سجوده... و لكن كلّاً بحسبه.

قال الله تعالى: «تسبّح له السّموات السّبع و الأرض و من فيهنّ و إن من شيء إلاّ يسبّح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم» الإسراء: ٤٤).

و قال: «ألم تر أنّ الله يسجد له من في السّموات و من في الأرض و الشّمس و القمر و النّجوم و الجبال و الشّجر و الدّوابّ و كثير من النّاس و كثير حقّ عليه العذاب» الحج: ١٨).

۳۰-(و لقد نجّينا بني إسرائيل من العذاب المهين)

أُقسم بعزّتنا و جلالنا، و بعظمتنا و قدرتنا إنّا نجّينا بني إسرآئيل الّذين آمنوا بموسى بن عمران﴿عليه السلام﴾ و خلّصناهم من العذاب المهين كان يفعل بهم فرعون طاغي مصر من إستبداد مطلق، و سلب حرّيّة مشروعة، و هتك الإنسانيّة، و استعبادها، من تحقير الكبرآء و إستخفافهم، من قتل الأبنآء و إهانتهم، من إستحيآء النّسآء و استخدامهنّ لأنواع اللذّات و الشّهوات، و من التّكليف بالأعمال الشّاقّة و ما إليها من وسائل الإختناق و الخسف و الضّيم و الضّغط و السّجن و السّوط، و ما إليها من أنواع العذاب الرّوحي و الجسمي... و كان ملائه المستكبرون الباغون يتّبعونه في ذلك كلّه فيسومونهم سوء العذاب.

قال الله تعالى: «و فرعون ذو الأوتاد» ص: ١٢).

وقال: «فاستخفّ قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين» الزّخرف: ٥٤).

و قال: «و لقد أرسلنا موسى بآ ياتنا و سلطان مبين إلى فرعون و ملائه فاتّبعوا أمر فرعون و ما أمر فرعون برشيد» هود: ٩٧).

و قال: «و إذنجّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوءالعذاب يذبّحون أبنآءكم و يستحيون نسآءكم و في ذلكم بلاء من ربّكم عظيم و إذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم و أغرقنا آل فرعون و أنتم تنظرون» البقرة: ٤٩ - ٥٠).

## ٣١- (من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين)

نجّينا بني إسرآئيل من نفس فرعون طاغي مصر إذ كان نفسه عذاباً للإنسانيّة جمعآء ... لأنّه كان جبّاراً عنيداً مستعلياً مستكبراً على ربّه، كان من المتجاوزين عن حدّه، و كان مسرفاً في الكفر و الضّلالة، في العتوّ و الشّرارة، في البغي و الغواية، في الظّلم و الجناية، في الفساد و اللّجاجة، و في الكبر و الجهالة حتّى إدّعى الاُلوهيّة لنفسه وحده بعد ما ادّعى الرّبوبيّة العليا.

قال الله تعالى: «و إنّ فرعون لعال في الأرض و انّه لمن المسرفين» يونس: ٨٣).

و قال: «فقال أنا ربّكم الأعلى» النّازعات: ٢٤).

و قال: «إنّ فرعون علا في الأرض و جعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم و يستحيي نسآءهم إنّه كان من المفسدين - و قال فرعون يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري» القصص: ٤ و ٣٨).

و لا يخفى على القارئ الكريم المتدبّر الخبير أنّ الإسراف في الاصل هو مجاوزة القصد، و أسرف إسرافاً: جاوز المقصد. و أنّ الإسراف لا يتعلّق بالمال فقط، بل بكلّ شيء وضع في غير موضعه اللاّئق به، ألا ترى أنّ الله عزّوجلّ وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير الحرث، فقال: «إنّكم لتأتون الرّجال شهوة من دون النّسآء بل أنتم قوم مسرفون» الأعراف، ٨١) و وصف المشركين العرب بالإسراف لإعراضهم عن الذّكر الّذي كان ينبغي أن يؤمن به، و وصف فرعون طاغي مصر بالإسراف في قوله تعالى: «إنّه كان عالياً من المسرفين».

و في الصّحيفة السّجّادية - في الدّعاءِ الثّامن - قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما أفضل صلوات اللّه و أكمل تحيّاته: «و نعوذ بك من تناول الإسراف ...» الدّعاء.

و في - الدّعاء الرّابع و العشرين -: «اللّهمّ و ما تعدّ يا عَلَيَّ فيه من قول أو أسرفا عَلَيَّ فيه من فعل ...» الدّعاء.

و قال بعض المحقّقين من العلمآء: «كلّ إسراف جهل، و كلّ جهل إسراف» إذ فيه وضع الشّيء في غير موضعه اللاّئق به.

قال الله تعالى: «إنّ الله لا يهدى من هو مسرف كذّاب - و أنّ المسرفين هم أصحاب النّار» غافر: ۲۸ و ٤۳).

و قال: «و لا تطيعوا أمر المسرفين الّذين يفسدون في الأرض و لا يصلحون» الشّعراء: ۱٥۱-۱٥۲).

و قال: «و كأيّن من نبيّ قاتل معه ربيّون كثير فما و هنوا لما أصابهم في سبيل الله و ما ضعفوا و ما استكانوا و الله يحبّ الصّابرين و ما كان قولهم إلاّ أن قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا و إسرافنا في أمرنا و ثبّت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين» آل‌عمران: ۱٤٦-۱٤۷).

## ۳۲- (و لقد اخترناهم على علم على العالمين)

و من نعمنا و إحساننا على بني‌اسرآئيل بعد إهلاك عدوّهم فرعون و قومه في اليمّ: أنّا اخترنا هم على علم بأحوالهم الماضية و الحال و الإستقبال ... فضّلناهم على أهل زمانهم ليكونوا هم موضع امتحان و ابتلاء بعد تلك البلايا ... فكانواهم أحقّآء بذلك من غيرهم يومئذ، ففضّلناهم على عالمي زمانهم بما أنزلنا عليهم من الكتب، و آتيناهم الحكم و النبوّة و رزقناهم من الطّيّبات و أرسلنا فيهم من الرّسل الّذين جآؤهم بالآيات البيّنات من عندنا، و نحن عالمون بأنّهم أهل لكلّ مكرمة و فضل على غيرهم في زمنهم ماداموا على إيمان و صالح عمل، و لا نعني أهل الأرض أجمعين في كلّ ظرف.

و ذلك أنّ‌الله عزّوجلّ جعل المؤمنين من هذه الأمّة الإسلاميّة الأعلون و خير أمّة أخرجت للنّاس في كلّ ظرفٍ إلى يوم القيامة كما قال: «كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله و لو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون و أكثرهم الفاسقون - و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم

مؤمنين» آل عمران: ١١٠ و ١٣٨) و قال: «و لو أنّ أهل الكتاب آمنوا و اتّقوا لكفّرنا عنهم سيّئاتهم و لأدخلناهم جنّات النّعيم» المآئدة: ٦٥).

و هذه الآيات الكريمة تعلّل هذه الخيريّة و العلوّ و تكفير السّيئات و دخول الجنّات بالإيمان بالله تعالى و التّقوى و الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر ... و قياساً على ذلك فإنّ خيريّة بني إسرائيل إنّما كانت على أهل زمانهم بهذه العلّة سوآء بسوآء من إستجابتهم لدعوة موسى﴿عليه السلام﴾ و إيمانهم بالله تعالى و التزامهم شرائعه ... و لا يتّسق مع روح التّلقين القرآنيّ و لا مع حكمةالله تعالى أن يدوم حكم الخيريّة لهم حينما انحرفوا عن التّوحيد إلى الشّرك، عن الايمان إلى الكفر، عن التّقوى إلى الفجور، عن الطّاعة إلى العصيان، و عن عبادةالله تعالى إلى عبادة العجل و البعل ...

و قد انحرف كثير من بني إسرآئيل في زمن موسى بن عمران﴿عليه السلام﴾ عن شرائع‌الله واقترفوا الفواحش و الموبقات، و حرّفوا كتب اللّه جلّ و علاْ و كلامه عن مواضعه، و افتروا على‌الله الكذب و نسبوا إليه ما ليس منه في حياة موسى﴿عليه السلام﴾ و بعده على ما سجّلته عليهم أسفار عديدة من أسفار العهد القديم بحيث يستطيع من يشآء أن يعثر عليها بسهولة وسعة ... و ما سجّلته عليهم آيات كثيرة من القرآن المجيد، و ما فعلوا بعيسى إبن مريم﴿عليه السلام﴾ و ما آمنوا بنبيّنا محمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾ ... و هم أشدّ النّاس عداوة و شرارة و أفسدهم و أخبثهم بعد كفرهم بالله سبحانه إلى يوم القيامة.

قال‌الله تعالى: «و لقد آتينا بني إسرائيل الكتاب و الحكم و النّبوّة و رزقناهم من الطّيّبات و فضّلناهم على العالمين و آتيناهم بيّنات من الأمر فما اختلفوا إلاّ من بعد ما جآءهم العلم بغياً بينهم» الجاثية: ١٦-١٧).

و قال: «يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي الّتي أنعمت عليكم و أنّي فضّلتكم على العالمين - و إذ نجّيناكم من آل فرعون - ثمّ اتّخذتم العجل من بعده و أنتم ظالمون ثمّ عفونا عنكم من بعد ذلك لعلّكم تهتدون - و إذ آتينا موسى الكتاب و الفرقان لعلّكم تهتدون - و إذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى‌الله جهرة فأخذتكم الصّاعقة و أنتم تنظرون

ثمّ بعثناكم من بعد موتكم لعلّكم تشكرون و ظلّلنا عليكم الغمام و أنزلنا عليكم المنّ و السّلوى كلوا من طيّبات ما رزقناكم - و إذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد - و إذ أخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوّة و اذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثمّ تولّيتم من بعد ذلك - ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشدّ قسوة - أفتطمعون أن يؤمنوا لكم و قد كان فريق منهم يسمعون كلام‌الله ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه و هم يعلمون - فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً - ثمّ تولّيتم إلاّ قليلاً منكم و أنتم معرضون - ثمّ أنتم هؤلآء تقتلون أنفسكم و تخرجون فريقاً منكم من ديارهم و تظاهرون عليهم بالإثم و العدوان - و لتجدنّهم أحرص النّاس على حياة - و لو أنّهم آمنوا و اتّقوا لمثوبة من عندالله خير لو كانوا يعلمون» البقرة: ٤٠ - ١٠٣).

و قال: «ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّونكم و ما يضلّون إلاّ أنفسهم و ما يشعرون - و يقولون على‌الله الكذب و هم يعلمون - قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل‌الله من آمن تبغونها عوجاً و أنتم شهدآء و ماالله بغافل عمّا تعملون - و ضربت عليهم المسكنة ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات‌الله و يقتلون الأنبيآء بغير حقّ ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون» آل عمران: ٦٩ - ١١٢).

و قال: «من الّذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه - أُولئك الّذين لعنهم‌الله و من يلعن‌الله فلن تجد له نصيراً - فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات أُحلّت لهم و بصدّهم عن سبيل‌الله كثيراً و أخذهم الرّبوا و قد نهوا عنه و أكلهم أموال النّاس بالباطل و أعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً» النّساء: ٤٦ و ٥٢ - ١٦١).

و قال: «فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم و جعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه - و إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة‌الله عليكم إذ جعل فيكم أنبيآء و جعلكم ملوكاً و آتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة الّتي كتب‌الله لكم و لا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين - قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها

أبداً - و من الّذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه - و قالت اليهود يدالله مغلولة غلّت أيديهم و لُعِنوا بما قالوا - لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل و أرسلنا إليهم رسلاً كلّما جآءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم فريقاً كذّبوا و فريقاً يقتلون - لُعِن الّذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود و عيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون - لتجدنّ أشدّ النّاس عداوة للّذين آمنوا اليهود» المائدة: ١٣ و ٢٠ - ٢٤ و ٤١ و ٦٤ و ٧٠ و ٨٢) و قال: «فلمّا عتوا عمّا نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين» الأعراف: ١٦٦) و غيرها من الآيات القرآنيّة الّتي تدلّ على غاية خباثة بني إسرائيل و نهاية شرارتهم و جهالتهم و عداوتهم و حماقتهم و ضلالتهم و لجاجتهم و جنايتهم و ذلّتهم...

أهؤلآءِ اليهود العنود خير النّاس في كلّ ظرف من الظّروف كما توهّم من يتغذّى من قاذورات اليهود ...؟!

## ٣٣- (و آتيناهم من الآيات ما فيه بلاؤ مبين)

و لقد آتيناهم بني إسرائيل - بعد ما كانوا أذ لأّء مستعبدين لفرعون، معذّبين بملائه، و كانوا في غاية الشّدّة و النّقمة، و نهاية الخزي و الإهانة في زمن طاغي مصر فأهلكنا عدوّهم في اليمّ - آتيناهم من الآيات الواضحة، و النّعم الكثيرة المتنوّعة حتّى اخترناهم على أهل زمانهم بتلك النّعم الّتي كانت هى محك امتحان واضح، و امتحان عظيم أيؤمنون بالله تعالى و رسوله و بكتابه حقّاً أم يكفرون؟ و لكن أكثرهم كفروا و اتّخذوا العجل آلهة يعبدونها و اعتدوا و عتوا عتوّاً حتّى آل أمرهم أن يكونوا قردة خاسئين.

قال الله تعالى: «و أورثنا القوم الّذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض و مغاربها الّتي باركنا فيها و تمّت كلمة ربّك الحسنى على بني إسرآئيل بما صبروا و دمّرنا ما كان يصنع فرعون و قومه و ما كانوا يعرشون و جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم

يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون - قال أغيرالله أبغيكم إلهاً و هو فضّلكم على العالمين و إذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتّلون أبنآءكم و يستحيون نسآءكم و في ذلكم بلآء من ربّكم عظيم - و اتّخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلاً جسداً له خوار - إنّ الّذين اتّخذوا العجل سينالهم غضب من ربّهم و ذلّة في الحياة الدّنيا - كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون - فلمّا عتوا عمّا نهوا عنه قلنالهم كونوا قردة خاسئين - و بلوناهم بالحسنات و السّيّئات لعلّهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف و رثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنىٰ و يقولون سيغفرلنا و إن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلاّ الحقّ و درسوا مافيه و الدّار الآخرة خيرللّذين يتّقون أفلا تعقلون» الأعراف: ١٣٧-١٦٩).

### ٣٤- (إنّ هؤ لآء ليقولون)

إنّ هؤ لآء المشركين العرب الّذين كانوا يستمعون لهذا الحديث، و من ينسلك مسالكهم من بعدهم في كلّ ظرف يستمعون لهذا الحديث من أمر فرعون طاغي مصر و عتوّه و طغيانه... و أمر ملائه و استكبارهم، و ما أخذهم الله جلّ و علا به من هلاك و دمار... و من أمر موسى﴿عليه السلام﴾ و رسالته، و ما كان من إحسان الله عزّ و جلّ إلى بني إسرائيل و فضله عليهم و ابتلاهم به، ثمّ مكرهم بآيات الله تعالى و تكذيبهم لرسله و اعتدائهم، و عبادتهم للعجل... حتّى لعنهم الله جلّ و علا و مزّق شملهم و فرّق جمعهم، و قطّعهم في الأرض أُمماً، و جعلهم قردة خاسئين - هم ليقولون بعد استماعهم لهذا الحديث:

### ٣٥- (إن هى إلاّ موتتنا الاولى و ما نحن بمنشرين)

مالنا من موتة إلاّ موتتنا الاولى الّتي نموتها في الحياة الدّنيا، و هي الموتة الاولى، فلاحياة بعدها إطلاقاً: برزخيّةً أم يوم القيامة، و مانحن بمنشرين بعد مماتنا هـذه، و لا

بمبعوثين بعدها، تكذيباً منهم بالبعث و الحساب و الثّواب و العقاب: «أيعدكم إنّكم إذا متّم و كنتم تراباً و عظاماً إنّكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلاّ حياتنا الدّنيا نموت و نحيا و ما نحن بمبعوثين» المؤمنون: ٣٥ - ٣٧).

و هم سيعترفون يوم القيامة بالحياتين و الموتتين: «ربّنا أمتّنا اثنتين و أحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل» غافر: ١١) و هم كانوا بها كافرين في الحياة الدّنيا: «كيف تكفرون بالله و كنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ثمّ إليه ترجعون» البقرة: ٢٨).

و قد كانت عرب الجاهليّة تعترف بمن خلق السّموات و الأرض ...: «و لئن سئلتهم من خلق السمّوات و الأرض و سخّر الشّمس و القمر ليقولنّ الله - و لئن سئلتهم من نزّل من السّمآء مآءً فأحيابه الأرض من بعد موتها ليقولنّ الله قل الحمدلله بل أكثرهم لايعقلون» العنكبوت: ٦١ - ٦٣) فإنّهم مع هذا الإعتراف ينكرون التّوحيد! و لذا تعجبوا و استغربوا أن يجعل محمّد﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ الآلهة إلهاً واحداً: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشىء عجاب» ص: ٥).

و أمّا إنكارهم للبعث و الحساب و الجزآء فكان أشدّ بكثير من إنكارهم للتّوحيد لما وقع في تصوّرهم من استحالة الحياة بعد الموت، و قد كان كثير من المشركين العرب على أتمّ الإستعداد أن يتخلّوا عن الأصنام و عبادتها، و أن يؤمنوا برسالة محمّد﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ مالم يجمع في دعوته بين التّوحيد و البعث، و لكنّه أبى أن يفصل بينهما. . وهنا يكمن السّرّ في تكرار آيات البعث و الجزآءِ بأساليب شتّى، و ألوان من الجدل و الإحتجاج بين القرآن الكريم و المشركين العرب، و من ذلك هذه الآية الكريمة و تاليها من الآيات:

## ٣٦- (فأتوا بآبآئنا إن كنتم صادقين)

فأتنا يا محمّد﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ بآبآئنا إن كنت صادقاً فيما تحدّثنا عن البعث و النّشور و الحساب و الجزآء من الثّواب و العقاب، و تدعونا إلى الايمان به، فعجّل لنا إحيآء من

مات من آبآئنا الماضين، فأعدهم بأيّ وسيلة تتّخذها لإعادتهم إن كنت صادقاً في أنّ الله يقدر على إعادة الأموات و إحيآئهم لأنّ من قدر على النّشأة الاولى قدر على إعادة الآبآءِ... فأعدهم لينهض دليلاً على ماتعده من قيام السّاعة و بعث الموتى... فنعلم صدقك في دعواك أنّ الأموات سيحيون، و أنّ الموت ليس بانعدام، فأتنا بهم؟.

هذه مغالطة واضحة باطلة لأنّ البعث و الإعادة في الدّار الآخرة لا في الحياة الدّنيا، حيث إنّ النّشأة الثّانية إنّما و جبت للجزآءِ لا للتّكليف، فلاتلزم إعادة الآبآءِ و لا تجب. و قدورد خطاب الجمع للنّبيّ الكريم(ﷺ) بمواضع من القرآن الكريم...

منها: قوله تعالى: «قل يجمع بيننا ربّنا ثمّ يفتح بيننا بالحقّ و هو الفتّاح العليم - و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة و لاتستقدمون» سبأ: ۲٦- ۳۰).

و منها: قوله عزّ وجلّ: «و قالوا ما هى إلاّ حياتنا الدّنيا و ما يهلكنا إلاّ الدّهر و مالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنّون و إذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات ماكان حجّتهم إلاّ أن قالوا ائتوا بآبآئنا إن كنتم صادقين قل الله يحييكم ثمّ يميتكم ثمّ يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون» الجاثية: ۲٤-۲٦).

و منها: قوله جلّ و علا: «قل هو الّذي ذرأكم في الأرض و إليه تحشرون و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنّما العلم عندالله و إنّما أنا نذير مبين» الملك: ۲٤-۲٦).

۳۷- (أهم خير أم قوم تبّع و الّذين من قبلهم أهلكناهم إنّهم كانوا مجرمين)

أهؤلآء المشركون العرب خير أم قوم تبّع الحميرى، و الّذين من قبل قوم تبّع من الأُمم كقوم نوح و عاد و ثمود و لوط... و هم أكثر عدداً و عدّة و نعمة و قوّة و قدرة... أهلكناهم و دمّرناهم تدميراً بسبب كفرهم و طغيانهم، بسبب بغيهم و عصيانهم، بسبب إثمهم و عدوانهم، و بسبب عنادهم و لجاجهم... إنّهم كانوا مجرمين إذ بدّلوا نعمة الله عليهم

نقمة... و وقفوا موقف العناد و اللجاج... و بطروا معيشتهم ... فهؤلآءِ المشركون ليسوا بأقوى بهؤلآءِ الهالكين ....

قال الله تعالى: «و لقد جآء آل فرعون النّذر كذّبوا بآ ياتنا كلّها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفّاركم خير من اولئكم» القمر: ٤١ - ٤٣).

و قال: «كذّبت قبلهم قوم نوح و أصحاب الرّسّ و ثمود و عاد و فرعون و إخوان لوط و أصحاب الأيكة و قوم تبّع كلّ كذّب الرّسل فحقّ و عيد» ق: ١٢ - ١٤).

أفلا يخاف هؤلاءِ المشركون من الهلاك و الدّمار و العذاب ...؟ و هم مستحقّون في هذا القول الهلاك و الدّمار و العذاب ... أفلا يعتبرون أنّا إذا قدرنا على إهلاك هؤلاءِ المذكورين قدرنا على إهلاك المشركين، فكانوا نظرآئهم في الإنكار و الحساب و الجزآءِ؟

فليحذر هؤلاءِ أن يحلّ بهم مثل ما حلّ بأُولئك: «سنّةالله في الّذين خلوا من قبل و لن تجد لسنّةالله تبديلاً» الأحزاب: ٦٢).

## ٣٨- (و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما لاعبين)

و ما خلقنا السّموات السّبع و الأرضين السّبع و ما بينهما من أنواع الخلق و أجناسه ممّا نعلمه من الإنسان و الحيوان، من الجماد و النّبات، من البرّ و البحر، من الجبال و الأنهار، من الملآئكة و الأرواح، و من الجنّ و الشّياطين ... ما خلقنا شيئاً منها باطلاً و عبثاً و لا لعباً و لهواً و لا غافلاً عنها.

فلابدّ و أن يكون لذلك كلّه حِكَمٌ، منها بعث النّاس ليوم آخر، و محاسبتهم فيه على عقائدهم و أقوالهم، على أفكارهم و أعمالهم، و على ما في صدورهم و ضمآئرهم، و توفيتهم الجزاء عليها....

قال الله تعالى: «إنّ في خلق السّموات و الأرض و اختلاف اللّيل و النّهار لآيات لأُولى الألباب الّذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكّرون في خلق السّموات و الأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً» آل عمران ١٩٠ - ١٩١).

و قال: «و ما خلقنا السّمآء و الأرض و ما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتّخذ لهواً لاتّخذناه من لدنّا إن كنّا فاعلين» الأنبيآء: ١٦-١٧).

و قال: «و لقد خلقنا فوقكم سبع طرائق و ما كنّا عن الخلق غافلين - أفحبستم أنّما خلقناكم عبثاً و أنّكم إلينا لا ترجعون» المؤمنون: ١٧ و ١١٥).

و قال: «و ما خلقنا السّمآء و الأرض و ما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النّار» ص: ٢٧).

و قال: «سبحان الّذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض و من أنفسهم و ممّا لا يعلمون يس: ٣٦).

و قال: «و يخلق ما لا تعلمون» النّحل: ٨).

و قال: «و ما يعلم جنود ربّك إلاّ هو» المدّثّر: ٣١).

## ٣٩- (ما خلقنا هما إلاّ بالحقّ و لكنّ أكثر هم لا يعلمون)

ماخلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما من الخلائق كلّها إلاّ ملازماً للحقّ، و مصاحباً له، و لم نخلق شيئاً منها لا عباً بلا غرض، و لا باطلاً بلاغاية لما يترتّب عليها من الغايات و الفوآئد ... فانّها غايات حقيقيّة منتظمة تترتّب على خلقة ما خلق، فليست بلغو باطل و لا صدفة إتفاقيّة، و لكن أكثر النّاس في كلّ ظرف لا يعلمون ذلك لقلّة تدبّرهم في نظام الكون و نواميس الوجود، و لذلك يكذّبون بالبعث و الحساب و الجزآءِ، و ينكرون العودة إلى دار أُخرى بعد هذه الدّار.

قال الله تعالى: «ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و أجل مسمّى و الّذين كفروا عمّا أُنذروا معرضون» الأحقاف: ٣).

و قال: «و هو الّذي خلق السّموات و الأرض بالحقّ و يوم يقول كن فيكون قوله الحقّ و له الملك يوم ينفخ في الصّور» الأنعام: ٧٣).

و قال: «أو لم ينظروا في ملكوت السّموات و الأرض و ما خلق الله من شيء و أن

عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأيّ حديث بعده يؤمنون» الأعراف: ١٨٥).

و قال: «و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و إنّ السّاعة لآتيةٌ فاصفح الصّفح الجميل» الحجر: ٨٥).

و قال: «وعد الله لا يخلف الله وعده ولكنّ اكثر النّاس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا و هم عن الآخرة هم غافلون أو لم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و أجل مسمّى» الرّوم: ٦ – ٨).

و قال: «و من آياته خلق السّموات و الأرض و ما بثّ فيهما من دابّة و هو على جمعهم إذا يشآء قدير» الشّورى: ٢٩).

## ٤٠– (إنّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين)

إنّ يوم الفصل بين المبعوثين المنشرين، يوم وصل بينهم، فإنّه ميقاتهم أجمعين من الأوّلين و الآخرين، من الأخيار و الأشرار، ومن الأبرار و الفجّار... و يوم فصل يفصل بينهم بانفصال العقآئد و الأفكار، و الأقوال و الأعمال... و بالإنفصال في المآل حيث إنّ المحقّين في الجنّة و نعيمها، و المبطلين في جهنّم و نيرانها.

قال الله تعالى: «هذا يوم الفصل جمعناكم و الأوّلين» المرسلات: ٣٨).

و قال: «إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً يوم ينفخ في الصّور فتأتون أفواجاً» النّبأ: ١٧–١٨).

و قال: «إن كانت إلاّ صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون– و امتازوا اليوم أيّها المجرمون» يس: ٥٣–٥٩).

و قال: «إنّ ربّك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» السّجدة: ٢٥).

و قال: «لن تنفعكم أرحامكم و لا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم و الله بما تعملون بصير» الممتحنة: ٣) «فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم يومئذ و لا يتسآءلون» المؤمنون: ١٠١).

٤١-(يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون)

يوم الفصل يوم لا يغني فيه أيّ وليّ عن وليّ شيئاً، و لا يدفع أيّ قريب عن أيّ قريب عذاباً، و لا ينفع أيّ ناصر آخر و لا يرفع عنه أيّ شيء من عقاب الله تعالى، و لا الأولياء يمنعون من عذاب الله جلّ و علا.

و المولى هو الصّاحب الّذي من شأنه أن يتولّى معونة صاحبه على أُموره حقيقة أو حكماً و تقديراً، فيدخل في ذلك النّاصر و القريب و الحليف و المنعم و السّيّد، و الجار و المحبّ و التّابع و المعِتق و المُعتَق، و العبد و النّزيل و الشّريك و المالك و الولد و إبن العمّ و غير هم ممّن هذه صفته، و غيره من المال و السّمع و البصر و الفؤاد و الآلهة المنحوتة و الطّواغيت و الكيد و المكر...

و المراد إنّ أحداً من ذلك بأيّ معنى فرض لا ينفع أيّ مولى كان شيئاً من الإغنآءِ، و الضّمير في «و لا هم ينصرون» للمولى الأوّل باعتبار المعنى لأنّه عام يشمل الجميع...

قال الله تعالى: «و اتّقوا يوماً لا تجزى نفس شيئاً و لا يقبل منها شفاعة و لا يؤخذ منها عدل و لا هم ينصرون» البقرة: ٤٨).

و قال: «إنّ الّذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم و لا أولادهم من الله شيئاً و أُولئك هم و قود النّار» آل عمران: ١٠).

و قال: «و لا يسئل حميم حميماً يبصّرونهم يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه و صاحبته و أخيه و فصيلته الّتي تؤيه و من في الأرض جميعاً ينجيه كلاّ إنّها لظى نزّاعة للشّوى» المعارج: ١٠-١٦).

و قال: «ما أغنى عنكم جمعكم و ما كنتم تستكبرون-أيشركون ما لا يخلق شيئاً و هم يخلقون و لا يستطيعون لهم نصراً و لا أنفسهم ينصرون» الأعراف: ٤٨ و ١٩١-١٩٢).

و قال: «و اتّخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم و هم لهم جند محضرون» يس: ٧٤-٧٥).

و قال: «و لا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً و لا ما اتّخذوا من دون الله أوليآء و لهم

عذاب عظيم» الجاثية: ١٠).

و قال: «يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً و لا هم ينصرون» الطّور: ٤٦).

## ٤٢- (إلاّ من رحم الله إنّه هو العزيز الرّحيم)

لا ناصر لأحد من الظّالمين في يوم الفصل، و لا مُخلّص له من أهوا له و عذابه: «ما للظّالمين من حميم و لا شفيع يطاع» غافر: ١٨) إلاّ من رحم الله تعالى من عباده بالعفو عنه، فيسقط عقابه إبتداءً أو بقبول شفاعة الشّفيع في حقّه، و هو بعض المؤمنين الّذين عملوا السّوء بجهالة، فيشفع فيهم الشّفعآء بإذن الله تعالى و رضاه فهم ليسوا كالظّالمين.

قال الله تعالى: «و كم من ملك في السّموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشآء و يرضى» النّجم: ٢٦).

و قال: «و لا تنفع الشّفاعة عنده إلاّ لمن أذن له» سبأ: ٢٣).

وقوله تعالى: «إنّه هو العزيز الرّحيم» إنّ الله تعالى هو العزيز الّذي يملك بعزّته أمر يوم الفصل، و يقضي فيه بحسب عدله في أهل الظّلم و العدوان، في أهل الكفر و العصيان، و في أهل البغي و الطّغيان... «الملك يومئذ لله يحكم بينهم»الحجّ: ٥٦) «إنّ ربّك يقضي بينهم بحكمه و هو العزيز العليم» النّمل: ٧٨) «و لو أنّ لكلّ نفس ظلمت ما في الأرض لا فتدت به و أسرّوا النّدامة لمّارأو العذاب و قضي بينهم بالقسط و هم لا يظلمون» يونس:٥٤) «و ما الله يريد ظلماً للعباد» غافر:٣١) فلا يكون لهم مع سلطان الله جلّ و علا سلطان، و لا مع عزّته عزّة، فلا ينصر منه من أراد تعذيبه، فهو القادر الّذي لا يغلب في إنتقامه من أعدآئه، و لا يقهر بدفع العقاب عمّن يريد فعله به «و الله يحكم لا معقّب لحكمه و هو سريع الحساب» الرّعد: ٤١).

هو الرّحيم الّذي يرحم يوم الفصل بعباده المؤمنين الصّادقين و هم شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله تعالى: «و رحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للّذين يتّقون و يؤتون الزّكاة

و الّذين هم بآياتنا يؤمنون الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ- فالّذين آمنوا به و عزّروه و نصروه و اتّبعوا النّور الّذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون» الأعراف: ١٥٦-١٥٧).

و قال «المؤمنون و المؤمنات بعضهم أوليآء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة و يطيعون الله و رسوله أُولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم - و صلوات الرّسول ألا إنّها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إنّ الله غفور رحيم» التّوبة: ٧١ و ٩٩).

و يأذن الله تعالى للشّفعآء على درجاتهم أن يشفعوا للّذين عملوا منهم سوءاً بجهالة ثمّ تابوا و أصلحوا، و لم يخرجوا به عن مدار الإيمان و التّشيّع، فيد خلهم الجنّة.

قال الله تعالى: «و إذا جآءك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربّكم على نفسه الرّحمة أنّه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثمّ تاب من بعده و أصلح فإنّه غفور رحيم» الأنعام: ٥٤).

و قال: «يدخل من يشآء في رحمته و الظّالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً» الإنسان: ٣١).

## ٤٣- (إنّ شجرة الزّقّوم)

إنّ شجرة الزّقّوم المعدّة لأهل النّار شجرة ينبتها الله تعالى في قاع الجحيم، شجرة تغتذي من جهنّم، و تمتدّ أُصولها و فروعها بين جمرها و لهيبها، و هي شجرة أقوى من جهنّم و أعتى من النّار... فكيف بثمرها هذا الّذي تختصر وجودها كلّه فيه؟

شجرة في النّار يقتاتها أهلها الظّالمون المكذّبون، يأكلها الضّالّون المستكبرون...

قال الله تعالى: «شجرة الزّقّوم إنّا جعلناها فتنة للظّالمين إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنّه رؤس الشّياطين فإنّهم لآكلون منها فمالئون منها البطون» ٦٢- ٦٦).

و قال: «ثمّ إنّكم أيّها الضّالّون المكذّبون لآكلون من شجرمن زقّوم فمالئون منها البطون» الواقعة: ٥١ - ٥٣).

## ٤٤- (طعام الأثيم)

شجرة الزّقّوم هي طعام كلّ إنسان ظالم باغ طاغ مكذّب ضالّ مضلّ... كثير الآثام لا يبالي بارتكاب المعاصي و الفواحش و الذّنوب كلّها... فهو يبدو في هذه الصّورة من العذاب، و كأنّ العذاب الجهنّمي قد احتواه وحده و في شخصه هذا يرى كلّ ظالم أثيم أنّه هذا الإنسان الشّقيّ المنكود يتقلّب وحده في هذا العذاب الّذى تنشق عن هوله الجبال قال الله تعالى: «و ذرني و المكذبين أُولى النّعمة و مهّلهم قليلاً إنّ لدينا أنكالاً و جحيماً و طعاماً ذاغصّة و عذاباً أليماً» المزّمل: ١١ - ١٣).

و قال: «ليس لهم طعام إلاّ من ضريع لا يسمن و لا يغني من جوع» الغاشية: ٦-٧).

و قال: «و من يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً» النّسآء: ٤٨).

و قال: «ويل لكلّ أفّاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثمّ يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم» الجاثية: ٧-٨).

و قال: «هل أُنبّئكم على من تنزّل الشّياطين تنزّل على كلّ أفّاك أثيم يلقون السّمع و أكثر هم كاذبون» الشّعرا: ٢٢١ - ٢٢٣).

و قال: «و لا تطع كلّ حلاّف مهين همّاز مشّاء بنميم منّاع للخير معتد أثيم عتلّ بعد ذلك زنيم أن كان ذامال و بنين و إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين» القلم: ١٠-١٥).

و قال: «ويل يومئذ للمكذّبين الّذين يكذّبون بيوم الدّين و ما يكذّب به إلاّ كلّ معتد أثيم» المطفّفين: ١٠-١٢).

و قال: «و لا تكتموا الشّهادة و من يكتمها فإنّه آثم قلبه» البقرة: ٢٨٣).

و قال: «إنّ بعض الظّنّ إثم و لا تجسّسوا و لا يغتب بعضكم بعضاً» الحجرات: ١٢).

## ٤٥- (كالمهل يغلي في البطون)

شجرة الزّقّوم الّتي جعل ثمرتها طعام الأثيم في جهنّم يشبه المذاب من النّحاس أو

الرّصاص أو الفضّة أو الصّفر أو ما يذابّ في النّار إذا أُذيب بها، فتناهت حرارته و شدّت حميّته في شدّة السّواد أو كدرديّ الزّيت الأسود أو كالمآءِ الحارّ فوق النّار إذا اشتدّ غليانه و انتهت حرارته، يغلي في أجواف أهل النّار، و في بطون الآثمين جزآء بما كانوا يعملون.

قال الله تعالى: «إنّا أعتدنا للظّالمين ناراً أحاط بهم سرادقها و إن يستغيثوا يغاثوا بمآءٍ كالمهل يشوي الوجوه بئس الشّراب و سآئت مرتفقاً» الكهف: ٢٩).

## ٤٦- (كغلى الحميم)

تصبح بطون الآثمين من المهل غلياناً على غلى غليان الحميم البالغ في الحمّة ممّا يحمّ، و يبلغ المنتهى - كغلى المآء فوق النّار - فماذا يصنع حميم الزّقوم الشّديد الحرارة ليست فوقها حرارة.

قال الله تعالى: «و الّذين كفروا يتمتّعون و يأكلون كما تأكل الأنعام و النّار مثوى لهم - و سقوا مآءً حميماً فقطّع أمعآءهم» محمّد ﴿ﷺ﴾: ١٢-١٥).

«أُولئك الّذين أُبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم و عذاب أليم بما كانوا يكفرون» الأنعام: ٧٠).

و قال: «فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم» الواقعه: ٥٤-٥٥).

## ٤٧- (خذوه فاعتلوه إلى سوآء الجحيم)

خطاب من الله تعالى للملآئكة الموكّلين على النّار، و هم خزنتها، فيأمرهم أن يأخذوا كلّ أثيم بقسوة و يدفعوه دفعاً عنيفاً، و يسوقوه بغلظة، و يذهبوا به بعنف، و يلقوه إلى وسط نار جهنّم و مركز دآئرتها لتحيط به، و يتلقّى من العذاب أقساه و أشدّه و ينال قسطه من عذابها.

قال الله تعالى: «و إنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم و من تحت أرجلهم و يقول ذوقوا ما كنتم تعملون» العنكبوت: ٥٤-٥٥).

و قال: «إنّا أعتدنا للظّالمين ناراً أحاط بهم سرادقها» الكهف: ٢٩).

## ٤٨- (ثمّ صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم)

ثمّ صبّوا أيّها الخزنة فوق رأس كلّ أثيم جبّار، كلّ لئيم فجّار، و كلّ خبيث فسّاق... من عذاب الحميم الّذي لا يفارقه العذاب، من مآء قدانتهى حرّه بعد ما يضرب رأسه بمقمع الحديد، فيتفتّت رأسه عن دماغه، فيجري دماغه على جسده، ثمّ يصبّ الملك فيه ماءً حميماً قد انتهى حرّه، فيقع في بطنه، يصهر به ما في بطنه و جلده، و يذيب لحمه و يهشم عظمه ...

قال الله تعالى: «فالّذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم و الجلود و لهم مقامع من حديد» الحج: ١٩-٢١).

و قال: «لهم من جهنّم مهاد و من فوقهم غواش و كذلك نجزى الظّالمين» الأعراف: ٤١).

## ٤٩- (ذق إنّك أنت العزيز الكريم)

قولوا أيّها الخزنة لكلّ أثيم لئيم في عذاب الجحيم تهجيناً و استهزاءً به، و تشديداً لعذابه: ذق أيّها الأثيم الشّقي أنواع العذاب لأنّها ثمرة إثمك و كفرك، ثمرة شرارتك و غرورك، نتيجة بغيك و طغيانك، نتيجة ظلمك و جرمك، و نتيجة عنادك و لجاجك .... يا من كنت تزعم في الحياة الدّنيا لنفسك العزّة و الكرامة كأنّهما لا تفارقانك حتّى في الدّار الآخرة، و ليس لك اليوم إلاّ العذاب و الذّلّة غايتها، و الخزى و الإهانة نهايتها، فلست بعزيز و لا كريم.

و لم يكن كذلك، بل كان ذليلاً لئيا، فوصفه بضدّ ما هو عليه لإعتقاده ذلك في نفسه، و اعتقاد من اعتقد فيه ذلك.

كما قال الله تعالى حكاية عن موسى﴿عليه السلام﴾ فيما خاطب به السّامري: «و انظر إلى

إلهك الّذى ظلت عليه عاكفاً» طه: ۹۷) و لم يرد إلهه في الحقيقة الّذي هو الله جلّ و علا، و إنّما أراد إلهه في اعتقاده.

و قال حسّان بن ثابت يردّ على أبي سفيان عليه اللّعنة و النّيران فيما هجابه رسول الله(صلى الله عليه و آله):

هَجَوْتَ محمّداً فأجبت عنه ‌ ‌ و عندالله في ذاك الجزآء

أتهجوه و لست له بكفء ‌ ‌ فشرّ كما لخير كما الفدآء

هَجَوْتَ مباركاً بَرّاً حنيفاً ‌ ‌ أمين الله شيمته الوفآء

و لم يكن في رسول الله(صلى الله عليه و آله) شرّ و لا كان (صلى الله عليه و آله) شريراً حاشاه من ذلك، و إنّما أراد حسّان - بما أورده من لفظ الدّعآء في البيت الّذي أثبتناه عنه - تعلّق الصّفة باعتقاد المخاطب، أو تقديرها على ما يمكن من اعتقاد الخطأ في ذلك. فإنّ العرب تصف الإنسان بما يعتقده في نفسه، و إن كان اعتقاده ذلك باطلاً، و تذكر أنفسها بما هى على خلافه لإعتقاد المخاطب فيها ذلك.

و فى معنى ذلك قوله تعالى: «أذلك خير نزلاً أم شجرة الزّقوم» الصّافّات: ٦٢) و معلوم أنّه لا خير في شجرة الزّقّوم على حال.

و في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب(عليه السلام): «اللّهمّ إنّي قد مَلِلتُهم و مَلُّوني، و سَئِمتُهم و سَئِمُوني، فأبدِلْني بهم خيراً منهم، و أبدلهم بي شرّاً منّي».

إن تسئل: ما وجه هذا الكلام، و لم يكن الإمام عليّ(عليه السلام) شريراً و لا كانوا هم أخياراً؟ و كيف يسئل الله تعالى أن يبدلهم به شريراً، و الشّرّ ليس من الله سبحانه؟

تجيب عنه: إنّ الوجه فيه على خلاف ما ظنّه، و هو أنّه(عليه السلام) لم يسئل الله جلّ و علا أن يفعل بخلقه شرّاً و لا أن ينصب عليهم شريراً، و لكنّه سئله التّخلية بين الأشرار من خلقه و بينهم، عقوبة لهم و امتحاناً، و سئله أيضاً أن لا يعصمهم من فتنة الظّالمين بما قدّمت أيديهم ممّا يستحقّون به العذاب المهين.

و نظير ذلك في معناه قوله تعالى: «و إذ تأذّن ربّك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة مَن يسومهم سوء العذاب» الأعراف: ١٦٧) و قوله عزّ و جلّ: «إنّا أرسلنا الشّياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً» مريم: ٨٣) و قوله جلّ و علا: «و كذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها» الأنعام: ١٢٣) و لم يرد بذلك البعثة الّتي هى بعثة الرّسل، و لا الأمر بفعله و التّرغيب فيه، و إنّما أراد التّخلية و التمكين و ترك الحيلولة بينهم و بين المذكر، و هذا بيّن.

٥٠- (إنّ هذا ما كنتم به تمترون)

تقول خزنة النّار للآثمين المجرمين، للكافرين المستكبرين، للطّاغين المستبدّين، و للظّالمين المفسدين ...: إنّ هذا العذاب على أنواعه ترونها اليوم ما كنتم به تشكّون فيه، حينما كنتم في الحياة الدّنيا أنّه لا يكون، فكذّبون به.

قال الله تعالى: «و لايزال الّذين كفروا في مرية منه حتّى تأتيهم السّاعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم» الحجّ: ٥٥).

و قال: «ألا إنّ الّذين يمارون في السّاعة لفي ضلال بعيد» الشّورى: ١٨).

و قال: «ألا إنّهم في مرية من لقآء ربّهم» فصلت: ٥٤).

و قال: «كلاّ إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون ثمّ إنّهم لصالوا الجحيم ثمّ يقال هذا الّذي كنتم به تكذّبون» المطفّفين: ١٥-١٧).

و قال: «ثمّ قيل للّذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلاّ بما كنتم تكسبون» يونس: ٥٢).

و قال: «فويل يومئذ للمكذّبين الّذين هم في خوض يلعبون يوم يدعّون إلى نار جهنّم دعّاً هذه النّار الّتي كنتم بها تكذّبون أفسحر هذا أم أنتم تبصرون إصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سوآء عليكم إنّما تجزون ما كنتم تعملون» الطّور: ١١-١٦).

## ٥١- (إنّ المتّقين في مقام أمين)

إنّ الّذين اتّقوا الله جلّ و علا في الحياة الدّنيا و آمنوا بالله تعالى و رسوله ﴿عَلَيْهِ الصلاة والسلام﴾ و بكتابه و باليوم الآخر، و أطاعوا الله عزّ و جلّ و رسوله ﴿عَلَيْهِ الصلاة والسلام﴾ و عملوا الصّالحات، و خافوا عقابه، و رجوا فضله و ثوابه ... هم في الدّار الآخرة في مجالس يأمنون من كلّ ما يحزنهم، في مكانة يأمنون فيها من الهرم و الذّلّة، و من الموت و الفنآء، و في منازل يأمنون ممّا يصيبهم من الآفات و الآلام و الآثام ... فهم اتّقوا الله تعالى فوقاهم الله عزّ و جلّ شرّ ذلك اليوم و عذاب الجحيم ....

قال الله تعالى: «و الّذي جآء بالصّدق و صدّق به أُولئك هم المتّقون» الزّمر: ۳۳).

و قال: «ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب و لكنّ البرّ من آمن بالله و اليوم الآخر و الملآئكة و الكتاب و النّبيّين و آتى المال على حبّه ذوي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السّبيل و السّآئلين و في الرّقاب و أقام الصّلاة و آتى الزّكاة و الموفون بعهدهم اذا عاهدوا و الصّابرين في البأسآء و الضّرآء و حين البأس أُولئك الّذين صدقوا و أُولئك هم المتّقون» البقرة: ۱۷۷).

و قال: «و الّذين لايشهدون الزّور و إذا مرّوا باللّغو مرّوا كراماً و الّذين إذا ذكّروا بآيات ربّهم لم يخرّوا عليها صمّاً و عميانا - أُولئك يجزون الغرفة بما صبروا و يلقّون فيها تحيّة و سلاماً خالدين فيها حسنت مستقراً و مقاماً» الفرقان: ۷۲-۷٦).

و قال: «ألا إنّ أوليآء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون الّذين آمنوا و كانوا يتّقون لهم البشرى في الحياة الدّنيا و في الآخرة» يونس: ٦۲-٦٤).

و قال: «إنّ للمتّقين مفازاً - لا يسمعون فيها لغواً و لا كذّاباً» النّبأ: ۳۱-۳٥).

و قال: «إنّ المتّقين في جنّات و نعيم فاكهين بما آتاهم ربّهم و وقاهم ربّهم عذاب الجحيم» الطور: ۱۷-۱۸).

و قال: «أُدخلوها بسلام آمنين و نزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين لايمسّهم فيها نصب و ما هم منها بمخرجين» الحجر: ٤٦-٤۸).

و قال: «و قالوا الحمدللّه الّذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور الّذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب و لا يمسّنا فيها لغوب» فاطر: ٣٤-٣٥).

## ٥٢- (في جنّات و عيون)

هؤلآء المتّقون، مستقرّون في بساتين عديدة مختلفة واسعة عرضها السّموات و الأرض، فكيف طولها، جنات تجنّها الأشجار، تجري من تحتها الأنهار، جنّات، عظيمة شأنها، بالغة و صفها، يتنعّمون فيها بنعم كثيرة كما يشاؤن، مالا عين رأت، و لا أُذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر، و هم في عيون كثيرة متنوّعة من الخمر و المآء و اللّبن و العسل.

قال الله تعالى: «و سارعوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها السّموات و الأرض أُعدّت للمتّقين» آل عمران: ١٣٣).

و قال: «مثل الجنّة الّتي وُعِد المتّقون تجري من تحتها الأنهار أُكلها دآئم و ظلّها تلك عقبى الّذين اتّقوا» الرّعد: ٣٥).

و قال: «جنّات عدن الّتي وعد الرّحمن عباده بالغيب إنّه كان وعده مأتيّاً لا يسمعون فيها لغواً إلاّ سلاماً و لهم رزقهم فيها بكرة و عشيّاً تلك الجنّة الّتي نورث من عبادنا من كان تقيّاً» مريم: ٦١-٦٣).

و قال: «مثل الجنّة الّتي وعدالمتّقون فيها أنهار من مآء غير آسن و أنهار من لبن لم يتغيّر طعمه و أنهار من خمر لذّة للشّاربين و أنهار من عسل مصفّى و لهم فيها من كلّ الثّمرات و مغفرة من ربّهم» محمّد(ﷺ): ١٥).

## ٥٣- (يلبسون من سندس و إستبرق متقابلين)

هؤلآء المتّقون يلبسون في هذه الجنّات نوعين من ثياب الحرير: السّندس و هو الرّقيق من ديباج الجنّة، و هو ما كان سداه و لَحْمَتَه من الحرير، و الإستبرق و هو الغليظ

من ديباج الجنّة، و هم في تلك الجنّات يتّكئون على السّرر متقابلين: يواجه بعضهم بعضاً، و يأنس بعضهم بالنّظر إلى بعض تمام الأنس في مجالسهم، و بما يصافح أنظارهم من آيات الرّضا و البهجة الّتي تملأ الصّدور و تفيض على الوجوه، فيستأنس بعضهم بعضاً فلا يتدابرون بالبغضة، فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأُسرة بهم إذا لا شرّ و لا مكروه و لا أذى عندهم لكونهم في مقام أمين من كلّ مكروه و همّ و حزنٍ ...

قال‌الله تعالى: «أُولئك لهم جنّات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلّون فيها من أساور من ذهب و يلبسون ثياباً خضراً من سندس و إستبرق متّكئين فيها على الأرائك نعم الثّواب و حسنت مرتفقاً» الكهف: ٣١).

و قال: «يحلّون فيها من أساور من ذهب و لؤلؤاً و لباسهم فيها حريراً»الحجّ: ٢٣).

و قال: «على سرر موضونة متّكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلّدون» الواقعة: ١٥-١٧).

و قال: «إنّ الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النّعيم» المطفّفين: ٢٢-٢٤).

## ٥٤- (كذلك و زوّجناهم بحور عين)

هكذا مقام المتّقين و شأنهم في جنّات النّعيم و أكثر من هذا، فقد زوّجناهم بحور عين من حور الجنّة و عرائسها اللاتى لم يطمثهنّ إنس قبلهم و لا جانّ، فالحور غير نسآء الدّنيا المؤمنات الداخلات في الجنّات، فيتمتّع المتّقون بحور عين تمتّعاً لا يقاس بتمتّعات نسآء الدّنيا المؤمنات في‌الجنّات ...

قال‌الله تعالى: «للّذين اتّقوا عند ربّهم جنّات تجرى من تحتهاالأنهار خالدين فيها و أزواج مطهّرة و رضوان من الله و الله بصير بالعباد الّذين يقولون ربّنا إنّنا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا و قنا عذاب النّار الصّابرين و الصّادقين و القانتين و المنفقين و المستغفرين بالأسحار» آل عمران: ١٥-١٧).

و قال: «إنّ المتّقين في جنّات و نعيم - متّكئين على سرر مصفوفة و زوّجناهم بحور عين» الطّور: ١٧-٢٠).

و قال: «و عندهم قاصرات الطّرف عين كأنّهنّ بيض مكنون» الصّافّات: ٤٨-٤٩).

و قال: «هذا ذكر و إنّ للمتّقين لحسن مآب جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب متّكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة و شراب و عندهم قاصرات الطّرف أتراب» ص: ٤٩-٥٢).

و قال: «حور مقصورات في الخيام - لم يطمثهنّ إنس قبلهم و لا جانّ» الرّحمن: ٧٢-٧٤).

و قال: «و حور عين كأمثال اللّؤلؤ المكنون - إنّا أنشأناهنّ إنشاءً فجعلناهنّ أبكاراً عُرُباً أتراباً» الواقعة: ٢٢-٣٧).

و قال: «إنّ للمتّقين مفازاً حدآئق و أعناباً و كواعب أتراباً» النّبأ: ٣١-٣٣).

**في الصّحيفة السّجّادية - في الدّعآء السّابع و العشرين - يدعو سيد** السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما أفضل صلوات الله و أكمل تحيّاته لحفظة ثغور المسلمين ... «اللّهمّ صلّ على محمّد و آله و أنْسِهِمْ عند لقآئهم العدوّ ذِكرَ دنياهم الخدّاعة الغرور، و امح عن قلوبهم خطرات المال الفتون، واجعل الجنّة نصب أعينهم، و لَوِّحْ منها لأبصارهم ما أعددت فيها من مساكن الخلد، و منازل الكرامة، والحور الحسان و الأنهار المطّردة بأنواع الأشربة، و الأشجار المتدلّية بصنوف الثّمر حتّى لا يَهُمَّ أحد منهم بالإدبار، و لا يحدّث نفسه عن قِرنه بفرار ....» الدّعاء.

**٥٥- (يدعون فيها بكلّ فاكهة آمنين)**

يدعو هؤلآء المتقون في جنّات النّعيم بكلّ نوع من أنواع فاكهتها، إشتهوه آمنين فيها من انقطاع شيء منها عنهم، و نفاده و فنائه، و من غآئلة أذاه و مكروهه و ضرره ... فإنّها ليست كفواكه الدّنيا الّتي يأكلها الإنسان، و هو يخاف مكروه عاقبتها، و غب أذاها

مع نفادها من عنده وعدمها في بعض الأزمنة، و فقدها في بعض الأوقات ...

قال‌الله تعالى: «إنّ المتقين في ظلال و عيون و فواكه ممّا يشتهون كلوا و اشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون» المرسلات: ٤١-٤٣).

و قال: «و إنّ للمتقين لحسن مآب - يدعون فيها بفاكهة كثيرة و شراب - هذا ما توعدون ليوم الحساب إنّ هذا لرزقنا ما له من نفاد» ص: ٤٩-٥٤).

و قال: «لهم فيها فاكهة و لهم ما يدّعون سلام قولاً من ربّ رحيم» يس: ٥٧-٥٨).

و قال: «الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتّقين - و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين و أنتم فيها خالدون - لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون» الزّخرف: ٦٧-٧٣).

و قال: «فاكهة كثيرة لا مقطوعة و لا ممنوعة» الواقعة: ٣٢-٣٣).

و قال: «إنّ المتّقين في جنّات و عيون ادخلوها بسلام آمنين - لا يمسّهم فيها نصب و ما هم منها بمخرجين» الحجر: ٤٥-٤٨).

و قال: «فاولئك لهم جزآء الضّعف بما عملوا و هم في الغرفات آمنون» سبأ: ٣٧).

## ٥٦- (لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الاولى و وقاهم عذاب الجحيم)

هؤلآء المتّقون لا يخشون في جنّات النّعيم سقماً و لا هرماً، و لا يخافون موتاً و لا فنآءً أبداً فإنّهم لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الاولى الّتي ذاقوها في الحياة الدّنيا، و لهم فيها حياة طيّبة أبديّة، و هم مع هذاالنّعيم قد حفظهم‌الله تعالى من عذاب الجحيم، بخلاف المجرمين الّذين في نار جهنّم خالدون لا يموتون فيها و لا يحيون، فليست حياة المجرمين و مماتهم في الدّارين كحياة المتّقين و مماتهم فيهما.

قال‌الله تعالى: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة» النّحل: ٩٧).

و قال: «و لا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل‌الله أمواتاً بل أحيآء عند ربهم يرزقون»

آل عمران: ١٦٩).

و قال: «إنّ المتّقين في جنّات و نعيم فاكهين بما آتاهم ربّهم و وقاهم ربّهم عذاب الجحيم» الطور: ١٧-١٨).

و قال: «إنّه من يأت ربّه مجرماً فإنّ له جهنّم لا يموت فيها و لا يحيى» طه: ٧٤).

و قال: «و يتجنّبها الأشقى الّذي يصلى النّار الكبرى ثمّ لا يموت فيها و لا يحيى» الأعلى: ١١-١٣).

و قال: «وجيىء يومئذ بجهنّم يومئذ يتذكّر الإنسان و أنّى له الذّكرى يقول يا ليتني قدّمت لحياتي» الفجر: ٢٣-٢٤).

و قال: «أم حسب الّذين اجترحوا السّيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا و عملواالصّالحات سوآء محياهم و مماتهم سآء ما يحكمون» الجاثية:٢١).

## ٥٧- (فضلاً من ربّك ذلك هو الفوز العظيم)

إنّ ما قضى‌الله جلّ و علا به في أهل التّقوى و اليقين من أنّهم لا يذوقون الموت في جنّات النّعيم، و لا يتحوّلون عنها و هم فيها خالدون، إنّما كان ذلك فضلاً من فضل‌الله تعالى و إحساناً من إحسانه جلّ و علا، و عطاءً من عطآئه، و رحمة من رحمته إلى عباده المتّقين ... و حسبهم بهذا فوزاً فذلك هو الفوز المبين، هو الفوز الكبير، و هو الفوز العظيم الّذي لا يُعدله فوز ...

قال‌الله تعالى: «أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين و ينجّى‌الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لا يمسّهم السّوء و لا هم يحزنون» الزّمر: ٦٠-٦١).

و قال: «يا أيّهاالّذين آمنوا اتّقوالله و قولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم و من يطع‌الله و رسوله فقد فاز فوزاً عظيماً» الأحزاب: ٧٠-٧١).

و قال: «و من يطع‌الله و رسوله يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم - فأمّاالّذين آمنوا بالله و اعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه و

فضل و يهديهم إليه صراطاً مستقيماً» النسآء: ١٣ و ١٧٥).

و قال: «قل إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه و ذلك الفوز المبين» الأنعام: ١٥-١٦).

و قال: «و قالوا الحمدلله الّذي أذهب عنّاالحزن إنّ ربّنا لغفور شكور الّذي أحلّنا دارالمقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب و لا يمسّنا فيها لغوب» فاطر: ٣٥-٣٤).

و قال: «والّذين آمنوا و عملواالصّالحات في روضات الجنّات لهم ما يشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير» الشّورى: ٢٢).

## ٥٨- (فإنّما يسّرناه بلسانك لعلهم يتذكّرون)

ذكّر أيّهاالنّبيّ(ﷺ) قومك و من بلغ بالكتاب المبين، فإنّما سهّلناه سهلاً يسيراً بلسانك العربيّ المبين لتفهمه العرب و غيرهم منك و من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين لعلّ قومك و النّاس كلّهم يؤمنون به، و يتّعظون بعظاته، و يعلمون بأحكامه و تعاليمه، بمعارفه و حِكَمَه، و بأسراره و أمثاله ... و يتفكّرون في آياته فينيبوا إلى ربّهم، و يذعنوا للحقّ الّذي تبيّنه و يبيّنه أهل بيتك المعصومون عليهم صلوات‌الله لهم ...

قال‌الله تعالى: «و ما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم» إبراهيم: ٤).

و قال: «و إنّه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين» الشّعراء: ١٩٢-١٩٥).

و قال: «و لقد يسّرناالقرآن للذّكر فهل من مدّكر» القمر: ٤٠).

و قال: «سنقرئك فلا تنسى - و نيسّرك لليسرى فذكّر إن نفعت الذّكرى» الأعلى: ٦-٩).

و قال: «تبارك الّذي نزّل‌الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان: ١).

و قال: «و ما أرسلناك إلاّ كافة للنّاس بشيراً و نذيراً و لكنّ أكثر النّاس لا

يعلمون» سبأ: ٢٨).

و قال: «و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون قرآناً عربيّاً غير ذي عوج لعلّهم يتّقون» الزّمر: ٢٧-٢٨).

و قال: «كذلك يبيّن‌الله لكم الآيات لعلكم تتفكّرون - و يبيّن آياته للنّاس لعلّهم يتذكّرون» البقرة: ٢١٩-٢٢١).

## ٥٩- (فارتقب إنّهم مرتقبون)

فانتظر أيّهاالنّبيّ الكريم«ﷺ» مجيء ما وعدتك به، إنّ هؤلآء المشركين العرب أيضاً منتظرون، عليك دائرة السّوء فترى - قليلاً - أنّ العاقبة لك عليهم، و سيعلمون لمن تكون النّصر و الغلبة و الظّفر و علوّالكلمة في الدّنيا و الآخرة، لا ريب أنّ النّصر سيكون لك كما كان لإخوانك من الأنبيآء و المرسلين و من تبعهم من المؤمنين...

قال‌الله تعالى: «فقل إنّما الغيب لله فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين» يونس: ٢٠).

و قال: «هل ينظرون إلاّ أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربّك او يأتى بعض آيات ربّك يوم يأتى بعض آيات ربّك لاينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيراً قل إنتظروا إنّا منتظرون» الانعام: ١٥٨). و قال: «و يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عاملٌ سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و من هو كاذب و ارتقبوا إنّي معكم رقيب - و قل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انّا عاملون و انتظروا إنّا منتظرون» هود: ٩٣ و ١٢١ و ١٢٢).

و قال: «قل هل تربّصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين و نحن نتربّص بكم أن يصيبكم‌الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربّصوا إنّا معكم متربّصون» التّوبة: ٥٢).

و قال: «قل كلّ متربّص فتربّصوا فستعلمون من أصحاب الصّراط السّويّ و من اهتدى» طه: ١٣٥).

و قال: «فأعرض عنهم و انتظر إنّهم منتظرون» السّجدة: ٣٠).

و قال: «كتب‌الله لأغلبنّ أنا و رسلي إنّ‌الله قويّ عزيز» المجادلة: ۲۱).

و قال: «و نصرنا هم فكانوا هم الغالبين - و لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنّهم لهم المنصورون و إنّ جندنا لهم الغالبون» الصّافّات: ۱۱٦ و ۱۷۱-۱۷۳).

و قال: «إنّا لننصر رسلنا و الّذين آمنوا في‌الحياة الدّنيا و يوم يقوم الأشهاد» غافر: ٥۱).

و قال: «إن ينصركم‌الله فلا غالب لكم و إن يخذلكم فمن ذاالّذي ينصركم من بعده و على‌الله فليتوكّل المؤمنون» آل عمران: ۱٦۰).

و قال: «و كان حقّاً علينا نصرالمؤمنين» الرّوم: ٤۷).

و قال: «يا أيّها الّذين آمنوا إن تنصروالله ينصركم و يثبّت أقدامكم» محمّد (صلى الله عليه و آله): ۷).

# ﴿جملة المعاني﴾

٤٤١٥- (حٰمٓ)

سرّ من الأسرار بين الله عزّ و جلّ و بين رسوله الخاتم ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٤٤١٦- (و الكتاب المبين)

يقول الله تعالى: أُقسم بهذا الكتاب الظّاهر بنفسه لاريب فيه، المظهر للنّاس طريق الحقّ و الهدى.

٤٤١٧- (إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين)

إنّا أنزلنا هذا الكتاب المبين في ليلة النّصف من شهر شعبان المعظم، ليلة عظيمة الشأن إلى البيت المعمور دفعة واحدة من دون واسطة، ثمّ أنزلناه من البيت المعمور بواسطة جبرئيل دفعة واحدة إلى قلب محمد ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ ليلة القدر من رمضان المبارك إنّا كنّا منذرين عبادنا بهذا الكتاب.

٤٤١٨- (فيها يفرق كلّ أمر حكيم)

في هذه اللّيلة المباركة يفصل كلّ أمر محكم من الأُمور التّكوينيّة و التّشريعيّة....

**٤٤١٩- (أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين)**

أمراً صادراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين كما اقتضاه علمنا و تدبيرنا.

**٤٤٢٠- (رحمة من ربّك إنّه هو السّميع العليم)**

كلّ ذلك رحمة من ربّك أيّها الرسول(ﷺ) لعباده، مصحوبة بتربيتهم، إنّ ربّك فعل ذلك لانّه تعالى هو السّميع الّذي يسمع لأقوال عباده، العليم الّذي يعلم بما تنطوي عليه ضمآئرهم ...

**٤٤٢١- (ربّ السّموات و الأرض و ما بينهما إن كنتم موقنين)**

ربّ محمّد(ﷺ) أيّها السّامعون هو ربّ السّموات و الأرض، و ربّ ما بينهما من الخلآئق كلّها لا ربّ سواه، إن كنتم من أهل الايمان فلا تشكّو فيه إذ

**٤٤٢٢- (لا إله إلاّ هو يحيي و يميت ربّكم و ربّ آبآئكم الأوّلين)**

لاإله إلاّالله تعالى إذ لا خالق سواه هو وحده يحيى الخلق بعد موتهم للحساب و الجزآء، كما يميتهم بعد إحيآئهم على ما تشاهدون، هو وحده ربّكم الّذي خلقكم و ربّ آبآئكم الّذين سبقوكم.

**٤٤٢٣- (بل هم في شكّ يلعبون)**

بل هؤلآء المشركون العرب في شكّ ممّا أُخبروا به و يلعبون لعب الصّبيان إستهزاء به.

**٤٤٢٤- (فارتقب يوم تأتى السّمآء بدخان مبين)**

فانتظر أيّها الرّسول(ﷺ) لهؤلآء المشركين ما يحلّ بهم من بأس الله جلّ و علا و الخزى و الإنحطاط في الدّنيا، يوم تأتيهم السّمآء بدخان مبين فأجدبت الأرض، و

اشتدّت بهم الجوع...

**٤٤٢٥- (يغشى النّاس هذا عذاب أليم)**

يحيط هذا الدّخان المظلم بهؤلآء المشركين و من إليهم، فيقولون حـنيئذ: هـذا عذاب مؤلم يقضّ المضاجع...

**٤٤٢٦- (ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون)**

يقولون عندئذ: ربّنا اكشف عنّا هذا العذاب، إنّا مؤمنون بأنّه لا إله غيرك.

**٤٤٢٧- (أنّىٰ لهم الذّكرى و قدجآء هم رسول مبين)**

من أين لهؤلآء المشركين و من إليهم يذكرون الله تعالى عند كشف العذاب عنهم، و قد جآءهم رسول بيّن الرّسالة، وقد كفروا به.

**٤٤٢٨- (ثمّ تولّوا عنه و قالوا معلّم مجنون)**

ثمّ أعرضوا عن هذا الرّسول﴿ﷺ﴾ و قالوا: إنّه معلّم يعلّمه غيره، و إنّه مجنون مختلّ العقل.

**٤٤٢٩- (إنّا كاشفوا العذاب قليلا إنّكم عائدون)**

إنّا كاشفوا عذاب الدّخان عنكم أيّها المشركون قليلا و لكنّكم عآئدون إثر ذلك إلى سيرتكم الأُولى و لاتفون بقولكم.

**٤٤٣٠- (يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون)**

و اذكر أيّها الرّسول﴿ﷺ﴾ لهؤلآء المشركين يوماً يأتيهم و هو يوم بدر نبطش بهم البطشة الكبرى إنّا منتقمون منهم إنتقاماً يستحقّون به.

**٤٤٣١-(و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون و جآءهم رسول كريم)**

و أُقسم بجلالي و عزّتي إنّا اختبرنا أيها الرّسول﴿ﷺ﴾ قبل هؤلآء المشركين، فرعون و قومه بالشّدّة و الرّخاء، و جآءهم رسول رفيع عندنا مكانه و هو موسى﴿عليه السلام﴾.

**٤٤٣٢-(أن أدّوا إليّ عبادالله انّي لكم رسول أمين)**

قال موسى﴿عليه السلام﴾ لفرعون و قومه: أطلقوا بني إسرآئيل من أُسركم و تعذيبكم، خلّوا سبيلهم إنّي لكم رسول من الله تعالى أمين على وحيه و رسالته.

**٤٤٣٣-(و أن لا تعلوا على الله إنّى آتيكم بسلطان مبين)**

و أن لا تبغوا على الله جلّ و علا فتكفروا به و تعصوه فتخالفوا أوامره و نواهيه... لأنّي آتيكم بسلطان ظاهر يعلو كلّ سلطان.

**٤٤٣٤-(و إنّي عذت بربّي و ربّكم أن ترجمون)**

و لمّا هدّد فرعون و جنوده موسى﴿عليه السلام﴾ بالقتل و الأذى قال﴿عليه السلام﴾: إنّي إلتجأت إلى ربّي و ربّكم الّذي هو وحده مالكي و مدبّر أمري أن ترجموني بقوارص الكلم و بذيئه...

**٤٤٣٥-(و إن لم تؤمنوالي فاعتزلون)**

و إن لم تؤمنوابي و لم تسلّموا، فخلّوا سبيلي غير مرجوم باليد و لاباللّسان.

**٤٤٣٦-(فدعاربّه أنّ هؤلآء قوم مجرمون)**

فلمّا كذّب فرعون و جنوده بموسى﴿عليه السلام﴾ دعا﴿عليه السلام﴾ ربّه شاكياً: ربّنا أنّ فرعون و ملائه قوم مجرمون بكلّ جرم.

**٤٤٣٧- (فأسر بعبادى ليلاً إنّكم متّبعون)**

فأجبنا دعآء رسولنا موسى(ﷺ) و أوحينا إليه أن أسر بعبادي المؤمنين ليلاً إنّكم متّبعون، إذ يخرجون خلفكم إذا علموا بخروجكم من مصر.

**٤٤٣٨- (و اترك البحر رهواً إنّهم جندٌ مغرقون)**

و سار موسى(ﷺ) مع المؤمنين، و أتبعه فرعون و جنوده، فلمّا بلغ موسى(ﷺ) و من معه البحر أمرالله جلّ و علا موسى(ﷺ) أن يضربه بعصاه لينفتح له طريق لعبورهم فيه، فلمّا جاوزوه أراد موسى(ﷺ) أن يضربه ثانياً بعصاه حتّى يحول بينه و بين فرعون و ملائه فأمره الله تعالى أن يتركه ساكناً على حاله، إنّهم جند مغرقون في البحر.

**٤٤٣٩- (كم تركوا من جنّات و عيون)**

كثيراً ما ترك فرعون و جنوده و خلفوا بعد غرقهم من بساتين و عيون جارية لم تنفعهم حين نزل بهم العذاب.

**٤٤٤٠- (و زروع و مقام كريم)**

و من زروع كثيرة و من مجالس حافلة...

**٤٤٤١- ( و نعمة كانوا فيها فاكهين)**

و من عيش ليّن رغد كانوا فيها ناعمين متمتّعين.

**٤٤٤٢- (كذلك و أورثناها قوماً آخرين)**

مثل ذلك الإخراج أخرجنا فرعون و قومه من مصر و نعمها، و أورثناها بني إسرآئيل الّذين كانوا غير فرعون و قومه.

٤٤٤٣- (فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين)

فما بكت على فرعون و قومه السّمآء و الأرض لمّا هلكوا في البحر، و ما كانوا ممهلين إلى وقت آخر لمّا جآءهم وقتها.

٤٤٤٤- (و لقد نجّينا بني إسرآئيل من العذاب المهين)

و أُقسم بعزّتنا إنّا نجّينا بني إسرآئيل من العذاب المهين كان يفعل بهم فرعون و قومه.

٤٤٤٥- (من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين)

نجّينا بني إسرائيل من نفس فرعون لأنّه كان جبّاراً مستعلياً على ربّه، مسرفاً في الكفر و الضّلالة.

٤٤٤٦- (و لقد اخترناهم على علم على العالمين)

و أُقسم بجلالنا إنّا اخترنا بني إسرآئيل على علم بأحوالهم، فضّلناهم على أهل زمانهم...

٤٤٤٧- (و آتينا من الآيات ما فيه بلآؤٌ مبين)

و آتينا بني إسرآئيل من الآيات الواضحة... مافيه إمتحان واضح أيؤمنون أم لا؟

٤٤٤٨- (إنّ هؤلآء ليقولون)

إنّ هؤلآء المشركين كانوا يستمعون لهذا الحديث من أمر فرعون و قومه، هم ليقولون بعد الإستماع:

**٤٤٤٩- (إن هي إلاّ موتتنا الاولى و مانحن بمنشرين)**

مالنا من موتة إلاّ موتتنا الاولى الّتي نموتها في الحياة الدّنيا و هي الموتة الاولى، و مانحن بمبعوثين بعد مماتنا هذه تكذيباً منهم بالبعث و الحساب و الجزآء.

**٤٤٥٠- (فأتوا بآبآئنا إن كنتم صادقين)**

فأتنا يا محمّد بآبآئنا إن كنت صادقاً فيما تحدّثنا عن البعث و النّشور و الحساب و الجزآء.

**٤٤٥١- (أهم خير أم قوم تبّع و الّذين من قبلهم أهكلناهم إنّهم كانوا مجرمين)**

أهؤلآء المشركون خير أم قوم تبّع الحميرى، و الّذين من قبل قوم تبّع من الأُمم... أهلكناهم و دمّرناهم تدميراً، إنّهم كانوا مجرمين...

**٤٤٥٢- (و ما خلقنا السّموات و الأرض و مابينهما لاعبين)**

و ما خلقنا السّموات السّبع و الأرضين السّبع، و مابينهما من أنواع الخلق لاعبين...

**٤٤٥٣- (ما خلقنا هما إلاّ بالحقّ و لكنّ أكثرهم لا يعلمون)**

ما خلقنا السّموات و الأرض و مابينهما من الخلائق كلّها إلاّ ملازماً للحقّ، و لكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف لا يعلمون ذلك لقلّة تدبرّهم في نظام الكون و نواميس الوجود.

**٤٤٥٤- (إنّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين)**

إنّ يوم الفصل بين المبعوثين، يوم وصل بينهم، فإنّه ميقاتهم أجمعين.

٤٤٥٥- (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً و لاهم ينصرون)

يوم الفصل، يوم لا يغني فيه أي وليّ عن وليّ شيئاً، و لا ينفع أيّ ناصر عن ناصر آخر

٤٤٥٦- (إلاّ من رحم الله إنّه هو العزيز الرّحيم)

لا ناصر لأحدٍ، يوم الفصل إلاّ من رحم الله تعالى من عباده بالعفو عنه، لأنّ الله تعالى هو العزيز الّذي يغلب و لا يغلب عنه، الرّحيم الّذى يرحم بعباده المؤمنين وحدهم.

٤٤٥٧- (إنّ شجرة الزّقوم)

إنّ شجرة الزّقوم المعدّة لأهل النّار شجرة ينبتها الله عزّ و جلّ في قاع الجحيم ثمرتها هي:

٤٤٥٨- (طعام الأثيم)

طعام كلّ من تلبّس بالإثم و أصرّ و مات عليه.

٤٤٥٩- (كالمهل يغلي في البطون)

هذا الطّعام جهنّميّ يشبه بالمذاب يغلي في أجواف أهل النّار غلياناً.

٤٤٦٠- (كغلى الحميم)

مثل غليان الحميم البالغ في الحِمّة ممّا يحمّ و يبلغ المنتهى.

٤٤٦١- (خذوه فاعتلوه إلى سوآء الجحيم)

أيّها الخزنة خذوا هذا الأثيم بقسوة و ألقوه إلى وسط نار جهنّم.

**٤٤٦٢- (ثمّ صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم)**

ثمّ صبّوا أيّها الخزنة فوق رأس كلّ أثيم مصرٍّ من عذاب الحميم.

**٤٤٦٣- (ذُق إنّك أنت العزيز الكريم)**

قولوا أيّها الخزنة لكّل أثيم لئيم تشديداً لعذابه: ذق أيّها الأثيم الشّقيّ أنواع عذاب الجحيم، لأنّك تزعم أنت العزيز الكريم و ما كنت بعزيز و لا كريم قطّ.

**٤٤٦٤- (إنّ هذا ما كنتم به تمترون)**

تقول خزنة النّار للآثمين: إنّ هذا العذاب الّذى ترون أنواعه اليوم ما كنتم به تشكّون فيه في الحياة الدّنيا.

**٤٤٦٥- (إنّ المتّقين في مقام أمين)**

إنّ الّذين اتّقوا اللّه جلّ و علا في الحياة الدّنيا، هم في الدّار الآخرة في مقام يأمنون من كلّ ما يحزنهم.

**٤٤٦٦- (في جنّات و عيون)**

هؤلآء المتّقون مستقرّون في جنّات تجنّها الأشجار، تجري من تحتها الأنهار و هم في عيون كثيرة متنوّعة ...

**٤٤٦٧- (يلبسون من سندس و إستبرق متقابلين)**

يلبس هؤلآء المتّقون في تلك الجنات نوعين من ثياب الحرير: السّندس، و الإستبرق، و هم يتّكئون على السّرر متقابلين.

**٤٤٦٨- (كذلك و زوّجناهم بحور عين)**

هكذا مقام المتّقين، و أكثر من هذا فقد زوّجناهم بحور عين من حور الجـّنة و عرآئسها اللّاتي لم يطمثهنّ إنس قبلهم و لا جانّ.

**٤٤٦٩- (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين)**

يدعو هؤلآء المتّقون في جنّات النّعيم بكلّ نوع من أنواع فاكهتها، آمـنين مـن ضرّها و مكروهها.

**٤٤٧٠- (لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الاولى و وقاهم عذاب الجحيم)**

لا يذوقون في تلك الجنّات الموت إلاّ الموتة الاولى الّتي ذاقوها في الحياة الدّنيا، و حفظهم الله تعالى من عذاب الجحيم.

**٤٤٧١- (فضلاً من ربّك ذلك هو الفوز العظيم)**

كان ذلك فضلاً من ربّك أيّها الرّسول﴿ﷺ﴾ على المتّقين، ذلك هو الفوز المبين العظيم الّذي لا يعدله فوز.

**٤٤٧٢- (فإنّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون)**

ذكّر أيّها الرّسول﴿ﷺ﴾ مَن اُرسلت إليهم بالكتاب المبين، فإنّما يسّرناه سهـلاً يسيراً بلسانك العربيّ المبين لعلّهم يؤمنون به و يتّعظون بعظاته ....

**٤٤٧٣- (فارتقب إنّهم مرتقبون)**

فانتظر أيّها النّبيّ الكريم﴿ﷺ﴾ ما يحلّ بهؤلآء المشركين و من إليهم إنّهم أيضاً منتظرون عليك و من معك دائرة السّوء.

# ﴿بحث روائيّ﴾

في أُصول الكافي - باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام حديث (٤) بإسناده عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم قال: كنت عند أبي الحسن موسى ﴿عليه السلام﴾ إذ أتاه رجل نصرانيّ و نحن معه با لعريض - كزبير: وادٍ بالمدينة - فقال له النّصرانيّ: أتيتك من بلد بعيد، و سفر شاقّ، و سئلت ربّي منذ ثلاثين سنة أن يرشدني إلى خير الأديان، و إلى خير العباد و أعلمهم، و أتاني آتٍ في النّوم، فوصف لي رجلاً بِعُلْيا دمشق، فانطلقت حتّى أتيته فكلّمته، فقال: أنا أعلم أهل ديني و غيري أعلم منّي فقلت: أرشدني إلى مَن هو أعلم منك، فإنّي لا أستعظم السّفر و لا تبعد عليّ الشّقّة، و لقد قرأت الإنجيل كلّها، و مزامير داود، و قرأت أربعة أسفار من التّوراة، و قرأت ظاهر القرآن حتّى استوعبته كلّه، فقال لي العالم:

إن كنت تريد علم النّصرانيّة فأنا أعلم العرب و العجم بها، و إن كنت تريد علم اليهود، فباطي بن شرحبيل السّامريّ أعلم النّاس بها اليوم، و إن كنت تريد علم الإسلام و علم التّوراة و علم الإنجيل و علم الزّبور و كتاب هود، و كلّما أُنزِل على نبيّ من الأنبيآءِ في دهرك و دهر غيرك و ما أُنزل من السّمآء من خبر، فعلمه أحدٌ أولم يعلم به أحد، فيه تبيان كلّ شيء، و شفآء للعالمين، و روح لمن استروح إليه، و بصيرة لمن أراد الله به خيراً، و أُنسٌ إلى الحقّ فأُرشدك إليه، فأته و لو مشياً على رجليك، فإن لم تقدر فحبواً (و لو جثواًخ) على ركبتيك، فإن لم تقدر فزحفاً على إستك، فان لم تقدر فعلى

وجهك، فقلت: لا بل أنا أقدر على المسير في البدن و المال، قال: فانطلق من فورك حتّى تأتي يثرب، فقلت: لاأعرف يثرب، قال:

فانطلق حتّى تأتي مدينة النّبيّ﴿صلى الله عليه وآله﴾ الّذي بعث في العرب، و هوالنّبيّ العربيّ الهاشميّ، فإذا دخلتها، فسل عن بني غنم بن مالك بن النّجّار، و هو عند باب مسجدها و أظهر بِزّة النّصرانيّة و حليتها، فإنّ و اليها يتشدّد عليهم، و الخليفة أشدّ، ثمّ تسئل عن بني عمرو بن مبذول، و هو ببقيع الزّبير ثمّ تسئل عن موسى إبن جعفر، و أين منزله ؟ و أين هو؟ مسافر؟ أم حاضر؟ فإن كان مسافراً فألحقه، فإنّ سفره أقرب ممّا ضربت إليه، ثمّ أعلمه أنّ مطران عليا الغوطة - غوطة دمشق - هو الّذي أرشدني إليك و هو يقرئك السّلام كثيراً و يقول لك: إنّي لأكثر مناجات ربّي أن يجعل إسلامي على يديك، فقصّ هذه القصّة، و هو قآئم معتمد على عصاه، ثمّ قال:

إن أذنت لي يا سيّدي كفّرت لك و جلست؟ فقال: آذن لك أن تجلس و لا آذن لك أن تكفّر، فجلس ثمّ ألقى عنه برنسه، ثمّ قال: جعلت فداك تأذن لي في الكلام؟ قال: نعم ما جئت إلاّ له، فقال له النّصراني أردد على صاحبي السّلام أو ما تردّ السّلام؟

فقال أبوالحسن﴿عليه السلام﴾: على صاحبك أن هداه الله، فأمّا التّسليم فذاك إذا صار في ديننا، فقال النّصراني إنّي أسئلك - أصلحك الله - ؟ قال: سل، قال: أخبرني عن كتاب الله تعالى الّذي أُنزِل على محمّد و نطق به، ثمّ و صفه بما و صفه به؟ فقال: «حمٓ و الكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كلّ أمر حكيم» ماتفسيرها في الباطن؟

فقال: أمّا «حمٓ» فهو محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾ و هو في كتاب هود الذّى أُنزِل عليه، و هو منقوص الحروف، أمّا «الكتاب المبين» فهو أميرالمؤمنين عليّ﴿عليه السلام﴾ و أمّا اللّيلة ففاطمة، و أمّا قوله: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» يقول: يخرج منها خير كثير، فرجل حكيم، و رجل حكيم، و رجل حكيم،...» الحديث.

قوله: «بزّة» بكسر البآء -: الهيئة، و «الغوطة» - بالضّمّ - موضع بالشّام كثيرالمآء و الشّجر. و «كفّرت» التّكفير: وضع اليد على الصّدر.

و في شرح أسمآء الله الحسنى للرّازي - و هو من أعلام المتعصّبين الجامدين من العامّة - في الفصل العاشر في تفسير الإسم الأعظم لله سبحانه و تعالى - قال: «القول الخامس: إنّ الإسم الأعظم مذكور في الحروف المذكورة في أوآئل السّور يروى عن عليّ ﴿عليه السلام﴾ أنّه كان إذا صعب عليه أمردعا و قال: يا «كهيعص» يا «حمٓ عسٓقٓ» و كان سعيد بن جبير يقول: هذه الحروف منها ما يهتدى إلى كيفيّة تركيبها مثل «آلر» «حمٓ» «ن» فإنّ مجموعها الرّحمن، و منها مالا يهتدى إلى كيفيّة تركيبها و إسم الله الأعظم فيها».

و في أُصول الكافي - باب في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر و تفسيرها - باسناده عن الحسن بن العبّاس بن الحريش عن أبي جعفر الثّاني قال: أبو عبداللّه ﴿عليه السلام﴾ - حديث طويل - قال: فقال له أبي: إن شئت اخبرتك بها؟ قال: قد شئت، قال: إنّ شيعتنا إن قالوا لأهل الخلاف لنا: إنّ الله عزّ و جلّ يقول لرسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» إلى آخرها - فهل كان رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ يعلم من العلم - شيئاً لا يعلمه - في تلك اللّيلة أو يأتيه به جبرئيل ﴿عليه السلام﴾ فى غيرها؟ فإنّهم سيقولون: لا، فقل لهم: فهل كان لما علم بدٌّ من أن يظهر؟ فيقولون: لا، فقل لهم: فهل كان فيما أظهر رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ من علم الله عزّ ذكره اختلاف؟ فإن قالوا: لا، فقل لهم: فمن حكم بحكم الله فيه اختلاف، فهل خالف رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾؟ فيقولون نعم - فإن قالوا: لا فقد نقضوا أوّل كلامهم - فقل لهم: ما يعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسخون في العلم.

فإن قالوا: مَن الرّاسخون في العلم؟ فقل من لا يختلف في علمه، فإن قالوا: فمن هو ذاك؟

فقل: كان رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ صاحب ذلك، فهل بلّغ أولا؟ فإن قالوا: قد بلّغ، فقل: فهل مات ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و الخليفة من بعده يعلم علماً ليس فيه إختلاف؟ فإن قالوا: لا، فقل: إنّ خليفة رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ مؤيّد و لا يستخلف رسول اللّه ﴿صلى الله عليه و آله﴾ إلاّ من يحكم بحكمه، و إلاّ من يكون مثله الاّ النّبوّة و إن كان رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ لم يستخلف في علمه أحداً فقد ضيّع من في أصلاب الرّجال ممّن يكون بعده.

فإن قالوا لك: فإن علم رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ كان من القرآن فقل: «حمٓ و الكتاب

المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها - إلى قوله - إنّا كنّا مرسلين» فإن قالوا لك: لا يرسل الله عزّ و جلّ إلاّ إلى نبيّ، فقل: هذا الأمر الحكيم الّذي يفرق فيه هو من الملآئكة و الرّوح الّتي تنزّل من سمآء الى سماءٍ، أو من سمآءٍ إلى أرض؟ فإن قالوا: من سمآءٍ إلى سماءٍ، فليس في السّمآء أحد يرجع من طاعة إلى معصية، فإن قالوا: من سمآء إلى أرض - و أهل الأرض أحوج الخلق إلى ذلك - فقل: فهل لهم بدّ من سيّد يتحاكمون إليه؟ فإن قالوا: فانّ الخليفة هو حكمهم، فقل: «الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور - إلى قوله -: خالدون» لعمري ما في الأرض و لا في السّمآء وليّ لله عزّ ذكره إلاّ و هو مؤيّد و من أُيّد لم يخط، و ما في الأرض عدوّ للّه عزّ ذكره إلاّ و هو مخذول، و من خذل لم يصب، كما أنّ الأمر لا بدّ من تنزيله من السّمآء يحكم به أهل الأرض، كذلك لابدّ من والٍ، فإن قالوا: لا نعرف هذا، فقل: لهم: قولوا ما أحببتم، أبى الله عزّ و جلّ بعد محمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾ أن يترك العباد و لا حجّة عليهم ....» الحديث.

و في مرآة العقول: قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه في شرح هذا الحديث: «الحديث الأول - أى هذا الحديث - ضعيف على المشهور بالحسن بن العبّاس، لكن يظهر من كتب الرّجال أنّه لم يكن لتضعيفه سبب إلاّ رواية هذه الأخبار العالية الغامضة الّتي لا يصل إليها عقول أكثر الخلق، و الكتاب كان مشهوراً عندالمحدّثين، و أحمد بن محمّد روى هذا الكتاب مع أنّه أخرج البرقي عن قم بسبب أنّه كان يروى عن الضّعفآء، فلو لم يكن هذا الكتاب معتبراً عنده لما تصدّى لروايته، و الشّواهد على صحته عندي كثيرة إلى أن قال:

ثمّ اعلم أنّ حاصل هذا الاستدلال هو أنّه قد ثبت أنّ اللّه سبحانه أنزل القران في ليلة القدر على نبيّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ و أنّه كان ينزّل الملآئكة و الرّوح فيها من كلّ أمر ببيان و تأويل سنة فسنة، كما يدلّ عليه فعل المستقبل الدّالّ على التّجدّد الإستمراريّ فنقول: هل كان لرسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ طريق إلى العلم الّذى يحتاج إليه الأمّة سوى ما يأتيه من السّمآء من عندالله سبحانه إمّا ليلة القدر أو غيرها أم لا؟ و الأوّل باطل لقوله تعالى: «إن هو إلاّ وحيٌ يوحى» النّجم: ٤) فثبت الثّاني.

ثمّ نقول: فهل يجوز أن لا يظهر هذالعلم الّذى يحتاج إليه الأمّة؟ أم لا بدّ من ظهوره لهم؟ و الأوّل باطل لأنّه إنّما يوحى إليه ليبلّغ إليهم و يهديهم إلى الله عزّ و جلّ، فثبت الثّاني، ثمّ نقول: فهل لذلك العلم النّازل من السّمآء من عند الله إلى الرّسول إختلاف بأن يحكم في زمان بحكم، ثمّ يحكم في ذلك الأمر بعينه في ذلك الزّمان بعينه بحكم آخر؟ أم لا؟ و الأوّل باطل لأنّ الحكم إنّما هو من عند الله عزّ و جلّ، و هو متعالى عن ذلك كما قال تعالى: «و لو كان من عند غير الله لو جدوا فيه إختلافاً كثيراً» النّسآء: ٨٢).

ثمّ نقول: أم خالفه؟ حكم بحكم فيه إختلاف كالإجتهادات المتناقضة هل وافق رسول الله(ﷺ) في فعله ذلك؟ أم خالفه؟ و الأوّل باطل لأنّه(ﷺ) لم يكن في حكمه إختلاف، فثبت الثّاني. ثمّ نقول: فمن لم يكن في حكمه اختلاف، فهل له طريق إلى ذلك الحكم من غير جهة الله إمّا بغير واسطة أو بواسطة، و من دون أن يعلم تأويل المتشابه الّذى يقع بسببه الإختلاف أم لا؟ و الأوّل باطل فثبت الثّاني، ثمّ نقول: فهل يعلم تأويل المتشابه إلاّ الله و الرّاسخون في العلم الّذين ليس في علمهم إختلاف؟ أم لا؟ و الأوّل باطل لقوله تعالى: «وما يعلم تأويله الاّالله و الرّاسخون في العلم» آل عمران: ٧).

ثمّ نقول: فرسول الله(ﷺ) الّذي هو من الرّاسخين هل مات(ﷺ) و ذهب بعلمه ذلك و لم يبلّغ طريق علمه بالمتشابه إلى خليفته؟ أم بلّغه؟ و الأوّل باطل لأنّه لو فعل ذلك، فقد ضيّع من في أصلاب الرّجال ممّن يكون بعده فثبت الثّاني، ثمّ نقول: فهل خليفته من بعده كسآئر آحاد النّاس يجوز عليه الخطأو الإختلاف في العلم؟ أم هو مؤيّد من عند الله بحكم رسول الله(ﷺ) بأن يأتيه الملك، فيحدّثه من غيرو حي، و رؤية أو ما يجرى مجرى ذلك، و هو مثله إلاّ في النّبوّة، و الأوّل باطل لعدم إغنائه حينئذ لأنّ من يجوز عليه الإختلاف لا يؤمن عليه الإختلاف في الحكم، و يلزم التضيع من ذلك أيضاً فثبت الثّاني.

فلا بدّ من خليفة بعد رسول الله(ﷺ) راسخ في العلم عالم بتأويل المتشابه مؤيّدٌ من عندالله لا يجوز عليه الخطاء، و لا الإختلاف في العلم، يكون حجّة على العباد و هو المطلوب.

هذا إن جعلنا الكلّ دليلاً واحداً، و يحتمل أن يكون دلآئل كما سنشير إليه و لعلّه أظهر.

قوله(صلى الله عليه وآله): «أو يأتيه» معطوف على «لا يعلمه» فينسحب عليه النّفي، و المعنى: هل له علم من غير تينك الجهتين كما عرفت «فقد نقضوا أوّل كلامهم» حيث قالوا: لا إختلاف فيما أظهر رسول الله(صلى الله عليه وآله) من علم الله فهذا يقتضى أن لا يكون في علم من لا يخالفه في العلم أيضاً إختلاف.

و بهذا يتمّ دليل على وجود الإمـام، لأن مـن ليس في عـلمه إخـتلاف ليس إلاّالمعصوم المؤيّد من عندالله تعالى.

و قوله(عليه السلام): «فقل لهم ما يعلم تأويله» هذا إمّا دليل آخر سـوى مـناقضة كلامهم على أنّهم خالفوا رسول الله(صلى الله عليه وآله) أو على أصل المدّعى و هو إثبات الإمام.

و قوله (عليه السلام): «فقل من لا يختلف في علمه» لعلّه استدلّ عليه على ذلك بمدلول لفظة الرّسوخ، فإنّه بمعنى الثّبوت، و المتزلزل في علمه المنتقل عنه إلى غيره ليس بثابت فيه.

و قوله(عليه السلام): «فإن قالوا لك: إنّ علم رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان من القرآن» لعل هذا إيراد على الحجة و تقريره: أنّ علم رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) لعلّه كان من القرآن فقط، و ليس ممّا يتجدّد في ليلة القدر شئ؟ فأجاب(عليه السلام) بأنّ الله عزّ و جلّ يقول: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» فهذه الآية تدلّ على تجدّد الفرق و الإرسال في تلك اللّيلة المباركة بإنزال الملآئكة، و الرّوح فيها من السّمآء إلى الأرض دائماً، ولا بدّ من وجود من يرسل إليـه الأمر دائماً.

ثمّ قوله(عليه السلام): « فإن قالوا لك...» سئوال آخر، تقريره: أنّه يلزم ممّا ذكرتم جواز إرسال الملآئكة إلى غير النّبيّ مع أنّه لا يجوز ذلك، فأجاب(عليه السلام) عنه بمـدلول الآيـة الكريمة لا مردّ لها.

و قوله(عليه السلام): «فهل لهم بدّ» لعلّه مؤيّد للدّليل السّابق بأنّه كما أنّه لا بدّ من مؤيّد ينزل إليه في ليلة القدر، فكذلك لا بدّ من سيّد يتحاكم العباد إليه، فإنّ العقل يحكم بأنّ

الفساد و النّزاع بين الخلق لا يرتفع إلاّ به، فهذا مؤيّد لنزول الملآئكة و الرّوح على رجل ليعلم ما يفصل به بين العباد و يحتمل أن يكون إستيناف دليل آخر على و جود الإمام.

و قوله﴿عليه السلام﴾: «فإن قالوا : فإنّ الخليفة» الّتي في كلّ عصر «هو حكمهم» بالتّحريك «فقل» إذا لم يكن الخليفة مؤيّداً معصوماً محفوظاً من الخطاء فكيف يخرجه الله و يخرج به عباده من الظّلمات إلى النّور، و قد قال سبحانه: «الله وليّ الّذين آمنوا...» الآية. و الحاصل أنّ من لم يكن عالماً بجميع الأحكام، و كان ممّن يجوز عليه الخطأ فهو أيضاً محتاج إلى خليفة آخر لرفع جهله، و النّزاع النّاشي بينه و بين غيره. و يمكن أن يكون الإستدلال بالآيات من جهة أنّه تعالى نسب إخراج المؤمنين من ظلمات الجهل و الكفر إلى نور العلم إلى نفسه، فلا بدّ من أن يكون من يهديهم منصوباً من قبل الله تعالى مؤيّداً من عنده، و المنصوب من قبل النّاس طاغوت يخرجهم من النّور إلى الظّلمات...

و قوله﴿عليه السلام﴾: «إلاّ و هو مؤيّد» لقوله: «يخرجهم من الظّلمات إلى النّور» و لما قلنا: من أنّه لو لم يكن كذلك لكان محتاجاً إلى إمام آخر.

و قوله﴿عليه السلام﴾: «كذلك لا بدّ من والٍ» أى من يلي الأمر و يتلقّاه من الملآئكة و الرّوح، و يدلّ النّاس على الأمر الحكيم. «فإن قالوا: لا نعرف هذا» أى الوالي أو الإستدلال المذكور، و نفى معرفتهم إيّاه نظير قوله تعالى: «قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً ممّا تقول» هود: ۹۱) و «قولوا ما أحببتم» نظير قوله تعالى: «إعملوا ما شئتم» فصّلت: ٤٠) و قوله: «تمتّعوا قليلاً إنّكم مجرمون» المرسلات: ٤٦) و هذا الكلام متعارف بعد مكابرة الخصم.

و في **كنز الفوائد**: بإسناده عن أبي جعفر الثّاني﴿عليه السلام﴾ أنّه قال: «يا معشر الشّيعة خاصموا بسورة «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» تفلجوا، فو الله إنّها لحجّة الله تبارك و تعالى على الخلق بعد رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ و إنّه (إنّهاخ) لسيّدة دينكم، و إنّها لغاية علمنا، يا معشر الشّيعة خاصموا بـ«حمٓ و الكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة المباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كلّ أمر حكيم» فإنّها لولاة الأمر خاصّة بعد رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾. يا معشر الشّيعة إنّ الله تبارك و تعالى يقول: «و إن من أُمّة إلاّ خلا فيها نذير» فقيل: يا أبا جعفر نذير هذه الأُمّة محمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾ قال: صدقت، فهل كان نذير و هو حيّ من البعثة في أقطار

الأرض؟ فقال السّائل: لا (فهل كان بدّ من البعثة في أقطار الأرض فقال السائل: فقال خ) (فقال السّائل: نعم، فقال خ) أبو جعفر ﴿؏﴾ : أرأيت أنّ بعيثه ليس نذيره كما أنّ رسول الله ﴿ص﴾ في بعثته من الله تعالى نذير؟ فقال: بلى، قال: فكذلك لم يمت محمّد ﴿ص﴾ إلاّ و له بعيث نذير، فإن قلت: لا، فقد ضيّع رسول الله ﴿ص﴾ من في أصلاب الرّجال من اُمّته.

فقال السّائل: أولم يكفهم القرآن؟ قال: بلى إن وجدوا له مفسّراً، قال: أو ما فسّره رسول الله ﴿ص﴾؟ قال: بلى و لكن فسّره لرجل واحد، و فسّر للاُمّة شأن ذلك الرّجل و هو عليّ بى أبيطالب ﴿؏﴾ قال السّآئل: يا أبا جعفر كأنّ هذا الأمر خاصّ لا يحتمله العامّة؟ قال: نعم أبى الله أن يعبد إلاّ سرّاً حتّى يأتي إيّان أجله الّذي يظهر فيه دينه، كما أنّه كان رسول الله ﴿ص﴾ مع خديجة عليهاالسّلام مستتراً حتّى اُمِرَ بالإعلان، قال السّائل: أينبغى لصاحب هذا الدّين أن يكتم؟ قال: أو ما كتم عليّ بن أبيطالب ﴿؏﴾ يوم أسلم مع رسول الله ﴿ص﴾ حتّى أظهر أمره؟ قال: بلى قال: فكذلك أمرنا حتّى يبلغ الكتاب أجله».

قوله ﴿؏﴾: «تفلجوا» من فلج و أفلج على خصمه: إستظهر عليه و فاز. «إيّان» الشّئ: أوّله و حينه.

و في **تفسير القمّي** «حمٓ و الكتاب المبين إنّا أنزلناه» يعني القرآن «في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين» و هى ليلة القدر أنزل الله القرآن فيه إلى البيت المعمور جملة واحدة، ثمّ ينزل من البيت المعمور على رسول الله ﴿ص﴾ في طول (ثلاث و ظ) عشرين سنة «فيها يفرق» في ليلة القدر «كلّ أمر حكيم» أى يقدر الله كلّ أمر من الحقّ و من الباطل، و ما يكون في تلك السّنة، و له فيه البداء و المشيّة يقدم ما يشآء و يؤخّر ما يشاء من الآجال و الأرزاق و البلايا و الأعراض و الأمراض، و يزيد فيها ما يشآء و ينقص ما يشآء و يلقيه رسول الله ﴿ص﴾ إلى أميرالمؤمنين ﴿؏﴾ و يلقيه أميرالمؤمنين ﴿؏﴾ إلى الأئمّة عليهم السّلام حتّى ينتهي ذلك إلى صاحب الزّمان ﴿؏﴾ و يشترط له ما فيه البداء و المشيّة و التّقديم و التّاخير.

و فيه: باسناده عن أبي جعفر ﴿؏﴾ قال: يا أبا المهاجر! لا تخفى علينا ليلة القدر

إنّ الملآئكة يطوفون بنا فيها ثمّ قال: «بل هم في شكّ يلعبون» يعني في شكّ مما ذكرناه ممّا يكون في ليلة القدر».

في دعآء اللّيلة الخامسة عشر من شعبان المعظم: «اللهّم بحقّ ليلتنا هذه و مولودها و حجّتك و موعودها الّتي قرنت إلى فضلها فضلاً، فتمّتْ كلمتك صدقاً و عدلاً لا مبّدل لكلماتك و لا معقّب لآياتك، نورك المتألّق، و ضيآؤك المشرق، و العلم النّور في طَخيآء الدّيجور، الغآئب المستور، جلّ مولده، و كرم مَحِتده، و الملآئكة شُهَّدُه، و اللّه ناصره و مؤيّده اذا آن ميعاده و الملآئكة أمداده، سيف الله الّذي لا ينبو و نوره الّذي لا يخبو و ذوالحلم الّذي لا يصبو، مدار الدّهر و نواميس العصر، و ولاة الأمر و المنزّل عليهم ما يتنزّل في ليلة القدر، و أصحاب الحشر و النّشر، تراجمة و حيه و ولاة أمره و نهيه - صلّ على محمّد و آل محمّد و اغفرلي و ارحمني و اكفني ما أهمّني و اقض ديني و وسّع علىّ في رزقي فإنّك في هذه اللّيلة كلّ أمر حكيم تفرق، و من تشاء من خلقك ترزق، فارزقني و أنت خير الرّازقين ....» الدّعاء.

و في فروع الكافي - كتاب الصّيام - باب في ليلة القدر - الحديث: ٦- باسناده عن حمران أنّه سئل أبا جعفر ﴿عليه السلام﴾ عن قول الله عزّ و جلّ: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة» قال: نعم ليلة القدر و هي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القران إلاّ في ليلة القدر قال الله عزّ و جلّ: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» قال: يقدّر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في تلك السّنة إلى مثلها من قابل خير و شرّ، و طاعة و معصية و مولود و أجل أو رزق، فما قدّر في تلك السّنة و قضى فهو المحتوم، و لله عزّ و جلّ فيها المشيّة، قال: قلت: «ليلة القدر خير من ألف شهر» أىّ شيء عنى بذلك ؟ فقال: العمل الصّالح فيها من الصّلاة و الزّكاة و أنواع الخير، خير من العمل في ألف شهر ليس فيهاليلة القدر، و لولا ما يضاعف الله تبارك و تعالى للمؤمنين ما بلغوا و لكنّ الله يضاعف لهم الحسنات بحبّنا»

قوله ﴿عليه السلام﴾: «فهو المحتوم و لله فيه المشيّة» أى أنّه محتوم من جهة الأسباب و الشّرآئط فلا شيء يمنع عن تحقّقه إلا أن يشآء الله ذلك و قوله ﴿عليه السلام﴾: «ما بلغوا» أى غاية الفضل و الثّواب.

و في البحار - كتاب القرآن - باب كتاب الوحي و ما يتعلّق بأحوالهم - الحديث: ٤- في خبر المفضّل أنّه قال الصّادق ﴿عليه السلام﴾ : «يا مفضّل إنّ القرآن نزل في ثلاث و عشرين سنة، و الله يقول: «شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن» و قال: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كلّ أمر حكيم أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين» و قال: «لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبّت به فؤادك».

قال المفضّل: يا مولاى فهذا تنزيله الّذي ذكره الله القرآن في كتابه، و كيف ظهر الوحي ثلاث و عشرين سنة؟ قال: نعم يا مفضّل أعطاه الله القرآن في شهر رمضان، و كان لا يبلّغه إلاّ في وقت إستحقاق الخطاب ، و لا يؤدّيه إلاّ في وقت أمر و نهي ، فهبط جبرئيل﴿عليه السلام﴾ بالوحي فبلّغ مايؤمر به، و قوله: «لا تحرّك به لسانك لتعجل به» فقال المفضّل: «أشهد إنّكم من علم الله علمتم، و بقدرته قدرتم، و بحكمه نطقتم و بأمره تعملون».

و في أُصول الكافى -كتاب الحجّة - باب في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر و تفسيرها - الحديث: ٣- باسناده عن الحسن بن العبّاس بن الحريش عن أبي جعفر الثّاني قال: قال الله عزّ و جلّ في ليلة القدر: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» يقول: ينزل فيها كلّ أمر حكيم، و المحكم ليس بشئيين، إنّما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه إختلاف، فحكمه من حكم اللّه عزّ و جلّ، و من حكم بأمر فيه اختلاف، فرآى أنّه مصيب، فقد حكم بحكم الطّاغوت إنّه لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الأُمور سنة سنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا و كذا، و في أمر النّاس بكذا و كذا، و إنّه ليحدث لوليّ الأمر سوى ذلك كلّ يوم علم اللّه عزّ و جلّ الخاصّ و المكنون العجيب المخزون، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر، ثمّ قرأ: «و لو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام و البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللّه إنّ اللّه عزيز حكيم».

و في مرآة العقول: في شرح الحديث قال: «و قيل: المستفاد من هذا الحديث أنّ معنى إنزال القرآن في ليلة القدر إنزال بيانه بتفصيل مجمله و تأويل متشابهه، و تقييد مطلقه، و تفريق محكمه عن متشابهه، و بالجملة تتميم إنزاله بحيث يكون هدىً للنّاس و

بيّنات من الهدى و الفرقان كما قال سبحانه: «شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن» يعني في ليلة القدر منه «هدى للنّاس و بيّنات من الهدى و الفرقان» تنبيه لقوله عزوجل: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كلّ أمر حكيم» أى محكم «أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين» فقوله: «فيها يفرق» و قوله: «و الفرقان» معنا هما واحد.

وروى في معاني الأخبار بإسناده عن الصّادق﴿عليه السلام﴾: أنّ القرآن جملة الكتاب، و الفرقان المحكم الواجب العمل به، و قد قال تعالى: «إنّ علينا جمعه و قرآنه» أى حين أنزلناه نجوماً «فإذا قرأناه» عليك حينئذ «فاتّبع قرآنه» أى جملته «ثمّ إنّ علينا بيانه» أي في ليلة القدر بإنزال الملآئكة و الرّوح فيها عليك و على أهل بيتك من بعدك بتفريق المحكم من المتشابه، بتقدير الأشياء و تبيين أحكام خصوص الوقايع الّتي تصيب الخلق في تلك السّنة إلى ليلة القدر الآتية.

و في بعض الأخبار أنّه لم ينزل القرآن إلاّ في ليلة القدر و أنّه لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن.

و قال في الفقيه: تكامل نزول القرآن في ليلة القدر، و هو مؤيّد لما قلنا، و فسّر﴿عليه السلام﴾ الحكيم بمعنى المحكم في ضمن قوله: «و المحكم ليس بشيئين» و فسّر المحكم بما لا يحتمل غير معناه كما هو المشهور في تفسيره لأنّه هو الّذي ليس بشيئين إنّما هو شئ واحد لا اختلاف فيه، و أمّا الّذي يحتمل غير معناه فهو شيئان، و لا بدّ فيه من الإختلاف.

و أقول: الحكيم فعيل بمعنى المفعول أى المعلوم اليقينيّ، من حكمه كنصره إذا أتقنه و منعه عن الفساد كأحكمه. و المراد بشيئين أمران متنافيان كما يكون في المظنونات،فيدلّ ما في سورة الدّخان و ما في سورة القدر على أنّ الحكم النّازل من عنده سبحانه في ليلة القدر هو الحكم اليقيني الحتميّ الواقعيّ، و لا بدّ من عالم بذلك الحكم، و إلاّ فلا فائدة في إنزاله، و ليس العالم بذلك إلاّ الإمام المعصوم المؤيّد من عند الله سبحانه، فيدلّ على أنّه لا بدّ في كلّ عصر إلى انقراض التّكليف من إمام مفترض الطّاعة عالم بجميع أُمور الدّين، دقيقها و جليلها، و «الطّاغوت»: الشّيطان و الأوثان و كلّ ما عبد من

دون الله أوصدّ عن عبادة الله أو اطيع بغير أمر الله، فعلوت من الطّغيان، قلبت عينه و لامه.

و المراد بالعلم الخاصّ: العلم اللّدنيّ المتعلّق بمعرفة الله سبحانه و صفاته و غير ذلك ممّا لم يتعلّق بأفعال العباد كما مر، و بالمكنون العجيب المخزون إمّا خصوصيّات الحوادث و الأُمور البدائيّة و أسرار القضآء أو الأعمّ منها، و ممّا لا يصل إليه عقول أكثر الخلق من غوامض الأسرار و الحقائق... كما

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «إند مجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم إضطراب الأرشية في الطّوى البعيدة».

و في البحار - كتاب القرآن - باب ردّ التناقض في القرآن - قال السّآئل: ما ذلك الأمر؟ قال عليّ ﴿عليه السلام﴾: «الّذي تنزّل به الملآئكة في اللّيلة الّتي يفرق فيها كلّ أمر حكيم» من خلق و رزق، و أجل و عمل، و حياة و موت، و علم غيب السّموات و الأرض، و المعجزات الّتي لا تنبغي إلاّ لله و أصفيآئه، و السّفرة بينه و بين خلقه، و هم وجه الله الّذي قال: «فأينما تولّوا فثمّ وجه الله».

هم (هو خ) بقيّة الله يعني المهديّ الّذى يأتي عند انقضآء هذه النّظرة، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً، و من آياته الغيبة و الإكتتام عند عموم الطّغيان و طول الإنتقام، و لوكان هذا الأمر الّذي عرّفتك نبأه للنّبيّ دون غيره لكان الخطاب يدلّ على فعل خاصّ غير دآئم و لا مستقبل، و لقال: نزّلت الملآئكة، و فرّق كلّ أمر حكيم، و لم يقل: «تنزّل الملآئكة» و «يفرق كلّ أمر حكيم» و قد زاد جلّ ذكره في التّبيان و إثبات الحجّة بقوله في أصفيائه و أوليآئه عليهم السّلام: «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله» تعريفاً للخليقة قربهم ألا ترى أنّك تقول فلان إلى جنب فلان إذا أردت أن تصف قربه منه».

وفيه - كتاب أعمال السّنين و الشّهور و الأيّام - باب أدعية ليالى القدر و الأحيآء -: «و اعلم انّ من مكاسب إحدى هذه اللّيالى المشار إليها لمن عبد الله جلّ

جلاله على ما ذكرناه من النيّة الّتي نبّهنا عليها ما رويناه باسنادنا إلى إبن فضّال بإسناده إلى عبد الله بن سنان قال: سئلته عن النّصف من شعبان، فقال: ما عندي فيه شيء و لكن إذا كان ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قسّم فيه الأرزاق، كتب فيها الآجال، و خرج فيها صكاك الحاجّ، و اطّلع الله تعالى عزّوجلّ إلى عباده، فيغفر لمن يشآء إلاّ شارب مسكر، فإذا كانت ليلة ثلاث و عشرين فيها يفرق كلّ أمر حكيم، ثمّ ينتهي ذلك، و يقضي، قال: قلت: إلى من؟ قال: إلى صاحبكم و لو لا ذلك لم يعلم.

و بإسناده إلى عليّ بن فضّال فقال أيضاً بإسناده إلى منصور بن حازم عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: اللّيلة الّتي يفرق فيها كلّ أمر حكيم، ينزل فيها ما يكون في السّنة إلى مثلها من خير أو شرّ و رزق أو أمر أو موت أو حياة، و يكتب فيها و فد مكّة، فمن كان في تلك السّنة مكتوباً لم يستطع أن يحبس، و ان كان فقيراً مريضاً، و من لم يكن فيها مكتوباً لم يستطع أن يحجّ و إن كان غنيّاً صحيحاً.

أقول: فهل يحسن من مصدّق بالإسلام، و بما نقل عن الرّسول و عترته عليه و عليهم أفضل السّلام، أنّ ليلة واحدة من ثلاث ليالي أن يكون فيها تدبير السّنة كلّها و إطلاق العطايا و دفع البلايا و تدبير الأُمور، و هي أشرف ليلة في السّنة عند القادر على نفع كل سرور، و دفع كلّ محذور، فلا يكون نشيطاً لها، و لا مهتمّاً بها، فهل تجد العقل قاضياً أنّ سلطاناً يختار ليلته من سنة للإطلاق و العتاق و المواهب و نجاح المطالب، و يأذن إذناً عامّاً في الطّلب منه لكلّ حاضر و غآئب فيتخلّف أحد من ذلك المجلس العامّ و عن تلك اللّيلة المختصّة بذلك الأنعام الّتي ما يعود مثلها إلى بعد عام، مع أنّ الّذين دعاهم إلى سئواله محتاجون مضطرّون إل ما بذله لهم من نواله و إقباله و إفضاله، ماذا تقول لو أنّك بعد الفراغ من هذه المأة ركعة أو مأة و عشرين، سمعت أن قد حضر ببابك رسول من بعض ملوك الآدميين، قد عرض عليك مأة دينار أو شيئاً مما تحتاج اليها من المسارّ، و دفع الأحظار، فكيف كان نشاطك و سرورك بالرّسول، و بالإقبال و القبول، و يزول النّوم و الكسل بالكلّيّة الّذي كنت تجده في معاملة مولاك مالك الجلالة المعظّمة الإلهيّة، الّذي قد بذل لك السّعادة الدّنيويّة و الأُخرويّة، لقد افتضح إبن آدم المسكين بتهوينه بما

لك الأوّلين و الآخرين.

إلى أن قال: و قد مضى في كتابنا هذا و غيره أنّ ليلة النّصف من شعبان يكتب الآجال و يقسّم الأرزاق، و يكتب أعمال السّنة، يحتمل أن يكون في ليلة نصف شعبان تكون البشارة بأنّ في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان يكتب الآجال، و يقسّم الأرزاق، فتكون ليلة نصف شعبان ليلة البشارة بالوعد، و ليلة تسع عشرة من شهر رمضان وقت إنجاز ذلك الوعد، أو يكون في تلك اللّيلة يكتب آجال قوم، و يقسّم أرزاق قوم، و في هذه ليلة تسع عشرة يكتب آجال الجميع، و أرزاقهم، أو غير ذلك مما لم نذكره فإنّ الخبر ورد صحيحاً صريحاً بأنّ الآجال و الأرزاق تكتب في ليلة تسع عشرة، و ليلة إحدى و عشرين، و ثلاث و عشرين من شهر رمضان، و سنذكر ههنا بعض أحاديث ليلة تسع عشرة فنقول:

روى أيضاً- عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: سمعته يقول و ناس يسئلونه يقولون: إنّ الأرزاق تقسم ليلة النّصف من شعبان، فقال: لا و الله ما ذلك إلاّ في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، و إحدي و عشرين، و ثلاث و عشرين، فإنّ في ليلة تسع عشرة يلتقي الجمعان، و في ليلة إحدى و عشرين يفرق كلّ أمر حكيم، و في ليلة ثلاث و عشرين، يمضى ما أراد الله جلّ جلاله ذلك، و هي ليلة القدر الّتي قال الله: «خير من ألف شهر» قلت: ما معنى قوله: «يلتقي الجمعان»؟ قال: يجمع الله فيها ما أراد الله من تقديمه و تأخيره و إرادته و قضآئه، قلت: و ما معنى يمضيه في ليلة ثلاث و عشرين؟ قال: إنّه يفرق في ليلة إحدى و عشرين، و يكون له فيه البدآء، فإذا كانت ليلة ثلاث و عشرين أمضاه فيكون من المحتوم الّذي لا يبدو له فيه تبارك و تعالى».

و فيه- في الكتاب و الباب المذكورين- بالإسناد عن عبد العظيم الحسني عن أبي جعفر الثّاني- في حديث- قال: «من زار الحسين(عليه السلام) ليلة ثلاث و عشرين من شهر رمضان، و هي اللّيلة الّتي يرجى أن تكون ليلة القدر و فيها يفرق كلّ أمر حكيم صافحه روح ألف و عشرين ألف ملك و نبيّ كلّهم يستأذن الله في زيارة الحسين(عليه السلام) في تلك اللّيلة».

و فيه: بالإسناد عن أبي الصّباح الكناني عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: «إذا كان ليلة القدر يفرّق الله عزّوجلّ كلّ أمر حكيم، نادى منادٍ من السّمآء السّابعة من بطنان العرش أنّ الله عزّوجلّ قد غفر لمن أتى قبرالحسين(عليه السلام)».

و في الإقبال: بإسناده عن يزيد بن أُسامة عن أبي عبدالله جعفربن محمّد(عليه السلام) في هذه الآية: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» قال: هى ليلة القدر يقضى فيها أمر السّنة من حجّ او عمرة أو رزق أو أمر أو أجل أو سفر أو نكاح أو ولد إلى سآئر ما يلاقي إبن آدم ممّا يكتب له أو عليه في بقيّة ذلك الحول من تلك اللّيلة إلى مثلها من عام قابل و هي في العشر الأواخر من شهر رمضان، فمن أدركها - أو قال يشهدها - عند قبر الحسين(عليه السلام) يصلّي عنده ركعتين أو ما تيسّر له و سئل الله الجنّة، و استعاذ به من النّار آتاه الله ما سئل و أعاذه ممّا استعاذ منه، و كذلك إن سئل الله تعالى أن يوتيه من خير ما فرق الله و قضى في تلك اللّيلة، و أن يقيه من شرّ ما كتب فيها أو دعا الله و سئله تبارك و تعالى في أمر لا إثم فيه رجوت أن يؤتى سؤله، و يؤقى محاذيره و يشفع في عشرة من أهل بيته كلّهم قد استوجب العذاب، و الله إلى سائله و عبده بالخير أسرع».

و في بشارة المصطفى: بإسناده عن داود الرّقّي قال: قال الباقر(عليه السلام): من زار الحسين(عليه السلام) فى ليلة النّصف من شعبان غفرت له ذنوبه».

و في البحار - كتاب الإمامة - باب الأرواح الّتي فيهم - الحديث:.٧ - بالإسناد عن حمران قال: سئلت أباعبدالله(عليه السلام) عمّا يفرق في ليلة القدر هل هو ما يقدّر الله فيها؟ قال: لا توصف قدرة الله إلاّ أنّه قال: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» فكيف يكون حكيماً إلاّ ما فرق، و لا توصف قدرة الله سبحانه لأنّه يحدث ما يشآء، و أمّا قوله: «ليلة القدر خير من ألف شهر» يعني فاطمة عليها السّلام و قوله: «تنزّل الملآئكة و الرّوح فيها» و الملآئكة في هذا الموضع المؤمنون الّذين يملكون علم آل محمّد عليهم السّلام و الرّوح روح القدس و هو في فاطمة عليها السّلام «من كلّ أمر سلام» يقول: من كل أمر مسلّمة «حتّى مطلع الفجر» يعني حتّى يقوم القائم(عليه السلام)».

و في الإحتجاج - فى حديث طويل - عن مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير

المؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ - بعد أن ذكر﴿عليه السلام﴾الحجج - قال السّآئل: «من هؤلآء الحجج؟ قال﴿عليه السلام﴾: هم رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ و من حلّ محلّه من أصفيآء الله الّذين قرنهم الله بنفسه و رسوله، و فرض على العباد من طاعتهم مثل الّذي فرض عليهم ميثاقاً لنفسه، و هم ولاة الأمر الّذين قال الله فيهم: «أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و أُولى الأمر منكم» و قال فيهم: «و لوردّوه إلى الرّسول و إلى أُولى الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم».

قال السّآئل: ما ذاك الأمر؟ قال﴿عليه السلام﴾: الّذي تنزل به الملآئكة في اللّيلة الّتي يفرق كلّ أمر حكيم من رزق و أجل و عمل وحياة و موت و علم غيب السّموات و الأرض،و المعجزات الّتي لا تنبغي إلاّ لله و أصفيآئه و السّفرة بينه و بين خلقه، و هم وجه الله الّذي قال: «فأينما تولّوا فثمّ وجه الله» هم بقيّة الله يعني المهديّ الّذي يأتي عند انقضآء هذه لنظرة، فيملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً، و من آياته الغيبة و الإكتتام عند عموم الطغيان و حلول الإنتقام، و لو كان هذا الأمر الّذي عرفتك بيانه للنّبيّ﴿صلى الله عليه و آله﴾ دون غيره لكان الخطاب يدلّ على فعل ماض غير دآئم و لا مستقبل، و لقال: نزلت الملآئكة و فرق كلّ أمر حكيم، و لم يقل: «تنزل الملآئكة و يفرق كلّ أمر حكيم».

و في **بصآئر الدّرجات**: باسناده عن هشام قال: قلت لأبي عبدالله﴿عليه السلام﴾: قول الله تعالى في كتابه: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» قال: تلك ليلة القدر يكتب فيها و فد الحاجّ، و ما يكون فيها من طاعة أو معصية أو موت أو حياة و يحدث الله في اللّيل و النّهار ما يشآء ثمّ يلقيه إلى صاحب الأرض. قال الحارث بن المغيرة البصريّ فقلت: و من صاحب الأرض؟ قال: صاحبكم».

و في **المحاسن**: باسناده عن عبد الرّحيم القصير عن أبي عبدالله﴿عليه السلام﴾ قال: سئله حفص الأعور و أنا أسمع: جعلني الله فداك ما تقول في قول الله: «و لله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً» قال: ذلك القوّة في المال و اليسار قال: فإن كانوا موسرين فهم ممّن يستطيع إليه السّبيل؟ قال: نعم، فقال له ابن سيابة: بلغنا عن أبي جعفر﴿عليه السلام﴾

أنّه كان يقول: يكتب و فد الحاجّ- فقطع كلامه فقال: كان أبي يقول: يكتبون في الليلة الّتي قال الله: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» قال: فإن لم يكتب في تلك الليلة يستطيع الحجّ؟ قال: لا معاذ الله فتكلّم حفص، فقال: لست من خصومتكم في شيء هكذا الأمر».

و في **نور الثقلين**: بالإسناد عن أبي حمزة عن أبي جعفر﴿ع﴾ قال: «لمّا قبض أمير المؤمنين﴿ع﴾قام الحسن بن عليّ في مسجد الكوفة فحمدالله و أثنى عليه و صلّى على النّبيّ﴿ص﴾ ثمّ قال: أيّها النّاس إنّه قد قبض في هذه اللّيلة رجل، ما سبقه الأوّل (الأوّلون خ) و لا يدركه الآخرون و الله لقد قبض في اللّيلة الّتي قبض فيها وصيّ موسى يوشع بن نون، و اللّيلة الّتي عرج فيها بعيسى بن مريم، و اللّيلة الّتي نزل فيها القرآن...» الحديث.

و في **روضة الكافي**: باسناده عن يعقوب بن شعيب قال: قال أبو عبد الله﴿ع﴾: «يفرق في كلّ ليلة القدر ما كان من شدّة أورخآء أو مطر يقدر ما يشآء عزّوجلّ أن يقدر إلى مثلها من قابل».

و في **العيون**:- في باب العلل الّتي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها- أنّه سمعها من الرّضا﴿ع﴾ مرّة بعد مرّة، و شيئاً بعد شيء، فإن قيل: فلم جعل الصّوم في شهر رمضان دون سآئر الشّهور؟ قيل: لأنّ شهر رمضان هو الشّهر الّذي أنزل الله تعالى فيه القرآن هدى للنّاس و بيّنات من الهدى و الفرقان، و فيه نبئ محمّد﴿ص﴾ و فيه ليلة القدر الّتي هي خير من ألف شهر و فيها يفرق كلّ أمر حكيم، و فيه رأس السّنة يقدر فيها ما يكون في السّنة من خير أو شرّ أو مضرّة أو منفعة أو رزق أو أجل، و لذلك سمّيت بليلة القدر».

و في **الجامع لأحكام القرآن للقرطبي**: «و روى عثمان بن المغيرة قال: قال النّبيّ﴿ص﴾: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتّى أنّ الرّجل لينكح و يولد له و قد خرج إسمه في الموتى».

رواه السّيوطي في الدّرّ المنثور عن أبي هريرة أيضاً.

و في **الدّرّ المنثور**: عن أبي ثعلبة الخشني عن النّبيّ﴿ص﴾ قال: «إذا كان ليلة

النّصف من شعبان اطلع الله تعالى إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين و يملى للكافرين، و يدع أهل الحقد بحقدهم حتّى يدعوه».

و فيه: عن معاذبن جبل عن النّبيّ«ﷺ» قال: «يطلع الله في ليلة النّصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلاّ لمشرك أو مشاحن».

و في تفسر الجلالين: عن رسول الله«ﷺ» قال: «أتاني جبرئيل«ﷺ» فقال: «هذه ليلة النّصف من شعبان، و لله فيها عتقاء من النّار بعدد شعور غنم بني كلب – إسم قبيلة معروفة – لا ينظر الله فيها إلى مشرك و لا إلى مشاحن، و لا إلى قاطع رحم، و لا إلى مسبل، و لا إلى عاقّ لوالديه و لا إلى مدمن خمر». المشاحن: شديد الحقد و العداوة.

و في تفسير النيشابوري: وروى أنّ النّبيّ«ﷺ» قال: «من صلّى في هذه اللّيلة ليلة النصف من شعبان – مأة ركعة أرسل الله تعالى إليه مأة ملك ثلاثون يبشّرونه بالجنّة، و ثلاثون يؤمنونه من عذاب النّار، و ثلاثون يدفعون عنه آفات الدّنيا و عشراً يدفعون عنه مكايد الشّيطان» و قال«ﷺ»: «إنّ الله يرحم امّتي في هذه اللّيلة بعدد شعر أغنام بني كلب» و قال: إنّ الله يغفر لجميع المسلمين في تلك اللّيلة إلاّ لكاهن أو ساحر أو ساخر أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصرّ على الزّنا.

و ممّا اعطى فيها رسول الله«ﷺ» تمام الشّفاعة و ذلك أنّه سئل ليلة الثّالث عشر من شعبان في اُمّته فاعطى الثّلث منها، ثمّ سئل ليلة الرّابع عشر منها فأعطى الثّلثين، ثمّ سئل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلاّ من شرد على الله شراد البعير.

۱۰– (فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان مبين)

في تفسير القمّي: قال: و قوله: «فارتقب» أى اصبر.

و في الدّرّ المنثور: عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله«ﷺ» قال: «يهيج الدّخان بالنّاس فأمّا المؤمن فيأخذه كالزّكمة، و أمّا الكافر فينفخه حتّى يخرج من كلّ مسمع منه».

و في الجامع لأحكام القرآن: عن حذيفة قال: قال رسول الله«ﷺ»: «أوّل

الآيات خروجاً الدّجّال، و نزول عيسى بن مريم، و نار تخرج من قعر عدن أبين تسوق النّاس إلى المحشر تبيت معهم حيث باتوا، و تقيل معهم إذا قالوا و تصبح معهم إذا أصبحوا و تمسي معهم إذا أمسوا» قلت، يا نبيّ الله و ما الدّخان؟ قال: هذه الآية: «فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان مبين» يملأ ما بين المشرق و المغرب يمكث أربعين يوماً و ليلة، أمّا المؤمن فيصيبه منه شبه الزّكام، و أمّا الكافر فيكون بمنزلة السّكران يخرج الدّخان من فمه و منخره و عينيه و أُذنيه و دبره».

قوله: «أبين» بسكون الباء و فتح التّاء: رجل ينسب إليه عدن، بنى هذه البلدة و نزل بها.

و في جوامع الجامع: عن عليّ ﴿عليه السلام﴾: «دخان يأتي من السّمآء قبل قيام السّاعة يدخل في أسماع الكفرة حتّى يكون رأس الواحد كالرّأس الحنيذ، و يعتري المؤمن منه كهيئة الزّكام و يكون الأرض كلّها كبيت أو قد فيه ليس فيه خصاص يمتدّ ذلك أربعين يوماً».

و في الخرائج و الجرائح - باب في موازاة النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾ ...-: «و إن كان موسى ﴿عليه السلام﴾ قد أتى فرعون بألوان العذاب من الجراد و القمّل و الضّفادع و الدّم، فرسولنا ﴿صلى الله عليه و آله﴾ أتى بالدّخان على المشركين، و هو الّذي ذكره الله تعالى في قوله: «يوم تأتي السّمآء بدخان مبين» وما أنزل الله سبحانه و تعالى على الفراعنة يوم بدر، و ما أنزل على المستهزئين بعقوبات شتّى في يوم واحد (أُحد)».

و في المناقب لابن شهر آشوب السّرويّ المازندراني رضوان الله تعالى عليه: عن الضّحّاك في قوله: «فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان» الآيات... كان الرّجل لما به من الجوع يرى بينه و بين السّمآء كالدّخان، و أكلوا الميتة و العظام، ثمّ جآؤا إلى النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و قالوا: يا محمّد جئت تأمر بصلة الرّحم و قومك قد هلكوا، فسئل الله تعالى لهم الخصب و السّعة، فكشف الله عنهم ثمّ عادوا إلى الكفر».

و في تفسير القمّي: «يوم تأتي السّمآء بدخان مبين» قال: ذلك إذا خرجوا في الرّجعة من القبر «يغشى النّاس كلّهم» الظّلمة، فيقولون: «هذا عذاب أليم ربّنا اكشف عنّا

العذاب إنّا مؤمنون» فقال الله ردّاً عليهم: «أنّى لهم الذّكرى» في ذلك اليوم «و قد جآء هم رسول مبين» أي رسول قد تبيّن لهم «ثمّ تولّوا عنه و قالوا معلّم مجنون» قال: قالوا: ذلك لما نزل الوحي على رسول الله﴿ﷺ﴾ و أخذه الغشي، فقالوا: هو مجنون، ثمّ قال: «إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عائدون» يعني إلى يوم القيامة، و لو كان قوله: «يوم تأتي السّمآء بدخان مبين» في القيامة لم تقل: إنّكم عائدون لأنّه ليس بعد الآخرة و القيامة حالة يعودون إليها».

١٧-(و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون و جآء هم رسول كريم)

في تفسير القمّي: و قوله: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون» أي اختبرناهم «وجآءهم رسول كريم أن أدّوا إليّ عباد الله» أي ما فرض الله من الصّلاة و الزّكاة و الصّوم و الحجّ و السّنن و الأحكام، فأوحى الله إليه: «فأسر بعبادي ليلاً إنّكم متّبعون» أي يتّبعكم فرعون و جنوده «و اترك البحر رهواً» أي جانباً و خذ على الطّرف. و قوله: «و مقام كريم» أي حسن «و نعمة كانوا فيها فاكهين» قال: النّعمة في الأبدان، و قوله: «فاكهين» أي مفاكهين للنّسآء «كذلك و أورثناها قوماً آخرين» يعني بني إسرائيل.

و في البحار: و قال: «و إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون» و قال الحسين﴿ع﴾: «إن لم تصدّقوني و لا تقتلوني».

و فيه:- قال عليّ بن أبيطالب﴿ع﴾ - لمّا توجّه إلى صفّين: «الحمدلله غير مفقود النّعم و لا مكافأ الإفضال، و أشهد أن لا إله الله و نحن على ذلكم من الشّاهدين، و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله أمّا بعد...».

و قال نصر: فقام إليه معقل بن قيس الرّياحي، فقال: يا أمير المؤمنين، و الله ما يتخلّف عنك إلاّ ظنين و لا يتربّص بك إلاّ منافق فمرّ مالك بن حبيب فيضرب أعناق المتخلّفين فقال: قد أمرته بأمري و ليس بمقصّر إن شآء الله. قال: و قال مالك بن حبيب- و هو آخذ بعنان دابّته﴿ع﴾-: يا أميرالمؤمنين أتخرج بالمسلمين، فيصيبوا أجر الجهاد و القتال و تخلّفني في حشر الرّجال؟ فقال له عليّ﴿ع﴾: إنّهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً

إلاّ كنت شريكهم فيه، و أنت ههنا أعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم. قال: سمعاً و طاعة يا أميرالمؤمنين.

قال نصر: ثمّ سار﴿عليه السلام﴾ حتّى انتهى إلى مدينة «بهر سير» و إذاً رجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم ينظر إلى آثار كسرى، و يتمثّل بقول الأسود بن يعفر التّميمي:

جرت الرّياح على محلّ ديارهم فكأنّما كانوا على ميعاد

فقال﴿عليه السلام﴾: ألا قلت: «كم تركوا من جنّات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين كذلك و أورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين» إنّ هؤلآء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين إنّ هؤلآء لم يشكروا النّعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إيّاكم و كفر النّعم لا تحلّ بكم النّقم».

و في **الفرائد الغوالى على شواهد الأمالى** للسّيّد المرتضى رضوان الله تعالى عليه: «و عن سنان بن يزيد قال: كنت مع مولاى جريربن سهم التّميمي و هو يسير أمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ و يقول:

يافرسي سيري و أمّي الشّاما و خلفي الأخوال و الأعماما
و قطعي الأجواز و الأعلاما و قاتلي من خالف الإماما
إنّي لأرجو إن لقينا العاما جمع بني أُميّة الطّغاما
أن نقتل العاصي و الهماما و أن نزيل من رجال هاما

فلمّا إنتهى إلى مدائن كسرى وقف عليّ﴿عليه السلام﴾ و وقفنا، فتمثّل جرير بقول الأسود بن يعفر:

جرت الرّياح على محلّ ديارهم فكأنّما كانوا على ميعاد

فقال عليّ﴿عليه السلام﴾: «فلم لم تقل كما قال الله عزّوجلّ: «كم تركوا من جنّات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين كذلك و أورثناها قوماً آخرين»

ثمّ قال﴿عليه السلام﴾: «يابن أخي إنّ هؤلآء كفروا النّعمة فحلّت بهم النّقمة، فإيّاكم و كفر النّعمة فتحلّ بكم النّقمة».

و في روضة الكافي: باسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله﴿عليه السلام﴾ قال: خطب أميرالمؤمنين﴿عليه السلام﴾ بالمدينة فحمدالله و أثنى عليه و صلّى على النّبيّ و آله، ثمّ قال: أمّا بعد فإنّ الله تبارك و تعالى لم يقصم جبّاری دهر إلاّ من بعد تمهيل و رخآء و لم يجبر كسر عظم من الأمم إلاّ بعد أزل و بلاء، أيّها النّاس في دون ما استقبلتم من عطب و استدبرتم من خطب معتبر، و ماكلّ ذي قلب بلبيب، و لا كلّ ذي سمع بسميع، و لا كلّ ذی ناظر عين ببصير، عبادالله! أحسنوا فيما يعنيكم النّظر فيه، ثمّ انظروا إلى عرصات من قد أقاده الله بعلمه، كانوا على سنّة من آل فرعون أهل «جنّات و عيون و زروع و مقام كريم» ثمّ انظروا بما ختم الله لهم بعد النّضرة و السّرور و الأمر و النّهي، و لمن صبر منكم العاقبة في الجنان، والله مخلّدون، و لله عاقبة الأمور...» الخطبة.

قوله﴿عليه السلام﴾: «أزل» ضيق و شدّة. ومن المحتمل أن يكون المراد بما استد بروه ما وقع في زمن رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ من استيلآء المشركين أوّلاً ثمّ غلبة المؤمنين عليهم ثانياً، و انقضاء دولة الظّالمين و نصرة رسوله﴿صلى الله عليه و آله﴾ على الكافرين، و المراد بما استقبلوه ما ورد عليهم بعد النّبيّ الكريم﴿صلى الله عليه و آله﴾ من الفتن و استبداد أهل الجهالة و الضّلالة بأمور المسلمين من دون نصر من رسول ربّ العالمين، و كثرة خطائهم في أحكام الدّين، ثمّ انقضآءدولتهم، و ما وقع بعد ذلك من الحروب و الفتن، كلّ ذلك محلّ للإعتبار لمن عقل و فهم، و ميّز الحقّ عن الباطل، و الهدى عن الضّلالة، و الخير عن الشّرّ... فإنّ زمان رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ و غزواته و مصالحته و مهادنته مع المشركين كانت منطبقة على أحوال أميرالمؤمنين﴿عليه السلام﴾ من وفاة النّبيّ الكريم﴿صلى الله عليه و آله﴾ إلى شهادته﴿عليه السلام﴾.

و أن يكون المراد بما يستقبل و يستدبر شيئاً واحداً، فإنّ ما يستقبل قبل وروده يستدبر بعد مضيّه.

و في الخرائج و الجرائح: روى عن أبي جعفر الطّوسيّ عن أبي محمّد الفحّام عن أبيه (عن عمّ أبيه خ) عن أبي محمّد العسكري عن آبآئه عن الحسين عليهم السّلام عن قنبر(رض) قال: كنت مع مولای عليّ﴿عليه السلام﴾ على شاطیء الفرات، فنزع قميصه و نزل إلى المآء، فجائت موجة فأخذت القميص، فإذاً هاتف يهتف: يا أبا الحسن أنظر عن

يمينك و خذ ما ترى، فإذا منديل عن يمينه و فيه (فيهاخ) قميص مطويّ فأخذه و لبسه و إذاً في جيبه رقعة فيها مكتوب: «هديّة من الله العزيزالحكيم إلى عليّ بن أبيطالب هـذا قميص هارون بن عمران» «كذلك و أو رثناها قوماً للآخرين».

٢٩- (فما بكت عليهم السّمآء و الأرض وما كانوا منظرين)

في تفسير القمي: باسناده عن عبدالله بن الفضيل الهمداني عن أبيه عن جدّه عن أميرالمؤمنين﴿عليه السلام﴾ قال: مرّ عليه رجل عدوّ لله و لرسوله﴿صلى الله عليه وآله﴾ فقال: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض وما كانوا منظرين» ثمّ مرّ عليه الحسين بن عليّ عليهما السّلام فقال: لكن هذا ليبكين عليه السّمآء و الأرض، و قال: وما بكت السّمآء و الأرض إلاّ على يحيى بن زكريا و الحسين بن عليّ عليهما السّلام».

و في أعلام الدّين: عن النّبيّ﴿صلى الله عليه وآله﴾ قال: «مامن مؤمن إلاّ و له باب يصعدمنه عمله، و باب ينزل منه رزقه، فإن مات بكيا عليه، وذلك قول الله عزّوجلّ: «فمابكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين».

و في المجمع: و روى زرارة بن أعين عن أبي عبدالله﴿عليه السلام﴾ أنّـه قـال: «بكت السّمآء على يحيى بن زكريّا و على الحسين بن عليّ عليهما السّلام أربعين صباحاً و لم تبك إلاّ عليهما» قلت: و ما بكآؤها؟ قال: «كانت تطلع حمرآء و تغيب حمرآء».

أقول: إنّ الرّوايات الواردة عن طريق الفريقين كثيرة في المقام سيأتي ذكرها إن شآء الله تعالى في الفصل الثّاني من تفسير هذه السّورة فانتظر.

و في تفسير القميّ: و قوله: «و لقد نجّينا بني إسرآئيل من العذاب المهين- إلى قوله- على العالمين» قال: فلفظه عام و معناه خاصّ، و إنّما اختارهم و فضّلهم على عالمي زمانهم».

و في عيون الأخبار-باب ما جآء عن الإمام الثّامن عليّ بن موسى الرّضا عليه آلاف التّحيّة و الثنآء في هاروت و ماروت- عن الرّضا عن آبآئه عن عليّ عليهم السّلام قال: قال رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾: «إنّ الله عزّوجلّ إختارنا معاشر آل محمد و اختار النّبييّن و

اختار الملآئكة المقرّبين، و ما اختارهم إلاّ على علم منه بهم أنّهم لا يواقعون ما يخرجون به عن ولايته، و ينقطعون به عن عصمته، و ينقمون به إلى المستخفّين بعذابه و نعمته».

و في **تأويل الآيات الظاهرة**: بالإسناد عن الفضيل عن أبي جعفر ﴿عليه السلام﴾ في قوله عزّوجلّ: «و لقد اخترناهم على علم على العالمين» قال: الأئمّة من المؤمنين و فضّلنا هم على من سواهم».

و في **تفسير البرهان**: السّيّد الرّضيّ بالإسناد عن الأصبغ بن نباته عن عبد الله بن عبّاس قال: كان رجل على عهد عمربن الخطّاب له إيلاً بناحية آذر بايجان قد استصعب عليه جملة، فمنعت جانبها، فشكى إليه ما قد ناله، و انّه كان معاشه منها، فقال له: إذهب فاستغث بالله عزّوجلّ، فقال الرّجل: ما أزال أدعو و أبتهل إليه، فكلّما قربت منها حملت عليّ، قال: فكتب له رقعة فيها:

«من عمر أميرالمؤمنين إلى مردة الجنّ و الشّياطين أن تذلّلوا هذه المواشي له»

قال: فأخذالرّجل الرّقعة فمضى فاغتمّت لذلك غمّاً شديداً، فلقيت أميرالمؤمنين عليّاً ﴿عليه السلام﴾ فأخبرته ممّا كان، فقال: «و الّذي فلق الحبّة و برء النّسمة ليعودون بالخيبة» فهدء ما بي و طالت على سنّتي، و جعلت أرقب كلّ من جآء من أهل الجبال، فإذاً أنابالرّجل قد وافى، و في جبهته شجّة تكاد اليد تدخل فيها، فلمّا رأيته بادرت إليه، فقلت له: ماوراءك؟ فقال: إنّي صرت إلى الموضع، و رميت بالرّقعة، فحمل عليّ عداد منها، فهالني أمرها، فلم تكن لي قوّة بها، فجلست فرمحني أحدها في وجهي، فقلت: اللّهمّ اكفنيها فكلّها يشدّ عليّ و يريد قتلي، فانصرفت عنّي، فسقطت، فجآء أخ لي، فحملني، و لست أعقل، فلم أزل أتعالج حتّى صحّت، و هذا الأثر في وجهي، فجئت لا علمه يعني عمر- بن الخطاب- فقلت له: صرإليه فلمّا صار إليه و عنده نفر فأخبره بما كان، فزبره، و قال له: كذبت لم تذهب بكتابي؟

قال: فحلف الرّجل بالله الّذي لا إله إلاّ هو و حقّ صاحب هذا القبر- رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾- لقد فعل ما أمر به من حمل الكتاب، و أعلمه أنّه قد دنا منها ما يرى، قال: فزبره و أخرجه عنه، فمضيت معه إلى أميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾ فتبسّم، ثمّ قال: ألم أقل لك؟ ثمّ

أقبل على الرّجل، فقال له: إذا إنصرفت فصر إلى الموضع الّذي هي فيه، و قل: «اللّهمّ إنّي أتوجّه إليك بنبيّك نبيّ الرّحمة و أهل بيته الّذين اخترتهم على العالمين اللّهمّ فذلّل صعوبتها و حزارنتها و اكفني شرّها فإنّك الكافي المعافي الغالب القاهر».

فانصرف الرّجل راجعاً فلمّا كان من قابل قدم الرّجل، و معه جمله قد حملها من أثمانها إلى أميرالمؤمنين﴿عليه السلام﴾ فصار إليه، و أنا معه، فقال له: تخبرني أو أُخبرك؟ فقال الرّجل: بل تخبرني يا أميرالمؤمنين.

قال﴿عليه السلام﴾: «كأنّك صرت إليها، فجائتك ولاذت بك خاضعة ذليلة، فأخذت بنواصيها واحداً بعد آخر» فقال: صدقت يا أميرالمؤمنين كأنّك كنت معي، فهذا كان ففضل بقبول ما جئتك به، فقال: إمض راشداً بارك اللّه لك فيه، فبلغ الخبر عمر - بن الخطاب - فغمّه ذلك حتّى تبيّن الغمّ في وجهه، فانصرف الرّجل، و كان يحجّ كلّ سنة، و لقد أنمى اللّه ماله. قال: و قال أميرالمؤمنين﴿عليه السلام﴾ كلّ من استصعب عليه شيء من مال أو أهل أو ولد أو أمر فرعون من الفراعنة، فليستهل (فليسهل خ) بهذا الدّعآء فإنّه يكفي ممّا يخاف إن شآء اللّه تعالى».

و في **المناقب** لابن شهر آشوب رضوان اللّه تعالى عليه: «و عن زيد الشّحّام قال: قال أبو عبداللّه﴿عليه السلام﴾ في قوله تعالى: «إنّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً و لاهم ينصرون إلاّ من رحم اللّه» قال: شيعتنا الّذين يرحم اللّه و نحن و اللّه الّذين استثنى اللّه و لكنّا نغني عنهم».

و في **أُصول الكافي** - كتاب الحجّة - باب فيه نكت و نتف من التّنزيل في الولاية - بإسناده عن زيد الشّحّام قال: قال أبو عبداللّه﴿عليه السلام﴾ - و نحن في الطّريق في ليلة الجمعة -: إقرأ فإنّها ليلة الجمعة قرآناً، فقرأت: «إنّ يوم الفصل (كان) ميقاتهم أجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون إلاّ من رحم اللّه» فقال أبو عبداللّه ﴿عليه السلام﴾: «نحن واللّه الّذي رحم اللّه، و نحن و اللّه الّذي استثنى اللّه لكنّا نغني عنهم».

**أقول**: ليست لفظة «كان» في القرآن الكريم، فكأنّها زيدت من النّساخ. و قوله﴿عليه السلام﴾: «نحن و الله الّذى» كذا في أكثر النّسخ، و إفراد «الّذي» لموافقة لفظة «من» و

في بعض النّسخ «الّذين».

و في **الإختصاص** للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه - في مدح الشّيعة الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة - بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله(عليه السلام) - حديث طويل - قال: قلت: جعلت فداك زدني قال: «و الله لقد ذكركم الله في كتابه، فأوجب لكم المغفرة، فقال: «يا عبادى الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً» قال: يا أبا محمّد فإذا غفرالله الذّنوب جميعاً فمن يعذّب، و الله ما عنى غيرنا و غير شيعتنا، و إنّها لخاصّة لنا و لكم فهل سررتك يا أبا محمّد؟

**قال:** قلت: جعلت فداك زدني قال: و الله ما استثنى الله أحداً من الأوصيآء و لاأتباعهم ماخلا أمير المؤمنين(عليه السلام) و شيعته إذ يقول: «يوم لايغني مولى عن مولى شيئاً و لاهم ينصرون إلاّ من رحم الله إنّه هو العزيز الرّحيم» و الله ما عنى بالرّحمة غير أميرالمومنين(عليه السلام) و شيعته، فهل سررتك يا أبا محمّد؟» الحديث.

و في **كنز الفوائد**:بإسناده عن شعيب عن أبي عبدالله(عليه السلام) في قوله عزّ و جلّ: «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً و لاهم ينصرون إلاّ من رحم‌الله» قال: نحن و الّله الّذين رحم الله، و الّذين إستثنى، و الّذين تغني و لايتنا».

و فيه: بإسناده عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبدالله(عليه السلام) في قوله تعالى: «يوم لايغني مولى عن مولى شيئاً و لاهم ينصرون إلاّ من رحم‌الله» قال: نحن أهل الرّحمة».

و في **الإحتجاج** للطبرسيّ المازندرانيّ رحمة الله تعالى عليه: عن محمّد و يحيى إبني عبدالله بن الحسن عن أبيهما عن جدّ هما عن عليّ(عليه السلام) قال: لمّا خطب أبوبكر - غاصب الخلافة، أوّل ظالم حقّ أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام - قام أُبيّ بن كعب، فقال: يا معاشر المهاجرين - ثمّ ذكر خطبته الطّويلة في الإحتجاج على أبي بكر فى خلافة عليّ(عليه السلام) - إلى أن قال -: و أيم الله ما أهملتم، لقد نصب لكم عَلَمٌ يحلّ لكم الحلال، و يحرّم عليكم الحرام، و لوأطعتموه ما اختلفتم، و لا تدابرتم و لا تقاتلتم، و لا بريء بعضكم من بعض، فوالله إنّكم بعد لمختلفون في أحكامكم (أعقابكم خ) و إنّكم بعده

لناقضو عهد رسول اللّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و إنّكم على عترته لمختلفون إن سئل هذا عن غير من (ما خ) يعلم، أفتى بر أيه فقد أبعدتم، و تجاريتم و زعمتم الإختلاف رحمة، هيهات أبى الكتاب ذلكم، يقول اللّه تبارك و تعالى: «و لا تكونوا كالّذين تفرّقوا و اختلفوا من بعد ما جآئتهم البيّنات و اُولئك لهم عذاب عظيم» ثمّ أخبرنا باختلافكم، فقال: و لا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربّك و لذلك خلقهم» أى للرّحمة و هم آل محمّد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ الحديث.

و **في تفسير القمّي**: قوله عزّ و جلّ: «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً» قال: من والى غير أوليآء اللّه لا يغني بعضهم عن بعض، ثمّ استثنى من والى آل محمّد فقال: «إلاّ من رحم اللّه».

و **في روضة الكافي**: بإسناده عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي عبداللّه ﴿عليه السلام﴾ أنّه قال لأبي بصير: «يا با محمّد و اللّه مااستثنى اللّه عزّ ذكره بأحد من أوصيآء الأنبيآء و لا أتباعهم ما خلا أميرالمؤمنين و شيعته، فقال في كتابه و قوله الحقّ: «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون إلاّ من رحم اللّه» يعنى بذلك عليّاً و شيعته».

و **في البحار**: قال أبو تمامة: كنت عند أبي عبداللّه ﴿عليه السلام﴾ ليلة جمعة، فقال: إقرأ، فقرأت إلى أن بلغت «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون إلاّ من رحم اللّه» فقال: نحن الّذين يرحم اللّه بنا، نحن الّذين إستثنى اللّه».

و فيه: عن المفضّل عن الصّادق ﴿عليه السلام﴾ - حديث طويل - قال: «يا مفضّل! الخلق حيارى، عمهون سكارىٰ، فى طغيانهم يتردّدون و بشياطينهم و طواغيتهم يقتدون، بُصراء عميٌ لايبصرون، نطقآء بكم لا يعقلون، و رتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس، كأنّهم من مفاجاة الموت آمنون، و عن المجازات مزحزحون، يا ويلهم ما أشقاهم، و أطول غناءهم، و أشدّ بلاءهم، يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً و لا هم ينصرون إلاّ من رحم اللّه.

قال المفضّل: فبكيت لمّا سمعت منه، فقال: لا تبك تخلّصت إذ قبلت، و نجوت إذ عرفت ...» الحديث.

و في **تأويل الآيات الظّاهرة**: في قوله تعالى: «يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً» يعني إنّ يوم الفصل «لا يغني مولى» و هو السّيّد و الصّاحب «عن مولى» و هو العبد و هو كناية عن التّابع و المتبوع «شيئاً» من أحوال يوم الفصل. ثمّ استثنى قوماً فقال: «إلاّ من رحم اللّه» و هم الأئمة عليهم السّلام، فهم الموالي الّذين يغنون عن مواليهم ... لما جآء في التّأويل» ثمّ ذكر ثلاث روايات سبق ذكرها آنفاً.

**أقول**: فأعداء أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم و غاصبو حقوقهم و ظالموهم من الطّواغيت الثّلاث و أذنابهم ... هم الموالي الّذين لا يغنون عن مواليهم المردة و أتباعهم الجهلة شيئاً من أهوال يوم القيامة، و لا هم ينصرونهم من عذاب الجحيم.

و في **تفسير القمّي**: و قوله: «كالمهل» قال: المهل الصّفر المذاب «يغلي في البطون كغلي الحميم» و هو الّذي قد حمى و بلغ المنتهى، ثمّ قال: «خذوه فاعتلوه» أى إضغطوه من كلّ جانب ثمّ أنزلوا به «إلى سوآء الجحيم» ثمّ يصبّ عليه ذلك الحميم، ثمّ يقال له: «ذق إنّك أنت العزيز الكريم» فلفظه خبر، و معناه حكاية عمّن يقول له ذلك، و ذلك أنّ أباجهل كان يقول: أنا العزيز الكريم، فتعيّر بذلك في النار.

## ٥١- (إنّ المتّقين في مقام أمين)

في **تفسير القمي**: قال: ثمّ و صف ما أعدّه اللّه للمتّقين من شيعة أميرالمؤمنين﴿عليه السلام﴾ فقال: «إنّ المتّقين في مقام أمين - إلى قوله - إلاّ الموتة الاولى» يعني في الجنّة غير الموتة الّتي في الدّنيا.

و في **أُصول الكافي**: كتاب الايمان و الكفر - باب التّفويض إلى اللّه و التّوكّل عليه - الحديث: ٤- بإسناده عن عبداللّه سنان عن أبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾ قال: «أيّما عبد أقبل قُبُلَ ما يحبّ اللّه عزّ و جلّ أقبل اللّه قُبُلِ ما يحبّ، و من اعتصم باللّه عصمه اللّه، و من أقبل اللّه قُبُله و عصمه لم يبال لو سقطت السّمآء على الأرض أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض، فشملتهم بلية كان في حزب اللّه بالتّقوى من كلّ بليّة، أليس اللّه عزّ و

جلّ يقول: «إنّ المتّقين في مقام أمين».

**قوله﴿عليه السلام﴾**: «أيّما عبد أقبل قِبَلَ ...» من أقْبَل قُبْلَك - بالضّمّ - أُقصد قصدك، و قُبالته - بالضم - تُجاهه، و القَبَلُ - محرّكة -: المحجّة الواضحة، ولي قِبَلَه - بكسر القاف -: عنده و المراد إقبال العبد نحو ما يحبّه اللّٰه تعالى و يرضاه، و كون ذلك مقصوده دائماً، و إقبال اللّٰه سبحانه نحو ما يحبّه العبد توجيه أسباب ما يحبّه العبد من مطلوبات الدّنيا و الآخرة، و الإعتصام باللّٰه الإعتماد و التّوكّل عليه.

و في **قوله﴿عليه السلام﴾**: «و من أقبل اللّٰه قُبْله ...» و جهان: **أحدهما** - أن يكون «لم يبال» خبر الموصول: «من» و قوله: «لو سقطت» مستأنفاً، و «كان في حزب اللّٰه» جزاء الشّرط. **ثانيهما** - أن يكون «لم يبال» جزاء الشّرط، و مجموع الشّرط و الجزآء خبر الموصول، و «كان في حزب اللّٰه» مستأنفاً، و «في حزب اللّٰه» كناية عن الغلبة و الظّفر أى الحزب الّذين و عدهم اللّٰه نصرهم و تيسير أُمورهم كما قال تعالى: «ألا إنّ حزب اللّٰه هم الغالبون» المآئدة: ٥٦).

و لايخفى أن ظاهر أكثر المفسّرين في قوله تعالى: «إنّ المتّقين في مقام أمين» أنّ المراد وصف مقامهم في الدّار الآخرة بالأمن، و ظاهر الرّواية الدّنيا، و يمكن حمله على الأعم و لايأبى عنه الخبر، و لا يبعد أن يكون المراد أمنهم من الضّلال و الحيرة، و مضلاّت الفتن في الدّنيا، و من جميع الآفات و العقوبات في الآخرة، و عليه يحمل قوله تعالى: «ألا إنّ أوليآء الله لاخوف عليهم و لاهم يحزنون» يونس: ٦٢) إذ لايتخوّف عليهم الضّلالة بعد الهداية، و لايحزنون من مصآئب الدّنيا لعلمهم بحسن عواقبها، مع احتمال أن يكون المعنى هنا أنّ الله جلّ وعلا يحفظ المطيعين و المتّقين المتوكّلين عليه من أكثر النّوازل و المصآئب... و ينصرهم على أعدآئهم غالباً كمانصر كثيراً من الأنبيآء على كثير من الفراعنة، و كثيراً من الأوليآء على كثير من الطّواغيت، و لاينافي مغلوبيّتهم ظاهراً في بعض الأحيان لبعض المصالح و الحكم...

و في **تفسير الصّافي**: «في الكافي عن الباقر﴿عليه السلام﴾ قال: إذا أدخل أهل الجنّة الجنّة، و أهل النّار النّار بعث ربّ العزّة عليّاً﴿عليه السلام﴾ فأنزلهم منازلهم من الجنّة، فزوّجهم،

فعليّ و الله الّذي يزوّج أهل الجنّة في الجنّة، و ما ذاك إلى أحد غيره كرامة من الله و فضلاً فضّله الله و منّ به عليه».

و القمّي عن الصّادق﴿عليه السلام﴾ قال: «المؤمن يزوّج ثمان مأة عذراء و ألف ثيّب و زوجتين من الحور العين».

و في الدّر المنثور: عن أنس قال: قال رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾: «لو أنّ حوراء بزقت في بحر لجّي لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها».

وفيه: عن أنس عن النّبيّ﴿صلى الله عليه وآله﴾ قال: «يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنّة و النّار، فيعرفه هؤلآء و يعرفه هؤلآء، فيقول أهل النّار: اللّهمّ سلّطه علينا و يقول أهل الجنّة: اللّهمّ إنّك قضيت أن لانذوق فيها الموت إلاّ الموتة الاولى، فيذبح بينهما، فييأس أهل النّار من الموت، و يأمن أهل الجنّة من الموت».

وفيه: عن جابر قال: قيل: يا رسول الله أينام أهل الجنّة؟ قال: لا، النّوم أخوالموت و أهل الجنّة لا يموتون و لاينامون».

و في أُصول الكافي كتاب فضل القرآن - بإسناده عن سعد الخفاف عن أبي جعفر﴿عليه السلام﴾ - حديث طويل - أنّه قال حاكياً عن القرآن: «فيأتي الرّجل من شيعتنا الّذي كان يعرفه و يجادل به أهل الخلاف، فيقوم بين يديه، فيقول: ما تعرفني؟ فينظر إليه الرّجل، فيقول: ما أعرفك يا عبدالله، قال: فيرجع في صورته الّتي كانت في الخلق الأوّل و يقول: ما تعرفني؟ فيقول: نعم، فيقول القرآن: أنا الّذي أسهرت ليلك و أنصبت عيشك، و فيّ سمعت الأذى و رجمت بالقول فيّ، ألا و إنّ كلّ تاجر قد استوفى تجارته، و أنا وراءك اليوم، قال: فينطلق به إلى ربّ العزّة تبارك و تعالى، فيقول: يا ربّ عبدك، و أنت أعلم به قد كان نصباً بيّ مواظباً عليّ، يعادي بسببي، و يحبُّ فيَّ و يبغض، فيقول الله عزّ و جلّ: أُدخلوا عبدي جنّتي و اُكسوه حلّة من حلل الجنّة، و توّجوه بتاج، فإذا فعل به ذلك عرض على القرآن، فيقال له:

هل رضيت بما صنع بوليّك؟ فيقول: يا ربّ إنّي أستقلّ هذا له فزده مزيد الخير كلّه، فيقول: و عزّتي و جلالي و علوّي و ارتفاع مكاني لانحلنّ له اليوم خمسة أشيآءٍ مع

المزيدله، و لمن كان بمنزلته، ألا إنّهم شباب لايهرمون و أصحّآء لا يسقمون و أغنياء لا يفتقرون، و فرحون لا يحزنون و أحيآء لا يموتون. ثمّ تلا هذه الآية: «لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الاولى».

قال: قلت: يا أبا جعفر و هل يتكلّم القرآن فتبسّم، ثمّ قال: رحم الله الضّعفآء من شيعتنا إنّهم أهل تسليم، ثمّ قال: نعم يا سعد و الصّلاة تتكلّم و لها صورة و خلق تأمر و تنهى، قال: سعد فتغيّر لذلك لوني و قلت: هذا شيء لا أستطيع أتكلّم به في النّاس، فقال: أبو جعفر، و هل النّاس إلاّ شيعتنا، فمن لم يعرف الصّلاة فقد أنكر حقّنا، ثمّ قال: يا سعدا سمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلّى الله عليك، فقال: إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشآء و المنكر، و لذكرالله أكبر، فالنّهى كلام و الفحشآء و المنكر رجال، و نحن ذكرالله و نحن أكبر».

أقول: و للرّواية شروح، لا يسعها المقام و نحن على جناح الإختصار، فنشير إلى جملة و هي قول إلامام الخامس محمّد بن عليّ الباقر﴿عليه السلام﴾: «يا سعد أسمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلّى الله عليك، فقال: ...».

و في إسماع كلام القرآن وجوه:

أحدها- أن يكون تكلّم القرآن عبارة عن إلقآئه إلى السّمع ما يفهم منه المعنى، و هذا هو معنى حقيقة الكلام لايشترط فيه أن يكون صادراً من لسان لحميّ و كذا تكلّم الصّلٰاة فإنّ من أتى بالصّلٰاة بحقّها و حقيقتها نهته الصّلٰاة عن متابعة أعدآء الدّين، و غاصبي حقوق الأئمّة الرّاشدين الّذين من عرفهم عرف الله جلّ و علا و من ذكرهم ذكرالله تعالى، كما تنهى مصلّيها عن الفحشآء و المنكر كما قال الله عزّ و جلّ: «أقم الصّلاة إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشآء و المنكر و لذكرالله أكبر» العنكبوت: ٤٥).

ثانيها - أن تكون لكلّ عبادة و طاعة صورة و مثالاً تترتّب عليها آثار تلك العبادة و الطّاعة، و هذه الصّورة تظهر للنّاس يوم القيامة: «يوم ندعوا كلّ اُناس بإمامهم - و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضلّ سبيلاً» الإسراء: ٧١-٧٢).

فالمراد بقولهم عليهم السّلام في موضع آخر: «الصّلاة رجل» أنّها يوم القيامة

يتشكّل بإزائها رجل يشفع لمن رعاها حقّ رعايتها، و في الدّنيا أيضاً لا يبعد أن يخلق الله بإزآئها ملكاً أوخلقاً آخر من الرّوحانيّين يسدّد من أتى بالصّلاة حقّ إتيانها، و يهديه إلى مراشده، و كذا في القرآن و سآئر العبادات...

ثالثها - أنّه كما أنّ الجسد الانسانيّ له حياة ظاهريّة من جهة الرّوح الحيوانيّة المنبعثة عن القلب الظّاهريّ، و بها يسمع و يبصر يمشي و ينطق و يحسّ، فكذاله حياة معنويّة من جهة العلم و الايمان و الطّاعات، فالايمان ينبعث من القلب المعنويّ و يسري في سآئر الأعضآء فينوّر العين بنور آخر كما قال رسول‌الله (ﷺ): «المؤمن ينظر بنورالله و يسمع بسمع آخر».

و بالجملة أنّ الايمان يتصرّف في بدنه و عقله و نفسه و يملكه بأسره، فلايرى إلاّ الحقّ، و لا يسمع إلاّ ماينفعه، و لا يسمع شيئاً من الحقّ إلاّ فهمه و صدّقه، و لاينطق إلاّ بالحقّ، و لايمشي إلاّ للحقّ، و لايحبّ الحقّ إلاّ لكونه حقّاً، و لايبغض الباطل إلاّ لكونه باطلاً... «ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم» فالايمان نور للقلب و العقل و النّفس، و روح لذلك الجسد، و لذا قال جلّ و علا في وصف الكفّار و المجرمين، و الفجّار و المفسدين، و الفسّاق و المنافقين: «أموات غير أحيآء» النّحل: ۲۱) و قال: «لهم قلوب لايفقهون بها و لهم أعين لايبصرون بها و لهم آذان لايسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضلّ» الأعراف: ۱۷۹) و قال « يوم يقول المنافقون و المنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور» الحديد: ۱۳).

و ما ذلك إلاّ لذهاب نور الايمان من قلوبهم و جوارحهم ... و كذا الصّلاة إذا كملت فى شخص و أتىٰ بها كما هو حقّها تصرّف فى بدنه، و نوّرت قلبه و بصره و سمعه و لسانه، و منعته عن اتّباع الشّهوات، و حثّته على الطّاعات و كذا سائر العبادات و الأعمال الصّالحات... ثمّ إنّ القرآن الكريم ليس تلك النّقوش و الأوراق و الجلود... بل انّما هو مايدل عليه تلك النّقوش من الأصول و المعارف، من الأسرار و الحِكَم، من الحقائق و المبانى، و من الفروع و الأحكام... و إنّما صار الخطّ و ما ينقش عليه محترماً لايمسّه إلاّ

المطهّرون لدلالته على ذلك الكلام، و الكلام انّما صار مكرّماً لدلالته على تلك المعاني العالية الّتي أرادهاالله الملك العلام، فمن انتقش في قواه ألفاظ القرآن المجـيد، و في عـقله معارفه، و في نفسه أسراره، و في قلبه حكمه، و في وجوده حقائقه و معانيه... و اتّصف بصفاته الحسنة على ما هى فيه، و احترز عمّـا نهى الله جلّ و علاعنه فـيه، و اتّـعظ بمواعظه و نصائحه، و خاب نذوره و وعيده... و صيّر هذا الكتاب المبين خلقه، و داواى به أدوائه فهو أولى بالتّعظيم و الإكرام، بل هو وحده يليق للتّجليل و التّبجيل، حيث إنّه تكرّم بكرامة القرآن الكريم و تعظّم بعظمته، و تشرّف بشرافته، و لن يرى كرامة القرآن المجيد بنفسه...

فاذا عرفت ذلك فاعلم أنّه كما يطلق على الجسد لتعلّق الرّوح و النّفس به أنّـه إنسان فكذا يجوز أن يطلق على البدن الّذى كمل فيه الايمان، و تصرّف فيه و صار روحه أنّه إيمان، و كذا الصّلاة و الزّكاة و الحجّ و الصّوم و سائر الطّاعات ... و هذا في القرآن الكريم أظهر لانّه قد انتقش بلفظه و معناه، و اتّصف بصفاته و مؤدّاه، و احتوى عليه و تصرّف في بدنه و قواه بأسرها، فبالحريّ أن يطلق عليه القرآن الشّريف لتجلّيه فيه، و تبلوره به، و تنوّره منه.

فإذا عرفت ذلك ظهرلك سرّ الأخبار الواردة في أنّ مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ هو كلام اللّه النّاطق، هو الايمـان الصّـادق، هـو الإسلام الحقّ، و هو حقيقة الصّلاة و الصّوم، و هو حقيقة الزّكاة و الحجّ، و هو حقيقة الجهاد و الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر.

في نهج البلاغة: قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾: «و إنّ الكتاب لَمِعيَ ما فارقته مذ صحبته».

و فيه: قال الإمام﴿عليه السلام﴾: «ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق و لكن أُخبركم عنه ألا إنّ فيه علم ما يأتي، و الحديث عن الماضي، و دوآء دائكم، و نظم ما بينكم».

و فيه: قال الإمام﴿عليه السلام﴾: «و اللّه ما أسمعهم الرّسول شيئاً إلاّ وها أنا ذا اليـوم مُسمِعُكموه و ما أسماعكم اليوم بدون أسماعهم بالأمس».

و فيه: قال الإمام«عليه السلام»: «تاللّه لقد عُلِّمتُ تبليغ الرّسالات و إتمام العدات و تمام الكلمات و عندنا أهل البيت أبواب الحكم و ضيآء الأمر، ألا و إنّ شرائع الدّين واحدة، و سبله قاصدة، من أخذ بها لَحِقَ و غَنِمَ، و من وقف عنها ضلّ و ندم».

و فيه: قال الإمام«عليه السلام»: «و إنّ معي لبصيرتي ما لَبَّسْتُ على نفسي و لا لُبِّس عَلَيَّ».

و فيه: قال الإمام«عليه السلام»: «إنّما مثلي بينكم مثل السّراج في الظّلمة ليستضيء به مَن و لَجَها فاسمعوا أيّها النّاس وَعُوا، و أحْضِروا آذان قلوبكم تفهموا».

و فيه: قال الإمام«عليه السلام»: «للّه أنتم أتتوقّعون إماماً غيري يطأبكم الطّريق، و يرشدكم السّبيل».

و فيه: قال الإمام«عليه السلام»: «فو الّذي لاإله إلاّ هو إنّي لعلى جادّة الحقّ و إنّهم لعلى مزلّة الباطل».

و قس على ذلك حال أعدآئه الظّالمين الّذين غصبوا حقّه و هتكوا حرمة رسول اللّه«صلى الله عليه و آله» و حرمة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين و ماورد عنهم من الكفر و مخالفة الرّسول«صلى الله عليه و آله» في حياته«صلى الله عليه و آله» في إمارة أُسامة و في كتابة الوصيّة قبل رحلته«صلى الله عليه و آله» و من مخالفة أمر اللّه جلّ و علا في إسقاط الإرث من بضعة رسول اللّه«صلى الله عليه و آله» و منع الخمس من أهل بيت الوحي عليهم السّلام، و غصب فدك و الخلافة، و الهجمة إلى بيت الوحي و الرّسالة، و إحراقه و ضرب أهله و شهادة فاطمة الزّهرآء سلام اللّه عليها و إسقاط جنينها، و ما ظهر عن هؤلآء الطّواغيت الثّلاث و أذنابهم من الفسوق و العصيان، و الفجور والطّغيان، و الإثم و العدوان ... ولو لم تكن تلك الجنايات من هؤلآء الطّواغيت و الفراعنة ظلماً لما كان للظّلم مفهوم في العالم كلّه أصلاً و لكان قوله تعالى - العياذ باللّه -: «ألا لعنة اللّه على الظّالمين الّذين يصدّون عن سبيل اللّه و يبغونها عوجاً» هود: ۱۸-۱۹) كِذْباً و باطلاً، و لكان خلق النّار لعباً و عبثاً.

و لكن تلك الصّفات و الخبآئث و الرّذائل إستقرّت في هؤلآء الطّواغيت والفراعنة بحيث صارت أرواحهم الخبيثة ...

و لا يبعد أن يكون المراد بالصّورة الّتي يأتي يوم القيامة هو أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ فيشفع لمن قرأ القرآن لأنّه روحه كما أنّه روحه، حيث كان هو﴿عليه السلام﴾ مع القرآن و القرآن معه يدور حيثما دار، و لا يعمل بالقرآن الكريم إلاّ من يتولاّه و ينادي القرآن في الدّارين بلعن من عاداه.

ثمّ ذكر الإمام الباقر﴿عليه السلام﴾ في هذه الرّواية لرفع الإستبعاد: أنّ الصّلاة رجل، و هو أميرالمؤمنين﴿عليه السلام﴾ فهو ينهى النّاس عن متابعة من كمل فيه الفحشاء و المنكر - يعني أبابكر و عمر - على هذا لا يبعد أن يكون قوله﴿عليه السلام﴾: «اسمعك كلام القرآن»؟ أشار به إلى أنّه﴿عليه السلام﴾ أيضاً القرآن، و كلامه كلام القرآن الكريم.

و أنت إذا أحطت بذلك و فهمته إنكشف لك كثير من الأسرار و الحِكمِ و المعارف و الحقائق ... المطويّة في الكتاب المبين و في أخبار أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين، فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً و لا تكن من الغافلين.

## ﴿ بحث دقيق إستدلاليّ فقهيّ ﴾

و اعلم أنّ البحث في المقام يدور حول ثلاثة فصول:

**الفصل الأوّل:** و قد اختلفت كلمات الفقهآء قديماً و حديثاً في دخول تشديد كلمات القرآن الكريم و مدّها و همزتها و إعرابها في كتابتها ...

**فمنهم:** من قال بدخولها فيها مطلقاً. و **منهم:** من توهّم بعدم دخولها فيها مطلقاً. و **منهم:** من زعم بدخول ما عدا الأخير فيها. و منشأ ذلك هو الشّك في صدق مسّ الكتاب بمسّها و عدمه.

فرجّح بعضهم العدم مطلقاً، توهّماً بإطلاق إسم الكتاب عليه قبل ضبطه بالثّلاثة الأُولى، فضلاً عن الرّابعة، مستدّلاً بقوله سبحانه: «حمٓ و الكتٰاب المبين» الدّخان: ١-٢) و قال: «إنّ حمله على المجاز بإعتبار ما يؤول إليه خلاف الأصل، و لأنّ تحريم المسّ خلاف الأصل فيقتصر منه على موضع اليقين» إنتهى كلامه.

**أقول:** و هذا كلام عليل، منشأه قلّة التّدبّر في كلام الخالق المتعال: أمّا إطلاق إسم الكتاب عليه قبل الضّبط فلا دليل له على ذلك كما لا دليل له على أنّ تحريم المسّ خلاف الأصل مع أنّ اللّه تعالى يأمر عباده بالقرآئة الصّحيحة: «و رتّل القرآن ترتيلا - فاقرؤا ما تيّسر من القرآن» المزمل: ٤-٢٠) هل القرآئة الصّحيحة إلاّ برعاية شرآئطها ...

و من تدبّر في القرآن الكريم يجدمدّها و تشديدها و همزتها و إعرابها جزءاً من القرآن المجيد الّذي لا يمسّه إلاّ المطهّرون، فمن نذر أو أُجير بقرائة القرآن الكريم، فلا بدّمنها

كما أنّه إن نذر أو أجير بكتابتها فلا بدّمنها، و تجب رعايتها في الصّلاة ...

**الفصل الثّاني**: يستدلّ بقوله جلّ و علا: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كلّ أمر حكيم أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين - أنّى لهم الذّكرى و قد جآءهم رسول مبين - فإنّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون» الدّخان: ٣-٥ و ١٣ و ٥٨).

على حجّية ظواهر الكتاب بعد الفحص عن المخصّص أو المقيّد أو المبيّن أو المفسّر أو النّاسخ.

**الفصل الثّالث**: في تفسير الطّبري «عن همام بن الحرث أنّ أبا الدّر دآء كان يقرأ رجلاً أنّ شجرة الزّقوم طعام الأثيم، فقال: طعام اليتيم، فقال أبو الدّر دآء: قل: إنّ شجرة الزّقوم طعام الفاجر». و فيه عن همام قال: كان أبو الدّر دآء يقرىء رجلاً أنّ شجرة الزّقّوم طعام الأثيم قال: فجعل الرّجل يقول: إنّ شجرة الزّقّوم طعام اليتيم، قال: فلمّا أكثر عليه أبو الدّر دآء فرآه لا يفهم، قال: إنّ شجرة الزّقوم طعام الفاجر».

و في **الدّر المنثور**: عن عون إبن عبداللّه أنّ إبن مسعود أقرأ رجلاً انّ شجرة الزّقّوم طعام الأثيم، فقال الرّجل: طعام اليتيم، فردّدها عليه فلم يستقم بها لسانه، فقال: أتستطيع أن تقول: طعام الفاجر؟ قال: نعم قال: فافعل».

و في **الجامع لأحكام القرآن** قال القرطبي بعد نقل ذلك: «و لا حجّة في هذا للجهّال من أهل الزّيغ أنّه يجوز إبدال الحرف من القرآن بغيره لأنّ ذلك إنّما كان من عبداللّه تقريباً للمتعلّم، و توطئة منه له للرّجوع إلى الصّواب، و استعمال الحقّ و التّكلّم بالحرف على إنزال اللّه و حكاية رسول اللّه(ﷺ). و قال الزّمخشريّ:«و بهذا يستدلّ على أنّ إبدال كلمة مكان كلمة جآئز إذا كانت مؤدّية معناها» و منه أجاز أبو حنيفة القرآءة بالفارسيّة على شريطة، و هى أن يؤدّى القارىء المعاني على كمالها من غير أن يَخْرِم منها شيئاً. قالوا: و هذه الشّريطة تشهد أنّها إجازة كلا اجازة لأنّ في كلام العرب خصوصاً في القرآن الّذي هو معجز بفصاحته و غرابة نظمه و أساليبه، من لطآئف المعاني و الأغراض مالا يستقلّ بأدآئه لسان من فارسيّة و غيرها، و ما كان أبو حنيفة يحسن الفارسيّة، فلم يكن ذلك منه عن تحقّق و تبصّر».

و في تفسير طنطاوى: «وروى أنّ أبا الدّر دآء كان يقرىء رجلاً فكان يقول: طعام اليتيم، فقال: قل: طعام الفاجر يا هذا. و بهذا إستدلّوا على أنّ إبدال كلمة بكلمة جائز إذاكانت مؤدّية معناها، و لذلك أجاز أبو حنيفة القرآءة بالفارسيّة بشرط أن يؤدّى القاريء المعاني كلّها على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً. قالوا: و هذه الشّريطة تشهد أنّها إجازة كلا إجازة لأنّ كلام العرب فيه من الدّقآئق و النّظم ما لا تحلّ محلّه لغة أُخرى فيه، لا فارسيّة و لا غيرها» إنتهى كلامه.

و في الخلاف للشّيخ الطّوسي رضوان اللّه تعالى عليه - في كتاب الصّلاة - مسئلة ٩٤ -: «من يحسن الفاتحة لا يجوز أن يقر أغيرها، و إن لم يحسن الحمد وجب عليه أن يتعلّمها، فإن ضاق عليه الوقت و أحسن غيرها قرأ ما يحسن، فإن لم يحسن شيئاً أصلاً ذكر اللّه تعالى و كبّره، و لا يقرأ معنى القرآن بغير العربيّة بأىّ لغة كان، فإن فعل ذلك لم يكن ذلك قرآناً و كانت صلاته باطلة، و به قال الشّافعي.

و قال أبوحنيفة: القراءة شرط لكنّها غير معيّنة بالفاتحة، فمن أيّ موضع قرأ أجزأه و له في مقدار القراءة روايتان، المشهور عنه: أنّه يجزى ما يقع عليه إسم القرآن و إن كان بعض آية. و الثّاني: أنّه يجزي آية قصيرة، و إن أتى بالعربيّة فهو قرآن، و إن أتى بمعناه بأيّ لغة كان فهو تفسير القرآن و تجزيه الصّلاة.

و قال أبو يوسف و محمّد: إن كان يحسن العربيّة لم يجز أن يقرأ بالفارسيّة، فإن كان لايحسنها جاز أن يقرأ بلغته، فصار الخلاف في ثلاث مسائل: إحداها: هل يتعيّن الحمد أم لا، و قد مضت هذه المسئلة. و الثّانية: إذا قرأها بالفارسيّة هل يكون قرآناً أم لا، فعندنا لايكون قرآناً و عنده يكون قرآناً. و الثّالثة: إذا فعل هل تجزيه صلاته أم لا؟ فعندنا لا تجزيه و عنده تجزيه.

دليلنا على المسئلة الثّانية قوله تعالى: «و إنّه لتنزيل من ربّ العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين» الشّعراء: ١٩٢-١٩٥) فأخبر أنّه أنزل القرآن بلسان عربيّ مبين، فمن قال: إذاكان بغير العربيّة فهو قرآن فقد ترك الآية. و قال تعالى: «إنّا أنزلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون» فأخبر أنّه أنزله عربيّاً. و قال تعالى:

«و ما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه» إبراهيم: ٤).

و عند أبي حنيفة أرسل الله رسوله بكلّ لسان، و إذا ثبت أنّه بغير العربيّة لا يكون قرآناً سقط قولهم، و ثبت أنّها لا تجزي، و هي المسئلة الثّالثة لقوله(ﷺ): «لا تجـزي صلاة من لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب».

و روى عبدالله بن أبي أوفى أنّ رجلاً سئل النّبيّ(ﷺ) فقال: إنّي لا أستطيع أن أحفظ شيئاً من القرآن فماذا أصنع؟ فقال له: «قل: سبحان‌الله و الحمدلله» فلو كان معناه قرآناً لقال له: إحفظه بأيّ لغة سهل عليك، فلمّا عدل به إلى التّسبيح و التّحميد دلّ على أنّه لا يكون قرآناً بغير هذه العبارات.

و أيضاً فإنّ القرآن لا يثبت قرآناً إلاّ بالنّقل المتواتر المستفيض، و لم ينقل لا متواتراً و لا آحاداً، أنّ معناه يكون قرآناً. و أيضاً أجمعت الامّة على أنّ القرآن معجز، و إن اختلفوا في جهة إعجازه فمن بين من جعل وجه الإعجاز الفصاحة دون النّظم، و بين من اعتبرهما و بين من قال بالصّرفة. فمن قال: إنّ معنى القرآن قرآن أبطل الإجماع، و أيضاً من أتى بمعنى شعر إمرء القيس، و الأعشى، و زهير، لا يقال: أنشد شعرهم، و من ارتكب ذلك خرج عن المعقول.

و أيضاً قوله تعالى: «و لقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلّمه بشر لسان الّذي يلحدون إليه أعجميّ و هذا لسان عربيّ مبين» النّحل: ١٠٣) فالنّبيّ(ﷺ) أتاهم بالقرآن بلغة العرب، فادّعوا عليه أنّ رجلاً من العجم يعلّمه، فأكذبهم الله تعالى، فقال: هذا الّذي تضيفون إليه التّعليم أعجميّ، و الّذي أتاكم به لسان عربيّ مبين، فلو كان الكلّ قرآناً بأيّ لغة كان لم ينكر عليهم ما ادّعوه. و أيضاً فالصّلاة في الذّمّة بيقين و إذا قرأ القرآن بلفظه برئت ذمّته بيقين، و إذا قرأ بمعناه لم تبرأ ذمّته بيقين، فأوجب الإحتياط ما قلناه» إنتهى كلامه، و رفع مقامه.

أقول: و إنّ توهّم أبي حنيفة و أذنابه مردود بصراحة كثير من الآيات القرآنيّة.

منها: قوله تعالى: «فإنّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون» الدّخان: ٥٨) فقد أخبر جلّ و علا أنّه يسّر القرآن الكريم بلسان رسوله(ﷺ) و هو عربيّ مبين، فمن توهّم: إذا

كان بغير العربيّة فهو قرآن فقد أخطأ و ترك صريح كثير من آياته...

فمن أخلّ بشيء من كلمات القرآن الكريم أو حروفها أو بدّل حرفاً بحرف حتّى الضّاد بالظّآء، و الحاء بالهاء، و الذال بالزّاء و التّاء بالطاء و السّين بالثّاء... أو بالعكس بطلت تلك الكلمة، و يجب عليه إصلاحها بالإعادة، و كذا من أخلّ بحركة بنآء أو إعراب أو مدّ واجب أو تشديد أو سكون لازم، .او أخرج حرفاً من غير مخرجه بحيث يخرج عن صدق ذلك الحرف عن عرف العرب إذ قال الله عزّ و جل: «ورتّل القرآن ترتيلاً» المزّمّل: ٤).

## ﴿كلام دقيق مذهبيّ﴾

و اعلم أنّ البحث في المقام يدورحول سبع بصآئر:

**الاولى:** انّ الأشعريّ و أذنابه من مشبّهة و مجسّمة تشبّثوا بقوله سبحانه: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كلّ أمر حكيم أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين» الدّخان: ٣-٥) على أنّ الله تعالى كآئن في جهة «فوق» مستوياً على عرشه فوق أطباق الثّرى، و أنّه ينزل و يصعد و يتحرّك من مكان إلى مكان، فيحويه مكان و يخلو منه مكان...

**أقول:** و من البداهة عند من له العقل، فضلاً عن الفضل أنّ اللّه جلّ و علا ليس بجسم و لا فيه شيء من خواصّ الأجسام، فلن يوصف سبحانه بالأبعاد الثّلاثة: من طول و عرض و عمق، و لا هو ذو حركة و سكون، و لا خفّة و ثقل و لا وزن و مقدار، و لا هو محدود بجهة و لا يحويه مكان، و إن كان لا يخلو منه مكان، و لا هو معروض الحوادث من الإجتماع و الإفتراق و الحضور و الغياب، و الإنتقال و الذّهاب و الإياب... إذ كلّ ذلك من لوازم الجسم، و هي عوارض حادثة، و الله عزّ و جلّ قديم في ذاته و صفاته، منزّه عن كلّ عروض أو حدوث «ليس كمثله شيءو هو السّميع البصير» الشّورى:١١).

**في نهج البلاغة:** قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾: «الحمد للّه الّذي لا يبلغ مدحته القائلون، و لا يُحصي نعمآئه العادّون و

لا يؤدّي حقّه المجتهدون الّذي لا يدركه بُعد الهمم، و لا يناله غوص الفطن، الّذي ليس لصفته حدّ محدود و لا نعت موجود و لا وقت معدود و لا أجل ممدود - فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه، و من قرنه فقد ثنّاه، و من ثنّاه فقد جزّأه، و من جزّأه فقد جَهِلَه، و مَن جهله فقد أشار إليه و مَن أشار إليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه و من قال: فيم؟ فقد ضمّنه، و مَن قال: على مَ؟ فقد أخلى منه، كآئن لا عن حدث، موجود لاعن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنة، و غير كلّ شيء لا بمزايلة ...».

و فيه: - الخطبة: ۱۷۷ - قال الإمام﴿عليه السلام﴾: «لا يشغله شأن عن شأن، و لا يغيّره زمان، و لا يحويه مكان و لا يصفه لسان ...».

و فيه: - الخطبة: ۱۸۰ - قال الإمام﴿عليه السلام﴾: «و الحمد للّه الكائن قبل أن يكون كرسيّ أو عرش أوسمآء أو أرض أو جآنّ أو إنس، لا يُدرَك بوَهْمٍ، و لا يقدّر بفَهم، و لا يشغله سآئل، و لا ينقصه نآئل، و لا ينظر بعين، و لا يُحَدّ بأين، و لا يوصف بالأزواج، و لا يَخلق بعلاج و لا يُدرك بالحواسّ و لا يقاس بالنّاس ...»الخطبة.

**الثانية:** أن يستدلّ بقوله تعالى: «كم تركوا من جنّات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين» الدّخان: ۲۵-۲۷) على أنّ للّه عزّ و جلّ في الكفّار و المستكبرين، و الفجّار و المجرمين، و الفسّاق و المفسدين نعمة في الدّنيا كما أنّ له جلّ و علا في حقّهم نعمة في الدّين، أمّا النّعم الدّينيّة فهي خلق الحجّة الباطنة في أنفسهم، و إرسال الحجج الظّاهرة إليهم و إنزال الكتب و إقامة الدّلائل لهم، و خلق الأقدار و التّمكين و رفع الموانع ... و أمّا النّعم الدّنيويّة من القوى الظّاهرة و الباطنة و الصّحّة و السّلامة و اللذّات و المنافع ... كلّها نعمة إلهيّة يعطيها عباده مطلقاً ليبلوهم أيّهم أحسن عملاً، و لذلك سمّي ما كان لفرعون و جنوده المستكبرين من اللذّات و ما يؤدي إليها نعمه و إن جعلوها بسوء إختيارهم نقمة عليهم و سبباً لهلاكهم و دمارهم و عذابهم ...

كما قال اللّه عزّ و جلّ: «و ضرب اللّه مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم اللّه فأذاقها اللّه لباس الجوع و الخوف بما كانوا

يصنعون و لقد جآءهم رسول منهم فكذّبوه فأخذهم العذاب و هم ظالمون» النّحل:١١٢-١١٣).

و قال: «كدأب آل فرعون و الّذين من قبلهم كفروا بآيات اللّه فأخذهم اللّه بذنوبهم إنّ اللّه قويّ شديد العقاب ذلك بأنّ اللّه لم يك مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم» الأنفال: ٥٢-٥٣).

و قد صرّح جلّ و علا أنّ له تعالى في حقّ الكافرين نعماً في الدّين و الدّنيا، ردّاً على الأشاعرة المجبّرة الّذين يقولون: ليس للّه تعالى في حقّ الكافر نعمة في الدّين و لا في الدّنيا كما صرّح بذلك الفخر الرّازي - و هو من الأشاعرة - في كتابه: (شرح أسمآء اللّه الحسنى - في المسئلة الثّالثة من القسم الرّابع - و قال: «إتّفق أصحابنا على أنّه ليس للّه تعالى في حقّ الكافر نعمة في الدّين، و اختلفوا في أنّه هل للّه تعالى في حقّ الكافر نعمة دنيويّة أيضاً ام لا؟ فقال قوم من اصحابنا لأنّه ليس للّه تعالى فى حقّ الكافر نعمة دنيويّة ايضاً - إلى أن قال -: إنّما سمّى ذلك نعمة صورة لاحقيقة على معنى أنّهم لو كانوا مؤمنين لكانت هذه الأشياء نعمة ظاهراً و باطناً، و لكنّهم لمّا كانوا كافرين كانت هذه الأشياء في الظّاهر نعمة، و في الحقيقة ليست بنعمة، فإنّها صارت سبباً لبقآئهم على الكفر، و تماديهم في الطّغيان، و استحقاقهم العذاب الدّآئم، و ما يكون كذلك إمتنع أن يكون نعمة، بل ذلك بمنزلة الطّعام المسموم اللّذيذ، فإنّ ظاهره و إن كان نعمة، لكن باطنه عذاب».

أقول: و حقّاً أن الفخر الرّازيّ و أربابه المغوين، و أذنابه الغاوين أن لا يعرفوا الحقّ، و لا يدركوا الحقيقة، إذ أعرضوا عن الحقّ و أهله الّذين هم أهل بيت الوحي المعصومون صلوات اللّه عليهم أجمعين، ومالوا إلى الباطل و شربوا من مشارب أصحابه الّذين هم الظّلمة الثّلاثة غصبوا حقّ آل رسول اللّه(صلی الله علیه و آله) و هتكوا حرماته، و صدّوا النّاس عن سبيل اللّه تعالى، و لذلك قدّم الرّازيّ و من إليه من الجهلة بإسم العلمآء، قدّموا الباطل و أصحابه، على الحقّ و أهله، و قدّموا الجهل المحض و أهله على العلم المحض و أهله، و قدّموا الظّلمة على النّور و الضّلالة على الهدى، و الخبيث على الطّيّب ...

أعوذ باللّه تعالى من هؤلآء الجهّال بصورة العلمآء الّذين مثلهم كمثل الحمار يحملون أسفاراً و هم لا يعلمون أنّ البصر و السّمع و اللّسان و اليد و الرّجل ... لا تكون أسباباً لإرتكاب المعاصي و الآثام ... و إنّما هي آلات خُلِقت لسعادة أصحابها و كمالهم، و لكنّهم يرتكبون بها الفواحش و الذّنوب بسوء اختيارهم، و لو خُلِقت أسباباً لارتكاب الفواحش ... لكان كلّ إنسان ذي بصر ... مضطرّاً على الذّنوب ... من غير فرق بين واحد و واحد آخر منهم ... و لا يقول ذلك إلاّ من شرب مشارب هؤلآء الظّلمة الفجرة الّذين هتكوا حرمة رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ و ظلموا أهل بيته المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

**الثّالثة:** يستدل الشّيعة الإماميّة الإثنى عشريّة الحقّة، رافضة الكفر و الظّلَمة، و رافضة الطّواغيت و الفجرة بقوله تعالى: «و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلاّ بالحقّ و لكنّ أكثرهم لا يعلمون» الدّخان: ۳۸-۳۹) على أنّ اللّه عزّ و جلّ إنّما يفعل لغرض، و يخلق لحكمة، و يأمر لفائدة، و ينهى لمصلحة يرجع كلّها إلى المكلّفين، خلافاً للأشاعرة المجبرة تبعة الشّيطان الرّجيم إذ «قال فبما أغو يتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم» الأعراف: ۱٦).

و هؤلآء المجبّرة يقولون: لا يجوز أن يفعل اللّه شيئاً لغرض، و لا مصلحة، ترجع إلى العباد و لا لغاية من الغايات ... فلا يكون أفعال اللّه معلّلة بالأغراض، و لا يجوز تعليل أفعاله بشيء من الأغراض و العلل الغاية، و انّ الفخر الرّازيّ من هؤلآء الأشاعرة المجبّرة فراجع إلى تفسيره (ج ۱۷ ص ۱۱) و غيره من كتبه و كتب القوم المضلّين ... ولزمهم من ذلك محالات:

منها- أن يكون اللّه سبحانه لاعباً في خلقه، عابثاً في فعله، باطلاً في أمره، و لاهياً في نهيه ... فانّ العابث هو الّذي يفعل لا لغرض، و اللّاعب هو الّذي يعمل لا لحكمة... بل مجاناً، و قد قال اللّه عزّوجلّ: «و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما لاعبين ما خلقنا هما إلاّ بالحقّ و لكن أكثرهم لا يعلمون» الدّخان: ۳۸-۳۹) و قال: «و ما خلقنا السّمآء و الأرض و ما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من

النّار» ص: ٢٧) و الفعل الّذي لا لغرض للفاعل فيه يكون عبثاً و لعباً و لهواً و باطلاً، تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً.

و منها - أنّه يلزم أن لا يكون الله عزّ و جلّ محسناً إلى عباده و لا منعماً عليهم، و لا راضياً عنهم، و لا كريماً في حقّهم، و لا جواداً لهم ... و كلّ ذلك ينافي نصوص القرآن الكريم، و المتواتر من الأخبار النّبويّة، و أحاديث أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين و إجماع الخلق كلّهم من المسلمين و غيرهم، إذ لا خلاف بينهم في وصف اللّه جلّ و علا بهذه الصّفات على سبيل الحقيقة لا المجاز.

و ذلك أنّ الإحسان إنّما يصدق لو فعل المحسن نفعاً لغرض الإحسان إلى المنتفع، فإنّه لو فعله لا لذلك لما كان محسناً، و بهذا لا يوصف مطعم الدّابّة لتسمن حتّى يذبحها بالإحسان في حقّها، و لا بالإنعام عليها و لا بالرّحمة لأنّ التّعطّف و الشّفقة إنّما يثبت مع قصد الإحسان إلى الغير لأجل نفعه لا لغرض آخر يرجع إليه، و إنّما يكون كريماً و جواداً لنفع الغير للإحسان و بقصده و لو صدر منه النّفع لا لغرض، لم يكن كريماً و لا جواداً تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً.

فلينظر العاقل المنصف من نفسه: هل يجوز أن ينسب ربّه عزّوجلّ إلى العبث في أفعاله؟ و أنّه ليس بجواد، و لا محسن و لا راحم و لا كريم؟ نعوذ باللّه من مزالّ الأقدام، و الإنقياد إلى مثل تلك الأوهام ...

و منها - أنّه يلزم أن يكون جميع المنافع الّتي جعلها اللّه عزّوجلّ منوطةً بالأشيآء غير مقصودة، و لا مطلوبة للّه تعالى، بل وضعها و خلقها عبثاً فلا يكون خلق العين للإبصار و لا خلق الأُذن للسّماع، و لا اللّسان للنّطق، و لا اليد للأخذ للبطش، و لا الرِّجل للمشي، و كذا جميع الأعضآء الّتي في الإنسان و غيره من الحيوانات ... و لا خلق الحرارة في النّار للإحراق، و لا الماء للتّبريد، و لا خلق الشّمس و النّجوم و القمر للإضآئة، و معرفة اللّيل و النّهار للحساب، و كلّ ذلك مبطل للأغراض و الحكم و المصالح ... و يبطل علم الطّبّ بالكليّة، فإنّه لم يخلق الأدوية للإصلاح، و يبطل علم الهيئة و غيرها ... و يلزم العبث و اللهو في ذلك كلّه تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً.

و منها– أنّه يلزم الطّامّة العظمى، و الدّاهية الكبرى عليهم و هو: إبطال النّبوّات و الرّسالات بأسرها، و عدم الجزم بصدق أحد من المرسلين، بل يحصل الجزم بكذب الأنبيآء أجمعين، لأنّ الرّسالة و النّبوّة إنّما تتمّ بمقدمتين:

الاولى: أنّ اللّه عزّوجلّ خلق المعجزة على يدنبيّه لأجل التّصديق.

الثّانية: أنّ كلّ من صدّقه اللّه جلّ و علا فهو صادق.

و مع عدم القول بأحدهما لايتمّ دليل النّبوّة، فإنّه تعالى لو خلق المعجزة لغير غرض التّصديق لما دلّت على صدق نبيّه، إذ لافرق بين النّبيّ و غيره، فإنّ خلق المعجزة لو لم يكن لأجل التّصديق لكان لكلّ أحد أن يدّعى النّبوّة، و يقول إنّ اللّه تعالى صدّقني لأنّه خلق هذه المعجزة و تكون نسبة النّبيّ و غيره إلى هذه المعجزة على حدّ سوآء. و لأنّه لو خلقها لا للتّصديق للزم الإغرآء بالجهل، لأنّه دالّ عليه، فإنّ في الشّاهد لو ادّعى شخص أنّه رسول سلطان، و قال السّلطان: إن كنت صادقاً في دعوى رسالتك فخالف عادتك و اخلع خاتمك، ففعل السّلطان ذلك، ثمّ تكرّر هذا القول من مدّعي رسالة السّلطان، و تكرّر من السّلطان هذا الفعل عقيب الدّعوى، فإنّ الحاضرين بأجمعهم يجزمون بأنّه رسول ذلك السّلطان، كذا هنا إذا ادّعى النّبيّ الرّسالة و قال:

إنّ اللّه تعالى يصدّقني بأن يفعل فعلاً لا يقدر عليه النّاس، مقارناً لدعواي، و تكرّر هذا الفعل من اللّه تعالى عقيب تكرّر الدّعوى، فإنّ كلّ عاقل يجزم بصدقه، فلو لم يخلقه لأجل التّصديق لكان اللّه تعالى مغرياً بالجهل و هو قبيح لايصدر عنه تعالى، و كان مدّعي النّبوّة كاذباً، حيث قال: إنّ اللّه تعالى خلق المعجزة على يدي لأجل تصديقي، فإذا استحال عندهم أن يفعل لغرض كيف يجوز للنّبيّ﴿عليه السلام﴾ هذه الدّعوى؟

و انّ المقدّمة الثّانية و هى: أنّ كلّ من صدّقه اللّه عزّوجلّ فهو صادق ممنوعة عند الأشاعرة المجبرة تبعة ابليس أيضاً لاعتقادهم أنّ اللّه سبحانه يخلق الكفر و الضّلال، يخلق الشّرك و أنواع الفساد و المعاصي الصّادرة من بني آدم، فكيف يمتنع عليه تصديق الكاذب؟ فيبطل المقدّمة الثّانية عندهم أيضاً. و هذا نصّ مذهب الأشاعرة، و صريح معتقد المجبّرة ... نعوذ باللّه جلّ و علا من عقيدة أدّت إلى إبطال النّبوّات و تكذيب

المرسلين، و التّسوية بينهم و بين مسيلمة حيث كذب في إدّعاء الرّسالة ...

فلينظر العاقل المنصف و يخف ربّه و يخش من أليم عقابه و يعرض على عقله: هل بلغ كفر الكافر إلى تلك المقالات الرّديّة؟ و الإعتقادات السّخيفة؟ و هل هؤلآء أعذر في مقالاتهم أم اليهود و النّصارى الّذين حكموا بنبّوة الأنبيآء المتقدّمين عليهم السّلام، و حكم عليهم جميع النّاس بالكفر، حيث أنكروا نبوّة محمّد﴿ﷺ﴾؟ و هؤلآء قد لزمهم إنكار جميع الأنبيآء و المرسلين عليهم السّلام، فهم شرّ من اولئك، و لهذا قال الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق﴿ع﴾ حيث عدّهم و ذكر اليهود و النّصارى و المجوس: «إنّهم شرّ الثّلاثة».

في وسائل الشّيعة: بالإسناد عن عبداللّه بن يعفور عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق﴿ع﴾ - بعد ذكر حكم اليهوديّ و النّصرانيّ و المجوسيّ - قال: «و النّاصب لنا أهل البيت فهو شرّهم، بعد فإنّ اللّه تبارك و تعالى لم يخلق أنجس من الكلب، و إنّ النّاصب لأهل البيت أنجس منه».

و في العلل: باسناده عن عبداللّه بن سنان عن أبي عبداللّه﴿ع﴾ قال: ليس النّاصب من نصب لنا أهل البيت لأنّك لاتجد رجلاً يقول: أنا أُبغض محمّداً و آل محمّد، و لكنّ النّاصب من نصب لكم و هو يعلم إنّكم تتولاّنا و أنّكم من شيعتنا».

و في ثواب الأعمال: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبداللّه﴿ع﴾ قال: «إنّ نوحاً﴿ع﴾ حمل في السّفينة الكلب و الخنزير، و لم يحمل فيها ولد الزّنا، و النّاصب شرّ من ولد الزّنا» فلا يعذر المقِلّد نَفْسَه، فإنّ فساد هذا القول معلوم لمن له أدنى مسكة، و هؤلآء الأشاعرة النّاصبة معترفون بفساده أيضاً، فكيف يعتقدون به؟

نعم! إنّما نتيجة الإنحراف عن ولاية أهل بيت الوحى المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين هي فساد العقيدة، فيعتقدون بكلّ باطل، و يحسبون أنّه الحقّ.

قال اللّه تعالى فيهم: «و إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبآئنا و اللّه أمرنا بها قل إنّ اللّه لايأمر بالفحشآء أتقولون على اللّه مالا تعلمون - إنّهم إتّخذوا الشّياطين أولياء من دون اللّه و يحسبون أنّهم مهتدون» الأعراف: ٢٨-٣٠).

و منها - أنّه يلزم منه مخالفة الكتاب المبين لأنّ اللّه عزّوجلّ قد نصّ نصّاً صريحاً في مواضع عديدة من كتابه الكريم أنّه يفعل لغرض و غاية و مصلحة ونفع يصل إلى عباده لا عبثاً و لعباً و لا باطلاً و لهواً، اذ قال: «الّذي خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً» الملك: ۲).

و قال: «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلاّ ليعبدون» الذّاريات: ۵۶).

و قال: «و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما لا عبين» الدّخان: ۳۸).

و قال: «أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً» المؤمنون: ۱۱۵).

و هذا الكلام نصّ صريح في التّعليل بالغرض و الغاية و المصلحة و النّفع ... و قال تعالى «فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات أُحِلَّت لهم و بصدّهم عن سبيل اللّه» النسآء: ۱۶۰).

و قال: «لُعِنَ الّذين كفروا من بني إسرآئيل على لسان داود و عيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون» المائدة: ۷۸).

و قال: «و لو أنّ أهل القرى آمنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السّمآء و الأرض و لكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» الأعراف: ۹۶).

و أنّ الآيات الدّالّة على الغرض و الغاية في أفعال اللّه تعالى أكثر من أن تحصى، فليتّق اللّه المقِلّد في نفسه، و يخش عقاب ربّه، و ينظر فيمن يقِلّده: هل يستحقّ التّقليد أم لا؟ و لينظر إلى ما قال، و لا ينظر إلى مَن قال، و ليستعدّ لجواب ربّ العالمين، حيث قال: «أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر و جآءكم النّذير» فاطر: ۳۷).

فهذا كلام اللّه جلّ و علا على لسان النّذير المبين، و هاتيك الأدلّة العدليّة المستندة إلى العقل الّذي جعله اللّه عزّوجلّ حجّة باطنة على بريّته، و ليدخل في زمرة المهتدين الّذين قال اللّه تعالى عنهم: «فبشّر عباد الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الّذين هداهم اللّه و اولئك هم اولوا الألباب» الزمر: ۱۷-۱۸) و لا يدخل نفسه في زمرة الضّالّين الّذين قال اللّه عزّوجلّ عنهم: «ربّنا أرنا اللّذين أضلاّنا من الجنّ و الإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين» فصّلت: ۲۹).

و لا يعذر بقِصَر العمر فهو طويل على الفكر لوضوح الأدلّة و ظهورها، و لا بعدم الهادين فالرّسل متواترة، و الأئمّة المعصومون عليهم صلوات اللّه متتابعة، و العلمآء العاملون متضافرة ....

و منها - أنّه يلزم تجويز تعذيب أعظم المطيعين للّه تعالى كخاتم الأنبياء و سيّد المرسلين«صلى الله عليه وآله» بأعظم أنواع العذاب، و إثابة أعظم العاصين له كابليس و فرعون بأعظم مراتب الثّواب، لأنّه إذا كان يفعل لا لغرض و لا غاية، و لا لكون الفعل حسناً، و لا يترك الفعل لكونه قبيحاً، بل يفعل مجاناً لغير غرض، لم يكن تفاوت بين سيّد المرسلين و بين إبليس رئيس المجرمين في الثّواب و العقاب، فإنّه لا يثيب المطيع لطاعته، و لا يعاقب العاصي لعصيانه، فهذان الوصفان إذا تجرّدا عند الإعتبار في الإثابة و الإنتقام لم يكن لأحدهما أولويّة الثّواب و لا أرجحيّة العقاب دون الآخر.

أوَ يجوز لعاقل يخاف اللّه جلّ و علا و عقابه: أن يعتقد في اللّه عزّوجلّ مثل هذه العقائد الفاسدة؟ مع أنّ الواحد منّا لو نسب غيره إلى أنّه يسيء إلى مَن أحسن إليه، و يحسن إلى مَن أسآء إليه، قابله بالشّتم و السّبّ، و لم يرض ذلك منه، فكيف يليق أن ينسب ربّه إلى شيء يكرهه أدون النّاس لنفسه؟!

**الرّابعة** - أن يستدلّ بقوله جلّ و علا: «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون إلاّ من رحم اللّه» الدخان: ٤١-٤٢) على إثبات الشّفاعة للشّفعآء لمن له أهليّة للرّحمة الخاصّة الإلهيّة يوم القيامة.

و ذلك أنّ المولى هو الصّاحب الّذي من شأنه أن يتولّى معونة صاحبه على اموره... و يطلق على مَن يتولّى الأمر و على من يتولّى أمره، و المولى الأوّل في الآية الكريمة هو الأوّل، و الثّاني هو الثّاني، و أنّ الشّفاعة لا تحصل يومئذ إلاّ بأمر اللّه تعالى و إذنه. و معنى الآية الكريمة: أنّ يوم القيامة يوم لا يغني فيه وليّ عن وليّ شيئاً، و لا يدفع عنه عذاب اللّه تعالى و لا ينصره من غير أن يأذن اللّه عزّ و جلّ له فيه إلاّ مَن له أهليّة للرّحمة الخاصّة الإلهيّة، فيشفع له الشّفيع من الرّسول«صلى الله عليه وآله» أو الإمام المعصوم«عليه السلام» أو المؤمن الكامل ... إمّا بإسقاط عقابه إبتداءً أو بإعلاء درجته عنده ...

الخامسة: أن يستدل بقوله عزّوجلّ: «إنّ شجرة الزّقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنّك أنت العزيز الكريم إنّ هذا ما كنتم به تمترون» الدّخان: ٤٣-٥٠) على أنّ المعاد و العذاب جسمانيّان ردّاً على الفلاسفة المضلّة تبعة الإصطلاحات الجامدة المهملة المغوية .... فانّهم توهّموا أنّ المعاد و العذاب و الثّواب كلّها روحانيّ فحسب!

السّادسة: أن يستدل بقوله تعالى: «إنّ المتّقين في مقام أمين - يدعون فيها بكلّ فاكهة آمنين» الدّخان: ٥١-٥٥) على أنّ لأهل الجنّة إلتذاذاً فيها بالمآكل و المشارب و المناظر و المناكح ... و ما تدركه الحواس من الملذوذات ... ردّاً على مَن زعم أنّ في الجنّة بشراً يلتذّ بالتّسبيح و التّقديس من دون الأكل و الشّرب ... و هذا الزّعم مأخوذ من مذهب النّصارى الّذين زعموا أنّ المطيعين فى الحياة الدّنيا يصيرون في الدّار الآخرة ملائكة لا يطعمون و لا يشربون و لا ينكحون ...

و قد أكذب اللّه عزّوجلّ هذا الزّعم الفاسد في مواضع كثيرة من كتابه المجيد بما رغّب المؤمنين و المتّقين فيه من الأكل و الشّرب و النّكاح ... فقال: «إنّ المتقين ...» و قال: «أُكلها دآئم و ظلّها تلك عقبى الّذين اتّقوا» الرّعد: ٣٥) و قال: «مثل الجنّة الّتي وعد المتّقون فيها أنهار من مآء غير آسن و أنهار من لبن لم يتغيّر طعمه و أنهار من خمر لذّة للشّاربين و أنهار من عسل مصفّى ...» محمّد(ﷺ): ١٥) و قال: «حور مقصورات في الخيام - لم يطمثهنّ إنس قبلهم و لا جانّ - متّكئين على رفرف خضر و عبقريّ حسان» الرّحمن: ٧٢-٧٦) و غيرها من الآيات القرآنيّة الّتي تصرح بأنّ أهل الجنّة يلتذّون بالمآكل و المشارب و المناظر و المناكح و ما تدركه حواسّهم ممّا يطبعون على الميل إليه، و يدركون مرادهم بالظّفر به، و ليس في الجنّة من الإنسان من يلتذّ بغير مأكل و مشرب و ما تدركه الحواس من الملذوذات ...

فكيف استجاز من زعم أنّ في الجنّة طائفة من البشر لا يأكلون و لا يشربون و لا ينكحون ... و يتنعّمون بما به الخلق من الأعمال يتألّمون، و كتاب اللّه عزّوجلّ شاهد بضدّ

ذلك و الإجماع على خلافه، لولا أنّه قلّد في ذلك من لا يجوز تقليده أو عمل على حديث موضوع؟!

**السّابعة:** في الجمع في قوله تعالى: «و وقاهم عذاب الجحيم» الدّخان: ٥٦) قال: الطّبرسيّ المازندرانيّ رحمة اللّه تعالى عليه إستدلّت المعتزلة بهذا على أنّ الفاسق الملّيّ لا يخرج من النّار لأنّه يكون قد وقى النّار. و الجواب عن ذلك: أنّ هذه الآية يجوز أن تكون مختصّة بمن لا يستحقّ دخول النّار فلا يدخلها أو بمن استحقّ النّار فتفضل عليه بالعفو، فلم يدخلها، و يجوز أن يكون المراد «و وقاهم عذاب الجحيم» على وجه التأبيد أو على الوجه الّذي يعذّب عليه الكفّار» إنتهى كلامه.

و في التّبيان: قال الشّيخ الطّوسيّ رضوان اللّه تعالى عليه: و ليس في ذلك ما يدلّ على أنّ الفاسق الملّيّ لا يعذّب، و يخرج من النّار من حيث إنّه لا يكون قد وقى النّار لأنّه يحتمل أمرين: **أحدهما** - أن يكون ذلك مخصوصاً بمن لا يدخل النّار ممّن لا يستحقّه أو بمن عفى عنه. و **الثّاني**: أن يكون المراد «و وقاهم عذاب الجحيم» على وجه التّأبيد أو على الوجه الّذي يعذّب عليه الكفّار» إنتهى كلامه.

**أقول:** إنّ الفسق هو خروج المكلّف المأمور عن أمر ربّه، و قد كان إبليس أوّل مَن فسق ثمّ من تبعه من الإنس و الجنّ قال اللّه تعالى: «و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه» الكهف: ٥٠).

و قال: «و من لم يحكم بما أنزل اللّه فاولئك هم الفاسقون» المائدة: ٤٧).

و قال: «و لقد أنزلنا إليك آيات بيّنات و ما يكفر بها إلاّ الفاسقون» البقرة: ٩٩).

ثمّ إنّ الفاسق كالكافر المرتدّ على قسمين:

**أحدهما** - الفاسق الملّيّ و هو الّذي إنعقدت نطفته و لم يكن أحد أبويه مسلماً، ثمّ أسلم بعد البلوغ ثمّ خرج عن الإسلام و كفر به.

**ثانيهما** - الفاسق الفطريّ و هو الّذي إنعقدت نطفته و أحد أبويه مسلم، فخرج بعد البلوغ عن الإسلام، و كفر به. و قد أطلق الفاسق في القرآن الكريم على الكافر، و على المرتدّ على قسميه، و على المنافق و على مَن خرج عن أمراللّه تعالى و

رسوله(ﷺ) و كلّهم في نار جهنّم خالدون:

قال اللّه تعالى: «و قوم نوح من قبل إنّهم كانوا قوماً فاسقين» الذاريات: ٤٦).

و قال: «فاستخفّ قومه فاطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين» الزخرف: ٥٤).

و قال: «كيف يكون للمشركين عهد عنداللّه - و اكثرهم فاسقون» التّوبه: ٧-٨).

و قال: «إنّ المنافقين هم الفاسقون - إنّهم كفروا باللّه و رسوله و ماتواوهم فاسقون» التّوبة: ٦٧ و ٨٤).

و قال: «و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون» النور: ٥٥).

و قال: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون - و أمّا الّذين فسقوا فمأواهم النّار كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها» السّجدة: ١٨ - ٢٠).

# ﴿ قصّة فرعون مصر في القرآن الكريم و عِبَرها ﴾

قال اللّه عزّوجلّ: «نتلوا عليك من نبأ موسى و فرعون بالحقّ لقوم يؤمنون إنّ فرعون علا في الأرض ...» القصص: ٣-٤).

و قال: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون و جآءهم رسول كريم أن أدوّا إليّ عباداللّه إنّي لكم رسول أمين و أن لا تعلوا على اللّه إنّي آتيكم بسلطان مبين و إنّي عذت بربّي و ربّكم أن ترجمون و إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربّه أنّ هؤلآء قوم مجـرمون فأسر بعبادي ليلاً إنّكم متّبعون و اترك البحر رهواً إنّهم جند مغرقون كم تركوا من جنّات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين كذلك و أورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين و لقد نجّينا بنى إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين و لقد اخترناهم على علم على العالمين و آتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين» الدّخان: ١٧-٣٣).

و اعلم أنّ كلمة «فرعون» جآءت (٧٤) مرّة، و قصّته في (٢٧) سورة من القرآن المجيد على طريق الإجمال و التّفصيل، و لابّد لنا قبل الخوض فيها أن نشير الى حـكمة القصّة القرآنية و عِبَرها إجمالاً:

و من البداهة لأهل الخبرة أنّ الحادثة التّأريخيّة تتأثّر تأثيراً كـبيراً بـاليدالّـتى تكشف عن وجهها، و بالعين الّتى تنظر في هذا الوجه..، فهى أحياناً تكون مجرّد أنقاض متداعية قد عبث بها يد الزّمن، أو جثثاً محنطّة قد أُزيح عنها التّراب ... ثمّ هي تـارات

اخرى كآئنات حيّة متدفقة الحياة، فصيحة اللسان، واضحة البيان ... و ذلك كلّه رهن بالشّخصيّة الّتي تهتف بالحادثة، و تدعوا إليها ... فإذا كانت تلك الشّخصيّة ذات قوّة روحيّة قادرة على أن تحيل الموات حياة، جآئت إليها الأحداث - حين تهتف بها - تسعى بكلّ ما كان بين يديها و ما خلفها من مفارقات و ملابسات ... أمّا إذا كان الّذي يستدعي الأحداث التّاريخيّة ممّن ليست فيهم تلك القوى الروحيّة الخلاّقة، فإنّ أكثر مايأتيه من الأحداث هو أشباحها و خيالاتها، محملة بأتربة الحياة و غبار الزّمن!

هذا و ذلك، نراه في أعمال كتاب القصص، و خاصّة القصص التّاريخيّ ... إذ يبلغ أحدهم إلى الحدّ الّذي يجعلنا بمرأى و مشهد من أحداث قصّته، نعيشها و نشارك في صفوها و كدرها، و نطعم من حلوها و مرها ... على حين لا نرى شيئاً من هذا و لا نحسّه و لا نذوقه حين يكون عرض هذه الأحداث من عمل كاتب ليس عنده الإستعداد الذّاتي للخلق و الإبداع ...

و لقد ذكر القرآن المجيد صوراً معجزة من الإستدعاء الّذي يبعث النبض و الحياة في الهامدات فيما ذكر عن عيسى بن مريم(عليه السلام): «أنّي قد جئتكم بآية من ربّكم أنّي أخلق لكم من الطّين كهئية الطّير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن اللّه و أبرىء الأكمه و الأبرص و أحيي الموتى بإذن اللّه و أنبّئكم بما تأكلون و ما تدّخرون في بيوتكم ...» آل‌عمران: ٤٩).

كذلك فيما ذكر عن إبراهيم(عليه السلام) و دعوته لجماعة الطّير بعد أن مزّقها مزقاً، و جعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً:

«و إذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى و لكن ليطمئنّ قلبي قال فخذ أربعة من الطّير فصرهنّ إليك ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً ثمّ ادعهنّ يأتينك سعياً و اعلم أنّ اللّه عزيز حكيم» البقرة: ٢٦).

فهذه الصّور من صور الخلق - و إن كانت ممّا فضّل اللّه تعالى به على عبديه الصّالحين: إبراهيم و عيسى حين وضع على لسانيهما كلماته الّتي يحيي بها الموتى - تشير إلى أنّ في الإنسان طاقات روحيّة - و هي ممّا فضّل اللّه جلّ و علا به على كثير من عباده

الصّالحين أيضاً - منها تهب ريح الحياة على ما تتناوله أيديهم، و ما تعمل فيه جوارحهم... و في آثار العباقرة من أرباب الفنون ... مثل واضحة، و شواهد قائمة.

فانظر كيف تكون الحال حين تجيئ كلمات اللّـه تعالى في النّظم القرآني إلى الأحداث التّاريخيّة، فتمسّك بها من أعماق الزّمن، و تجمعها من وجوه الأرض، لتعرضها على الحياة من جديد في مقام العظة و العبرة ... إنّه هو البعث الّذي يعيد إلى الأحداث وجودها الّذي كان لها في الحياة قبل أن يطويها الزّمن، و يضمّها التّاريخ ... تماماً كما يبعث الموتى من القبور أو كما بعثت الطّير الّتي أماتها إبراهيم، ثمّ ردّ إلى الحياة بقدرة الخلّاق العظيم.

فالقصص التأريخيّ فى القرآن الكريم حياة مجدّدة للأحداث الّتي يعرضها القرآن المجيد، يجيئ بها إلينا، أو يجيىء بنا إليها، لم يغيّر الزّمن شيئاً من سماتها و مشخّصاتها ... و لكن كيف يمسك القرآن الكريم بهذه الأحداث؟ و بأىّ أُسلوب يعالجها حتّى يلبسها الحياة من جديد؟

## الأسلوب العرفي القصصيّ في القرآن الكريم:

ليس هناك اسلوب خاصّ يلتزمه كتاب القصّة و التّأريخ في عرض الأحداث، و تحريك الأشخاص و إنطاقها .... فهناك أكثر من اسلوب ...

و ذلك أنّ الكاتب قد يفرض نفسه على أشخاص قصّته، فينطق عنهم، و يتحدّث بلسانهم و يروى أخبارهم .... و في هذا الاسلوب يأخذ الكاتب موقفاً يمسك هو فيه بالأحداث و يحرّك الأشخاص، و يأخذ ما على ألسنتهم من كلام، فينقله عنهم مسبوقاً بقوله: قال فلان ... أو قالت فلانة ...

و قد يجعل الكاتب أشخاصه في مقام «الحضور» فيدعهم يعرضون وجودهم، و يتحدّثون بألسنتهم ... و هنا تختفي شخصيّة الكاتب، فلا يرى له ظلّ، و لا يحسب له حساب في سير الأحداث أو في تحريك الشّخصيّات، و في هذا الاسلوب تختفي من مواقف الحوار كلمة «قال» الّتي تنبّه إلى شخصيّة الكاتب، و تحدّث عن وجوده.

هاتان هما أظهر طريقتين للاسلوب القصص ...

و من تدبّر القصص القرآنيّة يجد أنّ القرآن الكريم إلتزم الطّريقة الاولى: طريقة الرّواية الّتي تؤذنك دآئماً بأنّك إنّما تسمع أخباراً قد ذهب أشخاصها في التّاريخ و انتهى دورهم في الحياة ... و أنّها في هذا العرض إنّما هي في بعث جديد قد جآئت تسعى إليك، أو أنّك في رحلة زمنيّة عبر القرون الماضية إليها ... فهى غائبة حاضرة معاً، تحدّثك بلسانها، و تسمعك قولها .... و هذه أوّل أمارة من أمارات الصّدق الّذي لا يتلبس به تمويه، أو يدخل عليه لون من ألوان الخداع و التّخييل، و هذا ما يليق بمقام القرآن الكريم و جلاله حيث يرتفع مقامه و جلاله عن أيّة شآئبة تمسّ الحقّ الّذي نزل به، أو تعلّق به ... «و بالحقّ أنزلناه و بالحقّ نزل» الإسراء: ١٠٥).

فالقصص القرآنيّ هو بعث لآثار مضت، و قص لأخبار ذهبت، فإذا عرضها، عرضها بهذا الاسلوب الغيبيّ الّذي لا يملك فيه من شارك في هذه الأحداث - من أشخاص و أشيآء -أن يظهر عياناً أو يتحدّث في «حضور» إلاّ أن يكون ذلك عن طريق التّخييل و التّمثيل! و هنا يبدو لنا سرّ من أسرار هذا التّدبير الحكيم، في التزام هذا الصّدق و تصفية المواقف التّأريخيّة من كلّ ما يشوبها، و يعرض وقآئعها للشكّ و الإرتياب ...

و ذلك أنّ اسلوب «الرّواية» الّذي إلتزمه القصص القرآني يقيم مشاعر الإنسان و أحاسيسه مع الأحداث الّتي تروي ... على مقام واحد منها، و هو أنّه إنّما يسمع أخباراً و أنّ هذه الأخبار تجيئ من جهة عالية عالمة، وسع علمها ما تحوي الأزمنة و الأمكنة ...

و أمّا اسلوب «الحضور» فإنّه يقيم النّفس من أوّل الأمر على شعور غير هذا الشّعور، و هو أنّ الإنسان إنّما يشهد و يسمع أشباحاً تلبس الأشخاص و الأحداث، و تتحدّث بأسمائها و تنطق بلسانها و تمثل على الحياة دورها ... و إذ كان النّاس متّهمين بالخداع و بالكذب - من حيث هم ناس - فكيف بهذه الأشباح الّتي يخلقها الكاتب القصصي، فينطق بإسمها، و يمثل بها دورها الّذي كان لها في الأحداث الّتي يعرضها؟

ثمّ هنا أمر آخر: و هو أنّه إذا جاز أن يكون أشخاص الحدث التّاريخيّ اُمنآء

فضلآء في أنفسهم ... فهل يكون لهم ذلك، و قد بدّل الكاتب خلقهم، و جآء بأبدال لهم، تتحرّك في الحياة باسمهم و تنطق بلسانهم؟ و إذا كان قد جاز للكاتب أن يعمل هذا في أشخاص الأحداث التّأريخيّة، أفلا يجوز له أن يعمل أكثر من هذا في أبدالها الّتي جآء بها، فيحرّك ألسنتها بما لم يجر على لسان الشّخصيّات التّأريخيّة ذاتها؟

كلّ هذا ممكن أن يقع في نفس من يقرأ أو يشهد القصّة الّتي تقوم على هذا الاسلوب «الحضوريّ» و أمّا الاسلوب «الغيبيّ» و هو اسلوب الخبر و الرّواية فلا يدخل على النّفس منه إلاّ شيئ واحد و هو الشكّ و الإرتياب في مضمون الخبر، و ذلك لا يكون إلاّ عن شكّ في أمانة ناقل الخبر و راويه... و هذا مالايمكن أن يجيئ من جهة القرآن الكريم و أخباره الّتي يحدّث بها... لأنّ هذه الأخبار القرآنيّة من عندالله جلّ و علا الّذي تنزّهت أخباره عن أيّة شائبة تشوب الصّدق... فإذا لم يكن الّذين يستمعون إلى القرآن المجيد و إلى قصصه و أخباره... إذا لم يكن هؤلآءِ مؤمنين بالله تعالى، فإنّ في آيات القرآن الكريم برهاناً ذاتياً يقوم منها شاهداً على أنّ هذا القرآن المجيد هو كلام الله جلّ و عزّ، و أنّه ليس لبشر أن يقول شيئاً مثله... فإن نزعت به نفسه إلى الشكّ و الإرتياب في أنّ هذا كلام الله تعالى، و أنّه فوق حدود البشر فليجرّب، و لير نتيجة تجربته.

## الزّمان و مكانه في القصص القرآني:

إنّ الزّمن له مكانه الملحوظ دائماً في سير الأحداث القصصيّة، و في تنميتها و إنضاجها... و خروج الحدث القصصيّ عن حدود الزّمن و قيوده يجعله في عزلة عن الحياة، و في انقطاع عن الرّوافد الّتي يتغذّى منها... أشبه بالشّجر الّتي تنفصل عن مغارسها في الأرض... حيث لا ينتظر أحد منها بعد هذا ظلاًّ و لاثمراً... و لهذا تقوم القصّة النّاجحة على ملاحظة العنصر الزّمنيّ ملاحظة دقيقة واعية، حيث تمسك الخيوط الزّمنيّة بكلّ جزئيّاتها و تحرّكها بميقات معلوم، فتطلع بها في الوقت الّذي تستدعيه الأحوال كما تبعدها عن مجال الرّوية في الوقت المناسب الّذي يستدعي اختفائها مؤقتاً أو مؤبّداً.

هذا و ليس لإستخدام العنصر الزّمنيّ، و الإنتفاع به في العمل القصصيّ قاعدة محدّدة أو اسلوب مرسوم... و إنّما هو أداة طيعة في يد الفنّان... أشبه باللّون الّذي يستعمله المصوّر، و يجريه على اللّوح الّذي بين يديه، و وضع اللّون في المكان المناسب، و بالقدر المناسب إنّما هو رَهْنٌ بما تمليه إحساسات الفنّان، و تستدعيه مشاعره... كذلك العنصر الزّمني مع الكاتب القصصيّ... يأخذ منه القدر المناسب للحال المناسب، حسب مايعتمل منه في كيانه من مشاعر و أحاسيس... و إنّ القصص القرآنّي ينظر إلى الزّمن على أنّه اليد الحاملة للأحداث و المحرّكة لها... و بغيره تهوى الأحداث و تتساقط ميتة بلا حراك.

و إنّ أحداث القرآن الكريم الّذي استخدم للاسلوب الغيبيّ في الأخبار الّتي يقصّها كلّها تطلع من آفاق القرون الماضية و الأزمان الخالية... و هذا ما يعطى مستمع القرآن أو قارئه إحساساً خاصّاً بالزّمن على صورة عامّة، هي صورة الماضي البعيد، و ليس هذا كلّ ماللزّمن في القصص القرآني... بل إنّ لكلّ قصّة فيه زمنها الخاصّ بها، بل و أجزآء هذا الزّمن الّذي يطلع جزء أجزءاً أو يختفي شيئاً شيئاً... و إنّ القصص القرآني كلّه يتّضح فيه هذا المعنى الّذي أشرنا إليه على أتمّ ما يكون و أظهره.

فإذا أخذنا قصّة فرعون طاغي مصر - مثلاً - كشاهد لهذا فإنّنانجد العنصر الزّمنى ممسكاًبها من كلّ جوانبها... فهي - كمايبدو في نظم القرآن الكريم، و في دلالة ألفاظه: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون - فأسر بعبادى ليلاً - من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين» - أحداث من الزّمن الماضي... قد إقتطعت منه، و جآئت في هذا العرض القرآنيّ لها، ثمّ نجد أجزآء هذا الزّمن تظهر حيث يستدعيها الموقف و تقتضيها داعية الحال.

هذا و ليست دلالات الزّمن منتهية عند اللّفظ الصّريح بها كساعة و ليلة و يوم و شهر و سنة و بضع سنين و ما إليها... بل إنّ للزّمن دلالات كثيرة لاتحصى، تطل من ملامح الحدث ذاته، و تبدو على سماته... كأن يكون صغيراً فنراه كبيراً أو يكون في مكان فنراه في آخر، أو يكون إبناً فنراه أباً أو طفلة فنجدها أماً، أو ذليلاً فنراه عزيزاً، أو ضعيفاً فنراه قويّاً... ففي كلّ هذا و أمثاله عناصر زمنيّة متجدّدة، متحرّكة بالأحداث، سآئرة بها

إلى مراحل و غايات... و مرّة اخرى نلفت النّظر إلى أنّ استخدام العنصر الزّمني في القصّة - تصريحاً أو تلميحاً، و على وجه الإستقلال أو التّضمين - هذا الإستخدام لايحقّق الغاية المرجوّة منه إلاّ إذا وقع ليد حكيمة قادرة على الإمساك به و إطلاقه، أو امساكه بحساب و تقدير، بحيث لا يطغى على الأحداث ذاتها، و لا يبتلعها و يطبق عليها فكيه الواسعتين المخيفتين.

و للحركة الزّمنيّة إتّجاه تتحرّك فيه، و هذا الإتّجاه هو إلى الأمام دآئماً .... إذ ليس من طبيعة الزّمن أن يتحرّك إلى الورآءِ، و أن يعود القهقرى ... و لهذا فإنّه من غير الطّبيعى أن يخرج الزّمن عن طبيعته تلك في العمل القصصيّ ... حتّى في القصص التّأريخيّ الّذي يعود بنا إلى الورآءِ، و يجدّد على الزّمن وجوده الّذي ذهب ... ففي هذا القصص تبدأ الحادثة التّأريخيّة من نقطة إنطلاق محدّدة من الزّمن، ثمّ تمضى متحرّكة إلى الأمام ... كما كان شأن ذلك الزّمن في سيره ....

هذا و يلاحظ أنّ الزّمن الّذي نتحدّث عنه في القرآن الكريم زمن مطلق من كلّ قيد إلاّ قيد الماضي، فليست لهذا الزّمن و لا لجزئياته حدود تحدّه بالنّسبة للزّمن الّذي يظلّنا، بحيث يمكن أن نعرف كم بيننا من السّنين أو القرون، و بين هذا الحدث القصصيّ أو ذاك من أحداث القصص القرآنيّ ... فذلك أمر لم يكن له أثر في الحدث القصصيّ القرآنيّ... إذ أنّ قرب هذا الحدث أو بُعده منّا في أيّ زمن من الأزمان لا يؤثر فيما يحمل الحدث من مواقع العظمة و الإعتبار إذ هو قآئم على طريق الإنسانيّة، موصول بما في الإنسان من نوازع الخير و الشرّ، و السّعادة و الشّقاء، و الهدى و الضّلالة، و الايمان و الكفر ... الّتي لا تتغيّر في أجيال النّاس، و الّتي لا تختلف في زمن عن زمن.

## المكان و مكانه في القصص القرآني:

و كما أنّ للزّمان حساباً و تقديراً في بنآء القصّة، و في ضبط حركات الأحداث و انتظام خطوها ... فكذلك الشّأن في المكان، حيث يكون هو للأحداث أشبه بالوعاء الحامل لها، على حين يكون الزّمن هو اليد الحاملة لهذا الوعآءِ، على أنّ المكان و إن كان

قوّة عاملة في تشكيل الأحداث و إبراز معالمها، فإنّه يجيئ في المنزلة بعد الزّمن بمراحل بعيدة... و ذلك أنّ الزّمن يؤثّر في الحدث تأثيراً مباشراً، سوآء أظهر الزّمن ظهور عيان على مسرح الحدث الّذي ترويه القصّة، أم لم يجرله ذكر فيه، فإنّه دآئماً منظور إليه في كلّ تطوّر، و في كلّ إنتقال بالحدث من حال إلى حال، لأنّ أيّاً من ذلك لا يتمّ إلاّ في زمن...

أمّا المكان فليس له هذا الأثر البعيد في صنع الحدث و في تطوّره... فقد يعيش الحدث و يتطوّر، و ينمو في مكان لا يتحوّل عنه، و قد يكون في إستصحاب المكان في رواية الأحداث أيّ أثر إلاّ إذا كان لهذا المكان طبيعة خاصّة يتأثّر بها الحدث، و لا يقع له هذا التّأثّر في مكان آخر...

و إنّ القرآن الكريم ينظر إلى المكان في قصصه على هذا الإعتبار أو قريب منه... فهو لا يلتفت إلى المكان و لا يجري له ذكراً... إلاّ إذا كان للمكان وضع خاصّ يؤثر في سير الحدث أو يبرز ملامحه، أو يقيم شواهد العبرة و العظة منه.

و أوضح شاهد يظهر فيه لتحديد المكان قيمة نفسيّة و روحيّة تفتقد هما الحادثة إذا هى لم تجىء في صحبة هذا المكان و لم تتلبس به - ما جآء في حديث الإسراءِ، حيث جآء ذكر الإسرآء مقترناً بالمكان الّذي بدأمنه، و الّذي انتهى إليه، فقال: «سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» الإسراء: ١).

فالمسجد الحرام في مكّة المكرّمة، و المسجد الأقصى في بيت المقدس،و بين هذين المسجدين كان مسرى النّبيّ الكريم﴿صلى الله عليه وآله﴾ ثم كان اللّيل - و هو الزّمن الّذي حدث فيه هذا الإسرآءِ - لوناً مطلوباً، و بهذا تتّضح معالم كلّها و تتحدّد و جوهه، و ليس يغني في هذا المقام أن يجهل المكان الّذي كان منه الإسراء أو الّذي إنتهى إليه، إذ تفتقد الصّورة هنا هذا اللّون الّذي يشيعه ذكر المسجدين في النّفوس من مشاعر الجلال و الإعظام، إلى ما يبعثه ذكر الليل من خشية و رهبة، يمتزجان بمشاعر الجلال و الإعظام، فيتشكّل منها جميعاً أحاسيس تشيع في نفوس المؤمنين السّعادة و الرّضا، و تبعث في قلوب الكافرين و المنافقين الحسرة و الكمد.

أمّا إذا لم يكن للمكان هذه الخاصّيّة الّتي تجعل له وضعاً متفرّداً بين الأمكنة بحيث

تهب منه على الحدث أنسام معطّرة أو أنفاس محترقة، فإنّ القرآن الكريم لا يلتفت إليه و لا يجعل له ذكراً.

هذا و يلاحظ أنّ المكان الّذي نعنيه في القصص القرآنيّ مكان - مجرّد مكان - بلاحدود و لا قيود... و ذلك في الأعمّ الأغلب من الأمكنة الّتي ذكرها القرآن المجيد في قصصه... و قد يذكر القرآن الكريم المكان ذكراً محدّداً، كمصر و مدين، و الطّور و الأحقاف... و هنا يكون لهذا الذّكر داعية في تلوين الحدث القصصي بلون خاصّ ينفض عليه من هذا المكان، فتبرز فيه من ملامح و آثار، تقوى من دواعي العبرة و العظة الّتي يحملها.

و نذكر لهذا مثلاً:

في قصّة يوسف(عليه السلام) تحدّد المكان الّذي حمل إليه «يوسف» و أنّه مصر: «و قال الّذي اشتراه من مصر لإمرأته أكرمي مثواه - فلمّا دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه و قال ادخلوا مصر» يوسف(عليه السلام): ٢١ و ٩٩).

و في هذا ما يشير إلى تلك الغربة النّائية الّتي فصّلت بين يوسف و أهله... فأين أرض كنعان بالشّام، حيث أبوه و أهله، من أرض مصر الّتي استقرّ فيها؟

ثمّ إنّه كان لابدّ من أن يذكر ذلك المكان «مصر» الّذي استقرّ فيه يوسف، و الّذي سيكون مسرحاً لأحداث كثيرة ستقع في هذه القصّة، و أهمّ هذه الأحداث حُلُم «فرعون» و تأويل يوسف له، ثمّ قيام يوسف على تدبير شئون الحياة في مصر خلال تلك الأزمنة العصيبيّة، ثمّ مجييء يعقوب و بنيه آخر الأمر إلى مصر و استقرارهم بها، و تكوين النّواة الّتي اجتمع عليها بنوإسرائيل في مصر، و الّتي إنتهى أمرهم فيها إلى يد فرعون الطّاغي الّذي أخذهم بالبأسآءِ و الضّرّآءِ، حتّى بعث اللّه تعالى موسى(عليه السلام) لإستنقاذهم من يده ... و في هذا ما فيه من تذكير لاولئك اليهود الّذين كانوا يقيمون بالمدينة، و الّذين استقبلوا الدّعوة الإسلاميّة باللّجاج و العناد، و أنّ الحال يقتضيهم أن يذكروا فضل اللّه عليهم فيا امتنّ به على آبآئهم، بما بعث فيهم من رسول نجاهم من العذاب المهين، و هذا رسول كريم هو محمّد(صلى الله عليه و آله) قد جآء ليخلص النّاس من العمى و

الضّلالة، و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور، فإن لم يستجيبوا له فإنّهم لابدّو أن يغرقوا في هذا الضّلال الّذي يطبق عليهم من كلّ مكان.

و إذن فالزّمان أوّلاً و المكان ثانياً عنصران عاملان في بنآءِ القصّة، و في تحريك أحداثها و في إلباسها أثواباً من الواقع الّذي يشدّ النّاس إليها و يدنيهم منها ... أمّا القدر الّذي تشتمل عليه القصّة منهما فهو رهن بالأحداث ذاتها، و بقدرة الكاتب على تلوين قصّته بهما، و وضع القدر المناسب في المناسب.

الأسمآء و المسمّيات:

و من العناصر البارزة في مادّة القصّة، و في مسّها بلمسات الحياة ... ذِكْر أسماء الأشخاص إذا كان لازماً، و ذكر مالهم من صفات جسديّة أو نفسيّة أو عقليّة نفياً أو إثباتاً، و سلباً أو إيجاباً .... فذلك من شأنه أن يرفع لعيني القارىء أو السّامع للقصّة صوراً حيّة، لها وجود حقيقيّ، أو ما يشبه أن يكون حقيقيّاً، و ليس أدلّ على ذلك من أنّ هؤلآء الأشخاص الّذين تعرضهم القصّة يحملون هذه الأسمآء الّتي كانوا يعيشون بها في النّاس، و في الحياة، معروفين بها، مميّزين عن غيرهم، بما تميّز به الأعلام أصحابها ... أو الأعداء أعدآئهم ...

و قد جآئت في قصّة فرعون طاغي مصر، العناصر الثّلاثة: الإسم، و الزّمان و المكان فلا بدّلنا البحث فيها جميعاً بحول اللّه تعالى و قوّته.

## ﴿فرعون طاغي مصر و مولده﴾

قال اللّه تعالى: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون - من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين» الدّخان: ١٧ و ٣١).

و قد سبق معنى «فرعون» في بحث اللّغة من تفسير هذه السّورة مستقصىً فراجع.

قال اللّه عزّوجلّ: «إذهب إلى فرعون إنّه طغى» النّازعات: ١٧).

و في البحار: عن أبي الحسن الرّضا﴿عليه السلام﴾ ذكر قول اللّه: «يا فرعون» يا عاصى».

قال الجوهري: «فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر و هو عات، و كلّ عات فرعون. و العتاة الفراعنة. و في الحديث: «أحدنا فرعون هذه الأمّة» يعني أباجهل».

و في معاني الأخبار: بإسناده عن سفيان بن سعيد قال: سمعت أبا عبداللّه جعفربن محمّد الصّادق﴿عليه السلام﴾ يقول: «و إنّ اللّه عزّوجلّ قال لموسى و هارون عليهما السّلام: «إذهبا إلى فرعون إنّه طغى ...» يقول اللّه عزّوجلّ: كنّياه و قولا له: يا أبا مصعب ...» الحديث.

و في العلل: بإسناده عن إبن أبي عمير قال: قلت لموسى بن جعفر﴿عليه السلام﴾:

أخبرني عن قول اللّه عزّوجلّ لموسى: «إذهبا إلى فرعون إنّه طغى ...» فقال(ع): أمّا قوله: «فقولا له قولاً ليّناً» أي كنّياه و قولا له: يا أبا مصعب و كان إسم فرعون أبا مصعب الوليد بن مصعب ...» الحديث.

و في تفسير محاسن التّأويل: «إنّ فرعون لقب لمن ملك مصر كافراً ككسرى لملك الفرس، و قيصر لملك الرّوم، و تبّع لمن ملك اليمن كافراً، و لعتوّه إشتقّ منه تفرعن الرّجل إذا عتا و تمرّد».

و في تفسير إرشاد العقل السّليم: «كان فرعون موسى(ع) مصعب بن ريّان، و قيل: إبنه وليداً من بقايا عاد و كان فرعون يوسف ريّان، و كان بينهما أكثر من أربعمأة سنة».

و في تفسير جامع البيان للطبري: «أمّا فرعون موسى الّذي أخبر اللّه تعالى عن بني إسرائيل أنّه نجاهم منه، فإنّه يقال: إنّ إسمه الوليد بن مصعب بن الرّيّان، و كذلك ذكر محمدبن إسحق أنّه في اسمه. كان فرعون من سلالة عمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوح، و كنيته أبومرة، و أصله فارسيّ من إصطخر».

و في تفسير لباب التّأويل: «كان إسم فرعون الّذي أُرسل إليه موسى(ع) الوليد بن مصعب بن الرّيّان، و كان ملك القبط».

و في تفسير البحر المحيط: «من كان ملك مصر يقال له: فرعون كنمرود في يونان و قيصر في الرّوم، و كسرى في فارس، و النّجاشي في الحبشة، فعلى هذا لا يكون فرعون و أمثاله علماً شخصيّاً، بل يكون علم جنس كأُسامة و ثعالة».

و في تفسير الفخر الرّازي: «كان إسم فرعون قابوس».

و في كتاب الخطط المقريزية: «ظلما بن قومس فرعون موسى(ع) يقال: إنّ إسمه الوليد بن مصعب بن أراهون بن الهلوت بن قاران عمروبن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح(ع) و إنّه من العمالقة و كان قصيراً طويل اللّحية، أشهل العين اليمنى صغير العين اليسرى، أعرج، و زعم قوم أنّه من القبط، و أنّ نسبته و

نسب أهل بيته مشهور عندهم».

و في تاريخ اليعقوبي: «وُلِد موسى بن عمران بن قهث بن لاوي بن يعقوب بمصر في زمان فرعون الجبّار و هو الوليد بن مصعب، و يقال: كان إسمه ظلمي. و بنو إسرائيل يومئذ بمصر قد أقاموا من زمان يوسف في الرّقّ و العبوديّة».

و فيه - «فاختلفت الرّواة في نسبه، فقالوا: هو رجل من لخم، و قالوا من غيرها من قبائل اليمن، و قالوا من العمالقة، و قالوا من قبط مصر يقال له: ظلما».

و في تاريخ الطّبري «و كان فرعون مصر في أيّامه (موسى) قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثّاني، و كانت إمرأته آسية إبنة مزاحم بن عبيدبن الرّيّان بن الوليد فرعون يوسف الأوّل، فلمّا نودى موسى أعلم أنّ قابوس بن مصعب قدمات، و قام أخوه الوليد إبن مصعب مكانه، و كان أعتى من قابوس و أكفر و أفجر... و يقال: إنّ الوليد تزوّج آسية إبنه مزاحم بعد أخيه».

و في الكامل لإبن الأثير: «و كان فرعون مصر في أيّامه (موسى) قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثّاني، و كانت إمرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الرّيان بن الوليد فرعون يوسف الأوّل، و قيل: كانت من بني‌إسرائيل. فلمّا نودى موسى أعلم أنّ قابوس فرعون مصر مات و قام أخوه الوليد بن مصعب مكانه، و كان عمره طويلاً و كان أعتى من قابوس و أفجر ... و يقال: إنّ الوليد تزوّج آسية بعد أخيه».

و أقول: إنّ فرعون موسى على ما عيّنه كثير من علمآءِ الآثار اليوم إسمه: «ريّان‌ابا».

و في كتاب المِخلاة للشّيخ البهائى العاملى رضوان الله تعالى عليه - يليه كتاب سكردان السّلطان لإبن أبي حجلة أحمد بن يحيي التلمساني المتوفّى سنة ٧٧٦ هـ ق في الباب الثّاني في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في قصّة موسى﴿عليه السلام﴾ و فرعون (ص ٤٢٤) قال ما لفظه: « أقول: و قبل ذكر قصّة فرعون و غرفة نذكر نبذة من سيرته و مبدأ ولايته و صفته. قال وهب: كان فرعون قصيراً طول ليحته سبعة أشبار. و قيل: كان

طوله قدر ذراع. قال إبن المبارك: كان فرعون عطاراً بإصبهان، فأفلس و ركبه الدَّين، فخرج منها هارباً من الدَّين، فأتى الشّام فلم يستقم حاله، فجآء إلى مصر فرأى على باب المدينة حمل بطّيخ، فسئل عن سعره، فقيل له: هذا بدرهم، فدخل المدينة فسئل عن البطّيخ، فقيل له: كل بطّيخة بدرهم، فقال: من ههنا أقضى ديني، فاشترى حملاً بدرهم، و أتى باب المدينة فنهبه البوّابون، فما بقى منه إلاّ واحدة فباعها بدرهم، فقال: ما هذا؟ ما ههنا أحد ينظر في مصالح النّاس! فقالوا له:

ملكنا مشغول بلذّته، و فوّض الامور إلى الوزير، و هو لا ينظر في شيء، فخرج فرعون إلى المقابر، فجعل لا يمكن أحداً من الدّفن إلاّ بخمسة دراهم، فأقام على ذلك مدّة لم يعترض له أحد، فماتت بنت الملك، فقال: هاتوا خمسة دراهم، فقالوا: و يحك هذه بنت الملك؟ فقال: هاتوا عشرة دراهم، فلم يزل يضعفها إلى أن بلغت مأة درهم فاخبروا الملك بحديثه، فقال: و من هذا؟ فقالوا: عامل الأموات، فأرسل إلى الوزير فسئل عنه، فأنكر حاله، فأرسل إليه الملك و قال له: من أنت ؟ فأخبره بخبر البطّيخ، و قال: ما عملت عامل الأموات إلاّ ليصل إليك خبري و تحضرني فأنصحك لتستيقظ لنفسك، و لتحفظ ملكك و إلاّ ذهب منك، فاستوزره و قتل الوزير، فسار في النّاس سيرة حسنة، و كان عادلاًسخيّاً يقضى بالحقّ و لو على نفسه، فأحبّه النّاس فتوفّى الملك فولّوه عليهم، فعاش زماناً حتّى مات منهم ثلاثة قرون و هو باق فبطر و تجبّر و طغى و قال: «أنا ربّكم الأعلى».

و قال المحقق البارع، آية اللّه السّيّد محمود الموسوى الدهسرخيّ الاصفهاني في كتابه الشريف: «مفتاح الكتب الأربعة: ج ۲٥ ص ۲۰٦ الطبعة الاولى» ما لفظه: «فرعون اصفهانيّ قال في كتاب محاسن اصفهان ص ۲۱: خيار اصفهان من خيار النّاس، و شرارها من شرار الناس، و لم أرَغِنيً من ذكر عدّة منهم من الجاهلين و الإسلاميّن وسع أمرهم أقاليم و نالوا من الدّين و الدّنيا المنال العظيم إذا و فى عدّ الجميع على الإحطآء و ضاق عن استغراقهم نطاق الاستقصاء فمن الجاهليين الّذين استفحل شأنهم

و استعلى شأنهم من الملوك (فرعون ذو الأوتاد الّذين طغوا في البلاد) نجم من خوزان ماربين فبلغ من الملك الرتبة الرفيعة و ترقى الذّروة المنيعة حتّى اوهم ما أوهم من الطّغيان و سوّل ما سوّل من العصيان و غرّ بمصر و تخته و الأنهار تجرى من تحته متقيلا خطوات الشّيطان و متقولاً كلمات البهتان و استشرى أشراً و لم يحسب نفسه بشراً و قال: «أنا ربّكم الأعلى و من ربّكما يا موسى» و أمر ببناء الصّرح المستغنى عن الوصف و الشرح» إنتهى.

## ﴿مصر و عدد فراعنته﴾

قال الله تعالى: «إهبطوا مصراً فإنّ لكم ما سئلتم و ضربت عليهم الذّلّة و المسكنة و بآؤا بغضب من الله ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النّبيّين بغير الحقّ ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون» البقرة: ٦١).

و اعلم أنّ كلمة « مصر» جآئت في القرآن الكريم خمس مرّات على التّرتيب التّالي: ١- سورة البقرة: ٦١). ٢- سورة يونس: ٨٧). ٣-٤ -سورة يوسف: ٢١ و ٩٩). ٥- سورة الزّخرف: ٥١).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ في خطبته بالكوفة.... « و إنّ لكم في القرون السّالفة لعبرة، أين العمالقة و أبنآء العمالقة! أين الفراعنة و أبنآء الفراعنة! أين أصحاب مدآئن الرّسّ الّذين قتلوا النّبيّين، و أطفئوا سنن المرسلين، و أحيوا سنن الجبّارين! أين الّذين ساروا بالجيوش و هزموا بالالوف، و عسكروا العساكر و مدّنوا المدآئن...».

في شرح الحديد: قوله﴿عليه السلام﴾: «أين الفراعنة و أبنآء الفراعنة» جمع فرعون و هم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الرّيّان فرعون يوسف، و منهم الوليد بن مُصْعب، فرعون موسى، و منهم فرعون بن الأعرج الّذي غزا بني إسرائيل و أخرب بيت المقدّس».

أقول: إنّ المتأخّرين من المحقّقين يرون لمصر ثلاث أدوار تأريخيّة:

الاولى: عصر الفراعنة القديمة من: (٢١٥٥-٢٦٦٤ ق.م)

**الثّانية:** عصرالفراعنة الوسطى من: (١٧٨٦-٢٠٥٢ ق.م)

**الثّالثة:** عصر الفراعنة الجديدة أو المتأخّرة من: (١٠٧٢- ١٥٥٤ ق.م)

**في تأريخ اليعقوبي** - ملوك مصر من القبط و غيرهم - «و كان بيصر بن حام بن نوح، لمّا خرج من بابل بولده و أهل بيته، و كانوا ثلاثين نفساً، أربعة أولاد له و هم: مصر، و فارق، و ماح و ياح، و نسآؤهم و أُولادهم قد سارىهم إلى منف - مدينة منف كانت في غربي النّيل على مسافة إثني عشر ميلاً من مدينة فسطاط مصر، و هي أوّل مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطّوفان و صارت دار المملكة بعد مدينة أمسوس- و كان بيصر قد كبر و ضعف، و كان مصر أكبر ولده و أحبّهم إليه، فاستخلفه و أوصاه بإخوته، و اقتطع مصر لنفسه و ولده، مسيرة شهرين من أربعة أوجه، و كان منتهى ذلك من الشّجرتين بين رفح و العريش إلى أسوان طولاً، و من برقة إلى إيلة عرضاً. و أقام مصر متملّكاً بعد أبيه دهراً، و كان له أربعة أولاد وهم: قفط، و اشمن، و اتريت، و صا، فقسّم لهم شطّ النّيل، و قطع لكلّ واحد قطيعة يحوزها هو و ولده.

ثمّ ملك بعد مصر قفط بن مصر، ثمّ ملك اشمن بن مصر، ثمّ ملك اتريب إبن مصر، ثمّ ملك صابن مصر، ثمّ ملك تدارس بن صا، ثمّ ملك ما ليق إبن تدارس، ثمّ ملك حرايا بن ماليق، ثمّ ملك أخوه ماليا بن حرايا، ثمّ ملك لوطس بن ماليا، فلمّا حضرت لوطس الوفاة ملكت إبنته حوريا، فلمّا حضرت حوريا الوفاة ملكت بنت عمّ لها يقال لها: زالفا بنت مأموم.

و كان أولاد بيصرقد كثروا و امتلأت البلاد منهم، فلمّا ملّكوا النّساء طمعت فيهم العمالقة ملوك الشّام، فغزاهم ملك العمالقة و هو يومئذ الوليد إبن دومع، و وطىء البلاد، فرضوا أن يملّكوه عليهم، فأقام دهراً طويلاً، ثمّ ملك بعده آخر من العمالقة يقال له: الرّيّان بن الوليد و هو فرعون يوسف، ثمّ ملك آخر من العمالقة يقال له: دارم بن الرّيّان، ثمّ ملك بعده كاسم بن معدان، ثمّ ملك فرعون موسى و هو الوليد بن مُصعب و هو الّذي كان من أمره مع موسى ما قد قصّه الله جلّ و عزّ، فعاش عمراً طويلاً و عتا و بغي، حتّى قال: «أنا ربّكم الأعلى».

ثمّ غرّقه الله و جنوده في بحر القلزم، فلمّا غرّق الله فرعون و من معه لم يبق في البلد إلاّ الذّرّيّة و العبيد و النّسآء، فاجتمع رأيهم على أن يملّكوا إمرأة يقال لها: دَلوكة، فخافت أن يتخطّى إليها ملوك الأرض، فبنت حائطاً يحيط بأرض مصر من القرى و المزارع و المدن، و عملت أعمالاً كثيرة و كان ملكها عشرين سنة.

ثمّ ملكت (ملك ظ) در كون بن بلوطس، ثمّ ملك بودس بن در كون، ثمّ ملك لقاس بن بودس، ثمّ ملك دنيا بن بودس، ثمّ نمادس بن مرينا، فطغى و عتا، فقتلوه، ثمّ ملك بلوطس بن مناكيل، ثمّ ملك ما ليس بن بلوطس، ثمّ ملك نوله بن مناكيل، و هو فرعون الأعرج الّذي سبى ملك بيت المقدس، و صنع ببني إسرائيل مالم يصنعه أحد و عتا، و بلغ مبلغاً لم يبلغه أحد قبله بعد فرعون، فصرعته دابّته، فدقّت عنقه.

ثمّ ملك مرينوس، ثمّ ملك نقاس بن مرينوس، ثمّ ملك قومس بن نقاس، ثمّ ملك مناكيل إددامه الأعرج، و هو لحسارنبر الّذي غزاه بخت نصّر، فهزمه، و خرّب مصر، و سبى أهلها، فأقاموا بعد ذلك يملكهم الرّوم، فتنصّروا في ذلك الوقت، ثمّ غلبت فارس على الشّام في أيّام أنوشروان، فملكوهم عشرسنين، ثمّ ظهرت الرّوم، فكان أهل مصر يؤدّون إلى الرّوم خراجاً و إلى فارس خراجاً، يدفعون شرّالفريقين. ثمّ خرجت فارس عن الشّام، و صار أمرهم إلى الرّوم، فدانوا بدين النّصرانيّة».

و قال بعض المحقّقين من المؤرّخين: «و قد كانت فراعنة مصر ستّة و عشرين نفراً، و لم يكن كلّهم من الجبابرة، و كان في زمن طويل مَن يحكم على مصر يسمّى فرعون».

و في مروج الذّهب: «قال المسعودي: و الّذي اتّفقت عليه التّواريخ -مع تباين ما فيها- أنّ عدّة ملوك مصر من الفراعنة [و غيرها] اثنان و ثلاثون فرعوناً، و من ملوك بابل ممّن تملك على مصر خمسة، و من ملوك بابل (و من ملوك مأرب وهم العملاقيون خ) و هم العماليق الّذين طرأوا (ظهروا خ) إليها من بلاد الشّام أربعة، و من الرّوم سبعة، و من اليونانيّين عشرة، و ذلك قبل ظهور السّيّد المسيح﴿عليه السلام﴾ و ملكها اُناس من الفرس من قبل الأكاسرة، و كان مدّة من ملك مصر من الفراعنة و الفرس و الرّوم و العماليق و اليونانيّين ألف (ألفي خ) سنة و ثلاثمأة سنة».

«قال المسعودي: سئلت جماعة من أقباط مصر بالصّعيد و غيره من بلاد مصر من أهل الخبرة عن تفسير «فرعون» فلم يخبروني عن معنى ذلك، و لا تحصّل لي في لغتهم، فيمكن و الله أعلم أنّ هذا الإسم كان سمة ملوك تلك الأعصار (الأمصار خ) و أنّ تلك اللّغة تغيّرت كتغيّر الفهلويّة،و هي الفارسيّة الاولى إلى الفارسيّة الثّانية، و كاليونانيّة إلى الرّوميّة، و تغيّر الحميريّة و غير ذلك من اللّغات».

و في الخطط المقريزيّة: «و قال إبن عبد الحكم عن عبدالله بن لهيعة: أوّل من سكن بمصر بعدأن أغرق‌الله قوم نوح﴿عليه السلام﴾ بيصربن حام بن نوح، فسكن منف و هي أوّل مدينة عمرت بعد الطّوفان هو و ولده و هم ثلاثون نفساً منهم أربعة أولاد قد بلغوا و تزوّجوا و هم مصر و فارق و ماج و باج بنو بيصر، و كان مصر أكبرهم، فبذلك سميّت مافه، و ما فه بلسان القبط ثلاثون، و كانت إقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم، و نقروا هناك منازل كثيرة».

و قال بن جرداويه في كتاب المسالك و المالك: و مدينة منف هي مدينة فرعون الّتي كان ينز لها و اتّخذ لها سبعين باباً من حديد، و جعل حيطان المدينة من الحديد و الصّفر، و فيها كانت الأنهار تجري من تحت سريره و هي أربعة. و يروى أنّ مدينة منف كانت قناطر و جسوراً بتدبير و تقدير حتّى أنّ المآء ليجري تحت منازلها و أفنيتها، فيحبسونه كيف شآؤا و يرسلونه كيف شآؤا فذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون: «أليس لي ملك مصر و هذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون» الزّخرف: ٥١).

و كان بها كثير من الأصنام لم تزل قائمة إلى أن سقطت فيما سقط من الأصنام في السّاعة الّتى أشار فيها النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾ إلى الأصنام يوم فتح مكّة بقضيب في يده، و هو يطوف حولها، و يقول: «جآء الحقّ و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً» الإسراء: ٨١) فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلاّ وقع لقفاه و لا أشار لقفاه إلاّ وقع لوجهه، حتّى ما بقى منها صنم إلاّ وقع، و في تلك السّاعة سقطت أصنام الأرض من الشّرق إلى الغرب، و بقى أصحابها متعجّبين لا يعلمون لها سبباً أوجب سقوطها، و بقيت أصنام مدينة منف ساقطة من ساعته، و فيها الصّنمان الكبيران المجاوران للبيت الأخضر الّذي كان به صنم

العزيز، و كان من ذهب، و عيناه ياقوتتان لا يقدر على مثلها ثمّ قطعت الأصنام، و البيت الأخضر من بعد سنة ستّمأة.

و في كتاب **سكردان السّلطان**: «قال قتادة: الفراعنة ثلاثة: أوّلهم سنان الأشل، صاحب سارة، كان في زمن الخليل بمصر، الثّاني الرّيّان بن الوليد و هو فرعون يوسف الثّالث الوليد بن مُصْعب و هو فرعون موسى».

و فيه: قال إبن أبي حجلة أحمد بن يحيي التّلمساني: «ذكر صاحب كتاب البستان الجامع لتاريخ الزّمان: أنّه كان للتّرك ملوك يقال لهم: الخاقانيّة، و للدّيلم ملوك يقال لهم: الكاسانيّة، و للفرس ملوك يقال لهم: الأكاسرة، و للرّوم ملوك يقال لهم: القياصرة، و للأنباط ملوك يقال لهم: النّماردة، و للعرب ملوك يقال لهم: التّبابعة، و للقبط ملوك يقال لهم: الفراعنة، بادوا جميعاً و انقرضوا سريعاً، فنسيت أخبارهم، و درست آثارهم، فلم يبق لهم حديث يروى و لا تأريخ يتلى».

و فيه: «قال صاعد في طبقات الامم: إنّ أهل مصر كانوا أهل ملك عظيم في الدّهور الخالية، و الأزمان السّالفة، و كانوا أخلاطاً من النّاس ما بين قبطيّ و يونانيّ، و عملقيّ إلاّ أنّ أكثرهم قبط، و أكثر مَن ملك مصر الغربآء...».

# ﴿إقامة بني إسرائيل بمصر و استبداد فرعون﴾

قال اللّه تعالى: «فلمّا دخلوا على يوسف آوىٰ إليه أبويه و قال ادخلوا مصر إن شآء اللّه آمنين» يوسف: ٩٩).

نزل يعقوب إسرائيل اللّه بأولاده مصر في زمن يوسف﴿عليه السلام﴾ و لمّا قاموا في مصر، خيّرهم فرعون في الأرض الّتي ينزلون بها، فقالوا – بنآءً على تعليم يوسف لهم –: إنّهم رعاة ماشية فطلب يوسف﴿عليه السلام﴾ آنذاك من فرعون ملك مصر أن يسكنهم أرض جاسان أو جاشان و هي في شمال بلبيس من مدنها سفط الحنة الآن، و يقول المؤرّخون: إنّها نواحي الصّالحيّة، و كانت العلّة في طلب يوسف ذلك لهم أنّها أرض مراع، و هم رعاة ماشية، أو طلب ذلك لهم ليبعدهم عن مخالطة المصر يين بقدر الإمكان، حتّى يكونوا بمنجاة من وثنيّتهم حرصاً منه على بقاء ذراريهم على التّوحيد، و ذلك أنّ المصريّين كانوا يقذرون الرّعاة و لا يخالطونهم لأنّ ذلك نجاسة لديهم.

فأسكن يوسف أباه و إخوته، و أعطاهم ملكاً في مصر في أفضل الأرض من أرض رعمسيس كما أمر فرعون، و عال يوسف أباه و إخوته و كلّ بيت أبيه و رتّب الطّعام على حسب الأولاد... و قد عاش يعقوب سبعاً و أربعين و مأة سنة، و مات على رأس سبع عشرة سنة من قدومه إلى مصر، و بارك إبني يوسف «أفرايم و مسّني» و دعا لهما، و جعلهما صاحبي نصيبين كأولادِ يعقوب الصّلبيين في الأرض المقدّسة الّتي يملكها بنو إسرآئيل – و هي أرض فلسطين – و دعا أولاده و باركهم و تنبأهم بما سيلاقي كلّ

واحد منهم و نسله إجمالاً، و أو صاهم بالإستمساك بالدّين: «أم كنتم شهدآء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك و إله آبآئك إبراهيم و إسمعيل و إسحق إلهاً واحداً و نحن له مسلمون» البقرة: ١٣٣).

و قدمات يعقوب﴿عليه السلام﴾ بعد ما أوصى أن يدفن عند أبيه و جدّه، فأمر يوسف﴿عليه السلام﴾ الأطبّآء بتحنيطه، فحنطوه و حمل إلى فلسطين و دفن هناك كما أوصى، أمّا إخوة يوسف فوقعوا على قدميه تائبين مستغفرين لسابق ذنبهم ضارعين خآئفين أن يمسك عنهم سبب برّه و يزوى عنهم وجه بشاشته بعد أن كان يكرمهم، مقدرين أنّه ما كان يكرمهم إلاّ بسبب وجود أبيهم، و قالوا له: إنّ أبانا أوصانا أن نبلغك أن تصفح عن إسائتنا إليك، و بخعوا له بأنفسهم بالعبوديّة، فبكى يوسف و سكن روعهم، و عرفهم ما في إسآئتهم من الخير لشعوب الأرض، عاش يوسف إلى أن بلغت سنّه عشراً و مأة سنة، فحنطوه و وضعوه في تابوت، و بقى محفوظاً إلى أن أخذه بنو إسرآئيل في خروجهم من مصر.

و كان ذلك على عهد «الملوك الرّعاة» ثمّ دار الزّمان، و ضرب الدّهر ضرباته، وجآئت الأُسرة الثّامنة عشر المصرية، و طردوا ملوك الرّعاة الّذين كانوا في مصر، و شغلوا من تاريخها نحو أربعة قرون - من الأسرة الرّابعة عشرة إلى الأُسرة الثّامنة عشرة، و جآء أحمس الأوّل ، أوّل ملوك الأُسرة الثّامنة عشرة الّذين طردوا (ملوك الرّعاة) فطرّد أحمس الرّعاة و مزّقهم كلّ ممزّق، و شرّدهم كلّ مشرّد، و بنو إسرآئيل في أمكنتهم، و كان بين و رودهم إلى مصر، و خروجهم منها على يد موسى﴿عليه السلام﴾ خمس عشرة سنة و مأتا سنة.

ثمّ جآء رعمسيس الثّاني، فملك لمصر و هو لا يعرف يوسف و لا فضله على مصر و غيرها، فرأى أنّ بني إسرآئيل يتضاعف عددهم و يتزايد نسلهم، فخاف أن يكونوا عوناً لأعدآء مصر، فأراد أن يقتل كلّ ذكر من أولادهم حتّى لا يكثر عددهم، و يكون منهم ما يحذر على مصر و المصر يين، و استخدمهم في أشقّ الأعمال لإضعاف قوّتهم و أمعن في تفريقهم شيعاً و أحزاباً...

قال اللّه تعالى: «إنّ فرعون علا في الأرض و جعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح أبنآءهم و يستحيي نسآءهم إنّه كان من المفسدين» القصص: ٤).

و قيل: إنّ الكهنة أخبروا فرعون بأنّ زوال ملكه سيكون على يد مولود لبني إسرائيل، فأمر بقتل كلّ ذكر من أولادهم حتّى لا يكثر عددهم، و أسرع الموت في الشّيوخ الكبار منهم من جراء إرهاقهم في العمل، فدخل رؤسآء القبط على فرعون، و قالوا له: إنّ الموت وقع في الكبار من بني إسرائيل، و أنت تقتل صغارهم فيوشك أن يقع العمل علينا، و لا يبقى أحد للخدمة غيرنا، فأمر أن يقتل الغلمان سنة و يتركوا سنة حتّى لا يهلك أبنآءِ إسرائيل... و في السّنة الّتي لا يقتل فيها أحد من الغلمان ولد هارون فترك و شأنه، و تربى في أحضان والديه، و أمّا موسى﴿عليه السلام﴾ فقد صادفت ولادته العام الّذي يذبح فيه الأطفال، فلمّا ولدته أُمّه خبأته عن العيون فلم يتسرّب خبره إلى فرعون. أمر فرعون قابلتى المصريين، و كان إسم إحداهما: «شفرة» و الثّانية «فوعة» بقتل كلّ ذكر تلده عبرانية، و أمّا البنت فتبقي، فلم تفعلا ما أمرتا به، و لمّاسئلهما قالتا له: إنّ العبرانيات قويّات، فهنّ يلدن قبل أن تأتي القابلة، و كان ذلك الملك أمر بإذلال العبرانيين و تسخيرهم في عمل اللّبن و البناء و غير ذلك من الأعمال الشّاقّة، و وكّل بهم من يتبعهم حتّى لا يجدوا مسّ الرّاحة، رجآء أن يقلل ذلك من نسلهم، فلم يفد ذلك فرعون و جنوده فائدة لأنّ العبرانيات كنّ يحملن كثيراً، ثمّ أمر فرعون طاغي مصر، جنوده و المتدخّلين في الأعمال أن يلقوا كلّ ذكر من أولاد العبرانيّين في النّهر ليموت.

**في تاريخ الطبريّ:** عن إبن إسحق قال: قبض اللّه يوسف﴿عليه السلام﴾ و هلك الملك الّذي كان معه الرّيّان بن الوليد، و توارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر، فنشراللّه بها بني إسرائيل، و قبر يوسف حين قبض كما ذكر لي في صندوق من مرمر في ناحية من النّيل في جوف المآء، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة، و هم على بقايا من دينهم ممّا كان يوسف و يعقوب و إسحق و إبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام متمسّكين به حتّى كان فرعون موسى الّذي بعثه اللّه إليه، و لم يكن منهم فرعون أعتى منه على اللّه و لا أعظم قولاً و لا أطول عمراً في ملكه منه، و لم يكن من الفراعنة فرعون أشدّ غلظة و لا

أقسى قلباً و لا أسوء ملكة لبنى إسرائيل منه، يعذّبهم فيجعلهم خَدَماً و خَوَلاً و صنّفهم في أعماله...

فصنف يبنون، و صنف يحرثون، و صنف يزرعون له، فهم في أعماله، و من لم يكن منهم في صنعة له من عمله، فعليه الجزية، فسامهم كما قال اللّه سوء العذاب، و فيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه، و قد استنكح منهم إمرأة يقال لها: آسية إبنة مزاحم من خيار النّساء المعدودات، فعمّر فيهم، و هم تحت يديه عمراً طويلاً يسومهم سوء العذاب، فلمّا أراد اللّه أن يفرج عنهم و بلغ موسى﴿عليه السلام﴾ الأشُدّ أعطى الرّسالة.

قال: و ذكر لي أنّه لمّا تقارب زمان موسى أتى منجّم فرعون و حزاته إليه، فقالوا: تعلم أنّا نجد في علمنا أنّ مولوداً من بني إسرائيل قد أظلّك زمانه الّذى يولد فيه، يسلبك ملكك و يغلبك على سلطانك، و يخرجك من أرضك و يبدّل دينك، فلمّا قالوا له ذلك أمر بقتل كلّ مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان، و أمر بالنّسآء يستحيين، فجمع القوابل من نسآء أهل مملكته، فقال لهنّ: لا يسقطن على أيديكنّ غلام من بني إسرائيل إلاّ قتلتموه فكنّ يفعلن ذلك و كان يذبح من فوق ذلك من الغلمان و يأمر بالحبالى، فيعذبن حتّى يطرحن ما في بطونهنّ.

و فيه: عن إبن مسعود و عن ناس من أصحاب رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ كان من شأن فرعون أنّه رأى رؤيا في منامه أنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتّى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، و تركت بني إسرآئيل، و أخربت بيوت مصر، فدعا السّحرة و الكهنة و القافة و الحازة فسئلهم عن رؤياه فقالوا له: يخرج من هذا البلد الّذي جآء بنو إسرآئيل منه يعنون بيت المقدس رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر ببني إسرائيل أن لا يولدهم غلام إلاّذ بحوه، و لا يولدهم جارية إلاّ تركت، و قال للقبط انظروا مماليككم الّذين يعملون خارجاً فادخلوهم و اجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم و أدخلوا غلمانهم، فذلك حين يقول اللّه: «إنّ فرعون علا في الأرض» يقول: تجبّر في الارض «و جعل أهلها شيعاً» يعنى بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة «يستضعف طائفة منهم يذبّح

أبنآءهم» فجعل لا يولد لبني إسرآئيل مولود إلاّ ذبح، فلا يكبر الصّغير، و قذف اللّه في مشيخة بني إسرائيل الموت، فأسرع فيهم فدخل رؤس القبط على فرعون، فكلّموه فقالوا: إنّ هؤلآء القوم قد وقع فيهم الموت، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا نذبح أبنآءهم فلا يبلغ الصّغار و نفني الكبار، فلو أنّك تبقي من أولادهم؟ فأمر أن يذبحوا سنة، و يتركوا سنة، فلمّا كان في السّنة الّتي لا يذبحون فيها وُلِدَ هارون فترك، فلمّا كان في السّنة الّتي يذبحون فيها حملت أُمّ موسى بموسى «عليه السلام»...

و في كتاب سكردان السّلطان: «و كان فرعون قد استعبد بني إسرائيل و اتّخذهم خدماً في الإشغال، فطائفة يبنون، و طائفة يزرعون، و طائفة ينحتون السّواري، و طائفة يضربون اللّبن، و طائفة ينقلون الحجارة، و النّساء يغزلن الكتان و ينسجن، و الضّعفآء جعل عليهم ضريبة يؤدّونها في كلّ يوم، فمن غربت عليه الشّمس و لم يؤدّ ضريبته غلّت يمينه في عنقه شهراً».

و فيه: «و كان فرعون يجبى خراج مصر كلّ سنة مأة ألف ألف دينار، فيأخذ الرّبع من ذلك لنفسه و أهله و بيت ماله، و الرّبع الثّاني لوزرائه و أُمرائه و كتّابه و جنده، و يكنز الرّبع الثّالث ذخيرة، و يصرف الرّبع الرّابع في حفر الخلجان، و مدّ التّرع، و عمل الجسور، و مصالح الأرض...».

قال اللّه تعالى: «و إذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتّلون أبنآءكم و يستحيون نسآءكم و في ذلكم بلآء من ربّكم عظيم» البقرة: ١٤١).

و في العلل: بإسناده عن أبان الأحمر قال: سئلت أباعبداللّه «عليه السلام» عن قول اللّه عزّ و جلّ: «فرعون ذي الأوتاد» لأيّ شيء سمّى ذي الأوتاد؟ قال: لأنّه كان إذا عذّب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه، و مدّيديه و رجليه، فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، و ربّما بسطه على خشب منبسط فوتّدر جليه و يديه بأربعة أوتاد، ثمّ تركه على حاله حتّى يموت، فسمّاه اللّه عزّ و جلّ: «فرعون ذا الأوتاد لذلك».

و في الدّر المنثور: قال إبن عبّاس: «أوّل من صلب و قطع الأيدي و الأرجل فرعون».

# ﴿رسالة موسى ﴿عليه السلام﴾ إلى فرعون طاغي مصر﴾

قال الله عزّوجل: «هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربّه بالواد المقدّس طوى إذهب إلى فرعون إنّه طغى» النّازعات: ١٥-١٧).

و قال: «و لقد فتنّا قبلهم قوم فرعون و جآءهم رسول كريم أن أدّوا إليّ عبادالله إنّي لكم رسول أمين و أن لا تعلوا على الله إنّي آتيكم بسلطان مبين» ١٧-١٩).

و قد ملك فرعون مصر دهراً طويلاً ممتّعاً بالسّلامة، و استعبد بني إسرائيل و استكبر و طغى حتّى قال «أنا ربّكم الأعلى» النّازعات: ٢٤) و قال: «يا أيّها الملأما علمت لكم من إله غيري» القصص: ٣٨) و قال لموسى﴿عليه السلام﴾: «لئن اتّخذتَ إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين» الشّعراء: ٢٩).

و قد أمضىٰ موسى﴿عليه السلام﴾ السّنين المتّفق عليها في خدمة شعيب النّبيّ﴿عليه السلام﴾ ثمّ توجّه بأهله نحو الجنوب حتّى أدرك طور سيناء، و في ليلة مباركة أراد الله أن يخصّ موسى﴿عليه السلام﴾ بكرامته و نبوّته و كلامه، ثمّ قال له ربّه: إذهب إلى فرعون لتبلغه الرّسالة الإلهيّة، فقد جاوز الحدّ في الطّغيان و الجبروت... و لمّا كانت مواجهة فرعون تستدعي الشّجاعة و رباطة الجأش فقد سئل موسى﴿عليه السلام﴾ ربّه أن يشرح صدره ليحتمل ما يواجهه من صعاب و يسهّل عليه الأمر و أن يعينه على البيان والإفصاح، و أن يجعل أخاه هارون مساعداً له في رسالته الشّاقّة، و أن يعينه على عبادته، و قد أجاب الله تعالى دعآئه و أعطاه كلّ ما سئل...

فأعدّ الله تعالى موسى«عليه السلام» لرسالته و أجابه إلى ما سئل، فبعث معه أخاه هارون و أمره أن يذهب هو و أخوه إلى فرعون طاغي مصر، مؤيّدين بالآيات و المعجزات، و نهاهما عن الفتور و التّقصير في ذكر الله جلّ و علا و تبليغ رسالته، و أمرهما أن يقصدا فرعون بالذّات لأنّه هو الّذي طغى.

و كان فيما بلّغه موسى«عليه السلام» لفرعون أن يسمح بخروج بني‌إسرآئيل معه إلى فلسطين، و أن لا يعلوا على الله تعالى.

و قد افردت قصّة موسى«عليه السلام» عن قصص الأنبيآءِ السّابقين لأنّ قصصهم جميعاً طبع على غرار واحد إذ كلّهم أُرسل لامّته، و قد كذّبته و حلّ بهم العذاب، و أمّا موسى«عليه السلام» فقد أُرسِل لغير قومه، و كانت معجزته ظاهرة و اضحة، و آمن به أكثر قومه، و من هنا بعث موسى«عليه السلام» إلى فرعون و ملئه دون قومه لأنّه أُرسل لإنقاذ بني‌إسرآئيل من فرعون و كيده، و الّذين استعبدهم هو فرعون و أشرافه و بطانته، أمّا الشّعب فكانوا مستعبدين كذلك على أنّ فرعون و ملائه المستكبرين لو آمنوا لآمن الشّعب كلّهم...

قال موسى«عليه السلام» لفرعون و ملائه: «أن أدّوا إليّ عباد الله» أى بني‌إسرآئيل حتّى يذهبوا إلى أوطانهم، و مولدآبآئهم الأرض المقدّسة، و ذلك أنّ يوسف«عليه السلام» لمّا توفّى و انقرض الأسباط غلب فرعون على نسلهم و استعبدهم في الأعمال الشّاقّة، و كانوا يؤدّون إليه الجزآء فاستنقذهم الله بموسى«عليه السلام» كما أخبر به يوسف«عليه السلام» إذ قال لبني‌إسرآئيل: إنّكم لن تزالوا في العذاب حتّى يأتي غلام جعد من ولد لاوي بن يعقوب، يقال له: موسى بن عمران، فلمّا طال الأمر على بني‌إسرآئيل ضجّوا و أتوا شيخاً منهم، فقال لهم: كأنّكم به؟ فبيناهم من ذلك إذ وقف عليهم موسى«عليه السلام» فلمّا رآه الشّيخ عرفه بالصّفة، فقال له: ما إسمك؟ فقال: موسى، قال: إبن من؟ قال: إبن عمران، فقام هو و القوم و قبّلوا يديه و رجليه و اتّخذهم شيعة.

وكان بين اليوم الّذي دخل فيه يوسف مصر، و اليوم الّذي دخل فيه موسى«عليه السلام» أربعمأة عام.

و قد طلب هنا موسى﴿عليه السلام﴾ من فرعون أمرين: **الأوّل**: إرسال بني‌إسرآئيل معه. و **الثّاني**: الدّعوة إلى التّوحيد و الإقرار بربوبيّة الله تعالى. لأنّ كلّ نبيّ داع إلى توحيدالله تعالى كما حكى الله عزّوجلّ عن فرعون حين قال لموسى﴿عليه السلام﴾: «أنؤمن لبشرين مثلنا و قومهما لنا عابدون» المؤمنون: ٤٧) فالآية الكريمة تصرح على أنّ موسى﴿عليه السلام﴾دعا فرعون و ملائه إلى الايمان خلافاً لمن قال: إنّه لم يدعهم إلى الايمان و لا الإلتزام بشرعه.

في نهج البلاغة- في الخطبة القاصعة- قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾: «فإنّ الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليآئه المستضعفين في أعينهم، و لقد دخل موسى إبن عمران و معه أخوه هارون صلّى الله عليهما على فرعون و عليهما مدارع الصّوف و بأيديهما العِصِيِ، فشرطاله إن أسلم بقآء ملكه و دوام عزّه، فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العزّ و بقآء الملك، و هما بما ترون من حال الفقر و الذّلّ، فهلاّ أُلِقَ عليهما أساور من ذهب؟ إعظاماً للذّهب و جمعه، و احتقاراً للصّوف و لبسه.

و لو أراد الله سبحانه لأنبيآئه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوزَ الذُّهبان، و معادن العِقيان، و مغارسَ الجنان، و أن يحشر معهم طيور السّمآء و وحوش الأرض لفعل، و لو فعل لسقط البلآء و بطل الجزآءُ، و إضمحلّت الأنباء و لما وجب للقابلين أُجُورُ المبتلين، و لا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين، و لا لزمت الأسمآء معانيها، و لكنّ الله سبحانه جعل رسله أُولى قوّة في عزآئمهم، و ضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب و العيون غِنىً، و خصاصة تملأالأبصار و الأسماع أذىً.

و لو كانت الأنبيآء أهل قوّة لا ترام، و عزّة لا تضام، و ملك تمتدّ نحوه أعناق الرّجال و تشدّ إليه عُقَد الرّحال لكان ذلك أهون على الخلق في الإعتبار، و أبعد لهم من الإستكبار.

و لآمنوا عن رهبة قاهرة لهم، أو رغبة مآئلة بهم، فكانت النّيّات مشتركة، و الحسنات مقتسمة، و لكنّ الله سبحانه أراد أن يكون الإتّباع لرسله، و التّصديق بكتبه، و الخشوع لو جهه، و الإستكانة لأمره، و الإستسلام لطاعته، اموراً له خاصّة لا تشوبها

من غيرها شآئبة، و كلّما كانت البلوى و الإختبار أعظم، كانت المثوبة و الجزآء أجزل...» الخطبة.

و في البحار - عن تفسير العياشي - عن الفضل بن أبي قرّة قال: سمعت أبا عبدالله﴿عليه السلام﴾ يقول: «أوحى‌الله إلى إبراهيم أنّه سيولدلك، فقال لسارة، فقالت: «أألدو أنا عجوز؟» فأوحى الله إليه: أنّها ستلد و يعذّب أو لادها أربعمأة سنة بردّها الكلام عليّ، قال: فلمّا طال على بني إسرآئيل العذاب ضجّوا و بكوا إلى الله أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى موسى و هارون عليهما السلام يخلّصهم من فرعون، فحطّ عنهم سبعين و مأة سنة. قال: و قال أبو عبدالله﴿عليه السلام﴾: هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا، فأمّا إذ لم تكونوا فإنّ الأمر ينتهي إلى منتهاه».

و فيه - عن قصص الأنبياء - بالإسناد عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله﴿عليه السلام﴾ قال: «إنّ فرعون بنى سبع مدآئن فتحصّن فيها من موسى، فلمّا أمره الله يأتي فرعون جآئه و دخل المدينة، فلمّا رأته الأسود بصبصت بأذنابها و لم يأن مدينة إلاّ انفتح له حتّى انتهى إلى الّتي هو فيها، فقعد على الباب و عليه مدرعة من صوف و معه عصاه، فلمّا خرج الآذن قال له موسى﴿عليه السلام﴾: إنّي رسول ربّ العالمين إليك، فلم يلتفت، فضرب بعصاه الباب فلم يبق بينه و بين فرعون باب إلاّ انفتح فدخل عليه، و قال: أنا رسول ربّ العالمين، فقال: إئتني بآية، فألقى عصاه و كان لها شعبتان فوقعت إحدى الشّعبتين في الأرض، و الشّعبة الاخرى في أعلى القبّة، فنظر فرعون إلى جوفها و هي تلتهب ناراً و أهوت إليه، فأحدث فرعون و صاح:

يا موسى خذها، و لم يبق أحد من جلسآءِ فرعون إلاّ هرب، فلمّا أخذ موسى العصا، و رجعت إلى فرعون نفسه همّ بتصديقه، فقام إليه هامان، و قال: بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد؟ و اجتمع الملأو قالوا: هذا ساحر عليم، فجمع السّحرة لميقات يوم معلوم، فلمّا ألقوا حبالهم و عصيّهم ألقى موسى عصاه فالتقمتها كلّها، و كان في السّحرة إثنان و سبعون شيخاً خرّوا سجّداً ثمّ قالوا لفرعون: ما هذا سحرٌ لو كان سحراً لبقيت حبالنا و عصيّنا، ثمّ خرج موسى﴿عليه السلام﴾ ببني‌إسرآئيل يريد أن يقطع بهم البحر فأنجى الله

موسى ومن معه، و غرق فرعون و من معه، فلمّا صار موسى في البحر إتّبعه فرعون و جنوده، فتهيّب فرعون أن يدخل البحر، فمثّل جبرئيل على ماديانة، و كان فرعون على فحل، فلمّا رأى قوم فرعون الماديانة إتّبعوها، فدخلوا و غرقوا (فلمّا رأى فحل فرعون الماديانة اتبعها و اتّبعوه قومه فدخلوا البحر و غرقوا ظ) و أمرالله البحر فلفظ فرعون ميّتاً حتّى لا يظنّ أنّه غائب و هو حيّ، ثمّ إنّ الله تعالى أمر موسى أن يرجع ببني‌إسرآئيل إلى الشّام، فلمّا قطع البحر بهم مرّ على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: «يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم الهة قال إنّكم قوم تجهلون» ثمّ ورث بنو إسرائيل ديارهم و أموالهم، فكان الرّجل يدور على دور كثيرة و يدور على النّسآء».

قوله﴿عليه السلام﴾: «الأسود» جمع الأسد الّتي كانت على باب المدينة. و «ماديانة» لفظ عجميّ يقال للأنثى من الخيل، و «فلفظ فرعون ميّتاً»: رماه و طرحه ميّتاً.

و في **تفسير القمّي**: بإسناده عن أبان بن عثمان عن أبي عبدالله﴿عليه السلام﴾ قال: «لمّا بعث الله تعالى موسى إلى فرعون فأتى بابه، فاستأذن عليه، فلم يؤذن له، فضرب بعصاه الباب، فاصطكّت الأبواب مفتّحة، ثمّ دخل على فرعون فأخبره أنّه رسول الله و سئله أن يرسل معه بني‌إسرآئيل، فقال له فرعون كما حكى الله: «ألم نربّك فينا وليداً و لبثت فينا من عمرك سنين و فعلت فعلتك الّتي فعلت» أى قتلت الرّجل «و أنت من الكافرين» يعني كفرت نعمتي قال موسى كما حكى الله: «فعلتها إذاً و أنا من الضّالّين ففررت منكم» إلى قوله-: «أن عبّدت بني‌إسرآئيل» فقال فرعون: «و ما ربّ العالمين» إنّما سئله عن كيفيّة الله فقال موسى: «ربّ السّموات و الأرض و ما بينهما إن كنتم مومنين».

فقال فرعون متعجّباً لأصحابه: «ألا تستمعون»؟ أسئله عن الكيفيّة فيجيبني عن الخلق، فقال موسى: «ربّكم و ربّ آبآئكم الأوّلين» ثمّ قال لموسى: «لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين» قال موسى﴿عليه السلام﴾: «أو لو جئتك بشيء مبين» قال فرعون: «فأت به إن كنت من الصّادقين فألقى عصاه فاذاهي ثعبان مبين» فلم يبق أحد من جلسآء فرعون إلاّ هرب، و دخل فرعون من الرّعب ما لم يملك نفسه، فقال فرعون: يا موسى أُنشدك الله (بالله خ) و بالرّضاع إلاّ ما كففتها عنّي، فكفّها ثمّ «نزع يده فإذا هي

بيضاء للنّاظرين» فلمّا أخذ موسى العصا رجعت إلى فرعون نفسه، و همّ بتصديقه، فقام إليه هامان، فقال له: بينما (بينا خ) أنت إله تُعبَد إذ صرت تابعاً لعبد؟!...

و في المجمع: روى عن أبي جعفر﴿عليه السلام﴾ – حديث طويل – قال: «لمّا رجع موسى إلى إمرأته قالت: من أين جئت؟ قال: من عند ربّ تلك النّار، قال: فغدا إلى فرعون، فوالله لكأنّي أنظر إليه طويل الباع ذو شعر آدم، عليه جبّة من صوف، عصاه في كفّه مربوط حقوه بشريط، نعله من جلد حمار، شراكها من ليف، فقيل لفرعون: إنّ على الباب فتىً يزعم أنّه رسول ربّ العالمين، فقال فرعون لصاحب الأسد: خلّ سلاسلها، و كان إذا غضب على أحد خلّاها فقطعته، فخلّاها، و قرع موسى الباب الأوّل، و كانت تسعة أبواب، فلمّا قرع الباب الأوّل انفتح له الأبواب التّسعة، فلمّا دخل جعلن يبصبصن تحت رجليه كأنّهنّ جرآء، فقال فرعون لجلسآئه: رأيتم مثل هذا قطّ؟ فلمّا أقبل إليه قال: «ألم نربّك فينا وليداً– إلى قوله – و أنا من الضّالّين» فقال فرعون لرجل من أصحابه: قم فخذ بيده، و قال للآخر: إضرب عنقه، فضرب جبرئيل بالسّيف حتّى قتل ستّة من أصحابه، فقال: خلّوا عنه، قال: فأخرج يده فإذاً هي بيضآء قد حال شعاعها بينه و بين وجهه، و ألق العصا، فإذاً هي حيّة فالتقمت الأيوان بلحييها، فدعاه: أن يا موسى أقلني إلى غد، ثمّ كان من أمره ما كان...».

قوله﴿عليه السلام﴾: «بشريط» الشّريط: خوص مفتول يشرط به السّرير و نحوه. و «يبصبصن» بصبص الكلب: حرّك ذنبه، و التّبصبص: التملّق. و «جراء» جمع الجرو: صغير كلّ شيء، و غلب على ولد الكلب و الأسد.

و في تاريخ الطبري: عن السّدي: «فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتّى أتاها ليلاً فتضيّف على امّه و هو لا يعرفهم، فأتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطّفشيل فنزل في جانب الدّار فجآء هارون، فلمّا أبصر ضيفه سئل عنه اُمّه فأخبرته أنّه ضيف، فدعاه فأكل معه فلمّا أن قعدا تحدثا فسئله هارون من أنت قال: أنا موسى، فقام كلّ واحد منهما إلى صاحبه، فاعتنقه فلمّا أن تعارفا قال له موسى يا هارون إنطلق معي إلى فرعون إنّ الله قد أرسلنا إليه، فقال هارون: سمعاً و طاعة، فقامت أمّهما فصاحت، و

قالت أُنشد كما اللّه أن لا تذهبا إلى فرعون فيقتلكما فابيا فانطلقا إليه ليلاً فاتيا الباب فضرباه ففزع فرعون و فزع البوّاب، و قال فرعون: من هذا الّذى يضرب بابي فى هذه السّاعة، فأشرف عليهما البوّاب فكلمهما، فقال له موسى: إنّا رسول ربّ العالمين، ففزع البوّاب، فأتى فرعون فأخبره فقال:

إنّ ههنا إنساناً مجنوناً يزعم أنّه رسول ربّ العالمين قال: أدخله، فدخل، فقال: إنّي رسول ربّ العالمين أن أرسل معي بني إسرائيل، فعرفه فرعون، فقال: «ألم نربّك فينا و ليداً و لبثت فينا من عمرك سنين و فعلت فعلتك الّتي فعلت و أنت من الكافرين» معنا على ديننا هذا الّذي تعيب «قال فعلتها إذاً و أنا من الضّالّين ففررت منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربّي حكماً - و الحكم النّبوّة - و جعلني من المرسلين و تلك نعمة تمنّها عليّ أن عبّدت بني إسرآئيل و ربّيتنى قبل وليداً قال فرعون: و ما ربّ العالمين من ربّكما يا موسى؟ قال ربّنا الّذي أعطى كل شيء خلقه ثمّ هدى يقول اعطى كلّ دابة زوجها ثمّ هدى للنّكاح، ثمّ قال له: إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصّادقين. و ذلك بعد ما قال له من الكلام ما ذكر اللّه تعالى ذكره قال موسى أو لو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصّادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين.

و الثّعبان: الذّكر من الحيّاتَ فاتحة فاها واضعة لحيها الأسفل في الأرض، و الأعلى على سور القصر، ثمّ توجّهت نحو فرعون لتأخذه فلمّا رآها ذعر منها، و وثب فأحدث و لم يكن يحدث قبل ذلك، و صاح: يا موسى خذها و أنا أُو من بك و أُرسل معك بني إسرآئيل، فأخذها موسى فعادت عصا ثمّ نزع يده أخرجها من جيبه فإذاً هى بيضآء للنّاظرين، فخرج موسى من عنده على ذلك، و أبى فرعون أن يؤمن به، و أن يرسل معه بني إسرآئيل، و قال لقومه: يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأو قدلي يا هامان على الطّين فاجعل لي صرحاً لعلّي أطّلع إلى إله موسى فلمّا بنى له الصّرح إرتقى فوقه، فأمر بنشابة فرمى بها نحو السّمآءِ فردّت إليه، و هي ملطخة دماً، فقال: قد قتلت إله موسى».

**وفي تفسير العياشي:** عن يونس بن ظبيان قال: قال: «إنّ موسى و هارون حين

دخلا على فرعون لم يكن في جلسآئه يومئذ ولد سفاح، كانوا ولد نكاح كلّهم، و لو كان فيهم ولد سفاح لأمر بقتلهما، فقالوا: أرجه و أخاه، و أمروه بالتّأنّي و النّظر، ثمّ وضع يده على صدره قال: و كذلك نحن لا ينزع إلينا إلاّ كلّ خبيث الولادة».

**قوله**: «لا ينزع إلينا» من نزع القوس كناية عن القصد بالشّرّ.

**و في البحار**: «و قال محمّد بن إسحق بن يسار: خرج موسى لمّا بعثه اللّه حين قدم مصر على فرعون هو و أخوه هارون حتّى وقف على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه و هما يقولان: إنّا رسول ربّ العالمين، فأذ نوابنا (هذا الرجل خ) فمكثا سنتين يغدوان إلى بابه، و يروحان لا يعلم بهما و لا يجترىء أحد على أن يخبره بشأنهما حتّى دخل عليه بطّال له يلعب عنده و يضحكه، فقال له: أيّها الملك إنّ على بابك رجلاً (رجلين خ) يقولان قولاً عجيباً، يزعمان أنّ لهما إلهاً غيرك، فقال: ببابي؟ أُدخلو هما، فدخل موسى و معه هارون على فرعون.

قالوا: فلمّا أذن فرعون لموسى و هارون دخلا عليه، فلمّا وقفا عنده دعا موسى بدعآءٍ و هو: «لا إله إلاّ اللّه الحليم الكريم، لا إله إلاّ اللّه العليّ العظيم، سبحان اللّه ربّ السّموات السّبع، و ربّ الأرضين السّبع و ما فيهنّ و ما بينهنّ و ربّ العرش العظيم و سلام على المرسلين و الحمدللّه ربّ العالمين. اللّهمّ إنّي أدرؤك (أدرءبك خ) في نحره و أعوذبك من شرّه، و أستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت».

قال: فتحوّل ما بقلب موسى من الخوف أمناً، و كذلك مَن دعا بهذا الدّعآءِ و هو خآئف آمن اللّه خوفه، و نفّس كربته، و هوّن عليه سكرات الموت.

ثمّ قال فرعون لموسى﴿عليه السلام﴾: من أنت؟ قال: أنا رسول ربّ العالمين، فتأمّله فرعون فعرفه فقال له: «ألم نربّك فينا وليداً و لبثت فينا من عمرك سنين...».

و فيه: و في بعض الرّوايات: أنّ موسى و هارون لمّا انصرفامن عند فرعون أصابهما المصر في الطّريق، فأتيا على عجوز من أقرباءِ أُمّهما، و وجّه فرعون الطّلب في أثرهما، فلمّا دخل عليهما اللّيل نا ما في دارها و جآئت الطّلب إلى الباب و العجوز منتبهة، فلمّا أحسّت بهم خافت عليهما، فخرجت العصا من صير (جانب خ) الباب و العجوز

تنظر إليها، فقاتلتهم حتّى قتلت منهم سبعة أنفس، ثمّ عادت و دخلت الدّار، فلمّا إنتبه موسى و هارون أخبرتهما بقصّة الطّلب و نكاية العصا منهم (فيهم خ) فآمنت بهما و صدّقتها».

و قال زيد بن عمرو بن نفيل:

و أنت الّذي من فضل منّ و رحمة بعثت إلى موسى رسولاً منادياً

فقلت له فاذهب و هارون فادعوا إلى الله فرعون الّذي كان طاغياً

و قولا له هل أنت سويت هذه بلا و تد حتّى استقلّت كما هيا

و قولا له أأنت رفعت هذه بلا عمد أو فوق ذلك بانيا

و قولا له هل أنت سويت و سطها منيراً إذا ما جنّك اللّيل هادياً

و قولا له من يرسل الشّمس غدوة فيصبح مامست من الأرض ضاحياً

و قولا له من انبت الحبّ في الثّرى فيصبح منه العشب يهتزّ رابياً

و يخرج منه حبّة في رؤسه ففي ذاك آيات لمن كان واعياً

## ﴿ فرعون مصر و إدّعائه الأُلوهيّة و الرّبوبيّة لنفسه ﴾

قال اللّه جلّ و علا: «إذهب إلى فرعون إنّه طغى - فقال أنـا ربّكـم الأعـلى» النّازعات: ١٧-٢٤).

و قال: «و قال فرعون يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري» القصص: ٣٨).

و قال: «قال لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين» الشّعرآء: ٢٩).

و من تدبّر أحوال الملوك و السّلاطين، و الحكّام و الأُمراء و القادة و الرّؤسآءِ... قديماً و حديثاً يجد أكثرهم أنّهم يغتنمون الفرصة من جهالة عامّة النّـاس، فـيحيطون أنفسهم بهالة من التّنزيه و التّقديس... و يضعون مكانتهم في إطار من الرّبوبيّة و الإلهيّة و الولاية المطلقة...لا جهلاً منهم بأنّهم أُناس لا يختلفون عن غيرهم، و لكنّهم يفعلون ذلك تمويهاً على العامّة حتّى يأمنوا غائلة الثّورات الهوج من الّذين يطمعون في تبوىء عرش الملك، مقدّرين أنّ ذلك التّقديس يحول بين النّـاز عـين إلى الثّـورة و بـين مـا يشتهون...و هذه كانت حال نمرود. في عهد إبراهيم، و حال الّذين أتوا بعد موسى بـن عمران من ملوك اليونان ثمّ الرّومان كما كانت حال الفراعنة في مصر غـالباً و رأسهـم فرعون موسى إدّعى الرّبوبيّة و الا لوهيّة تدين الامّة المصرية بعبادته و تذعن بقداسته، و قد فجأه من موسى أمر لا يقرّه و لا يرضاه، و هو محاولة إنزاله عن عرش الرّبوبيّة.

**في الخصال:** عن زرارة عن أبي جعفر ﴿عليه السلام﴾ قال: «أملى الله عزّ و جلّ لفرعون ما بين الكلمتين أربعين سنة ثمّ أخذه الله نكال الآخرة و الاولى، و كان بين أن قال الله عزّ و

جلّ لموسى و هارون: «قد أُجيبت دعوتكما» و بين أن عرّفه الله الإجابة أربعين سنة. ثمّ قال: قال جبرئيل: نازلت ربّي في فرعون منازلة شديداً، فقلت: يا ربّ تدعه، و قد قال: «أنا ربّكم الأعلى»؟ فقال: إنّما يقول مثل هذا عبد مثلك».

في قوله«ﷺ»: «الكلمتين» و جهان: أحدهما- أن يكون المراد بهما قوله تعالى: «قد أُجيبت دعوتكما» و أمره بإغراق فرعون. ثانيهما- أن يكون المراد بهما قولة فرعون: «أنا ربّكم الأعلى»و قوله: «ما علمت لكم من إله غيري» و معنى «أخذه الله...»: نكل الله به نكال الآخرة بأن يعذّبه في الدّار الآخرة بالنّار، و نكال الاولى بأن أغرقه في الحياة الدّنيا بالبحر. و من المحتمل أن يكون المعنى: فعاقبه الله بكلمته الآخرة: «أنا ربّكم الأعلى» و بكلمته الاولى: «ما علمت لكم من إله غيري» أو بالعكس. فنكل به نكال هاتين الكلمتين. و ما بينهما أربعون سنة.

و في المجمع: عن إبن عبّاس: قال: قال موسى«ﷺ»: أمهلت فرعون أربعمأة سنة و هو يقول: «أنا ربّكم الأعلى» و يجحد رسلك، و يكذّب بآياتك؟! فأوحى الله تعالى إليه: إنّه كان حسن الخلق، سهل الحجاب، فأحببت أن اكافيه، و روى أبوبصير عن أبي جعفر«ﷺ» قال: قال رسول الله«ﷺ»: قال جبرئيل: قلت: يا ربّ تدع فرعون، و قد قال: «أنا ربّكم الأعلى»؟ فقال: إنّما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت.

و قوله: «نازلت ربّي...» أى راجعته في أمر فرعون و سئلته مرّة بعد أُخرى، و هو مفاعلة من النّزول عن الأمر أو من النّزال في الحرب و هو تقابل القرنين.

و في الدّر المنثور: عن إبن عبّاس قال: قال رسول الله«ﷺ» كلمتان قالهما فرعون: «ما علمت لكم من إله غيري» و قوله: « أنا ربّكم الأعلى» قال: كان بينهما أربعون عاماً، فأخذه الله نكال الآخرة و الاولى».

و في كتاب المخلاة للشّيخ البهائى رحمة الله تعالى عليه: في حديث: قال: دخل موسى«ﷺ» على فرعون فقال: آمن و لك الجنّة، و لك ملكك، فقال: حتّى أُشاور هامان، فشاوره في ذلك، فقال له: بينما أنت إله تُعبَد إذ صرتَ تَعبُد؟ فأنف و استكبر، و كان بداية ولا يته أن سلك بل بالعدل و الإنصاف، و إنّما أهلكه الله حيث اتّخذ بطانة سوء

فاسقين، مثل هامان و قارون و من ضارعهما، و معلوم أنّ الله تعالى إذا أراد بملك سوءاً قيّض له قرنآء سوء، و لله درّ القآئل حيث يقول:

عن المرء لا تسئل و سل عن قرينه فكلّ قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم و لا بصحب الأردى فتردى مع الرّدى

قال إبن جبير: و كانت مدّة ملك فرعون أربعمأة سنة، و عاش ستمأة و عشرين سنة لم ير فيها مكروهاً، و لو كان في تلك المدّة جاع يوماً أو حصل له حمى ليلة أو وجع ساعة لما إدّعى الرّبوبيّة، و لم يزل مخوّلاً في النّعمة حتّى أخذه الله نكال الآخرة و الاولى».

و في بعض التفاسير: انّ إبليس لمّا سمع قول فرعون: «أنا ربّكم الأعلى» قال: إنّي لا أُطيق أن أسمع ذلك الكلام من هذا الأحمق لأنّي ادّعيت خيّرة نفسي و علوّي على آدم و هو المخلوق و قلت: «أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين» ص: ٧٦) خرجتُ من الجنّة و بَعُدتُ عن قرب الرّحمة و لُعِنت إلى يوم القيامة إذ قال الله جلّ و علا لي: «فاخرج منها فإنّك رجيم و إنّ عليك لعنتي إلى يوم الدّين» ص: ٧٧-٧٨) فكيف يجترىء فرعون إدّعاء علوّ نفسه الخبيث الّتي ادّعيت أنا على علوّي عليها على خالق الكون.

و قد حكى: أنّ رجلاً لمّا سمع أنّ فرعون إدّعى الا لوهيّة و الرّبوبيّة، جآئه بطست من العنب، فقال له: إنّي سمعت أنّك ادّعيت الرّبوبيّة و الا لوهيّة؟ فقال: نعم! ما علمت لكم من إله غيري. فقال الرّجل: إنّ خالق الكون خلق هذا العنب، فإذا كنت إلهاً فبدّ له يا قوتاً، فأخذه فرعون فقال: إنّى أُبدّله اللّيل الآتي عنباً فأتني بعده حتّى تأخذه يا قوتاً، فلمّا أمسى فرعون أمر أن لا يقرب أحد من قصره و سدّ أبوابه ليتفكّر في تبديل العنب يا قوتاً، فكان متفكّراً- حتّى نصف اللّيل - فإذاً قرع إبليس بابه، فقال فرعون غضباً: مَن أنت؟ فقال إبليس: كيف أنت إله لا تعلم مَن ورآء الباب؟ فقام فرعون و فتح الباب فرآى إبليس و فرح، فقال:

أُدخل يا لعين فإنّ وجودك إذاً لازم، فقال إبليس: يدخل اللّعين على مَن هو الألعن، فلمّا دخل رأى لديه طستاً من العنب، فقال: يا فرعون ما هذا الطّست و العنب؟ فحكى ما جرى عليه، فقال فرعون لإبليس: أدركني في هذا الأمر و إلاّ صرت

غداً مفتضحاً، فنفخ إبليس في العنب، فصار يا قوتاً، إذاً فتعجّب فرعون من سرعة عمل إبليس و علمه، فقال: يا إبليس أنت أعلم منّي! فقال إبليس: إنّ الله عزّ و جل لم يقبلني عبداً له مع هذه الأعلميّة، و أنت تدّعي الا لوهيّة و الرّبوبيّة مع هذه الحماقة و الجهالة؟!

و لو كنت تابعاً لي في الإستكبار و الطّغيان، و في الكفر و العصيان لكان لك أن تدّعي خيّرة نفسك على المخلوق لا على الخالق، و أنت إدّعيت خيّرة نفسك على الخالق إذ قلت: «أنا ربّكم الأعلى» و على رسوله موسى﴿عليه السلام﴾ إذ قلت: «أم أنا خير من هذا الّذي هو مهين» الزّخرف:٥٢) و ادّعيت الا لوهيّة لنفسك خاصّة إذ قلت: «ما علمت لكم من إله غيري» القصص: ٣٨) و دعوت رسول الله موسى﴿عليه السلام﴾ إلى اُلوهيّتك إذ قلت: «لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين» الشّعراء: ٢٩).

فقد أخطأتَ في خمسة امور يا فرعون ما أخطأتُ في واحد منها: ١-الخيّريّة على الخالق ٢- إدّعاء الرّبوبيّة ٣- إدّعاء الا لوهيّة. ٤- إنحصار الا لوهيّة ٥- دعوة الرّسول إلى اُلوهيتك. فصرت ملعوناً بواحد، فكيف أنت بتلك الخمسة؟! «إنّي بريء منك إنّي أخاف الله ربّ العالمين» الحشر: ١٦).

و كان من حماقة فرعون طاغي مصر و حماقة قومه أنّه لمّا رأى الثّعبان من موسى﴿عليه السلام﴾ إلتجأ إلى قومه، فقال: «أنا ربّكم الأعلى» فامنعوني من هذا الثّعبان، و من حماقة قومه أنّهم لم يتفكّر و ابانّه كيف يكون الأعلى و هو يخاف من الثّعبان، و يلتجأإليهم من خوفه و هو صادق في إدّعائه العلوّ في الرّبوبيّة؟؟؟!!!

و قال بعض المحقّقين: إنّ فرعون لمّا رأى معجزات موسى﴿عليه السلام﴾ إلتزم بها، و لكنّه قال -لتحميق قومه و استحمار جنوده حيلة و كيداً -: لو فرض لك يا موسى ربّ فأنا أعلى منه، فإنّ رسول ربّ موسى﴿عليه السلام﴾ هو موسى يكون عارياً جائعاً عطشاناً بلازاد و لا راحلة و لا مركب...ليس له إلاّ عصا بيده، و النّعلان برجله، و قلنسوة في رأسه، و ثوب يستر به بدنه، فليس له غلمان و لا شرطة، و لا جاسوس و لا بليس و لا عَدَد و لا عُدَد... و أمّا لي فستخدمون و هم رسلي، لهم ثياب ثمينة، و مساكن مرتفعة، و مراكب سريعة، و أموال كثيرة و عَدَد و عُدَد... و إنّ علوّ الرّبّ بعلوّ المربوب، فموسى هو مربوب

ربّه، و أنتم مربوبي، فكما تعلون على موسى﴿ﷺ﴾ فأنا أعلى من ربّ موسى.

قالها الطّاغية رئيس الجمهورة فرعون مصر، مخدوعاً بغفلة جماهيره و حماقتهم و جهالتهم، و إذعانها و إنقيادها الجماهير الذّليلة، و المطيعة المنقادة الغافلة الحمق... تمطي لفرعون ظهرها فيركب، و تمدّله أعناقها فيجر، و تحني له رؤوسها فيستعلى، و تتنازل له عن حقّها في العزّة و الكرامة فيطغى، و الجماهير تفعل هذا مخدوعة من جهة، و خائفة من جهة اخرى.

و هذا الخوف لا ينبعث إلاّ من الوهم، و إنّ الطاّغية و هو فرعون فرد لا يمكن أن يكون أقوى من الا لوف و الملايين لو أنّ الجماهير شعرت بإنسانيّتهم و كرامتهم و عزّتهم و حرّيّتهم بل كلّ فرد من الجماهير هو كفء لفرعون الطاغي الباغي من ناحية القوّة، و لكم فرعون يخدعهم، فيوهمهم أنّه يملكهم و يتصرّف في أمرهم ما يشآء، و هو لا يُسئل عن شيء ممّا يفعل، و هم يسئلون عن كلّ شيء، و لا يمكن لأحد أن يعلو عليه، فوجدهم من الحماقة و الجهالة، من البلادة و السّفاهة، و من الغفلة و الذّلّة، و من خوآءِ القلب من الايمان ما جرء به على قول هذه الكلمة الكافرة الفاجرة: «أنا ربّكم الأعلى».

و ماكان فرعون طاغي مصر ليقولها أبداً لو وجد الجماهير مؤمنة كريمة، حرّية، عزيزة واعية تعرف أنّ فرعون عبد ضعيف ذليل، حقير، عاجز ليس إلاّ فرد من البشر لا يقدر على شيء، بل خوفه أكثر و أكثر من خوفنا كما هو حال الطّغاة و الظّلمة، و حال البغاة و الفجرة في كلّ ظرف لا يأمنون من أحد، و إن كثرت جيوشهم و سيوفهم و عددهم... فهم يخافون من فرش ينامون عليها، و يخافون من بيوت ينامون فيها، و يخافون من ألبسة يلبسونها، و يحذرون من أغذية يأكلونها، و يحذرون من مآءٍ يشربون منه و يخافون... إلاّ من اللّه جلّ و علا فلمّا لم يخافوا من اللّه تعالى يخافون ممّا سواه حتّى من أزواجهم و أبنآءهم...

و كان فرعون يدّعي أوّلاً بالعلوّ في الرّبوبيّة باستعمال أهل مملكته، و هؤلآء السّفلة كانوا يتوهّمون أن تربيتهم و أرزاقهم، و صلاح امورهم في حياتهم و حفظ شرفهم و كرامتهم، و سوددهم بيد فرعون طاغي مصر و مشيّته، و هو لما سجّل ذلك إدّعى

إنحصار الأُلوهيّة بنفسه فقال: «يا أيّها الملأما علمت لكم من إله غيري» القصص: ۸۳) و قال لموسى ﴿عليه السلام﴾: «لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين» الشّعراء: ۲۹).

و كانت إدّعائه الاولى توطئة و تمهيداً لادّعائه الثّانية، و هو يأمر عمّاله بقتل أولاد رعيّته، و يزيد على حقوق مستعمليه، و يحدّد امور أهل مملكته، و لم يكن من بينهم إنسان أن يعترض عليه فيما يفعله، ثمّ كان يدّعي الرّبوبيّة ثمّ العلوّ فيها ثمّ إنحصار الأُلوهيّة بنفسه، كلّ ذلك لبقآءِ ملكه و سلطنته أكثر من سنة، و إلاّ فهو كان يعبد آلهة كما قال اللّه تعالى حكاية عن سفلة قومه العمّال الاجراء حثّاً له على إهلاكه موسى ﴿عليه السلام﴾: «أتذر موسى و قومه ليفسدوا في الأرض و يذرك و آلهتك» الأعراف:۱۲۷) حتّى انّهم كانوا يعلمون أنّ له آلهة يعبدها، سوآء أكان يعبد اللّه تعالى وحده أم يشرك به سبحانه أو غيره من الأصنام... فكأنّه يقول لاولئك السّفلة و الحمق: إنّ آلهتكم أنا لسلطنتي و ملكي عليكم، ولي آلهة، فاللّه تعالى أو الأصنام آلهة السّلطان، و السّلطان إله الرّعيّة و أهل مملكته.

في الملل و النّحل للشهرستاني - في الرّدّ على الصّابئة - قال: «و لهذا الإلزام تفطن اللّعين فرعون حيث إدّعى الإلهيّة و الرّبوبيّة لنفسه، و كان في الأصل على مذهب الصّابئة، فصبا عن ذلك و دعا إلى نفسه فقال: «أنا ربّكم الأعلى» «ما علمت لكم من إله غيري» إذا رأى في نفسه قوّة الإستعمال و الإستخدام، و استظهر بوزيره «هامان» و كان صاحب الصّنعة فقال: «يا هامان ابن لي صرحاً لعلّي أبلُغ الأسباب أسباب السّموات فاطلّع إلى إله موسى» و كان يريد أن يبنى صرحاً مثل الرّصد فيبلغ به إلى حركات الأفلاك و الكواكب، و كيفيّة تركيبها و هيئاتها، و كمّيّة أدوارها و أكوارها، فلربّما يطّلع على سرّ التّقدير في الصّنعة، و مآل الأمر في الخلقة و الفطرة، ومن أين له هذه القوّة و البصيرة؟ و لكن إعتزاز بنوع فطنة و كياسة في جبلّته، و اغترار بضرب إهمال في مهلته، فما تمّت لهم الصّنعة حتّى «اغرقوا فادخلوا ناراً».

ثمّ قال: «و يشبه أن يكون دعوى اللّعينين: نمرود و فرعون أنّهما إلهان أرضيان كالآلهة السّماويّة الرّوحانيّة: دعوى الإلهيّة من حيث الأمر لامن حيث الفعل و الخلق، و

إلاّ فى زمان كلّ واحد منهما من هو أكبر منه سنّاً و أقدم في الوجود عليه، فلمّا ظهر من دعوا هما أنّ الأمر كلّه لهما، فقد ادّعيا الإلهيّة لنفسهما».

و في الدّر المنثور: و قال إبن عبّاس: إنّه كانت لفرعون بقرة كان يعبدها، و كان إذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها، و لذلك اخرج لهم السّامريّ عجلاً».

و فيه: و قال السّدي: كان فرعون قد اتّخذ لقومه أصناماً و كان يأمرهم بعبادتها و قال لهم: أنا ربّكم و ربّ هذه الأصنام كما اخبر بذلك حكاية عنه: «أنا ربّكم الأعلى» أى مربيّكم و المنعم عليكم و المطعم لكم كما قال تعالى حكاية عنه:«ما علمت لكم من إله غيري» أى لا أعلم لكم أحداً يجب عليكم عبادته إلاّ أنا.و لكن ليس معنى الا لوهيّة و الرّبوبيّة عند الو ثنيّين و عبدة الكواكب خالقيّة السّموات و الأرض، و لم يكونوا منكري وجود الصّانع للعالم، و لم يعتقدوا بأنّ فرعون هو خالق السّموات و الأرض، و انّ فرعون كان يرى نفسه ربّاً لمصرو أهله، و كان إنّما ينكر كونهم مربوبي إله آخر على قاعدتهم، لا أنّهم أو غيرهم من العالم ليسوا مخلوقين للّه سبحانه...

فكان فرعون و ثنياً يعبد الأصنام، و هو مع ذلك يدّعى الا لوهيّة أمّا عبادته للأصنام فلقوله تعالى حكاية عن اجرائه: «و يذرك و آلهتك» الأعراف: ١٢٧) و اخرى يدّعى الرّبوبيّة لقوله عزّ و جلّ: «فقال أنا ربّكم الأعلى» النّازعات: ٢٤) و لم تكن منافات عند الوثنيين بين كون الشّيء إلهاً و ربّاً باعتبار الا لوهيّة و العبادة، و باعتبار الرّبوبيّة و التّربية، و بين كونه مربوباً و معبوداً لربّ آخر و لإله آخر، لأن الرّبوبيّة هو الإستقلال في تدبير شتّى من العالم، و هو لاينا في الإمكان و المربوبيّة لشئ آخر، و كلّ ربّ عندهم مربوب لآخر إلاّ اللّه تعالى لانّه ربّ الأرباب لا ربّ فوقه، و إله الآلهة لا إله له، فكان فرعون طاغي مصر يعبد الآلهة، و يعبده قومه كسآئر الآلهة... و أمّا قوله: «و ما علمت لكم إلهاً غيري» بأنّكم يجب عليكم أن تعبدوا نفسي لا غيري و إن كنت أعبد الأصنام...

# «فرعون طاغي مصر و سفره الفضائي»

قال اللّه جلّ و علا: «و قال فرعون يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطّين فاجعل لي صرحاً لعلّي أطّلع إلى إله موسى و إنّي لأظنّه من الكاذبين و استكبر هو و جنوده في الأرض بغير الحقّ و ظنّوا أنّهم إلينا لا يرجعون» القصص: ٣٨-٣٩).

لمّا ألحّ موسى «عليه السلام» على فرعون بالدّعوة إلى الإيمان باللّه جلّ و عزّ و هو في ملأقومه، و كان ذلك يكسر من هيبته و اعتلائه، و يحطّ من قدره و رتبته، و يُضعف من شوكته و جبروته...وجّه فرعون كلامه إلى عمّاله و أُجراته... متجاهلاً الإله الّذى يدعوه إليه موسى «عليه السلام» و أنّه سيتّخذ الوسيلة للسّفر إلى الفضآءِ، و الصّعود إلى إله موسى«عليه السلام» ليصفى الحساب بينه و بينه، و لعلّه فهم من قول موسى«عليه السلام»: «ربّ السّموات و الأرض و ما بينهما» الشّعراء: ٢٤) أنّه موجود في السّمآءِ لأنّ العظيم القادر على العلو لا ينزل إلى أسفل، و أوهم هؤلآء السّفلة من قومه أنّ الصّعود إلى السّمآءِ أمر تناله قدرته، فأصدر أمره إلى وزيره «هامان» أن يطبخ له الآجر، و يبنى له صرحاً يأخذ في السّمآءِ صعداً حتّى يناله و يطّلع إلى إله موسى«عليه السلام» ثمّ أردف ذلك بأنّه يظنّ أنّ موسى كاذب في أنّ له إلهاً سوى فرعون.

من النّاس من يذكر الفكرة عالماً بأنّها مبنيّة على غير أساس، ثمّ لا يزال يخادع نفسه، و نفسه تخادعه حتّى يخيل إليه أنّ الأمر سهل الوقوع و يعلق نفسه به، شأنه في

ذلك شأن أشغب المشهور بالطّمع، إذ صرف عنه الأطفال بحيلة أنّه يوجد عرس في بيت فلان، و أنّهم يفرقون على النّاس الدّراهم، فانصرفوا ظانين صدقه، فتبعهم أملا أن يكون ما قاله لهم حقّاً فينال من تلك الدّراهم الّتي تفرق في ذلك الوهمي.

و لا نظنّ أنّ فرعون كان من الجهل و الحماقة بدرجة أنّه يأمل ينال السّمآء ببنآءٍ عال يصعد و إن كان حبّ الشّيء يعمي و يصمّ، و لكنّه أراد أن يتغفّل هؤلآء السّفلة الحمق الّذين معه حتّى لا يخامر أنفسهم شكّ في قدرته، و لا خلجة في حطّه عن عرش ربوبيّته، و ريب في نزوله عن سرير اُلوهيّته، فأراد أن يدخل في روعهم أنّه من القدرة بحيث يقدر على منازلة كلّ إله و لو كان في السّمآء و أنّه على استعداد لمحاربة إله موسى الّذي في السّمآءِ إذا كان فيها، و أنّه يتّهم موسى في و جود إله سواه، و أنّه سيأخذ في أسباب العمل في تصفية الحساب مع ذلك الاإله، و لذلك أمر باتّخاذ صرح يبلغ به أسباب السّموات ، و عهد بذلك إلى هامان.

و لا يبعد أن تكون نفس فرعون أشعبيّة فتحيّل ثمّ خال، و كان أصحاب فرعون يعلمون كذبه، و لا يجسر أحد منهم على تكذيبه أوردّه، بل كانوا يومنون على قوله، و لم يكن في ذلك الوقت رجل صادق الفراسة يقرأ لنا أفكار الملأمن قوم فرعون، هل كانوا يفكرون فكره و يترسّمون خطواته فيما يخيل إليهم؟ أوكانوا عالمين باستحالة ما يحاول، و إنّما يؤمنون على قوله مجاراة له، و مجاملة ينالون بها الحظوة من عنده - و إن كان في نفوسهم كاذباً - كما هو شأن أكثر الاجرآء في موافقة الحكّام آرآئهم في كلّ ظرف... و إن كانت مباينة لما يكنون في أنفسهم؟

و هل فعل هامان ما أمر به فرعون؟ و إلى أيّ حدّ بلغ في علوّ البنآءِ؟ و إلام آل أمر ذلك البنآءِ؟؟؟ كلّ ذلك لم يذكره القرآن الكريم، و قد اختلفت كلمات المفسّرين و المؤرخين إختلافاً كثيراً فمنهم يذكرون أنّ هامان بنى له الصّرح حتّى بلغ نهاية ما قدر عليه من البنآءِ ثمّ صعد فرعون، و صوّب سهماً إلى السّمآء و رمى به، فعاد إليه النّصل مخضّباً بالدّم، فقال لمن حوله من هؤلآءِ الحمق: لقد قتلت إله موسى.

قال اللّه تعالى: «قال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب أسباب

السّموات فأطّلع إلى إله موسى و إنّي لأظنّه كاذباً و كذلك زيّن لفرعون سوء عمله و صدّ عن السّبيل و ما كيد فرعون إلاّ في تباب» غافر: ۳٦-۳۷).

و من حماقة فرعون مصر أنّه لم يعلم أنّ جاعل المكان لا يحتاج إلى مكـان، و جاعل الزّمان لا يكون في زمان... و إله موسى﴿ع﴾ هو أيّن الأين فلا أين له، و كيّف الكيف فلا كيف له...

**في تفسير القمّي:** في قوله تعالى: «و قال فرعون يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري...» قال: فبنى هامان له في الهواء صرحاً بلغ مكاناً في الهواء لا يتمكّن الإنسان أن يقوم عليه من الرّياح القائمة في الهوآءِ، فقال لفرعون: لا نقدر أن نزيد على هذا، فبعث اللّه رياحاً فرمت به، فاتّخذ فرعون و هامان عند ذلك التّابوت و عمداً إلى أربعة أنسر، فأخذا فراخها، و ربّياها حتّى إذا بلغت القوّة و كبرت عمداً إلى جوانب التّابوت الأربعة، فغرزا في كلّ جانب منه خشبة، و جعلا على رأس كلّ خشبة لحماً و جوّعا الأنسر و شدّا أرجلها بأصل الخشبة، فنظرت الأنسر إلى اللّحم، فأهوت إليه و ارتفعت بهما في الهوى و أقبلت تطير يومها.

فقال فرعون لهامان: أُنظر إلى السّمآء هل بـلغناها؟ فـنظر هـامان فـقال: أرى السّمآء كما كنت أراها من الأرض في البـعد، فـقال: أُنـظر إلى الأرض، فـقال: لاأرى الأرض، و لكن أرى البحار و المآء فلم يزل النّسر يرتفع حتّى غابت الشّمس و غابت عنهم البحار و المآء، فقال فرعون: يا هامان انظر إلى السّمآءِ فنظر، فقال: أراها كما كنت أراها من الأرض، فلمّا جنّهم اللّيل نظر هامان إلى السّمآءِ فقال فرعون: هل بـلغناها؟ فقال: أرى الكواكب كما كنت أراها من الأرض، و لست أرى من الأرض إلاّ الظّلمة، قال: ثمّ حالت الرّياح القائمة في الهوآءِ بينهما، فانقلب التّابوت بهما، فلم يزل يهوي بهما حتّى وقع على الأرض فكان فرعون أشدّ عتوّاً في ذلك الوقت، ثمّ قال اللّه: «و جعلناهم أئمّة يدعون إلى النّار و يوم القيامة هم لا ينصرون».

**قوله:** «أوقدلى» أى النّار «على الطّين» أى اللبن ليصير آجراً. قيل: كان هامان أوّل من طبّخ الآجر يبنى به الصّرح بأمر فرعون. و قد توهّم فرعون أنّه لو كان اللّه لكان

جسماً في السّمآء. و قيل: أراد أن يبنى له رصداً يترصّد منها أوضاع الكواكب، فيرى هل فيها ما يدلّ على بعثة رسول، و تبدّل دولة. و قوله: «حتّى غابت الشّمس» لعلّ المراد أثر الشّمس لعدم الإنعكاس، أو جرم الشّمس لغيبو بتها تحت الأرض.

و في **البحار**: نقلاً عن كتاب العرآئس: «ثمّ قال الثعلبيّ فلمّا خاف فرعون على قومه أن يؤمنوا بموسى عزم على بناء صرح يقوي به سلطانه، فقال: «يا هامان ابن لي صرحاً» الآية فجمع العمّال و الفعلة حتّى اجتمع له خمسون ألف بنّآء سوى الأتباع و الأُجرآء ممّن يطبخ الآجرّ و الجصّ، و ينجر الخشب و الأبواب و يضرب المسامير، فلم يزل يبني ذلك الصّرح إلى أن فرغ منه في سبع سنين، و ارتفع إرتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق اللّه السّموات و الأرض، فبعث اللّه عزّوجلّ جبرئيل و ضرب بجناحه الصّرح، فقطعه ثلاث قطع: و قعت قطعة منها في البحر و أُخرى في الهند و اخرى في المغرب».

و فيه: «و قال الضّحّاك: بعثه اللّه وقت الغروب، فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفي ألف رجل، و قالوا: و لم يبق أحد عمل فيه شيئاً إلاّ أصابه موت أو حريق أو عاهة، ثمّ إنّ فرعون بعد ذلك عزم على قتال موسى فأراده اللّه الآيات ....».

و فيه – نقلا عن قصص الأنبيآء – : «في تسع آيات موسى: لمّا اجتمع رأى فرعون أن يكيد موسى فأوّل ما كاده به عمل الصّرح، فأمر هامان ببنائه حتّى اجتمع فيه خمسون ألف بنّاء سوى من يطبخ الآجرّ، و ينجر الخشب و الأبواب، و يضرب المسامير حتّى رفع بنياناً لم يكن مثله منذ خلق اللّه الدّنيا، و كان أساسه على جبل، فزلزله اللّه تعالى فانهدم على عمّاله و أهله، و كلّ من كان عمل فيه من القهارمة و العمّال، فقال فرعون لموسى﴿عليه السلام﴾: إنّك تزعم أنّ ربّك عدل لايجور، أفعدله الّذي أمر؟ فاعتزل الآن إلى عسكرك، فإنّ النّاس لحقوا بالجبال و الرّمال، فإذا اجتمعوا تسمعهم رسالة ربّك.

فأوحى اللّه تعالى إلى موسى﴿عليه السلام﴾ أخّره ودعه، فإنّه يريد أن يجنّد لك الجنود فيقاتلك، و اضرب بينك و بينه أجلاً، و ابرز إلى معسرك يأمنوا بأمانك، ثمّ ابنوا بنياناً و اجعلوا بيو تكم قبلة، فضرب موسى بينه و بين فرعون أربعين ليلة، فأوحى إلى موسى

أنّه يجمع لك الجموع فلا يهو لنّك شأنه، فإنّي اكفيك كيده، فخرج موسى ﴿ﷺ﴾ من عند فرعون و العصامعه على حالها حيّة تتبعه و تنعق و تدور حوله، و النّاس ينظرون إليه متعجّبين، و قد ملئوا رعباً حتّى دخل موسى عسكره و أخذ برأسها، فإذا هى عصا، و جمع قومه و بنوا مسجداً، فلمّا مضى الأجل الّذي كان بين موسى و فرعون.

أوحى اللّه تعالى إلى موسى ﴿ﷺ﴾ أن اضرب بعصاك النّيل، و كانوا يشربون منه، فضرب به فتحوّل دماً عبيطاً – أى خالصاً طرياً – فإذا ورد بنو إسرائيل استقوا مآءً صافياً و إذا ورده آل فرعون اختضبت أيديهم و أسقيتهم بالدّم، فجهدهم العطش حتّى أنّ المرأة من قوم فرعون تستقي من نسآء بني إسرآئيل، فإذا سكبت المآء لفرعونيّة تحوّل دماً فلبثوا في ذلك أربعين ليلة و اشرفوا على الموت، و استغاث فرعون و آله بمضغ الرّطبة فصير مآؤها مالحاً، فبعث فرعون إلى موسى: ادع لنا ربّك يعيد لنا هذا المآء صافياً، فضرب موسى بالعصا النّيل، فصار مآءً خالصاً هذا قصّة الدّم.

و أمّا قصّة الضّفادع: فإنّه تعالى أوحى إلى موسى أن يقوم على شفير النّيل حتّى يخرج كلّ ضفدع خلقه اللّه تعالى من ذلك المآء فأقبلت تدبّ سراعاً تؤمّ أبواب المدينة فدخلت فيها حتّى ملأت كلّ شيء، فلم يبق دارٌ و لا بيت و لا إنآء إلاّ امتلأت ضفادع، و لا طعام و لا شراب إلاّ فيه ضفادع حتّى غمّهم (عمهم) ذلك و كادوا يموتون، فطلب فرعون إلى موسى أن يدعو ربّه ليكشف البلآء و اعتذر إليه من الخلق، فأوحى اللّه تعالى إلى موسى أن أسعفه فأناف موسى بالعصا فلحق جميع الضّفادع بالنّيل.

و أمّا قصّة الجراد و القمّل فإنّه تعالى أوحى إلى موسى أن ينطلق إلى ناحية من الأرض و يشير بالعصا نحو المشرق و اخرى نحو المغرب، فانبثق الجراد من الأُفقين جميعاً، فجآء مثل الغمام الأسود، و ذلك في زمان الحصاد، فملأكلّ شيء و عمّ الزّرع فأكله و أكل خشب البيوت و أبوابها، و مسامير الحديد و الأقفال و السّلاسل، و نكت موسى الأرض بالعصا فامتلأت قملاً فصار وجه الأرض أسود و أحمر حتّى ملئت ثيابهم و لحقهم و آنيتهم، فتجيئ متواصلة، و تجيء من رأس الرّجل و لحيته، و تأكل كلّ شيء فلمّا رأوا الّذي نزل من البلآء اجتمعوا إلى فرعون، و قالوا: ليس من بلآءٍ إلاّ و يمكن الصّبر

عليه إلاّ الجوع، فإنّه بلآء فاضح لا صبر لأحد عليه، ما أنت صانع؟ فأرسل فرعون إلى موسى﴿عليه السلام﴾ يخبره أنّه لم يجتمع له أمره الّذي أراد، فأوحى اللّه تعالى إلى موسى أن لا يدع له حجّة و أن ينظره، فأشار بعصاه فانقشع الجراد و القمّل من وجه الأرض.

و أمّا الطّمس فإنّ موسى لمّا رأى آل فرعون لا يزيدون إلاّ كفراً دعا موسى عليهم، فقال: «ربّنا إنّك آتيت فرعون و ملأه زينة و أموالاً في الحياة الدّنيا ربّنا اطمس على أموالهم» فطمس اللّه أموالهم حجارة فلم يبق لهم شيئاً ممّا خلق اللّه تعالى يملكونه لا حنطة و لا شعيراً و لا ثوباً و لا سلاحاً و لا شيئاً من الأشيآءِ إلاّصار حجارة.

و أمّا الطّاعون، فإنّه أوحى اللّه تعالى إلى موسى﴿عليه السلام﴾ أنّي مرسل على أبكار آل فرعون في هذه اللّيلة الطّاعون، فلا يبق بآل فرعون من إنسان و لا دابّة إلاّ قتله، فبشّر موسى قومه بذلك، فانطلقت العيون إلى فرعون بالخبر، فلمّا بلغه الخبر قال لقومه: قولوا لبني إسرآئيل إذا أمسيتم فقدّموا أبكاركم، و قدّموا أنتم أبكاركم، و اقرنوا كلّ بكرين في سلسلة، فإنّ الموت يطرقهم ليلاً، فإذا وجدهم مختلطين لم يدر بأيّهم يبطش، ففعلوا فلمّا جنّهم اللّيل أرسل اللّه تعالى الطّاعون، فلم يبق منهم إنساناً و لا دابّة إلاّ قتله، فأصبح أبكاراً آل فرعون جيفاً، و أبكار بني إسرآئيل أحيآءً سالمين، فمات منهم ثمانون ألفاً سوى الدّوابّ، و كان لفرعون من أثاث الدّنيا و زهرتها و زينتها و من الحليّ و الحلل مالا يعلمه إلاّ اللّه تعالى.

فأوحى اللّه جلّت عظمته إلى موسى﴿عليه السلام﴾ أنّي مورّث بني إسرآئيل ما في أيدى آل فرعون فقل ليستعيروا منهم الحليّ و الزّينة، فإنّهم لا يمتنعون من خوف البلآءِ، و أعطى فرعون جميع زينة أهله و ولده و ماكان في خزآئنه، فأوحى اللّه تعالى إلى موسى بالمسير بجميع ذلك حتّى كان من الغرق بفرعون و قومه ما كان».

و في المجمع: في قوله تعالى: «و اجعلوا بيوتكم قبلة» قال: إختلف في ذلك، فقيل: لمّا دخل موسى مصر بعد ما أهلك اللّه فرعون أُمروا باتّخاذ مساجد يذكر فيها إسم اللّه، و أن يجعلوا مساجدهم نحو القبلة - أي الكعبة - و كانت قبلتهم إلى الكعبة. و قيل: إنّ فرعون أمر بتخريب مساجد بني إسرآئيل، و منعهم من الصّلاة فأُمروا أن يتّخذوا

مساجد في بيوتهم يصلّون فيها خوفاً من فرعون. و قيل: معناه: إجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً».

و ما في القصص يحتمل كلا الوجهين الأخيرين، و يحتمل أن يكون المعنى كون بيوتهم محاذية للكعبة. و أفاق على الشّيء: أشرف. و المراد الإشارة بالعصا. و إنقشع: تفرّق.

و في **تفسير القمّي**: بإسناده عن منصور عن أبي إبراهيم﴿عليه السلام﴾ قال: لمّا خافت بنو إسرآئيل جبابرتها أوحى اللّه إلى موسى و هارون عليهما السّلام: «أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً و اجعلوا بيوتكم قبلة» قال: اُمروا أن يصلّوا في بيوتهم.

و في **البحار** – نقلاً عن كتاب طبّ الأئمّة – عن الأئمّة عليهم السّلام أنّهم و صفوا هذا الدّوآء لأوليآئهم و هو الدّوآء الّذي يسمّى الشّافية – و ساق الحديث إلى أن قال –: نزل به جبرئيل﴿عليه السلام﴾ على موسى بن عمران﴿عليه السلام﴾ حين أراد فرعون أن يسمّ بني إسرآئيل، فجعل لهم عيداً في يوم الأحد، و قد تهيّأ فرعون و اتّخذ لهم طعاماً كثيراً و نصب موآئد كثيرة، و جعل السّمّ في الأطعمة، و خرج موسى﴿عليه السلام﴾ ببني إسرآئيل و هم ستّمأة ألف، فوقف لهم موسى﴿عليه السلام﴾ عند المضيف، فردّ النّسآء و الولدان و أوصى بني إسرآئيل، فقال: لاتأكلوا من طعامهم، و لاتشربوا من شرابهم، حتّى أعود إليكم، ثمّ أقبل على النّاس يسقيهم من هذا الدّواء مقدار ما تحمله رأس الإبرة و علم أنّهم يخالفون أمره و يقعون في طعام فرعون، ثمّ زحف و زحفوا معه (أى مشى و مشوا معه).

فلمّا نظروا إلى نصب الموآئد أسرعوا إلى الطّعام و وضعوا أيديهم فيه، و من قبل نادى فرعون موسى و هارون و يوشع بن نون و كلّ خيار بني إسرآئيل و وجّههم إلى مآئدة لهم خاصّة، و قال: إنّي عزمت على نفسي أن لا يلى خدمتكم و برّكم غيري أوكراء أهل مملكتي، فأكلوا حتّى تملّوا من الطّعام، و جعل فرعون يعيد السّمّ مرّة بعد اُخرى، فلمّا فرغوا من الطّعام خرج موسى﴿عليه السلام﴾ و أصحابه و قال لفرعون: إنّا تركنا النّسآء و الصّبيان خلفنا و إنّا ننتظرهم، قال فرعون: إذاً يعاد لهم الطّعام ونكرمهم كما أكرمنا من معك فتوافوا و أطعمهم كما أطعم أصحابهم.

و خرج موسى «عليه السلام» إلى العسكر فأقبل فرعون على أصحابه، و قال لهم: زعمتم أنّ موسى و هارون سحرا بنا و أريانا بالسّحر أنّهم يأكلون من طعامنا و لم يأكلوا من طعامنا شيئاً، و قد خرجا و ذهب السّحر، فأجمعوا من قدرتم عليه على الطّعام الباقي يومهم هذا و من الغد لكيلا يتفانوا (لكيلا يتعافوا خ) و (لكي يتفانوا خ) ففعلوا، و قد كان أمر فرعون أن يتّخذ لأصحابه خاصّة طعام لاسمّ فيه، فجمعهم عليه، فمنهم من أكل و منهم من ترك، فكلّ من طعم من طعامه تفسّخ، فهلك من أصحاب فرعون سبعون ألف ذكر، و مأة و ستّون ألف أُنثى سوى الدّوابّ و الكلاب و غير ذلك، فتعجّب هو و أصحابه...».

## ﴿ تحدّي فرعون بعد سفره الفضآئي ﴾

قال اللّه عزّوجلّ: «قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت مـن الصّـادقين» الأعراف: ١٠٦) و ما نال فرعون في سفره الفضآئي بهدفه، فلم يطّلع إلى إله موسى﴿عليه السلام﴾ و قد أعضل موسى بفرعون و لم يجد سبيلاً إلى إقراره بأنّه الإله الحقّ و ما له من إله غيره و لم يؤثر تهديده بالسّجن إذ قال له: «لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين قال أو لو جئتك بشيء مبين» الشّعرآء: ٢٩-٣٠) رجا فرعون أن يعجز عن الإتيان بآية تبيّن صدقه فيما جآئه به عن إلهه، فطلب آية من موسى « قال فأت به إن كنت من الصّادقين» الشّعراء: ٣١) فألقى موسى عصاه من يده فإذاً هي ثعبان لا شكّ فيه يتحرّك و يسعى، و وضع يده في جيبه ثمّ نزعها فإذاً هي بيضآء للنّاظرين.

فلمّا رأى فرعون و الملأمن قومه ذلك عمدوا إلى الـتّمادي على تكذيب موسى فيما جآء به من الآيتين، و أحالوا ذلك منه على السّحر، و تشاوروا فيما بينهم في شأن موسى مؤكّدين أنّه ساحر عليم يريد أن يخرجهم من أرضهم، فأدّت بهم خاتمة المطاف إلى أن أشاروا على فرعون بأن يرجع موسى و أخاه حتّى يأتي بالسّحر من آفاق مصر ليأتوا بمثل ما أتى به موسى لأنّ هذه الآية الّتي أتى بها متى كان في مقدور غيره أن يأتى بمثلها فقد بطلت دعواه، فإنّ الغرض أن يأتى بشيء لا يقدر غيره على الإتيان بمثله، و إلاّ فإنّه لا يسمّى معجزة تدلّ على صدقه فيما يبلغ عن ربّه.

فأرسل فرعون في مدآئن مصر حاشرين يأتونه بالسّحرة – و كان للسّحر منزلة

عظيمة في أرض مصر يعني به الملوك و الأمرآء و يكافئون عليه، و هذا أمر لم يزل كشف الآثار المصريّة يبين عنه إلى اليوم - فجآؤا بجمهور عظيم من السّحرة كانوا مدلين بأنفسهم، واثقين من مقدرتهم على السّحر و التّصرّف في الأعيان و العيون، و عرضوالفرعون بالأجرينالونه جزاء قيامهم بالسّحر، فوعدهم الأجر الجزيل، و الزّلفى لديه و أيّ زلفى أعظم من زلفى قوم يؤيّدون ربوبيّته و يثبتون عرش اُلوهيّته، و طلب السّحرة الأجر يدل على أنّ امور الفراعنة كانت سخرة.

راود السّحرة موسى هل يلقون سحرهم أو يلقى هو سحره أولا؟ و كان الجمع حافلاً و في يوم الزّينة و يظنّ أنّه يوم وفآءِ النّيل، فإنّه كان أعظم أعيادهم، فقال لهم موسى: اُلقواما أنتم ملقون و كان عتادهم العصي و الحبال، فألقوها فامتلأ المكان حيّات و ثعابين، و خيل إلى موسى من سحرهم أنّها تسعى، في تلك اللّحظة إبتهج فرعون و جنوده و علية قومه، و أيقنوا أنّ السّحرة قد نجحوا، و أنّ موسى لا يمكنه أن يأتي بشيء أعظم من سحرهم، إذ كلّ ما في يده عصاه، فإذا قلبت حيّة فهي حيّة واحدة من مئات و آلاف قد غص بهارحب السّاحة الّتي هم فيها.

و في تلك اللّحظة أيضاً هال موسى أمر تلك الحيات و أوجس في نفسه خيفة، فأمره اللّه تعالى أن يلقى عصاه، فإذاً هي حيّة تسعى، و إذاً هي تبتلع حيّات السّحرة و تتلقفها، فوقع الحقّ و بطل سحر السّحرة، و دهش آل فرعون و الملأمن قومه، و علم السّحر أنّ السّحرة لا يفعل مثل ذلك، و إنّما هيالقوّ ة الإلهيّة صنعت هذا، فخرّوا ساجدين للّه جلّ و علا و آمنوا بربّ موسى و هارون، مفضلين ذلك على الأجر الّذي كانوا يرجونه من فرعون، مستهينين بجزائه الّذي سيوقعه بهم، و علم فرعون أنّه لم يعجز موسى، و إنّما موسى﴿عليه السلام﴾ أعجزه فأراد أن يسترعواره فقال للسّحرة عن موسى: «إنّه لكبيركم الّذى علّمكم السّحر و لهذا كان أقوى منكم و غلب سحره سحركم» قال: هذا مع علمه بأنّ موسى لم يعرفهم، و لم يجتمع معهم من قبل، بل كان ثاوياً في أهل مدين، و لم يصل بالسّحرة بأيّة صلة، و لكنّه المقهور المغلوب يلتمس لنفسه العذر و إن كان لا يغني «و لابدّ للمغلوب من بادر العذر».

ثمّ أخذ يتجنّي على اولئك السّحرة و يقول لهم: «آمنتم له قبل أن آذن لكم» موهماً أنّه يتصرف في وجدانهم و أنّه كان على و شك أن ياذن لهم، و لكنّهم أجرموا بالايمان قبل صدور الإذن و هدّدهم بقطع الأيدي و الأرجل من خلاف، و التّصليب على جذوع النّخل، فلم يثنهم ذلك عن الايمان، و قد نفذ فيهم ما هدّدهم به، و لقد همّ فرعون أن يقتل موسى خوفاً من أن يبدّل دين المصريّين أو أن يظهر في أرض مصر الفساد، و لعلّه إنّما يعنى بالفساد إطلاق بني إسرآئيل من اسر العبوديّة، و يفوت بذلك على فرعون و أجرآئه المنافع الّتي تعود عليهم من تسخير بنيإسرائيل في الأعمال الشّاقّة، و لعلّ الأعمال الّتي كانت تؤدّى إلى فرعون كانت على سبيل السّخرة في الأعمّ الأغلب.

يرشد إلى هذا أنّ السّحرة إستفهموا من فرعون قائلين: «أ إنّ لنا لأجراً إن كنّا نحن الغالبين» و لو كانت الامور سآئرة بغير سخرة لما ساغ لهم هذا السّئوال. إستنفد فرعون الوسع في أن يثنى موسى عن دعوته إلى اللّه جلّ و علا فلم يفلح و لم يقلع، و كلّما فتح باباً - للتّجنّي على موسى و أخيه - حول موسى مجرى الجدال إلى شيء آخر فيه فرج.

انظروا إلى قول فرعون: «لئن اتّخذت إلهاً غيرى لأجعلنّك من المسجونين» و إلى لباقة موسى في قوله: «أولو جئتك بشيء مبين» و قد كان موسى﴿عليه السلام﴾ لا يترك فرصة للدّعوة إلى اللّه جلّ و علا سوآء أمام فرعون أو غيره. ثم انظروا إلى قول موسى لآل فرعون المستكبرين لما اتّهموه بالسّحر: «و يلكم لا تفتروا على اللّه كذباً فيسحتكم بعذاب و قد خاب من افترى» طه: ٦١) و قوله لهم: «أتقولون للحقّ لما جآءكم» أى هذه المقالة الشّنيعة «أسحر هذا؟».

و كانت عصارة هذه الأحوال كلّها أنّ فريقاً من بني إسرائيل قد آمنوا لموسى﴿عليه السلام﴾ و هم على خوف من فرعون طاغي مصر و من ملأبنى إسرائيل أن يفتنهم لانّه كان مسرفاً لا يبالي ما يصنع، و يظهر أنّهم كانوا شباباً لقوله عزّ و جلّ: «ذرّيّة من قومه» و كان موسى﴿عليه السلام﴾ يعتقد أنّ طغيان فرعون و استكبار ملائه و إباء عمّاله و إعراض حواشيه عن الايمان به سببه: أنّ الله تعالى أغدق عليهم الأموال و متّعهم بلذائذ العيش في الحياة الدّنيا، فقست قلوبهم، و ظنّوا بقآء ذلك النّعيم، فتمادوا في كفرهم و

طغيانهم، في إثمهم و عدوانهم، و في ظلمهم و عصيانهم... و لم يصغوا إلى العظات الّتي يغاديهم بها موسى و يراوحهم...

فحمله ما عناه من التّعب و العناءِ في إنذارهم و إرشادهم، و ما تحمّل من البلآءِ و العنف في دعوتهم و هدايتهم على أن يدعو عليهم بأن يسدّ اللّه جلّ و علا طريق هدايتهم و رشادهم، و يقلّ ما بأيديهم من المال الّذي هو سبب طغيانهم و إسرافهم في أمرهم، و أن يشدّ على قلوبهم و يبعدهم عن طريق الحقّ و الايمان إلى أن يسلمهم ذلك العذاب الاليم، و قد أجاب الله عزّ و جلّ دعوته.

## «تمادي فرعون في إصراره على الطّغيان و دفاع المؤمن»
## عن موسى«عليه السلام» و إنتصاره لدينه

قال الله تعالى: «و قال الملأمن قوم فرعون أتذر موسى و قومه ليفسدوا في الأرض و يذرك و آلهتك قال سنقتّل أبنآءهم و نستحيي نسآءهم و إنّا فوقهم قاهرون» الأعراف: ١٢٧).

و قال: «و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أ تقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله و قد جآءكم بالبيّنات من ربّكم - و يا قوم مالي أدعوكم إلى النّجاة و تدعونني إلى النّار تدعونني لأكفر بالله و اشرك به ما ليس لي به علم و أنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار» غافر: ٢٨-٤٢).

طلب فرعون طاغي مصر من موسى«عليه السلام» دليلاً يشهد بصدقه، فألقى حينئذ موسى عصاه من يده فإذاً هي ثعبان لا شكّ فيه، و أخرج يده من جيبه فإذاً هي ناصعة البياض تتلألأ للنّاظرين، و قد رأى فرعون و حواشيه ذلك فعمدا إلى التّمادي في الكفر و الطّغيان، و أصرّوا على العناد و العصيان، معرضين عن الآيات الّتي أتى بها موسى، و أغرى فرعون ملائه بموسى«عليه السلام» لائمين له، منكرين عليه ترك موسى و قومه، يفسدون في الأرض بالإمتناع عن الأعمال الّتي سخروا فيها، و أن يذر فرعون و آلهته لا يعبدها و لايعبد فرعون، و هذا فساد في الأرض بزعمهم، فسكن فرعون روع القوم واعداً إيّاهم

بأن يقتل موسى و قومه، و يستحيي نسآءهم، معتزّاً بماله عليهم من القهر و الغلبة و السّلطان، ثمّ أتبع القول بالعمل، و أخذ يحقّق و عيده السّيء.

و طبيعيّ أن يضجّ بنوإسرائيل بالشّكوى إلى موسى ممّا حاق بهم من الحيف و الجور، و ما أصابهم من البغي و الظّلم... فأوصاهم موسى بالصّبر على هذا البلآءِ النّازل و الإستعانة بالله تعالى على إحتماله، و وعدهم بحسن العاقبة بشرط التّقوى، فلم يكفكف ذلك دموعهم و لم يخفف من مصيبتهم، بل قالوا له: او ذينا قبل أن تأتينا برسالتك كما اوذينا بعد مجيئك لنا بهذه الرّسالة، فقال لهم مواسياً: لعلّ الله تعالى يهلك عدوّكم و يجعلكم خلفآئه في الأرض الّتي و عدكم بها، فيخرجكم من الضّيق إلى السّعة، من الشّدّة إلى الرّخآء، و من الضّرّآءِ إلى السّرّآءِ... ليرى بعد ذلك ما يصدر منكم من عمل سيّئ أو حسن فيجازيكم عليه.

فأراد فرعون أن يبطش بموسى متحدّياً إلهه حتّى لا يكون منه تبديل لدين القوم أو فساد في أرضهم، فضاق فرعون ذرعاً بموسى، فائتمر و قومه على قتله و الخلاص من دعوته و من فساده على زعمهم و لكن موسى عاذ بالله جلّ و علا من شرّ هذا الطّاغي و اجرائه الّذين لا يؤمنون بحساب.

بيناهم في أخذو ردّ يقلبون أوجه الرّأى في سبيل الإقدام على قتله، و لكنّ الحقّ لا يعدم نصيراً حيناً، قام رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه بموسى و ربّ موسى إلى ذلك الحين كشف السّتر فأظهر إيمانه ليتمّ الحجّة عليهم، فدافع عن موسى﴿عليه السلام﴾ دفاعاً مجيداً يشكره الله تعالى له، و أبلى في ذلك بلآءً حسناً، و انتصر لدينه، و بيّن لفرعون المتكبّر و حواشيه المستكبرين: أنّه لا ينبغي أن يقتلوا رجلاً يقول: «ربّيَ الله» لأنّ قوله هذا لا يصلح سبباً للقتل و بالأخص أنّه جآءهم بالمعجزات الدّالّة على صدقه، و أنّه لو فرض أنّه كاذب فيما يقول ما نالهم ضرر من كذبه، و لا يحملون شيئاً من ذنبه، و لو فرض أنّه كان صادقاً لأصابهم بعض الوعيد الّذي توعّدهم به، واستمرّ قائلاً لهم: أنتم اليوم ذوو نفوذ و سيطرة في أرض مصر فمن يستطيع أن يدفع عنّا عذاب الله إذا جآئنا، فعارضه فرعون فيما رأى و وجّه أقواله إلى هؤلآءِ السّفلة من ملائه ينتصر بهم على معارضته

قائلاً: ما أريكم إلاّ ما أرى و ما أهديكم إلاّ سبيل الرّشاد، فادّعى فرعون تحميقاً لأُجرائه: أنّه يهديهم سبيل الرّشاد...

ثمّ عاد مؤمن آل فرعون إلى كلامه يذكّرهم بعذاب الله و بطشه كما حصل في الأُمم الماضية بسبب فساد عقائدهم، و سوء أعمالهم من قوم عاد و ثمود و قوم نوح و لوط... ثمّ حذّرهم من عذاب الآخرة يوم يحاول الكافرون و الفجرة، يحاول المجرمون و الظلّمة، و يحاول الآثمون و الفسقة.... الفرار من عذاب الله تعالى و لا مفرّ من هذا العذاب، ثمّ ذكرهم بأنّ الدّعوة الّتي جآء بها موسى اليوم ليست جديدة، فقد جآء يوسف بالبيّنات إلى آبآئهم فارتابوا في صدقه حتّى إذا توفّي قالوا: لن يبعث الله من بعده رسولاً، ثمّ أبان لهم أنّ ذلك الموقف السّيء أدّى بهم الضّلال، لأنّهم حين إنصرفوا عن الحقّ و الهدى، عن الرّشد و الصّواب، و عن الصّلاح و الفلاح... صرف الله قلوبهم عن الهداية و السّعادة... و أنّ الله عزّ و جلّ لا يهمل الحسنات و لا السّيّئات، بل يجازى كلاًّ بعمله.

و قد تمادى فرعون و عملآئه و جهدوا أن يردّوا المؤمن البطل المتصلّب في دين الله، و الذّابّ عن رسوله موسى﴿عليه السلام﴾ إلى دينهم، فلامهم على أنّه يريدبهم الخير و السّعادة و العزّة و النّجاة، و هم يريدون له الشّرّ و الشّقآء الدّائم و الذّلّة و الهلاكة، فهو يدعوهم إلى التّوحيد و الإيمان، و هم يدعونه إلى الشّرك و الكفر باللّه تعالى العزيز الغفّار، و أنّ الآلهة الّتي يدعون إلى عبادتها لا تنفع في الدّنيا و لا تشفع في الآخرة، و أنّ المراد إلى الله جلّ و علا، و أنّه سيأتي عليهم وقت يذكرون فيه نصحه إيّاهم، و أنّه يفوّض أمره إلى الله عزّ و جلّ.

و لقد همّ فرعون طاغي مصر و أُجرآئه بالمؤمن البطل كما همّوا بموسى رسول الله﴿عليه السلام﴾ فوقاه الله تعالى سوء عملهم، و كانت عاقبته السّعادة و النّجاة، و عاقبة فرعون و عملآئه الهلاكة و النّار.

# ﴿ آسية إمرأة فرعون، و مؤمن آله ﴾

قال الله تعالى: «و ضرب الله مثلاً للّذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة و نجّني من فرعون و عمله و نجّني من القوم الظّالمين» التّحريم: ١١).

و قال: «و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله و قد جآءكم بالبيّنات من ربّكم - و قال الّذي آمن يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب - و قال الّذي آمن يا قوم اتّبعوني أهدكم سبيل الرّشاد - فستذكرون ما أقول لكم و أفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد فوقاه الله سيّئات ما مكروا و حاق بآل فرعون سوء العذاب» غافر: ٢٨ و ٣٠ و ٣٨ و ٤٤-٤٥).

و في المقام دروس للدّعاة و المصلحين و العلمآء و المؤمنين أجمعين، و للنّسآء جمعآء في كلّ ظرف.

في الخصال: بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾: «ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين: مؤمن آل ياسين (فرعون خ)، و عليّ إبن أبيطالب و آسية إمرأة فرعون».

و فيه: عن إبن عبّاس قال: خطّ رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ أربع خطط في الأرض، و قال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: اللّه و رسوله أعلم، فقال رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾: أفضل نسآء الجنّة أربع: خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمّد و مريم بنت عمران، و آسية بنت مزاحم إمرأة فرعون».

و في البحار: - نقلاً عن كتاب قصص الأنبيآء -: «خربيل هو مؤمن آل فرعون أرسل فرعون رجلين في طلبه، فانطلقا في طلبه فوجداه قائماً يصلّي بين الجبال و الوحوش خلفه، فأرادا أن يعجّلاه عن صلاته، فأمر الله دابّة من تلك الوحوش كأنّها بعير أن تحول بينهما و بين المؤمن، فطردتهما عنه حتّى قضى صلاته، فلمّا رآهما أو جس في نفسه خيفة و قال: «يا ربّ أجرني من فرعون فإنّك إلهي، عليك توكّلت، و بك آمنت، و إليك أنبت، أسئلك يا إلهى إن كان هذان الرّجلان يريدان بي سوءاً فسلّط عليهما فرعون و عجّل ذلك، و إن هما أرادنى بخير فاهدهما».

فانطلقا حتّى دخلا على فرعون ليخبراه بالّذي عايناه، فقال أحدهما: ما الّذي نفعك أن يقتل، فكتم عليه، فقال الآخر: و عزّة فرعون لا أكتم عليه، و أخبر فرعون على رؤوس النّاس بما رأى و كتم الآخر، فلمّا دخل خربيل، قال فرعون للرّجلين: من ربّكما؟ قالا: أنت، فقال لخربيل: و من ربّك؟ قال: ربّي ربّهما، فظنّ فرعون أنّه يعنيه فوقاه الله سيئات ما مكروا و حاق بآل فرعون سوء العذاب، و سرّ فرعون، و أمر بالأوّل فصلب فنجّى الله المؤمن، و آمن الآخر بموسى ﴿عليه السلام﴾ حتّى قتل مع السّحرة».

أقول: و قدورد: أنّ المؤمن كان إبن عمّ فرعون و ولى عهده و خليفته. و قال البغدادي في المحبر: كان إسم مؤمن آل فرعون حزبيل أو خزبيل و هو أخو آسية امرأة فرعون. و قال هشام: حزبيل زوج الماشطة، و كان فرعون قد جعله على نصف النّاس.

و قال الطّبري: إسمه فيما يزعمون حبرك، و قد سبق منّا كلام في مؤمن آل فرعون في تفسير سورة «غافر» فراجع.

و في البحار: «قال الثّعلبي: قالت الرّواة: كان حزبيل من أصحاب فرعون نجّاراً، و هو الّذي نجر التّابوت لأمّ موسى حين قذفته في البحر. و قيل: إنّه كان خازناً لفرعون مأة سنة و كان مؤمناً مخلصاً يكتم إيمانه إلى أن ظهر موسى ﴿عليه السلام﴾ على السّحرة فأظهر حزبيل إيمانه، فأُخِذ يومئذ و قتل مع السّحرة صلباً، و أمّا إمرأة حزبيل فإنّها كانت ماشطة بنات فرعون و كانت مؤمنة.

و روى عن إبن عبّاس: أنّ رسول اللّه ﴿صلى الله عليه و آله﴾ قال: لمّا أُسرى بي مرّت بي رائحة

طيّبة، فقلت لجبرئيل: ما هذه الرّائحة؟ قال: هذه رائحة ماشطة آل فرعون و أولادهـا كانت تمشطها فوقعت المشطة من يدها، فقالت: بسم اللّه فـقالت بـنت فـرعون: أبي؟ فقالت: لا بل ربّي و ربّك و ربّ أبيك، فقالت: لأُخبرنّ بذلك أبي، فقالت: نعم، فأخبرته فدعا بها و بولدها، و قال: من ربّك؟ فقالت: إنّ ربّي و ربّك اللّه، فأمر بتنّور من نحاس فأُحمى، فدعا بها و بولدها، فقالت: إنّ لي إليك حاجة، قال: و ما هـي؟ قـالت: تجـمع عظامي و عظام ولدي فتدفنها. قال: ذاك لك لمالك علينا من حقّ، فأمر بأولادها فأُلقوا واحداً واحداً في التنّور حتّى كان آخر ولدها و كان صبيّاً مرضعاً، فقال: إصبري يا أُمّاه إنّك على الحقّ، فأُلقيت في التّنّور مع ولدها».

و أمّا إمرأة فرعون آسية فكانت من بني إسرائيل و كانت مؤمنة مخلصة، و كانت تعبداللّه سرّاً، و كانت على ذلك إلى أن قتل فرعون إمـرأة حـزبيل، فـعاينت حـينئذ الملآئكة يعرجون بروحها لما أراد اللّه تعالى بها من الخير فزادت يـقيناً و إخـلاصاً و تصديقاً، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها فرعون يخبرها بما صنع بها، فقالت: الويل لك يا فرعون، ما أجرأك على اللّه جلّ و علا؟ فقال لها: لعلّك قد اعتراك الجنون الّذي اعترى صاحبتك، فقالت: ما اعتراني جنون، لكن آمنت باللّه تعالى ربّي و ربّك و ربّ العالمين، فدعا فرعون أُمّها فقال لها: إنّ ابنتك أخذها الجنون، فأقسم لتذوقنّ الموت أو لتكفرنّ بإله موسى، فخلت بها أُمّها فسئلتها موافقة فرعون فيما أراد، فأبت و قالت: أمّا أن أكفر باللّه فلا و اللّه لا أفعل ذلك أبداً، فأمر بها فرعون حتّى مدّت بين أربـعة أوتـاد ثمّ لا زالت تعذّب حتّى ماتت كما قال اللّه سبحانه: «و فرعون ذي الأوتاد».

و عن إبن عبّاس: قال: أخذ فرعون إمرأته آسية حين تبيّن له إسلامها يـعذّبها لتدخل في دينه، فمرّبها موسى و هو يعذّبها، فشكت إليه بإصبعها، فدعا اللّه موسى أن يخفّف عنها، فلم تجد للعذاب مسّاً، و إنّها ماتت من عذاب فرعون لها (فدعا اللّـه أن يخفف عنها من العذاب، فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألماً إلى أن مات في عذاب فرعون خ) فقالت و هي في العذاب: «ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة» و أوحى اللّه إليها: أن ارفعي رأسك، ففعلت فرأت (فأُريت خ) البيت في الجنّة بنى لها من درّ فضحكت، فقال فرعون:

انظروا إلى الجنون الّذي بها، تضحك و هي في العذاب».

و في المجمع: في قوله تعالى: «و ضرب اللّه مثلاً للّذين آمنوا امرأة فرعون» قال: هي آسية بنت مزاحم. و قيل: إنّها لمّا عاينت المعجزة من عصا موسى، و غلبت السّحرة أسلمت، فلمّا ظهر لفرعون إيمانها، نهاها، فأبت فأوتديديها و رجليها بأربعة أوتاد و ألقاها في الشّمس، ثمّ أمر أن يلقي عليها صخرة عظيمة، فلمّا قربت أجلها قالت: «ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة» فرفعها اللّه تعالى إلى الجنّة فهي فيها تأكل و تشرب. عن الحسن و إبن كيسان.

و قيل: إنّها أبصرت بيتها في الجنّة من درّة و انتزع اللّه روحها، فالقيت الصّخرة على جسدها، و ليس فيه روح، فلم تجد ألماً من عذاب فرعون، و قيل: إنّها كانت تعذّب بالشّمس و إذا انصرفوا عنها أظلّتها الملآئكة، و جعلت ترى بيتها في الجنّة. عن سلمان».

و فيكتاب سكردان السّلطان: قيل إنّ مؤمن آل فرعون كان ابن عمّ فرعون، و هو الّذي قال لموسى: «إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك» أى يتشارون في قتلك «فاخرج إنّي لك من النّاصحين».

روى أنّ رجلين سعيا به إلى فرعون، و قالا له: إنّه آمن بموسى، فأمر هما فرعون بإحضاره فلمّا أحضراه قال لهما فرعون: من ربّكما؟ قالا له: .أنت، فقال للمؤمن من ربّك؟ فقال: ربّي ربّهما، فتوهّم فرعون أنّه قصده بهذا القول، فقال للسّاعين سعيتما إليّ برجل هو على ديني لأقتله، ثمّ صلبهما و سلم الرّجل المؤمن، فذلك معنى قوله تعالى: «فوقاه اللّه سيّئات ما مكروا و حاق بآل فرعون سوء العذاب» فقو بل كلّ منهما بسوء فعله، و انعكست عليه حيلته «و لا يحيق المكر السّيئ إلاّ بأهله».

و قد قال بعض المحقّقين الأعلام: إنّ خمس طوآئف من النّاس يحاكمون يوم القيامة مع خمس نفوس:

**الطّائفة الاولى:** إنّ الملوك و الأُمرآء و السّلاطين و الرّؤسآء و الحكّام و القادة كلّهم يحاكمون مع سليمان بن داود عليهما السّلام بأنّ سليمان﴿؏﴾ مع تلك القدرة العامّة و السّطوة الشّاملة حتّى على الرّياح و السّحاب و الوحوش و الطّيور و الجنّ و الإنس ...

لم يخرج عن طريق القسط و العدل و لم يظلم أحداً فكيف أنتم؟

**الثّانية:** إنّ العلماء و الدّعاة و المصلحين كلّهم يحاكمون مع المؤمن من آل فرعون بأنّه كان يدعو فرعون طاغي مصر إلى الحقّ و الهدى، و إلى الخير و الرّشاد، و يأمره بالمعروف و ينهاه عن المنكر، و يذبّ عن موسى رسول اللّه(ﷺ) و لا يخاف لامة لآثم، و لم يترك الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر فكيف أنتم؟ هل فعلتم بما اُمرتم به: «كونوا ربّانيّن بما كنتم تعلّمون الكتاب و بما كنتم تدرسون - و اعتصموا بحبل اللّه جميعاً و لا تفرّقوا - و لتكن منكم اُمّة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر - كنتم خير اُمّة اخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون باللّه - و إذ أخذ اللّه ميثاق الّذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس و لا تكتمونه ...» آل عمران: ۷۹ و ۱۰۳ و ۱۰۴ و ۱۱۰ و ۱۸۷) «إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب اولئك يلعنهم اللّه و يلعنهم اللاّعنون» البقرة: ۱۵۹) «و من يعمل من الصّالحات و هو مؤمن فلا يخاف ظلماً و لا هضماً» طه: ۱۱۲) «فسوف يأتي اللّه بقوم يحبّهم و يحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل اللّه و لا يخافون لومة لائم» المآئدة: ٥٤).

**الثّالثة:** إنّ الشّبّان و الفتيان كلّهم يحاكمون مع يوسف بأنّه مع القدرة على الحرام تركه و قد همّت به زليخا إمرأة عزيز مصر فكيف أنتم؟

**الرّابعة:** إنّ النّسآء كلّهنّ يحاكمن مع آسية زوجة فرعون طاغي مصر بأنّها مع كون زوجها فرعون الّذي كان يدّعى الرّبوبيّة و الالوهيّة كانت تعبداللّه تعالى وحده و تذبّ عن موسى بن عمران و آمنت به فكيف أنتنّ؟

**الخامسة:** إنّ أصحاب المصائب كلّهم يحاكمون مع أيّوب (ﷺ) فإنّه وحده صبر على البلايا كلّها فكيف أنتم؟

## «كشف العذاب عن فرعون و ملائه و نقض عهدهم»

قال اللّه عزّوجلّ: «و مانريهم من آية إلاّ هى أكبر من أُختها و أخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجعون و قالوا يا أيّه السّاحر أُدع لنا ربّك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون فلمّا كشفنا عنهم العذاب إذاهم ينكثون» الزّخرف: ٤٨-٥٠).

و قال: «إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عآئدون» الدّخان: ١٥).

إنّ الموعظة الحسنة من موسى«عليه السلام» و المؤمن البطل لم تنفع فرعون طاغي مصر و عمّاله المستكبرين، بل ازدادوا علوّاً في الأرض و طغياناً و تهديداً و تعذيباً لبني إسرائيل، إزاء هذا دعا موسى«عليه السلام» ربّه قائلاً: يا ربّ إنّك أعطيت فرعون و الأشراف من قومه زينة الدّنيا، و بهجتها من الأموال، و الثّياب الفاخرة و القصور و الجنائن و السّلطان ... لكنّهم قابلوا هذه النّعم بالكفر و العناد، بالبغي و الفساد، و بالإثم و اللّجاج ... و صرفوا النّاس عن الايمان بك اللّهمّ امحق أمواهم، و زد قلوبهم قسوة و عناداً فلا يوفقوا للإيمان حتّى يروا العذاب و الهوان رأى العين يصيبانهم.

بهذا دعا موسى«عليه السلام» ربّه و أمّن على قوله أخوه هارون، فقال اللّه تعالى لهما: قد أُجيب دعآءكما فاستمرّا على السّير في الطّريق المستقيم، و اتركاسبيل هؤلآءِ الجاهلين: «و قال موسى ربّنا إنّك آتيت فرعون و ملائه زينة و أموالاً في الحياة الدّنيا ربّنا ليضلّوا عن سبيلك ربّنا اطمس على أموالهم و اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب

الأليم قال قد أُجيبت دعوتكما فاستقيما و لا تتّبعانّ سبيل الّذين لا يعلمون» يونس: ٨٨-٨٩) فاستجاب اللّه تعالى دعآء موسى﴿؏﴾ فعاقب فرعون و قومه بالجدب و القحط و نقص من ثمرات الزّرع و الأشجار رجآء أن ينتبهوا إلى ضعفهم، و عجز ملكهم و إلههم فرعون أمام قوّة اللّه تعالى فيتّعظوا و يستجيبوا لدعوة موسى﴿؏﴾ و لكن طبيعتهم تأبى العظة و الإعتبار ممّا يصيبهم، فإنّهم إذا جآءهم الخصب و الرّخاء قالوا: نحن نستحقّ ذلك لما لَنا من إمتياز على النّاس، و إن أصابهم مايسوئهم كقحط أو مصيبة تنزل بهم يتشآءموا بموسى و من معه، و لكن هؤلآء السّفلة لا يعلمون أنّ الخير الّذي يأتيهم أو الشّرّ الّذي يداهمهم إنّما هو مقدّر من عند اللّه تعالى:

«و لقد أخذنا آل فرعون بالسّنين و نقص من الثّمرات لعلّهم يذّكّرون فإذا جآئتهم الحسنة قالوا لنا هذه و إن تصبهم سيّئة يطّيّروا بموسى و من معه ألا إنّما طآئرهم عنداللّه و لكن أكثرهم لا يعلمون» الأعراف: ١٣٠-١٣١).

و لكن طبيعة فرعون و قومه الموغلة في السّوءِ أبت عن الإذعان للآيات الواضحة الّتي تدلّ على رسالة موسى﴿؏﴾ فأخذتهم العزّة بالإثم، و عتوا عن أمر اللّه جلّ و علا و تمادوا في تكذيب موسى﴿؏﴾ فاستمرّوا في إجرامهم و آثامهم، و في إعنات بني إسرائيل و إيقاع ضروب الإذلال و الإهانة بهم حينئذٍ، أمر اللّه عزّوجلّ موسى﴿؏﴾ أن يعلن فرعون المتكبّر و ملائه المستكبرين بأنّ اللّه تعالى سيوقع بهم العذاب، و يصيبهم بصنوف أُخرى من المصآئب و النّكبات جزآءً لهم على تكذيبه و امتناعهم من إطلاق بني إسرائيل، و كانوا كلّما حلّ بهم العذاب بعد إنبآء موسى إيّاهم به، و عدوه بالايمان به تارة، و بإطلاق بني إسرائيل، معه تارة أُخرى، و يقولون لموسى﴿؏﴾: لئن كشف اللّه ما بنا من سوء و عذاب سنؤمن بربّك و نرسل معك بني إسرائيل، فإذا كشف اللّه عنهم العذاب بدعآءِ موسى﴿؏﴾ نكثوا بوعدهم و نقضوا عهدهم و عادوا إلى كفرهم و طغيانهم ...

قال اللّه تعالى: «و قالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن بمؤمنين فأرسلنا

عليهم الطّوفان - فلمّا كشفنا عنهم الرّجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون» الأعراف:١٣٢-١٣٥).

و هكذا إلى أن كانت الآية الكبرى و البطشة العظمى و هي إغراق فرعون و قومه في اليمّ و نجاة بني‌إسرائيل و الآيات هي:

١- الطّوفان يغمر ممتلكاتهم و مزارعهم ... و أمّا كونه على أيّ وجه؟ فهل كان بطغيان النّيل على الأرض و امتداد زمن بقائه على وجه أرض مصر حتّى عاقهم عن الزّرع في الوقت المناسب؟ أو كان بتتابع المطر على أرض مصر في وقت كان فيه الزّرع نامياً حتّى أغرقه و أضربه فكلّ محتمل، و لم يقطع المفسّرون بأحدهما.

٢- الجراد فأرسل اللّه جلّ و علا على بلاد مصر الجراد يأكل زروعهم و يجتاح أثمارهم ...

٣- القمّل و هو حشرة تفسد الثّمار وتؤذى الإنسان و الحيوان ... قيل: هو كبار القراد. و قيل: صغار الجراد قبل نبات أجنحتها. و قيل: صغار الذرّ و الدّبا الّذي لا أجنحة له أو شيء صغير بجناح أحمر، و شيء يشبه الحلم لا يأكل أكل الجراد، خبيث الرّائحة، و قيل: دوابّ صغار. و قيل: قمّل النّاس فأقض مضاجعهم و أتعبهم أيّما تعب.

٤- الضّفادع الّتي انتشرت في كلّ مكان، فنغصت حياتهم و أفسدت صفاء عيشهم بسقوطها في طعامهم و فراشهم و بين ملابسهم ...

٥- الدّم بأن استحال المآء لأهل مصر دماً. و قيل: سلّط اللّه عزّوجلّ عليهم الرّعاف فيسيل الدّم من أنو فهم و أفواههم، و تلوّثت بذلك مياههم فضعفت أجسامهم...

٦- الجَدَب بأن قلّ عنهم النّيل، و قصر عن اروآء أرضهم، و سنو الجدب يؤرخ بها، فيقال لعام الجدب سنة ... و منها أسنت القوم أى أصابتهم السّنة.

٧- النّقص من الثّمرات ... بسبب ما يأتي عليها من الجوائح و العاهات .... قال اللّه تعالى: «و لقد أخذنا آل‌عمران بالسّنين ونقص من الثّمرات لعلّهم يذّكّرون» الأعراف: ١٣٠).

٨- الطّمس على أموالهم و هو محقها و إهلاكها ..

٩- الشّدّة على قلوبهم: «ربّنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم» يونس:٨٨).

و قيل: التّاسعة هي اليد إذ كان موسى ﴿عليه السلام﴾ يضع يده في جيبه ثمّ يخرجها بيضآء من غير سوء. و قيل: التّاسعة هى الرّجز و كانت أرض مصر رجزاً.

و بعض المفسّرين يعدّ الآيات على غير هذا الوجه، فيجعل «فلق البحر» من الآيات التّسع، و آخرون يجعلون «إنبجاس الحجر بالمآءِ لبنى إسرائيل» من الآيات التّسع ... و لا يخفى أنّ فلق البحر إنّما كان بعد تمام الآيات، و إنبجاس البحر بالمآء إنّما كان بعد هلاك فرعون، فلا يصحّ أن يكون آيةله و لقومه. و قال بعضهم الآيات التّسع هكذا:

١- السّنون ٢- نقص الأموال ٣- نقص الأنفس ٤- نقص الثّمرات ٥- الطّوفان ٦- الجراد ٧- القمّل ٨- الضّفادع ٩- الدّم. و انّ هذه الآيات التّسع غير الآيات التّسع الّتى ارسل بها موسى ﴿عليه السلام﴾ إلى بني إسرائيل.

**في تاريخ اليعقوبي:** «و بعث اللّه موسى بآيات إلى فرعون: العصا، ثمّ اليد الّتي خرجت من جيبه بيضآء، ثمّ الجراد، ثمّ القمّل، ثمّ الضّفادع، ثمّ الدّم، و موت الأبكار، فلمّا اتّصل بهم هذا قال له فرعون: إن كشفت عنّا الرّجز آمنّا و أخرجنا معك بني إسرائيل، فكشف اللّه عنهم و لم يؤمنوا».

**أقول:** و قدوردت في المقام روايات عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين نشير إلى نبذة منها:

**في الخصال:** باسناده عن هارون الغنويّ عن أبي عبداللّه ﴿عليه السلام﴾ قال: «سئلته عن التّسع الآيات الّتي أُوتى موسى ﴿عليه السلام﴾ فقال: الجراد و القمّل و الضّفادع و الدّم و الطّوفان و البحر و الحجر و العصا و يده».

**و فيه:** باسناده عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر ﴿عليه السلام﴾ في قول اللّه عزّوجلّ: «و لقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات» قال: الطّوفان و الجراد و القمل و الضّفادع و الدّم و الحجر و البحر و العصا و يده».

**و في تفسير العياشي:** عن محمّدبن قيس عن أبي عبداللّه ﴿عليه السلام﴾ قال: قلت: ما

الطّوفان؟ قال: هو طوفان المآء و الطّاعون.

و فيه: عن سليمان عن الرّضا﴿؏﴾ في قوله: «لئن كشفت عنّا الرّجز لنؤمننّ لك» قال: الرّجز هو الثّلج، ثمّ قال: خراسان بلاد رجز».

و فيه: عن هشام بن سالم عن أبي عبداللّه﴿؏﴾ قال: كان بين قوله: «قد أُجيبت دعوتكما» و بين أن أُخذ فرعون أربعون سنة».

أقول: و في المقام كلمات مختلفة نشير إلى مايسعه المـقام و نحـن عـلى جـناح الإختصار.

و في تفسير الصّافي: في قوله تعالى: «آمنتم له قبل أن آذن لكم إنّه لكبيركم» انّ فرعون حبس من آمن بموسى من السّحرة في السّجن حتّى أنزل اللّه عزّوجلّ عـليهم الطّوفان و الجراد و القمّل و الضّفادع و الدّم فأطلق عنهم».

و في تفسير الطبري: عن سعيد بن جبير قال: «لمّا أتى موسى فرعون قال له: أرسل معي بني إسرائيل فأبى عليه، فأرسل اللّه عليهم الطّوفان و هو المطر، فصبّ عليهم منه شيئاً فخافوا أن يكون عذاباً فقالوا لموسى: اُدع لنا ربّك لئن كشفت عنّا الرّجز لنؤمننّ لك و لنرسلنّ معك بني إسرائيل، فدعا ربّه، فلم يؤمنوا و لم يرسلوا معه بني إسرائـيل، فأنبت لهم في تلك السّنة شيئاً لم ينبته قبل ذلك من الزّرع و الـثّمر و الكلأ، فقالوا: هذا ما كنّا نتمنّى فأرسل اللّه تعالى عليهم الجراد فسلّطه على الكلأ، فلمّـا رأوا أثره في الكـلأ عرفوا أنّه لا يبقى الزّرع، فقالوا: يا موسى اُدع لنا ربّك فيكشف عنّا الجراد فنؤمن لك، و نرسل معك بني إسرائيل فدعا ربّه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا و لم يرسلوا معه بني إسرائيل فداسوا و أحرزوا في البيوت، فقالوا قد أحرزنا.

فأرسل اللّه تعالى عليهم القمّل و هو السّوس الّذي يخرج منه، فكـان الرّجـل يخرج عشرة أجربة إلى الرّحى، فلا يردّ منها ثلاثة أقفزة، فقالوا: يا موسى اُدع لنا ربّك يكشف عنّا القمّل فنؤمن لك و نرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربّه فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل فبينا هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع، فقال لفرعون: ما تلقى أنت و قومك من هذا؟ فقال: و ما عسى أن يكون كيد هذا، فما أمسوا حتّى كان

الرّجل يجلس إلى ذقنه في الضّفادع ويهمّ أن يتكلّم فتثب الضّفادع في فيه، فقالوا: يا موسى اُدع لنا ربّك يكشف عنّا هذه الضّفادع فنؤمن لك و نرسل معك بني إسرائيل، فكشف عنهم فلم يؤمنوا.

فأرسل اللّه تعالى عليهم الدّم، فكان ما استقوا من الأنهار و الآبار أو ما كان في أوعيتهم و جدوه دماً عبيطاً، فشكوا إلى فرعون، فقالوا: إنّا قد ابتلينا بالدّم، و ليس لنا شراب، فقال: إنّه قد سحركم، فقالوا: من أين سحرنا و نحن لا نجد في أو عيتنا شيئاً من المآءِ إلاّ وجدناه دماً عبيطاً؟ فأتوه فقالوا: يا موسى اُدع لنا ربّك يكشف عنّا هذا الدّم، فنؤمن لك، و نرسل معك بني‌إسرآئيل، فدعا ربّه فكُشِفَ عنهم، فلم يؤمنوا و لم يرسلوا معه بني إسرائيل: «فلمّا كشفنا عنهم العذاب هم بالغوه إذا هم ينكثون».

و فيه: قال زيدبن أسلم: إنّ الدّم كان رعافاً.

و في تفسير القمّي: قال: لمّا سجد السّحرة و من آمن به من النّاس قال هامان لفرعون: إنّ النّاس قد آمنوا بموسى، فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كلّ من آمن به من بني‌إسرائيل، فجآء إليه موسى، فقال له: خلّ عن بني إسرآئيل فلم يفعل، فأنزل اللّه تعالى عليهم في تلك السّنة الطّوفان، فخرّب ذروعهم و مساكنهم حتّى خرجوا إلى البريّة، و ضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: اُدع ربّك حتّى يكفّ عنّا الطّوفان حتّى اُخلّي عن بني إسرآئيل و أصحابك، فدعا موسى ربّه، فكفّ عنهم الطّوفان، و همّ فرعون أن يخلي عن بني إسرآئيل فقال له هامان: إن خلّيت عن بني إسرآئيل غلبك موسى و أزال ملكك، فقبل منه، و لم يخلّ عن بني اسرآئيل، فأنزل اللّه تعالى عليهم في السّنة الثّانية الجراد، فجردت كلّ شيء كان لهم من النّبت و الشّجر حتّى كانت تجرد شعرهم و لحاهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً و قال:

يا موسى(عليه السلام) اُدع ربّك أن يكفّ عنّا الجراد حتّى اُخلّي عن بني‌إسرآئيل و أصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يخلّي عن بني إسرآئيل، فأنزل عليهم في السّنة الثّالثة القمّل فذهبت زروعهم و أصابتهم المجاعة، فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنّا القمّل كففت عن بني إسرآئيل، فدعا موسى ربّه حتّى ذهب

القمّل، و قال: أوّل ما خلق اللّه القمّل في ذلك الزّمان، فلم يخلّ عن بني إسرآئيل، فأرسل اللّه تعالى عليهم الضّفادع فكانت تكون في طعامهم و شرابهم، و يقال: إنّها كانت تخرج من أدبارهم و آذانهم و انافهم، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فجآؤا إلى موسى، فقالوا: أُدع اللّه أن يذهب عنّا الضّفادع فإنّا نؤمن من بك و نرسل معك بني إسرآئيل، فدعا موسى ربّه فرفع عنهم ذلك.

فلمّا أبوا أن يخلوا عن بني إسرآئيل حوّل اللّه تعالى مآء النّيل دماً فكان القبطي يراه دماً و الإسرائيلى يراه مآءً فإذا شربه الإسرآئيلي كان مآءً، و إذا شربه القبطى كان دماً فكان القبطى يقول لإسرآئيلى: خذ المآء في فمك و صبّه في فمي، فكان إذا صبّه في فم القبطى تحوّل دماً، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فقال لموسى لإن دفع اللّه تعالى عنّا الدّم لنرسلنّ معك بني إسرائيل، فلمّا دفع اللّه عنهم الدّم عذروا و لم يخلوا عن بني إسرائيل، فأرسل اللّه تعالى عليهم الرّجز و هو الثّلج، و لم يروه قبل ذلك، فماتوا فيه و جزعوا و أصابهم مالم يعهدوا قبله، فقالوا يا موسى: «أُدع لنا ربّك بما عهد عندك لئن كشفت عنّا الرّجز لنؤمننّ لك و لنرسلنّ معك بني إسرآئيل» الأعراف: ١٣٤).

فدعا ربّه فكشف عنهم الثّلج عن بني إسرائيل، فلمّا خلّى عنهم إجتمعوا إلى موسى و خرج موسى من مصر و اجتمع إليه من كان هرب من فرعون، و بلغ فرعون ذلك فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّى عن بني إسرائيل، فقد اجتمعوا إليه، فجزع فرعون و بعث في المدائن حاشرين، و خرج في طلب موسى».

و في الكشّاف: «حتّى إنّ المرأة القبطيّة تقول لجاريتها الإسرائيليّة: إجعلي المآء في فيك ثمّ مجيه في فيّ، فيصير المآء في فيها دماً، و عطش فرعون حتّى اشفى على الهلاك فكان يمصّ الأشجار الطيّبة الرّطبة، فإذا مضغها صار مآؤها الطّيّب ملحاً أُجاجاً».

و فيه: روى أنّ موسى﴿عليه السلام﴾ مكث فيهم بعد ما غلب السّحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات.

و في الدّرّ المنثور: عن أبي زهير النّميرى قال: قال رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾: لا تقاتلوا الجراد فإنّه جند من جنداللّه الأعظم.

و فيه: عن إبن عمر قال: وقعت جرادة بين يدى رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ فاحتملها فإذاً مكتوب في جناحها بالعبرانيّة: لا يعني جنيني و لا يشبع آكلي، نحن جند اللّه أكبر لنا تسعة و تسعون بيضة و لو تمّت المأة لأكلنا الدّنيا بما فيها، فقال رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾: اللّهمّ أهلك الجراد اقتل كبارها و أمت صغارها، و أفسد بيضها و سدّ أفواهها عـن مـزارع المسلمين و عن معائشهم إنّك سميع الدّعآء فجآئه جبرئيل، فقال: إنّه قد استجيب لك في بعض».

و فيه: عن الحسين بن عليّ عليهما السّلام قال: كنّا على مآئدة أنا و أخي محمّدبن الحنفيّة، و بني عمّي عبداللّهبن عبّاس و قثم و الفضل، فوقعت جرادة، فأخذها عبداللّه بن عبّاس، فقال للحسين﴿عليه السلام﴾: تعلم ما مكتوب على جناح الجرادة؟ فقال: سئلت أبي، فقال سئلت رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ فقال لي على جناح الجرادة مكتوب: «إنّي أنا اللّه لاإله إلاّ أنا ربّ الجرادة و رازقها إذا شئت بعثتها رزقاً لقوم، و إن شئت على قوم بلآءً، فقال إبن عبّاس: هذا و اللّه من مكنون العلم».

الجراد واحده جرادة سمّى به لجرده ما على الأرض، و هو جند من جـنوداللّـه تعالى يسلّطه على من يشاء من عباده.

و في تفسير روح البيان: عن إبن سينا: إذا كثرت الضّفادع في سنة و زادت على العادة يقع الوبآء عقيبه».

و فيه: انّ الضّفادع كان في الأصل كيّالاً، فلأجل نقصانه في الكيل ادخل فيه».

و فيه: انّ من خواصّه إذا اخذت إمرأة ضفدع المآء، و فتحت فاه و بصقت فيه ثلاث مرّات و رمته إلى المآء فإنّها لاتحبل».

و فيه: عن قزويني قال: كنت بالموصل ولنا صاحب في البستان بني مجـلساً و بركة، فتولّدت فيها الضّفادع و تأذى سكان المكان بنقيقها و عجزوا عن إيطاله حـتّى جآء رجل و قال: اجعلوا طشتاً على وجه المآءِ مقلوباً ففعلوا فلم يسمعوا لها نفيقاً بعد ذلك».

و في المنار: إنّ موسى إستولى على مصر و تمتّع هو و قومه بالسّيادة فيها طآئفة

من الزّمن كما ورد في التّأريخ الصّحيح أنّ موسى ﴿عليه السلام﴾ بعد أن هزم فرعون مصر الّذي فرّ إلى بلاد الحبشة حكم مصر (۱۳) سنة و بعد ذلك عاد إليه فرعون و إبنه و معهما جيش عظيم، فقهروه و أخرجوه منها إلى بلاد الشّام لأنّ المصريّين إستغاثوا بمملكة الحبشة فارسلت إليهم جيشاً، فأوحى اللّه تعالى إلى موسى بالخروج حنيئذ من مصر و تركها لأهلها. و عليه يجوز أنّ المصريّين كتموا خبر غرق ملكهم، و استبدلوا به دعوى تقهقره إلى الحبشة، و قالوا: إنّه هو الّذي عاد بعد ذلك، و أخرج موسى بالقوّة ستراً لخزيهم و خذ لانهم و إرضآءً لملوكهم و أسر (جمع اسرة) هؤلآءِ الملوك، و ربّما أنّه لولا عظم هذه الحادثة و شهرتها بينهم لأنكروها بالمرّة».

ثمّ قال صاحب المنار: إنّ الخروج لم يكن عقب غرق المصريّين مباشرة كما يفهم من التّوراة و لم يكن السّبب فيه هذه الحادثة الّتي غرق فيها فرعون و جيشه، بل كان بعد ذلك ببعض سنين، و انّ القرآن الشّريف يصدق غرق فرعون في النّيل، و انّه حكم موسى في مصر (۱۳) سنة. و أمّا الغرق في النّيل فيفهم من القرآن في سورة طه: «إذ أوحينا إلى أُمّك ما يوحى أن اقذ فيه في التّابوت فاقذ فيه في اليّم» ثمّ قوله تعالى في آخر هذه القصّة: «فأتبعهم فرعون و جنوده فغشيهم من اليمّ ما غشيهم» فالمتبادر من ذلك أنّ فرعون غرق في نفس اليمّ الّذي ألق فيه موسى و هو النّيل و مثل ذلك أيضاً ما جآء في سورة القصص و هو قوله تعالى: «فإذا خفت عليه فألقيه في اليم» ثمّ قوله تعالى فيها بعد «فأخذناهم و جنوده فنبذناهم في اليم».

و أمّا حكم موسى ﴿عليه السلام﴾ في مصر و التّمتّع بها هو و قومه مدّة من الزّمن بعد الغرق فهو أيضاً المتبادر من نحو قوله تعالى: «فأراد» أى فرعون «أن يستفزّهم من الأرض فأغرقناه» إلى قوله تعالى: «و قلنا من بعده لبني إسرآئيل اسكنوا الأرض» و قوله تعالى: «فأخرجنا من جنّات و عيون و كنوز و مقام كريم كذلك و أورثناها بني إسرآئيل».

ثمّ قال: و يجوز أنّ الشّريعة اعطيت لموسى في الطّور قبل تركه حكم مصر، و في زمن موسى أعطى اللّه بني إسرآئيل بدلاً عن مصر الّتي أمرهم بتركها الممالك الّتي في

شرق الأُردن كما في كتبهم و في زمن يشوع أعطاهم كلّ أرض كنعان إلاّ بعض أجزآءٍ منها، و هذه الأرض الّتي أُعطيت لهم هي من أخصب أراضى العالم و أحسنها، و هي المسمّاة عندهم بأرض الموعد لأنّهم كانوا وعدوا بها من قبل.

فأنّى لمحمّد﴿ﷺ﴾ علم ما في التّأريخ و هو أجنبيّ عنه و عن قومه، و مغاير للتّوراة و مخالف لما يعتقده جميع اليهود و النّصارى من قديم الزّمان، و لكنّه موافق لأقدم الرّوايات المصريّة و أصحّها الّتي لا يعرفها حتّى الآن إلاّ واسع الاطّلاع من محقّقي المؤرّخين كما أنّ (مانيثو) واقف على تأريخ صحيح يوافقه القرآن العظيم، فهو كان كاهناً لمعبد من أقدم المعابد و أشهرها، و قد كتب تأريخ مصر بأمر بطليموس فيلادلفوس في القرن الثّالث قبل ميلاد المسيح، و كان من أدقّ مؤرّخى القدمآء و أصدقهم، و قد أخذ بأوثق المصادر و أصحّها في كتابة تأريخه إلاّ أنّ هذا التّأريخ فقد مع ما فقد في حريق الإسكندرية و لم يبق منه سوى مقتطفات من بعض الكتب القديمة اليونانيّة، و قد أيّد أكثر هذه المقتطفات ما اكتشف حديثاً من الآثار المصريّة و المكتوبات العتيقة ...».

إنّ اللّه تعالى إبتلا آل فرعون لعنادهم بخمسة أنواع من العذاب:

**الأوّل:** الطّوفان في قوله تعالى: «فارسلنا عليهم الطّوفان» من مطر السّمآءِ فأغرق الزّرع و أهلك الزّرع.

و **الثّاني:** الجراد جآء بعد الطّوفان بطبيعة الحال، فأكل البقيّة الباقية من كلأهم وزرعهم.

و **الثّالث:** القمّل دوابّ صغار كالقردان تركب البعير الهزيل به ينزل البلآء و ينشر الوبآء.

و **الرّابع:** الضّفادع تنغص عليهم الحياة.

و **الخامس:** الدّم تحول مآؤهم إلى دم، و لم يقدروا على المآء العذب. و قيل: أُصيبوا بمرض الرّعاف».

و **في المجمع:** في قوله تعالى: «فأرسلنا عليهم الطّوفان» إختلف فيه، فقيل: هو المآء الخارج عن العادة. و قيل: هو الموت الذّريع. و هو موت فاش أو سريع.

و قيل: هو الطّاعون بلغة اليمن، أرسل اللّه ذلك على أبكار فرعون في ليلة فلم يبق منهنّ إنسان و لادابّة. و قيل: هو الجدريّ و هم أوّل من عذّبوا به، فبقي في الأرض.

و قيل: هو أمر من أمر اللّه طاف بهم. و اختلف في القمّل أيضاً، فقيل: هو صغار الجراد الّتي لاأجنحة لها. و قيل: صغار الذّرّ. و قيل: شيء يشبه الحلم - جمع الحلمة: دودة تقع في الجلد فتأكله - لا يأكل الجراد خبيث الرّائحة. و قيل: دوابّ سود صغار كالقردان. و قيل: هو السّوس الّذي يخرج من الحنطة. و قيل: قمّل النّاس.

و أمّا الرّجز فقيل: هو العذاب، و هو ما نزل بهم من الطّوفان و غيره. و قيل: هو الطّاعون مات به من القبط سبعون ألف إنسان.

و قال الطّبرسيّ المازندرانيّ رحمة اللّه تعالى عليه: روى عن أبي عبداللّه (عليه السلام) أنّه أصابهم ثلج أحمر، و لم يره قبل ذلك، فما توافيه، و جزعوا و أصابهم ما لم يعهدوه قبله».

## ﴿فرعون الطّاغي و مُلك مصر﴾

قال اللّه عزّوجلّ: «فلما كشفنا عنهم العذاب إذاهم ينكثون و نادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر و هذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون - فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين» الزّخرف: ٥٠-٥٤).

و قال: «كم تركوا من جنّات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين» الدّخان: ٢٥-٢٧).

و من المعلوم أنّ نفس فرعون طاغي مصر قد كانت أدنى من نفس الدّنيا مع دنائتها، حيث إنّ الدّنيا تكون مؤنّث الأدنى، فمن كان أدنى فهو طالب الدّنيا، فغلب عقل معاشه على عقل معاده، فظهر الأوّل تمام الظّهور، و أفل الثّاني تمام الأُفول، فزعم أنّ كماله و عزّته، صلاحه و شرافته، و فلاحه و سعادته بالدّنيا و متاعها فكان من أطوع عبيدها، و هكذا يزعم أكثر الملوك و الأُمرآء، و السّلاطين و الرّوسآء و الحكّام ... في كلّ ظرف تبعاً لفرعون مصر و النّاس على دين ملوكهم ...تبعاً لآل فرعون على درجاتهم في الزّعم و العَمل. و لم يعلم فرعون أنّ الدّنيا و ما فيها خلقت للإنسان لاالعكس.

قال اللّه عزّوجلّ: «هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» البقرة: ٢٩).

و قال: «و سخّر لكم ما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الجاثية: ١٣).

و قال: «الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة و يصدّون عن سبيل اللّه و

يبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد» إبراهيم: ٣).

و قال: «إنّ هؤلآء يحبّون العاجلة و يذرون ورآءهم يوماً ثقيلاً» الإنسان: ٢٧).

و لذلك كان فرعون يباهي بأنّه ملك مصر مع ما فيها من الثّروة، و استمرّ في غيّه، و أخذته عزّة الملك، فجمع قومه السّفلة، وينادي فيهم: أنّه ربّهم الأعلى، و أنّ كلّ معبود دونه، و يقول لهم: يا قوم ألست ملك مصر و صاحب الأمر و النّهي فيها، أو ليس نهر النّيل و فروعه تجري بين قصوري و جنآئني؟ ألست خيراً من هذا الحقير المهين موسى الّذي لا يكاد يستطيع أن يعبّر عمّا يجول في خاطره (الحبسة في لسانه) ثمّ تابع قوله: إنّ هذا الرّجل ليس عليه سمة الرّياسة، فكيف تريدون أن تتّبعوه دون أن تلقى عليه أسورة الذّهب، فيتحلّى بها كما يتحلّي بذلك الملوك؟ و لماذا لاتأتي معه الملآئكة يمشون ورآئه صفّاً صفّاً مقترناً بعضهم ببعض ليكونوا أتباعه و أعوانه كما تمشي الحاشية خلف الملك؟ إستهوى فرعون بكلامه الباطل هذا عقولهم فأطاعوه و انقاد وا إليه لأنّهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة اللّه تعالى.

و ذلك أنّ موسى﴿عليه السلام﴾ كان يصرّ على دعآءِ فرعون و ملائه إلى الحقّ و الهدى و الايمان باللّه جلّ و علا و إلى إطلاقه بني إسرائيل، و كان فرعون و حواشيه يتمادون في دفعه، إذ يرى فرعون نفسه عظيماً أن يلبي دعوة موسى و يتبع دينه، مع مالفرعون من عزّة السّلطان و وافرة الثروة الّتي تدرها عليه مصر بسبب نيلها الفيّاض، و ماله من الفروع الّتي تبعث الحياة الرّافغة في مصر كأنّها الشّرايين تمدّ مصر بالحياة، إذ تسري في أرضها الدّانية و القاصية، فتسرى فيها الثّروة و اليسر، و كأنّه كان ينظر إلى قول الشّاعر بعد عصره:

فلا تعجب فكلّ خليج مآء ... بمصر مسبب لخليج مال

زيادة أصبع في كلّ يوم ... زيادة أذرع في حسن حال

غلبت عليه نفسه المادّية الّتي لا ترى العزّ و الكمال إلاّ في و فرة المال، و لا تعرف أنّ اللّه عزّوجلّ يختصّ برحمته و فضله من يشآء فقال: «أم أنا خير من هذا الّذي هو مهين و لا يكاديبين» ثمّ لجأ إلى الإعنات و طلب ما هو أقلّ ممّا أتى به موسى من الآيات

البيّنات على صدقه، و قال: «فلو لا أُلق عليه أسورة من ذهب أو جآء معه الملآئكة مقترنين» كأنّ هذا الّذي يطلبه لا يحال على أنّه سحر كما قال عن العصا الّتي استحالت ثعباناً و اليد الّتي اكتست لون البياض بلا مرض بدل لون الأدمة.

كانت هذه الأقوال من فرعون كافية لاستخفاف قومه، و إطاعتهم لهم ميلاً منهم عن الحقّ، و زيغاً عن الهدى، لأنّهم ألفوا الإنقياد له حيث شآء و في كلّ وجه أراد، فأفنوا ذاتهم في ذاته، و أماتوا شخصيّاتهم في شخصه، و أهدروا آدميّتهم إبتغآء الزّلفى لديه، وجرّه ذلك إلى أن جمع النّاس من آفاق بلاده قائلاً لهم: «أنا ربّكم الأعلى» الّذي ينبغي أن تخصّوه بالعبادة دون إله موسى الّذي جآئنا به على غير معرفة منّا به، بل «يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري» القصص: ٣٨) حتّى دعا موسى﴿عليه السلام﴾ إلى اُلوهيّته: «لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين» الشّعراء:٢٩).

و قد أجلب فرعون عقول هؤلآء الجماهير السّاذجة المخدوعة بالأبهة و البريق و زينة الحياة الدّنيا و القصور و الأنهار ... و ماذا يثبت له ملك مصر الّذي حصل عليه بالزّور و الغرور و الخداع و الحيل؟ حتّى لو كان له حقّاً و خِيَرة من شعبه ... أكلّ ذلك يثبت أنّه إله؟ أو عبد يستغني عن اللّه تعالى؟ إذاً فكلّ ملك إله أو هو مستغن عن اللّه جلّ و علا! و ترى من هذا الّذي هباه و أعطاه؟ هل هو هو أم اللّه؟ فليس هو إذاً بإله و لا يستغني عن اللّه!

و قد بيّن فرعون طاغي فضله، و استجاش قلوباً مستغفلة مستخفّة: «أفلا تبصرون» بأبصاركم، إذ ليس لهم بصيرة، و من ثمّ يبين مهانة موسى عنده «و لا يكاد يبين» «فلولا أُلق عليه ...» و مهانته الأُخرى عنداللّه «أو جآء معه الملآئكة مقترنين»؟ و يقايس بين نفسه و بين ذلك المهين: «أم أنا خير أم هذا الّذي هو مهين».

يثبت فرعون طاغى مصر هنا في تدجيله بين نفي و إثبات، يثبت لنفسه كلّ أهليّة ينفيها عن موسى، و ينفي عن موسى ما يثبته لنفسه:

١- «لي ملك مصر و هذه الأنهار» و موسى مهين ليس له ملك و لا أنهار، و لا هو من الطّائفة الملوكيّة، بل هو من بني إسرائيل المستضعفين المستخدمين، و قدنسى

فرعون أنّه كان من المفلسين الهاربين على ما سبق ذكره آنفاً.

٢- أنا أُبين و هو لا يكاد يبين، حيث يكون في لسان موسى عقدة، و لا عقدة في لساني.

٣- أنا عَلَيَّ أسورة من ذهب، و ليس على موسى أسورة: «و لو لا اُلقى عليه أسورة من ذهب»؟

٤- أنا معي جندي مقترنين، و لم يجىء مع موسى حتّى ملآئكة مقترنين.

و لكن فرعون مصر لفقده عقل المعاد جهل أنّ ملك مصر أو أيّ ملك أوسع منه ليس كرامة لإنسان، و لااستضعاف موسى مهانة له، و جهل أنّه لا يبين و يفصح إلاّ خرافات و أكاذيب و ادّعاءات واهية، و موسى الّذي لا يكاد يبين على حدّزعمه يبين كما يستطيع حقائق و بيّنات ...

و ترى ماذا يعني «لا يكاد يبين» هل لأنّه لم يكن فصيحاً كما يليق «و أخي هارون هو أفصح منّي لساناً فأرسله معي ردءاً يصدّقني» القصص:٣٤) ينطلق لسانه «و يضيق صدري و لا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون» الشّعرآء: ١٣) أم كانت في لسانه عقدة لا ينطلق كما يحقّ «و احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي» طه: ٢٧-٢٨) فقد أرسل أخاه هارون و أحلّ عقدة من لسانه «قال قد اوتيت سؤلك يا موسى» طه: ٣٦) فصاحة متّصلة بإزالة العقدة عن لسانه، و منفصلة بإرسال هارون و هو أفصح منه لساناً و تعزيزاً بتأزيره بأخيه، و قد حصل كلّ ذلك.

و أمّا الملآئكة المقترنون، فهم ليسوا مع فرعون مصر، اللّهمّ إلاّ شرذمة كافرة السّفلة الضّالين، و العملة الغاوين معه، و قد كانت الآيات التّسع المقترنة بموسى(عليه السلام) تكفيه عن إقران الملآئكة، و لو اقترنوا به لكانوا في صور الرّجال: «و لو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً و للبسنا عليهم ما يلبسون» الأنعام: ٩) فما هي إذاً فائدة الإقتران؟.

و أمّا الأسورة من ذهب تصدّق رسالته! فهي تصدق فرعنة و ترفاً، و قد تكذب الرّسالة حيث إنّ الرّسالة الإلهيّة تناحر هذه المزخرفات المادّية، و تشاجر المترفين ذوي الأثرة و الكبريآء الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة و يصدّون عن سبيل الله و

يبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد. و كان من حماقة فرعون يفتخر أنّه بنهرمآء أجراه، و يراه و جهاً لفضله على موسى.

و قال بعض المفسّرين - في قول فرعون: «و هذه الأنهار تجري من تحتي» : إنّها كانت سبعة خلجان: ١- خليج الإسكندريّة. ٢- خليج دمياط. ٣- خليج سردوس. ٤- خليج مَنْفَ. ٥- خليج الفيوم. ٦- خليج بنها. ٧- خليج سخا متّصلة لاتنقطع. و بين الجنّات زرع من أوّل أرض مصر إلى آخرها، و قد دمّر الله تعالى تلك المعالم، و طمس على تلك الأموال، فقال و هو أصدق القائلين: «و دمّرنا ما كان يصنع فرعون و قومه و ما كانوا يعرشون» الأعراف: ١٣٨) و قال تعالى: «فأخرجناهم من جنّات و عيون و كنوز و مقام كريم» الشّعراء: ٥٧ -٥٨).

قيل: المقام الكريم: الفيّوم. و قيل: المقام الكريم: ما كان لفرعون المتكبّر و لقومه المستكبرين من المجالس و المنابر الحسنة، و كان فرعون إذا جلس على سريره وضع بين يديه ثلاثمأة كرسيّ من ذهب يجلس عليها أشراف قومه، عليهم أقبية الدّيباج مخوّصة بالذّهب.

و في تفسير القمّي: في قوله تعالى: «أو من ينشّؤ في الحلية» أى ينشّؤ في الذّهب «و هو في الخصام غير مبين» الزّخرف: ١٨) قال: إنّ موسى أعطاه الله من القوّة أن رأى فرعون صورته على فرس من ذهب رطب، عليه ثياب من ذهب رطب، فقال فرعون: «أو من ينشّؤ في الحلية» أى ينشّؤ بالذّهب «و هو في الخصام غير مبين» قال: لا يبين الكلام و لا يتبيّن من النّاس، و لو كان نبيّاً لكان خلاف النّاس.

# ﴿غرق فرعون و جنوده في البحر﴾

قال الله جلّ و علا: «فد عاربّه أنّ هؤلآء قوم مجرمون فأسر بعبادي ليلاً إنّكم متّبعون و اترك البحر رهواً إنّهم جند مغرقون» الدّخان: ٢٢-٢٤).

و قال: «فحشر فنادى فقال أنا ربّكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة و الاولى إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى» النّازعات: ٢٣-٢٦).

و قال: «و إذ نجّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب - و إذ فرقنابكم البحر فأنجيناكم و أغرقنا آل فرعون و أنتم تنظرون» البقرة: ٤٩-٥٠)

و لا يخفى على القارى الخبير: انّ الفرق بين التّنجية و الإنجآء في الآيتين الكريمتين: أنّ التّنجية رفع الهلاكة، و الإنجآء دفعها، و ذلك أنّ في الأوّل وقع السّيّئة من آل فرعون على قوم موسى﴿عليه السلام﴾ ثمّ نجّاهم الله تعالى عنها، و في الثّاني قبل وقوع العذاب و وصول فرعون و آله إلى قوم موسى﴿عليه السلام﴾ أنجاهم الله جلّ و علا. و أنّ البحر الّذي غرق فيه فرعون مصر و قومه هو بحر القلزم و هو المشهور ببحر السّويس.

جآء الأمر الإلهيّ لموسى﴿عليه السلام﴾ بعد ما دعا ربّه، بالخروج من مصر، فانطلق بقومه بني إسرائيل سرّاً من أرض مصر قاصداً فلسطين ليلاً علم فرعون بذلك فأرسل أعوانه و أُجرآئه في الأقاليم يجمعون النّاس بعنف لتجهيز جيش كبير ليقتفوا أثر بني إسرآئيل، و ليدركوهم قبل أن يهربوا إلى فلسطين، ليردّهم إلى عبوديّته، و لم يرغب فرعون أن يظهر الخوف، فأذاع في مصر أنّ الهاربين شرذمة ضئيلة لا يخشى شرّها، و قد

أغاظونا بهربهم، و أخذهم أموالنا و حليّ نسآئنا، و قد كنّا دائماً متيقظين لهم نتتبّع حركاتهم...

خرج فرعون و جنوده يتبعون موسى﴿عليه السلام﴾ و بني إسرآئيل، و تركوا و رآئهم ما كانوا يتمتّعون به من بساتين و جنّات و كنوز من الذّهب و مقام كريم من المساكن الفخمة و القصور العالية... لقد تركوا هذه النّعم إلى الأبد لأنّهم لن يرجعوا إلى و طنهم أبداً: «كم تركوا من جنات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين كذلك و أورثناها قوماً آخرين» الدّخان: ٢٥-٢٨).

قد وصل بنو إسرائيل إلى ساحل البحر الأحمر على خليج السّويس فأدركهم فرعون و جنوده مع شروق للشّمس عندئذ، فأيقنوا بالهلاك، و أنّ فرعون باطش بهم، و استولى الذّعر على نفوسهم و مشاعرهم، و قالوا لموسى: لقد لحق بنا فرعون و لاطاقة لنابه فماذا نفعل و البحر أمامنا؟ فسكن موسى روعهم، و قال لهم: لا تخافوا إنّ ربّي معي سيرشدني إلى طريق النّجاة، فعندئذ أوحى الله تعالى لموسى بأن يضرب البحر بعصاه ففعل، فانفلق حتّى ظهرت أرضه، و صار فيه إثنا عشر طريقاً يبساً على عدد أسباط بني إسرآئيل، و وقف الماء بينها كالجبل العالى، فأمر بني إسرائيل بالعبور فيه فعبروا في الطّرق المفتّحة لهم في البحر من الشّاطىء الغربي إلى الشّاطىء الشّرقي، و أشرف في ذلك الحين فرعون على الموضع الّذي عبر منه بنو إسرآئيل فرأى فرعون طريقاً في البحر لا وعورة فيه، و بني إسرآئيل بين فرق المآء لايمسّهم أذى، فطمع أن يعبر في أثرهم، فيردّهم هو و جنوده، فاقتحموا الطّريق اليابس في البحر خلف بني إسرآئيل.

فلمّا جاوز بنو إسرائيل البحر، و لم يبق منهم أحد بين المياه المنحسرة، فأنجى الله تعالى موسى﴿عليه السلام﴾ و من معه من بني إسرائيل و فرعون و جنوده قد توسطوا البحر، انطبق عليهم البحر، و عادكما كان من قبل، و أغرقهم فيه جميعاً، و لم يفلت منهم ممّن اقتحم المآء، في ذلك الوقت الّذي أدرك فيه فرعون الغرق قال: «آمنت أنّه لا إله إلاّ الّذي آمنت به بنو إسرائيل و أنا من المسلمين» يونس: ٩٠) و قد أراد فرعون أن يدفع عن نفسه الغرق بهذه الكلمة الّتي نطق بها دون أن يعتقدها، مقدّراً أنّه يخدع بها موسى و إلهه، و

يمثل في هذه المرّة الأدوار الّتي مثلها من قبل إذ كان هو و قومه يقولون لموسى ﴿عليه السلام﴾: «أُدع لنا ربّك بما عهد عندك لئن كشفت عنّا الرّجز لنؤمننّ لك...» الأعراف: ١٣٤) «إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عآئدون» الدّخان: ١٥).

فلمّا كشف الله تعالى عنهم العذاب عادوا إلى سيرتهم الاولى، فظنّ فرعون أنّه ينجو في هذه المرّة من الغرق في البحر بمثل الخديعة الّتي كان ينجوبها أوّلاً في البرّ، فغرق هو و جنوده في البحر و لم ينجوا منه بهذه الخديعة «فأخذناه و جنوده فنبذناهم في اليمّ و هو مليم» الذّاريات: ٤٠) و قد وصف القرآن الكريم هلاك فرعون مصر في عدّة آيات منه لما يكمن فيه من العبر و بأساليب شتّي من البيان و الفصاحة، و كان الوصف تارة بآيات قصيرة زاخرة بالمعاني الّتي تتلاحق بسرعة، و تارة بآيات طوال للتّأمّل و إمعان الفكر لما تحتويه من المعاني الرّائعة، و بعض هذه الآيات يعطيك المعنى موجزاً يغنيك عن الشّروح الطّويلة، و فيهامن الأسرار و الحكم و المعارف و العِبَر... ما لا يخفى على من تأمّل فيها، و فيها دروس و عبر للعلمآء و المصلحين، للخطباء و دعاة الدّين، للأمراء و السّلاطين، وللرّؤسآء و النّاس أجمعين...

تأمّل قول الله عزّو جلّ: «فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية و إنّ كثيراً من النّاس عن آياتنا لغافلون» يونس: ٩٢) هذه الآية الكريمة معجزة علميّة للقرآن المجيد تشهد أنّه وحي إلهيّ و أنّ محمداً رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله و سلم﴾ حقّاً، فالآية تشير إلى أنّ جسم فرعون سيبقى محفوظاً ليراه النّاس و يعتبروا برؤية تلك الجثّة لمن كان يعتبر نفسه إلهاً و إلى القارى توضيح ذلك:

تذكر التّوراة - في الفصل الأوّل من سفر الخروج آية ١١ -: «أنّ فرعون مصر الّذي اضطهد بني إسرآئيل كان يستخدمهم في بنآءِ مدينتين: (فيتوم و رعسيس) و قد ثبت من الحفآئر الأثريّة وجود هاتين المدينتين اللّتين بنا هما رعمسيس الثّاني.

و تذكر بعد ذلك (في الفصل الثّاني من سفر الخروج آية ٢٣): «أنّ ملك مصر مات».

و كان ذلك عند هرب موسى إلى مدين و قبل تلقيه رسالة ربّه.

و قد خلف منفتاح بن رعمسيس الثّاني أباه في الحكم، فيكون منفتاح هو فرعون الخروح الّذي أرسل الله موسى إليه لإخراج بني إسرآئيل من مصر و هو الّـذي لحـق بموسى عند البحر و غرق، و بقيت جثّته إلى الآن كما يذكر القرآن المجيد، و كما تحقّق صدقه في سنة (١٩٠٠) بعد الميلاد أى بعد ثلاثة عشر قرناً من نزول القرآن الكريم، فقد عُثِرَ على جثّته في الحفريات في الأقصر في قبر (امنحتب الثّاني) و جثّته اليـوم بـالمتحف المصري، و الجدير بالذّكر أنّه قد ظهر من آثار قبر منفتاح أنّه لم يكن مهيّأ كما يجب لدفن ملك مثله لأنّ موته لم يكن منتظراً فلم يهيّأ له قبر خاصّ».

أقول: و قد جآئت في المقام روايات و أخبار نشير إلى نبذة منها، لما فيها مـن اللّطآئف و النّكات الدّقيقة...

في تفسير القمي: «إنّ بني إسرآئيل قالوا: يا موسى اُدع الله أن يجعل لنا ممّـا نحن فيه فرجاً، فدعا فأوحى الله تعالى إليه أن أسربهم، قال: يا ربّ البحر أمامهم؟ قال: إمض فإنّي آمره أن يطيعك و ينفرج لك، فخرج موسى ببني إسرآئيل و أتبعهم فرعون حتّى إذا كاد أن يلحقهم و نظروا إليه و قد أظلّهم قال موسى للبحر: إنفرج لي؟ قال: ما كنت لأفعل، و قال بنوإسرآئيل لموسى: غرّرتنا و أهلكتنا فليتك تركتنا يستعبدنا آل فـرعون، و لم نخرج الآن نقتل قتلة، قال: «كلاّ إنّ معي ربّي سيهدين» و اشتدّعلى موسى ما كان يصنع به عامّة قومه، و قالوا: يا موسى إنّا لمدركون، و زعمت أنّ البحر ينفرج لنا حتّى نمضي و نذهب، و قدرهقنا فرعون و قومه هم هؤلآء تريهم، و قد دنوا منّا فدعا مـوسى ربّـه، فأوحى إليه: «أن اضرب بعصاك البحر».

فضربه فانفلق البحر فمضى موسى و أصحابه حتّى قطعوا البحر و أدركـهم آل فرعون فلمّا نظروا إلى البحر قالوا لفرعون: ما تعجب ممّا ترى؟ قال: أنا فعلت هذا فمرّوا و مضوا فيه، فلمّا توسّط فرعون و من معه أمر اللّه تعالى البحر فأطبق عـليهم فـغرقهم أجمعين، فلمّا أدرك فرعون الغرق «قال آمنت أنّه لاإله إلاّالّذي آمنت به بـنوإسرائـيل» يقول اللّه تعالى: «الآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين» كـنت مـن العـاصين «فاليوم ننجّيك ببدنك».

فقوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر، فلم يرمنهم أحد في البحر هووا إلى النّار، و أمّا فرعون فنبذه اللّه تعالى وحده فألقاه بالسّاحل لينظروا إليه و ليعرفوه ليكون لمن خلفه آية، و لئلاّ يشكّ أحد في هلاكه، و أنّهم كانوا اتّخذوه ربّاً فأراهم اللّه تعالى إيّاه جيفة ملقاة بالسّاحل، فيكون لمن خلفه عبرة و عظة «و إنّ كثيراً من النّاس عن آياتنا لغافلون».

و فيه: قال جبرئيل لمحمّد﴿ﷺ﴾: لمّا غرق اللّه فرعون قال: «آمنت أنّه لاإله‌إلاّالّذي آمنت به بنوإسرائيل و أنا من المسلمين» فأخذت حمأة فوضعتها في فيه، ثمّ قلت له: «الآن و قد عصيت قبل».

و في تفسير العيّاشي: عن إبن أبي عمير عن بعض أصحابنا يرفعه قال: «لمّا صار موسى في البحر أتبعه فرعون و جنوده قال: فتهيب فرس فرعون أن يدخل البحر فتمثّل جبرئيل على رمكة فلمّا رأى فرس فرعون الرّمكة أتبعها، فدخل البحر هو و أصحابه فغرقوا».

و في الدّرّ المنثور: عن إبن عمر قال: سمعت رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ يقول: قال لي جبرئيل: ما غضب ربّك على أحد غضبه على فرعون إذ قال: «ما علمت لكم من إله غيري» و إذ قال: «أنا ربّكم الأعلى» فلمّا أدركه الغرق إستغاث و أقبلت احشوفاه مخافة أن تدركه الرّحمة».

و في تفسير لباب التّأويل: «لمّا أغرق اللّه سبحانه و تعالى فرعون و قومه أخبر موسى قومه بهلاك فرعون و قومه، فقالت بنوإسرائيل: ما مات فرعون، و إنّما قالوا ذلك لعظمته عندهم، و ما حصل في قلوبهم من الرّعب لأجله، فأمراللّه عزّوجلّ البحر فألقى فرعون على السّاحل أحمر قصيراً كأنّه ثوراً فرآه بنوإسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لايقبل المآء ميّتاً أبداً».

و فيه: «كان فرعون عند قبل ذلك في غاية العظمة، فبعد رؤيتهم بدنه عند السّاحل صار في نهاية الخسّة و الذّلّة ملق على الأرض لايها به أحد».

و في أوضح التّفاسير: «إنّ سبب إهلاك فرعون بالإغراق هو أنّه ألجأ

بني إسرائيل إلى البحر ليغرقهم أو يقتلهم، فكان جزآؤه من جنس عمله، و تأمّل إلى أنّه في لحظة واحدة صار العزيز ذليلاً، و الذّليل عزيزاً لأنّه لم يكن أعزّ من فرعون و ملائه و لا أذلّ من موسى و قومه».

و في العلل: عن عبداللّه بن عمر قال: غار النّيل على عهد فرعون، فأتاه أهل مملكته فقالوا: أيّها الملك! اجرلنا النّيل؟ قال: إنّي لم أرض عنكم، ثمّ ذهبوا فأتوه فقالوا: أيّها الملك تموت البهآئم و هلكت، و لئن لم تجرلنا النّيل لنتّخذنّ إلهاً غيرك؟ قال: اخرجوا إلى الصّعيد فخرجوا فتنحّى عنهم حيث لايرونه، و لا يسمعون كلامه، فألصق خدّه بالأرض و أشار بالسبّابة، و قال: اللهّم إنّي خرجت إليك خروج العبد الذّليل إلى سيّده و إنّي أعلم أنّك تعلم أنّه لا يقدر على إجرآئه أحد غيرك فأجره، قال: فجرى النّيل جرياً لم يجر مثله، فأتاهم، فقال لهم:

إنّي قد أخرجت لكم النّيل، فخرّوا له سجّداً، و عرض له جبرئيل، فقال: أيّها الملك أعني على عبدلي، قال: فما قصّته؟ قال: إنّ عبداً لي ملكته على عبيدي، و خوّلته مفاتيحي، فعاداني و أحبّ من عاداني، و عادى من أحببت، قال: بئس العبد عبدك لو كان لي عليه سبيل لأغرقته في بحر القلزم، قال: أيّها الملك اكتب لي بذلك كتاباً، فدعا بكتاب و دواة فكتب ما جزآء العبد الّذي يخالف سيّده، فأحبّ من عادى، و عادى من أحبّ إلاّ أن يغرق في بحر القلزم، قال: أيّها الملك أختمه لي، قال: فختمه، ثمّ دفعه إليه، فلمّا كان يوم البحر أتاه جبرئيل بالكتاب، فقال له: خذ هذا ما استحققت به على نفسك أو هذا ما حكمت به على نفسك».

و فيه: بإسناده عن إبراهيم بن محمّد الهمداني قال: قلت لأبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا(عليه السلام): لأيّ علة أغرق اللّه عزّوجلّ فرعون و قد آمن به و أقرّ بتوحيده؟ قال: إنّه آمن عند رؤية البأس و هو غير مقبول، و ذلك حكم اللّه تعالى ذكره في السّلف و الخلف قال اللّه تعالى: «فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا باللّه وحده و كفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا» و قال اللّه عزّوجلّ: «يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

و هكذا فرعون لمّا أدركه الغرق قال: آمنت أنّه لاإله إلاّ الّذي آمنت به بنو إسرائيل و أنا من المسلمين، فقيل له: الآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية، و قد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد، و قد لبسه على بدنه، فلمّا أغرق ألقاه اللّه على نجوة من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة، فيرونه مع تثقله بالحديد على مرتفع من الأرض، و سبيل التثقيل أن يرسب، و لا يرتفع فكان ذلك آية و علامة، و لعلّة اخرى أغرق اللّه عزّوجلّ فرعون، و هي أنّه استغاث بموسى لما أدركه الغرق، و لم يستغث باللّه، فأوحى اللّه عزّوجلّ إليه يا موسى ما أغثتَ فرعون لأنّك لم تخلقه، و لو استغاث بي لأغثته».

و في كتاب المخلاة للشيخ البهائي رضوان اللّه تعالى عليه: «أنّ نيل مصر أمسك عن الجري في زمن فرعون، فقالت القبط لفرعون: إن كنت ربّاً فاجر لنا المآء، فركب و أمر بجنوده .قائداً قائداً، و جعلوا يقفون على درجاتهم و تقدّم هو بحيث لايرونه، فنزل عن فرسه و لبس ثياباً و سخة، و تضرّع إلى اللّه تعالى، فأجرى اللّه تعالى المآء، فأتاه جبرائيل و هو وحده بفتيا، و هى ما يقول الأمير في عبد لرجل نشأ في نعمته لا سيّد له غيره، فكفر نعمته و ادّعى السّيادة، فكتب فرعون يقول: أبوالعبّاس و ليد بن مصعب الرّيّان: جزآء العبد الخارج عن طاعة سيّده، أن يغرّق في البحر، فأخذها جبرئيل و مرّ، فلمّا ألجمه الغرق ناوله خطّه، فعرفه و أغرقه اللّه تعالى. و ذلك في بحر القلزم من بحار فارس. و قيل: في بحار مصر و اللّه أعلم.»

و في كتاب سكردان السّلطان: «و لمّا أراد اللّه هلاك فرعون و خلاص بني إسرائيل من هذه الشّدّة أمر موسى﴿عليه السلام﴾ أن يسري بهم من مصر ليلاً، فأمر موسى﴿عليه السلام﴾ قومه أن لايسرجوا في بيوتهم إلى الصّبح فأخرج اللّه كلّ و لد زنا في القبط من بني إسرآئيل إليهم، و كلّ ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط حتّى رجع كلّ إلى أبيه، و ألقى اللّه الموت في القبط، فمات كلّ بكر لهم، و اشتغلوا بدفنهم حتّى أصبحوا، و سبعين ألف مقاتل، لايعدون ابن و خرج موسى﴿عليه السلام﴾ في ستّ مأة ألف العشرين لصغره، و لا ابن السّتّين لكبيره و كانوا يوم دخولهم مصر مع يعقوب﴿عليه السلام﴾ اثنين و

سبعين إنساناً مابين رجل و امرأة.

قال ابن عطيّة: تناسلوا حتّى بلغوا في زمن موسى العدد المذكور، فساروا و موسى على ساقتهم، و هارون على مقدمتهم، و بدر فيهم فرعون، فجمع قومه و أمرهم أن لا يخرجوا في بني‌إسرائيل حتّى يصيح الدّيك، فلم يصح في تلك اللّيلة ديك، فخرج فرعون في طلبهم و على مقدمته هامان في ألف ألف، و سبع مأة ألف سوى سآئر الشّباب، و كان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سآئر الألوان. و قيل: كان في عسكر فرعون مأة ألف حصان من الدّهم سوى غيرها من الألوان، و كان فرعون في الدّهم. و قيل: كان فرعون في سبعة آلاف ألف، و كان بين يديه مأة ألف أصحاب الأعمدة، فأوحى اللّه تعالى إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له، فبات يضرب بعضه بعضاً خوفاً من اللّه تعالى و انتظار الأمر، فسارت بنوإسرائيل حتّى و صلوا البحر و المآء في غاية الزّيادة، و نظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشّمس فبقوا متحيّرين و قالوا: يا موسى كيف نصنع؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا، و إن دخلنا البحر غرقنا، و ذلك معنى قوله تعالى: «فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لمدركون قال كلاّ إنّ معي ربّي سيهدين» فأوحى اللّه تعالى إليه «أن اضرب بعصاك البحر» فضربه فلم يطعه، فأوحى اللّه تعالى إليه أن كنه، فضربه و قال إنفلق أبا خالد بإذن اللّه تعالى: «فانفلق فكان كلّ فرق كالطّود العظيم».

فظهر فيه إثناعشر طريقاً لكلّ سبط طريق، و ارتفع المآء بين كلّ طريق كالجبل، و أرسل اللّه تعالى الرّيح على قعر البحار فصار يبساً، فخاضت بنوإسرائيل البحر كلّ سبط في طريق، لايرى بعضهم بعضاً فخافوا، فأوحى اللّه تعالى إلى المآءِ أن يتشبّك، فصار المآء شبابيك يرى بعضهم بعضاً، و يسمع بعضهم كلام بعض حتّى عبروا سالمين، فلمّا وصل فرعون إلى البحر رآه منفلقاً، فقال لقومه: انظروا إلى البحر قد انفلق من هيبتي حتّى أدرك عبيدي الّذين أبقوا ادخلوا البحر، فهاب قومه أن يدخلوه فقالوا: إن كنت ربّاً فادخل البحر كما دخل موسى، و كان فرعون على حصان أدهم، و لم يكن في خيل فرعون أُنثى، فجآء جبرئيل في صورة هامان على فرس أُنثى و ديق أى حآئل فتقدمه و

خاض البحر.

فلمّا شمّ أدهم فرعون ريحها إقتحم البحر في أثرها، و لم يملك فرعون من أمره شيئاً، و اقتحم الخيول خلفه، فلمّا صار آخرهم في البحر، و همّ أولهم بالخروج إنطبق عليهم طرفا البحر و لملم المآء و اسودّ و علا ضجيجه و تياراته و أمواجه، و غرقوا أجمعون، فلمّا ألجم فرعون الغرق قال: «آمنت أنّه لاإله‌إلاّالّذي آمنت به بنوإسرائيل»، فجعل جبرئيل﴿عليه السلام﴾ يدس في فيه من طين البحر، ويقول: الآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين».

و في البحار: نقلاً عن كتاب العرآئس للثّعلبيّ – عن الضّحّاك ....«فلمّا لم يؤمن – فرعون – أوحى اللّه تعالى إلى موسى: أن أجمع بني إسرائيل كلّ أربعة أهل أبيات في بيت، ثمّ اذ بحوا أولاد الضّأن و اضربوا بدمآئها على الأبواب، فإنّي مرسل على أعدآئكم عذاباً و إنّي سأرسل الملآئكة، فلا يدخل بيتاً على بابه دم، و سآمرها فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم و أموالهم، فتسلمون أنتم و يهلكون هم، ثمّ اخبزوا فطيراً فإنّه أسرع لكم، ثمّ اسر بعبادي حتّى تنتهي بهم إلى البحر فيأتيك أمري، ففعلت ذلك بنوإسرائيل، فقالت القبط لبني‌إسرآئيل: لِمَ تعالجون هذا الدّم على أبوابكم؟ فقالوا: إنّ اللّه سبحانه مرسل عذاباً فنسلم و تهلكون، فقالت القبط: فما يعرفكم ربّكم إلاّ بهذه العلامات؟ فقالوا: هكذا أمرنا نبيّنا فأصبحوا و قد طعن أبكار آل فرعون و ماتوا كلّهم في ليلة والحدة و كانوا سبعين ألفاً، و اشتغلوا بدفنهم، و بمانالهم من الحزن على المصيبة، و سرى موسى بقومه متوجّهين إلى البحر، و هم ستّمأة ألف و عشرون ألفاً لايعدّ فيهم إبن سبعين سنة لكبره و لا إبن عشرين سنة لصغره، و هم المقاتلة سوى الذّرّيّة و كان موسى﴿عليه السلام﴾ على السّاقة، و هارون على المقدّمة، فلمّا فرغت القبط من دفن أبكارهم و بلغهم خروج بني‌إسرائيل، قال فرعون: هذا عمل موسى قتلوا أبكارنا من أنفسنا و أموالنا، ثمّ خرجوا و لم يرضوا أن ساروا بأنفسهم حتّى ذهبوا بأموالنا معهم، فنادى في قومه كما قال اللّه سبحانه: «فأرسل فرعون في المدائن حاشرين إنّ هؤلآء لشرذمة قليلون و إنّهم لنا لغائظون و إنّا لجميع حاذرون» ثمّ تبعهم فرعون بجنوده و على مقدّمته هامان في ألف ألف

و سبعمأة ألف، كلّ رجل على حصان، و على رأسه بيضة، و بيده حربة.

و فيه: و قال إبن جريج: «أرسل فرعون في أثـر مـوسى و قـومه ألف ألف و خمسمأة ألف ملك مسوّر مع كلّ ملك ألف، ثمّ خرج فرعون خلفهم في الدّهم - أي العدد الكثير - و كانوا مأة ألف رجل كلّ واحد منهم راكباً حصاناً أدهم، فكان في عسكـر فرعون مأة ألف حصان أدهم، و ذلك حين طلعت الشّمس و أشرقت، كما قـال اللّـه سبحانه: «فأتبعوهم مشرقين» فلمّا تراءى الجمعان و رأت بنوإسرائـيل غـبار عسكـر فرعون قالوا: يا موسى أين ما وعدتنا من النّصر و الظّفر؟ هذا البحر أمامنا، إن دخلناه غرقنا، و فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا، و لقد اوذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه: «يا قوم استعينوا باللّه و اصبروا إنّ الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتّقين» و قال: «عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم و يستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون».

قالوا: فلمّا انتهى موسى﴿عليه السلام﴾ إلى البحر هاجت الرّيح ترمي بموج كالجبال، فقال له يوشع بن نون: يا كليم اللّه أين أُمرت و قد غشينا فرعون و البحر أمامنا؟ فقال موسى: ههنا، فخاض يوشع المآء و جاز البحر ما يواري حافر دابّته المآء و قال خربيل (حزقيل خ) يامكلّم اللّه أين أُمرت؟ قال: ههنا، فكبح فرسه بلجامه - أي جذبه به ليقف و لا يجري - حتّى طار الزّبد من شدقيه، ثمّ أقحمه البـحر فـرسب في المآءِ و ذهب القـوم يصنعون مثل ذلك، فلم يقدروا، فأوحى اللّه سبحانه إلى موسى: «أن اضرب بـعصاك البحر» فضرب فلم يطعه فأوحى اللّه إليه: أن كنّه، فضرب موسى بعصاه ثانياً، و قال: إنفلق أبا خالد - كنية للبحر - فانفلق، فكان كلّ فرق كالطّود العـظيم، فـإذا خـربيل (حزقيل خ) واقف على فرسه لم يبتلّ سرجه و لا لبده، و ظهر في البحر إثناعشر طريقاً لإثني عشر سبطاً، لكلّ سبط فريق، و أرسل اللّه الرّيح و الشّمس على قعر البحر حتّى صار يبساً.

و عن عبداللّه بن سلام أنّ موسى لمّا انتهى إلى البحر قال: «يامن كان قبل كلّ شيء و المكوّن لكلّ شيء، و الكائن بعد كلّ شيء إجعل لنا مخرجاً».

و عن عبدالله قال: قال رسول الله (ﷺ): إنّه قال عند ذلك: «اللّهمّ لك الحمد و إليك المشتكى و أنت المستعان و عليك التّكلان و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم».

قالوا: فخاضت بنوإسرآئيل البحر كلّ سبط في طريق، و عن جانبيهم المآء كالجبل الضّخم لا يرى بعضهم بعضاً، فخافوا و قال كلّ سبط: قد قتل إخواننا، فأوحى الله سبحانه إلى جبال المآء: أن تشبّكي فصار المآء شبكات ينظر بعضهم إلى بعض، و يسمع بعضهم كلام بعض حتّى عبروا البحر سالمين، و لمّا خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدّمة عسكر فرعون إليه، و أراد موسى أن يعود البحر إلى حاله الأُولى، فأوحى الله سبحانه: أن اترك البحر رهواً إنّهم جند مغرقون، فلمّا وصل فرعون قال لقومه: أُنظروا إلى البحر قد انفلق لهيبتي حتّى أدرك أعدآئي و عبيدي، و لم تكن في خيل فرعون أُنثى فجآء جبرئيل على فرس أُنثى، و عليه عمامة سودآء و تقدّمهم و خاض البحر و ظنّ أصحاب فرعون أنّه منهم، فلمّا سمعت الخيول ريحها إقتحمت البحر في أثرها، وجآء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثّهم و يقول لهم:

ألحقوا بأصحابكم، فلمّا أراد فرعون أن يسلك طريق البحر نهاه وزيره هامان، و قال: إنّي قد أتيت هذا الموضع مراراً و مالي عهد بهذه الطّرق، و إنّي لا آمن أن يكون هذا مكراً من الرّجل يكون فيه هلاكنا و هلاك أصحابنا، فلم يطعه فرعون و ذهب معاجلاً على حصانه أن يدخل البحر، فامتنع و نفر حتّى جآء جبرئيل على رمكة بيضآء فخاض البحر فتبعها حصان فرعون فلمّا توافوا في البحر و همّ أوّلهم بالخروج أمر الله البحر فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين بمرأى من بني إسرائيل، قالوا: فلمّا سمعت بنو إسرآئيل صوت التطام البحر قالوا لموسى: ما هذه الضّوضاء؟ فقال لهم: إنّ الله سبحانه قد أهلك فرعون و كلّ من كان معه، فقالوا: إنّ فرعون لا يموت لأنّه خلق خلق من لا يموت، ألم تر أنّه كان يلبث كذا و كذا يوماً لا يحتاج إلى شيء ممّا يحتاج إليه الإنسان؟ فأمرالله سبحانه البحر فألقاه على نجوة من الأرض و عليه درعه حتّى نظر إليه بنوإسرآئيل.

و يقال: لو لم يخرجه الله تعالى ببدنه لشكّ فيه بعض النّاس، فبعث موسى جندين

عظيمين من بني إسرآئيل كلّ جند إثنا عشر ألفاً إلى مدآئن فرعون، و هي يومئذ خالية من أهلها لم يبق منهم إلاّ النّسآء و الصّبيان و الزّمني و المرضى و الهرمي، و أمّر على الجندين يوشع بن نون و كالب بن يوفنا، فدخلوا بلاد فرعون فغنموا ما كان فيها من أموالهم و كنوزهم و حملوا من ذلك ما استقلّت به الحمولة (أى ما أطاقته الحمولة) عنها و ما لم يطيقوا حملها باعوه من قوم آخرين، فذلك قوله تعالى: «كم تركوا من جنّات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين كذلك و أورثناها قوماً آخرين» ثمّ إنّ يوشع إستخلف على قوم فرعون رجلاً منهم و عاد إلى موسى بمن معه سالمين غانمين».

و في العيون: سئل الشّاميّ أميرالمؤمنين«عليه السلام» عن يوم الأربعآء و التطيّر منه، فقال«عليه السلام»: آخر أربعآء في الشّهر و هو المحاق- إلى أن قال-: و يوم الأربعآء طلب فرعون موسى ليقتله، و يوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان، و يوم الأربعاء أظلّ قوم فرعون أوّل العذاب».

## ﴿موسى بن عمران و تفحّص قبر يوسف النّبي عليهما السلام﴾

و قد وردت في المقام روايات مختلفة نشير إلى خمسة منها للجمع بينها:

**في العيون**: بإسناده عن إبن فضّال عن ابي الحسن﴿عليه السلام﴾ أنّه قال: إحتبس القمر عن بني إسرآئيل فأوحى الله جلّ جلاله إلى موسى﴿عليه السلام﴾: أن أخرج عظام يوسف من مصر، و وعده طلوع القمر إذا أخرج عظامه، فسئل موسى عمّن يعلم موضعه، فقيل له: ههنا عجوز تعلم محلّه فبعث إليها فأُتي بعجوز مقعدة عميآء، فقال لها: أتعرفين موضع قبر يوسف؟ قالت: نعم، قال: فأخبريني به؟ قالت: لا حتّى تعطيني أربع خصال: تطلق لي رجلي، و تعيد إليّ شبابي، و تعيد إليّ بصري، و تجعلني معك في الجنّة، قال: فكبر ذلك على موسى، فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا موسى أعطها ما سئلت، فإنّك إنّما تعطي (فإنّك لا تعطي فذلك عليّ خ) ففعل فدلّته عليه فاستخرجه من شاطىء النّيل في صندوق مرمر، فلمّا أخرجه طلع القمر، فحمله إلى الشّام، فلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم إلى الشّام».

و **في فروع الكافي**: بإسناده عن محمّد بن هشام عمّن أخبره عن أبي عبد الله﴿عليه السلام﴾ قال: إنّ قوماً ممّن آمن بموسى﴿عليه السلام﴾ قالوا: لو أتينا عسكر فرعون فكنّا فيه و نلنامن دنياه، فإذا كان الّذي نرجوه من ظهور موسى﴿عليه السلام﴾ صرنا إليه، ففعلوا، فلمّا توجّه موسى و من معه هاربين من فرعون ركبوا دوابّهم و أسرعوا في السّير ليلحقوا موسى و عسكره فيكونوا معهم، فبعث الله ملكاً فضرب وجوه دوابّهم فردّهم إلى

عسكر فرعون، فكانوا فيمن غرق مع فرعون».

و في **أُصول الكافي** بإسناده عن الجعفريّ عن أبي الحسن﴿عليه السلام﴾ قال: كان رجل من أصحاب موسى، أبوه من أصحاب فرعون، فلمّا لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنهم (عنه خ) ليعظ أباه فيلحقه بموسى، فمضى أبوه و هو يراغمه حتّى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً، فأتى موسى الخبر، فقال: هو في رحمة الله و لكنّ النّقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع».

و في **قرب الأسناد**: عن صفوان الجمّال عن الصّادق﴿عليه السلام﴾ قال: قال رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾: إنّ الله تبارك و تعالى أوحى إلى موسى أن يحمل عظام يوسف﴿عليه السلام﴾ فسئل عن قبره فجآءه شيخ، فقال: إن كان أحد يعلم ففلانة، فأرسل إليها فجآئت، فقال: أتعلمين موضع قبر يوسف؟ فقالت: نعم، قال: فد لّيني عليه و لك الجنّة، قالت: لا و الله لا أدلّك عليه إلاّ أن تحكّمني قال: و لك الجنّة، قالت: لا و الله لا أدلّك عليه حتّى تحكّمني، قال: فأوحى الله تبارك و تعالى إليه: ما يعظم عليك أن تحكّمها؟ قال: فلك حلمك، قالت: أحكم عليك أن أكون معك في درجتك الّتي تكون فيها».

و قولها: «أن تحكّمني» أى أن تفوّض إليّ الحكم.

و في **دعوات الرّاوندي**: عن أمير المؤمنين﴿عليه السلام﴾ قال: قال رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾: «إنّ موسى لمّا أُمِرَ أن يقطع البحر فانتهى إليه ضربت وجوه الدّوابّ و رجعت، فقال موسى﴿عليه السلام﴾: يا ربّ مالي؟ قال: يا موسى إنّك عند قبر يوسف فاحمل عظامه، و قد استوى القبر بالأرض فسئل موسى قومه: هل يدري أحد منكم أين هو؟ قالوا: عجوز لعلّها تعلم، فقال لها: هل تعلمين؟ قالت: نعم، قال: فدلّينا عليه ، قالت: لا والله حتّى تعطيني ما أسئلك قال: ذلك لك، قالت: فإنّي أسئلك أن أكون معك في الدّرجة الّتي تكون في الجنّة، قال: سلي الجنّة، قالت: لا والله إلاّ أن أكون معك، فجعل موسى يرادّ، فأوحى الله أن أعطها ذلك فإنّها لا تنقصك، فأعطاها و دلّته على القبر».

**أقول**: ليس بين هذه الروايات الخمس منافاة حيث إنّ الاولى بصدد بيان جميع ما سئلته، و الأربعة الأُخرى تبيّن بعضها.

## ﴿نجاة موسى بن عمران ﴿عليه السلام﴾ و بني إسرائيل من الغرق﴾
## بولاية على بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾

في تفسير الإمام الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ في قوله عزّو جلّ: «و إذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم و أغرقنا آل فرعون و أنتم تنظرون» البقرة: ٥٠) قال الإمام ﴿عليه السلام﴾ قال الله تعالى: و اذكروا إذ جعلنا مآء البحر فرقاً ينقطع بعضه من بعض فأنجيناكم هناك و أغرقنا فرعون و قومه و أنتم تنظرون إليهم و هم يغرقون، و ذلك أنّ موسى لمّا انتهى إلى البحر أوحى الله عزّ و جلّ اليه: قل لبني إسرائيل: جدّدوا تـوحيدى، و أمـرّوا (و أقـرّواخ) بقلوبكم ذكر محمّد سيّد عبيدي و إمآئي، و أُعيدوا على أنفسكم الولاية لعليّ أخى محمّد و آله الطّيّبين، و قولوا: اللّهمّ بجاههم جوّزنا على متن هذا المآء، فإنّ المآء يتحوّل لكم أرضاً، فقال لهم موسى ذلك، فقالوا: تورد علينا ما نكره، و هل فررنا من آل فرعون إلاّ مـن خوف الموت؟ و أنت تقتحم بنا هذا المآء الغمر بهذه الكلمات، و مايرينا ما يحدث من هذه علينا؟

فقال لموسى كالب بن يوحنّا (كالب بن يوفنة خ) و (كالب بن يوقنّاخ) و هو على دابّة له و كان ذلك الخليج أربعة فراسخ: يا نبيّ الله أمرك الله بهذا أن نقوله و ندخل المآء؟ فقال: نعم، فقال: و أنت تأمرني به؟ قال: نعم، قال: فوقف و جدّد على نفسه من توحيد الله و نبوّة محمّد و ولاية عليّ و الطّيّبين من آلهما كما أُمِرَ به؟ ثمّ قال: اللّهمّ بجاههم جوّزني

على متن هذا المآء ثمّ أقحم فرسه فركس على متن المآء، و إذاً المآء تحته كأرض ليّنة حتّى بلغ آخر الخليج، ثمّ عاد راكضاً، ثمّ قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل أطيعوا موسى فما هذا الدّعآء إلاّ مفتاح أبواب الجنان، و مغاليق أبواب النّيران، و مستنزل الأرزاق، و جالب على عبيد الله و إمآئه رضى المهيمن الخلاّق.

فأبوا و قالوا: نحن لا نسير إلاّ على الأرض، فأوحى الله: يا موسى أن اضرب بعصاك البحر و قل: اللّهمّ بجاه محمد (بحق محمّد خ) و آله الطّيّبين لمّا فلقته، ففعل فانفلق، و ظهرت الأرض إلى آخر الخليج، فقال موسى: اُدخلوها، قالوا: الأرض و حلة نخاف أن نرسب فيها فقال الله: يا موسى قل: اللّهمّ بجاه محمّد و آله الطّيّبين جفّفها، فقالها فأرسل الله عليها ريح الصّبا فجفّت، و قال موسى: ادخلوها، قالوا: يا نبيّ الله نحن إثنا عشر قبيلة بنو إثني عشر آبآء، و إن دخلنا رام كلّ فريق منّا تقدّم صِاحبه، فلا نأمن وقوع الشّرّ بيننا، فلو كان لكلّ فريق منّا طريق على حدة لأمنّا ما نخافه، فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعددهم إثني عشر ضربة في إثني عشر موضعاً إلى جانب ذلك الموضع.

و يقول: اللّهمّ بجاه محمّد و آله الطّيّبين بيّن الأرض لنا، و أمط المآء عنّا، فصار فيه تمام إثني عشر طريقاً، و جفّ قرار الأرض بريح الصّبا، فقال: ادخلوها، قالوا: كلّ فريق منّا يدخل سكّة من هذه السّكك لا يدري ما يحدث على الآخرين، فقال الله عزّ و جلّ: فاضرب كلّ طود من المآءِ بين هذه السّكك، فضرب و قال: اللّهمّ بجاه محمّد و آله الطّيّبين لمّا جعلت هذا المآء طبقات (طاقات خ) واسعة يرى بعضهم بعضاً منها، فحدثت طبقات واسعة يرى بعضهم بعضاً منها، ثمّ دخلوها، فلمّا بلغوا آخرها جآء فرعون و قومه، فدخل بعضهم، فلمّا دخل آخرهم، و همّ أوّلهم بالخروج أمر الله تعالى البحر فانطبق عليهم فغرقوا، و أصحاب موسى ينظرون إليهم، فذلك قوله عزّ و جلّ: «و أغرقنا آل فرعون و أنتم تنظرون» إليهم.

قال الله عزّ و جلّ لبني إسرآئيل في عهد محمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾: فإذا كان الله تعالى فعل هذا كلّه بأسلافكم لكرامة محمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾ و دعآء موسى دعآء تقرّب بهم إلى الله أفلا تعقلون أنّ عليكم الايمان بمحمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾ إذ قد شاهد تموه الآن».

و في مروج الذّهب: «فأغرق الله عزّ و جلّ فرعون و أمره (موسى) الله عزّ و جلّ بالخروج ببني إسرائيل إلى التّيه، و كان عددهم ستّمأة ألف بالغ دون من ليس ببالغ».

و في تاريخ اليعقوبي: «و أمرالله موسى أن يخرج بني إسرائيل، فلمّا أرادوا الخروج طلب جسد يوسف بن يعقوب ليحمله معه كما أوصى يوسف بني إسرآئيل، فأتته شارح بنت آشر بن يعقوب فقالت: تضمن لي البقآء حتّى أدلّك عليه؟ حتّى ضمن ذلك لها، فصارت به إلى موضع من النّيل، فقالت له: هو ههنا! فأخذ موسى أربع صفائح ذهب، فصوّر في واحدة صورة نسر، و اُخرى صورة سبع، و اُخرى صورة إنسان، و اخرى صورة ثور، و كتب في كلّ صفيحة إسم الله الأعظم، و ألقاها في المآءِ، فطفا تابوت الحجارة الّذي كان فيه جسد يوسف، و بقيت في يد موسى صفيحة واحدة فيها صورة ثور، فوهبها لشارح بنت آشر و حمل التّابوت.

و قفل موسى ببني إسرآئيل، و هم ستمأة ألف إنسان بالغ، و اتّبعه فرعون و جنوده فغرّقهم الله جميعاً، و كانوا ألف ألف فارس. و قيل: هبط جبرئيل و فرعون و أصحابه يحاولون الدّخول أثرهم، و إذ قد نزل جبرئيل بعد أن لم يجزع من خيل فرعون فرس واحد، و كان تحت جبرئيل مهرة، و كان تحت فرعون فرس طويل الذّنب، فدخل جبرئيل البحر، فنظر فرس فرعون إلى مهرة جبريل، فاقتحم أثرها البحر، و تبعه أصحابه فغرقوا كلّهم، أعني فرعون و جميع أصحابه و انطبق البحر عليهم و صار موسى إلى التّيه».

و في تاريخ الطّبري: عن إبن عبّاس قال: جآء جبرآئيل إلى النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾ فقال: يا محمّد لو قد رأيتني و أنا أدس من حمإالبحر في فم فرعون مخافة أن تدركه الرّحمة يقول الله: آلآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين فاليوم ننجّيك ببدنك أى سويّاً لم يذهب منك شيء لتكون لمن خلفك آية أى عبرة و بيّنة، فكان يقال: لو لم يخرجه الله ببدنه حتّى عرفوه لشكّ فيه بعض الناس».

إن تسئل: كيف انفلق البحر و صار فيه طريقاً يبساً، و سار فيه موسى بنو

إسرائيل، ثمّ انطبق فغرق فيه فرعون و من معه يوماً واحداً و هذا ممّا لا يقبله عقل و لا يؤيّده علم؟

تجيب عنه: أنّ المعجزة هي أمر خارق للعادة لا يعارضه شيء في ظرف من الظّروف حيث إنّ الأشيآء الخارقة للعادة كثيرة كالسّحر و الطّلسمات و الشّعبذة و ما إليها و لكنها تبطل كعمل سحرة فرعون أو يعارضها العلم في ظرف آخر أو يدركها العقل في وقت آخر، و أمّا المعجزة فهي أمر ليس في وسع البشر أن يأتي بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً إلاّ بتاييد من الله تعالى، فلا يدركها العقل و لا يؤيّدها العلم، و لذلك سمّيت معجزة لأنّها أسباب يأتى بها الأنبيآء و المرسلون يعجز غيرهم أن يأتوا بمثلها، و تكون دالّة على صدق دعواهم في نبوّاتهم و رسالاتهم... أنّها أسباب لا يأتي بها النّبيّ بنفسه، بل تكون من الله جلّ و علا و بإذنه تدلّ على نبوّته.

و أنّ الله عزّ و جلّ يجري على يد أيّ عبد من عبيده المصطفين الأخيار ما تتعلّق به إرادته «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤) «الله يصطفي من الملآئكة رسلاً و من النّاس إنّ الله سميع بصير» الحجّ: ٧٥) «و إنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» ص: ٤٧) و هم أصحاب الأفئدة العامرة بنور الله تعالى و النّفوس المشرقة بجمال قدسه، إذ أفاض عليهم أنوار الصّفات الجليلة، و السّجايا الشّريفة، و أسبل عليهم ردآء السّكينة و برد الوقار فأصبحوا إنساناً فاضلاً كاملاً يتّخذ مثالاً على الحياة و الكمال و نموذجاً لغيره في التّخلّق بشريف الخلال و لزوم جادّة الإعتدال في كلّ ظرف.

و أنّ النبوّة رتبة عالية من رتب الكمال الإنسانيّ خصّ الله تعالى بها أفراداً معدودين ليحدثوا أكبر الأحداث في العالمين، و حلاهم بآيات تتخلّف لها نواميس الطّبيعة أحياناً... و لو كانت المعجزة يدركها العقل و يؤيّدها العلم لما كانت معجزة، فمن توهّم أنّ المعجزة يدركها العقل و يؤيّدها العلم يوماً فلم يفهم معناها لفظاً: أنّ المعجزة معجزة في كلّ ظرف، حيث إنّ برد النّار لإبراهيم(عليه السلام) و إخراج النّاقة من الجبل لصالح(عليه السلام) و قلب العصا ثعباناً، وردّ العصا التآلفة إلى سيرتها الاولى و إحيآء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص، وردّ الشّمس و شقّ القمر و تغذية الجيش كلّه من بضع تمرات و

ما إليها معجزات لا تتّفق مع علم و لا عقل.

و في كلّ عضو من أعضآئنا، و جزء من أجزآئنا و قوّة من قوانا الظّاهرة و الباطنة عجآئب و أسرار، و غرآئب و حكم... لا نعلم واحداً من مأة من مئاتها فضلاً عن كلّها، و عن أسرار الكون و نواميس الوجود... إنّنا لا ندري جدّاً كيف نهضم الغذاء؟ كيف نسيغ الماء؟ كيف نتكلّم؟ كيف نسمع؟ كيف نذوق، و كيف نبصر؟ لا ندري ذلك دراية علم صحيح لا شية فيه، لا درايتنا السّطحية الّتي نحن عليها الآن، و قد أقرّ بذلك المتبحّرون من العلماء و المحقّقون من الحكمآء، و الفحول من الفضلآءِ هم اعترفوا بقصورهم عن إدراك صميم الأشيآء لا أصحاب البسطآء و القيل و القال...

و قد أجرى الله جلّ و علا تلك المعجزات و الخوارق على أيدي أنبيائه و رسله عليهم صلوات الله تعالى ليفهم العباد بأنّ عقولهم قاصرة عن الإدراك و الإحاطة بأسرار شيء واحد من الأشياء فضلا عن كلّها... فافهم و لا تغفل.

## ﴿ مدّة مُلك فرعون و عمره ﴾

قال اللّه تعالى: «كم تركوا من جنّات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين كذلك و أورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين و لقد نجّينا بني‌إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين» الدّخان: ٢٥-٣١).

و اعلم أنّ الكلمات و الأخبار في المقام كثيرة لايسعنا بذكرها و نحن على جناح الإختصار فنشير إلى نبذة منها:

في كتاب الخطط المقريزي: «و بمصر كنوز يوسف﴿عليه السلام﴾ و كنوز الملوك من قبله، و الملوك من بعده لأنّه كان يكنز ما يفضل عن النّفقات و المؤن لنوائب الدّهر و هو قول اللّه عزّوجلّ: «فأخرجناهم من جنّات و عيون و كنوز ...» الشّعرآء: ٥٧-٥٨).

و في مروج الذّهب للمسعودي قال: «و لمصر أخبار عجيبة من الدّفائن و البنيان و ما يوجد في الدّفائن من ذخآئر الملوك الّتي استودعوها الأرض و غيرهم من الأمم ممّن سكن تلك الأرض، و تدعى بالمطالب إلى هذه الغاية...

و قال: و قدكان جماعة من أهل الدّفائن و المطالب، و من قد أغرى بحفر الحفآئر و طلب الكنوز و ذخآئر الملوك و الأمم السّالفة المستودعة بطن الأرض ببلاد مصر، وقع إليهم كتاب ببعض الأقلام السّالفة، فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الأهرام المتقدّم ذكرها، بأنّ فيه مطلباً عجيباً، فأخبروا الإخشيد محمّد بن طفج

بذلك، فأذن لهم في حفره و أباحهم إستعمال الحيلة في إخراجه، فحفروا حفراً عظيماً إلى أن انتهوا إلى أزج و أقباء و حجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قآئمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالأطلية المانعة من سرعة البلى و تفرّق الأجزآءِ ...

و الصّور مختلفة: منها صور شيوخ و شبان و نسآء و أطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت و الزّمرّد و الفيروزج و الزّبرجد، و منها ما وجوهها ذهب و فضّة، فكسروا بعض تلك التّماثيل، فوجدوا في أجوافها رمماً بالية و أجساماً فانية، و إلى جانب كلّ تمثال منها نوع من الأبنية كالبراني و غيرها من الآلات من المرمر و الزّمرّد و الرّخام و فيه نوع من الطّلاءِ الّذي قد طلى منه ذلك الميت الموضوع في تمثال الخشب، و ما بق من الطّلاء متروك في ذلك الإنآء، و الطّلاء دواء مسحوق و أخلاط معمولة لارائحة لها فجعل منه على النّار، ففاح منه روآئح طيّبة مختلفة لا تعرف في نوع من الأنواع الّتي للطّيب، و قد جعل كلّ تمثال من الخشب على صورة من فيه من النّاس على اختلاف أنسابهم، و مقادر أعمارهم، و تباين صورهم، و بإزآء كلّ تمثال من هذه التّماثيل تمثال من الحجر المرمر أو من الرّخام الأخضر على هيئة الصّنم على حسب عبادتهم للتّماثيل و الصّور، و عليها أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملل...

و زعم قوم من ذوى الدّراية منهم أن لذلك القلم، من حين فقد من الأرض - أعني أرض مصر - أربعة آلاف سنة، و فيما ذكرناه دلالة على أنّ هؤلآء ليسوا بيهود و لا بنصارى و لم يؤدهم الحفر إلاّ إلى ما ذكرنا من هذه التّماثيل، و كان ذلك في سنة ثمان و عشرين و ثلاثماة. و قد كان لمن سلف و خلف من ولاة مصر إلى أحمد بن طولون و غيره إلى هذا الوقت - و هو سنة إثنتين و ثلاثين و ثلاثماة - أخبار عجيبة فيما استخرج في أيّامهم من الدّفآئن و الأموال و الجواهر، و ما اصيب في القبور من المطالب و الخزائن ...

و في **الخطط** - في ذكر هلاك أموال أهل مصر - قال اللّه عزّوجلّ: «و قال موسى ربّنا انّك آتيت فرعون وملائه زينة و أموالاً في الحياة الدّنيا ربّنا ليضلّوا عن سبيلك ربّنا اطمس على أموالهم و اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب الأليم قال قد أُجيبت دعوتكما» يونس: ٨٨-٨٩).

هذا دعآء من موسى﴿عليه السلام﴾ على فرعون و قومه من أهل مصر لكفرهم أن يهلك اللّه أموالهم. قال الزّجاج: طمس الشّيء: إذهابه عن صورته. عن عبداللّه بن عبّاس و عن محمدبن كعب القرظي أنّهما قالا: صارت أموال أهل مصر و دراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً و أثلاثاً و أنصافاً، فلم يبق معدن إلاّطمس اللّه عليه، فلم ينتفع به أحد بعدهم ... و قال المضارب بن عبداللّه الشّاميّ: أخبرني من رأى النّخلة بمصر مصروعة و انّها لحجر و لقد رأيت ناساً كثيراً قياماً و قعوداً في أعمالهم لو رأيتهم ما شككت فيهم قبل أن تدنو منهم أنّهم ناس و إنّهم لحجارة، و لقد رأيت الرّجل من رقيقهم و أنّه لحارث على ثورين و أنّه وثوريه لحجارة و نقل و سمة بن موسى في قصص الأنبيآءِ:

أنّ فرعون لمّا هلك و قومه و آمنت بنوإسرآئيل بما تلته، ندب موسى﴿عليه السلام﴾ من نقبآئه الإثنى عشر نقيبين: أحدهما كالب بن موقيا، و الآخر يوشع بن نون مع كلّ واحد من سبطه إثناعشر ألفاً و أرسلهما إلى مصر، و قد خلت من حاميها لغرق أهلها مع فرعون فأخذوا ذخائر فرعون و كنوزه و أعادوا إلى موسى، فذلك توريثهم أرض مصر يعني قول اللّه عزّوجلّ عن قوم فرعون: «فاخرجنا هم جنّات و عيون و كنوز و مقام كريم كذلك و أورثناها قوماً آخرين» و قوله تعالى: «و أورثنا القوم الّذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض و مغاربها الّتي باركنا فيها» يعني أرض مصر و أورثناها بني إسرائيل لأنّهم هم المستضعفون الّذين كانوا فيها بدليل قوله تعالى: «و نريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين و نمكّن لهم في الأرض».

و عن داود بن رزق بن عبداللّه و كانت له سياحات كثيرة بأرض مصر أنّه عبر إلى واد بالقرب من القلمون بالوجه القبلي، فرأى فيه مقامات كثيرة ما بين بطيخ وقثّآء و تفّاح و كلّها حجارة، و كان قد أخبرني قديماً بعض الأعيان أنّه شاهد في سفره إلى البلاد من أرض مصر بطّيخاً كلّه حجارة».

و في الدّرّ المنثور: و أخرج إبن أبي حاتم عن الأسود بن يزيد قال: قلت لعآئشة: ألاتعجبين من رجل من الطّلقآءِ ينازع أصحاب محمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾ في الخلافة؟ قالت: و ما تعجب من ذلك هو سلطان اللّه يؤتيه البرّو الفاجر و قد ملك فرعون أهل

مصر أربعمأة سنة».

و في الملاحم و الفتن للسّيدبن طاووس رضوان اللّه تعالى عليه في - الباب الخامس و الأربعون -: «فيما نذكره من كتاب الفتن للسّيلي في طول دولة الترّك كدوامها لفرعون و أنّ زوالهم لما يقع بينهم و أنّهم يوصلون أمرهم إلى ولد النبيّ ﴿صلّى الله عليه و آله﴾».

و فيه: عن عمران بن سليم قال: «يوشك بنوحفصة يعني الأتراك أن يخرجوا إلى العراق فيقهرون كلّ أبيض و أسود، و تدوم لهم الدّنيا كدوامها لفرعون حتّى إذا استمسكوا و امتنعوا و تعزّزوا و تجبّروا منع اللّه عنهم القطر، فانتقم لبعضهم من بعض لسوء رعيّتهم و قتلهم المسلمين، لباسهم لباس أهل الكفر حتّى تلق بينهم العداوة و البغضآء حتّى تبترهم و تشردهم حتّى يضع الملك في ولد النبيّ ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ و هم أولى النّاس به و أحّق أن يقولوا بالعدل من غيرهم».

و فيه: «أنّ دولة فرعون نحو أربعمأة سنة، و أنّ بني إسرائيل كانوا منها مأة و خمسين سنة في بلآءٍ مع فرعون قبل نبوّة موسى ﴿عليه السلام﴾.

و فيه: «عاش فرعون ثلاثمأه سنة، منها مأتان و عشرون سنة لايرى فيها ما يقذى عينه و دعاه موسى ﴿عليه السلام﴾ ثمانين سنة».

و فيه: «ذكر ياقوت الحموي في المجلد الرّابع عشر من معجم البلدان ما هذا لفظه: «فلمّا هلك كان بعده فرعون موسى ﴿عليه السلام﴾ و قيل: كان من العرب من بلى، و كان أبرش قصيراً بطلاً و قد ملكها خمسأة عام ثمّ أغرقه اللّه و أهلكه هو و الوليد بن مصعب، و زعم قوم كان من قبط مصر و لم يكن من العمالقة».

و فيه: عن الأسود قال: قلت لعآئشة: ألاتعجبين من رجل من الطّلقآءِ ينازع رجلاً من أهل بدر الخلافة؟ فقالت: لاتعجب إنّ فرعون قد ملك بنيإسرائيل أربعمأة سنة و الملك يعطيه اللّه البرّ و الفاجر».

و في كتاب المخلاة: قال إبن جبير: «و كانت مدّة ملك فرعون أربعمأة سنة، و عاش ستّمأة و عشرين سنة لم يرفيها مكروهاً، و لو كان في تلك المدّة جاع يوماً أو حصل له حمى ليلة أو وجع ساعة لما ادّعى الرّبوبيّة، و لم يزل مخوّلاً في النّعمة حتّى أخذه

اللّه نكال الآخرة و الاولى».

و في الدّرّ المنثور: عن إبن عبّاس قال: قال موسى(عليه السلام): يا ربّ أمهلت فرعون أربعمأة سنة، و هو يقول: «أنا ربّكم الأعلى» و يكذب بآلآئك و يجحد رسلك، فأوحى اللّه إليه أنّه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أُكافئه».

و فيه: عن مجاهد قال: أوّل من خضب بالسّواد فرعون.

و فيه: عن إبراهيم بن مقسم الهذلي قال: «مكث فرعون أربعمأة سنة لم يصدع له رأس».

و فيه: «أنّه مكث فرعون أربعمأة سنة الشّباب يغد و فيه و يروح».

و فيه: عن الحكم بن عتيبة قال: «أوّل من خضب بالسّواد فرعون حيث قال له موسى: إن أنت آمنت باللّه سئلته أن يرد عليك شبابك، فذكر ذلك لهامان فخضبه هامان بالسّواد، فقال له موسى: ميعادك ثلاثة أيّام، فلمّا كانت ثلاثة أيّام فصل خضابه».

## ﴿ مصير فرعون طاغي مصر و جنوده ﴾
## المستكبرين في الآخرة

قال اللّه عزّ و جلّ: «و لقد أرسلنا موسى بآياتنا و سلطان مبين إلى فـرعون و ملائه فاتّبعوا أمر فرعون و ما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النّار و بئس الورد المورود و أُتبعوا في هذه لعنة و يوم القيامة بئس الرّفد المرفود» هود: ٩٦-٩٩).

و قال: «و استكبر هو و جنوده في الأرض بغير الحقّ و ظنّوا أنّهم إلينا لا يرجعون فأخذناه و جنوده فنبذناهم في اليمّ فانظر كيف كان عاقبة الظّالمين - و أتبعناهم في هذه الدّنيا لعنة و يوم القيامة هم من المقبو حين» القصص: ٣٩-٤٢).

و قال: «و حاق بآل فرعون سوء العذاب النّار يعرضون عليها غدوّاً و عشيّاً و يوم تقوم السّاعة ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب» غافر: ٤٥-٤٦).

هكذا كانت عاقبة آل فرعون في الحياة الدّنيا إغراقهم في البـحر، أمّـا في الدّار الآخرة فلم يهمل القرآن الكريم ذكر ما أعدّه لهم من العذاب بما فيه تبصرة وعظة، من وعيد و تهديد، و من إنذار شديد لكلّ من سلك فرعون طاغي مصر مـن الأُمـرآء و السّلاطين و الرّؤسآءِ و الملوك و الحكام... في البغي و الطّغيان، في الإثم و العدوان، و في الظّلم و العصيان، و لكل مَن سلك مسلك آل فرعون في الرّكون إلى الظالم، و الاتباع للفاجر، و التّقليد الأعمى عن الحاكم الجآئر...

**في تفسير التّبيان:** في قوله تعالى: «آل فرعون» قال: المراد بالآل أتباعه فيما دعاهم إليه من ربوبيّته، سمّوا «آل » لانّ مرجع أمرهم إليه بسبب أكيد، و الفرق بين «آل فلان» و «الأصحاب » أنّ الأصحاب مأخوذ من الصّحبة لطلب علم أو غيره كالأصحاب فى السّفر...».

**و في الخصال:** بإسناده عن حنان إبن سدير قال: حدّثنى رجل من أصحاب أبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾ قال: سمعته يقول: «إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر: أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه، و نمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه، و إثنان في بني إسرائيل هوّدا قومهم و نصّراهم، و فرعون الّذي قال: « أنا ربّكم الأعلى» و إثنان فيهذه الأمّة».

**أقول:** إنّما المراد من قول الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق﴿عليه السلام﴾: «و إثنان في هذه الأمّة» هما أبوبكر بن أبي قحافة أوّل غاصب الخلافة، و عمر بن الخطّاب أوّل ظالم آل اللّه جلّ و علا و أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين فإنّهما انحرفا و أضلاّ النّاس بعد رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ بالسّقيفه الشّومة الموجبة لوقفة الإسلام و إنحطاط المسلمين و فرقتهم إلى الآن.

**في نهج البلاغة:** الخطبة: ١٥٠– قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾: «حتّى إذا قبض اللّه رسوله﴿صلى الله عليه و آله﴾ رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولائج، و و صلوا غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذى أمروا بمودّته، و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة و ذهلوا في السّكرة على سنّة آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكن، أو مفارق للدّين مباين».

**أقول:** إنّه ليس أحد ممّن له طيب الولادة و حسن السّريرة أنّ الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾ يشير بكلامه هذا إلى أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة عليها و على أهلها اللّعنة الأبديّة، و أمّا الّذين لهم خبث الولادة و سوء السّريرة شربوا من مشرب السّقيفة فلا نتوقّع منهم إلاّ العداوة و البغضآء على المؤمنين لأنّ الكفر ضدّ الايمان، و الكافر عدوّ المؤمن دائماً فنذرهم في طغيانهم يعمهون فيقولون ما يشآؤن...

وفيه: قال الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾ في نفسه و فيهم: «فو الّذي لا إله إلاّ هو إنّي لعلى جادّة الحقّ، و إنّهم لعلى مزلّة الباطل».

و في **الملاحم و الفتن** للسيّد بن طاووس رحمة اللّه تعالى عليه - الباب الرّابع و الأربعون - بإسناده عن الحسن بن أبي الحسن أنّه قال: «جآئت الطّماطم، جآئت الطّماطم فيضربون رقابكم، و يأكلون فيئكم، و يستوطنون بلادكم، و يهتكون ستوركم، و يستعبدون خياركم، و يذلّون أشرافكم، خاب العبيد، جارت العبيد، ترفل في الحديد، مشوهة ألوانهم، غليظة رقابهم، سيوفهم مذكرة، و عصيهم مبشرة، و أسياطهم مثمرة لهم، و هم أشدّ على أُمّتي من فرعون على بني إسرائيل».

و في **تفسير القمّي**: في قوله تعالى: «نتلوا عليك من نباء موسى و فرعون بالحقّ - إنّه كان من المفسدين» القصص: ٣-٤) قال: أخبر اللّه تعالى نبيّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ بما لقى موسى﴿عليه السلام﴾ و أصحابه من فرعون من القتل و الظّلم ليكون تعزية له فيما يصيب في أهل بيته من امّته، ثمّ بشّره بعد تعزيته أنّه يتفضّل عليهم بعد ذلك، و سيجعلهم خلفآء في الأرض و أئمّة على امّته، و يردّهم إلى الدّنيا مع أعدائهم حتّى ينتصفوا منهم، فقال: «و نريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمّة و نجعلهم الوارثين و نمكّن لهم في الأرض و نرى فرعون و هامان و جنودهما» و هم الّذين غصبوا آل محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾ و قوله: «منهم» أى من آل محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾ «ما كانوا يحذرون» من القتل و العذاب.

قال: و لو كانت هذه الآية نزلت في موسى﴿عليه السلام﴾ و فرعون لقال: «و نرى فرعون و هامان و جنودهما منه ما كانوا يحذرون» أى من موسى و لم يقل: «منهم» فلمّا تقدّم قوله: «و نريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمّة» علمنا أنّ المخاطبة للنّبيّ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و ما و عدهم اللّه به رسوله﴿صلى الله عليه وآله﴾ فإنّما يكون بعده و الأئمّة يكونون من ولده.

و إنّما ضرب اللّه هذا المثل لهم في موسى و بني إسرآئيل و في أعدآئهم بفرعون و هامان و جنودهما فقال: إنّ فرعون قتل بني إسرآئيل، و ظفر، فظفر اللّه موسى بفرعون و أصحابه حتّى أهلكهم اللّه، و كذلك أهل بيت رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ أصابهم من أعدآئهم

القتل و الغصب، ثمّ يردّهم و يردّ أعدآئهم إلى الدّنيا حتّى يقتلوهم.

و قد ضرب أمير المؤمنين﴿عليه السلام﴾ مثلاً، مثل ما ضرب لهم من أعدآئهم بفرعون و هامان، فقال: يا أيّها النّاس انّ أوّل من بغى على اللّه عزّ و جلّ على وجه الأرض عناق بنت آدم﴿عليها السلام﴾ خلق لها عشرين اصبعاً لكلّ إصبع منها ظفران طويلان كالمنجلين العظيمين، و كان مجلسها في الأرض موضع جريب، فلمّا بغت بعث اللّه لها أسداً كالفيل، و ذئباً كالبعير، و نسراً كالحمار و كان ذلك في الخلق الأوّل، فسلّطهم اللّه عليها فقتلوها.

ألا و قد قتل اللّه فرعون و هامان، و خسف اللّه بقارون، وإنّما هذا مثل لأعدآئه الّذين غصبوهم حقّهم، فأهلكهم اللّه ثمّ قال عليّ﴿عليه السلام﴾ على أثر هذا المثل الّذي ضربه، و قد كان لي حقّ حازه دوني من لم يكن له، و لم أكن اشركه فيه، و لا توبة له إلاّ بكتاب منزل أو برسول مرسل، و أنّى له بالرّسالة بعد رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ و لا نبيّ بعد محمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾ فأنّى يتوب، و في برزخ القيامة غرّته الأمانيّ، و غرّه باللّه الغرور، و قد أشفى على جرف هار فانهار به في نار جهنّم و اللّه لا يهدي القوم الظّالمين.

و كذلك مثل القآئم﴿عليه السلام﴾ في غيبته و هربه و استتاره مثل موسى﴿عليه السلام﴾ خآئف مستتر إلى أن يأذن اللّه في خروجه و طلب حقّه و قتل أعدآئه في قوله تعالى: «أُذِن للّذين يقاتلون بأنّهم ظلموا و إنّ اللّه على نصرهم لقدير الّذين اخرجوا من ديارهم بغير حقّ» و قد ضرب بالحسين بن عليّ﴿عليهما السلام﴾ مثلاً في بني إسرائيل بذلّتهم من أعدآئهم.

و فيه: حدّثني أبي عن النّضر بن سويد عن عاصم بن حميد عن أبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾ قال: لقى المنهال بن عمرو عليّ بن الحسين بن عليّ﴿عليهما السلام﴾ فقال له: كيف أصبحت يا بن رسول اللّه؟ قال: ويحك أما أنّ لك أماناً أن تعلم كيف أصبحت، أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبّحون أبنآئنا و يستحيون نسآئنا، و أصبح خير البريّة بعد محمّد يلعن على المنابر، و أصبح عدوّنا يعطى المال والشّرف، و أصبح من يحبّنا محقوراً منقوصاً حقّه، و كذلك لم يزل المؤمنون، و أصبحت العجم تعرف العرب حقّها بأنّ محمّداً﴿صلى الله عليه و آله﴾ كان منها، و أصبحت قريش تفتخر على العرب بأنّ محمّداً كان منها، و أصبحت العرب تعرف لقريش حقّها بأنّه محمّداً كان منها، وأصبحت العرب

تفتخر على العجم بأنّ محمّداً كان منها، و أصبحنا أهل البيت لا يعرف لنا حقّ، فكذا أصبحنا يا منهال».

و في درّ بحر المناقب (ص ٤٤) لابن حسنويه الموصلي من أعلام العامّة عن أبي ذر الغفاريّ قال: قال رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾: «مَن نازع عليّاً في الخلافة بعدي فهو كافر قد حارب اللّه و رسوله و مَن شكّ في عليّ فهو كافر».

أقول: أو لم ينازع أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة المنحطّة عليّا﴿عليه السلام﴾ في الخلافة؟؟؟

و في المناقب للفقيه إبن المغازليّ الواسطيّ الشّافعيّ بإسناده عن أبي ذر - في حديث فيه - قول النّبي﴿صلى الله عليه و آله﴾: «مَن ناصب عليّاً الخلافة بعدي فهو كافر، و قد حارب اللّه و رسوله و مَن شكّ في عليّ فهو كافر».

و في كنوز الحقائق (ص ١٥٦ ط بولاق) للمناوي و هو من أعلام العامّة عن أبي ذر قال: قال رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾: «من قاتل عليّاً على الخلافة فاقتلوه كائناً من كان».

أقول: رواه جماعة من أعلام العامة و حملة أسفارهم:

منهم: القندوزيّ الحنفيّ في (ينابيع المودّة ص ١٨١ ط إسلامبول)

و منهم: الأمر تسري في (أرجح المطالب ط ٣٤ ط لاهور) و غيرهم تركناهم للإختصار.

و في المناقب المرتضويّة (ص ١١٤ ط بمبئی) للكشفي الترمذيّ الحنفيّ قال النّبي﴿صلى الله عليه و آله﴾: «يا عليّ لو أنّ أحداً عبداللّه حقّ عبادته ثمّ شكّ فيك و أهل بيتك وهوأفضل النّاس كان في النّار».

رواه بعينه جماعة من أعلام العامة و حملة أسفارهم...

و فيه (ص ١١٥ الطبع) عن جابر قال: قال النّبيّ﴿صلى الله عليه و آله﴾: «أوّل ثلمة في الاسلام مخالفة عليّ﴿عليه السلام﴾» رواه جماعة منهم... تركناهم روماً للإختصار.

أقول: و اللّه و باللّه و تاللّه جلّ جلاله إنّي لا أشكّ فيمن شكّ فيا أوردناه آنفاً أنّه إمّا كافر وإن تظاهر بالإسلام، و إمّا منافق أو خبيث الولادة أو سلقلق كآئناً من كان.

## ﴿ قصّة عاشوراء و دفع الشّبهة الواهية عنها ﴾

و نحن نريدههنا أن نبحث في البكآء على مصآئب سيّد الشّهداء الحسين بن عليّ المرتضى صلوات اللّه عليهما إجمالاً للمقايسةبين ما فعل آل فرعون ببني إسرآئـيل و موسى﴿عليه السلام﴾ و ما فعل أصحاب السّقيفة و بنو أُميّة بأهل بيت المصطفى سيّد الأنبيآء و المرسلين صلوات اللّه عليهم أجمعين، فتدبّر أيّها القارىء الكريم وقس مابينهما ثمّ اقض ما أنت قاضٍ؟

فتدبّر أيّها القارىء الكريم، أصيل النّسب، و طيّب الولادة ما يلي:

١- ما كانت قصّة عاشورآء؟

٢- ما وقعت الواقعة يوم عاشورآء وليلتها؟

٣- لماذا بكت السّمآء و الأرض على مصائب سبط المصطفى﴿صلى الله عليه وآله﴾؟

٤- لماذا بكى عليها الأنبيآء و الأوصيآء؟

٥- لماذا بكى عليها المرسلون و المقرّبون؟

٦- لماذا بكت عليها الملآئكة و الجنّ؟

٧- لماذا بكى عليها الحجر و المدر و الوحوش و الحيتان؟

٨- لماذا كسفت الشّمس و نزل الدّم من السّمآء يوم عاشورآء؟

٩- ما كان بين السّقيفة و عاشورآء؟

١٠-لماذا بكت عليها فاطمة الزّهرآء سلام اللّه عليها؟

۱۱- ما كان محن عاشوراء و مصآئبها؟

۱۲- رأس سبط المصطفى الحسين بن عليّ المرتضى عليهم صلوات اللّه في مجلس إبن زياد؟

۱۳- إسارة أهل بيت الوحي و السّبايا من الكوفة إلى الشّام؟

۱٤- لماذا يتلو الرّأس المذبوح، كلام اللّه تعالى فوق السّنان؟

۱٥- رأس الحسين سيدالشّهداء﴿عليه السلام﴾ في مجلس يزيد بن معاوية؟؟؟

۱٦- لماذا تبكى الشّيعة على مصآئب سبط المصطفى﴿صلى الله عليه و آله﴾؟ و تفرح العامّة بها؟؟؟

۱۷- مقايسة بين آل فرعون طاغي مصر، و بين أصحاب السّقيفة و أذنابها في الجناية؟

۱۸- دفع الشّبهة الواهية و رفعها...

## ﴿العامّة و بكآء السّمآء و الأرض على يحيى بن زكريّا﴾ و سبط المصطفى الحسين بن عليّ(ع)

قال اللّه عزّ و جلّ: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين» الدّخان: ٢٩) و قد وردت كلمات العامّة من مفسّريهم و محدّثيهم و مؤرّخيهم و ماورد من الرّوايات عن طريقهم و حملة أسفارهم... نشير إلى ما يسعه المقام و نحن على جناح الإختصار:

١- في تفسير الطّبريّ: عن السّدي قال: «لمّا قتل الحسين بن عليّ رضوان اللّه عليهما بكت السّمآء عليه و بكآؤها حمرتها» رواه القشيري في (تفسيره) والقتّال في (تفسيره)

٢- في تفسير النيشابوريّ: قال: «و جوّز كثير من المفسّرين أن يكون البكآء حقيقة و جعلوا الخسوف و الكسوف و الحمرة الّتي تحدث في السّمآء و هبوب الرّياح العاصفة من ذلك».

٣-في الدّرّ المنثور: و أخرج إبن أبي حاتم عن عبيد المكتب عن إبراهيم قال: «ما بكت السّمآء منذ كانت الدّنيا إلاّ على إثنين قيل لعبيد: أليس السّمآء و الأرض تبكي على المؤمن؟ قال: ذاك مقامه، و حيث يصعد عمله قال: و تدرى ما بكاء السّمآء؟ قال: لا قال: تحمر و تصير وردة كالدّهان، أنّ يحيى بن زكريّا لمّا قتل إحمرّت السّمآء و قطرت دماً و أنّ حسين بن عليّ يوم قتل إحمرّت السّمآء».

و فيه: و أخرج إبن أبي حاتم عن زيد بن زياد قال: «لمّا قتل الحسين إحمرّت آفاق السّمآء أربعة أشهر» و عن عطآء قال: بكآء السّمآء حمرة أطرافها. و عن الحسن قال: بكآء السّمآء حمرتها.

٤ - في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ما لفظه - في الآيات الكريمة -: «و كانت العرب تقول عند موت السّيّد منهم: بكت له السّمآء و الأرض أى عمّت مصيبته الأشيآء حتّى بكته السّمآء و الأرض و الرّيح و البرق، و بكته اللّيالي الشّاتيات. قال الشّاعر:

فالرّيح تبكى شَجْوها ... و البرق يلمع في الغمامة

و قال آخر - و هو جرير -:

و الشّمس طالعة ليست بكاسفة ... تُبكي عليك نجوم اللّيل و القمرا

و فيه: قال السّدّي: لمّا قتل الحسين بن عليّ«عليه السلام» بكت عليه السّمآء و بكآؤها حمرتها. و حكى جرير عن يزيد بن أبي زياد قال: لمّا قتل الحسين بن عليّ إبن أبيطالب رضى اللّه عنهما إحمرّ له آفاق السّمآء أربعة أشهر. قال يزيد: و احمرارها بكاؤها.و قال محمّد بن سيرين: أخبرونا أنّ الحمرة الّتي تكون مع الشّفق لم تكن حتّى قتل الحسين بن عليّ رضى اللّه عنهما. و قال سليمان القاضي: مُطِرنا دماً يوم قتل الحسين.

و فيه: عن قرّة بن خالد قال: ما بكت السّمآء على أحد إلاّ على يحيي بن زكريّا و الحسين بن عليّ و حمرتها بكائها.

و قال القرطبي: «و إذا كانت السّموات و الأرض تسبّح و تسمع و تتكلّم فكذلك تبكي مع ما جآء من الخبر في ذلك».

٥-في تفسير روح البيان - بعد نقل كلام زيدبن زياد - في بكآء السّمآء ليحيى و الحسين«عليهما السلام» نقل أنّه قال إبن سيرين: أخبرونا أنّ الحمرة الّتي مع الشّفق لم تكن حتّى قتل الحسين«عليه السلام» ثمّ نقل هاتين البيتين من الأشعار:

اين سرخى شفق كه بـرين چـرخ بى وفـاست
هر صبح و شام عكس خون شهيدان كربلاست
گر چرخ خون ببارد از اين غصّه در خـورست
ور خاك خـون بگـريد از ايـن مـاجرا رواست

و روى من طريق العامّة كما في كتاب (كامل الزّيارة) عن إبراهيم النّخعي قال: خرج أمـير المـؤمنين﴿عليه السلام﴾ فـجلس في المسـجد و اجـتمع أصـحابه حـوله فـجآء الحسين﴿عليه السلام﴾ حتّى قام بين يديه، فوضع يده على رأسه، فقال، يا بُنيّ إنّ اللّه عيّر أقواماً بالقرآن، فقال: «ما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين» و أيم اللّه لتقتلنّ من بعدي تبكيك السّمآء و الأرض.

٦- في تفسير الثّعلبي قال السّدّي: لمّا قتل الحسين﴿عليه السلام﴾ بكت عليه السّمآء و بكآئها حمرتها. قال: حكى إبن سيرين: انّ الحمرة لم تر قبل قتله. ثم قال: و عن سليم القاضي: مُطِرنا دماً أيّام قتله. رواه الشّـبراوي في (الاتحـاف: ص ٧٢) و الطّـبري في (ذخآئر العقبى: ص ١٤٥) و إبن حجر في (الصّواعق: ص ١١٦).

٧- في التّفسير الحديث لدروزة و هو من أعلام العامّة: «أنّه ما قلب حجر يومئذ إلاّ وجد تحته دم عبيط و أنّ السّمآءَ (الشّمس خ) كسفت، و الأفق إحـمرّ، و سـقطت الحجارة».

٨- في صحيح مسلم في تفسير قوله تعالى: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض» قال: لمّا قتل الحسين بن عليّ بكت السّمآء و بكآؤها حمرتها.

رواه الشّبلنجي في (نور الأبصار: ص ١٣٣) و القندوزي في (ينابيع المودّة: ص ٣٥٧).

٩- قال إبن حجر في (شرح همزيه): «ممّا ظهر يوم قتله من الآيات: أنّ السّمآء مطر دماً، و أنّ أو انيهم مُلئت دماً، و أنّ السّمآء إشتدّ سوادها لإنكساف الشّمس حينئذ حتّى رُإيَتْ النّجوم، و اشتدّ الظّلام حتّى ظنّ النّاس أنّ القيامة قد قامت، و أنّ الكواكب ضربت بعضها بعضاً، و أنّه لم يُرفَعْ حجر إلاّ يُرىٰ تحته دم عبيط، و أنّ الوَرْس إنقلَبَتْ

رماداً، و أنّ الدّنيا أظلمت ثلاثة أيّام، ثمّ ظهرت الحمرة و قيل: إحمرّت ستّة أشهر، ثمّ لا زالت الحمرة تُرىٰ بعد ذلك».

١٠- ما رواه إبن سعد في (الطّبقات) عن هلال بن ذكوان قال: «لمّا قُتِل الحسين مكثنا شهرين أو ثلاثة كأنّما لُطَخَتِ الحيطان بالدّم من صلاة الفجر إلى غروب الشّمس».

١١-ما رواه النّسويّ في (تاريخه) ما لفظه: «روى حمّاد بن زيد عن هشام عن محمّد قال: تعلم هذه الحمرة في الأُفق ممّ هي؟ ثمّ قال: من يوم قتل الحسين(عليه السلام)».

١٢-ما رواه النّسويّ أيضاً: قال أبو قبيل: «لمّا قتل الحسين بن عليّ(عليه السلام) كسفت الشّمس كسفة بدت الكواكب نصف النّهار حتّى ظننّا أنّها هي» أى القيامة.

## ﴿ العامّة و أخبار ليلة العاشورآء و يومها ﴾

و قد أورد جماعة من نقلة آثار العامة و حملة أسفارهم روايات كثيرة بأسانيد عديدة فيما وقع من الحوادث في ليلة العاشورآء و يومها، نشير إلى نبذة منها روماً للإختصار:

١- ما رواه الترّمذي في (صحيحه: ج ١٣ ص ١٩٣ ط الصّادى بمصر) بإسناده عن رزين قال: حدّثتني سلمى قالت: دخلت على اُمّ سلمة و هي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ تعني في المنام و على رأسه و لحيته التّراب، فقلت: ما لك يا رسول اللّه؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً».

**أقول**: رواه بعينه سنداً و متناً جماعة:

منهم: الحاكم النّيشابوريّ في (المستدرك: ج ٤ ص ١٩ ط حيدر آباد الدّكن) إلاّ أنّه زاد بعد (في المنام) «يبكي».

و منهم: البغوي في (مصابيح السّنة: ص ٢٠٧ ط مصر).

و منهم: إبن الأثير في (اسد الغابة: ج ٢ ص ٢٢ ط مصر).

و منهم: إبن عساكر الدّمشقي في (تاريخ دمشق) على ما في منتخبه (ج ٤ ص ٣٤٠ ط روضة الشّام).

و منهم: إبن الأثير في (جامع الاصول: ج ١٠ ص ٢٤ ط السّنّة المحمديّة).

و منهم: الذّهبي في (تاريخ الإسلام: ج ٢ ص ٣٥٠ ط مصر).

و منهم: إبن كثير الدّمشقيّ في (البداية و النّهاية: ج ٨ ص ٢٠٠ ط القاهرة).

و منهم: ابن حجر العسقلانيّ في (تهذيب التّهذيب: ج ٢ ص ٣٥٣ ط حيدر آباد).

و منهم: السّيوطيّ في (تاريخ الخلفآء: ص ١٠ ط الميمنيّة بمصر) و في (الخصائص: ج ٢ ط ١٢٦ ص حيدر آباد) و غيرهم...

٢- ما رواه أحمد بن حنبل في (المسند: ج ١ ص ٢٨٣ ط الميمنيّة بمصر) بإسناده عن إبن عبّاس قال: «رأيت النّبيّ ﴿ﷺ﴾ فيما يرى النّائم بنصف النّهار و هو قآئم أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت و أُمّي يا رسول اللّه﴿ﷺ﴾ ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين و أصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قُتِلَ في ذلك اليوم».

**أقول:** رواه جماعة سنداً و متناً:

**منهم:** الطّبرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٥).

**و منهم:** الخطيب البغداديّ في (تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٤٢ ط السّعادة بمصر).

**و منهم:** الحاكم النّيشابوريّ في (المستدرك: ج ٤ ص ٤٩٧ ط حيدر آباد) و غيرهم...

٣- ما رواه إبن كثير الدّمشقيّ في (البداية و النّهاية: ج ٨ ص ٢٠٠ ط القاهرة) بالاسناد عن عليّ بن زيدبن جدعان قال: «إستيقظ إبن عبّاس من نومه، فاسترجع، و قال: قُتِلَ الحسين واللّه، فقال له أصحابه: لِمَ يا إبن عبّاس؟ فقال: رأيت رسول اللّه﴿ﷺ﴾ و معه زجاجة من دم، فقال: أتعلم ما صنعت أُمّتي من بعدي؟ قتلوا الحسين، و هذا دمه، و دم أصحابه أرفعها إلى اللّه فكتب ذلك اليوم الّذي قال فيه، و تلك السّاعة، فما لبثوا إلاّ أربعة و عشرين يوماً حتّى جآءهم الخبر بالمدينة أنّه قتل في ذلك اليوم و تلك السّاعة.

**أقول:** رواه بعينه سنداً و متناً الكنجي الشّافعيّ في (كفاية الطالب: ص ٢٨١ ط الغرى).

٤- ما رواه الخطيب الخوارزميّ في (مقتل الحسين: ج ٢ ص ٩١ ط الغرى) بأسناده عن الفتح بن سحرف العابد يقول: «كنت أفتّ الحبّ للعصافير كلّ يوم، فكانت تأكل فلمّا كان يوم عاشورآء فتتت لها، فلم تأكل فعلمت أنّها امتنعت لقتل الحسين بن عليّ﴿عليه السلام﴾.

٥- ما رواه الخطيب في (ص ٩٢ الكتاب) بإسناده عن أبي محمّد بن عليّ عن عليّ بن الحسين ﴿عليه السلام﴾ قال: «لمّا قتل الحسين جآء غراب فوقع في دمه، ثمّ تمرّغ، ثمّ طار فوقع بالمدينة على جدار دار فاطمة بنت الحسين و هي الصّغرى، فرفعت رأسها إليه فنظرته، فبكت و قالت:

| | |
|---|---|
| نعب الغراب فقلت: من | تنعاه و يلك من غراب |
| قال: الإمام فقلت: من | قال: الموفّق للصّواب |
| إنّ الحسين بكربلا | بين المواضي و الحراب |
| قلت: الحسين فقال لى: | ملق على وجه التّراب |
| ثمّ استقل به الجناح | و لم يطق ردّ الجواب |
| فبكيت منه بعبرة | ترضى الإله مع الثّواب |

قال محمّد بن عليّ﴿عليه السلام﴾: فنعته لأهل المدينة فقالوا: جآئت بسحر بني عبدالمطّلب فما كان بأسرع من أن جآء هم الخبر بقتل الحسين﴿عليه السلام﴾.

٦- ما رواه الزّمخشريّ في (ربيع الأبرار: ص ٢٤) ما لفظه:

«عن هند بنت الجون نزل رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ خيمة خالتها أُمّ معبد، فقام من رقدته فدعا بمآءٍ فغسل يديه ثمّ تمضمض و مجّ في عوسجة إلى جانب الخيمة، فأصبحنا و هي كأعظم روحة و جآئت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس ورآئحة العنبر و طعم الشّهد ما أكل منها جآئع إلاّ شبع، و لا ظمئان الاّ روى و لا سقيم الاّ برئ و لا أكل من ورقها بعيرٌ إلاّ سمن و لاشاة إلاّ درّ لبنها فكنّا نسمّيها المباركة (و تأتينا الأعراب من البواري ممّن يستشفي بها) و يتزوّدبها حتّى أصبحنا ذات يوم، و قد تساقط ثمرها و اصفرّ ورقها، ففزعنا فما راعنا إلاّ نعى رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ ثمّ إنّها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات

شوك من أسفلها إلى أعلاها و تساقط ثمرها، و ذهبت نضرتها، فما شعرنا إلاّ بمقتل أمير المؤمنين عليّ فما أثمرت بعدذلك و كنّا ننتفع بورقها، ثمّ أصبحنا و إذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط، و قد ذبل ورقها فبينا نحن فزعين مهمومين إذ آتانا خبر مقتل الحسين، و يبست الشّجرة على أثر ذلك و ذهبت...».

رواه طويلاً الخوارزميّ في (مقتل الحسين: ج ٢ ص ٩٨ ط الزّهرآء) و باكثير الشّافعى المكّيّ في (التّحفة العليّة: ص ١٦) و إبن الأثير في (اسد الغابة: ج ٢ ص ٢٢).

٧- ما رواه الزّرنديّ الحنفيّ في (نظم دُرر السّمطين: ص ٢٢٠ ط القضاء) بالإسناد عن حمامة بنت يعقوب الجعفية قالت: «كان في الحيّ رجل ممّن شهد قتل الحسين﴿عليه السلام﴾ فجآء بناقة من نوق الحسين﴿عليه السلام﴾ فنحرها و قسمها في الحيّ، فالتهبت القدور ناراً فاكفيناها، رواه بأدنى تفاوت جماعة من حملة أسفار العامّة:

منهم: الطّبرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٧) عن ناويد الجعفي عن أبيه.

و منهم: البيهقيّ في (المحاسن و المساوى: ص ٦٢ ط بيروت).

و منهم: الهيتميّ في (مجمع الزّوآئد: ج ٩ ص ١٩٦ ط القدسي بالقاهرة). عن ناويد الجعفي. ثم قال: و رجال الطّبراني ثقات.

٨- ماروواه إبن عساكر الدّمشقي في (تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٣٤٠ ط روضة الشّام) مالفظه: «قال حميد الطحّان كنت في خزاعة، فجاؤا بشيءٍ من تركة الحسين﴿عليه السلام﴾ فجعلوه على جفنة، فلمّا وضعت صارت ناراً» رواه بعينه الهيتمي في (مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٩٦ ط القدسى بالقاهرة).

٩- ما رواه الذّهبيّ في (تاريخ الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٨ ط مصر) ما لفظه: «قال حمّاد بن زيد: حدّثني جميل بن مرّة قال: أصابوا إبلاً في عسكر الحسين﴿عليه السلام﴾ يوم قتل، فنحروها و طبخوها، فصارت مثل العلقم» و في (سير أعلام النّبلاء: ج ٣ ص ٢١١ ط مصر).

رواه جماعة من نقلة آثار العامّة:

منهم: إبن حجر العسقلانيّ في (تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٣٥٣ ط حيدر آباد)

إلاّ أنّه زاد بعد (مثل العلقم) «فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً».

و منهم: السّيوطي في (الخصآئص الكبرى: ج ٢ ص ١٢٦ ط حيدر آباد) و في (تاريخ الخلفآء: ص ٨٠ ط الميمنيّة بمصر).

و منهم: ابن عساكر الدّمشقيّ في (تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٣٤٠ط روضة الشّام).

و منهم: الشّبلنجي في (نور الأبصار: ص ١٢٣ ط مصر).

١٠- ما رواه إبن عبد ربّه في (عقد الفريد: ج ٢ ص ٢٢٠ ط الشرّقيّة بمصر) عن يسار بن‌عبد الحكم قال: «إنتهب عسكر الحسين، فوجد فيه طيب فما تطيّبت به إمرأة إلاّ برصت» و روى الدّينوري في (عيون الأخبار: ج ١ ص ٢١٢ ط مصر) عن سنان بن حكيم عن أبيه: «قال إنتهب النّاس ورساً في عسكر الحسين بن عليّ يوم قتل فما تطيّبت منه إمرأة إلاّ برصت».

١١- ما رواه محمّد بن جرير الطّبريّ في (تاريخ الامم و الملوك: ج ٤ ص ٣٥٧ ط الإستقامة بمصر) بإسناده عن عمروبن عكرمة قال: أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة، فإذاً مولى لنا يحدّثنا قال: سمعت البارحة منادياً ينادي و هو يقول:

أيّها القآتلون جهلاً حسيناً ... أبشروا بالعذاب و التّنكيل

كلّ أهل السّمآءِ يدعو عليكم ... من نبيّ و ملئك و قبيل

قد لعنتم على لسان بن داود ... و موسى و حامل الإنجيل

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة من حملة أسفار العامة:

منهم: إبن كثير الدّمشقي في (البداية و النّهاية: ج ٨ ص ١٩٧ ط مصر).

و منهم: إبن الأثير في (الكامل: ج ٣ ص ٣٠١ ط الميمنيّة بمصر).

و منهم: سبط إبن الجوزيّ في (التّذكرة: ص ٢٨٠ ص العلميّة بالنّجف).

و منهم: الشّبليّ الحنفيّ في (آكام المرجان: ص ١٤٧ ط الصّبيح بمصر).

و منهم: إبن عساكر في (تاريخه: ج ٤ ص ٣٤١).

١٢- ماروااه إبن حجر العسقلانيّ في (تهذيب التّهذيب: ج ٢ ص ٣٥٣ ص حيدر آباد) عن محمّد مصقلي قال: «لمّا قتل حسين بن عليّ سمع منادياً ينادي يسمع صوته و لم

يرشخصه:

عقرت ثمود ناقة فاستو صلوا و جرت سوانحهم بعير الأسعد

فبنوا رسول اللّه أعظم حرمة و أجلّ من امّ الفصيل المقعد

عجباً لهم لمّا أتوا لم يمسخوا و اللّه يملى للطّغاة الجهد

رواه بعينه إبن عساكر الدّمشقيّ في (تاريخ الدّمشق: ج ٤ ص ٣٤١ ط روضة الشّام).

١٣- رواه أبو نعيم الإصبهانيّ في (دلائل النّبوّة) عن نصرة الأزديّة قالت: «لمّا قتل الحسين﴿عليه السلام﴾ أمطرت السّمآء دماً، و حُبابنا و جِرارنا صارت مملوّة دماً».

رواه النسّويّ في (المعرفة).

١٤- ما رواه أبو نعيم أيضاً في (دلآئل النّبوّة) عن قَرَظة بن عبيد اللّه قال: مطرت السّمآء يوماً نصف النّهار على شملة بيضآء، فنظرت فإذاً هودم، و ذهبت الإبل إلى الوادي لتشرب فإذاً هو دم، و إذاً هو اليوم الذّي قتل فيه الحسين﴿عليه السلام﴾».

١٥- في المناقب لإبن شهر آشوب السّرويّ المازندرانيّ رضوان اللّه تعالى عليه نقلاً عن جامع الترمذيّ و كتاب السّديّ و فضآئل السّمعانيّ - من أعلام العامّة-: «أنّ امّ سلمة قالت: رأيت رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ في المنام و على رأسه التّراب، فقلت: مالك يا رسول اللّه؟ فقال: شهدت قتل الحسين آنفاً.

١٦- و فيه: ما لفظه: «إبن فورك في فصوله و أبو يعلى في مسنده، و العامريّ في إبانته من طريق منها عن عائشة، و عن شهر بن حوشب أنّه دخل الحسين بن عليّ على النّبيّ و هو يوحىٰ إليه، فنزل الوحى على رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ و هو منكبٌّ على ظهره، فقال جبرئيل: تحبّه؟ فقال: ألا أُحبّ إبني؟ فقال: إنّ أُمّتك ستقتله من بعدك فمدّ جبرئيل يده فإذاً بتربة بيضآء، فقال: في هذه التّربة يُقتل إبنك، هذه يا محمّد إسمها الطّفّ...الخبر.

و في أخبار سالم بن الجعد أنّه كان ذلك ميكائيل، و في مسند أبي يعلي أنّ ذلك ملك القطر.

١٧- و فيه: أحمد في المسند عن أنس و الغزّالي في كيمياء السّعادة و ابن بطّة في كتابه: (الإبانة) من خمسة عشر طريقاً، و إبن جيش التّميميّ و اللّفظ له قال إبن عبّاس:

بينا أنا راقدٌ في منزلي إذ سمعت صُراخاً عظيماً عالياً من بيت أُمّ سلمة، و هي تقول: يا بنات عبدالمطّلب اسعديني و ابكين معي، فقد قتل سيّد كنّ، فقيل: و من أين علمتِ ذلك؟ قالت: رأيت رسول اللّه السّاعة في المنام شعثاً مذعوراً، فسئلته عن ذلك، فقال: قتل ابن الحسين و أهل بيته، فدفنتهم.

قالت: فنظرت فإذاً بتربة الحسين الّذي أتى بها جبرئيل من كربلآء و قال: إذا صارت دماً، فقد قتل إبنك فأعطانيها النّبيّ فقال: إجعليها في زجاجة فلتكن عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل الحسين﴿عليه السلام﴾ فرأيت القارورة الآن قد صارت دماً عبيطاً يفور».

١٨- ذكر إبن الجوزيّ في كتاب (النّور في فضآئل الأيّام و الشّهور) نوح الجنّ على الحسين بن عليّ عليهما السّلام فقالت:

لقد جئن نسآء الجنّ يبكين شجيّات و يلطمن خدوداً كالدّنانير نقيّات
و يلبسن الثّياب السّود بعد القصبيّات

١٩- ما رواه إبن حجر في (الإصابة: ج ١ ص ٣٣٤) عن إبن عبّاس أنّه رأى النّبيّ﴿صلى الله عليه و آله﴾ في منامه يوماً بنصف النّهار و هو أشعث أغبر، في يده قارورة فيها دم، فقال: يا رسول اللّه ما هذا الدّم؟ قال: دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم، فأُحصي ذلك اليوم، فوجد أنّه قُتل في ذلك اليوم».

رواه جماعة من حملة أسفار العامّة:

فمنهم: إبن عبد البرّ في (الإستيعاب بذيله ص ٣٨٠).

و منهم: إبن الأثير في (اسد الغابة: ج ٢ ص ٢٢).

و منهم: البيهقيّ في (دلائل النّبوّة) و غيرهم تركناهم روماً للإختصار.

## ﴿كسوف الشّمس و نزول الدّم من السّمآء﴾
## يوم العاشورآءِ عند العامّة

و قد أورد جماعة من حملة آثار العامّة روايات كثيرة بأسانيد عديدة في أسفارهم، و ما وقفت إلى الآن من مآخذ هم في المقام نحو (٢٠٠) كتاباً، فنشير إلى نبذة منها، و نحن على جناح الإختصار رجاءً أن يدخلنا اللّه عزّوجلّ و إيّاهم في زمرة أصحاب سبط المصطفى، سيّد الشّهدآء القتيل بكربلاء الحسين بن عليّ إبن أبيطالب عليهم صلوات اللّه و أن يجعلنا و إيّاهم من أعوانه و أنصاره و أن يوفّقنا بالإشمئزاز و البرائة عمّن كان خارجاً من طريق الإمام الحسين﴿عليه السلام﴾:

١- روى السّيوطيّ الشّافعيّ في (الخصآئص الكبرى: ص ١٢٦ ط حيدر آباد الدّكن).

عن نضرة الأزديّة أنّها قالت: «لمّا قتل الحسين بن عليّ أمطرت السّمآء دماً، فأصبحنا و جبابنا و جرارنا مملوّة دماً».

**أقول:** رواه بعينه سنداً و متناً جماعة من حملة أسفار العامّة:

منهم: إبن حجر الهيتميّ في (الصّواعق المحرقة: ص ١١٦ ط عبداللّطيف بمصر).

و منهم: محبّ الدّين الطّبري في (ذخآئر العقبى: ص ١٤٤ ط القدسي).

و منهم: با كثير الحضرميّ في (وسيلة المآل: ص ١٩٧).

و منهم: القندوزيّ الحنفيّ في (ينابيع المودّة: ص ٣٢٠ ط إسلامبول) إلاّ أنّه ذكر بدل «جبابنا» «رحآئنا».

و منهم: أبو نعيم الإصبهانيّ في (دلآئل النّبوّة).

و منهم: إبن عساكر الدّمشقيّ في (تاريخ دمشق) على ما في (منتخبه: ج ٤ ص ٣٣٩ ط روضة الشّام) و غيرهم تركناهم للإختصار.

٢- روى الزّبيديّ في (الإتحاف: ص ١٢ ط مصر) مالفظه: «و ممّا ظهرت يوم قتل الحسين من الآيات أنّ السّماء أمطرت دماً، و أنّ أوانيهم ملئت دماً».

٣- روى محبّ الدين الطّبري في (ذخآئر العقبى: ص ١٥٠ ط القدسيّ بالقاهرة) عن أُمّ سلمة قالت: «لمّا قتل الحسين ناحت عليه الجنّ و مُطِرنا دماً» رواه بعينه باكثير الحضرميّ في (وسيلة المآل: ص ١٩٧).

٤- روى القندوزيّ الحنفيّ في (ينابيع المودّة: ص ٣٥٦ ط إسلامبول) عن إبن عبّاس قال: «إنّ يوم قتل الحسين قطرت السّمآء دماً، و إنّ هذه الحمرة الّتي ترى في السّمآء ظهرت يوم قتله و لم تر قبله».

٥- روى إبن حجر الهيتميّ في (الصّواعق المحرقة: ص ١٩٢ ط عبد اللّطيف بمصر).

عن أبي سعيد قال: «ما رفع حجر من الدّنيا إلاّ و تحته دم عبيط، و لقد مطرت السّمآء دماً بقي أثره في الثّياب مدّة حتّى تقطّعت».

رواه جماعة: منهم سبط إبن الجوزيّ في (التّذكرة: ص ٢٨٤ ط الغرى) و الزّرنديّ في (نظم درر السّمطين: ص ٢٢٠ ط القضآء).

٦- روى الطّبرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٥) بإسناده عن أُمّ حكيم قالت: «قتل الحسين بن علي و أنا يومئذ جويريّة، فمكثت السّمآء أيّاماً مثل العلقة».

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة من حملة أسفار العامّة:

و منهم: الهيتميّ في (مجمع الزّوآئد: ج ٩ ص ١٩٦ ط القدسيّ بالقاهرة).

و منهم: السّيوطيّ الشّافعيّ في (الخصآئص الكبرى: ج ٢ ص ١٢٧ ط حيدر

آباد) قالت (أى ام حكيم): كنت أيّام قتل الحسين جارية شابّة، فكانت السّمآء أيّاماً عليلة.

٧- روى الطبّرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٦) بإسناده عن عيسى بن الحارث الكنديّ قال: «لمّا قتل الحسين بن عليّ رضى اللّه عنه مكثنا سبعة أيّام إذا صلّينا العصر نظرنا إلى الشّمس على أطراف الحيطان كأنّها الملاحف المعصفرة، و نظرنا إلى الكواكب يضرب بعضها بعضاً».

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة:

و منهم: الهيتميّ في (مجمع الزّوآئد: ج ٩ ص ١٩٧ ط القدسي بالقاهرة).

و منهم: الذّهبيّ في (تاريخ الاسلام: ج ٢ ص ٣٤٨ ط مصر) إلاّ أنّه ذكر بدل (نظرنا) «بصرنا» و في (سير أعلام النّبلآء: ج ٣ ص ٢١٠ ط مصر).

و منهم: السّيوطيّ في (تاريخ الخلفاءِ: ص ٨٠ ط الميمنيّة بمصر) و غيرهم تركنا هم للإختصار.

٨- روى سبط إبن الجوزي في (تذكرة الخواصّ: ص ٢٨٤ ط الغرى) بإسناده عن هلال بن ذكوان قال: «لمّا قتل الحسين مكثنا شهرين أوثلاثة كأنّما لطّخت الحيطان بالدّم من صلاة الفجر إلى غروب الشّمس». و روى إبن الأثير في (الكامل: ج ٣ ص ٣٠١ ط المنيريّة بمصر) ما لفظه: «و ما مكث النّاس شهرين أو ثلاثة كأنّما تلطخ الحوآئط بالدّماء ساعة تطلع الشّمس حتّى ترتفع».

رواه بعينه جماعة:

و منهم: إبن كثير الدّمشقيّ في (البداية و النّهاية: ج ٨ ص ١٧٩ ط السّعادة بمصر).

و منهم: إبن الصّبّاغ المالكيّ في (الفصول المهمّة: ص ١٧٩ ط الغرى).

و منهم: القرمانيّ في (أخبار الدّول: ص ١٠٩ ط بغداد).

٩- روى الطّبرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٦) بإسناده عن محمّد بن سيرين قال: «لم يكن السّمآءِ حمرة حتّى قتل الحسين».

رواه بعينه سنداً و متن جماعة:

منهم: إبن عساكر الدّمشقيّ في (تاريخ دمشق) على ما في (منتخبه: ج ٤ ص ٣٣٩ ط روضة الشّام).

و منهم: إبن حجر الهيتميّ في (الصّواعق المحرقة: ص ١٩٢ ط عبد اللّطيف بمصر).

و منهم: البدخشيّ في (مفتاح النجا: ص - ).

و منهم: الهيتميّ في (مجمع الزّوائد: ج ٩ ص ١٩٧ ط القدسيّ بمصر) و غيرهم...

١٠- روى سبط إبن الجوزيّ في (التذكرة: ص ٢٨٣ ط الغرى) ما لفظه: «ذكر إبن سعد في الطّبقات: «أنّ هذه الحمرة لم تر في السّمآء قبل أن يقتل الحسين» ثمّ قال: قال جدّي أبو الفرج في كتاب (التّبصرة): لمّا كان الغضبان يحمر و جهه عند الغضب، فليستدلّ بذلك على غضبه، و أنّه أمارة السّخط، و الحقّ سبحانه ليس بجسم، فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق، و ذلك دليل على عظم الجناية» ثمّ قال: و ذكر جدّي أيضاً في هذا الكتاب: «و لمّا أسر العبّاس يوم بدر سمع رسول اللّه أنينه، فمانام تلك الليلة، فكيف لو سمع أنين الحسين؟ قال، و لمّا أسلم وحشيّ قاتل حمزة، قال له: غيب و جهك عنّي، فإنّي لا أُحبّ من قتل الأحبّة قال: و هذا (و الإسلام يجبّ ما قبله) فكيف يقدر الرّسول أن يرى من ذبح الحسين و أمر بقتله و حمل أهله على أقتاب الجمال».

أقول: ذكره جماعة منهم بلفظه:

فمنهم: إبن حجر الهيتمي في (الصّواعق المحرقة: ص ١٩٢ ط عبد اللّطيف بمصر).

و منهم: القندوزى الحنفيّ في (ينابيع المودّة: ص ٣٢٢ ط إسلامبول ).

١١- روى الخطيب الخوارزميّ في (مقتل الحسين: ج ٢ ص ٩٠ ط الغرى) باسناده عن إبن سيرين قال: قيل له: أتعلم هذه الحمرة في الأُفق ممّ هي؟ قال: عرفت من يوم قتل الحسين بن عليّ«عليه السلام»».

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة:

منهم: الذّهبيّ في كتابيه: (تاريخ الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٨ ط مصر) و (سير أعلام

النبلآء: ج ۳ ص ۲۱۱ ط مصر).

۱۲- رواه سبط إبن الجوزيّ في (التّذكرة: ص ۲۸۳ ط الغرى) ما لفظه: «قال إبن سيرين: لمّا قتل الحسين أظلمت الدّنيا ثلاثة أيّام، ثمّ ظهرت هذه الحمرة في السّمآءِ».

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة:

منهم: الزّرنديّ الحنفيّ في (نظم درر السّمطين: ص ۲۲۰ ط القضآء).

و منهم: إبن حجر الهيتميّ في (الصّواعق المحرقة: ص ۱۹۲ ط عبد اللّطيف بمصر) إلاّ أنّه أسقط كلمة «هذه».

و منهم: البدخشي في (مفتاح النجا).

۱۳- روى إبن عساكر الدّمشقيّ في (تاريخ دمشق) على ما في (منتخبه: ج ٤ ص ۳۳۹ ط روضة الشّام) ما لفظه: «قال إبن سيرين لم تبك السّمآء على أحد بعد يحيى بن زكريّا إلاّ على الحسين(عليه السلام)».

رواه جماعة:

و منهم: الكنجيّ الشّافعيّ في (كفاية الطّالب: ص ۲۸۹ ط الغرى).

و منهم: الذّهبيّ في (سير أعلام النّبلآء: ج ۳ ص ۲۱۰ ط مصر).

۱٤- روى الطّبراني في (المعجم الكبير: ص ۱٤٥) بإسناد عن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن عليّ رضى اللّه إنكسفت الشّمس كسفة حتّى بدت الكواكب نصف النّهار حتّى ظننّا أنّها هي».

رواه جماعة:

منهم: الكنجيّ الشّافعيّ في (كفاية الطّالب: ط ۲۹٦ ط الغرى).

و منهم: الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين: ج ۲ ص ۸۹ ط الغرى) إلاّ أنّه أسقط (كسفت) و زاد بعد قوله (انّهاهى) يعني القيامة إلى أن قال: إنكسفت الشّمس لقتله حتّى بدت الكواكب نصف النّهار و ظنّ النّاس أنّ القيامة قد قامت).

و منهم: الهيتميّ في (مجمع الزّوآئد: ج ۹ ص ۱۹۷ ط القدسيّ بالقاهرة).

ومنهم: الشّبراويّ في (الإتحاف: ص ۱۲ ط مصر).

و منهم: إبن الصّبان المالكيّ في (إسعاف الرّاغبين) المطبوع بهامش (نور الأبصار ص ١١١ ط مصر).

١٥- روى إبن حجر الهيتميّ في (الصّواعق المحرقة: ص ١٩٢ ط عبد اللّطيف بمصر) ما لفظه: «قال أبو سعيد ما رفع حجر من الدّنيا (أى يوم شهادته) إلاّ و تحته دم عبيط» رواه الزّرنديّ في (نظم دررالسّمطين: ص ٢٢٠ ط القضاء) و سبط إبن الجوزيّ في (تذكرة الخواصّ: ص ٢٨٤ ط الغرى) إلاّ أنّه ذكر بدل «أبي سعيد» «إبن سعد».

١٦- روى القندوزيّ الحنفيّ في (ينابيع المودّة: ص ٣٥٦ ط إسلامبول) عن إبن عبّاس قال: «إنّ يوم قتل الحسين قطرت السّمآء دماً، و إنّ أيّام قتله لم يرفع حجر في الدّنيا إلاّ وجد تحته دم».

١٧- روى الذّهبيّ في (تاريخ الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٩ ط مصر) عن محمّد بن عمر بن عليّ قال: أرسل عبدالملك إلى إبن رأس الجالوت، فقال: هل كان من قتل الحسين(عليه السلام) علامة؟ قال: ما كشف يومئذ حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط».

رواه الگنجيّ الشّافعيّ في (كفاية الطّالب: ص ٢٩٥ ط الغرى).

١٨- روى الطّبرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٥) بإسناده عن إبن شهاب قال: «ما رفع بالشّام حجر يوم قتل الحسين بن عليّ إلاّ عن دم» روى محبّ الدّين الطّبريّ في (ذخآئر العقبى: ص ١٤٥ ط القدسيّ بالقاهرة) مالفظه: «لمّا قتل الحسين رضى اللّه لم يرفع أو لم يقلع حجر بالشّام إلاّ عن دم» رواه بعينه باكثير الحضرميّ في (وسيلة المآل: ص ١٩٧) و روى مجيد الدّين الحنبليّ في (الأُنس الجليل: ص ٢٥٢ ط القاهرة) ما لفظه عن إبن شهاب أنّه في صبيحة قتل الحسين بن عليّ لم يرفع حجر في بيت المقدس إلاّ وجد تحته دم و كذلك يوم قتل والده عليّ(عليه السلام).

روى الطّبرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٥) بإسناده عن الزّهرى قال: «لمّا قتل الحسين بن عليّ رضى اللّه عنه لم يرفع حجر ببيت المقدس إلاّ وجد تحته دم عبيط» رواه بعينه السّيوطيّ في (تاريخ الخلفآء: ص ٨٠ ط الميمنيّة بمصر) و إبن الصّبّان المالكيّ في (إسعاف الرّاغبين) المطبوع بهامش (نور الأبصار: ص ٢١٥ ط مصر).

۲۰- روى الطّبرانيّ أيضاً في (المعجم الكبير: ص ١٤٥) بإسناده عن الزّهريّ قال: قال لي عبدالملك بن مروان: أيّ واحد أنت إن أخبرتني؟ أيّ علامة كانت يوم قتل الحسين بن عليّ؟ قال: قلت: لم ترفع حصاة ببيت المقدس إلاّ وجد تحتها دم عبيط، فقال لي عبدالملك: «إنيّ و إيّاك في هذا الحديث لقرينان».

رواه بعينه جماعة من حملة أسفار العامّة:

منهم: الكنجيّ الشّافعيّ في (كفاية الطّالب: ص ٢٩٦ ط الغرى).

و منهم: الهيتميّ في (مجمع الزّوآئد: ج ٩ ص ١٩٦ ط القدسيّ بالقاهرة) ثمّ قال: و رجاله ثقاة.

و منهم: البد خشيّ في (مفتاح النّجا).

۲۱- روى إبن حجر العسقلانيّ في (تهذيب التّهذيب: ج ٢ ص ٣٥٣ ط حيدر آباد) بالإسناد عن معمّر قال: أوّل ما عرف الزّهري تكلّم في مجلس الوليد بن عبدالملك، فقال الوليد: أيّكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدّس يوم قتل الحسين بن عليّ؟ فقال الزّهري: «بلغني أنّه لم يقلب حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط».

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة من نقلة آثار العامّة في أسفارهم:

منهم: الذّهبيّ في كتابيه: (تاريخ الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٨ ط مصر) و (سير أعلام النّبلآء: ج ٣ ص ٢١٢ ط مصر).

و منهم: الخطيب الخوارزميّ في (مقتل الحسين: ج ٢ ص ٩٠ ط الغرى).

و منهم: الشّبلنجيّ في (نور الأبصار: ص ١٢٣ ط مصر).

۲۲- روى الزرنديّ الحنفيّ في (نظم در رالسّمطين: ص ٢٢٠ ط القضآء). بالإسناد أنّه يوم قتل الحسين أصبحوا من الغد و كلّ قدر لهم طبخوها صاردماً، و كلّ إنآءٍ لهم فيه مآء صار دماً».

۲۳- روى الطّبرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٧) بإسناده عن سفيان عن جدّته: رأيت الورس الّذي أُخذ من عسكر الحسين صار مثل الرّماد».

رواه أبوبكر الهيتميّ في (مجمع الزّوآئد: ج ٩ ص ١٩٧ ط القدسيّ بالقاهرة) ثمّ

قال: و رجاله رجال الصّحيح.

و الورس: اللّباس. ثوب ورس أى صبغ بالورس. و الورس نبات كالسّمم أصفر يُصبغ به و تتّخذ منه الغمرة أى الزّعفران.

٢٤- روى الذّهبي في كتابيه: (سير أعلام النّبلآءِ: ج ٣ ص ٢١١ ط مصر) عن إبن عيينة عن جدّته قالت: «لقد رأيت الورس عادرماداً، و رأيت اللّحم كأنّ فيه النّارحين قتل الحسين» و في (تاريخ الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٨ ط مصر).

رواه إبن حجر العسقلانيّ في (تهذيب التّهذيب: ج ٢ ص ٣٥٣ ط حيدآباد) و السّيوطيّ الشّافعيّ في (الخصآئص الكبرى: ج ٢ ص ١٢٦ ط حيدر آباد) و غيرهم تركناهم روماً للإختصار.

**أقول:** و لقد أمطرت السّمآء دماً في زماننا هذا أربعة أيّام من (٢٠ -إلى - ٢٣) شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٩ هق في قرية (آلاگابورام) من قرى (كانيا كومارى) بجنوب هند.

و ذلك أنّه لمّا جآئت مقالة سخيفة كاذبة مفترية تحت عنوان (إشتباهات! أمير المؤمنين) بقلم جاهل من الجهّال الأجرآءِ في جريدة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة برقم: (٢٨٧٥ ص ١١) يوم الخميس العشرين من شهر رمضان المبارك سنة (١٤٠٩ هق = ١٣٦٧/٢/٧ هش) أمطرت السّمآء دماً أربعة أيّام في (آلاگابورام) و قد جآء خبرها في الإذاعات العالميّة، و المطبوعات ... منها في مجلّة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة أيضاً يوم الأحد (٢٣ رمضان المبارك ١٤٠٩ هق = ١٣٦٧/٢/١٠ هش) برقم: (٢٨٧٨ ص ٣) و قالت الإذاعات العالميّة منها إذاعة بي بي سى من «لندن» بأنّ الأطبّآء و المحقّقين من أهل الفنّ، بعد التّحقيق و البحث في هذا الدّم وجدوها أشبه دم بدم الإنسان فاعتبروا يا أُولى الأبصار ...

## ﴿ العامّة و بكآء الجن على مصآئب الحسين بن عليّ عليهما السلام ﴾

و قد أورد في ذلك جماعة من نقلة آثار العامّة روايات كثيرة بأسانيد عديدة في أسفارهم و ما وقفت إلى الآن من مآخذهم في المقام نحو: (٧٠) كتاباً على (١٢) سنداً نشير إلى نبذة منها إتماماً للحجّة على من تذبذب فيها، و يوسوس في صدور النّاس من الجنّة و النّاس ..

١- ماورواه الطّبرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٧) بإسناده عن أُمّ سلمة قالت: «سمعت الجنّ تنوح على الحسين بن عليّ رضى اللّه عنه».

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة من أعاظم العامّة:

منهم: الذّهبي في كتبه: «تاريخ الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٩ ط مصر) و (أسمآء الرّجال: ج ٢ ص ١٤١) و (سير أعلام النّبلآء: ج ٣ ص ٢١٤ ط مصر).

و منهم: إبن حجر العسقلآنيّ في (الإصابة: ج ١ ص ٣٣٤ ط مصطفى محمّد بمصر).

و منهم: إبن كثير الدّمشقيّ في (البداية و النّهاية: ج ٦ ص ٢٣١ ط السّعادة بمصر).

و منهم: الهيتميّ في (مجمع الزّوآئد: ج ٩ ص ١٩٩ ط القدسيّ بالقاهرة) ثمّ قال و رجاله رجال الصّحيح.

و منهم: محبّ الدّين الطّبريّ في (ذخآئر العقبى: ص ١٥٠ ط القدسيّ بمصر).

و منهم: الزّرنديّ في (نظم درر السّمطين: ص ٢٢٣ ط القضآء).

و منهم: السّيوطيّ الشّافعيّ فى (تاريخ الخلفاء: ص ٨٠ ط الميمنيّة بصر).

و منهم: إبن حجر الهيتميّ في (الصّواعق المحرقة: ص ١٩٤ ط الميمنيّة بمصر) و غيرهم تركناهم للإختصار.

٢- مارواه الطّبرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٧) بإسناده عن أُمّ سلمة قالت: «ما سمعت نوح الجنّ منذ قبض النّبيّ«عليه السلام» إلاّ اللّيلة، و ما أرى إبني إلاّ قد قتل يعني الحسين رضى اللّه عنه فقالت لجاريتها: اخرجى فسلى فأخبرت أنّه قد قتل، و إذاً جنّيّة تنوح:

ألا يــا عـــين فـــاحتفلي بجـهد    و من يبكي على الشّهدآءِ بـعدي

عـــلى رهـــط تـــقودهم المـنايا    إلى مـــــتحيّر في مـــلك عـــبد

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة:

منهم: الكنجيّ الشّافعيّ في (كفاية الطّالب: ص ٢٩٤ ط الغرى).

و منهم: الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين: ج ٢ ص ٩٥ ط الغرى) إلاّ أنّه ذكر بدل «متحيّر» «متجبّر».

و منهم: محبّ الدّين الطّبرىّ في (ذخآئر العقبى: ص ١٥٠ ط القدسيّ بمصر).

و منهم: الهيتميّ في (مجمع الزّوآئد: ج ٩ ص ١٩٩ ط القدسيّ بالقاهرة).

و منهم: سبط إبن الجوزيّ في (التّذكرة: ص ٢٧٩ ط الغرى).

و منهم: إبن عساكر الدّمشقيّ في (تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٣٤١ط روضة الشّام).

و منهم: السّيوطيّ الشّافعيّ في (الخصآئص الكبرى: ج ٢ ص ١٢٦ ط حيدر آباد).

و منهم: إبن العربيّ في (محاضرات الأبرار ص - ط مصر) و غيرهم تـركناهم للإختصار.

٣- مارواه إبن كثير الدّمشقيّ في (البداية و النّهـاية: ج ٨ ص ٢٠٠ ط مـصر) بالإسناد عن أُمّ سلمة قالت: «سمعت الجنّ ينحن على الحسين و هنّ يقلن:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب و التّنكيل
كلّ أهل السّمآءِ يدعو عليكم و نبيّ و مرسل و قبيل
قد لعنتم على لسان بن داود و موسى و صاحب الإنجيل

رواه إبن عساكر الدّمشقيّ في (تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٣٤١ روضة الشّام) و الكنجيّ الشافعي في (كفاية الطالب: ص ٢٩٥ ط الغرى).

٤- ما رواه سبط إبن الجوزي في (التّذكرة ص ٢٧٩ ط مصر) مالفظه: قال الزّهريّ: «ناحت الجنّ عليه (على الحسين) و قالت:

خير نسآء الجنّ يبكين شجيّات و يلطمن خدوداً كالدّنانير نقيّات
و يلبسن ثياب السّود بعد القصيّات

٥- مارواه المقدّسي في (البدء و التّاريخ: ج ٦ ص ١٠ ط الخانجى بمصر) مالفظه: وسمع أهل المدينة ليلة قتل الحسين في نهارها هاتفاً يهتف:

مسح الرّسول جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش و جدّه خير الجدود

٦- ماروواه الطّبرانيّ في (المعجم الكبير: ص ١٤٧) بإسناده عن أبي خباب الكلبي حدّثني الجصّاصون قالوا: «كنّا إذا خرجنا باللّيل إلى الجبانة عند مقتل الحسين رضى اللّه عنه سمعت الجنّ ينوحون عليه و يقولون ذكر البيتين.

رواه جماعة:

منهم: الخطيب الخوارزميّ في (مقتل الحسين: ج ٢ ص ٩٥ ط مطبعة الزّهرآء).

و منهم: سبط إبن الجوزيّ في (التّذكرة: ص ٢٧٩ ط الغرى) إلاّ أنّه زاد بيتاً آخر:

قتلوك يا إبن الرّسول فاسكنوا نار الخلود

و منهم: محى الدّين بن العربيّ في (محاضرة الأبرار: ج ٢ ص ١٥٩ ط مصر) عن عديّ بن حاتم.

٧- ماروواه القرمانيّ في (أخبار الدّول: ص ١٠٩ ط بغداد) مالفظه: «و قد حكى أبو حباب الكلبي و غيره أنّ أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نوح الجنّ على الحسين رضى

اللّه عنه و هم يقولون. فذكر البيتين.

٨- ما رواه أبو المحاسن اليغموريّ في (نور القبس المختصر من المقتبس: ص ٢٦٣ ط قسياران) مالفظه: «روى عن أبي خباب الكلبي قال: أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب بها بلغنا أنّكم تسمعون نوح الجنّ على الحسين بن عليّ قال: ما تلقى حُرّاً و لا عبداً إلاّ اخبرك أنّه سمع ذلك قلت: فأخبرنى ما سمعت أنت؟ قال: سمعتهم يقول: فذكر البيتين. و زاد بيتاً آخر:

الجـــنّ تـــنعي كـــلّهم لا بن السّعيدة و السّعيد

رواه جماعة:

منهم: إبن عساكر الشّافعيّ في (تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٣٤١ ط روضة الشّام).

و منهم: الگنجيّ الشّافعيّ في (كفاية الطّالب: ص ٢٩٤ ط الغرى).

و منهم: الذّهبيّ في كتابيه: (تاريخ الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٩ ط مصر) و (سير أعلام النّبلاء: ج ٣ ص ٢١٤ ط مصر).

و منهم: إبن كثير الدّمشقيّ في (البداية و النّهاية: ج ٨ ص ٢٠٠ ط القاهرة).

و منهم: السّيوطيّ الشّافعي في (تاريخ الخلفآءِ ص ٨٠ ط الميمنيّة بمصر) و في (الخصآئص الكبرى: ج ٢ ص ١٢٦ ط حيدر آباد).

و منهم: الزّرنديّ في (نظم دررالسّمطين: ص ٢٢٣ ط القضآء).

و منهم: الشّبليّ في (آكام المرجان: ص ١٤٧ ط القاهرة).

و منهم: الهيتميّ في (مجـمع الزّوائـد: ج ٩ ص ١٩٩ ط القـدسيّ بـالقاهرة) و غيرهم... و من أشعار الجن خطاباً لأهل السّقيفة السّخيفة الشّومة الملعونة و أذنابهم ...

ماذا تقولون إذ قـال النّـبيّ لكـم: ماذا فـعلتم و أنـتم آخـر الأُمـم؟

بأهل بيتي و إخـواني و مكـرمتي منهم أُسارىٰ و منهم ضُرِّجوا بدم

## «الشّيعة و فضيلة البكآء على مصآئب سيّد الشّهدآء»
## الحسين بن عليّ«عليه السلام»

و اعلم أنّ الرّوايات الواردة في المقام عن طريق شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين لكثيرة لا يسعها مقام الإختصار، فنشير إلى نبذة منها:

**في تفسير القمّي**: بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر«عليه السلام» قال: «كان عليّ بن الحسين«عليه السلام» يقول: «أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن عليّ عليهما السّلام دمعة حتّى تسيل على خدّه بوّأه اللّه بها في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً، و أيّما مؤمن دمعت عيناه دمعاً حتّى تسيل على خدّه لأذى مسّنا من عدوّنا في الدّنيا بوّأه اللّه مبوّء صدق في الجنّة و أيّما مؤمن مسّه أذى فينا، فدمعت عيناه حتّى تسيل دمعه على خدّيه من مضاضة ما أُوذى فينا صرف اللّه عن وجهه الأذى و آمنه يوم القيامة من سخطه و النّار».

و **فيه**: بإسناده عن بكر بن محمّد عن أبي عبداللّه«عليه السلام» قال: «من ذكرنا أو ذُكِرنا عنده فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة غفر اللّه له ذنوبه و لو كانت مثل زبد البحر».

و في أمالي الصّدوق رحمة اللّه تعالى عليه بإسناده عن عليّ بن الحسن بن فضّال

عن أبيه قال: قال الرّضا﴿؈﴾: «من تذكّر مُصابنا و بكى لما ارتُكِب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، و من ذُكِّرَ بمصابنا فبكى و أبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، و من جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

و في كامل الزّيارات: بإسناده عن إبن خارجة عن أبي عبد اللّه﴿؈﴾ قال: «كنّا عنده فذكرنا الحسين بن عليّ﴿؈﴾ و على قاتله لعنة اللّه فبكى أبو عبداللّه﴿؈﴾ و بكينا، قال: ثمّ رفع رأسه فقال: قال الحسين بن عليّ عليهما السّلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلاّ بكى ...». الحديث.

قوله﴿؈﴾: «قتيل العبرة» أى قتيل منسوب إلى العبرة و البكآء، و سبب لها أو أُقتَل مع العبرة و الحزن و شدّة الحال.

و في أمالي الطّوسي قدّس سرّه بإسناده عن محمد بن أبي عمارة الكوفيّ قال: سمعت جعفر بن محمّد عليهما السّلام يقول: من دمعت عينه فينا دمعة لدم سفك لنا أو حقّ لنا نقصناه أو عرض إنتهك لنا أو لأحد من شيعتنا بوّأه اللّه تعالى بها في الجنّة حُقُباً».

الحقب: كناية عن الدّوام.

و في قرب الإسناد: عن الأزدي عن أبي عبد اللّه﴿؈﴾ قال: قال لفضيل: تجلسون و تحدّثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إنّ تلك المجالس أُحبّها فأحيوا أمرنا يا فضيل! فرحم اللّه من أحيى أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذُكِرْنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذّباب غفر اللّه له ذنوبه و لو كانت أكثر من زبد البحر».

و في أمالي الصّدوق بإسناده عن أبي عمارة المنشد عن أبي عبد اللّه﴿؈﴾ قال: قال لي: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين بن عليّ قال: فأنشدته فبكى ثمّ أنشدته فبكى، قال: فواللّه مازلت أنشده و يبكي حتّى سمعت البكآء من الدّار، قال: فقال: يا باعمارة من أنشد في الحسين بن عليّ شعراً، فأبكى خمسين فله الجنّة، و من أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين، فله الجنّة، و من أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنّة، و من أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنّة، و من أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنّة، و من أنشد في الحسين شعراً فبكى فله الجنّة، و من أنشد في الحسين

شعراً فتباكى فله الجنّة».

و في رجال الكشّيّ: بإسناده عن زيد الشّحّام قال: كنّا عند أبي عبد اللّه و نحن جماعة من الكوفيّين، فدخل جعفر بن عفّان على أبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾ فقرّبه و أدناه ثمّ قال: يا جعفر قال: لبّيك! جعلني اللّه فداك قال: بلغني أنّك تقول الشّعر في الحسين و تجيد، فقال له: نعم جعلني اللّه فداك، قال: قل! فأنشده صلّى اللّه عليه، فبكى و من حوله، حتّى صارت الدّموع على وجهه و لحيته، ثمّ قال: يا جعفر و اللّه لقد شهدت ملائكة اللّه المقرّبون ههنا يسمعون قولك في الحسين﴿عليه السلام﴾ و لقد بكوا كما بكينا و أكثر، و لقد أوجب اللّه تعالى لك يا جعفر في ساعته (ساعتك خ) الجنّة بأسرها، و غفر اللّه لك، فقال: يا جعفر ألا أزيدك؟ قال: نعم يا سيّدي قال: ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى و أبكى به إلاّ أوجب اللّه له الجنّة و غفر له».

و في العيون: بإسناده عن الرّيّان بن شبيب قال: دخلت على الرّضا﴿عليه السلام﴾ في أوّل يوم من المحرّم، فقال لي: يا ابن شبيب أصآئم أنت، فقلت: لا، فقال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الّذي دعا فيه زكريّا ربّه عزّ و جلّ، فقال: «ربّ هب لي من لدنك ذرّيّة طيّبة إنّك سميع الدّعآء» فاستجاب اللّه له و أمر الملائكة، فنادت زكريّا و هو قآئم يصلّي في المحراب أنّ اللّه يبشّرك بيحيى، فمن صام هذا اليوم ثمّ دعا اللّه عزّ و جلّ إستجاب اللّه له كما استجاب لزكريّا﴿عليه السلام﴾ ثمّ قال: يا ابن شبيب إنّ المحرّم هو الشّهر الّذي كان أهل الجاهليّة فيما مضى يحرّمون فيه الظّلم و القتال لحرمته، فما عرفت هذه الأُمّة حرمة شهرها و لا حرمة نبيّها، لقد قتلوا في هذا الشّهر ذرّيّته، و سبوا نسآئه، و انتهبوا ثقله، فلا غفر اللّه لهم ذلك أبداً.

يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، و قتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيهون، و لقد بكت السّموات السّبع و الأرضون لقتله، و لقد نزل إلى الأرض من الملآئكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شُعث غبر إلى أن يقوم القآئم، فيكونون من أنصاره و شعارهم: «يا لثارات الحسين» يا ابن شبيب لقد حدّثني

أبي عن أبيه عن جدّه: أنّه لمّا قتل جدّي الحسين أمطرت السّمآء دماً و تراباً أحمر، يا ابن شبيب إن بكيت على الحسين حتّى تصير دموعك على خدّيك غفر اللّٰه لك كلّ ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا ابن شبيب إن سرّك أن تلقى اللّٰه عزّ و جلّ و لا ذنب عليك، فزر الحسين ﴿عليه السلام﴾ يا ابن شبيب إن سرّك أن تسكن الغرف المبنيّة في الجنّة مع النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فالعن قتلة الحسين ﴿عليه السلام﴾ يا ابن شبيب إن سرّك أن يكون لك من الثّواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين فقل متى ما ذكرته: «يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً» يا ابن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدّرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، و افرح لفرحنا، و عليك بولايتنا، فلو أنّ رجلاً تولّى حجراً لحشره اللّٰه معه يوم القيامة».

و في كامل الزّيارات: بإسناده عن عبد اللّٰه بن غالب قال: دخلت على أبي عبد اللّٰه ﴿عليه السلام﴾ فأنشدته مرثيّة الحسين بن عليّ عليهما السّلام فلمّا انتهيت إلى هذا الموضع:

لبليّة تسقو حسيناً  بمسقاة الثّرى غير التّراب

صاحت باكية من ورآءِ السّتر: يا أبتاه.

و فيه: بإسناده عن أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبداللّٰه ﴿عليه السلام﴾ فقال لي: أنشدني، فأنشدني فقال: لا كما تنشدون و كما ترثيه عند قبره، فأنشدته:

أُمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزّكيّة

قال: فلمّا بكى أمسكت أنا، فقال: مرّ فمررت، قال: ثمّ قال: زدني قال: فأنشدته:

يا مريم قومي و اندبي مولاك  و على الحسين فأسعدي ببكاك

قال: فبكى و تهايج النّسآء قال: فلمّا أن سكتن قال لي: يا با هارون من أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنّة ثمّ جعل ينتقص واحداً واحداً حتّى بلغ الواحد، فقال: «من أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنّة، ثمّ قال: من ذكره فبكى فله الجنّة».

و في البحار: (ج ٤٤ – باب ثواب البكآء على مصيبته ... حديث ٣٧) قال العلامّة المجلسي رضوان اللّٰه تعالى عليه: «رأيت في بعض تأليفات بعض الثّقات من

المعاصرين: روى أنّه لمّا أخبر النّبيّ﴿عَلَيْلِهُ﴾ ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين و ما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكآءً شديداً، و قالت: يا أبت متى يكون ذلك؟ قال: في زمان خالٍ منّي و منك و من عليّ، فاشتدّ بكآؤها، و قالت: يا أبت فمن يبكى عليه؟ و من يلتزم بإقامة العزآءِ له؟

فقال النّبيّ: يا فاطمة إنّ نسآء أمّتي يبكون على نسآءِ أهل بيتى، و رجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، و يجدّدون العزآءِ جيلاً بعد جيل، في كلّ سنة. فإذا كان القيامة تشفعين أنت للنّسآءِ و أنا أشفع للرّجال، و كلّ من بكى منهم على مصائب الحسين أخذنا بيده و أدخلناه الجنّة.

يا فاطمة! كلّ عين باكية يوم القيامة إلاّ عين بكت على مصاب الحسين، فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنّة».

و فيه: (في هذا الباب - حديث ٣٨) قال: «و رأيت في بعض مؤلّفات أصحابنا أنّه حكى عن السّيّد عليّ الحسينيّ قال: كنت مجاوراً في مشهد مولاي عليّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام مع جماعة من المؤمنين، فلمّا كان اليوم العاشر من شهر عاشوراء إبتدأ رجل من أصحابنا يقرء مقتل الحسين﴿عليه السلام﴾ فوردت رواية عن الباقر﴿عليه السلام﴾ أنّه قال: «من ذرفت عيناه على مصاب الحسين و لو مثل جناح البعوضة غفر اللّه له ذنوبه و لو كانت مثل زبد البحر».

و كان في المجلس معنا جاهل مركّب يدّعي العلم و لا يعرفه، فقال: ليس هذا بصحيح، و العقل لا يعتقده، و كثر البحث بيننا، و افترقنا عن ذلك المجلس، و هو مصرٌّ على العناد في تكذيب الحديث، فنام ذلك الرّجل تلك اللّيلة فرأى في منامه كأنّ القيامة قد قامت، و حشر النّاس في صعيد صفصف لا ترى فيها عوجاً و لا أمتاً، و قد نصبت الموازين، و امتدّ الصّراط و وضع الحساب، و نشرت الكتب، و أُسعرت النّيران، و زخرفت الجنان، و اشتدّ الحرّ عليه، و إذا هو قد عطش عطشاً شديداً و بقى يطلب المآء فلا يجده.

فالتفت يميناً و شمالاً و إذا هو بحوض عظيم الطّول و العرض، قال: قلت في نفسي: هذا هو الكوثر فإذا فيه مآء أبرد من الثّلج و أحلى من العذب، و إذاً عند الحوض رجلان و امرأة أنوارهم تشرق على الخلآئق، و مع ذلك لبسهم السّواد و هم باكون محزونون فقلت: من هؤلآءِ؟ فقيل لي: هذا محمّد المصطفى، و هذا الإمام عليّ المرتضى، و هذه الطّاهرة فاطمة الزّهرآء، فقلت: ما لي أراهم لابسين السّواد و باكين و محزونين؟ فقيل لي: أليس هذا يوم عاشورآء؟ يوم مقتل الحسين؟ فهم محزونون لأجل ذلك.

قال: فدنوت إلى سيّدة فاطمة و قلت لها: يا بنت رسول اللّه إنّي عطشان، فنظرت إليّ شزراً و قالت لي: أنت الّذي تنكر فضل البكآء على مصاب ولدي الحسين و مهجة قلبي و قرّة عيني الشّهيد المقتول ظلماً و عدواناً؟ لعن اللّه قاتليه و ظالميه و مانعيه من شرب المآءِ. قال الرّجل: فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً، و استغفرت اللّه كثيراً و ندمت على ما كان منّي، و أتيتُ إلى أصحابي الّذين كنت معهم، و خبّرت برؤياي و تبت إلى اللّه عزّ و جلّ».

**أقول:** و قد خطأ بعض المحشّين في حاشيته على الرّواية الأخيرة في البحار، ما كان له شأن على ذلك، فغفر اللّه له إن كان خطائه عن جهل، لاعن تعمّد إذ أنكر إطلاق أمثال هذه الأحاديث فتوهّم أنها صدرت حينما كان ذكر الحسين﴿عليه السلام﴾ و البكاء عليه و زيارته و رثاؤه و إنشاد الشّعر فيه إنكاراً للمنكر، و مجاهدة في ذات اللّه، و محاربة مع أعداء اللّه: بني اميّة الظّالمة الغشوم، و هدماً لأساسهم و تقبيحاً و تنضيراً من سيرتهم الكافرة بالقرآن و الرّسول ... و أمّا في زمان لا محاربة بين أهل البيت و أعدآئهم كزماننا هذا فلا يصدق على ذكر الحسين و البكآء عليه عنوان الجهاد ...».

**أقول:** و قد توهّم هذا الخاطىء أنّ العداوة بين الإنسان و الشّيطان تقصر في آدم أبي البشر و إبليس، فلا عداوة بين أولادهما، و لا بين أولاد آدم و إبليس! فزعم الخاطىء أنّ الجور و الخيانة، و البغى و العداوة، و الظّلم و الجناية على سبط المصطفى الحسين بن عليّ عليهم أفضل صلوات اللّه و أكمل تحيّاته تقصر في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عليهم الهاوية و النّيران ... و نسي جناية بني العبّاس، و غفل عن بغي مَن

سلك مسالك بني أُميّة و بني العبّاس على سائر أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين و على شيعتهم في كلّ ظرف إلى يوم القيامة، حيث إنّ المحاربة بين الكفر و الايمان و أهلهما ثابتة لا محالة.

و قد جهل هذا الخاطىء السّفيه بجور النّاصبين و خيانتهم، و غوايتهم و إضلالهم النّاس في القرون السّالفة إلى الآن، و جهل بعداوة الوهّابييّن و إغوائهم النّاس و صدّهم و خاصّة الفتيان و الفتيات عن سبيل اللّه في زماننا هذا، و جهل بأنّ هؤلآء المغوين يصرّون على محو آثار الوحي بإسم الكتاب، و على محو آثار أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين بإسم السّنّة!

و لعمري: لا يمكن بيان اصول القرآن الكريم و لا فروعه، و لا معارفه و لا حِكَمه... و لا سنّة رسول اللّه«صلى الله عليه و آله» في كل ظرف إلاّ بإقامة مجالس العزآءِ لمن أفدى نفسه و أصحابه، و رضى بإسارة أهل بيته و ذكرهم صلوات اللّه عليهم أجمعين، و بيان حِكَم شهادته و أنصاره، و أسرار إسارة أهل بيته عليهم السّلام، و بيان ظلم بني أُميّة و جنايتهم، و بغي بني العبّاس و خيانتهم، و عداوة كلّ من سلك مسالكهم في كلّ ظرف، و الجور لا ينتهي، و الباغي لا يتوقّف ...!

فلهذه الأحاديث و أمثالها إطلاق يشمل لكلّ ظرف و زمان من غير ريب لمن كان له أدنى معرفة بحِكَم شهادة سيّد الشّهدآء الحسين بن عليّ و أسرار إسارة أهل بيته صلوات اللّه عليهم أجمعين.

نعم: من كان جاهلاً بحِكَم الشّهادة و أسرار الإسارة أو كان خبيث الولادة فهو يوسوس في أمثال هذه الرّوايات كما يوسوس في صدور النّاس من الجنّة و النّاس ...

و اعلم أنّه يستفاد من الرّوايات جواز بكآءِ النّسآءِ، بل ترغيبهنّ إلى البكآءِ و العزاءِ و النّياحة لسيّد الشّهدآءِ و أصحابه عليهم السّلام و جواز لبس السّواد في أيّام العاشوراء، و وجوب تجديد العزآءِ جيلاً بعد جيل في كلّ سنة، و يجب على العلمآءِ العاملين، و الدّعاة و المصلحين و الخطبآءِ و المحقّقين أن يبيّنوا في مجالس العزآءِ حِكَم شهادة سيد الشّهدآءِ و أنصاره، و أُسرار إسارة أهل بيته عليهم صلوات اللّه، و أنّ سبط

المصطفى﴿صلى الله عليه و آله﴾ أفدى نفسه و دنياه حفظاً لدينه، أفدى أعوانه لإقامة الصّلاة و العمل بالفرآئض و الأحكام، و رضى عن إسارة أهل بيته عليهم السّلام للأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر ... إذاً في تلك المجالس يتوب الكفّار إلى اللّه عن كفرهم، و ينتهي الفجّار عن فجورهم، و الفسّاق عن فسوقهم، و الظّلمة عن ظلمهم، و البغاة عن بغيهم ...

و لذلك كانت أئمّتنا المعصومون صلوات اللّه عليهم أجمعين يرغبون الشّيعة في تلك الجهاد المقدّس بإعلاء كلمة الحسين بن عليّ﴿عليه السلام﴾ و إحيآء أمره بأيّ نحو كان بالرّثآءِ و المديح و الزّيارة و البكآء عليه﴿عليه السلام﴾ و بيان ظلم بني أُميّة و جور بني العبّاس و مَن تبعهم في كلّ ظرف، و الحكم ثابت بلا مرآءٍ إلى يوم القيامة.

و انّ موسى﴿عليه السلام﴾ و فرعون يذكران في كلّ زمان، و إن لم يكن الآن فرعون، و انّ سبط المصطفى الحسين بن عليّ﴿عليه السلام﴾ و يزيد بن معاوية يذكران في كلّ ظرف، حيث إنّ الحسين بن عليّ﴿عليه السلام﴾.هو الأُسوة لنا في المظلوميّة و تفدية نفسه لدينه، و إنّ يزيد بن معاوية عليهما الهاوية هو الأُسوة في الظّلم و الجناية، و تفدية دينه لهوىٰ نفسه، و في تعزية الحسين بن عليّ﴿عليه السلام﴾ و لباس السّود و التّطبير و البكآء عليه ولاية، و في تذكرة يزيد بن معاوية و ظلمهما و جنايتهما و سرور أتباعهما يوم العاشوراء و اللّعن عليهما براءة، و هما واجبان ثابتتان في كلّ زمان.

و قد زعم بعض السّادة المتعمم في زماننا هذا بمدينة قم المشرّفة أنّ لباس السّود في أيّام العاشورآءِ من مبتدعات أبي مسلم الخراسانى، فكان يلبس البيض يوم العاشورآء! فقلت له: أيّها السّيّد انّ عمامتك السّود من مبتدعات هارون الرّشيد فلماذا تلبسها؟ و لكنّك لا تعلم أنّ لباس السّود و العمامه ليسا من المبتدعات بل يلبسهما رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ و أهل بيته المعصومون صلوات اللّه عليهم أجمعين و تلبسهما السّادة من العلماء و الشّيوخ منهم و غيرهم من الأتقيآء و الصلحآء أيام العاشورآء، فلا تشك تفتضح و إن كنت سيّداً فندم و استغفر، و ذكرنا ذلك ههنا لئلاّ يتوهّم مثله أحدٌ بعده، فيفتضح أو يندم فيستغفر لذلك فعلى شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين بإقامة مجالس العزاء و التّطبير و الرّثاء، و إنشاد الأشعار و الزّيارة و

البکآء علی مصآئب سیّد الشّهداء الحسین بن عليّ علیهما السلام لما بکت علیه السّمآء و الأرض ...

و من البداهة لمن له أدنی مسکة ان لباس السّود علامة التعزّی و المصیبة یلبسها حتّی غیر المسلمین من الیهود و النّصاری ... من أهل الأدیان و المذاهب ... و غیرهم ممّن لا یعتقد بشیء لفقدان أعزّتهم الّذین ماتوا بعد انقضآء أجلهم، فکیف لا تلبسها الشّیعة لمصآئب أهل بیت النّبوّة کافة، و لسیّد الشهدآء أرواحنا له الفداء خاصّة الّتي ماورد مثلها علی غیرهم من آدم إلی آخر أبنائه إلی یوم القیامة.

و لعمری! أنّ التشکیك و الوسوسة في العزآءِ و البکآءِ و الرّثاء و اللّباس و التّطبیر و ما إلیها یوجب التّشکیك في مظلومیّة سیّد الشّهداء علیه آلاف التّحیّة و الثّناء، و التّشکیك في أصل شهادته و في إسارة أهل بیته، ثمّ التّشکیك في أصل رسالة جدّه﴿صلی الله علیه و آله﴾ و ولایة أمیر المؤمنین﴿علیه السلام﴾ و هذه التّشکیکات الواهیّة و الوسوسات الشیطانیّة توطئة لمحو آثار الوحي و آثار أهل بیته المعصومین صلوات اللّه علیهم أجمعین و لیست أقلّ مصیبة من المصیبات الواردة علی أهل بیت النبوّة علیهم صلوات اللّه، غفر اللّه لمن استغفر و تاب إلی اللّه تعالی من تلك الأراجیف قبل الإفتضاح في الحیاة الدّنیا، و العذاب في الدّار الآخرة.

## «الشّيعة و بكآء السّمآء و الأرض على يحيى بن زكريا» و سبط المصطفى «عليهما السلام»

قال اللّه عزّ و جلّ: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين» الدّخان: ٢٩) و قدوردت في المقام روايات كثيرة عن طريق شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين، فنشير إلى ما يسعه مقام الإختصار:

في **كامل الزّيارات** - الباب ٢٨ - بإسناده عن الحسن ابن الحكم النّخعيّ عن رجل قال: سمعت أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه، و هو يقول في الرّحبة و هو يتلو هذه الآية: «فما بكت عليهم السّمآء و الارض و ما كانوا منظرين» و خرج عليه الحسين«عليه السلام» من بعض أبواب المسجد، فقال: أما إنّ هذا سيقتل و تبكي عليه السّمآء و الأرض».

و فيه: بإسناده عن كثير بن شهاب الحارثي قال: بيننا نحن جلوس عند أمير المؤمنين«عليه السلام» في الرّحبة، إذا طلع الحسين عليه، فضحك عليّ حتّى بدت نواجده ثمّ قال: إنّ اللّه ذكر قوماً، فقال: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين» «و الّذي فلق الحبّة و برأ النّسمة ليقتلنّ هذا و لتبكينّ عليه السّمآء و الأرض».

و فيه: بإسناده عن إبراهيم النّخعيّ قال: خرج أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه فجلس في المسجد و اجتمع أصحابه حوله، و جآء الحسين«عليه السلام» حتّى قام بين يديه،

فوضع يده على رأسه فقال: يا بنيّ إنّ اللّه عيّر أقواماً في القرآن، فقال: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين» و أيم اللّه ليقتلنّك ثمّ تبكيك السّمآء و الأرض».

و فيه: بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه ﴿؏﴾ قال: «إنّ الحسين صلوات اللّه عليه بكى لقتله السّمآء و الأرض و احمرّتا، و لم تبكيا على أحد قطّ إلاّ على يحيى بن زكريّا و الحسين إبن عليّ صلوات اللّه عليهم.

و فيه: بإسناده عن عبداللّه بن هلال قال: سمعت أبا عبداللّه ﴿؏﴾ يقول: إنّ السّمآء بكت على الحسين بن عليّ ﴿؏﴾ و يحيى بن زكريّا و لم تبك على أحد غيرهما، قلت: و ما بكآؤها؟ قال: مكثوا أربعين يوماً تطلع الشّمس بحمرة و تغرب بحمرة، قلت: فذاك بكآؤها؟ قال: نعم.

و فيه: بإسناده عن عليّ بن مسهر القرشيّ قال: حدّثتني جدّتي أنّها أدركت الحسين بن عليّ حين قتل صلوات اللّه عليه، قالت: فمكثنا سنة و تسعة أشهر و السّمآء مثل العلقة مثل الدّم ما ترى الشّمس».

و فيه: بإسناده عن محمّد الحلبيّ عن أبي عبد اللّه ﴿؏﴾ في قوله تعالى: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض و ما كانوا منظرين» قال: لم تبك السّمآء أحداً منذ قتل يحيى إبن زكريّا حتّى قتل الحسين ﴿؏﴾ فبكت عليه».

و فيه: بإسناده عن داود بن فرقد، عن أبي عبد اللّه ﴿؏﴾ قال: «إحمرّت السّمآء حين قتل الحسين بن عليّ سنة [ثمّ قال: بكت السّمآء و الأرض على الحسين بن عليّ سنة] و على يحيى إبن زكريّا و حمرتها بكآؤها».

و فيه: بإسناده عن عبد الخالق بن عبد ربّه قال: «سمعت أبا عبد اللّه ﴿؏﴾ يقول: «لم نجعل له من قبل سميّاً» الحسين بن عليّ لم يكن له من قبل سميّاً، و يحيى بن زكريّا لم يكن له من قبل سميّاً، و لم تبك السّمآء إلاّ عليهما أربعين صباحاً، قال: قلت: ما بكآؤها؟ قال: كانت تطلع حمرآء و تغرب حمرآء».

و في البحار: - نقلاً عن قصص الأنبيآء - عن جابر عن أبي جعفر ﴿؏﴾ في قوله تعالى: «لم نجعل له من قبل سميّاً» قال: يحيى بن زكريّا لم يكن له سميٌّ قبله، و الحسين

بن عليّ لم يكن له سميٌّ قبله، و بكت السّمآء عليهما أربعين صباحاً، و كذلك بكت الشّمس عليهما، و بكآؤها أن تطلع حمرآء و تغيب حمرآء، و قيل: أى بكى أهل السّمآء و هم الملآئكة».

و في كامل الزّيارات: بإسناده عن الحسن بن زياد عن أبي عبد اللّه﴿ عليه السلام ﴾ قال: كان قاتل يحيى بن زكريّا ولد الزّنا، و قاتل الحسين ولد الزّنا، و لم تبك السّمآء على أحد إلاّ عليهما قال: قلت: و كيف تبكي؟ قال: تطلع الشّمس في حمرة و تغيب في حمرة».

و فيه: بإسناده عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبد اللّه﴿ عليه السلام ﴾ يقول: كان الّذي قتل الحسين﴿ عليه السلام ﴾ ولد زنا، و الّذي قتل يحيى بن زكريّا ولد زنا، و قال: إحمرّت السّمآء حين قتل الحسين صلوات اللّه عليه سنة، ثمّ قال: بكت السّموات و الأرض على الحسين و على يحيى بن زكريّا و حمرتها بكآؤها».

و في المناقب لابن شهر آشوب السّرويّ المازندرانيّ: «و قال الصّادق﴿ عليه السلام ﴾: «بكت السّمآء على الحسين﴿ عليه السلام ﴾ أربعين يوماً بالدّم».

و فيه: زرارة بن أعين عن الصّادق﴿ عليه السلام ﴾ قال: «بكت السّمآء على يحيى بن زكريّا و على الحسين بن عليّ عليهم السّلام أربعين صباحاً و لم تبك إلاّ عليهما، قلت: فما بكآؤها؟ قال: كانت الشّمس تطلع حمرآء و تغيب حمرآء».

و في فروع الكافي: -كتاب الصّوم- بإسناده عن محمّد بن إسماعيل الرّازيّ عن أبي جعفر الثّانيّ﴿ عليه السلام ﴾ قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في الصّوم فإنّه قدروى أنّهم لا يوفّقون لصوم؟ فقال: أما إنّه قد اجيبت دعوة الملك فيهم قال: فقلت: و كيف ذلك جعلت فداك؟ قال: إنّ النّاس لمّا قتلوا الحسين صلوات اللّه عليه أمر اللّه تبارك و تعالى ملكاً ينادي: أيّتها الأمّة الظّالمة القاتلة عترة نبيّها لا و فّقكم اللّه لصوم و لا لفطر».

أقول: إنّ عدم توفيق العامّة للفطر و الأضحى إمّا لإشتباه الهلال في أكثر الأزمان في هذين الشهرين، أو الجهل بمسائله أو لأنّهم لعدم ظهور أئمّة الحقّ و عدم إستيلائهم لا يوفّقون للصّلاتين إمّا كاملة أو مطلقاً بنآءً على اشتراط الإمام أو يخصّ الحكم بالعامّة.

و فيه: بإسناده عن رزين قال: قال أبو عبد اللّه﴿ عليه السلام ﴾: «لمّا ضرب الحسين بن

عليّ عليهما السّلام بالسّيف فسقط رأسه ثمّ ابتدر ليقطع رأسه نادى منادٍ من بطنان العرش: ألا أيّتها الأمّة المتحيّرة الضّالّة بعد نبيّها لا وفّقكم اللّه لأضحى و لا لفطر، قال: ثمّ قال أبو عبد اللّه﴿عليه السلام﴾ فلا جرم و اللّه ما وفّقوا و لا يوفّقون حتّى يثأر ثائر الحسين﴿عليه السلام﴾».

و في المناقب: لابن شهر آشوب رحمة اللّه تعالى عليه: «الباقر﴿عليه السلام﴾ في قوله تعالى: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض» يعني عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ و ذلك أنّ عليّاً﴿عليه السلام﴾ خرج قبل الفجر متوكّئاً على عنزة و الحسين خلفه يتلوه حتّى أتى حلقة رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ ثمّ قال: إنّ اللّه تعالى ذكر أقواماً فقال: «فما بكت عليهم السّمآء و الأرض» و اللّه ليقتلنّه و لتبكينّ السّمآء عليه».

قوله﴿عليه السلام﴾: «عنزة»: شبيه بالعكازة أطول من العصا و أقصر من الرّمح.

و في تفسير نور الثّقلين: عن إسحق الأحمر عن الحجّة﴿عليه السلام﴾ حديث طويل و في آخره: «و ذبح يحيى﴿عليه السلام﴾ كما ذبح الحسين﴿عليه السلام﴾ و لم تبك السّمآء و الأرض إلاّ عليهما».

و في دعاء اليوم الثّالث من شهر شعبان المعظّم مولد سيّد الشّهدآء الحسين بن عليّ عليهما أفضل صلوات اللّه و أكمل تحيّاته: «اللّهمّ إنّي أسئلك بحقّ المولود في هذا اليوم الموعود بشهادته قبل استهلاله و ولادته، بكته السّمآء و مَن فيها، و الأرض و مَن عليها، و لمّا يَطأ لابتيها، قتيل العَبرة و سيّد الأُسرة، الممدود بالنّصرة يوم الكرّة المُعَوَّض من قتله أنّ الأئمّة من نسله، و الشّفاء في تربته، و الفوز معه في أوبته و الأوصيآء من عترته بعد قآئمهم و غيبته حتّى يدركوا الأوتار و يثأروا الثّار، و يُرضوا الجبّار و يكونوا خير أنصار صلّى اللّه عليهم مع اختلاف اللّيل و النّهار ... الدّعآء».

## ﴿الشّيعة و بكآء نظام الكون و نواميس الوجود﴾
## على مصآئب الحسين﴿عليه السلام﴾

و اعلم أنّ الرّوايات الواردة في المقام عن طريق شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين لكثيرة، فنشير إلى نبذة منها روماً للإختصار:

١- في أمالى الشّيخ المفيد رضوان اللّه تعالى عليه بإسناده عن الحسين بن أبي فاختة قال: كنت أنا و أبو سلمة السّرّاج و يونس بن يعقوب و الفضيل بن يسار عند أبي عبداللّه جعفر بن محمّد عليهما السّلام فقلت له: جعلت فداك إنّي أحضر مجالس هؤلآءِ القوم فأذكركم في نفسي فأيّ شيء أقول؟ فقال: يا حسين إذا حضرت مجالس هؤلآء فقل: اللّهمّ أرنا الرّخآء و السّرور فانّك تأتي على ما تريد، قال: فقلت: جعلت فداك إنّي أذكر الحسين بن عليّ عليهما السّلام فأيّ شيء أقول إذا ذكرته؟ فقال: قل: صلّى اللّه عليك يا أبا عبداللّه تكرّرها ثلاثاً.

ثمّ أقبل علينا و قال: إنّ أبا عبداللّه لمّا قتل بكت عليه السّموات السّبع و الأرضون السّبع و ما فيهنّ و ما بينهنّ، و مَن يتقلّب في الجنّة و النّار، و ما يرى و ما لا يرى إلاّ ثلاثة أشيآء، فإنّها لم تبك عليه، فقلت: جعلت فداك و ما هذه الثّلاثة الأشيآء الّتي لم تبك عليه؟ فقال: البصرة و دمشق و آل الحكم بن أبي العاص».

٢- في أمالي الصّدوق رحمة اللّه تعالى عليه - المجلس السّابع و العشرون -

بإسناده عن جبلة المكيّة قالت: سمعت ميثم التّمّار قدّس اللّه روحه يقول: و اللّه لتقتلنّ هذه الأُمّة إبن نبيّها في المحرّم لعشر مضين منه، و ليتخذنّ أعدآء اللّه ذلك اليوم يوم بركة، و إنّ ذلك لكائن قد سبق في علم اللّه تعالى ذكره أعلم ذلك بعهد (لعهد خ) عهده إليّ مولاى أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه و لقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات و الحيتان في البحار، و الطّير في جوّ السّماءِ، و تبكي عليه الشّمس و القمر و النّجوم و السّمآء و الأرض، و مؤمنوا الإنس و الجنّ، و جميع ملآئكة السّموات، و رضوان و مالك و حملة العرش و تمطر السّمآء دماً و رماداً.

ثمّ قال: وجبت لعنة اللّه على قتلة الحسين(عليه السلام) كما وجبت على المشركين الّذين يجعلون مع اللّه إلهاً آخر، و كما وجبت على اليهود و النّصارى و المجوس. قالت جبلة: فقلت له: يا ميثم و كيف يتّخذ النّاس ذلك اليوم الّذي يقتل فيه الحسين بن عليّ(عليه السلام) يوم بركة؟ فبكى ميثم رضى اللّه عنه، ثمّ قال: سيزعمون بحديث يضعونه أنّه اليوم الّذي تاب اللّه فيه على آدم(عليه السلام) و إنّما تاب اللّه على آدم(عليه السلام) في ذي الحجّة، و يزعمون أنّه اليوم الّذي قبل اللّه فيه توبة داود، و إنّما قبل اللّه توبته في ذي الحجّة، و يزعمون أنّه اليوم الّذي أخرج اللّه فيه يونس من بطن الحوت، و إنّما أخرجه اللّه من بطن الحوت في ذي القعدة (ذي الحجّة خ) و يزعمون أنّه اليوم الّذي استوت فيه سفينة نوح على الجوديّ، و إنّما استوت على الجودي يوم الثّامن عشر من ذي الحجّة، و يزعمون أنّه اليوم الّذي فلق اللّه عزّ و جلّ فيه البحر لبني إسرآئيل، و إنّما كان ذلك في شهر ربيع الأوّل.

ثمّ قال ميثم: يا جبلة اعلمي أنّ الحسين بن عليّ سيّد الشّهدآءِ يوم القيامة، و لأصحابه على سآئر الشّهداء درجة يا جبلة إذا نظرت إلى الشّمس حمرآء كأنّها دم عبيط، فاعلمي أنّ سيّدك الحسين قد قتل. قالت جبلة: فخرجت ذات يوم فرأيت الشّمس على الحيطان كأنّها الملاحف المعصفرة، فصحت حينئذ و بكيت، و قلت: قد واللّه قتل سيّدنا الحسين بن عليّ عليهما السّلام».

۳- و فيه: بإسناده عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرّضا(عليه السلام): «إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دمآئنا و هتك فيه حرمتنا، و

سبي فيه ذرارينا و نسآئنا، و أضرمت النّيران في مضاربنا و انتهب ما فيها من ثقلنا، و لم ترع لرسول اللّه حرمة في أمرنا، إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا و أسبل دموعنا و أذلّ عزيزنا بأرض كرب و بلآء و أورثتنا (يا أرض كرب و بلاء أورثتنا) الكرب و البلآء إلى يوم الإنقضآء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكآء يحطّ الذّنوب العظام، ثمّ قال: كان أبي ﴿عليه السلام﴾ إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً، و كانت الكآبة تغلب عليه حتّى يمضى منه عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته و حزنه و بكآئه، و يقول: هو اليوم الّذي قُتِلَ فيه الحسين ﴿عليه السلام﴾».

٤- و فيه: باسناده عن عليّ بن فضّال عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا ﴿عليه السلام﴾ قال: «من ترك السّعي في حوآئجه يوم عاشورآء قضى اللّه له حوآئج الدّين و الآخرة، و من كان يوم عاشوراء يوم مصيبته و حزنه و بكائه جعل اللّه عزّ و جلّ يوم القيامة يوم فرحه و سروره و قرّت بنا في الجنان عينه، و من سمّى يوم عاشورآء يوم بركة و ادّخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما ادّخر، و حشر يوم القيامة مع يزيد و عبيد اللّه بن زياد و عمر بن سعد لعنهم اللّه إلى أسفل درك من النّار».

٥- و فيه: بإسناده عن يحيى بن يمان عن إمام لبني سليم عن أشياخٍ لهم قالوا: غزونا بلاد الرّوم، فدخلنا كنيسة من كنآئسهم، فوجدنا فيها مكتوباً:

أيرجو معشر قتلوا حسيناً    شفاعة جدّه يوم الحساب

قالوا: فسئلنا منذكم هذا في كنيستكم؟ فقالوا: قبل أن يبعث نبيّكم بثلاثمأة عام».

٦- في كامل الزّيارات بإسناده عن أبي نضرة عن رجل من أهل بيت المقدّس أنّه قال: و اللّه لقد عرفنا أهل بيت المقدس و نواحيها عشيّة قتل الحسين بن عليّ، قلت: و كيف ذلك؟ قال: ما رفعنا حجراً و لا مدراً و لا صخراً إلاّ و رأينا تحتها دماً يغلي و احمرّت الحيطان كالعلق، و مُطرنا ثلاثة أيام دماً عبيطاً، و سمعنا منادياً ينادي في جوف اللّيل يقول:

أترجو امّة قتلت حسيناً    شفاعة جدّه يوم الحساب

معاذ اللّه لا نلتم يقيناً    شفاعة أحمد و أبي تراب

قتلتم خير من ركب المطايا و خير الشّيب طرّاً و الشّبّاب

و انكسفت الشّمس ثلاثاً ثمّ تجلّت عنها و انشكبت النّجوم، فلمّا كان من الغد أرجفنا بقتله، فلم يأت علينا كثير شيء حتّى نعي إلينا الحسين﴿عليه السلام﴾.

٧- و فيه: بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر﴿عليه السلام﴾ قال: «بكت الإنس و الجنّ و الطّير و الوحش على الحسين بن عليّ عليهما السّلام حتّى ذرفت دموعها» أى سالت.

٨- و فيه: بإسناده عن الحارث الأعور قال: قال عليّ﴿عليه السلام﴾ بأبي و أُمّي الحسين المقتول بظهر الكوفة، و اللّه كأنّي أنظر إلى الوحش مادّة أعناقها على قبره من أنواع الوحش يبكونه و يرثونه ليلاً حتّى الصّباح فإذا كان كذلك فإيّاكم و الجفآء».

٩- و فيه بإسناده عن الحسين بن ثوير و إبن ظبيان و أبي سلمة السّرّاج و المفضّل كلّهم قالوا: «سمعنا أبا عبداللّه﴿عليه السلام﴾ يقول: إنّ أبا عبداللّه الحسين بن عليّ عليهما السّلام لمّا مضى بكت عليه السّموات السّبع و الأرضون السّبع، و ما فيهنّ و ما بينهنّ و من يتقلّب عليهنّ، و الجنّة و النّار، و من خلق ربّنا و ما يرى و ما لا يرى».

١٠- و فيه: بإسناده عن يونس و أبي سلمة السّرّاج و المفضّل قالوا: سمعنا أبا عبداللّه﴿عليه السلام﴾ يقول: لمّا مضى أبو عبد اللّه الحسين بن عليّ صلوات اللّه عليهما بكى عليه جميع ما خلق اللّه إلاّ ثلاثة أشيآء: البصرة و دمشق و آل عثمان.

١١- و فيه: بإسناده عن الحسين بن ثوير قال: كنت أنا و إبن ظبيان و المفضّل و أبو سلمة السّرّاج جلوساً عند أبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾ فكان المتكلّم يونس و كان أكبرنا سنّاً و ذكر حديثاً طويلاً يقول: ثمّ قال أبو عبداللّه﴿عليه السلام﴾: إنّ أبا عبداللّه﴿عليه السلام﴾ لمّا مضى بكت عليه السّموات السّبع و ما فيهنّ و الأرضون السّبع و ما فيهنّ و ما بينهنّ، و ما ينقلب في الجنّة و النّار من خلق ربّنا، و ما يرى و ما لا يرى، بكى على أبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾ إلاّ ثلاثة أشياء لم تبك عليه، قلت: جعلت فداك ما هذه الثّلاثة الأشيآء؟ قال: لم تبك عليه البصرة و لا دمشق، و لا آل عثمان بن عفّان عليهم لعنة اللّه...» الحديث.

١٢- في خطبة خطب بها الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن

الحسين عليهما السّلام في مجلس يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عليهم الهاوية و النّيران: «أنا إبن من بكت عليه ملائكة السّمآء ...» الخطبة.

١٣- في خطبة خطب بها قرب المدينة حين مراجعة الأسارى من الشّام إلى المدينة: «... ولقد بكت السّبع الشّداد لقتله - إلى قوله -: و الملآئكة المقرّبون و اهل السّموات أجمعون ...» الخطبة.

١٤- في خطبة خطب بها في المدينة المنوّرة: «... أيّها النّاس! إنّ اللّه و له الحمد إبتلانا بمصآئب جليلة و ثلمة في الإسلام عظيمة، قُتِلَ أبو عبداللّه و عترته، و سُبِيَ نسآؤه و صبيته و داروا برأسه في البلدان من فوق عامل السّنان، و هذه الرّزيّة الّتي لا مثلها رزيّة أيّها النّاس! فأيّ رجالات منكم يَسُرّون بعد قتله؟ أم أيّة عين تحبس دمعها، و تَضِنُّ عن إنهمالها؟ فلقد بكت السّبع الشّداد لقتله، و بكت البحار بأمواجها و السّموات بأركانها، و الأرض بأرجآئها، و الأشجار بأغصانها، و الحيتان و لُجَجُ البحار و الملآئكة المقرّبون و أهل السّموات أجمعون.

أيّها النّاس! أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه؟ أم أيّ مَسْمع يسمع هذه الثّلمة الّتي ثلمت في الإسلام؟ أيّها النّاس! أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين شاسعين عن الأمصار كأنّا أولاد ترك و كابل من غير جرم اجترمناه و لا مكروه إرتكبناه و لا ثلمة في الإسلام ثلمناه: «ما سمعنا بهذا في آبآئنا الأوّلين إن هذا إلاّ اختلاق».

و اللّه لو أنّ النّبيّ ﴿صلّى الله عليه وآله﴾ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا، لما ازدادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها و أوجعها و أفجعها و أفظّها و أمرّها و أقدحها، فعند اللّه نحتسب فيما أصابنا و ما بلغ بنا، إنّه عزيز ذو انتقام».

١٥- في العلل: عن الثّماليّ قال: قلت لأبي جعفر ﴿عليه السلام﴾: يا ابن رسول اللّه ألستم كلّكم قائمين بالحقّ؟ قال: بلى، قلت: فلِمَ سمّي القآئم قآئماً! قال ﴿عليه السلام﴾: لمّا قُتِل جدّي الحسين ﴿عليه السلام﴾ ضجّت الملآئكة إلى اللّه عزّ و جلّ بالبكآء و النّحيب، قالوا: إلهنا و

سيّدنا؟ أتغفل عمّن قَتَل صفوتك و ابن صفوتك و خيرتك من خلقك؟ فأوحى اللّه عزّ و جلّ إليهم: قرّوا ملائكتي و عزّتي و جلالي لأنتقمنّ منهم و لو بعد حين، ثمّ كشف اللّه عزّ و جلّ عن الأئمّة من ولد الحسين﴿عليه السلام﴾ للملآئكة فسرّت الملائكة بذلك، فإذاً أحدهم قآئم يصلّي، فقال اللّه عزّ و جلّ: بذلك القآئم أنتقم منهم».

١٦- قد أخبر كعب الأحبار - في خلافة عمر بن الخطّاب الهتّاك - عن الملاحم و الفتن: «... ثمّ قال: و أعظمها فتنة و أشدّها مصيبة لا تُنسى إلى أبد الآبدين من مصيبة الحسين و هي الفساد الّذي ذكره اللّه تعالى في كتابه المجيد حيث قال: «ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدى النّاس» الرّوم: ٤١).

فُتِحَ الفساد بقتل هابيل بن آدم، و خُتِمَ بقتل الحسين - و ساق إلى أن قال -: و إنّه يسمّى في السّمآء حسيناً المذبوح، و في الأرض أبا عبداللّه المقتول، و في البحار الفَرْخَ الأزهر المظلوم، و إنّه يوم قتله تنكسف الشّمس بالنّهار، و من اللّيل ينخسف القمر و تدوم الظلمة على النّاس ثلاثة أيام، و تمطر السّمآء دماً و رماداً، و تدكدكت الجبال، و تغطمطت البحار، و لو لا بقيّة من ذرّيّته و طائفة من شيعته الّذين يطلبون بدمه و يأخذون بثاره لصبّ اللّه عليهم ناراً من السّمآءِ و أحرق الأرض و من عليها».

١٧- و عن أبي ذر الغفاري رضوان اللّه تعالى عليه قال: «و إنّكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار و سكّان الجبال في الغياض و الآكام و أهل السّمآءِ من قتله لبكيتم و اللّه حتّى تزهق أنفسكم».

١٨- في رواية عن محمد بن حنفيّة قال: بينما يوماً قال أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ للحسنين عليهما السّلام: «يا أبا محمّد و يا أبا عبداللّه كأنّي بكما و قد خَرَجَتْ عليكما من بعدي الفتن هيهنا، فاصبرا حتّى يحكم اللّه و هو خير الحاكمين، ثمّ قال: يا أبا عبداللّه أنت شهيدٌ، هذه ماضيةٌ، فعليك بتقوى اللّه و الصّبر على بلآئه».

١٩- في أمالي الصّدوق رحمة اللّه تعالى عليه - المجلس الرّابع و العشرون - بإسناده عن المفضّل بن عمر عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه أنّ الحسين بن عليّ عليهما السّلام دخل يوماً إلى الحسن﴿عليه السلام﴾ فلمّا نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا

أبا عبداللّه؟ قال: أبكى لما يصنع بك، فقال له الحسن﴿عليه السلام﴾: إنّ الّذي يؤتى إليّ سَمٌّ يدسُّ إليّ فأُقتَل به، و لكن لا يوم كيومك يا أبا عبداللّه، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدّعون أنّهم من امّة جدّنا محمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾ و ينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك و سفك دمك، و انتهاك حرمتك، و سبي ذراريك و نسائك، و انتهاب ثقلك، فعندها تحلّ ببني اميّة اللّعنة، و تمطر السّمآء رماداً و دماً، و يبكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات، و الحيتان في البحار».

٢٠- في كامل الزّيارات بإسناده عن زرارة قال: قال أبو عبداللّه﴿عليه السلام﴾: يا زرارة إنّ السّمآء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدّم، و إنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسّواد، و إنّ الشّمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف و الحمرة، و إنّ الجبال تقطّعت و انتشرت، و إنّ الجبال تفجّرت، و إنّ الملآئكة بكت أربعين صباحاً على الحسين، و ما اختضب منّا إمرأة و لا ادّهنت و لا اكتحلت و لا رجّلت حتّى أتانا رأس عبيد اللّه بن زياد لعنه اللّه، و ما زلنا في عَبْرة بعده.

و كان جدّي إذا ذكره بكى حتّى تملأ عيناه لحيته، و حتّى يبكي لبكآئه رحمة له من رآه، و إنّ الملآئكة الّذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكآئهم كلّ من في الهوآءِ و السّمآءِ من الملآئكة، و لقد خرجت نفسه﴿عليه السلام﴾ فزفرت جهنّم زفرة كادت الأرض تنشقّ لزفرتها، و لقد خرجت نفس عبيد اللّه بن زياد و يزيد بن معاوية لعنهم اللّه فشهقت جهنّم شهقة لو لا أنّ اللّه حبسها بخزّانها لأحرقت مَن على ظهر الأرض من فورها، و لو يؤذن له ما بقي شيء إلاّ ابتلعته، و لكنّها مأمورة مصفودة، و لقد عتت على الخزّان غير مرّة حتّى أتاها جبرئيل، فضربها بجناحه فسكنت، و إنّها لتبكيه و تندبه، و إنّها لتتلظّى على قاتله، و لو لا من على الأرض من حجج اللّه لنقضت الأرض، و أكفأت بما عليها، و ما تكثر الزّلازل إلاّ عند إقتراب السّاعة.

و ما عين أحبّ إلى اللّه، و لا عبرة من عين بكت و دمعت عليه، و ما من باك يبكيه إلاّ و قد وصل فاطمة عليها السّلام و أسعدها عليه، و وصل رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ و أدّى حقّنا، و ما من عبد يحشر إلاّ وعيناه باكية إلاّ الباكين على جدّي الحسين﴿عليه السلام﴾

فإنّه يحشر و عينه قريرة، و البشارة تلقاه و السّرور بيّن على وجهه، و الخلق في الفزع و هم آمنون، و الخلق يعرضون و هم حدّاث الحسين﴿عليه السلام﴾ تحت العرش و في ظلّ العرش، لا يخافون سوء الحساب، يقال لهم: أُدخلوا الجنّة، فيأبون و يختارون حديثه و مجلسه، و إنّ الحور لترسل إليهم أنّا قد اشتقنا كم مع الولدان المخلّدين فما يرفعون رؤسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السّرور و الكرامة، و إنّ أعدآئهم من بين مسحوب بناصيته إلى النّار، و من قآئل: «ما لنا من شافعين و لا صديق حميم».

و إنّهم ليرون منزلهم و ما يقدرون أن يدنوا إليهم و لا يصلون إليهم، و إنّ الملائكة لتأتيهم بالرّسالة من أزواجهم و من خدّامهم على من أُعطوا من الكرامة، فيقولون: نأتيكم إن شآء اللّه فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم، فيزدادون إليهم شوقاً، إذاهم خبّروهم بما فيه من الكرامة و قربهم من الحسين﴿عليه السلام﴾ فيقولون: الحمدللّه الّذي كفانا الفزع الأكبر و أهوال القيامة، و نجّانا ممّا كنّا نخاف، و يؤتون بالمراكب و الرّحال على النّجآئب، فيستوون عليها و هم في الثّنآء على اللّه و الصّلاة على محمّد و آله حتّى ينتهوا إلى منازلهم».

۲۱- في رواية عن سيّد السّاجدين زين العابدين﴿عليه السلام﴾ قال: لمّا قُتِلَ الحسين﴿عليه السلام﴾ جآء غراب، نعش الحسين﴿عليه السلام﴾ فلطّخ جناحيه بدمه، فذهب المدينة، و جلس على حيطان بيت فاطمة الصّغرى بنت الحسين﴿عليه السلام﴾ فلمّا رأته متلطّخاً بالدّم، فبكت و قالت خطاباً للغراب:

نَعَبَ الغُرابُ فقلت: مَن تنعاه و يلك يا غراب!

قال: الإمام، فقلت: مَن؟ قال: الموفّق للصّواب

إنّ الحسين بكربلآء بين الأسِنَّةِ و الضّراب

فابكي الحسينَ بعَبْرة تُرجي الإله مع الثّواب

قلت: الحسين! فقال: لي حقّا لقد سكن التّراب

ثمّ استقلّ به الجناح فلم يطق ردّ الجواب

فبكيتُ ممّا حلّ بي بعد الرّضا المستجاب

٢٢- في كامل الزّيارات - الباب الحادي و الثّلاثون - بإسناده عن الحسين بن أبي غندر عن أبي عبد اللّه(عليه السلام) قال: سمعته يقول في البومة، قال هل أحد منكم رآهانهاراً (بالنهار خ)؟ قيل له: لا تكاد تظهر بالنّهار و لا تظهر إلاّ ليلاً، قال: أما إنّها لم تزل تأوي العمران أبداً، فلمّا أن قُتِلَ الحسين(عليه السلام) آلت على نفسها أن لا تأوي العمران أبداً، و لا تأوي إلاّ الخراب، فلا تزال نهارها صائمة حزينة حتّى يجنّها اللّيل، فإذا جنّها اللّيل فلا تزال ترنّ على الحسين(عليه السلام) حتّى تصبح».

٢٣- و فيه: بإسناده عن الحسين بن عليّ بن صاعد البربريّ قيّماً لقبر الرّضا(عليه السلام) قال: حدّثني أبي قال: دخلت على الرّضا(عليه السلام) فقال لي: ترى هذه البوم (البومة خ) ما يقول النّاس؟ قال: قلت: جعلت فداك جئنا نسئلك، فقال: هذه البومة كانت على عهد جدّي رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) تأوي المنازل و القصور و الدّور و كانت إذا أكل النّاس الطّعام تطير و تقع أمامهم، فيرمى إليها بالطّعام و تسقي، و ترجع إلى مكانها، فلمّا قتل الحسين(عليه السلام) خرجت من العمران إلى الخراب و الجبال و البراري، و قالت: بئس الأُمّة أنتم قتلتم ابن بنت نبيّكم و لا آمنكم على نفسي».

٢٤- و فيه: بإسناده عن الحسن بن عليّ الميثميّ قال: قال أبو عبد اللّه(عليه السلام): «يا يعقوب رأيت بومة بالنّهار و تنفّس قطّ؟ فقال: لا قال: و تدري لِمَ ذلك؟ قال: لا قال: لأنّها تظلّ يومها صائمة على ما رزقها اللّه فإذا جنّها اللّيل أفطرت على ما رزقت ثمّ لم تزل ترنّم على الحسين بن عليّ(عليه السلام) حتّى تصبح».

٢٥- و فيه: بإسناده عن هارون قال: سئل رجل أبا عبداللّه(عليه السلام) و أنا عنده فقال: ما لمن زار قبر الحسين(عليه السلام) فقال: إنّ الحسين(عليه السلام) لمّا أُصيب بكته حتّى البلاد، فوكّل اللّه به أربعة آلاف ملك شُعثاً غُبراً يبكونه إلى يوم القيامة ...» الحديث.

٢٦- في مجالس الشّيخ المفيد رضوان اللّه تعالى عليه بإسناده عن غياث بن إبراهيم عن الصّادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: أصبحت يوماً أُمّ سلمة رضى اللّه عنها تبكي، فقيل لها؟ ممّ بكآؤك؟ فقالت: لقد قتل إبني الحسين اللّيلة، و ذلك أنّني ما رأيت رسول اللّه منذ مضى إلاّ اللّيلة، فرأيته شاحباً كئيباً، فقالت: قلت: مالي أراك يا

رسول اللّه شاحباً كئيباً؟ قال: ما زالت اللّيلة أحفر القبور للحسين و أصحابه عليه و عليهم السّلام.

٢٧- و فيه بإسناده عن ابن عبّاس قال: بينا أنارا قد في منزلي إذ سمعت صُراخاً عظيماً عالياً من بيت أُمّ سلمة زوج النّبيّ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فخرجت يتوجّه بي قآئدي إلى منزلها، و أقبل أهل المدينة إليها الرّجال و النّسآء، فلمّا انتهيت إليها قلت: يا أُمّ المؤمنين ما لك تصرخين و تغوثين؟ فلم تجبني و أقبلت على النّسوة الها شميّات، و قالت: يا بنات عبدالمطلب اسعديني و ابكين معي، فقد قتل و اللّه سيّدكنّ و سيّد شباب أهل الجنّة، قد و اللّه قتل سبط رسول اللّه و ريحانته الحسين، فقلت: يا امّ المؤمنين و من أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول اللّه في المنام السّاعة شعِباً مذعوراً فسئلته عن شأنه ذلك، فقال: قتل إبني الحسين﴿عليه السلام﴾ و أهل بيته اليوم، فدفنتهم السّاعة فرغت من دفنهم.

قالت: فقمت حتّى دخلت البيت و أنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذاً بتربة الحسين الّتي أتى بها جبرئيل من كربلآء فقال: إذا صارت هذه التّربة دماً فقد قتل إينك و أعطانيها النّبيّ فقال: إجعلي هذه التّربة في زجاجة أو قال:في قارورة و لتكن عندك، فإذاً صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين، فرأيت القارورة الآن و قد صارت دماً عبيطاً تفور.

قال: فأخذت أُمّ سلمة من ذلك الدّم فلطخت به وجهها، و جعلت ذلك اليوم مأتماً و مناحة على الحسين﴿عليه السلام﴾ فجآئت الرّكبان بخبره و أنّه قتل في ذلك اليوم.

٢٨- و فيه: قال عمر و بن أبي المقدام، فحدّثني سدير، عن أبي جعفر﴿عليه السلام﴾ أنّ جبرئيل جآء إلى النّبيّ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بالتّربة الّتي يقتل عليها الحسين﴿عليه السلام﴾ قال أبو جعفر﴿عليه السلام﴾ فهي عندنا».

# ﴿الشّيعة و بكآء الملائكة و الجنّ على مصآئب الحسين بن عليّ﴿عليه السلام﴾﴾

إنّ الرّوايات الواردة في المقام لكثيرة لا يسعها مقام الإختصار فنشير إلى نبذة منها:

١- في كامل الزّيارات: بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبدالله﴿عليه السلام﴾: «هبط أربعة آلاف ملك يريدون القتال مع الحسين﴿عليه السلام﴾ فلم يؤذن لهم في القتال، فرجعوا في الإستئذان، فهبطوا و قد قتل الحسين﴿عليه السلام﴾ فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة رئيسهم ملك يقال له: منصور، فلا يزوره زآئر إلاّ استقبلوه و لا يودعه مودع إلاّ شيّعوه و لا يمرض مريض إلاّ عادوه و لا يموت إلاّ صلّوا على جنازته و استغفروا له بعد موته، و كلّ هؤلآءِ في الأرض ينتظرون قيام القآئم﴿عليه السلام﴾».

٢- و فيه: بإسناده عن إسحق بن عمّار قال: قلت لأبي عبدالله﴿عليه السلام﴾: إنّي كنت بالحآئر ليلة عرفة و كنت أُصلّي، و ثمّ نحوٌ من خمسين ألفاً من النّاس، جميلة وجوههم، طيّبة روآئحهم، و أقبلوا يصلّون اللّيلة (باللّيل خ) أجمع، فلمّا طلع الفجر سجدت، ثمّ رفعت رأسي، فلم أرمنهم أحداً؟ فقال لي أبو عبدالله﴿عليه السلام﴾: إنّه مرّ بالحسين﴿عليه السلام﴾ خمسون ألف ملك و هو يقتل، فعرجوا إلى السّمآءِ فأوحى اللّه تعالى إليهم: مررتم بابن حبيبي و هو يقتل فلم تنصروه؟ فأهبطوا إلى الأرض فأسكنوا عند قبره شُعثاً غُبْراً إلى

يوم تقوم السّاعة».

۳- و فيه: بإسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾ قال: «ما لكم لا تأتونه يعني قبر الحسين﴿عليه السلام﴾ فإنّ أربعة آلاف ملك يبكونه عند قبره إلى يوم القيامة».

٤- و فيه: بإسناده عن أبي حمزة الـثّمالي عن أبي عبد اللّه﴿عليه السلام﴾ قال: «إنّ اللّه وكّل بقبر الحسين﴿عليه السلام﴾ أربعة آلاف ملك شُعْث غُبْر يبكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشّمس، فإذا زالت الشّمس هبط أربعة آلاف ملك و صعد أربعة آلاف ملك، فلم يزل يبكونه حتّى يطلع الفجر ....» الحديث.

٥- في أُصول الكافي - كتاب الحجّة - باب أنّ الأئمّة عليهم السّلام لم يـفعلوا شيئاً... حديث ٦ بإسناده عن حريز قال: قلت لأبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾: جعلت فداك ما أقلّ بقاءكم أهل البيت و أقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة النّاس إليكم؟! فقال: إنّ لكلّ واحد منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدّته، فإذا انقضى ما فيها ممّا أُمر به عرف أنّ أجله قد حضر فأتاه النّبيّ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ينعى إليه نفسه، و أخبره بما له عند اللّه و أنّ الحسين﴿عليه السلام﴾ قرأ صحيفته الّتي أُعطيها، و فسّر له ما يأتي بنعي و بقي فيها أشيآء لم تقض، فخرج للقتال و كانت تلك الأُمور الّتي بقيت أنّ الملائكة سئلت اللّه في نصرته فأذن لها، و مكثت تستعدّ للقتال، و تتأهّب لذلك حتّى قتل، فنزلت، و قد إنقطعت مدّته، و قتل﴿عليه السلام﴾ فقالت الملآئكة: يا ربّ أذنت لنـا في الإنحـدار و أذنت لنـا في نـصرته، فانحدرنا و قد قبضته، فأوحى اللّه إليهم: أن ألزموا قبره حتّى تروه و قد خرج فانصروه و أبكوا عليه، و على مافاتكم من نصرته، فإنّكم قد خُصِصتُم بنصرته و بالبكآءِ عليه، فبكت الملآئكة تعزّياً و حزناً على مافاتهم من نصرته فإذا خرج يكونون من أنصاره».

قوله﴿عليه السلام﴾: «ينعى إليه نفسه» أي يخبره بموته. و «حتّى تروه و قد خرج» إشارة إلى رجعته﴿عليه السلام﴾ في زمن القآئم﴿عليه السلام﴾».

٦- في كامل الزّيارات - الباب السّابع و العشرون - بإسناده عن عبد الملك بن مقرن عن أبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾ قال: «إذا زرتم أبا عبداللّه﴿عليه السلام﴾ فالزموا الصّمت إلاّ من خير، و إنّ ملآئكة اللّيل و النّهار من الحفظة تحضر الملائكة الّذين بالحآئر، فتصافحهم

فلا يجيبونها من شدّة البكآءِ فينتظرونهم حتّى تزول الشّمس، و حتّى ينوّر الفجر، ثمّ يكلّمونهم و يسئلونهم عن أشيآءٍ من أمر السّمآءِ، فأمّا ما بين هذين الوقتين فإنّهم لا ينطقون و لا يفترون عن البكآء و الدّعآءِ و لا يشغلونهم في هذين الوقتين عن أصحابهم، فإنّما شغلهم بُكم إذا نطقتم.

قلت: جعلت فداك و ما الّذي يسئلونهم عنه، و أيّهم يسئل صاحبه: الحفظة أو أهل الحآئر؟ قال: أهل الحآئر يسئلون الحفظة لأنّ أهل الحآئر من الملآئكة لا يبرحون، و الحفظة تنزل و تصعد، قلت: فما ترى يسئلونهم عنه؟ قال: إنّهم يمرّون إذا عرجوا بإسمعيل صاحب الهوآءِ فربّما وافقوا النّبيّ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و عنده فاطمة الزّهرآءُ و الحسن و الحسين من مضى منهم فيسئلونهم عن أشيآءٍ و عمّن حضر منكم الحآئر و يقولون: بشّروهم بدعآئكم، فتقول الحفظة: كيف نبشّرهم و هم لا يسمعون كلامنا؟ فيقولون لهم: باركوا عليهم و ادعوا لهم عنّا فهي البشارة منّا، فإذا انصرفوا فحفّوهم بأجنحتكم حتّى يحسّوا مكانكم، و إنّا نستودعهم الّذي لا تضيع و دآئعه و لو يعلمون ما في زيارته من الخير، و يعلم ذلك النّاس لا قتتلوا على زيارته بالسّيوف، و لباعوا أموالهم في إتيانه.

و إنّ فاطمة عليها السّلام إذا نظرت إليهم، و معها ألف نبيّ و ألف صدّيق، و ألف شهيد و من الكرّوبييّن ألف ألف يسعدونها على البكآءِ، و إنّها لتشهق شهقة، فلا يبقى في السّموات ملك إلاّ بكى رحمة لصوتها، و ما تسكن حتّى يأتيها النّبيّ﴿صلى الله عليه و آله﴾ فيقول: يا بنيّة قد أبكيت أهل السّموات و شغلتهم عن التّقديس و التّسبيح، فكفّي حتّى يقدّسوا فإنّ اللّه بالغ أمره، و إنّها لتنظر إلى من حضر منكم، فتسئل اللّه لهم من كلّ خير و لا تزهدوا في إتيانه، فإنّ الخير في إتيانه أكثر من أن يُحصىٰ».

٧- و فيه: بإسناده عن صفوان الجمّال عن أبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾ قال: سئلته في طريق المدينة، و نحن نريد مكّة، فقلت: يا ابن رسول اللّه مالي أراك كئيباً حزيناً منكسراً؟ فقال: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسئلتي، قلت: فما الّذي تسمع؟ قال: إبتهال الملآئكة إلى اللّه عزّ و جلّ على قتلة أمير المؤمنين و قتلة الحسين عليهما السّلام و نوح

الجنّ و بكآء الملآئكة الّذين حوله و شدّة جزعهم، فمن يتهنّأ مع هذا بطعام أو بشراب أو نوم ..» الحديث.

۸- في أُصول الكافي - باب ما جآء في الإثنى عشر و النّصّ عليهم ﴿عليهم السلام﴾ - حديث ۱۹ - بإسناده عن كرّام قال: حلفت فيما بيني و بين نفسي ألاّ آكل طعاماً بنهار أبداً حتّى يقوم قآئم آل محمّد، فدخلت على أبي عبدالله﴿عليه السلام﴾ قال: فقلت له: رجل من شيعتكم جعل للّه عليه ألاّ يأكل طعاماً بنهار أبداً حتّى يقوم قآئم آل محمّد؟ قال: فصم إذاً يا كرّام و لا تصم العيدين و لاثلاثة التّشريق، و لا إذا كنت مسافراً و لا مريضاً، فإنّ الحسين﴿عليه السلام﴾ لمّا قتل عجّت السّموات و الأرض و من عليهما و الملائكة، فقالوا: يا ربّنا ائذن لنا في هلاك الخلق حتّى نجدّهم عن جديد الأرض بما استحلّوا حرمتك، و قتلوا صفوتك، فأوحى اللّه إليهم يا ملآئكتي و يا سماواتي و يا أرضي اسكنوا، ثمّ كشف حجاباً من الحجب، فإذاً خلفه محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾ و إثناعشر وصيّاً له عليهم السّلام و أخذ بيد فلان القآئم من بينهم، فقال: يا ملائكتي و يا سماواتي و يا أرضي بهذا أنتصر لهذا - قالها ثلاث مرّات -».

قوله﴿عليه السلام﴾: «حتّى نجدّهم» من جددت الشّيء أجدّه جدّاً: قطعته و «جديد الأرض»: وجه الأرض و «فإذاً خلفه» أى خلف الحجاب، و «أخذ» محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾ بيد فلان القآئم﴿عليه السلام﴾ «فقال» اللّه تعالى من ورآء الحجاب:

فافهم ذلك و لا تشبه و لا تجسّم كما توهّم بعض الجهلة ...

۹- قال ابن نما رحمة اللّه تعالى عليه في مثير الأحزان: ناحت عليه﴿عليه السلام﴾ الجنّ، و كان نفر من أصحاب النّبيّ﴿صلى الله عليه وآله﴾ منهم المسور بن مخرمة يستمعون النّوح و يبكون، و ذكر صاحب الذّخيرة عن عكرمة أنّه سمع ليلة قتله﴿عليه السلام﴾ بالمدينة مناد يسمعونه و لا يرون شخصه:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً    أبشروا بالعذاب و التّنكيل

كل أهل السّمآء تبكى عليكم    من نبيّ و ملاك و قبيل

قد لُعنتم على لسان ابن داود    و موسى و صاحب الإنجيل

و روى أنّ هاتفاً سمع بالبصرة ينشد ليلاً:

إنّ الرّماح الواردات صدورها نحو الحسين تقاتل التّنزيلا

و يهلّلون بأن قُتِلت و إنّما قتلوا بك التّكبير و التّهليلا

فكأنّما قتلوا أباك محمّداً صلّى عليه اللّه أو جبريلا

١٠- في كامل الزّيارات باسناده عن داود الرّقّي قال: حدّثتني جدّتي أنّ الجنّ لمّا قُتِلَ الحسين(عليه السلام) بكت عليه(عليه السلام) بهذه الأبيات:

يا عين جودي بالعبر و أبكي فقد حقّ الخبر

أبكي ابن فاطمة الّذي ورد الفرات فما صدر

الجنّ تبكي شجوها لمّا أتى منه الخبر

قتل الحسين و رهطه تعساً لذلك من خبر

فلأبكينّك حرقة عند العشآءِ و بالسّحر

و لأبكينّك ما جرى عرق و ما حمل الشّجر

١١- في مجالس الشّيخ المفيد رحمة اللّه تعالى عليه بإسناده عن المحفوظ بن المنذر قال: حدّثني شيخ من بني تميم كان يسكن الرّابية قال: سمعت أبي يقول: ما شعرنا بقتل الحسين(عليه السلام) حتّى كان مسآء ليلة عاشورآء فإنّي لجالس بالرّابية، و معي رجل من الحيّ فسمعنا هاتفاً يقول:

واللّه ما جئتكم حتّى بصرت به بالطّفّ منعفر الخدّين منحوراً

و حوله فتية تدمى نحورهم مثل المصابيح يطفون الدّجى نوراً

و قد حثثت قَلَوصي كي أُصادفهم من قبل أن تتلاقى الحُرّد الحورا

فعاقني قدرٌ و اللّه بالغه و كان أمراً قضاه اللّه مقدوراً

كان الحسين سراجاً يستضآء به اللّه يعلم أنّي لم أقل زوراً

صلّى الإله على جسم تضمّنه قبر الحسين حليف الخير مقبوراً

مجاوراً لرسول اللّه في غُرف و للوصيّ و للطيّار مسروراً

فقلنا له: من أنت يرحمك اللّه؟ قال: أنا و آلي من جنّ نصيبين أردنا مؤازرة الحسين﴿عليه السلام﴾ و مواساته بأنفسنا، فانصرفنا من الحجّ فأصبناه قتيلاً.

قوله﴿عليه السلام﴾: «الحرُّد» جمع الحارد أى الغضبان أو من حرد الرّجل: إذا تحوّل عن قومه. و فى نسخة: «الخرد» أى البكر لم تُمس أو الخَفِرة الطّويلة السّكوت الخافضة الصّوت المتستّرة.

۱۲- في كامل الزّيارات: باسناده عن عليّ بن الحَزَّوَر قال: سمعت ليلى و هي تقول: سمعت نوح الجنّ على الحسين بن عليّ عليهما السّلام و هى تقول:

يا عين جودي بالدّموع فإنّما ... يبكي الحزين بحرقة و توجّع

يا عين ألهاك الرّقاد بطيبه ... من ذكر آل محمّد و توجّع

باتت ثلاثاً بالصّعيد جسومهم ... بين الوحوش و كلّهم في مصرع

۱۳- في المناقب لابن شهر آشوب رحمة اللّه تعالى عليه: عن دعبل الخزاعيّ رضوان اللّه تعالى عليه:

هلاّ بكيت على الحسين و أهله ... هلاّ بكيت لمن بكاه محمّد

فلقد بكته في السّمآءِ ملائك ... زُهر كرام راكعون و سُجّد

لم يحفظوا حبّ النّبيّ محمّد ... إذ جرّعوه حرارة ما تبرد

قتلوا الحسين فأثلكوه بسبطه ... فالثّكل من بعد الحسين مبدّد

هذا حسين بالسّيوف مبضّع ... متخضّب بدمائه مستشهد

عار بلا ثوب صريع في الثّرى ... بين الخوافر و السّنابك يقصد

كيف القرار و في السّبايا زينب ... تدعو بفرط حرارة يا أحمد

يا جدّ إنّ الكلب يشرب آمناً ... ريّاً و نحن عن الفرات نطرّد

يا جدّ من ثكلي و طول مصيبتي ... و لما أو عاينه أقوم و أقعد

۱۴- و قالت جماعة من الجنّ في مصآئب الحسين بن عليّ عليهما السّلام:

إحمرّت الأرض من قتل الحسين كما ... احمرّ عند سقوط الجَوْنة الفَلَقُ

ياويل قاتله! ياويل قاتله ... فإنّه في سعير النّار يحترق

١٥- و قال جنّيّ في قتل سيّد الشّهدآءِ أرواحنا له الفدآءِ:

| | |
|---|---|
| أبكي ابن فاطمة الّذي | من قتله شابَ الشَّعَرُ |
| و لقتله زُلْزِلتُم | و لقتله إنكسف القَمَر |
| و احمرّ آفاق السّمآء | من العشيّة و السَّحَرُ |
| و تغيّرت شمس البلاد | له و أظلمت الكُوَرُ |
| ذاك ابن فاطمة المصاب | به الخلائق و البشر |
| أوْرَثَنا ذُلاً به جَدْ | عُ الأنوف مع الغُرَر |

٦- في اصول الكافي - كتاب الحجّة - باب مولد الحسين بن عليّ عليهما السّلام حديث ٩ - بإسناده عن مصقلة الطّحّان قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) يقول: لمّا قتل الحسين(عليه السلام) أقامت إمرأته الكلبيّة عليه مأتماً، و بكت و بكين النّسآء و الخدم حتّى جفّت دموعهنّ، و ذهبت فبينا هي كذلك إذا رأت جارية من جواريها تبكي و دموعها تسيل، فدعتها فقالت لها: مالك أنت من بيننا تسيل دموعك؟ قالت: إنّي لمّا أصابني الجهد شربت شربة سويق، قال: فأمرت بالطّعام و الأسوقة، فأكلت و شربت و أطعمت و سقت و قالت: إنّما نريد بذلك أن نتقوّي على البكآءِ على الحسين(عليه السلام) قال: و أُهدي إلى الكلبيّة جُوَناً لتستعين بها على مأتم الحسين(عليه السلام) فلمّا رأت الجُوَن قالت: ما هذه؟ قالوا: هديّة أهداها فلان لتستعيني على مأتم الحسين، فقالت: لسنا في عرس، فما نصنع بها؟ ثم أمرت بهنّ فأُخرجن من الدّار، فلمّا أُخرِجن من الدّار لم يُحَسّ لها (لهنّ خ) حسّ، كأنّما طرن بين السّمآءِ و الأرض و لم يُرلهنّ بها بعد خروجهنّ من الدّار أثر».

قوله: «الجُوَن» -كصُرد - جمع الجؤنة بالضّمّ، و هي ظرف للطّيب، و كأنّ النّسآء كنّ من الجنّ أو من الأرواح الماضيات تجسدن.

٧- في رواية عن الصّادق(عليه السلام) انّ هاتفاً ينادي بالمدينة يسمع أهلها صوته و لا يرون الشّخص و هو يقول: «اليوم نزل البلآء على هذه الأُمّة، فلا يرون فرحاً حتّى يقوم قائمكم فيشفي صدوركم و يقتل عدوّكم و ينال بالوِتْر أوتاراً».

٨- ورد أنّ هاتفاً ينادى بالمَدينة يسمع أهلها صوته و لا يرون شخصه و هو يقول:

يا مَن يقول بفضل آل محمّد ... بَلِّغْ رسالتنا بغير توان

قَتَلَتْ شِرارُ بني أُميّة سيّداً ... خير البريّة ماجداً ذا شأن

إبن المفضَّل في السّمآءِ و أرضها ... سبط النّبيّ و هادم الأوثان

بكت المشارق و المغارب بعد ما ... بكت الأنام له بكلّ لسان

## ﴿ فاطمة الزّهرآء و بكآئها على مصآئب سيّد الشهدآء ﴿عليهم السلام﴾ ﴾

في كامل الزّيارات: بإسناده عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ و أحدّثه، فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً و ضمّه و قبّله، و قال: حقّر اللّه من حقّركم، و انتقم ممّن و تركم، و خذل اللّه من خذلكم، و لعن اللّه من قتلكم، و كان اللّه لكم وليّاً و حافظاً و ناصراً، فقد طال بكآء النّسآء و بكآء الأنبيآء و الصّدّيقين و الشّهدآءِ و ملائكة السّمآء ثمّ بكى و قال: يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني مالا أملكه بما أُوتِي إلى أبيهم و إليهم، يا أبا بصير إنّ فاطمة عليها السّلام لتبكيه و تشهق، فتزفر جهنّم زفرة لو لا أنّ الخزنة يسمعون بكآئها، و قد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق، أو يشرد دخانها، فيحرق أهل الأرض، فيكبحونها (فيحفظونها خ) مادامت باكية، و يزجرونها، و يوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتّى يسكن صوت فاطمة الزّهرآء عليها السّلام.

و إنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، و ما منها قطرة إلاّ بها ملك موكّل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته، و حبس بعضها على بعض مخافة على الدّنيا و ما فيها، و من على الأرض، فلا تزال الملآئكة مشفقين يبكونه لبكآئها، و يدعون اللّه و يتضرّعون إليه، و يتضرّع أهل العرش و من حوله، و ترتفع أصوات من الملآئكة

بالتّقديس للّه مخافة على أهل الأرض، و لو أنّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض و تقطّعت (تقلّعت خ) الجبال و زلزلت الأرض بأهلها.

قلت: جُعِلت فداك إنّ هذا الأمر عظيم، قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه، ثمّ قال لي: يا أبا بصير أما تحبّ أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السّلام؟ فبكيت حين قالها، فما قدرت على المنطق و ما قدر (قدرت خ) على كلامي من البكآءِ ثمّ قام إلى المصلّىٰ يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام و ما جآءني النّوم، و أصبحت صائماً و جلاً حتّى أتيته، فلمّا رأيته قد سكن سكنت و حمدت اللّه حيث لم تنزل بي عقوبة».

قوله﴿عليه السلام﴾: «فيكبحونها» من كبحت الدّابّة: إذا جذبتها إليك باللّجام لكي تقف و لا تجري.

و في الخصال: بإسناده عن محمد بن سهل البحرانيّ يرفعه إلى أبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾ قال: «البكّائون خمسة: آدم و يعقوب و يوسف و فاطمة بنت محمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾ و عليّ بن الحسين عليهم السلام فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خدّيه أمثال الأودية، و أمّا يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره و حتّى قيل له: «تاللّه تفتؤ تذكر يوسف حتّى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين» و أمّا يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السّجن، فقالوا: إمّا أن تبكي اللّيل و تسكت بالنّهار، و إمّا أن تبكي النّهار و تسكت باللّيل، فصالحهم على واحد منهما.

و أمّا فاطمة فبكت على رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ حتّى تأذّى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، و كانت تخرج إلى المقابر، مقابر الشّهدآء فتبكي حتّى تقضي حاجتها ثمّ تنصرف، و أمّا عليّ بن الحسين عليهما السّلام فبكى على الحسين﴿عليه السلام﴾ عشرين سنة أو اربعين سنة، ما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى، حتّى قال له مولى له: إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنّما أشكو بثّي و حزني إلى اللّه و أعلم من اللّه ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني لذلك عبرة».

و في مجالس المفيد رحمة اللّه تعالى عليه (المجلس الثّامن و الثّلاثون) بإسناده عن حذلم بن ستير (بشير خ) قال: قدمت الكوفة في المحرّم سنة إحدى و ستّين عند منصرف عليّ بن الحسين﴿عليه السلام﴾ بالنّسوة من كربلآ و معهم الأجناد يحيطون بهم، و قد خرج النّاس للنّظر إليهم فلمّا أقبل بهم على الجمال بغير و طاءٍ جعل نسآء أهل الكوفة يبكين و ينتدبن، فسمعت عليّ بن الحسين﴿عليه السلام﴾ و هو يقول بصوت ضئيل، و قد نهكته العلّة، و في عنقه الجامعة و يده مغلولة إلى عنقه: ألا انّ هؤلآء النّسوة يبكين، فمن قتلنا؟ قال: و رأيت زينب بنت عليّ﴿عليهما السلام﴾ و لم أرخفرة قطّ أنطق منها كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين﴿عليه السلام﴾ قال: و قد أو مأت إلى النّاس أن اسكتوا، فارتدّت الأنفاس، و سكنت الأصوات، فقالت: «الحمدللّه و الصّلاة على أبي رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ أمّا بعد يا أهل الكوفة الختر و الخذل، فلا رقأت العبرة و لا هدأت الرّنّة.

فما مثلكم إلاّ كالّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا و هل فيكم إلاّ الصّلف النّطف و الصّدر الشّنف خوارون في اللّقآءِ عاجزون عن الأعدآءِ ناكثون للبيعة، مضيعون للذّمّة، فبئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط اللّه عليكم، و في العذاب أنتم خالدون، أتبكون أى و اللّه فابكوا كثيراً و اضحكوا قليلاً، فلقد فزتم بعارها و شنارها و لن تغسلوا دنسها عنكم أبداً، فبسليل خاتم الرّسالة، و سيّد شباب أهل الجنّة، و ملاذ خيرتكم، و مفزع نازلتكم، و امارة محجتكم، و مدرجة حجّتكم، خذلتم و له قتلتم، ألاسآء ما تزرون فتعساً و نكساً، فلقد خاب السّعي، و تربى الأيدي، و خسرت الصّفقة، و بؤتم بغضب من اللّه و ضربت عليكم الذّلّة و المسكنة.

و يلكم أتدرون أيّ كبد لمحمّد فريتم و أيّ دم له سفكتم، و أيّ كريمة له أصبتم، لقد جئتم شيئاً إذا تكاد السّموات يتفطّرن منه، و تنشقّ الأرض، و تخرّ الجبال هدّاً، و لقد أبتم بها خرماء شوهاء طلاع الأرض و السّمآء أفعجبتم أن قطرت السّمآء دماً و لعذاب الآخرة أخزى، فلا يستخفنّكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار و لا يخاف عليه فوت الثّار كلاّ إنّ ربّك لبالمرصاد».

و في المناقب لابن شهر آشوب رضوان اللّه تعالى عليه قال الرّضيّ:

كربلا لا زلت كرباً و بلا ... مالقي عندك آل المصطفى

كم على تربك لمّا صرعوا ... من دم سال و من دمع جرى

و ضيوف لفلاة قفرة ... نزلوا فيها على غير قرى

لم يذوقوا المآء حتّى اجتمعوا ... بحدى السّيف على ورد الرّدى

تكسف الشّمس شموس منهم ... لا تدانيها علوّاً وضيا

و تنوش الوحش من أجسادهم ... أرجل السّبق و أيمان النّدا

و وجوهاً كالمصابيح فمن ... قمر غاب و من نجم هوى

غيّرتهنّ اللّيالي و غدا ... جآئر الحكم عليهنّ البلى

يا رسول اللّه لو عاينتهم ... و هم ما بين قتل و سبا

من رميض يمنع الظّلّ و من ... عاطش يسقي أنابيب القنا

و مسوق عاثر يسعى به ... خلف محمول على غير وطا

جزروا جزر الأضاحي نسله ... ثمّ ساقوا أهله سوق الإما

قتلوه بعد علم منهم ... أنّه خامس أصحاب الكسا

ميّت تبكي له فاطمة ... و أبوها و عليّ ذو العلا

و له أيضاً:

شغل الدّموع عن الدّيار بكآؤها ... لبكآءِ فاطمة على أولادها

لم يخلفوها في الشّهيد و قد رأى ... دفع الفرات يذاد عن روّادها

أترى دَرَتْ أنّ الحسين طريدة ... لقنا بني الطّردآء عند ولادها

كانت مآتم بالعراق تعدّها ... امويّة بالشّام من أعيادها

ما راقبت غضب النّبيّ و قد غدا ... زرع النّبيّ مظنّة لحصادها

جعلت رسول اللّه من خصمآئها ... فلبئس ما ادّخرت ليوم معادها

نسل النّبيّ على صعاب مطيّها ... و دم الحسين على رؤس صعادها

والهفتاه لعصبة علويّة ... تبعت امّة بعد ذلّ قيادها

جعلت عران الذّلّ في آنافها ... و غلاظ و سم الضيّم في أجيادها

و اســـتأثرت بـالأمر عـن غـيّابها و قضت بما شآئت عـلى أشهـادها
طـلبت تـراث الجـاهليّة عـندها و شفت قديم الغـلّ مـن أحـقادها
يـا يـوم عـاشوراء كـم لك لوعـة تـــترقّص الأشـياء مـن إيـقادها
إن قُـوّضت تـلك القباب فـإنّها خرّت عـماد الدّيـن قـبل عـمادها
هي صـفوة اللّـه الّـتي أوحـى بهـا و قـــضى أوا مـــره إلى أمجـــادها
يـروي مـناقب فـضلها أعـداؤهـا أبـــداً فـــيسندها إلى أضـــدادهـا
يـــا فـــرقة ضـاعت دمـاء محـمّد و بـــنيه بـــين يـزيدها و زيـادها
صـــغراً بمـــال اللّـــه مـــلأ أكـفّها و أكـــفّ آل اللّـــه في أصـــفادها
ضربـــوا بســـيف محـــمّد أبـــنآئه ضرب الغرائب عدن بـعد زيـادها
يـا يـوم عـاشورآء كـم لك لوعـة تـــترقّص الأحشآء مـن إيـقادها
مـــا عـــدت إلاّ عـاد قـلبي عـلّة حـــزني و لو بـــالغت في إيـرادهـا

قوله: «بحدى السّيف» أى حداهم السّيف حتّى اجتمعوا على نوبة هلاكهم أو على ما يورد عليه من الهلاك، و «تكسف الشّمس» أى هم شموس كلّ منهم يغلب نوره نور الشّمس و يكسفها و «تنوش» من النّوش: التّناول، و «جائر الحكم» أى بلى كثير كأنّه جار في الحكم، و لعلّ مراده غير المعصوم إذ لا يتطرّق إليه البلى، مع أنّه في الشّعر قد لا يراعى تلك الامور و «شغل الدّموع» أى شغل البكآء على تلك المصيبة الدّموع عن انصبابها لذكر ديار المحبوبين و منازلهم ... على أنّ ضمير «بكآؤها» راجع إلى العيون بقرينة المقام أو شغل العيون أى عن النّظر إلى الدّيار. «لم يخلفوها» أى لم يرعوا حرمة فاطمة الزّهرآء عليها سلام اللّه في الشّهيد. و «دُفع» بالضّمّ و الفتح جمع الدَّفعة أى دفعات الفرات وانصباباتها، و الدّفاع: طحمة الموج و السّيل.

و قوله: «دَرَتْ» أى علمت فاطمة عليها السّلام، و «بني الطّرداء» أى أبنآء الّذين كانوا مطرودين ملعونين حين تلد فاطمة سلام اللّه عليها هؤلآء الأولاد، و «زرع النّبيّ» أى ولده، و «صِعادها» جمع الصَّعْدة: القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف و «عران»: عود يجعل في وترة أنف البُختيّ.

و فيه: قال الجوهري:

عاشوراء ذا ألا لهفي على الدّين   خذوا حِدادكم يا آل ياسين
اليوم شقّق جيب الدّين و انتهبت   بنات أحمد نهب الرّوم و الصّين
اليوم قام بأعلا الطفّ نادبهم   يقول: مَن ليتيم أو لمسكين
اليوم خضّب جيب المصطفى بدم   أمسى عبير نحور الحور و العين
اليوم خرّ نجوم الفخر من مضر   على مناخر تذليل و توهين
اليوم اطفىء نور اللّه متّقداً   و جزّرت لهم التّقوى على الطّين
اليوم هتّك أسباب الهدى مزقا   و برقعت عزّة الإسلام بالهون
اليوم زعزع قدس من جوانبه   و طاح بالخيل ساحات الميادين
اليوم نال بنو حرب طوائلها   ممّا صلوه ببدر ثمّ صفّين
اليوم جدّك سبط المصطفى! شرقا   من نفسه بنجيع غير مسنون

قوله: «حدادكم» بالكسر ثياب المأتم السّود، و «طاح» أى هلك و سقط، و «طوائلها» جمع طائلة و هي العداوة و الترة، و «بنجيع» النّجيع من الدّم ما كان إلى السّواد أو هو دم الجوف خاصّة، و «شرقا» فعل، و الألف للإشباع أى شرق بسبب مصيبة من هو بمنزلة نفسه بدم طريّ من الحزن، و «مسنون»: متغيّر منتسن.

و في البحار: عن دعبل الخزاعيّ قال: دخلت على سيّدى و مولاي عليّ بن موسى الرّضا﴿عليه السلام﴾ في مثل هذه الأيّام - أيّام عاشوراء - فرأيته﴿عليه السلام﴾ جالساً جلسة الحزين الكئيب، و أصحابه من حوله، فلمّا رآني مقبلاً قال لي: مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده و لسانه، ثمّ إنّه وسّع لي في مجلسه و أجلسني إلى جانبه، ثمّ قال لي: يا دعبل أُحبّ أن تنشدني شعراً فإنّ هذه الأيّام أيّام حزن كانت علينا أهل البيت، و أيّام سرور كانت على أعدآئنا خصوصاً بني أُميّة، يا دعبل مَن بكى و أبكى على مصابنا و لو واحداً كان أجره على اللّه، يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا، و بكى لما أصابنا من أعدآئنا حشره اللّه معنا في زمرتنا، يا دعبل من بكى على مصاب جدّي الحسين غفر اللّه له ذنوبه البتّة.

ثمّ إنّه ﴿عليه السلام﴾ نهض و ضرب ستراً بيننا و بين حرمه، و أجلس أهل بيته من ورآءِ السّتر ليبكوا على مصاب جدّهم الحسين ﴿عليه السلام﴾ ثمّ إلتفت إليّ، و قال لي: يا دعبل إرث الحسين فأنت ناصرنا و ما دحنا ما دمت حيّاً، فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت، قال دعبل: فاستعبرت و سالت عبرتي و أنشأت أقول:

أ فاطمة لو خلت الحسين مجدّلاً ... و قد مات عطشاناً بشطّ فرات
إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده ... و أجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومى يا ابنة الخير و اندبي ... نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان و اخرى بطيبة ... و اخرى بفخّ نالها صلواتي
قبور ببطن النّهر من جنب كربلا ... معرّسهم فيها بشطّ فرات
توافوا عطاشاً بالعراءِ فليتني ... توفّيت فيهم قبل حين وفاتي
إلى اللّه أشكو لوعة عند ذكرهم ... سقتني بكأس الثّكل و الفضعات
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمّد ... و جبريل و القرآن و السُّورات
و عدّوا عليّاً ذا المناقب و العلا ... و فاطمة الزّهراء خير بنات
و حمزة و العبّاس ذا الدّين و التّقى ... و جعفرها الطّيار في الحجبات
اولئك مشؤمون هندا و حربها ... سميّة من نوكي و من قذرات
هم منعوا الآبآء من أخذ حقّهم ... و هم تركوا الأبناء رهن شتات
سأبكيهم ما حجّ اللّه راكب ... و ما ناح قمريٌّ على الشّجرات
فياعين بكيّهم وجودي بعبرة ... فقد آن للتّسكاب و الهملات
بنات زياد في القصور مصونة ... و آل رسول اللّه منهتكات
و آل زياد في الحصون منيعة ... و آل رسول اللّه في الفلوات
ديار رسول اللّه أصبحن بلقعاً ... و آل زياد تسكن الحجرات
و آل رسول اللّه نحف جسومهم ... و آل زياد غلّظ القصرات
و آل رسول اللّه تدمي نحورهم ... و آل زياد ربّة الحجلات
و آل رسول اللّه تسبي حريمهم ... و آل زياد آمنوا السّربات

إذا وتـروا مـدّوا إلى واتـريهم أكـفّاً مـن الأوتـار منقبضات
سأبكيهم ماذرّ في الأرض شارق و نـادى منادي الخير للصّلوات
و ما طلعت شمس و حان غروبها و بـاللّيل أبكـيهم و بـالغدوات

قوله: «لوعة»: حرقة الحزن و الهوى و الوجد، و «القصرات» جمع قصرة: أصل العنق إذا غلظت.

و في **وسائل الشّيعة** -كتاب الطّهارة -أبواب الدّفن - ۸۷ - باب جواز البكآء على الميّت و المصيبة ... - عليّ بن موسى بن طاووس في كتاب (الملهوف) على قتلى الطفوف عن الصّادق﴿عليه السلام﴾: «أنّ زين العابدين بكى على أبيه أربعين سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله فإذا حضر الإفطار جآء غلامه بطعامه و شرابه، فيضعه بين يديه، فيقول: كل يا مولاى، فيقول: قُتِلَ ابن رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ جائعاً، قتل ابن رسول اللّه عطشاناً، فلا يزال يكرّر ذلك و يبكى حتّى يبلّ طعامه بدموعه، و يمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتّى لحق باللّه عزّ و جلّ».

و فيه: و عن بعض مواليه قال: خرج يوماً إلى الصّحراءِ، فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة، فوقفت و أنا أسمع شهيقه و بكآؤه و أحصيت له ألف مرّة و هو يقول: «لا إله إلاّ اللّه حقّاً حقّاً، لا إله الاّ اللّه تعبّداً ورقّاً، لا إله إلاّ اللّه إيماناً و صدقاً» ثمّ رفع رأسه من سجوده و أنّ لحيته و وجهه قد غمرا بالمآءِ من دموع عينيه، فقلت له: يا سيّدي ما آن لحزنك أن ينقضي؟ و لبكائك أن يقلّ؟ فقال لي: ويحك! إنّ يعقوب بن إسحق بن إبراهيم كان نبيّاً ابن نبيّ، و كان له إثنى عشر إبناً فغيّب اللّه واحداً منهم، فشابّ رأسه من الحزن، و احدودب ظهره من الغمّ و الهمّ، و ذهب بصره من البكآء، و ابنه حيّ في دار الدّنيا، و إنّي رأيت أبي و أخي و سبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني و يذهب بكآئي؟!».

## ﴿البغي و الجناية من السّقيفة إلى عاشوراءِ﴾

في نهج البلاغة: (- الخطبة ١٥٠ -) قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾: «حتّى إذا قبض اللّه رسوله﴿صلى الله عليه و آله﴾ رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولائج، و وصلوا غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذي أُمروا بمودّته، و نقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في موضعه، معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة و ذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكنٍ، أو مفارقٍ للدّين مباين».

و فيه: (الخطبة ١٨٨) قال الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «فو الّذي لا إله إلاّ هو إنّي لعلى جادّة الحق و إنّهم لعلى مزلّة الباطل».

و فيه: (من كلامه﴿عليه السلام﴾ ٩٧) قال الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «و اللّه لا يزالون حتّى لا يَدَعُوا للّه محرّماً إلاّ استحلّوه و لا عَقْداً إلاّ حلّوه، و حتّى لا يبقي بيت مَدَرٍ و لا وَبَرٍ إلاّ دخله ظلمهم، و نزل به عَيْثُهُمْ، و بنا به سوء رعيهم، و حتّى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكى لدينه، و باك يبكي لدنياه ...».

و فيه: (من كلامه﴿عليه السلام﴾ ٩٦) قال الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «و إنّي لعلى بيّنة من ربّي، و منهاج من نبيّي، و إنّي لعلى الطّريق الواضح ألقطه لَقْطاً، انظروا أهل بيت نبيّكم، فألزموا سمتهم و اتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، و لن يعيدوكم في رَدىً، فإن لبدوا فالبدوا، و إن نهضوا فانهضوا، و لا تسبقوهم فتضلّوا، و لا تتأخّروا عنهم فتهلكوا...».

و من البداهة: أنّ مَن تدبّر كتاب اللّه المجيد و سنّة رسوله﴿ﷺ﴾ مَن تأمّل مليّاً من دون مرض و لا غرض في تأريخ الإسلام و سيرة أهل بيت الوحى المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين، و من تفكّر فيما جرى بعد وفاة النّبيّ الكريم﴿ﷺ﴾ إلى يوم عاشوراءِ و إلى يومنا هذا من الكفر و الضّلالة، من الفساد و الغواية، من البغي و الجناية، من الظّلم و الخيانة، من الجور و الخطيئة، من الإثم و العداوة، ومن وقفة الإسلام و إنحطاط الأُمّة المسلمة ... لا يتردّد - إلاّ من كان خبيث الولادة و سوء السّريرة - أنّ منشأ ذلك كلّه هو السّقيفة السّخيفة الشّومة الملعونة، على أهلها الهوان و الهاوية، و العذاب و النّار الأبديّة، و أن كان معاوية و غوايته، و بغيه و شرارته، وكان يزيد و كفره و جوره و جنايته يوم عاشوراء من وليدات تلك السّقيفة السّخيفة، و قد أشار إليها الإمام عليّ﴿ع﴾ في كلامه، و لست الآن بصدد بيانها.

ألا يا أيّها العامّة عامّة و علمآئهم خاصّة أكان قتل سبط المصطفى و إسارة أهل بيته ... من سنّة رسول اللّه﴿ﷺ﴾ و أنتم أهلها؟! أو لم تكن قصّة عاشورآءِ و جناية بني أُميّة و خيانة بني العبّاس ... من وليدة السّقيفة السّخيفة الشّؤمة الملعونة؟ أكان يوم عاشورآء يوم عيدلكم؟ يوم سروركم، و يوم بركة لكم؟؟؟!!! أكان هذا من علامة المودّة في القربى و هي أجر الرّسالة؟

اللّهمّ إنّ هذا يوم تبرّكت به بنو اميّة و ابن آكلة الأكباد اللّعين بن اللّعين على لسانك و لسان نبيّك﴿ﷺ﴾ في كلّ موطن و موقف وقف فيه نبيّك﴿ﷺ﴾ اللّهمّ العن أبا سفيان و معاوية و يزيد بن معاوية عليهم منك اللّعنة أبد الآبدين و هذا يوم فرحت به آل زياد و آل مروان بقتلهم الحسين صلوات اللّه عليهم اللّهمّ فضاعف عليهم اللّعن منك و العذاب الأليم اللّهمّ إنّي أتقرّب إليك في هذا اليوم و في موقفي هذا و أيّام حياتي بالبرآئة منهم و اللّعنة عليهم و بالموالات لنبيّك و آل نبيّك عليه و عليهم السّلام.

اللّهمّ العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد و آل محمّد و آخر تابع له على ذلك اللّهمّ العن العصابة الّتي جاهدت الحسين و شايعت و بايعت و تابعت على قتله اللّهمّ العنهم جميعاً بعدد ما أحاط به علمك.

اللّهمّ خصّ أنت أوّل ظالم باللّعن منّي و ابدأ به أوّلاً ثمّ الثّانى و الثّالث و الرّابع اللّهمّ العن يزيد خامساً و العن عبيد اللّه بن زياد و ابن مرجانة و عمر بن سعد و شمراً و آل أبي سفيان و آل زياد و آل مروان إلى يوم القيامة.

و لعمري! لو أنّ اللّه سبحانه غفر لأهل السّقيفة السّخيفة الشّـومة المـلعونة و أذنابها ... لو غفر اللّه سبحانه لظالمي آل اللّه و أهل بيت وحيه ... لو غفر اللّه سبحانه لغاصبي حقوق العترة الطّاهرة ... لو غفر اللّه سبحانه لقتلة سبط المصطفى﴿صلى الله عليه و آله﴾ ... لو غفر اللّه سبحانه لهتّاكي حرمات اللّه جلّ و علا و رسوله﴿صلى الله عليه و آله﴾ ... - نحـن الشّـيعة الإماميّة الإثنى عشريّة نلعن أصحاب السّقيفة و من إليهم في كل ظرف لعناً و بيلاً بعدد ما أحاط به علم اللّه تعالى - لغفر اللّه تعالى لنا لا محالة. اللّهمّ العن من لم يلعنهم.

و لعمري أُشهِدُ باللّه جلّ و علا: أنّ من أهمّ ما كان هو الموجب لوقفة الإسلام و انحطاط المسلمين و فرقتهم أنّنا حفظنا حرمة من هتك حرمة اللّه عزّ و جلّ، و حرمة كتابه باسم كتابه، و حرمة رسوله﴿صلى الله عليه و آله﴾ باسم سنّته، و حرمة أهل بيته باسم الخلافة، و حرمة كلّ ذي حرمة، فمن لم يهتك حرمة من هتك حرمة اللّـه جـلّ و عـلا و حـرمة رسوله﴿صلى الله عليه و آله﴾ ... هتك اللّه تعالى حرمته في الدّنيا و الآخرة، و لن يحفظ حرمة هؤلآءِ الهتّاكين إلاّ مَن كان خبيث الولادة، و مَن له سوء السّريرة ...

أكان أصحاب السّقيفة السّخيفة و أصحاب يزيد بن معاوية عـليهم اللّـعنة و الهاوية على سنّة آل فرعون كما قال الإمام عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ و هم الّذين كـانوا يذبّحون أبنآءِ بني إسرائيل و يقتّلونهم و يستحيون نسآءهم و يسومونهم سوء العذاب أم كانوا على سنّة رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾؟ أهذه سنّة رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ و أنـتم أيّهـا العـامّة أهلها؟! و على هذه السّنّة و أهلها لعنة اللّه جلّ و علا.

فقس أيّها القارىء الكريم بين ما فعل آل فرعون ببني إسرائيل و موسى﴿عليه السلام﴾ و ما فعل أصحاب السّقيفة و بنو أُميّة بأهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عـليهم أجمعين من إحراق بيت الوحى و إسقاط جنين بضعة المصطفى و شهادتها إلى رأس سبط المصطفى﴿صلى الله عليه و آله﴾ بمجلس يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عليهم لعائن اللّه و النّيران ... ثمّ

اقض ما أنت قاضٍ؟

و قِس بين ما كان فرعون طاغي مصر يقول: «أنا ربّكم الأعلى» النّازعات: ٢٦) و يقول: «ما علمت لكم من إله غيري» القصص: ٣٨) ثمّ يأمر جنوده أن يذبّحوا أبنآء بني إسرائيل و يستحيوا نسآءهم و يسومونهم سوء العذاب ... و بين ما كان عمر بن الخطّاب يدّعي أنّه أسلم و أنّه من صحابة رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) ثمّ يهتك حرمته، و يتخلّف عن أوامره منها في إمارة أُسامة، و في أمر الوصيّة، و يقول له(صلى الله عليه وآله): «إنّ هذا الرّجل ليهجر» ثمّ أسقط خُمس أهل بيته(صلى الله عليه وآله) و إرثهم بعد وفاته قبل دفنه، و غصب حقّ عليّ بن أبيطالب(عليه السلام) و فدكاً عن فاطمة الزّهرآء سلام اللّه عليها، و أحرق بيت الوحي و ضرب بضعة رسول اللّه فاطمة الزّهراء عليها السّلام و أسقط جنينها حتّى شهدت ... و غيرها من جناياته و حليفه أبي بكر ابن أبي قحافة و أذنابهما ... حتّى انتهت إلى جنايات يزيد بن معاوية و أُجرآئه بكربلا و هم يدّعون أنّهم مسلمون و يصلّون و يقولون في صلواتهم - في التّشهّد - و غيرها: اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد، ثمّ يذبّحون أبنآئه و يستحيون نسآئه و يهتكون حرماته و يسومونهم سوء العذاب.

## ﴿ عاشورآء و محنها إجمالاً ﴾

و لعمري أنّ محن عاشوراء و مصآئبها لكانت أكثر و أكثر مما ورد فى الكتب التأريخيّة لا يسعنا بذكر واحدة من مئاتها فضلاً عن جميعها و نحن على جناح الإختصار، فنشير إلى نبذة ما ورد عن الفريقين إجمالاً: و ذلك أنّ سبط المصطفى سيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن عليّ عليهم صلوات اللّه لمّا قُتِلَ بكربلاء يوم عاشورآء بأمر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عليهم الهاوية و النّيران مال أُجراء يزيد على ثقل سيّد الشّهدآء﴿عليه السلام﴾ و متاعه، و انتهبوا ما في خيامه، و أضرموا النّار فيها، و تسابقوا على سلب حرآئر رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ ففررن بنات فاطمة الزّهراء سلام اللّه عليها حواسر مسلبات باكيات، و إنّ المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها، و خاتمها من اصبعها، و قرطها من اذنها، و الخلخال من رجلها، و أخذ رجل قرطين لأُمّ كلثوم، و خرم أُذنها، و جآء آخر إلى فاطمة ابنة الحسين بن عليّ﴿عليه السلام﴾ فانتزع خلخالها و هو يبكي، قالت له: مالك؟ فقال: كيف لا أبكي و أنا أسلب إبنة رسول اللّه؟ قالت له: دعني، قال: أخاف أن يأخذه غيري.

و رأت رجلاً يسوق النّسآء بكعب رمحه و هنّ يلذن بعضهن ببعض، و قد أخذ ما عليهنّ من أخمرة و أسورة، و لمّـا بصربها قصدها، ففرّت منه، فاتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشيّاً عليها، و لمّا أفاقت رأت عمّتها أُمّ كلثوم عند رأسها تبكي، و نظرت إمرأة من آل بكر بن وآئل كانت مع زوجها إلى بنات رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ بهذا الحال، فصاحت:

يا آل بكربن وائل أتسلب بنات رسول اللّه لا حكم إلاّ للّه، ياالثارات رسول اللّه فردّها زوجها إلى رحله، و انتهى القوم إلى عليّ بن الحسين عليهما السّلام و هو عليل على فراشه لا يستطيع النّهوض، فقائل يقول: لا تدعوا منهم صغيراً و لا كبيراً، و آخر يقول: لا تعجلوا حتّى نستشير الأمير عمر بن سعد، و جرّد الشّمر سيفه يريد قتله، فقال له حميد بن مسلم: يا سبحان اللّه! أتقتل الصّبيان؟! إنّما هو صبيّ مريض، فقال: إنّ ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين بن عليّ(عليه السلام) و بالغ ابن سعد في منعه خصوصاً لمّا سمع العقيلة زينب ابنة أمير المؤمنين تقول: لا يقتل حتّى أُقتل دونه فكفّوا عنه

كانت عيادته منهم سياطهم و في كعوب القنا قالوا البقاء لكا
جرّوه فانتهبوا النّطع المعدّله و أوطؤا جسمه السّعدان و الحسكا

و أقبل عمر بن سعد إلى النّسآءِ فلمّا رأينه بكين في وجهه، فمنع القوم عنهنّ و قد أخذوا ما عليهنّ و لم يردوا شيئاً، فوكل جماعة بحفظهنّ و عاد إلى خيمته.

فما الفرق بين عمرين: عمر بن الخطاب أمير السّقيفة، و عمر بن سعد أمير عاشوراء! إذ لم يرحم عمربن الخطاب لبضعة المصطفى فاطمة الزّهرآء سلام اللّه عليها إذ أهجم دارها و أحرق بيتها و أسقط جنينها، و ضربها ضربة أُوجب لشهادتها ... و قد قال عمر بن الخطاب: أُحرق بيت الوحي و إن كان فيه أهل بيته؟ و قد ترحّم عمر بن سعد للنّسآءِ ... أوّلاً ثمّ أمر فأخرجوا النّسآء من الخيمة و أشعلوا فيها النّار، فخرجن حواسر مسلّبات حافيات باكيات، يمشين سبايا في أسر الذّلّة، و قلن بحقّ اللّه إلاّ ما مررتم بنا على مصرع الحسين، فلمّا نظرت النّسوة إلى القتلى، صحن و ضربن وجوههنّ، و زينب بنت عليّ(عليه السلام) تندب الحسين و تنادي بصوت حزين و قلب كئيب:

وا محمّداه صلّى عليك مليك السّمآء، هذا حسين مرمّل بالدّمآءِ، و مقطّع الأعضآء، و بناتك سبايا، إلى اللّه المشتكى، و إلى محمّد المصطفى، و إلى عليّ المرتضى، و إلى حمزة سيّد الشّهداء، وامحمّداه هذا حسين بالعرآءِ، يسفي عليه الصّبا، قتيل أولاد البغايا يا حزناه يا كرباه، اليوم مات جدّي رسول اللّه، يا أصحاب محمّداه، هؤلآء ذرّيّة المصطفى يساقون سوق السّبايا ...

فأبكت واللّه كلّ عدوّ و صديق، ثمّ إنّ سكينة اعتنقت جسد الحسين﴿عليه السلام﴾ فاجتمع عدّة من الأعراب حتّى جرّوها.

ثمّ نادى عمر ابن سعد في أصحابه: ألا من ينتدب إلى الحسين فيوطىء الخيل صدره و ظهره، فقام عشرة منهم: إسحق بن حُويّة الّذي سلب الحسين﴿عليه السلام﴾ قميصه، و أخنس بن مرثد، و حُكيم بن الطّفيل السّنبسيّ، و عمر و بن صُبيح الصّيداوى، و رجاء بن منقذ العبديّ، و سالم بن خيثمة الجعفى، و واحظ بن ناعم، و صالح بن وهب الجعفيّ، و هانيء بن ثُبيت الحضرمي، و أُسيد بن مالك، فداسوا بحوافر خيولهم جسد ريحانة الرّسول﴿صلى الله عليه و آله﴾ حتّى رضّوا ظهره و صدره، ثمّ أقبل هؤلآء العشرة حتّى وقفوا على ابن زياد يقدمهم أُسيد بن مالك يرتجز:

نحن رضضنا الصّدر بعد الظّهر ... بكلّ يعبوب شديد الأسر

حتّى عصينا اللّه ربّ الأمر ... بصنعنا مع الحسين الطّهر

فقال ابن زياد: من أنتم؟ فقالوا: نحن الّذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتّى طحنّا جناجن صدره، فأمر لهم بجائزة يسيرة.

و أيّ شهيد أصلت الشّمس جسمه ... و مشهدها من أصله متولّد

و أيّ ذبيح داست الخيل صدره ... و فرسانها من ذكره تتجمّد

ألم تك تدري أنّ روح محمّد ... كقرانه في سبطه متجسّد

فلو علمت تلك الخيول كأهلها ... بأنّ الّذي تحت السّنابك أحمد

لثارت على فرسانها و تمرّدت ... كما أنّهم ثاروا بها و تمرّدوا

في الآثار الباقية لأبي ريحان البيرونيّ (ص ٣٢٩ ط ليدن) قال: «لقد فعلوا بالحسين ما لم يفعل في جميع الأُمم بأشرار الخلق من القتل بالسّيف و الرّمح و الحجارة و إجراء الخيول».

و في كتاب التّعجّب (ص ٤٦) ملحق بكنز الفوائد للكراجكي مالفظه: «و قد وصل بعض هذه الخيول إلى مصر، فقلعت نعالها، و سمرت على أبواب الدّور تبرّكاً، و جرت بذلك السّنّة عندهم، فصار أكثرهم يعمل نظيرها، و يعلق على أبواب الدّور».

فليت أكفاً حاربتك تقطّعت و أرجل بغي جاولتك جذام
و خيلاً غدت تردي عليك جواريا عقرن فلا يلوي لهنّ لجام
و رضت قراك الخيل من بعد ما غدت اولوا الخيل صرعى منك فهي رمام
أصبت فلا يوم المسرات نيّر و لا قمر في ليلهنّ تمام

و أمر عمر بن سعد بالرّؤوس فقطعت، و اقتسمتها القبآئل لتتقرّب إلى ابن زياد فجآئت كندة بثلاثة عشر، و صاحبهم قيس بن الأشعث، و جآئت هوازن بإثنى عشر و صاحبهم شمر بن ذي الجوشن، و جآئت تميم بسبعة عشر و بنوا أسد بستّة عشر و مذحج بسبعة، و جآء آخرون بباقي الرّؤوس، كان معهم عروة بن قيس، و منعت عشيرة الحرّ الرّياحي من قطع رأسه و رضّ جسده.

و سرح عمر بن سعد في اليوم العاشر رأس الحسين مع خولي بن يزيد الأصبحي و حميد بن مسلم الأزدي، و سرح رؤوس أهل بيته و صحبه مع الشّمر و قيس بن الأشعث و عمرو بن الحجّاج. و كان منزل خولي على فرسخ من الكوفة، فأخفى الرّأس عن زوجته الأنصارية لما يعهده من موالاتها لأهل البيت عليهم السّلام إلاّ أنّها لما رأت من التنّور نوراً راعها ذلك إذ لم تعهد فيه شيئاً، فلمّا قربت منه سمعت أصوات نسآءٍ يندبن الحسين بن عليّ«عليه السلام» بأشجى ندبة، فحدثت زوجها و خرجت باكية، و لم تكتحل و لم تتطيّب حزناً على الحسين«عليه السلام» و كان إسمها العيوف.

و في البداية و النّهاية (ج ۸ ص ۱۹۰) لابن كثير الدّمشقيّ: «إنّ زوجته رأت النّور يسطع من تحت الاجانة إلى السّمآءِ و طيوراً بيضاء ترفرف حولها، و إنّ زوجته الأخرى نوار بنت مالك قالت له: أتيت برأس ابن رسول اللّه«صلى الله عليه و آله» لا يجمعني و إيّاك فراش أبداً ثمّ فارقته».

و عند الصّباح غدا الشّمر برأس الحسين«عليه السلام» إلى قصر الإمارة ليتقرّب عند إبن زياد، و قد رجع ابن زياد في ليلته من معسكره بالنّخيلة، فوضع الشّمر رأس الحسين«عليه السلام» بين يدى ابن زياد و هو يقول:

إمــلأ ركـابي فـضّة أو ذهـباً إنّي قــتلت السّـيّد المحــجّبا
و خيرهم من يذكرون النّسبا قتلتُ خـير النّـاس أمّاً و أبـا
و مَن يصلّي القبلتين في الصّبا

فسآء ابن زياد قوله أمام الجمع، فقال له: إذا علمت أنّه كذلك فَلِمَ قتلته؟ و اللّه لانِلت منّي شيئاً.

و في تاريخ إبن عساكر (ج ٤ ص ٣٣٩) و في (الصّواعق المحرقة: ص ١١٦) و (مجمع الزّوائد: ج ٩ ص ١٩٦) و (الخصآئص الكبرى: ج ٢ ص ١٢٥) و (تاريخ الخلفآء: ص ١٣٨) و (العقد الفريد: ج ٢ ص ٣١٥) و (كامل ابن الأثير: ج ٤ ص ١٠٣) و (مقتل الحسين: ج ٢ ص ٤٥ و ٩٠ للخوارزميّ) و (مقتل الحسين و الكواكب الدّرّية: ج ١ ص ٥٦) و في (المنتخب ص ٣٣٨) للطّريحيّ: و (شرح قصيدة أبي فراس: ص ١٤٩): «لـمّا دخل الرّأس المقدّس إلى قصر الإمارة سالت الحيطان دماً، و خرجت نار مـن بـعض جدران قصر الإمارة، و قصدت (عبيد اللّه بن زياد) فقال لمن حضر عنده: اكتمه، و ولى هارباً منها، فتكلّم الرّأس الشّريف بصوت جهوريّ: إلى أين تهرب يا ملعون، فـإن لم تنلك في الدّنيا فهي في الآخرة مثواك، و لم يسكت الرّأس حتّى ذهبت النّار فأدهش من في القصر.

و في كامل ابن الأثير (ج ٦ ص ٣٧) و (الكواكب الدّرّيـة: ج ١ ص ٥٦) و (تذكرة الخواص: ص ١٥٥): «و مكث النّاس شهرين أو ثلاثة يرون الجدران ملطّخة بالدّم ساعة تطلع الشّمس و عند غروبها».

فيا عجبا! و لقد كان رأس سبط المصطفى الحسين بن عليّ عليهم صلوات اللّه في اللّيلة الحادية عشر من عاشوراء في تنّور خولي، ترى زوجته منه نوراً ساطعاً، و قـد مرّت هذه اللّيلة على بنات رسول اللّه«صلى الله عليه و آله» مظلمة إذ بقين فيها في حلك دامس من فقد هذا النّور السّاطع، بين رحل منتهب و خباء محترق و فرق سائد، و حماة صرعى، و لا محامي لهنّ و لا كفيل لا يدرين من يدفع عنهنّ إذا دهمن داهم، و من الّذي يردّ عادية المرحفين، و من يسكن فورة الفاقدات، و يخفض من وجدهنّ.

و قد كان بينهنّ صراخ الصّبيّة و أنين الفتيات، و نشيج الولهي، فأمّ طفل فطمته السّهام، و شقيقة مستشهد، و فاقدة ولد، و باكية على حميم، و إلى جنبهنّ أسلاء مبضّعة و أعضاء مقطّعة، و نحور دامية، و هنّ في فلاة من الأرض جردآء، و على مطلع الاكمة جحفل الغدر تهزهم نشوة الفتح و طيش الظّفر و لؤم الغلبة، و على هذا كلّه لا يدرين بماذا يندلع لسان الصّباح، و بماذا ترتفع عقيرة المنادي، أبالقتل أم بالأسر و لا يدفع عنهنّ غير الإمام العليل و هو على خطر من القتل.

و لقد عمّ الإستياه في هذه اللّيلة عالم الملك و الملكوت، و للحور في غرف الجنان صراخ و عويل، و للملائكة بين أطباق السّموات نشيج و نحيب، و ندبته الجنّ في مكانها، و تصايحت الوحوش في الفلوات و الحيتان في البحار و الطّير في جوّ السّمآءِ و بكاء ما يرى و ما لا يرى إلاّ آل السّقيفة السّخيفة الشّؤمة الملعونة، فأظهر من دان بولايتها، و انضوى إلى رايتها الفرح بقتل سبط المصطفى ﴿صلى الله عليه و آله﴾.

في التّهذيب للطوسيّ رضوان اللّه تعالى عليه (ج ۱ ص ۱۹۲ - في فضل المساجد) عن الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾: «جددت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً بقتل الحسين ﴿عليه السلام﴾: مسجد الأشعث، و مسجد جرير، و مسجد سماك و مسجد شبث بن ربعي».

و في شرح إبن أبي الحديد: «و نذرت نسآء بني اود أن تنحر كلّ واحدة منهنّ عشرة من الابل إن قتل الحسين ﴿عليه السلام﴾ و قد وفين بذلك».

و في مروج الذّهب - في أخبار الحجاج - و في (فرحة الغري: ص ۱۱۳) للسّيّد عبدالكريم بن طاووس: «و يحدث هشام بن السّائب الكلبي عن أبيه أنّه قال: أدركت بني اودوهم يعلّمون أبنآءهم و خدمهم سبّ عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ و قد دخل رجل منهم يقال له: عبد اللّه بن إدريس بن هاني على الحجّاج الثّقفيّ، و كلّمه بكلام أغلظ له الحجاج في الجواب فقال: لا تقل هذا يا أمير فلا لقريش منقبة و لا لثقيف منقبة يعتدون بها إلاّ و نحن نعتد بمثلها، قال الحجّاج: و ما مناقبكم؟ قال: «ما ينقص عثمان» و لا يذكر بسوء في نادينا قطّ و لا رؤى خارجيّ منّا قطّ و لم يشاهد أحد منّا مع «أبي تراب» في

مشاهده إلاّ رجل واحد، فأسقط ذكره عندنا، فلا قدر له عندنا و لا قيمة، و لم يتزوّج أحد منّا إمرأة إلاّ و يسئل عن حبّها لأبي تراب أو انّها تذكره بخير.

فإن قيل له تفعل ذلك اجتنبها، و لم يتزوّجها، و لم يولد لنا ذكر وسمّيناه عليّاً أو حسناً أو حسيناً، و لا ولدت لنا جارية و سمّيناها فاطمة، و نذرت إمرأة منّا حين أقبل الحسين﴿عليه السلام﴾ إلى العراق إن قتل تنحر عشرة من الابل، فلمّا قتل وفت بنذرها، و قال لنا عبدالملك: يا بني اود أنتم الشّعار دون الدّثار، و أنتم الأنصار بعد الأنصار و ليس في الكوفة ملاحة إلاّ ملاحة بني إود، فضحك الحجّاج، ثمّ دعى هذا الرّجل إلى البرآءة من عليّ، قال: و أزيدكم حسناً و حسيناً.

و لعلّ هذا الرّجل من بني اود الموالى لأمير المؤمنين﴿عليه السلام﴾ هو عافية ابن شدّاد بن نمامة بن سلمة بن كعب ابن اود بن صعب بن سعد العشيرة، فإنّ ابن حزم ذكر في (جمهرة أنساب العرب: ص ٣٨٦) أنّه كان مع عليّ﴿عليه السلام﴾ يوم صفين. ثمّ نقل عن المسعودي أنّه قال: طفت البلاد، و لقيت النّاس، فما لقيت إوديّاً إلاّ متعصّباً لبني اميّة مائلاً عن عليّ﴿عليه السلام﴾.

و في شرح الحديد: «بني عبيد اللّه بن زياد بالبصرة أربعة مساجد تقوم على بغض عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾.

ليس هذا لرسول اللّه يا امّة الطّغيان و البغي جزا
لو رسول اللّه يحيي بعده قعد اليوم عليه للعزا

و لأجل بقآء سيّد الشّهدآء﴿عليه السلام﴾ عار على وجه الصّعيد ثلاثاً و هو علّة الكائنات لإشتقاقه من نور رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ الّذي هو علّة العلل المتفرّع من الشّعاع الإلهيّ الأقدس أظلمت الدّنيا ثلاثة أيام، و اسودّت سواداً عظيماً حتّى ظنّ النّاس أنّ القيامة قد قامت، و بدت الكواكب نصف النّهار و أخذ بعضها يضرب بعضاً، و لم يرنور الشّمس و دامت الدّنيا على هذا ثلاثة أيّام ... على ماورد عن الفريقين أشرنا إليه آنفاً.

و لا غرابة في اضمحلال نور الشّمس في المدّة الّتي كان فيها سيّد شباب أهل الجنّة عار على وجه الصّعيد فإنّه كان علة في مجرى الكون و نواميس الوجود لما عرفت من

إشتقاقه من الحقيقة المحمّدية الّتي هى علّة العلل و العقل الأوّل حتّى قال﴿ﷺ﴾ فيه: «حسين منّي و أنا من حسين» و حديث عرض الولاية على الكائنات فمن قبل عمّت فائدته، و من أبى عرى عن الفآئدة يؤكّد ذلك.

و إذا صحّ الحديث بتغيّر الكون لأجل إبراز عظم نبيّ من الأنبيآءِ حتّى غامت السّمآء و مطرت حين استق به أحد علمآءِ النّصارى في سرّ من رأى مع أنّه لم يكشف عن جسد ذلك النّبيّ و لا كانت أعضآئه مقطعة، فإذاً كيف لا يتغيّر الكون و لا يمحي نور الشّمس و القمر و قد ترك سيّد شباب أهل الجنّة على وجه الصّعيد مجرّداً و مثلوا بذلك الهيكل القدسيّ كلّ مثلة؟

بلىٰ: و لقد تغيّرت أوضاع الموجودات واختلفت الكآئنات فبكته الوحوش و الحيتان ... و جرت دموعها رحمة له، إذ حضر رسول اللّه﴿ﷺ﴾ المعركة و شاهد اولئك الجمع المتألب على استئصال أهله من جديد الأرض، و بمرأى منه عويل الأيامى، و نشيج الفاقدات و صراخ الصّبيّة من الظّمأ، و قد سمع العسكر صوتاً هائلاً يقول: و يلكم يا أهل الكوفة إنّي أرى رسول اللّه﴿ﷺ﴾ ينظر إلى جمعكم مرّة و إلى السّمآءِ اخرى و هو قابض على لحيته المقدّسة، لكن الهوى و الضّلال المستحكم في نفوس ذلك الجمع المغمور بالإجماع أوحى إليهم: «إنّه صوت مجنون».

فصاح الجمع لا يهولنكم ذلك، و كان أبو عبد اللّه الصّادق﴿ع﴾ يقول: لا أراه إلاّ جبرئيل.

و صاح بعض الملآئكة: ألا أيّتها الامّة المتحيّرة الضّالّة بعد نبيّها لا وفّقكم اللّه لأضحى و لا فطر حتّى يقوم ثائر الحسين﴿ع﴾. و من قصيدة الفاضل الشيخ محمّد تقي الجواهري:

و هب دم يحيى قد غلا قبل في الثّرى ... فإنّ حسيناً في القلوب غلا دمه
و إن قرّ قد ما مذدعا بخت نصر ... بشارات يحيى و استردت مظالمه
فليست دمآء السّبط تهدأ قبل أن ... يقوم بإذن اللّه للثّأر قآئمه

و في كشكول الشّيخ البهآئي رحمة اللّه تعالى عليه أنّه حكى أنّ أباه الشّيخ

حسين بن عبد الصّمد الحارثي دخل مسجد الكوفة فوجد فصّ عقيق مكتوب عليه:

أنـا دُرٌّ مـن السّـمآء نـثروني يـوم تـزويج والد السّـبطين

كنت أصفى من اللّجين بياضاً صـبغتني دمـاء نحـر الحسـين

نعم! و لعمري بحق أقول: إنّ غآئلة كربلاء، وليدة السّقيفة السّخيفة الشّؤمة الملعونة إذ اشتعلت نارها، فأحرق بها عمر بن الخطاب بيت الوحى و الرّسالة في المدينة، و أحرق بها عمر بن سعد، خيام سبط المصطفى﴿صلى الله عليه وآله﴾ بكربلاء ولو لم يقتل عـمر بـن الخطّاب، محسن بن على﴿عليه السلام﴾ جنيناً لَمّا قُتِلَ عليّ الأصغر إبن الحسين﴿عليه السلام﴾ رضيعاً بكربلاء.

و لو لم يبطش عمر بن الخطاب وجه الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء عليها سلام اللّه لما صكّ ابن زياد وجه ابنة سيّد الشّهدآء﴿عليه السلام﴾ بكربلاء.

و لو لم ...

بل لو لم يهتك عمر بن الخطاب حرمة رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ فى أمر الوصاية آخر حياته لما هتك إبن سعد حرمة أهل بيته﴿صلى الله عليه وآله﴾ بكربلاء.

و لو لم ...

فكان عمر بن الخطّاب اسوة سيّئة لأهل البغي و الشّرارة، و أهل الكفر و الضّلالة و لأهل الظّلم و الجناية في بغيهم و شرارتهم، في كـفرهم و ضـلالتهم و في ظـلمهم و جنايتهم ...

## «رأس سبط المصطفى «ﷺ» في مجلس إبن زياد»

واخجلة الإسلام من أضداده ظفروا له بمعايب و معاير
رأس ابن بنت محمّد و وصيّه تهدى جهاراً للشّقيّ الفاجر

لمّا سيّر عمر بن سعد رؤوس شهدآء كربلاء إلى الكوفة لابن زياد، أقام مع الجيش إلى الزّوال من اليوم الحادي عشر، فجمع قتلاه و صلّى عليهم و دفنهم و ترك سيّد شباب أهل الجنّة و ريحانة الرّسول الأكرم«ﷺ» و من معه من أهل بيته و صحبه بلا غسل و لاكفن و لا دفن تسفي عليهم الصّبا و يزورهم وحش الفلا، و بعد الزّوال إرتحل إلى الكوفة و معه نساء الحسين بن عليّ عليهما السّلام و صبيّته و جواريه و عيالات الأصحاب و كنّ عشرين إمرأة، و سيّرو هنّ على أقتاب الجمال بغير و طاء كما يساق سبي التّرك و الرّوم و كابل و هنّ و دائع خير الأنبياء و سيّد المرسلين، و معهنّ السّجّاد عليّ بن الحسين و عمره ثلاث و عشرون سنة و هو على بعير ظالع بغير وطاء، و قد أنهكته العلّة و معه ولده الباقر و له سنتان و شهور ...

فقالت النّسآء: باللّه عليكم ألا مامررتم بنا على القتلى، و لمّا نظرن إليهم مقطعين الأوصال قد طعمتهم سمر الرّماح و نهلت من دمائهم بيض الصّفاح، و طحنتهم الخيل بسنابكها صحن و لطمن الوجوه و صاحت زينب الكبرى سلام اللّه عليها: يا محمّداه هذا حسين بالعراءِ مرمّل بالدّماءِ مقطع الأعضاء، و بناتك سبايا، و ذرّيّتك مقتلة، فأبكت كلّ عدوّ و صديق حتّى جرت دموع الخيل على حوافرها ...

ثمّ بسطت يديها تحت بدنه المقدّس و رفعته نحو السّمآءِ و قالت: إلهي تقبل منّا هذا القربان، و هذا الموقف يدلّنا على تبوئها عرش الجلالة، و قد أخذ عليها العهد و الميثاق بتلك النّهضة المقدّسة كأخيها الحسين﴿؏﴾ و إن كان التّفاوت بينهما محفوظاً، فلمّا خرج الحسين﴿؏﴾ عن العهدة بإزهاق نفسه القدسيّة نهضت العقيلة زينب الكبرى عليها سلام اللّه بما وجب عليها و منه تقديم الذّبيح إلى ساحة الجلال الرّبوبيّ و التّعريف به ثمّ طفقت سلام اللّه عليها ببقيّة الشّؤن و لا إستبعاد في ذلك بعد وحدة النّور و تفرّد العنصر

و تشاطرت هي و الحسين بدعوة حتم القضآء عليهما أن يندبا
هذا بمشتبك النّصول و هذه في حيث معترك المكاره في السّبا

و اعتنقت سكينة جسد أبيها سبط المصطفى الحسين﴿؏﴾ فكانت تحدّث أنّها سمعته يقول:

شيعتي ما إن شربتم عذب مآء فاذكروني
أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني

و لم يستطع أحد أن ينحيها عنه حتّى اجتمع عليها عدّة و جرّوها بالقهر.

و أما عليّ بن الحسين سلام اللّه عليهما فإنّه لمّا نظر إلى أهله الشّهداء مجزّرين، و بينهم سبط المصطفى، و مهجة الزّهراء و قرّة عين المرتضى عليهم صلوات اللّه بحالة تنفطر لها السّموات و تنشقّ الأرض، و تخرّ الجبال هدّاً عظم ذلك عليه، و اشتدّ قلقه، فلمّا تبيّنت ذلك منه زينب الكبرى سلام اللّه عليها أهمّها أمر الإمام﴿؏﴾ فأخذت تسلّيه و تصبره و هو الّذي لا توازن الجبال بصبره و فيما قالت له:

«مالي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي و أبي و إخوتي، فواللّه إنّ هذا العهد من اللّه إلى جدّك و أبيك، و لقد أخذ اللّه ميثاق أُناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، و هم معروفون في أهل السّموات أنّهم يجمعون هذه الأعضآء المقطّعة، و الجسوم المضرجة فيوارونها، و ينصبون بهذا الطّفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشّهدآء لا يدرس أثره و لا يمحى رسمه على كرور اللّيالي و الأيّام و ليجتهدنّ أئمّة الكفر و أشياع الضّلال في محوه و تطميسه

فلا يزداد أثره إلاّ علوّاً».

و أتا هنّ زجر بن قيس و صاح بهنّ، فلم يقمن، فأخذ يضربهنّ بالسّوط و اجتمع عليهنّ النّاس حتّى اركبوا هنّ على الجمال، و ركبت عقيلة آل محمّد(صلى الله عليه و آله) زينب الكبرى سلام اللّه عليها ناقتها، فتذكرت ذلك العزّ الشّامخ و الحرم المنيع الّذي تحوّطه اللّيوث الضّواري و الاباة من آل عبدالمطّلب، و تحفه السّيوف المرهفة و الرّماح المثقفة، و الاملاك تخدمها فيه، فلا يدخلون إلاّ مستأذنين:

فلا مثل عزّ كان في الصّبح عزّها | و لا مثل حال كان في العصر حالها
إلى أين مسراها؟ و أين مصيرها؟ | و من هو ماواها؟ و من ذاماآلها؟
و من ذا ثمال الظّعن إن هي سيّرت | يضيق في أنّ ابن سعد ثمالها
على أيّ كتف تتّكي حين ركبت | و جمالها زجر و شمس جمالها
أمحمد ضوء البيت عن شخص زينب | لكيلا يرى في اللّيل حتّى خيالها
تمنّيت يوم الطّفّ عينك أبصرت | بناتك حين ابتز منها حجالها
قروماً تراها جزراً و أراملا | تحن كنيب فارقتها فصالها
له اللّه من ثكل و قدمات بغتة | لهدى بعض يوم عزّها و رجالها
و ما هان ثكل عندها غير أنّه | امض مصاباً هتكها و ابتذالها
و امسين في أمر يهدّد غبّه | تقف إهاباً حين يطريه بالها

و لمّا أدخل بنات أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب(عليه السلام) إلى الكوفة إجتمع أهلها للنّظر إليهنّ فصاحت أُمّ كلثوم! يا أهل الكوفة أما تستحون من اللّه و رسوله أن تنظروا إلى حرم النّبيّ(صلى الله عليه و آله) و أشرفت عليهنّ إمرأة من الكوفيّات و رأتهنّ على تلك الحال الّتي تشجي العدوّ الألد، فقالت: من أيّ الأُسارى أنتم؟ قلن نحن أُسارى آل محمّد(صلى الله عليه و آله) و أخذ أهل الكوفة يناولون الأطفال التّمرو الجوز و الخبز، فصاحت أُمّ كلثوم: أنّ الصّدقة علينا حرام، ثمّ رمت به إلى الأرض.

و لقد أو ضحت عقيلة آل اللّه زينب الكبرى سلام اللّه عليها للنّاس خبث ابن زياد و لؤمه في خطبتها بعد أن أو مأت إلى ذلك الجمع المتراكم، فهدأوا حتّى كأنّ على

رؤوسهم الطّير، و ليس في وسع العدد الكثير أن يسكن ذلك اللّغط أو يرد تلك الضّوضاء لولا الهيبة الإلهيّة و البهآء المحمّديّ الّذي جلّل عقيلة آل محمّد﴿عليهم السلام﴾ زينب الكبرى سلام اللّه عليها.

فيقول الرّاوي: لمّا أو مأت زينب إبنة عليّ المرتضى﴿عليه السلام﴾ إلى النّاس، فسكنت الأنفاس و الأجراس، فعندها إندفعت بخطابها مع طمأنينة نفس و ثبات جأش، و شجاعة حيدريّة و أصبحت في ذلك المحتشد الرّهيب أو فقل: بين النّاب و المخلب تمام الفضيحة للأمويّين بما نشرته من صحيفتهم السّودآء فقالت صلوات اللّه عليها:

«الحمدللّه و الصّلاة على أبي محمّد و آله الطّيّبين الأخيار أمّا بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل و الغدر ...» الخطبة.

فأدهشت ذلك الجمع المغمور بالتّمويهات و المطامع، و أحدث كلامها سلام اللّه عليها إيقاظاً في الأفئدة و لفتة في الضّمآئر و البصآئر، و أخذت خطبتها من القلوب مأخذاً عظيماً، و عرفوا عظيم جناية السّقيفة و أذنابها بني أُميّة، فلا يدرون ما يصنعون.

ثمّ خطبت فاطمة بنت الحسين﴿عليه السلام﴾ فقالت مشيرة إلى غصب الخلافة عن جدّه عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾: «الحمد للّه عدد الرّمل و الحصى، و زنة العرش إلى الثّرى، أحمده و أومن به و أتوكّل عليه و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، و أنّ محمّداً عبده و رسوله، و أنّ أولاده ذبحوا بشطّ الفرات من غير دخل و لا ترات.

اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن يفترى عليك، و أن أقول عليك خلاف ما أنزلت من أخذ العهود و الوصيّة لعليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ المغلوب حقّه، المقتول من غير ذنب –كما قتل ولده بالأمس – في بيت من بيوت اللّه تعالى، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً في حياته و لا عند مماته، حتّى قبضه اللّه تعالى إليه، محمود النّقيبة، طيب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه في اللّه سبحانه لومة لآئم، و لا عذل عاذل، هديّته اللّهمّ للإسلام صغيراً، و حمدت مناقبه كبيراً، و لم يزل ناصحاً لك و لرسولك، زاهداً في الدّنيا، غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته و هديته إلى صراط مستقيم.

أمّا بعد يا أهل الكوفة، يا أهل المكر و الغدر و الخيلاء، فإنّا أهل بيت ابتلانا اللّه بكم، و ابتلاكم بنا، فجعل بلائنا حسناً، و جعل علمه عندنا و فهمه لدينا، فنحن عيبة علمه و وعاء فهمه و حكمته، و حجّته على الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا اللّه بكرامته، و فضّلنا بنبيّه محمّد﴿ﷺ﴾ على كثير ممّن خلق اللّه تفضيلاً.

فكذّبتمونا و كفرتمونا، و رأيتم قتالنا حلالاً، و أموالنا نهباً كأنّنا أولاد ترك أو كابل كما قتلتم جدّنا بالأمس، و سيوفكم تقطر من دمآئنا أهل البيت لحقد متقدّم، قرّت لذلك عيونكم، و فرحت قلوبكم إفترآء على اللّه و مكراً مكرتم، و اللّه خير الماكرين، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمآئنا، و نالت أيديكم من أموالنا، فإنّ ما أصابنا من المصآئب الجليلة، و الرّزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها، إنّ ذلك على اللّه يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم، و اللّه لا يحبّ كلّ مختال فخور. تبّاً لكم فانظروا اللّعنة و العذاب، فكأن قد حلّ بكم، و تواترت من السّمآء نقمات، فيسحتكم بعذاب، و يذيق بعضكم بأس بعض ثمّ تخلدون في العذاب الأليم، يوم القيامة بما ظلمتمونا ألالعنة اللّه على الظّالمين.

ويلكم! أتدرون أيّة يد طاعنتنا منكم؟ و أيّة نفس نزعت إلى قتالنا؟ أم أيّة رجل مشيتم إلينا؟ تبغون محاربتنا، قست قلوبكم، و غلظت أكبادكم، و طبع اللّه على أفئدتكم، و ختم على سمعكم و بصركم، و سوّل لكم الشّيطان و أملى لكم، و جعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تبّاً لكم يا أهل الكوفة! أيّ ترات لرسول اللّه قِبلكم، و ذحول له لديكم، بما عندتم بأخيه عليّ بن أبيطالب جدّى و بنيه و عترته الطّيّبين الأخيار، و افتخر بذلك مفتخركم!

نحن قتلنا عليّاً و بني عليّ ... بسيوف هنديّة و رماح
و سبينا نسآء هم سبي ترك ... و نطحناهم فأىّ نطاح

بفيك أيّها القآئل الكثكث و الأثلب إفتخرت بقتل قوم زكّاهم اللّه و طهّرهم و أذهب عنهم الرّجس، فأكضم و أقعى كما أقعى أبوك، فإنّما لكلّ امرىء ما اكتسب و ما

قدّمت يداه.

حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضّلنا اللّه تعالى، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشآء و اللّه ذو الفضل العظيم و من لم يجعل اللّه له نوراً فما له من نور».

فارتفعت الأصوات بالبكآءِ و النّحيب، قالوا: حسبك يا ابنة الطّاهرين، فقد أحرقت قلوبنا و انضجت نحورنا و أضرمت أجوافنا فسكتت.

قولها سلام اللّه عليها: «من غير ذُحل» أى من غير حقد منهم عليهم، و «لا تِرات» من الوتر: الثّأر أي من دون طلب دم منهم. و «الكثكث»: التّراب، و «الأثلب»: الحَجَر.

ثمّ خطبت اُمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ فقالت: «صه يا أهل الكوفة! تقتلنا رجالكم، و تبكينا نسآئكم، فالحاكم بيننا و بينكم اللّه يوم فصل الخطاب يا أهل الكوفة! سوأة لكم! مالكم؟ خذلتم حسيناً و قتلتموه و انتهبتم أمواله و رثيتموه و سبيتم نسآءه و بكيتموه (نكبتموه خ)؟ فتبّاً لكم و سُحقاً، و يلكم أتدرون أيّ دَواهٍ دَهَتْكم؟ و أيّ وزر على ظهوركم حملتم؟ و أيّ دمآء سفكتموه؟ و أيّ كريمة أصبتموها؟ و أيّ صبيّة أسلمتموها (سلبتموها خ)؟ و أيّ أموال انتهبتموها؟ قتلتم خير رجالات بعد النّبيّ، و نُزِعَتِ الرّحمةُ من قلوبكم «ألا إنّ حزب اللّه هم الفآئزون و حزب الشّيطان هم الخاسرون».

ثمّ قالت:

قتلتم أخي صَبْراً فويل لامّكم ستجزون ناراً حرّها يتوقّد
سفكتم دماءً حرّم اللّه سَفكها و حرّمها القرآن ثمّ محمّد
ألا فابشروا بالنّار إنّكم غداً لفي سقر حقّاً يقيناً تُخَلّدوا
و إنّي لأبكي في حياتي على أخي على خير مَن بعد النّبيّ يُوَلّد
بدمع غزير مُستهِلّ مُكفكف على الخدّمنّي ذآئباً ليس يُجمَد

فضجّ النّاس بالبكاءِ و نَشرن النّساء الشّعور و خمشن الوجوه و لطمن الخدود و دعون بالويل و الثّبور فلم ير ذلك اليوم أكثر باك».

و جيء بعليّ بن الحسين عليهما السّلام على بعير ظالع، و الجامعة في عنقه، و يداه مغلولتان إلى عنقه، و أوداجه تشخب دماً فكان يقول:

يا أُمّة السّوء لا سقياً لربعكم يـا أُمّـة لم تـراع جـدّنا فـينا

لو أنّنا و رسـول اللّـه يجـمعنا يوم القيامة ما كـنتم تـقولونا

تسيّرونا على الأقتاب عارية كأنّـنا لم نشـيد فـيكم ديـننا

و أومأ إلى النّاس أن اسكتوا، فلمّا سكتوا حمد اللّه و أثنى عليه، و ذكر النّبيّ فصلّى عليه ثمّ قال:

«أيّها النّاس! مَن عَرَفَني، و من لم يعرفني فأنا عليّ بن الحسين بـن عـليّ بـن أبيطالب، أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات من غير ذَحْل و لا تِرات، أنا ابن مَن انتُهِك حريمه، و سُلِبَ نعيمه، و انتُهِبَ ماله، و سُبِيَ عياله، أنا ابن مَن قُتِلَ صَبْراً، و كفى بذلك فخراً.

أيّها النّاس! ناشدتكم باللّه هل تـعلمون أنّكـم كـتبتم إلى أبي و خـدعتموه و أعطيتموه من أنفسكم العهد و الميثاق و البيعة، و قاتلتموه و خذلتموه؟ فتبّاً لكم لِمٰا قدّمتم لأنفسكم، و سَوأة لرأيكم، بأيّة عين تنظرون إلى رسول اللّه، إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، و انتهكتم حرمتي فلستم من أُمّتي؟

فارتفعت الأصوات بالبكآءِ، و قالوا: هلكتم و ما تعملون.

ثمّ قال﴿عليه السلام﴾: رحم اللّه امرءاً قَبِلَ نصيحتي و حفظ وصيّتي في اللّه و في رسوله و أهل بيته، فإنّ لنا في رسول اللّه أُسوة حسنة.

فقالوا بأجمعهم: نحن يابن رسول اللّه سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، و لا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك اللّه فإنّا حرب لحـربك، و سـلم لسلمك، نبرأ ممّن ظلمك و ظلمنا.

فقال﴿عليه السلام﴾: هيهات هيهات! أيّتها الغدرة المكرة! حيل بينكم و بين شهـوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما آتيتم إلى أبي (آبآئي خ) مـن قـبل؟ كـلاّ و لا ربّ الرّاقصات، فإنّ الجرح لمّا يندمل، قُتِل أبي بالأمس و أهل بيته معه، و لم يـنس ثكـل رسول اللّه و ثكل أبي و بني أبي، إنّ وَجْدَه و اللّه لبين لهاتي، و مرارته بين حناجري و

حلقي، و غصّته تجري في فراش صدري، و مسئلتي: أن لا تكونوا لنا و لا علينا.

رضينا منكم رأساً بـرأس فلا يـوم لنـا يـوم عـلينا

... الخطبة.

و لمّا ارتحل عمر بن سعد بحرم الرّسالة إلى الكوفة ترك اولئك الّذين وصفهم أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» بأنّهم سادة الشّهدآءِ في الدّنيا و الآخرة، لم يسبقهم سابق، و لا يلحقهم لاحق على وجه الصّعيد تصهرهم الشّمس و يزورهم وحش الفلا، و بينهم سبط المصطفى سيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن عليّ عليهما السّلام بحالة تفطر الصّخر الأصم، غير أنّ الأنوار الإلهيّة تسطع من جوانبه و الأرواح العطرة تفوح من نواحيه ... حتّى أخبر رجل من بني أسد أنّه أتى المعركة بعد ارتحال العسكر، فشاهد من تلك الجسوم المضربة أنواراً ساطعة و أرواحاً طيّبة، و رأى أسداً هآئل المنظر يتخطّى تلك الأشلآء المقطعة حتّى إذا وصل إلى هيكل القداسة، و قربان الهداية تمرغ بدمه، و لاذ بجسده و له همهمة و صياح، فأدهشه الحال إذا لم يعهد مثل هذا الحيوان المفترس يترك ما هو طعمة أمثاله، فاختفى في بعض الاكم لينظر ما يصنع، فلم يظهر له غير ذلك الحال.

و ممّا زاد في تحيّره و تعجّبه أنّه عند انتصاف اللّيل رأى شموعاً مسرجة ملأت الأرض و بكاءً و عويلاً مفجعاً.

## ﴿ دفن الشّهداء بكربلاء ﴾

و في اليوم الثّالث عشر من المحرّم أقبل عليّ بن الحسين زين العابدين لدفن أبيه الشّهيد و عمّه العبّاس و أخيه عليّ الأكبر و من لم يُدفن بعد، و قد أقبل الإمام زين العابدين له لدفن ابيه الإمام الحسين عليهما أفضل صلوات اللّه و أكمل تحيّاته لأنّ الإمام لايلي أمره إلاّ إمام مثله، حيث إنّ جثمان المعصوم عند سيره إلى المبدإ الأعلى بإنتهآءِ أمد الفيض الإلهيّ يختصّ بآثار منها أن لايقرب منه من لم يكن من أهل هذه المرتبة إذا هو مقام قاب قوسين أوأدنى، ذلك المقام الّذي تتقهقر عنه الرّوح الأمين و عام النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ وحده في سبحات الملكوت و ليست هذه الدّعوة في أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين ببعيدة بعد أن تكونوا من الحقيقة المحمّديّة و شاركوا جدّهم في المثاثر كلّها إلاّ النّبوّة و الأزواج ...

و هذه أسرار كمعجزاتهم و كراماتهم لاتصل إليها أفكار البشر و لايدركها العلم عاديّاً، فلا سبيل لنا إلى إنكارها بمجرّد بُعدنا عن إدراكها، و قد نطقت الآثار الصحيحة بأنّ للأئمّة المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين حالات غريبة و أحوال عجيبة ... ليس لسآئر الخلق الشّركة معهم فيها كإحيائهم الأموات بأجساد الأصليّة، و رؤية بعضهم بعضاً، و صعود أجسادهم إلى السّمآء و سماعهم سلام الزّائرين لهم من أماكن عديدة آناً واحداً و استجابة دعاءِ المتوسّلين بهم إلى اللّه جلّ و علا و حضورهم على المتحضرين الكثيرين في النّقاط المختلفة آناً واحداً...

و تشهد على ذلك مناظرة الإمام الثّامن عليّ‌بن موسى الرّضا عليه آلاف التّحيّة و الثّنآء مع عليّ بن أبي حمزة، فإنّ أبا الحسن﴿عليه السلام﴾ قال له: أخبرني عن الحسين بن عليّ كان إماماً؟ قال: بلى، فقال الرّضا﴿عليه السلام﴾: فمن ولّى أمره؟ قال ابن أبي حمزة: تولاّه علي ابن الحسين السّجّاد﴿عليه السلام﴾ فقال الرّضا﴿عليه السلام﴾ فأين كان عليّ‌بن الحسين؟ قال ابن أبي حمزة: كان محبوساً بالكوفة عند ابن زياد و لكنّه خرج و هم لايعلمون به حتّى ولّى أمر أبيه، ثمّ انصرف إلى السّجن.

فقال الرّضا﴿عليه السلام﴾: إنّ مَن مكّن عليّ‌بن الحسين أن يأتي كربلا فيلي أمر أبيه ثمّ ينصرف يمكّن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه، و ليس هو في حبس و لاأُسار».

و لمّا أقبل عليّ بن الحسين عليهماالسّلام وجدبني أسد مجتمعين عند القتلى متحيّرين لايدرون ما يصنعون، و لم يهتدوا إلى معرفتهم، و قد فرق القوم بين رؤسهم و أبدانهم، و ربما يسئلون من أهلهم و عشيرتهم ... فأخبرهم﴿عليه السلام﴾ عمّا جآء إليه من موارات هذه الجسوم الطّاهرة و أو قفهم على أسمآئهم كما عرفهم بالها شميّين من الأصحاب، فارتفع البكآء و العويل، وسالت الدّموع منهم كلّ مسيل، و نشرت الأسديّات الشّعور و لطمن الخدود ... ثمّ مشى الإمام الرّابع عليّ‌بن الحسين﴿عليه السلام﴾ إلى جسد أبيه و اعتنقه، و بكى بكآء عالياً، و أتى إلى موضع القبر، و رفع قليلاً من التّراب، فبان قبر محفور و ضريح مشقوق، فبسط كفّيه تحت ظهره و قال: «بسم اللّه و في سبيل اللّه و على ملّة رسول اللّه صدق اللّه و رسوله ماشآء اللّه لاحول و لاقوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم».

و أنزله وحده و لم يشاركه بنو أسد فيه، و قال لهم: «إنّ معي مَن يعينني» و لمّا أقرّه في لحده وضع خدّه على منحره الشّريف قآئلاً: «طوبى لأرض تضمنت جسدك الطّاهر، فإنّ الدّنيا بعدك مظلمة، و الآخرة بنورك مشرقة، أمّا اللّيل فسهّد و أمّا الحزن فسرمد أو يختار اللّه لأهل بيتك دارك الّتي أنت بها مقيم، و عليك منّي السّلام يا ابن رسول اللّه و رحمة اللّه و بركاته».

و كتب على القبر: «هذا قبر الحسين بن عليّ بن أبيطالب الّذي قتلوه عطشاناً غريباً» ثمّ مشى ﴿عليه السلام﴾ إلى جسد عمّه أبي الفضل العبّاس بن عليّ بن أبيطالب عليهما أفضل صلوات اللّه و أكمل تحيّاته فرآه بتلك الحالة الّتي أدهشت الملآئكة بين أطباق السّمآء و أبكت الحور في غرف الجنان، و وقع عليه يلثم نحره المقدّس قآئلاً: «على الدّنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم و عليك منّي السّلام من شهيد محتسب و رحمة اللّه و بركاته».

و شقّ له ﴿عليه السلام﴾ ضريحاً و أنزله وحده كما فعل بأبيه الوصي ﴿عليه السلام﴾ و قال لبني أسد: «إنّ معي من يعينني» و دفن أخيه عليّ الأكبر ﴿عليه السلام﴾ قرب قبر أبيه و هو أقرب الشّهدآءِ إليه ﴿عليه السلام﴾.

ثمّ ترك مساغاً لبني أسد بمشاركته في مواراة سآئر الشّهداء، و عيّن لهم موضعين، و أمرهم أن يحفروا حفرتين، و وضع في الاولى بني هاشم، و في الثّانية الأصحاب سلام اللّه عليهم أجمعين.

## «رأس سبط المصطفى«صلى الله عليه وآله» في قصر الإمارة»

و في كامل الزّيارات: بإسناده عن عبداللّه بن حمّاد البصريّ عن أبي عبداللّه«عليه السلام» - حديث طويل قال«عليه السلام»: «الحمداللّه الّذي جعل في النّاس من يفد إلينا و يمدحنا و يرثي لنا، و جعل عدوّنا من يطعن عليهم من قرا بتنا و غيرهم يهدّدونهم و يقبحون ما يصنعون».

و لمّا رجع إبن زياد من معسكره بالنّخيلة، و دخل قصر الإمارة، و وضع أمامه رأس سبط المصطفى الحسين بن عليّ عليهم صلوات اللّه، سالت الحيطان دماً، و خرجت نار من بعض نواحي القصر، و قصدت رأس ابن زياد، فولى هارباً منها، و دخل بعض بيوت القصر، فتكلّم الرأس المقدّس الأزهر بصوت جهوريّ سمعه إبن زياد و بعض من حضره: «إلى أين تهرب، فإن لم تنلك في الدّنيا فهي في الآخرة مثواك».

و لم يسكت حتّى ذهبت النّار، و أدهش مَن في القصر لهذا الحادث الّذي لم يشاهد مثله و لكنّ ابن زياد لم يرتدع لهذا الحادث الّذي لم يسمع بمثله، فأذِنَ للنّاس إذناً عاماً و أمر بإدخال السّبايا بمجلسه، فأدخلت عليه حرم رسول اللّه«صلى الله عليه وآله» بحالة تقشعر لها الجلود و تحرق منها الفؤاد...

و لمّا وضع رأس الحسين الشّهيد«عليه السلام» بين يديه، جعل ينكت بالقضيب بين ثناياه ساعة، فقال له زيدبن أرقم: إرفع القضيب عن هاتين الشّفتين، فواللّه الّذي لاإله إلاّ هو لقد رأيت شفتي رسول اللّه على هاتين الشّفتين يقبلهما، ثمّ بكى، فقال له ابن زياد:

أبكى اللّه عينيك، فواللّه لولا أنّك شيخ قد خرفت و ذهب عقلك لضربت عنقك، فخرج زيد من المجلس و هو يقول: ملك عبد عبداً فاتخذهم تلداً أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وامرتم ابن مرجانة يقتل خياركم، و يستعبد شراركم، فرضيتم بالذّلّ، فبعداً لمن رضى بالذّلّ».

أقول: ذكر الطّبريّ في (تاريخه: ج٦، ص ٢٦٢) و ابن كثير في (البداية و النّهاية: ج٨ ص ٩٠) و ابن عساكر في (تاريخه: ج ٤ ص ٣٤٠) و الهيتميّ في(مجمع الزّوائد: ج ٩ ص ١٩٥) و ابن حجر في (الصّواعق المحرقة: ص١١٨) إنكار زيد على ابن زياد، و هذا لاينا في كون زيد أعمى على تقدير صحّته لجواز أنّه سمع بذلك و أنكر عليه، و عبارة ابن عساكر: «كان زيد حاضراً» تؤيّده.

و في المعجم الكبير: (ص١٤٨) للطبرانيّ بإسناده عن أنس قال: كنت عند إبن زياد حين أتى برأس الحسين ﴿عليه السلام﴾ فجعل يقول بقضيب في أنفه، ما رأيت مثل هذا حسناً، فقلت: أما إنّه كان من أشبههم برسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾».

و انحازت زينب الكبرى بنت فاطمة الزّهرآء سلام اللّه عليها عن النّسآء و هي متنكّرة لكن جلال النّبوّة و بهاء الإمامة المنسدل عليها إستلفت نظرة ابن زياد، فقال: مَن هذه المتنكّرة؟ قيل له: إبنة أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب زينب العقيلة الهاشميّة. فأراد أن يحرق قلبها بأكثر ممّا جآء إليهم، فقال متشمتاً: «الحمدللّه الّذي فضحكم و قتلكم و أكذب احدوثتكم».

فقالت عليها السّلام: «الحمدللّه الّذي أكرمنا بنبيّه محمّد و طهرنا من الرّجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق، و يكذب الفاجر و هو غيرنا».

قال ابن زياد: «كيف رأيت فعل اللّه بأهل بيتك؟».

قالت عليها السّلام: «ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤ لآء قوم كتب اللّه عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، و سيجمع اللّه بينك و بينهم، فتحاج و تخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امّك يابن مرجانة» فغضب ابن زياد و استشاط من كلامها معه في ذلك المحتشد. فقال له عمرو بن حريث: إنّها امرأة، و هل تؤاخذ بشيء من منطقها و لاتلام

على خطل. فالتفت إليها ابن زياد و قال: لقد شفى اللّه قلبي من طاغيتك و العصاة المردة من أهل بيتك.

فرقت زينب الكبرى سلام اللّه عليها، و قالت: لعمري لقد قتلت كهلي و ابرت أهلي، و قطعت فرعي، و إجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت».

و التفت إلى عليّ بن الحسين و قال له: ما إسمك؟ قال: أنا عليّ بن الحسين، فقال له: أو لم يقتل اللّه عليّاً؟ فقال السّجّاد﴿عليه السلام﴾: كان لي أخ أكبر منّي يسمّى عليّاً قتله النّاس، فردّ عليه ابن زياد بأنّ اللّه قتله قال الإمام زين العابدين﴿عليه السلام﴾: «اللّه يتوفّى الأنفس حين موتها و ما كان لنفس أن تموت إلاّ باذن اللّه. فكبُر على ابن زياد أن يردّ عليه، فأمر أن تضرب عنقه، لكن عمّته العقيلة اعتنقته و قالت: حسبك يا ابن زياد من دمآئنا ما سفكت و هل أبقيت أحداً غير هذا، فإن أردت قتله فاقتلني معه.

فقال زين العابدين﴿عليه السلام﴾: «أما علمت أنّ القتل لنا عادة و كرامتنا من اللّه الشّهادة» فنظر إبن زياد إليهما و قال: دعوه لها عجباً ... و دّت أنّها تقتل معه» و أخذت الرّباب زوجة الحسين بن عليّ﴿عليه السلام﴾ الرّأس و وضعته في حجرها و قبلته، و قالت:

وا حسيناً فلا نسيت حسيناً ... ا قصدته أسنّة الأعدآء

غادروه بكربلآء صريعاً ... لا سقى اللّه جانبي كربلاء

و لمّا وضح لابن زياد و لولة النّاس و لغط أهل المجلس خصوصاً لما تكلّمت معه زينب الكبرى سلام اللّه عليها خاف هياج النّاس، فأمر الشّرطة بحبس الأسارى في دار إلى جنب المسجد الأعظم. قال حاجب ابن زياد: كنت معهم حين أمربهم إلى السّجن، فرأيت الرّجال و النّسآء مجتمعين يبكون و يلطمون و جوههم...

فصاحت زينب الكبرى سلام اللّه عليها: لاتدخل علينا الاّ مملوكة أو أُمّ ولد، فإنهنّ سبين كما سبينا، تشير العقيلة الهاشميّة إلى أنّ المسبية تعرف مض عناء الذّلّ، فلا يصدر منها غير المحمود من شماتة و غيرها، و هذا شيء معروف لاينكر.

و دعابهم ابن زياد مرّة اخرى، فلمّا دخلوا عليه رأين رأس سبط المصطفى سيّد الشّهداء الحسين بن عليّ عليهم صلوات اللّه بين يديه، و الأنوار الإلهيّة تتصاعد إلى

عنان السّمآء فلم تتمالك الرّباب زوجة الحسين(عليه السلام) دون أن وقعت عليه تقبله، و قالت:

| | |
|---|---|
| إنّ الّذي كان نوراً يستضآء به | بكربلاء قتيل غير مدفون |
| سبط النّبيّ جزاك اللّه صالحة | عنّا و جنبت خسران الموازين |
| قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذبه | و كنت تصحبنا بالرّحم و الدّين |
| من لليتامى و من للسّائلين و من | يعني و يأوى اليه كلّ عسكين |

و لمّا كانوا في السّجن التي إليهم حجر معه كتاب مربوط، و فيه خرج البريد بأمركم إلى يزيد في يوم كذا، و هو سآئر كذا يوماً، و راجع في كذا يوم، فإن سمعتم التّكبير فأيقنوا بالقتل، و إن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان، و قبل قدوم البريد بيومين اُلقي حجر في السّجن، و معه كتاب و موسى، و في الكتاب اوصوا و اعهدوا فإنّما ينتظر البريد يوم كذا، فجآء البريد و لم يسمع التّكبير، و في كتاب يزيد الأمر بأن يسرحهم ابن زياد إلى دمشق.

## ﴿ تلاوة الرّأس المذبوح، كلام اللّه، فوق السّنان ﴾
## و على الرّماح عند العامّة

و قدأورد في المقام جماعة من أعلام العامة و حملة أسفارهم روايات عديدة بأسانيد في مآخذهم نشير إلى نبذة روماً للإختصار:

١- مارواه السّيوطيّ الشّافعيّ في (الخصائص الكبرى: ج ٢ ص ١٢٧ ط حيدر آباد الدّكن) مالفظه: «و أخرج ابن عساكر عن المنهال بن عمرو، قال: أنا واللّه رأيت رأس الحسين(عليه السلام) حين حمل، و أنا بد مشق، و بين يدى الرّأس رجل يقرأ سورة الكهف حتّى بلغ قوله تعالى: «أم حسبت أنّ أصحاب الكهف و الرّقيم كانوا من آياتنا عجباً».

فأنطق اللّه الرّأس بلسان ذرب، فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي و حملي.

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة:

منهم: عبدالرّؤوف المنادي في (الكواكب الدّرّية: ج ١ ص ٥٧ ط الأزهريّة بمصر) إلاّ أنّه ذكر «فنطق الرّأس بلسان عربيّ فصيح، قال جهاراً: أعجب من أصحاب الكهف قتلي و حملي».

و منهم: ابن الصّبان في (إسعاف الرّاغبين) المطبوع بهامش (نور الأبصار: ص ٢١٨ ط مصر).

و منهم: الشّبلنجّي في (نور الابصار: ص ۱۲۵ ط مصر) و غيرهم...

۲- ماروا‌ه محبّ الدّين الطّبريّ في (ذخائر العقبى: ص ۱٤٤ ط القدسي بالقاهرة) عن مروان مولى هند بنت المهلب قال: «حدّثني بوّاب عبيد اللّه بن زياد أنّه لمّا جيىء برأس الحسين بين يديه رأيت حيطان دار الأمارة تسايل دماً».

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة من حملة أسفار العامّة:

منهم: ابن عساكر الدّمشقيّ في (تاريخ دمشق) على ما في (منتخبه: ج ٤ ص ۳۳۹ ط روضة الشّام).

و منهم: ابن حجر الهيتميّ في (الصّواعق المحرقة: ص ۱۹۲ ط عبداللّطيف بمصر).

و منهم: با كثير الحضرمي في (وسيلة المآل: ص ۱۹۷).

و منهم: القندوزي الحنفيّ في (ينابيع المودّة: ص ۳۲۲ ط إسلامبول).

۳- ماوراه الخطيب الخوار زميّ في (مقتل الحسين: ج ۲ ص ۱۰۱ ط الغرى) مالفظه: «و ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى الأزديّ: أنّ عمر بن سعد لمّا دفع الرّأس إلى خولي بن يزيد الأصبحيّ ليحمله إلى عبيداللّه ابن زياد أتى به ليلاً، فو جد باب القصر مغلقاً فأتى به منزله، و له إمرأتان: إمرأة أسديّة، و إمرأة حضرميّة يقال لها: نوار فآوى إلى فراشها، فقالت له: ما الخبر؟ قال: جئتك بالذّهب، هذا رأس الحسين بن عليّ معك في الدّار، فقالت: و يلك جآء النّاس بالذّهب و الفضّه، و جئت أنت برأس إبن رسول اللّه (ﷺ) و اللّه لا تجمع رأسي و رأسك و سادة أبداً.

قالت: و قمت من فراشي إلى الدّار و دعوت الأسديّة، فأدخلتها عليه، فمازلت و اللّه انظر إلى نور مثل العمود يسطع من الأجّانة الّتي فيها الرّأس إلى السّمآء، و رأيت طيوراً بيضآء ترفرف حولها و حول الرّأس».

رواه بأدنى تفاوت ابن الأثير في (الكامل: ج ۳ ص ۲۹٦ ط المنيريّة بمصر).

٤- ماروا‌ه سبط ابن الجوزيّ في (التّذكرة: ص ۲۷۳ ط العلميّة بالنّجف) نقلاً عن (سيرة ابن هشام) باسناده عن ابن محمّد عبدالملك بن هشام النحويّ البصريّ قال: «لمّا

أنفذ ابن زياد رأس الحسين«ﷺ» إلى يزيدبن معاوية مع الأُسارى موثّقين في الحبال منهم نسآء و صبيان و صبياتٌ من بنات رسول اللّه«ﷺ» على أقطاب الجمال موثّقين مكشّفات الوجوه و الرّؤوس و كلّما نزلوا منزلاً أخرجوا الرّأس (رأس سبط المصطفى الحسين بن عليّ) من صندوق أعدّوه له، فوضعوه على رمح، و حرسوه طول اللّيل إلى وقت الرّحيل، ثمّ يعيدونه إلى الصّندوق و يرحلون، فنزلوا بعض المنازل، و في ذلك المنزل دير، فيه راهب، فأخرجوا الرّأس على عادتهم، و وضعوه على الرّمح و حرسه الحرس على عادتهم، و أسندوا الرّمح إلى الدّير فلمّا كان في نصف اللّيل رأى الرّاهب نوراً من مكان الرّأس إلى عنان السّمآءِ فأشرف على القوم و قال:

مَن أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب إبن زياد، قال: و هذا رأس مَن؟ قالوا: رأس الحسين بن عليّ بن أبيطالب ابن فاطمة بنت رسول اللّه «ﷺ» قال: نبيّكم؟ قالوا: نعم، قال: بئس القوم أنتم لوكان للمسيح و لدلأ سكنّاه أحداقنا، ثمّ قال: هل لكم في شئ؟ قالوا: و ما هو؟ قال: عندي عشرة آلاف دينار تأخذوها و تعطوني الرّأس يكون عندي تمام اللّيلة، و إذا رحلتم تأخذوه؟ قالوا: و ما يضررنا، فنا ولوه الرّأس و ناولهم الدّنانير، فأخذ الرّاهب، فغسله و طيّبه و تركه على فخذه و قعد يبكي اللّيل كلّه.

فلمّا أسفر الصبح، قال: يا رأس لا أملك إلاّ نفسي، و أنا أشهد أن لاإله إلاّ اللّه و أنّ جدّك محمّداً رسول اللّه، و أشهد اللّه أنّني مولاك و عبدك، ثمّ خرج عن الدّير و ما فيه و صار يخدم أهل البيت.

قال ابن هشام في السّيرة: «ثمّ إنّهم أخذوا الرّأس و ساروا فلمّا قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتّى نقسم الدّنانير لايراها يزيد، فيأخذها منّا فأخذوا الأكياس و فتحوها و إذاً الدّنانير قد تحوّلت خزفاً، و على أحد جانب الدّينار مكتوب: «و لا تحسبنّ اللّه غافلاً عمّا يعمل الظّالمون ...» الآية: إبراهيم: ١٤) و على الجانب الآخر: «و سيعلموا الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون» الشّعراء: ٢٢٧).

رواه بأدنى تفاوت جماعة من حملة أسفار العامّة:

منهم: الخطيب الخوارزميّ في (مقتل الحسين: ج ۲، ص ۱۰۲، ط مطبعة الزّهرآء).

منهم: إبن حجر الهيتميّ في (الصّواعق المحرقة: ص ۱۱۹ ط حلب) و فيه أيضاً (ص ۱۹۷ ط الميمنيّة بمصر).

و منهم: أبوبكر الحضرميّ في (رشفة الصّادي: ص ١٦٤ ط مصر).

و منهم: القندوزيّ الحنفيّ في(ينابيع المـودّة: ص ۳۲۵ و ۳۵۲ ط إسـلامبول) و غيرهم تركنا هم للإختصار.

## ﴿ رأس سبط المصطفى ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و تلاوة كلام اللّه جلّ و علا ﴾

و لقد كان حديث مقتل سبط المصطفى الحسين بن عليّ بن أبيطالب عليهم أفضل صلوات اللّه و أكمل تحيّاته من أسرار الخليقة، و ودائع النّبوّات و عهود الرّسالات، فكان هذا النّبأ العظيم تألك به أفواه الأنبيآء و المرسلين، و يدور بين أشداق الأوصيآء و المقرّبين، و حملة الأسرار و المسبّحين ليعرفهم اللّه عزّوجلّ عظمة هذا النّاهض الكريم، و منّته على الجميع بحفظ الشّريعة الخاتمة الّتي جآؤا لتمهيد أمرها، و توطيدالطّريق إليها و تمرين النّفوس لها، فيثيبهم بحزنهم و إستيائهم لتلك الفاجعة المؤلمة، فبكآء آدم و نوح و إبراهيم و موسى و لعن عيسى قاتله، و أمر بنى إسرآئيل بلعنه، و قال: من أدرك أيّامه فليقاتل معه، فإنّه كالشّهيد مع الأنبيآء مقبلاً غير مدبر، و كأنّي أنظر إلى بقعته، و ما من نبيّ إلاّ وزارها و قال: إنك لبقعة كثير الخير فيك يدفن القمر الزّاهر.

و اختار يحيى أن يطاف برأسه        و له التّاسّي بالحسين يكون

و حديث مقتل الحسين بن عليّ ﴿عليه السلام﴾ أبكى النّبيّ المصطفى ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و هو حيّ، فكيف به لورآه صريعاً بكر بلا في عصابة من أهل بيته كأنّهم مصابيح الدّجى، و قد حلؤوه و من معه عن الورد المباح لعامّة الحيوانات .... نعم شهد نبيّ الرّحمة فلذة كبده بتلك الحالة الّتي تنفطر لها السّموات و رأى ذلك الجمع المغمور بالأضاليل متألّباً على استئصال أهل بيته من جديد الأرض فشاهده بعض من حضر ينظر الجمع مرّة، و السّمآء أُخرى مسلماً للقضآءِ.

و لعمري! إنّ للعلمآء و المصلحين، و للدّعاة و المبلّغين أُسوة حسنة في الحسين بن عليّ «عليه السلام» إذ أفدى نفسه الزّكية، و أهل بيته الّذين هم مصابيح الدّجى حفظاً لدينه ليكون حيّاً دآئماً، و لم يفد دينه حفظاً لنفسه و مصالح أصحابه و حواشيه ليعيش أيّاماً في هذه الدّنيا الدّنيّة كأكثر النّاس في كلّ ظرف ... يتمتّعون و يأكلون كما تأكل الأنعام و النّار مثوى لهم.

و للّه درّ مَن قال:

رأس ابن بنت محمّد و وصيّه ... للنّاظرين على قناة يرفع
و المسلمون بمنظر و بمسمع ... لا منكر منهم و لا متفجّع
كحلت بمنظرك العيون عماية ... و أصمّ رزئك كلّ أُذن يسمع
أيقظت أجفاناً و كنت لها كرى ... و أنمت عيناً لم تكن بك تهجع
ما روضة إلاّ تمنّت أنّها ... لك منزل و لخطّ قبرك مضجع

و قال آخر:

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا ... يكسوه من أنواره جلبابا
يتلو الكتاب على السّنان و إنّما ... رفعوا به فوق السّنان كتابا

لم يزل سبط المصطفى الحسين الشّهيد حليف القرآن المجيد منذ أنشأ كيانه لأنّهما معاً حبل اللّه جلّ و علا، و ثقلا رسوله «صلّى الله عليه و آله و سلّم» و خليفتاه على أُمّته، و قد أمر اللّه جلّ و علا علمآء الأمّة المسلمة و دعاتهم أن يكونا هما معاً أساس تربيتهم النّاس كلّهم و أن يعتصموا بهما معاً كأنّهما واحد و لا يتفرّقوا خطاباً لهم: «كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلّمون الكتاب و بما كنتم تدرسون - و اعتصموا بحبل اللّه جميعاً و لا تفرّقوا» آل عمران: ٧٩-١٠٣).

و قد نصّ رسول اللّه الأعظم «صلّى الله عليه و آله و سلّم» بأنّهما لن يفترقا حتىّ يردا عليّ الحوض.

و بذلك كان سبط المصطفى الحسين بن عليّ بن أبيطالب عليهم صلوات اللّه غير مبارح تلاوة القرآن الكريم طيلة حياته في تهذيبه و إرشاده و تبليغه في حله و مرتحله حتّى في موقفه يوم الطّفّ بين ظهرانيّ اولئك المتجمهرين عليه ليتمّ عليهم الحجّة، و

يوضح لهم و لغيرهم الآتين الحجة، هكذا كان ابن رسول اللّه﴿عليه السلام﴾ يسير إلى غايته المقدسة سيراً حثيثاً حتّى طفق يتلوالقرآن الكريم رأسه المطهر فوق عامل السّنان لعلّ القوم يدّبرّوا آياته، و عسى أن يحصل فيهم من يكهر به نور الحقّ، غير أنّ داعية الهدى لم يصادف إلاّ قصراً في الإدراك و طبعاً في القلوب و صمماً في الآذان: «ذلك بأنّهم استحبّوا الحياة الدّنيا على الآخرة و أنّ اللّه لا يهدى القوم الكافرين اولئك الّذين طبع اللّه على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و اولئك هم الغافلون» النّحل: ١٠٧-١٠٨).

و لا يستغرب هذا من يفقه الأسرار الإلهيّة، فإنّ اللّه عزّوجلّ بعد أن أوجب على سبط المصطفى الحسين بن عليّ صلوات اللّه عليهم النّهضة لسدّ أبواب الكفر و الضّلالة، و الظّلم و الجناية بذلك الشّكل المحدّد الظّرف و المكان و الكيفيّة لمصالح أدركها الربّ الجليل شأنه، فأوحى إلى نبيّه الأقدس أن يقرأ هذه الصّفحة الخاصّة على ولده الحسين﴿عليه السلام﴾ فلا سبيل إلاّ التّسليم و الخضوع للأصلح المرضيّ لربّ العالمين «لا يسئل عمّا يفعل و هم يسئلون» الأنبيآء: ٢٣).

و حيث أراد المهيمن العزيز المتعال بهذه النّهضة المقدّسة تعريف الأُمّة الحاضرة و الأجيال المتعاقبة ضلال الملتوين عن الصّراط السّويّ العابثين بقداسة الشّريعة أحبّ الإتيان بكلّ ما فيه توطيد اسس هذه الشّهادة الّتي كتبت بدمها الطّاهر صحآئف نيّرة من أعمال الثّائرين في وجه المنكر، فكانت هذه النّهضة محتفّة بغرآئب لاتصل إليها الأفهام، و منها استشهاد الرّأس المعظم بالآيات الكريمة القرآنيّة، و الكلام من رأس مقطوع أبلغ في إتمام الحجّة على مَن أفرد الكتاب المجيد من سنّة أهل بيت الوحى المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين و على من توهّم أنّ القرآن الكريم كان لمن خوطب به فقط، و على مَن اتّخذ هذا القرآن مهجوراً، و على مَن أعمته الشّهوات عن إبصار الحقآئق و المعارف و الحِكَم القرآنيّة...

و فيه تركيز العقآئد على أحقّيّة دعوته الّتي لم يقصد بها إلاّ الطّاعة لربّ العالمين، و وخامة عاقبة من مدّ عليه يد السّوء و العدوان كما نبّه الامّة على ضلال من جرأهم على البغي و الطّغيان، و لا بدع في القدرة الإلهيّة إذا مكنت رأس سبط المصطفى الحسين بن

عليّ(عليه السلام) من الكلام للمصالح الّتي نقصر عن الوصول إلى كنهها، بعد أن أودعت في (الشّجرة) قوّة الكلام مع نبيّ اللّه موسى بن عمران(عليه السلام) عند المناجاة، و أودعت في (الحصاة) قوّة الكلام مع رسول اللّه(صلى الله عليه و آله) و صدقت برسالته، و هل تقاس الشّجرة و الحصاة برأس المنحور في طاعة الرّحمن جلّ و علا؟ ... كلاّ.

في الخصآئص الكبرى (ج ٢ ص ١٢٥) للسّيوطيّ الشّافعيّ: عن زيد بن أرقم قال: كنت في غرفة لي فمرّوا عليّ بالرأس و هو يقرأ: «أم حسبت أن أصحاب الكهف و الرّقيم كانوا من آياتنا عجباً» فوقف شعري، و قلت: و اللّه يا ابن رسول اللّه رأسك أعجب و أعجب».

و في كامل إبن الأثير (ج ٤ ص ٣٤): «أمر إبن زياد فطيف برأس الحسين في الكوفة».

رواه ابن كثير في (البداية و النهاية: ج ٨ ص ١٩١) و (المقريزىّ في الخطط: ج ٢ ص ٢٨٨).

و لمّا نصب الرّأس الأقدس في موضع الصّيارفة، و هناك لغط المارّة وضوضاء المتعاملين، فأراد سيّد الشّهداء الحسين بن عليّ عليهما السّلام توجيه النّفوس نحوه ليسمعوا بليغ عظاته فتنحنح الرّأس تنحنحاً عالياً، فاتّجهت إليه النّاس، و اعترتهم الدّهشة حيث لم يسمعوا رأساً مقطوعاً يتنحنح قبل يوم سبط المصطفى(عليه السلام) فعندها قرأ سورة الكهف إلى قوله تعالى: «إنّهم فتية آمنوا بربّهم و زدناهم هدى و لا تزد الظّالمين إلاّ ضلالاً».

و صلب على شجرة فاجتمع النّاس حولها ينظرون إلى النّور السّاطع فأخذ يقرأ: «و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

و في أسرار الشّهادة: «سمع سلمة بن كهيل رأس يقرأ و هو على القناة: «فيسكفيكهم اللّه و هو السّميع العليم».

و يحدث ابن وكيدة أنّه سمع الرّأس يقرأ سورة الكهف، فشكّ في أنّه صوته أو غيره فترك(عليه السلام) القراءة و التفت إليه يخاطبه: «يابن وكيدة أما علمت أنّا معشر الأئمّة أحيآء

عند ربّهم يرزقون»؟

فعزم على أن يسرق الرّأس و يدفنه. و إذاً الخطاب من الرّأس الأزهر: «يا ابن وكيدة ليس إلى ذلك من سبيل أنّ سفكهم دمي أعظم عند اللّه من تسييري على الرّمح، فذرهم، فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم و السّلاسل يسحبون».

و في **الخصآئص الكبرى** (ج ٢ ص ١٢٧) للسّيوطيّ الشّافعيّ «قال المنهال بن عمرو: رأيت رأس الحسين بدمشق على رمح و أمام رجل يقرأ سورة الكهف، حتّى إذا بلغ إلى قوله تعالى: «أم حسبت أنّ أصحاب الكهف و الرّقيم كانوا من آياتنا عجباً» نطق الرّأس بلسان فصيح: «أعجب من أصحاب الكهف قتلي و حملي».

و في **مقتل العوالم**: «و لما أمر يزيد بقتل رسول ملك الرّوم، حيث أنكر عليه فعلته نطق الرّأس بصوت رفيع: «لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه»

أروحك أم روح النّبوّة تصعد ... من الأرض للفردوس و الحور سجّد

و رأسك أم رأس الرّسول على القنا ... بآية أهل الكهف راح يردّد

و صدرك أم مستودع العلم و الحجى ... لتحطيمه جيش من الجهل يعمد

و أمّك أم أمّ الكتاب تنهدت ... فذاب نشيجاً قلبها المتنهّد

و شاطرت الأرض السّماء بشجوها ... فواحدة تنعي واخرى تعدّد

و قد نصب الوحى العزآء ببيته ... عليك حداداً و المعزي محمّد

يلوح له الثّقلان ثقل ممزّق ... بسهم و ثقل بالسّيوف مقدّد

فعترته بالسّيف و السّهم بعضها ... شهيد و بعض بالفلاة مشرّد

و أيّ شهيد أصلت الشّمس جسمه ... و مشهدها من أصله متولّد

و أيّ ذبيح داست الخيل صدره ... و فرسانها من ذكره تتجمّد

ألم تك تدري أنّ روح محمّد ... كقرآنه في سبطه متجمّد

فلو علمت تلك الخيول كأهلها ... بأنّ الّذي تحت السّنابك أحمد

لثارت على فرسانها و تمرّدت ... عليهم كما ثاروا بها و تمرّدوا

فرى الغي نحراً يغبط البدر نوره ... و في كلّ عرق منه للحقّ فوقد

و هشم أضلاعاً بها العطف مودع | و قطع أنفاساً بها الطفّ موجد
و أعظم ما يشجي النّفوس حرآئر | تضام و حاميها الوحيد مقيّد
فمن موثق يشكو التّشدّد من يد | و موثقة تبكي فتلطمها اليد
كأنّ رسول اللّه قال لقومه | خذوا و تركم من عترتي و تشدّدوا

من قصيدة للسّيّد صالح إبن العلاّمة السّيّد مهدي بحر العلوم.

و قد كانت زينب الكبرى بنت فاطمة الزّهرآء سلام اللّه عليها تندب سبط المصطفى أخاها بأشجى ندبة إذ تقول:

ماذا تقولون إذ قال النّبيّ لكم | ماذا فعلتم و أنتم آخر الأُمم
بعترتي و بأهلي بعد مفتقدي | منهم أُسارى و منهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزآئي إذ نصحت لكم | أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم
ضيّعتم حقّنا و اللّه أوجبه | و قد رعى الفيل حقّ البيت و الحرم

**إن تسئل:** كيف تكلّم رأس الحسين المذبوح فوق السّنان و الرّماح، و في مجلس ابن زياد و يزيد بن معاوية؟

**تجيب:** انّ الجواب عنه هو الجواب عن تكلّم عيسى بن مريم﴿عليه السلام﴾ في المهد كلام الأنبيآء عليهم السّلام إذ قال اللّه تعالى: «فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً قال إنّي عبد اللّه آتاني الكتاب و جعلني نبيّاً» مريم: ۲۹-۳۰).

و قدورد عن الفريقين: أنّ رأس يحيى بن زكريّا المذبوح كان ينصح و يعظ قاتله، و أنّ يحيى قد اعترف قبل ولادته بنبوّة عيسى بن مريم﴿عليه السلام﴾، و قد تكلّم عليّ بن أبيطالب و فاطمة الزّهرآء و الحسنين في بطون أُمّهاتهم صلوات اللّه عليهم أجمعين.

# ﴿إسارة أهل بيت الوحي، و السّبايا من الكوفة إلى الشّام﴾

و قد بعث ابن زياد رسولاً إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان يخبره بقتل سبط المصطفى الحسين بن عليّ بن أبيطالب عليهم صلوات اللّه و من معه من أهل بيته و أصحابه، و أنّ عياله في الكوفة، و ينتظر أمره فيهم، فعاد الجواب بحملهم و الرّؤوس معهم.

و كتب رقعة ربط فيها حجراً، و رماه في السّجن المحبوس فيه آل محمّد﴿صلّى اللّه عليه و آله﴾ و فيها خرج البريد إلى يزيد بن معاوية بأمركم في يوم كذا، و يعود في كذا، فإذا سمعتم التّكبير فاوصوا، و إلاّ فهو الأمان، و رجع البريد من الشّام يخبر بأن يسرح آل رسول اللّه﴿صلّى اللّه عليه و آله﴾ إلى الشّام. و ذكر الطّبريّ أنّ أبابكرة أجله بسرة بن اطاة اسبوعاً على أن يذهب إلى يزيد بن معاوية، فرجع من الشّام في اليوم السّابع، و ذكر إبن نما في (مثير الأحزان) أنّ عميرة أرسله عبداللّه بن عمر إلى يزيد و معه كتاب إلى ابن زياد ليطلق سراح المختار الثّقفي، فكتب يزيد بذلك إلى ابن زياد، فجآء عميرة بالكتاب إلى الكوفة، و قد قطع المسافة بين الشّام و الكوفة بإحدى عشر يوماً.

فأمر ابن زياد زجر بن قيس، و أبابردة بن عوف الأزدي، و طارق ابن ظبيان في جماعة من الكوفة أن يحملوا رأس سبط المصطفى الحسين بن عليّ عليهم صلوات اللّه و رؤوس من قُتِل معه عليهم السّلام إلى يزيد بن معاوية في الشّام.

و سرح فى أثرهم عليّ بن الحسين عليهما السّلام مغلولة يديه إلى عنقه و عياله

معه على حال تقشعرّ منها الأبدان ...

و كان معهم شمر بن ذي الجوشن، و مجفر بن ثعلبة العائذي، و شبث بن ربعي، و عمرو بن الحجّاج و جماعة، و أمرهم أن يلحقوا الرّؤوس و يشهروهم في كلّ بلد يأتونها فجدّوا السّير حتّى لحقوا بهم في بعض المنازل ...

في تاريخ القرماني: (ص ۱۰۸) و في (مرآة الجنان: ج ۱ ص ۱۳٤) للسيافعيّ: «سيقت بنات الحسين و عليّ، و معهم زين العابدين، و هو مريض كما تساق الأُسارى قاتل اللّه فاعل ذلك».

و في مجمع الزّوائد (ج ۹ ص ۱۹۹) لإبن حجر، و في (الخصآئص الكبرى ج ۲ ص ۱۲۷) و في (تاريخ ابن عساكر: ج ٤ ص ۳٤۲) و في (الصّواعق المحرقة: ص ۱۱٦) و في (الكواكب الدّرّية: ج ۱ ص ٥۷): «و في بعض المنازل وضعوا الرّأس المطهر، فلم يشعر القوم إلّا و قد ظهر قلم حديد من الحائط و كتب بالدّم:

أترجو أُمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

و في تاريخ القرماني: «وصلوا إلى دير في الطّريق، فنزلوا فيه ليقيلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه هذا البيت».

و لكنهم أعمت بصآئر هم، فلم يعتبروا بهذه الآية، و أرادهم العمى إلى مهوى سحيق، و نعم الحكم اللّه جلّ و علا.

و قبل أن يصلوا الموضع بفرسخ وضعوا الرّأس على صخرة هناك، فسقطت منه قطرة دم على الصّخرة فكانت تغلي كلّ سنة يوم عاشورآء و يجتمع النّاس هناك من الأطراف فيقيمون المأتم على الحسين بن عليّ عليهما السّلام و يكثر العويل حولها، و بقي هذا إلى أيّام عبد الملك بن مروان، فأمر بنقل الحجر فلم يرله أثر بعد ذلك، و لكنّهم بنوا في محلّ الحجر قبّة سمّوها «النّقطة».

و في نفس المهموم: للمحدّث الجليل الشيخ عبّاس القمّي: «لمّا جيئ برأس الحسين ﴿عليه السلام﴾ مع السّبايا، و وصلوا إلى هذا الجبل غربي حلب قطرت من الرّأس الشّريف قطرة دم، و عمر على أثرها مشهد عرف بمشهد النّقطة. و كان بالقرب من

«حماة» في بساتينها مسجد يقال له، مسحد الحسين، و يحدث القومة: أنّ الحجر و الأثر و الدّم موضع رأس الحسين حين ساروا به إلى دمشق».

قال الشيخ المحدّث القمّي في (نفس المهموم): «شاهدت هذا الحجر عند سفري إلى الحجّ و سمعت الخدم يتحدّثون بذلك».

و في بعض المنازل نصبوا رأس سبط المصطفى سيّد الشّهدآء الحسين بن عليّ عليهم صلوات اللّه على رمح إلى جنب صومعة راهب، و في أثنآءِ اللّيل سمع الرّاهب تسبيحاً و تهليلاً و رأى نوراً ساطعاً من الرّأس المطهّر، و سمع قآئلاً يقول: «السّلام عليك يا أبا عبداللّه» فتعجب حيث لم يعرف الحال، و عند الصّباح إستخبر من القوم، قالوا: إنّه رأس الحسين بن عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ و أُمّه فاطمة بنت محمّد النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فقال لهم: تبّاً لكم أيّتها الجماعة صدقت الأخبار في قولها: إذا قتل تمطر السّمآء دماً. و أراد منهم أن يقبل الرّأس فلم يجيبوه إلّا بعد أن دفع إليهم دراهماً ثمّ أظهر الشّهادتين، و أسلم ببركة المذبوح دون الدّعوة الإلهيّة، و لما ارتحلوا عن هذا المكان نظروا إلى الدّراهم و إذاً مكتوب عليها:

«و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

رواه سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص: ص ١٥٠).

و قال الشيخ عبد الحسين الأعسم النّجفيّ رحمة اللّه تعالى عليه:

أيهدي إلى الشّامات رأس ابن فاطم — و يقرعه بالخيزرانة كاشحه
و تسبي كريمات النّبيّ حواسراً — تغادي الجوى من ثكلها و تراوحه
يلوح لها رأس الحسين على القنا — فتبكي و ينهاها عن الصّبر لائحه
و شيبته مخضوبة بدمآئه — يلاعبها غادي النّسيم و رائحه

و لمّا قربوا من دمشق أرسلت أمّ كلثوم إلى الشّمر أن يدخلهم في درب قليل النّظار و يخرجوا الرّؤوس من بين المحامل لكى يشتغل النّاس بالنّظر إلى الرّؤوس، فسلك بهم على حالة تقشعرّ من ذكرها الأبدان، و ترتعد مفاصل كلّ إنسان، و أمر أن يسلك بهم بين النّظارة، و أن يجعلوا الرّؤوس وسط المحامل.

فأوقفوهم على باب السّاعات، و قد خرج النّاس بالدّفوف و البوقات، و هم في فرح و سرور، و دنا رجل من «سكينة» و قال: من أيّ السّبايا أنتم؟ قالت: نحن سبايا آل محمّد﴿ﷺ﴾ و كان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان جالساً في منظرة على «جيرون» و لمّا رأى سبايا آل رسول اللّه﴿ﷺ﴾ و رؤوس الشّهدآءِ على أطراف الرّماح و فوق السّنان، و قد أشرفوا على ثنية جيرون نعب غراب، فأنشأ يزيد يقول:

لما بدت تلك الحمول و أشرقت — تلك الرّؤوس على شفا جيرون

نعب الغراب فقلت: قل أو لاتقل — فقد اقتضيت من الرّسول ديوني

في تفسير روح المعاني: قال الآلوسيّ في تفسير قوله تعالى: «فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض و تقطّعوا أرحامكم» محمّد﴿ﷺ﴾: ٢٢) أراد بقوله: «فقد اقتضيت من الرّسول ديوني» أنّه قتل بما قتله رسول اللّه﴿ﷺ﴾ يوم بدر كجدّه عتبة و خاله و غيرهما و هذا كفر صريح، و مثله تمثّله بقول ابن الزّبعريّ قبل إسلامه: «ليت أشياخي ...» الأبيات.

و دنا سهل بن سعيد السّاعدى من سكينة بنت الحسين سلام اللّه عليهما و قال: ألك حاجة؟ فأمرته أن يدفع لحامل الرّأس شيئاً فيبعده عن النّسآء ليشتغل النّاس بالنّظر إليه، ففعل سهل.

و دنا شيخ من زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام و قال له: الحمدللّه الّذي أهلككم و أمكن الأمير منكم! ههنا أفاض الإمام﴿ع﴾ من لطفه على هذا المسكين المغتر بتلك التّمهويهات اليزيديّة لتقريبه من الحقّ و إرشاده إلى سبيل الهدى و الفلاح، و هكذا أهل بيت الوحى صلوات اللّه عليهم أجمعين تشرق أنوارهم على من يعلمون صفآء قلبه و طهارة طينته و استعداده للهداية، فقال﴿ع﴾ له: يا شيخ أقرأت القرآن؟

قال: بلى، قال﴿ع﴾: أقرأت: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى»؟

و قرأت قوله تعالى: «و آت ذا القربى حقّه»؟ و قوله تعالى: «و اعلمو أنّما غنمتم من شيء فأنّ للّه خمسه و للرّسول و لذي القربى»؟ قال الشّيخ: نعم قرأت ذلك.

فقال الإمام سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: نحن و اللّه القربى في هذه الآيات ... ثمّ قال له الإمام﴿عليه السلام﴾: أقرأت قوله تعالى: «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً»؟ قال: بلى. فقال﴿عليه السلام﴾: نحن أهل البيت الّذين خصّهم اللّه بالتّطهير.

قال الشّيخ: باللّه عليك أنتم هم؟ فقال﴿عليه السلام﴾: و حقّ جدّنا رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ إنّا لنحن هم من غير شكّ. فوقع الشّيخ على قدميه يقبلهما، و يقول: أبرأ إلى اللّه ممّن قتلكم، و تاب على يد الإمام ممّا فرط في القول معه، و بلغ يزيد فعل الشّيخ، و قوله فأمر بقتله.

بأيّـــة آيـــة يأتي يــزيد غداة صـحآئف الأعـمال تـتلى

و قام رسول ربّ العرش يـتلو و قد صمت جميع الخلق قال لا

و قبل أن يدخلوهم إلى مجلس يزيد أتوهم بحبال، فربقوهم بها، فكان الحبل في عنق زين العابدين إلى زينب و امّ كلثوم و باقي بنات رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ و كلّما قصروا عن المشي ضربوهم حتّى أوقفوهم بين يدى يزيد، و هو على سريره، فقال عـليّ بـن الحسين﴿عليه السلام﴾: ما ظنّك برسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ لو يرانا على هذا الحال، فبكى الحاضرون، و أمر يزيد بالحبال فقطعت.

و اُقيموا على درج باب الجامع حيث يقام السّبيّ، و وضع الرّأس المقدّس بـين يدى يزيد، و جعل ينظر إليهم و يقول:

صبرنا و كان الصّبر مـنّا عـزيمة و أسيافنا يقطعن هاماً و معصما

نفلق هـاماً مـن رجـال أعـزّة علينا و هم كانوا أعقّ و أظـلما

ثمّ التفت إلى النّعمان بن بشير، و قال: الحمدللّه الّذي قتله. فقال النّعمان: قد كان أمير المؤمنين معاوية يكره قتله، فقال يزيد: قد كان ذلك قبل أن يخرج، و لو خرج على أمير المؤمنين لقتله.

هذا منطق السّياسة الشّيطانيّة، و الحكّام الجابرة، و الملوك الطّاغية و السّلاطين الباغية، و الرّؤسآءِ الفاجرة، و الاُمرآء الفاسقة في كلّ ظرف ...

فليت السّمآء حقّاً على الأرض أطبقت و طـاف عـلى الدّنـيا الفنا أو النّشر

بنات عليّ و هي خير حرآئر	يباح بأيدي الأدعياء لها ستر
سبايا على عجف المطايا حواسراً	يودعها مصر و يرقبها مصر
فإن دمعت منهنّ عين و قصرت	عن المشي أعياء مخدرة طهر
أهاب بها شمر الخنا بقساوة	و ألمها في سوطه نقمة زجر
و ليس لديها كافل غير مدنف	اضرت به البلوى و قد مسّه الضّرّ
عليل يعاني القيد و الغلّ في السّرى	و يبدو على سيمائه الذّلّ و الاسر
سروا فيه مغلول اليدين مقيداً	إلى بطن حرف لم يوطء لها ظهر
و قد أكل اللّحم الحديد بجيده	و أثر حتّى فاض في دمه النّحر
يلاحظ أطفالاً تصيح و نسوة	تعج و أكباداً يطير بها الذّعر
و رأس أبيه و هو سبط محمّد	أمام السّبايا تستطيل به السّمر
و قد أدخلوه الشّام لامرحباً به	و افراحه تطغى بعيد هو النّصر
إلى مجلس فيه ابن هند بنصره	قريرو مروان يطير به البشر
و رأس أبيه السّبط في طست عسجد	أمام دعي غره الزّهو و الكبر
و قد كان يخفي الكفر لكن بذكره	لأشياخه في بدر قد ظهر الكفر

من قصيدة الشيخ عبد المنعم الفرطوسيّ.

## ﴿ مقايسة بين آل فرعون و أذناب السّقيفة ﴾
## و خطبة السّجاد(عليه السلام) في مجلس يزيد

قال اللّه عزّ و جلّ: «قال الملأ من قوم فرعون إنّ هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه و أخاه و أرسل في المدائن حاشرين» الأعراف: ١٠٩-١١١).

لمّا أدخل اجرآء يزيد بن معاوية من أذناب السّقيفة، أهل بيت الوحى عليهم السّلام في مجلس يزيد، و معه الكفرة الفجرة مثله، إلتفت إلى عليّ بن الحسين زين العابدين(عليه السلام) و قال: «كيف رأيت صنع اللّه يا عليّ بن الحسين؟ قال: رأيت ما قضاه اللّه عزّ و جلّ قبل أن يخلق السّموات و الأرض» و شاور يزيد من كان حاضراً عنده في أمره من عمّاله، فأشاروا عليه بقتله.

فقال زين العابدين(عليه السلام): يا يزيد لقد أشار عليك هؤلآءِ بخلاف ما أشار به جلسآء فرعون عليه حين شاورهم في موسى و هارون فإنّهم قالوا له: «أرجه و أخاه» و لا يقتل الأدعيآء أولاد الأنبياء و أبنآءهم، فأمسك يزيد مطرقاً.

و ممّا دار بينهما من الكلام أن قال يزيد بن معاوية لعليّ بن الحسين(عليه السلام): «ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» قال عليّ بن الحسين(عليه السلام): ما هذه فينا نزلت، إنّما نزل فينا: «ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن

نبرأها إنّ ذلك على اللّه يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم و لا تفرحوا بما أتاكم» فنحن لا نأسى على ما فاتنا و لا نفرح بما أتانا.

فأنشد يزيد قول الفضل بن العبّاس بن عتبة ابن أبي لهب:

مهلاً بني عمّنا مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

ثمّ استأذنه الإمام﴿عليه السلام﴾ في أن يتكلّم، فقال يزيد: نعم على أن لا تقل هجراً قال﴿عليه السلام﴾ لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر، ما ظنّك برسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ لو يراني على هذه الحال فأمر يزيد بأن يفك الغلّ منه.

أقول: و لعمرى! لو لم يقل عمر بن الخطاب لرسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾: «إنّ هذا الرّجل ليهجر» لما قال يزيد بن معاوية لإبن رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾: «لا تقل هجراً».

و أمر يزيد الخطيب الأجير أن يثني على معاوية، و ينال من سبط المصطفى و آله﴿صلى الله عليه وآله﴾ فأكثر الخطيب الأجير من الوقيعة في عليّ و الحسين عليهما السّلام، فصاح به زين العابدين﴿عليه السلام﴾: لقد اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من النّار:

أعلى المنابر تعلنون بسبّه و بسيفه نصبت لكم أعوادها

و قال ليزيد: أتأذن لي أن أرقى هذه الأعواد فأتكلّم بكلام فيه للّه تعالى رضى، و لهؤلآءِ أجر و ثواب، فأبى يزيد و ألحّ النّاس عليه، فلم يقبل، فقال إبنه معاوية إئذن له ما قدر أن يأتي به، فقال يزيد: إنّ هؤلآء و رثوا العلم و الفصاحة و زقّوا العلم زقّاً، و ما زالوا به حتّى أذن له.

فقال﴿عليه السلام﴾: «الحمد للّه الّذي لا بداية له، و الدّائم الّذي لا نفادله، و الأوّل الّذي لا أوّليّة له، و الآخر الّذي لا آخريّة له، و الباقي بعد فنآءِ الخلق، قدر اللّيالي و الأيّام، و قسم فيما بينهم الأقسام، فتبارك اللّه الملك العلاّم، إلى أن قال:

«أيّها النّاس أعطينا ستّاً و فضّلنا بسبع، أعطينا العلم و الحلم و السّماحة و الفصاحة و الشّجاعة و المحبّة في قلوب المؤمنين، و فضّلنا بأنّ منّا النّبيّ و الصّديق و الطّيّار و أسد اللّه و أسد رسوله، و سبطا هذه الأمّة، أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني أنبأته بحسبي و نسبي، أيّها النّاس أنا ابن مكّة و منى، أنا ابن زمزم و الصّفا، أنا ابن

من حمل الرّكن بأطراف الرّدآء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، و خير من طاف وسعى، و حجّ و لبّى!

أنا ابن من حمل على البراق و بلغ به جبرئيل سدرة المنتهى، فكان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملآئكة السّمآء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول اللّه ببدر و حنين، و لم يكفر باللّه طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين و وارث النّبيّين، و يعسوب المسلمين، و نور المجاهدين و قاتل النّاكثين و القاسطين و المارقين و مفرق الأحزاب، أربطهم جأشاً، و أمضاهم عزيمة ذاك أبو السّبطين الحسن و الحسين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾.

أنا ابن فاطمة الزّهرآء، و سيّدة النّساء، و ابن خديجة الكبرى، أنا ابـن المـرمّل بالدّماء، أنا ابن ذبيح كربلا، أنا ابن من بكى عليه الجنّ في الظّلمآءِ و ناحت الطّـير في الهوآءِ، فلمّا بلغ إلى هذا الموضع ضجّ النّاس بالبكآءِ و خشي يزيد الفتنة، فأمر المؤذّن أن يؤذّن للصّلاة، فقال المؤذّن: اللّه أكبر.

قال الإمام: اللّه أكبر و أجلّ و أعلا و أكرم ممّا أخاف و أحذر، فلمّا قال المؤذّن: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه قال﴿عليه السلام﴾: نعم أشهد مع كلّ شاهد أن لا إله غيره و لا ربّ سواه فلمّا قال المؤذّن: أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه، قال الأمام﴿عليه السلام﴾ للمؤذّن: أسئلك بحقّ محمّد أن تسكت حتّى أُكلّم هذا؟

و التفت إلى يزيد بن معاوية و قال: هذا الرّسول العزيز الكريم جدّك أم جدّي؟ فإن قلت: جدّك علم الحاضرون، و النّاس كلّهم أنّك كاذب، و إن قلت: جدّي فلم قتلت أبي ظلماً و عدواناً، و انتهبت ماله، و سبيت نسآئه، فويل لك يوم القيامة إذا كان جدّي خصمك.

فصاح يزيد بالمؤذّن: أقم للصّلاة فوقع بين النّاس همهمة، و صلّى بعضهم، و تفرّق الآخرون.

## ﴿ رأس سبط المصطفى (عليه السلام) في مجلس يزيد بن معاوية ﴾

في تفسير المنهج: عن سفيان بن عيينة عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: إذ خرجنا من المدينة إلى العراق كان أبي الحسين (عليه السلام) يذكر في كلّ منزل ينزل يحيى بن زكريّا عليهما السّلام فقال يوماً: «من هوان الدّنيا على اللّه عزّ و جلّ رأس يحيى بن زكريا أُهدِي إلى بغيّ من بغا يا بني إسرآئيل».

البغيّ هنا الإمرأة الزّانية، فأُهدِيَ إليها رأس يحيى (عليه السلام) كما أُهدى رأس الحسين بن عليّ عليهما السّلام إلى يزيد بن معاوية عليهما الهاوية الأبديّة.

و في المناقب لابن شهر آشوب السّروي المازندرانيّ رحمة اللّه تعالى عليه: «عن زين العابدين عن أبيه: أنّ امرأة ملك بني إسرآئيل كبرت، و أرادت أن تزوّج بنتها منه للملك فاستشار الملك يحيى بن زكريّا، فنهاه عن ذلك، فعرفت المرأة ذلك، و زيّنت بنتها و بعثتها إلى الملك، فذهبت و لعبت بين يديه، فقال لها الملك: ما حاجتك؟ قالت: رأس يحيى بن زكريّا فقال الملك:

يا بنيّة حاجة غير هذا، قالت: ما اريد غيره، و كان الملك إذا كذب فيهم عزل عن ملكه، فخيّر بين ملكه و بين قتل يحيى، فقتله، ثمّ بعث برأسه إليها في طست من ذهب، فامرت الأرض فأخذتها، و سلّط اللّه عليهم بخت النّصر فجعل يرمي عليهم بالمناجيق، و لا تعمل شيئاً فخرجت إليه عجوز من المدينة، فقالت: أيّها الملك إنّ هذه مدينة الأنبيآء لا تنفتح إلاّ بما أدلّك عليه قال: لك ما سئلت، قالت: إرمها بالخبث و العذرة، فـفعل

فتقطّعت فدخلها، فقال: عليّ بالعجوز فقال لها: ما حاجتك؟ قالت: في المدينة دم يغلي فاقتل عليه حتّى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفاً حتّى سكن، يا ولدي يا عليّ و اللّه لا يسكن دمي حتّى يبعث اللّه المهديّ، فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً».

لمّا خطب عليّ بن الحسين عليهما السّلام خطبة أوضح جنايات أذناب السّقيفة و أفضحهم بملأ في مجلس يزيد بن معاوية، دعا يزيد برأس الحسين بن عليّ عليهما السّلام و وضعه أمامه في طست من ذهب، و كانت النّسآء خلفه، فقامت سكينة و فاطمة بنتا الحسين﴿عليه السلام﴾ يتطاولان النّظر إليه، و يزيد يستره عنهما، فلمّا رأينه صرخن بالبكآءِ، ثمّ أذن للنّاس أن يدخلوا و أخذ يزيد القضيب و جعل ينكت ثغر الحسين﴿عليه السلام﴾ و يقول: يوم بيوم بدر و أنشد قول الحصين بن الحمام:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواضب في إيمانانا تقطر الدّما

نفلق هاماً من رجال أعزّة علينا و هم كانوا أعقّ و أظلما

صبرنا فكان الصّبر منّا عزيمة و أسيافنا يقطعن كفا و معصما

و قال أبو برزة الأسلمي: أشهد لقد رأيت النّبيّ﴿صلى الله عليه و آله﴾ يرشف ثناياه و ثنايا أخيه الحسن عليهما السّلام و يقول: أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة قتل اللّه قاتلكما، و لعنه و أعدّله جهنّم و سآئت مصيراً، فغضب يزيد منه، و أمر به فأخرج سحباً.

و التفت رسول قيصر إلى يزيد و قال: إنّ عندنا في بعض الجزآئر حافر حمار عيسى﴿عليه السلام﴾ و نحن نحجّ إليه في كلّ عام من الأقطار، و نهدي إليه النّذور و نعظّمه كما تعظمون كتبكم فأشهد أنّكم على باطل، فأغضب يزيد هذا القول، و أمر بقتله، فقام إلى الرّأس و قبله و تشهد الشّهادتين، و عند قتله سمع أهل المجلس من الرّأس المذبوح الشّريف الأطهر صوتاً عالياً فصيحاً: «لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه».

ثمّ أخرج الرّأس من المجلس و صلب على باب القصر ثلاثة أيام، فلمّا رأت هند بنت عمرو بن سهيل زوجة يزيد الرّأس على باب دارها و النّور الإلهي يسطع منه، و دمه طريّ لم يجف و يشمّ منه رائحة طيّبة، دخلت المجلس مهتوكة الحجاب و هي تقول: رأس

ابن بنت رسول اللّه على باب دارنا، فقام إليها يزيد و غطاها و قال لها: اعولي عليه يا هند فإنّه صريخة بني هاشم عجّل عليه ابن زياد. و أمر يزيد بالرّؤوس أن تصلب على أبواب البلد و الجامع الأُمويّ ففعلوا بها ذلك.

**في مقتل الحسين** (ج ۲ ص ٦٤-٦٥ ط مطبعة الزّهراء في النّجف) بإسناده عن شيخ من بني تميم من أهل الكوفة قال: لمّا أدخل رأس الحسين و حرمه على يزيد بن معاوية، و كان رأس الحسين بين يديه في طست، جعل ينكت ثناياه بمخصرة في يده و يقول: (ليت أشياخي ببدر شهدوا) و ذكر الأبيات إلى قوله: (من بني أحمد ما كان فعل).

و **في دائرة المعارف** للفريد و جدي - في ترجمة زينب - قال: «هي زينب بنت عليّ بن أبيطالب كانت من فضليات النّسآءِ و جليلات العقآئل كانت مع أخيها الحسين بن عليّ في وقعة كربلآء، فلمّا قتل الحسين و كثير من أهل بيته، و سلم الباقون أخذهم قآئد يزيد عمر بن سعد إلى ابن زياد و إلى العراق، و هذا وجّههم إلى يزيد فلمّا مثلوا بين يديه أمر برأس الحسين فأبرز في طست، فيجعل ينكت ثناياه بقضيب في يده و هو يقول:

يا غراب البين أسمعت فقل ... إنّما تذكر شيئاً قد فعل
ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكت بقبآء بركها ... و استحر القتل في عبد الأشل
لأهلوا و استهلوا فرحاً ... ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل
فجزيناهم ببدر مثلها ... و أقمنا ميل بدر فاعتدل
لست للشّيخين إن لم اثئر ... من بني أحمد ما كان فعل

فانبرت له زينب بنت عليّ عليهما السّلام و كانت في الأُسرى فقالت له:

و **في مقتل الخوارزمّي**: «فقامت زينب بنت عليّ و أُمّها فاطمة بنت رسول اللّه (صلى الله عليه و آله) فقالت: «الحمدللّه ربّ العالمين، و الصّلاة و السّلام على سيّد المرسلين، صدق اللّه تعالى إذ يقول: «ثمّ كان عاقبة الّذين أسآؤا السّوآى أن كذّبوا بآيات اللّه و كانوا بها يستهزؤن».

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض و آفاق السّمآء، و أصبحنا نساق كما تساق الأُسارى، أنّ بنا على اللّه هواناً، و بك عليه كرامة؟ و انّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، و نظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدّنيا لك مستوسقة، و الأُمور متّسقة، و حين صفالك ملكنا و سلطاننا، فمهلاً مهلاً!

أنسيت قول اللّه تعالى: «و لا يحسبنّ الّذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً و لهم عذاب مهين».

أمن العدل يابن الطّلقآء تخد يرك حرآئرك و إمآئك، و سوقك بنات رسول اللّه سبايا، قد هتكت ستورهنّ، و أبديت وجوههن، يحدي بهنّ (تحدوبهن الأعدآء خ) من بلد إلى بلد، و يستشرفهنّ أهل المناهل و المناقل (المعاقل خ) و يتصفّح و جوههنّ القريب و البعيد، و الدّنيّ و الشّريف، ليس معهنّ من رجالهنّ وليّ، و لا من حماتهنّ حمى، و كيف ترجي المراقبة ممّن لفظ فوه أكباد السّعدآء، و نبت لحمه بدمآءِ الشّهدآءِ؟ و كيف لا يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشّنف و الشّنآن، و الأحن و الأضغان؟ ثمّ تقول غير متأثّم و لا مستعظم:

لأهلوا و استهلوا فرحاً ثمّ قالوا: يا يزيد لا تشل

منحيناً على ثنايا أبي عبداللّه (سيّد شباب أهل الجنّة خ) تنكنها بمخصرتك؟ و كيف لا تقول ذلك و قد نكأت القرحة، و استأصلت الشّأفة، بإراقتك دمآء ذرّيّة آل محمّد﴿ﷺ﴾ و نجوم الأرض من آل عبدالمطّلب؟ أتهتف بأشياخك؟ زعمت أنّك تناديهم، فلتردن و شيكاً موردهم، و لتودنّ أنّك شللت و بكمت، و لم تكن قلت ما قلت، و ما فعلت ما فعلت، اللّهمّ خُذ (لناخ) بحقّنا، و انتقم ممّن ظلمنا، و احلل غضبك بمن سفك دمآئنا و قتل حماتنا.

فواللّه ما فريت إلاّ جلدك، و لا جززت إلاّ لحمك، و لتردن على رسول اللّه﴿ﷺ﴾ بما تحملت من سفك دمآءِ ذرّيّته، و انتهاك حرمته في لحمته و عترته، و ليخاصمنّك حيث يجمع اللّه تعالى شملهم، و يلم شعثهم، و يأخذ لهم بحقّهم: «و لا تحسبنّ

الّذين قتلوا في سبيل اللّه أمواتاً بل أحيآء عند ربّهم يرزقون».

و حسبك باللّه حاكماً و بمحمّد﴿ﷺ﴾ خصيماً، و بجبرئيل ظهيراً، و سيعلم من سوّل لك و مكّنك من رقاب المسلمين بئس للظّالمين بدلاً، و أيّكم شرّ مكاناً و أضعف جنداً، و لئن جرت عليّ الدّواهي مخاطبتك، فإنّي لأستصغر قدرك و استعظم تقريعك، و استكبر توبيخك، لكن العيون عبري، و الصّدور حرى.

ألا فالعجب كلّ العجب، لقتل حزب اللّه النّجبآء بحزب الشّيطان الطّلقاء، فتلك الأيدي تنطف من دمائنا، وتلك الأفواه تتحلب من لحومنا، و تلك الجثث الطّواهر الزّواكي تنتابها العواسل، و تعفوها الذّئاب و تؤمها الفراعل، فلئن اتّخذتنا مغنماً، لتجدنا و شيكاً مغرماً حين لا تجد إلاّ ما قدمت يداك، و أنّ اللّه ليس بظلّام للعبيد، فإلى اللّه المشتكى، و عليه المعوّل، فكدكيدك، و أسع سعيك، و ناصب جهدك، فواللّه لا تمحو ذكرنا، و لا تميت و حينا، و لا تدرك أمدنا و لا ترحض عنك عارها، و لا تغيب منك شنارها، فهل رأيك إلاّ فند، و أيّامك إلاّ عدد! و شملك (جمعك خ) إلاّ بدد! يوم ينادي المنادي: ألا لعنة اللّه على الظّالمين.

فالحمدللّه الّذي ختم لأوّلنا بالسّعادة و الرّحمة (المغفرة خ) و لآخرنا بالشّهادة و المغفرة (الرّحمة خ) و أسئل اللّه أن يكمل لهم الثّواب، و يوجب لهم المزيد و حسن المآب، و يختم بنا الشّرافة، انّه رحيم ودود، و حسبنا اللّه و نعم الوكيل، نعم المولى و نعم النّصير.

فقال يزيد:

يا صيحة تحمد من صوآئح ما أهون النّوح على النّوآئح

و من جهل يزيد و غيّه و ضلاله قوله بملء فمه غير متأثّم و لا مستعظم يخاطب من حضر عنده من ذؤبان أهل الشّام: أتدرون من أين أتى ابن فاطمة؟ و ما الحامل له على ما فعل و الّذي أوقعه فيما وقع؟ قالوا: لا قال: يزعم أنّ أباه خير من أبي و أمّه فاطمة بنت رسول اللّه﴿ﷺ﴾ خير من أمّي، و جدّه خير من جدّي، و أنّه خير منّي، و أحقّ بهذا الأمر منّي!

و لقد أحدتت هذه الخطبة هزّة في مجلس يزيد بن معاوية، و راح الرّجل يحدث جليسه بالضّلال الّذي غمرهم، و أنّهم في أيّ وادٍ يهيمون، فلم ير يزيد طاغي الشّام مناصاً إلاّ أن يخرج الحرم من المجلس إلى خربة لا تكنّهم من حرّ و لا برد فأقاموا فيها ينوحون على سبط المصطفى سيّد الشّهدآء الحسين بن عليّ عليهما السّلام ثلاثة أيّام ...

و في مثير الأحزان لابن نما: «و في بعض الأيّام خرج السّجّاد(عليه السلام) من الخربة يتروح، فلقيه المنهال بن عمر، و قال له: كيف أمسيت يا بن رسول اللّه(صلى الله عليه و آله)؟ قال(عليه السلام): أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبّحون أبنآءهم و يستحيون نسآءهم ... أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً منها، و أمست قريش تفتخر على سآئر العرب بأنّ محمّداً منها، و أمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشرّدين فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون».

قال المنهال: و بينا يكلّمني إذ امرأة خرجت خلفه، تقول له: إلى أين يا نعم الخلف؟ فتركني و أسرع إليها، فسئلت عنها، قيل: هذه عمّته زينب».

لقد سرّ يزيد قتل الحسين(عليه السلام) و من معه، و سبي حريم رسول اللّه(صلى الله عليه و آله) و ظهر عليه السّرور في مجلسه، فلم يبال بإلحاده و كفره، ببغيه و جنايته، و بظلمه و معصيته حين تمثّل بشعر إبن الزّبعري، و أنكر الوحي: (ما جآء خبر و لا وحى نزل) على محمّد(صلى الله عليه و آله) ولكنّه لما كثرت اللاّئمة عليه و وضح له الفشل و الخطأ في فعلته الّتي لم يرتكبها حتّى من لم ينتحل دين الإسلام، و عاب عليه خاصّته و أهل بيته و نسآؤه، و كان بمرأى منه و مسمع كلام الرّأس المذبوح الأطهر لما أمر بقتل رسول ملك الرّوم: «لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه» و لحديث الأندية عما ارتكبه من هذه الجريمة الشّائنة و القسوة الشّديدة دويّ في أرجآءِ الشّام، لم يجد مناصاً من إلقآءِ التّبعة على عاتق ابن زياد تبعيداً للسّبّة عنه، ولكن الحقّ ثابت لا يزول.

و لمّا خشي يزيد بن معاوية الفتنة و انقلاب الأمر عليه عجّل بإخراج سيّد السّاجدين عليّ بن الحسين و السّبايا عليهم السّلام من الشّام إلى وطنهم، و أمر النّعمان

بن بشيرو جماعة معه أن يسيروا معهم إلى المدينة، فلمّا وصلوا العراق قالوا للدّليل: مُربنا على طريق كربلا فوصلوا إلى مصرع سبط المصطفى الحسين بن عليّ عليهم السّلام فوجدوا جابر بن عبداللّه الأنصارى و جماعة من بني هاشم قدوردوا لزيارة قبر سيّد الشّهدآءِ﴿عليه السلام﴾ فتلاقوا بالبكاء و الحزن و اللّطم، و أقاموا في كربلا ينوحون على سبط المصطفى الحسين بن عليّ عليهم صلوات اللّه ثلاثة أيام ... و وقف جابر بن عبد اللّه الأنصاريّ على القبر فأجهش بالبكآءِ و قال: يا حسين ثلاثاً ثمّ قال:

حبيب لا يجيب حبيبه، و أنّى لك بالجواب، و قد شطحت أوداجك على أثباجك و فرق بين رأسك و بدنك، فأشهد أنّك ابن خاتم النّبيّين، و ابن سيّد المؤمنين، و ابن حليف التّقوى، و سليل الهدى، و خامس أصحاب الكسآء، و ابن سيّد النّقبآء، و ابن فاطمة الزّهرآء سيّدة النّسآءِ، و مالك لا تكون كذلك، و قد غذتك كفّ سيّد المرسلين، و ربيت في حجر المتّقين، و رضعت من ثدي الإيمان، و فطمت بالإسلام، فطبت حيّاً و طبت ميّتاً، غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيّبة بفراقك، و لا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام اللّه و رضوانه، و أشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريّا.

و لمّا رجعت السّبايا إلى المدينة الطّيّبة و رأوا جدرانها أنشأت أُمّ كلثوم عليها السّلام:

مدينة جدّنا لا تقبلينا ... فبا لحسرات و الأحزان جِئْنا
ألا أخْبِرْ رسولَ اللّه فينا ... بأنّا قد فُجِعْنا في أبينا
و أنّ رجالَنا بالطّفّ صَرْعى ... بلا رؤوس و قد ذَبَحُوا البنينا
و أخْبِرْ جَدَّنا أنّا أُسِرْنا ... و بعد الأسر يا جدّا سُبينا
و رَهطك يا رسول اللّه أضْحَوا ... عرايا بالطُّفُوف مُسَلَّبينا
و قد ذبحوا الحسين و لم يراعوا ... جنابَك يا رسول اللّه فينا
فلو نَظَرَتْ عيونُك للأُسارى ... على أقتاب الجمال مُحَمّلينا
رسولَ اللّه! بعد الصّون صارت ... عيون النّاس ناظرةً إلينا

| | |
|---|---|
| و كنتَ تحوطنا حتّى تولّتْ | عيونك ثارَتِ الأعداء علينا |
| أفاطم! لو نَظَرْتِ إلى السّبايا | بناتك في البلاّد مشتّتينا |
| أفاطم! لو نظرتِ إلى الحيارى | و لو أبصرتِ زين العابدينا |
| أفاطم! لو رأيت بنا سُهارىٰ | و مِن سَهَرِ اللّيالي قد عمينا |
| أفاطم! ما لقيتِ من عداكِ | و لا قيراطَ ممّا قد لقينا |
| فلو دامَتْ حيوتُك لم تزالي | إلى يوم القيامة تَندُبينا |
| و عرِّج بالبقيع وقِفْ و نادِ | أ إينَ حبيب ربّ العالمينا |
| و قل يا عمّ يا الحسن المُزَكّىٰ | عيال أخيك أضحوا ضائعينا |
| أيا عمّاه! إنّ أخاك أضحى | بعيداً عنك بالرّمضا رهينا |
| بلا رأس تنوح عليه جهراً | طيورٌ و الوحوش الموحشينا |
| و لو عاينت يا مولاى ساقوا | حريماً لا يجدنّ لهم مُعينا |
| على متن النِّياق بلا وِطآءٍ | و شاهدتَ العيال مُكشّفينا |
| مدينةَ جدّنا لا تقبلينا | فبالحسرات و الأحزان جئنا |
| خرجنا منك بالأهْلَين جمعاً | رجعنا لا رجال و لا بنينا |
| و كنّا في الخروج بجمع شمل | رجعنا حاسرين مسلّبينا |
| و كنّا في أمان اللّه جهراً | رجعنا بالقطيعة خائفينا |
| و مولينا الحسين لنا أنيسٌ | رجعنا و الحسين به رهينا |
| فنحن الضّائعات بلا كفيل | و نحن النّائحات على أخينا |
| و نحن السّائرات على المطايا | نُشال على جمال المبغضينا |
| و نحن بنات ياسين و طاها | و نحن الباكيات على أبينا |
| و نحن الطّاهرات بلا خفاء | و نحن المخلصون المصطفونا |
| و نحن الصّابرات على البلايا | و نحن الصّادقون النّاصحونا |
| ألا يا جدّنا! قتلوا حسيناً | و لا يرعوا جناب اللّه فينا |

ألا يا جدّنا بَلَغَتْ عِدانا | مناها و اشتفى الأعدآء فينا
لقد هتكوا النّسآء و حمّلوها | على الأقتاب قهراً أجمعينا
و زينب أخرجوها من خِباها | و فاطم واِلهٌ تُبدي الأنينا
سكينة تشتكي من حَرٍّ وَجْدٍ | تنادي الغَوْثَ ربّ العالمينا
و زين العابدين بقيد ذلّ | و راموا قتله أهلُ الخَنُونا
فبعدهم على الدّنيا ترابٌ | فكأس الموت فيها قد سُقينا
و هذي قصّتي مع شرح حالي | ألا يا سامعون أبكوا علينا

## ﴿ دفع الشّبهة الواهية و رفعها ﴾

قال اللّه عزّ و جلّ: «هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أُمّ الكتاب وأُخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله إلاّ اللّه و الرّاسخون في العلم» آل عمران: ٧).

في نهج البلاغة: -(الخطبة: ١٤٤) قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾: «أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا؟ كذباً و بغياً علينا أن رفعنا اللّه و وضعهم، و أعطانا و حرمهم، و أدخلنا و أخرجهم بنا يستعطى الهدى و يستجلي العمى ...».

و فيه: (الخطبة: ٩٢) قال الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «فاسئلوني قبل أن تفقدوني فو الّذي نفسي بيده لا تسئلونني عن شيء فيما بينكم و بين السّاعة و لا عن فئة تهدي مأة و تضلّ مأة إلاّ أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها و مناخ ركابها و محطّ رحالها، و من يقتل من أهلها قتلاً و من يموت منهم موتاً».

و فيه: (الخطبة: ١٧٤) قال الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «و اللّه لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه و مولجه و جميع شأنه لفعلت ...».

و فيه: (الخطبة: ٢٣١) قال الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السّماء أعلم منّي بطرق الأرض ...».

و فيه: (الخطبة: ٢) قال الإمام عليّ في أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه

عليهم أجمعين: «هم موضع سرّه و لجأ أمره و عيبة علمه و موئل حِكَمه و كهوف كتبه و جبال دينه، بهم أقام إنحناء ظهره و أذهب إرتعاد فرآئصه ...».

و فيه: (الخطبة: ۱۰۸) قال الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «نحن شجرة النّبوّة و محطّ الرّسالة و مختلف الملآئكة و معادن العلم وينابيع الحكم ...».

و فيه: (الخطبة: ۱۱۹) قال الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «و عندنا أهل البيت أبواب الحِكَم وضيآء الأمر ...».

هذا! و قد توهّم بعض الجهلة في زماننا هذا أنّ الحسين بن عليّ﴿عليه السلام﴾ كان يظنّ موافقة الكوفيّين له و قد تخلّف ظنّه، و لم يعلم مآل أمره، و قد أيّد هذا التّوهّم الواهي و الغلط الفاحش بعض السّفلة و أبنآء القردة، و هم لم يفهموا – و حقّاً لهم أن لا يفهموا لحبّهم الرّئاسة و متاع الدّنيا و شهواتها، ... حيث إنّ حبّ الشّيء يعمي و يصمّ فأوجب ابتعادهم عن الكتاب و السّنّة الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين – بأنّ أهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات اللّه كلّهم كانوا على علم و يقين بمجاري القدر النّازل و القضآء الّذي لا يردّ بما انتابهم من الكوارث لأنّهم قيد إشارة الخالق المتعال بكلّ ما يستقبلهم من سرّآءٍ و ضرّآءٍ و لم يبارحهم هذا العلم المفاض عليهم من «مبدءِ الوجود» جلّت آلآؤه أوّلاً و إعلام رسوله الخاتم﴿صلى الله عليه وآله﴾ بل كلّ أنبيآئه و رسله عليهم صلوات اللّه به ثانياً، و وقوف أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين على الصّحيفة النّازلة على رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ ثالثاً، و حيث إنّ اللّه عزّ و جلّ أعدّلهم منازل و شرفاً خالداً لا ينالونه إلاّ بالشّهادة، و إزهاق تلك النّفوس المطهّرة و الذّوات المقدّسة لذلك ضحوا حياتهم الثّمينة بخوعاً لأمر اللّه عزّ و جلّ، و جرياً مع المصالح الواقعيّة الّتي لا تدركها أحلام البشر، و لا يعرف دقيقها غير علاّم الغيوب، و لا يلزمنا معرفة وجه الصّلاح و الفساد في جميع التّكاليف الشّرعيّة، و إنّما الّذي يوجبه العقل هو طاعة المولى الجليل عزّ شأنه في أوامره و نواهيه ...

نعم! هؤلآء الأئمّة و جدّتهم فاطمة الزّهرآء من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين أفدوا أنفسهم لدينهم ليكونوا أحيآء دائمين عند اللّه جلّ و

علا: «و لا تقولوا لمن يقتل في سبيل اللّه أموات بل أحيآء و لكن لا تشعرون» البقرة: ١٥٤) ماتوا في سبيل اللّه تعالى فنالوا بالحياة الأبديّة ... أفدوا أنفسهم و ما يتعلّق بهم لدينهم إتماماً للحجّة على غيرهم الّذين يفدون دينهم لمصالح أنفسهم الشّخصيّة الدّنيويّة، و لحواشيهم السّفلة الدّنانيريّة ...

و لعمري انّ للعلمآءِ الدّينيّة و الدّعاة و المصلحين خاصّة، و للمسلمين كافة و للنّاس أجمعين في أهل بيت الوحى المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين أُسوة حسنة.

و **من العجب**: انّ من أصاخ لهتاف الأحاديث الصّحيحة و الرّوايات المتواترة و المستفيضة مسلماً مذعناً بأنّ أهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات اللّه يعلمون ما كان و ما يكون و عندهم علم المنايا و البلايا ... كيف خفي عليه ضوء الكثير من الأحاديث المصرّحة بأنّ ما صدر منهم من كلام أو سكوت، و من قيام أوقعود إنّما هو أمر موجّه إليهم خاصّة من اللّه جلّ و علا على لسان رسوله الأمين على الوحي الإلهي، و لم يعزب عنهم صغير و لا كبير و لم يجهلوا شيئاً من ذلك حتّى ساعة الموت. و ممّا يشهد لذلك ما:

**في اصول الكافي**: - باب أنّ الأئمة عليهم السّلام يعلمون علم ما كان و ما يكون - بإسناده عن ضريس الكناسيّ قال: سمعت أبا جعفر ﴿عليه السلام﴾ يقول - و عنده أُناس من أصحابه -: عجبت من قوم يتولّونا و يجعلونا أئمّة، و يصفون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول اللّه ﴿صلى الله عليه و آله﴾ ثمّ يكسرون حجّتهم، و يخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقّنا، و يعيبون ذلك على مَن أعطاه اللّه برهان حقّ معرفتنا و التّسليم لأمرنا، أترون أنّ اللّه تبارك و تعالى إفترض طاعة أوليآئه على عباده، ثمّ يُخفي عنهم أخبار السّموات و الأرض، و يقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم؟!

فقال له حمران: جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر قيام عليّ بن أبيطالب و الحسن و الحسين عليهم السّلام و خروجهم و قيامهم بدين اللّه عزّ ذكره، و ما أُصيبوا من قتل الطّواغيت إيّاهم و الظّفر بهم حتّى قتلوا و غلبوا؟ فقال أبو جعفر ﴿عليه السلام﴾: يا حمران إنّ اللّه تبارك و تعالى قد كان قدّر ذلك عليهم و قضاه و أمضاه و حتمه على سبيل الإختيار

(الاختبار خ) ثمّ أجراه، فبتقدّم علم إليهم من رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ قام عليّ و الحسن و الحسين عليهم السّلام، و بعلم صمت مَن صمت منّا.

و لو أنّهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر اللّه عزّ و جلّ و إظهار الطّواغيت عليهم سئلوا اللّه عزّ و جلّ أن يدفع عنهم ذلك، و ألحّوا عليه في طلب إزالة ملك (تلك خ) الطّواغيت و ذهاب ملكهم إذاً لأجابهم و دفع ذلك عنهم، ثمّ كان انقضاء مدّة الطّواغيت و ذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع، فتبدّد، و ما كان ذلك الّذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه، و لا لعقوبة معصية خالفوا اللّه فيها، و لكن لمنازل و كرامة من اللّه أراد أن يبلغوها، فلا تذهبنّ بك المذاهب عنهم».

قوله ﴿عليه السلام﴾: «ثمّ يكسرون حجّتهم» أى على المخالفين لأنّ حجّتهم على المخالفين أنّ إمام الشّيعة يعلم ما لا يعلم إمام غيرهم، و لابدّ أن يكون إمام الشّيعة كاملاً في العلم و العمل، و إمام المخالفين جاهل مقصّر، فإذا اعترف الشّيعة في إمامهم أيضاً بالجهل و الخطأ كسروا و أبطلوا حجّتهم، و خصموا أنفسهم أى قالوا بشيء إن تمسّك به المخالفون غلبوا عليهم، فإنّ لهم أن يقولوا: إذاً فلا فرق بين إمامنا و إمامكم. و «موادّ العلم»: ما يمكنهم إستنباط علوم الحوادث و الأحكام و غيرهما منه ممّا ينزل عليهم في ليلة القدر و غيرها... «فيما يرد عليهم» من القضايا و ما يسئلون عنه من الإخبار بالحوادث و الوقائع و الغيوب ... ممّا هو سبب لصحّة إيمانهم و زيادة يقينهم في إمامة أئمّتهم ...

و قوله ﴿عليه السلام﴾: «على سبيل الإختيار» أى ما وقع عليهم برضاهم، بأنّهم لمّا أُخبروا بذلك اختاروه و لذلك لم يفرّوا منه و سلموا و فعلوا ما أُمروا به، «و ما كان ذلك الّذي أصابهم يا حمران لذنب إقترفوه ...» بأنّهم ليسوا داخلين تحت قوله تعالى: «ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» الشّورى: ٣٠ كما زعم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عليهم الهاوية و النّيران فإنّ الخطاب في هذه الآية إنّما توجّه إلى أرباب الخطايا و المعاصي من الأمّة، و «فلا تذهبنّ بك المذاهب» أى الأهوآء المضلّة، فلا تتوهّمن أنّ ذلك لصدور معصية عنهم، أو لنقص قدرهم و حطّ منزلتهم عند اللّه، أو أنّهم لم يكونوا يعلمون ما يصيبهم.

و من إشعاعات هذه الرّواية الشّريفة الصّحيحة العالية تظهر أسرار غـامضة و حِكَم إلهيّة إختصّ اللّه عزّ و جلّ بها أوليآئه الّذين هم خزّان وحيه، و بها ميّزهم عن سآئر البشر و جعلهم أُسوة لهم، و هي:

١- علمهم بكلّ شيء و عدم انقطاع أخبار السّمآءِ عـنهم، و عـمومه شـامل للموضوعات بأسرها.

٢- انّ ماجرى عليهم من الأخطار و قهر أرباب الجور و الزّور و التّزوير ناشيء عن مصالح لا يعلمها إلاّ اللّه تعالى و الرّاسخون في العلم.

٣- انّ ما صدر منهم من الحرب و الجهاد و القتل في سبيل الدّعـوة الإلهـيّة و إحقاق الحقّ و إبطال الباطل، و السّكوت عمّا يفعله أئمّة الكـفر و الضّـلال، و البـغي و الفساد... و مشاهدتهم تمادي الأُمّة في الإثم و الطّغيان ... و إقدامهم على ما فيه استئصال حياتهم القدسيّة طاعة لأوامر المولى الخاصّة بهم، و انقياداً لتكليفه بلا إلجآءٍ من اللّـه تعالى لهم في شيء من ذلك، و إنّما هم مختارون فيه كإختيار غيرهم في جميع التّكاليف ...

٤- التّسليم للقضآء المحتوم و الأجل المبرم، و عدم التوسّل إلى الباريء تعالى في إزاحة العلّة ليكونوا أُسوة حسنة لغيرهم في تفدية النّفوس الشّريفة و الذّوات المقدّسة لدينهم لينالوا بالشّهادة الّتي هي أشرف الموت الدّرجات الرّفيعة، و المنازل العالية الّتي لا تحصل إلاّ بهذا النّوع من إزهاق النّفس.

٥- انّ إقدام أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام على ما فيه تهلكة ظاهراً - و قد كان فيه حياة أبدية واقعاً - إنّما هو من باب الطّاعة و امتثال التّكليف الموجّه إليهم ليكونوا أُسوة لغيرهم في حماية الدّين و الذّبّ عنه، فلا يتطرّق إلى ساحة علمهم نقص، و لا أنّ إقدامهم على ما فيه الهلكة ممّا يأباه العقل السّليم.

٦- انّ الحراسة عن نواميس الدّين، و الحماية عن حدود القرآن الكريم، و الذّبّ عن ثغور الشّريعة الإسلاميّة عند هجمة الأعداء و المعاندين ليست بأقلّ مسئوليّة، من حراسة الحرّاس من ثغور مملكة إطلاقاً عـند هـجمة المـتجاوزين فـيقتلون حـينها و يُمدَحون، و يحسن العقلآء صنعهم، و لو أدبروا أو فرّوا أو ناموا أو تناموا أو تـغافلوا أو

تداهنوا أو تصانعوا مع المتجاوزين ليُذَمّوا على ذلك.

فإذا تحقّقت هناك مصلحة تقاوم مفسدة الهلكة ظاهراً - وليست بالهلكة واقعاً - من إيقآء دين و شريعة أو إبراز حقيقة لا تظهر إلاّ بالشهادة فلا بدّ منها كما في أمر سيّد الشّهدآءِ (عليه السلام) يوم وقف ذلك المواقف المدهش، فتلا على الملأصحيفة بيضآء و تلتها الحقب و الأعوام ... فلقد عرف سيّد الأحرار الحسين بن عليّ عليهما السّلام بنهضته المقدّسة الأمم الحاضرة و المتعاقبة أعمال الأمويّين و جناياتهم، و من سنّ لهم خرق نواميس الشّريعة، و التّعدّي على قداسة حدودها و قوانينها ... و قد استفادت الأُمم من إقدام أبي الضّيم (عليه السلام) على الموت و بذله كلّ مالديه من جاه و نفس و حرمات في سبيل تأييد الدّعوة المحمّديّة دروساً عالية، و عرفوا الصّلابة و الإستقامة، و كيفيّة الثّبات على المبدإ، و انّه يستهان في تحرير النّفوس من الظّلم و الجور، و عن الزّور و التّزوير ... و إنقاذها من مخالب الظّلم و الجناية كلّ غال و رخيص.

و قد خدم الحسين بن عليّ عليهما السّلام الدّين بنهضته المقدّسة و أحيا التّوحيد في العالم بتلك التّضحية العظمى، و لو لا شهادته لما قامت للإسلام قائمة، فإنّ الأحقاد القديمة من بني أُميّة و تلك الضّغآئن الخبيثة من تلك الشّجرة الملعونة الّتي صرّح بها القرآن الكريم: «و ما جعلنا الرّؤيا الّتي أريناك إلاّ فتنة للنّاس و الشّجرة الملعونة في القرآن» الإسراء: ٦٠) نهضت على محو الدّين الإسلاميّ الّذي ظهر من أُسرة عريقة بالمجد و الشّرف أعني البيت الها شميّ البازغ منهم شمس الرّسالة و النّبوّة.

و لقد كان في نيّات الأمويّين المقوتة هدم الإسلام كلّه إذ سلكوا في سياستهم الغاشمة في هدم الوحي بأسره، و نسفه المسلك و الشّرعة الّتي علمها لهم رئيسهم و رئيس المشركين و زعيم المنافقين و الإلحاد أبو سفيان في تلقينه لهم تعاليمه الجاهليّة، و نزعاته الأمويّة حين دخل على عثمان بن عفان بعد أن ولى الخلافة و غصبها كسابقيه، و خاطبهم بكلامه المعلن بكفره و نفاقه و قال: «يا بني اميّة تلقفوها تلقف الكرة و الّذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم و لتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة».

و قال لعثمان: أدرها كالكرة و اجعل أوتارها بني اميّة، فإنّما هو الملك و لا أدري ما من جنّة و لا نار.

و أتى قبر حمزة سيّد الشّهدآء سلام اللّه عليه فركله برجله، ثمّ قال: يا حمزة إنّ الأمر الّذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم و كنّا أحقّ به من تيم و عديّ.

فسبط المصطفى الحسين بن عليّ عليهم صلوات اللّه جلّ و علا و إن أزهق نفسه المقدّسة و نفوس الأزكيآء من أهل بيته و صحبه و عرض حرم رسـول اللّـه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ للسّلب و الأسر بسبب إقدامه على اولئك الجمع المغمور بالأضاليل و الجرآئم ... ولكنّه سجّل اسطراً نوريّة على جبهة الدّهر في أحقّيّة نهضته و بطلان تمويهات عدوّه الحآئد عن سنن الحقّ المتمرّد في الطّغيان، فهو الفاتح المنصور في كلّ زمان ... و انّ المتجهّر عليه راسب في بحر الضّلالة و العصيان، و في لجّى الشّرارة و العدوان ... هاتك لحرمات اللّه جلّ و علا، متعدّ على نواميس القرآن الكريم و حدود الإسلام و الدّعوة الإلهيّة.

فعلى كلّ عالم دينيّ - يجب عليه حماية الدّين و الذّبّ عنه، و الحـراسـة عـن نواميس القرآن الكريم و عن حدود الشّريعة المحمّديّة، و الحفاظة للدّعوة الإلهيّة - أن يحمل الآلاف المتجاوزين - كما يجب على حماة ثغور المملكة و المواطنين الدّفاع - مع فقد إحتمال النّجاة أو النّكاية بالأعداءِ، و لا يكون هذا الإقدام منه إلقاء بالتّهلكة - كما توهمّه الكسالى الزّمني - لأنّ فيه نفع المسلمين و تقوية عزآئمهم، و بعث روح النّشاط فيهم للدّفاع عن المبدإ و الموت تحت راية العزّ و الكمال.

و لقد كان الحسين ابن عليّ ﴿عليه السلام﴾ يعتقد في نهضته أنّه فاتح منصور لما في شهادته من إحيآءِ دين اللّه تعالى و شريعة جـدّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و إمـاتة البـدعة، و تـفظيع أعـمال المناوئين، و تفهيم الأُمّة أنّ الخلافة لا تصلح على غير أهل بـيت الوحـي المـعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين و لا تصلح الولاة من غيرهم، و إليه أشار في كتابه إلى بني هاشم: «من لحق بنامنكم إستشهد و من تخلّف لم يبلغ الفتح» فإنّه ﴿عليه السلام﴾ ما أراد بالفتح إلاّ ما يترتّب على نهضته و تضحيته من نقض دعآئم الكفر و الضّلال، و الجور و الفساد، و كسح أشواك الباطل عن صراط الشّريعة المطهّرة، و إقامة أركان الحقّ و الهـدى، و

العدل و التّوحيد، و انّ الواجب على العلمآءِ خاصّة و الأمّة كافّة القيام في وجه المنكر و نصرة دين اللّه جلّ و علا و الذّبّ عن الشّريعة المحمديّة، فاللّه تعالى ينصرهم و يثبّت أقدامهم ...

قال اللّه تعالى: «و إذ أخذ اللّه ميثاق الّذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس و لا تكتمونه - لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا و يحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا» آل عمران: ١٨٧-١٨٨).

و قال: «إن تنصروا اللّه ينصركم و يثبّت أقدامكم» محمّد: ٧).

و قال: «و إنّ جندنا لهم الغالبون» الصافات: ١٧٣).

و هذا معنى كلمة الإمام سيّد السّاجدين زين العابدين﴿عليه السلام﴾ لإبراهيم بن طلحة بن عبيد اللّه لمّا قال له حين رجوعه إلى المدينة: «مَن الغالب»؟ فقال عليّ بن الحسين﴿عليه السلام﴾: «إذا دخل وقت الصّلاة فأذن و أقم تعرف الغالب».

فإنّه﴿عليه السلام﴾ أشار إلى تحقّق الغاية الّتي ضحى الحسين بن عليّ عليهما السّلام نفسه الزّكيّة لأجلها و فشل يزيد بن معاوية عليهما الهاوية بما سعى له من إطفآءِ نور اللّه تعالى و ما أراده أبوه من نقض مساعي رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ و إماتة الشّهادة له بالرّسالة بعد أن كان الواجب على الأمّة في الأوقات الخمس الإعلان بالشّهادة لنبيّ الإسلام﴿صلى الله عليه وآله﴾ ذلك الّذي هدم صروح الشّرك و أبطل العبادة للأصنام كما وجب على الأمّة الصّلاة على النّبيّ و على آله الطّيّبين في التّشهّدين و إنّ الصّلاة عليه بدون الصّلاة على آله بترآء.

و قد أشارت عقيلة بني هاشم زينب الكبرى إبنة فاطمة الزهرآء سلام اللّه عليها إلى هذا الفتح بقولها ليزيد ابن معاوية: «فكد كيدك و اسع سعيك و ناصب جهدك فواللّه لا تمحو ذكرنا و لا تميت وحينا، و لا تدرك أمدنا، و لا يرحض عنك عارها و شنارها».

هذا كلام زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليهما السّلام بعد أن لقت في مشهد الطّفّ أمواج الحتوف، و مرارات الإسارة، و بعد أن أخذ بنو اميّة على سبط المصطفى﴿صلى الله عليه وآله﴾ أقطار الأرض و آفاق السّمآء:

عشـــيّة أنهـــضها بـغيها فـــجآئته تــركب طـغيانها
بجمع من الأرض سـدّ الفـروج و غـطى النّـجود و غـيطانها
وطا الوحوش إذ لم يجـد مـهربا و لا زمت الطّـــير أو كـانها

و لكن عصبة الحقّ لم يثن من عزمهم شيء، فقابلوا تلك الأخطار العظمى من غير مدد يأملونه أو نصرة يرقبونها، و قد انقطعت عنهم خطوط الوسآئل الحيويّة كلّها حتّى المآء الّذي هو أوفر الأشيآء، و النّاس فيه شرع سوآء، و ضوضآء الحرم من الشّرّ المقبل، و صراخ الأطفال من الاوام المبرح في مسامعهم إلاّ أنّهم تلقوا جبال الحديد بكلّ صدر رحيب، و جنان طامن، و لم تسل تلك النّفوس الطّاهرة إلاّ على قتل اُميّة المنقوض و لا اُريقت دمآؤهم الزّكية إلاّ على حبلهم المنتكث، فكان ملك آل حرب كلعقة الكلب أنفه حتّى اكتسحت معرتهم عن أديم الأرض.

و لقد أجاد شاعر أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين بقوله:

لو لم تكن جمعت كلّ العلا فـينا لكان ما كان يوم الطّفّ يكـفينا
يوم نهضنا كأمثال الاسـود بـه و أقبلت كالدّبا زحـفاً أعـادينا
جاؤا بسبعين الفا سـل بـقيتهم هل قابلونا و قد جئنا بسـبعينا

فيوم الطّفّ فتح إسلاميّ بعد الجاهل المستردة من جرآءِ أعمال أصحاب السّقيفة السّخيفة و أذنابهم الأمويّين، و لفيفهم الّذين لم يستضيئوا بذلك الألق السّاطع: نـور التّوحيد و شعاع النّبوّة.

انّ سبط المصطفى الحسين بن عليّ عليهم صلوات اللّه لم يكن قاصداً في خروجه السّلطنة و الرّئاسة و الإشتهار و متاع الدّنيا و شهواتها، و خفقان الرّايات... فإنّه لو كانت هذه غرضه لاتّخذ الوسآئل الموصلة إليها، و هو أعرف بها، و لم يدع إلى من كان معه من الأعراب قتله و هلاك من معه، و استسلام عائلته للأسر، فيتفرّق جيشه، و تـتضاءل قواه الصّوريّة، لكن نفسه المقدّسة - و هكذا الأحرار - أبت كتمان الأمر و إيهام الحال حتّى اختبرهم بالإذن في المفارقة، فذهب عنه من كان همّه الطّمع ...

و أبى اولئك الصّفوة إلاّ مواساته و نصرته، فلا الجـبن يـطرق سـاحتهم، و لا

الإنكسار يبين في مجالبهم لأنّ ذلك شأن المأيوس من غايته، و هؤلآء الصّفوة كانوا على يقين من الظّفر بالأمنيّة كما تنم عنه كلماتهم الّتي أجابوا سيّدهم الحسين﴿عليه السلام﴾ بها لمّا أنبأهم ليلة عاشورآء بحراجة الموقف، و رفع عنهم البيعة و خلى لهم السّبيل.

فقالوا: «الحمد اللّه الّذي شرفنا بالقتل معك، و لو كانت الدّنيا باقية و كنّا فيها مخلدين لآثرنا النّهوض معك على الإقامة فيها».

فأفدوا أنفسهم لإمامهم الّذي أفدى نفسه الزّكيّة لدينه، و هم و اللّه تعالى مغزى الآيات التّالية و لبّها: «و لا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل اللّه أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون – الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً و قالوا حسبنا اللّه و نعم الوكيل» آل عمران: ١٦٩-١٧٣) «و من يعمل من الصّالحات و هو مؤمن فلا يخاف ظلماً و لا هضماً» طه: ١١٢) «إنّ اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل اللّه فيقتلون و يقتلون» التّوبة: ١١١).

فهم بهذا الايمان حقاً، و صالح العمل صدقاً كانوا يرون أنفسهم الأعلون الغالبين في كلّ ظرف ... قَتَلوا أو قُتِلوا، فلن يحزنوا و لا يهنوا و لا يدعوا إلى السّلم ... حيث إنّ الخوف من الظّالم، و الحزن من فوت متاع الدّنيا، و الوهن في سبيل اللّه تعالى، و التّسليم تجاه الجآئر من علآئم ضعف الايمان أو فقده كآئناً من كان عالماً دينيّاً أو مسلماً عاميّاً ...

قال اللّه عزّ و جلّ: «و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ١٣٩) و قال: «فلا تهنوا و تدعوا إلى السّلم و أنتم الأعلون واللّه معكم ولن يتركم أعمالكم» محمّد﴿صلى الله عليه و آله﴾: ٣٥) و لهذا الايمان حقّاً وجد سبط المصطفى الحسين بن عليّ عليهم السلام هؤلآء الصّفوة متفانين في الجهاد معه و الذّب عن قدس الشّريعة، و الحماية عن نواميس القرآن الكريم، و تلا على الملأ سطراً من صحيفتهم البيضآء بقوله﴿عليه السلام﴾: «إنّي لا أجد أصحاباً أو فى من أصحابي، و لا أهل بيت أبرّ و أوصل من أهل بيتي».

## ﴿لماذا تبكي الشّيعة على مصآئب سبط المصطفى صلى الله عليه وآله﴾
## بعد أربعة عشر قرناً

في مستدرك وسائل الشّيعة (ج ١٠ ص ٣١٨ حديث ١٢٠٨٤) بالإسناد عن جعفر بن محمّد﴿عليه السلام﴾ قال: «نظر النّبيّ﴿صلى الله عليه وآله﴾ إلى الحسين بن عليّ عليهما السّلام و هو مقبل، فأجلسه في حجره و قال: «إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً».

و في العلل: بإسناده عن عبد اللّه بن الفضل قال: قلت لأبي عبداللّه﴿عليه السلام﴾: يا ابن رسول اللّه كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة و غمّ و جزع و بكآء دون اليوم الّذي قبض فيه رسول اللّه﴿صلى الله عليه وآله﴾؟ و اليوم الّذي ماتت فيه فاطمة عليها السّلام؟ و اليوم الّذي قتل فيه أمير المؤمنين﴿عليه السلام﴾؟ و اليوم الّذي قتل فيه الحسن﴿عليه السلام﴾ بالسّمّ؟

فقال: إنّ يوم قتل الحسين﴿عليه السلام﴾ أعظم مصيبة من جميع سآئر الأيّام، و ذلك أنّ أصحاب الكسآء الّذين كانوا أكرم الخلق على اللّه كانوا خمسة، فلمّا مضى عنهم النّبيّ بقي أمير المؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّلام فكان فيهم للنّاس عزآء و سلوة، فلمّا مضى منهم أمير المؤمنين كان للنّاس في الحسن و الحسين عليهما السّلام عزآء و سلوة، فلمّا مضى الحسن﴿عليه السلام﴾ كان للنّاس في الحسين عزآء و سلوة، فلمّا قتل الحسين﴿عليه السلام﴾ لم يكن بقي من أصحاب الكسآء أحد للنّاس فيه بعده عزآء و سلوة،

فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقآؤه كبقآءِ جميعهم فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة.

قال عبد اللّه بن الفضل الهاشميّ: فقلت له: يا ابن رسول اللّه فلَم لم يكن للنّاس في عليّ بن الحسين عليهما السّلام عزاء و سلوة مثل ما كان لهم في آبآئه عليهم السّلام؟ فقال: بلى إنّ عليّ بن الحسين كان سيّد العابدين و إماماً و حجّة على الخلق بعد آبآئه الماضين، و لكنّه لم يلق رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ و لم يسمع منه، و كان علمه وراثة عن أبيه عن جدّه عن النّبيّ ﴿ﷺ﴾ و كان أمير المؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّلام قد شاهدهم النّاس مع رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ و في أحوال تتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكّروا حاله من رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ و قول رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ له و فيه، فلمّا مضوا فقد النّاس مشاهدة الأكرمين على اللّه عزّ و جلّ، و لم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلاّ في فقد الحسين ﴿عليه السلام﴾ لأنّه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة.

قال عبد اللّه بن الفضل الهاشميّ: فقلت له: يا ابن رسول اللّه فكيف سمّت العامّة يوم عاشورآء يوم بركة؟ فَبَكى ﴿عليه السلام﴾ ثمّ قال: لمّا قتل الحسين ﴿عليه السلام﴾ تقرّب النّاس بالشّام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار و أخذوا عليها الجوآئز من الأموال، فكان ممّا وضعوا له أمر هذا اليوم، و أنّه يوم بركة، ليعدل النّاس فيه من الجزع و البكآء و المصيبة و الحزن إلى الفرح و السّرور و التبرّك و الإستعداد فيه، حكم اللّه بيننا و بينهم ...».

و في اللّهوف: قال الصّادق ﴿عليه السلام﴾: «رحم اللّه شيعتناهم و اللّه شيعتنا المؤمنون فقد و اللّه شركونا في المصيبة بطول الحزن و الحسرة».

و في أمالى الصدوق رضوان اللّه تعالى عليه: قال الصّادق ﴿عليه السلام﴾: قال أبو عبد اللّه الحسين بن عليّ ﴿عليهما السلام﴾: «أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلاّ إستعبر».

و في فروع الكافي: - باب صوم عرفة و عاشورا - حديث ۷ - بإسناده من عبد الملك قال: سئلت أبا عبد اللّه ﴿عليه السلام﴾ عن صوم تاسوعآء و عاشورآء من شهر المحرّم فقال: تاسوعا يوم حُوصر فيه الحسين ﴿عليه السلام﴾ و أصحابه رضي اللّه عنهم بكربلا و اجتمع عليه خيل أهل الشّام و أناخوا عليه، و فرح ابن مرجانة و عمر بن سعد بتوافر

الخيل و كثرتها، و استضعفوا فيه الحسين صلوات اللّه عليه و أصحابه رضى اللّه عنهم، و أيقنوا أن لا يأتى الحسين﴿عليه السلام﴾ ناصر و لا يمدّه أهل العراق - بأبي المستضعف الغريب - ثمّ قال: و أمّا يوم عاشورا فيوم أُصيب فيه الحسين﴿عليه السلام﴾ صريعاً بين أصحابه، و أصحابه صرعى حوله عراة أفصوم يكون في ذلك اليوم؟!

كلاّ و ربّ البيت الحرام ما هو يوم صوم و ما هو إلاّ يوم حزن و مصيبة دخلت على أهل السّمآء و أهل الأرض و جميع المؤمنين، و يوم فرح و سرور لابن مرجانة و آل زياد و أهل الشّام غضب اللّه عليهم و على ذرّيّاتهم، و ذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلابقعة الشّام، فمن صامه أو تبرّك به حشره اللّه مع آل زياد، ممسوخ القلب، مسخوط عليه، و من ادّخر إلى منزله ذخيرة أعقبه اللّه تعالى فى قلبه نفاقاً إلى يوم يلقاه و انتزع البركة عنه و عن أهل بيته و ولده و شاركه الشّيطان في جميع ذلك».

أقول: إنّ الرّوايات في صوم عاشوراء مختلفة، و الجمع بينها أن يستحبّ الإمساك على وجه الحزن إلى العصر لا الصّوم، و ماورد بفضله يومئذ فمحمولة على التّقيّة فتدبّر جيّداً و لا تغفل.

ما هذا الحزن الّذي يحيط بنظام الكون و نواميس الوجود عند هلال محرّم الحرام؟

ما هذا الأسى الّذي يتداخل كلّ مؤمن و مؤمنة في أيّام عاشوراء؟

ما هذا الوجوم الّذي يعمّ أقطار الأرض و آفاق السّمآءِ؟

لماذا هذه المآتم، و تلك المجالس العديدة في شرق العالم و غربه؟ في المدن و القرى؟ و في التّكايا و البيوت ...؟

لماذا تغلق المجوس حوانيتها ثلاثة أيّام في تلك الأيّام؟

لماذا أتباع براهما بوترا في الهند يقيمون المآتم و يبذلون و ينفقون أيّام عاشوراء؟

لماذا يدخل كثير من غير المسلمين في النّار الموقدة فتكون لهم برداً و سلاماً؟

لماذا هذا التّطبير والدّمآء، و اللّطم و البكآء ... يوم عاشوراء؟

لماذا تصرف ملايين دنانير لإطعام الفقرآءِ و المساكين في هذه الأيّام؟؟؟

و ذلك أنّ حادثاً عظيماً أعظم من كلّ حادثة يهزّ نظام الكون و نواميس الوجود هزّاً، و ذلك لأنّ الكمال و الفضيلة في كلّ ظرف تصطدم بالإنحطاط و الرّذيلة، فيكون من نصيبها الخفوق أوّلاً ثمّ الفتح و الإنتصار و ذلك لأنّ الشّرك و الضّلالة، و الكفر و الجناية، و الظّلم و الخيانة ... تريد أن تعود فيأتيها سبط المصطفى، إبن المرتضى الحسين بن فاطمة الزّهراء عليهم أفضل صلوات اللّه بنفسه و نفيسه، فيقمعها قمعاً، حيث إنّ الجاهليّة الجهلآء تريد أن تبرز مرّة اخرى، فيقابها السّبط بما عزّ لديه: بنفسه الزّكيّة و شبّانه و أطفاله، و طفله الرّضيع و أولاده و أصحابه و سبي رحله و ذراريه ...

و ذلك أنّ الشّرك يريد أن يخرج من قرن الشّيطان فتتداركه رحمة اللّه الواسعة سبط نبيّ الرّحمة﴿ﷺ﴾ فيمحقه محقاً بأخبية تحرق، و ستور تهتك، و ثغور تقرع، فكيف لا يهتزّ نظام الكون و نواميس الوجود لهذا الحادث العظيم، لمن أفدى نفسه و ما يتعلّق به لحفظ النّظام و انّ حياته فيه: ألا و هي الخلود في نعيم أبديّ بتطهير النّفس من الدّنس و الرّجس، و بعبادة الرّحمن بعد معرفته، ذلك الّذي خلق الإنسان لأجله، و أرسل الرّسل لدعوة النّاس إليه: «اللّه الّذي خلق سبع سموات و من الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ اللّه على كلّ شيء قدير و أنّ اللّه قد أحاط بكلّ شيء علماً» الطّلاق: ۱۲) «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلاّ ليعبدون» الذّاريات: ٥٦) «و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون» الأنبيآء: ۲٥).

كيف لا يضطرب العالم شكراً و تقديراً لمن أفدى نفسه لحفظ نظامه، فإنّه لو لا هذا الحادث الجلل لكان مستغرقاً في عبادة الشّمس و الهبل، و اللّات و العزّى، و منهمكاً في البغي و الفساد، و الظّلم و الإنحطاط ...؟ فلو بذل العالم كلّ ما فيه من مال و متاع، و ذاب حزناً و أسى و كآبة و سال دموعاً لما وفى حقّاً من حقوق محيي الشّريعة و مجدّدها أعني سبط المصطفى ابن فاطمة الزّهرآء عليهم صلوات اللّه.

ما هذا الحزن و البكآء؟ إنّما هو زفرات يزفرها الإنسان مصحوبة بالدّموع بصورة غير إختياريّة إعترافاً بعظمة الحسين بن عليّ عليهما السّلام و تضحيته، و تقديراً لأعماله الجبارة الخالدة ... إنّما هو مظهر من مظاهر الحبّ و الولآء، و أمارة من أمارات الصّدق و

الوداد، و علامة من علائم العهد و الوفاء و قد جآء في الحديث: «هل الدّين إلاّ الحبّ و البغض؟» ...

و نسمع كثيراً أنّ كبار الرّجال من سياسيّين عظام، الّذين لم يسمع أنّهم بكوا لحادثة، يذكرون في تأريخ حياتهم أنّهم بكوا مرّتين أو ثلاثاً طيلة حياتهم إمّا على أمّ لهم توفّيت أو على أب خطفه ريب المنون، كلّ ذلك الحبّ يتجلّى فيسيل دموعاً ساخنات ... و لعمري انّ الحسين بن عليّ عليهما السّلام قد خدم البشريّة أضعاف ما يخدم الوالد ولده، و الوالدة ولدها، لأنّه بشهادته أحيا نفوس العالم الضّالّة و أخرجها من الحيرة إلى نور الهداية و هداهم سوآء السّبيل عرفوا قدره أم لا!

و قال بعض المفكّرين المعاصرين: إنّي حضرت في إحدى العواصم حفلة رائعة لتخليد ذكرى الكيمياويّ الشّهير: برثلو (Berthelot) و انّ أكثر مدن العالم قد احتفلت في نفس اليوم بذكرى هذا الكيمياويّ الّذي خدم العالم خدمات مادّيّة تفيد البدن خاصّة، و ما هي نسبة إحياء النفس الإنسانيّة بصورة أبديّة إلى خدمة بدنيّة يقدمها الكيمياويّ مع تقديرنا لخدمته.

انّ الشّرع الإسلاميّ قد نهى عن البكاء لأمور تافهة دنيويّة، و أمر بالصّبر، و جعل البكآء مبطلاً للصّلاة و استثنى البكآء أثنآء الصّلاة خوفاً من اللّه تعالى أو حبّاً لسبط المصطفى الحسين بن عليّ عليهم صلوات اللّه، و لذلك يقول﴿عليه السلام﴾: «أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلاّ استعبر» فالبكآء على الحسين﴿عليه السلام﴾ من علائم الإيمان الواقعيّ الحقيقيّ.

و ليس البكآء على إحيآءِ الفضيلة يبعث على الذّلّ و المسكنة كما تقوّله الأعداء المعاندون، و تبعهم بعض الأحبّاءِ جهلاً بحقيقة الأمر و التّقوّل الشّيطانيّ، و لم يعلموا أنّ النّفوس لتصدأ كما يصدأ النّحاس، و لا يزيل هذا الصّدأ إلاّ البكآء من خشية الخالق و البكاء على ملتقى الفضآئل و مجمع التّضيحات الحسين بن عليّ سلام اللّه عليه.

و قد حكى عن بعض الأعلام أنّه قال: «إنّي أشعر أنّ نفسي تصدأ إن لم أحضر مجلس الحسين﴿عليه السلام﴾ في كلّ أسبوع مرّة فأبكى، فإذا بكيت أشعر بعد البكآء بإرتياح و

فرح و سرور و اطمئنان و ترفع عن العالم المادّيّ».

فالميزة الفارقة بين البكآءِ الباعث على الذّلّ و الهوان هو ذلك البكآء الّذي يتعقّبه حزن و كآبة و ظلمات، و لكن البكآء من عقاب الخالق أو البكآء للنّدم الحاصل للإنسان من جرآءِ ما اقترفت يداه من الذّنوب يريح النّفس، و يبعث على السّرور و الفرح و كل من جرّب ذلك يصدّق ذلك.

و قال بعض الأعلام من المعاصرين: إنّي شاهدت أناساً كثيرين يبكون حسيناً﴿عليه السلام﴾ بإخلاص لا تأخذهم في اللّه لومة لائم جرّبتهم و سبرتهم فرأيتهم من خيار النّاس و أبرارهم فكأن هذا البكاء الخالص لو كان عن معرفة يؤثر في النّفس أثره الخاص فيهديها سوآء السّبيل فتبدو آثار هذه الهداية في الأفعال و المعاملات ... أليست التّجربة مدار البحث في علم النّفس الحديث أو بالأحرى في علم مظاهر النّفس؟ أليس أكثر مقتبسات علم النّفس الحديث تتمّ بطريقة آنكت (Enguete) أى السّئوال و التتبّع و الفحش عن نفسيّات ثلّة من النّاس، و قد وجدت الّذين لا يرتضون البكآء على الحسين بن عليّ﴿عليه السلام﴾ أقل عطفاً و حناناً من الطّبقة الاولى المارّة الذّكر، فإنّي أرى أنّ من علآئم الإنسان الكامل أن يحزن و يبكي لهذا الحادث العظيم الّذي به تجلّي الدّين، و به عرف اللّه، وبه عبد، كيف لا و يزيد بن معاوية كان يقول متمثّلاً بقول ابن الزّبعري:

| | |
|---|---|
| لعبت هاشم بالملك فلا | خبر جآء و لا وحي نزل |
| لست من خندف إن لم أنتقم | من بني أحمد ما كان فعل |

فهذا البكاء للدّين و الشّريعة، بكاء للّه تعالى و الفضيلة، بكاء لحفظ الكرامة و الإنسانيّة، بكاء لهدم أُساس الجور و الرّذيلة، و بكاء لإلفات الأنظار إلى كفر بني أُميّة و ضلالتهم ... و هذه الدّموع يتجلّى فيها التّقدير و الشّكر و الثّناءً، و من تتبّع أدوار هذا البكاء الحسينيّ علم كيف يأخذ بالإنسان، فيجعله في واد كلّه صفآء و صلاح، كلّه نور و رشاد، و كلّه كمال و فلاح ... و جانب آخر و قد ثبت علميّاً أنّ للبكآءِ فوآئد مادّيّة و روحيّة لنفس العين، و يكون سبباً لقتل كثير من الجراثيم الّتي تصاب بها العين.

ذلك لأنّ كلّ ما جآء في الشّريعة المحمّديّة﴿صلى الله عليه و آله﴾ من أعمال لها فوائد روحيّة تؤدّي إلى كمال النّفس الإنسانيّة، و فوائد مادّيّة تفيد الحياة المادّيّة و الإجتماعيّة، مع أنّ عظمآء الدّين كانوا غزيرى الدّمعة مع بسالتهم و شجاعتهم، و قيامهم بأعمال خارقة...

هذا هو مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ يصفه ضرار بن ضمرة قائلاً: «كان واللّه غزير الدّمعه - إلى أن قال -: لقد رأيته في بعض مواقفه و قد أرخى اللّيل سدوله، و غارت نجومه، قابضاً على لحيته الشّريفة يتململ تململ السّليم و يبكي بكاء الحزين ....».

ليس البكآء على الفقيد ببدعة و لا خرافة كما توهّم الأعدآء الجهلة أو تقوّلوا لتعطيل شعآئر الإسلام، و الأدلّة على ذلك لكثيرة: منها الأصل العملي يقتضي إباحة البكاء على الفقيد و رثائه بالقريض، و تلاوة مناقبه، و تذكّر مصآئبه، و الجلوس حزناً عليه و الإنفاق عنه فى وجوه البرّ.

و يستفاد من الأدلّة اللّفظيّة و السّيرة القطعيّة و الأصل العمليّ إستحباب البكاء إذا كان الفقيد مستجمعاً لصفات الفضل و الكمال، أو مضحياً نفسه في سبيل إحياء الفضيلة و الإنسانيّة، كى يتأسّى به الآخرون، و يقتدى به الباقون، فتنمو الفضيلة، و تستأصل الرّذيلة.

و قد بكى رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ يوم أُحُد على عمّه حمزة، حتّى قال ابن عبد البرّ في ترجمته: «لمّا رأى النّبيّ﴿صلى الله عليه و آله﴾ حمزة قتيلاً بكى، فلمّا رأى ما مثل به شهق» و ذكر الواقدي أنّ النّبيّ﴿صلى الله عليه و آله﴾ كان يؤمئذ إذا بكت صفيّة يبكي، و إذا نشجت ينشج. قال: و جعلت فاطمة تبكي، فلمّا بكت بكى رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾.

و قد أخرج البخاري: أنّ النّبيّ﴿صلى الله عليه و آله﴾ بكى على جعفر و زيد، و قال: «اخواي مؤنساي و محدثاي» و قد بكى رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ يوم مات ولده إبراهيم كما في الجزء الأوّل من صحيح البخاري (ص: ١٤٨) فقال له عبد الرّحمن ابن عوف: و أنت يا رسول اللّه؟ قال: «يا بن عوف إنّها رحمة» ثمّ اتبعها (يعني عبرته) باخرى. فقال: «إنّ العين تدمع و القلب يحزن، و لا نقول إلاّ ما يرضى ربّنا و إنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

و منها: يوم ماتت إحدى بناته«صلى الله عليه و آله» فجلس على قبرها كما في (صحيح البخاريّ) و عيناه تدمعان.

و منها: يوم مات صبيّ لإحدى بناته إذ فاضت عيناه يومئذ كما في (صحيح البخاريّ) و (صحيح المسلم) فقال له سعد: ما هذا يا رسول اللّه؟ قال: «هذه رحمة جعلها اللّه في قلوب عباده و إنّما يرحم اللّه من عباده الرّحمآء» و قد ذكر ابن عبد البرّ في إستيعابه ما لفظه: دخلت فاطمة و هي تبكي و تقول: واعمّاه! فقال رسول اللّه«صلى الله عليه و آله»: «على مثل جعفر فلتبك البواكي».

و انّ أهل المدينة المنوّرة لا يزالون إلى الآن إذا نا حوا على ميّت بدأوا بالنّياحة على حمزة، و ما ذاك إلاّ مواساة لرسول اللّه«صلى الله عليه و آله» بمصيبة في عمّه، و أدآءً لحقّ تلك الكلمة الّتي قالها في البعث على البكآءِ عليه و هو قوله«صلى الله عليه و آله»: «لكن حمزة لا بواكى له».

و أخرج ابن سعد كما في (الفصل الثّالث من الباب الحادي عشر) من (الصّواعق المحرقة) لإبن حجر عن الشّعبي قال: مرّ عليّ«عليه السلام» بكربلآء عند مسيره إلى صفّين، و حاذى نينوى فوقف و سئل عن إسم الأرض، فقيل: كربلآء، فبكى حتّى بلّ الأرض من دموعه، ثمّ قال«عليه السلام»: «دخلت على رسول اللّه«صلى الله عليه و آله» و هو يبكي، فقلت: ما يبكيك بأبي أنت و امّي؟ قال: «كان عندي جبرائيل آنفاً، و أخبرني أنّ ولدي الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له: كربلآء».

و أخرج الملا (كما في الصّواعق المحرقة أيضاً) أنّ عليّاً«عليه السلام» مرّ بموضع قبر الحسين«عليه السلام» فقال: «ها هنا مناخ ركابهم، و ههنا موضع رحالهم، و ههنا مهراق دمآئهم، فتية من آل محمّد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السّمآء و الأرض».

و من حديث أمّ سلمة كما نصّ عليه ابن عبد ربه المالكيّ حيث ذكر مقتل الحسين«عليه السلام» في الجزءِ الثّاني من (العِقد الفريد) قالت: «كان عندي النّبيّ«صلى الله عليه و آله» و معي الحسين، فدنا من النّبيّ«صلى الله عليه و آله» فأخذته، فبكى فتركته، فدنا منه، فأخذته فبكى فتركته، فقال له جبرائيل: أتحبّه يا محمّد؟ قال: نعم، إنّ امّتك ستقتله، و إن شئت أريتك الأرض الّتي يقتل بها، فبكى النّبيّ«صلى الله عليه و آله»».

فإلى تعظيم الشّعآئر و الفضيلة، و إلى إحياء الإسلام و تقوية الدّين بتخليد إسم من خلّد الدّين و أحياه يعني به حسين الفضيلة، و فضيلة الحسين، و حسين الآباء و آباء الحسين أدعو إخواني المسلمين في كلّ ظرف.

و قد هتف هاتف في الكوفة سمعه أهلها و لم يروه:

أبكي قتيلاً بكربلآء مضرّج الجسم بالدّمآء
أبكي قتيل الطّغاة ظلماً بغير جرم سوى الوفآء
أبكي قتيلاً بكى عليه مَن ساكِنُ الأرض و السّمآء
هُتِّك أهلوه و استُحِلّوا ما حرّم اللّه في الإمآءِ
يا بأبي جِسْمَهُ المُعَرّىٰ إلاّ مِنَ الدّين و الحيآء
كلّ الرّزايا له عزآء و ما لذا الرُّزءِ من عزآء

و قال خالد بن معدان في رثاء سيّد الشّهدآءِ﴿عليه السلام﴾:

جآؤا برأسك يا بن بنت محمّد مترمّلاً بدمائه ترميلاً
قتلوك عطشاناً و لم يترقّبوا في قتلك التّنزيل و التأويلا
و كأنّما بك يابن بنت محمّد قتلوا جاراً عامدين رسولاً
و يُكبِّرون بأن قُتِلتَ و إنّما قتلوا بك التّكبير و التّهليلا

و للّه درّ لمن قال:

إذا جآء عاشورا تضاعف حسرتي لآل رسول اللّه و انهلّ عبرتي
هو اليوم فيه اغبرّت الأرض كلّها وجوماً عليهم و السّمآء اقشعرّت
مصائب سائت كلّ من كان مسلماً ولكن عيون الفاجرين أقرّت
إذا ذكرت نفسي مصيبة كربلا و أشلاء سادات بها قد تفرّت
أضاقت فؤادي و استباحت تجارتي و عظّم كربي ثمّ عيشي أمرّت
أُريقت دمآء الفاطميّين بالملاء فلو عقلت شمس النّهار لخرّت
ألا بأبي تلك الدّمآء الّتي جرت بأيدي كلاب في الجحيم استقرّت
توابيت من نار عليهم قد اطبقت لهم زفرة في جوفها بعد زفرة

فشتّان مَن في النّار قد كان هكذا … و من هو في الفردوس فوق الأسرّة

بنفسي خدود في الترّاب تعفّرت … بنفسى جسوم بالعراءِ تعرّت

بنفسي رؤس معليات على القنا … إلى الشّام تهدى بارقاب الأسنّة

بنفسي شفاه ذابلات من الظّما … ولم تحظ من مآءِ الفرات بقطرة

بنفسي عيون غائرات سواهر … إلى المآءِ منها نظرة بعد نظرة

بنفسي من آل النّبيّ خرائد … حواسر لم تقذف عليهم بسترة

تفيض دموعاً بالدّماء مشوبة … كقطر الغوادي من مدافع سرّة

على خير قتلى من كهول و فتية … مصاليت أنجاد إذا الخيل كرّت

ربيع اليتامى و الأرامل فابكها … مدارس للقرآن في كلّ سحرة

و أعلام دين المصطفى و ولاته … و أصحاب قربان و حجّ و عمرة

ينادون يا جدّاه أيّة محنة … تراه علينا من اميّة مرّت

ضغآئن بدر بعد ستّين أظهرت … و كانت أُجنّت في الحشا و أُسرّت

شهدت بأن لم ترض نفس بهذه … و فيها من الإسلام مثقال ذرّة

كأنّي ببنت المصطفى قد تعلّقت … يداها بساق العرش و الدّمع أذرت

و في حجرها ثوب الحسين مضرّجا … و عنها جميع العالمين بحسرة

تقول أيا عدل اقضى بيني و بين من … تعدّى على ابني بعد قهر و قسرة

أجالوا عليه بالصّوارم و القنا … و كم جال فيهم من سنان و شفرة

على غير جرم غير إنكار بيعة … لمنسلخ من دين أحمد عرّة

فيقضي على قوم عليه تألّبوا … بسوء عذاب النّار من غير فترة

و يسقون من مآءٍ صديد إذا دنا … شوى الوجه و الأمعاء منه تهدّدت

مودّة ذي القربى رعوها كما ترى؟ … و قول رسول اللّه: اوصي بعترتي

فكم عجرة قد أتبعوها بعجرة … و كم غدرة قد ألحقوها بغدرة

هم أوّل العادين ظلماً على الورى … و من سار فيهم بالأذى و المضرّة

مضوا و انقضت أيّامهم و عهودهم … سوى لعنة باؤا بها مستمرّة

لآل رسـول اللّـه ودّي خـالصاً كـما لمـوا ليهم و لآئي و نـصرتي
وهـا أنـا مـذ أدركت حـدّ بـلاغتي أُصلّي عـليهم في عشيّي و بكـرتي
و قـول النّـبيّ: المـرء مع مـن أحبّه يـقوّي رجآئي في إقـالة عـثرتي
عـلى حبّهم يـا ذا الجـلال تـوفّني و حرّم على النّيران شيبي و كـبرتي

و قال الصّنوبريّ:

يـا خـير مـن لبس النّـبوّة مـن جمـيع الأنـبيآء
و جدي على سبطيك و جد ليس يؤذن بانقضآء
هـذا قـتيل الأشـقياء و ذا قـتيل الأدعـيآء
يوم الحسين هرقت دمع الأرض بل دمـع السّماءِ
يوم الحسين تـركت بـاب العـزّ مـهجور الفـنآء
يا كربلا خـلّفت مـن كـرب عـليّ و مـن بـلآء
كم فـيك مـن وجـه تـشرّب مآؤه مـاء البهـآء
نفسي فداء المـصطلي نـار الوغـى أيّ اصـطلآء
حيث الأسنّة في الجواشن كالكواكب في السّمآءِ
فاختار درع الصّبر حيث الصّبر من لبس السّنآء
و أبـا إيـاء الأُسـد إنّ الأُسـد صـادقة الإبـآء
و قـضى كـريماً إذ قـضى ظـمآن في نـفر ظـمآء
مـنعوه طـعم المآء لا وجـدوا لمـاء طـعم مـآء
مـن ذالمـعفور الجـواد ممـال أعـواد الخـبآء
مـن للـطّريح الشّـلو عـرياناً مخـلّى بـالعرآءِ
مـن للـمحنّط بـالتّراب و للـمغسّل بـالدّمآء
مَن لابن فاطمة المغيّب عن عيون الأوليآء

قوله: «الشّلو» - بالكسر -: العضو من أعـضاءِ اللّـحم، و أشـلاء الإنسـان: أعضآؤه بعد التّفرّق.

# ﴿اللّطم و التّطبير و الجروح و الدّم و البكآء يوم عاشورآء﴾

قال اللّه عزّ و جلّ: «و من يعظّم شعآئر اللّه فإنّها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمّى» الحجّ: ٣٢-٣٣.

و من البداهة لكلّ من له طيب الولادة، و حسن السّريرة: أنّ اللّطم و الرّثاء، و التّطبير و العزاء، و الجروح و البكآء و الدّم و ما إليها يوم عاشوراء من أعظم شعآئر اللّه جلّ و علا الّتي فيها تقوى القلوب، و لذلك يكون المعاندون الأعداءِ بصدد تعطيلها بطرق مختلفة، و من الأسف أنّ بعض الجهلة الّذين يدّعون المحبّة بأهل بيت النّبوّة يتبعون هؤلاءِ الأعداء، فيتقوّلون ماتقوّل هؤلآء الأعداءِ فيها، غافلين عن حقيقة الأمر جدّاً!

فيجب على كلّ مؤمن إقامتها، و تدلّ عليه الأدلّة الأربعة قطعيّاً - لا يشكّ فيها إلاّ من كان له خبث الولادة و سوء السّريرة كائناً من كان - من الكتاب المجيد و السّنّة الثّابتة، و العقل السّليم، و السّيرة المستمرّة و الإجماع حيث خضعت لها أساطين الملّة و أعلام الشّريعة في جميع الأعصار و الأدوار ... فما أنكر منكر و لا اعترضها معترض، و هي بمرأى منهم و مسمع و منتدى و مجمع ...

فإنّ من ذا يشكّ و يرتاب في رجحان مواساة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين و سفن النّجاة و التأسّي بهم في الأفراح و الأتراح، و في الضّرّآءِ و السّرّآءِ ...؟ أو من ذا يشكّ أنّ أهل بيت الرّحمة سلام اللّه عليهم أجمعين قد لطموا في فاجعة الطفّ (كربلاء) وجوههم، و لدموا صدورهم و قرح البكاء خدودهم و

عيونهم ... و قد كانت السّيّدة العقيلة زينب الكبرى ابنة فاطمة الزّهراء سلام اللّه عليهما نطحت رأسها بعمود المحمل فانفجرت منه الدّم، و إنّما عملها حجّة لنا، قطعاً، مضافاً إلى تقرير الإمام سيّد السّاجدين زين العابدين﴿عليه السلام﴾ لها على ذلك.

في البحار: (ج ٤٥ باب ٣٩ - باب الوقائع المتأخّرة عن قتله﴿عليه السلام﴾) عن امّ كلثوم عليها السّلام قالت لأهل الكوفة: صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم، و تبكينا نساءكم؟ فالحاكم بيننا و بينكم اللّه يوم فصل القضاء، فبينما هي تخاطبهنّ إذا بضجّة قد ارتفعت، فإذاهم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين﴿عليه السلام﴾ و هو رأس زهريّ قمريّ أشبه الخلق برسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ و لحيته كسواد السّبج قد انتصل منها الخضاب، و وجهه دارة قمر طالع، و الرّمح تلعب بها يميناً و شمالاً، فالتفت زينب فرأت رأس أخيها، فنطحت جبينها بمقدّم المحمل، حتّى رأينا الدّمّ يخرج من تحت قناعها، و أومأت إليه بخرقة و جعلت تقول:

يا هلالاً لمّا استتمّ كمالاً غاله خسفه فأبدا غروبا

ما توهّمت يا شفيق فؤادي كان هذا مقدّراً مكتوباً

يا أخي فاطم الصّغيرة كلّمها فقد كاد قلبها أن يذوبا

يا أخي قلبك الشّفيق علينا ماله قد قسى و صار صليبا

يا أخي لو ترى عليّاً لدى الأسر مع اليتيم لا يطيق وجوبا

كلّما أو جعوه بالضّرب نادا ك بذلّ يغيض دمعاً سكوبا

يا أخي ضُمّه إليك و قرّبه و سكّن فؤاده المرعوبا

ما أذلّ اليتيم حين ينادي بأبيه و لا يراه مجيبا

و في زيارة النّاحية المقدّسة: «فبرزن من الخدود ناشرات الشّعور، و لا طمات الخدود سافرات الوجوه».

و ليس هذا مخصوصاً بيوم الطّفّ و ما قاربه. فقد روى الصّدوق رضوان اللّه تعالى عليه: أنّ دعبل لمّا أنشد الإمام الثّامن عليّ بن موسى الرّضا﴿عليه السلام﴾ تائيته المشهورة الّتي فيها (إذا للطمت الخدّ فاطم عنده ...» لطمت النّسآء و على الصّراخ من

ورآءِ السّتر، و بكى الرّضا﴿ﷺ﴾ في إنشاد القصيدة حتّى أغمى عليه مرّتين ... فإذا جاز للرّضا﴿ﷺ﴾ أن يتعرّض لسبب الإغماء الّذي هو أخ الموت فلماذا لا يجوز لشيعته ضروب الرّؤوس و الظّهور و لدم الصّدور و التّطبير و لطم الخدود و ما إليها ممّا هو دون الإغمآء بكثير ... أو ليس فعل الإمام﴿ﷺ﴾ حجّة كقوله و تقريره؟

و لا يخفى على أحد أنّ خروج المواكب في الطّرقات يؤثر في قلوب العصاة و المجرمين أثراً عظيماً بحيث يتوبون إلى اللّه جلّ و علا و يصلحون، و ينقلب غير المسلمين بحيث إذا رأوها أسلموا، و ينقلب المخالفين كثيراً بحيث إذا رأوها استبصروا، و قد أخبرني كثير من علمآءِ پاكستان و هند و كشمير و الممالك الإفريقيّة و غيرها: أنّ كثيراً من غير المسلمين يوم عاشوراء يسلمون، و كثيراً من المخالفين يومئذ يستبصرون إذا رأوا العزآء و اللّطم و التّطبير و الدّم و البكآء، و الدّخول في النّار، و خروج المواكب في الطّرقات ...

فقد يجب خروج المواكب و البكاء و التّطبير و اللطم و الدّم و العزاء و ما إليها من أنحاءِ التّعزية إذا كثرت الفحشاء و الوسوسة و الشّبهة في أمرها، و قست القلوب، و صدّ سبيل التّبليغ، و سعى المعاندون و أذنابهم الجهلة في تعطيل هذه الشعآئر الإسلامية العظمى كما في زماننا هذا.

و انّ ضرب الطّبول إذا قصد الإعلام و التّهويل و نظم المواكب و تعديل الصّفوف و المناكب حسن و راجح، فلا تغفلوا أيّها المسلمون في كلّ ظرف من الظّروف عن دسآئس الأعداء و وساوس الأجانب و شبهات الشّيطان – نزعة امويّة و أذنابها، و نزعة وهّابيّة و أجرآئها – فإنّهم يريدون إحياء ذكر بني اميّة، و تعطيل أعظم شعآئر اللّه جلّ و علا، و إزهاق الحقيقة المحمّديّة و إمحاء آثار أهل البيت الوحي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

فدق الطّبل للإعلام و خروج المواكب في الطّروقات و لطم الخدود و ضرب الصّدور و الظّهور و التّطبير و ما إليها ليكثر البكآء و تتوجّه القلوب إلى الحقآئق قد تجب بلا خفآءٍ و لا مرآء.

و ذلك أنّ واقعة الطّفّ و ما جرى فيها من زوابع الفجآيع ... واقعة خرقت

النّواميس الطّبيعة و الغرآئز البشريّة فضلاً عن الشّرائع الإلهيّة، و ما رأت عين الدّهر، و لا سمعت واعية الأزمان بواقعة مثلها، و لا تسمع بمثلها أبداً إذ بكت عليها السّمآء و الأرض، و الملآئكة و الجن و الوحوش و الحيتان و كسفت الشّمس و نزل الدّم ... ما لم يقع على غيرها ... و كما أنّها أخذت بمجامع الغرابة و التّفرّد في بابها، فكذلك أحكامها غريبة الشّكل، عديمة النّظير، بديعة الأسلوب، متفرّدة في بابها الجزع و البكآء في المصآئب مهما عظمت قبيح مكروه و قد يباح، و لكن في واقعة الطّفّ يرجّح و يستحبّ و قد يجب.

قال الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق(عليه السلام) – في حديث معتبر –: «البكآء و الجزع كلّه مكروه إلاّ على الحسين(عليه السلام)». فشقّ الجيوب على الفقيد و خمش الوجوه محرّم إلاّ على الحسين(عليه السلام). كما قال جعفر بن محمّد الصّادق(عليه السلام) – في حديث وثيق –: «على مثل الحسين(عليه السلام) فلتنشق الجيوب، و لتخمش الوجوه و لتلطم الخدود...» فإيذاء النّفس و إدماء الجسد حرام إلاّ على الحسين(عليه السلام). و قد قال الحجّة الثّاني عشر(عليه السلام) في زيارة النّاحية المقدّسة: «فلأند بنّك صباحاً و مسآءً و لأبكينّ عليك بدل الدّموع دماً» و إنّ الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين(عليه السلام) كان أحياناً إذا قدم إليه قدح فيه ماء بكى حتّى يملأ دماً».

فاستحبّ العمل و البكاء و الجزع إستحباباً مؤكّداً بقصد الحزن و التّوجّع لفاجعة الطّفّ و قد يجب، و انّها لعمر اللّه جلّ و علا باب الرّحمة الواسعة، و سفينة النّجاة من كلّ هلكة، و من ذا يقدر على سدّ باب رحمة اللّه تعالى، أو يقطع أعظم الذرايع و الوسآئل إلى اللّه جلّ و علا، و لكن يجب على المؤمنين أن يراعوا أمرين:

أحدهما – تنزيه تلك المواكب المقدّسة و ما إليها من كلّ ما يشينها و يدنسها ممّا يوجب الوهن و إلقاح الفتنة و الفساد من المقابلة و التّفاخر و حبّ الغلبة، و تفوّق قبيل على قبيل، و أمثال ذلك من الأخلاق الذّميمة و الأفعال القبيحة و الأقوال السّيّئة... فإنّ تلك الأعمال أعمال إلهيّة، و لها غايات روحيّة عاليّة رفيعة، فلا تدعوا أيّها المحبّون لسبط المصطفى(صلى الله عليه و آله) فلا تدعوا للشّيطان سبيلاً إلى إحباط أجرها و محو أثرها و غاياتها ...

ثانيهما - و هو أهمّ و أعظم ألا و هو المحافظة على اتّفاق الكلمة، و نبذ الخلاف و التفرّق و لتكونوا يداً واحدة في حفظ هذه الجامعة المقدّسة الّتي أوشكت أن تنحل عراها، و تضمل قواها، فيجب على المؤمنين كافّة، و على العلمآء و المصلحين خاصّة في كلّ ظرف وحدة العدة و القوّة، فإنّ فيها نجاة و صلاحاً و فلاحاً و عزّة و علوّاً و سعادة في الدّارين و قد أمركم اللّه جلّ و علا أيّها العلمآء و المؤمنون بذلك، و يخاطبكم: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا اللّه حقّ تقاته و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون و اعتصموا بحبل اللّه جميعاً و لا تفرّقوا - و لتكن منكم أُمّة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون و لا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جآءهم البيّنات و اولئك لهم عذاب عظيم» آل عمران: ۱۰۲-۱۰۵) ألا ولعمر اللّه عزّ و جلّ انّ الحسين بن عليّ عليهما السّلام هو حبل اللّه المتين و مصباح الهدى و سفينة النّجاة و العروة الوثق لا انفصام لها.

ثمّ إنّ مَن أمعن النّظر و تفكّر مليّاً، و سبرغور الوقايع التأريخيّة في يده الدّعوة المقدسة الإسلاميّة، و حكمة نشوها و ارتقآئها و انتشارها و اعتلآئها وجد أقوى الأسباب العاديّة بعد العناية الرّبّانيّة و الرّسالة المحمّديّة هو سيف مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» و مواقفه المشهورة و مساعيه المشكورة بحيث لو لا كفاحه و صفاحه لما اخضر الإسلام عود، و لما قام له عمود، و كذلك مَن أعطى التّدبّر حقّه و أمعن النّظر في أسباب انتشار مذهب التّشيّع و اتّساق نطاقه و ارتفاع رواقه و بقائه إلى الآن لم يجد له سبباً حقيقيّاً و سرّاً جوهريّاً سوى شهادة أبي عبد اللّه الحسين و إسارة أهل بيته عليهم أفضل صلوات اللّه و أكمل تحيّاته بعدد ما أحاط به علم اللّه جلّ و علا، شهادته بذلك الشّكل الغريب و الوقع الهآئل، و إسارة أهل بيته بتلك الصّورة الفاجعة!

و لعمرى! لو لا شهادة سبط المصطفى«صلى الله عليه و آله» لكانت الشّريعة امويّة، و لو لا إسارة أهل بيته لعادت الملّة الحنيفيّة يزيدية.

فحقّاً أن يقول المسلم: إنّ الإسلام علويّ، و التشيّع حسينيّ، و يقول حقّاً: إنّ مَن

ليس له حبل و لاء خاصّ إلى عليّ﴿؇﴾ فليس من الإسلام على شيء، و من ليس له حبل ولاء خاص بالحسين﴿؇﴾ فليس من التّشيّع على شيء، و يقول حقّاً: إن الإسلام سوى عليّ ابن أبيطالب﴿؇﴾ يعني الإسلام سوى الإسلام فإنّ عليّاً﴿؇﴾ هو حقيقة الإسلام، و يقول حقّاً: إنّ التّشيّع سوى الحسين بن عليّ عليهما السّلام يعني التّشيّع سوى التّشيّع، فإنّ الحسين﴿؇﴾ هو واقع التّشيّع و أساسه و أصله.

و لذلك تجد أنّ لكلّ شيعيّ علقة خاصّة مع الحسين﴿؇﴾ ليست له مع غيره من سآئر الأئمّة سلام اللّه عليهم أجمعين، مع أنّه يعتقد بإمامة الجميع و فرض طاعتهم، و قد قُتِلوا كلّهم في سبيل اللّه تعالى إمّا بالقتل و إمّا بالسّمّ.

نعم! و قد كان لنفس رسول اللّه﴿ص﴾ و لذوات الأئمّة و فاطمة الزّهرآء صلوات اللّه عليهم أجمعين علقة خاصّة بالحسين﴿؇﴾ بخصوصه ليست لبعضهم مع بعض، فلقد كانت لهم لهجة خاصّة بذكره يعرفها من أَنَسَ بأخبارهم، و وقف على بعض أسرارهم، و هذه ميزة قدامتاز سلام اللّه عليه بها، و مزيّة قد تفرّد هو فيها، و كانوا جميعاً يشيرون إلى أنّ الحسين﴿؇﴾ هو مستودع ذلك السرّ الإلهيّ الّذي يستبين به الدّين، و يميز اللّه به الخبيث من الطّيب و الحقّ من الباطل، و المصلح من المفسد، و ما تبيّن الرّشد من الغيّ، و الهدى من الضّلال، و الايمان من الكفر، و المطيع من العاصي ... إلاّ بالحسين﴿؇﴾ و إلاّ فقد ارتبك الأمر بعد رسول اللّه﴿ص﴾ على عامّة المسلمين، و اختلط الحابل بالنّابل، و الحقّ بالباطل سيّما بعد صلح أخيه الحسن ابن عليّ عليهما السّلام كان أيضاً بأمر من اللّه تعالى.

و لكن نهض الحسين ابن عليّ عليهما السّلام تلك النّهضة الباهرة، فقشع سحب الأوهام، و انتزع النّور من الظّلام، و أصحر بالهدء لطالبه، و بالحقّ الضّايع لِناشده، و هذه إحدى المزايا الّتي امتاز بها، و تفرّد، و كان من قبله من الأئمّة و بعده يشيرون إليها، و يدلّون النّاس عليها، و كانت نسبته إليهم في ذلك على حدّ قول القآئل: و لست ترى في محكم الذّكر سورة تقوم مقام الحمد، و الكلّ قرآن. و يتفرّع من هذه المزيّة مزايا تفوت حدّ العدّ، و يحصر عنها لسان الحصر،كان من مزايا الّتي انفرد بها وامتاز عن غيره فيها -

انّه ربّما رآه و كلمه أعدى عدوّله - فانقلب أكبر محبّ له - و حسبك بحديث زهير بن القين و كان عثمانيّاً أبغض شيء إليه أن ينازل الحسين(عليه السلام) في منزل، فما اجتمع به، و كلّمه بضع كلمات حتّى طلّق الدّنيا و زوجته و فداه بنفسه.

و لا تحسب أنّ هذه من مفردات الشّيعة و رواياتهم، فإنّ في كتب العامّة قد يوجد ما هو أعجب من ذلك. هذا مجد الملك بن شمس الخلافة أحدوزرآء العلمآء في مصر المتوفّاة نحو ستّمأة على ما ذكره ابن خلكان في ترجمته، ذكر في كتاب له، ألّفه في محاسن المحاضرة و آداب المسافرة فقال:

«إنّ عصام ابن المصطلق و كان شاميّاً أمويّاً، قال: دخلت المدينة، فرأيت الحسين بن عليّ سلام اللّه عليهما، و معه غلمانه و حاشيته، فأعجبني سمته و رواؤه و حسنه و بهاؤه و أثار الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فجئت إليه، و قلت له: أنت ابن أبي تراب؟ فقال: نعم، فبالغت في شتمه و شتم أبيه، فنظر إليّ نظر عاطف رؤوف برقّة و رحمة، ثمّ قال: «أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم بسم اللّه الرّحمن الرّحيم: «و إمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغ فاستعذ باللّه انّه سميع عليم إنّ الّذين اتّقوا إذا مسّهم طآئف من الشّيطان تذكّروا فإذاهم مبصرون و إخوانهم يمدّونهم في الغيّ ثمّ لا يقصرون» الأعراف: ٢٠٠ - ٢٠٢).

ثمّ قال لي: خفض عليك أستغفر اللّه لي و لك، إنّك لو استعنتنا لاعنّاك، و لو استرفدتنا لرفدناك، و لو استرشدتنا لأرشدناك ...».

قال عصام: فندمت على ما قلت، و نوسم منّي النّدم على ما فرط منّي.

فقال(عليه السلام): «لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللّه لكم و هو أرحم الرّاحمين» ثمّ قال(عليه السلام): أمن أهل الشّام أنت؟ قلت: نعم، قال: شنشنة أعرفها من أخزم حيانا اللّه و إيّاك أتبسط إلينا في حوآئجك، و ما يعرض لك تجدنا عند أفضل ظنّك إن شآء اللّه...

قال عصام: فضاقت عليّ الأرض بما رحبت، و وددت لو أنّها ساخت بي ثمّ انسللت من بين يديه لواذاً، و ما على وجه الأرض أحبّ إليّ منه و من أبيه».

ولا تكون هذه القصّة فريدة بل لها نظآئر لا يسعها مقام الإختصار، و لكن من

عرف للحسين بن عليّ عليهما السّلام بعض هاتيك المزايا و الخصآئص لا شكّ أنّه يستقل في عزائه الكثير و يستحقر الأمر الخطير، و يرى دون ما يستحقّه كلّ تلك الشّعآئر و المظاهرات و المواكب و النّزعات ...

نعم! و إذا كان الشّاميّ الأمويّ بنظرة واحدة و كلمات معدودة يعود، و ما على وجه الأرض أحبّ إليه من الحسين و أبيه عليهما صلوات اللّه الدّائمة فما عذر الشّيعيّ في إيداء الوهم و التّشكيك في المواكب الحسينيّة و الشّئوون العزائيّة ...؟!

و اللّه و باللّه و تاللّه جلّ و علا لو لا إستمرار تلك الشّعآئر، و قيام أعواد هذه المنابر، و استدامة التوجّع و التفجّع لا نطمست أعلام التّشيّع و آثار الإسلام، فنسئل اللّه تعالى أن يمنّ علينا بنفوذ البصيرة، و نزع بذور الأغراض الواهية من لوح السّريرة لنرى الحقآئق كما هي بحوله وقوته تعالى بحقّ محمّد و آله الطّاهرين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

**خاتمة:**

و من المعلوم عند الفقهآءِ: أنّ الشّىء إذا وجب بالنصّ، ثمّ انطبق عليه عنوان واجب آخر، يتأكّد الوجوب عندئذ، كما لو نذر الإنسان إقامة الصّلاة، فإنّ وجوبها يتأكّد بالنّذر، و كذلك فيما لو كان الشّيء مستحبّاً في نفسه، ثمّ انطبق عليه عنوان مستحبّ آخر، فإنّ الإستجاب يتأكّد.

و إنّ التّطبير من مصاديق ذلك، و قدوردت روايات كثيرة في استحباب حجامة الرّأس، و هذه الحجامة على الرّأس انطبق عليها عنوان تعظيم الشّعآئر: «و من يعظّم شعآئر اللّه فإنّها من تقوى القلوب» الحجّ: ٣٢) فاستحبابها يتأكّد.

في البحار (باب الحجامة و الحقنة ...) بإسناده عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر﴿عليه السلام﴾ يقول: قال رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾: «الحجامة في وسط الرّأس شفاء من كلّ دآء إلاّ السّام» أى الموت.

و فيه: بالإسناد عن أبي سلمة عن أبي عبد اللّه﴿عليه السلام﴾: «الحجامة على الرّأس على شبر من طرف الأنف، و فِتْر من بين الحاجبين، و كان رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ يسمّيها بالمنقذة» و في حديث آخر قال: كان رسول اللّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ يحتجم على رأسه، و يسمّيه

المغثية أو المنقذة».

قوله(ﷺ): «فِتْر» -كحِبْر-: ما بين طرف الإبهام و طرف السّبابة إذا فتحها.

ثمّ قال العلامة المجلسي رحمة اللّه تعالى عليه: «فضل حجامة الرّأس و منافعها وردت في روايات الخاصّة و العامّة، و قال بعض الأطبّاء: الحجامة في وسط الرّأس نافعة جدّاً، و قد روى أنّ النّبيّ(ﷺ) فعلها».

و فيه: و قال الصّادق(ﷺ): «الحجامة في الرّأس شفآء من سبع: من الجنون و الجذام و البرص، و النّعاس، و وجع الضّرس و ظلمة العين و الصّداع».

و فيه: و عن الصّادق(ﷺ) قال: «الحجامة تزيد العقل و تزيد الحافظ حفظاً».

إنّ الرّوايات في المقام كثيرة فمن أراد فليراجع بابها.

و قد صرّح جماعة من الفقهآءِ المتبحّرين قديماً و حديثاً باستحباب حجامة الرّأس، و مَن يطبّر فقد اتّبع رسول اللّه(ﷺ) في حجامة رأسه، و قد افتى جماعة من كبار المراجع الدينيّة بجواز التّطبير، بل رجحانه، بل وجوبه أحياناً، مضافاً إلى أنّ التّجربة أثبتت أنّ الّذين يقولون بالتّطبير يلتئم جرحهم بطريقة فريدة، و قد برأ كثير منهم من كثير من الأمراض، و إنّي جرّبته بنفسي يوم عاشوراء عام (١٤١٦ هـ ق).

و انّ ملاحظة سريعة للتّأريخ تكشف أنّ الحكّام الجابرة قديماً و حديثاً حاربوا التّطبير خاصّة و الشّعآئر الحسينيّة عامّة بشدّة، و ما نالوا بمحاربتهم إلاّ فضاحة و نكبة و لعنة و أمّا إستهزاء الكفّار و المجرمين، و الفجّار و المستكبرين، و الفسّاق و المتوحّشين بالتّطبير، فليس دليلاً على حرمته، فإنّ الإستهزاء و الوسوسة و الإغواء و الذّبذبة شأن كلّ كافر و فاجر ... قال اللّه عزّ و جلّ: «يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزؤن» يس: ٣٠).

إنّ هؤلآءِ المتوحّشين و أُجرآءهم، و الجهلة من أتباعهم يحسبون توحّشهم و طلاقة عنانهم و عراهم و نزواتهم تمدّناً، فلو كانت طلاقة العنان و العرى و النّزوات تمدّناً و رقيّ، فهم و الحيوانات كلّها على حدّ سوآء قال اللّه عزّ و جلّ: «يتمتّعون و يأكلون كما تأكل الأنعام» محمّد(ﷺ): ١٢).

فهم لتوحّشهم يستهزؤن بكلّ ماينا في توحّشهم من الحجاب، و الصّوم و الصّلاة و الحجّ و رمي الجمرات و السّجود و ما إليها من أحكام اللّه تعالى، بل هم يسـتهزؤن بالدّيانة و الكرامة الإنسانيّة، فهل يتركها مؤمن لمجرد إستهزآئهم بها؟ فأقم أيّها المؤمن وجهك للدّين حنيفاً و استقم كما أُمرت، و أقم شعآئر اللّه عزّ و جلّ بأحسن وجه، و ذر اولئك الأنعام في توحّشهم يعمهون.

تمّتّ سورة الدّخان

الحمدللّه ربّ العالمين و صلّى اللّه على محمّد و آله الطّاهرين

# الفِهرس

# فهرس ما جآء فى تفسير سورة الزّخرف

## يدور البحث حولها على فصلين:

### الفصل الأول: في عناوين تفسير السورة و فيها تسع عشرة بصيرة:

# الفصل الثانی: في مواضيع الحِكَم القرآنيّة الدّقيقة
# و المعارف الاسلاميّة العميقة المجوث عنها في
# تفسير سورة «الزخرف»

و في الفصل بصيرة واحدة حول الإمامة و الخلافة و فيها عشرة امور:

# فهرس ما جآء فى تفسير سورة الدّخان

## يدور البحث حولها على فصلين:

**الفصل الأول: في عناوين تفسير السّورة و فيها تسع عشرة بصيرة:**

## الفصل الثانى: في مواضيع الحِكَم القرآنيّة الدّقيقة و المعارف الإسلاميّة العميقة المبحوث عنها في تفسير سورة «الدّخان»

## و فى الفصل بصيرتان:

### البصيرة الاولى: و فيها عشرون أمراً:

## البصيرة الثانية: و فيها ثلاثة و عشرون أمراً: